

صاحب القلم الجديد للإسلام ...

محمود المشققون

قِرَاءَةٌ فِي الْمَوَاقِفِ
وَتَرْزُوقِ التَّارِيخِ



عبد الله الفكي البشير



إِنَّ حِرْصِي عَلَى تَكْرِيمِ الْفِكْرِ إِنَّمَا يَسْتَمِدُّ أَسْبَابَهُ مِنْ
اِقْتِنَاعِ تَامٍ، بِأَنَّ لَيْلَ الْجَهْلِ قَدْ أَخَذَ يَنْجَابُ، وَأَنَّ نُورَ الْفِكْرِ
قَدْ أَخَذَ يُنْشُرُ أَجْنَحَتَهُ الْمَشْرِقَةَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ
الْحَرِيَّةِ، وَمِنْ وَرَائِهَا، عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ الْحَائِرِ..

مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ طَه

كتاب : أسئلة وأجوبة. الكتاب الأول. ١٩٧٠م.

صاحب القلم الجديد للإسلام ...

محلومون والمُشَقَّقون

قِرَاءَةٌ فِي الْمَوَاقِفِ
وَتَزْوِيرُ التَّارِيخِ

عبد الله العلي البشير

تَراجِم
تَكَ تَكَرَى

٣١

٣

١

رَأْي



الكتاب الذي بين أيدينا كتابٌ عظيمٌ وجليلٌ وخطيرٌ.. وهو كتابٌ يقف بنا في مفترق الطرق، ويؤرخ لمرحلة جديدة وفريدة في كتابة وصناعة التاريخ... إنَّ الكتاب الذي بين أيدينا هو صناعةٌ للتاريخ وهو أيضاً كتابةٌ له. ولقد صنع المؤلف التاريخ عبر كتابته التي سمعت وعملت من أجل إخراج الأستاذ محمود محمد طه من سجون التشويه والتحايل والتجاهل والتفريب عن الذاكرة الجمعية، والعزل عن ميدان البحث العلمي، والتضليل المنظم والمجمع عليه، مُصادماً بذلك القديم وجحافل الأكاديميين المتعاسين عن مسؤولياتهم، والفُقهاء الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على العقول، والسلفيين والطائفيين والمؤرخين المزورين....

عالج الكتاب مؤامرات الشؤون الدينية، والمعهد العلمي، والجامعة الإسلامية، والأزهر، ورابطة العالم الإسلامي، وجماعات الهوس الديني المحلية والإقليمية، والموقف من جمال عبد الناصر ودعوة القومية العربية، والخطابات التي أرسلت إليه (وبعضها كان مجهولاً حتى الآن). كما عالج الكتاب محكمة الردة الأولى (١٩٦٨)، والثانية (١٩٨٥) والتي أدت إلى منصة الإعدام التي منها تسنم الأستاذ محمود محمد طه ذروة المجد والتاريخ المشرف النظيف محققاً فرديته التي انماز بها عن أفراد القطيع وافتتح بها عهد الإنسانية.

إن هذا الكتاب ذو طبيعة موسوعية غطت ما أهمله المؤرخون، عمداً أو سهواً، وما أخفاه - أو تخطاه - الأكاديميون والباحثون جهلاً أو خوفاً أو حسداً.

لقد خرج الأستاذ محمود محمد طه من خلوته، بمدينة رفاعة، عام ١٩٥١م، بمشروعه الجديد "الفهم الجديد للإسلام"، وظل يعيشه ويبشر به وينشره حتى دخل "الخلوة الكبرى" التي أعقبت تنفيذ الإعدام عام ١٩٨٥م. ويخرج الأستاذ محمود محمد طه من خلوته الثانية هذه بهذا السفر العظيم، الذي يجسد مواقفه الصامدة الخالدة وحياته الملهمة.

إن هذا الكتاب كبير، حساً ومعنى، وخطير، حالاً ومآلاً. وخطورته تشفع لكبيره... وقد جاء على قدر وميقات، ومن ثم: يرجى له أن يشعل ثورة فكرية تسهم في إحداث الثورة الثقافية التي تحدث عنها الأستاذ محمود محمد طه وبشر بها في كتابه: **الثورة الثقافية**.

لقد نجح المؤلف - مستعيناً بكل هذه الأدوات - التتقيب في المصادر الأولية، وجمع وحشد الوثائق النادرة والمهملة مع استنطاقها، وإعادة النظر في الكثير من المسلمات، ومناطحة ومصادمة قوى القديم والتخلف - نجح في قرع الأجراس القدسية التي تبشر بميلاد فجر يقظة الأمة السودانية، ومن ورائها - بإذن الله - الإنسانية جمعاء.

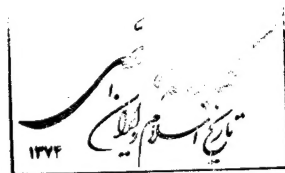
عصام عبدالرحمن البوشي



عبدالله الفكي البشير؛ باحثٌ وكاتبٌ سوداني، وُلد بقرية كَريَمَات شرق مدينة تمبُول بالسُّودان. نال درجة البكالوريوس (مرتبة الشرف) عام "١٩٩٩م" من كلية الآداب، **جامعة الخرطوم**، بالسودان. وكذلك درجة الماجستير عام "٢٠٠٥م"، ويعد حالياً أطرُوحة الدكتوراه فيها. يعمل منذ ١٩٩٩م بوزارة الخارجية بدولة قطر. شارك في بعض المؤتمرات وقدم العديد من الأوراق العلمية، ونشر المقالات الصحفية. له ثلاثة كتب تحت الإعداد. تجلّى كتاباته ضمن مشروع بحثي ينطلق من رؤية نقدية للإرث السياسي والفكري في السودان - بشكل خاص - وفي المحيط الإفريقي والعربي والإسلامي - بشكل عام. ويدعو المشروع - في تأملاته لتاريخ وواقع السودان ومُتطلبات الدُخول في المستقبل - إلى القفز من نقد السياسات والنتائج إلى نقد التُصورات وتفكيك الافتراضات. كما يسمى المشروع -في إطار انشغاله بـ "ما بعد التاريخ المعلن"، وضمن إعادة قراءته للتاريخ المعلن- إلى المساهمة في تصميم عناوين، وبناء مفاهيم جديدة، وإعادة توصيف العناوين واللاهتات السياسية والفكرية والثقافية.

للتواصل مع المؤلف؛

abdallaelbashir@gmail.com



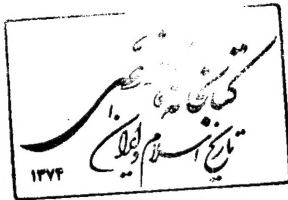
صاحب الفهم الجديد للإسلام
محمود محمد طه والمتقفون
قراءة في المواقف، وترويض التاريخ

صاحب الفهم الجديد للإسلام

محمود محمد طه والمتقنون

قراءة في المواقف، وتروير التاريخ

عبد الله الفكي البشير



للنشر والتوزيع

2013

الكتاب : صاحب الفهم الجديد للإسلام،

محمود محمد طه والمتقنون

تأليف: عبد الله الفكي البشير

المدير المسؤول : رضا عوض

رؤية للنشر والتوزيع

القاهرة : 012/23529628

8 ش البطل أحمد عبدالعزيز - عابدين

تقاطع ش شريع مع رشدي

Email: Roueya@hotmail.com

فاكس : 25754123 (202) +

هاتف : 23953150 (202) +

الإخراج الداخلي : حسين جليل

جمع وتنفيذ : القسم الفني بالدار

تصميم وخط الغلاف : تاج السر حسن سيد أحمد

الطبعة الأولى : 2013

رقم الإيداع : 2013/15981

الترقيم الدولي : 978-977-499-111-5

.....

المحتويات

.....

الصفحة

الموضوع

31	الإهداء
33	نداءات
37	شكر وعرفان
45	تقديم بقلم عصام عبدالرحمن البوشي
59	قصتي مع هذا الكتاب
75	مقدمة

الباب الأول

لمحات من السيرة والإنتاج الفكري وقراءة في الدراسات السابقة

119	الفصل الأول: لمحات من السيرة والإنتاج الفكري
122	■ الميلاد والمعطيات المحلية والإقليمية والكوكبية
125	■ ما بين المدينة والقرية وزراعة البادية
129	■ سنوات الدراسة في كلية غردون (1932 - 1936)
133	■ الكتابة في مجلة كلية غردون عام 1935 وشهادات الزملاء
139	■ الوظيفة الحكومية والاستقالة منها
145	■ الرغبة والهدف من دراسة القانون

- 151 لمحات من منهج الحياة والإنتاج الفكرى
- 153 بعض العناصر الأولية Primary Elements
- 154 مبدأ المواجهة ومنهج المقاومة
- 158 استخدام أدوات المثقف وتوظيف سبل الحداثة
- 176 المنزل: مكان النشاط وقاعدة انطلاقه
- 177 أيام السجون والمعتقلات فى فترتي الاستعمار والحكم الوطنى
- الفصل الثانى : قراءة فى الدراسات السابقة : مرحلة الفقهاء
- 181 تعطيل الطاقات الحيوية وتجميد حركة التغيير والتحرير
- 184 الدراسات النقدية لمشروع الأستاذ محمود
- 187 حوارات مرحلة ما قبل نقد الفقهاء
- 189 ندوة عبد الله حامد الأمين وتغذية سوح الحوار والسجال
- 197 الحوار بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد علي: مقارنة أولية
- 214 نقد مرحلة الفقهاء: صدام الجديد مع القديم
- 214 اختطاف الفقهاء لمنابر الحوار وسوح السجال بلا إمكانيات فكرية
- 229 التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وتلاميذه

- 236 نقل النصوص وتجليات الكسل العقلي عند الفقهاء ■
- 236 • نموذج كتاب المكاشفي طه الكباشي ■
- 242 • نماذج انخفاض السقف المعرفي وانعدام الورع العلمي ■
- 254 • نماذج للعبث الفكري والإفلاس الأخلاقي والسجال بلا شرف ■
- 262 ■ الشؤون الدينية و"علماء السودان" والتحالف الإسلامي ■
- بناء الجدار العازل لحجب الأستاذ محمود عن شعوب السودان والإسلام
- 264 والعالم ■
- الفحولة الفكرية ومعياري الفقهاء: ضياع أربعة عقود من فرص التغيير
- 270 والتحرير ■
- الفصل الثالث: قراءة في الدراسات السابقة : مرحلة ما بعد الفقهاء
- 273 بداية إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود في المخيلة السودانية ■
- 276 ■ تكلُّس حقبة السكوت وتراجع حظ الأوصياء على العقول ■
- 280 ■ فك الحصار والانفكاك من القطيع ■
- 284 ■ المثقف بأدواته غذاء لمنابت الخير وتحفيف لمنابت الظلم والجهل ■
- 286 ■ الدراسات النقدية وإعادة توصيف صورة الأستاذ محمود في المخيلة ■
- 330 ■ مذكرات تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته ■
- 340 ■ المثقفون الرقميون وتحرير الخدمة التنويرية ■
- 340 دور الإنترنت في إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود في المخيلة ■
- 348 ■ خاتمة: قيام مركز الأستاذ محمود محمد طه الثقافي ■

الموضوع

الباب الثاني

الدور الوطني والسودان في مشروع الأستاذ محمود

- 351 الفصل الرابع: دور الأستاذ محمود في الحركة الوطنية السودانية
- 355 ■ موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين
- 367 ■ تحرير الحزب الجمهوري من تنميط المؤرخ الفقيه
- 375 ■ الحزب الجمهوري: يرسم الطريق ويقدم النموذج للأحزاب
- 379 ■ جبهات الصدام والمواجهة
- 383 ■ الأستاذ محمود أول سجين سياسي بعد ثورة 1924 في السودان
- 389 ■ العضوية في الجبهة الاستقلالية الأولى 1946
- 391 ■ العضوية في الجبهة الاستقلالية الثانية 1955
- 393 ■ العضوية في لجنة الدستور القومية 1956
- 397 ■ بعض الأحزاب تطلب التحالف مع الحزب الجمهوري
- 399 ■ إصدار صحيفة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهوري
- 404 ■ الفصل الخامس: ثورة رفاعة (الخفاض الفرعوني) سبتمبر 1946
- 408 ■ المعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge وإرث السودان
- 412 ■ نقد الأستاذ محمود للمعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge
- 416 ■ وقائع ثورة رفاعة (الخفاض الفرعوني) سبتمبر 1946
- 420 ■ ثورة رفاعة والحقائق التاريخية: لقاء الذاكرة بالخيال
- 425 ■ قائد ثورة رفاعة والتفكيك العملي للمعرفة الاستعمارية
- 429 ■ جماهير رفاعة تستنجد بقائد لا يخذل
- 434 ■ محاكمات أبطال ثورة رفاعة
- 437 ■ محاكمة قائد ثورة رفاعة والتبني لوجهة نظر الاستعمار

الصفحة

الموضوع

- 440 ■ قائد ثورة وطنية أمام محكمة استعمارية برئاسة قاضي سوداني "أبورنات"
- 442 ■ ثورة رفاة والحدائق ودراسات ما بعد الاستعمار
- 449 ■ خاتمة
- 451 ■ الفصل السادس: السودان في مشروع الأستاذ محمود (حب السودان من حب الله)
- 454 ■ دعوة الأستاذ محمود لاحترام التنوع من أجل زيادة حيوية الأمة السودانية
- قضايا الهوية ودعوة الأستاذ محمود للانسحاب من جامعة الدول العربية
- 456 ■ عام 1958
- 458 ■ رؤية الأستاذ محمود لمستقبل الثقافة العربية في السودان
- 460 ■ الأستاذ محمود والاستقراء لطابع الحركة الوطنية ومسارها عام 1958
- 467 ■ الأستاذ محمود والقراءة البكرة لاتفاقيات مياه النيل والحدود مع مصر
- 481 ■ بناء الذاتية السودانية وإزالة الفوارق واتحاد الأغراض والمنافع
- 482 ■ الأستاذ محمود والدعوة للاتحادات الفدرالية وقراءة في مؤتمر البجة
- 487 ■ رؤية الأستاذ محمود لدستور السودان
- 491 ■ نحو بناء سلطة للمثقف: مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية 1965
- 493 ■ الخلط بين الأحزاب الجمهورية والجراة في الاستنتاجات العرجاء
- 496 ■ الأستاذ محمود في إرثيف السودان القومي - دار الوثائق القومية
- 502 ■ مدخل أولي لرؤية الأستاذ محمود في ممارسة السياسة والصحافة
- 507 ■ الفصل السابع: طرح مشروع الفهم الجديد للإسلام - الفكرة الإسلامية الجديدة
- 510 ■ طرح المشروع وإعلان المسار الجديد للحزب الجمهوري
- 512 ■ خطورة المشروع والاستعداد للتناج (كتابة الوصية)
- 515 ■ رُفقاء الأستاذ محمود
- 518 ■ رجال الحزب الجمهوري: صدق العزيمة والثقة في القائد

الموضوع

- تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته 519
- بداية مرحلة التلمذ على يدي الأستاذ محمود 520
- ملامح أولية لدور تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته 524
- مصادر تمويل حركة الإخوان الجمهوريين 528

الباب الثالث

الفهم الجديد للإسلام ومؤامرات التحالف الإسلامي

ومحكمة الردة والشراكة في الاغتيال

الفصل الثامن: محكمة الردة الأولى 1968 والعجز الفكري (تحالف الساسة والفقهاء

- والانتقال بالمواجهة من سوح الحوار الفكري إلى الصعيد الرسمي) 535
- يوم الفرع الفكري وإظلام الأرض وتضليل العقول 539
- أكبر قضايا القرن العشرين تحسم في أقل من الزمن الذي تحسم فيه أصغر القضايا 543
- الفقهاء والانتقال بالمواجهة من مواجهة فكرية إلى مواجهة رسمية 544
- مهزلة محكمة الردة واستمرار المواجهة 546
- مُفكر وفقهاء 552
- الحسد والدسائس وإرث العداء للمبادرات الخلاقة 555
- الفصل التاسع: الأستاذ محمود والمعهد العلمي بأمدرمان (أزهر السودان) المواجهة
- لشريحة أزهر السودان والمشائخ المبتعثين إليه من أزهر مصر 563
- التعليم الديني قبل إنشاء المعهد العلمي بأمدرمان 567
- أزهر السودان: تغذية الخيال الجمعي بالفكر الوافد وتخفيف النكهة المحلية 569
- الأزهر والمعهد العلمي: العجز عن المواكبة وركاكة سبل الرشاد 575
- المعهد وثقافة التكفير والإسهام في تشكيل العقل الثقافي السائد 580

الموضوع

الصفحة

- مواقف المعهد من الفحولة الفكرية والعقول الكبيرة: الشاعر التجاني يوسف بشير 581
- الأستاذ محمود والمعهد العلمي بأمدرمان (أزهر السودان) 586
- صدام الجديد مع القديم وتجليات الكسل العقلي 588
- معارك لا تُنسى ولن تموت وستُبعث في كل يوم جديد 593
- "نكبة المعهد العلمي المؤسفة": الرمي بالكفر والفصل للطلبة الجمهوريين 593
- مساجلات وبيانات بشأن "نكبة المعهد العلمي المؤسفة" 597
- الفصل العاشر: الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبدالناصر ومحكمة الردة 1968 607
- موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952 610
- موقف الأستاذ محمود من الاتفاقيات بشأن السودان بعد ثورة 23 يوليو 615
- الموقف من جمال عبدالناصر رئيس مصر 618
- الرسالة الأولى من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر 618
- الرسالة الثانية من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر 620
- عبدالناصر وانحراف الثورة والدعوة العنصرية الباطلة وتضليل العرب وإثارة الشعوب 620
- المخابرات المصرية تتربص بالأستاذ محمود 627
- قمة المواجهة في عام 1967 ومحكمة الردة في عام 1968 629
- رأى الأستاذ محمود في مشكلة الشرق الأوسط وزعامة عبدالناصر للعرب 629
- اقتراح بحل مشكلة الشرق الأوسط قبل نصف قرن من طرح المبادرة السعودية "الشجاعة" 634
- بُعد النظر الأسطوري والبصيرة السياسية النافذة: المبادرة الباكراة بالحل 634
- العاجل والحل الآجل 634

- 635 نص اقتراح الأستاذ محمود لحل قضية فلسطين عام 1967
- 641 نص مبادرة السلام العربية 2002 (المبادرة السعودية)
- 644 سيناريو محكمة الردة واتساع التحالف ضد الأستاذ محمود
- 644 تشكيل محكمة الشعب في القاهرة ومناخ الأحكام بالخيانة للوطن والردة
- 644 عن الإسلام
- 651 الفصل العاشر : سنوات حكم نميري، والشراكة في الاغتيال يوم 18 يناير 1985
- دكتاتورية الفقهاء والعبث بالدستور والحاجة للتغيير والكبوات الكبرى
- 654 حل الحزب الشيوعي السوداني 1965، ومحكمة الردة 1968
- 660 اجهاض ثورة أكتوبر وغياب المحتوى الديمقراطي ومبررات قيام مايو
- التقاء مايو بالجمهوريين على خط درء خطر الطائفية ورفض فرض
- 662 الوصاية الدينية
- 665 حكومة مايو وتعدد الأتواب السياسية
- الأولوية في التغيير عند الأستاذ محمود للقاعدة الشعبية لا السلطة السياسية
- 668 الأستاذ محمود والتغيير والثورة الثقافية وأصحاب الامتياز
- المصالحة الوطنية والعودة لمربع الفقهاء مختطفى منابر الحوار في عقد
- 672 الستينيات
- 675 المواجهة والصمود وتجسيد المعارف والسمو في مدارك العبودية
- 678 المؤامرة والشراكة في الاغتيال!
- 683 الاستجابة والانحدار إلى درك العصور الوسطى
- 686 نقض الحكم وأبطاله من قبل المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية
- 689 التحالف الإسلامي وغياب الورع العلمي واستمرار التشويه
- 689 الندوة العالمية للشباب الإسلامي نموذجاً

الفصل الثاني عشر : بعض الشهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسامات على

- 697 منصة الإعدام
- 702 ■ شهادة أستاذ عبداللطيف عمر حسب الله ضمن لقاء صحفي
- 710 ■ الروائي العالمي الطبيب صالح وباربرا براى والصمت العالمي
- تصوير كمال الجزولي لحاله وحال الفنان أبى عركي البخيت عشية يوم تنفيذ
- 714 الإعدام
- 714 ■ شهادة سيد أحمد خليفة، "هذه باختصار شهادتي للتاريخ"
- شهادة الشفيق خضر سعيد، رؤيا فى المشهد السياسي: "يا.. مُشرع الحلم
- 720 الفسيح.. سجن "كوبر" فى 17 يناير 1985"
- شهادة عبد اللطيف سعد علي، حارس الأستاذ محمود فى زنزانة الإعدام،
- ضمن حوار صحفي، "لم يتعامل معنا كأعداء!... قال لمدير السجن: "لو
- 723 بِسْتَأْنَفْ أَوْ بِسْتَرْحِمْ ما كان جيت هنا"!!
- شهادة إدريس زكريا، منفذ حكم الإعدام، "نفذت حكم الإعدام ومحمود
- 732 محمد طه أشجع من قابلي"
- شهادة العميد طيار (م) فيصل مدنى مختار قائد الطائرة التى حملت الجنمان،
- "شهادة للتاريخ هذا ما حصل لدفن الأستاذ المرحوم الباشمهندس محمود
- 733 محمد طه"
- شهادة اللواء معاش محمد سعيد ابراهيم مدير سجن كوبر، "الأستاذ محمود
- 738 دفن غرب أمدردمان بجنازيرو!!"
- شهادة فاروق أبوعيسى، الأمين العام لاتحاد المحامين العرب سابقاً، "لذا
- قررت المنظمة العربية لحقوق الإنسان أن يكون يوم 18 يناير يوماً لحقوق
- 740 الإنسان العربي"

الموضوع

- شهادة مولانا محمد الحسن محمد عثمان، "شجاعة أم أسطورة: وابتسم
742 الأستاذ محمود محمد طه في وجه الموت"
- شهادة بكرى الصايغ، "في الذكرى الـ27: وكنت حاضراً لإعدام الشيخ
748 محمود محمد طه".
- شهادة جوديث ميلر، "كانت عيونته متحدية، وفمه صارماً، ولم تبد عليه
754 مطلقاً، أية علامة من علامات الخوف"
- شهادة عميد أمن (م) محمد عبدالعزيز والعقيد أمن (م) هاشم عثمان أبو
757 رنات، "إعدام محمود محمد طه"
- وصية على منصة الإعدام، قصيدة شعر عوض الكريم موسى 763
- شهادة عمر دفع الله والتعبير نيابة عن الشرفاء من أهل الأرض 771

الباب الرابع

الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية

التهميش والبتير للمعارف والعزل عن ميدان البحث العلمي

الفصل الثالث عشر: الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية

- 773 قراءة في نماذج من الرسائل الجامعية (الدكتوراة والماجستير)
- 774 ■ الأكاديمية: تعاريف ومبادئ
- 779 ■ نشأة الأكاديمية السودانية
- 786 ■ موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه
- قراءة في الرسائل الجامعية (نماذج: دكتوراه وماجستير) الأستاذ محمود
795 والأكاديمية السودانية ومبدأ إظهار الحقيقة ونشرها
- 823 ■ رسوب الأكاديمية السودانية في امتحان الأستاذ محمود
- 823 ■ حينما يتلاشى مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها

الفصل الرابع عشر: قراءة في كتب تاريخ الحركة الوطنية وكتب أخرى

- 829 الطريق نحو، مابعد التاريخ المعلن،
- 833 ■ الماضي وعلاقات القوى ونعت الحدث
- 836 ■ قراءة في كتب تاريخ الحركة الوطنية وكتب أخرى:
- 836 • الحركة الوطنية في السودان
- 838 • تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900 - 1969)
- 840 • الامبريالية والقومية في السودان: دراسة للتطور الدستوري والسياسي في السودان (1899 - 1956)
- 843 • الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان 1919 - 1939
- 844 • مؤتمر الخريجين وتطور الحركة الوطنية في السودان
- 848 • لمحات من الحركة الوطنية في السودان
- 849 • الحركة الوطنية السودانية ما بين الحريين العالميتين ومؤتمر الخريجين
- 850 • الحركة الوطنية السودانية والحزب الاتحادي الديمقراطي
- 851 • الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادي النيل والاستقلال (1919 - 1956) ...
- 855 • السودان: المازق التاريخي وآفاق المستقبل
- 859 • الأفندية ومفاهيم القومية في السودان
- 863 • خريف الفرح: أسرار الفرح 1950 - 1970
- 864 • الإسلام والسياسة: دراسة في التجربة السودانية 1883 - 1989
- 865 • سنوات النيميري: توثيق وتحليل لأحداث ووقائع سنوات حكم 25 مايو في السودان
- 869 • أزهر السودان: المعهد العلمي بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1965)
- 871 • أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات

- نظرية داروين فى الميزان: دراسة تحليلية لنظرية داروين فى النشوء والارتقاء
- 874 بيان تهاافتها واسقاطها على الفكر الاجتماعى الإنسانى
- الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات:
- 877 حالة السودان
- 879 خاتمة
- الفصل الخامس عشر: الأستاذ محمود فى التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام
- 883 السودانية
- 886 عن كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام
- 887 صناعة التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام وتطورها فى السودان
- 892 الأستاذ محمود فى التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام
- 895 هزيمة الأمم تبدأ بقبر أبطالها فى صحائف مؤرخيها
- 904 الاستنتاجات العرجاء والخلاصات البكماء تجلب الظلام
- 911 تغييب البطل وتغذية الخيال الجمعى بالانكسار
- 913 خاتمة: يقظة الأمم تبدأ بتحرير التاريخ من عبث المؤرخ
- 913 إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة السودانية

الباب الخامس

الأستاذ محمود ومعاصروه والمفكرون الإسلاميون والروحانيون

- 917 الفصل السادس عشر: الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه
- 919 المذكرات وأمانة التبليغ وأداء الشهادة
- 920 السيرة الذاتية والعامة
- 921 كتابة المذكرات والتبليغ والذاكرة الجماعية فى السودان
- 927 قراءة فى نماذج المذكرات والشهادات التاريخية

- 930 ■ الأستاذ محمود وشهادة الأستاذ أحمد خير المحامى
- 933 ■ الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه
- 934 ● مذكرات السيد خضر حمد
- 939 ● مذكرات الشيخ علي عبدالرحمن الأمين
- 944 ● مذكرات السيد أمين التوم
- 950 ● مذكرات الأستاذ يحيى محمد عبدالقادر
- 956 ● مذكرات السيد عبد الماجد أبو حسبو
- 961 ● مذكرات السيد محمد أحمد المحجوب
- 972 ■ الخلاصة
- 973 ● الإغفال ودلالاته
- 974 ● ما هى قيمة تلك الكتب كمصدر لدراسة التاريخ؟
- الفصل السابع عشر: الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون، محمد أبو القاسم حاج
- 977 محمد نموذجاً
- 981 ■ بعض الملامح لتأثير الأستاذ محمود فى المفكرين الإسلاميين
- 986 ■ التراجع والمراجعة للمواقف لدى بعض المفكرين والمثقفين
- 986 ■ استيقاظ الضمير تمكين للمعانى الإنسانية على الأرض
- 986 اعتذار رئيس القضاء الأسبق مولانا خلف الله الرشيد
- نمو الحس العدلى وفتح الملفات الموصدة وأوان الحصار بالعلم والأخلاق
- 988 نموذج: النيل أبو قرون
- نمو الوعي والرأى العام الجديد وبعث المعيار الأخلاقي وسجلات القادة
- 990 والمفكرين

990	أهل السودان واليتم الفكرى
991	1- السيد الصادق المهدي
993	2- الشيخ حسن عبدالله الترابى
998	■ الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون
998	صاحب "العالمية الإسلامية الثانية" محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً
1000	• الإنتاج الفكرى للأستاذ حاج حمد
1002	• حاج حمد ونهج السكوت الاستراتيجي عن الأستاذ محمود
1007	• الأستاذ محمود وموقف حاج حمد السياسي
1012	• حاج حمد والتراجع الضمني فى موقفه من الأستاذ محمود
	الفصل الثامن عشر: الأستاذ محمود والروحانيون: فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية
1013	الأستاذ محمود والمهاثما غاندي (مقاربة أولية)
1018	■ "غاندى السودان" و"غاندى إفريقيا"
1020	■ المهاثما غاندى والذاكرة الكوكبية
1022	■ الصلات التاريخية بين السودان والهند
1024	■ المهاثما غاندى فى مخيلة طلائع المتعلمين فى السودان
1029	■ استلاف الفكر التنظيمى وليس فكر المقاومة
1030	■ فكر المقاومة وجبهات المواجهة عند الأستاذ محمود
1034	■ الصيام: بين المهاثما غاندى والأستاذ محمود
1036	■ هل من تشابه أو مشترك أو تأثير؟
1039	■ هل تمثل الرغبة فى دراسة القانون دليلاً على التأثير بغاندى؟
1041	■ التغيير: بين المهاثما غاندى والأستاذ محمود
1046	■ الموقف من الحضارة الغربية
1053	الخاتمة: "الثورات لا ترى بالعين" The Invisibility of Revolutions

- 1069 قائمة الملاحق، (الترتيب حسب التاريخ من القديم إلى الحديث)
- 1- ملحق رقم (1): محمود محمد طه، "فقد صديق"، مجلة كلية غردون،
8 مارس 1935 1076
- 2- ملحق رقم (2): محمود محمد طه، "المهندسون في رحلتهم"، مجلة كلية
غردون، 1935/12/21 1078
- 3- ملحق رقم (3): تقرير أداء: الموظف محمود محمد طه، ضمن ملف
الخدمة، غمرة الوظيفة (11837)، موظف غمرة: 559، بتاريخ 1941/8/26،
تقرير الموظفين Staff Report، سكك حديد السودان، عطبرة 1081
- 4- ملحق رقم (4): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/3 يتضمن رغبته
وأسباب دراسته للقانون 1082
- 5- ملحق رقم (5): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/25، ردأ على
الرد الذي تلقاه بشأن طلبه لدراسة القانون 1083
- 6- ملحق رقم (6): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1931/5/20، يتساءل فيه
عن مصير طلبه برغبته لدراسة القانون 1084
- 7- ملحق رقم (7): خطاب إلى الأستاذ محمود بتاريخ 1939/6/14، يفيد
بتحويل طلبه لدراسة القانون إلى مدير التعليم 1085
- 8- ملحق رقم (8): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/10/25 يتابع سير
طلب دراسته للقانون 1086
- 9- ملحق رقم (9): "بيان الحزب الجمهوري عن مشروع قانون الخفاض
الفرعوني" - 10 ديسمبر 1945 1087

الموضوع

- 10- ملحق رقم (10): خطاب استدعاء من ج. أ. س. برايس، ملاحظ مكتب التحريات الجنائية، الخرطوم، في 24 مارس 1946 إلى الأستاذ محمود للتحقيق معه بشأن منشورات أصدرها الحزب الجمهورى 1092
- 11- ملحق رقم (11): خطاب و. س. ماكدوال، قاضي جنايات، الخرطوم، في 1946/5/29 إلى الأستاذ محمود للمشول أمام المحكمة بسبب منشور أصدره الحزب الجمهورى ضد الحكومة الاستعمارية 1094
- 12- ملحق رقم (12): مثول الأستاذ محمود أمام قاضى الجنايات ورفضه التوقيع على تعهد مفضلاً السجن، صحيفة الرأي العام، يوم 1946/6/3 1096
- 13- ملحق رقم (13): "بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس الحزب الجمهورى"، الأربعاء 26 يونيو 1946 1097
- 14- ملحق رقم (14): "بيان من الحزب الجمهورى عن معاملة الرئيس فى السجن"، صحيفة الرأي العام، 4 يوليو 1946 1098
- 15- ملحق رقم (15): "الحزب الجمهورى ينظم موكباً"، صحيفة الرأي العام، يوم 25 سبتمبر سنة 1946 1099
- 16- ملحق رقم (16): "اعتقال ثلاثة من أعضاء الحزب الجمهورى"، 26 سبتمبر 1946 1100
- 17- ملحق رقم (17): "إضراب رئيس الحزب الجمهورى عن الطعام"، والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه، صحيفة الرأي العام، يوم الخميس 27 سبتمبر 1946 1101
- 18- ملحق رقم (18): "مرافعة دفاع الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدينة عام 1946" 1102

- 19- ملحق رقم (19): "مجاهدون"، الجمهوريون والثبات على المبدأ، صحيفة
 الرأي العام، 28 أكتوبر 1946 1110
- 20- ملحق رقم (20): "غداً يغادر محمود محمد طه، رئيس الحزب
 الجمهورى سجن كوبر بعد أن قضى عامين فيه"، صحيفة السودان الجديد،
 20 سبتمبر 1948 1112
- 21- ملحق رقم (21): مقال سعيد الطيب الشايب الذي يؤرخ لبداية التلمذ
 على يدي الأستاذ محمود 1951 1113
- 22- ملحق رقم (22): مقال الأستاذ محمود رداً على مقال سعيد الطيب
 الشايب عام 1951 1115
- 23- ملحق رقم (23): "وصية الأستاذ محمود مكتوبة بخط يده"، السبت 13
 شعبان 1370هـ موافق 19 مايو 1951 1117
- 24- ملحق رقم (24): "موقف الحزب الجمهورى من الائتلاف"، يناير 1952 1118
- 25- ملحق رقم (25): بيان الحزب الجمهورى بشأن طلب الحزب الجمهورى
 الاشتراكي التحالف والتعاون فى النضال. محمود محمد طه، "فشل
 المسعى لالتقاء الحزب الإشتراكي الجمهورى والحزب الجمهورى
 لاختلاف المبادئ والوسائل"، (بيان) السودان الجديد، العدد: 1564،
 الأربعاء 19 مارس سنة 1952 1120
- 26- ملحق رقم (26): بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"،
 الأحد 1952/6/8 1123
- 27- ملحق رقم (27): خطاب إلى اللواء محمد نجيب، قائد ثورة 23 يوليو
 1952، 1952/8/18 1125

- 28- ملحق رقم: (28): صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى،
 العدد 4، الصفحة الأولى، 1954/2/5 1127
- 29- ملحق رقم: (29): صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، الصفحة
 رقم: 4، العدد 4، 1954/2/5 1128
- 30- ملحق رقم: (30): صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، صفحة
 رقم: (4)، العدد 4، 1954/2/5 1129
- 31- ملحق رقم: (31): صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، العدد
 رقم: (16)، 12 يونيه 1954 1130
- 32- ملحق رقم (32): خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد
 الناصر، 3 سبتمبر عام 1955 1131
- 33- ملحق رقم (33): خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد
 الناصر، 18 أغسطس 1958 1134
- 34- ملحق رقم (34): بيان "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"،
 والمطالبة بانسحاب السودان فوراً من الجامعة العربية، 1958/8/23 1144
- 35- ملحق رقم (35): بيان عضويتنا فى الجامعة العربية 18 أكتوبر 1958
 1146
- 36- ملحق رقم (36): "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، 1958/9/6 1148
- 37- ملحق رقم (37): "محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة"، السبت 25
 أكتوبر 1958 1151
- 38- ملحق رقم (38): "نموذج تقرير من التقارير عن العائدات المالية من بيع
 كتب" 1152

- 39- ملحق رقم (39): "بيان غمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين"، أمدردان في 1968/11/19، أول بيان أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة عام 1968 1153
- 40- ملحق رقم (40): (اللهم إن كان محمود مرتداً فأنا ثاني المرتدين)، الجملة ذات الهوية الأخلاقية، التي أطلقها المهندس حسن بابكر ضمن مقاله: "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين"، الأربعاء 1968/12/11 1155
- 41- ملحق رقم (41): نص قرار تجمع الكتاب والفنانين التقدميين "أبادماك"، الذي استنكر محكمة الردة، وأدان وقوف فكر ومنهج 1969/1/10 1157
- الأستاذ محمود أمام القضاء الشرعي 1157
- 42- ملحق رقم (42): "تواتر الأخبار عما يقوم به المدعو محمود محمد طه من الفساد العظيم والإلحاد" ضمن خطاب من عبد العزيز عبد الله بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية، إلى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، 1401/5/4هـ 1157
- 43- ملحق رقم (43): فتوى الأزهر بالكفر الصراح، والفكر الملبحد ضمن خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5 1160
- 44- ملحق رقم (44): قرار رابطة العالم الإسلامي بمكة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، ضمن خطاب من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 5 ربيع أول 1395هـ 1162

- 45- ملحق رقم (45): "الأحزاب السياسية، ذكريات: من مذكرات التجاني عامر"، 1975/4/16 1164
- 46- ملحق رقم (46): خطاب الأستاذ محمود إلى رئيس نادي الخريجين بمدينة مدني عندما أغلق النادي، تاريخ الخطاب 1979/1/13 1167
- 47- ملحق رقم (47): منشور "هذا... أو الطوفان!!"، 25 ديسمبر 1984 1169
- 48- ملحق رقم (48): خطاب من النيل عبدالقادر أبوقرون إلى الرئيس القائد (جعفر محمد نمري) 1984/12/29 1171
- 49- ملحق رقم (49): وثيقة نشرت بصحيفة الأيام 1985/5/26 : نمري وثالثو القصر يحكمون على الجمهوريين قبل المحكمة 1173
- 50- ملحق رقم (50): بيان الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم بتاريخ 1985/1/10 1174
- 51- ملحق رقم (51): مذكرة نقابة المحامين إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 1985/1/12 1176
- 52- ملحق رقم (52): بيان من سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني 1178
- 53- ملحق رقم (53): بيان السودانيين المقيمين بالكويت بإدانة تنفيذ حكم الإعدام في الأستاذ محمود وأحكام الإعدام ضد أربعة آخرين 1179
- 54- ملحق رقم (54): مذكرة عبد الله علي إبراهيم إلى الناحيين الخريجين في العاصمة القومية، ودعوتهم لمقاومة مادة الردة في القانون الجنائي، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفي طه الكباشي، قاضي محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب أيدائه مخالفته في الرأي 1180

الموضوع

الصفحة

- 55- ملحق رقم (55): خطاب من المؤلف إلى الأمين العام لدار الوثائق القومية
السودانية بشأن جريدة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهورى، والتي
صدرت فى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى 1187
- 56- ملحق رقم (56): رد دار الوثائق القومية على خطاب المؤلف بشأن جريدة
الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهورى، والتي صدرت فى منتصف
الخمسينيات من القرن الماضى 1188
- قائمة المصادر والمراجع 1189
- فهرس الأعلام 1247
- فهرس الأماكن 1271

ونحن لا نستغرب سوء الفهم، وسوء النية، من أى إنسان بقدر ما نستغربهما مِمَّن يحملون الأقلام، ويتصدون لتوجيه الرأى العام، ويجدون المداد، والورق، موفوراً لديهم، لأن الشعب يثق فيهم، ويقبل على ما يكتبون -يدفع ثمنه من حر ماله، ويقبل عليه يقرأه، ويستظهره- من مثل هؤلاء يستغرب سوء الفهم، ويستغرب سوء النية.. بل من مثل هؤلاء قد لا يقبل صرف ولا عدل.. لأن فى عملهم خيانة لأمانة الثقافة، وخيانة لرسالة القلم، وخيانة لأمانة الثقة.. الثقة الغالية التى أودعها الشعب فى حملة الأقلام⁽¹⁾.

محمود محمد طه، فى عام 1969

(1) محمود محمد طه، الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، أمدرمان، 1969م، ص 40.

الحرية لنا ولسوانا

شعار الأستاذ محمود محمد طه منذ منتصف القرن العشرين

ظل هذا الشعار شعاراً للحزب الجمهوري الذي ترأسه الأستاذ محمود منذ تأسيسه، وشعاراً لصحيفة الحزب، صحيفة الجمهورية، التي صدر أول أعدادها في يوم الجمعة 15 يناير 1954. بقى الشعار مرفوعاً ومرسوماً حتى اليوم باسم الأستاذ محمود وتلاميذه "الإخوان الجمهوريين" في سيرتهم الفكرية ومسيرتهم وفي منشوراتهم.



صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهوري، رئيس التحرير محمود محمد طه
العدد السادس عشر، السنة الأولى، السبت 11 شوال عام 1373 الموافق 12 يونيو 1954

كثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غناً أو سميئاً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضّلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط⁽¹⁾.

ابن خلدون (1332م-1406م)

إن التاريخ في كل المجتمعات التعددية بما فيها السودان لحقه تزوير كثير، والأجيال الحالية في السودان لا تعترف بأزمته بالصورة الحقيقية، والمدارس لا تعلم هذا التاريخ بطريقة علمية وإيجابية. إن هنالك من يطمس هذا التاريخ وما فيه من سلبات لتحسين صورة الماضي، وهنالك من يزور التاريخ بهدف الدفاع عن عقيدة، وكثيرون من الذين كتبوا في تاريخ السودان السياسي تجاهلوا تاريخ المجموعات وتاريخ الطوائف الدينية وكانت النتيجة هذه الصورة المشوهة في كثير من الأحوال لهذا التاريخ⁽²⁾.

محمد عمر بشير (1926م-1993م)

-
- (1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من
قوى الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1408/1988، ص 13-14.
- (2) محمد عمر بشير، مشروع الدولة السودانية الديمقراطية: قضايا وإشكاليات البناء الوطني، مركز محمد عمر
بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005، ص 8-9.

000

|||||

إلى الأستاذ محمود محمد طه.. الذى هزم تجربة الموت.. وظهر وجه الأرض.. وفدى البشرية.. حينما ابتسم على منصة المشنقة صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985.. إليك لأن فى قراءة سيرتك تطهيراً للعقل والجسد، وتقوية للروح على النفس، وترقية للفكر والشعور.. إليك لأنك تلد قارئك من جديد.

إلى زوجة الأستاذ محمود، (أمنا)⁽¹⁾ آمنة.. فقد رافقته برضا منذ عام 1942⁽²⁾.. عاشت مواجهاته للمستعمر، وصبرت على سنى سجنه وخلوته.. آزرتة فى مصادماته للقديم والجهل، وظلت تتحمل الأذى والقسوة والظلم حتى لحظة شموخه على منصة المشنقة، وحتى يوم الناس هذا.

إلى تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته.. الذين لازموه وناصروه وآزروه، بنبات وثقة.. قادوا باسمه مواجهات ضارية من أجل أنسنة الحياة وكرامة الإنسان.. فواجهوا تحالفاً كوكبياً واسعاً قوامه: الجهل والقديم وكسل العقول والسجالات بلا شرف.. فحُوربوا وقُوطِعُوا وشُرِدُوا، ونُفذ حكم الإعدام فى أستاذهم أمام أعينهم.. برغم ذلك لم يتسرب الحقد إلى نفوسهم.. لانهم ثمرة أستاذهم.. فقد شربهم سر الحياة وقصة الإنسان، وعلمهم كيف يخلقون الجمال فى أنفسهم، وفيما حولهم من الأحياء والأشياء، وأوصاهم بأن يكون الفرد منهم المظهر والمصدر للجمال.. فكانوا فروعاً جميلة من أصل أجمل.. إليهم لأنهم قدموا نموذج المثقف الجميل المحترم.. كتب الأديب شوقى بدرى قائلاً: "الحقيقة ما شفتنا ولا سمعنا بجمهورى ما جميل تقول بنجروهم من الصندل"⁽³⁾.

ثم إلى زوجتى الحبيبة هنادى، وإلى أبنائى رؤى ومحمد ومتهى.. إن هذا السفر الذى انتزعنى منكم، وأخذ جل وقتكم، وأدخلكم فى اختلاف وتناقض وصراع مع من حولكم، إنه فى مقبل الأيام سيكون موضع فخركم، ومصدر عزكم.. فترقبوا !!!

(1) هى آمنة محمد لطفى عبدالله. أمنا آمنة، هكذا ظل تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته ينادونها، ولا يزالون.

(2) مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، الخرطوم، 2011/7/14، الساعة 10:20.

(3) شوقى بدرى، 'جمهورى جميل.. افتحوا له الابواب كيفما يشاء.. ورحبوا به..'. موقع سودانيزاون لاين Sudaneseonline، المنبر العام، استرجاع (Retrieved) يوم 27 ديسمبر 2004، الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com

نداءات

نداء أول :

إلى مثقفي السودان وأجيال المستقبل

نداء ثان:

إلى المفكرين الإسلاميين في السودان وخارجه

نداء ثالث:

إلى شعوب السودان

نداء رابع:

إلى تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

أحسن شهيد الفكر الظن بمثقفى السودان وهو يستحثهم للدفاع عن حقهم فى الحياة، وفى التفكير، وفى الإرادة الحرة الطليقة، فوقفوا - أغلبهم ذاهلين - أمام بدع الجاهلية، وضلالات المهووسين وتقحم المتفقيهين.. وكل ذلك باسم الدين، والدين منهم براء!! ... إن شهيد الفكر سيبقى ضميراً مؤرقاً، ومصباحاً مسرجاً، فى هذا الديجور الحالك الذى يعيش فيه أهل السودان؛ سيبقى فى غرسه البشرى الذى أورق، وفى نبته الفكرى الذى اكتهل، وسيبقى فى نفوس كثير من السودانيين كنموذج للرجل الذى تحافى مزالق السقوط، وما فتئ يحترم فى الناس أغلى ما يملكون - عقولهم -. وسيبقى اسم محمود بعد كل هذا حياً فى نفوس الذين لا ينامون على الهوان، بما سيثيرها فيهم من بغض للظلم وإدانة للعدوان واستنكار للهوس، وإنكار للغدر⁽¹⁾.

منصور خالد

(1) منصور خالد، صحيفة القبس، 19 يناير 1985، الكويت.

وللأستاذ محمود فى أعناقنا دينٌ مستحقٌ⁽¹⁾.

نجاة محمد على

نداء أول:

إلى مثقفى السودان وأجيال المستقبل

إن هذا السفر هو دعوة لأنسنة الحياة فى العقل وعلى الأرض.. ولا تكتمل هذه الدعوة إلا بإجراء المراجعات الشجاعة للتاريخ وللإرث السياسى ولمجلد حقوق الإنسان على أرضنا.. وفى هذا، علينا بدءاً التنادى لتطهير أنفسنا وعقولنا وقلوبنا وسوحنا من حق الأستاذ محمود.. علينا أن نقشع الغمام، ونرفع صوتنا بالغناء عالياً مع الشاعر عالم عباس لنقول للأستاذ محمود:

أنتَ الأعلى، والأعلى، والأنبىء

كنا ندرك أنك تغدى الوطنَ الأجمَلُ.

فلتكن القربانَ إذنٌ حتى يتطهَّرَ وجهُ الأرضِ،

ويَنخَسِىَ البُهْتَانُ! (2)

(1) نجاة محمد على، ضمن خيط: "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب "الرسالة الثانية"، من سودانيز أونلاين، المنبر العام، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 26 أكتوبر 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

(2) عالم عباس محمد نور، "السطور الأخيرة فى دفتر الحلاج الثانى"، (قصيدة إلى روح الشهيد محمود محمد طه، فبراير 1985)، من شمس المعشوق إلى قمر العاشق، (ديوان شعر)، ط 1، منشورات مدارك، 2007، ص 19-58.

نداء ثان:

إلى المفكرين الإسلاميين وإلى المشتغلين بالفكر الإسلامى فى السودان وخارجه

انصفوا الأستاذ محمود بالصدق فى الخصومة وبالأمانة العلمية فى النقد والنقل .. أعلنوا عن نظراتكم فى فكره ومشروعه بشجاعة وشرف .. أفصحوا عن تعاطيكم الخفى مع أفكاره .. لا تنسبوا أفكاره إليكم دون أن تعترفوا له بالفضل، وتثبتوا اسمه فى ثبت مصادر كتبكم ودراساتكم .. إن تفعلوا هذا، ترفعوا مستوى الجدل وترسخوا شرف السجال، وتضعوا حداً للتضليل والتغيب، فتدشنوا ثورة فى الفكر والثقافة .. حينها تكتمل أحقيتكم للأفكار وتستقيم أعمالكم، وتفتح عليكم الحلول للمستغلق من قضايا الحياة والحرية فيتدفق الخير والسلام على الأرض ..

نداء ثالث:

إلى شعوب السودان

انفلتوا من القطيع .. تحرروا من الأوصياء عليكم .. استردوا عقولكم، تستردوا ذاتيتكم .. انتزعوا فردانيتكم، واقبلوا على الأستاذ محمود، تدركوا أنه هو قائدكم الحق بالحق .. انفتحوا عليه تجددوا الفكر الصافى والشعور الصادق، فتفتح عليكم الآفاق وترتقى حياتكم، فتعيشوا فى سلام مع أنفسكم ومع الآخرين ..

نداء رابع:

إلى تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

اكتبوا تجاربكم مع الأستاذ محمود .. وثقوا ما رأيتموه وما سمعتموه .. أكشفوا الأسرار وسيلوها، وأخرجوا جواهر المعانى .. تضعوا حداً للتضليل .. إن الذين سيقروا ونكم اليوم، هم بالفطرة جمهوريون !!

شکرو عرفان

ما دخلت مؤسسة علمية أو مركزاً بحثياً أو مكتبة، وما طرقت باباً من الأبواب، وما أرسلت رسالة أو هاتفنت أحداً، وما طلبت إجراء مقابلة لأجل هذا الكتاب؛ إلا وتدافع الناس لتقديم العون ومساعدتي. بل حينما ذُكرتُ اسم الأستاذ محمود محمد طه، أثناء رحلة بحثي، وكنت شديد الحرص على ذكر اسمه، اتبع الناس تدافعهم بعبارة يا سلام.. يا سلام!! والحقوها بعبارات الاحترام، وبعض الناس بكى. فأيقنت بأن هذا الكتاب جاء في أوانه. وأدركت بأن الجدار الضخم، الذي بُنى بغير حق، لحجب مشروع الأستاذ محمود عن شعوب السودان والإسلام والعالم، في طريقه إلى الهدم وبالحق، كما تأكدت من أننا نستقبل فجر عهدٍ جديدٍ.

الشكر أولاً للأستاذ عصام عبدالرحمن البوشي، مدير جامعة ود مدني الأهلية، مدينة ود مدني، السودان. لقد كان البوشي، وهو الذي رافق الأستاذ محمود وشهد معه الأحداث منذ منتصف عقد الستينيات من القرن الماضي، في رحلته معي أثناء تأليفى لهذا الكتاب، المفكر والعالم المربي الذي لم يغب عنه ورعه العلمي، ولم ينسَ لحظة حسه العدلى، ولم يفارقه الحياد المعرفى. فقد كان شديد الحرص على الحياد ومعيار العدل والتزام المبدأ الأخلاقى والأساس العلمى فى النقد ومعالجة القضايا، وتجاه حقوق الآخرين. وكان يذكرنى بذلك، كلما قرأ فصلاً من الفصول، وكلما أوغلت فى معالجتى للقضايا التى تناولها هذا الكتاب. ظل البوشي موجهاً لى ومرشداً فى المنهج والأفكار واللغة والمعلومات. بل حينما نشرت الأفكار الأولية، نواة هذا الكتاب فى مقالات عامى 2010 و2011، كنت -وبغرض الإتيان والتدقيق- حينما يحاصرنى وقت نشر المقال، أهاثته لأقرأ عليه النص، وعلى الفور يقول لى، برغم كثرة مشاغله وتعدد مسؤولياته وظروفه الصحية، Go Ahead (أمضِ قدماً). أقرأ عليه المقال فى نحو 50 دقيقة أو

يزيد، فيصغى بصبر وتؤدة ثم يبلى ملاحظاته القيمة. أيضاً، كنت عندما أحضر للسودان فى عطلاتى وزياراتى المتكررة خلال العام، أزوره فى منزله بمدينة ود مدنى والتقيه حينما يأتى للخرطوم. ولم يكن هناك غير الإكرام لى، والاحتفاء بى، وإقامة حلقات الحوار بشأن هذا الكتاب بمعية زوجته الأستاذة سلمى مجذوب محمد مجذوب وبناتهما الأستاذة وفاء والدكتورة صفاء والأستاذة ولاء والدكتورة رجاء، والحاضرين من الضيوف. وقد استفدت كثيراً من تلك الحوارات. وفوق ذلك فقد خصنى البوشى بوثائق قيمة ونادرة تضمنت مراسلات خاصة بينه وبين الأستاذ محمود، وبعض مذكرات الأستاذ محمود التى دونها أثناء فترة سجنه خلال الفترة من يونيو 1983 حتى ديسمبر 1984، وصور فوتوغرافية وأهدانى مواضيع لمشاريع مستقبلية. وعلاوة على كل هذا، فقد وشحنى البوشى بهذا التقديم قلادة الشرف والتاج على رأسى.

الشكر الجزيل لتلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته فى شتى بقاع الأرض. لقد كنت وهذا الكتاب، مصباً لعنايتهم ودعمهم، وموضوعاً لاهتمامهم ومتابعتهم، فقد آزرونى وملاؤنى قوة وشجاعة وعزيمة، اجترزت بها صعباً شتى، حتى استطعت إتمام هذا الكتاب. رقدونى بالوثائق والكتب، وزودونى بالمعلومات وإبداء الملاحظات، كما أجريت المقابلات مع بعضهم فأكرموني بمساحات زمنية بلا سقوف. ففوق مقابلاتى العديدة معه، ظل الأستاذ عبد اللطيف عمر حسب الله -وهو الذى كان ملازماً للأستاذ محمود منذ يوم 1951/11/30- ظل يفيدنى ويجيب بتفصيل حينما أهاتفه مستفسراً أو سائلاً أو متحققاً من معلومة أو حدث. والشكر للدكتورة بتول مختار محمد طه، وللأستاذ إبراهيم يوسف فضل الله، على ما منحانى له من وقت فى المقابلات، وعلى متابعتهم المستمرة لهذا الكتاب. والشكر للأستاذ خالد الحاج عبد

المحمود ففوق مقابلاتي واتصالاتي المستمرة معه، ظل يعمل على تيسير أمر حصولي على المعلومات والوثائق. فقد قدمنى لأسرة الأستاذ سعيد الطيب شايب (1931 - 2002)، والأستاذ جلال الدين الهادى الطيب إدريس (1938 - 2002)، بمدينة ود مدنى، للاطلاع على ما تحتفظ به الأسرة من وثائق ومخطوطات. فالشكر لعميد الأسرة الأستاذ الفاضل الطيب شايب، وابنه الأخ مفيد، والشكر كذلك إلى ابني أُخْتِي الأستاذ جلال الدين، الأخ عبد المجيد سليمان الحجزى، والأخ فتح الرحمن خلف الله قرشى. لقد أكرمتنى الأسرة واحتفت بى أيما احتفاء، يكفى أنهم فتحوا لى مكتبة الأستاذ جلال الدين، التى لم تفتح منذ انتقاله عام 2002، لأحد سواى. وبالفعل استفدت فائدة عظيمة من المكتبة، فقد وجدت فيها وثائق ومخطوطات نادرة، وفى غاية الأهمية.

الشكر الكثير للأساتذة الذين أجريت معهم مقابلات وظلوا يتابعون مراحل هذا الكتاب: الأستاذ متوكل مصطفى الحسين (1958 - 2012)، والأستاذ بشير بكار (1952 - 2012)، والأستاذ أحمد العجب، والأستاذ الريح أبو إدريس، والأستاذ عوض لطفى، والأستاذ على لطفى، والأستاذ عوض الكريم موسى، والأستاذ بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، والدكتور أحمد دالى بمعية زوجته الأستاذة سمية محمود محمد طه، والدكتور عمر القراري بمعية زوجته الأستاذة عواطف عبد القادر، والأستاذ أحمد محمد الحسن بمعية زوجته الأستاذة هدى عثمان سليمان القباني، والأستاذ الهادى نصر الدين فضل الجليل، والأستاذة سمية أمين صديق التى مدتنى بالكثير من المعلومات، والأستاذة سامية حجاز، والأستاذة إحسان الزبير والدكتور على أحمد إبراهيم، والأستاذ محرم عوض السيد حسن. هذا إلى جانب مقابلات مع نحو خمسين من تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، يصعب ذكرهم جميعاً، وهم يستحقون، فى هذا الحيز، ولكنى ثبت أسماءهم كلها مع تاريخ المقابلة ووقتها فى مواضعها ضمن النص، وفى ثبت المصادر والمراجع.

الشكر الوافى للأستاذة أسماء محمود محمد طه، مديرة مركز الأستاذ محمود محمد طه الثقافى بأبدرمان، وأسرة المركز. فبالإضافة لإتاحتها الفرصة لى لتقديم محاضرات فى المركز متناولاً أجزاءً من موضوع هذا الكتاب، وعلاوة على استجابتها الفورية لطلباتى من أجل هذا الكتاب؛ فقد فتحت لى أسماء عقلها وقلبها ودارها وأرشيف الوثائق والصور لأخذ ما أشاء.

كما ظلت تتابع مراحل هذا الكتاب عن كثب، تجرى المهاتفات لتذلل لى الصعاب، ولتزيح عنى العقبات، وهى تنتظر يوم صدوره. والشكر للدكتور الباقى العفيف، مدير مركز الخاتم عدلان للاستشارة والتنمية البشرية، الخرطوم، ولأسرة المركز، فالى جانب المقابلات التى أجريتها مع الباقى، فقد طلب منى أكثر من مرة، تقديم بعض محاور هذا الكتاب فى محاضرات بالمركز، كان آخرها محاضرة بعنوان: "فى نقد مصادر الدراسات السودانية: الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه وتلاميذه"، بتاريخ 18 يوليو 2012. والشكر للأستاذ عمر هوارى القائم على موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت (الشبكة الدولية لتبادل المعلومات "International Network")، والأستاذة بشينة عمر على أحمد تروس وزوجها الأستاذ خالد المهدي، والدكتور ياسر الشريف، والدكتور عبد الله عثمان، الذين ظلوا يمدوننى بالمعلومات والوثائق والدعم المعنوى، وقد ظللت فى اتصال مستمر معهم أطلب منهم المعلومات والبيانات وأحقق بعضها معهم. وفوق ذلك فقد كانت الأستاذة بثينة تتابع عن قرب تفاصيل مراحل هذا الكتاب، وهى تبدى الملاحظات، وتدفع بالمعينات، وتقف على الصعاب وتسعى بهمة وجد لتذليلها. والشكر للأستاذ أسامة عثمان الفكى الببى الذى أفادنى بملاحظاته، وللأستاذ محمد حامد شداد الذى كان له دور كبير فى المفاوضات والمفاضلات بين خيارات النشر لهذا الكتاب.

الشكر الكثير لأولئك الذين وصلتنى مداخلاتهم وتعليقاتهم وتشجيعهم، حينما تحدثت فى محاضرات وندوات عن بعض أطراف هذا الكتاب، أو عندما نشرت الأفكار الأولية، نواة الكتاب، فى سلسلة مقالات بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه والمثقفون"، (22 حلقة) فى يوم الخميس من كل أسبوع خلال الفترة من 26 أغسطس 2010 إلى 3 فبراير 2011 بصحيفة الأحداث، الخرطوم. الشكر لأسرة تحرير الصحيفة، وقد توقفت عن الصدور الآن. والشكر للدكتور النور حمد، فقد اشترك معى فى تقديم ندوة، كما أدار بعض المحاضرات التى قدمت فيها بعض الأفكار الأولية والخطوط العريضة لهذا الكتاب. كما أشكره على المقابلات التى أجريتها معه، وعلى قراءته لمسودة سلسلة المقالات، وإفادتنى ببعض الملاحظات وقت نشرها. والشكر لأولئك الذين وصلتنى تعليقاتهم على سلسلة المقالات، وعبروا عن دعمهم لفكرة الكتاب ودفعوا بعونهم بطرق عديدة: الأستاذ على أبو كلىوة، والدكتور أحمد مصطفى الحسين وزوجته الأستاذة علوية حسن، والدكتور مصطفى الجبلى، والأستاذة نزيهة محمد الحسن،

والبروفيسور ستيف هاورد، بجامعة أوهايو بأمريكا، والبروفيسور حيدر الصافي، والأستاذ بدر الدين عثمان موسى، والدكتور إسماعيل علم المهدي، والأستاذ عماد آدم، والأستاذ محمد مجذوب، والأستاذة أسماء مجذوب، والمهندس أبو بكر بشير، والدكتور الطيب النعيم، والأستاذ عز الدين صديق، والكاتب محمد عبد الباقي، والمهندس صديق دالي، والدكتور عبدالله عابدين، والدكتور عصام الدين الهادي، والأستاذ عبدالله إيرنس، والكاتب الروائي محمد الحسن بكري، والأستاذ محمد قسم الله عبد القادر، والأستاذ طارق الجزولي، رئيس تحرير صحيفة سودانيل الإلكترونية. إلى جانب آخرين غيرهم ممن لا يسع المجال لذكرهم. كما أشكر أولئك الذين أشاروا إلى ضرورة تحويل تلك المقالات إلى كتاب، وظلوا يدعمون الفكرة ويتابعونها. كان أول هؤلاء الدكتور عاصم حامد و الشاعر إلياس فتح الرحمن، صاحب مدارك للنشر، والأستاذة الجامعية الدكتورة أسماء محمد عبد الحليم، والأستاذ عادل الباز، رئيس تحرير صحيفتي الأحداث والخرطوم سابقاً، ورئيس تحرير صحيفة الرأي العام حالياً.

الشكر للأستاذة الذين تمسوا لفكرة هذا الكتاب، وظلوا يدعمون خطواته، وقد منحني بعضهم مساحات واسعة من الوقت لمقابلاتهم أو مهاتفتهم: البروفيسور عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلى (1930 - 2011)، الذي كان قد قرأ مسودة سلسلة المقالات قبل انتقاله، وعلق بخط يده قائلاً: "الفكر لا يقتل.. الفكر لا يموت"، وغيرها مما سترد الإشارة إليه في النص. والشكر للدكتور منصور خالد، والبروفيسور عبدالله على إبراهيم، والدكتور حيدر إبراهيم على، والبروفيسور عبد السلام نور الدين، والدكتور عثمان جعفر النصيري الذي كان سريع الاستجابة لما أطلبه منه، والدكتور الشفيع خضر، والأستاذ كمال الجزولي، والبروفيسور أحمد أبو شوك الذي كثيراً ما كنت أهاتفه مستفسراً عن بعض الأمور، ولم أجد عنده سوى الترحيب والإجابة، والدكتور الوليد مادبو، والدكتورة ناهد محمد الحسن، والدكتور أحمد عثمان عمر والأستاذ السني دفع الله. لم يقف الأمر في حدود المقابلات أو المهاتفات، فقد كان الدكتور حيدر يسأل عن ما ينقصني من المصادر والمراجع، ثم يمدني بالنادر منها. وظل البروفيسور عبدالسلام يلفت انتباهي إلى الدراسات المعينة ويناقش معي الأفكار ويبدى لى الملاحظات. أما البروفيسور عبدالله فقد فتح لى أبواب مكتبته الخاصة بمنزله بالخرطوم، فأخذت منها العديد من الكتب والوثائق، وظل يتابع مراحل إعداد وطباعة هذا الكتاب بشكل مستمر.

الشكر للذين قرأوا مسودة هذا الكتاب ورفدوني بملاحظاتهم وتعليقاتهم وتصويباتهم وهم: الأستاذ مجذوب محمد مجذوب وكنت قد أجريت معه مقابلة بمعية زوجته فاطمة عباس سليمان (1937 - 2011)، قبل أن يطلع على المسودة. والبروفيسور عبدالله النعيم، فقبل قراءته للمسودة، كنت قد تفكرت معه بشأن بعض الأفكار ذات الصلة بهذا الكتاب. والشكر كذلك للأساتذة الذين كانوا يقرأون فصول هذا الكتاب أولاً بأول ويبدون الملاحظات والتصويبات: الدكتور الطيب حسن، والدكتور حيدر بدوي صادق، الذي ظل يتابع مراحل هذا الكتاب بشكل دقيق ومستمر، والدكتور محمد صادق جعفر الذي كان مع قراءته للمسودة وإبداء ملاحظاته، قد زودني بالعديد من المصادر والمراجع، والأستاذ عماد عبداللطيف محمد عبدالهادي، فمع التصويبات، علق عماد تعليقات سترد الإشارة إليها لاحقاً. أما الأستاذ عيسى إبراهيم ففوق قراءته للمسودة، وإعادة القراءة لبعض فصولها، وصبره الجم على تدقيقها وتصحيحها، كان هو الناقد الأول لما أوردته من معلومات وبيانات وأفكار ولما قمت به من معالجات وتحليلات، وقد استفدت كثيراً من ملاحظاته وتعليقاته. كان عيسى إبراهيم -وهو من تلاميذ الأستاذ محمود- طيلة رحلتي معه في هذا الكتاب، ناقدًا لا يسمح لعاففته أن تتقدم على عقله، فلا غرو فقد وصفه الأستاذ محمود بأنه: "ناقد حصيف". والشكر أجزله للأستاذ تاج السر حسن سيد أحمد الذي قام بتصميم وخط الغلاف. فبرغم كثرة مشاغله وضيق وقته لقد قدم تاج السر العمل في غلاف هذا الكتاب على كل أولوياته احتراماً وإكباراً للأستاذ محمود محمد طه.

الشكر الخاص لأولئك الذين آتسوني بشدوهم، ورافقوني بعدوبة أصواتهم، فضخوا الجمال من حولي، وأثروا مناخاتي الداخلية، ولطفوا رحلة سياحتي بين المصادر والمراجع، وعبقوا فراغات محراب كتابتي، بالإنشاد العرفاني حيث "التقاء الفكر بالواقع ليظهره ويغنيه": إخلاص همد (1960/59 - 2002)، ومحاسن محمد خير، وعبدالكريم على موسى (كرومة)، وعبدالله فضل الله، والناجي محمد أحمد. فقد كتبت جل هذا الكتاب متدثراً بأصواتهم، ومستظلاً بأرواحهم.

الشكر والتقدير والإجلال لزوجتي الحبيبة هنادي إبراهيم أزرق، فقد كانت فوق مساعدتها لي ببعض أعمال الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية لأجل هذا الكتاب، وفوق قراءتها

لمسودة بعض الفصول، وإبدائها للملاحظات، فقد عملت هنادى على تهيئة المناخ لى، إذ تحملت وحدها أعباء المنزل كاملة إلى جانب كل ما يتعلق بشؤون أبنائنا الثلاثة: رؤى ومحمد ومنتهى، سواء الشؤون المنزلية أو الدراسية أو الترفيهية، طيلة سنوات عملى فى هذا الكتاب. كما أشكر أبنائى الثلاثة فقد كانوا يلتزمون الهدوء من أجل هذا الكتاب قبل أن أطلبه منهم.

والشكر إلى أسرة دار الوثائق القومية، الخرطوم، وأسرة مكتبة السودان، وأسرة مكتبة كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم، وأسرة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، على تعاونهم. والشكر الكثير لأسرة دار رؤية للنشر والتوزيع ولمدبرها الأستاذ رضا عوض، على تحملهم مسؤولية نشر هذا الكتاب وتوزيعه. إن دار رؤية تساهم بقدر عظيم فى الارتقاء بصناعة الكتاب، مع اهتمام خاص بالكتاب السودانى. فهى تسعى سعياً حثيثاً لبث ثقافة الإتيقان فى صناعة الكتاب، وقد لمست هذا من متابعتى لإصداراتهم وزياراتى لمكتبة الدار فى القاهرة. والشكر موصول إلى أشقائى نهلة ونهى وعبد الرحمن وأحمد وإلى الأخ حسن محمد الطيب، فقد ظلوا متابعين لهذا الكتاب، يساعدوننى فى جمع المصادر والكتب من الخرطوم وإرسالها لى فى الدوحة، كما شهدوا وتابعوا وتحملوا بعض الأذى الاجتماعى بسبب هذا الكتاب.

ختاماً أقول: لقد ساعدنى عدد كبير من الناس فى هذا الكتاب، داخل السودان وخارجه، وجميع هؤلاء يستحق الذكر والثناء، فالشكر والتقدير والتبجيل والاحلال لهم جميعاً، خاصة من لم أذكر أسمائهم، على المساعدة والعون والدعم لهذا الكتاب. فجميعهم ساهم بقدر ما، وعلى نحو ما فى انجاز هذا الكتاب، بيد أنى وحدى الذى يتحمل المسؤولية كاملة، عن كل ما ورد فى هذا الكتاب من أحداث ووقائع وأخبار وأفكار وآراء ومعلومات وتحليل. وليس هناك جهة أو جماعة أو تنظيم أو مؤسسة، مسؤولة عن أى طرف من أطراف هذا الكتاب. فوحدى أتحمل المسؤولية كاملة عما ورد فيه، وعما خلص إليه من خلاصات ونتائج. ووحدى كذلك أتحمل المسؤولية كاملة عن كل ما قد يكون جاء فيه من أخطاء وهنأت.

تقديم

بقلم :

عصام عبدالرحمن البوشي

مدير جامعة ود مدني الأهلية

السودان

الكتاب الذى بين أيدينا كتاب عظيم وجليل وخطير.. وهو كتاب يقف بنا فى مفترق الطرق، ويؤرخ لمرحلة جديدة وفريدة فى كتابة وصناعة التاريخ.. يقول الأستاذ محمود محمد طه فى كتابه: **مشكلة الشرق الأوسط**: "إن العبرة البالغة التى انفرجت عنها أذبال الحرب العالمية الثانية تجد تعبيرها فى الحقيقة الكبرى وهى أن القافلة البشرية، فى كل صُفْع من أصقاع هذا الكوكب، قد اقتلعت خيامها، وأخذت فى السير، وهى، فى كل خطوة من خطوات هذا السير، تصنع التاريخ وتصنعه على هدى جديد، وبعد أن كان التاريخ يمليه فى أغلب الأحيان على تلاميذه ومسجليه، الملوك، والسلاطين، وقواد الجيوش، ودهاقن السياسة، وأرباب الثروة، وهم يتصرفون فى مصير الإنسان، أصبح يمليه عليهم الآن رجل الشارع العادى، المغمور، وهو يبحث عن كرامة الإنسان حيث وجد الإنسان".

ويجئ -من حيث لا نحتسب، ومن الصفوف الخلفية، ومن المتأخرين زماناً والمغمورين مكاناً، هذا الفتى الأديب المؤدب، المفكر، الملهم، المقدام، والباحث الرصين الدقيق، المدقق الصبور على وعاء الكلمة ومعاناة الكتابة ومسئوليتها- يجئ الأستاذ عبدالله الفكى البشير الباحث عن كرامة الإنسان، حيث وجد الإنسان، ليؤكد النظرة العميقة، التى ذهب إليها الأستاذ محمود محمد طه، من حيث صناعة وكتابة التاريخ، وهى نظرة ينبغى أن يوليها المؤرخون والأكاديميون والباحثون والدارسون ما تستحقه من اهتمام واحتراف.

إن الكتاب الذى بين أيدينا هو صناعة للتاريخ وهو أيضاً كتابة له. ولقد صنع المؤلف

التاريخ عبر كتابته التي سعت وعملت من أجل إخراج الأستاذ محمود محمد طه من سجون التشويه والتحامل والتجاهل والتغيب عن الذاكرة الجمعية، والعزل عن ميدان البحث العلمى والتضليل المنظم والمجمع عليه، مصادماً بذلك القديم وجحافل الأكاديميين المتقاعسين عن مسؤولياتهم، والفقهاء الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على العقول، والسلفيين والطائفيين والمؤرخين المزورين، مؤثراً ومتجشماً تعب الشك ومشقة البحث، إذ أن الله أكرمه فحرمه من ذلك الكسل العقلى الذى قال عنه الدكتور طه حسين: "هذا الكسل العقلى الذى يحجب إلى الناس أن يأخذوا القديم تجنباً للبحث عن الجديد. ولكن الله لم يرزقنا هذا النوع من الكسل، فنحن نؤثر عليه تعب الشك ومشقة البحث". كذلك تجنب الكاتب، باستعماله للنقد الصارم، والتناول الحصيف والاستعمال الذكى لكل الوثائق والوقائع والحكايات، تجنب المزالق التى أشار إليها ابن خلدون حين قال: "كثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشاً أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سردوها بمعبار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار فضلوها عن الحق وتاهوا فى ببداء الوهم والغلو".

ولقد وصل الكاتب، من ثم، إلى "يقين تام بأن المستقبل فى صالح الأستاذ محمود محمد طه وتلاميذه ومشروعه.. وأن هناك مراجعات ضخمة ستم لكل المجلدات فى

السودان مجلد حقوق الإنسان ، والتاريخ... إلخ". وهو أيضاً "على يقين تام بأن يقظة الأمم تبدأ بتحرير أبطالها من سجون صحائف المؤرخين، ذلك من خلال النقد والتنقيب وإعادة النظر فى الكثير من المسلمات والنقد القوى والشجاع للافتراضات. فمع أعمال الحس النقدى وتجلى الشجاعة العقلية وترفع مستوى السجال والحوار تبدأ مرحلة جديدة فى حياة كل أمة، ولعل السودان يعيش الآن فى هذه المرحلة".

لقد نجح المؤلف، مستعيناً بكل هذه الأدوات- التنقيب فى المصادر الأولية، وجمع وحشد الوثائق النادرة والمهملة مع استنطاقها، وإعادة النظر فى الكثير من المسلمات، ومناطحة ومصادمة قوى القديم والتخلف - نجح فى قرع الأجراس القدسية التى تبشر بميلاد فجر يقظة الأمة السودانية، ومن ورائها، بإذن الله الإنسانية جمعاء.

إن الكتابة عن تاريخ الأستاذ محمود جدل بين قطبى العسر واليسر، فالعسر مصدره ما أصاب ذلك التاريخ من تعميم وتشويه وتزوير وإرهاب للمنصفين، وحجب للوثائق وتدميرها، وقمع للباحثين، وتآليب للمهرجين، وسوء استعمال لأجهزة الدولة القضائية والعدلية والإعلامية والدعوية. وقد كان على المؤلف أن يتخطى كل هذه الحواجز والعقبات فى صبر وتريث وأناة ليصل إلى اليسر الذى تهبه وتفيض به وتوفره حياة الأستاذ محمود محمد طه ومواقفه وأفكاره.. فالأستاذ محمود محمد طه نموذج متفرد تتطابق فيه أفكاره وأقواله وأعماله التى كونت حياته الذكية، الزكية، العطرة، الصميمة، المعطاءة..

وفى هذا المقام تحضرنى واقعة حدثت فى سبعينيات القرن العشرين، كنت حينها أعمل بجامعة الخرطوم، وكان يعمل معنا محمد على يوسف بشير، أخ الشاعر التجانى يوسف بشير. وفى عصر يوم من الأيام، اصططحبني فى زيارة إلى الأستاذ محمود محمد طه بمنزله بالحارة الأولى بمدينة المهديّة (الثورة) أمدرمان. ولقد احتفى الأستاذ محمود محمد طه بمحمد على يوسف بشير حفاوة كبيرة، وكأنه كان يرى فيه التجانى يوسف بشير. وعبر الأستاذ محمود عن تقديره العميق لعبقرية التجانى يوسف بشير وشعره. وذكر أن التجانى يكفيه بيتاه التاليان:

أنا إن مت فالتمنى فى شعرى
تجدنى مدثراً برقاعة
فى يمينى يراع نابغة الفصحى
وكل أمرىء رهين يراعه

ثم أعقب قائلاً: إن هذين البيتين يجسدان ويعبران عن المثل السودانى الذى يقول: "سيد الكلام أمسكوه من لسانه وسيد القلم أمسكوه من بئانه". هذان البيتان، وهذا المثل، محط إعجاب الأستاذ محمود محمد طه، تصور كثيراً من حياته وتاريخه الفكرى والسياسى والاجتماعى والنضالى.. فكل ما سال، من قلمه الرشيح الدقيق من مؤلفات وكتابات، على بنانه، وكل ما جرى، من أحاديث ومحاضرات وندوات، على لسانه، هى مظان التماس الأستاذ محمود محمد طه. وهنا مكمن اليسر للباحث الصادق المقتدر..

لقد تعرض تاريخ الأستاذ محمود محمد طه للتزوير بآليات ووسائل كثيرة ومتنوعة وعديدة. وقد أسهم فى ذلك، ضمن من أسهم، الأكاديمية السودانية، والفقهاء، والقضاة الشرعيون، والأحزاب الطائفية والسلفية، ودوائر التخلف العالمية، والمنظمات الإسلامية والحكومية والدولية، والقيادات السياسية التى وجلت وارتجفت من قوة حجة الأستاذ محمود محمد طه وطرحه للآراء والأفكار التى كشفت ضعفها وعجزها وتزويرها للتاريخ. ولقد رجع المؤلف لوثائق كثيرة ومتنوعة، يرجع بعضها إلى ثلاثينيات القرن الماضى عندما كان الأستاذ محمود طالباً بكلية غردون..

وإذا أخذنا الرسائل الجامعية والكتب مثلاً، نجد أن المؤلف قد رصد العديد منها واكتفى بدراسة اثنين وثلاثين من أطروحات الدكتوراة والماجستير وثمانية عشر كتاباً من كتب مؤرخى الحركة الوطنية وكتب أخرى. ويقف الكاتب عند مقاطعة الأكاديمية السودانية للأستاذ محمود محمد طه ومشروعه وتهميشه وعزله عن حركة البحث العلمى وتجاهله وإغفال الإشارات لكتبه ولآرائه حتى فى مسائل كان له فيها سبق مبكر وأصالة ورصانة مثل الفدرالية التى تناولها فى كتابه: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية

ديمقراطية اشتراكية، الذى صدر عشية الاستقلال، ولو عمل به القوم، لتغيرت مسيرة تاريخ السودان المتحد.

ولقد نتج، عن هذه المقاطعة الشرسة، تغييب الأستاذ محمود محمد طه عن الذاكرة الجمعية وتضليل غمار الناس فيه مما أدى إلى تشويه سيرته وتاريخه فى مُخِيلَة العامة. أسهمت هذه المقاطعة فى تجميد حركة التغيير فى السودان، وذلك بتجميد حركة الوعي، بعدم إظهار الحقيقة ونشرها، مما يشكل نكوصاً وتراجعاً وتقاعساً وعدم إلزام برسالة الأكاديمية الأساسية، ألا وهى إظهار الحقيقة ونشرها. وقد نتج عن ذلك تراكم الغبن والإحساس بالظلم مما أدى إلى تشظى وتفتتت البلاد.. والمؤلف يرى "أن مقدمات التشظى على الأرض تبدأ فى العقول عبر تغييبها وتشويهها وتضليلها فى معرفة الحقيقة ودراسة التاريخ".

ومن هنا يصل الأمر بالمؤلف إلى نتيجة خطيرة ستؤرق مضاجع الأكاديمية السودانية، وترقى إلى حد الطعن فيها وفى لجانها ومبادئها. ويرى المؤلف نفسه محقاً فى الدعوة إلى إجراء المراجعات الشاملة لإرث الأكاديمية السودانية ولنظمها ولمسارها الراهن وفى المستقبل. كما يتساءل أيضاً عن تماهى الأكاديمية مع الفقهاء، وعن استجابتهم لثقافة القطيع، وعن حالة الخوف التى انتابت أكثرهم وأقعدتهم عن مواجهة سلطة المجتمع والسلطة الدينية.

ولعل المؤلف أراد أن يخفف من حدة وحرارة نقده للأكاديمية السودانية فيلتمس بعضاً من العذر لها فى مواقفها من إهمال وتغييب الأستاذ محمود محمد طه عن الذاكرة الجمعية والأبحاث والدراسة الأكاديمية والمؤتمرات العلمية، يلتمس لها العذر فى ضعف التدريب الأكاديمى وعدم إعمال الحس النقدي الناتج من التعليم الاستعماري الذى كان يهدف إلى تخريج الكتبة والفنيين وليس صناعة قادة المستقبل. ويحار المؤلف ويندهش إلى حد بعيد، من الإجماع على هذا التجاهل غير المتفق عليه وغير المكتوب.

إن المسائل والمواضيع التى كان للأستاذ محمود محمد طه فيها سبق مبكر وأصالة وريادة، كموضوع الفدرالية الذى أشرنا إليه، كثيرة ومتنوعة وعديدة. وكذلك فإن

المواقف التي وقفها يصعب تجاوزها دون الوقوف عندها وتأملها ودراستها والتعليق عليها ومواجهتها ورفضها أو مساندتها وقبولها. فهناك رأى الأستاذ محمود فيما يتعلق بقضية المرأة بكل أبعادها الإنسانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية.. فالأستاذ محمود محمد طه حين يتحدث عن المساواة بين الرجال والنساء إنما يصحح فهماً خاطئاً، خطأً أساسياً، فهو يرى: "أن المساواة، بين الرجال والنساء، ليست مساواة الميزان والمسطرة وإنما هي مساواة القيمة، ومعنى ذلك أن المرأة، فى نفسها، كإنسان، وفى المجتمع كمواطنة، ذات قيمة مساوية لقيمة الرجل، فى نفسه، كإنسان، وفى المجتمع كمواطن، وهذه المساواة تقوم وإن وقع الاختلاف فى الخصائص، النفسية، والعضوية، فى بيئة الرجال والنساء، وهى تقوم، وإن اختلفت الوظيفة الاجتماعية، وميدان الخدمة للمجتمع، الذى يتحرك فيه الرجال والنساء" (راجع كتاب **تطوير شريعة الأحوال الشخصية** للأستاذ محمود محمد طه).

وهنا يحدد الأستاذ محمود محمد طه هذه النظرة التقييمية الجديدة التى إذا شاعت وطبقت، "فإن الإنسان سيكون سيد الآلة، وليس خادمها، وستكون المرأة المنتجة فى القمة، هى المرأة التى تنجب الأطفال، وتُعنى بهم، كمأ، وكيفاً، وستكون هى أولى بالتكريم من العلماء، والفنيين الذين يعملون فى إنتاج الطائرات والصواريخ. وهى، من ثم، تستحق من المجتمع المكافأة الأدبية، والمادية التى بها تتحقق، وتتأكد، كرامتها".

وقد سعى الأستاذ محمود محمد طه لتطوير المرأة بأن وفر لها فرص الترقى والتطور وذلك واضح فى حركة الأخت الجمهورية فى الشارع، وفى التربية التى تعهد بها الأخوات الجمهوريات، فحملن الفهم الجديد للإسلام فى الأماكن العامة والطرق والأسواق والجامعات بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الدعوات الدينية أو الفكرية. واستند الأستاذ محمود فى هذا العمل على تطوير التشريع الإسلامى من مستوى آيات الفروع، التى انبنى عليها التشريع المرحلى، إلى مستوى آيات الأصول، التى سينبنى عليها التشريع للمجتمع المعاصر. وأذكر فى هذا المقام تلك الزيارة للأستاذ محمود محمد طه برفقة الشاعر محمد المهدي مجذوب والشاعرة د. سلمى الخضراء الجيوسي (كانت حينها أستاذة بجامعة الخرطوم) التى أبدت كبير وكثير إعجابها بحركة الأخوات الجمهوريات، كما

أبدت ارتياحها لفكرة تطوير التشريع من المستوى المدنى إلى المستوى المكى، وقالت إن هذه الفكرة "مريحة للغاية". هذا هو ما رأيته د. سلمى الجيوسى الضيفة على السودان، والإعجاب الذى أبدته. ولكن هذه الظاهرة، ظاهرة المرأة الجمهورية تخرج للشارع داعية لتطوير التشريع وممارسة له، بعلم وبثبات وشجاعة، تجاهلها وأهملها حتى الذين كتبوا عن الحركة النسوية السودانية ونشأتها وتياراتها.

ثم هناك حركة الطلاب الجمهوريين المتمثلة فى أركان النقاش والتى انبثقت من جامعة الخرطوم فى منتصف ستينيات القرن الماضى، ثم انطلقت منها إلى باقى الجامعات. وقد أسست أركان النقاش، هذه، للحوار الفكرى الرصين وافتترعت الضوابط والسلوكيات الرفيعة للسجال الفكرى الذى يتسم برحابة الصدر الذى لا يضيق بالرأى الآخر، وحلاوة الشمائل التى تجعل المحاور يألف ويؤلف من الذين يعارضونه الرأى، وهى بعض سمات المفكر والمبشر العصرى الذى يسهم فى إحداث الثورة الفكرية والثقافية التى يدعو ويبشر بها الأستاذ محمود محمد طه. ورغمما عن ذلك أهمل الأكاديميون والمؤرخون هذه الظاهرة ولم يتأملوها أو يقفوا عندها.

أيضاً وقف المؤلف عند جامعة الخرطوم كنموذج لدراسة موقف الأكاديمية السودانية من مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها. وقد جاء اختياره لجامعة الخرطوم لمراقبتها، باعتبارها أول الجامعات السودانية، ولأنها رائدة الدراسات الأكاديمية المنظمة فى السودان، ثم أنها، كما أسلفت، كانت أكثر المؤسسات شهوداً لأفكار الأستاذ محمود محمد طه ومشروعه، وأنها منذ نشأتها لم تأخذ بأية هوية دينية مما أكسبها الحيدة فى رسالتها وتقديم خدماتها البحثية والتنويرية. ولقد ساق المؤلف نموذج طالب الماجستير الذى واجهه الممتحن الخارجى والممتحن الداخلى اللذان أبديا اختلافهما وعدم اتفاقهما مع آراء ومواقف الأستاذ محمود محمد طه واعتراضاً، من ثم، على الرسالة لأسباب غير أكاديمية وغير مهنية. كذلك اعترضاً على إهداء الرسالة للأستاذ محمود محمد طه. وتتوصية من المشرف المتعاطف مع الطالب، تم حذف الأجزاء المعترض عليها، للأسباب الخاطئة، واستبدالها بأجزاء أخرى، ومن ثم منح الطالب درجة الماجستير. كل هذه الأمور تؤكد، بصورة جلية ودامغة، السعى الحثيث والمنظم لإغفال وتغيب الأستاذ محمود محمد طه عن ساحة الباحثين وطلاب الدراسات العليا الجامعية.

وحتى تكتمل الصورة لهذا الإغفال وهذا السعى لتغيب الأستاذ محمود محمد طه، يواصل المؤلف بدراسة نماذج من كتب مؤرخى الحركة الوطنية، ومن بينها مذكرات معاصرى الأستاذ محمود محمد طه باعتبارها مصدراً تاريخياً مهماً، وكذلك دراسة بعض الإصدارات الأكاديمية فى العلوم السياسية والفكر الإسلامى وغيرها من المجالات التى كان للأستاذ محمود محمد طه فيها رأى تليد وعتيد وجديد. كذلك تعرض المؤلف للمعاجم والتراجم وموسوعات الأعلام.

استخلص المؤلف من دراسته لتلك المذكرات خلاصات تؤكد وتدعم رأيه فى السعى الحثيث لتغيب الأستاذ محمود محمد طه، ولحجبه عن الناس، وعن ذاكرتهم الجمعية. فقد خلت تلك المذكرات من الإشارة إليه، وإلى سجنه ونضاله ضد المستعمر، كما أغفلت ذكر نشأة الحزب الجمهورى، ولم ترد أية إشارة لمحكمة الردة، رغم أن من بين كتاب المذكرات وزيراً للعدل ورئيساً للوزراء ونائباً لرئيس الوزراء. ويجد المؤلف بعضاً من العزاء فى إجابة المؤرخ محمد سعيد القدال على السؤال الذى طرحه حين درس أحد عشر كتاباً من التراجم الذاتية (درس مؤلفنا منها سبعة). يتساءل القدال: "ما هى قيمة تلك الكتب كمصدر للتاريخ؟"

ويورد القدال ضمن إجابته ما يلى: "إن قيمة غالبية هذه الكتب كمصدر للتاريخ ضعيف، وبعضها لا قيمة له". ولكن، من المؤسف حقاً، أن كثيراً من الباحثين والدارسين والمؤرخين قد اعتمدوا عليها كمصادر فى كتاباتهم رغم هذا الضعف وعدم القيمة التى تتمتع بها كما ذكر القدال.

وإذا جئنا إلى التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام، فالأمر لا يختلف كثيراً هنا. فالصورة العامة هى الاتجاه للتغيب والإهمال. وحيث تم ذكر الأستاذ محمود محمد طه صحتبة أخطاء بيئة استند عليها باحثون ودارسون فى تأييد ودعم موقفهم المعادى للأستاذ محمود محمد طه. ويتساءل المؤلف لماذا كل هذا السعى لإغفال وتغيب الأستاذ محمود محمد طه عن الذاكرة الجمعية، ويرى أن ذلك يعود للحسد عند طلائع المتعلمين للأستاذ محمود محمد طه لقدراته الفكرية الفذة، ونظراته السياسية الثاقبة وقوته فى مواجهة القوى

الاستعمارية والقوى التقليدية فى المجتمع. كذلك فإن جميع مؤلفى هذه المذكرات كانوا على صلة بالطائفية وقد كان الأستاذ محمود محمد طه قوياً ومصادماً فى مواجهتها باعتبارها قوى متخلفة تعوق حركة التطور فى المجتمع وتجمد حركة الوعى والتغيير. يضاف إلى ذلك نقد الأستاذ محمود محمد طه لموقف طلائع المتعلمين من الاستعمار وسذاجة تعاطيهم مع الأحداث وضعف جهودهم وقلة حيلتهم وضحالة فكرهم وفشلهم فى رسم صورة للمسار المستقبلى للسودان.

لقد أغفلت الأكاديمية السودانية أيضاً دور الأستاذ محمود محمد طه فى الحركة الوطنية، بل كان هناك تعمد للتشويه لهذا الدور عند تناوله. ويبرز هذا بصورة حاسمة فى تناول الأكاديمية لدور الأستاذ فى ثورة رفاة (الخفاض الفرعونى) وفى تأييده السلبى لثورة مايو. وقد ساق المؤلف الوثائق عن ثورة رفاة واستنطقها بصورة جلت حقيقتها ووضعتها فى مكان الريادة فى مواجهة ومصادمة الاستعمار بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ السودان. أما موضوع تأييد مايو فقد أطره المؤلف تأطيراً يبين ظروفه وأسبابه وتبريراته ويكشف غرض المتقدين وعدم حيادهم بصورة واضحة.

وعندما تعرض المؤلف للسودان فى مشروع الأستاذ محمود محمد طه، تناول معالجته لقضايا التنوع الثقافى والحضارى والهوية والفدرالية، كما تناول دعوته إلى الخروج من الجامعة العربية، وسعيه لبناء سلطة المثقف عبر الدفاع عن الديمقراطية. وقد كشف فى بحثه هنا عن وثائق تنشر لأول مرة رغم المعوقات التى واجهها فى سبيل جمعها، وكل المحاولات التى جرت لحجبها. وهنا لابد من الوقوف عند موقف "دار الوثائق السودانية" من صحيفة الجمهورية التى أصدرها الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود محمد طه فى الخمسينيات. وقد يُصعق القارئ إذا علم أنها غير موجودة أو يُزعم أنها غير موجودة، رغم أن باحثين وموثقين كباراً ذكروا أنهم رجعوا إليها فى دار الوثائق!!.

فى حقيقة الأمر، لقد عالج الكتاب، الذى يبين أيدينا، مجالات شتى ومواضيع مختلفة ومتنوعة ومسائل وقضايا ستحدث هزة داوية فى حقل ومجال دراسة تاريخ ومواقف ونضال وحياة الأستاذ محمود محمد طه الذى عاش واستشهد، كما يقول عوض الكريم موسى، على:

" صلابة المداومة "

على بسالة المقاومة

بلا مساومة "

أيضاً عالـج الكتاب مؤامرات الشؤون الدينية، والمعهد العلمي، والجامعة الإسلامية، والأزهر، ورابطة العالم الإسلامي، وجماعات الهوس الديني المحلية والإقليمية، والموقف من جمال عبدالناصر ودعوة القومية العربية، والخطابات التي أرسلت إليه (وبعضها كان مجهولاً حتى الآن). كما عالـج الكتاب محكمة الردة الأولى (1968) والثانية (1985) والتي أدت إلى منصة الإعدام التي منها تسنم الأستاذ محمود محمد طه ذروة المجد والتاريخ المشرفّ النظيف محققاً فرديته التي انماز بها عن أفراد القطيع وافتتح بها عهد الإنسانية، فكان كما قيل:

"الصقر يعلو وَخَدَهُ متسنماً أعلى القمم"

متفرداً عن سربه وتلوذ بالسرب الرخم".

إن هذا الكتاب ذو طبيعة موسوعية غطت ما أهمله المؤرخون، عمداً أو سهواً، وما أخفاه أو تخطاه الأكاديميون والباحثون جهلاً أو خوفاً أو حسداً. وهو بذلك حرى بأن يكون "المرجع" (المعرف بالألف واللام) لكل من يود الكتابة عن الأستاذ محمود محمد طه منذ اليوم.

إن هذا الكتاب كبير، حساً ومعنى، وخطير، حالاً ومآلاً. وخطورته تشفع لكبره. يقول كاليماكوس: (Mega biblion mega kakon) وهى عين ما قاله لسنج (A big book is a big evil) ويمكن أن تترجم هذه العبارات "كتاب كبير شر مستطير". ولكن كما يقولون لكل قاعدة شواذ. فهنا، فيما يخص كتابنا، نقول ونحن مطمئنون وواثقون: "كتاب كبير خير وفير" أو قل: "كتاب عظيم خير عميم". فهنا كتاب عظيم وجليل وكبير مستقبلي دائماً أمامه. إن هذا الكتاب المرجعى قد جاء على قدر وميقات، ومن ثم، يرجى له أن يشعل ثورة فكرية تسهم فى إحداث الثورة الثقافية التى تحدث عنها الأستاذ محمود محمد طه

وبشر بها فى كتابه **الثورة الثقافية** الذى جاء فيه: "هذا كتاب عن الثورة الثقافية، نخرجه للناس، ونستهدف به إحداث التغيير الجذرى فى حياة الأفراد والجماعات، وذلك عن طريق إعادة التعليم - إعادة تعليم المتعلمين، وغير المتعلمين. والتغيير الجذرى الذى نعنيه هو تغيير لم يسبق له مثيل، منذ بدء النشأة البشرية. هو تغيير تدخل به البشرية المعاصرة مرتبة الإنسانية. وتلك مرتبة يتطلب دخولها قفزة أكبر من تلك التى حدثت لدى دخول الحيوان مرتبة البشرية. وسيحدث ذلك بفضل الله ثم بفضل الفكر الصافى".

إن كتابنا هذا يقتفى أثر كتاب **الثورة الثقافية** الذى استهدف إحداث التغيير الجذرى عن طريق إعادة التعليم فيعيد تعليم الناس جميعاً، جمهوريين وغير جمهوريين، فيما يخص سيرة الأستاذ محمود محمد طه فيقدمه لهم، ولأول مرة، مُستلّاً من غمده، فيعيد ويجدد رؤيتنا وفهمنا ومعرفتنا له.

لقد خرج الأستاذ محمود محمد طه من خلوته، برفاعة، عام 1951، بمشروعه الجديد "الفهم الجديد للإسلام"، وظل يعيشه ويشربه وينشره حتى دخل "الخلوة الكبرى" التى أعقبت تنفيذ الإعدام عام 1985. ويخرج الأستاذ محمود محمد طه من خلوته الثانية هذه بهذا السفر العظيم، الذى يجسد مواقفه الصامدة الخالدة وحياته الملهمة. وكما جزم الشاعر محمد عبدالحى "أن الشعراء لا يموتون" يحق لنا أن نجزم "أن العارفين لا يموتون" وإنما هم مقيمون وعائدون وسيجيئون فى قلوب وعقول وشمائل وأعمال ومؤلفات وكتابات وإضافات "الذين يحيون ويعيشون أفكارهم ويهدون بسيرتهم، ويتأسون بشمائلهم، ويظهرون كمالاتهم للناس (وكاتبنا بفضل الله عليه منهم). وقد يطيب هنا أن نورد هذا الاقتباس من كتاب الأستاذ محمود محمد طه: **الإسلام وإنسانية القرن العشرين**، الذى يتحدث فيه عن مشروعه الفكرى والثقافى وكيفية تحقيقه:

"الرسالة الثانية من الإسلام" هى مراد الدين بالأصالة، إن "الرسالة الأولى" قد كانت المراد بالحوالة. ورسول الرسلتين "محمد". راجعوا كتابنا بهذا الاسم: "الرسالة الثانية من الإسلام".

لقد جاء محمد فى العهد المكي بنبوة أحمدية ورسالة أحمدية، فدعا إلى الإسلام، فلم

يستجيب له، وذلك لحكم الوقت المتمثل يومئذ في قصور المجتمع، فأمر بالهجرة، وجاء عهد المدينة، وسحبت "الرسالة الأحمدية"، فاستبدلت "بالرسالة المحمدية" فأصبح محمد ذا "نبوة أحمدية" و "رسالة محمدية" فدعا إلى الإيمان، فاستجيب له. وسيجيء محمد "بنبوة أحمدية" و "رسالة أحمدية" فيدعو إلى "الإسلام"، كما دعا أول أمره في العهد المكى، وسيستجاب له، هذه المرة، وذلك لحكم الوقت المتمثل اليوم في نضج المجتمع، واستوائه، وطاقته الفكرية، والمادية.

وستسأل وكيف يجيئ محمد بنبوة أحمدية ورسالة أحمدية وأجيب بأنه يجيئ في قلوب، وعقول، وشمائل الذين يحيون سنته، ويسرون سيرته، ويظهرون كمالات أخلاقه للناس، بعد طول العهد وانقطاع الإرشاد. الإسلام وإنسانية القرن العشرين، يوليو 1973.

كما جاء في الإنجيل: "الذى يأتى بعدى يأخذ مقامه قدامى"

"He who comes after me, takes rank before me"

ولقد جاء عبدالله الفكى البشير بعد الكثيرين من السابقين والناهبين. ولكن فضل الله عليه اصطفاؤه دونهم ليختلى بالأستاذ محمود محمد طه خلوة فكرية وروحية عميقة لا يعين على اجتياز مفازاتها واستكشاف خباياها والصبر على أسرارها واحتمال كنوزها إلا من أعانه الله بقرآن الفجر "إن قرآن الفجر كان مشهوداً". لقد صبر عبدالله الفكى البشير على دقائق الحقائق والوثائق الدفينة والمحجوبة، فاحتلبها واستنطقها، ووسع الله صدره فاتسع وصبر على قراءة الآخرين، الذين يخالفونه الرأي، والذين أسرفوا وأسفوا في حق الأستاذ محمود محمد طه، والذين عجز سلفه عن احتمالهم، فخرج منوراً ومضيئاً بأكثر مما دخل، واحلّولت شمائله ففتحت له الأبواب الموصدة ورتج الخزانات المغلقة. فولد على يديه هذا الكتاب المدهش والمرجع الذى سيكون له ما بعده، والذى يشكل برزخاً بين عهدين في كتابة وصناعة التاريخ، عهد أفل وعهد أشرق بهذا الكتاب.

ويصدور هذا الكتاب تبدأ مسيرة جديدة وراشدة ابتدأها المؤلف، وأسهم بها في إخراج الأستاذ محمود محمد طه من خلوة الإعدام، التى كان هم وظن مدبريها ومنفذيها أنها

ستقضى على هذا المشروع الإسلامى العظيم بالقضاء على الأستاذ محمود محمد طه، الذى جسّد هذا المشروع فى اللحم والدم، ولكن هيهات، فإن مستقبل هذا المشروع الإسلامى العظيم أمامه وإن كفر به هؤلاء، فإن الله قد وكل به قوماً ليسوا به بكافرين.

لقد زين الأستاذ عبدالله الفكى البشير صدرى بإصراره على تقديمى لهذا الكتاب. ولست بالغفلة التى تجعلنى أحسب نفسى أفضل من يقدم هذا الكتاب المرجع. ولكن كما يقول أهلنا "كريم أدى غشيم" وكفى..

لقد تم، بتأليف وصدور هذا الكتاب، تدشين مؤلفه الأستاذ عبدالله الفكى البشير مؤرخاً ومعلماً ومفكراً وثائراً ثقافياً تتألق على صدره قلادة وعقد "الثائر الثقافى"، اللتين أزرانه بهما الأستاذ محمود محمد طه الثائر الثقافى الأول. فهنيئاً له وهنيئاً لنا.

عصام عبدالرحمن البوشي

ود مدنى، السودان

14 أبريل 2013

قصتي مع هذا الكتاب

لا بد أن تجمع بين المؤرخ وموضوعه صداقة، وإلا فكيف للمؤرخ أن يفهم؟
 فحسب عبارة القديس أوغسطين الرائعة: "لا يمكننا معرفة أى أحد إلا عبر
 الصداقة". إن تصوراً من هذا النوع بالتأكيد لا يلغى روح النقد... فالروح
 النقدية والتعاطف ليسا متناقضين بالضرورة، ولكن لا نستطيع القول بأنه يمكننا
 دائماً التوفيق أو الجمع بين هاتين الفضيلتين، أو تساويهما فى ذهن كل باحث/
 دارس. بيد أن توصيف التاريخ هو ثمرة لجهد جماعى، فإفراط البعض يُقوِّم
 تقصير البعض الآخر⁽¹⁾.

هنرى مارو (1904 - 1977)

(1) Henri I. Marrou, *the Meaning of History*, translation by Robert J. Olsen, Helicon Press Inc, Dublin/Baltimore, 1966, pp 104-105.

فى الأصل نشر الكتاب باللغة الفرنسية، تحت العنوان التالى: *De la connaissance historique*, by Edition du Seuil, Paris, 1959, 4th edition, revised. لقد وقفت على الكتاب المترجم إلى اللغة الإنجليزية ولم أف على الأصل باللغة الفرنسية. لهذا فإن ترجمتى للنص أعلاه، كانت من الإنجليزية إلى العربية. أدناه النص كما جاء فى الترجمة الإنجليزية للكتاب:

Between the historian and his object a friendship must be formed, or how else can the historian understand? According to St. Augustine's splendid formula, "we cannot know anyone except through friendship"...A conception of this kind certainly does not eliminate the critical spirit. The critical spirit and sympathy are not inherently contradictory. But we cannot say that these virtues can always be easily reconciled or combined, or that they are both equally represented in the mind of every scholar. However, the elaboration of history is the fruit of collective effort: the excesses of the one somehow correct the deficiencies of the other.

تتمحور قصتي مع هذا الكتاب في إجابتي على أربعة أسئلة هي: هل التقيت في حياتي بالأستاذ محمود محمد طه؟ ومتى سمعت به وبتلاميذه، الإخوان الجمهوريين، أول مرة؟ وما الذي سمعته؟ ثم كيف جاءت ونمت فكرة هذا الكتاب؟

لم التق الأستاذ محمود محمد طه حسياً في حياتي. فعندما تم تنفيذ حكم الإعدام عليه في صبيحة يوم الجمعة 18 يناير عام 1985 بساحة سجن كوبر بالخرطوم بحرى بمدينة الخرطوم، كنت تلميذاً بالمرحلة المتوسطة (الإعدادية)، أقيم بمعية والدي بقرية كريعات. تقع قرية كريعات على بعد نحو مائة وثلاثين كيلومتراً شرق الخرطوم. كنت قبل قصة الاغتيال، قد سمعت بأذن الطفولة، مثل الكثيرين غيري، سمعوا أينما وجد مسجد أو زاوية أو مصلى في كل بقاع السودان، سيلاً من الروايات والقصص تدور كلها حول رفض الأستاذ محمود وتلاميذه، وتصب في النيل منهم، وتنادى بضرورة عزلهم اجتماعياً، وتعتبر عن خروجهم عن الملة، وتؤكد ردتهم عن الإسلام. كانت القصص عبارة عن أساطير وخرافات كأنها قادمة من جوف التاريخ، من شاكلتها، مجرد مثال فهي أفتح من أن تُروى: "سمعت بالخبر، إن جمهوري من تلاميذ الأستاذ محمود يريد أن يتزوج شقيقته"... وهكذا. كانت روايات وقصصاً لا تنقصها السذاجة في النسخ، والافراط في الخيال المفتوح لحد الاطلاق على الجهل والماضي. صممت لاستهداف البسطاء، كانت تخاطب العواطف مع إهمال تام لعقول ووعي سامعيها. لم أصدق قصة واحدة منها، ولم تتسرب جملة واحدة منها إلى عقلي أو قلبي، وأنا طفل، لم يبلغ العاشرة من عمره. بل

كنت مع كل رواية وقصة أسمعها عن الأستاذ محمود وتلاميذه، أشعر بأن ثقتي تتضاعف فى الأستاذ محمود وتلاميذه، وأن الشك ينمو ويتسع فى داخلى تجاه الراوى والرواية، ويزداد احتقارى للرواية ولراويها مهما بلغ من العمر والعلم والمكانة، غير أنى لم أعلن عن ذلك. ظللت أستمع إلى تلك القصص والروايات بتكرار وكشافة حتى عبرت المرحلة الثانوية بمدينتى رفاعه وتندلتي، ووصلت جامعة الخرطوم طالباً بكلية الآداب فى عام 1990.

لم يكن هناك، من الجهة الأخرى، ما يوازن أو يقابل سماعى لتلك القصص والروايات العدائية تجاه الأستاذ محمود وتلاميذه، أو ما يدعم شكى فيها، أو يعزز موقفى الداخلى منها، إلا أمران. الأمر الأول هو أننى كنت، وأنا طفل، أرى بعض كتب الأستاذ محمود عند أحد أجدادى، اسمه محمد الطيب على فضل الله (1930 - 1993). كان الجد محمد الطيب رجلاً متفرداً بحق فى كل شىء. كان من حكماء القرية والمنطقة وموضع ثقتهم، ومن أصحاب الفضائل والورع، كما ظلت سيرته حتى اليوم، مضرب المثل فى الصدق والأمانة. كان له متجر ومجلس فى القرية. كنت أقضى بعض الوقت جالساً فى مجلسه الذى كان يؤمه الضيوف والأقرباء وبعض أهل القرية. كنت أراه يضع بعض كتب الأستاذ محمود إلى جواره، يقرأ حيناً فيها، ويضعها إلى جنبه حيناً آخر. كنت كثيراً ما أسمع فى مجلسه تعليقات عن تلك الكتب من بعض الحضور، قائلين له: ما هذه الكتب؟ ألا تزال تحتفظ بهذه الكتب؟ ثم يطلبون منه التخلص منها. كان يرد عليهم قائلاً: ما الذى ضايقكم من هذه الكتب؟ هل جاءكم أم جئتم إليها؟ هل قالت لكم شيئاً؟ هل طلبت منكم طعاماً أو شراباً؟ أنتم الذين أتيتم إليها، شوفوا ليكم شغلة غيرها [انشغلوا بغيرها]. الأمر الثانى الذى كان يقابل تلك القصص والروايات هو أننى رأيت بعين الطفولة، لأول مرة ثلاثة من تلاميذ الأستاذ محمود. الأول هو عوض محمد مصطفى فقيدة، وهو غير مقيم فى القرية وكان يزورها من وقت لآخر بحكم صلته الرحمية بأهل القرية. كنت بحكم صلتى الرحمية به أراه عن قرب، أشاهده وهو يقوم بأعمال إنسانية عظيمة. فقد كان يعمل ممرضاً، فمجرد وصوله القرية، وغالباً ما كان يحمل بعض العلاجات فى شنطة صغيرة، كان يبدأ فى تفقد أحوال المرضى، يطايبهم ويعالج من يحتاج منهم للعلاج. وفى الفترة المسائية كان موعد الحوار والجدل فى مجلس الجد محمد الطيب على فضل الله، أو غيره من المجالس التى

يتجمع فيها الأهل. يبدأ الحوار فيصب الحضور الأسئلة والاستفسارات والانتقادات على عوض. وكان عوض يرد عليهم ويحاوهم بمهل واحترام وسعة. الشخص الثاني هو من القرية أيضاً، واسمه فتح الرحمن عبد القادر، كان معروفاً في القرية وله صيت بأنه جمهوري ومن النوايغ، فهو أحد أوائل الشهادة الثانوية السودانية، رأيته مرتين في حياتي، ولكن المرتين خلفنا الكثير في ذاكرتي. والشخص الثالث هو الهادي حمد أبوكليوة رسخت صورته في ذاكرتي، وهو من قرية الطندب، التي تقع شرق قرية كريعات وعلى بعد نحو عشر كيلو مترات منها، حينما كان يعمل مديراً للمدرسة كريعات الابتدائية المختلطة.

كنت أنظر لهؤلاء الثلاثة بإعجاب صامت، وكنت أكن لهم احتراماً خاصاً. لم يقل لي أحد منهم شيئاً عن الأستاذ محمود، ولم تتح لي الفرصة أن أسأل أو أقول لأحدهم شيئاً، غير أنني كنت أفرح بحضورهم وأسعد حينما أراهم. كانت صور هؤلاء الثلاثة، ومشهد كتب الأستاذ محمود لدى الجد محمد الطيب على فضل الله، هو كل ما لقيته إيجابياً نحو الأستاذ محمود، منذ طفولتي وحتى وصولي طالباً بجامعة الخرطوم.

عندما وصلت جامعة الخرطوم طالباً بكلية الآداب، كنت أحمل في داخلي كماً هائلاً من الشكوك في تلك القصص والروايات التي سمعتها منذ الطفولة، وكنت لا أزال أسمعها عن الأستاذ محمود وتلاميذه. كنت رافضاً لفكرة أن ينوب عني أحد في التقويم والافتتاح بما قاله الأستاذ محمود، لهذا لم أصدق ناقدًا للأستاذ محمود، ولم تقنعني أحاديث الوعاظ على كثرتها وتكرارها، ولم تؤثر في أي خطبة لفقيه أو إمام مسجد، ولم أقتنع بأي نص كتب في نقد الأستاذ محمود، فكأنني كنت على موعد للتحقق من صحة ما قيل وما كتب من نقد وما سمعته من تلك الروايات والقصص عن الأستاذ محمود وتلاميذه. ففوق ما سمعته في طفولتي، بدأت خلال فترة دراستي الجامعية في البحث عن قصص المثقفين ورواياتهم عن الأستاذ محمود وتلاميذه. غير أنني ذهلت حينما وصلت الجامعة، ذلك لأنني لم أسمع شيئاً في قاعات الدراسة عن الأستاذ محمود وتلاميذه، ولم أجد أثراً لفكر الأستاذ محمود في المناقشات الفكرية للأساتذة أو إشارة له في كتبهم أو محاضراتهم، ولم أسمع بالأستاذ محمود وتلاميذه في مساجلات الطلاب. ما الذي حدث؟ فجامعة الخرطوم التي وصلتها طالباً، كانت تعرف جيداً

الأستاذ محمود، فقد بلغها خبره وبلغ كل أركانها وقاعاتها وميادينها وشجرها، عبر أركان النقاش والمناظرات التي كان يقيمها تلاميذه، كما أن طرح الأستاذ محمود الفكرى هز السودان والعالم الإسلامى، وقصة تنفيذ الاعدام عليه لم تمض عليها خمسة أعوام، فأين كل هذا؟ هل نسيت جامعة الخرطوم كل هذا الإرث الضخم؟ فجأة كأنما حدث انقطاع تام، فهل تبخر كل شيء؟ ما الذى جرى؟ اهتزت ثقتى بجامعة الخرطوم. ثم زادت حيرتى ونمت الشكوك فى داخلى، وأشدت الحاح التساؤلات الفكرية، وأصبح أمر النسيان والانقطاع معطين جديدين وإضافيين لما كنت أسمع من خرافات وأساطير منذ طفولتى. فعزمت على القراءة والبحث.

بدأت أثناء فترة دراستى الجامعية فى قراءات أولية عن سيرة الأستاذ محمود ومشروعه، فتجمعت عندى بعض المعلومات والقليل من قصص المثقفين ومواقفهم من الأستاذ محمود. وقبل تخرجى فى الجامعة، ظهرت معالم رغبتي فى المواجهة بشأن الأستاذ محمود. ففى منتصف التسعينيات من القرن الماضى، كنت قد التقيت بمعية صديقين، (سيرد تفصيل اللقاء لاحقاً فى متن الكتاب)، بالأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد (1942 - 2004) صاحب كتاب: **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، لأول مرة بفندق قصر الصداقة فى الخرطوم. فى ذلك اللقاء قلت للأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد: من يقرأ كتابك: **العالمية الإسلامية الثانية**، يرى الأستاذ محمود بين سطوره، ويشتم رائحة مشروعه بين صفحاته. كان ذلك اللقاء هو أول لقاء أذكر فيه اسم الأستاذ محمود وأحدث عنه أو عن مشروعه. لقد أرخ ذلك اللقاء لبداية مواجهة باكرة، جعلتنى أدرك بأننى بحاجة لمزيد من القراءة، كما أدركت بأننى أقرأ فى مشروع الأستاذ محمود بغرض المعرفة والإجابة عن تساؤلاتى الداخلية إلى جانب الرغبة القوية فى نقد تلك الروايات والقصص التى سمعتها منذ الطفولة، ونقد مواقف وروايات المثقفين والمستيرين عن الأستاذ محمود، خاصة مواقف المفكرين الإسلاميين، لا سيما محمد أبو القاسم حاج حمد. تطور تأملى فى اللقاء بحاج حمد وتطورت قراءاتى، حتى خصصت لحاج حمد فصلاً فى هذا الكتاب، هو الفصل السابع عشر. ولا يعدو الفصل أن يكون مدخلاً ومقاربة أولية تمهد لدراسات مستقبلية، أقوم بها أو يقوم بها غيرى، عن مدى

استفادة الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد من الأستاذ محمود، ولماذا صمت حاج حمد عن الإشارة للأستاذ محمود في مصادره؟

بعد لقائي الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد ومع النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي تطورت في داخلي فكرة البحث والتقصي والتنقيب عن سيرة الأستاذ محمود ومشروعه في مصادره الأساسية: كتبه ومقالاته وبياناته وندواته... إلخ وفي مصادر الدراسات السودانية بدار الوثائق القومية السودانية. كما نمت في داخلي أيضاً، فكرة التأسى بالأستاذ محمود، قبل الوعي بمشروعه والاطلاع على كل كتبه. ففي يوم 6 مارس عام 1996 سافرت إلى مدينة الدوحة بدولة قطر بحثاً عن فرصة عمل، ومن هناك أرسلت رسالة إلى زميلتي "هنادي إبراهيم" التي سافرت بدورها للعمل بمعية أسرته إلى المملكة العربية السعودية، بعد أن تخرجت في كلية الآداب بجامعة الخرطوم، وكنا قد اتفقنا على الزواج، أرسلت لها رسالة وحدثتها عن مشروع الأستاذ محمود، وعن كتابه: **خطوة نحو الزواج في الإسلام**، وعن ضرورة أن يكون الزواج فرصة للمساهمة في غربة المفاهيم الخاطئة في المجتمع، وحدثتها عن قصة الزواج بجنيه واحد عند الأستاذ محمود. فأرسلت لى هنادي رسالة وأرفقت لى معها مبلغ واحد ريال سعودي. فأرخ ذلك الريال لمعاني كبيرة عندي تجاه هنادي. بعدها تزوجنا وظل الريال السعودي محفوظاً ضمن مقتنياتنا الخاصة حتى تاريخ هذا اليوم.

لم التق ولم أر تلميذاً من تلاميذ الأستاذ محمود منذ أن كحلتُ بعيون الطفولة أولئك الثلاثة: عوض، وفتح الرحمن والهادي، إلا في مدينة الدوحة بدولة قطر. لقد احتضنت مدينة الدوحة عدداً كبيراً من تلاميذ الأستاذ محمود. فقد بلغني أن أول من جاء إلى مدينة الدوحة مقيماً من تلاميذ الأستاذ محمود في نهاية ستينيات القرن الماضي هو هاشم شكاك. كما بلغني أن الأستاذ محمود كان يرسل هاشم شكاك وهو في الدوحة، وقد نقل أحمد مصطفى الشايب، الذي جاء للدوحة مقيماً وظل حتى مجيء، بعضاً من تلك الرسائل. أثناء فترة إقامتي في الدوحة، ولا أزال مقيماً فيها، التقيت ولأول مرة في عام 1997 ببعض تلاميذ الأستاذ محمود، وهم: حيدر بدوي صادق وزوجته أسماء مجذوب وأبناؤهما،

وعبدالرحمن محمد الحسن وزوجته أسماء الدروبي، وعبدالله عابدين وزوجته عائشة على وبناتهما، وأحمد محمد سليمان (أحمد جون)، وأحمد مصطفى الشايب وعبدالغنى كرم الله. فى تلك الفترة سمعت ولأول مرة صوت الأستاذ محمود من خلال أشرطة الكاسيت، فكان حدثاً عظيماً، تزامنت معه فرصة تأمل كبيرة مع توسع فى قراءتى عنه. مثّل منزل حيدر بدوى صادق الملتقى شبه اليومى لهذه المجموعة، وكانت تجمع بيننا حوارات عديدة ومتنوعة وطويلة. أهدانى حيدر مجموعة من كتب الأستاذ محمود ونحو أربعين شريطاً من أشرطة الكاسيت التى كانت تتضمن محاضرات الأستاذ محمود وأحاديثه مسجلة بصوته. كان منزل حيدر أول ساحة تشهد حواراتى مع تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، وأول مكان يشهد تعرفى عليهم وبناء علاقات معهم.

منذ ذلك الوقت ظللت فى قراءات مستمرة فى مشروع الأستاذ محمود، وفى حالة جمع للمادة، وبحث دائم فى دار الوثائق القومية فى الخرطوم، وفى مكتبة السودان والمكتبات فى الخرطوم، كلما جئت فى إجازاتى للسودان. ثم شهدت سنوات العقد الأول من القرن الحالى، تطوراً جديداً وتوسعاً كبيراً فى علاقتى بتلاميذ الأستاذ محمود. ففى بداية العقد زارنى فى منزلى كل من: أحمد دالى والنور حمد وإسماعيل علم المهدي، أثناء زيارة قصيرة لهم لمدينة الدوحة، قبل أن يأتى دالى والنور، مقيمين فى الدوحة. زارنى الثلاثة فى منزلى وكانوا بجمعية أبو بكر القاضى المقيم فى الدوحة. بعد ذلك شهدت الدوحة قدوم بعض تلاميذ الأستاذ محمود ليقيموا فيها من أجل العمل. جاءوا فى تواريخ مختلفة ومتداخلة، كما تفاوتت فترات إقامتهم. بعضهم أقام فى الدوحة لمدى شهور والبعض الآخر ظل مقيماً لسنوات. تزامنت مع إقامتهم فى الدوحة، زيارات متفرقة لبعض آخر من تلاميذ الأستاذ محمود. كنت أشعر بأن كل الذين جاءوا إلى الدوحة سواء مقيمين أو زائرين من تلاميذ الأستاذ محمود، هم ضيوفى ومن ظللت أبحث عنهم، وما جاءوا إلا لأمر يخصنى ولاستنهاض أمر آت. فقد جاء للإقامة فى الدوحة أحمد دالى وزوجته سمية محمود محمد طه، وبناتهما آمنّة وفاطمة، ثم جاءت آمنّة محمد لطفى عبدالله (أمنا آمنّة)، زوجة الأستاذ محمود، وبناتها أسماء محمود محمد طه، ولحق بهما النور حمد زوج أسماء محمود وبنتهما آمنّة وابنتهما محمود. ثم وصل الدوحة أحمد المصطفى الحسين وزوجته علوية حسن

وأبناؤهما ويتتهما مريم، وفائز عبدالرحمن عبدالمجيد وزوجته أسماء محمد الحسن، وعبدالله عثمان وزوجته نزيهة محمد الحسن، ولطفى على لطفى وزوجته وفاء همد وأبناؤهما، وبدر الدين عثمان موسى وزوجته إلهام بابكر فضل وبناتهما، ومحمود أمين صديق. كما قدم إلى الدوحة عادل الطيب وزوجته رجاء أحمد عمر وأبناؤهما، وخالد محمد الحسن وزوجته سعدية عز الدين على مالك وبناتهما، وصديقة الجمهوريين أسماء عبد الحليم. وفي عام 2005 جاء مصطفى عبدالرحيم ولحقت به زوجته نبوية محمد أحمد وأبناؤهما، وجاء الغالي صديق والنذير رمضان وزوجته ماريّا عبدالله الطيب، وإيمان عوض محمد مصطفى فقيده ولحق بها زوجها عصمت العبيد النور وشقيقها خالد. ثم جاء مؤخراً أسامة عثمان الفكي البيتي وزوجته تيسير عبدالله النعيم وأبناؤهما، وبعدهم صديق دالي وزوجته ليلي محمد الحسن ومحمد عبدالباقي وزوجته سعاد سليمان فعصام الدين الهادي.

كان في الدوحة قبل وأثناء مجيء أولئك أبو بكر القاضي وزوجته المرحومة شادية عبدالرحيم كمبال وأبناؤهما، وعبدالرحمن أبو شيبه وزوجته سعاد أبو كساوي، وأمّون (عبدالرحمن) أحمد إبراهيم وزوجته فدوى بابكر وبناتهما وبنهما، وعبد المحمود الخضر وزوجته مها ميرغني وأبناؤهما، وعبد الحميد الشبلي وزوجته أسماء على سيد أحمد، وأمين أحمد إبراهيم وزوجته مواهب سراج الدين، وصالح الدين أحمد إبراهيم. ومصطفى عوض عبدالفراج وزوجته سهام أحمد وأبناؤهما، ومبارك يس وزوجته زينب البشير آدم وأبناؤهما. ولم يبقَ من مجموعة عام 1997 في الدوحة سوى عبدالله عابدين وأسرته، وعبد الغني كرم الله الذي لحقت به زوجته رحاب عثمان مصطفى.

ظلت هذه المجموعة تلتقي في جلسات شبه راتبية، كل جلسة في منزل أحدهم وكانت الجلسات أكثر نشاطاً خلال الفترة ما بين عام 2003 - 2008. كانت الجلسات متعددة في فقراتها، كان فيها الإنشاد العرفاني والحوارات والموضوعات المتنوعة. كان مجيء أي زائر من تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته إلى الدوحة فرصة لإقامة الجلسات المتابعة والمتالية. هيأت لي تلك الجلسات واللقاءات منذ عام 1997 المناخ العام للتأمل والتفكير والقراءة في مشروع الأستاذ محمود وسيرته، واناحت لي فرصة الحوارات والمناقشات وتلاقح الرؤى

وامتحان الأفكار، كما قدمت لى الإجابات لبعض الأسئلة. فإلى جانب تلك الجلسات فقد ضمنتى لقاءات واسعة وخاصة مع أحمد دالى والنور حمد وأسماء وسمية محمود محمد طه، كما جلست جلسات طويلة مع إبراهيم يوسف فضل الله الذى جاء للدوحة زائراً. وفى يقينى أن كل تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته الذين جاءوا إلى الدوحة سواء مقيمين أو زائرين، ما جاءوا إلا من أجلى ومن أجل هذا الكتاب.

كانت البداية الفعلية لجمع المادة من أجل هذا الكتاب فى عام 1997، والبداية العملية فى الكتابة فى العام 2009. ويمكننى القول أنه لم يحدثنى أحد عن الأستاذ محمود محمد طه، مثلما حدثتنى دار الوثائق القومية بالخرطوم. لقد توجهت إلى دار الوثائق القومية فى الخرطوم، وأنا فى حالة شك فى كل ما كتب وقيل عن الأستاذ محمود فى السودان وخارجه. فالذين كتبوا عن الأستاذ محمود ونقدوه من الفقهاء والقضاة الشرعيين والسلفيين لم يكونوا أميين فى نقدهم، ولم يكونوا من أصحاب الورع العلمى والالتزام بالأسس العلمية فى كتاباتهم. لهذا ليس هناك فى كتاباتهم ما يعتد به. فكثير كانت بالنسبة لى تشبه تلك الروايات التى سمعتها فى طفولتى، إن لم تكن هى نفس الروايات والقصص. أما الذين يحترمون الأستاذ محمود من تلاميذه وتلميذاته فإن معارضتهم لم يتركوا لهم وقتاً، ولم يعطوهم فرصة ليحدثونا عن الأستاذ محمود، سوى كتابات قليلة جداً. لقد بدأ مؤخراً بعض تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته الكتابة والتبليغ عن معييتهم ومرافقتهم له من خلال كتابة مذكراتهم.

كشفت لى دار الوثائق القومية فى الخرطوم عن صورة للأستاذ محمود لم أجدها فى المراجع الأكاديمية ولم أعهداها فى الكتب وفيما سمعته وفيما كُتب عنه من مقالات وأوراق. وجدت حضوراً مدهشاً للأستاذ محمود فى مختلف قضايا السودان وشؤونه ووجدته قد نشر عدداً ضخماً من البيانات والمناشير والآراء فى مقالات فى الدوريات مع حرص مدهش على التوثيق لكل ما يكتب ويقول، بل وتذكير القارئ بكتاباته السابقة بالتواريخ ومكان النشر. وأدركت بأن المنشور من ما هو متداول بين الناس لا يمثل إلا جزءاً يسيراً مما كتبه الأستاذ محمود عن السودان. كما كشفت لى دار الوثائق القومية عن

مدى حرص الأستاذ محمود على استخدام أدوات المثقف وسبل الحداثة: كتابة ونشر المقال، والبيان والمنشور والكتاب وتنظيم المحاضرة وعقد الندوة والمناظرة، وبعث الرسائل لرؤساء الدول والمنظمات العالمية والإقليمية، ومراسلة الكتاب والمفكرين... إلخ. فأدركت بأن الناس في السودان والعالم لم يعرفوا الأستاذ محمود، بل إن الناس حينما يتحدثون عن الأستاذ محمود مدحاً أو قدحاً فإنهم يتحدثون عن شخص متوهم ومتصور وليس بأى حال من الأحوال هو الأستاذ محمود. كما أدركت بأن ما سمعته من قصص وروايات في طفولتي عن الأستاذ محمود وتلاميذه كانت تعبر تماماً عن أزمة الأخلاق ومستوى السجل السياسى والجدل الفكرى فى القرن الماضى، وحتى اليوم. بدأت البحث والتنقيب عن كتابات الأستاذ محمود منذ عام 1935، حيث نشر لأول مرة فى مجلة كلية غردون وهو طالب فى كلية غردون، وتبعت كتاباته حتى وقفت على مئات المقالات والبيانات التى لم ترد الإشارة إليها من قبل حتى فى كتب الإخوان الجمهوريين أو فى أى مصدر آخر.

فى عام 2009 بدأت الكتابة عن موضوع الأستاذ محمود. كنت مشغولاً بأن قضية الأستاذ محمود قد بدأت مع معاصريه من طلائع المتعلمين، ومن ثم الأكاديميين والمؤرخين الذين تماهوا مع مواقف الفقهاء والقضاة الشرعيين. لهذا عندما رأيت نشر أولى مقالتي عن الأستاذ محمود، وسمتها بـ: "الأستاذ محمود محمد طه والمثقفون". ونُشرت، كما وردت الإشارة، كسلسلة خلال الفترة من 26 أغسطس 2010 إلى 3 فبراير 2011. مثلت هذه المقالات نواة الكتاب وكانت بمثابة الأفكار الأولية والخطوط العريضة له. كان التأمل والأفكار فى توسع وتطور مستمر، تبلورت بعض الأفكار أثناء بحثى وبعضها الآخر أثناء كتابتى للمقالات. لم أدرك أن الكتابة عن الأستاذ محمود، والتأمل والتفكير فى سيرته ومشروعه، سواء بصوت منخفض أو مرتفع، محرم اجتماعياً ومحارب حرباً شعواء حتى وقفت على ذلك ولمسته بنفسى.

ففى أثناء كتابتى لسلسلة المقالات تلك، وبعد أن أعلنت فى آخر حلقاتها عن عزيمى تأليف هذا الكتاب، واجهت عدداً كبيراً من الناس الذين سعوا إلى تشييط همتى ودعونى إلى إلغاء فكرة تأليف الكتاب، وسعى البعض إلى وقف نشر سلسلة المقالات. تبع ذلك

وأثناء تأليفي للكتاب الكثير من الأذى الاجتماعي، غير أنني واجهت كل تلك المحاولات بعناد وشدة مراس وإصرار لا يعرف التراجع أو المساومة. والحق أن إصراري وعزيمتي وهمتي من أجل هذا الكتاب، ومن قبل في سلسلة المقالات، كانت كل يوم في تجدد ومنعة وتصفح وكأني أسير وفق برنامج تدريبي وإعداد خاص. ففي منتصف عام 2011 هاتفتي مجذوب محمد مجذوب، وهو في مقام الوالد، ومن الذين رافقوا الأستاذ محمود منذ ستينيات القرن الماضي، وطلب مني أن أكتب تصديراً لمذكراته بالاشتراك مع النور حمد، الموسومة بـ: بعض أوراق جمهوري، السودان: بلد، وشعب وفكرة، تحت الطبع حالياً. كتب النور "تصديراً أول" وكتبت أنا "تصديراً ثانياً". كتبت في ختام تصديري لكتاب الوالد مجذوب مستندعياً طلبه مني أن أكتب تصديراً لكتابه، قائلاً إنني:

ذهلت ودُهشت؛ كيف يمكن لشخص مثلي أن يكتب تصديراً لكتاب هو حصاد سنين وناتج تجربة مستحصدة لرجل آزر الأستاذ محمود وناصره، بصدق وعلم، في وقت لم يكن في الساحة سوى الأعداء والمتربصين بالأستاذ محمود وبمشرّعه من ضحايا الجهل ومتعجلى النتائج. وكيف لي أن أكتب تصديراً لهذا الكتاب، وفي يقيني، أن هذا الكتاب هو سيرة طاهرة وعطرة ومشقة لرجل هو صاحب تجربة عريضة وصادقة؟ ولكنني بعد أن أفقت من الدهشة والذهول، أدركت بأن الوالد مجذوب منحني هذا الشرف، لا لشيء سوى ليأخذ بيدي، ويدفع بي نحو التعمق والترقي والبقاء في فكر الأستاذ محمود ومعارفه. فطلبه مني كتابة تصدير للكتاب يمثل في حد ذاته، جرعة تربوية، ورحلة تسليكية، ودروساً كبيرة، خرجت منها بمعاني ودلالات جلييلة وعظيمة. أما الكتاب فقد طاف بي، وقادني إلى مجاهل فكرية وعرفانية عميقة، كما أكد لي أشياء، كانت تشغلني، وعمق عندي معاني، كانت غائبة، وفوق كل ذلك فقد جدّدتُ به وثيقة عهدي مع الأستاذ محمود. وهنا المغزى والحكمة.

أتاح لي التصدير الذي شرفني بكتابته الوالد مجذوب لمذكراته، فرصة القراءة لمذكراته والتأمل فيها، كما أوحى لي بالكثير والكثير من المعاني والدلالات. وبالفعل

كانت قراءتى لمذكرات الوالد مجذوب بمثابة رحلة تفكر نحو ستين عقداً من الزمان، وكانت كذلك جرعة تربوية كبيرة وسهماً عظيماً فى إعدادى وتدريبى للتأمل فى سيرة الأستاذ محمود ومشروعه.

بالمقابل ومنذ أن نشرت سلسلة مقالاتى عن "الأستاذ محمود محمد طه والمثقفون"، وصلنى كم هائل من الرسائل والمهااتفات من القراء والكتاب فى السودان وخارجه. وكانت كلها رسائل تعبر عن الاعجاب بتناولى والدهشة لما قرأوه، وتحضنى على مواصلة الكتابة. من نماذج ما وصلنى، (وما وصلنى كان كثيراً) من ذلك تعليق المؤرخ عثمان سيد أحمد إسماعيل الببلى، بعد أن قرأ سلسلة مقالاتى، فعلق قائلاً: "أرجو أن تستمر فى الكتابة، فمقالتك هذه عن الأستاذ محمود ستعين الكثيرين على الاعتذار". وأضاف قائلاً: "الأستاذ محمود هو الرجل الذى ظلم فى السودان.. الأستاذ محمود ظلم.. فقد كان رجلاً ديمقراطياً بحق". كما تحدث الببلى فى ندوة بمدينة الدوحة عقدتها الجمعية السودانية للثقافة والبيئة بمركز أصدقاء البيئة، فى مساء يوم الجمعة 14 نوفمبر 2011، قائلاً: "من يقرأ هذه الأيام كتابات النور حمد وعبدالله الفكى البشير، يدرك بأن هناك مدرسة جديدة فى الكتابة قد بدأت فى السودان، وأن أستاذ هذه المدرسة هو الأستاذ محمود محمد طه".

وفى يوم 19 سبتمبر 2010 عبر لى، من خلال الهاتف، أحد أساتذة اللغة العربية والتربية الإسلامية فى إحدى المدارس الثانوية بأمدرمان بالسودان، قائلاً:

يا عبدالله والله أنت بتعمل فى عمل كبير جداً.. أنت تعرف نحن بالفعل كنا مضللين فى الأستاذ محمود.. نحن كنا لا نستطيع ذكر اسمه فى منزلنا وفى مجالسنا مجرد ذكر اسمه.. لأن الأستاذ محمود عندنا كافر ومرتد وغير مرغوب فيه تماماً.. الأمر عندى الآن بعد مقالاتك هذه مختلف تماماً.. يا أخى والله أنت نورتنا بهذه المقالات تنويراً عظيماً بهذا الرجل العظيم.. يا أخى أنا متابع وكذلك أسرته ومن حولى من الزملاء والأصدقاء هذه المقالات بصورة ثابتة كل يوم خميس ولا نحتمل غيابها.. أقرأ المقال ولا تفوتنى فيه كلمة وأنا مستمتع من بداية المقال إلى نهايته... تعرف كان عندنا أستاذ لما كنا طلاب فى

دار العلوم وكان الأستاذ بدرنا نقد.. قال لنا المقال الذى تقرأه وتنتهى ولا يرسخ شيء منه فى ذاكرتك مقال غير جيد.. المقال المتميز هو الذى يبقى منه شيء فى الذاكرة.. الشاهد أنه بعد الفراغ من قراءة مقالاتك، نكون أنا وابنتى نحفظ الكثير من أجزاء مقالاتك.. يا أخى أنا ما كنت أعرف أن الأستاذ محمود بهذه العظمة والقوة.. لكن الآن عرفت أنو الأستاذ محمود شيء آخر شيء مختلف.. شيء عظيم..

وفى يوم 9 أكتوبر عام 2010 وصلتني رسالة من أحد المتابعين لسلسلة مقالاتي، كتب لى فى رسالته قائلاً:

الأستاذ عبد الله البشير

... ظلمت اطلع على كتابات الأستاذ محمود منذ المرحلة الثانوية، وكان ذلك فى بداية تسعينات القرن الماضى، وشدتنى إليه الجرأة وقوة المنطق وبعد الفكرة وأكثر ما استوقفتنى فى كتبه الرسالة الثانية، وظنى انها سنام عمله. ما ذكره الأستاذ فى الرسالة الثانية ظلت جميع الأحزاب والانجهاات، علمانيها وإسلاميها وإسلامويها، تدور حوله إلا أنها لا تستطيع أن تقول ذات القول وبذات الجرأة والمنطق ... 25 سنة مرت الآن على رحيل شهيد الفكر ولا يوجد من يقول إن الإسلام بصورته الحالية لا يصلح لإنسان القرن العشرين ... وما زال يحكمنا أدنانا فهماً وعقلاً وأخلاقاً.

كما وصلتني رسالة من أحد الأساتذة، حيث كتب لى قائلاً:

الأستاذ عبد الله البشير

سعيد أن أكتب لك اليوم، وهذه أول مرة أراسلك فيها... قرأت مقالك، وكان المقال السابع، أرجو شاكرًا التكرم بإرسال المقالات السابقة فى نفس الموضوع... تجددنى من قبيلة اليسار السودانى، وليس العربى، حتى لا يختلط عليك الأمر، وتجددنى من الموقرين لفكر الأستاذ محمود محمد طه، وهو رجل ذو باع

فى حقله بلا شك، وأسهم إسهاماً كبيراً فى عودة الوعي إلى كثيرين وفى إزالة جزء من الصورة الشائنة للدين عند آخرين ... وعندى، أن الأستاذ فاق وقته بألف سنة، سيجتهد المسلمون كثيراً ليتأكدوا يوماً أن الأستاذ اتفق مع الديمقراطية والاشتراكية وحقوق المرأة وإصلاح الدين من منظور عقلى.

وفى يوم 18 ديسمبر 2010، جدد أستاذ اللغة العربية والتربية الإسلامية فى إحدى المدارس الثانوية بأمدردمان بالسودان، حديثه لى قائلاً:

يا أستاذ عبد الله أنت تكتب عن روح وليس عن جسد... الأستاذ محمود روح وليس جسداً... وضح لى جلياً أن هذا الأستاذ محمود روح روح وليس جسداً... لا مقارنة بينه وبين كل القادة الذين نعرف أو الذين حدثنا عنهم التاريخ... لا مقارنة على الإطلاق... يا أخى النصوص التى أوردتها للأستاذ محمود فى مقالتي وأنا لم أقرأ غيرها فى حياتى... نصوص غير عادية فهى لا تشبه كتابة الكتاب... إنها نصوص ذات طعم ومعنى مختلف وخاص... وكل كلمة فى تلك النصوص كتبت لتكون فى محلها تماماً ومحسوبة بعناية فائقة لتعطى المعنى المطلوب دون زيادة أو نقصان... دى كتابة ليس فيها انشغال إلا بالإنسانية والشأن العام، لا طمع لا دنيا لا ذاتية لا اعتبارات ولا تلمح فيها أى نوع من أنواع ادعاء بطولة... ده كلام عجيب ولا يصدر إلا من الروح... الأستاذ محمود روح وليس جسداً.

وعندما قرأ أستاذ اللغة العربية والتربية الإسلامية، فيما بعد، مسودة هذا الكتاب علق لى قائلاً: "هذا الكتاب هو الحق لمن كان يعلم بأمر الأستاذ محمود محمد طه وهو الحقيقة لمن كان يجهل بأمر الأستاذ محمود محمد طه".

الشاهد أننى حينما نشرت تلك المقالات، وصلتني مئات الرسائل والمهاجمات وكلها موثقة عندى باليوم والوقت، وما قدمته هنا من نماذج، ليس سوى جزء يسير وأمثلة تعبر فقط عن مدى تفاعل القراء مع الموضوع. ثم تابعت بتلك الروح الكتابة فى هذا الكتاب.

لقد ظلت أكتب فى هذا الكتاب نحو خمس سنوات، عشت فيها مدثراً بسيرة ومناخات الأستاذ محمود وتلاميذه، والتصقت بكتاباته وأقواله وتثبتت بحياته ومواقفه، فخرج هذا الكتاب، ولم يكن سوى مدخل أولى إلى الأستاذ محمود ورحابه. فبرغم التغييب والتضليل فإن الطرق المؤدية إلى الأستاذ محمود عديدة ومتنوعة، ويمكننى القول بأن طريقى وبوابتى إلى الأستاذ محمود كانت هى دار الوثائق القومية. ولهذا، وبعد أن وقفت على الحقائق والوقائع فى مصادرها ومظانها بدار الوثائق القومية، فإنى بدون إصدار هذا الكتاب تكون هويتى الإنسانية ناقصة وقاصرة. إن هذا الكتاب ساعدنى على معرفة اليسير جداً عن الأستاذ محمود، فأعاد لى (هذا اليسير) تنظيم نفسى وترتيب معارفى كما أعاد تعليمى. أردت بهذا الكتاب تطهير نفسى وعقلى وجسدى ووددت عبره أن أمثل الطرف الاعتذارى من شعوب السودان للأستاذ محمود ولتلاميذه ولكل محترمي، مما لحقهم من أسى وأذى ومما فعله الآباء والأجداد مع الأستاذ محمود وتلاميذه. إن هذا الكتاب جمعنى بنسبى الفكرى، وأثبت به نسبى فى موقف الصمود على منصة المشنقة كما اكتشفت عبره نسبى الروحى الذى ينتهى عند الأستاذ محمود محمد طه.. قولاً واحداً إن هذا الكتاب ولدنى من جديد!!

عبدالله الفكى البشير

القاهرة / الدوحة

#####

0000642000000636000000061008000900

يبدو أن المصريين قد اعتادوا واستمروا فكرة أن تكون بلادهم مصدر الإشعاع الفكري في العالمين العربي والإسلامي. ذلك أن القليل من مثقفيهم هم الذين يلقون بالأل إلى شمار الفكرية في الأقطار المحيطة بقطرهم، أو يقدررون الضرر الذي سينجم حتماً، عن هذه العزلة، وهذا الإغفال. وها قد مضى أكثر من ربع قرن على ظهور كتاب في السودان، هو كتاب: الرسالة الثانية من الإسلام للشهيد محمود محمد طه، الذي أعدّه أهم محاولة ينهض بها مسلم معاصر لتطوير التشريع الإسلامي، والتوفيق بين التعاليم الإسلامية ومقتضيات المعاصرة، دون أن يحظى في مصر (أو في بلد إسلامي خارج السودان على حد علمي) بالاهتمام الذي هو أهل له، ودون أن نلمس له تأثيراً في اتجاهات مفكرينا ومثقفينا وجمهور شعبنا، رغم احتوائه على فكرة أساسية ثورية لا شك عندى في قدرتها متى ما صادفت القبول لدى الرأي العام الإسلامي، على أن توفر الحلول لمعظم المشكلات التي تكتنف موضوع تطبيق الشريعة، في إطار إسلامي⁽¹⁾.

حسين أحمد أمين

(1) حسين أحمد أمين ضمن تقديمه لكتاب: عبدالله أحمد النعيم: نحو تطوير التشريع الإسلامي - الحريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولي، ترجمة حسين أحمد أمين، سيناء للنشر، القاهرة، 1994، ص 7.

إن المثقف عبر عملية المعارضة والروح النقدية يمكن أن يزيل
النفاق ويكشف الزيف ويهيئ الأرض للتغيير⁽¹⁾.

شيلي واليا⁽²⁾

(1) شيلي واليا، صدام ما بعد الحداثة: إدوارد سعيد وتلويين التاريخ، ترجمة عفاف عبدالمعطي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 30.

(2) شيلي واليا ناقد وكاتب أفغانى يعمل بروفيسراً للأدب الإنجليزى والدراسات المقارنة، يدرس نظرية ما بعد الاستعمار فى جامعة البنجاب بكاندهار. من إصداراته النقدية: العالم بين التاريخ والحقيقة. ورد النص أعلاه ضمن تناول شيلي واليا لمهمة الناقد عند إدوارد سعيد. إذ تحدث عن "النقد بمفهومه المطلق عند إدوارد سعيد، أى نقد كل الأوضاع التى تؤرق المثقف، وهو من أهم سمات إدوارد سعيد، وهو يمارسه باعتباره الوسيلة الأهم لكشف زيف الواقع، خاصة السياسى. والنقد بالنسبة لإدوارد سعيد فعّال متعاطف مع العالم متضمن فى تمثل مساراته ومرتبطة بالفكرة المخفية بأن المثقف عبر عملية المعارضة والروح النقدية... إلخ" كما ورد أعلاه.

إن البحث في موضوع الأستاذ محمود محمد طه (1909 - 1985) هو بحث في فشل مشروع الدولة في السودان، وأزماتها على كافة الأصعدة: أزمة العقل الثقافي السائد وجمود حركة التغيير، ومحنة المثقفين، وعجز القيادات، والفشل في إدارة التعدد الثقافي، وتزوير التاريخ وانباتات الواقع، والفشل في إدارة الحوار الوطني بشأن قضايا الهوية والاتفاق على الثوابت الوطنية، الأمر الذي أدى إلى الفشل في بناء الأمة، وضخامة سجل انتهاكات حقوق الإنسان، ومن ثم حالة التشظى واللا استقرار واللا سلام. وهو كذلك بحث في أزمات إفريقيا: أزمة بناء الدولة والتنمية والقيادات والتحرر. فمع تفاقم الصراعات وتطورها، واستمرار تراكم المظالم وطول غياب الحكم الراشد، اهتدت بعض الجماعات في إفريقيا إلى سيناريو تشظى الوطن كأنجع الحلول وأبسط سبل تحقيق السلام في ظل الاستعمار الفكري، فلقد خرج المستعمر من الأرض، وبقي استعمار العقول. ثم إن البحث في موضوع الأستاذ محمود هو أيضاً، بحث في أزمة الفكر الإسلامي حيث الرفض للتجديد والتطوير، والطمأنينة للقديم والاستكانة للماضي بدلاً عن الانفتاح على المستقبل. وهو بحث كذلك في أزمة الأخلاق في العالم، وأزمة تحقيق السلام على الأرض. لقد تم تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود في صبيحة يوم 18 يناير 1985 في الخرطوم، عاصمة السودان، بإفريقيا، بعد أن حوكم بموجب ما يسمى بقوانين الشريعة الإسلامية. صدر حكم الإعدام ونُفذ في ظل صمت عالمي، وبتحالف إسلامي واسع، بعد أن أثنى الفقهاء والقضاة الشرعيون والمؤسسات الإسلامية التقليدية في السودان ومصر والمملكة العربية السعودية، بردة الأستاذ محمود عن الإسلام. ذلك لأن الأستاذ محمود كما قال حسين العودات: "كان تنويرياً في فكره، رافضاً تخنيط الإسلام في تعاليم ونواميس جامدة"⁽¹⁾.

رفض الأستاذ محمود محمد طه الفهم السائد للإسلام، وطرح في عام 1951 مشروع الفهم الجديد للإسلام، وأتبع طرح المشروع بثورة في التأليف والنشر خاصة في عقد الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ولم يتوقف عن النشر والتأليف حتى تاريخ اغتياله 18 يناير 1985. فمنذ عقد الخمسينيات من القرن الماضي نشر الكتب والمقالات

(1) حسين العودات، المثقف العربي والحاكم، ط 1، دار الساقي، بيروت، 2012، ص 202-203.

والبيانات والمناشير، وسعى للتبليغ لمشروعه عبر المحاضرات والندوات والمناظرات، ليس في العاصمة والمدن الكبرى في السودان فحسب؛ وإنما قدم المحاضرات وأقام الندوات في القرى والمدن في أقاليم السودان.

لما كانت هذه الدراسة تهدف إلى البحث والتقصي في أبعاد مواقف المثقفين من الأستاذ محمود محمد طه ومن مشروعه، الفهم الجديد للإسلام، ومن الحكم عليه بالردة عن الإسلام، ومن ثم اغتياله، وتسعى كذلك إلى دراسة دور بعض المثقفين في تزوير التاريخ من خلال التطبيق على نموذج الأستاذ محمود وسيرته ومشروعه وتاريخ أفكاره. أقف أولاً لتقديم تعريفات لبعض المصطلحات والمفاهيم التي وردت في عنوان هذه الدراسة، لتبين ما أعنيه بها لغرض هذه الدراسة. سأقدم تعريفاً لكلمة "مثقّف" وسأبين ما أعنيه بـ "تزوير التاريخ"، وسأقدم قبل ذلك وباختصار لمحة عن بعض مركات "الفهم الجديد للإسلام" كما عبر عنه صاحبه الأستاذ محمود في كتبه ومقالاته وأحاديثه.

الفهم الجديد للإسلام

الدين لا يتطور، يتطور الإنسان في فهمه له... لابد من تطوير الشريعة لمواجهة تحديات العصر ومطالب الإنسان⁽¹⁾.

محمود محمد طه، في نوفمبر عام 1968

حركتنا لبعث الإسلام ليست اجتهاداً على الإطلاق... ليست، كما هي مألوف العادة، اجتهاد في ما ليس فيه نص، وهي أيضاً، ليست اجتهاد في ما فيه نص؛ وإنما هي فهم جديد للنصوص القديمة المألوفة⁽²⁾.

محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، "بين الدين والشريعة"، (حوار)، صحيفة الأيام، أجرى الحوار بشير محمد سعيد، العدد: 5497، بتاريخ 1968/11/18.

(2) محمود محمد طه، "الحديث الثاني من سلسلة أحاديثنا في بعث الإسلام من جديد"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، منزل الأستاذ محمود، المهديّة، أمدرمان، بتاريخ 27 أغسطس 1977 الموافق 13 رمضان 1397.

إن الدارس لمشروع الأستاذ محمود، يدرك ومنذ الوهلة الأولى أن الأستاذ محمود منذ أن طرح مشروعه، مشروع الفهم الجديد للإسلام، المذهبية الإسلامية الجديدة، ودعا للبعث الإسلامى فى أكتوبر عام 1951، التزم مبدأ المواجهة فى الإعلان والتبليغ عن مشروعه، وكان حريصاً على استخدام أدوات المثقف، وعلى توظيف سبل الحداثة. ومنذ الوهلة الأولى كذلك يدرك الدارس أن الأستاذ محمود كان حريصاً أشد ما يكون الحرص على الالتزام الصارم بالتوثيق لكل ما يكتب ويقول. لقد أتبع الأستاذ محمود طرح مشروعه بحركة تأليف واسعة ومستمرة، فكانت أمراً جديداً وقتئذ فى السودان، وربما العالم الثالث. فأصدر الكتب ونشر المقالات ووزع البيانات والمناشير وأقام المحاضرات وعقد الندوات. يقول الأستاذ محمود: "الدعوة للفكرة الإسلامية الجديدة/ الفهم الجديد للإسلام، ليكون هو منهاج تربية الأعضاء ومنهاج لف الجمهور حول الفكرة.. بس الدعوة للمسألة دى.. بعدين كل حادث سياسى يكون عندنا فيه رأى سياسى فى مستواه، يعمل فى منشور، يعمل فى صحيفة، نحاضر، كنا بنحاضر كثير، وكنا بتتكلم من منبر الجامعة ومن المدارس الثانوية العليا وكدة باستمرار.. الخط السياسى الأخذناه هو نشر الوعى بالفكر الإسلامى الجديد.. ليلتفوا الناس حوله ويتربوا"⁽¹⁾. كذلك تضمنت كتب الأستاذ محمود، كما هى واردة فى قائمة المصادر والمراجع، شرحاً وافياً وكافياً لمشروعه. بيد أنى أقدم هنا وباختصار بعض الملامح والمرتكزات لمشروع الفهم الجديد للإسلام. فمن خلال رحلة بحثى فى سيرة الأستاذ محمود ومشروعه وجدت أن من أهم مرتكزات الفهم الجديد للإسلام عند الأستاذ محمود الحرية والاستقلالية كشابطين أساسيين فى حياة الإنسان، والتحرير والتغيير، إلى جانب التطوير الذى هو أهم ثوابت الفهم الجديد للإسلام عند الأستاذ محمود.

اتسم مشروع الفهم الجديد للإسلام للأستاذ محمود بالأصالة والجدة والشمول. فقد تحدث الأستاذ محمود باكراً حينما أصدر عام 1952 كتابه: **قل هذه سبيلى**، عن الحضارة

(1) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الأفريقية والأسبوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، السبت 22 نوفمبر 1975 يوافق 18 ذو القعدة 1395، المهدي، الحارة الأولى، أمدرمان، من موقع الفكرة الجمهورية، محاضرات، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 27 أكتوبر 2011، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

الغربية واغتراب الإنسان، وقصور الفلسفات المعاصرة، والكتلة الثالثة "الاشتراكية والديمقراطية معاً" ... إلخ^(١). وحينما أصدر كتابه: الإسلام، فى عام 1960، وصفه قائلاً: "فيه كل ما نريد أن نقول عن الإسلام، فلم يبق أمر مستأنف، إلا أن يكون زيادة شرح، وزيادة توسيع لما جاء فيه موجزاً^(٢). وعندما أصدر الأستاذ محمود فى عام 1966 الكتاب الأم لمشروع الفهم الجديد للإسلام، وجاء بعنوان: الرسالة الثانية من الإسلام. وعن محوره والأصل فيه، يقول الأستاذ محمود: "فالأصل فى الرسالة الثانية الحيوية، والتطور، والتجدد، وعلى السالك فى مراقبها أن يجدد حياة فكره، وحياة شعوره كل يوم، بل كل لحظة، من كل يوم، وكل ليلة.. مثله الأعلى فى ذلك قول الله تبارك وتعالى فى شأن نفسه (كل يوم هو فى شأن) ثم هو (لا يشغله شأن عن شأن)^(٣). أقيم له مهرجان فى الخرطوم دارت فيه المحاضرات والندوات. ووجهت الدعوات من أجل المهرجان إلى المثقفين ولرجال الدين ولأساتذة جامعة أمدرمان الإسلامية، وشملت الدعوات رجال الشؤون الدينية والمشايخ^(٤). استمر المهرجان أسبوعاً شرح فيه الأستاذ محمود شرحاً وافياً معنى الرسالة الثانية من الإسلام ومعنى الأصول والفروع ومعنى الشريعة والسنة؛ وهى المرتكزات الأساسية لدعوته كما بين الضرورة الملحة لتطوير التشريع الإسلامى ليواكب العصر ويحل مشكلة الإنسان المعاصر. يقول الأستاذ محمود:

من الخطأ الشنيع أن يظن إنسان أن الشريعة الإسلامية فى القرن السابع تصلح، بكل تفاصيلها، للتطبيق فى القرن العشرين، ذلك بأن اختلاف مستوى مجتمع القرن السابع، عن مستوى مجتمع القرن العشرين، أمر لا يقبل المقارنة، ولا يحتاج العارف ليفصل فيه تفصيلاً، وإنما هو يتحدث عن نفسه.. فيصبح الأمر عندنا أمام إحدى خصلتين: إما أن يكون الإسلام، كما جاء به المعصوم بين

(1) محمود محمد طه، قل هذه سبيلي، أمدرمان، 1952، ص 2-5.

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقلم الإسلام، أمدرمان، 1960، مقدمة الطبعة الثانية.

(3) محمود محمد طه، الرسالة الثانية من الإسلام، ط 3، أمدرمان، 1969، ص 202.

(4) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، القاهرة، الشركة العالمية للطباعة والنشر، 2012، ص 110-113.

دفتى المصحف، قادراً على استيعاب طاقات مجتمع القرن العشرين فيتولى توجيهه فى مضمار التشريع، وفى مضمار الأخلاق، وإما أن تكون قدرته قد نفدت، وتوقفت عند حد تنظيم مجتمع القرن السابع، والمجتمعات التى تلتها مما هى مثله، فيكون على بشرية القرن العشرين أن تخرج عنه، وأن تلمس حل مشاكلها فى فلسفات أخريات، وهذا ما لا يقول به مسلم .. ومع ذلك فإن المسلمين غير واعين بضرورة تطوير الشريعة⁽¹⁾.

ثم فصل الأستاذ محمود أمر تطوير التشريع، وبينه وقدم أطروحات عديدة بشأنه. وكتب عن الرسالة الثانية قائلاً: "إن محمداً رسول الرسالة الأولى، وهو رسول الرسالة الثانية.. وهو قد فصل الرسالة الأولى تفصيلاً، وأجمل الرسالة الثانية إجمالاً، ولا يقتضى تفصيلها إلا فهماً جديداً للقرآن"⁽²⁾، وهذا ما بينه الأستاذ محمود فى كتابه: الرسالة الثانية من الإسلام، ويمكن للقارىء أن يرجع إليه. من الأطروحات التى جاءت فى كتاب الرسالة الثانية من الإسلام: الجهاد ليس أصلاً فى الإسلام. و"الأصل فى الإسلام أن كل إنسان حر، إلى أن يظهر، عملياً، عجزه عن التزام واجب الحرية". فالحرية حق يقابله واجب هو حسن التصرف فيها، وكل من يسىء التصرف تصدر حريته بقانون دستورى. والرق ليس أصلاً فى الإسلام، والرأسمالية ليست أصلاً فى الإسلام، وعدم المساواة بين الرجال والنساء ليست أصلاً فى الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نساءه ليس أصلاً فى الإسلام، والطلاق ليس أصلاً فى الإسلام، والحجاب ليس أصلاً فى الإسلام. كما تناول فى كتابه موضوعات أخرى كثيرة منها: المدنية والحضارة، والفرد والكون فى التفكير الفلسفى، والفرد والجماعة فى الإسلام، والحرية الفردية المطلقة، والشريعة فى خدمة الحرية الفردية المطلقة، والفرد والكون فى الإسلام، والإرادة، والقرآن والجبر والاختيار، والقرآن والتسيير، والقضاء والقدر، والمساواة الاقتصادية: الاشتراكية، والمساواة السياسية: الديمقراطية، والمساواة الاجتماعية: محو الطبقات والفوارق.

(1) محمود محمد طه، الرسالة الثانية من الإسلام، ط 1، أمدردان، 1967، ص (الغلاف الخلفى).

(2) المصدر السابق، ص 13-14.

وفي عام 1969 نشر كتاباً بعنوان : الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين⁽¹⁾. وكان قد قدم الكتاب من قبل في محاضرة عامة. وتضمن الكتاب تفصيلاً وتبييناً واضحاً لمقارنته بين مناخ القرن السابع الميلادي وروح العصر وإنسانية القرن العشرين. وحينما أصدر الأستاذ محمود كتابه: تطوير شريعة الأحوال الشخصية، في عام 1971، وصفه قائلاً: "هذا كتاب نخرجه للناس عن تطوير شريعة الأحوال الشخصية، وهو كتاب جديد في بابه، ذلك بأنه يتناول الشريعة السلفية بالتطوير، فيرتفع بها من نص كان عمدتها في القرن السابع، حين نزل القرآن، وشرع التشريع، إلى نص اعتبر يومئذ، مرجأ إلى وقته، لأنه كان أكبر من ذلك الوقت"⁽²⁾. وبين دعوته إلى التطوير بالأخذ بآيات الأصول، قائلاً: "إن الآيات المكية هي آيات الأصول، وأن الآيات المدنية هي آيات الفروع.. وقلنا، أن نزول آيات الأصول قد تواتر خلال ثلاث عشرة سنة، أثناء العهد المكي.. فلم يستجب لها الجاهليون.. فظهر ظهوراً عملياً، أنها أكبر من مستواهم.. فنزل إلى مستواهم، بعد الهجرة إلى المدينة، وبعد افتتاح العهد المدني.. فنزلت آيات الفروع.. واعتبرت صاحبة الوقت، لمناسبتها لمستوى الناس.. ونسخت آيات الفروع، آيات الأصول". وقال: "فآيات الأصول هي قمة الدين.. وكانت تقوم على تقرير كرامة الإنسان -على الحرية- ومن هاهنا كانت آيات إسماع.. ومنعت الإكراه منعاً تاماً.. وهي كثيرة جداً.. ومن أمثالها قوله تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هي أحسن.. إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين".. ومنها: "وقل الحق من ربكم!! فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر".. ومنها قوله: "فذكر!! إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر!!".. وعند نهاية الفترة المكية التى بها ظهر القصور العملى عن شأو آيات الأصول، بدأ عهد التحول، ليجىء التنزيل فى مستوى الأمة يومئذ.. وأول ما بدئ به التحول قوله تعالى: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا.. وإن الله على نصرهم لقدير".. هذا إذن، بعد أن لم يكن إذن بالقتال.. بل بعد أن قد كان نهى عنه.. ثم جاء فى طريق التحول بنقلة أخرى، فقال: "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا.. إن الله لا يحب المعتدين"⁽³⁾.

(1) محمود محمد طه، الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو تطوير شريعة الأحوال الشخصية، أمدرمان، 1971، ص 6.

(3) المصدر السابق، ص 41-44.

لم تكن دعوة الأستاذ محمود لبعث الإسلام اجتهاداً فيما ليس فيه نص أو فيما فيه نص، كما ورد في حديثه أعلاه في صدر هذا المحور. ويبين الأستاذ محمود الأمر قائلاً: "هي ليست اجتهاد لأن الاجتهاد نحت.. وهي في الحقيقة علم مفاض، بفضل الله ثم بفضل التوجه والتوسل بالوسيلة النبوية لمفاتيح القرآن.. حياة النبي هي مفتاح القرآن، والمتوسل بها في تقليدها بإتقان يفتح له في القرآن بفضل الله ثم بفضل هذا العمل وبركات النبي"⁽¹⁾. وعن القاعدة في فهم النصوص وهل النص غاية أم وسيلة، يقول الأستاذ محمود: "فعملنا هذا ما هو اجتهاد لكن فهم للنصوص. القاعدة ما في نص في القرآن أو في الحديث هو غاية في حد ذاته.. النصوص وسائل وكل الوسائل مفضية إلى الإنسان.. الإنسان هو المكرم على جميع الخلائق. وما أرسل الرسل وما أنزل القرآن وشرعت الشريعة إلا من أجل الإنسان. على هذا الأساس دعوتنا قائمة على الرسالة الثانية من الإسلام"⁽²⁾.

أيضاً دعا الأستاذ محمود إلى الثورة والتحرير وإحداث التغيير. ورفض الثورة العنيفة، وقدم بشأنها تنظيراً واسعاً ومفصلاً تضمنه كتابه: **الثورة الثقافية**، الذي صدر عام 1972. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "إن الثورة حين تكون عنيفة، إنما تحمل عناصر فئاتها في عنفها لأنها لا تملك، مع العنف، أن تعتدل،... إن التحول، والتغيير، والثورة، التي تتم عن طريق الإقناع، والفكر، هي التغيير المأمون العواقب، الثابت، الذي يطرد كل حين ولا ينتكس.. ولكن محاولة مثل هذه الثورة الفكرية السلمية، إنما هي محاولة مكتوب عليها الفشل، إذا جاءت في غير أوانها". وعندما طرح الثورة الثقافية، بين المقصود منها بتفصيل واف، فهو يقول: "الثورة الثقافية" هي النتيجة المباشرة "للثورة الفكرية". الثورة الثقافية هي نقطة إلتقاء الفكر بالواقع.. والمقصود هنا بالطبع هو الفكر "الشائر". فإذا التقى الفكر الشائر بالواقع فإن التغيير هو دائماً النتيجة.. ولا يمكن إلا أن يكون التغيير سريعاً، ومع ذلك، فإنه يجب أن يكون تغييراً بغير عنف.. "فالثورة الثقافية"، على هذا هي التغيير السريع للأحسن، من غير عنف.. هي تملك "سرعة" الثورة، وتبرأ من "عنف" الثورة.. فالثورة

(1) محمود محمد طه، "الحديث الثاني من سلسلة أحاديثنا في بعث الإسلام من جديد"، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

الثقافية، بإيجاز، هي علم، وعمل بمقتضى العلم .. وهذا ما به يحصل التغيير⁽¹⁾. وعن الفكر الناثر وتغيير الواقع ومن أين يبدأ؟ كتب الأستاذ محمود قائلًا: "ولما كان الفكر الناثر هو الذى يحدث الثورة الثقافية. يحدث تغيير الواقع بصورة سلمية، وثورية فى آن معاً. ولما كان الفكر الثورى فكراً دقيقاً، وأصيلاً، ونفاذاً، وسليماً، فإن تغييره للواقع لا بد أن يبدأ من داخل النفس البشرية"⁽²⁾.. ثم ينتقل للأفراد المدعويين وتنسج الدائرة حتى تبعث القاعدة (قاعدة الشعب أى شعب) لتتحرك لتحدث هذا التغيير، ثم علل لماذا تكون بداية التغيير من الداخل؟ قائلًا: "ذلك بأن أى تغيير يقتصر على الخارج. على البيئة البشرية، والبيئة الطبيعية - أعنى: المجتمع، الطبيعة، لا يكون تغييراً سليماً، ولا مستقيماً، ذلك بأن التغيير الخارجى، إنما هو صورة للداخل، أعنى للنفس البشرية، فإذا كانت النفس خربة بالأحقاد، والضغائن، والعداوات الرعناء، فى كلمة واحدة، بالجهل، فإن هذا الخراب يطبع بطابعه التغيير الذى يجرى فى المجتمع وفى البيئة"⁽³⁾.

تناول الأستاذ محمود قضايا عديدة منها: قضية الدستور الإسلامى، ونشأة القانون، وتحدث عن الحرية الفردية، فى الإسلام، "فى مستويين: الحرية النسبية، وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، وأن يقول كما يفكر، وأن يعمل كما يقول، على شرط أن يتحمل مسئولية قوله، وعمله، أمام القانون الدستورى"⁽⁴⁾. والحرية المطلقة "وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، على شرط أن يكون فكره، وقوله، وعمله، براً، وخيراً، بالأشياء، والأحياء.. والقانون الدستورى، هو الذى حين يطبق، يحقق، فى آن معاً، حاجة الفرد، وحاجة الجماعة.. فلا هو يضحي بالفرد لمصلحة الجماعة، ولا هو يضحي بمصلحة الجماعة فى سبيل الفرد"⁽⁵⁾.

لقد دعا الأستاذ محمود إلى التغيير والتحرير والتطوير وبين الطريق والسبيل إلى ذلك

(1) محمود محمد طه، الثورة الثقافية، أمدردمان، 1972، ص 30.

(2) المصدر السابق، ص 30.

(3) المصدر السابق، ص 30.

(4) محمود محمد طه، الديباجة، 30 أكتوبر 1984 (آخر نص كتبه الأستاذ محمود فى داخل المعتقل)، ص 23.

(5) المصدر السابق، ص 23.

بحجج وبراهين وأدلة قوية وساطعة وأطروحات واضحة. وما أوردته هنا ليس سوى إشارات مختصرة وملامح موجزة عن متركزات الفهم الجديد للإسلام عند الأستاذ محمود. ويمكن للقارئ الكريم الاطلاع على طرح الأستاذ محمود كما جاء فى كتبه وهى مثبتة فى قائمة المصادر والمراجع.

تزوير التاريخ

لا تقدم هذه الدراسة تناولاً لنظريات علم التاريخ ومناهجه ومدارسه واتجاهاته ومصادر وطرق كتابته وفلسفته، ولا تتبع تطور كتابته وتطور مفهومه. غير أنها تسعى عبر النقد إلى المساهمة فى تقديم نموذج تطبيقي لتزوير التاريخ، قام به حملة الأقلام، وموجهو الرأى العام، ومكيفون مناخ الوعى، والقائمون على أمر الخدمة التنويرية من المثقفين خلال تقديمهم لمغالطة الحقائق وتشويه الوقائع وطمس الأحداث بشأن الأستاذ محمود ومشروعه وسيرته. إن التاريخ فى المجتمعات التعددية، خاصة فى السودان، لحقه تزوير كثير، كما ورد آنفاً فى حديث محمد عمر بشير فى صدر هذا الكتاب. فهناك تزوير قد حدث للتاريخ لتحقيق أغراض عديدة. إننى أسعى فى هذا الكتاب إلى إثبات ما تم من تزوير لتاريخ الأستاذ محمود وسيرته ومشروعه. وأعنى بالتزوير: التشويه عبر البتر الذى تم لنصوص الأستاذ محمود التى كتبها أو قالها، والتشويه لكتابات وأقواله والتشويه لسيرته، وعدم الصدق وضعف التحرر من الذين نقدوه من خلال تقديم الغرض على الوثيقة. وكذلك السعى لتنميط صورة الأستاذ محمود، والإهمال والتغيب والطمس لدور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية السودانية ونضاله ضد الاستعمار من قبل المؤرخين، والكتاب، إلى جانب تجاهل الأكاديمية السودانية لإسهاماته الفكرية ودوره فى التحولات والتغيير.

إن إعمال الحس النقدي فى دراسة التاريخ يخدم تمهيد الطريق نحو «ما بعد التاريخ المعلن». إن التاريخ المعلن فى السودان، لا يخدم التعايش وتحقيق الوحدة وبناء السلام. فالنقد عبر استنطاق الوثيقة وإعادة القراءة للوقائع والأحداث يمثل أهم خطوات التغيير لغربلة الموروث وتصحيح المسارات.

المثقف

الإنسان الذي لديه المؤهلات الثقافية ويحافظ على كفاءته الفكرية وقدراته التحليلية وتماسكه الأخلاقي على الرغم من السجن والمنفى والاضطهاد هو مثقف يستحق الاحترام⁽¹⁾.

عزى بشارة

إن استخدام مفردة مثقف بمفهومها ودلالاتها وحمولات معانيها في الخطاب المعاصر، استخدام حديث. يقول محمد عابد الجابري (1936-2010): "إن مقولة 'المثقفين' مقولة حديثة، لا يكاد يرجع تاريخ استعمالها في اللغة العربية إلى أزيد من نصف قرن، وفي اللغات الأوروبية إلى أكثر من قرن- على الأقل بالمعنى الذي تحمله في خطابنا المعاصر"⁽²⁾. لم يكن لفظ المثقف بالعربية مشتقاً من مرحلة العصور الإسلامية الماضية وتاريخ العلماء والفقهاء في الإسلام، كما يرى عزى بشارة، برغم أن لفظ ثقّف موجود في قواميس اللغة⁽³⁾ ليس بمعنى أوسع أو قبض فحسب، بل في المجال الدلالي لمعناه المعاصر أيضاً، إلا أنه لم يؤد إلى استخدام مفردة مثقف في العصور الإسلامية الماضية. ويضيف عزى بشارة قائلاً: "بل هو مترجم في عصرنا.. المصطلح مترجم من القرن التاسع عشر الأوروبي، وبالتحديد من مصطلحات مثل intellectual و scholar و literati"⁽⁴⁾. استعرض إدوارد سعيد (1935-2002) في كتابه: **المثقف والسلطة**، أشهر تعريفين للمثقف أو المفكر، وأشار إلى أنهما يتسمان بالتعارض الأساسي في النظر لفئة المثقفين من حيث الكثرة والقلة والانتقاء. كتب إدوارد سعيد عن التعريفين قائلاً: "وهما من أشهر تعريفات القرن العشرين، فأنطونيو جرامشي،

(1) عزى بشارة، "عن المثقف والثورة"، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، العدد 4، المجلد الأول، ربيع 2013، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص 128-129.

(2) محمد عابد الجابري، "المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية: حفريات استكشافية"، **المثقف العربي: همومه وعطائه**، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 19؛ حسين العودات، مرجع سابق، ص 46.

(3) يقول ابن منظور: ثقّف: ثقّف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة: حدّقه. والثقاف: ما تُسوى به الرماح وتثقيفها: تُسويها. ثقّف الشيء وهو سرعه التعلم. ثقّف الشيء حدّقه، وثقّفته إذا ظفّرت به. المصدر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حبة الأنصاري الإفريقي، **معجم لسان العرب في اللغة**، دار صادر، بيروت، 1968، مادة (ثقّف).

(4) عزى بشارة، "عن المثقف والثورة"، مرجع سابق، ص 128-129.

المناضل الماركسى الإيطالى، والصحفى والفيلسوف السياسى النابه الذى سجنه موسولبنى من عام 1926 إلى 1937، يكتب فيما كتب فى مذكرات السجن قائلاً: "إن جميع الناس مفكرون، ومن ثم نستطيع أن نقول: ولكن وظيفة المثقف أو المفكر فى المجتمع لا يقوم بها كل الناس"⁽¹⁾. وعن التعريف الثانى يقول إدوارد سعيد: "وفى الطرف الآخر نجد التعريف الأشهر والمحتفى به الذى وضعه جوليان بندا للمثقفين باعتبارهم عصابة ضئيلة من الملوك الفلاسفة من ذوى المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية"⁽²⁾.

معلوم أن هناك أطروحات عديدة حول مفهوم المثقف والمهام المنوطة به. كانت ندوة: "المستقبل العربى: المثقف العربى ومهامه الراهنة"⁽³⁾ التى عقدت عام 1983، قد تبلور فيها تحديد لمهام ثلاث تتفاعل فيما بينها لتكوين الدور الواجب للمثقف، وهى: إنتاج المعرفة العميقة، لوصف الواقع وتفسيره، وتعيين الرؤية الصافية لطريق النهوض، أساساً نظرياً للتغيير، ونشر الوعي بالمعرفة والرؤية، مساهمة فى التغيير. ويرى محمد عابد الجابرى: أن مفهوم المثقف بالمعنى العام السوسولوجى للكلمة قد اتسع ليشمل جميع الذين يشتغلون بالثقافة، إبداعاً وتوزيعاً وتنشيطاً، الثقافة بوصفها عالماً من الرموز يشمل الفن والعلم والدين، والذين يمكن التمييز فيهم بين نواة تتكون من المبدعين والمنتجين من علماء وفنانين وفلاسفة وكتّاب وبعض الصحفيين... يحيط بها أولئك الذين يقومون بنشر ما ينتجه هؤلاء المبدعون، مثل الممارسين لمختلف الفنون ومعظم المعلمين والأساتذة والصحفيين، يليهم ويحيط بهم جماعة تعمل على تطبيق الثقافة من خلال المهنة التى يمارسونها مثل الأطباء والمحامين⁽⁴⁾. والمثقف عند نصر حامد أبو زيد هو: "الإنسان المنخرط -بطريقة أو بأخرى- فى عملية إنتاج الوعي"⁽⁵⁾. بينما يرى برهان غليون: أن مساهمة المثقفين تتوزع فى عملية

(1) إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة محمد عنانى، ط 1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 32.

(2) المرجع السابق، ص 34-35.

(3) ندوة "المستقبل العربى: المثقف والسلطة ومهامه الراهنة"، المستقبل العربى، السنة 6، العدد 51 (آيار/ مايو 1983)، ص 110-130؛ ندوة: "المستقبل العربى: المثقف والسلطة فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربى، القاهرة، 24-25 سبتمبر 1984.

(4) محمد عابد الجابرى، مرجع سابق، ص 46.

(5) نصر حامد أبو زيد فى كتابه: الخطاب والتأويل، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، 2000، ص 15.

إنتاج الحقيقة الاجتماعية كحقيقة مدنية وعامة على مهام عديدة تتعلق بتكوين الوعي وإنتاج الثقافة والعقيدة أو العقائد المتنافسة. لكن الإضافة الأساسية التي تجعل من المثقفين طرفاً في السلطة تنجسد في الدور التوسطي الذي يقومون به على مستويات وفي ميادين متعددة⁽¹⁾. في حين نظر هادي العلوي في المطابقة بين المثقف والعالم، فكتب قائلاً⁽²⁾: المطابقة بين المثقف والعالم نعثر عليها في نصوص ذات طبيعة خاصة ترتبط غالباً بأوساط المعارضة أو بالاتجاهات النقدية في المجتمع. لنقرأ هذين النصين من نهج البلاغة:

1- أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كِظة ظالم ولا سغب مظلوم. "يقاروا: يقرأوا ويسكتوا. كِظة: تخمة".

2- قوله في تصنيف الناس بحسب حظوظهم من العلم: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق".

وعن مهام المثقف كتب إدوارد سعيد قائلاً: "ومن المهام المنوطة بالمثقف أو المفكر أن يحاول تحطيم قوالب الأنماط الثابتة والتعميمات "الاختزالية" التي تفرض قيوداً شديدة على الفكر الإنساني وعلى التواصل ما بين البشر"⁽³⁾.

المثقف عند الأستاذ محمود

لقد جسد الأستاذ الشهيد تحدياً فكرياً وأخلاقياً لكل التاجرين بالسعار الإسلامي، ولكل المنحازين لمعسكر السلطان من رجال دين ومثقفين، حكم عليه بالردة في نوفمبر عام 1968، ثم استدعى الحكم مرة أخرى ليصبح المسوغ لحكم الإعدام الذي تم تنفيذه في 18 يناير 1985⁽⁴⁾.

علاء الديب

(1) برهان غليون، "تهميش المثقفين ومسألة بناء النخبة القيادية"، المثقف العربي: همومه وعطاؤه، مرجع سابق، ص 19.

(2) هادي العلوي، الفكر العربي - الإسلامى وضرورة التجديد المنهجى، دار بدايات، دمشق، سوريا، 2008، ص 63.

(3) إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، مرجع سابق، ص 19.

(4) علاء الديب، "إعدام رجل يفكر"، جريدة المصرى اليوم، القاهرة، الأحد 2013/2/17.

المثقف عند الأستاذ محمود، هو ذلك الذى يجسد وحدة الفكر والقول والعمل، ويتصل مفهوم المثقف عنده بالأخلاق والاستقامة وتحمل المسؤولية حيث المثقف الحر، يقول الأستاذ محمود: لقد كان العرب يعرفون الرجل المثقف بأنه هو الذى يملك محصولاً كبيراً من معرفة تاريخ العرب، وأنسابهم، وعاداتهم، وأشعارهم.. ثم جاء وقت قريب اعتبر فيه المثقف هو الذى يستطيع أن يفهم حين يقرأ الكتاب العلمى، أو المجلة العلمية، والكتاب الفنى أو المجلة الفنية.. ومهما يكن من الأمر فإننا نعيش الآن فى عهد ازدهار العلوم، والفنون، والفلسفات البشرية.. وتخرج المطبعة لنا عشرات الآلاف من الكتب الجديدة، فى صنوف المعارف، كل يوم.. ويعتبر الرجل المثقف عندنا هو الذى يتابع حركة التأليف، والنشر، فى الكتب والمجلات، التى تسير آخر تطور العلوم، والفنون، ثم يكون له فى كل مسألة، من هذه المسائل، رأى عتيد⁽¹⁾. وآفة الثقافة، بهذا المدلول، (والكلام ما يزال للأستاذ محمود) إنما هى أن المثقف قد يحمل شذرات كثيرة من المعارف من غير أن تتأثر بها أخلاقه، تأثيراً كبيراً، ومن غير أن يتحرر بها فكره، تحريراً كبيراً.. ثم أن الثقافة، حتى بهذا المدلول الموسوم بالسطحية، أصبحت تتعرض اليوم لآفة التخصص، الذى هو سمة العصر الحاضر.. ذلك بأن كثرة العلوم، وتشعبها فى كل فن من فنونها، قد أصبحت تستحوذ على نشاط العلماء كله". ثم يضيف الأستاذ محمود قائلاً: "فأنت، من أجل التجويد فى الإنتاج، لا بد لك من أن توقف نشاطك العلمى كله على فرع معين من فروع العلوم، تتخصص فيه، ولا تتعداه لغيره.. وأخذت آفات التخصص تظهر، وتلك هى النظرة الجانبية، التى تتوفر على شئ واحد، يستغرقها، وتحاول إستغراقه، حتى يصبح الإنسان وكأنه آلة مصممة على إنتاج صنف واحد فى صناعة واحدة.."⁽²⁾. ثم يستدعى الأستاذ محمود الجذر اللغوى لكلمة مثقف، يقول الأستاذ محمود:

"جاء فى "المنجد" فى اللغة قوله "ثقف الرمح: قومه، وسواه... وثقف الولد فتثقف: هذب، وعلمه، فتهذب وعلم.. فهو مثقف، وهى مثقفة.. وهذا مستعار من ثقف الرمح.. والثقاف آلة تثقف بها الرماح" قال شاعرهم⁽³⁾:

(1) محمود محمد طه، الثورة الثقافية، مصدر سابق، ص 30-31.

(2) المصدر السابق، ص 30-31.

(3) المصدر السابق، ص 31.

إننا إذا عض الشفاف برأس صعدتنا لوينا * نحمل حقيقتنا وبعض الناس يسقط بين يينا . والصعدة هي قناة الرمح .. فإذا قطعت من شجرتها وبها إعوجاج ثقفت بالشفاف، لتكون مستوية، ومستقيمة .. فإذا استوت، واستقامت فهي قناة مثقفة .. وأراد الشاعر بقوله: إننا إذا عض الشفاف برأس صعدتنا لوينا .. أنه هو وقومه شديدو المراس، لا يلينون لتقويم المقومين، لأن في خلقهم، وعورة، وإياء .. وأبان هذا حين قال: نحمل حقيقتنا وبعض الناس يسقط بين يينا" (1).

ويضيف الأستاذ محمود قائلًا: "فكلمة "الثقافة" في اللغة العربية كلمة طيبة جداً، ذلك بأنها تشير إلى التقويم، والتهذيب .. وهذا أمر يشير إلى الأخلاق .. فلكن "الثقافة" في اللغة العربية هي "الثقافة" في الدين الإسلامي، "التقويم" و"التهذيب"، فإنه، في الإسلام، قد قال المعصوم: "الدين المعاملة" وقال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" .. ومكارم الأخلاق هي: حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة .. والحرية الفردية المطلقة هي حظ الرجل، ذي الفكر الثائر .. الرجل الذي يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول .. ثم يتحمل مسؤولية قوله وعمله، وفق قانون دستوري .. وعن حسن التصرف يقول الأستاذ محمود: "وحسن التصرف في الحرية، إذا كانت في قاعدتها الحرية المقيدة بالقانون، أو في قمتها، الحرية المقيدة بالأخلاق، لا يتأتى إلا إذا تهذب الداخل، واستقام، فسلم القلب من مدام الأخلاق، وصفا العقل من أضرار الأباطيل، والخرافات .. هذه هي الثقافة .. سلامة القلب، وصفاء الفكر .. وإنما يتم ذلك بتثقيف الباطن .. ومن الممتع حقاً أن نلاحظ أن القامة البشرية تشبه صعدة الرمح - قناة الرمح - هي تشبهها في ظاهرها، وفي باطنها، في ظاهرها "الجسم"، وفي باطنها "النفس"، ولذلك فإن العرب تقول: فلان صلب القناة، يريدون أنه صعب المراس، قوى الشكيمة، شديد الأسر" (2).

يقول الأستاذ محمود: الرجال عندنا ثلاثة: الرجل الذي لا يقول، ولا يعمل، لأنه يخاف من مسؤولية قوله، وعمله، وهذا هو العبد .. والرجل الذي يحب أن يقول، وأن

(1) المصدر السابق، ص 32.

(2) المصدر السابق، ص 32-33.

يعمل، ولكنه يحاول أن يهرب تحت الظلام، فلا يواجه مسئولية قوله، ولا عمله.. وهذا هو الفوضوى.. والرجل الذى يحب أن يفكر، وأن يقول، وأن يعمل، وهو مستعد دائماً لتحمل مسئولية قوله، وعمله.. وهذا هو الرجل الحر"⁽¹⁾. وعن الرجل الحر يقول الأستاذ محمود: "الرجل الحر هو الثمرة الطيبة للثورة الفكرية، وللثورة الثقافية.. وهو الابن الشرعى للمجتمع الكامل... المجتمع أكبر إختراع إختراعه الإنسان.. بيد أن مخترعه مجهول، ووقت اختراعه أيضاً مجهول.. وذلك لأنه إنما نشأ بغير عمل إرادى موجه لإنشائه.. ونشأ فى الماضى السحيق الممعن فى السحق.. هو فى نشأته أقرب إلى العمل التلقائى العفوى، منه على العمل المرسوم الموجه"⁽²⁾. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "ولكن الذكاء البشرى قد أخذ يتدخل فى توجيهه منذ زمن قريب.. فقد جاء كبار الرجال، وطلّاع أحرار البشرية، دائماً بأفكار التغيير.. فأثروا فى تفكير، وأخلاق، أفراد المجتمعات.. وأحدثوا، من ثم، من تغيير الأفراد، تغييراً كبيراً واسعاً، وشاملاً فى المجتمعات.. وما نعرف، فى التاريخ المعاصر، ولا فى التاريخ القديم، تغييراً هو فى سرعة، وعمق، وشمول، التغيير الذى جرى للمجتمع الجاهلى، فى الجزيرة العربية، فى القرن السابع، على يدى رسول الإسلام"⁽³⁾.

إن الأطروحات بشأن تعريف المثقف لغوياً ومفهوماً وتاريخياً، وبشأن مهامه ودوره، أطروحات عديدة وقد مرت بتطورات، ولا تزال فى تطور. فهناك "المثقف" و"الإنتلجنسى" و"المثقف العضوى" و"المثقف العمومى" و"المثقف الكونى"... إلخ. بيد أن المثقف عند الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، فوق وحدة الفكر والقول والعمل، وشروط الأخلاق والاستقامة وتحمل المسئولية يكون فى مواجهة الامتحان الأكبر امتحان تجسيد المعارف والأقوال. فالمثقف الحر عنده لا يكتمل تعريفه ودوره إلا بتجسيد المعارف. وقد تجلّى هذا قولاً وعملاً عند الأستاذ محمود يوم أن نعى نفسه لتلاميذه وللحاضرين فى مساء الرابع من يناير عام 1985 قبل تنفيذ حكم الإعدام عليه بأسبوعين. قال سعيد الطيب شايب، وهو

(1) المصدر السابق، ص 32-33.

(2) المصدر السابق، ص 32-33.

(3) المصدر السابق، ص 32-34.

من أبكار⁽¹⁾ تلاميذ الأستاذ محمود، عن الأستاذ محمود: "ونعى نفسه لتلاميذه وللحاضرين في الليلة السابقة لاعتقاله الأخير، حيث تحدث في ختام مؤتمر احتفاله بعيد الاستقلال وفي الطريق العام عن ضرورة الفداء للشعب"⁽²⁾. في ذلك اليوم قال الأستاذ محمود لتلاميذه وللحاضرين: "جاء الوقت لتجسيد معارفنا"⁽³⁾. ليس هناك على المثقف أو المفكر أصعب من تجسيد معارفه وأقواله. كتب إدوارد سعيد في كتابه: السلطة والمثقف، والذي صدر في طبعته الأولى عام 1994، قائلاً: "أصعب جانب من جوانب حياة المثقف أو المفكر هو تجسيد ما يقوله في عمله وتدخلاته"⁽⁴⁾.

الشاهد أنني أعرف المثقف، نسجاً مما ورد أعلاه، ولغرض هذه الدراسة بأنه هو الإنسان الحامل للمعرفة أو منتجها أو ناشرها، والمساهم في مجمل الحركة الاجتماعية وتكييف الرأي العام، بورع علمي ومعياري أخلاقي. يدخل في هذا الأكاديمي والمؤرخ والسياسي والطبيب والاعلامي والفقيه والوعاظ وإمام المسجد والقاضي والمحامي وشيخ القبيلة وشيخ الطريقة... إلخ.

إن الأستاذ محمود محمد طه حينما طرح مشروعه، مشروع الفهم الجديد للإسلام، في النصف الثاني من القرن العشرين، كان أول المعارضين عليه وأول الذين دشّنوا حملة العداوة والتشويه والتزوير لمشروعه ولسيرته هم الفقهاء والوعاظ... إلخ من رجال الدين.

(1) يقول ابن منظور: الأَبْكَارُ: التي يتعجّل إدراك ثمرها في أول النخل، مأخوذ من الباكورة من الفاكهة، وهي التي تتقدّم كل شيء. المصدر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن جبلة الأنصاري الإفريقي، معجم لسان العرب في اللغة، دار صادر، بيروت، 1968، مادة أبكار.

(2) سعيد الطيب شايب، "حوار مع الأستاذ سعيد شايب عن الفكر الجمهوري"، أجرى الحوار: عيدروس عبدالعزيز، صحيفة الأيام، 6 يناير 1986 الموافق 25 ربيع الثاني 1406، نص الحوار منشور في موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: www.alfikra.org

(3) محمود محمد طه، "ختام المؤتمر الذي أقيم بمناسبة عيد الاستقلال في مساء الجمعة يوم 1985/1/4"، (مخطوطة)، تتكون المخطوطة من ثلاث صفحات، وقد ختمت المخطوطة بقول الأستاذ محمود: "بالصورة دي يكون ختام مؤتمرنا". حصلت على نسخة من المخطوطة من أسماء محمود محمد مقابلة في الخرطوم 2011/7/9، الساعة 18:00.

(4) إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، مرجع سابق، ص 197.

الفقهاء والكسل العقلى وعدم الصدق

نحن لا نلوم الفقهاء على عدم الفهم، ولكننا نلومهم على عدم الصدق⁽¹⁾.

محمود محمد طه

استهل الفقهاء والقضاة الشرعيون والمشايع النقد للأستاذ محمود. كان ذلك فى عام 1957 انطلاقاً من المعهد العلمى بأمدردمان "أزهر السودان"، جامعة أمدردمان الإسلامية لاحقاً، ومن هيئة علماء السودان لاحقاً. من واقع ما أطلعت عليه، وما وقفت عليه من كتابات كتبها الفقهاء والعلماء والقضاة الشرعيون من كتب ومقالات، إلى جانب ما نشرته هيئاتهم، من بيانات فى معارضة الأستاذ محمود، ومن واقع ما أطلعت عليه، فإننى أزمع أن الأستاذ محمود لم يواجه نقداً إلا من معارضين يعبرون عن اختلافاتهم بالعاطفة وعدم الصدق فى المعارضة. فقد انبروا للكتابة ضده وتكشف كتاباتهم عن أنهم لم يقرأوه، بل زوروا ما قاله وما كتبه بترأً وتحريفاً. لقد طرح الأستاذ محمود مشروعاً كوكبياً للتغيير، واستخدم فى التبليغ والدفاع عنه أدوات المثقف: المقال والكتاب والمنشور والبيان... إلخ وسبل الحداثة، والمنطق والعلم والعقل والعقلانية ولم يستخدم الوعظ أو العاطفة الدينية. فى المقابل واجه فقهاء يأخذون بالوعظ وتوظيف العاطفة الدينية، وكانوا من خلال ما وقفت عليه من كتاباتهم، خفيضى السقف المعرفى، لا يأبهون بالأخلاق والورع فى نقدهم للأستاذ محمود، وينقصهم الصدق فى التعبير عن مواقفهم. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "إننا بالتجربة الطويلة فى ممارسة حمل الدعوة، لم نجد خصومنا فى الرأى يعارضون محتوى ما نقول.. على النقيض من ذلك هم يعارضون آراءً توهموا أننا قد قلناها، ولو أنهم قد استأنوا قليلاً لكان لهم موقف آخر، فإن علم الله واسع، وإن كلماته لا تنفذ"⁽²⁾. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "إن فى هذا الكتيب الموجز فرصة جديدة لسمعوا منا،

(1) محمود محمد طه، بيننا وبين محكمة الردة، السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة، ط ١، شركة الطابع السودانى، الخرطوم، 1968، ص (خاتمة).

(2) محمود محمد طه، من دقائق حقائق الدين، ط 2، أمدردمان، 1976، ص 2-3.

بعد أن ظلوا.. طول وقتهم يسمعون عنا.. ولقد انكرنا عليهم هذا الوضع فى عديد المناسبات، ونحن إذ نجدد الدعوة الآن بهذا القول اللين، فأننا نطمح ان هذا يجعلهم يتقون، أو يحدث لهم ذكراً.. هذا.. وعند الله نلتمس العون أولاً، وآخر⁽¹⁾. كانت الدراسات التى أعدها هؤلاء تفتقر للأسس العلمية، والمعايير الأخلاقية. قدمت نماذج عديدة من هذه الدراسات بعضها كتب ومقالات وبعضها الآخر رسائل جامعية، كان قد أعدها مشايخ المعهد العلمى بأمدردمان والفقهاء والقضاة الشرعيون من السودان، ومنهم من هو من مصر. وكانت كتاباتهم وبياناتهم تضج بعدم الصدق. كان أوضح نماذج عدم الصدق بيانات علماء السودان، وكتابات الشيخ محمد نجيب المطيعى، وهو مصرى الجنسية، وعمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدردمان الإسلامية. نشر المطيعى مقالاً بعنوان: "النبأ الأثيم أو الهوس اللادينى الذميم"، وكتاباً بعنوان: حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة.

كان من أبشع نماذج الدراسات الجامعية العليا التى قدمتها فى متن هذا الكتاب، أطروحة دكتوراة بعنوان: فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها. قدم الأطروحة الطالب آنئذ شوقى بشير عبدالمجيد لنيل درجة الدكتوراة فى العقيدة، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، وهو مبتعث من جامعة أمدردمان الإسلامية إلى جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية. حينما درست هذه الأطروحة، وتكاد تكون هى من أوائل الدراسات الجامعية التى أعدت فى نقد الأستاذ محمود والإخوان الجمهوريين، لم تكن هذه الأطروحة فاقدة للأسس العلمية فحسب؛ وإنما كانت تضج بالجهل والسذاجة والعبث. كانت المعلومات فيها غير دقيقة وبعضها غير صحيح البتة ليس على مستوى الفكرة الجمهورية والأستاذ محمود فقط، بل على مستوى تاريخ السودان ومساره السياسى. لقد أحاط الجهل بأول مائة صفحة منها، للحد الذى يصعب على قارئ مطلع ملم -دعك من متخصص- أن يكمل قراءتها. وللأسف فقد اعتمدت على هذه الأطروحة

(1) المصدر السابق، ص 2-3.

العديد من المؤسسات فى تصميم مناهجها الدراسية، وأخذت الكثير من الدراسات بما جاء فيها باعتبارها أهم المراجع عن الفكرة الجمهورية. ومثل هذه الأطروحة لا تزيد الناس إلا ظلاماً ولا تزيد الأرض إلا إظلاماً وظلماً. الأمر الذى يعكس مستوى الأكاديميين فى العالم الإسلامى والعربى وفى السودان، ويعكس كذلك مستوى المؤسسات الأكاديمية فى السودان وفى العالمين الإسلامى والعربى. وتكشف هذه الأطروحة بشكل جلى أسباب الإنحطاط والتدهور فى السودان وفى العالمين الإسلامى والعربى. سيجد القارئ الكريم كل ما ذهب إليه مثبتاً ومبرهنأ عنه فى الموضوع الذى تناولت فيه هذه الأطروحة وغيرها من الدراسات ضمن الفصل الثانى: "قراءة فى الدراسات السابقة، مرحلة الفقهاء: تعطيل الطاقات الحيوية وتجميد حركة التغيير والتحرير".

الشراكة فى الاغتيال

إن الأستاذ محمود محمد طه أول مفكر يحاكم ويعدم بسبب أفكاره فى عصرنا الحديث، لم يحمل سلاحاً ولم يجند جنوداً ولم يمارس إرهاباً، فقط مارس حرته كإنسان- الحرية التى منحها الله لنا جميعاً- فى أن نفكر وأن نطالب بإصلاح ما يمكن إصلاحه من شؤون ديننا ودنيانا (1).

عطيات الأنودى

أزعم فى هذه الدراسة أن اغتيال الأستاذ محمود تم بشراكة واسعة وعبر تحالف إسلامى عريض. فقد مثل الجهل والعقل القديم والانتماء للماضى، حلفاً فى مواجهة الجديد والانتماء للمستقبل. كان قوام التحالف الإسلامى الفقهاء والقضاة الشرعيين والحركات السلفية، والمؤسسات الإسلامية والدوائر الدينية الإسلامية التقليدية التى أفتت بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وتبنت معارضته ورفضت مشروعه، فى السودان، حيث القيادات الحزبية والفكرية الإسلامية التقليدية، وهيئة علماء السودان، والمعهد العلمى بأمدرمان (أزهر السودان). وفى مصر حيث الأزهر وبعض مشايخه وخريجيه. وفى المملكة

(1) عطيات الأنودى، "النص الكامل لمحاكمة وإعدام زعيم إسلامى فى السودان"، القاهرة، يناير 1994، ص 47.

العربية السعودية حيث الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وغيرها من أطراف الحلف. وتزعم الدراسة أيضاً، أن بذابة العداء المنظم ضد الأستاذ محمود، وشرارة الحرب الأولى ضد مشروعه، والتي رمت إلى وصمه بالردة عن الإسلام، لم تنطلق من تفكير ورسم محلي في السودان فقط، بقدر ما كانت شراكة ونتاجاً للنفوذ السياسي الخارجي، خاصة النفوذ المصري الرسمي الذي اعتمد في أدواته على حلفائه المحليين من طلائع المتعلمين، ومباركة الطائفية عبر صمتها، حينما كانت محكمة الردة عام 1968. وتزعم هذه الدراسة كذلك، أن اللجنة العدائية ضد الأستاذ محمود التي وضعها النفوذ السياسي المصري عبر أدوات وحلفائه من طلائع المتعلمين، هي التي أسست للمواقف العدائية اللاحقة من مختلف الأطراف الإسلامية في السودان. فقد صدر الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام مرتين الأولى عام 1968 والثانية عام 1985. وبناء على المحاكمة في المرة الثانية والتي استدعت الحكم الصادر في المرة الأولى يوم 18 نوفمبر 1968، نُفذ الاغتيال في يوم 18 يناير 1985، بدور واضح لرجالات الدولة وأجهزة الأمن والاستخبارات في السودان وفي محيطه الإسلامي، وفي ظل صمت عالمي. من المهم الإشارة، كما ورد بشيء من التفصيل في المتن، إلى أن المحكمة العليا - الدائرة الدستورية في السودان قد نقضت الحكم في حق الأستاذ محمود وأبطلته في يوم 18/11/1986، بموجب القضية نمرة: م/ع/ق/د/1406⁽¹⁾.

ولإثبات صحة زعمي سعت الدراسة إلى استنطاق الوثائق، من خلال التحليل ومقارنة القرائن لتقديم الأدلة والبراهين. فخصصت الدراسة فصلاً لدراسة موقف المعهد العلمي بأمدرمان (أزهر السودان) من الأستاذ محمود، وكذلك فصلاً عن الأستاذ محمود ومصر برئاسة الرئيس جمال عبدالناصر (1918-1970)، ومحاور ضمن الفصل الذي تناول سنوات حكم ثورة مايو (1969-1985) والشراكة في الاغتيال. تناولت المحاور مواقف القوى الإسلامية والقيادات السياسية والفكرية والإسلامية التقليدية في السودان من

(1) للاطلاع على التفاصيل أنظر القضية نمرة م/ع/ق/د/1406/2، أسماء محمود محمد طه وعبداللطيف عمر حسب الله ضد حكومة جمهورية السودان، الموسوعة السودانية للأحكام والسوابق القانونية، العدد 1986، السلطة القضائية <http://www.sjsudan.org>

محكمة الردة الأولى عام 1968، خلال فترة دكتاتورية الفقهاء (1965-1969)، حقبة العيث بالدستور والكبوات الكبرى التى كانت عقب ثورة أكتوبر المجيدة 21 أكتوبر 1965. إلى جانب معالجات جاءت ضمن الفصول الأخرى.

وتزعم هذه الدراسة كذلك، أن قضية الأستاذ محمود بدأت مع أنداده من طلائع المتعلمين، حينما ترسم هو طريق المواجهة والمناطحة والمصادمة للقوى الاستعمارية ولمراكز السلطة فى المجتمع، الدينية والتقليدية، ودعا أنداده إلى السير من أجل تحقيق الاستقلال الحقيقى وإحداث التغيير، إلا أنهم آثروا طريق المهادنة والتسوية والتصالح والتحالف مع القوى التقليدية والاستعمارية. سار الأستاذ محمود فى طريق المواجهة والمصادمة بجسارة وشدة مراس فبدأت حروب المكائد والدسائس ضده، كما تبع ذلك نمو اتجاه الحسد نحوه. ويزعم هذا البحث أيضاً، أن جهود تضليل الرأى العام فى الموقف من الأستاذ محمود، ومساعى تغييبه عن الذاكرة الجمعية، بدأت مع طلائع المتعلمين أيضاً، ومن شواهد ذلك إغفال جلهم لذكر الأستاذ محمود فى مذكراتهم وسيرهم الذاتية، ومن ثم أخذ التضليل والتغيب طريقه إلى صحائف المؤرخين السودانيين، وإلى الأرشيف القومى السودانى، وإلى الأكاديمية السودانية. وللتدليل والبرهان على ذلك، فقد خصصت الدراسة فصلاً لدراسة الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه، وقدمت فى الفصل سبعة نماذج من نماذج مذكرات طلائع المتعلمين من معاصرى الأستاذ محمود.

وتزعم هذه الدراسة أيضاً، أن الأكاديمية السودانية، فى موقفها من الأستاذ محمود ومشروعه، قد رسبت فى امتحان القيام بواجباتها فى خدمة المجتمع، وفى الكشف عن الحقيقة. وتبدت فى موقفها من الأستاذ محمود كما هو حالها فى الكثير من الشؤون السودانية وقضاياها، بلا ورع علمى وبلا هيبة معرفية، بل بترت المعارف فى العقول الأمر الذى ترتب عليه بتر الأراضى فى السودان وتفشى حالة التشتت، وضياع إرث التقاليد والأخلاق الأكاديمية. ففى موقفها من الأستاذ محمود تحالفت الأكاديمية السودانية، تحالفاً غير معلن أو مكتوب، بل تماهت مع السلطة السياسية وسلطة المجتمع وسلطة الفقهاء. فهى حتى تاريخ اليوم لم تنظم أى مؤسسة من مؤسساتها مؤتمراً

واحداً عن موضوع الأستاذ محمود، سواء لبحث دوره فى الحركة الوطنية أو دراسة مشروعه أو قراءة أبعاد إغتياله بسبب الفكر، وظلال ذلك الاغتيال على المسار السياسى والفكرى. بل ظلت الأكاديمية السودانية مقاطعة للأستاذ محمود ومشروعه، وعازلة له عن حركة البحث العلمى، أكثر من ذلك، فهى فى واقع الأمر تعمل على تزوير تاريخه وسيرته بتغييبه من الذاكرة الجمعية وتضليل غمار الناس فيه. لإثبات هذا الحكم القاسى والطعن فى مخرجات الأكاديمية السودانية والإدانة بقوة لأخلاقياتها، فقد خصصت فصلين لذلك إلى جانب ماورد فى الفصول الأخرى. فقد تناول الفصل الثالث عشر الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية، ودرس الفصل الرابع عشر الأستاذ محمود فى كتب تاريخ الحركة الوطنية، وكتب أخرى فى مجال العلوم السياسية والفكر الإسلامى. وفى حالة الفصل الرابع عشر درست تسعة عشر كتاباً من كتب تاريخ الحركة الوطنية والفكر الإسلامى، والعلوم السياسية والحركة النسوية ودراسات المرأة. أما بالنسبة للفصل الثالث عشر والذى تناول الأكاديمية السودانية، فقد اخترت جامعة الخرطوم لتكون نموذجاً لدراستى لقراءة موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود من خلال الرسائل الجامعية "الدكتوراة والماجستير". ويرجع اختيارى لجامعة الخرطوم لعدة أسباب منها: أنها تعد أعرق الجامعات السودانية فقد افتتحت نواتها، كلية غردون التذكارية عام 1902. كما كانت من أكثر الهيئات الأكاديمية وكذلك أكاديميها وطلابها كانوا شهوداً على مشروع الأستاذ محمود، من خلال ما شهدته ساحاتها من طرح وحوار بشأن الأستاذ محمود ومشروعه، وقد قاد ذلك النشاط والحوار تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته. إلى جانب أسباب أخرى بيئتها فى موضعها فى الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب.

اخترت عشوائياً واحداً وثلثين نموذجاً من رسائل الدكتوراة والماجستير فى أربعة مجالات، جميعها مثبت فى قائمة المصادر والمراجع، ونال بها مقدموها الدرجات العلمية تحت مظلة كلية الدراسات العليا من جامعة الخرطوم. لقد اخترت المجالات الأربعة بعينها إذ كان للأستاذ محمود فيها مساهمات باكرة وأصيلة ومنشورة على طبقات متعددة منذ الأربعينيات والخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضى. كانت الأطروحات

والرسائل التى اخترتها فى كليات: الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، والآداب، فى أقسام: التاريخ والفلسفة والدراسات الإسلامية، والمجالات هى:

* التاريخ: تاريخ الحركة الوطنية.

* العلوم السياسية: التطور السياسى فى السودان، وتطور الفدرالية فى السودان.

* الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامى والفلسفة.

* العلوم الاجتماعية: الحركة النسوية والدراسات بشأن المرأة.

عالج هذا الكتاب موضوعه من خلال تناوله لقضايا عديدة ومتداخلة، وبتقاطعات لمجالات مختلفه منها: التاريخى والفكرى والثقافى والسياسى والاجتماعى... إلخ، لهذا فقد داخل الكتاب فى معالجته بين مناهج بحثية مختلفة: المنهج التاريخى، ومنهج مقارنة القرائن، والمنهج الوصفى، وكذلك المنهج الوصفى التحليلى، سواء كان تحليل النص فى داخله، أو تحليل النص عبر مقارنته بنصوص أخرى، أو عبر مقارنته بالوقائع، مع الحرص على الالتزام بالمنهج التوثيقى، حيث توثيق الاقتباسات والنصوص وتثبيت مصادرها. ولأجل جمع البيانات والبيانات والمعلومات، سعت إلى الاطلاع على المصادر الأولية: كتب الأستاذ محمود محمد طه، ومقالاته وبياناته ومناشيريه فى مصادرها الأولية وهى الدوريات منذ العام 1935، إلى جانب جلساته مع تلاميذه، ومحاضراته العامة وندواته المسجلة بصوته أو تلك التى نشرت ملخصاتها فى الدوريات، إذ كان التلخيص هو النظام المتبع قبل بداية دخول التسجيل الصوتى عام 1963 لنشاطات الإخوان الجمهوريين. كما سعت للاطلاع على أكبر قدر ممكن من التقارير والوثائق والندوات إلى جانب الكتابات النقدية لمشروع الأستاذ محمود، سواء كانت لأفراد أو مؤسسات: الكتب والرسائل الجامعية والأوراق العلمية والمقالات والبيانات،... إلخ، والتى بدأ نشرها منذ ستينات القرن العشرين وحتى يومنا هذا. وقفت على بعض هذه المصادر والوثائق فى دار الوثائق القومية فى الخرطوم، وفى دار الكتب والوثائق القومية، فى القاهرة، مصر. الشاهد أننى ولأجل هذا الكتاب استشرت نحو ألف مصدر ومرجع، وحرصت حرصاً شديداً على أن أطلع بنفسى على أى مصدر أو

مرجع استعنت به، وقد استبعدت أى مصدر أو مرجع لم أطلع عليه، والمصادر والمراجع كلها مثبتة فى قائمة المصادر والمراجع. وقد صنفتها على النحو التالى:

* قائمة مؤلفات الأستاذ محمود محمد طه:

1- الكتب

2- بعض البيانات والخطابات والمخطوطات والمحاضرات والندوات.

* الكتب العربية.

* الكتب الأجنبية.

* الدوريات العربية.

* الدوريات الأجنبية.

* المحاضرات والندوات والجلسات وحلقات النقاش.

* الرسائل الجامعية.

* المراسلات والخطابات الخاصة.

* المقابلات Interviews.

* المواقع على شبكة الإنترنت Websites.

وعمدت بعد ذلك عبر التحليل للوقائع والأحداث والتفسير والتعليل والمقارنة إلى استخلاص الحقائق وتدوين النتائج.

فى رحلة بحثى وتنقيبى فى دار الوثائق القومية فى الخرطوم، وقفت على بعض المصادر من الكتب والبيانات والمقالات فى الدوريات، التى لم ترد الإشارة إليها من قبل، لا فى كتب الإخوان الجمهوريين أو فى غيرها. وقد أثبتتها كلها فى قائمة المصادر والمراجع وبعضها فى قائمة الملاحق. فقد وقفت على مقالين نشرهما الأستاذ محمود بمجلة كلية غردون عام 1935، أحدهما وردت الإشارة إليه من قبل. ووقفت على بيان أصدره الأستاذ محمود يطالب فيه بانسحاب السودان فوراً من جامعة

الدول العربية، وبين فيه أسباب الانسحاب. صدر البيان فى يوم 1958/8/23 بعنوان: "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى". ووقفت كذلك على مقالات كتبها الأستاذ محمود، عن مياه النيل، منها مقال جاء بعنوان: الأزمة بين السودان ومصر: إتفاقية مياه النيل سنة 1929، ونشر فى يوم 25 أكتوبر عام 1958، كان مقالاً مطولاً ولأهميته فقد أفردت له مع مقالات وبيانات أخرى محوراً ضمن الفصل السادس. كما وقفت على بيان أصدره محمود محمد طه، رئيس **الحزب الجمهورى**، تناول سعى بعض الأحزاب السودانية لإقامة التحالفات والشراكة فى النضال مع **الحزب الجمهورى**. صدر البيان فى يوم الأربعاء 19 مارس سنة 1952، وكان بعنوان: "فشل المسعى لانتقاء **الحزب الاشتراكى الجمهورى** و**الحزب الجمهورى** لاختلاف المبادئ والوسائل". كما وقفت على استقراء أعدده الأستاذ محمود عام 1958 عن الحركة الوطنية فى السودان، وقدم فيه نقداً للمثقفين وأشار فيه إلى أنه أصدر سفرأ يتناول فيه هذا الموضوع وكان السفر بعنوان: **خيانة المثقفين**. وتحدث الأستاذ محمود فى استقراءه عن حقوق بعض أهل الأطراف لا سيما مؤتمر البجة. ووقفت كذلك على وثيقة تُبين أن **المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف** (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) بالسودان، قام باستكتاب الأساتذة ليردوا على فكر الأستاذ محمود. لم يكن واضحاً ما إذا كان هؤلاء الأساتذة الذين تم استكتابهم، من داخل السودان أم من خارجه، ولكنى وقفت على بعض الدراسات التى كتبها المشايخ، ووقفت كذلك على تقويم المحكمين لبعض الدراسات التى كتبت فى الرد على الأستاذ محمود استجابة لنداء الاستكتاب الذى أطلقه **المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف**. هذه مجرد نماذج فقط، فقد وقفت على العديد من البيانات والمقالات التى كتبها الأستاذ محمود ونشرها فى الدوريات، ولم يرد ذكرها من قبل فى أى مصدر أو مرجع من المراجع.

كما أتاحت لى فرصة البحث فى بعض المكتبات الخاصة فوقفت على وثائق وبيانات ومنشورات ومخطوطات نادرة ومراسلات كثيرة كانت بين الأستاذ محمود واثنين من "أبكار" تلاميذه: سعيد الطيب شايب وجلال الدين الهادى الطيب إدريس، وقد اطلعت

عليها بمكتبة جلال الدين الهادى الخاصة بمنزل الأسرة بمدينة ود مدنى وسط السودان. هذا إلى جانب أننى وقفت على بعض الأعداد من صحيفة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود محمد طه، والتي صدرت فى منتصف الخمسينيات من القرن الماضى، وقد خلت دار الوثائق القومية فى السودان، من أى عدد من أعدادها. على الرغم من أننى وجدت الإشارة عند بعض الباحثين لوجودها بدار الوثائق القومية، بيد أنى حينما بحثت فى الدار عنها لم أجدها، فخاطبت إدارة الدار فأكدت خلو الدار منها، مما يتناقض مع ما ورد فى كتابات الباحثين، وتأكيدهم لى بأنهم اطلعوا عليها بالدار، لقد خصصت محوراً لتبيين هذا الأمر. يضاف إلى ذلك أننى قمت بمقابلات مع ستين شخصاً من المعاصرين والمشاركين فى صناعة الأحداث. كما وقفت كذلك على بعض الخطابات التى بعث بها الأستاذ محمود لمفكرين وقادة ومثقفين فى مختلف أنحاء العالم إلى جانب الخطابات الخاصة لتلاميذه وأصدقائه. وكذلك المراسلات التى كانت موجهة من مؤسسات إسلامية إلى رئاسة الجمهورية فى السودان أو إلى وزير الشؤون الدينية والأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف، وهى تتعلق بموضوع الأستاذ محمود. وغيرها من المصادر والمراجع.

من المهم الإشارة إلى أن انتقاء المقابلات لم يكن مقصوداً إلا فى حالة أبحاث تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، الذين لازموه منذ عقد الخمسينيات أو عقد الستينيات من القرن الماضى، فيما عدا ذلك فإن الانتقاء تحكمت فيه ويسرته ظروف وفرص ومناسبات أكثر من كونه انتقاء قائماً على نوع الصلة بالأستاذ محمود أو حجم الدور أو الترتيب أو العطاء فى حركة الإخوان الجمهوريين فى حالة تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، أو بناءً على نوع وحجم الإسهامات النقدية المنشورة بشأن مشروع الأستاذ محمود فى حالة المثقفين السودانيين الآخرين. جدير بالذكر أن للأستاذ محمود تلاميذ من غير السودانيين فى مصر، وأمريكا، وأستراليا وغيرها، وقد تلمذوا عليه قبل عام 1985. كذلك الحال فى الكتابات فإننى لم أعمد إلى الانتقاء من كتابات تلاميذ الأستاذ محمود أو من كتابات المثقفين من غير تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته. فقد تعاطيت مع ما توفر لى من الكتب والرسائل الجامعية، والأوراق والمقالات، للمثقفين،

وأطلعت على من لقيته في دور الكتب والوثائق، وسعيت لاقتناء بعضها، وطلبت كتباً ورسائل جامعية وأوراقاً علمية... إلخ من من تعرفت عليه، أو وصلت إليه من خلال اطلاعي لكتابات آخرين، أو ممن دلتني عليه آخرون.

بالطبع لم يغط هذا الكتاب كل مواقف المثقفين من الأستاذ محمود، كأفراد أو جماعات أو تنظيمات أو تجمعات. فهو لم يشمل (وهذا طبيعي ومتوقع في دراسة عدد صفحاتها في حدود الألف صفحة)، كتابات كل المثقفين من المثقفين مع الأستاذ محمود في الرأي أو المنادين بحقه في حرية الفكر أو من المناصرين والمؤازرين أو حلفائه وشركائه من دعاة أنسنة الحياة وكرامة الإنسان. وبالطبع لم يشمل كذلك كتابات كل المثقفين من المعارضين للأستاذ محمود والمختلفين معه في الرأي والرؤية. لقد قدم الكتاب نقداً لنقد أولئك الذين نقدوا الأستاذ محمود، واستعرض الكتاب في هذا نماذج عديدة من داخل السودان وخارجه. أما بالنسبة للمثقفين الذين ظلوا يحتفون بالأستاذ محمود وبمواقفه، وظلوا يناصرونه، سواء كانوا من المثقفين معه في الرأي أو منطلق إيمانهم ونضالهم من أجل كرامة الإنسان وحقوقه الديمقراطية وحقوقه في الحرية الفكرية، فإنني أخذت برمزية إيراد جزء من كلماتهم وبعض كتاباتهم كقلادات في صدر أبواب وفصول ومحاور هذا الكتاب، إحتفاء بهم وتثبيتاً لمواقفهم الإنسانية وإعلاءً لقيم العدل وفضائل الحق. كما أوردت كتابات البعض الآخر ممن كتبوا الشهادات في حق الأستاذ محمود سواء أولئك الذين عرفوه في الحياة أو التقوه في السجون أو ممن فاضت إنسانيتهم يوم المحكمة أو يوم الاغتيال، فعبروا عن ذلك في كتابة كتاب أو إهداء كتاب أو كتابة مقال أو من خلال إحدى الفنون الإنسانية: الشعر، المسرح، الكاركاتير، اللحن لبعض كلمات الأستاذ محمود،... إلخ.

يقيني أن هناك الكثير من المثقفين ممن بكوا الأستاذ محمود بكاءً حاراً، ولا يزالون، وهناك من ظل محترماً ومحباً ومناصرأ ومؤازراً للأستاذ محمود، وقد عبر بعضهم بالصمت البليغ الفصيح، وبعضهم الآخر عبر بالكتابات بمختلف ألوانها، غير أنه لم ترد إشارة إليهم، ولم ترد كتابات بعضهم في هذا الكتاب، سواء كان ذلك بسبب أنني لم أقف

على تلك الكتابات، أو بسبب ضيق المساحة، وليس هناك سبب آخر قط. فلهؤلاء جميعاً اعتذارى، وعزائى أنهم سيجدون فى هذا الكتاب نصوصاً وشهادات وشواهد لآخرين تعبر عن مواقفهم ووجهة نظرهم فى احترام الأستاذ محمود واحترام مواقفه والاعتزاز بها والتبجيل له.

وفى سعيه للمحاولة على الإجابة لهذه الأسئلة، وإثبات مزاعمى، تناول الكتاب قضايا عديدة، ودرس موضوعات مختلفة، فى التاريخ وكتابه وكتابه ومصادره، وفى السياسة والاجتماع والفكر، وأزمة الفكر الإسلامى، وأزمة القيادات فى السودان، والاستعمار ودوره فى التغييب واغتراب السودان عن ذاته، وانفصاله عن جذوره، والأكاديمية السودانية ونشأتها العرجاء ودورها فى بتر المعارف فى العقول ومن ثم بتر الأراضى وتقسيم السودان. وغيرها من القضايا. ولمعالجة هذه القضايا العديدة الكبيرة بالغة التداخل، تهيكل الكتاب فى خمسة أبواب، وتكونت الأبواب الخمسة من ثمانية عشر فصلاً، إلى جانب المقدمات والخاتمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع وفهرس الأعلام والأماكن.

سعى الفصل الأول إلى تقديم لمحات من سيرة الأستاذ محمود وإنتاجه الفكرى. ميلاده والمعطيات المحلية والإقليمية، ونشأته ما بين القرية والمدينة، وسنوات دراسته، والوظيفة الحكومية والاستقالة منها. كما قدم لمحات من إنتاجه الفكرى وطبيعته، وتعريفاً لبعض العناصر الأولية Primary Elements فى نضاله ضد المستعمر وفى عطائه، من حيث التزامه مبدأ المواجهة، واستخدامه لأدوات المثقف وتوظيف سبل الحداثة، وحرصه الواضح وبجلاء على حفظ نسب الأفكار والمعلومات والأحداث من خلال التزامه الصارم للمنهج التوثيقى.

قدم الفصل الثانى قراءة فى الدراسات النقدية السابقة، التى قام بها الفقهاء. قدم الفصل إضاءات بشأن الحوارات التى كانت مع الأستاذ محمود فى عقد الخمسينيات من القرن الماضى، وسبقت دراسات وحوارات الفقهاء. ثم قدم الفصل قراءة فى الدراسات النقدية للفقهاء من خلال نماذج للدراسات النقدية التى نشرها الفقهاء والقضاة الشرعيون

والدعاة والوعاظ. كما قدم الفصل قراءة فى تكوين وطبيعة التحالف الإسلامى الذى واجهه الأستاذ محمود، إلى جانب دور ذلك التحالف فى قضية الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام عام 1968.

وقف الفصل الثالث على الدراسات النقدية التى جاءت بعد مرحلة الفقهاء، وكانت متأخرة إذ جاءت فى أغلبها فى أو بعد النصف الأول من عقد الثمانينيات من القرن الماضى، واستمرت فى التوسع. وقف الفصل على توسعها ودورها فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة مع تراجع دراسات الفقهاء وفى ظل الانفجار المعلوماتى وظهور شبكة الإنترنت وتوسع التعلم الذاتى وظهور المثقفين الرقميين كمعطى جديد فى تقديم الخدمات التنويرية. قدم الفصل وصفاً لحجم هذه الدراسات وطبيعتها وأنواعها.

تناول الفصل الرابع دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية السودانية. موقفه من الاستعمار وموقفه من منهج المثقفين وأدواتهم فى النضال ضد الاستعمار. وتناول موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين، مظلة النضال الوطنى والتى تأسست عام 1938، وموقفه من القيادات الدينية والطائفية والأحزاب السياسية. وتناول الفصل نشأة الحزب الجمهورى عام 1945، ومواجهته للاستعمار وما نتج عنها من سجن لرئيسه الأستاذ محمود. كما تحدث الفصل عن دور الأستاذ محمود وشراكته مع طلائع المتعلمين فى بعض الجهات واللجان لاسيما لجنة الدستور القومى عام 1956. وتحدث الفصل كذلك عن صدور صحيفة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهورى.

درس الفصل الخامس ثورة رفاعه (الحفاض الفرعونى) - سبتمبر 1946. درس الفصل دور الأستاذ محمود فى الثورة، وكيف أنه كقائد للثورة اتخذ منها فرصة لتفكيك المعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge ومقاومة الاستعمار وكشف ادعاءاته فى سعيه لتحرير الشعوب من العادات السيئة. درس الفصل محاكمة الأستاذ محمود قائد ثورة رفاعه ومرافعته أمام المحكمة، ومحاكمة الثوار. درس الفصل موقف الدراسات من ثورة رفاعه، وقدم نماذج من الدراسات الجديدة التى ترسمت منهج

مدرسة دراسات ما بعد الاستعمار، وجاءت جلها متفقة في خلاصاتها مع موقف الأستاذ محمود في ثورة رفاعه.

ركز الفصل السادس على السودان في مشروع الأستاذ محمود. فوقف على بناء الذاتية السودانية عند الأستاذ محمود، وإعلانه الباكر لاحترام التنوع من أجل زيادة حيوية الأمة السودانية، ورؤيته لمستقبل الثقافة العربية والسودان، ودعوته عام 1958 لانسحاب السودان من جامعة الدول العربية. تحدث الفصل عن دعوة الأستاذ محمود للاتحادات الفدرالية، وقدم الفصل قراءة لمواقف الأستاذ محمود من مسار الحركة الوطنية بعد الاستقلال، ومن مشكلة جنوب السودان، ومشكلة الشمال، ومؤتمر البجة. وقدم الفصل تعريفاً موجزاً لرؤية الأستاذ محمود لدستور السودان. كما وقف الفصل على خلط المؤرخين والكتاب بين الأحزاب الجمهورية، ووقف كذلك على الأستاذ محمود في إرثيف السودان القومي: صحيفة الجمهورية في دار الوثائق القومية. كما قدم الفصل مدخلاً أولياً لرؤية الأستاذ محمود في ممارسة السياسة والصحافة.

سعى الفصل السابع إلى الوقوف على طرح الأستاذ محمود لمشروع الفهم الجديد للإسلام، الفكرة الإسلامية الجيدة، والتعريف بالمسار الجديد للحزب الجمهوري. تحدث الفصل عن طرح المشروع عام 1951 واستعداد الأستاذ محمود للنتائج، وموقف المثقفين من المشروع. كما وقف الفصل عند رفقاء الأستاذ محمود وبداية مرحلة التلمذ على يدي الأستاذ محمود. كما قدم الفصل ملامح أولية لدور تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، الذين عرفوا بالإخوان الجمهوريين. تحدث الفصل عن مصادر تمويل حركة الإخوان الجمهوريين، وقواعد التمويل وأأسه.

تتبع الفصل الثامن مواقف التحالف الإسلامي من الفهم الجديد للإسلام، وشراكة الساسة والفقهاء في نقل السجالات الفكرى من السوح الفكرية إلى الصعيد الرسمى. تحدث الفصل عن محكمة الردة الأولى عام 1968، وموقف المثقفين منها، والمؤامرة والتحالف غير المعلن والصمت عن المحكمة. تحدث الفصل عن المواجهة بين المفكر والفقهاء، وأساليب الدسائس وإرث العداء للمبادرات الخلاقة.

أما الفصل التاسع فدرس علاقة الأستاذ محمود بالمعهد العلمي بأمدردمان (أزهر السودان)، درس نشأة المعهد منذ أن كان فكرة، وتبع تطوره حتى تحوله إلى جامعة أمدردمان الإسلامية. درس الفصل التعليم الديني قبل إنشاء المعهد، ووقف على علاقة الأزهر بمصر بأزهر السودان، المعهد العلمي بأمدردمان. تناول الفصل دور المعهد في تغذية الخيال الجمعي بالفكر الوافد وبث ثقافة التكفير ودوره كذلك في تشكيل العقل الثقافي السائد. كما درس الفصل مواقف المعهد من الفحولة الفكرية، وتناول سوابقه التكفيرية وقدم نماذج لها. درس الفصل مواجهة الأستاذ محمود لمشيخة المعهد منذ بدايتها الأولى، وتطور تلك المواجهة حتى محكمة الردة عام 1968، وتناول الفصل استمرار تلك المواجهة باعتبارها صداماً بين الوعي والجديد مع القديم والجهل الذي يمثله مشايخ المعهد العلمي وحلفاؤهم من القضاة الشرعيين والفقهاء وحلفاؤهم خارج السودان في المؤسسات الإسلامية في القاهرة، مصر، وفي مكة، المملكة العربية السعودية.

عالج الفصل العاشر موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952، وموقفه من مصر برئاسة جمال عبدالناصر. تناول الفصل المواجهة التي قادها الأستاذ محمود ضد خطاب عبدالناصر وسياساته ودعوته الباطلة والعنصرية للقومية العربية، وانحراف الثورة عن مسارها، ورأى الأستاذ محمود في مشكلة الشرق الأوسط وزعامة عبدالناصر للعرب. قدم الفصل تعريفاً بالاقتراح الذي طرحه الأستاذ محمود عام 1967 لحل مشكلة الشرق الأوسط، مع إشارة للمبادرة السعودية والتي تبنتها جامعة الدول العربية في قمة بيروت عام 2002. تحدث الفصل عن تربص مخابرات عبدالناصر بالأستاذ محمود، وتناول تشكيل محكمة الشعب في القاهرة عام 1954، وما تبع ذلك من خلق لمناخات الخيانة للوطن والردة عن الإسلام. ثم تحدث الفصل عن التصميم الأجنبي لسيناريو محكمة الردة والتنفيذ عبر الأدوات المحلية من الفقهاء والحلفاء.

درس الفصل الحادي عشر سنوات حكم نيمري، والشراكة في الاغتيال يوم 18 يناير 1985. وقف الفصل أولاً على المناخ العام قبل سنوات حكم نيمري، فدرس فترة دكتاتورية الفقهاء، وما يسمى بالحكم الديمقراطي (1965-1969) حيث لعبت بالدستور والكبوات

الكبرى: حل الحزب الشيوعي السوداني وطرد نوابه المنتخبين من البرلمان عام 1965، وانعقاد محكمة الردة، فى ظل حكم ديمقراطى، والحكم من محكمة غير مختصة، على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام عام 1968، والسعى للأخذ بما يسمى بالدستور الإسلامى. وقف الفصل عند إجهاض ثورة أكتوبر وغياب المحتوى الديمقراطى ومبررات قيام ثورة مايو، والحاجة للتغيير.

تناول الفصل موقف الجمهوريين من مايو والتقاء مايو بالجمهوريين على خط درء خطر الطائفية ورفض فرض الوصايا الدينية، وتحدث عن تعدد الأتواب السياسية لثورة مايو. وقف الفصل عند القاعدة الشعبية كأولوية فى التغيير عند الأستاذ محمود، وليس السلطة السياسية. ودرس الفصل المصالحة الوطنية عام 1977 ودورها فى العودة لمربع الفقهاء والهوس الدينى وتجدد المواجهات. تناول الفصل مواجهة الأستاذ محمود للطائفية والسلفيين والإخوان المسلمين وجماعات الهوس الدينى، ثم وقف الفصل عند انتقال الأستاذ محمود بالمواجهة إلى مرحلة تجسيد المعارف فى مدارك العبودية. وتناول الفصل المؤامرة وأبعادها والشراكة فى الاغتيال يوم 18 يناير 1985، ثم قيام سابقة محكمة الاستتابة والانحدار إلى درك العصور الوسطى. كما وقف الفصل عند نقض المحكمة العليا - الدائرة الدستورية، لحكم الردة وإبطاله. ثم تحدث الفصل عن التحالف الإسلامى وغياب الورع العلمى واستمرار التشويه لسيرة الأستاذ محمود ومشروعه، فقدم الندوة العالمية للشباب الإسلامى نموذجاً.

أبرز الفصل الثانى عشر بعض الشهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسامة على منصة الاعدام. تضمن الفصل ست عشرة شهادة. منهم من كان مع الأستاذ محمود فى السجن قبل الإعدام، ومنهم حارس زنزانتة (غرفة الحبس الانفرادى) فى السجن، ومدير السجن آنئذ، والعامل الذى يعمل على المشنقة مُنفذ حكم الإعدام، وقائد الطائرة الذى حمل الجثمان بطائرته بعد تنفيذ الاعدام. وشهادة اثنين من الضباط اللذين كانا يعملان فى جهاز الأمن آنئذ، وعدد من الذين شهدوا تنفيذ الإعدام. إلى جانب شهادات كان التعبير فيها بالشعر وبالكاركاتير.

عالج الفصل الثالث عشر موضوع الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية. قدم الفصل تعريفاً للأكاديمية وإضاءة بشأن مبادئها، وتناول نشأة الأكاديمية السودانية وبداية الدراسات الأكاديمية في السودان. تناول الفصل موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود، خاصة في المجالات التي كان للأستاذ محمود فيها دراسات منشورة وباكراً. فتناول الفصل موقف الأكاديمية من خلال الدراسة لاثنتين وثلاثين رسالة جامعية من الرسائل فوق الجامعية، ثم تناول الفصل تجليات رسوب الأكاديمية السودانية في امتحان الأستاذ محمود، وتخليها عن أهم المبادئ الأكاديمية وهي البحث عن الحقيقة وإظهارها ونشرها، ودورها في تزوير التاريخ. كما تناول الفصل دور الأكاديمية السودانية في بتر المعارف في العقول ومن ثم بتر الأراضي وتبديل الثوب الجغرافي للسودان، وتغذية الخيال الجمعي من خلال البتر والهضم لحقوق وتاريخ الآخرين.

قدم الفصل الرابع عشر قراءة في كتب تاريخ الحركة الوطنية وكتب في مجال العلوم السياسية، ومقاومة الاستعمار، وتطور السودان السياسي، والحركة النسوية، ودراسات المرأة والفلسفة والدستور والتشريع. كانت النماذج ثمانية عشر نموذجاً من المراجع التي ألفها أكاديميون وكتاب وباحثون سودانيون. درس الفصل تعاطيهم مع الأستاذ محمود وكتاباته ومواقفه. كما تناول الفصل نشأة المدرسة التاريخية السودانية، ودورها في التضييل والتغيب، وعدم قدرتها في التحرر من المناهج الاستعمارية ومن النعوت الاستعمارية للتاريخ والأحداث والوقائع والتحقيب. وتناول الفصل دور المدرسة التاريخية السودانية في صناعة التاريخ وطمسه وبتر المعارف وتعزيز حالة الانفصال الحضاري والوجداني.

تقصي الفصل الخامس عشر سيرة الأستاذ محمود في التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية. فدرس نشأة صناعة التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام في السودان، ووقف على طبيعة تعاطيها مع الأستاذ محمود، ودرس ما تضمنته من تشويه وطمس للحقائق وتغيب للمواقف والتجزئة والبتر للمعلومات، إلى جانب أن الفصل وقف على حجم الإهمال والإغفال الذي واجهه الأستاذ محمود. كما تناول الفصل يقظة الأمم

وشرط تحرير التاريخ من عبء المؤرخ.

بحث الفصل السادس عشر عن سيرة الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه. ووقف على كتابة المذكرات وأمانة التبليغ وأداء الشهادة، وتغذية الذاكرة الجماعية، والعظماء فى سجلات أمهم. ثم درس الفصل سبعة نماذج من المذكرات التى كتبها معاصرو الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين فى السودان. درس الفصل معالجة أصحاب المذكرات لموضوع الأستاذ محمود، ووقف على حجم التجاهل والتغيب للأستاذ محمود. ثم خلى الفصل متناولاً دلالات إغفال الأستاذ محمود فى المذكرات، وأثر ذلك التجاهل، ثم وقف الفصل على مدى أهمية وقيمة تلك المذكرات كمصدر لدراسة التاريخ؟

تناول الفصل السابع عشر، الأستاذ محمود والمفكرين الإسلاميين: محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً. قدم الفصل إضاءات لبعض ملامح تأثير الأستاذ محمود فى المفكرين الإسلاميين، وتراجع ومراجعة بعض المفكرين والمثقفين لمواقفهم من الأستاذ محمود. كما تناول اعتذار رئيس القضاء الأسبق، وتراجع وتقلبات مواقف المفكرين الإسلاميين، من خلال نموذجين، من الأستاذ محمود وتنفيذ حكم الإعدام، فى ظل نمو الوعي ومجىء الرأى العام الجديد والمطالبة بجرى السجلات وإعادة القراءة للمواقف وفقاً للمعايير الأخلاقية. تناول الفصل محمد أبو القاسم حاج حمد صاحب "العالمية الإسلامية الثانية" نموذجاً للمفكرين الإسلاميين الذى استفادوا من مشروع الأستاذ محمود مع عدم الإشارة إليه أو الاعتراف به. تناول الفصل المواقف السياسية لحاج حمد من الأستاذ محمود قبل المواقف الفكرية، وسعى الفصل لتفكيك الرموز التى تحيط بتلك المواقف، وعلاقة تلك المواقف بمواقف طلائع المتعلمين، ولم يكن حاج حمد من حيث السن من طلائع المتعلمين.

سعى الفصل الثامن عشر (وهو الفصل الأخير) إلى تقديم مقارنة أولية بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، من خلال رسم كان هو: الأستاذ محمود والروحانيون، فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية، الأستاذ محمود والمهاتما غاندى (مقاربة أولية). وقف الفصل على وصف المثقفين للأستاذ محمود بغاندى السودان وغاندى إفريقيا، وتناول

المهاثما غاندى فى الذاكرة الكوكبية، والصلات التاريخية بين السودان والهند. ثم درس الفصل حضور المهاثما غاندى فى مخيلة المثقفين السودانيين، واستلافهم للفكر التنظيمى من الهند وليس فكر المقاومة. درس الفصل المقاومة السلمية عند المهاثما غاندى وعند الأستاذ محمود وأسلحة المقاومة، فوقف عند الصيام ودوره عند كليهما، ثم درس الفصل عناصر التشابه والمشارك بينهما، وإلى أى مدى مثلت رغبة الأستاذ محمود الشديدة فى دراسة القانون عنصراً من عناصر التشابه مع غاندى المحامى ودارس القانون. درس الفصل التغيير ومفهومه والحاجة إليه كما هو عند غاندى وكما هو عند الأستاذ محمود، وتناول الفصل موقف كل منهما من الحضارة الغربية.

أما خاتمة الكتاب فجاءت بعنوان: "الثورات لا تُرى بالعين The Invisibility of Revolutions"، فى رمزية تشير إلى أن مشروع الأستاذ محمود ثورة فكرية مدخرة كانت، وهى تسرب فى العقول والفهوم، والآن قد قطعت شوطاً كبيراً. تناولت الخاتمة خلاصات الكتاب. فقد استطاع الفقهاء والقضاة الشرعيون ومشائخ المعهد العلمى بأمدرمان (أزهر السودان)، منذ خمسينيات القرن الماضى، وبتحالف إسلامى واسع قوامه الأزهر فى القاهرة والمنظمات الإسلامية فى مكة، المملكة العربية السعودية، والقوى التقليدية من طائفين وإسلاميين سلفيين فى السودان أن يقيموا جداراً عازلاً، بغير حق، لحجب مشروع الأستاذ محمود عن شعوب السودان والإسلام والعالم. عبر ذلك الجدار من وقت باكر عن تقسيم لحالة صدام ومواجهة، بدأ الآن ذلك التقسيم وتلك الحالة الصدامية تتضح معالمها وتظهر بشكل جلى فى العالم، وأكثر وضوحاً فى العالم الإسلامى، وأشد وأنصع وضوحاً فى السودان. فالتقسيم يقوم على أن الوعى والجديد والمستقبل يمثل طرفاً، والجهل والقديم والماضى يمثل الطرف الآخر. والصدام مستمر وكل يوم يشهد توسعاً ولاعبين جدداً فى صالح الوعى والجديد والمستقبل.

لخصت الخاتمة الدور الخطير الذى تقوم به الأكاديمية السودانية فى بتر المعارف فى العقول ومن ثم بتر الأراضي وتشظى السودان. لم تكن الأكاديمية السودانية سوى آلية من آليات التضليل والتزوير للتاريخ، فى ظل توفر القابلية لتزوير التاريخ حيث التعدد الثقافى

فى السودان وإرث التعلیم الذى لا يقوم على أعمال الحس النقدى، من الصراعات، ونموها وتوسعها مع استمرار الدور الأعرج والمختل للأكادیمیا السودانية. وفصلت الخاتمة من واقع الدراسة فى هذا الكتاب بأن متطلبات الدخول فى المستقبل، وتحقيق شروط البناء الجماعى للسودان، تتطلب أول ما تتطلب فتح الملفات، وإعادة قراءة السجلات، سجلات حقوق الإنسان، وحقوق الجماعات والثقافات. تحدثت الخاتمة عن إرتفاع الواقع لمشروع الأستاذ محمود ورؤيته، وتنبت -بيقين تام- بأن المستقبل فى صالح مشروع الأستاذ محمود، ولا مستقبل للسودان وللسلام والبشرية جمعاء بدون مشروع الأستاذ محمود، وقدمت الخاتمة فى ذلك بعض التفصيل والتبيين.

من المهم الإشارة لبعض الملاحظات والتوضيحات، إلى جانب الخطوات التى اتبعتها فى هذه الدراسة:

أولاً: إن بعض كتب الأستاذ محمود وكذلك كتب الإخوان الجمهوريين، كانت خالية من الإشارة لدار النشر، ذلك لأنها كانت تطبع بالآلة الكاتبة أو تكتب بخط اليد ومن ثم تنسخ بماكينه الرونيو. ولم تُنشر من قبل دار نشر سوى القليل جداً منها وقد أشرت لها فى المواضيع التى وردت الإشارة إليها، وفى قائمة المصادر والمراجع.

ثانياً: لقد استخدمت علامة المعكوفتين مع ثلاث نقاط بهذا الشكل [...] للدلالة على أن هناك كلمة أو كلمات لم أتمكن من قراءتها فى المصدر أو المرجع، أو أنني أدخلت كلمة (مثل اسم شخص أو اسم مكان... إلخ) لم تكن موجودة فى النص وذلك لتوضيح وتحديد تدخل فى النص الذى اقتضته ضرورة السياق.

ثالثاً: من المهم لفت انتباه القارئ الكريم إلى أن هناك بعض التكرار لبعض الجزئيات قد اقتضته الضرورة، إلى جانب أنني سعيت، ما أمكنتنى ذلك، أن أجعل كل فصل من الفصول ينهض بموضوعه، حتى أقلل من حاجة القارئ إلى الرجوع إلى الفصول السابقة.

جدير بالذكر أنني أقدم نفسى فى هذا الكتاب بوصفى باحثاً مستقلاً، يسعى إلى التنقيب والفحص والتمحيص وإعمال الحس النقدى من أجل إجلاء الحقائق وكشف

الوهم وزيف الواقع وفقاً للأسس العلمية والمعايير الأخلاقية. لهذا فإننى أسعى بهذا الكتاب إلى المساهمة فى الحوار بما يحقق التحرر من سلطة القطيع فى قراءة الأستاذ محمود، والمساهمة فى نقل التعاطى مع الأستاذ محمود وسجل المثقفين والمفكرين الإسلاميين والأكاديميين الباحثين وغمار الناس معه، من وضع العداء الجماعى الموروث للأستاذ محمود والمؤسس بالوكالة الفقهية، والمستمد من الوصاية على العقول، إلى وضع اتخاذ الموقف الفردى بعد قراءة الأستاذ محمود ومن ثم اتخاذ الموقف المناسب بعلم وصدق وشجاعة سواء كان الموقف احتراماً أو اختلافاً. أيضاً، من المهم الإشارة إلى أنه ليس غرضى من هذا الكتاب الانتصار للأستاذ محمود البتة، فالانتصار قد تم يوم الشموخ على المشنقة. وهذا هو الانتصار المستمر المتجدد والذي يتنسب له الناس فى كل يوم جديد، فالانتساب ليوم الصمود على المشنقة هو انتساب للكرامة والعزة والشهامة وانتساب للإنسانية. وليس من أغراض هذا الكتاب المحاكمة أو التجريم أو المساءلة؛ وإنما المراجعات وفتح الملفات للنقد وتصحيح المسار. فهذا الكتاب ليس سوى مدخل لدراسة مشروع الأستاذ محمود. فالمشروع لم يدرس بعد، بل هو قدم للقراء مشوهاً، كما أن سيرة الأستاذ محمود هى كذلك قدمت مشوهة. فالمثقفون فى السودان لم يرتقوا بالحوار بشأنه، بل لم يأتوا لدراسته إلا مؤخراً. فقد قام بالنقد الفقهاء والقضاة الشرعيون والمشايخ، وفى سبيل تسجيل انتصاراتهم، سعوا للتشويه عبر بتر النصوص وتفسيرهم لها وفقاً لمستوى سقوفهم المعرفية ودرجة ورعهم العلمى المتدننى ومعايير الأخلاق عندهم.

برغم كل هذا العبث والفوضى واللا أخلاق واللاعلمية، التى صاحبت النقد لمشروع الأستاذ محمود ومعارضته ومن ثم اغتياله، فإننى لستُ ميالاً فى دراسة التاريخ، وفى استنتاج الوقائع والأحداث، وفى دراسة مصير المبادرات الخلاقة ومصيرها، والمواقف العدائية منها، أياً كانت، أن أضع أصحاب تلك المواقف العدائية فى موضع الحقد والضيغنة. فقد قال الأستاذ محمود: "الحياة مهم وعدم المראה فى النقد... فى نقدنا ما بننقد بمرارة لأن الناس المتقدين هم غايتنا"⁽¹⁾.

(1) محمود محمد طه، "مقابلة أمنا أمنة والأخت أسماء للأستاذ محمود فى المعتقل"، بتاريخ 1984/6/16.

إن الإنسان، من حيث هو إنسان، هو نتاج لمكونات ثقافية وفكرية، وخلاصة لمنظومة تعليمية ونسق قيم سائد في المجتمع. فالمكونات الثقافية والفكرية تمثل الإطار المرجعي، والجذور المكوّنة لمركبات الواقع، والمُحدّدة لاتجاهات المجتمع. كما أن الثقافة والمجتمع يصوغان الأفراد ويبلوران أفكارهم وتصوراتهم واتجاهاتهم. وفي هذا فإن الكثير من قادة السودان ومثقفيه وعامته، كانوا في مواقفهم تجاه الأستاذ محمود، وفي الكثير من قضايا السودان، ضحايا لمكوناتهم الثقافية والفكرية. ولهذا، فإن المهم عندى هو اعمال الحاسة النقدية، فالتقد يكشف الزيف ويقشع الغمام فيهيء الأرض للتغيير، كما أشار شيلى واليا. والمهم عندى كذلك استنطاق الأحداث، وقراءتها بما يسهم فى دراسة المكونات الفكرية والثقافية، وتحليل الظروف المحيطة التى تشكّل الوعي، وتُبلور المفاهيم والقيم والتصورات، وتُمكّن المعايير، وتُحدد شكل المواقف. والمهم، عندى أيضاً، هو أن يكون استنطاق الأحداث حافزاً لمراجعة المواقف ومحاسبة النفس، والمساهمة فى بث فضائل الاعتراف والاعتذار.

الجزء الثانية : نحو حوار جديد

لا ينفعُ العقلُ بغيرِ ورعٍ⁽¹⁾.

عبدالله بن المُقَفَّع (724-759)

ختاماً أستمح القارئ الكريم عذراً، بأن أقدم هذه الدعوة والنداء من أجل انطلاق حوار جديد. لقد اتسم الحوار الفكرى والنقد فى السودان فى القرن الماضى، خاصة مع الأستاذ محمود محمد طه، بسمات العاطفة والخطابة والوعظ. فقد اختطف الفقهاء والوعاظ منابر الحوار وسوح السجال، وسيطروا عليها فى السودان وكذلك العالم الإسلامى، وقد تجلّى ذلك بوضوح، كما يبينه هذا الكتاب، فى الحوار الذى تم مع الأستاذ محمود محمد طه. فكان إرث الحوار فى السودان، وديار الإسلام كذلك، إراثاً

(1) عبدالله بن المُقَفَّع، الأدب الصغير والأدب الكبير، تحقيق ودراسة إنعام فوال، دار الكتاب العربى، بيروت، 2008، ص 50-51.

فظاً، غابت عنه الحكمة، وحرية الفكر، وانتفت فيه حسن الإدارة، فنتج عنه بتر المعارف وتشويه العقول وإظلامها. فمن واقع تاريخ وخبرة السوح الفكرية الإسلامية والسوح السياسية والثقافية فى السودان، وكما هو الحال كلما التقى الجديد بالقديم، فإن الحوار والسجال فى حاجة إلى التطوير والضبط والتقنين بالعلم والأخلاق. لهذا فإننى أذكر نفسى أولاً، والآخرين ثانياً فأقول: أرجو من النقاد والمختلفين فى الرأى والرؤية معى، فى السودان وفى غيره، وبالمثل أطالب نفسى، ومن أجل إثراء الحوار الفكرى أن يكونوا فى هذه الجولة (وفى تقديرى أن هذا الكتاب يـدشن الجولة الثانية من الحوار بشأن مشروع الأستاذ محمود) علميين فى نقدهم وفى التعبير عن اختلافهم وفى دحضهم الحجج وتفنيدهم لما أتيت به. كما أرجو منهم، ومثلما سعت فى كتابى هذا، وأرجو أن أكون قد وفقت، إلى أن ألتزم التزاماً صارماً بالمنهج التوثيقى، أن يكونوا هم كذلك. أن يتحدثوا بالوثائق والأدلة والبراهين العلمية، وبلغه العقل لا لغة الخطابة والعاطفة. لنستهل جولة جديدة من الحوار الجديد.

كان الذين حاوروا الأستاذ محمود فى الجولة الأولى التى بدأت عام 1957 واستمرت حتى عام 1985، وظلت حتى يوم الناس هذا، وقد خاضها الأستاذ محمود وحده بمعية تلاميذه، فى مواجهتهم ومواجهة التحالف المحلى والإقليمى ضده. كان الذين حاوروا الأستاذ محمود ونقدوه، من الفقهاء والقضاة الشرعيين والمشايخ، يقومون بالحوار وهم أصحاب السلطة الدينية، وهم الأوصياء على عقول الناس. كانوا فى حواراتهم ونقدهم للأستاذ محمود بعيدين كل البعد عن المنهج العلمى فى التوثيق والتحليل والاستنتاج السليم، وبعيدون كل البعد عن العقلانية واحترام وجهة نظر الآخر بل وبعيدون عن الأخلاق أيضاً. اليوم تلاشى مبدأ الأوصياء على العقول، وتكاسر دور الفقيه الذى يحاور نيابة عن آخرين وتجلى عجزه فى مواجهة الفكر، وضمير دور المهـن على العقول، وتراجع دور السلطة الدينية، واتسعت قاعات المراقبة والمتابعة للمناظرات والحوارات، وتمدد الرعى وغدت الأخلاق والعلم شروطاً أساسية للحوار، أو فى طريقها لتغدو كذلك، فى النقد وتبيين المواقف وفى الدعوة للأفكار. لهذا كله فإننا فى حاجة إلى حوار جديد، يقوم على احترام الآخر والالتزام بالأسس العلمية والمعايير

الأخلاقية، وتقديم الوثيقة على الغرض والأخذ بالدليل العقلي على الخطبة العاطفية. فإن نجحنا في التأسيس لهذا الحوار الجديد، نكون قد أسهمنا في أنسنة الحياة عبر الارتقاء بالذوق والمعنى الإنساني وتنمية الحس العدلي وترسيخ المعاني الديمقراطية، وتسهيل المعارف وترفع مستوى الخدمة التنويرية.

عبدالله الفكى البشير

الباب الأول

لمحات من السيرة والإنتاج الفكري وقراءة في الدراسات السابقة

حينما صعد محمود محمد طه المشنقة؛ كنا نحن الذين عليها؛ وكان هو نحن... ولولم يستقبل الأستاذ الشهيد الموت بتلك الابتسامة الخالدة، وبرباطة الجأش النهائية، التي أبداه، لخذل فينا اعتزازاً بضرب عمقاً، ورسوخاً في كيانتنا القومية، ولسخرت منا تربيتنا التليدة (حقى المشنقة والمدفع أب ثكلى) (1).

الشاعر صلاح أحمد إبراهيم (1933-1993) (2)

وهم يريدون بعد هذا أن نؤمن ونطمئن إلى كل ما يتحدث به القدماء... نعم نستطيع أن نؤمن وأن نطمئن لو أن الله قد رزقنا هذا الكسل العقلي الذي يحجب إلى الناس أن يأخذوا بالتقديم تجنباً للبحث عن الجديد. ولكن الله لم يرزقنا هذا النوع من الكسل، فنحن نؤثر عليه تعب الشك ومشنقة البحث (3).

طه حسين (1889-1979)

-
- (1) صلاح أحمد إبراهيم، "بين محمود محمد طه وود حبوبة .. والشفيع ..."، صحيفة الصحافة، الخرطوم، 1985/6/25.
- (2) تخرج في كلية الآداب بجامعة الخرطوم، عمل بوزارة المالية ثم سفيراً بوزارة الخارجية. عاش آخر حياته بالجزائر وفرنسا. من رواد الشعر السوداني الحديث أصدر عدداً من الدواوين الشعرية منها: غابة الأبنوس وغضبة الهياى ومحكمة الشاعر للسلطان الجائر. كتب القصة القصيرة منها: وهكذا يا أستاذ واشترك مع صديقه على الملك في إصدار كتاب البرجوازية الصغيرة، فضلاً عن أنه، كتب عدداً كبيراً من المقالات الصحفية وترجم: الأرض الأتمة، للمناضل الأفريقي باتريك فان روزنبرج. المصدر: عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الثالث، ط 1، شركة أفروقراف للطباعة والتغليف، 1996، ص 1336؛ مكي أبو فرجة، أصوات في الثقافة السودانية، إدارة الطباعة والتوزيع / مؤسسة الإمارات للإعلام، أبو ظبي، 2005، ص 62-64.
- (3) طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط2، 1998، ص 155، 156.

الفصل

الأول

1

.....
لمحات من السيرة

والإنتاج الفكرى
.....

إن تاريخ الأستاذ محمود أهدر بين قطبي القلح والمدح فأسرف المادحون
وأسفَّ القادحون، كما تحدَّر بين قطبي التدليس والتقديس فضاعت حقيقة
إنسانية ما كان أجدرها أن تلهم وتعلم وتسهم في القفز بالبشرية إلى مراقى
الإنسانية ولكن لكل أجل كتاب⁽¹⁾.

عصام عبدالرحمن أحمد البوشى

(1) عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، ضمن رسالة خاصة إلى المؤلف. ووصلتنى الرسالة من البوشى فى يوم الجمعة 31 ديسمبر 2010، تعليقا على مقال كنت قد نشرته فى يوم الخميس 30 ديسمبر 2010 ضمن سلسلة مقالات بعنوان: الأستاذ محمود محمد طه والمثقفون، وقد وردت الإشارة إلى السلسلة آنفاً فى محور "قصتى مع هذا الكتاب" وفى المقدمة. كان ترتيب المقال فى السلسلة هو رقم (19)، وعنوانه: "الأستاذ محمود فى التراجم والمعاجم وموسوعات الاعلام السودانية (19)". علَّق البوشى على المقال قائلاً: "الأخ عبدالله... نجاتى وأشواقى.. الحلقة 19 لها نكهة خاصة وتثير فى النفس حزناً وأسى عميقين، بل إنها لتشعر الإنسان بتقصير الإنسان فى حق الأستاذ محمود ومن ثم فى حق أنفسنا. إن تاريخ الأستاذ محمود أهدر... إلخ".

أنا عاصرت الأستاذ محمود فى كلية غردون. كنا نحن معاصريه حاسين بأن
الأستاذ محمود يختلف عنا.. ومنطوى على سر.. وكنا نريد أن نكتشف هذا
السر... محمود كان رجل *Distinguished* متميز ومتفرد⁽¹⁾.

عبدالكريم ميرغنى (؟؟؟م-1995)⁽²⁾

نقلاً عن بدر الدين السيّمى وأحمد محمد الحسن

(1) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، الخرطوم، 2012/1/6، الساعة الثالثة عصراً.
وصف لى أحمد اللقاء مع عبدالكريم قائلاً: (أنا وبتول مختار وبدر الدين السيّمى ذهبنا إلى عبدالكريم
ميرغنى فى منزله بعد أن ترك عمله فى الوزارة كان هذا فى نحو عام 1973-1974، ضمن حملات الدعوة
الخاصة. دخلنا عليه وقت الغروب فرحب بنا ترحيباً كبيراً، وقال أنا مسرور جداً جداً لهذه المقابلة وجيتونى فى
الوقت المناسب... إلخ)؛ مقابلة مع بدر الدين يوسف دفع الله السيّمى، رافق الأستاذ محمود مع الأخوان
الجمهوريين خلال الفترة (1968-1982). تمت المقابلة عبر الهاتف والبريد الإلكتروني، وبدر الدين بمملكة
البحرين، والمؤلف فى الدوحة، 2012/12/8، الساعة 20:30 وحتى الساعة 23:00.

(2) هو عبد الكريم ميرغنى محمد من مواليد مدينة أمدرمان. التحق بكلية غردون التذكارية، وبعد تخرجه عمل فى
سلك التعليم بالسودان ثم التحق بوزارة الخارجية السودانية وابتعث إلى المملكة المتحدة لدراسة علم الاقتصاد
بجامعة برستول. وبعد اكمال دراسته ونيل السودان لاستقلاله عمل فى السفارة السودانية بالمملكة المتحدة
وكان من مؤسسيها. عمل سفيراً للسودان فى عدد من الدول. تم اختياره وزيراً للتجارة السودانية بعد ثورة
أكتوبر 1964. ثم وزيراً للتخطيط فى بداية ثورة مايو 1969 ثم أقيل من منصبه وزج به فى السجن. بعد
خروجه من المعتقل اعتزل العمل السياسى وانكب على دراسة علم الاعشاب والتداوى به وتفسير القرآن
الكريم والتصوف فأصبح مجلسه بحى ود أرو بأمدرمان عامراً بالعلماء والأطباء والسياسيين.

الميلاد والمعطيات المحلية والإقليمية والكوكبية

وُلد محمود⁽¹⁾ محمد طه مالك الفضل، في نهاية العقد الأول⁽²⁾ من القرن العشرين، بمدينة رفاعة الواقعة على الشاطئ الشرقي للنيل الأزرق بوسط السودان. كان السودان وقتئذ يرزح تحت إدارة الحكم الثنائي الإنجليزي/ المصري بموجب إتفاقية الحكم الثنائي المبرمة في 19 يناير 1899، بعد القضاء على الثورة المهديّة عام 1898. اندلعت الثورة عام 1881 بقيادة الإمام محمد أحمد بن عبدالله المهدي (1844-1885)، واستطاعت طرد الحكم التركي/ المصري (1821-1885)، بعد أن حررت العاصمة الخرطوم في يوم 1885/1/26، وقامت مجموعة من

(1) كان والده محمد طه مالك يريد له اسم (علي) ولكن تغلّب اسم والدته (محمود) وهو اسم جده لأمه. المصدر: جلال الدين الهادي الطيب إدريس، منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية، (مخطوطة)، ص 1. حصل المؤلف على هذه المخطوطة من مكتبة الأستاذ جلال الدين الهادي الخاصة بمدينة مدني وسط السودان. وفي رواية أخرى جاءت في مذكرات بتول مختار محمد طه، قالت بتول حدثني الأستاذ محمود قائلًا: (والدتي فاطمة محمود حسين توفيت عام 1915، ... كانت لها الرغبة أن تسميني محمود علي والدعا محمود حسين، وكان والدي يريد أن يسميني (علي)، على شقيقه الذي مات مبكرًا، ولقد كان والدي رجلاً قوياً وصعباً، ولكن والدتي سبقت باختيار الاسم ولذلك اسمتني محموداً وانتصرت عليه). المصدر: بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، ط 1، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة، 2012، ص 23، 39-40.

(2) وردت روايات عديدة عن سنة ميلاد الأستاذ محمود، بيد أنني ولغرض هذه الدراسة أخذت بعام 1909. فقد وقفت على روايات بتول مختار محمد طه، كما وقفت على ملف خدمة الأستاذ محمود كموظف بسكك حديد السودان. كتبت بتول مختار محمد طه، ابنة شقيق الأستاذ محمود في مذكراتها قائلة: "وردت افتراضات عن ميلاد الأستاذ محمود منها: 1909، 1910، 1911. وقالت أن الراجح 1911 لأن والدتهم [الأبناء والبنات] فاطمة محمود حسين توفيت عام 1915 بداء السحائي وهذا تاريخ مؤكد لأنه نفس العام الذي توفي فيه الشيخ طه وقد أنجبت فيه فاطمة أحمد المصطفى 1915 وقياساً على هذا فإن تاريخ ميلاد مختار 1913 ومحمود 1911، فقد قال الأستاذ محمود ذات مرة: إن الناس يولدون ولا أحد يهتم لميلادهم ولكن عندما يصبحون عظماء يبحث الناس عن تاريخ ميلادهم". المصدر: بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 27. أيضاً، وجدت في ملف خدمة الأستاذ محمود صورة من شهادة تقدير عمر ضمن شهادة كشف طبي تفيد بأن تاريخ ميلاده هو 1916/1/1. المصدر: شهادة كشف طبي ضمن محمود محمد طه، ملف الخدمه، غمرة الوظيفة (1837)، موظف غمرة: 559، سكك حديد السودان، عطبرة. ورد أيضاً، "إن التاريخ المعتمد لميلاد الأستاذ محمود هو 1909 ذلك بأن تصحيحاً جاء من إحدى أقارب الأستاذ محمود من النساء كانت قد أخبرته بمعلومة نفيد أن شخصاً معيناً مولود معه في نفس السنة وأن ذلك الشخص لديه شهادة ميلاد محددة بـ 1909 ومنذ ذلك اليوم تم التصحيح، وهو أيضاً تقريري إذ أن اليوم والشهر غير محدد". المصدر: محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بندوقى معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

أنصارها بقتل الجنرال تشارلز جورج غوردون⁽¹⁾ (1885-1833) Charles George Gordon. كان غوردون قد عُيّن حاكماً عاماً لكل السودان في فبراير 1877 من قبل الخديوى إسماعيل باشا⁽²⁾ (1895-1830). في هذا المناخ خضع السودان للحكم الثنائى الإنجليزى/ المصرى، وكانت إفريقيا والدول العربية كلها تخضع للاستعمار الأوروبى. جاء التكالب الأوروبى على إفريقيا بعد أن شهدت أوروبا عصر النهضة متزامناً مع حركة الإصلاح الدينى فى القرنين الخامس والسادس عشر، ثم قيام الثورة الصناعية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، وازدهار النظام الرأسمالى. عاشت أوروبا تحولات وتغييرات واسعة فى مختلف المجالات الاقتصادية- الاجتماعية والثقافية والفكرية⁽³⁾. لا تنفصل تلك التحولات والتغييرات فى تقاطعاتها مع آثار الثورة الفرنسية التى اندلعت عام 1789، ونشوب الحرب العالمية الأولى ما بين 1914-1918. كان من أهم نتائج الحرب نهاية الامبراطوريات القديمة. فقد تمت تصفية تركة الدولة العثمانية فى اتفاقية سيفر عام 1920 بتجريد تركيا من كل توابعها الإقليمية وانتهت إلى دولة صغيرة تحدها اليونان وأرمينيا. ومن نتائج الحرب العالمية الأولى كذلك قيام الثورة البلشفية فى روسيا القيصرية وظهور الاتحاد السوفيتى عام 1917⁽⁴⁾. لم تقف آثار تلك التحولات والتغييرات والأحداث الجسام عند حدود أوروبا الجغرافية وجوارها أو الإمبراطوريات المنافسة، بل تعدت ذلك وألقت بظلالها ونتائجها على كل شعوب الأرض. لقد خضعت الشعوب المستعمرة فى كل مناحى حياتها إلى سياسات الدول المستعمرة. ولم تك تلك السياسات سوى نتائج لتفاعلات الواقع الأوروبى على مختلف أبعاده: الدينية والفكرية والثقافية والاقتصادية مرهوناً بالصراعات والمنافسة من أجل السيطرة على الأرض والشعوب والعقول.

-
- (1) محمد سعيد القدال، الإمام المهدي محمد أحمد بن عبدالله (1885-1844) لوحة لشارل سودانى، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2003، ص 147.
- (2) روبرت أو. كولنز، تاريخ السودان الحديث، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، دار العين للنشر والمركز القومى للترجمة، القاهرة، 2010، ص 40.
- (3) حيدر إبراهيم، العلمانية: المفهوم والقضايا، سلسلة الثقافة السياسية (5)، وحدة السودان أولاً، ط 1، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، 2005، ص 12.
- (4) حيدر إبراهيم، "على عبدالرازق... معاصراً"، (تقديم)، الإسلام وأصول الحكم: بحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2011، ص 17. صدر هذا الكتاب بقلم على عبدالرازق فى طبعته الأولى عام 1925 عن مطبعة مصر.

فى هذا المناخ الكوكبى وُلد الأستاذ محمود فى السودان. كان السودان، وهو يحبو نحو الحداثة، ويبحث عن مركزه الحضارى، ولا يزال، كان يدور فى فلك العالم العربى والإسلامى منفصلاً عن إرثه الحضارى ومغيباً عن ذاتيته الضارب جذرها فى القدم، وقد تضافرت عوامل شتى لخلق هذه الوضعية الهشة، فقد شهد العالم العربى والإسلامى انطلاق الحركات الإصلاحية داخل الأمبراطورية العثمانية وولاياتها خلال القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وكان شعار تلك الحركات التغيير والتجديد، والإسهام فى الحضارة الحديثة، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية⁽¹⁾. وقد اتخذت هذه الحركات توجهات وتيارات مختلفة منها ذات النزعة السلفية، ومنها العقلانية الليبرالية المتفتحة⁽²⁾، وكانت هناك الدعوة الوهابية بقيادة محمد بن عبد الوهاب (1703-1791)، فى شبه جزيرة العرب، التى دعت إلى اتباع السلف فى أمور العقيدة، والحركة السنوسية بقيادة محمد بن السنوسى (1787-1809)، بليبيا، والتى جمعت بين النزوع الوهابى فى الإصلاح الدينى، والنزوع الصوفى، ومعاداة الاستعمار⁽³⁾. أما الحركة المهدية فى السودان بقيادة محمد أحمد بن عبدالله المهدي فقد تبنت الجهاد ضد المستعمر، ودعت إلى الرجوع إلى الدين الحق وإلغاء المذاهب الأربعة. كذلك برز عدد من المصلحين منهم: جمال الدين الأفغانى (1839-1897)، الذى رفع شعار الوحدة/ الجامعة الإسلامية القائمة على قيم الإسلام الأصلية المؤدية إلى اكتساب القوة والعقل والفضيلة⁽⁴⁾، والإمام محمد عبده (1849-1905)، الذى حاول التواصل والتجاوز فى مسيرة الإصلاح، وحاول تعريف الإسلام الحقيقى وربط ذلك بمعطيات المجتمع الحديث، ليصل إلى أن الإسلام صالح لأن يكون أساساً للحياة المعاصرة⁽⁵⁾. أما عبد الرحمن الكواكبي (1848-1902)، فقد انفتح على علم الاجتماع الإنسانى، وسلط جام غضبه على الحكم المطلق ودعا للمطالبة

(1) عباس أرحيلة، 'حركات الإصلاح فى العالم الإسلامى'، مجلة المنهل، العدد 528، العام (21)، شعبان 1416 / ديسمبر 1995، ص 31-22.

(2) المرجع السابق، ص 31-22.

(3) عباس أرحيلة، مرجع سابق، ص 31-22.

(4) حيدر إبراهيم، 'على عبدالرازق... معاصراً'، (تقديم)، مرجع سابق، ص 16-17.

(5) المرجع السابق، ص 16-17.

بالحقوق، وشخص أمراض المسلمين⁽¹⁾. وواجه رفاة الطهطاوى (1801-1873)، وخير الدين التونسي (1810-1890)، سؤال التوفيق بين الحضارة الغربية المتفوقة والمبهرة، وبين حضارتهم الراكدة والغافلة⁽²⁾. وكان أيضاً، محمد رشيد رضا (1865-1935)، الذى أصدر "مجلة المنار" وقد حلت محل "العروة الوثقى" فى التجديد الدينى، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية. حاول بدوره تصحيح العقيدة والدفاع عن الإسلام، وإصلاح نظام التربية والتعليم، والانفتاح على تدريس العلوم العصرية⁽³⁾. هذه بايجاز بعض معالم أطروحات الإصلاح والتغيير والتجديد التى شهدتها العالم الإسلامى، حينما وُلد الأستاذ محمود، وعبرت عنها الحركات الإصلاحية وهى التى تقرأ على أنها حالة يقظة وأشواق للتغيير والدخول فى الحداثة وعصر التحديث.

ما بين المدينة والقرية ورعاية البادية

إن كل إنسان يجب أن يجلس مرة ليراجع كل أحداث حياته السابقة (يقرأ الأيام).. فإذا استطاع أى فرد منا أن يعيد الزمن لوجد أن ما حدث له فى الماضى، ما كان يمكن أن يحدث أحسن منه⁽⁴⁾.

الأستاذ محمود محمد طه

نقلًا عن بتول مختار محمد طه

لم يفصل بين وفاة والدى الأستاذ محمود سوى بضع من السنوات وهو دون سن الثانية عشرة من عمره. فقد توفيت والدته، فاطمة بنت محمود حسين⁽⁵⁾،

(1) عباس أرحيلة، مرجع سابق، ص 22-31.

(2) حيدر إبراهيم، "على عبدالرازق... معاصراً"، مرجع سابق، ص 17.

(3) عباس أرحيلة، "مرجع سابق، ص 22-31.

(4) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 39.

(5) التقى محمد طه زوجته فاطمة بنت محمود فى منزل ابنة خالتها فاطمة بنت ضرار زوجة عبدالله الغول فى

مدينة أمدرمان حى بيت المال، وقد جاءت فاطمة مع أسرتها لحضور حفل زواج فى الأسرة وكان محمد طه يقرب لرب الأسرة عبدالله الغول. وبعد تلك المناسبة ذهب محمد طه إلى أهلها بقرية (صفيتة) من القرى المحيطة بمدينة رفاعا، وتقدم لخطبتها وتم الزواج ورحل بها حيث استقرت معه فى منزله على شاطئ النيل الأزرق فى مدينة رفاعا فى حى صغير يقع غرب المدينة يعرف باسم الدير الغربى وقد كانت معهم جدتهم زينب بنت حمزة والدة فاطمة. بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 26.

عام 1915⁽¹⁾. وفور وفاتها⁽²⁾ خرج زوجها الوالد محمد طه مالك بأطفاله⁽³⁾ من مدينة رفاعه إلى قرية الهجيليج التي تنكئ على الضفة الشرقية من النيل الأزرق، على بعد نحو خمسة عشر كيلو متراً عن مدينة رفاعه. صور الأستاذ محمود مشهد ذلك الخروج من المدينة إلى القرية لبنت شقيقه بتول مختار محمد طه، قائلاً: "خرج محمد طه بأطفاله من المدينة، أربعة أطفال (بنتين وولدين) في هودج على ظهر جمل، في يوم ممطر يعبرون الأراضي الواسعة ليواجهوا حياة جديدة في مكان جديد"⁽⁴⁾. كان المكان الجديد هو قرية الهجيليج، وقد عبر الأستاذ محمود عن أثر قرية الهجيليج في تنشئته قائلاً: "أنا أعتقد أن الهجيليج لها أثر كبير على تنشئتي، وكان من المعروف في ذلك الزمان أن يأخذ الناس أبناءهم إلى البادية.. يرضعوا البادية.. يتنفسوا الهواء هناك.. يكبروا ويمارسوا نوع الحياة هناك.. وإن لتنشئتي ونشأتي في البادية أثراً كبيراً..."⁽⁵⁾.

(1) لما توفيت الوالدة فاطمة، كان الأبناء والبنات صغاراً، فقامت برعايتهم جدتهم لوالدتهم زينب بنت حمزة مع مربيتهم ربي جود، وزايد المال. كانت جدته زينب تسميه "دراج"، قال الأستاذ محمود: "إن جدتي لوالدتي زينب بت حمزة كانت تسميني دراج، ومعنى دراج هو الشخص الذي يأخذ بيد الضعفاء يقويهم ويساعدهم بالتدرج"، وكانت أمي ربي جود أيضاً تناديني بدراج، فقد سمعت تلك العبارة من جدتي زينب بت حمزة". المصدر: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 28، 40. كانت "ربي جود"، في ذلك الوقت في مقتبل عمرها وقد وهبتهم سنى شبابها ورفضت كل من تقدم لزوجها واستمرت مع الأستاذ محمود حتى توفيت بمنزله بالثورة عام 1982. أما زينب حمزة فقد توفيت عام 1948. حضر الأستاذ محمود وفاتها وأشرف على دفنها. المصدر: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 37؛ جلال الدين الهادي، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 1.

(2) أحب محمد طه وفاطمة خمسة من الأبناء والبنات وكانوا على التوالي بتول 1907، وكتوم 1909، وجاء بعدهن الأستاذ محمود 1911 (1909)، ثم مختار 1913 وأخيراً أحمد المصطفى 1915. توفي أحمد المصطفى بعد ولادته، وقد أصيبت الوالدة فاطمة بداء السحائي (الحُمى النخاعية) وتوفيت في ذلك العام ودفنت في قرية صفينة مقر أسرتها. المصدر: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 27.

(3) حدثني على لطفی، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود وشقيق زوجة الأستاذ محمود، بأن للأستاذ محمود أختاً من الرضاعة وهو محمد عمر عبدالمحسن، والدته زهرة عبدالله قوی شقيقة لطفی عبدالله قوی. المصدر: مقابلة مع على لطفی، يوم الاثنين 2011/7/25، أمدرمان. وللأستاذ محمود أيضاً أخ من أبيه، اسمه أحمد البر. المصدر: على لطفی، مصدر سابق؛ جلال الدين الهادي، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 2.

(4) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 30.

(5) المصدر السابق، ص 41.

بدأ الأستاذ محمود تعليمه وهو فى سن السابعة بالدراسة فى الخلوة بقرية الهجيليج⁽¹⁾، وكان قد تدرب على المساعدة فى الزراعة وأمور الأسرة على يدى والده، فما لبث أن توفى الوالد فى عام 1920⁽²⁾. عاش الأستاذ محمود بعد وفاة والديه وهو دون سن الثانية عشرة، حياة لخص وصفها لبثول مختار محمد طه قائلاً: "حياتى كلها يتيم⁽³⁾". وعن تفسيره لهذه العبارة، كتبت بتول فى مذكراتها وهى تشعر بالألم لأنها تنظر "لليتم من ناحية تثير الحزن والعطف"، كتبت قائلة: "وهو ينظر لليتم من ناحية اختيار إلهى ليقويه، ويحقق به درجات من التوفيق والنجاح، ليس من السهل أن تتحقق وسط الوالدين. ولذلك كان يقول كثيراً: إن اليتيم أحياناً يساعد الإنسان على شق طريقه فى الحياة، والنجاح نحو الهدف الذى يحدده"⁽⁴⁾.

بعد وفاة الوالد محمد طه، كان الأستاذ محمود قد بلغ سن الدخول للمدرسة، ولما لم تكن هناك مدارس فى القرية وقتئذ عادت الأسرة إلى مدينة رفاة واستقرت فى منزلها القديم الذى وُلد فيه الأبناء والبنات. وفى مدينة رفاة التحق الأستاذ محمود وشقيقه مختار⁽⁵⁾ بكتاب رفاة عام 1924⁽⁶⁾، ومن ثم المرحلة الوسطى. وكانا

(1) ب وفاة والدتهم وكذلك والدهم عام 1920، وهم صغاراً لم يكن أكبرهم قد تجاوز سن الرابعة عشرة، نشأوا نشأة وصفها الأستاذ محمود قائلاً: "وكانت نشأتنا زى البروس". جلال الدين الهادى، منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص2. البروس هو النبات الذى ينمو دون زارع، وبرس الأرض سهلها، والبُرس القطن. المصدر: عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية فى السودان، ط3، الدار السودانية للكتب، 2002، ص90.

(2) كان محمد طه تاجراً يعمل فى تجارة العطور وفى نفس الوقت يعمل فى الزراعة يزرع الخضروات والذرة فى مزرعته بقرية الهجيليج. وعندما توفى دفن بقرية الهجيليج. المصدر: بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص28. وأورد جلال الدين الهادى قائلاً: والد الأستاذ محمود هو محمد طه وكان يعمل بالزراعة فى منطقة الهجيليج وبتجارة الجمال والمراكب على النيل الأزرق. جلال الدين الهادى، منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية، مصدر سابق، ص1.

(3) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص44.

(4) المصدر السابق، ص44.

(5) انتقلت الأسرة إلى رفاة بعد أن أصرت عمته بت المكى أن يذهب هو وشقيقه مختار إلى المدرسة. بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص42.

(6) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

يعودان لقرية الهجيليج للزراعة فى موسم الخريف، ليزرعا ويحصدا من الذرة والخضروات ما يكفى حاجتهم لمدة عام كامل. هذه المهمة كانت تتسبب فى غياب الأستاذ محمود وشقيقه مختار عن المدرسة لبعض الوقت، إلا أن إدارة المدرسة كانت متفهمة ومدركة لظروفهما، فلم تخضعهما للمساءلة. أضافت بتول مختار محمد طه فى مذكراتها، قائلة بأن الأستاذ محمود قال لها: "عندما كنا صغارا لم نكن منعمين مثلكم، فقد كنا أيتاماً.. كنا نعمل فى سن مبكرة لنجمع قوتنا إذ لم يكن لنا أعمام ولا أخوال ولا شخص يشرف على تربيتنا"⁽¹⁾. أكمل الأستاذ محمود تعليمه الاولى بمدينة رفاعه وبنهاية عام 1931 أتم المرحلة الوسطى، فانتقل إلى الخرطوم، للالتحاق بكلية غردون.

كانت الخرطوم فى بواكير القرن العشرين قد شهدت قيام مؤسسات التعليم الحديث: كلية تدريب المعلمين والقضاة بأمدردمان عام 1900، ومدرسة الصناعة بأمدردمان، وكلية غردون التذكارية عام 1902 "Gordon Memorial College" (حالياً جامعة الخرطوم)، تخليداً لذكرى الجنرال البريطانى تشارلز جورج غوردون، والمدرسة الحربية (مدرسة الخرطوم الحربية) عام 1905، وافتتحت مدرسة كتشنر الطبية عام 1924. كما أنشئ المعهد العلمى بأمدردمان سنة 1912 على غرار الأزهر من حيث المناهج واللوائح، وجُعِلت مدة الدراسة فيه اثنتى عشرة سنة كمدة الدراسة فى الأزهر⁽²⁾. كان الحاكم العام قد أنشأ عام 1902، مجلساً للعلماء⁽³⁾. أطلق عليه "لجنة العلماء" ينظم التدريس فى الجامع الكبير بأمدردمان ويمهد لإنشاء المعهد العلمى⁽⁴⁾. كان لهذه المؤسسات دور عظيم فى تاريخ السودان، كما لعب المعهد العلمى بشكل خاص دوراً

(1) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص38.

(2) عزالدين الأمين، نقد الشعر فى السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1999، ص 17، 22.

(3) محمد عمر بشير، التعليم فى السودان فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956)، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدردمان الأهلية، أمدردمان، 2005، ص10.

(4) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المآزق التاريخى وآفاق المستقبل (جدلية التركيب)، المجلد الأول، ط2، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص185.

خطيراً فى حياة الأستاذ محمود ووقف موقفاً عدائياً تجاه مشروعه، واستمر ذلك التأثير حتى تاريخ اليوم. وسيأتى الحديث عن: "الأستاذ محمود والمعهد العلمى بأبدرمان" لاحقاً. رفدت تلك المؤسسات التعليمية الحديثة واقع الحياة السودانية فى مطلع القرن العشرين بالطلّاع الأولى للمتعلّمين، بجانب أولئك الذين سافروا للدراسة فى مصر ولبنان. وكان التعليم قبل ذلك تعليمياً دينياً، أساسه العلوم الشرعية واللغة العربية، وقوامه الكتّاب والخلوة والمسجد ومجالس العلماء والأزهر⁽¹⁾.

سنوات الدراسة فى كلية غردون (1932-1936)

زاملت فى الدراسة بكلية غردون جمال محمد أحمد، وبابكر عوض الله، وحسن الطاهر زروق، وصلاح الدين عبد الله والدرديرى عثمان، ونصر الدين السيد، ومحمود محمد طه، والآخر كان أكثرنا طهرأ وشجاعة وجدية، لدرجة أننا لم نكن نستطيع التفوه بأى عبارات غير لائقة فى حضوره⁽²⁾.

عبد الرحمن عبد الله⁽³⁾

التحق الأستاذ محمود بقسم المهندسين بكلية غردون، وكان ينوى دراسة القانون،

(1) عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 17-22.

(2) عبد الرحمن عبد الله، "المربى عبد الرحمن عبد الله يروى قصصاً من كفاح جيل"، (حوار صحفى)، حاوره: علاء الدين بشير، صحيفة الصحافة، العدد رقم: 4835 بتاريخ 26 نوفمبر 2006، الخرطوم.

(3) عبد الرحمن عبد الله هو أحد خريجي كلية غردون عام 1936، وهو نفس العام الذى تخرج فيه الأستاذ محمود. هو عبد الرحمن عبد الله عبد العال، ولد بمدينة دنقلا فى يوم 1915/9/15، ودرس الأوليه بدنقلا، والوسطى ببربر، ثم دخل كلية غردون ليدرس الهندسة ولكن وبسبب ضعف نظره تحول إلى دراسة الرياضيات التى تخصص فيها الى جانب اللغة الانجليزية. ابتعث إلى إنجلترا لنيل دبلوم فى التربية من جامعة ليستر لمدة سنتين، ثم عاد ليعمل أستاذاً للرياضيات والانجليزية بكلية غردون فزامل أستاذه إسماعيل الأزهرى فى التدريس. استقال من كلية غردون بتصبحة من الأستاذ محمود ليصبح مديراً للمدرسة القبولد الاهليه الوسطى وهى أول مدرسة وسطى فى كل السودان الشمالى من حلفا إلى ببربر. عمل نائباً لناظر مدرسة رمبيك الثانويه، ومديراً للمدرسة عطبرة الثانويه فى منتصف الخمسينيات، وبعد سودنة الوظائف أصبح اول سودانى يشغل منصب الناظر للمدرسة أمدرمان الثانويه بنات. كما عمل مساعداً لوكيل المعارف للمدارس غير الحكومية، وتبوأ منصب نائب وكيل وزارة التربية والتعليم فى ستينيات القرن الماضى. من طلابه: البروفيسور الراحل عبد الله الطيب، والبروفيسور صلاح الدين أحمد محمد، ومولانا ايبيل البر والبروفيسور ريتشارد حسن الذى صار طبيباً ثم مديراً لجامعة جوبا، والبروفيسور أحمد على قنيف، وغيرهم. المصدر: عبد الرحمن عبد الله، مصدر سابق.

ولكن تم الاختيار لقسم المهندسين⁽¹⁾. وعلى الرغم من تخرجه فى قسم المهندسين إلا أن الأستاذ محمود سعى بعد ذلك لدراسة القانون وقدم خطاباً أرفق معه طلباً للالتحاق بكلية السودان للقانون the Sudan School of Law، وعلل فى خطابه السبب والهدف من دراسته للقانون. (سيأتى تفصيل ذلك لاحقاً). التحق الأستاذ محمود بقسم المهندسين بكلية غردون فى أوائل عام 1932 وهو العام التالى لإضراب الطلبة، طلبة كلية غردون، والعام الثالث من انفجار الأزمة الاقتصادية عام 1929. كان إضراب الطلبة فى يوم 24 أكتوبر عام 1931، أكبر حدث سياسى يشهده السودان منذ فشل ثورة 1924. يقول الأستاذ محمود: "يلاحظ أنه فى الأزمة بتاعة سنة 29 و 30 و 31 نشأ أول إضراب معروف عندنا فى السودان العاصرناه وهو إضراب كلية غردون..."⁽²⁾. وقد ترتبت على الإضراب الكثير من الآثار على الحركة السياسية. أحيا الإضراب الروح الوطنية كما أنه مثّل نقطة البداية لنشاط الطائفية الاستقطابى. يقول محمد سعيد القدال (1935-2008):

لقد كانت للإضراب آثاره السلبية والإيجابية، التى ألقت بظلالها على الحركة السياسية. فقد فتح منفذاً محدوداً كشف عن قدرات الجيل الجديد المساعد للمصادمة. وحفز المعلمين للتصدى لبعض مشكلاتهم. فتكونت لجنة من عشرة منهم، ظلوا يتداولون لمدى شهر، بسبب التيارات المختلفة بينهم. وخرجوا فى النهاية بمذكرة عكست التنازلات التى قدمها كل فريق، وصاغوها وقدموها للحاكم العام... ولكن الحكومة أغفلت المذكرة وأصدرت أمراً بحل اللجنة. وتمثل الجانب السلبي فى تدخل القيادات الطائفية، الذى أدى إلى إنهاء الإضراب⁽³⁾.

(1) بدلاً عن كلية الهندسة، وقد توافق ما أوردته مع ما كتبه الأستاذ محمود بخط يده، فقد كتب: "... وفى أوائل عام 1932 دخلت مرحلة الثانوى (كلية غردون) قسم المهندسين... إلخ". المصدر: محمود محمد طه، تعريف بمحمود محمد طه، (مخطوطة)، تتكون المخطوطة من ثمانى صفحات، وقد كتبها الأستاذ محمود بخط يده، وكتب التاريخ أعلى صدرها هكذا: أمدمان 1972/2/26، وقد اطلعت على هذه المخطوطة، وحصلت على نسخة منها من الأستاذة أسماء محمود محمد طه، ص 1.

(2) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بتمدوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(3) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820-1955، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدمان، 2002، ص 460.

كان السبب المباشر للإضراب هو تخفيض مرتبات الخريجين من ثمانية جنيهاً في الشهر إلى خمسة جنيهاً ونصف⁽¹⁾. يقول محمد عمر بشير: "وأقسموا [أى الطلاب] على المصحف بألا يعودوا للدراسة ما لم يتم إلغاء القرار الصادر من الحكومة بتخفيض المرتب الشهري للخريج..."⁽²⁾. ويذهب مكى المنا (1908-1987) أحد قادة الإضراب فى روايته لصحيفة الرأى العام عام 1946⁽³⁾، أن للإضراب مقدمات تتصل بسياسة البطش والتنكيل والتضييق التى اتبعتها الإدارة الاستعمارية بعد ثورة 1924 فى القطر كله وبشكل أشد فى كلية غردون، يقول مكى المنا: "وحتى أصبح من المؤلف أن ترى (قطيعاً) منهم يحملون التراب فى عملية تعذيبية منكرة ووراءهم صف من رؤسائهم الطلاب الكبار يضربونهم بالعصى فى غير تورع أو شفقة ومن غير ما ذنب جنوه والويل لمن تحدته نفسه أن يسأل لماذا يضرب"⁽⁴⁾. استمر الحال هكذا حتى تغير الأمر بعودة بعض الذين كانوا يدرسون فى بيروت. يقول مكى المنا: "عاد الأساتذة عبيد النور وعبدالفتاح المغربى من دراستهم بالجامعة الأمريكية ببيروت وهالهما ما رأيا من فارق عظيم بين معهد ومعهد، وبين طالب وطالب وقام الأستاذ عبيد بحركة هائلة أراد منها أن يرفع الارهاب والإذلال عن كل الطلبة ويشعرهم أن الدراسة العليا يجب أن تهدف إلى خلق القوة والإرادة للتغلب على متاعب الحياة إلى جانب تحصيل العلم"⁽⁵⁾. هذه الحركة بتعاليمها الجيدة قادت إلى تغيير الوضع بين الطلبة. فالمقدمات إلى جانب الأزمة الاقتصادية مع تخفيض رواتب الخريجين أدت لإضراب. قاد التعاطى مع الإضراب إلى انقسام حاد وصفه محمد أحمد المحجوب (1908-1976)، وعبدالخليم محمد (1910-2009) قائلين: "وانقسم البلد بلدين، ودق المسمار الأول فى نعش وحدتنا..."⁽⁶⁾. كانت الفئة التى تزعمها الشيخ أحمد السيد

(1) المرجع السابق، ص 459.

(2) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان (1900-1969)، ترجمة هنرى رياض وآخرين، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (ب. ت. ن.)، ص 153.

(3) "أول إضراب للطلبة فى السودان كما يرويه أحد قادة الإضراب (مكى المنا)"، صحيفة الرأى العام، 31 مارس 1956، الخرطوم.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

(6) محمد أحمد المحجوب وعبدالخليم محمد، موت دنيا، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1946، ص 109.

الفيل (1878-1951) رئيس لجنة العشرة، قد أيدت استمرار الطلاب في إضرابهم، وقد عرفوا به (الفيلست) وكان يقف خلفها السيد على الميرغنى (1880/79/73-1968). أما الفئة الأخرى التى أدانت الإضراب خشية قيام الحكومة بقفل الكلية فقد كانت خلف السيد محمد على شوقى (1894-1960) الذى كان رئيساً لنادى الخريجين وقد عرفت بفئة (الشوقست) وكان خلفها السيد عبدالرحمن المهدي (1885-1959)⁽¹⁾. كان شوقى قد تقدم باقتراح إلى الحكومة برفع راتب الخريج إلى ستة جنيهات ونصف كحل وسط، فقبلت الحكومة والطلبة اقتراحه. وتدخل السيد عبدالرحمن المهدي، الذى كان ابنه الصديق أحد قادة الإضراب، وكان من ضمن ما قاله للطلبة أنه من الضروري أن تظل أبواب الكلية مفتوحة لكى تخرج جيلاً من المتعلمين لخدمة القضية الوطنية. وأكد للطلاب أنه وفقاً لاحكام الشريعة الإسلامية فإن التحلل من القسم يمكن أن يتحقق لدى القيام بعمل من أعمال البر أو العبادة. وإنه على استعداد لأداء ذلك نيابة عنهم بإطعام الفقراء والمساكين⁽²⁾. كان الأخذ باقتراح شوقى انتصاراً للسيد عبدالرحمن وللشوقيين، مما أثار حفيظة السيد على وجماعته الفيليين⁽³⁾. بعد ذلك زاد السيد عبدالرحمن من اهتمامه بالخريجين. فاخذ يتبرع لهم بسخاء لجمعياتهم الخيرية، ويساعد غير المقتدرين على مواصلة دراستهم، ويستضيف البعض فى داره... مما جعل المخبرات تصفه عام 1934 بأنه الزعيم السياسى "لطبقة الخريجين"⁽⁴⁾. فى ظل هذا المناخ المفعم بالصراعات والمشحون بحالة الاستقطاب الطائفى التحق الأستاذ محمود بقسم المهندسين بكلية غردون. يقول الأستاذ محمود: "لن [عندما] حصل إضراب الطلبة فى كلية غردون كان سنة 31، نحن جينا عقبه طوالى للكلية،..."⁽⁵⁾. وعن الجانب الإيجابى لإضراب كلية غردون فى الحركة

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان المأزق التاريخى وآفاق المستقبل (جدلية التركيب)، مج 1، مرجع سابق، ص 350-351.

(2) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان (1900-1969)، مرجع سابق، ص 153.

(3) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1955 - 1820، مرجع سابق، ص 460.

(4) المرجع السابق، ص 460، 461.

(5) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

الوطنية، يقول الأستاذ محمود: "فكان الإضراب دا أحيا روح وطنية كان وسيط تعبيرها الأدب، نشر ونص، ما كنت تكاد تلقى قطعة نثرية أو قصيدة الا وهى متجهة لإحياء الروح الوطنى فى الناس.. وكان فعلاً الأدب وسيط للتعبير عن الروح الوطنية اللى هى منها نشأت الأحزاب السياسية فيما بعد، بعد نشأة مؤتمر الخريجين"⁽¹⁾.

الكتابة فى مجلة كلية غردون⁽²⁾ عام 1935 وشهادات الزملاء

أنا درّست الأستاذ محمود... ويمكننى أن أشهد وأنا أستاذ لعدد كبير من الطلاب، بأنه أفضل من يجيد اللغة العربية والإنجليزية فى السودان⁽³⁾.

الدرديرى محمد عثمان (1896-1977)⁽⁴⁾

نقلاً عن أحمد محمد الحسن

(1) المصدر السابق.

(2) صدرت مجلة كلية غردون التذكارية فى مطلع الثلاثينيات كأول مجلة جامعية وكانت نصف سنوية. واشترك فى تحريرها الأساتذة والطلاب وتغير عنوانها حسب المتغيرات التى صاحبت تطور جامعة الخرطوم طوال نصف قرن. فقد تغير عنوانها إلى مجلة الكلية، وكانت سنوية ثم نصف سنوية تصدرها كلية الخرطوم الجامعية (1952-1955). ثم تغير عنوانها إلى الجامعة، وكانت سنوية تصدرها جامعة الخرطوم، المصدر: قاسم عثمان نور، دليل الدوريات السودانية: الصحف (1903-1998) - للمجلات (1931-1998)، المجلس القومى للصحافة والمطبوعات بالتعاون مع مركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، 1999، ص 42؛ قاسم عثمان نور (جمع واعداد وتصنيف)، مصادر الدراسات السودانية بالمجلات والدوريات السودانية (1931-1967)، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1970، ص 19.

(3) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، مصدر سابق. حدثنى أحمد أن هذه الرواية سمعها من أستاذ سعيد الطيب شايب، فى مجلس الأستاذ محمود، وكان أستاذ سعيد ينقل للأستاذ محمود ما دار بشأن زيارته للأستاذ الدرديرى محمد عثمان.

(4) وُلِدَ فى مدينة أمدرمان. تخرج فى كلية غردون عام 1914. عمل بالتدريس ثم انتخب نائباً للمأمور كسلا عام 1921. وفى عام 1925 نقل إلى جبال النوبة بجنوب كردفان ثم صار مأموراً فمحاضراً للقانون فى مدرسة البوليس. نقل إلى السلك القضائى فى منصب قاضى جزئى ثم مسؤولاً عن قلم الترجمة بمكتب السكرتير القضائى وترقى حتى منصب قاضى محكمة عليا كأول منصب تقلده سودانى. وفى عام 1952 تفرغ للعمل السياسى واختير سكرتيراً للجهة الوطنية. من مؤسسى نادى الخريجين بأمدرمان عام 1918، ومن مؤسسى مؤتمر الخريجين. فى عام 1954 اختير عضواً فى لجنة الحاكم العام (مجلس السيادة) ممثلاً للحزب الوطنى الاتحادى لتتولى اللجنة مهام السيادة فى فترة الحكم الذاتى. كان عضواً فى مجلس رأس الدولة. ينتمى إلى طائفة الختمية وكان من المقربين إلى السيد على. نشر مذكراته عام 1961. المصدر: المعتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2009، ص 181-182.

أثناء فترة الدراسة بكلية غردون شارك الأستاذ محمود فى الجمعيات الأدبية والنشاطات الرياضية: العدو والسباحة⁽¹⁾ وفلاحة البساتين وكتابة المقالات. لقد وقفت على بعض كتابات الأستاذ محمود فى مجلة كلية غردون بدار الوثائق القومية، الخرطوم. فمن خلال تلك الكتابات، وشهادات رصفائه، يمكن القول بأن فترة دراسة الأستاذ محمود فى كلية غردون اتسمت فى علاقاته مع زملائه وأصدقائه بروابط إنسانية رفيعة، وكان يحظى باحترام كبير بين زملائه وأصدقائه، وكانت لشخصيته هبة لفت انتباه بعضهم، وكان مؤثراً فى الكثيرين منهم. تجلت تلك الرابطة الإنسانية الرفيعة فى مواقف عديدة منها حينما كتب راثياً أحد أصدقائه⁽²⁾. فى ذلك الرثاء عبر الأستاذ محمود بعاطفة جياشة عن حزن وأسى عميقين، ووصف صديقه وصفاً دقيقاً نفذ منه إلى ما رآه فيه وما ينشده من مثل ومعانى إنسانية لا سيما دماثة الخلق والحكمة والتجربة والصلابة ورباطة الجأش. نُشر المقال⁽³⁾ فى مجلة كلية غردون، وهو فى السنة الدراسية قبل الأخيرة. كان المقال بعنوان: "فقد صديق"⁽⁴⁾، جاء فى مدخل المقال (أنظر ملحق رقم: "1"):

لين فى الجانب، ودماثة فى الأخلاق، وقسط موفور من الوفاء، وحفظ الوداد إلى رباطة جأش، وصلابة عود وحسن مبدأ، كل هذه الصفات كانت تطالعنى من صديقى أبى طالب. فكنت أجد فيها المتعة والهناة وكانت تدفع بنفسى دفعاً إلى مصادقته وإيمائه وتملك على إعجابى به وتقديرى له حتى أشعر من أعماق نفسى أنى أنشد فيه المثل وأرى فيه بريق الرجولة الجبارة.

ختم الأستاذ محمود رثاءه بقوله:

فقد غادر نفساً تشجى دموعاً وأسى وألسنة تبلبل وأكبأداً تنفطر وحشاشات تذوب من فرط الحزن وزفرات تنصاعد من الأسى وأناساً هم أحوج ما يكونون

(1) جلال الدين الهادى الطيب إدريس، منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 2.

(2) اسم الصديق محمد أبو طالب، وقد وصلت لهذا الاسم عبر الاستنتاج من المقال، فقد وردت الإشارة فى بداية المقال لأبى طالب وفى الخاتمة لمحمد.

(3) محمود محمد طه، "فقد صديق"، مجلة كلية غردون، العدد 3، المجلد 4، 8 مارس 1935.

(4) من خلال رحلة بحثى فى سيرة الأستاذ محمود ومشروعه، والتى لم تنته بعد، يمكننى القول - مع الاحتراز - بأن هذا المقال هو أول مقال نشره الأستاذ محمود.

إليه. نعم إن يكن قد أودى فقد ترك في نفوس أصدقائه ذكرى تشوبها التجلة
والاكبار والشفقة والحنان وليت شعري هل في مكتبة أحد أن يقف أمام هذه الكارثة
غير موقفنا هذا من الحزن والأسى ألا رحم الله محمداً فقد كان قوى النفس طيبها
ماضى العزيمة نافذها وألهم آلهم حسن العزاء ما يكفل لهم حسنة الدنيا والآخرة .

كذلك تفيدنا الكتابات في **مجلة كلية غردون** أثناء فترة الدراسة، بأن الأستاذ محمود
كان متفاعلاً مع الفعاليات والأنشطة التي تنظمها الكلية. فقد كتب مقالاً بعنوان:
"المهندسون في رحلتهم"⁽¹⁾، جاء في مدخله، (أنظر ملحق رقم: "2"):

أسبوع ولا كالأسابيع ذلك الذي أمضيته في نجاد كررى في معية أستاذنا الهمام إبراهيم
أفندي أحمد⁽²⁾ فكان في حياتنا المدرسية هذه كالحلقة الذهبية في السلسلة الفولاذية أم كان كذلك
وأصفى أديماً وأشد بريقاً من ذلك. اسبوع أمضيته بمعزل من ضوضاء المدن وتأتق المدنيين
وتكلفهم دينك اللذين يجعلان هذه الحياة أشد تعقيداً وأكثر تحرجاً مما هي في حقيقة أمرها...

شهد الأستاذ الدرديري محمد عثمان، وهو من الذين درسوا الأستاذ محمود، كما ورد
أنفاً، وأضاف الأستاذ الدرديري عن الأستاذ محمود قائلاً: "فقد كان طالباً متميزاً جداً"⁽³⁾.

(1) محمود محمد طه، "المهندسون في رحلتهم"، **مجلة كلية غردون**، العدد الثاني، المجلد الثاني، 21
ديسمبر 1935، الخرطوم، ص 18-19.

(2) ولد إبراهيم أحمد عام 1898 في حلفا (دغيم) بشمال السودان. تخرج في قسم المهندسين بكلية **غردون**
عام 1920، وعين فور تخرجه أستاذاً بالكلية وفي عام 1925 صار كبير الأساتذة السودانيين بمدرسة الهندسة.
أوفد في بعثة إلى المملكة المتحدة في عام 1938، فعين مراقباً لشؤون الطلبة بالكلية ثم نائباً لمدير الكلية حتى
تقاعده ثم اختير أول رئيس لمجلس **جامعة الخرطوم**. من مؤسسى مؤتمر الخريجين المنتخب عضواً في اللجنة
التنفيذية لمؤتمر الخريجين في دورات عديدة. انتخب رئيساً لمؤتمر الخريجين في الدورتين الخامسة والسادسة،
وفي عهد رئاسته للدورة الخامسة تقدم المؤتمر بمذكرته الشهيرة مطالباً بحق تقرير المصير بعد انتهاء الحرب
مباشرة. قاطع عضوية المجلس الاستشارى لشمال السودان تنفيذاً لقرار المؤتمر بالمقاطعة. من مؤسسى حزب
الأمة وصار ممثلاً للاستقلاليين في لجنة الحاكم العام في أول فترة الحكم الذاتى. اختير وزيراً للمالية
1957-1958 وظل في منصبه حتى نهاية العهد الديمقراطى في 17 نوفمبر 1958. من مؤسسى البنك
التجارى عام 1960 وصار مديراً له حتى تأميمه عام 1970. المصدر: المعتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات
مؤتمر الخريجين، مرجع سابق، ص 54 - 43.

(3) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، مصدر سابق. حدثنى أحمد أن هذه الرواية سمعها من أستاذ سعيد شايب في مجلس
الأستاذ محمود، وكان أستاذ سعيد ينقل للأستاذ محمود ما دار بشأن زيارته للأستاذ الدرديري محمد عثمان.

كانت شهادات زملاء الأستاذ محمود ومعاصريه في كلية غردون بما يشبه الاجماع على أن الأستاذ محمود كان كثير التأمل، وتميز بالزهد والبساطة في حياته. وكان يُحظى باحترام كبير بين رصفائه، وكان موضع ثقة، وله تأثير كبير عليهم بصفاته وسلوكه. اتسمت شخصيته بالهنية والوقار والجدية والزهد والبساطة. فقد عبر ابن دفعته في الدراسة بالكلية جمال محمد أحمد (1986-1915)⁽¹⁾، عن بعض تلك المعاني قائلاً:

الذين أعدموا محمود أظن أنهم غير مقتنعين بل أتوا ببراهين عجيبة وفسروا الآيات بما يشتهون فضلاً عن أنهم لا يعرفون قيمة محمود... محمود كان نموذجاً لرجل الدين الذي يؤثر في الآخرين بصفاته وسلوكه. محمود كان بسيطاً حتى في إعدامه والزهد الذي عاشه، زهد رجل نذر نفسه لرسالة، ومحمود أدى هذه الرسالة بأسلوب جديد على الإسلام في هذه الأزمان الخائبة. ولذا لم يكن غريباً أن يُعدم محمود. أنا عاطفي جداً فيما يتعلق بمحمود لأننا "أولاد دفعة" في كلية غردون وبعدها كنت أقابله من حين لآخر⁽²⁾.

(1) أديب، ودبلوماسي، وكاتب. وُلد في عام 1915 بقرية سرة شرق بمنطقة وادي حلفا وقد غمرتها مياه السد العالي.. تخرج في قسم المدرسين بكلية غردون (1932-1936) سافر في بعثة دراسية إلى إنجلترا التحق بكلية أكستر خلال الفترة ما بين (1943-1946)، حيث نال دبلوما في التربية والتعليم. ثم التحق بجامعة أوكسفورد للدراسات العليا في الفترة ما بين (1952-1954) حيث نال شهادة في الآداب. عمل بالتدريس في بخت الرضا ثم مراقباً لشؤون الطلاب بكلية غردون (1949-1952). التحق بالسلك الدبلوماسي السوداني منذ نشأته عام 1956 وتدرج فيه وأصبح سفيراً في عدد من الدول ثم وكيلاً لوزارة الخارجية (1968-1970) ثم وزيراً للخارجية (1973-1974). عمل رئيساً لمجلس إدارة عدد من الصحف السودانية. عمل مديراً لمعهد الخرطوم للغة العربية لغير الناطقين بها التابع لجامعة الدول العربية (1977-1987). كتب عدداً من الكتب والمسرحيات وأعد بعض الترجمات منها: كتاب وجدان إفريقيا، وترجم كتاب: إفريقيا تحت أضواء جديدة، لمؤلفه بازل ديفيدسون، وكتب حرب وأفارقة، وغيرها. المصدر: المنتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مرجع سابق، ص 138-139، جمال محمد أحمد، "مؤهلات الزعامة بين العشائر والأسم"، مجلة كلية غردون، العدد الثاني، المجلد الثاني. 21 ديسمبر 1935، الخرطوم، ص 7.

(2) على عثمان محمد صالح والبشير سهل جمعة سهل (إعداد)، "الصحافة تحاور جمال محمد أحمد"، (حوار بتاريخ 28/11/1985)، أجرى الحوار: محمد الشيخ حسين، في سيرة جمال كاتب "سرة شرق"، ط 1، اللجنة القومية لتخليد ذكرى الكاتب جمال محمد أحمد، سلسلة دراسات في الثقافة والدبلوماسية وأدب الأطفال، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1988، ص 170.

إن ما نقله الأستاذ جمال محمد أحمد، بشأن تأثير الأستاذ محمود فى الآخرين، قد عبر عنه المربى عبدالرحمن عبدالله عبدالعال بموقف ناصع وفصيح. فقد حكى المربى عبدالرحمن كيف أن الأستاذ محمود غير مسار حياته عندما نصحه بأن يستقيل من العمل فى كلية غردون، وشجعه بأن يذهب ليعلم أهله من خلال قبوله لوظيفة مدير لمدرسة القبول الأهلية الوسطى التى قرر مؤتمر الخريجين تأسيسها بعد إنشاء مدرسة أمدرمان الأهلية، حكى عبدالرحمن قائلاً:

عندما تقرر تأسيس المدرسة شجعنى الأستاذ محمود محمد طه لأذهب مديرًا لها وقال لى اذهب وعلم أهلك. وبالفعل استقلت من كلية غردون وذهبت مديرًا لمدرسة القبول الأهلية الوسطى فى أوائل الأربعينيات من القرن الماضى. وقد شاركت فى تشييدها من حجر أساسها وكنت أحمل مع الطلاب والأساتذة والأهالى ما يتبرعون به من الحديد والأخشاب وجريد النخل والحجر والطوب والمونة... لقد كانت مدرسة القبول أول مدرسة وسطى فى كل السودان الشمالى من حلفا إلى بربر. وكانت فى كل السودان فى ذلك الوقت عشر مدارس وسطى فقط.

حكى جرجس عياد إسكندر⁽¹⁾، وهو من زملاء الأستاذ محمود فى كلية غردون، عن الاحترام الذى كان يحظى به الأستاذ محمود بين رصفائه، وعن الهيئة التى كانت تتمتع بها شخصيته، حكى إسكندر قائلاً: "كان يُحظى باحترام كبير وكانت له شخصية ذات هبة"⁽²⁾. وعن وصفه لطبع وشخصية الأستاذ محمود وحياته بين زملائه فى كلية غردون يقول إسكندر: "كان شخصاً صغيراً مهذباً هادئ الطبع. وقد نكون حينئذ أصغر منه، مخلصين لواجباتنا اليومية. كان بعد اليوم الدراسى لا تجده إلا يصلى أو يدرس على سجادة الصلاة. لم أسمع قط يضحك أو يثير أى ضجيج... وبالنسبة للطالب العادى فإنه

(1) زميل الأستاذ محمود فى كلية غردون، وهو طبيب عاش فى كوستى وأسس أول عيادة خاصة فيها. كتب الأب القصص: فيلوناوس فرج تعريفاً لجرجس عياد إسكندر وهو يتحدث عن مدينة كوستى، قائلاً: "... وأول عيادة خاصة أسسها القبطى جرجس عياد وهو نفسه الذى أنشأ أول مزرعة للأبقار، ووزع هذا الطبيب إنتاجها من الألبان المبسترة والتى كانت معبأة فى زجاجات أنيقة، وكان ذلك فى الخمسينيات، وبعد جرجس عياد أول من أدخل قشارة الأرز فى كوستى، حيث كان يزرع الأرز بواسطة الفلاطة فى منطقة الجروف فى شريط موازى لخط السكة الحديد بعد كوبرى كوستى القديم". المصدر: فيلوناوس فرج، أقباط السودان، ج 1، مطبعة الحياة الجديدة، 2008، ص 505.

(2) Edward Thomas, *Islam's Perfect Stranger: The life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim Reformer of Sudan*, I. B. Tauris & Co. Ltd, New York, 2010, p 47.

كان صارماً نوعاً ما، فليس هناك أى شيء خارج نطاق الجدية"⁽¹⁾.

وعن أسباب اختلاف الأستاذ محمود عن الآخرين، وعن العوامل التي أثرت في شخصيته، يقول جرجس عياد إسكندر: "من الصعوبة بمكان معرفة ما الذي أثر على محمود محمد طه فقد كان عميق التدين بأكثر من الآخرين مع ميل إلى القومية (السودانية) with a dash of Nationalism"⁽²⁾. لم يكن الأستاذ محمود في نظر معاصريه في كلية غردون شخصاً مختلفاً فحسب، بل كانوا ينظرون إليه بأنه شخص ينطوى على سر، كما ورد آنفاً في قول عبدالكريم ميرغنى عن الأستاذ محمود محدثاً بعض تلاميذ الأستاذ محمود يوم أن زاروه في داره بمدينة أمدردمان. وأضاف عبدالكريم ميرغنى لتلاميذ الأستاذ محمود في تلك المقابلة: ولما كنا دايرين نكتشف هذا السر.. فجيتكم دى كأنها جاءت لتكشف لى سر ما كان ينطوى عليه الأستاذ محمود"⁽³⁾.

كذلك لاحظ العديد من زملاء الأستاذ محمود في كلية غردون وكذلك بعض رفقاءه في العمل الوطنى، بأنه كان كثير التأمل. فقد قال زميله في الدراسة جمال محمد أحمد: "محمود... كان رجلاً كثير التأمل بالشكل الذى يجعلك تثق فى كل كلمة يقولها"⁽⁴⁾. ووصفه كذلك يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011)⁽⁵⁾، وقد كان عضواً في الحزب

(1) Ibid, p 47.

(2) Ibid, p 54.

(3) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، مصدر سابق.

(4) على عثمان محمد صالح والبشير سهل جمعة سهل (إعداد)، مرجع سابق، ص 170.

(5) يحيى محمد عبد القادر من طلائع المتعلمين السودانيين، ومن الرعيل الأول للصحفيين. وُلد في مدينة شندى في شمال السودان. جاء إلى الخرطوم عام 1935، فاشترك في تأسيس أول صحيفة يومية في السودان، هي جريدة النيل، لسان حال آل المهدي. كتب في بداية الثلاثينيات في مجلة "روز اليوسف"، وعمل محرراً في جريدة "النيل"، ومراسلاً لصحيفة "الأهرام" المصرية ومديراً لمكاتبها في الخرطوم (1936-1952). أصدر عدداً من الصحف منها: صحيفة "المستقبل" الأسبوعية وصحيفة "السوداني" اليومية خلال الفترة من عام 1949 إلى عام 1952، وصحيفة "أنباء السودان" اليومية (1953-1969). كما نشر ثلاثة كتب هي: الديمقراطية والديكتاتورية، وكتاب: شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، (ثلاثة أجزاء)، إلى جانب مذكراته التي صدرت بعنوان: على هامش الأحداث في السودان. كان يحيى من مؤسسي الحزب الجمهوري، الذي ترأسه الأستاذ محمود محدثه، ثم تركه وشارك في تأسيس الحزب الوطني برعاية الخليفة الشريف عبدالرحمن الهندي (1964-???). تولى سكرتارية الحزب الوطني حتى اندماجه في الحزب الوطني الاتحادي الذي نشأ برئاسة السيد إسماعيل الأزهرى (1900-1969)، بعد التوقيع على وثيقة الأحزاب المؤتلفة عام 1953 في القاهرة. وكان الأستاذ يحيى من ضمن الموقعين على الوثيقة.

الجمهورى خلال النصف الثانى من أربعينيات القرن الماضى، وصف يحيى الأستاذ محمود قائلاً: "محمود محمد طه مفكر عميق التفكير كثير التأمل..."⁽¹⁾.

الوظيفة الحكومية والاستقالة منها

يا ابنى الأستاذ محمود جوهره مما شفتوا [منذ أن رأيته].⁽²⁾

ميرغنى حمزة على (1911-2010)⁽³⁾

نقلاً عن عبدالله عثمان

تخرج الأستاذ محمود فى قسم المهندسين بكلية فردون فى عام 1936، وهو العام الذى شهد توقيع اتفاقية عام 1936 بين بريطانيا ومصر، التى أتاحت توافد المصريين على السودان. وقبل ذلك بعامين وفى عام 1934 كان سير ستوارت سايمز قد جاء حاكماً عاماً للسودان، ولحق به سير دوقلاس نيوبولد سكرتيراً إدارياً عام 1939، وهما من الداعمين للتعامل مع المتعلمين. يقول صبحى فانوس إن سياسة سير ستوارت الليبرالية: "تمتاز بكثير من التسامح والمهادنة مع الخريجين السودانيين. ولعل مرد ذلك هو الخشية من تأثير الألمان والإيطاليين المتزايد فى إفريقيا، وكذلك توقيع اتفاقية عام 1936 بين بريطانيا ومصر، التى أزعجت العوائق أمام تدفق المصريين نحو السودان". وأضاف فانوس قائلاً: "كان البريطانيون يخشون إن هم لم يبدوا استجابة لمطالب المتعلمين السودانيين، أن يلجأ هؤلاء للمصريين القادمين، وأن يتحدوا معهم ضدهم. لكل ذلك تم السماح بقيام مؤتمر

(1) يحيى محمد عبد القادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، ج3، ط2، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، 1987، ص 144-146.

(2) ميرغنى حمزة على، حديث تم مع عبدالله عثمان أحد تلاميذ الأستاذ محمود. المصدر: مقابلة مع عبدالله عثمان، تمت المقابلة بالهاتف، عبدالله عثمان فى مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف فى الدوحة، قطر، بتاريخ 2012/10/28، الساعة 12:10 صباحاً.

(3) ولد ميرغنى حمزة على بقرية أم بكون ريفى مروي شمال السودان، ونزحت أسرته إلى مدينة الكوة وسط السودان. تخرج فى كلية فردون، وابتعث إلى إنجلترا ثم عاد وعمل بمدرسة بورتسودان الثانوية بمدينة بورتسودان. ثم نقل إلى مدينة عطبرة. وعندما جاء الأستاذ محمود للعمل بعطبرة كأول محطة عمل له بعد تخرجه، كانت دار ميرغنى حمزة على منزلته. تقاعد ميرغنى حمزة عن العمل فى عام 1963، وعمل مديراً لمدرسة الأحفاد الثانوية. المصدر: مقابلة مع عبدالله عثمان، المؤلف فى الدوحة، وعبدالله فى مسقط، سلطنة عمان، 4 أكتوبر 2012، الساعة 20:30. (ميرغنى حمزة فى النص أعلاه كان يتحدث إلى عبدالله عثمان).

الخريجين فى عام 1938⁽¹⁾.

دخل الأستاذ محمود الشارع العام والخدمة المدنية، قبل قيام مؤتمر الخريجين بعامين، مهندساً برئاسة مصلحة سكك حديد السودان، بمدينة عطبرة وتم تعيينه بتاريخ 1936/2/2⁽²⁾. ومنذ الوهلة الأولى قاد الأستاذ محمود المواجهة لتصحيح أوضاع نادى عطبرة، مكان النشاطات الثقافية والأدبية، واستطاع أن يشرى الحركة الثقافية والسياسية بالمدينة من خلال نشاط نادى عطبرة، يقول الأستاذ محمود: "ماكان اسمه نادى الخريجين كان اسمه نادى السكة الحديد- نادى موظفى السكة حديد السودانين"⁽³⁾. وعن تبعية النادى وإدارته يقول الأستاذ محمود: "النادى كان كأنه تابع للمصلحة.. رئيس المصلحة - مدير مصلحة السكة الحديد كان رئيس الشرف ليهو .. وكان كبار الموظفين فى حكم البيعينوا فى مناصب النادى"⁽⁴⁾. رافق الأستاذ محمود فى ذلك الوقت كل من ميرغنى حمزة على الذى جاء إلى عطبرة منقولاً من بورسودان⁽⁵⁾، وأمين صديق (1911-1980)⁽⁶⁾ الذى كان يعمل محاسباً بمدينة الدامر ويزور مدينة عطبرة من

(1) صفوت فانوس: "دور بريطانيا فى قيام وتطور الأحزاب السياسية فى السودان (2)" ترجمة: بدرالدين حامد الهاشمى، صحيفة الأحداث، العدد 1068، 21 مايو 2010.

(2) محمود محمد طه، ملف الخدمة، نمرة الوظيفة (11837)، نمرة الموظف (559)، سكك حديد السودان، عطبرة.

(3) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(4) المصدر السابق.

(5) مقابلة مع عبدالله عثمان، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، عبدالله عثمان فى مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف فى الدوحة، قطر، بتاريخ 2012/10/28، الساعة 12:10. حدثنى عبدالله بأن ميرغنى حمزة على حكى له بنفسه عن ذلك.

(6) هو أمين محمد صديق محمد بادى، المعروف بأمين صديق، والدة زينب سلمان محمد خالد. هاجر والده من شمال السودان (القرير) واستقر بمدينة القطينة، درس أمين الكتاب بالقطينة، والإبتدائى برفاعة ثم التحق بكلية غردون قسم الشريعة (والتي لم يطل له البقاء بها وكان يرى التناقض بين ما يدرس لهم وبين ما عرف من سماحة الدين) فتحول لقسم الحسابات بكلية غردون، وتخرج فيه عام 1936. عمل فى بداية حياته بقسم الحسابات بالبوستة ثم وزارة الأشغال ثم عمل بوزارة المعارف كمراقب مالى وإدارى. ثم عمل بوزارة المالية بالخرطوم وتنقل ما بين شندى والدامر وعطبرة ومدنى وترقى فى وظيفته بوزارة المالية حتى وصل لوظيفة المراقب المالى بالمديرية (مديرية النيل الأزرق). ثم نُقل مترقياً للعمل بوزارة الرى وشغل منصب وكيل الشؤون المالية والإدارية حتى تقاعده للمعاش عام 1960. بعد ذلك عمل بالقطاع الخاص بمطاحن النيل =

وقت لآخر⁽¹⁾. يقول الأستاذ محمود: "نحن أحدثنا فيهو سنة 36 و37 ثورة أدبية كبيرة جداً اقتضت أنه اللجنة تكون منتخبة وأنه السكة الحديد ما يكون عندها إشراف على النادي وقلبنا الأوضاع فيه.. الناس اللي كانت بتعين السكة الحديد كضباط يشرفوا على إدارة النادي كأنه مصلحة من المصالح غيرناهم"⁽²⁾. قُلبت الأوضاع فى النادي وتمت الانتخابات وتم اختيار ميرغنى حمزة على رئيساً للجنة النادي بعطبرة، والأستاذ محمود سكرتيرها فتجددت حركة النادي تماماً. يقول مصطفى أبو شرف (1919-2008):

المهندس محمود محمد طه رحمة الله عليه وزملاؤه ناس خليل نور ودقيل ومحمد سعيد نديم هم الذين حركوا الجمعية الأدبية مما كان له الأثر فى تحريك العمال.. وبدأ العمال يحضروا إلى النادي السودانى.. رغم أن الإنجليز كانوا يعملون بقانون فرق تسد... عملوا فى عطبرة مسلم قبضى.. وفى المسلمين عامل وأفندى.. وكانت ظاهرة رائحتها كريهة.. وأنى المؤتمر ووحده هذه الفصائل.. والعمال هم لب

= الأزرق (بمدينة واد مدنى) وتدرج أمين صديق حتى وصل منصب المدير وظل بهذا المنصب حتى العام 1978. لقد انضم أمين صديق إلى الحزب الجمهورى عام 1945، وذلك فور الإعلان عن تأسيس الحزب الجمهورى. وقد حكى لابنته سمية قصة انضمامه فقال لها: "كنت مشغولاً بأمر السودان وبأمر الوجود البريطانى به وكنت دائم البحث عن مجموعة أو تنظيم أو حزب مقتنع لى حتى انضم له للنضال من أجل السودان ومحاربة الوجود البريطانى، وفى إحدى إجازاتى بالخرطوم قادماً من الدامر وأثناء بحثى علمت بقيام حزب جديد اسمه الحزب الجمهورى فلم أتردد لحظة فى الانضمام له وذلك عندما علمت بأن الأستاذ محمود على رأس هذا الحزب الجديد وذلك لما عرفت عن الأستاذ منذ عهد الطلب". حضر الاجتماع الثانى للحزب الجمهورى وهو أحد أعضاء الحزب ثم أصبح سكرتيراً للحزب الجمهورى وظل بهذا الموقع ولم يعرف الحزب سكرتيراً غيره. قام أمين صديق بجهود ضخمة فى الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود، وقاد مواجهة ضارية مع كل الجبهات التى واجهها الحزب الجمهورى. أهلى الأستاذ محمود مجلداً يحوى أربعة من كتبه الأساسية لأمين صديق وكان ذلك قبل وفاة أمين بستة أشهر، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "أخى أمين !!، أنت من هذا الذى أضعه بين يديك الآن.. كنت، ولا تزال، ولن تنفك.. لقد أفنيت عمرك فى تحقيقه، ثم فى إحقاقه- فلئن أهدبه اليك اليوم فى القرايطس فلاعجب فقد كتبه فى الدم، و اللحم، صدق مواجهة، وصراحة قصد، ووترية فكر.. حفظك الله وحفظ عليك، وأمتك بعافية البدن وعافية العقل، وعافية القلب. أخوك محمود، أمدرمان فى السبت 15 شهر ديسمبر عام 1979 يوافق 25 من شهر الله المحرم من أول القرن الخامس عشر الهجرى. توفي أمين صديق فى يوم الاثنين 23 يونيو من عام 1980. المصدر: سمية أمين محمد صديق، مقابلة عبر مراسلات بالبريد الإلكتروني، بتاريخ 8 - 4 نوفمبر 2012.

(1) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 51.

(2) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

الوطنية.. وهم الجنود المخلصون ومنهم سليمان موسى الذى حاكمه الإنجليز.. والطبيب حسن ومحمد إدريس عبدالكريم وأحمد الفكى وخيرى عبدالمجيد وهذه بعض الأسماء التى تحضر فى الذاكرة وعثمان داؤود أخ الفنان عبدالعزيز محمد داؤود وهو رجل زعيم وحوكم أيام الجمعية التشريعية وسجن وأذكر أن المهندس محمود محمد طه قد نقل إلى جيبى ولكن الحركة استمرت⁽¹⁾.

وبعد أن نشأ مؤتمر الخريجين سنة 1938، استطاعوا أن يغيروا اسم النادى، نادى السكة الحديد- نادى موظفى السكة حديد السودانين إلى نادى الخريجين بعطبرة⁽²⁾، وفتح النادى لكل مواطنى عطبرة⁽³⁾. أقلق هذا النشاط الإنجليز، فقرروا نقله، يقول الأستاذ محمود: "فدا اقتضى أنه السكة حديد تنقلنى من عطبرة إلى كسلا.. والنقل كنت بشعر بأنه كيدى.. فيما بعد كانت الخلافات بتكون بينى وبين الموظفين الإنجليز كثيرة"⁽⁴⁾. نُقل الأستاذ محمود إلى مدينة كسلا فى شرق السودان، يقول الأستاذ محمود:

مشيت ثلاثة أربعة سنين بعدها فعلاً كنت زى بشعر كأنه فى محاولة إبعاد لى.. نقلونى لعطبرة لخلاف نشأ بينى وبين كبير المهندسين فى كسلا بعدين ودونى لخط جديد لأمد مع الناس البمدوه لجهة "تسنى" فى أثناء الحرب ثم لما انتهيت منه انتدبت لأمد خط من ربك للجبلين وفى دا اعترضت وكان الخلاف ومنه استقلت⁽⁵⁾.

جاءت الاستقالة مع خلافات مستمرة مع الموظفين الإنجليز، وبعد تكرار لمحاولات إبعاد الأستاذ محمود عبر نقله إلى المناطق النائية، فى المرة الأخيرة رفض الأستاذ محمود تنفيذ النقل. تقول بتول مختار محمد طه: "فرفض الأستاذ محمود النقل وقال للخواجة:

(1) مصطفى أبو شرف، "الشاعر المعلم مصطفى أبو شرف فى ضيافة الصحافة"، (حوار)، أجرى الطاهر حسين الطاهر، صحيفة الصحافة، السبت 26 أغسطس 2000.

(2) المصدر السابق.

(3) جلال الدين الهادى، منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 3.

(4) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(5) المصدر السابق.

"لن أنفذ هذا النقل" (1). ب الخواجة لهذا الرفض، ورد على الأستاذ محمود بقوله (2):
 (Who do you think yourself to pick and choose?) (3) غير أن الأستاذ محمود تقدم باستقالته من العمل في أواخر عام 1941. وفي أواسط عام 1944 بدأ الأعمال الحرة كمهندس ومقاول... أرجع الأستاذ التجاني عامر (1908-1987) (4)، استقالة الأستاذ محمود من وظيفته إلى ما اتسم به "سلوك محمود الصارم في القضايا العامة وشجاعته العنيفة التي دفعته إلى التخلي عن الوظيفة..." (5). الشاهد أن الأستاذ محمود لم يكن متعاوناً مع رؤسائه في العمل، وكان مستقلاً ومصادماً وصارماً مع زهد واضح في العمل وعدم حرص عليه. فقد تضمنت بعض التقارير بملف خدمته بسكك حديد السودان ملاحظات رؤسائه في العمل فقد وصفوا الأستاذ محمود بأنه مستقل بطبعه وصاحب شخصية صارمة، كما أنه لا يعطى انطباعاً بحرصة على الاستمرار في العمل، وله طريقة متعمدة فسي أن لا يعطى انطباعاً جيداً. (أنظر ملحق رقم: "3")، تقرير الموظفين Staff Report، محمود محمد طه، بتاريخ 1941/8/26. مكث الأستاذ محمود في وظيفته بسكك حديد السودان ست سنوات (6). وفي مرحلة لاحقة هي ما بين عامي 1952-1954، عمل الأستاذ محمود في شركة حكومية، وعن طبيعة عمله عبر قائلاً: "إنه بين عامي 1952-1954، كنت أعمل بالراتب الشهري كمهندس مدني بشركة النور والطاقة

(1) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 51.

(2) المصدر السابق، ص 51.

(3) ترجمة النص: "من أنت حتى تعطى لنفسك حق الانتقاء والاختيار". ترجمة غير رسمية من مؤلف هذا الكتاب.

(4) ولد بأمدردمان تخرج في المدارس العليا والتحق بمعهد الصحة الملكي بلندن وتخرج بدبلوم الصحة وعمل ضابطاً للصحة وتدرج حتى أصبح نائب كبير مفتشي الصحة. اهتم بالدراسات التاريخية والاجتماعية والأدبية عامة وكتب في الصحف والمجلات وأخرج مجلة العاصمة الأدبية (1966-1967). وكان شاعراً أصدر عدداً من الكتب منها: السلالات العربية السودانية بالنيل الأبيض، والنيل الأبيض قديماً وحديثاً، خلفيات تاريخية لجنوب السودان، ودراويش وفرسان، والسودان تحت الحكم الثنائي، ديوان جد ن، وغيرها. المصدر: عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الأول (أ-ج)، مرجع سابق، ص 370.

(5) التجاني عامر، "ذكريات: من مذكرات التجاني عامر"، صحيفة الصحافة، العدد 4772، 1975/4/16.

(6) محمود محمد طه، تعريف بمحمود محمد طه، (مخطوطة)، ص 7. تتكون المخطوطة من ثماني صفحات، وقد كتبها الأستاذ محمود بخط يده بمدينة أمدردمان بتاريخ 1972/2/26، وقد اطلعت على المخطوطة، وحصلت على نسخة منها من أسماء محمود محمد طه.

الكهربائية، الآن (الإدارة المركزية)⁽¹⁾ ومنذ عام 1954 أخذ الأستاذ محمود بالعمل كمهندس رى فى المشاريع الخصوصية فهو يقول⁽²⁾:

منذ عام 1954 قد أخذت فى العمل الموسمى كمهندس رى فى المشاريع الخصوصية بمنطقة كوستى- مشاريع الظلمبات- أعمل كمقاول وأقوم بالجانب الفنى فى المساحة وتصميم القنوات والتنفيذ على الطبيعة- الجانب الفنى فقط- وأما العمال والمقاولون فإنه يدفع عنهم أصحاب هذه المشاريع.

بعد وقت قصير من استقالته من الوظيفة وفى عام 1942⁽³⁾ تزوج الأستاذ محمود من زوجته آمنة محمد لطفى عبدالله، وأنجبا ثلاثة أطفال هم⁽⁴⁾: محمد (1944-1954) وفاطمة (أسماء)⁽⁵⁾ وسمية⁽⁶⁾. توفى ابنه محمد غرقاً فى النيل الأزرق بمدينة رفاعة، وهو فى العاشرة من عمره، وقد حزن الأستاذ محمود لفقده ولكنه كان راضياً بقضاء الله وقدره، فقد قال لمن جاء لتعزيتة: "إن ابنى قد ذهب إلى أبٍ أرحم"⁽⁷⁾.

كانت استقالة الأستاذ محمود من وظيفته مع نذر الحرب العالمية الثانية 1939-1945، وكان "مؤتمر الخريجين" الذى تأسس فى فبراير 1938، قد قطع شوطاً فى دوراته، بيد أن الأستاذ محمود لم يشترك فيه، ولم ينتسب أو يكن عضواً فى أى هيئة من هيئاته أو لجنة من لجانه فى كل دوراته الانتخابية. بلغ عدد الدورات الانتخابية (خمس عشرة دورة منذ تأسيس المؤتمر وحتى حله واندماجه فى الحزب الوطنى الاتحادى فى فبراير 1952)⁽⁸⁾. سيأتى الحديث لاحقاً عن: "موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين". الشاهد أنه فى منتصف أربعينيات القرن الماضى، والحرب العالمية تضع أوزارها عام 1945، بدأ (مهرجان تكوين

(1) محمود محمد طه، تعريف بمحمود محمد طه، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 7.

(2) المصدر السابق، ص 6-7.

(3) مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، الخرطوم، 2011/7/14، الساعة 10:20.

(4) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 52.

(5) تزوجها النور محمد حمد، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، فى يونيو عام 1986 وأنجبا آمنة ومحمود.

(6) زوجها أحمد المصطفى دالى، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، فى يوليو عام 1986، وأنجبا آمنة وفاطمة.

(7) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 50.

(8) المعتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مرجع سابق، ص 35.

الأحزاب السودانية⁽¹⁾، وقد تبلورت الحركة السياسية فى طرحى الوحدة (الوحدة مع مصر) والاستقلالية (الاستقلال فى تحالف مع التاج البريطانى). حضر الأستاذ محمود مع بعض رفاقه فى مهرجان تكوين الأحزاب السودانية معلناً فى يوم الجمعة 26 أكتوبر 1945 عن إنشاء الحزب الجمهورى. سيأتى الحديث لاحقاً عن الحزب الجمهورى. بإعلان تأسيس الحزب الجمهورى بدأت مرحلة جديدة فى حياة الأستاذ محمود قوامها المواجهة واتساع دائرتها والنضال بمختلف أدوات المثقف من أجل استقلال السودان. تبع ذلك السجن فالاتكاف والخلوة بمدينة رفاعه، ثم الخروج من الخلوة فى أكتوبر عام 1951 وطرح مشروع التجديد الإسلامى. وسيأتى تفصيل كل ذلك لاحقاً.

الرغبة والهدف من دراسة القانون

دراسة القانون أرقى الدراسات⁽²⁾.

My sole aim is the search for a possible source of increased enlightenment⁽³⁾

"إن هدفى الوحيد [من دراسة القانون] هو البحث عن مصدر ممكن للاستنارة المتزايدة"⁽⁴⁾.

محمود محمد طه

وردت الإشارة إلى أن الأستاذ محمود كان ينوى دراسة القانون. فبرغم رغبته الشديدة فى دراسة القانون، أكمل دراسته وتخرج فى قسم المهندسين بكلية غردون، بيد أنه لم يحبس تلك النية والرغبة القوية بعد الانتهاء من دراسة الهندسة، فقد تقدم أثناء فترة عمله بسكك حديد السودان، بطلب للالتحاق بمدرسة السودان للقانون the Sudan School of Law.

(1) جملة مهرجان تكوين الأحزاب فى السودان تعود فى نحتها وأصلها إلى المؤرخ محمد سعيد القدال.

(2) مقابلة مع عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، تمت المقابلة بالهاتف، البوشى فى مدينة مدنى فى السودان والمؤلف فى مدينة الدوحة، قطر، الأربعاء 24 أكتوبر 2012، الساعة 6:50 دقيقة صباحاً.

(3) من خطاب الأستاذ محمود الذى أرفق معه طلب التحاق لدراسة القانون بمدرسة السودان للقانون، بتاريخ 3 أبريل 1939.

(4) فى الأصل النص باللغة الإنجليزية.

وقد ظل يلاحق طلب التحاقه لدراسة القانون برغم العراقيل والصعوبات. فقد قدم الأستاذ محمود طلب التحاقه بتاريخ 3 أبريل 1939، وأرفقه مع خطاب⁽¹⁾ موجه إلى رئيس المهندسين بسكك حديد السودان بعطبرة، راجياً منه تمرير طلبه إلى السكرتير القضائي Legal Secretary حتى يتمكن بدوره من وضع الطلب ضمن طلبات المتقدمين لدراسة القانون، ومن ثم إخطاره بالموعد المطلوب فيه حضوره لأداء امتحان القبول. (أنظر ملحق رقم: "4"، خطاب من محمود محمد طه يتضمن رغبته وأسباب دراسته للقانون). وقد تضمن خطاب الأستاذ محمود توضيحاً لهده الوحيد من دراسة القانون فكتب قائلاً:

My sole aim is the search for a possible source of increased enlightenment.

الترجمة إلى اللغة العربية: "إن هدفي الوحيد [من دراسة القانون] هو البحث عن مصدر ممكن للاستنارة المتزايدة".

تابع الأستاذ محمود ملاحقة طلب التحاقه لدراسة القانون باهتمام وحرص يعكس مدى رغبته في دراسة القانون، ويبدو أن الأستاذ محمود تلقى رداً وردت فيه إشارة إلى صغر سنه (وفقاً لشهادة تقدير العمر المودعة في ملف خدمته فإن الأستاذ محمود مولود بتاريخ 1916/1/1)، لم أقف على ذلك الرد، إلا أن الإشارة إلى صغر السن وردت في خطاب الأستاذ محمود اللاحق. فقد كتب الأستاذ محمود خطاباً بتاريخ 1939/4/25 موجهاً إلى رئيس المهندسين مستفسراً عن موعد امتحان المنافسة للقبول بمدرسة القانون، وأشار إلى أنه نما إلى علمه بأن المدرسة ستفتح أبوابها عام 1942 أو بعده. فإذا ما كان ذلك صحيحاً فإنني عندها لن أكون صغيراً

If such is right, I shall not be too young by

then ثم أضاف قائلاً:

I, however, want you to kindly pass my letter to the legal secretary for inclusion and if, at the ripe time for opening the school, I am condemned as underaged I shall at the very least stand foremost for the next chance.

(1) وجدت الخطاب ضمن ملف خدمة الأستاذ محمود محمد طه، مصدر سابق.

الترجمة: "مع ذلك، أرجو منك عطفاً ترميز هذا الخطاب إلى السكرتير القضائي Legal Secretary لتضمينه طلب الالتحاق، فإذا ما حان وقت فتح المدرسة لأبوابها، وحكم على بصغر السن، فإنني على أقل تقدير أستحق أول فرصة قادمة. (أنظر ملحق رقم: "5"). تلقى الأستاذ محمود رداً على خطابه هذا، غير أنني لم أستطع الوقوف عليه ضمن ملف خدمته، ولكن من الواضح أن الرد، لم يكن مقنعاً للأستاذ محمود، فكتب خطاباً بتاريخ 1939/5/20، أشار فيه إلى أنه استلم رداً على خطابه المؤرخ بتاريخ 1939/4/25، ثم كتب قائلاً: I very much regret to have to be so argumentative الترجمة: "يؤسفني جداً أن أكون مجادلاً لهذا الحد"، ثم وضح الأستاذ محمود ما تضمنه خطابه السابق، وفصل ما قاله على وجه التحديد (أنظر ملحق رقم: "6"). فاستلم الأستاذ محمود رداً بتاريخ 1939/6/14 يوضح له بأن طلب التحاقه بمدرسة القانون سيتم تحويله لمدير التعليم لإجراء اللازم (will be passed to the Director of Education for action) .. (أنظر ملحق رقم: "7"). تلاحقت الخطابات من الأستاذ محمود والردود عليها، ولكن الأستاذ محمود لم يتلق رداً واضحاً على طلبه. ففي يوم 25/10/1939 كتب خطاباً بخط اليد (فالخطابات الأخرى التي وقفت عليها ضمن المراسلات بشأن دراسة القانون كانت مطبوعة على الآلة الكاتبة) موجهاً إلى رئيس المهندسين Chief Engineer. أوضح الأستاذ محمود في خطابه أنه لم يتلق رداً واضحاً على طلبه الذي قدمه إلى السكرتير القضائي Legal Secretary وطلب راجياً من مكتب رئيس المهندسين الاستفسار أو التذكير بشأن طلبه May your office kindly inquire or remind? (أنظر ملحق رقم: "8"). في يوم 8 نوفمبر 1939 تلقى الأستاذ محمود رداً من السكرتير القضائي Legal Secretary يوضح بأن اختيار المتقدمين لم يتم بعد: The selection of candidates has not yet been made.

الشاهد أن المراسلات تتالت وتوالت، وظل الأستاذ محمود حريصاً على تحقيق رغبته في دراسة القانون، إلا أنه لم يدرس القانون. والذي لا شك فيه أن مواجهة الأستاذ محمود ومصادمته للإدارة الاستعمارية في عطبرة لا تشفع له أمام رؤسائه في تحقيق رغبته، بل من المؤكد أنها كانت سبباً في عدم تحقيق رغبته لدراسة القانون. لقد كان الأستاذ محمود في

معارك ومواجهات مستمرة مع رؤسائه أثناء فترة عمله فى مدينة عطبرة، والأجهزة الأمنية تراقب والتقارير ترفع، فهو سكرتير نادى الخريجين بمدينة عطبرة الذى قاد النشاط ضد الاستعمار وأثرى الحركة الثقافية والسياسية فى المدينة وفتح نادى الخريجين مع ميرغنى حمزة على، رئيس النادى، ليكون متاحاً للمواطنين.

تكشف هذه المراسلات العديدة التى دفع بها الأستاذ محمود إلى مدرسة السودان للقانون the Sudan School of Law وإلى السكرتير القضائى Legal Secretary عبر رؤسائه، خلال الفترة ما بين 1939/4/3 وحتى تركه وظيفته بسكك حديد السودان، تكشف هذه المراسلات عن الكثير من الدلالات والمضامين، فهى تعبر بفصاحة عن الرغبة القوية والحرص الشديد لدى الأستاذ محمود لدراسة القانون، كما تبين لنا مدى اهتمام الأستاذ محمود بالقانون ومدى أهمية القانون بالنسبة له فى الحياة. الأمر يدفع بسؤالين أساسيين لساحة الحوار، الأول هو: هل كان يمكن أن يتغير شىء فى حياته ومشروعه، إذا ما درس الأستاذ محمود القانون؟ والسؤال الثانى: هل تجلّى اهتمام الأستاذ محمود بالقانون فى حياته وفى إنتاجه الفكرى؟ استمىح القارئ عذراً فى أننى أعطى نفسى الحق فى الإجابة عن هذين السؤالين من معرفتى القليلة التى كنزتها من واقع بحثى وتنقيى ومن واقع الصلة العميقة التى جمعتنى بسيرة الأستاذ محمود وبمشروعه. ففى تقديرى، أن السؤالين متداخلين وإجابتي ستكون واحدة على السؤالين، محصورة فى إنتاجه الفكرى. فى الواقع على الرغم من دراسة الأستاذ محمود للهندسة، إلا أنه برز فى كل مواقفه وكتابات رجل قانون بالرغم من أنه رجل هندسة. وهو القائل: "والحق أن القانون نفسه طرف من الأخلاق"⁽¹⁾. لقد كان الأستاذ محمود ينظر للقانون بأنه أرقى الدراسات كما حدثنى عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، بما سمعه منه، وقد وضعت نص القول ليكون قلادة فى صدر هذا المحور. إن الدارس لكتابات الأستاذ محمود يدرك بأنه من النادر أن يكون هناك كتاب من الكتب التى كتبها الأستاذ محمود يخلو من حديث عن القانون، ليس حديث العارف المتخصص فى القانون فحسب؛ وإنما حديث المنظر والدارس للقانون وتطوره

(1) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محبوب"، الكتاب الثانى من سلسلة رسائل ومقالات، ط 1، أمدرام، 1973، ص 10-7.

بمداخل مختلفة، تاريخية، وثقافية، واجتماعية، وفكرية، ودينية، منذ نشأة المجتمع والعرف. ففي عام 1955 أصدر الأستاذ كتاباً بعنوان: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، الذى قدم فى ديسمبر 1955، والكتاب كله، كما يبين عنوانه حديث عن القانون. فقد قال فى صدر فصله السادس: "الهيئة التشريعية"، وإنما القانون عندنا شىء قائم بذاته، ومستقل بوجوده عن وجود العقل البشرى، وما القوانين الوضعية إلا محاولة لمضاهاة هذا القانون المتسق". وعندما أصدر كتابه: الإسلام، عام 1960 خصص محوراً بعنوان: "نشأة المجتمع والقانون ونشأة الإسلام". وتحدث عن القانون بتوسع فى كتابه: مشكلة الشرق الأوسط، وكتب قائلاً⁽¹⁾:

"هناك ثلاثة أمور لا بد من استيقانها: أولها أن حكم الوقت يقضى على هذه البشرية، التى تعمر هذا الكوكب، فى هذا العصر، أن تتوحد. وثانيها أن هذه البشرية، لكى تتوحد، لا بد لها من السلام. وثالثها أنها، من أجل السلام، لا بد لها من المدنية التى تنشر حكم القانون العادل".

لقد كتب الأستاذ محمود كثيراً عن القانون والفرد والجماعة، فقد كتب عام 1968 قائلاً: "وهذا القانون إنما هو تنسيق بين الغاية، التى هى الفرد، والوسيلة التى هى الجماعة، وهو لذلك حين يصادر حرية الفرد إنما يصادها مؤقتاً، وإنما يجعل عقوبة المصادرة علاجاً لقصور الفرد فى حسن التصرف فى الحرية، لا تشفيًا منه، وهو بهذه المصادرة إنما يعده ليقبل على ممارسة حريته بطاقة أكبر، وكفاءة أكفأ مما كان عليه قبل وقوع المصادرة عليه..⁽²⁾ وفى كتابه: محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية⁽³⁾، تحدث عن القانون وتكلم عن قانون الغابة وقانون الإنسان، والقانون والمساواة بين الرجال والنساء، والقانون بين الفرد والمجتمع... إلخ. وتضمن كتابه: الثورة الثقافية، حديثاً عن نشأة المجتمع البشرى فى الغابة، وكيف أن قانونه كان قانون الغابة، وعن قانون الغابة كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وقانون الغابة إنما يعطى الحق للقوة .. وفيه القوة تصنع الحق، وتتقاضاه.. فهى لا تحتاج إلى قانون ينص على حقها.. ولا تحتاج

(1) محمود محمد طه، مشكلة الشرق الأوسط، ط1، أمدرمان، 1967، ص 5-6.

(2) محمود محمد طه، الدستور الإسلامى؟ نعم.. ولا!، ط1، أمدرمان، 1968، ص 41-44.

(3) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 81-82.

إلى قضاة يقضون لها بذلك الحق .. وإنما هي، في حد ذاتها، القانون والقضاء...⁽¹⁾. وفي توطئة البحث ضمن مقدمته لكتاب: زعيم جبهة الميثاق الإسلامي في ميزان: 1. الثقافة الغربية 2. الإسلام، استعرض الأستاذ محمود آراء فقهاء القانون ومنظريه وأطروحات الفلاسفة والمفكرين العالمين والمسلمين ثم كتب قائلاً:

ولقد أحببنا بهذا أن نعرض عليكم كيف أن فقهاء الدستور وحتى كبارهم، يتخدعون لمزيفي الديمقراطية، فيضعون خبرتهم، ودراساتهم، وتخصصهم في خدمتهم، ومن ثم ضد مصالح الشعوب.. والحق أن كثيراً من فقهاء القانون المدني كانوا دائماً ولا يزالون يضعون أنفسهم في خدمة السلطة، يفتونها بما تريد، وكيفما تكن تلك الإرادة.. وذلك رغبا منهم أو رهبا، شأنهم في ذلك شأن فقهاء الدين، في جميع حقب التاريخ، حين ينحط الدين في صدور الرجال والنساء⁽²⁾.

الشاهد أن الأستاذ محمود، وهو صاحب المشروع، له رؤية حول القانون وحول تناسقه مع الطبيعة. فقد ظل ناقداً وبقوة للسائد والمألوف من القوانين وناقداً للأسس التي قامت وتقوم عليها القوانين ليس في محيط ثقافي بعينه وإنما على المستوى الكوكبي. أنفق الأستاذ محمود جل وقته يحض الناس بالكلام وبالمواقف وبالكتابات على مواجهة المحاكم وتعريتها، وتعليم الجراءة في انتزاع الحقوق، والقدرة على الدفاع عن حق الحياة وحرية الفكر. وظل ينادي بضرورة إقامة العدل وتسييله في حياة الناس. وفوق كل ذلك فقد كان الأستاذ محمود هو محامى نفسه بنفسه في كل المحاكمات التي تعرض لها وفي كل مساجلاته مع المحاكم والقضاة المدنيين والشرعيين. الشاهد أن القانون لدى صاحب المشروع ليس كما الحال عند المتخصص في القانون. فهل كان الأستاذ محمود محامياً ناجحاً؟ وهل كان يدافع عن نفسه حينما يواجه المحاكم والجهل من أجل حرية الفكر وكرامة الإنسان؟ أسئلة سيتولى المستقبل القريب الإجابة عليها، وقد بدأت معالم الإجابات من خلال الاهتمام الواسع بالأستاذ محمود وبالكتابة عنه، بيد أن الذي لاشك

(1) محمود محمد طه، الثورة الثقافية، مصدر سابق، ص2.

(2) محمود محمد طه، زعيم جبهة الميثاق الإسلامي في ميزان: 1. الثقافة الغربية 2. الإسلام، أمدردان، 1968. ص 4-7.

فيه أن الأستاذ محمود بمواقفه الشامخة، وبمواجهته المستمرة لتحالف كوكبي قوامه الجهل والقديم وكسل العقول والسجالات بلا شرف، وبرؤيته المتصلة بالمستقبل أكثر من اتصالها بالراهن آنئذ، قد تحكَّم بالماضي و (إن من يتحكم بالماضي يمسك بالمستقبل) وفقاً لعبارة جورج أورويل (1903-1950)، وقد قرأتها عند فرانسو دوس الذي نقلها وضمنها صدر أحد فصول كتابه الموسوم بـ: التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد⁽¹⁾.

لمحات من منهج الحياة والإنتاج الفكري

قد لا أكون أعلم كل شيء ولكن بالتأكيد كل [ما أعلمه أعمله]⁽²⁾.

محمود محمد طه، نقلاً عن بتول مختار محمد طه

قدم الأستاذ محمود عطاءً فكرياً ضخماً، تميز بالأصالة والجدة والتنوع والاستمرار والشمول والاتساق. فقد بذل الأستاذ محمود حياته من أجل قضايا السودان والإسلام والإنسان والسلام. وفي سبيل تلك القضايا سعى لإحداث التنوير والتحرير والتغيير، سواء من حيث الإنتاج الفكري الباكر الضخم، أو باستخدامه لأدوات المثقف وتوظيفها بمسؤولية وأخلاق، أو عبر المواقف الصلبة والصامدة التي خلدها، وكان آخرها موقف ابتسامته على منصة المشتقة. اتسمت رؤية الأستاذ محمود بالكلية والكوكبية في النظرة للقضايا ومعالجتها، وسعى للدفع بالإنسانية لتكون هي الهوية الأرحب. ومن أجل ذلك سعى لأنسنة الحياة عبر التنوير وتحرير العقول والقلوب وإلى إحداث التغيير، ودعا إلى الإنشغال بالإنسانية كهوية وكوحدة مصير. ففي يوم 18 أكتوبر 1958 نشر الأستاذ محمود، في صحيفة أبناء السودان مقالة، بمناسبة محاضرة قدمها أحد الأساتذة المصريين المبعوثين من الأزهر الشريف للتدريس في المعهد العلمي بأمدرمان، حضر الأستاذ محمود تلك المحاضرة، فكتب مقالاً وأهداها لطلبة وأساتذة المعهد العلمي بأمدرمان ونشره في صحيفة أبناء السودان، وقد وقفت عليه في الصحيفة. فكتب الأستاذ محمود قائلاً: "كل حديث، منذ اليوم، عن مستقبل أي قطر على

(1) فرانسو دوس، التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 25.

(2) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 14.

هذا الكوكب يجب ألا ينحصر في الحدود الجغرافية لذلك القطر، ذلك لأن الوضع قد تغير عن ذي قبل، وأخذ عالمنا يستقبل عهداً جديداً، كل الجدة، من وحدة المصالح، ووحدة المصير، ووحدة الشعور..⁽¹⁾ وعن الحواجز بين البشر كتب الأستاذ محمود في مقاله آف الذكر قائلاً: "والحق، الذى لا مرأى فيه، أن الحواجز التى كانت تفصل بين البشر، فى الماضى، لم تعد قادرة على الحيلولة بينهم، منذ اليوم، بعد أن قهرت سبل المواصلات، وسبل الإتصال الحديث، الزمان، والمكان قهراً يكاد يكون تاماً.. بفضل الله، ثم بفضل هذه الكشف..⁽²⁾."

تبع تلك الحضارة التكنولوجية التى قهرت الزمان والمكان، نتائج ترتبت عليها تحديات ومتطلبات، وعن تلك التحديات ومتطلباتها يقول الأستاذ محمود:

إن التحدى الكبير الذى تواجه به حضارة "التكنولوجية" العظيمة الدين يتلخص، جميعه، فى كلمة "السلام".. فإن الأرض بهذه الحضارة قد توحدت، كما أسلفنا القول.. وهذا الوطن الموحد يطلب إلى سكانه أن يتوحدوا، بصرف النظر عن مللهم، وعن ألسنتهم، وعن ألوان بشرتهم.. ولا يتم هذا التوحيد إلا بتنمية، وبتحرير، المواهب المشتركة بين جميع البشر.. وما المواهب المشتركة بينهم جميعاً إلا موهبة القلب، والعقل..⁽³⁾

لم يكن بعض معاصرى الأستاذ محمود بعيدين من التقاط رؤيته هذه، فقد كتب الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011)، فى وصفه للأستاذ محمود قائلاً: "محمود محمد طه... يؤمن بالإنسانية وحدة لا تتجزأ... ولعل خير ما يقال عنه أنه أخلص القادة للقضية وللسودان.. بل وللعالم الواسع"⁽⁴⁾. ولهذا فإن وحدة الكوكب كمصير مشترك ووحدة الإنسانية كهوية جامعة، تتطلب التوحيد عبر التحرير والتنمية، وهما من المحاور الأساسية فى الانتاج الفكرى للأستاذ محمود.

(1) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدردمان"، صحيفة أبناء السودان، العدد 164، التاريخ 1958/10/18، الخرطوم.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، مصدر سابق.

(3) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 81-82.

(4) يحيى محمد عبدالقادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، مصدر سابق، ص 146-147.

تجدر الإشارة إلى أنى أعد حالياً بحثاً بعنوان: محمود محمد طه: دراسة بيلومترية وثائقية تحليلية. وهو بحث يسعى لدراسة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود من حيث الكم والنوع، بغرض الرصد والحصص والوصف لخصائص ذلك الإنتاج وتحليله ودراسة طبيعته، وأمل أن أنتهى من إنجاز هذه الدراسة قريباً وأدفع بها إلى المطبعة. بيد أننى ولغرض هذه الدراسة لابد أن أقدم جرداً مجمللاً للإنتاج الفكرى للأستاذ محمود، مع إشارات سريعة للعناصر الأولية التى تتسم بها مواقفه وانتاجه الفكرى ومنهج حياته ووسائل دعوته.

Primary Elements بعض العناصر الأولية

من الملاحظات الأولية التى يجب تسجيلها هنا، أن منهج الأستاذ محمود الحياتى ورحلة نضاله وانتاجه الفكرى وأساليب دعوته لمشروعه تميزت بعناصر أولية Primary Elements ظلت تتسم بالانساق consistency والاستمرارية continuity عبر الزمان والمكان. وهى عناصر لا تخطئها عين الدارس لسيرة الأستاذ محمود ومشروعه، إذ تقفز تلك العناصر بسبب قوة حضورها فى كل مواقف الأستاذ محمود، قفزاً لتصدر تاريخ الأستاذ محمود وسيرته وقصة مشروعه التى لم تبدأ بعد. ففى يقينى أن أجيال المستقبل ستبدأ فى البحث عن الاجابة لأسئلتها المتصلة بالإسلام والسودان والسلام والإنسان، فى مشروع الأستاذ محمود، وسيحدث هذا قريباً جداً.

من خلال رحلة بحثى فى سيرة الأستاذ محمود ومشروعه فإن من أهم تلك العناصر الأولية والتى تمثل بعض المبادئ والمرتكزات هى: مبدأ المواجهة واستخدام أدوات المثقف والتوثيق والتطوير والنداء المستمر للحرية والاستقلالية كنابتين أساسيين فى حياة الإنسان. سأقف هنا على مبدأ المواجهة واستخدام أدوات المثقف والتوثيق، وسيأتى الحديث لاحقاً عن التطوير⁽¹⁾ والحرية والاستقلالية.

(1) لفت نظرى الأستاذ عوض الكريم موسى -وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، ورائد شعر الإنشاد العرفانى- لفت نظرى ضمن مقابلة أجريتها معه، إلى أن التطوير من ثوابت الفكرة الجمهورية. وعلى ضوء ذلك ذهبت وبحث فانجلى لى الأمر بشكل كبير.

مبدأ المواجهة ومنهج المقاومة

إن أول ما يسترعى الانتباه فى شخصه ذلك الجمع بين ألطف صور التواضع، وبين قوة لا تليين⁽¹⁾.

هنرى كودريه⁽²⁾

كشف الأستاذ محمود باكرأ عن أهم مبادئه، وهو مبدأ المواجهة، ولم يحد عنه قط، منذ التحاقه بالخدمة المدنية مهندساً برئاسة مصلحة السكك الحديدية، ودخوله الشارع العام رئيساً للحزب الجمهورى. كان الحزب الجمهورى فى سبيل تسييل مبدأ المواجهة وتعزيز خطه الثورى فى مجابهة المستعمر، يطبع المنشورات فى مطبعة سرية ويوزعها ليحض الشعب على الثورة ضد المستعمر، وهو أول حزب يستخدم المطبعة السرية. وعن المواجهة وطبيعتها عند الجمهوريين، جاء فى خلاصات قرارات مؤتمر الفكر السياسى، الذى عقده الحزب الجمهورى بداره بمبنى، خلال أيام عيد الفطر المبارك فى يوم 20 ديسمبر 1968: "والحديث عن المواجهة هو حديث عن ماضى الحزب الجمهورى وحاضره، ذلك أن الحزب الجمهورى قد كان مواجهاً- فى الحيز السياسى - مواجهاً للإنجليز مواجهة ملهمة لا خور فيها ولا ضعف. فقد عرف الجمهوريون بصلابتهم ورفضهم لكل ما يؤثر على حرية البلاد وعلى حرية الأفراد. ومن جراء ذلك شرد الجمهوريون وسجنوا..."⁽³⁾. فقد سجن الأستاذ

(1) هنرى كودريه، "محمود محمد طه كما عرفته"، ترجمه من الفرنسية: بشير بكار، من موقع الفكرة الجمهورية،

مقالات، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 19 أكتوبر 2012، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(2) أورد المترجم بشير بكار (1952-2012)، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، أورد فى هامش ترجمته للمقال المشار لمصدره أعلاه، تعريفاً عن هنرى كودريه، فكتب بكار فى الرابع عشر من أكتوبر 1985 من أجمعنا قائلاً: هنرى كودريه يعمل الآن (وقت نشر المقالة 22 مايو 1985، فى مجلة جون أفريك (Jeune Afrique) فى أبيدجان (ساحل العاج) والذى كان قبلها مدرساً للغة العربية فى تشاد، كان يتردد كثيراً على محمود محمد طه فى الفترة ما بين يونيو 1973 ويناير 1974، عندما كان يقيم فى الخرطوم متفرغاً لبحث حول التيارات الدينية فى الإسلام السودانى. وبهذه الصفة كان محمود محمد طه يستقبله فى مرات عديدة، حيث يجد دائماً بابه مفتوحاً فى المنزل "التواضع جداً" الذى كان يسكن فيه "غاندى السودانى" فى حى الثورة بأمدرمان. احتفظ هنرى كودريه بذكرى مثيرة لتلك اللحظات. والسطور المنشورة هنا مقتطفات من نص كتب لنشرة " اللقاء الإسلامى المسيحى " (التي تصدر فى أبيدجان)، غدد أبريل - مايو 1985.

(3) الحزب الجمهورى، المواجهة طرف من الجهاد الأكبر، خلاصات قرارات مؤتمر الحزب بمبنى عيد الفطر عام

1388هـ الموافق 20 ديسمبر 1968.

محمود مرتين بسبب مواجهته للاستعمار البريطاني، كما سجن بعض أعضاء الحزب الجمهوري، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً. وعن ثبات الجمهوريين على المبادئ، وتحمل المسؤولية، كتبت جريدة الرأي العام في يوم 28 أكتوبر سنة 1946 تحت عنوان: "مجاهدون"، في الصفحة الأولى قائلة: "فإننا نرجو أن لا تحجب معارضتنا وعدم موافقتنا لبعض رسائله إعجابنا بهذا المثل الحسن الذي يضربه الجمهوريون في الثبات على المبدأ والدفاع وعدم تهريبهم في المسؤولية التي اضطلعوا بها مختارين"⁽¹⁾. وعن مواجهته لمثقفى الحركة الوطنية ومهاجمة أحزابها بالحقائق، وعن التنبؤ بمصير السودان إذا ما سارت الحركة الوطنية وأحزابها بلا برامج إصلاحية مدروسة ومذهبية في الحكم محددة، كتب الأستاذ محمود في معرض استعراضه لطابع الحركة الوطنية في يوم 1 نوفمبر 1958، قائلاً:

وحين كان الجمهوريون في مناشيرهم وكتيباتهم يهاجمون الحركة الوطنية بنفس القدر الذي يهاجمون به الاستعمار الإنجليزي وينعون عليها جهلها ووصوليتها كانوا أيضاً يتنبؤون بمصير الاستقلال الذي لا تتولاه أحزاب واعية ذات برامج إصلاحية مدروسة ومذهبية في الحكم محددة: وكنا نقول إنه ما ينبغي أن يكون قصارانا محاربة الاستعمار وبكل سبيل كما كان الشعار الشائع في ذلك الوقت وكنا نقول إن الإنجليزي قد يجلون غداً ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين لأن الاستقلال والحرية لا تجيء إلا نتيجة للحكم الواعي الرشيد وذلك أمر لا يتفق اتفاقاً وإنما يجيء عن تعمد وتوخ ودراسة واعية وكانت صيحاتنا تذهب ادراج الرياح⁽²⁾.

أخذت المواجهة أبعاداً ودوائر أوسع بعد أن طرح الأستاذ محمود مشروع التجديد الإسلامي عام 1951، واستمرت دائرة المواجهة في اتساع مستمر حتى مواجهة المنشقة صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. ففي واقع الأمر "بدأت مواجهة الجمهوريين للاستعمار وللطائفية

(1) "مجاهدون"، خواطر، الرأي العام، السنة الثانية، العدد 479، الاثنين 3 ذو الحجة 1365 - 28 أكتوبر سنة 1946، الخرطوم.

(2) محمود محمد طه، "بيانات الحزب الجمهوري على الموقف الداخلي"، صحيفة أبناء السودان، الخرطوم، العدد 166، تاريخ 1958/11/1.

ولأحزابها السلفية ولمن يسمون "برجال الدين" منذ عام 1945 عندما نشأ الحزب الجمهورى لأول مرة.. فهو موقف مبدئى من هؤلاء جميعاً...⁽¹⁾. أيضاً، عندما صدر العدد الاول من صحيفة الجمهورية فى يوم الاثنين الخامس عشر من يناير 1954، جاء فى كلمة صحيفة الجمهورية وصفاً للجمهوريين ولما ينبغى أن تكون عليه صحيفتهم: "فهم يقولون ما يريدون بأوجز أداء، ويعنون ما يقولون من الألف إلى الياء..و(الجمهورية) تطمح فى أن تخلق تقليداً فى الصحافة فى معنى ما يخلق الجمهوريون من تقليد جديد فى السياسة"⁽²⁾.

واجه الأستاذ محمود العقل الثقافى السائد فى السودان والعالم الإسلامى بقطاعاته الواسعة سواء كانت تلك القطاعات مؤسسات أو سلطات: سلطة سياسية، أو سلطة دينية، أو سلطة مجتمع... إلخ. فقد واجه الطائفية، والأفندية ورجال الطرق الصوفية، وحكام مصر وقادة ثورة يوليو 1952، ومؤسسات العالم الإسلامى لا سيما الأزهر الشريف ومراكز تجمعات الفقهاء والعلماء من العالم الإسلامى (وسياتى الحديث عن ذلك لاحقاً). الشاهد أن المواجهة كانت تمثل مبدأ أساسياً له فلسفته ومفهومه عند الأستاذ محمود.

فما هى المواجهة عند الأستاذ محمود؟

عرّف الأستاذ محمود المواجهة قائلاً: "المواجهة هى معرفة، وسلوك بمقتضى المعرفة. معرفة يهتدى بها الفرد تجعله يميز بين دقائق الأمور.. وقمة المعرفة تجعل الفرد ملزماً أن يسير خلف الله، وذلك باتباع رضوان الله هو الرضا به، فينا وحولنا..⁽³⁾. وعن المواجهة فى نظر الجمهوريين: "للمواجهة فى نظر الجمهوريين وجه آخر، هو الالتزام الفردى فانت لتقود المواجهة لا بد أن تبدأ بنفسك.. فإن فاقد الشيء لا يعطيه"⁽⁴⁾.

وعن مستويات المواجهة ودرجاتها ورد فى وثائق الجمهوريين أن المواجهة فى الحيز

(1) الإخوان الجمهوريون، مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين، ط2، أمدردمان، 1975، ص 4.

(2) "كلمة الجمهورية"، صحيفة الجمهورية، السنة الأولى، العدد الأول، الجمعة 15 يناير 1954.

(3) الحزب الجمهورى، المواجهة طرف من الجهاد الأكبر، مصدر سابق.

(4) المصدر السابق.

العملى تقع على درجات ثلاث⁽¹⁾:

1- مواجهة فى القمة: وهى العمل بالفكرة بلسان الحال، ولسان المقال ونشرها بين الناس بلسان رطب صادق يتحمل فى ذلك الأذى، ولا يرد الأذى. ولا يحسن أحد أن هذا السلوك يمكن للفرد أن يستوحيه فى لحظة المواجهة، فإنه لا يمكن أن يتيسر لك أن تعمل إلا [وفق] ما أنت عليه.. فالمواجهة سيرة، وتربية طويلة، فإن احتمال الأذى من الناس، وكف الأذى عنهم، لا يكون إلا بمعرفة الحكمة من ذلك.. فالمواجه لا يرى أعداءه فى الخارج، وإنما يستدل بما فى الخارج على أعدائه فى داخله.

2- مواجهة أقل من ذلك.. يعمل جاهداً على نشر الفكرة بسمته وقوله.. ويحاول أن يحتمل الأذى، وقد يرتد فيرد الأذى، دون تدبير منه مبيت، ثم هو غير راض عن نفسه بعد ذلك.

3- مواجهة أقل الدرجات.. يحاول جهده نشر الفكرة، وحين يعجز عن المواجهة لاعتبارات عنده هو.. فهو إن كان فى مجلس، أو اجتماع أثير فيه هذا الموضوع لا يملك إلا أن ينصرف، لأنه لا يملك أن يفعل أكثر من ذلك، وهو بعد غير راض عن نفسه، ولا حاله.

ومع مبدأ المواجهة فإن الفكرة الجمهورية رفضت أى سلوك يتنافى مع الجد، وأعلنت أنها منه براء، جاء تفصيل ذلك فى القول: "هناك سلوك الفكرة الجمهورية منه براء، وهو سلوك من يجعل من الفكرة موضوعاً للأنس وتزجية الفراغ، بروح من الهزار، والمداعبة.. فهو إن طعن فى الفكرة، بروح الهزار والنكتة، هذا السلوك، الفكرة منه براء"⁽²⁾. وجاء عن فهم الجمهوريين للسياسة "الجمهوريون حزب سياسى ولكنهم لا يفهمون السياسة على أنها اللف والدوران.. وإنما يفهمونها على أنها تدبير أمر الناس بالحق وبميزان"⁽³⁾. الشاهد أن أمر الجد كان من أهم المبادئ عند الأستاذ محمود وظل كذلك حتى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. وقد شهدت جريدة الرأى العام فى يوم 28 أكتوبر سنة 1946، كما ورد أنفاً، وأضافت قائلة: "ثم أن الجمهوريين حين يقررون أمراً أو يقومون بدعوة يُظهرون من

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) "كلمة الجمهورية"، صحيفة الجمهورية، مصدر سابق.

الجد والحزم والبلاء الحسن ما يشرفهم كل التشريف⁽¹⁾. الشاهد أن مبدأ المواجهة كان ثابتاً من ثوابت الفكرة الجمهورية. فمنذ الوهلة الأولى، رفض الأستاذ محمود طرق المهادنة والتسوية والتصالح، فترسم المواجهة في نضاله ضد القوى الاستعمارية من أجل استقلال السودان، ومجاوبته للقوى التقليدية في المجتمع ولمراكز السلطات الدينية والمجتمعية وغيرها.

استخدام أدوات المثقف وتوظيف سبل الحداثة

...ولا مندوحة من العودة لشهد النساء الواقفات في الأسواق يبعن بضاعة الحداثة السودانية في شكل متفجرات فكرية مكنونة في مؤلفات هذا "الباشمهندس" المشار⁽²⁾ العظيم الذي بذل عمره في هندسة العقيدة على هدى معاني المساواة والديموقراطية⁽³⁾.

حسن موسى

سطع اسم الأستاذ محمود في سماء الخرطوم، وفي السوح الفكرية والثقافية والسياسية والدينية، منذ الوهلة الأولى مستخدماً أدوات المثقف بكثافة واستمرار من أجل التحرير والتغيير والتطوير، سواء كان ذلك في مرحلة نضاله ضد المستعمر أو في مرحلة طرحه لمشروع التجديد الإسلامي وما تبع ذلك من مواجهات داخلية وخارجية. تقدم الأستاذ محمود مثقفاً بناءً ومجدداً ومصلحاً وقائداً⁽⁴⁾ وصاحب مشروع ورؤية ومنتجاً للمعرفة وساعياً للتغيير عبر التطوير ومستخدماً أدوات المثقف الحدائث بأقصى ما يمكن الاستخدام، ولم يأخذ بغيرها قط إلا بالدعوة من خلال النموذج الذي يجب أن يحتذى. يقول الأستاذ

(1) "مجاهدون"، خواطر، الرأي العام، مصدر سابق.

(2) المشار: تعني المخالف. المصدر: عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية في السودان، مرجع سابق، ص 510.

(3) حسن موسى معلقاً على بعض أقوال الأستاذ محمود عن قضية المرأة ووضعها في الإسلام، وموجهاً تعليقه إلى ياسر الشريف، أحد تلاميذ الأستاذ محمود. المصدر: حسن موسى، "بالصورة والصوت... إلى المرأة"، خطب أترعه ياسر الشريف، من **سودان للجميع** (Sudan for all)، الجمعية السودانية للدراسات والبحوث في الآداب والفنون والعلوم، منبر الحوار الديمقراطي، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 29 مارس 2012، الموقع على الإنترنت: www.sudan-forall.org.

(4) في إشارة لتقسيمات برهان غليون. المصدر: برهان غليون، "تهميش المثقفين ومسألة بناء النخبة القيادية"، المثقف العربي: موموه وعطاؤه، مرجع سابق، ص 90-95.

محمود: "والحزب الجمهورى ماض فى دعوته ينشرها بالوسائل الميسرة لديه، من محاضرات فى مدن السودان المختلفة، ومن نشر فيما يتيسر من الجرائد ومن منشورات، وكتب، ثم بالنماذج التى خرجها، والتى تعكس، بسيرتها بين الناس مثلاً للدعوة الجمهورية"⁽¹⁾. فقد كتب ونشر البيان والمنشور والمقال والكتاب وأصدر الصحيفة "صحيفة الجمهورية" عام 1954 (أنظر ملاحق رقم: "25-28")، واعتمد أسلوب المحاضرة والمناظرة والندوة وإقامة المؤتمر وتنظيم الجلسات مثل جلسات الانطباعات وجلسات الإنشاد العرفانى... إلخ، فى منزله لتلاميذه ولزواره سواء بغرض التعليم والتنوير أو بغرض الحوار والمناظرة. واعتمد كذلك منابر الحوار بأشكالها المختلفة بما فى ذلك أركان النقاش التى أبتدعها لتلاميذه لاحقاً، وأقاموها فى الجامعات والطرق العامة والميادين والحدائق ودور العلم والأحياء.

أدار الأستاذ محمود كل عمليات دعوته وسجلاته وجدالاته مع مخالفيه الرأى عبر استخدام أدوات المثقف، بأخلاق ومسؤولية. كانت الأخلاق والاستقامة والمسؤولية من المبادئ الأساسية عند الأستاذ محمود، وفى هذا ينطلق الأستاذ محمود من كون أزمة الأخلاق هى أزمة البشرية، يقول الأستاذ محمود: "إن (أزمة) أمتنا الحاضرة هى (أزمة أخلاق) .. وتلك هى أزمة البشرية جمعاء، على عصرنا الحاضر..."⁽²⁾. أما الاستقامة وهى من ثوابت حياته ومرتكزات دعوته، فعند الأستاذ محمود: "هى الاستواء على الوسط بين طرفين، كليهما، إذا أخذ بمفرده، خطأ"⁽³⁾. وعما يجب أن تكون عليه الخدمة التنويرية للشعب خاصة تلك التى تقوم بها الصحف، كتب الأستاذ محمود فى الكلمة الافتتاحية فى العدد الأول من صحيفة الجمهورية، التى صدرت فى يوم الخامس من يناير 1945، كتب قائلاً: "وللجمهورية فى الصحافة رأى، وهو أنها يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل .. يجب أن تسير أمام الشعب لا أن تسير فى زمرته تتسقط رضاه، وتجارى هواه، وتقدم له من ألوان القول ما يلذه ولا يؤذيه..."⁽⁴⁾.

حسم الأستاذ محمود ومنذ الوهلة الأولى موقفه وموقف مشروعه من كل مظاهر

(1) الحزب الجمهورى، المواجهة طرف من الجهاد الأكبر، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، الثورة الثقافية، مصدر سابق، ص 41.

(3) محمود محمد طه، القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى، ط1، أدمرمان، 1971، ص 27.

(4) "كلمة الجمهورية"، صحيفة الجمهورية، مصدر سابق.

التصوف التقليدي. من المعلوم أن البيئة السودانية، حيث انطلق مشروع الأستاذ محمود، ظلت موطناً للتصوف، إذ انتشر التصوف الإسلامى فيها انتشاراً واسعاً منذ قيام سلطنة الفونج (1504-1821)، وظلت الصوفية مكوناً جوهرياً فى المجتمع والثقافة. وتجمع بين الجمهوريين والصوفية روابط أرض مشتركة وامتدادات وروابط وراثية وتمايز. يقول جلال الدين الهادى الطيب إدريس، وهو، كما وردت الإشارة آنفاً، من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود:

الصوفية هم أتباع السنة المحمدية، والجمهوريون هم امتداد للصوفية وتطور عليهم حسب حكم الوقت بذهن مفتوح يمايز بين الوسائل والغايات. والأرض المشتركة بين الصوفية والجمهوريين هى المعرفة التى هى نتيجة العمل.. العلم الذى هو نتيجة التقوى، واتقوا الله ويعلمكم الله⁽¹⁾.

وعن روابط الوراثة والتمايز بين الجمهوريون والصوفية، أشارت أسماء محمود محمد طه فى إحدى جلسات الإنشاد العرفانى بمنزل الأستاذ محمود وبحضوره، أشارت أسماء قائلة:

وكما هو معلوم فإن الفكرة الجمهورية هى الوريث الشرعى لما أتى به السادة الصوفية، وفى مقدمتهم إمامهم الشيخ عبدالقادر الجيلانى، من فهم فى الدعوة لبعث الإسلام فى مستوى إحياء السنة النبوية وقد نَمَى الإخوان الجمهوريون هذا الفهم وطوروه بدعوتهم لتطوير التشريع كما هو مفصل فى كتبنا الأساسية⁽²⁾.

الشاهد أنه على الرغم من كل ذلك فقد حسم الأستاذ محمود ومنذ الوهلة الأولى موقفه وموقف مشروعه من أى منهج متبع، وأتى بمنهج جديد فى العلاقة بينه وبين الآخرين. لقد أراد لعلاقته بالناس، وهو القائد والمصلح الدينى، أن تكون قائمة (على الاحترام لا على التقديس)⁽³⁾،

(1) جلال الدين الهادى (تقديم)، جلسة حلقة إنشاد عرفانى، إنشاد بصوت عبدالله فضل الله، منزل الأستاذ محمود محمد طه، مدينة المهديّة، أمدرمان، الاثنين 30 رجب 1399 الموافق 25 يونيو 1979، الساعة 6:30 صباحاً.

(2) أسماء محمود محمد طه (تقديم)، جلسة إنشاد عرفانى، إنشاد بصوت مجموعة من الأخوات الجمهوريات: أسماء محمود، رشيلة محمد فضل، إخلاص همت ومحاسن محمد خير، منزل الأستاذ محمود محمد طه، الثورة، الحارة الأولى، أمدرمان، تسجل جمعة حسن، الثلاثاء 1980/9/2 الموافق 23 شوال 1400، الساعة 7:00 صباحاً.

(3) مقابلة مع عصام البوشى، مصدر سابق.

فاتباعه سموا بالتلاميذ وليسوا بالمريدين أو الحواريين أو أى شىء آخر. كذلك لم يناده تلاميذه بالشيخ وإنما الأستاذ، بل رفض بحسب كل مظاهر سلوك الأتباع لشيخوهم، مثل رفضه لتقبيل اليد وغيرها. كتب حمد النيل عبدالله العركي، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود قائلاً: "كنت فى أوضة (غرفة) الأستاذ محمود فدخل رجل وخلع عمامته وسلم على الأستاذ محمود فى يده، فلم يقبل الأستاذ محمود وقال له: دى تعملها عند المشايخ"⁽¹⁾. كذلك لم يأخذ الأستاذ محمود بمنهج الكرامات⁽²⁾ فى الدعوة، كما أنه لم يتخذ منها وسيلة للاقتناع، ولم يدع الكرامات. كتب عمر القراى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كتب القراى قائلاً: "فالرجل قد عرف بالزهد فى الألقاب الدنيوية والدينية ولم يدع الكرامات ولم يسم نفسه (الشيخ) أو (الإمام)"⁽³⁾.

وفى سبيل تحقيق السلام العالمى ومناصرة شعوب الأرض، ومن أجل إيصال صوته وتيسيل فكره ومشروعه، ودفعاً لتعارف العقول والتواصل الكوكبى وتوسيع دائرة الحوار

(1) حمد النيل عبدالله العركي، جواهر المعاني فى حضرة الأستاذ محمود محمد طه، (مخطوطة). ص 39.

(2) الكرامات جمع كرامة، والكرامة ارتبطت بالأولياء، جمع ولي. والأولياء يعتقد بأنهم أشخاص يحميمهم الله ويكرمهم ويخصهم بفضله. وأن هؤلاء الأولياء يمتلكون البركة. ومن خلال امتلاكهم البركة يقوم هؤلاء الأولياء بالأعمال الخارقة ولهم الكرامات والأفعال المعجزة التى يحترمها الناس، وتعتبر هذه الأفعال كراماً من الله على أوليائه. والبركة هى القدرة على أداء أعمال خارقة عن المؤلف، ومستمدة من العناية الإلهية المقدسة، لتحقيق الرخاء فى الحياة المادية والسعادة بالنسبة للحياة الروحية. فبفضل البركة يكون للولى المسلم تأثيره ونفوذه يسند الله سبحانه وتعالى، كما له قدرة أيضاً على الإتيان بالكرامات، غير أن كرامات الأولياء تختلف عن معجزات الأنبياء. فالمعجزات عند الأنبياء دوماً تتبعها الدعوة إلى دين جديد، وهى قليلة العدد. والولى ويقابله فى اللغة الإنجليزية لفظ Saint، فى الثقافة الإسلامية السودانية، كما فى أى مكان آخر من العالم الإسلامى هو شخص -حياً كان أو ميتاً- ولكنه دوماً القدوة والمثل. ولا يحتاج الولى لانتظار الموت لكسب التوقير والتقدس فى قلوب الناس، بل يحدث هذا أثناء فترة حياته بواسطة أتباعه وحيرائه الذين يطيعونه كمرشدهم الزماني بلا جدال ولا خلاف. يرى شرف الدين الأمين عبد السلام: أن مفهوم الولى فى الإسلام أقرب إلى مفهومه فى اليهودية من مفهومه فى المسيحية. فمفهوم الشهيد فى المسيحية ليس له ما يشابهه فى الإسلام. فالكرامات هى بمثابة المركز أو القلب لقصاص الأولياء من المسلمين، بينما تشكل المعجزات قلب أو مركز قصص القديسين من المسيحيين. المصدر: شرف الدين الأمين عبد السلام، كرامات الأولياء: دراسة فى سياقاتها الاجتماعية والثقافية، ترجمة يوسف حسن مدنى ومحمد المهدي بشرى، تحرير: الأمين أبو منقة محمد، دراسات فى التراث الشعبى السودانى (40)، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 2007، ص 20، 21، 54، 55؛ ب. م. هولت، الأولياء والصالحون والإسلام فى السودان، ترجمة هنرى رياض والجنيد على أحمد، ط2، مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1971، ص 6.

(3) عمر القراى، "أنصاف الحقائق أم أنصاف المتقنين"، أجراس الحرية، بتاريخ 3 ديسمبر 2002.

بين العقول والشفافات، أخذ الأستاذ محمود مبدأ كتابة الرسائل وتوجيه الخطابات. فقد وجه الرسائل والخطابات إلى بعض رؤساء الدول وبعض مديري المنظمات الإقليمية والعالمية، وإلى عدد من المفكرين في دول العالم، سترد الإشارة إليهم لاحقاً. الشاهد أن الأستاذ محمود أخذ في دعوته وفي نضاله باستخدام أدوات المثقف وبتقديم النموذج الذي يحتذى، وظل على هذا الحال حتى صبيحة يوم 18 يناير 1985.

التوثيق وحفظ النسب للأفكار والمعلومات والأحداث

تأمل فقط فكرة أن الأستاذ محمود ترك معظم فكره محفوظاً في كتب ستقرأها الاجيال القادمة وتفيد منها ما ستصلح به دينها وتقوى به عزائمها نحو المجد والسؤدد والبطولات النادرة⁽¹⁾.

طه جعفر

من الملاحظات التي تدفع بنفسها دفعاً بليغاً، بما تحمله من دلالات تتصل بالمستقبل وإقامة الحجة، أمام ناظرى الدارس لسيرة الأستاذ محمود ومشروعه، التوثيق Documentation. ففي استخدامه لأدوات المثقف بكل أشكالها، تميز إنتاج الأستاذ محمود فوق الكثافة والاستمرار والاتساق، بالتوثيق الدقيق والمفصل، وهى ميزة علمية تكتسب قيمتها مع مرور كل يوم. الشاهد أن كل تراث الجمهوريين المكتوب والمسموع تميز بالتوثيق. فقد لاحظت من واقع بحثى فى كتابات الأستاذ محمود فى مختلف أوعية ووسائل النشر المودعة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، ففوق الإشارة للتواريخ، فإن الأستاذ محمود يربط كتاباته وموضوعات مساجلاته والقضايا التي يتناولها بتسلسل تاريخى مشيراً فيه إلى تواريخ الدوريات السابقة وأعدادها الأمر الذى يجعل مهمة الباحث فى منتهى السهولة وهو يرجع إلى الأعداد السابقة أو إلى المصدر المحال إليه. ولاحظت كذلك أن تراث الجمهوريين المسموع والمسجل سواء الجلسات فى منزل الأستاذ محمود أو المؤتمرات التي تم تنظيمها أو جلسات الإنشاد العرفانى... إلخ فإن التوثيق كان أحد ثوابت المادة

(1) طه جعفر، "جبار الكسور"، من موقع صحيفة الراكوبة الإلكترونية، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 28 نوفمبر 2012، الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-11298.htm>

المسجلة، إذ تجلت عناصر التوثيق فى ذكر مناسبة التسجيل، واسم المناسبة، وتحديد مكان التسجيل، وتاريخ التسجيل: اليوم والشهر والسنة والساعة. من المهم الإشارة إلى أن الأستاذ محمود اتخذ من الكتابة لتكون وسيلة التوثيق، سواء كتابة الكتب، أو المقالات فى الصحف ونشر البيانات والمشورات، أو كتابة الملخصات للأحداث فى الندوات والمحاضرات والجلسات، وظل الحال كذلك حتى عام 1963. فى ذلك العام دخل التسجيل الصوتى⁽¹⁾ عبر جهاز مسجل للصوت أحضره⁽²⁾ محمد فضل الصديق (1919-1982)، فمثل جهاز التسجيل معطىً جديداً فى نشاطات الحركة الجمهورية. بدأ تسجيل المحاضرات والندوات والجلسات والمؤتمرات، الأمر الذى حفظ لنا الكثير جداً من هذا الإنتاج الفكرى الضخم. من المعروف أن الانتاج الفكرى للأستاذ محمود وتراث الجمهوريين قد تعرض للمصادرة بغرض الإبادة من قبل السلطة السياسية بعد صدور قرار محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم الصادر فى 1985/1/15 بتأييد حكم إعدام محمود محمد طه وأتباعه. إذ نص قرار المحكمة فى بنده الرابع على: "مصادرة كل كتب ومطبوعات محمود محمد طه وكتب الجمهوريين من جميع المكتبات بغرض إبادة ما منع تداولها وطبعها فى كافة المطابع"⁽³⁾. على الرغم من ذلك فإن ما حفظ من الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود ومن تراث الجمهوريين، بواسطة تلاميذ الأستاذ محمود وبواسطة بعض الأفراد، فإنه يحتاج لمئات الباحثين لسبر أغواره.

لا شك أن الاهتمام بالتوثيق يعكس الحرص على توصيل المعلومات، والرغبة فى الالتزام بالعلمية فى تناول، ويحمل كذلك دلالات عظيمة تتمثل فى القدرة العالية على التنظيم والحضور فى السوح والحرص على ترفيع مستوى السجالات. والتوثيق هو من أهم

(1) مقابلة مع الأستاذ عبداللطيف عمر حسب الله، من أبنكار تلاميذ الأستاذ محمود منذ يوم 1951/11/30، وكان حينها عمره سبعة عشر عاماً. تمت المقابلة فى أمدرمان يوم 2001/7/30، الساعة 11:00 وحتى الساعة 13:30.

(2) أفادنى الأستاذ عبداللطيف عمر حسب الله، فى المقابلة، مصدر سابق، أفادنى عبداللطيف بأن جهاز التسجيل (المسجل) وهو الأول من نوعه، أحضره الأستاذ محمد فضل (1919-1982) حينما سافر إلى أمريكا وعاد معه ذلك الجهاز.

(3) المكاشفى طه الكباشى، الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان، دار الفكر، الخرطوم، 1987، ص 205، 190.

خصائص البحث العلمى ومناهجه، يقول منصور خالد: "المنهج التوثيقى أشد لزوماً عند تناولنا للقضايا الاجتماعية المعقدة التى لا ينبغى أن يستنى الناس أحكامهم فيها على افتراضات وساوس، وشوائع ملهوجة، وثوابت مزعومة ولا ثوابت فى التاريخ الاجتماعى إلا عند الذين يتذرعون بيقين جاهل، أو الراغبين فى الهروب من التفسير البرهائى لـ "المسلمات" الاجتماعية"⁽¹⁾. وفى تقديرى، فإنه فوق علمية المنهج، فإن الأستاذ محمود فى اهتمامه بالتوثيق كان يتعاطى مع المستقبل بنفس القدر، إن لم يكن أكثر من تعاطيه مع الراهن. فالتوثيق يحفظ نسب الأفكار والمعلومات والأحداث والوقائع، ويعمق الأمانة العلمية، ويعين على قراءة التاريخ، ويساعد فى الوصول للنتائج الصحيحة وبهذا فهو يعين على الدخول المتناسك والسليم إلى المستقبل.

مخارج من الإنتاج الفكرى

هذا العارف الذى ضوئاً حياتنا ومضى بشرف وشجاعة نادرة بينما بقى فكره وذكره العطرة⁽²⁾.

بشرى الفاضل

لقد أشرت آنفاً بأننى بصدد إعداد دراسة بعنوان: محمود محمد طه: دراسة بيليو مترية وثنائية تحليلية. وهى دراسة تسعى لدراسة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود من حيث الاتجاهات العددية والنوعية، وبغرض الرصد والحصروالوصف لخصائص ذلك الإنتاج وتحليله ودراسة طبيعته، ولهذا فإن ما يأتى هنا هو مجرد جرد مجمل للإنتاج الفكرى للأستاذ محمود لغرض هذه الدراسة. وبالطبع يتبع هذا الجرد تفصيل أثناء الحديث فى صفحات فصول هذا الكتاب بما يقتضيه الحال، وغنى عن القول أن كل كتابات وأقوال وأفعال الأستاذ محمود هى من مصادر هذا الكتاب. ومن المهم الإشارة إلى أن الفترة منذ أكتوبر 1945 إلى سبتمبر 1948 كانت عند الأستاذ محمود هى مرحلة ملء فراغ الحماس،

(1) منصور خالد، جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى، دار تراث للنشر، لندن، 2000، ص 7.

(2) بشرى الفاضل، ضمن رسالة خاصة وصلتني منه يوم 5 مارس 2012.

وقد شهدت تصعيد المواجهة والنضال من أجل الاستقلال. أما الفترة من سبتمبر / أكتوبر 1948 وحتى أكتوبر عام 1951 فكانت عند الأستاذ محمود فترة الاعتكاف والخلوة بمدينة رفاعة. وبعد خروجه من الخلوة في أكتوبر 1951 بدأت مرحلة جديدة سماها الأستاذ محمود بمرحلة ملء فراغ الفكر وقد استمرت حتى لحظة شموخه مبتسماً على منصة المشنقة في صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985.

بدءاً منذ العام 1945⁽¹⁾ وحتى اغتياله في يناير 1985، ظل الأستاذ محمود يعمل بجهد نادر المثليل يكتب ويتحدث وينظر في سبيل قضايا السودان والإسلام والإنسان والسلام. كانت جل كتاباته وأحاديثه باللغة العربية، وقليل منها باللغة الإنجليزية. فقد كتب ستة وثلاثين كتاباً، هذا ما وصل إلينا، فقد فقدت بعض الكتب، منها مثلاً كتاب كتبه الأستاذ محمود بعنوان: **خيانة المثقفين**⁽²⁾. كما أشرف على تأليف نحو ثلاثمائة كتاب صدرت باسم تلاميذه، الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات. فقد أخذت بقائمة كتب كتبها الأستاذ محمود بخط يده، وضمنتها قائمة المصادر والمراجع في هذا الكتاب حتى لا يكون هناك تكرار إذا ما وضعتها في قائمة الملاحق. كانت القائمة التي كتبها الأستاذ محمود بخط يده تغطي الفترة ما بين عام 1945 وحتى عام 1981، وتضمنت إشارة إلى أن هذه القائمة تمثل أهم كتب الدعوة الإسلامية الجديدة، وقد بلغت 224 كتاباً⁽³⁾. ثم هناك الكتب التي صدرت بعد عام 1981 وحتى يناير 1985. كذلك نشر الأستاذ محمود

(1) أوردت الإشارة إلى أن الأستاذ محمود كتب ونشر قبل عام 1945. فقد ورد الحديث عن كتاباته في مجلة كلية **غردون** عام 1935، وكتب مقالة كذلك في صحيفة **سودان إستار** الإنجليزية Sudan Star تلك المقالة بلورت وحددت فكرة **الحزب الجمهوري** التي أتى بها أمين مصطفى التني، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً عن الحديث عن **الحزب الجمهوري**.

(2) هناك كتب من ما كتب الأستاذ محمود قد ضاعت. فقد وردت الإشارة لبعضها في مقالات الأستاذ محمود ولكني لم أجدها أثراً، بيد أنني لا أزال أبحث عن تلك التي قابلتني الإشارة إليها. مثال: أشار الأستاذ محمود ضمن بيان نشره عام 1958 إلى أنه أصدر سफراً بعنوان: **خيانة المثقفين**، ولم أجده هذا السفر. المصدر: محمود محمد طه، "بيانات.... الحزب الجمهوري على الموقف الداخلي"، **صحيفة أنباء السودان**، الخرطوم، العدد 166، تاريخ 1958/11/1.

(3) زودني بهذه القائمة حيدر إبراهيم علي. وقد أفادني بأنه حصل على نسخة منها من مكتبة الكونغرس بالولايات المتحدة الأمريكية. المصدر: مقابلة مع حيدر إبراهيم علي، يوم 2012/5/28، الساعة 7:30 صباحاً - 9:00 صباحاً، مدينة الدوحة، دولة قطر. =

نحو مائتي مقال فى الدوريات (صحف ومجلات)، منها (أثبت هنا ما وقفت عليه بدار الوثائق القومية بالخرطوم) فهى: (مجلة كلية غردون، Sudan Star، و"صحيفة النيل"، و"الرأى العام"، و"السودان الجديد"، و"صحيفة الأمة"، و"صحيفة الشعب"، و"الصراحة"، و"صحيفة الاستقلال"، و"أنباء السودان"، و"الزمان"، و"كل الناس"، و"التلغراف"، و"صوت السودان"، و"الصحافة"، و"الأيام"). كما أصدر ووزع أكثر من مائة وخمسين بياناً ومنشوراً منذ عام 1945، وقدم مئات المحاضرات فى العاصمة الخرطوم وفى مدن وقرى السودان المختلفة⁽¹⁾، لقد ورد أنفاً أن التسجيل الصوتى لنشاطات الفكرة الجمهورية بدأ عام 1963. وكان المتبع قبل ذلك تلخيص المحاضرات ونشرها فى الصحف المحلية. كذلك شارك الأستاذ محمود فى نحو عشرين ندوة ومناظرة مسموعة أو مكتوبة، واستقبل نحو العشرين من المحاورين من الصحفيين والكتاب، من داخل السودان ومن خارجه (من بلدان عربية وغربية)، أداروا معه حوارات ونشروها فى الدوريات⁽²⁾. إلى جانب ذلك فقد بعث الأستاذ محمود بنحو ثلاثين رسالة إلى رؤساء دول ومنظمات إقليمية وعالمية، وإلى

= تتكون القائمة من سبع صفحات، وهى تتضمن الكتب التى أصدرها الأستاذ محمود وتلاميذه منذ عام 1945 وحتى عام 1981، وقد بلغ مجموعها فى القائمة 224 كتاباً. من جانبى فقد أضفت الكتب التى صدرت بعد عام 1981. كان عنوان القائمة قد كتب فى أعلى الصفحة الأولى: الدعوة الإسلامية الجديدة: قائمة المطبوعات 1945-1981. وقد كُتب فى أدنى الصفحة الأولى باللغة الإنجليزية:

Written by Ustaz Mahmoud Mohammed Taha personally. The most important of his books.

الترجمة: كتبها الأستاذ محمود محمد طه شخصياً. من أهم كتبه.

(1) عددت بتول مختار محمد طه فى مذكراتها القرى والمدن السودانية التى حاضر فيها الأستاذ محمود، فقالت: "مركز نشاطه الأساسى كان أمدرمان، والخرطوم، والخرطوم بحرى، فى إطار هذه المدن حاضر فى توتى، وأبروف، حى العمدة، ودرملى، وادى سيدنا، الجبلى، العيلقون، الحاج يوسف، عد حسين، كما طاف على المدن التالية: مدنى، رفاعه، الحصاصيصا، الهلالية، المندره، المسلمية، حنتوب، ود المجذوب، الشيخ الطيب، أربجى، خور طقت، أبو حراز، المدينة عرب، الحاج عبدالله، سنار النقاطع، سنار المدينة، سنجة، الرصيرص، الدمازين، السوكى، القضايف، حلفا الجديدة، الشوك، الحواتة، خشم القربة، كسلا، جببت، هيا، سواكن، سنكات، طوكير، بورتسودان، شندى، الدامر، عطبرة، بربر، الباقوة، العبيدية، كوستى، تندلى، ربك، كنانة، الرنك، الرهد، أم روابه، ودعشانة، الدويم، القطينة، الكوة، الأبيض، رشاد، أبو جبيهة، كلوقى، تلودى، الدلنج، العباسية، تقلى، وكادقلى". المصدر: بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، 397-398.

(2) تجدر الإشارة إلى أنه منذ عام 1945 وحتى تاريخ تنفيذ الإعدام 18 يناير 1985، لم تتم مع الأستاذ محمود محمد طه، أى مقابلة تلفزيونية أو إذاعية سوى مقابلة إذاعية واحدة أذيعت مساء الخميس 10/4/1975 =

مفكرين مسلمين وغير مسلمين. كما سعى لنشر دعوته خارج السودان، ففى إجابته على سؤال السيدة هودجكنز: "هل حاولت أن تنشر دعوتك خارج السودان؟". رد الأستاذ محمود قائلًا: "نعم أرسلنا بعض الكتب إلى مصر و السعودية و تونس و إلى فرنسا و إنجلترا و بعض الدول الأخرى و لكن ليس على أساس تجارى .. ونحن لا نعتبر دعوتنا إقليمية وإنما هى دعوة عالمية و ذلك يتوقف على نجاحها فى السودان"⁽¹⁾. كذلك أصدر الأستاذ محمود صحيفة الجمهورية فى يوم الجمعة 15 يناير 1954 لتكون لسان حال الحزب الجمهورى، حتى توقفت⁽²⁾ عند قيام الانقلاب العسكرى فى 17 نوفمبر 1958 بقيادة الفريق إبراهيم عبود (1897/1900-1983). (أنظر ملاحق رقم: "25-28").

كتب الأستاذ محمود عشرات الرسائل الموجهة إلى تلاميذه وتلميذاته بشكل

= فى برنامج "لقاء الخميس"، تقديم الفاتح على مختار، الإذاعة السودانية، أمدرمان. المصدر: الإخوان الجمهوريون، لقاء إذاعى مع الأستاذ محمود محمد طه، حول: (1) الأصول والفروع، (2) الخير والشر، (3)، التحرر من الخوف، (4) الحكمة وراء العذاب، ط1، أمدرمان، 1975، صفحة المقدمة. كما تم تسجيل للإشاد العرفانى فى إذاعة أمدرمان، الإذاعة السودانية إنشاد بصوت المشد عبدالكريم على موسى، أعد الحلقة الشاعر عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، الأستاذ بجامعة الخرطوم آنذ، وقدمها سعد الدين جلال البدرى. جاءت الحلقة بمناسبة ذكرى ميلاد النبى الكريم (صلى الله عليه وسلم). مصدر: حلقة الإنشاد العرفانى الإذاعية: موقع الفكرة الجمهورية، قرآن وإنشاد، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 27 سبتمبر 2012، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

- (1) محبوب كرار، "محمود محمد طه فى حوار صوفى مع مسز هودجكنز"، (حوار)، صحيفة الصحافة، السبت 1972/12/16.
- (2) أوردت بعض المصادر أن صحيفة الجمهورية قد عاودت الصدور بعد توقفها فى الخمسينيات من القرن الماضى. من هذه المصادر: قاسم عثمان نور، دليل الدوريات السودانية: الصحف (1903-1998) - المجلات (1931-1998)، مرجع سابق، ص 21. فقد أشار قاسم عثمان نور إلى أن الجمهورية صدرت فى مرتين الأولى عام 1954 و المرة الثانية عام 1969. بيد أن الجمهورية لم تصدر ثانية كصحيفة، وإنما صدرت كمجلة داخلية شهرية للحزب الجمهورى، وقد صدر العدد الأول منها فى يوم الخميس 17 أبريل 1969. وقد جاء فى صدر العدد الأول أن: الجمهورية، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، تصدر شهرية، شعارها: "الحرية لنا ولسوانا"، رئيس التحرير سعيد الطيب شايب، وقد وقفت على العدد الأول منها، وقد تضمن الموضوعات الآتية: الافتتاحية، ومشكلة التعليم - الحل الجذرى لها، بقلم ميرغنى حمزة. والصلاة عند الترابى مجرد حركات، بقلم بتول مختار. والمحكمة تدين الفقيه المصرى شاهين، والأستاذ محمود محمد طه وإسماعيل الأزهرى عام 1954، والهجرة النبوية معلم عرفانى، والتدخل المصرى فى السودان هل هذا أوان مواجهته؟ بقلم عوض الكريم موسى. وحاجة البشرية للرسالة الثانية من الإسلام، بقلم عبدالرحيم الريح، من خواطر الطواف، وقلنا فقالوا ونقلوا، وندوة الجمهورية. إلى جانب أخبار الحزب الجمهورى.

جماعى⁽¹⁾، فى مناسبات مختلفة، وهى رسائل تحمل المعانى الفكرية والجهرات التربوية والوصايا والتوجيهات والإرشادات. كان منها عدة رسائل أثناء فترة أطول اعتقال للأستاذ محمود (1983/6/9-1984/12/19)⁽²⁾، وكان آخر تلك الرسائل بتاريخ الخميس 16 فبراير 1984. وكتب كذلك مئات الرسائل إلى تلاميذه وتلميذاته ذات الطابع الشخصى والخاص، واستقبل كذلك مئات الرسائل منهم⁽³⁾. وأشرف الأستاذ محمود على عشرات المؤتمرات التى نظمها الجمهوريون. كان أول مؤتمر جامع للجمهوريين قد نُظم بمدينة ود مدنى بوسط السودان عام 1968، وأُطلق عليه اسم مؤتمر "أم بارونا"⁽⁴⁾. وتوالى عقد المؤتمرات عند الجمهوريين فى أعياد الفطر والأضحى وبمناسبة عيد الاستقلال بغرض تدارس الشؤون الداخلية والمعطيات السياسية والفكرية، وتقييم الانتاج ومدى الالتزام بالواجب الإنسانى والوطنى، إلى جانب تقديم النقد الذاتى للمسار والعطاء فى الحركة. وكان آخر مؤتمر عقده الجمهوريون فى شهر يناير من عام 1985 بمناسبة عيد الاستقلال. قال الأستاذ محمود فى ختام ذلك المؤتمر فى مساء يوم الجمعة 4 يناير 1985، وهو يتحدث إلى تلاميذه وتلميذاته فى تلك الأمسية التى سبقت تنفيذ حكم الإعدام بأربعة عشر يوماً، قال الأستاذ محمود⁽⁵⁾:

افتكر مؤتمراً ذا لابد أن يؤرخ تحول عملى فى موقف الجمهوريين، زى ما قلنا قبل

(1) أورد إبراهيم يوسف بعض تلك الرسائل فى مذكراته: إبراهيم يوسف فضل الله، ذكريات جمهورى، الخرطوم، 2011، ص 107-126.

(2) مقابلة مع ياسر الشريف المليح، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، المقابلة كانت بالهاتف هو فى ألمانيا، والمؤلف فى الدوحة، فى يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 9:30 ليلاً.

(3) أطلعت على نماذج كثيرة من هذه الرسائل الخاصة، وحصلت على نسخ منها من أسماء محمود محمد طه. بعضها رسائل خاصة، وبعضها الآخر يجمع ما بين الشأن الخاص والتقرير عن الحركة الجمهورية ونشاطاتها. ومن نماذجها، رسائل إلى ومن: سعيد الطيب الشايب، وأسماء محمود محمد طه، وسمية محمود محمد طه، ومبارك الطيب البشير، وعماد عبدالرحمن البوشى، وبكرى الحاج عبدالله، وغيرهم. كما أهدانى عصام عبدالرحمن البوشى نسخاً من بعض رسائله الخاصة التى وصلته من الأستاذ محمود أثناء فترة دراسته الجامعية فى لندن، وبعض تلك التى أرسلها هو إلى الأستاذ محمود.

(4) مقابلة مع الريح أبو إدريس، أحد تلاميذ الأستاذ محمود منذ عام 1954. تمت المقابلة فى الخرطوم يوم 2011/7/17، الساعة 16:00 وحتى الساعة 20:30 أفادنى أبو إدريس بأن "أم بارونا" هو اسم لحديقة، وكان المؤتمر بمثابة جلسة مفتوحة فى تلك الحديقة، قدم فيه الأستاذ محمود دراسة تعتبر نواة الرسالة الثانية من الإسلام. خرج من هذه الدراسة كتاب الإسلام عام 1960.

(5) حديث الأستاذ محمود محمد طه فى ختام المؤتمر الذى أقيم بمناسبة عيد الاستقلال فى مساء الجمعة يوم 1985/1/4، مصدر سابق.

كدا.. الناس سمعوا منا كثير.. الكلمة المقروءة والمكتوبة.. نحن عشنا زمن كثير فى مجالات عاطفية.. الإنشاد، والقرآن، والألحان الطيبة.. جاء الوقت لتجسيد معارفنا، وأن نضع أنفسنا فى المحك ونسمو فى مدارج العبودية سمو جديد.. الصوفية سلفنا.. ونحن خلفهم.. وورثتهم.. كانوا ينفذوا الناس.. الوفاء يقع، يأخذ الشيخ الكبير، الصوفى الكبير، وينتهى الوفاء دى صورة غير كم اتو ما يعقلها كثير. انتو هسح لا بد تغدوا الشعب السودانى.. الذل والمهانة الواقعه عليهو والجلد...

كما عقد الأستاذ محمود آلاف الجلسات والحوارات الفكرية والتربوية لتلاميذه وتلميذاته، ولمن حضر من الضيوف والمهتمين. وأشرف كذلك على الآلاف من أركان النقاش التى كان يقيمها تلاميذه فى الجامعات والمعاهد العليا السودانية وفى الطرقات والأسواق السودانية وفى الحدائق العامة. وأقام بعض تلاميذه أركان نقاش فى ساحة (الهايد بارك) فى لندن بالمملكة المتحدة. كان الأستاذ محمود يقرأ ويستمع لكل التقارير التى تقدم من تلاميذه عن نشاطاتهم المختلفة ويناقش أصحابها ويستمع لأراء تلاميذه وتلميذاته حول خلاصاتها وعن ما أثارته من جدل⁽¹⁾. وأشرف الأستاذ محمود على عشرات المعارض التى كان يقيمها تلاميذه وتلميذاته عن الفكرة الجمهورية فى الأندية والجامعات والمعاهد العليا، واطلع على مئات الصحف الحائطية التى كانت تصدر باسم الفكرة الجمهورية⁽²⁾. كما وجه الأستاذ محمود وأشرف على مئات من حملات الدعوة الخاصة⁽³⁾ التى قام بها تلاميذه إلى المتعلمين من الفنانين والساسة والأكاديميين، والشعراء والكتاب المبدعين وقادة رأى العام، فى المكاتب الحكومية وفى المكاتب بالقطاع الخاص وفى منازلهم⁽⁴⁾. وقبل الدعوات الخاصة كان هناك ما يعرف بحملة الريف إلى زعماء

(1) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى، أحد تلاميذ الأستاذ محمود منذ عام 1970، وكان أحد المتحدثين فى أركان النقاش. تمت المقابلة فى مدينة الدوحة، بدولة قطر، يوم 2011/6/25، الساعة 19:00 وحتى الساعة 23:00.

(2) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى، مصدر سابق.

(3) مقابلة مع بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، رافق الأستاذ محمود مع الأخوان الجمهوريين خلال الفترة (1968-1982). تمت المقابلة مع بدر الدين وهو فى المسامة بمملكة البحرين، والمؤلف فى مدينة الدوحة، بدولة قطر، يوم 2012/12/8، وكانت ما بين الساعة 20:30 وحتى الساعة 23:30.

(4) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، تمت المقابلة فى الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 15:30 وحتى الساعة 19:30.

الطرق الصوفية⁽¹⁾. كذلك أشرف الأستاذ محمود على مئات الحملات الدعوية إلى المساجد وأماكن التجمع للصلوات والتعليم الديني في العاصمة والأقاليم. كما أشرف على الآلاف من حملات الكتب والدعوة والتنوير التي كان يقوم بها تلاميذه وتلميذاته في المكاتب والأسواق والشوارع والأحياء في العاصمة والأقاليم. وقد أصبحت على هامش حملات الكتب تقام أركان للنقاش وحوارات ونقاشات مع المعارضين⁽²⁾. في كل هذه النشاطات كان الأستاذ محمود يقرأ كل التقارير المكتوبة، ويستمع لكل التقارير الشفوية حول تلك الحملات الدعوية والتنويرية⁽³⁾. أيضاً، كانت هناك الندوات الأسبوعية، التي استمرت على مدى سنين وعقود. وهناك جلسات الإنشاد العرفاني، وهي جلسات يشارك فيها جميع الجمهوريين بالإنشاد والألحان وعمل الكورس من الرجال والنساء والأطفال⁽⁴⁾. وكانت هناك "جلسات الانطباعات"⁽⁵⁾، وهي جلسات يشارك فيها كل الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، وتنظم بشكل مستمر بغرض إبداء الملاحظات والتعليقات وطرح ما يقابل الجمهوريين⁽⁶⁾، ونقل الانطباعات عما يلاقيه الجمهوريون والجمهوريات وما تواجهه الدعوة الجمهورية في الشارع فكانت بمثابة التغذية الراجعة Feed Back⁽⁷⁾. فيما يبدو أن جلسات الانطباعات كانت تمثل ما يشبه قياس الرأي.

وصف الأستاذ محمود تلك الحملات الدعوية والتنويرية، التي كان يقوم بها تلاميذه

- (1) مقابلة مع بدر الدين يوسف دفع الله السيتم، مصدر سابق.
- (2) مقابلة مع ياسر الشريف المليح، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، المقابلة كانت بالهاتف هو في ألمانيا، والمؤلف في الدوحة، في يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 9:30 ليلاً.
- (3) مقابلة مع أحمد مصطفى دالي، مصدر سابق.
- (4) محمد عثمان الحسن (تقديم)، جلسة إنشاد عرفاني، الإنشاد بصوت عبدالكريم على موسى، منزل الأستاذ محمود محمد طه، المهديّة، الحارة الأولى، أمدرمان، تسجيل جمعة حسن، 18 نوفمبر 1979 الموافق 28 ذو الحجة 1399، الساعة 6:30 صباحاً. وقد ورد كما هو معروف عند الجمهوريين بأن رائد شعر الإنشاد العرفاني هو عوض الكريم موسى، وأن عبدالكريم على موسى (كرومة)، هو من الرواد في الإنشاد العرفاني. إلى جانب أن هناك عدداً كبيراً من المنشدين الجمهوريين كما برز عدد من الشعراء الجمهوريين.
- (5) إفادة من الطبيب حسن أثناء اطلاعه على مخطوطة هذا الكتاب.
- (6) مقابلة مع ياسر الشريف المليح، مصدر سابق.
- (7) مقابلة مع عيسى إبراهيم، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كانت المقابلة بالهاتف، عيسى في الخرطوم والمؤلف في الدوحة، يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 10:30 صباحاً.

وتلميذاته إلى مدن وقرى السودان المختلفة، مركزاً على دور المرأة في المناقشة في المنابر ونهوضها بحجتها، وهو يتحدث بحزن عن فقد أحد تلاميذه، وهو إبراهيم الزبير (1954-1981)⁽¹⁾، الذي توفي إثر حادث حركة، أثناء سفره في إحدى تلك الحملات، وصف الأستاذ محمود تلك الحملات التنويرية قائلاً: "عزانا إنو مات فى أشرف ساحة وفى أشرف حركة فى أشرف سفرة، كان هو رافع راية الإرشاد الدينى الواعى وراية تنوير الشعب ليكون فى القامة البيستحق بيها الحكم الديمقراطى، الحكم البشاركوا فيه الناس فى السلطة البتبرم أمورهم وهم كرام وهم واعين"⁽²⁾.

وعن نوع العمل الذى يقوم به الجمهوريون وقيمته وأهميته، تحدث الأستاذ محمود مستعرضاً دور المرأة وما بلغته من مستوى متقدم فى نهوضها بحجتها وقوة عارضتها، مذكراً بأن هذا العمل عمل جديد لم يشهده التاريخ من قبل تحدث الأستاذ محمود قائلاً:

العمل ده السلى نحن قايمين بيه فى الحقيقة عمل فريد ما حصل فى التاريخ إطلاقاً حتى بين الرجال ما حصل خلى عنك لمن يدخل فيه النساء ليقومن بالمنابر فى المدن الواحدة تقيف فى وسط الحلقة وتناقش الناس بعلم فى الدين فى السياسة فى الاقتصاد، وتنهض بحجتها وقوة عارضتها وبيانها حتى يهرب

(1) هو إبراهيم الزبير إبراهيم إدريس، ووالدته حواء محمد حامد. ولد بمدينة السوكى التى تقع شرق النيل الأزرق على بعد نحو خمسين كيلومتر من خزان سنار. تلقى تعليمه الابتدائى بالسوكى والمتوسط بمدينة الدندر الثانوى بمدرسة حنتوب الثانوية، وفيها التزم الفكرة الجمهورية بمعية شقيقه محمد عثمان. بعد اكماله المرحلة الثانوية، وقد كان من أوائل الشهادة الثانوية السودانية، التحق إبراهيم بجامعة الخرطوم، وتخرج عام 1979 فى قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة. توفى والده وهو فى السنة الدراسية الأخيرة بالجامعة. التحق بعد تخرجه بوزارة الرى بمدينة السوكى ثم انتقل للعمل بمدينة ود مدنى. قبل الحادث كان إبراهيم ينوى السفر إلى ألمانيا لنيل الدراسات العليا. وقع الحادث الذى انتقل فيه إبراهيم فى يوم 17 يونيو من عام 1981 بالقرب من قرية (أم غنين) بالنيل الأبيض، وهو ضمن وفد دعوى ضم بعض الإخوان الجمهوريين فى طريقهم إلى مدينة الدويم. من المفيد الإشارة إلى أن الشهيد أحمد القرشى الذى استشهد فى ثورة 21 أكتوبر عام 1964، وإبراهيم من أسرة واحدة. فأم القرشى، عائشة إبراهيم إدريس إبراهيم، هى عمة إبراهيم الزبير إبراهيم إدريس. المصدر: مقابلة مع إحسان الزبير إبراهيم إدريس. تمت المقابلة عبر الإسكايب، إحسان بمدينة مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف بمدينة الدوحة، السبت 27 أبريل 2013، الساعة 16:30.

(2) محمود محمد طه، "تعلموا كيف تمجّهون موتاكم (1)"، (ندوة تسجيل صوتى)، الجلسة الأولى من جلسات ماتم إبراهيم الزبير، الخميس 18 يونيو 1981، الموافق 15 شعبان 1401.

الرجال من مواجهتها يهربوا إلى الشغب في وشها (وجهها) عشان (حتى) ما تبين ما يكشف جهلهم هم. فالمنابر دي ما حصلت في التاريخ، والحقيقة بيها بهذا العمل التاريخ بيكتب، التاريخ في هذه الأيام بيكتب من جديد في مستوى ما كتب بيه في الماضي إطلاقاً⁽¹⁾.

إلى جانب ذلك، كانت هناك العديد من مشاريع الكتب التي لم يكمل الأستاذ محمود كتابتها. فقد كان الأستاذ محمود كثيراً ما يردد عبارة: (نحن المعارضين ما خلونا نقول كل شيء)⁽²⁾، في إشارة إلى أن المعارضين أضاعوا الكثير من وقت الأستاذ محمود في معارضتهم ومجادلاتهم. إن بعض هذه الكتب التي لم يكملها الأستاذ محمود وردت الإشارة إليها في بعض كتبه التي نشرها، كما احتفظ بعض تلاميذه ببعض المخطوطات التي كتبها الأستاذ محمود بخط يده. من نماذج مشاريع الكتب التي لم يكمل الأستاذ محمود كتابتها، وظلت مخطوطة لكتاب غير مكتمل، كتاب بعنوان: **تعلموا كيف تتعاملون**. فقد كتب الأستاذ محمود بخط يده بعض الصفحات من هذا الكتاب. وظلت تلك الصفحات مخطوطة حتى تاريخ هذا اليوم⁽³⁾. كتب الأستاذ محمود في صدر مقدمة مسودة الكتاب قائلاً:

هذا كتاب: **تعلموا كيف تتعاملون** .. وهو الكتاب الثاني من سلسلة: **"تعلموا كيف"**⁽⁴⁾

(1) محمود محمد طه، "تعلموا كيف تجهزون موتاكم" (1)، مصدر سابق.

(2) مقابلة مع النور حمد، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، تمت المقابلة في الخرطوم يوم 2011/7/14، الساعة 10:20 حتى الساعة 11:30.

(3) محمود محمد طه، **تعلموا كيف تتعاملون**، (مخطوطة)، صفحة المقدمة. اطلعت على هذه المخطوطة في منزل عصام عبدالرحمن البوشي بمدينة ود مدني، السودان، وهي بحالة جيدة. المخطوطة مكتوبة بخط يد الأستاذ محمود وهي مشروع كتاب لم تكتمل كتابته بعد، تمت بموافقة البوشي بنسخ ثمانى صفحات من مقدمة المخطوطة.

(4) كان أول كتاب صدر من سلسلة "تعلموا كيف" هو كتاب: محمود محمد طه، **تعلموا كيف تصلون**، من سلسلة الثورة الثقافية، اربجي، مايو 1972. ثم صدر كتاب: **تعلموا كيف تجهزون موتاكم**، عام 1978 باسم الأخوات الجمهوريات. وقبل ذلك فقد نظمت العديد من الندوات الأسبوعية تحت "تعلموا كيف" منها (مجرد أمثلة): "تعلموا كيف تسلكون"، الثلاثاء 9 مايو 1972 المهديّة؛ وندوة: "تعلموا كيف تصدقون"، الأربعاء 10 مايو 1972 - المهديّة، الخميس 11 مايو 1972 - المهديّة؛ وندوة: "تعلموا كيف تتعلمون"، 11-18 مايو 1972 - المهديّة؛ وندوة: "تعلموا كيف تجهزون موتاكم (3-1)"، الجلسة الأولى من جلسات مأتم إبراهيم الزبير، الخميس 18 يونيو 1981 - يوافق 15 شعبان 1401. وغيرها.

التي أفتكرت بكتاب: **تعلموا كيف تصلون**، وكنا قد أشرنا يومئذ إلى أن هذه السلسلة (سيتواصل / سيتوالى) صدورها حتى تكتمل صورة "الثورة الثقافية" التي ترمى إليها، والتي أخرجنا، في تقديمها للقراء الكرام، كتاباً باسم: **الثورة الثقافية**، في شهر مايو من هذا العام⁽¹⁾.

عدَّ الأستاذ محمود هذا الكتاب من أهم كتب تلك السلسلة، فقد كتب قائلاً: "هذا الكتاب: **تعلموا كيف تتعاملون**، هو أهم كتب هذه السلسلة على إطلاقها، وذلك لأنه هو الخلاصة العملية لكل علم نظري يجرى تحصيله خلال "الثورة الفكرية" وخلال "الثورة الثقافية" على السودان". وقد تضمنت المقدمة إشارات لمخطط الكتاب، ووردت بعض العناوين الجانبية التي تبين منهج الكتاب، ومن تلك العناوين الجانبية، الحكمة وقد عرفها الأستاذ محمود في مخطوطة كتابه قائلاً: "الحكمة هي نهاية العلم ونهاية الرحمة"⁽²⁾.

آخر نص كتبه الأستاذ محمود

إن حياة الأستاذ محمود وأفكاره واستشهاده تشبه ما يمثل "الإنفجار الكبير" في عالم الفكر الإسلامى خصوصاً والدينى والإنسانى عموماً... ذلك الانفجار الذى ستظل آثاره متعاظمة كلما تقدم الزمن⁽³⁾.

بشير بكار (1952-2012)

لا نص يعلو فوق نص المشتقة. ذلك النص الذى نحتة الأستاذ محمود فى مجلد تاريخ البشرية كآخر ثمن من أثمان تطورها منذ القرون الوسطى وهى تنشئ الترقى فى سلم الإنسانية، فأودعه سجل شعوب السودان يوم أن جسد المعارف بمشهد إبتسامته على منصة

(1) الإشارة إلى إخراج كتاب: **الثورة الثقافية**، فى شهر مايو من هذا العام، تفيد بأن مقدمة المخطوطة كتبت عام 1972 وهو العام الذى نشر فيه كتاب: محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، أربيجى، 1972.

(2) محمود محمد طه، **تعلموا كيف تتعاملون**، (مخطوطة)، مصدر سابق.

(3) بشير بكار، ضمن خيط "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب الرسالة الثانية"، من المنبر العام، موقع سودانيز أونلاين، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 22 أبريل 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

المشتقة فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985 بساحة سجن كوبر بمدينة الخرطوم بحرى، بالخرطوم عاصمة السودان. نص المشتقة هو النص الخالد.

كانت مخطوطة الديباجة⁽¹⁾ هى آخر نص كتبه الأستاذ محمود. لقد كتب الأستاذ محمود نص الديباجة أثناء فترة اعتقاله الأخير (9/6/1983-19/12/1984)، وأرخ لكتابته بتاريخ 30 أكتوبر 1984. كان الأستاذ محمود فى أواخر أيام اعتقاله قد طلب من الجمهوريين أن يكتبوا عن الدستور، وكانت تصله كتاباتهم، وكان قبلها بقليل قد بدأ بكتابة مقدمة أو ديباجة لكتاب: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، الذى صدر فى ديسمبر 1955. كان نص الديباجة غير المكتمل قيد المراجعة المستمرة من قبل الأستاذ محمود، وقد نشر بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه كما تركه الأستاذ محمود بآخر شكل⁽²⁾. الرسالة أدناه كانت من الأستاذ محمود وهو فى المعتقل إلى تلاميذه وتلميذاته. وتكمن أهمية الرسالة فى أنها تؤرخ لقصة آخر نص كتبه الأستاذ محمود الديباجة وتبين مراحل وتطور كتابته. وتوضح الرسالة كذلك أن النص لم يكن مكتملاً، وأن الأستاذ محمود أرسل هذه الرسالة وأرفق معها النص (26 صفحة)⁽³⁾ وطلب من تلاميذه وتلميذاته تدارسه وإفادته بأرائهم. وأضاف بأن هناك بقية سيوافيهم بها. يقول الأستاذ محمود فى رسالة:

أبنائى المحبوبين سعيد، وجلال، وإخوانهما فى القسمين

لكم جميعاً تحيتى وإعزازى وعظيم محبتى

تصلنى أعمالكم فتسرني كثيراً.. عملكم فى الدستور عظيم.. بيد أن ديباجة 1955 حيث يجيء القول: "المشاكل الراهنة لأى بلد من البلاد، هى، فى

(1) حصلت على نسخة من الديباجة من لطفى على لطفى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود.

(2) مقابلة مع ياسر الشريف المليح، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، المقابلة كانت بالهاتف هو فى ألمانيا، والمؤلف فى الدوحة، فى يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 9:30 ليلاً.

(3) كانت بتول مختار طه تسلم صفحات الرسالة من الأستاذ محمود، وكان محمد صادق جعفر يقوم بطباعة الصفحات أولاً بأول بمكتبه. وكان محمد صادق جعفر وقتئذ يعمل بمكتبة جامعة الخرطوم. المصدر: محمد صادق جعفر، ضمن مقابلات عديدة عبر الهاتف والبريد الإلكتروني خلال الفترة ما بين 4 - 14/11/2012 - مارس 2013. وقد أفادنى بذلك أثناء اطلاعه على مخطوطة هذا الكتاب.

حقيقتها، سرورة لمشاكل الجنس البشرى برمته، وهى، فى أسها مشكلة السلام على هذا الكوكب الذى نعيش فيه إلخ إلخ" تحتاج إلى تفصيل، وإلا فإنها تكون أشبه بالإنشاء، منها بالكلام ذى المحتوى العلمى المفصل.. إن المشكلة التى أعجزت الفلاسفات الاجتماعيات، فى الماضى والحاضر، إنما هى مشكلة علاقة الفرد بالمجتمع، وعلاقة الفرد بالكون، وذلك بأن الفرد إذا لم يتحرر من الخوف الذى رسبه فى صدره الجهل بهاتين العلاقتين، فلن يكون فى سلام، لا مع نفسه، ولا مع الآخرين.. ونحن بصدد كتابة الدستور الإسلامى - الإنسانى - وهاتان العلاقتان عيتان فى القرآن.. وليس لهما وجود فى غيره، ولذلك فإن علينا استخراجهما وتفصيلهما للبشرية.. هذه محاولة أرسلها لكم لتدرسوها وتفيدونى برأيكم من صفحة 1 إلى صفحة 26، وهناك بقية سأوافيكم بها إن شاء الله. حفظكم الله وحفظ عليكم،

والدكم محمود، 1984/12/8

رسالة من الأستاذ محمود وهو فى المعتقل

لقد تناولت الديباجة قضايا عديدة منها: الديمقراطية وتطور مدلولها مقروناً بتطور مدلول كلمة الشعب التى "كانت تضيق، على عهد اليونان، فلا تشمل النساء، ولا العبيد... ثم أخذ معناها يتسع، على مر الزمان...". وتناولت مجيء الحكم النيابى، ونشأة الأحزاب السياسية. ووقفت عند ابتلاء السودانين بأسوأ ألوان الحكم النيابى، فى بداية الحكم الوطنى، وبعد ثورة أكتوبر 1964، إذ "كانت أحزابنا السياسية طائفية الولاء، طائفية الممارسة، فهى لم تكن تملك مذهبية فى الحكم... والطائفية نقيض الديمقراطية.. ففى حين تقوم الديمقراطية على توسيع وعى المواطنين، تقوم الطائفية على تجميد وعيهم". وتحدثت الديباجة عن الدستور والحكم العسكرى والثورات الشعبية فى السودان. تناولت حل الحزب الشيوعى وطرد نوابه من الجمعية التأسيسية، وما تبع ذلك من تبعات منها أن القضاء السودانى تعرض لصورة من التحقير لم يتعرض لها فى تاريخه قط. وتحدثت الديباجة عن فشل التجربة الديمقراطية النيابية فى أمريكا. وتناولت التعليم، والعلم

التجريبى، والاشتراكية، والثورة التكنولوجية، وتحدثت عن الحضارة العلمانية، المادية الآلية الحاضرة. وتضمنت حديثاً عن مرحلة الجسد والعقل المتنازعين (مرحلة البشرية - مرحلة الكبت)، ومرحلة الجسد والعقل المتسقين، (مرحلة الإنسانية)، وعقلى المعاش والمعاد والحرية الفردية النسبية المطلقة. وتناولت الخير والشر والخوف وتوسعت فى الحديث عن الكبت والسموات السبع والكواكب والذرة والأجرام، وغيرها من الموضوعات والقضايا.

المنزل : مكان النشاط وقاعدة انطلاقه

فالكاتبة والحديث عن الأستاذ حلو، لا ينقطع مذاقه تماماً كما القراءة والاستماع عنه، فكيف إذن هو الجلوس إليه؟⁽¹⁾

مرتضى جعفر

كان جل نشاط الجمهوريين ينطلق من منزل⁽²⁾ الأستاذ محمود. منزل⁽³⁾ رقم (242)، الثورة (المهدية) الحارة الأولى، وهو منزل متواضع بُنى من المواد المحلية (الجالوص)، ومساحته 300 متر مربع⁽⁴⁾، ويقع بأحد الأحياء الشعبية⁽⁵⁾، هو حى الثورة (المهدية) فى مدينة أمدرمان، الخرطوم. وقبل ذلك كان الأستاذ محمود يقوم بكل نشاطاته الفكرية والسياسية بالتزامن مع عمله المهنى فى مجال الهندسة. فقد كان مكتبه

(1) مرتضى جعفر، ضمن خط عبدالله عثمان: "الأستاذ محمود محمد طه: إلى سبانا الشريف: سيروا الى الله عرج ومكاسير"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/31، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

(2) فى فترة الخمسينيات كانت للحزب الجمهورى دار بحى السجانة فى الخرطوم حتى قيام ثورة 17 نوفمبر 1958. ثم افتتح داراً بحى الموردة بمدينة أمدرمان بعد ثورة أكتوبر 1964. كما افتتح داراً بمدينة ود مدنى فى عام 1956. المصدر: مقابلة مع الريح أبو إدريس، أحد أبنكار تلاميذ الأستاذ محمود، تمت المقابلة فى الخرطوم يوم 2011/7/17، الساعة 16:00 وحتى الساعة 20:30.

(3) وهو المنزل الوحيد الذى امتلكه الأستاذ محمود، وقد انتقل إليه عام 1963/1962. المصدر: مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، الخرطوم، 2011/7/14، الساعة 10:20.

(4) كان المخطط الأول لكتابى هذا يتضمن فصلاً بعنوان: "تاريخ ودور منزل الأستاذ محمود بأمدرمان"، ولكن وبعد نصيحة من بعض الأصدقاء الباحثين والكتاب، رأيت كما أشاروا على بأن أفصل ذلك الفصل، لأنشره فى كتاب مستقل، وقد اخترت له العنوان التالى: منزل الأستاذ محمود بمدينة أمدرمان: التاريخ والدور. وأمل أن أدفع به للمطبعة قريباً.

(5) سكن الأستاذ محمود وأسرته قبل ذلك فى أحياء: الملازمين، والموردة، وبيت المال وكلها أحياء بمدينة أمدرمان.

الذى افتتحه فى شهر يناير عام 1952 بعمارة ابن عوف⁽¹⁾ جنوبى الجامع الكبير وسط الخرطوم، هو أيضاً، مكتب للحزب الجمهورى، وقد أوردت صحف الخرطوم خبر افتتاح المكتب آنذا⁽²⁾. أيضاً، افتتح الحزب الجمهورى داراً بمدينة ود مدنى فى عام 1956، وكانت له دار فى الخرطوم بحى السجانة وظلت حتى قيام انقلاب 17 نوفمبر 1958. وبعد قيام ثورة أكتوبر 1964 افتتح الحزب الجمهورى داراً بحى الموردة بمدينة أمدرمان. وفى عام 1965 بدأت مرحلة التأليف الجادة، وبحلول عام 1966 ترك الأستاذ محمود العمل فى مجال الهندسة نهائياً، وتفرغ تماماً للتأليف ونشر الفكرة الجمهورية⁽³⁾، فزادت كثافة النشاط، وزادت حركة التأليف والنشر، وزادت الحملات الدعوية والتنويرية، ولم يقتصر ذلك النشاط الواسع والمتنوع على العاصمة الخرطوم، بل شمل كذلك مدن وقرى السودان. وظل منزل الأستاذ محمود بحى الثورة، بأمدردمان هو مكان ومنطلق كل نشاطات الفكرة الجمهورية.

أيام السجون والمعتقلات فى فترتى الاستعمار والحكم الوطنى

ألا ما أيسر خديعة الشعوب!⁽⁴⁾

أحمد خير المحامى (1905/3-1995)

يضاف إلى كل هذا النشاط الضخم أن الأستاذ محمود قضى فى السجون والمعتقلات،

(1) يقول الأستاذ محمود: (عمارة ابنعوف سليمان هى العمارة التى كان فيها مكتب الحزب الجمهورى بعد سنة 51.. عندنا مكتب فى الدور الثانى فيها.. مكتب بسيط ومتواضع، أجرته كانت 5 جنيه فى الشهر استمرت لغاية مجيء ثورة مايو دى، المكتب دا كان عندنا). المصدر: محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(2) "مكتب الحزب الجمهورى"، (خبر صحفى)، صحيفة الراى العام، العدد 2024، بتاريخ 1959/1/12.

(3) محمود محمد طه، مخطوطة، تتكون المخطوطة من ثمانى صفحات، وقد كتبها الأستاذ محمود بخط يده بمدينة أمدرمان بتاريخ 1972/2/26، وتضمنت المخطوطة مراحل تعليمه وطبيعة عمله والأماكن التى عمل فيها... إلخ. وقد اطلعت على هذه المخطوطة، وحصلت على نسخة منها من أسماء محمود محمد طه؛ إبراهيم يوسف فضل الله، ذكريات جمهورى، مصدر سابق، ص 127-129.

(4) أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة التحرير وتنورها فى السودان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2002، ص 96.

(1380) يوماً⁽¹⁾ ما بين عام 1946 وحتى يوم اغتياله 18 يناير 1985. قضى منها (779)⁽²⁾ يوماً فى سجون المستعمر البريطانى⁽³⁾، وهو يناضل من أجل استقلال السودان وحرية شعوبه، ومنها (601) يوماً فى معتقلات وسجون الدولة الوطنية بعد الاستقلال. إلى جانب ذلك، فقد واجه الأستاذ محمود وتلاميذه العديد من المحاكم. كانت كل محكمة من هذه المحاكم عبارة عن سلسلة من التحقيقات والجلسات والمرافعات. وفى كل المحاكم التى جرت لتلاميذ الأستاذ محمود، كان الأستاذ محمود لا يقبل إلا أن يتقدم هو لتلاميذه وتلميذاته فى أى مواجهة كانت سواء مع رجال الشرطة والأمن أو مع الدوائر الحكومية الأخرى والمحاكم⁽⁴⁾، وكان يقول: "أنه مسؤول من كل عمل الجمهوريين"⁽⁵⁾. حينما

(1) كانت فترات سجن الأستاذ محمود، على النحو التالى: فى فترة الاستعمار، فترتين الأولى (50 يوم) كانت من يوم الأحد 2 يونيو 1946 وحتى يوم 22 يوليو 1946، والفترة الثانية كانت لمدة ستين (24 شهراً)، بدأت فى يوم 16/10/1946 وانتهت يوم 20/9/1948، وكان الاعتقال قبل المحاكمة فى يوم 23 سبتمبر 1946. وفى عهد الحكم الوطنى، كانت فترات سجن الأستاذ محمود على النحو التالى: مدة شهر خلال شهري ديسمبر 1976 ويناير 1977، ومن يوم 9 يونيو 1983 وحتى يوم 19 ديسمبر 1984، ومن يوم 5 يناير 1985 حتى يوم تنفيذ حكم الإعدام فى يوم 18 يناير 1985. **المصدر: صحيفة الراى العام**، أعداد مختلفة خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 1946؛ **صحيفة السودان الجديد**، العدد 594، الاثنين 20 سبتمبر 1948، إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، مصدر سابق، ص 130-101؛ مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، الخرطوم، 2011/7/14، الساعة 10:20.

(2) هذا مجموع فترة سجنين، السجن الأول كان لمدة (50) يوماً، والسجن الثانى كان لمدة ستين. من المعروف أن السجن ستان تعنى 18 شهراً، إلا أن الأستاذ محمود حرم من الثلاثة شهور للسنة الأولى والثانية كذلك بسبب مخالفته لأوامر السجن. يقول الأستاذ محمود: (السجن ستين معناه 18 شهر، لأنه هم فى العادة يعفون ربع المدة، يعنى ستة السجن تسعة شهور.. لكن حصلت بعض المخالفات لأوامرهم وحصل أنو مسجون من مساجين الدرجة الثالثة، وكانوا بجونى كثير، لعله يياخذوا الأكل البيجى بالنهار، لأنو أنا كنت صايم طوالى، باكل العشاء بس، الفطور والغداء هم يياخذوهو والشاى، فواحد منهم عن نشأت بنى وبينه علاقة ويبجى ينضف الأوضة الأنا فيها وياكل البتاع دا، حصل ليهو سوء معاملة معينة من السجانين أنا ناصرته بأن كتبت لرئيس القضاء برة.. فمدير السجن استاء -مدير عام السجن- من الحكاية دى وبرضو نوّه لى عن عملى دا، أنه مايجيب نتيجة، لكن انت لازم تعرف إنك انت مسجون درجة ثانية، مسجون عادى ويتخالف أوامر السجن.. بكرة إذا ما أطعت أوامر السجن أنا باخذ منك ربع المدة فى السنة الأولانية - ثلاثة شهور.. وطبعاً ما كانت فى طاعة للأوامر فأخذ ثلاثة شهور من المدة بقت الستين يعنى 21 شهر.. بعد شوية كتبت تانى مذكرة لرئيس القضاء لأنو ما رد على ديك وتمشى بواسطة السجن بطبيعة الحال فنادانى تانى مرة، وقال لى: بكرة اذا ما أطعت الأوامر أنا باخذ الثلاثة شهور الثانية.. فالتشاهد أنو الستين بقت 24 شهر تماماً)، المصدر: محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بمنديوى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، (حوار)، مصدر سابق.

(3) "رئيس الحزب الجمهورى فى السجن"، **الراى العام**، 1946/6/3؛ "محمود محمد طه، يغادر السجن بعد عامين، السودان الجديد، الاثنين 20/9/1948، العدد 594، الخرطوم.

(4) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى، أحد تلاميذ الأستاذ محمود منذ عام 1970، وأحد المتحدثين فى أركان النقاش. تمت المقابلة فى مدينة الدوحة، بدولة قطر، يوم 25/6/2011، الساعة 19:00 وحتى الساعة 23:00.

(5) إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، مصدر سابق، ص 130.

اعتقل الأستاذ محمود فى يوم 1983/6/9 واعتقل معه نحو الأربعين من الإخوان الجمهوريين، وكان منهم أربع من الأخوات الجمهوريات، وعندما قررت سلطات الأمن أن تطلق سراح الأستاذ محمود، رفض الأستاذ محمود ثم (... أخبرهم... بأنه مسئول عن أولئك المعتقلين ولذلك لن يخرج ويتركهم...) ⁽¹⁾، ثم (وبعد مدة قرروا إطلاق سراح الأخوات فبارك الأستاذ ذلك وخرجن) ⁽²⁾. ولم يخرج الأستاذ محمود من المعتقل إلا مع خروج تلاميذه، وبالفعل (... تم إطلاق السراح يوم 1984/12/19 ⁽³⁾ فخرج المعتقلون مع الأستاذ محمود...) ⁽⁴⁾.

خاتمة

إن ما تقدم من جرد مجمل لنشاطات الأستاذ محمود وتلاميذه، لا يمثل سوى إشارات ومعالم موجزة لعمل ضخم ودؤوب، كان يقدم بشكل يومى ومستمر وبكثافة على مدى سنين وعقود: رحلات الأستاذ محمود إلى مدن وقرى السودان المختلفة لتقديم المحاضرات، الجلسات التربوية، حملات بيع الكتب، جلسات الانطباعات، أركان النقاش، وفود الجمهوريين إلى مدن وقرى السودان، حملات الخاصة، ندوات أسبوعية، وجلسات الإنشاد العرفانى... إلخ. إن كل نشاط من هذه النشاطات يحتاج لدراسات وبحوث مستفيضة. فكل نشاط ينطوى على معانى ومنهج فى تطوير الذات وخطط عمل وفلسفة حياة وقيم أخلاقية وجرعات تربوية ودلالات حدائية وعلمية وروحية وخبرات حياتية. من المهم الإشارة إلى أن ما ورد فى هذا الفصل من نشاطات ما هو إلا جرد مجمل وتلخيص مختصر لأعمال ونشاطات مكثفة قد استمرت لعقود. الشاهد أن الأستاذ محمود قدم إنتاجاً فكرياً ضخماً، ووقف مواقف ستبقى راسخة وخالدة وملهمة. فقد ظل الأستاذ محمود يكتب وينشر بكثافة واستمرار حتى تاريخ إعدامه.

(1) المصدر السابق، ص 102.

(2) المصدر السابق، ص 102.

(3) المصدر السابق، ص 102.

(4) لفت نظرى عيسى إبراهيم، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، أن يوم 12/19 الذى أطلق فيه سراح الأستاذ محمود مع تلاميذه هو تاريخ إعلان استقلال السودان من داخل البرلمان.

كتب بشرى الفاضل متنبئاً بأن كتب الأستاذ محمود ستترجم إلى كل لغات العالم الحية، كتب بشرى قائلاً: "حين نحى الديمقراطية الحقة فستتم ترجمة كل كتب الأستاذ محمود بكل لغات العالم الحية. هذا سيتم لا محالة"⁽¹⁾. لقد تضمنت كلمته من دلالات ومضامين قوية بتعبير سهل ولكن يبعد نظر عابر للزمان والمكان ناحية المستقبل والآتى. ذلك لأن إنتاج الأستاذ محمود تمحور كله حول السودان والإنسان والإسلام والسلام، الأمر الذى يجعله موضع اهتمام لدى جل الناطقين بلغات العالم المختلفة. وبرغم كل هذا، لم يحظ الأستاذ محمود ومشروعه ومواقفه إلا بالقليل من الدراسات. بل لم ترد فى معظم دراسات المثقفين وحواراتهم حول قضايا السودان والإسلام والإنسان، والى كان للأستاذ محمود فيها إسهامات أصيلة وجديدة، لم ترد حتى مجرد إشارة له أو لكتبه؛ إلا لدى قلة قليلة جداً منهم. وهذا بعض ما ينهض به هذا الكتاب ليكشفه ويبيته وفقاً للأسس العلمية التى تتقدم فيها الوثيقة والعقل على الشفاهى والعاطفى، وتلتزم فيه بالكلمات المسؤولة والمنضبطة فى توضيح المعانى والتزام الحق.

(1) بشرى الفاضل، ضمن خيط "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب الرسالة الثانية"، من المنبر العام، موقع سودانيز أونلاين، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 22 أبريل 2004، الموقع على شبكة الإنترنت:

<http://www.sudaneseonline.com>

الفصل الثانى

2

قراءة فى الدراسات السابقة: مرحلة الفقهاء

تعطيل الطاقات الحيوية وتجميد حركة التغيير والتحرير

إن السبب الحقيقى لهذا التخلف هو الجهل بالدين، والانحراف به إلى قضايا
فقهية متحجرة، تُكبّل العقل، الذى يتخذها منهجاً لدراسته، ولا تحرره⁽¹⁾.

محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، ط3، أدمرمان، 1979، ص

هل تعلن أعمال محمود محمد طه عن مولد لاهوت تحرير إسلامي؟ ... إن قناعته العميقة كمسلم، ومعرفته المتبحرة بالدين، وقوة حجته في سبيل تفسير جذري جديد للإسلام، يؤسس لقطيعة تامة مع تيار التعصب الديني المحافظ الرسمي المسيطر، لهي شاهد على أهمية مساهمته في تجديد إسلامي يذكّرنا، في كثير من أوجهه، بالتجديد الذي جاء به لاهوت التحرير المسيحي⁽¹⁾. إن المحاولة الوحيدة لقراءة الإسلام في اتجاه التحرر كانت تلك الخاصة بالفكر الإسلامي السوداني محمود طه. ولم تحاول أية حركة إسلامية، لا "راديكالية" ولا "معتدلة" أن تبني أفكار محمود طه الذي أعده نظام النميري في الخرطوم بعد اتهامه بالردة. كذلك لم يدافع عنه أى من المثقفين الذين ينادون "بالنهضة الإسلامية" أو الذين يعبرون عن الرغبة في التحاور مع هذه الحركات⁽²⁾.

سمير أمين

(1) نجاة محمد علي، "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب الرسالة الثانية"، من سودايز أونلاين، المنبر العام، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 13 أبريل 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com> أوردت مترجمة التقديم نجاة محمد علي، في خطتها المشار إليه أعلاه، معلومات باللغة العربية عن التقديم وكتبه وعن مترجمي الكتاب وتاريخ ومكان نشر الكتاب بعد الترجمة... إلخ. فقمتم من جانبي بنسج تلك المعلومات التي أوردتها نجاة محمد علي، لنقرأ هكذا:

سمير أمين، "نحو لاهوت تحرير إسلامي؟" تقديم باللغة الفرنسية للترجمة الفرنسية لكتاب: الرسالة الثانية من الإسلام للأستاذ محمود محمد طه، الذي أصدره عام 1967. قامت نجاة محمد علي بترجمة تقديم سمير أمين من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. أما ترجمة كتاب: الرسالة الثانية من الإسلام، من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية فقد قام بها كل من: محمد البارودي وكارولين باي. وصدر الكتاب المترجم من دار لارماتان للنشر، باريس، 2002. Mahmoud Mohamed Taha, Un Islam à vocation libératrice, Traduit par Mohamed El Baroudi & Caroline Pailhe, L'Harmattan, Paris, 2002

(2) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكة، ترجمة فهمة شرف الدين وسناء أبو شقرا، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 2003، ص 253-254.

هناك نقدان للفكر الجمهوري، أحدهما ينطلق من أرضيات مختلفة للهوس
الديني والتحريض والمهاترة. والثاني حوارى نقدي همه الارتقاء بالعقل
السوداني وإثراء الفكر من خلال الاختلاف والتعدد⁽¹⁾.

حيدر إبراهيم على

(1) حيدر إبراهيم على، "الجمهوريون... آخر المثقفين المحترمين"، صحيفة الراكونية، صفحة المقالات، مكتبة كتاب
المقالات، استرجاع (Retrieved) يوم 30 مارس 2011، الموقع على الإنترنت:
<http://www.alrakoba.net>

الدراسات النقدية لمشروع الأستاذ محمود

اتسمت الدراسات التي تناولت الأستاذ محمود ومشروعه بالقلّة، برغم ضخامة مشروعه وحيويته، وبرغم عظمة موقفه يوم المشتقة، إذ لم تشهد البشرية ربما، منذ القرون الوسطى؛ موقفاً بسبب الفكر مثله. كان الأستاذ محمود قد أعلن في أكتوبر من عام 1951 عن المرحلة الجديدة للحزب الجمهوري، وأسمائها مرحلة ملء فراغ الفكر. جاء الإعلان بعد خروجه من اعتكافه بمدينة رفاعه، والذي دام ثلاثة أعوام. يقول عنها الأستاذ محمود: "واصلت فيها تحثي واتضححت في ذهني معالم فكرة التجديد"⁽¹⁾. وبحلول عام 1952، أصدر الأستاذ محمود كتاب: **قل هذه سبيلي**، وقد وصفه قائلًا: "وهو أول كتاب يتناول الدعوة بالتفصيل والتحديد"⁽²⁾. ثم توالى المنشورات والمحاضرات والندوات في موضوع بعث الإسلام من جديد⁽³⁾. ففى ديسمبر 1955 صدر كتاب: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**. وفى مارس 1960، صدر كتاب: **الإسلام**. وهو الكتاب (الأم) كما وصفه الأستاذ محمود⁽⁴⁾. ومع عام 1965 بدأت مرحلة التأليف الجادة، وبحلول عام 1966 تفرغ الأستاذ محمود تفرغاً تاماً للتأليف ونشر الفكرة الجمهورية⁽⁵⁾. وقد بلغت المؤلفات كما ورد آنفاً، ستة وثلاثين كتاباً للأستاذ محمود، ونحو ثلاثمائة كتاب صدرت باسم تلاميذه، الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، إلى جانب المقالات والمحاضرات والبيانات والمنشورات والرسائل إلى رؤساء الدول والمفكرين والعلماء.

بدأ **شيوخ المعهد العلمي بأمدردمان**⁽⁶⁾، والفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء

(1) محمود محمد طه، "تعريف بمحمود محمد طه"، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 5.

(2) محمود محمد طه، **قل هذه سبيلي**، أمدردمان، 1952، مقدمة الطبعة الثالثة.

(3) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 5.

(4) عرف بكتاب الإسلام بينما كان عنوانه: **محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدم الإسلام**، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثانية.

(5) محمود محمد طه، **تعريف بمحمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 6-7.

(6) سيأتي الحديث لاحقاً عن المعهد، فقد نشأ عام 1912. كانت نواته مجلس العلماء. وتحوّل المعهد العلمي بأمدردمان إلى جامعة أمدردمان الإسلامية بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم 390 بتاريخ 8 يونيو 1965، وأصبح كامل الباقر (1918-1995) مديراً للجامعة فى أغسطس 1965. المصدر: المنعصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمي بأمدردمان تاريخه وتطوره** (1912-1965)، ط 1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدردمان الأهلية، أمدردمان، 2007، ص 109-111.

السودان"، وموظفو الشؤون الدينية النقد للأستاذ محمود ومشروعه في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي، ولم يكن، كما سنرى لاحقاً، نقداً علمياً بقدر ما هو نقداً عدائياً. وما لبثوا أن شكّلوا تحالفاً إسلامياً واسعاً وبامتدادات خارجية في مصر والمملكة العربية السعودية، واستمروا في تقديمهم خلال عقد الستينيات، وزاد النقد قبيل وبعد محكمة الردة عام 1968، وتوسع في السبعينيات، وتكثف في النصف الأول من الثمانينيات، ثم انحسر، ولكنه لم يتوقف، في النصف الثاني من الثمانينيات وما بعدها. ظهر النقد في شكل كتب وأوراق علمية ومقالات صحفية، وفي منابر المساجد، إلى جانب الأطروحات الجامعية التي قدمها سودانيون داخل السودان بجامعة أمدرمان الإسلامية، وخارج السودان بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية. اتسمت هذه الدراسات بغياب الورع العلمي، وتأخير الوثيقة وتقديم الغرض، وبالنقل فيما بينها، ونحت إلى التشهير والتضليل، فمثلت أنصع صورة للصدام بين الجديد والقديم، وهذا ما ساقف عليه من خلال تناولي لهذا النوع من الدراسات النقدية ضمن هذا الفصل تحت عنوان: "نقد مرحلة الفقهاء: صدام الجديد مع القديم". سأحاول في تناولي الإجابة على التساؤلات التالية: إلى أي مدى كان التأثير الخارجي متحكماً في طبيعة الحوار بين الأستاذ محمود وعلماء السودان وفقهائه؟ هل كان علماء السودان وفقهائه أصلاء في تقديمهم للأستاذ محمود؟ هل استنجد علماء السودان وفقهائه بعلماء الأمة الإسلامية وشكّلوا معهم تحالفاً إسلامياً واسعاً ضد الأستاذ محمود؟ إن كان ذلك كذلك، ما هي آثار وظلال ذلك التحالف على المناخ العام في السودان آنئذ ومستقبلاً واليوم؟ كيف نقل "علماء السودان" معاركهم مع الأستاذ محمود إلى مساجد السودان؟ وما دور الوعاظ والأئمة وخطباء المساجد في بناء التحالف الداخلي المتصل بالتحالف الخارجي ضد الأستاذ محمود ومشروعه وتلاميذه؟ وفي مشهد الفشل في مساجلة الأستاذ محمود ومع حالة العجز في مواجهته فكرياً، هل سعى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) إلى استكتاب الأساتذة للرد على الأستاذ محمود؟

أما الدراسات النقدية ذات الطبيعة غير الفقهية، فقد اتسمت في أغلبها بالموضوعية والتزمت بالشروط العلمية، وكان همها كما ورد في نص حيدر إبراهيم على، أعلاه، "الارتقاء بالعقل السوداني وإثراء الفكر من خلال الاختلاف والتعدد". وجاء هذا

النوع فى مرحلتين: الأولى كانت قبل مرحلة الفقهاء، وهى فترة قصيرة نوعاً ما، وسأتناولها بإيجاز ضمن هذا الفصل فى محور بعنوان: "مرحلة ما قبل الفقهاء". أما المرحلة الثانية من الدراسات النقدية ذات الطبيعة غير الفقهية، فكانت بعد مرحلة الفقهاء، وهى فى تقديرى، جاءت متأخرة. فقد بدأ هذا النوع من الدراسات فى النصف الثانى من ثمانينيات القرن الماضى، وتوسعت مع خواتيم القرن العشرين، وزادت مع بداية هذا القرن، ولا تزال، فى نشاط وتوسع. صدر هذا النوع من الدراسات فى كتب وأوراق علمية ومقالات وأطروحات جامعية أعدها سودانيون داخل السودان بجامعة الخرطوم، وخارجه فى جامعات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب الحوارات على المنابر العامة على الإنترنت. سأتناول هذا النوع من الدراسات النقدية فى الفصل التالى من هذا الكتاب تحت عنوان: "نقد مرحلة ما بعد الفقهاء". سأحاول الإجابة على التساؤلات التالية: لماذا تأخر نقد المثقفين من غير الفقهاء للأستاذ محمود ومشروعه؟ هل أربى علماء السودان وفقهاء المثقفين السودانيين؟ هل تماهى المثقفون السودانيون مع الفقهاء؟ لماذا كان الأستاذ محمود وحده مع تلاميذه فى ميدان المعركة؟

إلى جانب ذلك فإننى سأشير إلى نماذج من الدراسات التى تناولت الأستاذ محمود ومشروعه فى ظل بروز خطاب نقد آثار الاستعمار الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتفكيك الذاكرة الاستعمارية، متزامناً مع أطروحات فكر ما بعد الحداثة. وقد تظهر هذا الخطاب فى مدرستى دراسات الاستعمار، ودراسات ما بعد الاستعمار. يضاف إلى ذلك فأننى سأشير إلى نماذج من الكتابات الإبداعية مثل: الشعر والمسرح... إلخ، والتى عبر أصحابها من خلال نصوصها عن موقفهم من الأستاذ محمود ومن مشروعه. وسأتناول كذلك إهداءات الكتب. فقد سكب عدد كبير من المبدعين والمثقفين السودانيين ذواتهم وأودعوها فى نصوص إهداءات كتبهم ودراساتهم⁽¹⁾، معبرين فيها عن احترامهم للأستاذ محمود واحتفائهم به وتخليداً لذكراه وذكرى مواقفه. كما أننى سأعطى لمحة مختصرة عن المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى كتابى هذا، ولم ترد الإشارة إليها ضمن هذا الفصل: "قراءة فى الدراسات السابقة".

(1) بعض هذه الكتب والدراسات والأطروحات الجامعية لم يكن موضوعها الأستاذ محمود أو مشروعه.

غنى عن القول أن بعض هذه الدراسات قد خضع لظروف ومعطيات محلية وأقليمية وعالمية، فهي بطبيعة الحال لا تنفصل عن الفضاء الثقافى الذى كان يدور فيه السودان، ولا يزال، حيث تأثير الأزهر الشريف بمصر، وعلماء المسلمين والمؤسسات الإسلامية، مثل رابطة العالم الإسلامى بالملكة العربية السعودية، وغيرها. وغنى عن القول أيضاً أنه يصعب تغطية كل هذه الدراسات فى مساحة هذا الفصل، ولهذا فأنتى سأتناول نماذج منها، كما أنتى سأشير لمعظم تلك التى لم أتناولها من خلال إيراد الخطوط العريضة والمعالم. تجدر الإشارة إلى أنتى بصدد إعداد دراسة بعنوان⁽¹⁾: محمود محمد طه: دراسة بليوجرافية وثائقية تحليلية. وهى دراسة تسعى لرصد وحصر ما نشر عن الأستاذ محمود وعن مشروعه وتلاميذه من حيث الكم والنوع، وبغرض وصف خصائصها وتحليلها ودراسة طبيعتها. وهذه الدراسة غير الدراسة البليومترية التى تسعى لدراسة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود من حيث الكم والنوع. وقد ردت الإشارة لذلك آنفاً.

حوارات مرحلة ما قبل نقد الفقهاء⁽²⁾

الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على: مقارنة أولية

أخى محمود محمد طه... أنا أعرف منذ أمد بعيد، حبك للإنسانية، واهتمامك بمصيرها، وإخلاصك فى هذا الحب، وشجاعتك فى الإنفصاء بما تراه صواباً وخيراً⁽³⁾.

(1) أثناء إعدادى لهذا الفصل اتضح أن حجمه سيكون كبيراً، فاقترح على عصام عبدالرحمن أحمد البوشى أن أضمن هذا الفصل جزءاً مختصراً من المادة التى أعدتها، على أن أنشر المادة كلها فيما بعد فى كتاب منفصل. أخذت باقتراح البوشى فاختصرت مادة الفصل، ولاحقاً سأنشر المادة فى كتاب بالعنوان المشار إليه أعلاه، وهو عنوان مبدئى.

(2) سأقدم فى هذا المحور مجرد إضاءات وإشارات مختصرة ومقاربات أولية، ذلك لأن الحوارات التى غمت فى هذه المرحلة مع الأستاذ محمود، من الأهمية بمكان أن يخصص لها كتاب قائم بذاته، فقد تمت حوارات كبيرة بين الأستاذ محمود ومثقفين وعديدين وفى موضوعات متنوعة كما سترد الإشارة إليها، خاصة الحوار الذى جرى بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، فهو حوار جدير بالدراسة، وربما توفر له فى يوم ما أحد الباحثين.

(3) محمد محمد على، "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"، محاولات فى النقد، المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون، مطبعة الثقافة والاعلام، الخرطوم، 1958، ص 17-21. تصويب: ورد فى هامش هذا الكتاب أن مقال "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"، نشر فى صحيفة الجمهورية فى يوم 1956/5/3، =

آراء الأستاذ محمود مهما كان موضوعها تستحق المناقشة وإمعان النظر⁽¹⁾.

الشاعر محمد محمد علي (1922-1970)

شهدت فترة الخمسينيات من القرن الماضي، حوارات ومساجلات كبيرة بين الأستاذ محمود وبعض المثقفين من الأدباء والكتاب، ونشرت آنئذ في الصحف المحلية. تمت هذه الحوارات قبل أن تتمكن سلطة الفقهاء وتتجلى سيطرتهم وهيمنتهم في اختطاف مناير الحوار وسوح السجال بلا إمكانيات فكرية وبلا قدرات جدالية في عقد الستينيات من القرن الماضي. فقد تجلت هيمنة الفقه والفقهاء في الكثير من الوقائع والأحداث، كان من أوضحها تكفير ثلاثة من طلبة المعهد العلمي من تلاميذ الأستاذ محمود عام 1960، وتطور معهد أمدردمان العلمي وتحويله إلى جامعة عام 1965، وحل الحزب الشيوعي السوداني وطرد نوابه من البرلمان، ثم إصدار محكمة غير مختصة، حكماً جائراً بردة الأستاذ محمود عن الإسلام عام 1968، وغيرها، وسيأتي تفصيل هذه الأحداث والوقائع لاحقاً. بدأت المساجلات مع الأستاذ محمود في النصف الأول من عقد الخمسينيات من القرن الماضي، وهو العقد الذي شهد، في تقديري، حضوراً قوياً للمثقف بأدواته وبرؤاه النقدية في الفكر والسياسة والثقافة والدين... إلخ، ولم يكن الفقهاء طرفاً في بادئ الأمر. تناولت المساجلات والحوارات مع الأستاذ محمود موضوعات شتى منها: الأدب والجنس والثقافة والفلسفة والدين، وكان من قادتها الشاعر محمد محمد علي (1922-1970) والعلامة عبدالله الطيب (1921-2003)، ومحمد خير عثمان (1928-???)، ومحمد المهدي المجذوب، ومحمد محمد الدسوقي النويهى (1917-1980) وغيرهم. نشرت بعض هذه المساجلات في صحيفة الجمهورية، وصحيفة صوت السودان، ونشر جلها في صحيفة السودان الجديد، في باب "نظرات في الثقافة". كان بعض هذه الحوارات والمساجلات

= وهذا غير صحيح، ذلك لأن مقال الأستاذ محمود الذي عقب فيه على مقال محمد محمد علي نشر في صحيفة الجمهورية في العدد الرابع بتاريخ 5 فبراير 1954 (أنظر ملحق رقم: 28"، حيث العدد الرابع من صحيفة الجمهورية الذي تضمن تعقيب الأستاذ محمود على الشاعر محمد محمد علي)، ولما كان من الطبيعي أن يكون مقال محمد محمد علي قبل تعقيب الأستاذ محمود عليه، فإنه في الغالب أن يكون قد نشر في العدد الثاني أو الثالث من صحيفة الجمهورية عام 1954 وليس عام 1956 كما ورد في كتاب محمد محمد علي.

(1) محمد محمد علي، "الأدب والدين"، محاولات في النقد، مصدر سابق، ص 115-123.

يتكئ على ندوة عبدالله حامد الأمين (1934-1976)، وعلى ما يدور فيها من حوار. كما كانت هناك حوارات بشأن القومية العربية نشرت في صحيفة السودان الجديد. شارك فيها بالإضافة للأستاذ محمود، عبداللطيف عمر حسب الله، وأحمد بدران (جامعة القاهرة)، وسعيد ميرغني حمور.

ندوة عبدالله حامد الأمين⁽¹⁾ وتغذية سوح الحوار والسجال

Taha's abilities to impart an important message through dialogue and inspire Sudanese at every level of society frame a portrait of a significant Third World teacher⁽²⁾.

Steve Howard

إن قدرات طه، في أن ينقل رسالة مهمة عبر الحوار، وأن يلهم السودانيين، في كل مستويات المجتمع، تشكل لوحة لمعلم عظيم من العالم الثالث.

ستيف هاوارد

شهدت أمدرمان والخرطوم وعدد من مدن السودان، العديد من المنتديات والجمعيات والجماعات والدور والمجالس والصالونات الأدبية والحوارية، وكان من بينها ندوة عبدالله حامد الأمين بأمدرمان. لقد اتكأت بعض المساجلات التي تمت بين الأستاذ محمود وبعض المثقفين على الحوارات التي كانت تتم في هذه الندوة، والتي كان يؤمها الكثير من الكتاب والأدباء. كتب الأستاذ محمود في صدر مقال له نُشر بصحيفة السودان الجديد، بعنوان: "الأدب والدين"⁽³⁾، قائلاً: "في الأسبوع المنصرم كنت في بعض زيارتي للأستاذ عبدالله

(1) عبدالله حامد الأمين العمري، وُلد بأمدرمان، انقطع عن الدراسة وهو في السنة الثانية بالمرحلة الثانوية بسبب مرض ضمور الأعصاب، ولكنه لم يستسلم وواصل تثقيف نفسه بنفسه وأنشأ الندوة الأدبية بمنزله عام 1953 وانضم إليها عدد كبير من الأدباء والمثقفين وكبار الأساتذة أمثال: عبد المجيد عابدين، وإحسان عباس، ومحمد النوبهي، وكمال شاتير وجبلي عبدالرحمن وغيرهم. كان نائباً لرئيس اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا. أصدر مجموعة قصص قصيرة بعنوان: تحت الشمس من جديد، تغنى له عثمان حسين ومحمد الخويج "كلمة منك حلوة"، تزوج فتاة مصرية وأنجب منها ثلاث بنات. المصدر: عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج4، مرجع سابق، ص 1460-1459.

(2) Steve Howard, "Mahmoud Mohamed Taha: a remarkable teacher in Sudan", *Northeast African Studies*, 1989, v. 10 #1.

(3) محمود محمد طه، "الأدب والدين"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3867، الأربعاء 1959/12/9.

حامد الأمين حيث شهدت عنده ندوة أدبية احتشد لها عدد كبير من كبار الأدباء في طليعتهم الأستاذ الدكتور إحسان عباس والأستاذ جيلى عبدالرحمن وكمال شانتير وحامد حمدى ومحمد المهدي مجذوب وغيرهم". ثم تناول الأستاذ محمود موضوع الندوة قائلاً: "وكان موضوع الندوة الشعر الحديث يقدمه الأستاذ جيلى عبدالرحمن على مرحلتين يذكر فى أولهما نماذج من شعره وتشعب النقاش وكان ممتعاً.. وحين قرأ علينا الأستاذ جيلى قصيدته الأخيرة اعترض الأستاذ حمدى على موسيقاها فدافع عنها الدكتور إحسان عباس واشترك فى الدفاع الأستاذان عبدالله حامد الأمين وكمال شانتير". واستمر الأستاذ محمود فى استعراض النقاش الذى دار فى الندوة، حتى قال: "ثم لم يلبث الأستاذ كمال شانتير أن ذكر أن الشعر يجب ألا يكون فكراً وإنما شعوراً يعكس (عقوية الشاعر).. فقامت تلك البادرة فى ذهنى فاستأذنت الأستاذ عبدالله حامد فى الحديث فأذن لى فقلت: إن القصيدة الأخيرة تسوق صوراً غريبة وكثيرة ومتنافرة وقد ذكرنا الدكتور إحسان عباس أن الشاعر كأنما يقص علينا حلماً ثم ذكرنا الأستاذ شانتير أن الشعر يجب ألا يكون فكراً وإنما شعوراً يعكس داخلية الشاعر على هيئتها.. فهل يخطئ بعد كل هذا من يرى أن الشعر الحديث وسيلة لإعطاء العقل الباطن فرصة التعبير عن نفسه من غير أن يشوش عليه؟ فكانت هناك شبه موافقة من الدكتور إحسان والأستاذ شانتير فقلت: إذن يتبع هذا أمر خطير هو أن الشعر الحديث انبعث من حالة القلق والاضطراب الذى نعيش فيه، وجرى على إثر ذلك حديث تمتع من الدكتور إحسان عباس عن العقل الواعى والعقل الباطن وأثرهما فى الشعر الحديث. وقال محمد المهدي المجذوب أنه لا يعتقد أن الشعر الحديث سيزول لأن القلق سيظل قائماً...". واستمر الأستاذ محمود فى إيراد المداخلات وتعليقاته عليها فى الندوة، وفى الرد عن آخر ما قاله فى الندوة كتب الأستاذ محمود قائلاً: "فرد الأستاذ شانتير بما لا يخرج عن حديثه الأول، ولم أشأ أن أثقل على المتدين.. لا سيما وأنا عليهم ضيف".

لقد ساهمت ندوة عبدالله حامد الأمين فى تغذية سوح السجال والحوار فى دوائر المثقفين، وخرجت منها حوارات واسعة وكبيرة. ولم تكن تلك الحوارات ذات طبيعة فقهية بأى حال من الأحوال. لم تكن كل الحوارات مع الأستاذ محمود، بالطبع، نابعة من ندوة

عبدالله حامد الأمين، فهناك حوارات كانت بعيدة عن الندوة. فقد تمت مراسلات بين الأستاذ محمود ومحمد النويهى، فقد كتب الأستاذ محمود فى 6 سبتمبر 1952 تعقيماً على تعليق كتبه محمد النويهى على كتاب للجمهوريين، كتب الأستاذ محمود فى تعقيبه قائلاً⁽¹⁾: عزيزى الدكتور محمد النويهى، حفظه الله، نشكر لك، أجزل الشكر، جوابك الممتع حقاً فى التعليق على كتيب الجمهوريين. ومما لا شك فيه، أن ملاحظتك عليه قيمة، تستحق المناقشة، والتعقيب. وقولك عما ورد فى مبدأ الجمهوريين عن الحرية الفردية المطلقة". ثم أورد الأستاذ محمود قول النويهى الذى قال: "ولست أدرى أتعلنون الحرية الفردية المطلقة أم أنساق القلم انسياقاً انشائياً- فإننى لا أؤمن بالحرية المطلقة للفرد فى أى مجتمع منظم ولا أصدق بإمكان تحقيقها- ولو تحققت لاستحال المجتمع إلى فوضى تامة وتهدم فى زمن وجيز". ثم كتب الأستاذ محمود فى تعقيبه على النويهى قائلاً: "نحن نعنى الحرية الفردية المطلقة، والتعليل يسير، ذلك أن كل فرد من أفراد المجموعة يختلف عن كل فرد آخر، تمام الاختلاف. وكمال كل فرد هو أن يكون نفسه، هو أن يحقق فرديته التى تميز بها عن سائر أفراد القطيع البشرى.. وهذا يقتضى تحرير الفرد تحريراً كاملاً عن كل الاعتبارات الخارجية، فلا يتقيد إلا بقيود مداركه، وفهمه، وشعوره، وليست الحرية الفردية المطلقة متناقضة مع قوانين الجماعة، وإنما هى امتداد لها.. ولا ينالها الفرد إلا بفضل المعرفة التى تجعله فوق القوانين.. لأنه قد ترفع أن يأتى من الأعمال ما يؤذى صالح الجماعة.. بل أنه قد وظف نفسه لصالح الجماعة بل أنه لترك مالا بأس به، خوف ما به بأس... إلخ.

كان هناك سجل رفيع تم بين الأستاذ محمود ومحمد خير عثمان. كما نشر الأستاذ محمود ضمن سجله مع محمد خير عثمان تعليقاً على قصيدة محمد المهدي المجدوب. كان ميدان هذا السجل **صحيفة السودان الجديد**، وكان موضوعه الأدب والجنس. فقد نشر محمد خير عثمان مقالاً فى ثلاث حلقات بعنوان: **الأدب والجنس**⁽²⁾. كانت حلقات محمد خير عثمان طويلة، وكل واحدة منها أكثر من صفحة من صفحات الصحيفة،

(1) محمود محمد طه، "تعقيب على تعليق الدكتور محمد النويهى"، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، أمدرمان، 1973، ص 24.

(2) محمد خير عثمان، "الأدب والجنس"، (ثلاث حلقات)، **صحيفة السودان الجديد**، الأعداد: 3803، 3809، 3815، فى أيام: 16، 23، 30 سبتمبر 1959.

وتناول في حلقاته الثلاث موضوعات عديدة منها: أوصاف الأدب المكشوف وأدب الجنس، ومدى أهميته كتعبير عن الحياة الاجتماعية، وتناول آراء فرويد عن الجنس، والغريزة الجنسية، وغاية الجنس، ووقف عند كيف أن الناس عبيد للجنس. وتحدث عن الأدب والرسالة، والأديب والرسالة، والتحيز للجمال والمستقبل للإنسان على أعداء الإنسان. وأشار إلى الديانات السماوية وغير السماوية وطقوس الزواج والغريزة الجنسية ومراحل تطورها وقابليتها للتطور. وتحدث عن العقل الباطن والهيمنة والإسكات للثورة في النفوس، وتناول الأخلاق والضمير، وتعبير الإنسان عن الشهوات، والجنس والجسد والفوضى والفرد. وتحدث عن الأدب والفن والجنس، والأدباء والمجتمع والغايات السامية، والأدب والحب وقصة الإنسان، والأدب الذى يقوم على نداء الجسد... إلخ. كما جاء نشر محمد المهدي المجذوب لقصيدته متزامناً مع الحلقة الثالثة من مقال محمد خير عثمان في ذات الصحيفة، كانت القصيدة بعنوان: "فى الوحول العفقات ينبت الزهر"، يقول المجذوب فى مطلعها:

يزور أسرتى السقم..

فأسقم..

وأجرع الهموم والغموم والكدر

وأدمن السهر

وكيف نسلم..

وملء دارنا الذباب والتراب والقدر

وحول دارنا عفونة الوحل..

بريحها يخنق الأجل!



وحول دارنا جداول ركود..

سلاسل من طحلب يفور،

كأنه صديد...!!

تغنى له النفوس

وحيثاً في عفن حبيس..

بلسعة الناموس

لا الدهن يحمينا ولا البخور..

ولا تائم الفقير..

ولا صباح الناس يا لطيف يا خير

كتب الأستاذ محمود مقلاً علق فيه على حلقات محمد خير عثمان، وقصيدة محمد المهدي المجذوب تعليقاً مطولاً، وذلك في يوم 28 أكتوبر 1959. كتب الأستاذ محمود في مدخل مبيناً مناسبة كتابة مقاله، فقال: "أكتب لأن كلمتين أثارتاني إلى الكتابة... أولهما للأستاذ محمد خير عثمان بعنوان: "الأدب والجنس" وآخرهما للشاعر محمد المهدي المجذوب بعنوان: "في الوحول العفونات ينبت الزهر"، وقد ظهرتا كلتاهما بصحيفة السودان الجديد الغراء بعدد الأربعاء 30 سبتمبر⁽¹⁾. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "أما كلمة الأستاذ محمد خير عثمان فهي القسط الثالث من بحث منجم عقده الأستاذ الفاضل حول هذا الموضوع الدقيق ولقد اهتمت بها منذ الوهلة الأولى وإن لم يقم بيالي يومئذ أنى سأعرض لها بالنقاش". ثم أورد الأستاذ محمود جزءاً من حديث محمد خير عثمان، ثم كتب قائلاً: "هذا جميعه حديث الأستاذ محمد خير عثمان وهو حديث طريف ولا ريب ويحتاج إلى نظر، وأول ما يطالعك منه العناية بالجماعة وإهمال الفرد بوصفه فرداً". ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً:

والأستاذ محمد خير يواصل حديثه فيقول: وكل الأدب الذي يتحدث عن الحب إنما هو في الحقيقة يتحدث عن قصة واحدة، قصة خالدة، ألا وهي قصة بقاء النوع.. يتحدث عنها لا كما يتحدث علم النفس أو علم الأحياء ولكن كما يتحدث الفن والشعر والأدب، إنها قصة الإنسان في الحياة وإن تلخصت جميعها في كلمات معدودة لقاء فحب فزواج فإنجاب! قصة واحدة وإن تحدث عنها كل أديب بطريقته وعلى مذهبه وفلسفته وحسب موهبته ومقدرته الفنية.

(1) محمود محمد طه، "حول الأدب والجنس"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3832، الأربعاء 1959/10/28.

وبقاء النوع غاية اجتماعية عليا، بل لعلها الدافع اللاشعورى القوى الذى من أجله قام التزاوج ونشأت الأسرة وتكونت المجتمعات.

ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "هكذا يحدثنا الأستاذ محمد خير عثمان وفى حديثه هذا يبرز المجتمع ويختفى الفرد بوصفه فرداً اختفاءً يكاد يكون تاماً ولقد كنت حرياً أن أدع هذا الحديث يمر لما به لولا أمران أولهما أننا بنى فى الوقت الحاضر مجتمعنا السودانى وأحب لبنائنا أن يكون على هدى مستبصر وثانيهما أننا نعيش فى زمن طغت فيها الجماعية على الفردية طغياناً موبقاً ولست أخشى على الإنسانية شيئاً ما أخشى عليها مغبة هذا الطغيان الآثم". ثم نبه الأستاذ محمود فى تعليقه على كلام محمد خير قائلاً: "وأول ما يجب التنبيه إليه هو أن "الدافع اللاشعورى القوى الذى من أجله قام التزاوج ونشأت الأسرة وتكونت المجتمعات" ليس هو بقاء النوع وإنما هو على التحقيق بقاء الفرد وقد جاء بقاء النوع تابعاً لا متبوعاً". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "وثانى ما يجب التنبيه إليه هو الخطأ فى قول الأستاذ الفاضل "الجوع مثلاً بصورته البدائية الأولى لا يصلح للفن وأى فن فى قصة شخص جاع فأكل". ووجه الخطأ أن الجوع بصورته البدائية الأولى لا يصلح للفن فحسب وإنما هو فى ذاته تعبير فنى بليغ وأس الخطأ فى تفكيرنا المعاصر هو ميلنا إلى تقسيم الفرائز إلى أقسام شتى. فإنما هى الحياة تسعى للاستزادة بطاقات شتى فى مستويات شتى وأدنى مراتب الحى المستزید من الحياة حفاظه على حياته، ولذلك فقد أصبح سعى الحى طلباً للذة وفراراً من الألم وهذا ما يجعل الجوع بصورته البدائية الأولى تعبيراً فنياً بليغاً". واستمر الأستاذ محمود فى تعليقه على مقالات محمد خير عثمان مستعرضاً ومبيناً نقاط الاختلاف فتحدث الأستاذ محمود عن الفرد الغاية والجماعة الوسيلة، وتقديم البعض للجماعة على الفرد فينتج عن ذلك هزيمة الوسيلة للغاية. وتناول الأستاذ محمود الكبت والفرائز والإرادة والأدب المكشوف والاختلاط والسفور... إلخ.

انتقل الأستاذ محمود فى نفس المقال إلى الحديث عن قصيدة الشاعر المجذوب، فكتب الأستاذ محمود قائلاً: "والأدب المكشوف يسوقنى بقرينة إلى كلمة الشاعر محمد المهدي مجذوب وهى قصيدة من الشعر المنثور المقفى، إن صح هذا التعبير، وهى واقعية بشكل مزعج وفيها جمال يحسه المرء ويحار فى مصدره أهو فى بساطتها واطراحها التكلف أم

فى صدق واقعيتهأ أم فى تفانيها المتصوف فى تأدية رسالتها الإصلاحية". ثم أضاف الأستاذ محمود وهو يتحدث عن قصيدة المجذوب فكتب قائلاً: "ولولا أن هذه الكلمة قد طالت لسقت للقارئ طرفاً منها ولكنى أيضاً أفضل له أن يرجع إليها لأن طرفاً منها لا يغنى عن سائرها ولقد قرأتها غير مرة وقلت لأحد أصدقائى لو كنت أملك من سلطة الإصلاح أمراً لسألت الشاعر عن الحى الذى يسكنه فزرتة وقمت بشيء ما من أجله ومن أجل ما يشاكله من الأحياء.. فإن لم يكن ذلك باسم حب الإصلاح فباسم محاربة القبح". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "إن الصدق من شمائل التصوف وهو دائماً يعين على البر.. ووصف الأمور وصفاً موضوعياً دقيقاً صادقاً يخرج عن الأدب ويلحق بالعلم ويدفع إلى الإصلاح وحين يظفر الجنس بشرح موضوعى صادق دقيق سيصبح التعليم كاملاً والإصلاح مفروعاً منه والصلاح حظاً مشاعاً بين سائر الناس". وختم الأستاذ محمود قائلاً: "ومحاولات كتاب الجنس الذين أزرى عليهم الأستاذ محمد خير عثمان محاولات قاصرات وهم من ذلك عندى فى عذر مديد.. وستكتمل محاولاتهم حين تصبح علماً، علم نفس أعنى ويومئذ ينفتح الطريق إلى الخلاص من عيوب السلوك جميعها وفى كل صورها غليظها ودقيقها... ما ظهر منها وما بطن. هذا وللاستاذين منى عاطر التحيات".

حوارات بشأن القومية العربية

(1) إن الفهم ينبع من الاختلاف (1).

جان كلود شميث

شهدت صحيفة السودان الجديد حوارات واسعة عن القومية العربية، قامت على محاضرات الأستاذ محمود وكتابات عن القومية العربية. كان الأستاذ محمود يعتبر الدعوة للقومية العربية دجلاً، وأنها دعوة باطلة وضيقة وعنصرية. سيرد لاحقاً الحديث عن موقف الأستاذ محمود من الدعوة القومية العربية، ومواجهته لقادة ثورة 23 يوليو 1952 فى مصر، من خلال رسائله إلى الرئيس جمال عبدالناصر. فقد أرسل أولى رسائله إلى عبدالناصر

(1) جان كلود شميث، "تاريخ الهامشين"، ضمن جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، 438.

فى يوم 3 سبتمبر 1955 (أنظر ملحق رقم: "32")⁽¹⁾. وكانت الرسالة الثانية فى يوم 18 أغسطس 1958 (أنظر ملحق رقم: "33"). كما أصدر بياناً فى يوم 1958/8/23 مطالباً فيه بانسحاب السودان فوراً من جامعة الدول العربية، (أنظر ملحق رقم: "34"). كما نُشر تحت عنوان: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"⁽²⁾. وهذا ما سيتم تناوله فى الفصول القادمة من هذا الكتاب.

كان الأستاذ محمود قد قدم فى مساء يوم الجمعة 31 يناير 1958 محاضرة بمدينة ود مدنى وتحدث فيها عن القومية العربية حديثاً موسعاً، ووصف القومية العربية قائلاً: "إن القومية العربية تكتل عنصرى"⁽³⁾. ونشرت المحاضرة فى الصحف المحلية. كتب أحمد بدران "جامعة القاهرة" معلقاً على محاضرة الأستاذ محمود عن القومية العربية، بمقال بعنوان: "محمود محمد طه والقومية العربية"⁽⁴⁾. رفض قبول رأى الأستاذ محمود عن القومية العربية، وقال بدران: "كان من الممكن أن يقبل فى القرون الماضية وليس فى عصرنا الحاضر". كتب عبد اللطيف عمر حسب الله معقّباً على ما كتبه أحمد بدران بمقال جاء بعنوان: "حول محمود محمد طه والقومية العربية"⁽⁵⁾. وقال عبداللطيف: "إن الأستاذ أحمد بدران لو كان قد وهب الشذرات التى نقلت عن المحاضرة قليلاً من التفكير لو فر كثيراً مما رُمى به الأستاذ محمود". وأضاف عبداللطيف قائلاً: "العالم كما قال الأستاذ محمود توحد جغرافياً وصار الصراع فيه مذهبياً لا عنصرياً". لم يتوقف الجدل عن آراء الأستاذ محمود عن القومية العربية ففى يوم 1958/3/6 كتب سعيد ميرغنى حمور مقالاً بعنوان: "حول القومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية". عبر عن اختلافه فى رأى مع

(1) محمود محمد طه، "من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر"، صحيفة الاستقلال، العدد: 81، السنة الأولى، بتاريخ 1955/9/3.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدمان"، صحيفة أنباء السودان، 18 أكتوبر 1958.

(3) "السيد محمود محمد طه يقول فى واد مدنى إن القومية العربية تكتل عنصرى"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 2325، بتاريخ 1958/2/6.

(4) أحمد بدران، "محمود محمد طه والقومية العربية"، صحيفة السودان الجديد، الثلاثاء 1958/2/18.

(5) عبداللطيف عمر حسب الله، "حول محمود محمد طه والقومية العربية"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3337، الثلاثاء 1958/2/20.

الأستاذ محمود بشأن القومية العربية. عقب الأستاذ محمود على مقال حمور بمقال جاء بعنوان: "حول القومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية"⁽¹⁾. قال الأستاذ محمود في صدر تعقيبه على حمور: "يبدو أني وإياك نحلم نفس الحلم ولكننا نأوله تأويلاً مختلفاً". ثم تابع الأستاذ تعقيبه على حمور. وفي يوم 1958/3/6 كتب سعيد ميرغني حمور معقّباً على تعقيب الأستاذ محمود، بمقال جاء بعنوان: "حول القومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية"⁽²⁾. قال حمور في صدر مقاله: "أولاً أود أن أشكر الأستاذ محمود محمد طه على رده الكريم واهتمامه البالغ لمثل هذا الموضوع الذي أصبح محور النقاش في العالم العربي". وتابع حديثه. الشاهد أن الحوار استمر طويلاً عن القومية العربية، ولكنه اتم باللطف والأسس العلمية والروح الإنسانية.

الحواريين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد علي : مقارنة أولية

يعتبر نقاش الأستاذين محمود محمد طه ومحمد محمد علي، من أرقى الحوارات السودانية⁽³⁾.

حيدر إبراهيم علي

كان الحوار بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد علي في عقد الخمسينيات من القرن الماضي، حواراً كبيراً، فهو كما وصفه حيدر إبراهيم علي "من أرقى الحوارات السودانية"، فهو كذلك، ويستحق أن يكون موضوع دراسة تُنشر في كتاب قائم بذاته، بيد أنني سأقدم في هذا المحور، إضاءات وإشارات مختصرة كمدخل للمقاربة أولية. لا بد من تقديم لمحة تعريفية عن الشاعر محمد محمد علي، فقد ولد بحلفاية الملوك، وتلقى تعليمه الأولى بمدينة رفاعة وحلفاية الملوك. تزوج من ابنة خاله ثريا محمد جماع، شقيقة صديقه

(1) محمود محمد طه، "حول محمود محمد طه والقومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3345، الخميس 1958/3/2.

(2) سعيد ميرغني حمور، "حول محمود محمد طه والقومية العربية ليست عنصرية أو تعصبية"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3349، الخميس 1958/3/6.

(3) حيدر إبراهيم علي، "التجديد والمغايرة عند محمد محمد علي: في الذكرى الأربعين"، (حلقتان)، صحيفة الصحافة، الخرطوم، 19/18 أكتوبر 2010.

الشاعر إدريس جماع (1922-1980). تخرج فى المعهد العلمى بأمدردمان عام 1945. نال ليسانس العلوم، دار العلوم، جامعة القاهرة، كما نال دبلوم معهد التربية من جامعة إبراهيم عام 1951. وفى عام 1968 نال درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وكان موضوع رسالته: الشعر السودانى فى المعارك السياسية (1821-1924). عزم على إنجاز الدكتوراة فسافر عام 1969 إلى مصر وأكمل إجراءات تسجيله معتمراً تتبع الموضوع الذى درسه فى الماجستير من سنة 1924 إلى طلائع الاستقلال، وعندما عاد إلى السودان اشتد عليه المرض فتوفى فى يوم 28 سبتمبر 1970⁽¹⁾. عمل بالصحافة السودانية خلال الفترة من عام 1945/1946، ومدرساً للغة العربية وآدابها بالمدارس الثانوية، ورئيساً لشعبة اللغة العربية بمدرسة وادى سيدنا الثانوية، ومحاضراً بمعهد المعلمين العالى بأمدردمان. من مؤلفاته: من جيل إلى جيل⁽²⁾، محاولات فى النقد⁽³⁾، الحان وأشجان⁽⁴⁾ (ديوان شعر)، الشعر السودانى فى المعارك السياسية (1821-1924)⁽⁵⁾، وظلال شاردة⁽⁶⁾ (ديوان شعر).

من المهم الإشارة إلى أن العلاقة بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على كانت علاقة صداقة، فهما أصدقاء. وقد وسم كل منهما العلاقة بينهما بالصداقة. يقول أحمد محمد الحسن، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، وكان قد التقى بالشاعر محمد محمد على عام 1970، فى مكتب استقبال الإذاعة السودانية بأمدردمان، وكان أحمد يقوم بتوزيع كتب الفكرة الجمهورية فى الإذاعة، ضمن ما يعرف بحملة الكتاب التى كان يقوم بها تلاميذ الأستاذ محمود، يقول أحمد: "كنت أجلس فى مكتب الاستقبال وكان يجلس قبالتى رجل خمسينى تقريباً ويلبس جلالية وعمه بسيطة، فقال لى: شايلى شنو [ماذا تحمل] يا ولدى؟ فقلت له: دى مؤلفات الأستاذ محمود محمد طه. فقال الشاعر محمد محمد على:

(1) فاطمة القاسم شداد، محمد محمد على شاعراً: دراسة تحليلية نقدية، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدردمان الأهلية، أمدردمان، 2009، ص 64.

(2) محمد محمد على، من جيل إلى جيل، شركة الأيام، الخرطوم، 1945.

(3) محمد محمد على، محاولات فى النقد، مصدر سابق.

(4) محمد محمد على، الحان وأشجان، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1960.

(5) محمد محمد على، الشعر السودانى فى المعارك السياسية (1821-1924)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1969.

(6) محمد محمد على، ظلال شاردة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1971.

"يا سلام الأستاذ محمود ده حبيبنا وصديقنا، بتقدر تقابلوا اليوم يا ولدى؟ فقلت له: نعم. فقال لى: تقول له صديقك وحبيبك الشاعر محمد محمد على فى أشد الشوق إليك، وما معنى من زيارتك إلا المرض"⁽¹⁾. يقول أحمد محمد الحسن نقلت عبارة الشاعر محمد محمد على إلى الأستاذ محمود، فقال الأستاذ محمود: "نعم الشاعر محمد محمد على صديقنا، كيف حاله وكيف وجدته"، ثم أثنى عليه⁽²⁾.

كانت الحوارات بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، فى موضوعات وقضايا عديدة منها: قضايا الدين والفكر والفلسفة والاجتماع والأدب والتعليم والسياسة والتجديد... إلخ، وجاءت تحت عناوين مختلفة، وكلها منشورة فى الصحف اليومية. وبعضها أعيد نشره فى إصدارات كل منهما. بدأ الحوار بتعليق من الشاعر محمد محمد على، على خطاب كان الأستاذ محمود قد أرسله إلى الدكتور توريث بوديت مدير عام منظمة اليونسكو، كان الخطاب بعنوان: "إعداد الإنسان الحر: الدكتور توريث بوديت مدير عام منظمة اليونسكو"⁽³⁾. استهل الأستاذ محمود خطابه إلى مدير عام منظمة اليونسكو قائلاً:

ثلاثة أمور وردت فى تقريركم، لست أبالى إن لم يرد فيه غيرها.. فهى حسبي، وحسب كل مفكر... ثلاثة أمور، وسيلتان، وغاية: أما الغاية فهى "إعداد إنسان حر يعيش فى مجتمع عالمى".. وأما الوسيلتان فإحدهما: "التعليم الجديد"، فى قولكم: "وغير أن ذلك يفرض على البشر أن يدركوا مسئوليتهم فى عالم تلتحم فيه العلاقات الدولية، فتلقى على الأفراد واجبات عديدة، لا يعدهم للقيام بها إلا نوع جديد من التعليم"، وثانيتهما النظام العالمى الذى أشرت إليه إشارة بعيدة بعبارة: "خطة مشتركة" فى قولك: "إن البشر يعيشون فى عالم قلق، لا يكفى فيه أن توفر الحكومات أسباب التربية، والعلوم، والفنون، والآداب،

(1) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، تمت المقابلة فى الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 15:30 وحتى الساعة 19:30.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: الدكتور توريث بوديت مدير عام منظمة اليونسكو"، جريدة صوت السودان، 1953؛ محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: الدكتور توريث بوديت مدير عام منظمة اليونسكو"، صحيفة الجمهورية، العدد الأول، الاثنين 15/1/1954؛ محمود محمد طه، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، مصدر سابق، ص 30-37.

فى نطاق قومى؁ بل أن تضع خطة مشتركة تضمن إمداد التقدم الإقتصادى؁ والإجتماعى؁ فى العالم دون أن تنال من سيادة أمة؁ أو من خصائصها الثقافية.. فهى بذلك تستوحى المبادئ العالمية؁ وتقيم صرح السلام على أسس مستقرة قويمة".

ثم أضاف الأستاذ محمود فى خطابه لمدير عام اليونسكو قائلاً: "فأنت تريد أن تنجب الإنسان الحر؁ الذى يعيش فى مجتمع عالمى.. وأنت؁ لكى تحقق ذلك؁ تريد نظاماً؁ دولياً؁ مشتركاً؁ وإن شئت فسمه حكومة عالمية.. وتريد؁ إلى ذلك؁ نوعاً جديداً من التعليم.. هذا ما تريد.. ولا عبرة عندى بهذا الحذر الذى تبديه؁ عند الحديث عن الحكومة العالمية؁ بقولك: "دون أن تنال من سيادة أمة"؁ فإنه حذر دوافعه يمكن أن تلتبس فى هذا الحرص الشديد الذى يطالعك فى تمسك كل أمة بسيادتها الداخلية - وإلا فإنك تعلم؁ كما أعلم؁ أن الحكومة العالمية لا تقوم إلا على الحد من سيادات الأمم". ثم تناول الأستاذ محمود وقدم آراءه فى العديد من القضايا فى خطابه منها: الثورة فى الفكر؁ والوحدة الجغرافية؁ والحكومة العالمية؁ والتعليم الجديد؁ والتحرر من الخوف؁ والقرآن للجميع. ثم ختم الأستاذ محمود خطابه قائلاً: "إن الفرد هو مدار الوجود.. وكل شىء مسخر له؁ بما فى ذلك النظام الاجتماعى.. فما ينبغى أن يؤخذ من حريته إلا بالقدر الضرورى لصيانة ذلك النظام؁ الذى بدونه؁ لا يتيسر للفرد الجو الملائم لتحرير مواهبه.. هذا ما عن لى أن أقوله؁ لك وللإنسانية جمعاء؁ وهو قول أريد أن أقدم به إلى الإنسانية الكتاب - كتاب الخلود - القرآن".

علّق الشاعر محمد محمد على؁ على خطاب الأستاذ محمود بمقال جاء بعنوان: "تكرموا بانزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"⁽¹⁾. استهل محمد محمد على مقاله قائلاً: "أخى محمود محمد طه؁ تحيتى واحترامى؁ وبعد.. فقد قرأت العدد الأول من صحيفتكم الغراء الجمهورية؁ فسرنى حسن تنسيقها وحيوية الأبواب التى جعلتم منها مسرحاً للآراء ومضرباً للأفكار؁ وقد استوقف نظرى بصفة خاصة من بين المباحث التى اشتمل عليها العدد هذا الخطاب الضافى الذى أرسلتموه إلى منظمة اليونسكو؁ واعتبرتموه ممثلاً لدعائم الحزب الجمهورى وأسسهِ فى العقيدة والرأى". ثم تحدث عن معرفته لحب الأستاذ محمود

(1) محمد محمد على؁ "تكرموا بانزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"؁ محاولات فى النقد؁ مصدر سابق؁ ص 17-21.

للإنسانية، على نحو ما ورد في نص قوله في صدر هذا المحور، ثم أضاف قائلاً: "وأعرف أن نزعة فلسفية صوفية تشد أفكارك إلى السماء شداً عنيفاً، وتلوّنها بلون مثالي لا تراه إلا عند أصحاب "اليوتوبيات" ولا أذكر أنني قرأت لك أو اجتمعت بك وغاب عن ذهني أفلاطون والفارابي". ثم أشار بأنه لن يناقش كل ما ورد في خطاب الأستاذ محمود، الذي وصفه بالمثالي. وكتب قائلاً: "فسأتجاوز الحكومة العالمية لأنني اعتقد أن الحكومة العالمية إذا قدر لها أن تقوم، فسيكون قيامها نتيجة لحسم المشكلات والقضاء على المظالم. ستقوم حين يقبر الاستعمار والاستغلال، وتسود الناس روح المودة والعطف فينظر المرء إلى أخيه بعين الإنسان لا بعين الذئب. فالتفكير فيها الآن وثوب إلى النتيجة قبل إحكام المقدمات، وإعداد الوسائل". وأضاف قائلاً: "سأتجاوز الحكومة العالمية إلى "التعليم الجديد" فأنت ترى "أن التعليم الحالي مضلل كل التضليل، وتضليله نتيجة منطقية للنظرة المعاصرة للحياة وغاياتها. إننا نعيش الآن في عصر آلي يتغلغل أثر الآلة في جميع وجوه نشاطه، حتى تعلّم الإنسان أن يحترم القواعد الآلية، وأن يتمثل الآلة في إنتاجه الأدبي والفني، وأن يستمد مثله العليا من دقة الآلة، ومن قوتها، ومن صوتها الموقع الموزون. وتبع كل ذلك نظامه التعليمي فهو يحاول أن يخلق نفسه بالتعليم وبالمرانة آلة آدمية شديدة الدقة، موفرة الكفاءة كثيرة الإنتاج. وكذلك أصبح التعليم مهنيّاً في أكثر أساليبه".

ثم دفع الشاعر محمد محمد على بنقده لرؤية الأستاذ محمود قائلاً: "أنت ترى أن هذه هي حال التعليم اليوم، وإذا صحّ ما ترى وكانت فكرتك مستقاة من استقصاء لا مبالغة فيه، فإن حالة التعليم الحاضرة سيئة من غير شك. ولكن ما رأيك إذا قلت لك إن هذا اللون من العادات الفكرية والملكات النفسية هو ما نحتاج إليه نحن الشرقيين، ليحد من أطراف حريتنا المثالية الحاملة الهائلة وجبريتنا الصوفية". ثم عبر عن عدم موافقة للأستاذ محمود قائلاً: "على أنني لا أوافقك (مع اعترافي بنقص وسوء مناهجه) على أن هذه صورة صادقة للتعليم والإنتاج في وقتنا الحاضر. لأن معين العطف والشوق والنزوع إلى حياة أفضل وأكرم من الحياة المائلة لم ينضب في نفوس البشر. فالناس مذ كانوا أبناء حاضره ورواد مستقبلهم. وعندما كان عماد الحياة الحيوان، فإن إنتاج الناس في الحياة المادية والفكرية كان متأثراً بالحيوان ونشاطه، مستشرفاً إلى حياة أرقى وأكمل". ثم أشار

إلى أن الصورة التى رسمها الأستاذ محمود للتعليم والإنتاج تحمل الشئ الكثير من أعراض التشاؤم. وهو يرى أن المؤثر القوى فى منهج التعليم وغاياته والإنتاج الفكرى ليس الآلة ودقتها، بل هو نوع الحياة الاقتصادية والاجتماعية الذى تخضع له الشعوب. ثم أضاف قائلاً: "وإذا سلّمنا جدلاً بفساد التعليم والإنتاج فى صوره ومناطقه، وسلّمنا بأن الآلة هى العامل القوى فى توجيهه هذه الوجهة المادية الميكانيكية، فإن نوع التعليم الذى تدعو إليه فى خطابك شئ غير مفهوم. فأنت تقول: "إن غاية التعليم أن يحرر الإنسان من الخوف"، وتحريره يكون "بتصحيح تلك الصورة الخاطئة الشائنة التى قامت فى خلدك عن الحياة وعن قانونها". ثم قال: "وللقارئ الحق أن يفهم أنك تدعو إلى التربية العلمية، وإلى سيادة العلوم الطبيعية. فالعلم وحده هو الذى يستطيع بقدر ما وصل إليه من كشف، أن يعطى صورة صحيحة عن أصل الحياة وقوانينها، وأن يقصى عن أذهاننا الصورة الأسطورية الشائنة. وهذا ما حدث بالنسبة إلى الطبيعة، فإن خوف الإنسان منها قد زال بسبب تقدم العلم، وتصحيحه لكثير من أوضاع التفكير وأساليب البحث. ولم يعد للخوف من الطبيعة أثر إلا فى نفوس البدائيين".

وأضاف محمد محمد على قائلاً: "غير أن القارئ لا يستطيع أن ينعم بهذا الفهم، ويسير على الأرض مطمئناً يصغى إليك، ويفهم منك، بل يرى نفسه بالرغم من إرادته يتعد عن الأرض ويدنو من السماء، محمولاً على جناحك الصوفى إلى عالم المثل الأفلاطونية. فيصبح الخوف شيئاً غير الخوف الذى يعرفه ويصبح التعليم ضرباً من الخواطر الصوفية الممعة فى الخفاء". ثم طرح سؤالاً وأجاب عنه وفقاً لرؤيته قائلاً: "وأحب أن أسأل ما الذى يخيفنا اليوم؟ أما جوابى أنا فهو أننا نخاف العوز ونخاف المرض ونخاف العدوان على أنفسنا وعلى أرزاقنا. فإذا زالت أسباب الخوف بالرخاء والعدل والمساواة بين البشر فى الحقوق والواجبات، أننا ورضينا بقسطنا من الحياة الحاضرة، وزاد تشوقنا إلى حياة أقرب إلى الكمال، وتطلّع المؤمنون إلى رضوان الله وكرامته فى حياتهم الأخرى". وتناول الخوف قائلاً: "ولكن الخوف الذى تحدث عنه فى خطابك شئ موروث، كامن فى أعماق النفس راسب فى العقل الباطن، محجب بستار كثيف لا ينفذ منه العقل الواعى... وهذا الضرب من الخوف لا يعنيننا فى مشكلة التعليم. وهو إذا كان معتدلاً أمر

لا بد منه لحفظ ذواتنا من الكوارث، وليس من الخير أن نستأصله استئصالاً. فالخوف من الميكروب والخوف من الحريق... الخ، أمر مهم وسلاح لا بد لنا من حمله". ثم تناول العلم وجوهر النفس وتحدث عن الأوهام والمخاوف الموروثة، وهنا أشار إلى بروز أفلاطون برؤيته صريحاً يتحدث في خطاب الأستاذ محمود. وأشار إلى أن أرسطو قد قضى قضاءً مبرماً على علم النفس الأفلاطوني وهدم عالم المثل الصوفي بمنهجه العلمى.

ثم طرح الشاعر محمد سؤالاً على الأستاذ محمود قائلاً: أنظن أن مدير منظمة اليونسكو فهم عن القرآن شيئاً؟ ثم أضاف قائلاً: "أما أنا فلا أرى مانعاً من الشعر، وقد سرتنى العبارة وأخذت بشاعريتها المجنحة وجوها الحالم، فنسيت التعليم والمخاوف ومنظمة اليونسكو، ولكنى سألت نفسى هذا السؤال: لو فرضنا أن وصفك الشعرى ينطبق على القرآن ألا يمكن أن ينطبق على جميع الكتب الدينية وعلى الفنون وعلى الميثولوجيا أيضاً؟ فلم أجد مانعاً من الإجابة بنعم". ثم ختم محمد محمد على مقاله موجهاً حديثه للأستاذ محمود فكتب قائلاً: "وخلاصة ما أحببت أن أفضى به إليك هو أنى أضن بنشاطك الذهنى ومقدرتك الفائقة أن يذهب فى هذه المجارى التى لا تعدو حدود التأملات الفردية، والفروض المثيرة لعاصفة من الجدل الذى لا ينتهى إلى غاية خصبه منتجة. أحب أن تعطى الواقع قسطاً كبيراً من احترامك، وأن تنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض. فنحن فى أشد الحاجة إلى رجل مثلك قد عُرف عند الناس بالإخلاص وحب الحق والشجاعة فى الجهر به".

عقب الأستاذ محمود على الشاعر محمد محمد على، بمقال جاء بعنوان: "أو ما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء؟"⁽¹⁾ (أنظر ملحق رقم: "28"). استهل الأستاذ محمود تعقيبه بالحديث عن العنوان فكتب قائلاً: أخى محمد... تحيتى واحترامى.. وبعد، فقد قرأت لك كتابك القيم، الذى تعرضت فيه لمناقشة خطابنا إلى رئيس منظمة اليونسكو، ولقد طابت لك نفسك أن تسوق كتابك الضافى تحت عنوان طريف: "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"، وهو عنوان بارع يدل، من الوهلة الأولى، على ما ينتظر

(1) محمود محمد طه، "أو ما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء؟"، صحيفة الجمهورية، العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5 فبراير 1954.

القارئ من نظرة علمية وواقعية". ثم أضاف قائلاً: "ولست أريد أن أطيل وقوفى هنا، ولكنى لا أحب أن أزيل مقامى هذا قبل أن أؤكد لك أن الأرض فى تفكيرى قد التحقت بأسباب السماء.. فلست أرى أرضاً، ولا سماء، وإنما وحدة اتسقت فيها العوالم، من الدارارى، إلى الذرارى، فى غير تفاوت نوع، وأكاد أقول: ولا تفاوت مقدار، وإنما هو التعاون المتضافر على الدلالة على وحدة المعانى، القائمة وراء تعدد الشخصوص، وتلك دلالة يستوى فيها جبريل، وإبليس، فى البلاغة، والتبليغ.. فإذا انحط النظر عن ذلك، فإنما هو اللحم الذى يرى أوائل الأشياء وأواخرها، ثم يسلسل، فى تنسيق متحد، مقدمات النتائج المبتغاة، تسلسلاً دقيقاً، لا يسبق فيه فاضلاً مفضول، وإنما هو القسط، والعدل".

ثم بدأ الأستاذ محمود التعقيب على النقاط وفقاً للترتيب الذى أورده محمد محمد على، ولكنى أقدم هنا بعض النقاط وليس كلها. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وأما قولك: "ولست أريد اليوم أن أناقش كل ما ورد فى خطابك المثالى، فسأتجاوز الحكومة العالمية، لأننى أعتقد أن الحكومة العالمية -إذا قدر لها أن تقوم- فسيكون قيامها نتيجة لحسم المشكلات، والقضاء على المظالم.. ستقوم حين يقبر الاستعمار، والاستغلال، وتسود الناس روح المودة، والعطف، فينظر المرء إلى أخيه بعين الإنسان، لا بعين الذئب"، فقول حصيف، ولكنه لا يقال لمثلنى، لأنك تعلم أنى أرى نفس الرأى، وأعمل له، فى متقلبى ومثواى". ثم أضاف قائلاً: "وأما قولك، من نفس الفقرة، المتقدمة: "فالتفكير فيها الآن وثوب إلى النتيجة قبل إحكام المقدمات، وإعداد الوسائل"، فقول ضحل، وما أحب لك أن تتورط فيه.. وإلا فإنك تعلم، كما أعلم، أنك، إن لم تفكر فى النتائج، لا تحكم المقدمات، ولا تحسن التوصل، وإنما تسير ونظرك تحت قدميك، إما لهذا، وإما لذا". وعن حديث الشاعر محمد عن الشرقيين والقيم الروحية، عقب الأستاذ محمود قائلاً:

وأما قولك عما عبته أنا عن أثر الآلة على التعليم ومناهجه: "ولكن ما رأيك إذا قلت لك أن هذا اللون من العادات الفكرية، والملكات النفسية، هو ما لا نحتاج إليه، نحن الشرقيين، ليحد من أطراف حريتنا المثالية الحاملة، فهو، على ما به من قسام، وآلية، ثمرة، مهما يكن طعمها، من ثمرات العلم، والنظرة الموضوعية..

وهو، وإن لم يكن المثل الأعلى للحياة، فإنه أقرب إليه من أحلامنا الهائمة، وجبريتنا الصوفية"، فقول حسن، ولكنى أحب لك، وللشرقيين، أحسن منه حين أدعو إلى النهج الذى: "يؤلف بين القيم الروحية، وطبائع الوجود المادى، تأليفاً متناسقاً، مبرأ، على السواء، من تفريط المادية الغربية التى جعلت سعى الإنسانية موكلاً بمطالب المعدة، والجسد، ومن إفراط الروحانية الشرقية التى أقامت فلسفتها على التحقير من كل مجهود يرمى إلى تحسين الوجود المادى بين الأحياء..".

وأضاف الأستاذ محمود قائلًا: "وأما تارك: "وعندما كان عماد الحياة الحيوان فإن إنتاج الناس، فى الحياة المادية، والفكرية، كان متأثرًا بالحيوان ونشاطه، مستشرفاً إلى حياة أرقى، وأكمل.."، إلى قولك "وقد حلت الآلة اليوم محل الحيوان، فهى لا بد مؤثرة فى إنتاج المنتجين، وهى لا بد عاجزة، كما عجز الحيوان، من قبل، عن السيطرة على جميع الدوافع النفسية، والحواجز التى تدفع بركب البشرية إلى الأمام"، فقول يعجبني، ويسرنى، ولكنى لا أجده رداً على". وعن التشاؤم، كتب الأستاذ محمود قائلًا: "قولك عنى: "فالصورة التى رسمتها للتعليم، والإنتاج، تحمل الشئ الكثير من أعراض التشاؤم" قول مردود.. فإن أملنى فى مستقبل البشرية لا يدع مجالاً للتشاؤم.. وهو أمل لا يقوم على الظن، وإنما يقوم على يقين لا أرتاب فيه، وعندما بدا لك، فى خطابى شئ منه يسير، ظننته أنت مما يدخل فى باب "اليوتوبيات". وعن زعم الشاعر محمد عن عدم الفهم، يعقب الأستاذ محمود قائلًا: "وأنت تزعم أن نوع التعليم الذى أدعو إليه فى خطابى غير مفهوم.. وأرى من حقل على أن أكون مفهومًا.. "فغاية التعليم عندى أن يحرر الإنسان من الخوف.. وتجربته إنما يكون بتصحيح تلك الصورة الخاطئة، الشائنة، التى قامت فى خلدته عن الحياة، وعن قانونها".. وهذا قول تقرنى أنت عليه". ثم يضيف الأستاذ محمود قائلًا: "ولكنك تقول:

"وللقارئ الحق فى أن يفهم أنك تدعو إلى التربية الطبيعية، وإلى سيادة العلوم الطبيعية.. فالعلم وحده هو الذى يستطيع، بقدر ما وصل إليه من كشف، أن يعطينا صورة صحيحة عن أصل الحياة، وقوانينها، وأن يقصى عن أذهاننا، الصورة الأسطورية الشائنة".. وأنا فعلاً أدعو إلى التربية العملية، وإلى سيادة العلوم الطبيعية". ثم يلفت الأستاذ محمود انتباه الشاعر محمد إلى كتاب صدر

للجمهوريين قائلاً: "ولقد فصلنا رأينا عن هذا التعليم، وعن تعليم العلم التجريبي، فى كتب الجمهوريين: "قل هذه سبيلى"، الذى صدر منذ حين، تفصيلاً يغنيا عن الإسهاب هنا.. فأرجو أن ترجع إليه لتعلم مبلغ الخطأ فى قولك: "وهذا الضرب من الخوف لا يعيننا فى مشكلة التعليم.. وهو، إذا كان معتدلاً، أمر لا بد منه لحفظ الذات من الكوارث، وليس من الخير أن نستأصله استئصالاً، فالخوف من المكروب، والخوف من الحريق، إلخ مهم، وسلاح لا بد من حمله".

وعن إشارات الشاعر محمد لأفلاطون وأرسطو عقب الأستاذ محمود قائلاً: "وأما قولك: "والعلم عندك كامن فى النفس أيضاً، بل هو جوهر النفس، مغلف بطبقة كثيفة، مظلمة، من الأوهام، والخرافات، والمخاوف، الموروثة.. وهنا يبرز أفلاطون صريحاً يتحدث إلينا فى خطابك"، فهو قول مؤسف حقاً.. فأنت شاب مثقف، مسلم، ولا تعرف هذا القول الذى تنكره إلا عن طريق أفلاطون.. ليت شعرى!! فأين يذهب بك عن قول الله تعالى: "كلا!! بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون..؟؟" وعن قوله تعالى: "لقد كنت فى غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك، فبصرك اليوم حديد..؟؟". وعن أرسطو يقول الأستاذ محمود: "وأنت تورد قول أفلاطون: "إن العلم تذكر النسيان" وتزعم أن أرسطو قد قضى، قضاء مبرماً، على علم النفس الأفلاطونى.. فما رأيك فى قول القرآن: "ولقد يسرنا القرآن للذكر.. فهل من مدكر؟؟؟؟" هل قضى عليه أرسطو أيضاً، قضاء مبرماً، أم أنت لا ترى منه ما أراه؟؟". وعن تساؤلات الشاعر محمد عقب الأستاذ محمود قائلاً: "وتسألنى: "فماذا فهم الرجل، وربك، من هذه القصة ذات القشرة، ومن المادة التى صنعت منها الأحلام، وصنع القرآن؟؟" وأجيبك: إن هذا لا يعيننى، بقدر ما يعيننى أن أسجل ما أراه الحق، وأن أدعو إليه.. وسيهتدى به أناس، وسيضل به آخرون". ويضيف قائلاً: "وتسألنى: "لو فرضنا أن وصفك الشعرى ينطبق على القرآن، ألا يمكن أن ينطبق على جميع الكتب الدينية، وعلى الفنون، وعلى الميثولوجيا، أيضاً؟؟" والجواب قريب، وهو أن الكتب الدينية جميعاً والفنون، والميثولوجيا، كل أولئك معارج من معارج الحق، على تفاوت بينها، فى القرب والبعد، وكل ما هناك أن القرآن مهيم عليها جميعاً وجامع لما تفرق فيها، من أشتات الحقائق، فهو أعلاها مرتبة، وأقربها إفضاء إليه فما ينطبق عليه ينطبق عليها، على تفاوت بينها، فى الشمول والقصور".

وعن قول الشاعر .. مد محمد على "إنى أضن بنشاطك الذهني ومقدرتك الفائقة أن يذهب في هذه المجارى التي لا تعدو حدود التأملات الفردية"، كتب الأستاذ محمود قائلًا: "أما بعد، فإننى أشكر لك خطابك الممتع حقًا.. وأؤكد لك أن نشاطى الذهني لا يذهب في المجارى التي لا تعدو حدود التأملات الفردية، ولا الفروض المثيرة للجدل العقيم، وإنما أنا طالب حق أبتيغيه في مظانه، ثم لا أمارى فيه، إلا مرأى ظاهراً.. وأنا موقن، كل الإيقان، أن هذا الوجود قائم على الحق، وأن الباطل فيه عارض من عوارض النقص، فلا يلبث أن يزول.. وأن هذه الأرض قد التحقت بأسباب السماء، فلا يصلحها، منذ اليوم، إلا تشريع يقوم على الحق الذى لا مرأى فيه". ثم ختم الأستاذ محمود قائلًا: وتسألنى ما الحق الذى لا مرأى فيه؟؟ وأجيب: إنه الإرادة المتوحدة، التى انفردت بالهيمنة على الظواهر الطبيعية، فى الأرض، كما فى السماء، وهدت الحياة سبيلها، فى النور كما فى الظلمات، ثم استعصمت بخفاء لا يعين على استجلائه غير قرآن الفجر.. "إن قرآن الفجر كان مشهوداً".

لم تقف الحوارات عند هذا الحد بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على. فقد دار حوار طويل أيضاً بشأن الأدب والدين والحقيقة، وجاء تحت عنوان: "الأدب والدين" (1). نشر الشاعر محمد محمد على تحت هذا العنوان مقالين فى صحيفة السودان الجديد، خلال شهر نوفمبر 1955. وحينما نشر المقال الأول وأشار فيه إلى رأى الأستاذ محمود قائلًا: "ومجمل رأى الأستاذ محمود أن الأدب وسيلة ناقصة ومعيبة للبحث عن الحقيقة. والحقيقة هى معرفة الله. لذلك فالأدب لا يستحق أن نشغل به، وننفق حياتنا فى تحصيله وتنميته، والأجدر بنا أن نشغل بالدين". وتحدث عن الدين والحقيقة والأدب وناقش آراء الأستاذ محمود بتوسع. رد الأستاذ محمود على مقال محمد محمد على، وكتب محمد محمد على فى رده على رد الأستاذ محمود قائلًا: "أنكر صديقنا الأستاذ الفاضل محمود محمد طه فى رده على وضع هذا العنوان على رأس كلمتى وإدارة الحديث عليه، واعتبر ذلك صرفاً للحديث عن وجهه، وفضل أن يكون مدار الحديث "الأدب والحقيقة". ودخل فى هذا الحوار العلامة عبدالله الطيب. وتمت مساجلات الأستاذ محمود والشاعر محمد والعلامة عبدالله الطيب، وهذا باب واسع يصعب تغطيته فى هذه الصفحات، وإنما أكتفى بهذه الإضاءات والإشارات المختصرة.

(1) محمد محمد على، "الأدب والدين"، محاولات فى النقد، مصدر سابق، ص 115-123.

الشاهد أن الحوار الذي تم بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، اتسم بالعمق وتنوع الموضوعات والاحترام المتبادل، وتميز بالرقى كما وصفه حيدر إبراهيم على، بأنه كان "من أرقى الحوارات السودانية". برغم أهمية هذه الحوارات وريقها إلا أنني لم أجد لها أثراً في رسالة الماجستير التي قدمتها فاطمة القاسم شداد (1950-1995) تحت عنوان: محمد محمد على شاعراً: دراسة تحليلية نقدية، في جامعة الخرطوم عام 1976⁽¹⁾، بإشراف عون الشريف قاسم وصلاح الدين الهادي⁽²⁾، ونشرت الدراسة لاحقاً في كتاب. خلت الدراسة من الإشارة لتلك الحوارات بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، برغم أن فاطمة شداد قد أوردت حوارات الشاعر محمد محمد على مع محمد النويهي وآخرين والتي تقع مع حوارات الأستاذ محمود في مصدر واحد هو كتاب الشاعر محمد والموسوم بـ "محاولات في النقد. من واقع المساجلات يمكن القول أن الشاعر محمد محمد على لم يكن على اتفاق في الرأي في معظم القضايا التي تناور بشأنها مع الأستاذ محمود. ففي بعض الموضوعات لم يستمر الحوار بينهما ووصل إلى طريق مغلق، بسبب اختلاف المنطلقات كما أشار حيدر إبراهيم على وهو يتحدث عن السجال بشأن: "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض"، وفقاً لعنوان الشاعر محمد، و "أوما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء؟"، وفقاً لعنوان الأستاذ محمود، كتب حيدر قائلاً: "لم يواصل الأستاذان نقاش هذا الموضوع لأنه يبدو أن الانطلاقة كانت من خطين متوازيين"⁽³⁾. إلى جانب ذلك، ففي تقديري أنه لا بد من الوقوف عند بعض المعطيات والتأمل في المرجعيات التي تعين في التحليل والقراءة للمساجلات التي تمت بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على، وتعين كذلك في دراسة ما تنطوي عليه مواقف الشاعر محمد محمد على من الأستاذ محمود، فكثير من المعطيات تتحكم في المواقف، ومن ذلك:

أولاً: تخرج الشاعر محمد محمد على في المعهد العلمي بأمدردمان وقد دخله مرغماً،

(1) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 1-11.

(2) صلاح الدين الهادي من مصر. وكان المشرف في البداية هو عز الدين الأمين، وخلفه الاثنان بعد أن سافر متتبداً إلى نيجيريا.

(3) حيدر إبراهيم على، "التجديد والمغايرة عند محمد محمد على: في الذكرى الأربعين (2-2)"، مرجع سابق.

وكان ثائراً عليه ونظم قصيدة بعنوان: "الثورة"، جرد فيها المعهد من أى حسنة من حسناته، وأعلن فيها رفضه التام لذلك النوع من التعليم يقول فى مطلعها⁽¹⁾:

كرهت جلوسى أمام الشيوخ أودع عاماً وأسلك عام
كرهت المجاز ولغو النحاة وسخف الفقيه وعلم الكلام
فيم العناء وهذا البلاء وقرع الصفاة وطول السقام

لم يستمر الشاعر محمد فى موقفه من المعهد على هذه الثورة، فما لبث أن عاد وغير موقفه وأصبح يتحدث عن حسنات المعهد العلمى وما يسديه للمجتمع من نفع. فقد قال: "مما يوجبه الإنصاف ووضع الأمور فى مواضعها أن نشيد أبلغ الإشادة بكفاح المعهد العلمى وجهاده فى سبيل الحفاظ على التراث العربى الإسلامى، ونشره فى ربوع هذا البلد، وفى شموخه كالجبل الأشم ورسوخه أمام معاول الطغاة الذين خصهم أن يقوضوا دعائم أمتنا المجيدة ليصنعوا منها مسخاً ليس له ماض يلتفت إليه يستمد منه العزم والمضاء فى جهاده لبناء مستقبله"⁽²⁾. وعن الاستعمار والمعهد العلمى يقول الشاعر محمد محمد على: "حارب الاستعمار المعهد العلمى بالعوز، ففرض عليه المتربة وقتر عليه رزقه، وسد عليه جميع المنافذ التى تهب منها نسمة مبللة، فعاش علماؤه على ما هو دون الكفاف، صابرين مرابطين يستعذبون الألم فى أداء رسالتهم... والحقيقة التى مرأى فيها هى أننى لم أعرف فئة من فئات أمتنا حوربت فى رزقها ما حورب علماء المعهد، وطلابه، والمتخرجون فيه"⁽³⁾.

فى مقابل هذا التحول الذى حدث للشاعر محمد محمد على فى موقفه تجاه المعهد العلمى من ثائر عليه إلى مناصر ومدافع عنه، نجد أن موقف الأستاذ محمود من المعهد العلمى ظل على الدوام رافضاً لفكرة التعليم الدينى ومناهضاً لفكرة المعهد ودوره ونشاطاته، وكان يرى أن المعهد العلمى ما هو إلا ميدان للظلام والرمى بالتكفير والعجز عن المواكبة وتقديم سبل الرشاد وأن ما يقدمه من إسلام صورة خالية من المحتوى والروح.

(1) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 61.

(2) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 31-32.

(3) المرجع السابق، ص 61.

فقد بدأ شيوخ المعهد العداء مع الأستاذ محمود منذ العام 1957 بسبب رفضهم للجديد، كما كفر المعهد تلاميذ الأستاذ محمود عام 1959-1960. لقد خصصت الفصل التاسع من هذا الكتاب لتناول موضوع: "الأستاذ محمود والمعهد العلمي بأمدرمان (أزهر السودان)". هنا تباين واضح فى المواقف بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على.

ثانياً: كحال الكثير من بنى جيله، كان الشاعر محمد محمد على مصرى الهوى والمزاج، تلمح ذلك فى شعره، وفى مواقفه التى ستأتى الإشارة إليها، وفى الاحتفاء المصرى باصداراته، وفى المقدمة التى كتبها لرسالته لدرجة الماجستير⁽¹⁾. فقد وصفته فاطمة شداد فى دراستها للماجستير عنه، قائلة: "حب الشاعر لمصر يجرى فى دمه". ثم أوردت ما كتبه صالح جودت عن الشاعر محمد قائلاً: "كان محمد محمد على من أشد أبناء السودان تعصباً لمصر، وإيماناً بالوحدة، وتشبهاً بالنصرية"⁽²⁾. وأضافت فاطمة قائلة: "وقد كان يتطلع إليها منذ عهد الصبا الباكر بعين حاملة تراها الحلم، والأمل والسلوى، وقد كانت فرحته كبيرة بتحقيق هذا الحلم بذهابه مبعوثاً إليها"⁽³⁾. عبر الشاعر عن تلك الفرحة قائلاً:

فيا مصر أنت الحبيب المفدى ويا مصر أنت الهوى المصطخب
كفاحك نبع المنى فى فؤادى إذا غاض نبع المنى أو نضب
ومن راحتك شربت الضياء ومن وجنتيك جنيت الأدب

كما كتب العديد من القصائد فى مدح مصر ومناصرتها عند العدوان الثلاثى عام 1956، وفى مواقف عديدة، من قصائد: "مصر الباسلة" وغيرها. وفى مصر كان الشاعر محمد قد عرف بحرصه على حضور ندوة العقاد التى كان يقيمها فى بيته وكان العقاد يخصه بوده وحفاوته. وتورد فاطمة شداد حديث صديقه الشاعر منير صالح قائلاً: وقد شهدت بنفسى كيف استقبل ديوان ألحان وأشجان فى مصر وكيف أحتفت به الهيئات الأدبية، ونوقش وعُرض فى الندوات واجتمع حوله من الإذاعة عدد من الأساتذة

(1) محمد محمد على، الشعر السوداني فى المعارك السياسية (1821-1924)، مرجع سابق، ص (المقدمة).

(2) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 175.

(3) المرجع السابق، ص 171.

والشعراء⁽¹⁾. بينما كانت مواقف الأستاذ محمود منذ عام 1945 وهو رئيساً للحزب الجمهورى، من الناحية السياسية فإن مصر مستعمر وطامع فى السودان، وكان على الدوام رافضاً للتدخل المصرى بكل أشكاله فى السودان. ومن الناحية الدينية، حيث الأزهر هو مصدر للجهل الدينى، وكان على الدوام فى مواجهة مع ساستها وقاداتها وشيوخ الأزهر. تناول الفصل العاشر من هذا الكتاب موضوع: "الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبدالناصر ومحكمة الردة 1968". هنا أيضاً تبين واضح بين الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على فى المواقف السياسية من مصر.

ثالثاً: كان الشاعر محمد محمد على معجباً إعجاباً شديداً بالرئيس جمال عبدالناصر، ومعجباً بفكره، ويرى أن لديه قدرات كامنة على تطويع الصخور، وهدم صرح الظلم، وحمل راية الثورة، وهو الذى بعث العرب من مرقدهم باعثاً فيهم النعرة العربية. كتب الشاعر محمد قصيدة حيا فيها مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الخرطوم بعد النكسة 1967 قائلا⁽²⁾:

إنى شغفت بما سمعت وما أرى من قمة حفلت بأساد الشرى
وبنهر نور كلما شاهده أهدى إلى عيني فجراً مسفرا
من ذروة العليا من اجتماعنا فاضت منابعه هنا فتحدرنا
بالشمس فى الخرطوم حين تزينت وتسمنت فيها العروبة منبرا
بجمالها البطل المجير أخى النهى من طوع صخر الصليب فنورا

ويقول فى "إشراق العيد"⁽³⁾:

مرحى بناصرنا العزيز ومرحباً بجنانته الحر الأبى الصافى
من طوع الغرب اللثيم ومن غدا للجلة الأحرار خير مصافى

(1) المرجع السابق، ص 66-67.

(2) المرجع السابق، ص 174.

(3) المرجع السابق، ص 174-175.

من أيقظ العرب النيام بصيحة بعثتهم من مرقد الأسلاف
أهلاً لإمام الثائرين ومرحباً بالعبرى موطىء الأكناف

هناك اختلاف كلى بين الشاعر محمد والأستاذ محمود. فعبد الناصر عند الأستاذ محمود هو سبب هزيمة العرب، وخطبه تضليل للشعوب، وتدخل فى شؤون الدول بالاستخبارات وبالشراء والرشاوى... إلخ. وقد كتب الأستاذ محمود رسالتين للرئيس جمال عبدالناصر (أنظر ملاحق رقم: "32" و"33")، واجهه فيهما مواجهة ربما لم تصل عبدالناصر مثلها من أحد، أو مؤسسة أو دولة فى العالم. كل هذا قد تم تناوله بتوسع فى الفصل العاشر من هذا الكتاب. أما موقف الأستاذ محمود من مؤتمر اللاءات الثلاث الذى عقد فى الخرطوم خلال الفترة من 1967/8/29 وحتى 1967/9/1، فقد كان موقفاً ناقداً، استقبله بالمواجهة والنقد لمواقف عبدالناصر من خلال إصداره لكتابين الأول فى يوم 5 سبتمبر عام 1967 وكان بعنوان: التحدى الذى يواجه العرب⁽¹⁾، والكتاب الثانى نشر فى أكتوبر من عام 1967 بعنوان: مشكلة الشرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى⁽²⁾.

فى تقديرى أن المناخ الذى ساد فى فترة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضى، وما صاحبه من تحزب يقوم على الحركتين الاستقلالية (بريطانيا) والاتحادية (الاتحاد مع مصر) قد أضر ضرراً بليغاً ليس بالصحة السياسية السودانية فحسب؛ وإنما بتطور الحركة الفكرية وبمواقف المثقفين من بعضهم بعضاً وبالتالى ضعف توظيف أدواتهم وتكلس الحوارات بينهم، ومن ثم اختطاف الفقهاء لمنابر الحوار والسجال. لقد تحكمت مصر وتحديداً "سياسة صلاح سالم" وعبقريته فى إدارة شؤون السودان، بالمال والرقص، كما يقول الرئيس محمد نجيب (1901-1984) فدمر صلاح سالم بذلك الكثير من المعانى وغرس الكثير من السيئات والمضايقات لحياة ونشاطات المثقفين والعلاقات فيما بينهم،

(1) محمود محمد طه، التحدى الذى يواجه العرب، ط1، أمدران، 1967؛ محمود محمد طه، 1. التحدى الذى يواجه العرب 2. مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة، 2009.

(2) محمود محمد طه، مشكلة الشرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى، مصدر سابق.

سيرد تفصيل ذلك ضمن الفصل العاشر من هذا الكتاب. كان حلفاء مصر تكبلهم صلتهم بها، بل كانت مواقف الكثيرين منهم تناصر مصر حتى ولو خالفت قناعاتهم. الشاهد أن مصر تحكمت في المناخ العام طيلة النصف الأول من القرن العشرين وحتى الربع الثالث منه، وربما حتى الآن لم يتم التحرر تماماً. لم يكن الشاعر محمد محمد على بعيداً عن كل هذا وهو المحب لمصر ولعبدالناصر وصاحب الصلات الواسعة بساستها وأدبائها ومؤسستها. ولا أحسب أن عند الشاعر محمد محمد على، مثل الكثيرين، فرصة ليتفق مع الأستاذ محمود في جل آرائه. وفي تقديرى أن ارتباط الشاعر محمد محمد على بمصر عطل من ملكاته الفكرية وكلس معارفه الفلسفية وحجم قابليته للعطاء الفكري، كما عمق صلته بالشعر والأدب العربى على حساب مستقبل شاعر ضخم كشف عن قابلية باكرة في العطاء الفكري، ويمتلك الرؤية والخيال الواسع لتقديم المساهمات الفكرية الكبيرة. وكما قال حيدر إبراهيم: "وقد كان الشعر والأدب عند جيل الاستاذ بالفعل "ذريعة للهروب من أجذاب الحياة وفراغها ودمامتها". والأهم أنه تقيّة للتعبير عن الأفكار الجديدة والخطرة. فقد كان النقد والاحتجاج بالأدب هو الخط غير المستقيم للوصول الى نقد المجتمع، لأن رفض التقليد والجمود في الشعر هو معادل رفض هذه القيم في الحياة والمجتمع"⁽¹⁾.

من ما يمكن أن يلاحظه الدارس في الشاعر محمد محمد على، وقد لاحظته بوضوح في حواراته مع الأستاذ محمود، أنه أحياناً لم يكن موضوعياً بل تلمح فيه العناد والاصرار في غير محله، ولا يعبر عن اتفاقه في أى نقطة أو جزئية من الجزئيات أثناء الحوار، عكس الأستاذ محمود فقد كان يعبر عن اتفاقه واستحسانه لبعض النقاط... إلخ. كنت أدرس الشاعر محمد وفي ذهني هذه الخلاصات وكنت منزعجاً من أنني قد أكون قد استنتجت استنتاجاً غير موضوعي، حتى تنفست الصعداء يوم وجدت فاطمة شداد قد أوردت شهادات بعض أصدقائه. وكيف أنه عرف بينهم بأنه لا يقبل الهزيمة في المعارك النقدية، كما أنه لا يترفق في نقده. تقول فاطمة شداد على لسان صديقه الشاعر منير صالح: "إن محمد كان لا يقبل أن يهزم في المعارك النقدية قط، يستعمل في ذلك شتى السبل لإظهار

(1) حيدر إبراهيم على، "التجديد والمغايرة عند محمد محمد على: في الذكرى الأربعين (1-2)"، مرجع سابق.

خصمه بمظهر الضعيف الجاهل ويلاحق خصمه بالنقد العنيف فى كل مجلس يحل به مما كان يجعله مرهوباً مهاباً وهذا إنما يرجع إلى اعتداده بنفسه وثقته بمعرفته⁽¹⁾. أما الشاعر محمد المهدي المجذوب فقال عن الشاعر محمد محمد على: "تراه لأول مرة فتشعر بأنه فنان ناقد بصير بالكلام، لا يترفق فى نقده الذى تسمع، ضحك السخرية وترفع المعرفة، خبير بالناس يستخط كثيراً ولا يرضى إلا قليلاً على حبه للناس وتعلقه العجيب بأصدقائه"⁽²⁾. الشاهد أننا اليوم ومع مرور الوقت، وحينما نعود لقراءة تلك الحوارات ودراسة الآراء الواردة فيها نجد أن الكثير من الآراء التى دفع بها الأستاذ محمود، وخالفه فيها الشاعر محمد محمد على، قد صدقها الواقع ويكاد ينطق بصحة الكثير من آراء الأستاذ محمود، لا سيما خطابه إلى مدير عام اليونسكو بعنوان: "إعداد الإنسان الحر"، التى ناقش فيها موضوع التعليم الجديد والذى اختلف فيه الشاعر محمد محمد على مع الأستاذ محمود. الشاهد أن التعليم الجديد اليوم، بل كل المحاور التى تضمنها خطاب الأستاذ محمود إلى مدير عام اليونسكو، والذى لم يتفق فيه الشاعر محمد محمد على فى أى جزء من أجزائه مع الأستاذ محمود، أصبحت اليوم كل تلك المحاور موضع اهتمام وانشغال معظم مجتمعات العالم ودوله. كما أن العالم اليوم يشهد تبلور الحكومة العالمية وقد بدأت تتجلى ملامحها الأولية فى تصميم القوانين ذات الطبيعة الدولية، وقيام المؤسسات الأممية مثل محكمة العدل الدولية وقوات حفظ السلام... إلخ. وغيرها من الموضوعات التى جاءت فى خطاب الأستاذ محمود.

نقد مرحلة الفقهاء؛ صدام الجديد مع القديم

اختطاف الفقهاء لمنابر الحوار وسوح السجال بلا إمكانية فكرية

فغداً... تجلّى للزمان حقائق

الفكر الجميل

(1) فاطمة القاسم شداد، مرجع سابق، ص 76.

(2) المرجع السابق، ص 78-79.

إذا ابتدا

نحروك كبش فداء

لما سألت عن الحقيقة فهتفوا

وفدوا ذنوب العالمين

وغادروا نحو العراء

الله.. حين بدأت ترسم لوحة الاكمال

فى دنيا النقيصة



هم لا محالة ذات يوم يدركون..

من خلف وعى الجهل حتماً

من تكون⁽¹⁾

أبو عبيدة حسن

كشف شيوخ المعهد العلمى بأمدردمان، منذ الوهلة الأولى، عن عدااء شديد ومعارضة قوية للأستاذ محمود ولمشروع. كان البون شاسعاً بين الأستاذ محمود المفكر ومشیخة المعهد العلمى حيث الفقه والفقهاء، وقد تجلّى ذلك باكرأ من خلال المساجلات والمداخلات التى كانت تتم فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى فى المحاضرات والندوات التى كان يقيمها المعهد العلمى فى مناسبات مختلفة، وكان يحضرها الأستاذ محمود، وأحياناً يشارك فيها كمتحدث. هناك فصل ضمن هذا الكتاب خصصته لتناول موضوع: "الأستاذ محمود والمعهد العلمى بأمدردمان (أزهر السودان)". إن أوضح حدث يمكن أن يؤرخ لبداية عدااء مشیخة المعهد العلمى للأستاذ محمود، وقد تبعه أول تشويه للفكرة الجمهورية، هو حادث فصل تلاميذ الأستاذ محمود من المعهد العلمى. فقد عرف

(1) أبو عبيدة حسن، "الرسالة الأخيرة"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، صحيفة الأضواء، الخميس 18 يناير 2007.

الحدث بفصل الطلبة - (الطلاب الثلاثة)⁽¹⁾، بينما أطلق عليه الأستاذ محمود فى يوم 31 يناير 1960، "نكبة المعهد العلمى المؤسفة"⁽²⁾. قامت على ضوء هذا الحدث مساجلات صحفية بين الأستاذ محمود وشيخ المعهد العلمى بأمدرمان، شيخ العلماء محمد المبارك عبدالله (1905-1990) ومعه مشايخ المعهد العلمى. كان ميدان المساجلات صحيفة السودان الجديد. (سيأتى تفصيل ذلك لاحقاً ضمن فصل: "الأستاذ محمود والمعهد العلمى بأمدرمان"). على إثر نكبة فصل الطلبة وما تم من مساجلات صحفية حولها، وعلى إثر ما تم سابقاً من مجادلات مع الأستاذ محمود فى محاضرات وندوات متفرقة، دخل الفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء السودان" إلى حلبة النقد وبعدها ظاهر للأستاذ محمود. كان الأستاذ محمود قد أصدر عقب نكبة فصل الطلبة وما تبعها من تشويه للفكرة الجمهورية، كتاب: الإسلام. يقول الأستاذ محمود:

ولقد خرج هذا الكتاب عقيب حادث فصل الطلبة الجمهوريين الثلاثة من المعهد العلمى، وما صحب ذلك الفصل من تشويه شديد للفكرة الجمهورية. ولقد حاولنا تصحيح ذلك التشويه فلم يتيسر لنا النشر، ولقد مُنعنا المحاضرات فى الأندية، وفى دور العلم المختلفة. خرج هذا الكتاب فى طبعته الأولى مركزاً، شديد التركيز، مضغوطاً، كأشد ما يكون الضغط، ومع ذلك، فهو الكتاب (الأم) بالنسبة للحزب الجمهورى.. فيه كل ما نريد أن نقول عن الإسلام، فلم يبق أمر مستأنف، إلا أن يكون زيادة شرح، وزيادة توسيع لما جاء فيه موجزاً⁽³⁾.

(1) "بيان من إدارة المعهد العلمى عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، البحث والمناظرة، السودان الجديد، العدد: 3909، التاريخ: 1960/1/28. جاء فى البيان أن مشيخة المعهد قد أصرت على فصل الطلاب الثلاثة. كان اثنان منهم من الذين التحقوا بمعهد أمدرمان هذا العام فى السنة الأولى بقسم الشريعة من طلاب المعاهد الحاصلين على الشهادة الأهلية وهما: 1. إبراهيم يوسف، من معهد مدنى ومن بلدة سعادة من ضواحي مدنى. 2. محمد خير على محيسى (فى الأصل وردت مخير المحيسى، والصحيح ما أوردته) من معهد النهود التحق به بعد أن درس إلى السنة السابعة بمعهد مدنى وهو من أهالى تنقسي. أما الطالب الثالث فقد التحق بالمعهد هذا العام فى السنة الأولى بالقسم الثانوى من طلاب العاصمة الحاصلين على الشهادة الابتدائية وهو: أحمد عبدالرحمن العجب من معهد عبدالنعم ومن بلدة اللعونة القضيفيم مركز مدنى.

(2) محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمى"، البحث والمناظرة، السودان الجديد، العدد: 3911، التاريخ: 1960/1/31.

(3) محمود محمد طه، محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الإسلام، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثانية.

بعد صدور كتاب: **الإسلام**، ظهر أول كتاب فى نقده وكان بعنوان: مع نبى آخر الزمان⁽¹⁾، أعده محمد على يوسف. يعد الكتاب من أوائل المحاولات النقدية. أخذ الكتاب بأسلوب التهكم وسلك مسلك السخرية، كما أفادنا مؤلفه، الأمر الذى انتفت معه العلمية والموضوعية. وصف محمد على يوسف كتابه قائلاً: "هذا نقاش يدور حول بعض الأوهام والأباطيل التى جاءت فى كتاب صغير لمحمود محمد طه أسماه الإسلام"⁽²⁾. وعن غرضه من نشر الكتاب وعن أسلوبه الذى سلكه فى الرد كتب قائلاً: "... أثرت أن أكتب هذا الكتاب، وأن أنشره، ... وغرضى من كل ذلك هو إبراز عقلية محمود وعقيدته بشكل واضح... والأسلوب الذى سلكته فى الرد هو الأسلوب الوحيد الذى لا يجدى غيره بل لا يتأتى سواه فى مثل هذه الحالة... وهل ثم غير السخرية والتهكم... أم ترد عليه باعتباره خليطاً (فذاً) عجباً، جامعاً بين الكفر والإيمان"⁽³⁾. صدر الكتاب بدون تاريخ نشر، ولكن الراجح فى تقديرى، أنه صدر فى بداية النصف الأول من ستينيات القرن الماضى، لأن كتاب **الإسلام** صدر فى مارس من عام 1960. توالى بعد ذلك المقالات والإصدارات ولكنها تكتفت بشكل كبير قبيل وبعد محكمة الردة فى نوفمبر عام 1968. فهذا حسين محمد زكى، وهو المدعى الثانى أمام محكمة الردة التى كانت فى عام 1968، أصدر كتاباً بعنوان: **القول الفصل فى الرد على: محمود محمد طه**⁽⁴⁾. تضمن الكتاب أربعة تعقيبات لأربعة أساتذة بجامعة أمدرمان الإسلامية جاءت فى صدر الكتاب، فأصبحت جزءاً منه. والأساتذة هم كما جاء وصفهم فى الكتاب⁽⁵⁾: الأستاذ الكبير الدكتور سليمان دنيا، أستاذ علم الفلسفة الإسلامية بجامعة أمدرمان الإسلامية، والأستاذ الكبير الدكتور محمد السيد ندا، أستاذ علم الحديث الشريف بجامعة أمدرمان الإسلامية، والأستاذ الكبير الدكتور الحسينى هاشم، المحاضر بجامعة أمدرمان الإسلامية وأستاذ علم التصوف الإسلامى، الأستاذ العلامة الشيخ محمد محمود شاهين مبعوث الأزهر الشريف لمعهد أمدرمان

(1) محمد على يوسف، مع نبى آخر الزمان، ط 1، (بدون تاريخ ومكان نشر).

(2) المرجع السابق، ص 3.

(3) المرجع السابق، ص 4.

(4) حسين محمد زكى، القول الفصل فى الرد على: محمود محمد طه، (بدون تاريخ ومكان نشر).

(5) المرجع السابق، ص 42.

الثانوى. جاء فى ذيل تعقيبات بعض هؤلاء الأساتذة تاريخ كتابة التعقيب، فقد ورد ديسمبر 1968، وكذلك ورد يناير 1969 الأمر الذى يعطى فكرة تقريبية عن تاريخ نشر الكتاب. أيضاً، أصدر النور محمد أحمد، الفكر الجمهورى تحت المجهر⁽¹⁾. كذلك ألف الأمين داؤد محمد، عدداً من الكتب فى نقد الأستاذ محمود. كان الأمين داؤد، المدعى الأول أمام محكمة الردة عام 1968، وهو المحاضر الأول (آنذاك)، وأستاذ الشريعة المساعد (فيما بعد) بجامعة أمدرمان الإسلامية، منها: نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه⁽²⁾، وكتاب: دجال السودان⁽³⁾، وكتاب: الاختلاط فى مذاهب مسيئة الثانى الكذاب⁽⁴⁾.

دخلت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان فى الجدل المكتوب فأصدرت عام 1977 كتاباً بعنوان: الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين⁽⁵⁾. تهيكّل الكتاب فى مقدمة (3 صفحات) وعدد من الدراسات والوثائق. كانت هناك دراسة كتبها محمد أحمد عارف بعنوان: "نقد الأسس العامة للفكر الجمهورى" (50 صفحة). وتضمن الكتاب تقريراً أعده أحمد البيلى بعنوان: "تقرير مبدئى حول أفكار الأستاذ محمود محمد طه" (14 صفحة)، جدير بالذكر أن تقرير البيلى كان قد نشر من قبل، فى يوليو عام 1974)، كان أحمد البيلى مديراً للدراسات الدينية بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف آنذ. تضمن الكتاب أيضاً مذكرة كتبها السيد/ وزير الشؤون الدينية والأوقاف، عون الشريف قاسم (1933-2006): بعنوان: "مذكرة حول جماعة محمود محمد طه" (5 صفحات)، وتضمنت الصفحات العشر الأخرى ثلاث وثائق هى: خطاب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وقرار رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وصورة الحكم الصادر من محكمة الخرطوم الشرعية العليا. كان الإخوان

(1) النور محمد أحمد، الفكر الجمهورى تحت المجهر، بدون تاريخ ومكان نشر.

(2) الأمين داؤد، نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه، ط2، المطبعة الحكومية، الخرطوم، 1974.

(3) الأمين داؤد محمد، دجال السودان، 1978.

(4) الأمين داؤد، الاختلاط فى مذاهب مسيئة الثانى الكذاب، 1977.

(5) الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الخرطوم، 1977.

الجمهوريون قد ردوا على تقرير أحمد البيلي، مدير مصلحة الدراسات الدينية، بالأمانة العامة للشؤون الدينية حينما وقع فى أيديهم فى شهر يوليو من عام 1974. إذ نشروا كتاباً قالوا فى مقدمته: "هذه مقدمة كتابنا الذى اخترنا له اسم: **الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية والأوقاف**، هادفين من ورائه الى كشف الاتجاهات الرجعية التى بدأت تسيطر على بعض الأجهزة الرسمية فى بلادنا"⁽¹⁾. وعن قصة الكتاب كتبوا قائلين:

وقع فى أيدينا، قبل أيام قليلة، منشور من عدة صفحات، كتبه السيد أحمد البيلي، مدير مصلحة الدراسات الدينية، بالأمانة العامة للشؤون الدينية، فى شهر يوليو من هذا العام.. ولقد استهدف المنشور، على حد زعم كاتبه "تقويم وتقييم" الفكرة الجمهورية التى اطلع على تسع وثائق من كتبها.. وبكل الأسف جاء ذلك المنشور خالياً تماماً من الفكرة الجمهورية، وحاوياً لاتهامات جاهلة، ومغرضة، ما كان يمكن أن تقوم عند كاتب الشؤون الدينية لو قد اطلع على كتب "الدعوة الاسلامية الجديدة" التى زعم أن منها وثائق بين يديه، اللهم إلا إذا قلنا أن غرضه المبني للنيل من هذه الدعوة أعماء عن الفهم، وعن المسؤولية، ليتمكننا الله منه، ومن أمانته العامة التى كلفته بمهمة هذا التقرير..⁽²⁾

أضاف الإخوان الجمهوريون فى خاتمة كتابهم قائلين: "ونحن نعلم أن السيد مدير مصلحة الدراسات الدينية، وأضرابه من الفقهاء، والوعاظ، وعامة السلفيين الذين تستخدمهم الشؤون الدينية، ضحايا تفكير دينى خاطئ، وتعليم دينى متخلف، عطل ملكاتهم، وجمد فكرهم، وعزلهم عن تيار الحياة الجديدة"⁽³⁾. الشاهد أن هذه مجرد إشارات ويمكن للقارئ أن يطلع على الكتابين. فالكتابان متوفران.

أيضاً، أصدر عبد الجبار المبارك موسى، كتاباً بعنوان: **الكتاب الأول من: الفكرة الجمهورية فى الميزان**⁽⁴⁾، يقع الكتاب فى (127) صفحة من القطع المتوسط. فالنسخة التى

(1) بتول مختار وآخرون، **الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، أمدرمان، 1974، ص 1.

(2) المصدر السابق، ص 1.

(3) بتول مختار وآخرون، **الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية**، مصدر سابق، ص 95.

(4) عبد الجبار المبارك موسى، **الكتاب الأول من: الفكرة الجمهورية فى الميزان**، مطبعة دار الطابع العربى، الخرطوم، (د. ت. ن.).

بحوزتى بدون تاريخ نشر ولكن هناك إشارات لبعض الوقائع بتاريخها تفيد بأن الكتاب صدر بعد عام 1975. أشار الكاتب إلى أن هذا الكتاب هو الأول من سلسلة ينوى إصدارها بعنوان: **الفكرة الجمهورية فى الميزان**، وتتكون من ستة كتب، ويبدو أن الكاتب لم يتمكن، على حد علمى، من إصدار سوى الكتاب الأول من سلسلته. فى بداية الثمانينيات ظهرت مخطوطة كتاب بعنوان: **رسالة فى الرد على: محمود محمد طه⁽¹⁾**، تأليف عبدالباقى يوسف نعمة. وقد أطلعت على المخطوطة فى مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية بأمدرمان. تقع المخطوطة فى (182) صفحة من القطع الكبير، بالإضافة إلى ملاحق فى (14) صفحة. كانت الملاحق عبارة عن ثلاث رسائل موجهة إلى رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف). كانت الرسالة الأولى باسم أم سلمة عبدالباقى، جامعة أمدرمان الإسلامية، والرسالتان الأخريان باسم سر الختم الحسن عمر إحداهما كانت بتاريخ 20 نوفمبر 1984. كانت الرسائل عبارة عن إبداء رأى وتحكيم لمخطوطة الكتاب. كشفت الرسائل فى ثناياها عن أن مخطوطة الكتاب تقع ضمن الدراسات التى جاءت بناءً على سعى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف بالسودان (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)، لاستكتاب الأساتذة ليردوا على الأستاذ محمود. (سيأتى تفصيل ذلك فى الصفحات القادمة). يبدو أنه وفى ظل هذا الاستكتاب ظهرت العديد من الدراسات ضد الأستاذ محمود، هذا إلى جانب المؤسسات الإسلامية التى مولت نشر بعض الدراسات، وسيأتى تفصيل ذلك.

الشاهد أن جامعة أمدرمان الإسلامية انتقلت بعد ذلك إلى مرحلة جديدة فى موقفها من الأستاذ محمود، إذ ابتعثت أحد الطلاب لنيل درجة الدكتوراة من المملكة العربية السعودية، فالطالب (آنذاك) شوقى بشير عبدالمجيد درجة الدكتوراة عام (1403/1404 - 1983/1984م)، وكانت رسالته بعنوان: **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها⁽²⁾**. أتبع شوقى نيله

(1) عبدالباقى يوسف نعمة، رسالة فى الرد على: محمود محمد طه، (بحث مطبوع)، اطلعت على البحث فى مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية، المكتبة المركزية، تحت رقم التسجيل (92844)، أمدرمان.

(2) شوقى بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، (رسالة دكتوراه مقدمة لنيل درجة الدكتوراة فى العقيدة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1404 هـ [1983 م].

للدكتوراة بنشر العديد من الكتب والأوراق، منها كتابان الأول بعنوان: موقف الجمهوريين من السنة النبوية⁽¹⁾، والكتاب الثاني بعنوان: منهج الجمهوريين في تحريف القرآن⁽²⁾. وعدد من الدراسات منها: "التأويل الباطني عند فرقة الجمهوريين بالسودان"⁽³⁾، و"الجمهوريين"⁽⁴⁾ ومشايخ الصوفية"⁽⁵⁾، و"فرقة الجمهوريين في السودان"⁽⁶⁾. كما ساهمت أطروحة شوقي في تصميم المقرر الدراسي بجامعة أم القرى عن الجمهوريين كواحدة من الفرق المعاصرة⁽⁷⁾. أيضاً، قدمت رسالة ماجستير بعنوان: نقض نظرية الإنسان الكامل عند الجمهوريين⁽⁸⁾، من إعداد الطالب: الباقر عمر السيد، بجامعة أمدرمان الإسلامية. كذلك، أصدر محمد نجيب المطيعي، وهو من مصر، وقد عمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية، أصدر كتاباً بعنوان: حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة⁽⁹⁾، وكان قبل ذلك أعد تقريراً بعنوان: "النبا الأثيم أو الهوس اللاديني الذميم"، وقدمه عام 1983 لمدير جامعة أمدرمان الإسلامية. نشر المطيعي تقريره ضمن كتابه هذا، ونُشر التقرير كذلك ضمن كتاب صنفه أساتذة جامعة أمدرمان الإسلامية

(1) شوقي بشير عبدالمجيد، موقف الجمهوريين من السنة النبوية، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، 1987.

(2) شوقي بشير عبدالمجيد، منهج الجمهوريين في تحريف القرآن، دار الفكر، الخرطوم، 1989.

(3) شوقي بشير عبدالمجيد، "التأويل الباطني عند فرقة الجمهوريين بالسودان"، دراسات دعوية، مركز الدعوة وتنمية المجتمع، جامعة إفريقيا العالمية، العدد (9)، يناير 2005، الخرطوم؛ شبكة المشكاة الإسلامية، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 18 أغسطس 2011، الموقع على شبكة الإنترنت:

<http://www.meshkat.net/index.php/meshkat/index/5/5111/content>

(4) الصواب الجمهوريون، ولكن وردت في المصدر الجمهوريين.

(5) شوقي بشير عبدالمجيد، "الجمهوريين ومشايخ الصوفية"، صحيفة المحرر، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 17 يوليو 2011، الموقع على شبكة الإنترنت: <http://almuharrir.com.sd/print/1631>

(6) شوقي بشير عبدالمجيد، "فرقة الجمهوريين في السودان"، الرائد، سلسلة الكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 17 ديسمبر 2011، الموقع على شبكة الإنترنت: <http://alrased.net/site/topics/view/85>

(7) "المبحث الأول: التسمية والنشأة"، المقررات الدراسية: الباب الثاني، الفرق المعاصرة، الفصل الرابع: الجمهوريون، من موقع جامعة أم القرى، الاسترجاع (Retrieved) 13 يونيو 2011، الموقع على الإنترنت: <http://uqu.edu.sa/page/ar/185820>

(8) الباقر عمر السيد، نقض نظرية الإنسان الكامل عند الجمهوريين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير (1415/1414 - 1994/1993)، إشراف الدكتور شوقي بشير عبدالمجيد، قسم الدراسات العليا، كلية أصول الدين، جامعة أمدرمان الإسلامية، أمدرمان السودان.

(9) محمد نجيب المطيعي، حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة، 1986، (د. م. ن).

عن الجمهوريين، سترد الإشارة إليه لاحقاً. كما نشر المكاشفى طه الكباشى، كتاب بعنوان: **تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان بين الحقيقة والإنارة**⁽¹⁾، وكتاب آخر بعنوان: **الردة ومحكمة محمود محمد طه فى السودان**⁽²⁾، أيضاً، نشر محمد حسان كسبه، كتابين ضمن سلسلة الفكر الباطنى، كان الكتاب الأول بعنوان: **الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين**⁽³⁾، والكتاب الثانى بعنوان: **موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين**⁽⁴⁾. وقد نشرتهما الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة، مصر. لقد ذكر كسبه أنه زار السودان قبل تأليفه للكتابين. سترد الإشارة لكتابيه لاحقاً.

كانت محكمة الردة 1968، محطة فاصلة فى معارك الأستاذ محمود مع "علماء السودان" والفقهاء والقضاة الشرعيين. فقد تبعها كما ورد أنفاً إصدار عدد كبير من الدراسات. كما هبَّ صدور الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام لقيام تحالف إسلامى واسع ضده، وتآلب عامة الناس فى السودان عليه وعلى تلاميذه، إلى جانب استجابة أئمة مساجد السودان والوعاظ والخطباء للدعوة والمناشدة التى قدمها لهم "علماء السودان" للوقوف ضد الأستاذ محمود وتلاميذه. أشدت المواجهة بعد محكمة الردة. ففى أول منشور أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة نوفمبر 1968، برز أشد صلابة واستعداداً لاستمرار المواجهة، فأعلن موقفه من الحكم، ومن أمر المحكمة له بالتوبة، وبين رأيه بقوة فى قضية المحكمة وفى القضية الشرعيين، قال الأستاذ محمود (أنظر ملحق رقم: "39"):

لقد كنت أول وأصلب من قاوم الإرهاب الاستعمارى فى هذه البلاد... وقد فعلت ذلك حين كان القضاة الشرعيون يلحقون جزم الإنجليز، وحين كانوا فى المناسبات التى يزهو فيها الاستعماريون يشاركونهم زهوهم ويتزينون لهم بالجلب

(1) المكاشفى طه الكباشى، **تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان بين الحقيقة والإنارة**، ط2، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، 1986.

(2) المكاشفى طه الكباشى **الردة ومحكمة محمود محمد طه فى السودان**، مرجع سابق.

(3) محمد حسان كسبه، **الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين**، سلسة الفكر الباطنى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة، المنصورة، 1986.

(4) محمد حسان كسبه، **موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين**، سلسلة الفكر الباطنى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة، المنصورة، 1986.

المقصبة المزركشة التي أسماها لهم الاستعمار (كسوة الشرف) وتوهموها هم كذلك، فرفلوا فيها واختالوا بها، وما علموا أنها كسوة عدم الشرف ولكن هل ينتظر منهم أن يعلموا؟ سنحاول تعليمهم.. والأيام بيتنا.. أما أمركم لى بالتوبة عن جميع أقوالى فإنكم أذل وأخس من أن تطمعوا فى.. وأما إعلانكم ردتى عن الإسلام فما أعلنتم به غير جهلكم الشنيع بالإسلام، وسيرى الشعب ذلك مفصلاً فى حينه، هل تريدون الحق أيها القضاة الشرعيون؟ إنكم آخر من يتحدث عن الإسلام فقد أنيتم شبابكم فى التمسح بأعتاب السلطة من الحكام الإنجليز والحكام العسكريين، فأريحو الإسلام، وأريحو الناس من هذه الغثاة⁽¹⁾.

استمر الأستاذ محمود فى المواجهة فنشر وكذلك تلاميذه، الإخوان الجمهوريون، عدداً من الكتب والبيانات التى تدحض دعاوى القضاة الشرعيين وعلماء السودان، وتفنّد ما ورد فى الكتب والدراسات التى صدرت، وتكشف ضعف الحجج وزيف الشهادات أمام محكمة الردة عام 1968. فالكتب كثيرة جداً ويمكن الاطلاع عليها فى قائمة الملاحق، فقط هنا سأقدم نماذج منها. علماً بأن الأستاذ محمود وتلاميذه قد بذلوا جهداً ضخماً فى تبين موقفهم ودحض حجج معارضيههم. فقد أصدر الأستاذ محمود وتلاميذه سلسلة كانت بعنوان: **بيننا وبين محكمة الردة⁽²⁾**، تضمنت هذه السلسلة، عدداً من الكتب والمحاضرات⁽³⁾. كما صدرت العديد من الكتب منها كتاب: **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين⁽⁴⁾**، وكتاب: **الدين ورجال الدين عبر السنين⁽⁵⁾**، وكتاب: **بيننا وبين الشؤون**

(1) محمود محمد طه، "بيان ثمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين"، أمدردان فى 19/11/1968، أول بيان أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة عام 1968.

(2) محمود محمد طه، **بيننا وبين محكمة الردة**، أمدردان، 1969.

(3) كانت هناك محاضرات عديدة منها على سبيل المثال: محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة)، مُسجلة بصوته، وقد نُظمت بمدينة عطبرة، عام 1969، ويمكن الاطلاع عليها بموقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: www.alfikra.org

(4) الإخوان الجمهوريون، **مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين**، مصدر سابق.

(5) الإخوان الجمهوريون، **الدين ورجال الدين عبر السنين**، أمدردان، 1975.

الدينية وأساتذتها من أزهرين وسعوديين⁽¹⁾، وكتاب: اسمهم الوهابية وليس اسمهم أنصار السنة⁽²⁾، وكتاب: ليسوا علماء السودان وإنما علماء آخر الزمان⁽³⁾، وكتاب: التهافت⁽⁴⁾، وماذا بعد التهافت؟⁽⁵⁾، وكتاب: علماء بزعمهم - الكتاب الأول⁽⁶⁾، وعلماء بزعمهم الكتاب الثاني⁽⁷⁾. كتب الإخوان الجمهوريون كثيراً في نقد الأزهر وفي نقد فقهاء مصر ونقد مواقفهم من الأحداث في السودان، فقد نشر الإخوان الجمهوريون كتاباً بعنوان: مقترحات الأزهر للدستور الإسلامي جهالة لا تمثل الدين⁽⁸⁾، وكتاب بعنوان: هذا هو الشيخ محمد متولى الشعراوى⁽⁹⁾، وغيرها من الكتب والمنشورات والبيانات. كما ظل الإخوان الجمهوريون يصدرن بشكل مستمر الكتب والبيانات كلما حلت ذكرى محكمة الردة 18 نوفمبر 1968. وقد تضمنت معظم هذه الكتب إشارات للمدعين أمام محكمة الردة، الشيخ الأمين داؤد، وحسين محمد زكى بدحس حججهم والردود على كتاباتهم وشهاداتهم فى المحكمة. تبع ذلك أن رفع الإخوان الجمهوريون قضية جنائية ضد الأمين داؤد، تحت المادتين (435) و (441) من قانون عقوبات السودان "الكذب الضار والسب". كذلك حينما أصدر الأمين داؤد كتاب: دجال السودان⁽¹⁰⁾، رد الإخوان الجمهوريون على كتاب الأمين داؤد، ضمن سلسلة من الكتب كانت بعنوان: وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد - الكتاب الأول⁽¹¹⁾، فالكتاب الثانى حتى الكتاب الخامس، وقد صدرت جميعها فى الفترة ما بين يناير 1978 - أبريل 1978. ثم جاء الكتاب السادس، وهو عبارة عن رد

(1) الإخوان الجمهوريون، بيننا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهرين وسعوديين، أمدردان، 1975.

(2) الإخوان الجمهوريون، اسمهم الوهابية وليس اسمهم أنصار السنة، أمدردان، 1976.

(3) الإخوان الجمهوريون، ليسوا علماء السودان وإنما علماء آخر الزمان، أمدردان، 1976.

(4) الإخوان الجمهوريون، التهافت، أمدردان، 1976.

(5) الإخوان الجمهوريون، ماذا بعد التهافت؟، أمدردان، 1976.

(6) الإخوان الجمهوريون، علماء بزعمهم - الكتاب الأول، أمدردان، 1976.

(7) الإخوان الجمهوريون، علماء بزعمهم - الكتاب الثانى، أمدردان، 1976.

(8) الإخوان الجمهوريون، مقترحات الأزهر للدستور الإسلامى جهالة لا تمثل الدين، ط1، أمدردان، 1979.

(9) الإخوان الجمهوريون، هذا هو الشيخ محمد متولى الشعراوى، ط1، أمدردان، 1981.

(10) الأمين داؤد، دجال السودان، مصدر سابق.

(11) الإخوان الجمهوريون، وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد، الكتاب الأول، أمدردان، 1978. وهناك الكتاب

الثانى والثالث والرابع والخامس، وقد صدرت كلها فى عام 1978.

مفصل على كتاب: دجال السودان، مع تفنيد دقيق لكتابات الأمين داؤد بدءاً بصحيفة دعوة الحسبة التي رفعها مع حسين محمد زكى، إلى صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان ضد محمود محمد طه فى يوم الثلاثاء 9 نوفمبر 1968⁽¹⁾، مروراً بوقائع محكمة الردة، وحتى كتابه الأخير: دجال السودان. تضمن كتاب: هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": إقرأوا واحكموا⁽²⁾، ردوداً مفصلة على الأمين داؤد، كما وضع الأسس التى قامت عليها معارضة الأمين داؤد للأستاذ محمود ولخصها الكتاب فى الأتى⁽³⁾:

- 1- ينسب إلى الأستاذ محمود محمد طه أقوالاً لم يقلها فى أى من كتبه، بل هى على النقيض، تماماً، من محتوى دعوته.
- 2- ينسب إلى الأستاذ محمود محمد طه أقوالاً سماعية يبدو فيها، واضحاً، التلفيق، أو سوء النقل.
- 3- يورد للأستاذ محمود أقوالاً مبتورة من كتبه، مغفلاً السياق السابق لها، واللاحق بها، بصورة تشوه النص المنقول، وتخل بمعناه تمام الإخلال.
- 4- ينتهى إلى تخريجات خاطئة لأقوال الأستاذ محمود لا يمكن أن تكون هى المعانى المقصودة، لأنها تتناقض حتى مع ما يورده هو للأستاذ محمود من أقوال مبتورة.
- 5- يغفل المعنى الواضح الذى تؤدى إليه بعض أقوال الأستاذ محمود، والمتسق مع سائر أقواله الأخرى، ثم يذهب ليدعى أن الأستاذ محمود قد قصد بها إلى خداع الناس عن أصل دعوته.
- 6- يشفع هذا التشويه المنكر لدعوة الأستاذ محمود بالسباب، والإقذاع، والهاء، كما

(1) الأمين داؤود وحسين محمد زكى، دعوة حسبة لله تعالى، مقدمة إلى السيد صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان ضد محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى بالسودان، الثلاثاء 15 شعبان 1388 الموافق 9 نوفمبر 1968.

(2) الإخوان الجمهوريون، هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": إقرأوا واحكموا، ط 1، أمدرمان، 1978.

(3) المصدر السابق، ص 7-6.

يبدو من عنوان كتابه الأخير. (المقصود كتاب: دجال السودان، وقد أصدره الشيخ الأمين داؤد عام 1978).

7- يعتمد على فتاوى الأزهريين والسعوديين ونشرات وعرائض "علماء السودان" المزعومين، ومحكمة الردة، مغفلاً، إغفالاً تاماً، رد الجمهوريين المفصل عليها، جميعاً.

فى واقع الأمر أن معظم الدراسات ذات الطبيعة الفقهية، والتي صدرت فى نقد الأستاذ محمود ومشروعه، مما وقفت عليه، اتسمت بهذه الأسس المشار إليها أعلاه. قدم كتاب: هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": إقرأوا وأحكموا، نموذجاً مثالياً لهذه الأسس، والتي قامت عليها كتابات الشيخ الأمين داؤد وصحبه. ومن نماذج ردود الأستاذ محمود وتلاميذه على تلك الأسس التى قامت عليها كتابات الأمين داؤد، ما جاء فى الكتاب المشار إليه أعلاه:

واستهل الشيخ الأمين داؤد كتابه ⁽¹⁾ بمقدمة جاء فيها: "فإن دعوة محمود محمد طه دعوة خطيرة تستهدف دين الإسلام عقيدته وشريعته، وخطورة هذه الدعوة تكمن فى أنها تتوارى خلف لافتات كاذبة وعناوين خادعة وهى "الإسلام الجديد فى مستواه العلمى"...". وفرق كبير بين القول "بالإسلام الجديد" والقول بالدعوة "الإسلامية الجديدة"، وقد بين هذا الفرق الأستاذ محمود فى كتابه: **الدعوة الإسلامية الجديدة**، فقال فى مقدمته فى صفحة (2): "عبارة الدعوة الإسلامية الجديدة أساء فهمها.. المعارضون، عن غرض حيناً، وعن قصور فهم، فى كثير من الأحيان، أثاروا حولها كثيراً من التشويه فزعموها تعنى: الإسلام الجديد... وواضح من سياق النص نفسه، أن كلمة "الجديدة" إنما تقع صفة "للدعوة" وليست "لإسلام" ⁽²⁾.

ففى تلك الوجهة، وجهة التشويه لعبارة: الدعوة الإسلامية الجديدة، على أنها الإسلام الجديد، فى تلك الوجهة ذهب أيضاً، محمد حسان كسبه فى كتابيه آنفى الذكر، فقد

(1) المقصود كتاب الأمين داؤد: دجال السودان.

(2) الإخوان الجمهوريون، هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": إقرأوا واحكموا، ط1، مصدر سابق، ص 8-9.

استهل كتابه الأول: **الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين**⁽¹⁾، بعد المقدمة بعنوان فصل أفرد له صفحة كاملة قال فيها: "الإسلام الجديد كما يعرضه رسوله المدعى". ومن النماذج التي وردت في إبراز التحريف والتشويه والدحض لحجج الأمين داؤد، المدعى الأول في محكمة الردة، وحسين محمد زكي، المدعى الثاني، سواء في أقوالهم أمام محكمة الردة أو في كتاباتهم، يقول الأستاذ محمود:

أما المدعى الثاني فأمره عجب فهو ينغمس في مستويات من التشويه والتضليل تجلب العار لأقل الرجال احتفالاً بأمر الأخلاق... وهو يقول عنى: يقول السيد محمود محمد طه في كتابه "الرسالة الثانية من الإسلام" صفحة 87 النص الاتي: "وما من نفس إلا خارجة من العذاب في النار وداخلة الجنة حين تستوفى كتابها من النار، وقد يطول هذا الكتاب وقد يقصر حسب حاجة كل نفس الى التجربة، ولكن لكل قدر أجل ولكل أجل نفاذ والخطأ كل الخطأ، ظن من ظن أن العقاب في النار لا ينتهى إطلاقاً فجعل بذلك الشر أصلاً من أصول الوجود وما هو بذلك وحين يصبح العقاب سرمدياً يصبح انتقام نفس حاقدة" ويقف عند هذا الحد من النقل من كتاب "الرسالة الثانية من الإسلام" من صفحة 87 ثم يذهب ليقول عنى: "فهو بذلك يصف الله تعالى بالحققد" ولو كان هذا الرجل أميناً أبسط أنواع الأمانة لوفر على نفسه هذه الهلكة التي تورط فيها الى أذنيه: ان النص يقول: "والخطأ كل الخطأ، ظن من ظن أن العقاب في النار لا ينتهى إطلاقاً فجعل بذلك الشر أصلاً من أصول الوجود وما هو بذلك وحين يصبح العقاب سرمدياً يصبح انتقام نفس حاقدة لا مكان فيها للحكمة، وعن ذلك تعالى الله علواً كبيراً". أنظر الرسالة الثانية من الإسلام، صفحتي 78، 88 الطبعة الثانية⁽²⁾.

من نماذج التحريف وعدم الأمانة العلمية عبر بتر الشواهد، وإيرادها مبتورة، ما أورده الأمين داؤد في كتابه: **نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه**، كتب الأمين داؤد قائلاً:

-
- (1) محمد حسان كسبه، الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين، مرجع سابق، ص 7.
 (2) محمود محمد طه، بيننا وبين محكمة الردة، ط 1، أمدردمان، 1969، ص 5-9، الإخوان الجمهوريون، مهزلة محكمة الردة مكيده سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين، مصدر سابق، ص 7.

فى صحيفه الرأى العام بتاريخ 1965/1/17 يعترض محمود محمد طه على ربنا اعتراضاً جريئاً بأنه -سبحانه- ليس بعاذل، وهذا الاعتراض لم ينشر فى صحيفه الرأى العام وحدها، بل كرر نشره كثيراً فى عدة صحف وفى كتبه وفى النشرات التى يوزعها على الناس من وقت لآخر. يقول بالحرف "نجد أن حظ المرأة فى تشريع الاسلام الذى بين أيدينا الآن، حظ مبخوس. فهى على النصف من الرجل فى الشهادة، وعلى النصف منه فى الميراث، وعلى الربع منه فى الزواج، وهى دونه فى سائر الأمور الدينية والدنيوية فلماذا؟" (1). ويقف الأمين داؤد عند هذا الحد من النقل من منشور الجمهوريين.. مع أن النص يبدأ هكذا: "وحين نجد أن حظ المرأة فى القرآن، من المسئولية الفردية، مساوياً لحظ الرجل مساواة مطلقة" .. ولكنه يتركه وراءه ليبدأ من "نجد أن حظها فى التشريع الإسلامى الذى بين أيدينا الآن، حظ مبخوس .. الخ ..".

الشاهد أن هذه الكتب متوفرة ويمكن للقارئ أن يطلع عليها، ليقف بنفسه على هذه الفوضى العلمية، والعبث الفكرى، دون أن يكون هناك وصى على عقله. ففى تقديرى هذه الكتب ستكون ميداناً لجولة سجال قادمة، فهى فى واقع الأمر تحتاج لإعادة قراءة وإعادة تحليل.

مثلت محكمة الردة فى نوفمبر عام 1968، لحظة تشكيل التحالف الإسلامى الواسع ضد الأستاذ محمود، إذ توالى الخطابات من خارج السودان من المؤسسات الإسلامية وعلمائها موجهة إلى وزير الشؤون الدينية والأوقاف، وهى تحمل التأيد لحكم الردة، وتحمل الفتوى بردة الأستاذ محمود عن الإسلام. حيث جاءت الخطابات من رابطة العالم الإسلامى، ومن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف (2). تبع قيام التحالف الإسلامى إصدار العديد من الكتب والدراسات لعلماء من داخل السودان وخارجه. كما تم ابتعاث الطلاب كذلك

(1) الأمين داؤد، نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه، ط2، المطبعة الحكومة، الخرطوم، 1974، ص 26.

(2) خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5. ضمن مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة، النشرة اليومية (سونا)، وكالة السودان للأنباء، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405.

إلى الخارج لنيل الدرجات الجامعية العليا في دراسة الفكرة الجمهورية.

التحالف الإسلامي ضد الأستاذ محمود وتلاميذه

ستبقى ذكرى الأستاذ محمود محمد طه قيمة نضالية تمجد الصمود وتدين ممارسة التكفير في وجه التفكير⁽¹⁾.

آمال عباس

بحكم نشأة المعهد العلمي بأمدرمان على غرار الأزهر الشريف في القاهرة، وبحكم الحضور الكثيف والمستمر للأساتذة المبتعثين من الأزهر الشريف إلى المعهد منذ نشأته، وبحكم نفوذ "علماء السودان" والفقهاء والقضاة الشرعيين وعضوية بعضهم في المؤسسات الإسلامية، مثل رابطة العالم الإسلامي وغيرها، كان من السهل قيام التحالف الإسلامي ضد الأستاذ محمود. لقد قام التحالف الإسلامي وأدى دوراً خطيراً ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، وضد السودان ومستقبله لاسيما في موضوع الدراسات، وهي موضع اهتمامي في هذا الفصل، مع أنها متداخلة مع دور التحالف في محكمة الردة الأولى 1968 والثانية 1985، وتنفيذ حكم الاعدام في 18 يناير 1985، إلا أن الحديث عن دور التحالف الإسلامي في الردة سيأتى لاحقاً. لقد تجلّى قيام التحالف الإسلامي وبرز نشاطه ودوره من خلال العديد من المواقف والأحداث، نقدم بعضاً منها بإيجاز:

1- صدر قرار من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وتم نقل القرار عبر خطاب إلى وزير الشؤون الدينية السودانية، واعتبرت الوزارة أن ما جاء في خطاب الرابطة قراراً⁽²⁾. جاء في خطاب رابطة العالم الإسلامي إلى وزير الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان الدكتور عون الشريف قاسم: "من ضمن القضايا الإسلامية التي ناقشها المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته السادسة عشرة

(1) آمال عباس، "معاً لنبد العنف والدعوة للحوار"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/1/27، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(2) الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية في الرد على الإخوان الجمهوريين، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الخرطوم، 1977، ص 78.

قضية (محمود محمد طه) السوداني⁽¹⁾، وبعد "مناقشة الموضوع من جميع جوانبه أصدر المجلس حكمه بالإجماع بارتداد المذكور عن الإسلام تأييداً لما حكمت به المحكمة الشرعية العليا بالخرطوم"⁽²⁾. كما طالب قائلاً: "يجب على المسلمين أن يعاملوه معاملة المرتدين كما يجب مصادرة كتبه أينما وجدت ومنع طبعها"⁽³⁾. (أنظر ملحق رقم: "44").

2- بتواتر الأخبار حكم الشيخ عبدالعزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، بأن ما يقوم به الأستاذ محمود هو من الفساد العظيم والإلحاد. وبناء على ما تواتر خاطب الشيخ عبدالعزيز رئيس جمهورية السودان الديمقراطية. جاء في خطاب الشيخ عبدالعزيز، وهو خطاب كما ورد في صدره (سرى وخاص)، (أنظر ملحق رقم: "42") يقول بن باز⁽⁴⁾:

"من عبدالعزيز عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ الكريم فخامة جعفر بن محمد النميري رئيس جمهورية السودان الديمقراطية... أود أن اعرض على فخامتكم أنه قد تواترت أخبار عما يقوم به المدعو محمود محمد طه سوداني الجنسية من الفساد العظيم والإلحاد والتشريعات عن الإسلام ما لم يأذن به الله ولا رسوله وأن له اتباعاً على باطله. ولا شك أنه يترتب على تركه والاعراض عنه فساد كبير إضافة إلى السمعة السيئة لفخامتكم داخل المجتمع السوداني المسلم خاصة والشعوب الإسلامية عامة".

(1) خطاب من الأمين العام، رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة، مكة المكرمة إلى وزير الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، الرقم: 2631/17/5 التاريخ: 5 ربيع أول 1395، ضمن مجموعة من الوثائق التي قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة، النشرة اليومية (سونا)، وكالة السودان للأنباء، الخرطوم، في 29 ربيع الثاني 1405.

(2) المصدر السابق..

(3) المصدر السابق.

(4) خطاب من عبد العزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، مكتب الرئيس، المملكة العربية السعودية، إلى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، التاريخ: 1395/5/4 هـ، ضمن مجموعة من الوثائق التي قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة، النشرة اليومية (سونا)، وكالة السودان للأنباء، الخرطوم، في 29 ربيع الثاني 1405.

3- فتوى من الأزهر الشريف بالكفر الصراح، و الفكر الملحد. كانت الخطابات في تبادل مستمر بين وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حيث جاء في أحد خطابات المجمع أنه: "فقد وقع تحت يدى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف كتاب الرسالة الثانية من الإسلام تأليف محمود محمد طه"⁽¹⁾، وبعد إشارات لما جاء فى الكتاب، ورد: "وبما أن هذا كفر صراح ولا يصح السكوت عليه فالرجاء التكرم باتخاذ ما ترونه من مصادرة لهذا الفكر الملحد والعمل على إيقاف هذا النشاط الهدام خاصة فى بلدكم الإسلامى العريق"⁽²⁾. (أنظر ملحق رقم: "43").

4- ابتعثت جامعة أمدرمان الإسلامية لأحد الطلاب لنيل درجة الدكتوراة من جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، وكان موضوع دراسته: فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها. لعبت هذه الأطروحة، باعتبارها مرجعاً علمياً، دوراً خطيراً فى الموقف من مشروع الأستاذ محمود، سواء داخل السودان أو خارجه. وسيأتى توضيح ذلك.

5- قام المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف بالسودان (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)، باستكتاب الأساتذة ليردوا على الأستاذ محمود. لم يكن واضحاً ما إذا كان هؤلاء الأساتذة الذين تم استكتابهم، من داخل السودان أم من خارجه، أم كان السعى للاستكتاب يشمل الأساتذة من مختلف أنحاء العالم الإسلامى. فقد ورد فى خطاب كتبه سر الختم الحسن عمر، وهو أحد الذين طُلب منهم إبداء الرأى حول دراسة تم إعدادها فى الرد على الأستاذ محمود، وقُدمت الدراسة إلى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف، فأصدر المكتب التنفيذى توجيهاً للسيد سر الختم الحسن عمر لىبدي رأيه حول الدراسة. كتب سر الختم ضمن الخطاب الموجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية

(1) خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5. ضمن مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة، الشرة اليومية (سونا)، وكالة السودان للأنباء، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405.

(2) خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، مصدر سابق.

والأوقاف، بتاريخ 20 نوفمبر 1984، كتب قائلاً⁽¹⁾:

"فيما يتعلق بإبداء الرأي حول كتاب: رسالة في الرد على محمود محمد طه، فإنني أوضح الآتي:

1- إن المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف يسعى لأن يستكتب أساتذة يردون على فكر محمود محمد طه وبطلانه الواضح، ولكن هذا لا يعنى أن يقبل أى شيء، يقدم إليه دون فحص أو تدقيق فيما يقدم إليه".

لقد وقفت على الكتاب موضوع تبادل الرسائل، فالكتاب لا يزال مخطوطة بعنوان: رسالة في الرد على محمود محمد طه، فى مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية، بأمدرمان. فالمؤلف هو عبدالباقى يوسف نعمة، وكتب تحت اسمه أنه خريج الأزهر الشريف. تقع المخطوطة فى (182) صفحة من القطع الكبير. لن أذهب بعيداً فى الحديث عن ضعفها وغياب التوثيق فيها، إلى جانب الركافة الفكرية والفوضى فى منهج التناول، لن أذهب بعيداً وسأخذ ببعض ما قاله المحكم سر الختم الحسن عمر، وهو أحد المحكمين، وقد ضمن رأيه فى رسالتين ألقتهما بالمخطوطة، يقول سر الختم فى خطابه⁽²⁾:

السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)
تحية طيبة وبعد،

الموضوع: رسالة فى الرد على محمود محمد طه، للشيخ عبدالباقى يوسف نعمة

إشارة إلى التوجيه الصادر من سيادتكم بواسطة موظفى المكتب التنفيذى بإبداء رأى حول الكتاب المذكور أفيد بالآتى:

1- لقد قرأت الكتاب كله وكان همى أن أجِد فى الكتاب ما يدحض فكرة محمود محمد طه الباطلة حتى يخلد اسم الشيخ عبدالباقى يوسف نعمة الذى خلد بتدريس العلم والقرآن

(1) سر الختم الحسن عمر، "خطاب موجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف"، ضمن: عبدالباقى يوسف نعمة، رسالة فى الرد على: محمود محمد طه، مرجع سابق، ص الملاحق.

(2) المرجع السابق، ص الملاحق.

لأبناء السودان الذين يترحمون عليه آناء الليل وأطراف النهار ، فاللهم اغفر له وارحمه.

... -2

3- النصوص التي استشهد بها من كتب محمود محمد طه وغيره من المتصوفة لم يشر إلى الكتاب والصفحة والطبعة، وهو أمر مهم في توثيق النص وفي مثل هذا العمل الذي يرد به على فكرة باطلية. فالنص المستشهد به لا بد من توثيقه بتحديد كتابه المنقول منه وصفحته ومكان الطبع. وقد بدأت توثيق بعض النصوص ويمكن أن تكمل البقية بسهولة.

4- الكتاب فيه هجوم عنيف على الصوفية بجميع اتجاهاتهم المعتدلة والمتطرفة أكثر من الهجوم على محمود ذاته، وهذا أمر يحتاج إلى تمحيص، فهناك جماعة معتدلة لا تدين بما يقول به أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

5- الشيخ (رحمه الله) يبنى رأيه في كتابه على أن ضلال محمود نتج عن تتلمذه للمتصوفة. ولذلك نجد الكتاب من ص 84 إلى ص 150 خرج عن الموضوع ونسى محموداً واتجه بكلية نحو التصوف والهجوم عليه بصورة تجعلنا لا نقف على اسم محمود أو فكره إلا نادراً. (انتهى النص المقتبس من خطاب سر الختم الحسن عمر).

6- قيام المؤسسات الإسلامية بتمويل نشر الدراسات والكتب التي تنتقد الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية، مثل رابطة العالم الإسلامي. فقد "كتب الشيخ محمد أمان بن علي الجامي كتاباً طبع على نفقة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة تحت عنوان: المحاضرة الدفعية عن السنة المحمدية"⁽¹⁾. والكتاب هو عبارة عن محاضرة ألقاها محمد أمان بن علي الجامي الأستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة دفاعاً عن السنة المحمدية وتعقيماً ورداً على النقاط التي استمع إليها محمد أمان في عطبرة في صيف عام 1383هـ عندما كان في زيارة إلى السودان مع بعض الشيبية من طلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"⁽²⁾. أيضاً، كتب الأساتذة بجامعة أمدرمان الإسلامية في عام 1983 كتاباً⁽³⁾ عن فرقة

(1) شوقي بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص 135.

(2) المرجع السابق، ص 135.

(3) ورد أن "هذا الكتاب ما زال مخطوطاً- وهو الآن تحت الطبع". المصدر: شوقي بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص 136.

الجمهوريين، وقد صنف هؤلاء الأساتذة هذا الكتاب استجابة لدعوة كريمة من المرحوم محمد على الحركان، عندما كان رئيساً لرابطة العالم الإسلامي⁽¹⁾. وعن ما يحتويه الكتاب كتب شوقي قائلاً: "ويحتوى على مجموعة مقالات قيمة"⁽²⁾. وهى خمسة مقالات⁽³⁾:

المقالة الأولى: "الحركة الجمهورية وصلتها بالحركات الباطنية فى القديم والحديث، للأستاذ الدكتور محمد أحمد الحاج، مدير سابق بجامعة أمدرمان الإسلامية.

المقالة الثانية: "الإسلام دين وشريعة كل لا يتجزأ"، للأستاذ الدكتور محمد محى الدين عوض، مصرى الجنسية، أستاذ الفقه المقارن بجامعة أمدرمان الإسلامية.

المقالة الثالثة: "النبأ الأثيم أو الهوس اللاديني الذمى"، للشيخ محمد نجيب المطيعى. مصرى الجنسية، عمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية.

المقالة الرابعة: "لماذا دعوة إسلامية جديدة تبشر برسالة ثانية من الإسلام"، الأستاذ الدكتور كمال دسوقي. مصرى الجنسية، أستاذ اجتماع وعلم نفس وصحة عقلية، رئيس قسم التربية بجامعة أمدرمان الإسلامية.

المقالة الخامسة: "انهيار الفكر الجمهورى المناوئ للشرعية الإسلامية الغراء" للدكتور محمد شتا أبو سعد. أستاذ مساعد للقانون المدنى بجامعة أمدرمان الإسلامية، ومستشار بالمحاكم المصرية سابقاً.

تمثلت كذلك جهود المؤسسات الإسلامية فى نشر الدراسات التى أعدت ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، مثلما وصية الشيخ عبدالعزيز بن باز بطباعة كتاب أعده شوقي بشير عبدالمجيد، فطبعته رابطة العالم الإسلامى. يقول شوقي بشير عبدالمجيد، "... كتابى موقف الجمهوريين من السنة النبوية، (الذى طبعت سلسة دعوة الحق - رابطة العالم الإسلامى - 1987 بتوصية من الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - أيام الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الله عمر النصف"⁽⁴⁾.

(1) شوقي بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص 136.

(2) المرجع السابق، ص 135.

(3) المرجع السابق، ص 136-137.

(4) شوقي بشير عبدالمجيد، "الجمهوريين ومشايخ الصوفية"، مرجع سابق.

7- يضاف إلى ذلك أن هناك مؤسسات إسلامية قامت فيما بعد، بإصدارات (موسوعات، كتب... إلخ) ضمنيتها تعريفاً بالحزب الجمهوري وتعريفاً بالأستاذ محمود، لم يكن التعريف علمياً بل كان تشويهاً وجافى الالتزام بالأسس العلمية. كان أوضح نموذج هو: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة⁽¹⁾، والتي أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي. وسيأتى الحديث لاحقاً عن ذلك، فقد خصصت محوراً ضمن الفصل الحادى عشر، بعنوان: "التحالف الإسلامى وغياب الورع العلمى واستمرار التشويه: الندوة العالمية للشباب الإسلامى نموذجاً".

الشاهد أن هذه التحركات والمراسلات بين أطراف التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، القت بظلالها على الدراسات التى صدرت فى النقد من حيث النوع والعدد. فقد اتسمت الدراسات النقدية التى صدرت بالعاطفة والمفارقة للأسس الأكاديمية بما فى ذلك الأطروحات الجامعية، كما لازمها غياب الورع العلمى، ويبدو أنها لم تجد رادعاً أخلاقياً يتصل بالمسؤولية والصدق، دك من سوء الفهم والعلم. فسعت فى أغلبها إلى التضييل والمهاترة والتشهير. إن بعضاً مما ورد فى تلك الدراسات لا يستحق اليوم النظر فيه لسبب بسيط وهو أن الواقع قد تجاوزه ونطق فى بعض القضايا بصحة آراء الأستاذ محمود، مثل ما ورد فى كتاب الأمين داؤد: الاختلاط فى مذاهب مسيلمة الثانى الكذاب، وغيره كثير، ويمكن للقارئ الرجوع لتلك الكتب والتأمل فى ما أتت به. كذلك كان كثير مما ورد فى تلك الدراسات مجافياً للحقيقة ولا يلتزم بالصدق والأسس العلمية. ساقف على نماذج من هذه الدراسات، وهى غير الدراسات التى وردت ردود عليها فى كتب الإخوان الجمهوريين باعتبار أن تلك الردود متوفرة، ولهذا فإننى ساقف على بعض هذه الدراسات من خلال ثلاثة نماذج عبر ما تتسم به من السمات والملامح التالية:

■ نقل النصوص وتجليات الكسل العقلى عند الفقهاء.

■ انخفاض السقف المعرفى وانعدام الورع العلمى .

■ العبث الفكرى والإفلاس الأخلاقى والسجال بلا شرف.

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الرياض، ط2، 1989، ص 183-190.

نقل النصوص وتجليات الكسل العقلي عند الفقهاء: كتاب المكاشفى نموذجاً

كثير من الذين تصدوا لأفكار الراحل ابتنوا معرفتهم لأنكاره على السماع لم يروموا من ذلك غير غرض واحد هو التشهير. ومن بين أولئك طائفة من المتربصين سارعت إلى قراءة ما بين السطور، قبل قراءة السطور، ناهيك عن التمعن فيها، ومن ثم ذهبت تلك الطائفة إلى اختراص المعانى التى يريدون عبر تلك القراءة الزائفة حتى يُقَدِّروا عليها الأحكام بالظن، وبعضُ الظن إنهم⁽¹⁾.

منصور خالد

السمة الأوضح والغالبة على الدراسات التى كتبها الفقهاء والعلماء والقضاة فى نقد الأستاذ محمود هى انعدام الورع العلمى، وانخفاض السقف المعرفى، والا التزام بالأسس العلمية. وفوق كل ذلك عدم الصدق وعدم الالتزام بالمعيار الأخلاقى، إلى جانب النقل، نقل النصوص من بعضهم بعضاً. لقد كانت هناك شبكة واسعة من النقل فيما بينهم، مع الإشارة للمصدر أحياناً، ولعل النقل بالمستوى الذى سنقف عليه، يكشف عن مدى الكسل العقلى وحالة العجز فى السجال الفكرى، ومن ثم الدفع بالسجال بلا شرف ناحية الفقه، وتلك ناحية لا تسعف فى ترفيع السجال وتصاهل الأفكار. كان من أوضح النماذج فى النقل، مع الإشارة لذلك، هو كتاب أعده المكاشفى طه الكباشى.

نموذج كتاب المكاشفى طه الكباشى

واننا لنعتقد ان سجل الدكتور الكباشى فى التخلص من خصومه الفكرين وإرهابهم حتى يلفظوا عقائدهم لا يؤهله لعضوية أى هيئة تدريس فمن الصعب أن نتوقع من الدكتور الكباشى، الذى لا يحتمل خصومة الرأى، أن يقبل من طلابه اعتناق آراء غير التى يعتقدونها ناهيك عن مكافأتهم على مثل هذه الجسارة الفكرية. وبناء عليه فالدكتور

(1) منصور خالد، "محمود الذى عرف"، (محاضرة)، بمناسبة مئوية الأستاذ محمود محمد طه، (1909-2009)، فى الذكرى الرابعة والعشرين لاستشهاده عام 1985، مركز الحاتم عدلان للاستنارة والتنمية البشرية، الخرطوم، 22 يناير 2009.

الكباشى قاصر عن كل مطلوب فى المعلم والباحث⁽¹⁾.

عبدالله على إبراهيم

كان أوضح النماذج، فيما اطلعت عليه، التى أخذت بأسلوب النقل فى نقد آراء الأستاذ محمود، هو كتاب المكاشفى طه الكباشى: **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**. المكاشفى يحمل درجة الدكتوراة، كما ورد فى صدر كتابه أمام اسمه (دكتور)، وهو قاضى المحكمة العليا سابقاً، وأستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بجامعة الملك سعود بالرياض، كما كان رئيساً لمحكمة الاستئناف الجنائية، بالعاصمة القومية، وهى المحكمة التى أصدرت قرارها بتأييد حكم اعدام الأستاذ محمود وأتباعه بتاريخ 15 يناير 1985. كان حكم الإعدام قد أصدرته المحكمة الجنائية رقم (4) بأمرمان، برئاسة القاضى حسن إبراهيم المهلاوى بتاريخ 8 يناير 1985. أورد المكاشفى وصفاً لتنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985 فى كتابه⁽²⁾، وهو وصف يتناقض تماماً مع وصف الذين شهدوا بابتسامة الأستاذ محمود، وهو على منصة المشقة⁽³⁾. الشاهد أن وصف المكاشفى لتنفيذ حكم الإعدام، ليس هو موضع اهتمام عندى، لهذا لن أقف عنده، لأن الذى يهمنى فى هذا المقام هو التناول العلمى لكتابه. يقع كتاب المكاشفى فى (309) صفحات من القطع المتوسط. والكتاب كما كتب مؤلفه "عبارة عن بحث" تناول فيه:

جريمة الردة وعقوبتها فى الفقه الإسلامى بإيجاز مع بيان التطبيقات العملية لحد الردة عبر التاريخ الإسلامى، والرد على الشبهات التى أثبتت حول عقوبة الردة. ثم تناول قضية محمود محمد طه بالتفصيل متاولاً أفكاره وآراءه وموقفها من الإسلام، مع بيان آراء أهل العلم والفقه فى اعتقاداته وأفكاره، ثم تناول محاكمات الردة بالتفصيل مع بيان الطعون حولها،...⁽⁴⁾.

(1) عبدالله على إبراهيم، مذكرة عبد الله على إبراهيم إلى الناخبين الخريجين فى العاصمة القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة فى القانون الجنائى، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفى طه الكباشى، قاضى محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب إيدائه لمخالفته فى رأى. (أنظر ملحق رقم: 49*).

(2) المكاشفى طه الكباشى، **الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان**، مرجع سابق، ص 205-206.

(3) المرجع السابق، ص 205-206.

(4) المرجع السابق، ص 9.

قبل كل شيء أبدأ بالأسئلة التالية: هل يعد نقل الفصول والمباحث كاملة من دراسات الآخرين وجمعها في كتاب، ومن ثم نشره، هل يعد هذا عملاً علمياً يثرى الفكر ويرتقى بالعقل ويخدم النقد أو إحقاق الحق؟ وهل نقل المباحث من دراسات الآخرين وجمعها في كتاب يضيف شيئاً للمكتبة الإنسانية، أو يضيف للمكتبة التي كتب الكتاب بلسانها؟ الشاهد أن المكاشفى نقل في كتابه مباحث وفصولاً بكاملها من كتب لآخرين، وقد أشار إلى نقله لتلك المباحث، وبرر النقل بأنها مباحث مهمة. لهذا، فإن كتاب المكاشفى هو عبارة عن كتاب ضعيف لمجموعة مؤلفين لا تصمد كتبهم مجتمعة أمام النقد المتساهل دك من المعايير الأكاديمية وأسس الورع العلمي، والمسؤولية الأخلاقية. إن الذين نقدوا الأستاذ محمود في القرن الماضي لم يقدموا للمستقبل، الذي هو اليوم وغداً، شيئاً سوى دراسات وكتب تتسم بالضعف والركاكة، وهدر لطاقات الباحثين ومضيعة لأوقاتهم، كما حدث معي. ليس في كتاب المكاشفى جديد يذكر. فالكتاب عبارة عن وثيقة دفاعية تبريرية لدوره في محكمة الردة، فالوثيقة هي عبارة عن استنجد واستدعاء فقد كانت في جلها عبارة عن مباحث منقولة من دراسات لآخرين، أكثر من كونها مساجلة فكرية أو نقداً لآراء الأستاذ محمود وأفكاره بالتفصيل كما أشار المكاشفى لذلك. ولتأكيد صحة ما ذهبت إليه فأنتى أبدأ بتبيين ما نقله المكاشفى من الآخرين وضمه كتابه: الردة ومحاكمة محمود محمد طه في السودان، ويحمد للمكاشفى أن أشار لهذا النقل ولمصادره.

نقل المكاشفى مبحثاً بكامله⁽¹⁾ من كتاب محمد نجيب المطيعي، الصفحات: من 85 إلى 125.

نقل المكاشفى مبحثاً اختاره⁽²⁾ من كتاب النور محمد أحمد، الصفحات: من 126 إلى 134.

نقل المكاشفى مقدمة وخاتمة رسالة دكتوراة⁽³⁾، الصفحات: من 135 إلى 157.

نقل المكاشفى مبحثاً بعنوان: "الطاهاوية"⁽⁴⁾ من كتاب⁽⁵⁾ عبدالله حسن زروق، الصفحات: 157-165.

(1) المرجع السابق، ص 85.

(2) المرجع السابق، ص 126.

(3) المرجع السابق، ص 135.

(4) المرجع السابق، ص 157.

(5) عبدالله حسن زروق، "الطاهاوية"، قضايا التصوف الإسلامي، ط2، هيئة الأعمال الفكرية، الخرطوم، 2006، الصفحات (159-170).

نقل المكاشفى عريضة الدعوى الأولى، محكمة الردة الأولى، تفاصيل المحاكمة، الصفحات: من 168 إلى 186.

نقل المكاشفى وقائع محكمة الردة الثانية قرار المحكمة الجنائية رقم (4) بأمدرمان، الصفحات: من 187-241.

الصفحة رقم: 243 كانت صفحة بيضاء.

الصفحات: من 243 إلى 289 نقل لقرار المحكمة العليا الدائرة الدستورية.

الصفحات: من 301 إلى 309 المراجع والمحتويات.

أما الصفحات المتبقية من كتاب المكاشفى فقد كانت على النحو التالى:

الصفحات: من 1 إلى 4 العنوان وآيات من القرآن الكريم.

الصفحات: من 5 إلى 10 مقدمة.

الصفحات: من 11 إلى 84 الباب الأول: جريمة الردة وعقوبتها فى الفقه الإسلامى.

الصفحات: من 165 إلى 166 نقل للفتاوى: رابطة العالم الإسلامى، وفتوى الأزهر الشريف.

كانت هناك (204) صفحات نقلها المكاشفى من دراسات وكتب لآخرين، فماذابقى من كتابه حتى يتناول آراء الأستاذ محمود وأفكاره؟ لم يبقَ شيء. لقد أشار المكاشفى للنقل ولصداره. هل يقدم كتاب المكاشفى نقداً لآراء الأستاذ محمود؟ هل يمكننى كباحث التعاطى مع كتاب المكاشفى هذا كدراسة علمية؟ علماً بأن كاتب الكتاب، كما ورد أنفاً، يحمل درجة من أرفع الدرجات العلمية، الدكتوراة، وأستاذ جامعى، وفوق كل ذلك فهو من كبار القضاة والعلماء فى السودان وفى العالم الإسلامى. وهو رئيس محكمة الاستئناف الجنائية، التى أصدرت قرارها الخطير بتأييد حكم إعدام الأستاذ محمود. إن أكثر ما يمكن أن يقدمه لنا كتاب المكاشفى هو أننا نستطيع من خلاله أن نتصور نوع الحوار والسجال الذى واجهه الأستاذ محمود، ومن خلال كتابه نستطيع أن نتخيل المستوى لمساجلى الأستاذ محمود ولمحاوريه. لقد تناول المكاشفى آراء الأستاذ محمود من خلال

نقله لآراء الآخرين، ولكن يحمده له أنه أشار لكل هذا النقل ولمصادره. وعلى الرغم من أنني على قناعة تامة بأن مناقشة كتاب مثل هذا، ما هي إلا مضیعة للوقت، مع ذلك فإنني سأعطى الكتاب مسحاً سريعاً لتفصيل بعض مما أوردته مجملأ بشأن النقل. وليت المكاشفى نقل من مصادر أو مراجع تتسم بالرصانة العلمية والمسؤولية الأخلاقية، فمصادر المكاشفى كانت ركيكة وضعيفة وغاب عنها الورع العلمى. لقد تهیكل كتاب المكاشفى فى مقدمة وبابین، اشتمل الباب الأول على فصلین، والثانى على ثلاثة فصول. تناول الباب الأول جريمة الردة وعقوبتها فى الفقه الإسلامى. وفى تقديرى إن هذا الباب القصیر لا ینھض بموضوعه فى ظل معطیات العصر والاستفهامات الفكرية المطروحة اليوم، لقد تجاوز الواقع الفكرى والسیاسى ما ذهب إليه المكاشفى. وسيأتى تناول ذلك لاحقاً ضمن فصل يتناول محكمة الردة الأولى 1968 وآخر يتناول محكمة الردة الثانية عام 1985.

أما الباب الثانى من كتابه فقد خصصه المكاشفى لمحاكمة الأستاذ محمود محمد طه بالردة فى السودان ولنقض أفكار الأستاذ محمود ودحض آرائه بالتفصيل كما أشار. لم يقدم المكاشفى فى هذا الباب تناولاً لأفكار الأستاذ محمود وآرائه بالتفصيل كما أشار؛ وإنما نقل مباحث من كتب آخرين، كما وردت الإشارة فقد نقل من: الأمين داؤد وشوقى بشیر عبدالمجید، ومحمد نجیب المطیعی، وعبدالله حسن زروق. والنور محمد أحمد،... إلخ. عندما نقل مقدمة أطروحة الدكتوراة للطالب شوقى بشیر عبدالمجید وخاتمتها، كتب المكاشفى عن بحث شوقى قائلاً: "كتب شوقى بشیر بحثاً قيماً... نال به درجة الدكتوراة... وسنختار من هذا البحث مقدمة البحث وخاتمته"⁽¹⁾ فأورد المقدمة والخاتمة بما تضمنته من أخطاء علمية فادحة، لا تليق بمستوى الدرجة العلمية التى نالها الطالب وهى الدكتوراة، ولا تليق بالذى استند عليها كمرجع وهو حامل لدرجة الدكتوراة "سيأتى تناولى لأطروحة الدكتوراة هذه، بشىء من التفصيل لاحقاً". ثم نسخ المكاشفى مبحثاً كاملاً من كتاب محمد نجیب المطیعی (خمساً وخمسين صفحة كانت فى كتاب المطیعی من الصفحة رقم: 157 إلى الصفحة رقم: 212)⁽²⁾، كتب المكاشفى عن المطیعی وكتابه قائلاً:

(1) المكاشفى طه الكباشى، الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان، مرجع سابق، ص 135.

(2) محمد نجیب المطیعی، حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة، ط 1، 1986، (د. م. ن)، ص 157-212.

ألف الشيخ محمد نجيب المطيعي صاحب تكملة المجموع وخدام السنة النبوية كتاباً في نقض مفتريات محمود طه وأباطيله بعنوان: **حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة**، ولقد أخذت من هذا الكتاب أحد مباحثه الهامة والتي كانت عبارة عن بحث قدمه الشيخ المطيعي لمدير جامعة أمدرمان الإسلامية آنذاك الدكتور محمد أحمد الحاج عليه رحمة الله تعالى. وهذا هو المبحث بكامله تحت عنوان: "النبا الأثيم أو الهوس اللاديني الذميم". ثم أورد النص⁽¹⁾.

ونسخ المكاشفي حيثيات وعريضة ووقائع محكمة الردة الأولى 1968 والثانية 1985، وتنفيذ حكم الإعدام واستتابة تلاميذ الأستاذ محمود وضمنها كتابه في الصفحات (168-242). أما الصفحات من (243-289) فقد نسخ فيها قرار المحكمة العليا (الدائرة الدستورية) كما جاء في القضية الدستورية رقم ق د 1406/2 المحكمة العليا الخرطوم. وفي ثماني صفحات (290-300) قدم ما أسماه ملاحظات حول الطعن الدستوري. ماذا بقي من كتاب المكاشفي بعد أن نزيح ما نقله وما نسخه من الآخرين؟ لم يبق شيء سوى الغرض. الشاهد أن كتاب المكاشفي طه الكباشي هو عبارة عن وثيقة غاب فيها وعنها كاتبها، فهي تكرار ونسخ لتصوص منتقاة لما قاله آخرون، ومع ذلك فهي لا تفيد في نقد الآراء الفكرية للأستاذ محمود، كما أشار المكاشفي في كتابه، ومع ذلك فهي هشّة أمام النقد، وغير متماسكة في دفعها ومسوغاتها بشأن محكمة الردة. كما أنها بعيدة كلية عن الفكر وعن مناقشة آراء الأستاذ محمود والرد عليها بتفصيل كما أشار في كتابه. إن الكتب التي اعتمد عليها المكاشفي، كما ورد أنفاً، لا ترقى لتقديم سجل شريف وعلمي وأمين. استند المكاشفي في تنفيذ آراء الأستاذ محمود وأفكاره، على مرجع وصفه المكاشفي بالبحث القيم، وهو أطروحة دكتوراة عنوانها: **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**⁽²⁾، التي نال بها أحد الطلاب السودانيين درجة الدكتوراة من جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية. وهي النموذج التالي الذي سأقف عنده.

(1) المكاشفي طه الكباشي، الردة ومحاكمة محمود محمد طه في السودان، مرجع سابق، ص 85.

(2) شوقي بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، مرجع سابق.

نماذج انخفاض السقف المعرفى وانعدام الورع العلمى

فمع محمود محمد طه كانت الحرية هى القاعدة التى ينهض فيها الإسلام،
وكان العقل -لا الوجدان فحسب- مصدراً للحصول على المعرفة لا يقل
أهمية⁽¹⁾.

أحمد ضحية

إن أنصع نموذج لانعدام الورع العلمى، فيما اطلعت عليه من دراسات وكتب فى نقد الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية، هو رسالة الدكتوراة الموسومة بـ: **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**، والتى قام بإعدادها الطالب (آنذاك) شوقى بشير عبدالمجيد. فقد نال بها درجة الدكتوراة عام 1404هـ (1983/1984 تقريباً) فى العقيدة من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، وهو مبتعث من جامعة أدمرمان الإسلامية، أدمرمان، السودان. لقد وقفت على أطروحة الدكتوراة هذه. والدكتوراة كما هو معلوم، من أرفع الدرجات العلمية، لقد درست هذه الأطروحة وخرجت من دراستها بأنها تمثل أنصع النماذج لمستوى السجال والجدل الذى جابهه وواجهه الأستاذ محمود فى السوح السياسية والفكرية، والذى كان يقوم على تقديم الغرض على الوثيقة. فالأطروحة لا تصمد ولا تتماسك أمام نقد النقد، ليس لأنها لم تنهض بموضوعها بشكل كاف فحسب، وإنما لأنها كشفت عن مدى الضعف العلمى والجهل بالتاريخ، والجرأة فى النبل من الجمهوريين بلا وازع معرفى أو ورع أكاديمى. الأمر الذى ينتفى معه سلامة التحليل وصحة الاستنتاجات والخلاصات. فقد اشتملت الأطروحة على خلط للحقائق وأخطاء علمية، تؤهلها بكل بساطة لتصنف فى خانة الدراسات المشوهة للتاريخ وللحقائق. إننى سأتوسع قليلاً فى قراءتى لهذه الأطروحة، دون غيرها من الدراسات، وذلك للأسباب التالية:

(1) أحمد ضحية، "حول أزمة المثقف والسلطة ووحدة قوى السودان الجديد"، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 17 مايو 2011، من سودان للجميع، الجمعية السودانية للدراسات والبحوث فى الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، الموقع على شبكة الإنترنت :

- 1- كانت من أوائل الرسائل الجامعية عن الجمهوريين إن لم تكن الأولى.
 - 2- مثلت، بحكم صبغتها الأكاديمية، أهم المراجع للدراسات التي تمت بعد عام 1983 في نقد الأستاذ محمود ومشروعه.
 - 3- اعتمدت عليها الكثير من الدراسات التي تمت خارج السودان وداخله، وأخذ البعض بما جاء فيها، بحكم صبغتها الأكاديمية، بثقة تامة.
 - 4- كانت الأطروحة حاضرة ضمن المقررات الدراسية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة التي يدرسها الطلاب عن الفرق المعاصرة، ومن بينها فرقة الجمهوريين. وقد استند المقرر على أطروحة الدكتوراة التي قدمها الطالب شوقي بشير عبدالمجيد، وعلى دراساته التي استلها منها لاحقاً أو تلك التي قام بها وهي متصلة بأطروحته للدكتوراة. كان حضور أطروحة شوقي واضحاً في المقررات الدراسية عن الجمهوريين لا سيما: التسمية والنشأة، حيث جاء:
- وقد بين الدكتور شوقي بشير عبد المجيد حقيقة هذه الفرقة الضالة بقوله: " فرقة الجمهوريين بالسودان فرقة باطنية، وذلك لأن مؤسسها وأتباعه ينسبون لكل ظاهر باطنياً، ويمكن أن نطلق ألقاب الباطنية وأسماءها على هذه الفرقة، فهم باطنية، وهم إباحية يدعون إلى انتقال التحريم من الأعيان المحسوسة إلى صور السلوك المعنوية وهم بذلك يستحلون ما حرم الله، وهم خرمية؛ لأن حاصل مذهبهم هو حاصل مذهب الخرمية وهو القول بسقوط التكاليف، ومذهب الجمهوريين في حقيقته مذهب تلفيقى جمع بين الأفكار المناوئة للإسلام⁽¹⁾.
- 5- بعد أن نال شوقي الدكتوراة، استل ونشر عدداً من الكتب والدراسات معتمداً على ما جاء في أطروحته أو على مناخها، وما نشره كتابان وردت الإشارة إليهما، الأول بعنوان: موقف الجمهوريين من السنة النبوية، والكتاب الثاني بعنوان: منهج الجمهوريين في تحريف القرآن. كما نشر عدداً من الأوراق بعضها في أكثر من دورية منها: "التأويل الباطنى

(1) "المبحث الأول: التسمية والنشأة"، المقررات الدراسية: الباب الثانى، الفرق المعاصرة، الفصل الرابع: الجمهوريون، جامعة أم القرى، الموقع على الإنترنت: <http://uqu.edu.sa/page/ar/185820>

عند فرقة الجمهوريين بالسودان"، و "الجمهوريين ومشايخ الصوفية"، و "فرقة الجمهوريين في السودان" ... إلخ.

6- لاحقاً وبعد أن نال شوقي الدكتوراة بأطروحته المشار إليها، ترقى في السلم الأكاديمي بجامعة أمدرمان الإسلامية، فأصبح يشرف على طلاب الدراسات العليا، لا سيما تلك التي درست الجمهوريين، ومن الأمثلة على ذلك إشرافه على رسالة ماجستير بعنوان: **نقض نظرية الإنسان الكامل عند الجمهوريين⁽¹⁾**، إعداد الطالب: الباقر عمر السيد.

لهذه الأسباب مجتمعة ساقف قليلاً عند أطروحة الدكتوراة التي نال بها شوقي بشير عبد المجيد درجة الدكتوراة من جامعة أم القرى بالملكة العربية السعودية. ولكن يصعب تغطية كل الأطروحة في هذه المساحة، فإلى جانب ضيق المساحة في هذا الفصل، فهناك ثلاثة أسباب أخرى تجعل الأمر أكثر صعوبة: الأول أن الأطروحة تنضح بالمغالطات وخطأ الحقائق، ولم تتوفر فيها الشروط الأكاديمية اللازمة، وتعاني الأطروحة كذلك من غياب الورع العلمي سواء فيما ورد فيها من معلومات وحقائق أو فيما خلصت إليه من نتائج وخلاصات. والسبب الثاني أن الأطروحة ضخمة جداً فهي تقع في (1431) صفحة، ومقسمة على مجلدين، الأول من الصفحة (1) إلى الصفحة (692)، والمجلد الثاني من الصفحة 693 إلى 1431. والسبب الثالث إن ما حمله الباب الأول من أخطاء علمية ومغالطات تاريخية يقدم لنا تصوراً كافياً لما يمكن أن يكون عليه ما تبقى من الأطروحة. لهذا ساقف على بعض الجوانب التي تبين صحة زعمى بغياب الورع العلمي بخلط الحقائق والمغالطات والأخطاء التاريخية الفادحة. تهيكلت الأطروحة في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وقائمة للملاحق. تناول الباب الأول من خلال أربعة فصول: "الجمهوريون وتاريخهم ومنشؤهم وأساليبهم في الدعوة"، والباب الثاني وقف من خلال أربعة فصول على: "آراء الجمهوريين الاعتقادية وموقف الإسلام منها". أما الباب الثالث فتناول من خلال خمسة فصول: "آراء الجمهوريين التشريعية وموقف الإسلام منها". لم ينس الطالب أن يشير إلى موقف الجمهوريين من المؤسسات الإسلامية ومن رابطة العالم الإسلامي،

(1) الباقر عمر السيد، مرجع سابق.

وهى الرابطة التى أصدرت قراراً بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وقد وردت الإشارة لذلك، وهذه إشارة مفيدة تدعم صحة قيام التحالف الإسلامى الواسع ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، يقول الطالب فى الصفحة (ج) وهو يتحدث عن الجمهوريين:

كما هاجموا رابطة العالم الإسلامى والبنوك الإسلامية وشركات الاستثمار الإسلامية، وقادوا حملات التشكيك فى المؤسسات الإسلامية، وفى القيم الإسلامية الثابتة، لذلك رأينا أنه لابد من دراسة عقائد هذه الفرقة لقياسها على الكتاب والسنة لبيان زيفها حتى لا ينخدع الناس بها لما يبدو فى مظهرها من آثار إسلامية، وكشف الستر عن حقيقة الجمهوريين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة".

يقول الطالب إن الجمهوريين قادوا حملات التشكيك فى المؤسسات الإسلامية، وفى القيم الإسلامية الثابتة، هنا سؤال مهم يدفع بنفسه وهو: ما هى العلاقة بين رابطة العالم الإسلامى والبنوك الإسلامية وشركات الاستثمار الإسلامية، والقيم الإسلامية الثابتة؟ فتلك مؤسسات إسلامية وهذه قيم إسلامية. وعن منهج البحث، كتب الطالب قائلاً: "سلكت فى هذا البحث منهجاً أذكر أهم معالمة فيما يلى: أولاً: قمت بإحصاء دقيق لكل ما كتبت هذه الجماعة أو ما كتب عنها فكانت بين يدي مادة ضخمة"⁽¹⁾. ثم عدّد الطالب ستة معالم لمنهج. الشاهد أن الطالب لم يبين منهج بحثه وإنما أشار لأهم معالمه ومع ذلك لم يوف تلك المعالم الحد الأدنى من استحقاقها العلمى. ففى أولى صفحات أطروحته، بل فى الصفحة الثانية من مقدمته، انتفى أول معالم منهجه، وظهر أن الطالب لم يحص بدقة، كما أشار، كل ما كتب عن الجماعة، بل ظهر أنه يعانى نقصاً فى معرفته بالتطور السياسى للسودان، وأن معلوماته حول الجمهوريين يشوبها خلط تاريخى كبير. فالطالب يتحدث فى معظم صفحات أطروحته عن الحزب الجمهورى الاشتراكى على أساس أنه هو النواة الأولى لفرقة الجمهوريين (كما سماها) وهو يقصد الحزب الجمهورى الذى ترأسه الأستاذ محمود منذ نشأته فى يوم 26 أكتوبر 1945. والخلط ليس فى اسم حزب فقط وإنما فى المعلومات التى أوردها حول ظروف نشأة الحزب وفلسفته ومبادئه... إلخ إلى جانب

(1) شوقى بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص (س ضمن المقدمة).

التحليلات والاستنتاجات العرجاء. إن إشارات وحديثه بتفصيل مخجل عن الحزب الجمهورى الاشتراكى وهو يقصد الحزب الجمهورى فى عشرات الصفحات، أدى إلى اختلال الباب الأول من الأطروحة، والذي خصصه الطالب للحديث عن الجمهوريين وتاريخهم ومنشئهم، اختلالاً كبيراً فى الناحية العلمية منه يصعب معها قبول الباب الأول كبحث علمى، وبالتالي يتعذر قبول الأطروحة (التي تتكوّن من ثلاثة أبواب) فى أى جامعة تراعى الأسس العلمية والمسؤولية الأخلاقية وتحصر على الصرامة الأكاديمية. كتب الطالب فى صفحة (ب) وهو يشير لنشأة نواة فرقة الجمهوريين قائلاً: "نشأ الحزب الجمهورى الاشتراكى علمانى الاتجاه منذ اللحظة الأولى..."، وفى صفحة (15) يقول:

إن بعض الأحزاب لم تعتمد على السند الدينى فى قيامها فقد نشأت علمانية منذ اللحظة الأولى، بل أن بعضها لم ينشأ اعتماداً على سند شعبى بل نشأت مبنية على أفكار اشتراكية مستوردة حاولوا تطبيقها على أمة يدين معظمها بالإسلام ومن هذه الأحزاب الحزب الجمهورى - فى بداية نشأته - وقبل اعتماده على الفكر الباطنى - فاتجاه الحزب كان واضحاً منذ البداية، فهو حزب علمانى، يدعو إلى النهضة بأى سبيل ويدعو إلى وضع الدين نفسه فى منضدة البحث الفكرى فليس الدين نفسه فى رأيهم - بمنفلة من التشكيك.

وفى صفحة (17) يقول: "والحزب الجمهورى الاشتراكى الذى بحث له عن قاعدة دينية صوفية أو باطنية يعتمد عليها بعد شعوره بأن عدم الاعتماد على السند الدينى أو القبلى يؤدى بالحزب إلى نهايته..."، وفى صفحة (42) يقول: "كما أن الحزب الجمهورى الاشتراكى قد نشأ - منذ اللحظة الأولى - داعياً إلى الحفاظ على المؤسسات الموجودة والتي خلفها الاستعمار عاملاً على إبعاد الدين من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منادياً بإقصاء الدين حتى عن دوائر الأحوال الشخصية". الشاهد أن ما ذهب إليه الباحث فى حديثه عن نشأة الحزب الجمهورى الإشتراكى، لا صلة له البتة بالإخوان الجمهوريين. فنواة الإخوان الجمهوريين التى أشار إليها الطالب هى الحزب الجمهورى الذى نشأ يوم 26 أكتوبر 1945 وليس الحزب الجمهورى الاشتراكى الذى نشأ عام 1951، ودعا إلى استقلال السودان، وقيام جمهورية اشتراكية مستقلة، وكان إبراهيم بدرى (1897-1962) أمينه العام،

ومكى عباس (1909-1979)، أحد مفكره ومنظره، إلى جانب آخرين⁽¹⁾. لقد ظل هذا الخلط ملازماً للطالب فى جل صفحات أطروحتة، بل تجرباً فى صفحة (53) وكتب بلا ورع علمى أو وازع أكاديمى قائلاً:

لابد لنا من الحديث عن الحالة الاقتصادية حتى تتضح لنا صورة نشأة فرقة الجمهوريين كاملة وإن كنا نرى أن الحالة الاقتصادية فى السودان ليست ذات أثر واضح فى نشأة هذه الفرقة أو غيرها من الأحزاب السياسية الموجودة، وإن كان لها أثر فائرها منحصر فى الشعارات التى يرفعها حزب من الأحزاب للكسب السياسى أو فى التسمية التى اختارها الحزب الجمهورى الاشتراكى فى بداية نشأته، فقد اختار الجمهوريون هذه التسمية فى البداية إشارة إلى أنهم سيطرحون فى برامجهم الانتخابية بعض ملامح الفكر الاشتراكى الاقتصادى، وأنهم سيعتمدون على الحلول الاشتراكية فى أحيان كثيرة. وبالفعل طرح محمود محمد طه -بعد الاستقلال- مبدأ المساواة الاقتصادية كطريق لتحقيق العدالة الاجتماعية التى يراها...

وفى صفحة (57) أضاف الطالب لاسم الحزب مفردة "السودانى"، إذ كتب قائلاً: "إن أول نواة لفرقة الجمهوريين، هم مجموعة من السودانيين الذين انضموا إلى الحزب الجمهورى الاشتراكى السودانى، للمساهمة والاشتراك فى الحياة السياسية قبل استقلال السودان... وكانت بداية نشأة الحزب الجمهورى الاشتراكى فى آخر أكتوبر 1945 بزعملة محمود محد طه". ليس هذا فحسب، فقد شطح الطالب بخياله، شطحاً تسنده التصورات المسبقة، أكثر من الوثيقة التاريخية أو المعلومة الدقيقة، فذهب بعيداً فى تحليلاته واستنتاجاته المخجلة والفاصلة علمياً ومنهجياً بسبب غياب الحد الأدنى من المعلومات الصحيحة، ففى صفحة (66) كتب قائلاً:

ولقد أطلق الجمهوريون على أنفسهم اسم (الجمهوريين) للملايسات التى نشأ

(1) أنظر، على عبدالرحمن الأمين، الديمقراطية والاشتراكية فى السودان، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1970؛ خضر حمد، مذكرات خضر حمد: الحركة الوطنية السودانية: الاستقلال وما بعده، ط1، مكتبة الشرق والغرب بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1980؛ محمد عامر بشير، الجلاء والاستقلال، الدار السودانية للكتب، ط1، الخرطوم، 1975؛ محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان (1900-1969)، مرجع سابق؛ محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المآزق التاريخى وآفاق المستقبل، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980؛ محمد خير البدوى، قطار العمر، فى أدب المؤانسة والمجالسة، دار النهار للإنتاج الإعلامى، الخرطوم، 2008.

فيها **الحزب الجمهورى الاشتراكى**، وللاتجاه العام للحزب فقد هدفوا منذ البداية إلى تمييز أنفسهم من بقية الاتجاهات السياسية الموجودة وهدفوا إلى الدعاية السياسية فسموا أنفسهم بهذا الاسم إشارة إلى أنهم هم الذين ينادون بنظام جمهورى اشتراكى يسير عليه نظام الحكم فى السودان بعد أن ينال استقلاله، ويكون الاتجاه المميز للحكم أيضاً الاتجاه الاشتراكى، والغريب فى الأمر أن الجمهوريين عندما يتحدثون عن حزبهم الآن لا يذكرون كلمة (الاشتراكى) هذه.

الغريب حقاً، هو أن الفقرة أعلاه ليس فيها كلمة واحدة صحيحة، كما أن كل الاستنتاجات التى خرج بها الطالب من تحليلاته فى هذه الفقرة، كانت استنتاجات فاسدة وضالة ومضللة. ومحتاجتى هنا ليست بما يقوله الجمهوريون عن أنفسهم، وإنما بما هو ثابت فى المصادر والمراجع الأكثر شهرة ووفرة فى السودان⁽¹⁾. فاسم الجمهوريين لا صلة له بملابسات نشأة **الحزب الجمهورى الاشتراكى**. فى واقع الأمر كان الاقتراح بتسمية الحزب **بالحزب الجمهورى** من أمين مصطفى التنى، اشارة لمطالبتهم بقيام جمهورية سودانية مستقلة عن دولتى الحكم الثنائى، ولم تأت التسمية من الأستاذ محمود الذى أختير رئيساً للحزب. والشواهد على ذلك كثيرة ومتوفرة ومنها المصادر التى أشرت إليها سابقاً، كما ورد الخبر فى صحف عديدة⁽²⁾ فى شهر نوفمبر 1945. يقول الأستاذ محمود فى حوار تم معه فى يوم السبت 22 نوفمبر 1975:

قبل ما ينشأ **الحزب الجمهورى** أنا كانت عندى مقالات فى الصحف .. منها صدر

(1) أنظر، أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، مصدر سابق، ص 95-96، يحيى محمد عبد القادر، على هامش الأحداث فى السودان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، بدون تاريخ نشر، ص 95؛ يحيى محمد عبد القادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، ج 3، مصدر سابق، ص 147/146؛ محمد المهدي المجذوب، نار للجاذيب، (ديوان شعر)، وزارة الإعلام والشؤون الاجتماعية، الخرطوم، 1969، ص 189-192؛ محمد المهدي المجذوب، الشرافة والهجرة، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1982؛ على عبدالرحمن الأمين، مصدر سابق؛ التجانى عامر، "ذكريات: من مذكرات التجانى عامر"، صحيفة الصحافة، العدد 4772، 1975/4/16.. هذه مجرد أمثلة لمصادر ومراجع نُشرت قبل تاريخ نيل الطالب لدرجة الدكتوراة، وقائمة المصادر والمراجع فى هذا الشأن طويلة ولكن أكتفى بهذه النماذج، خاصة وأننى سأتناول الحزب الجمهورى فى محور منفصل وحينها مستم الإشارة لمصادر ومراجع عديدة.

(2) منها: صحيفة الرأى العام وصحيفة السودان الجديد، وصحيفة النيل بتاريخ 4 نوفمبر 1945، وغيرها.

مقال زى يقول: لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟ المقال دا لعله، وبعض النشاط الأدبى فى الصحف المحلية، لفت نظر بعض الإخوان المهتمين برضو بالسياسة، الواحد يذكر منهم أمين مصطفى التنى .. فى يوم زارنى أمين مصطفى التنى وقال لى نحن لقيف من الشبان فكرنا فى إنشاء حزب جمهورى ووقع الاختيار عليك أن تكون معنا.. الفكرة جات من هنا .. أنا ما كانت عندى، لكنها جات من أمين مصطفى التنى .. بعدين مشينا فى الدعوة الوجهوها لينا ، كنا قليلين .. اجتمعنا أول اجتماع فى المقرن .. الناس الأوائل فيهو ، فيهو بجانب أمين مصطفى التنى ، عبد القادر المرضى ومنصور عبد الحميد - ديل موجودين هسه - بعدين واحد من الإخوان زى مدة طويلة ما شفته ، محمود المغربى ، اسماعيل محمد بخيت حبة، موجود هسه، افكرهم ديل الإجمتمعوا أول اجتماع فى المقرن .. أنا كنت بسكن فى الموردة ، قرروا الاجتماع الثانى يكون فى بيتى أنا .. بعدين اجتمعنا الاجتماع الثانى فوزعوا المناصب واختارونى أنا كرئيس واختاروا عبد القادر المرضى سكرتير ... دى بداية نشأة الحزب والملابسات القامت حوله - حول نشأته .. ومن وقتها مشى ليتجه فى نفس الروح بتاع "لماذا مصر ولماذا بريطانيا" (1).

لم يكن البحث والتدقيق من ضمن ما اتسمت به الكتب التى صدرت فى نقد الأستاذ محمود ومشروعه، فقد أفرد محمد حسان كسبه، فى كتابيه: الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين (2)، والكتاب الثانى بعنوان: موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين (3). مساحة لمسألة التسمية، وتحت عنوان: الموقف الأول: فى التسمية ودلالاتها (4)، وذهب كسبه مشرعاً ومنظراً تنظيراً لا صلة له البتة بأصل التسمية كما ورد. يقول كسبه: "ويهمنا هنا أن نتوقف أمام تعبيره "الإخوان الجمهوريين" لنحلل هذه الألفاظ ونفهم معانيها وندرك ما

(1) على الرغم من أن هناك نصاً مشابهاً فى الفصل السابق، إلا أن هذا النص حمل أخباراً إضافية عن سابقه، لهذا التكرار أفاد ببعض المعلومات. المصدر: لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) محمد حسان كسبه، الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين، مرجع سابق.

(3) محمد حسان كسبه، موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق، 29.

ترمز إليه. ومن خلال ذلك نعرف السر في اختيارها كإطار يتجمع في داخله أتباعه⁽¹⁾. ويضيف كسبه وهو يتحدث عن التسمية "الجمهوريون"، يضيف قائلاً:

أما محمود طه فلما كان هدفه ليس الإسلام والغيرة عليه كما يدعى، وإنما هدمه، والانسلاخ منه، وإن تظاهر بغير ذلك، أو تحدث بغير ذلك. فمن أجل ذلك استخدم كلمة الجمهوريين- والجمهور لفظ إذا استخدم انصرف إلى مجموع الناس بصرف النظر عن عقائدهم الخاصة وأصبح يستخدم في العصر الحديث ببدلول معين ذي مغزى سياسى على تفاوت⁽²⁾.

أعود للطالب شوقي في أطروحته للدكتوراة، وهو يتحدث عن مسألة أن الجمهوريين عندما يتحدثون عن حزبهم، لا يذكرون كلمة (الاشتراكي)، فالسبب في تقديري بسيط وهو أنهم لم يكونوا ضمن الحزب الجمهورى الاشتراكي، وهذا أمر ثابت وليس فيه غرابة. لقد تجرباً الطالب في تحليلاته واستنتاجاته، جرأة بلا علم وهى لا تتناسب مع طالب دكتوراة، ينبغي أن يكون قد تلبسه بعض الورع العلمى والأمانة الأكاديمية والقدرة على البحث والتنقيب.

على الرغم من أن الطالب أورد فى المقدمة ستة معالم كانت، كما أشار، هى أهم معالم منهج بحثه، وكتب عن أحدها قائلاً: "ثالثاً: رجعت إلى كتب تاريخ السودان الحديث لمعرفة الأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية التى أسهمت فى نشأة هذه الفرقة"، على الرغم من هذا، فإن كثرة الأخطاء الفادحة وتكرارها فى الأطروحة تجعلها من الضعف بمكان، يصعب معه قبول فكرة أن الطالب بالفعل رجع للكتب والمراجع. ففى ص (68) أتى الطالب بنماذج من الأخطاء الفادحة والتى يمكن قياساً عليها الاستغناء عن متابعة القراءة لأطروحته بسبب ضعفها وركاكة ما ورد فيها، فقد كتب قائلاً: "وقد اشترك الحزب الجمهورى الاشتراكي مع بقية الأحزاب السودانية فى إعداد الاتفاق الذى سجلت بعده الأحزاب السودانية جميعها وثيقة خطيرة يتم على أساسها التفاوض مع مصر، وكان ذلك بعد أن أعدت مصر مذكرة فى 2 نوفمبر 1952 بعثت بها إلى الحكومة البريطانية...". فالذى لا يعرفه الطالب، وكان يمكن أن يعرفه إذا ما أنفق بعض الوقت

(1) المرجع السابق، 1986، 29.

(2) المرجع السابق، 1986، 32.

فى دار الوثائق القومية فى الخرطوم، ليطلع على المصادر والمراجع والوثائق والدوريات، لأدرك أن الحزب الجمهورى الذى ترأسه الأستاذ محمود، لم يشترك منذ نشأته فى إعداد أى وثيقة من الوثائق مع الأحزاب السودانية، سواء كانت الوثيقة خطيرة أو لم تكن خطيرة، بل كان على الدوام له آراء ناقدة وموقف مبدئى رافض لنهج الأحزاب السودانية فى السعى لنيل الاستقلال. كان هذا ديدنه منذ أول وثيقة صيغت ووقعت بين الأحزاب السودانية وعُرفت بوثيقة الأحزاب، وهى الأحزاب المكوّنة لوفد السودان الذى سافر إلى مصر فى مارس عام 1946⁽¹⁾. نصت الوثيقة على قيام سودان مستقل فى اتحاد مع مصر وتحالف مع بريطانيا⁽²⁾. كتب الأستاذ محمود قائلاً:

إن الحزب الجمهورى قد اعترض فى فجر الحركة الوطنية على ما سموه بوثيقة الأحزاب... فى منشور أخرجناه بالرونيو ووزعناه فى أواخر عام 1946 فى شوارع العاصمة وكان عنوانه (لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟؟)... ولما كان الفريق الأول يتمسك بالإنجليز والفريق الثانى يتمسك بالمصريين... ولقد نقدهم الحزب الجمهورى نقداً مرأ قوياً فى ذلك المنشور ونعى عليهم جهلهم وغفلتهم ثم واصل الحملة ضد جهل الحركة الوطنية ولا يزال يفعل إلى يومنا هذا كلما وجد إلى ذلك سبيلاً...⁽³⁾.

الشاهد أن الحزب الجمهورى لم يشترك فى أى وثيقة، سواء بالاتفاق أو التوقيع، مع الأحزاب السودانية، منذ نشأته حتى يوم اغتيال الأستاذ محمود فى يوم 18 يناير 1985، عدا مشاركته لبعض الوقت فى الجبهة الاستقلالية الأولى 1946، والجبهة الاستقلالية الثانية 1955، اللتين ضمّتا الأحزاب الاستقلالية، واللجنة القومية للدستور التى شكّلت فى سبتمبر سنة 1956، وهى لجنة قومية تكونت من 46 عضواً لوضع الدستور الدائم للبلاد⁽⁴⁾. وما لبث أن انسحب الحزب الجمهورى من الجبهتين ومن اللجنة القومية بإعلانات

(1) محمود محمد طه، "بيانات الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، صحيفة أبناء السودان، العدد 166، بتاريخ 1958/11/1.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) إبراهيم محمد حاج موسى، التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم فى السودان، (أطروحة دكتوراة منشورة) جامعة القاهرة، 1970، ص 71؛ فيصل عبد الرحمن على طه، السودان على مشارف الاستقلال الثانى (1954-1956)، ط 1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2010 ص 351.

وخطابات منشورة مع تفصيل لأسباب الانسحاب.

يعمن الطالب شوقي في تشويه التاريخ وخطط الحقائق فيكتب في ص (68) قائلاً: "ولقد اشترك الحزب الجمهورى الاشتراكى فى أول برلمان سودانى، وقد كان ذلك بعد أن بدأ السودان ينعم بثمره اتفاقية السودان التى أبرمت بين مصر وإنجلترا بعد نهاية المفاوضات بينهما فى 12 نوفمبر 1953"، وبتأكيد واطمئنان تام، يذهب الطالب شوقي مستخدماً حقيقة خاطئة، ليستنتج منها خلاصة أبشع خطأ، وهو يدل على ضعف حضور الجمهوريين وضعف قبول حزبهم، إذ كتب فى صفحة (68) قائلاً: "وقد نال الحزب الجمهورى الاشتراكى فى انتخابات أول برلمان سودانى ثلاثة مقاعد وهى أقل نسبة نالها حزب فى الانتخابات". وفى صفحة (69) يضيف الطالب قائلاً: "وجاءت انتخابات مجلس الشيوخ مؤيدة الأغلبية التى نالتها بعض الأحزاب فى مجلس النواب، أما أعضاء مجلس الشيوخ (السودانى) المعينون وعددهم عشرون فقد وزعهم الحاكم العام بموافقة لجنته بحيث نال الحزب الوطنى الاتحادى عشرة وحزب الأمة أربعة والحزب الجمهورى الاشتراكى واحداً والمستقلون اثنين والجنوبيون ثلاثة. ويبدو أن الحزب الجمهورى لم ينل ثقة الشعب السودانى بعد ذلك...". الشاهد، أن كل ما ورد فى نص الطالب أعلاه، ليس فيه كلمة واحدة يمكن أن تنطبق على الحزب الجمهورى الذى ترأسه الأستاذ محمود. فالطالب هنا يتحدث عن حزب لا صلة له مطلقاً بالإخوان الجمهوريين. الشاهد هنا، وكعادة جل الذين نقدوا الأستاذ محمود، يتقدم الغرض على الوثيقة، وهذا من أخطر أنواع التزوير للتاريخ. إننا بقليل من الجهد فى سبيل استيفاء الشروط والمتطلبات العلمية للدراسات، والتزاماً بالمسؤولية الأخلاقية عند تقديم الخدمة التنويرية، ومن أجل الحد الأدنى من الصدق فى الخصومة، إن كان ذلك هو أحد متركزات السجال والجدل، كان يمكن أن ندرك أن الحزب الجمهورى شىء والحزب الجمهورى الاشتراكى شىء آخر. المؤسف أنه شاع هذا الخطأ الفادح بكل استنتاجاته العرجاء وخلاصاته البكماء، فى معظم الدراسات التى اعتمدت على أطروحة الطالب شوقي، وهى دراسات كثيرة، لا سيما المقررات الدراسية الجامعية. إلى جانب أن هناك دراسات أخرى ورد فيها هذا الخلط أيضاً، بين الأحزاب الجمهورية. بيد أن شوقي فى أطروحته، فوق الخلط، يستنتج ويبنى الخلاصات ويلقى بالاتهامات جزافاً. وهذا يكشف الكثير من المعضلات التى تعانى منها الدراسات فى

السودان، إذ أن الكثير من الدراسات والبحوث تتسم بالسطحية في تناول، وتفتقر للورع العلمى، ويتميز بعضها بالجرأة في الاستنتاج وتقدم الغرض على الوثيقة التاريخية في دراسة الحدث أو الواقعة التاريخية.

إن السودان شهد قيام العديد من الأحزاب الجمهورية. فهناك الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود، وحزب الاستقلال الجمهورى، وحزب الأحرار الجمهورى، والحزب الجمهورى الاشتراكى. الشاهد أن الكثير من الكتّاب السودانيين يخلطون بين الأحزاب الجمهورية، بل كان لمعظم الذين نقدوا الأستاذ محمود في القرن الماضى، مذهب خاص في ذلك الخلط، كحالة أطروحة الطالب شوقي، والدراسات التي استندت عليها كمرجع، إذ كثيراً ما تُسحب الاخفاقات والأخطاء التاريخية، إن كانت ثمة أخطاء واخفاقات، للأحزاب الجمهورية ويلقى بها في ساحة الأستاذ محمود، على أنها من إخفاقاته وأخطائه، والأستاذ محمود منها براء. إن الذين انبروا لنقد الأستاذ محمود ونقد مشروعه، اتسموا بكسل العقول وكانوا مشغولين بالغرض أكثر من انشغالهم بالتوثيق واستنطاق الوثيقة، جاءوا بسقف معرفى منخفض وبانعدام للورع العلمى. فقد تحدثت مصادر عديدة لا حصر لها، صدرت في منتصف أربعينيات وخمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن الماضى عن الأحزاب الجمهورية. فقد تحدث أحمد خير المحامى في كتابه: كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان، وهو من أوائل الكتب التي تناولت نشأة الأحزاب السودانية وصدر الكتاب في طبعته الأولى عام 1948. أفرد أحمد خير المحامى في كتابه عنواناً جانبياً للحدث عن الحزب الجمهورى وتحدث عن نشأته وعن رئيسه الأستاذ محمود وعن أعضائه، كما أشار إلى نشأة حزب الأحرار عام 1944، وانشقاقه في أبريل 1954⁽¹⁾. أما الأحزاب الجمهورية الأخرى فلم ترد إشارة لها في كتاب أحمد خير المحامى، إذ أنها نشأت بعد تاريخ صدور كتابه. وقد وردت الإشارة إلى كل الأحزاب الجمهورية في كتاب محمد عامر بشير "فوراوى" (1908-1978): الجلاء والاستقلال⁽²⁾، وهو يتحدث عن الاجتماعات والمداولات حول الحكومة القومية لتحقيق الاستقلال، فقد أورد مداولات الاجتماع الخامس يوم الاربعاء

(1) أحمد خير المحامى، تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان: كفاح جيل، مصدر سابق، ص 88، 96.

(2) محمد عامر بشير (فوراوى)، الجلاء والاستقلال، مصدر سابق، ص 49.

14 ديسمبر 1955 بغرفة اللجان بمجلس الشيوخ، وبالطبع لم يكن من بينها الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود، وذلك لسبب بسيط وهو أن الحزب الجمهورى لم يكن له فى أى يوم من الأيام عضوًا نائبًا بالبرلمان، ولم يتقدم فى أى يوم من الأيام لخوض الانتخابات فى السودان منذ بداية الخمسينيات وحتى اغتيال الأستاذ محمود صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. هذا خلاف ما أتى به الطالب شوقى فى أطروحته، كما ورد آنفًا.

الشاهد، ان الخلط بين الأحزاب الجمهورية، أمرٌ شائعٌ بين الكتاب السودانيين. فقد لا ينشغل الباحث كثيراً بهذا الخلط، ولكن يصيح الخلط أمراً واجب التصحيح، حينما تبنى عليه تحليلات ويقود إلى استنتاجات عرجاء، وخلاصات خاطئة لحد التضليل والتزوير فى الحقائق كما هو الحال مع الأستاذ محمود ومع الحزب الجمهورى الذى كان رئيساً له. ولهذا، فإننى أفردت فى الفصل الرابع من هذا الكتاب، والذي موضوعه: "السودان فى مشروع الأستاذ محمود"، محوراً للحديث عن "الخلط بين الأحزاب الجمهورية والجرأة فى الاستنتاجات العرجاء". إن الباب الأول من أطروحة شوقى يغنى عن متابعة دراسة البابين التاليين. فالأطروحة أضعف مما يضع فيها الباحث وقته ووقت القراء. الشاهد أن الدراسات الضعيفة فى نقد الأستاذ محمود، قد ساهمت بقوة فى توطين سابقة محكمة الردة، والاغتيال بسبب الفكر، كما أنها حجبت شعوب السودان عن الأستاذ محمود، وبنت جداراً سميكاً عازلاً بين الأستاذ محمود وشعوب السودان، ولما كان الجدار قد بنى بغير حق فإنه سيهدم بالحق لا ريب فى ذلك. وها هى معاول الهدم قادمة لا تنقصها الشجاعة ولا أدوات التنقيب والبحث، إنهم أهل العقول الجديدة، أهل الحق فى المستقبل وأصحاب المصلحة فى المستقبل.

نماذج للعبث الفكرى والإفلاس الأخلاقى والسجالات بلا شرف

من الضرورى لصالح مستقبل السودان وضع حد للحصانة وتحقيق كشف عادل ونزيه للماضى⁽¹⁾.

يوهانس أجاوين

(1) ألكس دوفال وعبد السلام حسن (تحرير) "انتهاكات حقوق الإنسان والعدالة فى الفترة الانتقالية"، ورقة كتبت على ضوء بحث أعدّه يوهانس أجاوين، المشروع المدنى فى السودان: قضايا الانتقال إلى الديمقراطية والسلام، (مؤتمر 8-12 فبراير 1999)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ص 40.

يبدو أن القرن الماضي، خاصة النصف الثاني منه، كان في السودان، وربما العالم، قرناً للخطابة وتحريك العواطف، أكثر من كونه قرناً للخطاب العقلاني والقراءة والتدقيق والحوار. لقد جابه الأستاذ محمود وتلاميذه نقداً تعوزه شروط الصدق والعلم ويحفل بالجهل وكسل العقول والسجال بلا شرف. كان من أنصع النماذج للعبث والإفلاس والفوضى الفكرية هي الإسهامات التي قدمها الشيخ محمد نجيب المطيعي، في نقد الأستاذ محمود. جاءت إسهامات المطيعي النقدية من خلال الأحاديث التلفزيونية وتقديم المحاضرات والندوات وخطب الجمعة في مساجد الخرطوم ودروس الجمعة بمسجد جامعة الخرطوم، ثم ألف كتاباً بعنوان: حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة⁽¹⁾. كان المطيعي قبل الكتاب، قد كتب تقريراً عن الفكرة الجمهورية بطلب من مدير جامعة أمدرمان الإسلامية، جاء التقرير بعنوان: "النبا الأئيم أو الهوس اللاديني الذميم"، وكتب المطيعي في صدر تقريره:

نص التقرير الذي طلبه مني مدير جامعة أم دمان الإسلامية: نقض لما ضلل به المهندس محمود طه (تاها) بعض حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام من أبناء الوطن الغالي الذين غدر بهم وزج بهم في طريق فيه صريح الخيانة والعمالة وخدمة مقاصد أعداء الإسلام والمتربصين. بقلم رجل هزه هزاً عنيفاً حتى أوصله إلى نهايته ولله الحمد والمثنة هو: محمد نجيب المطيعي، خادم السنة بالإجازات المتصلة، والأسانيد العالية، ورئيس قسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية، وصاحب تكملة المجموع شرح المذهب أكبر المطولات الفقهية في الإسلام⁽²⁾.

قدم المطيعي تقريره هذا إلى مدير جامعة أمدرمان الإسلامية، وتم تضمين التقرير في كتاب أعدده أساتذة جامعة أمدرمان الإسلامية في عام 1983 عن فرقة الجمهوريين، استجابة لدعوة من محمد علي الحر كان، عندما كان رئيساً لرابطة العالم الإسلامي⁽³⁾. هذا التقرير نقله أيضاً، المكاشفي وضمّنه كمبحث في كتابه كما ورد أنفاً، وقد أشار المكاشفي للنقل وبرر النقل بقيمة البحث. ثم ضمن المطيعي تقريره في كتابه موضع دراستنا. يقع كتاب المطيعي

(1) محمد نجيب المطيعي، حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة، مرجع سابق، ص 15-16.

(2) المرجع السابق، ص 157.

(3) شوقي بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص 136.

فى (361) صفحة. وقبل الدخول فى نص الكتاب نقف قليلاً عند هيكلة الكتاب وتكوينه. يبدو أن الأستاذ محمود وتلاميذه قد واجهوا أناساً بارعين فى النسخ والنقل أكثر من كونهم علماء نشطاء فى عقولهم، وقادرين على إعمال الفكر، ليقدموا الأدلة والبراهين الذكية المقنعة الساطعة على نقدهم وحججهم. فمن الـ (361) صفحة وهى جملة صفحات كتاب المطيعى، كانت هناك (76) صفحة هى عبارة عن الفهرست، علماً بأن نفس الموضوعات المفهرسة موجودة فى متن الكتاب، وكانت هناك (69) صفحة هى نقل، وقد أشار المطيعى إليه وذكر مصدره، لنص حيثيات الحكم الذى أصدرته محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم ضد الأستاذ محمود وتلاميذه الأربعة. ونقل لنص محضر لقاء إعلان التوبة لتلاميذ الأستاذ محمود الأربعة الذين حكم عليهم بالإعدام مع منحهم مهلة مدتها ثلاثة أيام. عقد اللقاء فى سجن كوبر المركزى فى اليوم التالى لتنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى يوم السبت 19 يناير 1985⁽¹⁾. ثم (55) صفحة هى عبارة عن تقريره الذى وردت الإشارة إليه. ثم (20) صفحة هى عبارة عن صفحات لعناوين كتب الأستاذ محمود وتلاميذه.

لم يواجه الأستاذ محمود وتلاميذه علماء وأهل فكر وأصحاب عقول كبيرة وقيم أخلاقية عالية، أنهم واجهوا أوصياء على الشعوب السودانية بلا حق ولا أهلية، لا سيما العلماء والفقهاء القاديين من مصر. فالمطيعى مصرى الجنسية، وهذا يؤكد ويتصل بتدليلى على أن علماء السودان وفقهاء لم يكونوا أصلاء فى نقدهم الأستاذ محمود، وقد كان المطيعى أحد أولئك الذين أثروا تأثيراً كبيراً فيهم وفى الساحة السودانية، إذ تجده الإشارة إلى محاضرات المطيعى وإلى أحاديثه وكتاباته عند معظم الذين نقدوا الأستاذ محمود من السودانيين. وسم المطيعى الأستاذ محمود (بتاها)، والفكرة الجمهورية بالتاهوية وهى كما قال ترقيق اللطاء فى الطاهوية، فهو يقول: "مثل محمود محمد طه الذى اسميته (تاها) بترقيق الطاء حتى يتطابق معنى الاسم على مسماه الذى يخوض فيه هذا الضال خوضاً"⁽²⁾. وظل يشير إلى الفكرة الجمهورية بالتاهوية وأحياناً بالطاهوية. وقد أخذ بعض الأساتذة بهذه التسمية، مثلاً أعد عبدالله حسن زروق وهو أستاذ بقسم الفلسفة بجامعة

(1) محمد نجيب المطيعى، حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكافية، مرجع سابق، ص 215-282.

(2) المرجع السابق، ص 8.

الخرطوم دراسة وسمها بالطاهوية⁽¹⁾.

استخدم الصادق المهدي أيضاً، "الطاهوية" فى دراسة كانت بعنوان: "مستقبل الإسلام فى السودان"، ومع الطاهوية أطلق السيد الصادق اسم آخر وهو النسخية، كتب الصادق المهدي وهو يتحدث عن "الخريطة الإسلامية فى السودان"، كتب قائلاً: "إلى جانب هذه الأنشطة والهيئات فإن الساحة الإسلامية فى السودان شهدت منذ الأربعينيات ظهور فكرة قال بها مهندس سودانى هو السيد محمود محمد طه..." وبعد أن تناول معالم الفكرة وفحواها كتب السيد الصادق قائلاً: "هذه هى معالم فكرته التى عرفت باسم الجمهورية واسمها النسخية نحتاً من أهم فكرة فيها، وهى نسخ القرآن المدنى، أو الطاهوية نحتاً من اسم مؤسسها. لقد كانت الطاهوية محدودة الأثر ولكن وزنها ازداد فى السبعينيات لأن الصراع بين النظام السياسى القائم فى البلاد وبين الحركات الإسلامية أتاح للطاهوية مجالاً فنشطت نشاطاً ملحوظاً"⁽²⁾. هنا سؤال يدفع بنفسه لساحة السجال، فإذا كانت هناك جماعة أطلقت على نفسها اسماً، لماذا الإتيان باسم جديد عند تناول الدارسين لهذه الجماعة؟ ولماذا لا تدرس تلك الجماعة تحت الالفة التى اختارتها الجماعة ووسمت بها نفسها؟ لماذا يتم تحريد تلك الجماعة من الاسم الذى اختارته لنفسها؟ ما هو الغرض من الإتيان باسم آخر؟ فاسم الطاهوية تستدعى وتبعث بالمطيعى للحضور، فقلوه بالتاهوية سابق لهؤلاء. فالأصالة فى النقد مطلوبة. السبب الآخر الذى جعلنى أتناول المطيعى وهو من مصر، هو أن المطيعى عمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية، وكان فى نشاط دائم فى نقده، وقد أشار بنفسه إلى أنه استمر فى أحاديثه ودروسه ضد دعوة الأستاذ محمود حتى أهتز المجتمع السودانى كله، كتب المطيعى قائلاً:

وعندما أتيت لى فرصة التحدث فى تلفزيون السودان، وكنت رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أمدرمان الإسلامية، ثم دعيت لقسم الشريعة

(1) عبدالله حسن زروق، "الطاهوية"، قضايا التصوف الإسلامى، مرجع سابق، ص 159-170.

(2) الصادق المهدي، "مستقبل الإسلام فى السودان"، مؤتمر جماعة الفكر والثقافة الإسلامية، أمدرمان، محرم 1403-1404 أكتوبر 1982، ص 5.

الإسلامية بجامعة الخرطوم وكذلك للمركز الإسلامى الإفريقى حيث دبلوم الدعوة لضباط القوات المسلحة وكلية القرآن الكريم التابعة للمجلس القومى للتعليم العالى وخطبة الجمعة بمسجد امتداد ناصر وأحياناً بمسجد التقوى الذى يصلى فيه اللواء عمر محمد الطيب وهو الذى شيده، ودروس الجمعة بمسجد جامعة الخرطوم. أجل انتهزت فرصة هذه المواقع كلها فجعلت حلقات تلفزيونية عن التيارات الهدامة فى السودان، وكذلك فعلت فى كل ما ذكرت من مجالات، حتى اهتز المجتمع السودانى كله ليتنبه لخطورة هذه الدعوة التى تطفح بالعمالة والخيانة ومساوئ الأخلاق، وأحط ألوان الشقاق والنفاق. الأمر الذى أقض مضجع ذلك الممخرق الزنديق فأراد أن يدافع عن نفسه، ويدفع ما أحيط به من عناصر اتهام بل إدانة⁽¹⁾.

على الرغم من تأثير المطيعى الكبير فى الساحة، إلا أن نقده للأستاذ محمود لم يكن سوى عبث وفوضى فكرية، لا تمت لسجال الشرف أو الصدق فى الخصومة بصلة. بل تجرأ المطيعى وأتى فى نقده بأمور لا تمت للواقع أو الوقائع السودانية بأدنى صلة، ولم تكن تلك الأمور إلا تصورات فى خياله. كان أوضح نموذج لهذا العبث والمهاترة، ذلك الكتاب الذى نشره المطيعى بعد جولات طويلة من الخطب والدروس والأحاديث التلفزيونية.

أخذ المطيعى فى كتابه: حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة⁽²⁾، على الأستاذ محمود عشرة مآخذ. وعلى الرغم من أن مآخذ المطيعى لا تستحق حتى إعادة قراءتها ولكن لا مناص من ذكر بعضها. يقول المطيعى:

أخذت عليه دعوته إلى الحرية المطلقة للتنقلت من قيود الدين والفضيلة، ونوازع الفطرة الإنسانية المتجاوبة مع (الحلال بين والحرام بين) واجتياح هذه الأسوار التى تحول بين الشاب وبين إشباع غرائزه، مما جعل جميع المحيطين به من الشبان والشابات يشتركون مختلطين فى توزيع المنشورات وبيع الكتيبات وعقد الاجتماعات والسفر

(1) محمد نجيب المطيعى، حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة، مرجع سابق، ص 15-16.

(2) المرجع السابق، ص 18.

كل فتاة مع فتى إلى الأقاليم النائية وقطع المسافات في فيافي السودان وقفاره بين فتاة بضرة ناهد شبه عارية في ملابسها حيث نزعن الثوب السوداني الجميل واستبلن به المينى والميكرو والكات وما إلى ذلك من مبهجات قرم الشهوة عند الشاب⁽¹⁾.

هذا عبث، لا يستحق حتى الوقوف عنده، ذلك لأن أشد الناس عداءً للأستاذ محمود من أهل السودان، وهم أكثر معرفة وقرباً للأستاذ محمود وتلميذاته، من المطيعي، لم يقل أحد منهم بأن تلميذات الأستاذ محمود تركزن الثوب ولبسن المينى والميكرو والكات. هذا كذب لا يليق بساحات السجالات الفكرى والنقد العلمى. وفي واقع الأمر هذا نوع من النقد يستند على تصورات الشيخ المطيعي وخياله ويبتته أكثر من استناده على واقع السودان وقتئذ. فالمينى والميكرو والكات من أوهام المطيعي وانشغالات خياله أكثر من كونها واقعاً وحقائق في الشارع السوداني، هذا عبث وفوضى في دنيا الفكر وإحراق الحق من علماء ظلوا أوصياء على عقول الناس، وعملوا رؤساء لأقسام بالجامعات، ولا يزالون. أيضاً، أتى المطيعي بما لم يأت به أحد من قبله سواء من مصر أو السعودية أو السودان، فهو يقول:

أخذت عليه فراره من المواجهة والفرار من مجالس أهل العلم، وإذا ذهب إلى مكان ليلقى فيه ما يسميه محاضرة ليقىء في آذان الناس ضلالاته وخياناته وعمالته، وتصدى أحد للرد عليه ممن أوتوا بعض المعرفة ممن يرون الباطل يتجسد في كل حرف يقذف من لهاته، إذا بمجموعة مسلحة بالعصى والخناجر من الصعاليك والأوشاب الذين يتبعوه، ولعلمهم يأخذون ويأخذون نظير تفرغهم وتفرغهن أجوراً لنصرتهم والاعتداء على من يكابره أو يقاطعه عندما يشعر المسلم أن السيل بلغ الزبى وأن الزندقة طف صاعها حتى ما يطاق السكون عليها..⁽²⁾.

أعتقد أن المطيعي يتحدث عن شخص آخر وليس عن الأستاذ محمود. ذلك لأن المواجهة عند الأستاذ محمود مبدأ أساس لم يحد عنه قط، إذ ظل عليه حتى لحظة صعوده على منصة المشتقة. وقد تحدثت عن هذا المبدأ في الفصل الأول من هذا الكتاب. أما مسألة المجموعة المسلحة بالعصى والخناجر من الصعاليك والأوشاب الذين يتبعون الأستاذ

(1) المرجع السابق، ص 18.

(2) المرجع السابق، ص 18.

محمود، فهذا كذب وافتراء، لم يقل به ألد أعداء الأستاذ محمود، ولا يقول به من قرأ كتابات الأستاذ محمود ودرس فكره وتعرف على حياته قبل الدخول في نقده. فإن كان ثمة شخص في العالم، على حد علمي، طبق مبدأ المقاومة السلمية حتى لحظة صعوده إلى المشقة، ونظر للمقاومة السلمية وفكرها ونظر للحكمة منها في الكتب والمقالات لكان هو الأستاذ محمود. وقد أشرت لهذا الأمر بتوسع ضمن محور وسمته بـ "فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية من جديد: الأستاذ محمود والمهاجرات غاندى: مقاربة أولية". يبدو أن الشيخ المطيعي في نقده للأستاذ محمود وتلاميذه يستخدم الخيال والكذب، ويقدم لأجيال المستقبل عبثاً فكرياً. فهو يقول ساخراً ومتهمكماً على حديث الأستاذ محمود بشأن فضيلة الشعور بالمشكلة لدى الإنسان، يقول المطيعي: "يا فضيلة الشعور بالمشكلة أما وجدت لك مكاناً في الحارة الرابعة حتى نقطعي -يا لهف قلبي على ما عانيت- الفياض والقفار والبحار والأقطار بل والقارات حتى ألقيت- أيتها الفضيلة- عصاك واستقر بك النوى عند السفاح وعصابتك من القتل ودعار الجنس وفجار الشذوذ"⁽¹⁾. هذه أوصاف تجافى الحقيقة، وفي واقع الأمر لم يقدم أحد على مثل هذه الوصف قبل المطيعي. في واقع الأمر هذا عبث ما بعده عبث، وفوضى تعبر تماماً عن مدى الاستهتار والبوار الأخلاقي، فتقديم النقد والخدمة التنويرية يتطلب أول ما يتطلب المسؤولية والورع العلمي والالتزام بالصدق.

كان المطيعي في نقده مثل صاحبه من الفقهاء و"علماء السودان" الذين وردت الإشارة إلى بعضهم وسترده لبعضهم الآخر، حيث السمة المشتركة والغالبة هي عدم التوثيق والنقل المخل وانعدام الورع العلمي. لقد اكتفى المطيعي بإيراد أغلفة عناوين كتب الأستاذ محمود ضمن صفحات كتابه، وبالإضافة لعدم التوثيق وعدم الذكر لأرقام الصفحات أو المعلومات عن الكتاب، كان المطيعي يأتي بالنص من الأستاذ محمود ثم يتدخل فيه ليبين للقارئ قصد الأستاذ محمود. فإذا ورد في نص للأستاذ محمود كلمة "السلفيون"، فالمطيعي يتدخل للقارئ ويقول في جملة اعتراضية بعد كلمة "السلفيون" يقصد المسلمين. وقد اتبع هذا المنهج في عدد كبير جداً من صفحات كتابه. مثلاً أورد المطيعي نصاً للأستاذ

(1) المرجع السابق، ص 23.

محمود قائلاً: "وحيث يدعو السلفيون - يقصد المسلمون - اليوم لتحكيم الشريعة ..."⁽¹⁾ جملة "يقصد المسلمون" كانت من إضافات المطيعي. مثال آخر لتدخل المطيعي في النص لتبيين قصد الأستاذ محمود، كتب معلقاً على إهداء الأستاذ محمود لأحد كتبه، أضاف المطيعي جملة اعتراضية وهي "يقصد نفسه" لنص الإهداء: "... وتحية للرجل - يعني نفسه - وهو يمتخض اليوم، في أحشائها، وقد اشتد به الطلق (في الأصل عند الأستاذ محمود وقد أشد بها الطلق)، وتنفس صبح الميلاد"⁽²⁾. جملة "يعني نفسه" جملة أضافها المطيعي. مثال ثالث أورد المطيعي نصاً للأستاذ محمود مع تدخل منه بجملة اعتراضية: "ولكن هل تحسبون أن قضاة الأحوال الشخصية يتغيرون أو يتطورون؟ كلا!! فإن القصور والجهل بالحياة والقانون - يقصد القانون الوضعي - الذي كافحت البشرية من أجل صنعه لإثبات حريتها هما أمران ملازمان لهم"⁽³⁾. جملة "يقصد القانون الوضعي" إضافة من المطيعي. الشاهد في الأمر أن المطيعي لا يقوم بتضليل القارئ فحسب؛ وإنما يقوم بتشويه النص وتزويره، وهذا أمر في غاية الخطورة وعدم الأخلاق، فما بالك إذا ما جاء من رئيس قسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أهدمان الإسلامية؟ هل يمكننا أن نتوقع صدقاً في الخصومة وسجلاً شريفاً من المطيعي؟ هل يمكننا أن نثق في ما أتى به؟ وتجد التزوير عند المطيعي قد أخذ أشكالا مختلفة. كتب المطيعي قائلاً: "ولكن ماذا تقول لمن قسم القرآن إلى أصيل وغير أصيل، وقرآن دين وقرآن شرع، ثم يمضي في حقه الأسود على الإسلام وتعاليمه وأحكامه"⁽⁴⁾. ومن المعروف أن الأستاذ محمود قال بآيات الأصول وآيات الفروع. والاختلاف كبير جداً بين ما قاله الأستاذ محمود وما أتى به المطيعي. خلاصة الأمر كتاب المطيعي نوع من أنواع العبث والفوضى الفكرية، ولا أحسب أن كتاباً يسير بهذا النهج يستحق الوقوف عنده، أكثر مما بينت.

(1) المرجع السابق، ص 11.

(2) المرجع السابق، ص 27.

(3) المرجع السابق، ص 14.

(4) المرجع السابق، ص 13-14.

الشؤون الدينية و"علماء السودان" والتحالف الإسلامي

فاتعلم، إذن، الشؤون الدينية، ومن خلفها وعاظها، وأئمتها، الذين يقبضون مرتباتهم، عند آخر كل شهر، لإمامة المصلين، ولحماية الدين!! إن تلك الجولة ليست الأخيرة، بيننا وبينهم.. فموعدنا معهم الصبح.. أليس الصبح بقريب!!⁽¹⁾.

الإخوان الجمهوريون، ضمن كتاب لهم، صدر عام 1974

لقد واجه الأستاذ محمود وتلاميذه تحالفاً إسلامياً واسعاً، قوامه وأطرافه: شيوخ المعهد العلمي بأمدردمان، لاحقاً جامعة أمدردمان الإسلامية، و"علماء السودان"، والقضاة الشرعيون والفقهاء وموظفو الشؤون الدينية بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف والوعاظ والأئمة والخطباء بالسودان، وشيوخ الأزهر الشريف في القاهرة، والمؤسسات الإسلامية في المملكة العربية السعودية. قدمت بعض أطراف هذا التحالف التمويل لنشر الدراسات وإقامة النشاطات ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، وتبرعت أطراف أخرى بتقديم الأكاذيب والعلل القاصرة الناقصة. فحدث حراك واسع امتد منذ بداية الستينيات وحتى عام 1985. في تلك العقود، وهي عقود الصحو واليقظة العالمية، إلى حد ما، بيد أنها كانت في السودان عقود لهيمنة أطراف التحالف الإسلامي على حوار فكري وسجال لم يمتلكوا أدواته. فكانوا طرفاً أصحياً في الهبوط به، وهو الحراك الفكري السامي والرفيع، الذي قاده الأستاذ محمود بأسس تلمحها في كل كتاباته وهي أنه يسعى لسجال يكون العقل أداته والتغيير مطلبه، والمستقبل هدفه. لقد سعى الأستاذ محمود سعيّاً حثيثاً لتوسعة ذلك الحوار والسجال، فراسل العلماء والمفكرين في العالم، ودعاهم للمساجلة والحوار، بيد أن أطراف التحالف الإسلامي خرجوا بالسجال عن مساره. فإذا ما قاد أطراف التحالف الإسلامي مع الأستاذ محمود حواراً جاداً وحراكاً علمياً وسجالاً فكرياً شريفاً، وبأخلاق مثل ما كان ديدنه معهم ومع غيرهم، لأضاف السودان لمجلد الحضارة الإنسانية إرثاً فكرياً إسلامياً يخاطب العقول ويستبدل الجدل بالعمل ويوقظ الهمم ناحية التغيير والتحرير، بيد أن أطراف التحالف الإسلامي حطوا

(1) يتول مختار وآخرون، الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية، أمدردمان، 1974، ص 3-4.

من قدر ذلك الحوار والسجال فأهدروا الطاقات وقتها، وسيهدرونها الآن، وفي المستقبل. فتحن نبحت وننقب الآن في غطاء لا يجدى نفعاً، ولكن لا مناص من كشفه وجرده وبيانه كمحطة مهمة من المحطات الفكرية التي عاشها السودان، وهو ضحية للأوصياء عليه من الفقهاء في الأزهر الشريف وفي المملكة العربية السعودية. هنا بعض الأسئلة تدفع بنفسها: أين الأحزاب السودانية وما هو دورها؟ ما هو دور جبهة الميثاق، الإخوان المسلمين، الجبهة الإسلامية القومية؟ هناك محاور ستأتى لاحقاً متناولة موقف الأستاذ محمود من الطائفية، وعلاقة الأستاذ محمود بالإخوان المسلمين، وعلاقة الأستاذ محمود بالشيعيين.

لقد ضللت أطراف ذلك التحالف الإسلامى شعوب السودان وشعوب الإسلام حينما قامت بتمويل نشر الدراسات والكتابات والأطروحات الجامعية ضد الأستاذ محمود وتلاميذه. وهى دراسات كما بينا، لا ينقصها انعدام الورع العلمى، والسخف المعرفى، فكانت عبارة عن عبث فكرى وفوضى لم تجد رادعاً أخلاقياً يذكّرُها بالمسؤولية وبالصدق، دعك من التريث حتى لا يقع سوء الفهم والغرض. لقد سعت تلك الدراسات إلى التضييل والمهاترة والتشهير، وهى تعاني النقص فى استيفاء الشروط العلمية. الشاهد أن هذه الدراسات التى تمت فى ظل ذلك التحالف الإسلامى الواسع تكشف عن العديد من القضايا. فهى تكشف عن علل العقل الثقافى السائد فى السودان، حيث استجابته وقبوله للأوصياء عليه بدرجة كبيرة، وتكشف كذلك عن مدى تمكن السلطة الدينية، التابعة للمراكز الإسلامية فى الخارج أكثر من اتساقها مع الداخل. وتكشف تلك الدراسات كذلك، من خلال شبكة النقل فيما بينها، والتى تسعى دراستى هذه لتفكيكها، عن طبيعة وحجم التحالف الإسلامى والتآمر المكتوب وغير المكتوب ضد الأستاذ محمود ومشروعه وضد تلاميذه، والذى بدوره يعبر عن موقف العقل الإسلامى السائد ومؤسساته من التجديد والتحرير. كذلك، تحمل تلك الدراسات فى تاريخها وبين سطورها، سمة الكسل العقلى الذى يجلب إلى الناس أن يأخذوا بالقديم، كما ورد آنفاً عند طه حسين، تجنباً للبحث عن الجديد، وتلك علة ظلت تلازم الفكر والمفكرين الإسلاميين، وخصلة ظل يتسم بها الفقهاء أينما كانوا حتى تاريخ اليوم.

بناء الجدار العازل لحجب الأستاذ محمود عن شعوب السودان والإسلام والعالم

ذهبت الى الاستاذ محمود محمد طه في منزله بالثورة.. لأجرى معه هذا الحديث، لم يذهلنى المنزل البسيط الذى يسكن فيه، إذ أن البساطة شئ عرف به محمود أصلاً، كما لم يذهلنى مظهره البسيط ومجلسه بين من معه.. يخدمهم ويصب لهم الشاى دون أدنى تكلف.. فكل ذلك من صميم صفات الرجل⁽¹⁾.

عبدالله جلاب- الاثنين 1972/12/11

نتج عن قيام ذلك التحالف الإسلامى وما صنعه من أساطير وقصص ساذجه وحوارات هشة، نتج عنه بناء جدار عازل يفصل بين الأستاذ محمود وتلاميذه ومشروعه من جهة وبين شعوب السودان وأهل الإسلام من الجهة الأخرى. لقد بُنى هذا الجدار العازل داخل السودان وخارجه بلا حق، وإنى على يقين تام فى أنه سيهدم قريباً وبالحق. لقد تفاوت دور الناس فى بناء الحاجز، فمنهم من وضع طوبة واحدة، ومنهم من وضع (مدماكاً) ومنهم من وضع مداميك وهكذا. فقد ردد التحالف الإسلامى الساحات الإسلامية خارج السودان بالدراسات التى نشرها أو ساهم فى نشرها أو شجع على نشرها، كما وردت الإشارة آنفاً، وقد حملت ما حملت من العبث العلمى والإفلاس الفكرى والكذب الصراح. أما فى داخل السودان فإن نشاط الفقهاء و"علماء السودان" كان نشاطاً ضخماً، ولم يكن ينقصه الكذب والعبث واللعب بعقول البسطاء. فقد ظل "علماء السودان" والفقهاء يقدمون أنفسهم على أنهم أوصياء على شعوب السودان، وليتهم التزموا بالصدق والمسؤولية فى هذه الوصاية العرجاء التى هى بلا استحقاق. لم يلتزموا بالصدق والأمانة فعمدوا إلى تضليل شعوب السودان بشأن الأستاذ محمود وتلاميذه، تضليلاً لم تفق منه شعوب السودان حتى يومنا هذا، ليس على مستوى عامة الناس فحسب؛ وإنما على مستوى المثقفين السودانيين، ولم ينبج منهم إلا القلة القليلة. ظلت الأكاديمية السودانية مقاطعة للأستاذ محمود حتى تاريخ اليوم، لا تدرسه ولا تدرس مشروعه ولا توجه

(1) عبدالله جلاب- "تحقيق مع الأستاذ محمود محمد طه"، (حوار)، الاثنين 1972/12/11. المصدر: موقع الفكرة الجمهورية، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/10، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

الطلاب بدراسته، ولا تقيم حوله الندوات والملتقيات.

الشاهد أننى خصصت فصلاً لدراسة هذا الأمر وهو بعنوان: "الأستاذ محمود وموقف الأكاديمية السودانية". كذلك ظل المؤرخون السودانيون يتجاهلون الأستاذ محمود ودوره فى الحركة الوطنية، وقد خصصت أيضاً، فصلاً لمناقشة ذلك. ولم يختلف عن الأكاديميين والمؤرخين، المفكرون الإسلاميون، بل استحل المفكرون الإسلاميون أفكار الأستاذ محمود، وأخذوا منها دون حتى الإشارة إليه، أيضاً، خصصت فصلاً لتسليط الضوء على ذلك. لقد تأثر كل هؤلاء فى داخل السودان بالنشاط الذى قام به "علماء السودان" والشؤون الدينية. لقد أصدر "علماء السودان" وثائق عديدة، وبيانات كثيرة، ضد الأستاذ محمود وتلاميذه. كانت تنشر وتوزع (الوثائق والبيانات) داخل السودان على وزراء الوزارات ووكلائها، والجامعات وقاضى القضاة ومحافظ الخرطوم وعلى أئمة المساجد والوعاظ والخطباء... إلخ، وخارج السودان. كان بعض تلك البيانات توجه إلى الأئمة والوعاظ والخطباء ليقوموا بدورهم على منابر المساجد ضد الأستاذ محمود وتلاميذه ومشروعه، الأمر الذى ألقى بظلاله على عامة الناس فى قرى ومدن السودان، ولايزال الناس يعيشون تحت ذلك التأثير، لم يخرجوا منه، بل امتنعوا عن قراءته أو دراسته.

تضمنت إحدى النشرات اليومية لوكالة السودان للأبناء (سونا) مجموعة كتابات . وسمتها بـ: "مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة"، وقد كان من بينها، البيان رقم (4): بتاريخ: 15 ربيع الآخر 1397، الموافق: 4 أبريل 1972، وهو من علماء السودان إلى جميع إخوانهم أئمة المساجد والوعاظ فى أنحاء جمهورية السودان⁽¹⁾. جاء فى البيان: وبعد، فإن الدجال الكبير والعميل الخطير محمود محمد طه. يعمل على حرب العقيدة والشريعة الإسلامية ونشر الكفر والضلال بطريقة خبيثة شيطانية أملاها عليه سادته أعداء الإسلام⁽²⁾. ثم يضيف البيان وهو يخاطب ضمناً المثقفين والكتاب وأهل القانون قائلاً:

(1) "النشرة اليومية"، وكالة السودان للأبناء (سونا)، "مجموعة من الوثائق التى قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة"، الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى

1405 الخرطوم، فى 29 ربيع الثانى 1405، ص 11.

(2) المصدر السابق، ص 11.

"وقد سبق وأنوضحنا في البيان رقم (3) السابق. أن الذين يؤيدون محمود محمد طه ويناصرونه سواء أكان التأييد بالكتابة في الصحف أو بجلب المواد القانونية الوضعية التي تؤيده وإبعاد المواد التي تدينه أو غير ذلك من أنواع التأييد ليعلم هؤلاء الناس أنهم مثل محمود محمد طه في الردة والخروج من الإسلام سواء بسواء"⁽¹⁾. ويضيف البيان وهو يحمل إرهاباً للمثقفين بالردة عن الإسلام إن ناصرُوا الأستاذ محمود، يقول البيان: "فلا يجوز لأى قاض ولا لأى محام ولا لأى وزير ولا لأى إنسان كبير أو صغير فى موقع مسؤولية، أن يدافع عن هذا الفاجر. ونحن نبين الحكم الشرعى للناس بأن هؤلاء القضاة والمحامين وغيرهم من الكبار الذين يوالون ذلك الكافر بالمجاملة والتأييد أو إخفاء حقيقة كفره وخطورة آرائه يعتبرون مرتدين عن شريعة الإسلام"⁽²⁾. ثم يستشهد البيان ويستنجد بفتوى الأزهر الشريف بردة الأستاذ محمود، ويستشهد كذلك بالحكم الصادر عن رابطة العالم الإسلامى فى المملكة العربية السعودية "بأن محمود محمد طه كافر ويعمل على نشر الكفر بين المسلمين"⁽³⁾. ثم يوجه البيان خطابه إلى الأئمة والوعاظ فى أنحاء السودان قائلاً: "لهذا يجب عليكم أيها الإخوان الأئمة والوعاظ أن تقرأوا هذا الكلام على الناس وتبينوا حقيقة هذا الفاجر على المنابر وفى الدروس اليومية مع تكرار قراءة هذا البيان"⁽⁴⁾. بل يذهب البيان أبعد من ذلك، إذ يحض الناس على الفتنة، فهو يقول: "وأن تدعو الناس إلى مقاومته ومقاومة هؤلاء السفهاء من أتباعه بوسائل المقاومة المذكورة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"⁽⁵⁾. ثم يختم البيان مذكراً بالمنكر ووجوب تغييره بلا رأفة ولا لين، ودعوة وحض على القتل، يقول البيان⁽⁶⁾: "وليس منكراً أشد من هذا المنكر الذى يدعو إليه محمود محمد طه وأتباعه لهذا فقد وجب على كل مسلم أن يعمل على

(1) المصدر السابق، ص 12-13.

(2) المصدر السابق، ص 13.

(3) المصدر السابق، ص 13-14.

(4) المصدر السابق، ص 14.

(5) المصدر السابق، ص 14.

(6) المصدر السابق، ص 14.

تغيير هذا المنكر بكل ما استطاع لا تأخذه فى ذلك رافة ولا لين⁽¹⁾. ثم وقع عن علماء السودان، واحد وعشرون عالماً⁽²⁾.

وفى نفس النشرة اليومية لوكالة السودان للأنباء (سونا)، جاء ضمن مذكرة رفعت للسيد رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، جاء فيه: "نحن علماء السودان نرفع لسيادتكم المذكرة الآتية ضد محمود محمد طه للأسباب الآتية". وعدادت المذكرة تسعة أسباب، كلها مكررة ومتصلة بفتوى الأزهر و رابطة العالم الإسلامى وحكم محكمة الردة الأولى... إلخ. وتضمنت مغالطات لا حد لها، وجهل بالأستاذ محمود وبحياته وطبيعة دعوته، إضافة إلى سوء الفهم وعدم الصدق، مثلاً يقول علماء السودان فى مذكرتهم، وذاكرين الأسباب التى دعته لرفعها:

ثامناً: نريد أن نذكر فى هذه النقطة أموراً هى⁽³⁾:

- 1- ثبت بما لا شك فيه أن محمود محمد طه له صلات أجنبية.
 - 2- يهاجم الإسلام بعنف ويزعم أن رسالته الثانية منه.
 - 3- محاباته وعطفه لأهل الكتاب بعيدة المدى يبدو ذلك مما تقدم فى إثارته للتفريق وللجزية.
 - 4- نفقاته كثيرة وباهظة على الكتب التى ينشرها وعلى الأتباع الذين يتفق عليهم بسخاء ويغريهم ليتروا دينهم إلى رسالته الجديدة.
- تضيف المذكرة بعد أربعة الأمور هذه قائمة: هذه الأمور الأربعة المجتمعة تفضح عن سر ورائها⁽⁴⁾. فى واقع الأمر لا يختلف اثنان على بساطة حياة الأستاذ محمود وبساطة منزله

(1) المصدر السابق، ص 14.

(2) علماء السودان عنهم: مجذوب مدثر الحجاز، الأمين داؤد، محمد الخليفة الهادى، يوسف الترابى، محمد العبد وقبع الله، عبد الوهاب عبد المجيد السراج، أحمد الفكى مهدى، زين العابدين العبد محمد نور، عثمان الحسن صلاح، سليمان محمد أحمد، حسن محمد أبو أذنين، على محمد وقبع الله، أحمد الختم عبد الله، الطيب محمد حامد، محمد بيلو أحمد، الخضر عبد الرحيم أحمد، الأمين محمد المحيسى، أحمد عباس البدوى، البشير عبد الله، عبد الرحمن الحاج محمد المبروك، حسين محمد ذكى.

(3) "النشرة اليومية"، وكالة السودان للأنباء (سونا)، مصدر سابق، ص 21.

(4) المصدر السابق، ص 21.

وزهده فى رعد العيش، وقد أوردت أنفأ شهادات بعض رصفاء الأستاذ محمود وبعض من عرفوه وعملوا معه أو عايشوه. الشاهد أن المذكورة بعد أن عدت الأسباب التسعة، تضيف داعية لقتل الأستاذ محمود، وهدر دمه تقول المذكورة: "لما سبق فإننا نطالب بما يأتى (1):

1- معاقبة محمود محمد طه حتى يقف عن تلك الأباطيل واستغلال السذج من الشباب وبما أن الشريعة تقضى بموجب قتله فى الحال وتعتبر دمه هدراً أى لا شىء على قاتله شرعاً لأذيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم باتهامه له بالخيانة وعدم التبليغ بأحكام القرآن وأصوله كما يزعم هذا الجاهل... فحكم الشريعة فيه أنه واجب قتله فى الحال حفاظاً على الإسلام ولأذيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وبما أن الشريعة الإسلامية لم تطبق قوانينها فإننا نطالب بسجنه سجناً مؤبداً إبعاداً له عن الجماهير لئلا يضلهم ويفسد عليهم دينهم.

2- مصادرة كتبه واحراقها ومعاقبة من توجد لديه هذه الكتب واغلاق منازلها التى أجراها لإيواء الشباب لخطورة دعوته على المجتمع الإسلامى.

3- لا يسمح له ولا لأحد من أتباعه أن يتحدث باسم الدين أو يفسر آية من كتاب الله لجهلهم بمعانى القرآن الكريم وللحكم برده عن الإسلام. نقدم هذه لسيادتكم لتفادى حصول مالا تحمد عقباه فى هذا البلد والله الهادى إلى سواء السبيل.

ثم وقع عن علماء السودان ثمانية وثلاثون عالماً (2).

أيضاً، خاطب علماء السودان رئيس وأعضاء مجلس الشعب عبر الوثيقة رقم (6)،

(1) المصدر السابق، ص 21.

(2) علماء السودان عنهم: مجذوب مدثر الحجاز، محمد الفاتح قريب الله، الأمين داؤد، يوسف إبراهيم النور، يوسف الترابى، محمد العبيد وقبع الله، عثمان أحمد عبد الرازق، محمد عبدالله العمرابى، السيد قمر الأنبياء محمد عوض، بابكر أحمد أبو شبة، محمد مالك القاضى، محمد مصطفى رملى، عبدالسلام عبدالقادر الجعلى، أحمد الحاج على الأزرق، سليمان محمد أحمد، عبدالحميد محمد عبدالحميد، محمد إدريس موسى، مبارك أحمد رحمة، حسن محمد أبو دين، الضيف محمد أحمد، عثمان محمد سر الختم، محمد على الفكى، بشير عباس مصطفى، أحمد محمد الفكى، عبد الوهاب عبد المجيد السراج، حبيب الله عبدالله حبيب الله، [.....] أحمد [.....]، الطاهر [.....] عثمان، إبراهيم عثمان، الأمين محمد المحيسى، محمد الحافظ المرزوق، أحمد الختم عبدالله، عبدالله يوسف أبو سن، بابكر الأمين الدرديرى، سليمان محمد كرم، خالد حامد خوجلى، إبراهيم زين العابدين، حسين محمد ذكى (فى الأصل حسن).

وقد جاءت الوثيقة ضمن النشرة اليومية لوكالة السودان للأنباء (سونا)، آنفة الذكر. وثيقة رقم (6)، عن الإخوان الجمهوريين وزعيمهم محمود محمد طه⁽¹⁾.

السيد رئيس مجلس الشعب والسادة الأعضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،،، "فتقدم هذه الوثيقة إلى السيد رئيس مجلس الشعب والسادة الأعضاء. مبينين هذه الظاهرة الشاذة التي ظهرت فى السودان والتي تعمل على التخريب والإفساد مستترة بالأساليب الخادعة والعناوين الكاذبة وقد ذكرنا كثيراً أن وراء دعوة محمود محمد طه [جهات - أيادى] أجنبية تحركها وتمولها"⁽²⁾.
"أولاً:

ثانياً: وهذه الامكانيات الضخمة الواسعة من المطابع والأوراق والنساخين والعمال والمنازل المؤجرة والعربات التى تنقل الاتباع والعانسات إلى جميع عواصم السودان لبيع الكتب وتكليفها وتلك المساعدات المالية الضخمة التى يقدمها للناس والموائد الدائمة والشراب من أين يأتيه؟... ولا تتصور أن له اتباعاً يمدونه بهذه الأموال فقد رأينا وجوههم الكالحة التى ارتسم عليها الفقر والحرمان فوق ما يجلوها من قتام الكفر وسيما الخزى والضلال فهؤلاء يأخذون ولا يعطون، حتى ولا يمكن لكتبه غير الرائجة أن تفى بعشر أعشار تكاليفها لو راجت⁽³⁾.

وفى هذه المرة وقع عن علماء السودان، خمسون عالماً⁽⁴⁾.

(1) "النشرة اليومية"، وكالة السودان للأنباء (سونا)، مصدر سابق، ص 28.

(2) المصدر السابق، ص 28.

(3) المصدر السابق، ص 28-29.

(4) علماء السودان عنهم: مجذوب مدثر الحجاز، محمد الفاتح قريب الله، الأمين داؤد، يوسف إبراهيم النور، [...]، يوسف الترابى، محمد العبيد وقبع الله، عبد الوهاب عبد المجيد السراج، أحمد محمد الفكى، زين العبد محمد النور، عثمان الحسن صلاح، بابكر أحمد أبو شية، الصديق محمد أحمد، على أحمد محمد، محمد الفكى عثمان، الخضر عبد الرحيم أحمد، بابكر الأمين الدرديرى، هاشم [...]. خالد آدم ابن الخياط، رحمة جبارة، الحاج عبدالله الحاج، محمد عبدالرحمن أحمد، كمال مهدي حسن جميل، عبدالله ميرغنى محمد، محمد أحمد عثمان، أحمد الختم عبدالله، حبيب الله محي الدين أبو كساوى، محمد [...] الحاج، حسن محمد أحمد عمر، محمد أحمد محبوب، الحاج أحمد سماعة، عبد الباقي حمودة، [...] حاج أحمد، =

الفجولة الفكرية ومعار الفقهاء: ضياع أربعة عقود من فرص التغيير والتحرير

غير أن الشواهد من الأفكار والأقوال والأعمال، والتي يمكن إخضاعها للاختبارات الاجتماعية "الإكلينيكية" تكاد لا تحصى ولا يتسع لها المقال، وتفضى جميعها إلى حقيقة وحيدة.. إنه كان استثنائياً واصيلاً!!⁽¹⁾

نزار أحمد أيوب (2010-???)

كتب الأستاذ محمود، كما جاء في صدر هذا الفصل، كتب قائلاً: "إن السبب الحقيقي لهذا التخلف هو الجهل بالدين، والانحراف به إلى قضايا فقهية متحجرة، تُكبّل العقل، الذي يتخذها منهاجاً لدراسته، ولا تحرره"⁽²⁾. انحرف الفقهاء والعلماء بالسجالات مع الأستاذ محمود إلى القضايا الفقهية، فكان السجالات من جانب الفقهاء سجالاتاً فقهياً، ومن جانب الأستاذ محمود سجالاتاً فكرياً من أجل التغيير والتحرير، وشتان ما بين الرؤيتين. لقد أضاع الفقهاء نحو أربعة عقود (1957-1985)، كانت خصماً من فرص التغيير والتحرير وخصماً من عمر تاريخ السودان وشعوبه ومن شعوب الأرض، في سجالات بلا شرف وحجج لا تبارح مكانها من ضعفها وكذبها، ولم يقدموا سوى عبث فكري وفوضى أخلاقية وفجور في الخصومة، وكذب في حق الأستاذ محمود يقدمونه عبر منابر الخدمات التنويرية. قابلوا الفجولة الفكرية بالهراء والكذب ولكن الكذب لا ينطلي على أجيال اليوم. فبقليل من البحث والتنقيب ومقارنة القرائن نخلص إلى عكس ما ذهب إليه علماء السودان. هذا الحديث يؤذي قارئيه من الذين زاروا الأستاذ محمود من المثقفين وعامة الناس، وهم كثر. فقد أوردت آنفاً شهادة أحد الأكاديميين والمثقفين السودانيين عبدالله

= سيف الدولة أحمد حسن، يحيى فضل المولى صالح، إلياس على الشيخ، الطيب محمد أحمد، على محمد وقيع الله، حبيب الله عبدالله حسن، يوسف عثمان جبريل، عثمان أحمد جاد الرب، سعد عبد الرسول، أحمد إبراهيم أبو [...]. محمد إدريس مرسى، خالد حامد خوجلي، سليمان محمد أحمد، حسن محمد أبو ذنين، أحمد محمد جلي، [...] فيصل محمد سليمان، [...] سيد أحمد، محمد صالح محي الدين، عمر سعيد حمد، حسين محمد ذكي.

(1) نزار أحمد أيوب، "الأستاذ والمفصلة والأراجوز"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) 18 يناير 2013، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 9-10.

جلاّب الذي أجرى حواراً صحفياً مع الأستاذ محمود فى يوم الاثنين 1972/12/11، وقد أجرى مقابلة معه قبل ذلك فى عام 1968. وصف عبدالله جلاّب بساطة الأستاذ محمود محمد طه وبساطة منزله وحياته وكيف أن البساطة هى أصلاً من صميم حياته. أما وقع حديث علماء السودان على تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، فإننى على يقين تام بأنهم حينما يعيدون قراءة هذا النص يكونون فى حالة إشفاق وعطف ما بعده عطف على "علماء السودان"، لأنهم عاشوا مع الأستاذ محمود حياة الكفاف ويعرفون حق المعرفة نوع موائله، وهى موائل من هم يعيشون تحت خط الفقر برضا. فالأستاذ محمود هو القائل مقولته الشهيرة: "ساووا السودانيين فى الفقر إلى أن يتساووا فى الغنى"⁽¹⁾. أما حديث علماء السودان فى وثيقتهم عن: "الإمكانات الضخمة الواسعة من المطابع والأوراق والنساخين والعمال والمنازل المؤجرة والعربات..."، سيأتى تناولى له لاحقاً، ضمن محور عنوانه: "تمويل حركة الإخوان الجمهوريين". يبدو أننا قوم لا نعرف الإحسان والاحترام لأصحاب العقول الكبيرة، ولا نعرف لأهل الفضل بفضلهم، وقد جبلنا على العدا والحدس لأصحاب المبادرات الخلاقة. يقول منصور خالد وهو يتحدث عن علاقته بالجمهوريين وطبيعة فكرهم ونهجهم فى الحياة، يقول منصور خالد: "الجمهوريون قادتني اليهم فحولة فكرية، وخصائل شخصية. كثيرون كانوا يقدرّون فى الجمهوريين تلك الفحولة دون أن يشاركوهم الراى ناهيك عن الانضواء تحت لواء تنظيمهم. من بين الخصال التى حببتهم الى نفسى، أدب الخطاب وتجويد الكتاب والتوافق المبهج بين السر والعلانية"⁽²⁾.

الشاهد أن التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وضد مشروعه وتلاميذه، كان تحالفاً واسعاً وقوياً امتد نحو ثلاثة عقود (1957-1985)، ولا يزال. لقد قام بنشاطات كثيفه،

(1) سمية محمود محمد طه، دور النساء المعيلات للأسر فى تقليل حدة الفقر، دراسة حالة دار السلام شمال بأمدرمان، بحث لنيل درجة ماجستير الآداب فى الدراسات السودانية (اجتماع)، مارس 2012، إشراف: الهام عبد الرحمن عثمان، كلية الدراسات العليا، جامعة الزعيم الأزهري، الخرطوم بحري، السودان، (بحث غير منشور)، ص الإهداء.

(2) منصور خالد، "الدكتور منصور خالد يفتح صندوق الذكريات الخاصة والعامة"، (حوار)، حوار كمال حسن بخيت، البيان الإماراتية، العدد: 196، الأربعاء 6 أغسطس 2003.

داخل السودان وخارجه، إذ غط صورة الأستاذ محمود فى الأذهان، تنميطاً سلبياً، كما قدم معطيات لصنع مناخات فكرية متخلفة، تتصل بالماضى أكثر من اتصالها بالراهن والمستقبل فساهم فى تجميد الحياة، وتحجيم العقول وتكليس حركة التغيير. برغم ذلك فإن الدراسات والكتب التى تولى إصدارها التحالف الإسلامى بكل أطرافه خلال النصف الثانى من القرن العشرين فى نقد الأستاذ محمود وفى مهاجمة مشروعه وتلاميذه، بعضها فقد قيمته، إذ لم تعد تغذى الخيال أو تضيف شيئاً أمام تطورات الحياة ونهوض الواقع، وبعضها الآخر تبخر. بينما توسعت، من الناحية الأخرى، الدراسات عن الأستاذ محمود وعن مشروعه، توسعاً دائماً ومستمراً داخل السودان وخارجه وفى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. فقد صدرت كتب وأوراق علمية ومقالات وأطروحات جامعية بلغات عديدة، وترجمت بعض كتاباته إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية وغيرها. وهذا ما سأتناوله فى الفصل القادم تحت عنوان: "قراءة فى الدراسات السابقة: مرحلة ما بعد الفقهاء".

الفصل الثالث

3

قراءة أولية في الدراسات
السابقة: مرحلة ما بعد الفقهاء

بداية إعادة توصيف صورة
الأستاذ محمود في المخيلة⁽¹⁾ السودانية

(1) مفردة المخيلة تستدعي كتاب: منصور خالد، جنوب السودان في المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخي، مرجع سابق. فهي مستلفة منه.

إننى أزعـم أن الأستاذ محمود هو بين المفكرين الإسلاميين المجددين المعاصرين أكثرهم وأعمقهم إدراكاً لمازق الفكر الإسلامى السلفى فى مواجهة متغيرات الواقع المعاصر وما تطرحه من إشكاليات متواترة ومعقدة. ولقد كان عميق الإدراك بنفس القدر لقصور محاولات الكثيرين من دعاة التجديد و"بؤس" مفاهيمهم وقراءاتهم (بتأهيلهم واستعدادهم أصلاً، وليس المقصود بالطبع تأهيلهم المعرفى الأكاديمى أو مواهبهم الشخصية) عن التصدى لمثل هذه المسئولية الجسيمة⁽¹⁾.

عبدالله بولا

بكيت الاستاذ محمود كما لم أبك زعيماً من قبل، ولا أظننى سأبكي آخر من بعد...

أين الذين نصبوا له المشائق؟ دفنوا فى صحارى النسيان أحياء، والشيخ الذى قبروه فى صحراء العنمور لا يزال حياً يوحد فكره المنابر⁽²⁾.

عادل الباز

(1) عبدالله بولا، "محاولة للتعريف بمساهمة الأستاذ محمود محمد طه فى حركة التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر"، من سودان للجميع Sudan for all، استرجاع Retrieved بتاريخ 17 مايو 2009، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudan-forall.org>؛ عبدالله بولا، "محاولة للتعريف بمساهمة الأستاذ محمود محمد طه فى حركة التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر"، مجلة رواق عربى، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، العدد الرابع، أكتوبر 1996.

(2) عادل الباز، "صحارى النسيان"، صحيفة الصحافة، 18 يناير 2007، الخرطوم.

ظل الأستاذ محمود وتلاميذه فى مواجهة واسعة ومستمرة مع الفقهاء والقضاة الشرعيين و"علماء السودان" نحو ثلاثة عقود امتدت منذ عام 1957 وحتى يوم تنفيذ حكم الإعدام عليه صبيحة يوم الجمعة 18 يناير عام 1985. سعى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) خلال تلك الفترة لاستكتاب الأساتذة ليردوا على الأستاذ محمود، كما بينت فى الفصل السابق. السؤال أين المثقفون؟ لقد بدأت دراسات المثقفين من غير الفقهاء والقضاة الشرعيين عن الأستاذ محمود ومشروعه فى النصف الثانى من عقد الثمانينيات. وكما أشرت آنفاً بأن فترة الخمسينيات من القرن الماضى قد شهدت مساجلات وحوارات كبيرة بين الأستاذ محمود وبعض المثقفين منهم: الشاعر محمد محمد على ومحمد خير عثمان وغيرهم، وكان بعضها يتكئ على ندوة عبدالله حامد الأمين. اختطف بعد ذلك الفقهاء منابر الحوار فى عقد الستينيات وتأخر مجئ المثقفين. فلماذا تأخر المثقفون فى الحضور للكتابة عن الأستاذ محمود ومشروعه؟ هل كان موقف المثقفين، لا سيما طلائع المتعلمين رصفاء الأستاذ محمود، يمثل ردة فعل للنقد الذى كان يقدمه الأستاذ محمود وباستمرار لمواقف طلائع المتعلمين من الاستعمار ومن التسوية مع الطائفية وآليات أداء الواجب الوطنى؟ هل كان المثقفون فى تحالف غير معلن مع الفقهاء ضد الأستاذ محمود خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضى؟ إن التحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وضد مشروعه وتلاميذه، والذى وقفت عليه فى الفصل السابق، كان تحالفاً واسعاً وقوياً امتد نحو ثلاثة عقود (1957-1985)، مع تفاوت فى مراحلها وتعددها، ولا يزال، مع الانكماش المستمر فى دوره. السؤال لماذا لم يكن فى الساحة سوى الأستاذ محمود وتلاميذه فى مواجهة ذلك التحالف؟

لا يفوتنا أن هناك نماذج من المثقفين وقفت بقوة مع الأستاذ محمود وتلاميذه منذ ستينيات القرن الماضي، وظلت مناصرة لمواقف الأستاذ محمود ومنافحة عنه وعن مواقفه. لقد أخذ "علماء السودان" في مناشيرهم وبياناتهم بمنهج تهديد وتخويف المثقفين، كما بينت في الفصل السابق، فهل أثر ذلك على التعاطي مع مشروع الأستاذ محمود؟ لقد أراد التحالف الإسلامي بما اشتمل عليه من علماء من خارج السودان ومن داخل السودان من الفقهاء والقضاة الشرعيين "وعلماء السودان"، أرادوا جميعهم أن يقبروا الأستاذ محمود ويقبروا مشروعه، هل نجحوا في ذلك؟ الشاهد أن ذلك التحالف قام، وتوسع متكثراً على مناخ محكمة الردة التي انعقدت ضد الأستاذ محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهوري، في يوم الاثنين 18 نوفمبر 1968 قام بنشاطات مكثفة، داخل السودان وخارجه، إذ غطت صورة الأستاذ محمود في الأذهان، تنميظاً سلبياً، كما قدم معطيات لصنع مناخات فكرية متخلفة، تتصل بالماضي أكثر من اتصالها بالراهن والمستقبل فساهم في تجميد الحياة، وتحجيم العقول، وتكليس حركة التغيير. كان دوره مع آثار محكمة الردة دوراً خطيراً في سلبه على الفضاء المعرفي السوداني. لقد هبط بمستوى الحوار، وحجب الناس، والكثير من المثقفين خاصة، عن الأستاذ محمود، فقاطعوا كتبه ومحاضراته ومشروعه ونبذوا تلاميذه، وأغضوا أعينهم عن ما طرحه من حلول ناجعة للكثير من القضايا المحلية والإقليمية. فانصرف الكثير من المثقفين وعامة الناس من قراءة الإنتاج المعرفي للأستاذ محمود، وعاشوا في حالة تضليل وتغييب. واكتفى الكثير من الناس بأن ينوب عنهم بعض المثقفين في قراءة الإنتاج المعرفي للأستاذ محمود ومن ثم معيرته وتقييمه، وإبداء الرأي حوله.

تكلس حقبة السكوت وتراجع حظ الأوصياء على العقول

عندما يموت الضمير وتسوء الأخلاق... - عندما يعم وباء السكوت والتفاسي تملو طحالب الباطل وتبين عما ران في القلوب من غشاة السطحية والغرض كأنها الشُّم الرواسي - تنقلب المقاييس وتضطرب الموازين وتنهار القيم ويعيش الإنسان في متاهات لا متناهية وليست لها حدود، في مثل هذه الحالة يتسلق الذرائعيون وذوو الأغراض قمم التوجيه والإرشاد ويتحولون إلى قديسين وأطهار وأبطال ويتحولون بقدرة مثل هذا الواقع إلى

موزعين لأقدار الخلق وإلى أوصياء عليهم وأولياء على الحياة نفسها- ...
وهي الحالة التي يصبح فيها الخير شراً والعدل ظلاماً والجمال قبحاً والحكمة
ضرباً من ضروب الغباء⁽¹⁾.

عمر على أحمد (1942-2008)، عام 1968⁽²⁾

نتج عن سكوت المثقفين وعدم استخدامهم لأدواتهم، غيابهم، ولا شيء أخطر على
المجتمعات من غياب مثقفيها. إن غياب المثقفين أو حضورهم بلا أدواتهم، تغيب لمعاني
الخير والحق والأخلاق، وتقدم للظلمات وتفشى للتضليل والتغيب، وأعظم فرصة لتقدم
الجهلاء ومتوسطى المقدرات والمعارف ليتولوا أمر الحوار والسجال وقيادة المجتمع
وتوجيهه. لقد صمت المثقفون نحو ثلاثة عقود، بالطبع لم يصمتوا كلهم سأتعرض لذلك
في مواقع متفرقة من هذا الكتاب، فساهم صمتهم في أن تولى الفقهاء والقضاة الشرعيون
وعلماء السودان قيادة السجال والحوار، فوضح أنهم لا يملكون الحد الأدنى من مقومات
الورع العلمي في موقفهم من الأستاذ محمود. من الملاحظات الجديرة بالذكر أن معظم
الذين كتبوا عن الأستاذ محمود وفي نقد مشروعه، في مرحلة الفقهاء، كانوا قد استخاروا
الله، كتب شوقي بشير عبدالمجيد في أطروحة الدكتوراة قائلاً: "لهذا كله أستخرت الله
وأقبلت على هذا الموضوع متوكلاً عليه"⁽³⁾. كذلك كتب المكاشفى طه الكباشى قائلاً:
"ولذلك رأيت بعد أن استخرت الله سبحانه وتعالى أن أكتب بحثاً..."⁽⁴⁾. ورغم ذلك لم
تلتزم هذه الكتابات بالأسس الأخلاقية والعلمية وغاب الورع العلمي فيها. كذلك غاب
الورع العلمي في منشورات "علماء السودان" ضد الأستاذ محمود والتي افتقرت للأسس

(1) عمر على أحمد، "عندما يعم وباء السكوت تملو طحالب الباطل"، صحيفة السودان الجديد، 1968/12/17
الخرطوم.

(2) ولد بمدينة كبوشية شمال الخرطوم. تخرج في كلية القانون بجامعة القاهرة الفرع - الخرطوم. اشتغل بالتدريس
منذ أن كان طالباً بالجامعة فعمل بمدرسة النهضة المتوسطة بأمدردمان، وبحلفاية الملوك بمدينة الخرطوم بحرى
ومدرسة بخت الرضا بمدني ثم منتقلاً عبر مدارس مديرية الجزيرة (أم تريبات، دردق، أبو عشر) ثم امتحن مهنة
الصحافة في أثناء جلوسه للمعادلة فعمل بجريدة القوات المسلحة وصحيفة الصحافة والايام!! ثم عمل بعد
تخرجه من الجامعة بالمحاماة وكان مكتبه في عمارة الحرية غرب سينما أمدردمان. ظل جمهورياً منذ ستينيات
القرن الماضي.

(3) شوقي بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص (ج).

(4) المكاشفى طه الكباشى، الردة ومحاكمة محمود محمد طه في السودان، مرجع سابق، ص 9.

الأخلاقية، وما كان يجب أن يلتصق غياب الورع العلمى واللا أخلاق بالعلم والعلماء. الشاهد أن غياب المثقفين كانت نتائجه وخيمة وخطيرة آنذ واليوم. لقد ظلت معرفة الناس بالأستاذ محمود معرفة سماعية. وكانت مصادر تلك المعرفة لعامة الناس تأتي من أناس غير موثوقين فى نقل الأمانة العلمية وفى نقل الرأى وفى مناقشة القضايا، لسبب بسيط وهو أنهم أناس لا يقرؤون. وقد أثبت ذلك فى الفصل السابق. فى الواقع كان الذين قرأوا الأستاذ محمود قليلين. كان علماء السودان يوجهون الأئمة والوعاظ والخطباء فى المساجد، كما ورد تفصيل ذلك فى الفصل السابق، قام الكثير من الأئمة بالمهمة دون أن يكونوا على اطلاع بما كتبه الأستاذ محمود، وبعضهم لم يسمعه. كتب عمر على أحمد، وهو يتحدث عن كيف كان علماء الإسلام وفقهاؤه يتصيدون أخبار الأستاذ محمود، كتب قائلاً:

يفضل علماء الإسلام ودعائه وحماة عقيدته والحاديون على عقائد الناس من التصدع أن يتصيدوا أخبار محمود وآراءه من أفواه من لا يؤخذ عنهم وقد يكون منهم من لم ير محمود البتة (محمود لا يصلى لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومحمود منته.. ومحمود قال لجماعة كذا، ومحمود قال فى البلاد الكذا كذا... إلخ". بمثل هذه الأقاويل كانت تتكون كثير من خطب الجمعة فى المساجد والزوايا وتنتقل إلى الناس باعتبار أنها أفكار محمود مع تزييلها بالحث والتوصية مما تجود به قريحة العالم⁽¹⁾.

لم يقف الأمر عند الأئمة والوعاظ والخطباء، بل توسع الحلف وشمل قطاعات واسعة، منها بعض المعلمين، ومثقفين فى مجالات أخرى. كان بعض المعلمين فى المدارس يمنعون التلاميذ من حضور محاضرات الأستاذ محمود. حكى لى بشير بكار قائلاً: "إننا حينما كنا تلاميذ فى المدارس، وكان الأستاذ محمود يأتى لمدينة رفاعة ليقدم المحاضرات، كان المعلمون يمنعوننا أن نذهب لنستمع للأستاذ محمود، فى حين كان حينما يأتى حسن عبدالله الترابى ليحاضر، كان هؤلاء المدرسون يحثوننا على الذهاب للاستماع للترابى"⁽²⁾. كذلك روى لى عماد عبداللطيف

(1) عمر على أحمد، "عندما يعم وباء السكوت تعلق طحالب الباطل"، صحيفة السودان الجديد، 1968/12/17، الخرطوم.

(2) مقابلة مع بشير بكار، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، الخرطوم، 2012/1/6، الساعة الثالثة عصراً، كانت المقابلة بمنزل أحمد محمد الحسن.

محمد، وهو يعلّق على سلسلة مقالاتي: "الأستاذ محمود والمثقفون"، التي نشرتها سابقاً، وعماد يعمل معلماً في المرحلة الثانوية، وهو متخصص في الأدب والنقد العربي والدراسات الإسلامية، روى لي عماد عبر مهاتفتي قائلاً: نحن فعلاً كنا مضللين في الأستاذ محمود تضليلاً شديداً.. ما كنا نستطيع ذكر اسمه في المجالس، لأن الشائع أنه كافر... إلخ، اكتشفنا أن الأستاذ محمود هو غير الذي حدثونا عنه.. أنا ما كنت أعرف أن الأستاذ محمود بهذه العظمة والقوة.. لكن الآن عرفت أن الأستاذ محمود شيء آخر شيء مختلف⁽¹⁾. ثم أضاف عماد متحدثاً عن كتابة الأستاذ محمود ومقدما رؤية تجلّت فيها خبرته وتخصصه وهو أستاذ للنقد، أضاف قائلاً: "عندي ملاحظة مهمة وهي أن نصوص الأستاذ محمود التي تستشهد بها في مقالاتك.. هذه نصوص عجيبة، كتابة ليس فيها انشغال إلا بالإنسانية والشأن العام، لا طمع لا دنيا لا ذاتية لا عتريات ولا تلمح فيها أي نوع من أنواع ادعاء بطولة..". يعترف عماد قائلاً: "أنا لأول مرة أقرأ نصاً كتبته الأستاذ محمود، وهذا في حد ذاته تقصير، أنا خريج دار العلوم في مصر ودرست أدب عربي ومعلم أدب ونقد.. إن نصوص الأستاذ محمود التي أوردتها، نصوص يفشل في كتابتها كبار الأدباء.. الرجل ده أين نضعه هل نقول مفكر؟.. من أولياء الله الصالحين، أم أديب، لا... لا أكبر من كده.. أكبر من كده بكثير بكثير جداً جداً"⁽²⁾.

الشاهد أن التضليل بشأن الأستاذ محمود والتشويه لمشروعه كان كبيراً، والسكوت كان كبيراً أيضاً، سكوت المثقفين أهل القلم وأهل الثقافة وأهل الواجب المباشر في التنوير وبناء العقول. لكن العزاء أن الناس في الشارع لم تعد تثق كثيراً في تسليم عقولها للفقهاء والقضاة الشرعيين، وبدأ الناس مع الانفجار المعلوماتي وتوفر سبل التعلم الذاتي أكثر قدرة على البحث والتنقيب والوصول للحقائق. بدأ المثقفون في السودان مع بداية القرن الحادي والعشرين إعادة النظر في الكثير من القضايا أهمها دورهم واستخدام أدواتهم. ويمكن للباحث أن يقف على تلك البداية في كتابات المثقفين وفي حواراتهم ومن خلال الشجاعة في اعترافاتهم أيضاً. لقد جمعت مجموعة من الاعترافات الشجاعة بما يخدم

(1) عماد عبداللطيف محمد، مهاتفة تلفونية من الخرطوم مع المؤلف في الدوحة، 19 سبتمبر، 29 أكتوبر، 18

ديسمبر 2010.

(2) المصدر السابق.

التنوير والخدمة التنويرية. كذلك يمكن القول بأنه قد بدأت مرحلة انتزاع الميدان والسوح من طبقة الفقهاء ومن لف لفهم حين بدأ المثقف استخدامه لأدواته والقيام بدوره. لقد بدأت الآن مرحلة نقد جريئة وقوية وواسعة، للإرث السياسى والفكرى، وبرغم أن المرحلة فى بداياتها، ولم تأخذ وضعها العلمى، لكنها فى توسع، ومع توسعها تبدأ عمليات التحرر من القطيع.

فك الحصار والانفكاك من القطيع

لا أنكر أننى وحتى فترة قصيرة لم أجرؤ أن أقرأ كتب الأستاذ محمود لنهيبى (الخوض فى الفتنة)، أى فتنة أشد من تقييد العقل بالوجدان، كما يقول صديقى المهندس الأديب محمد عبد اللطيف هارون (شيخ طويل)؟⁽¹⁾.

الوليد موسى مادبو

كانت الحملة ضد الأستاذ محمود، عنيفة وبلا أخلاق، وكان تأثيرها كبيراً وناظراً. استغلت الحملة بساطة السودانيين وثقتهم فى المتحدثين من أبنائهم فى المنابر باسم الإسلام، فظن الناس أن مثقفهم الذين يتحدثون على المنابر باسم الفقه والشرع موضع ثقة، وأنهم أمينون فى ما ينقلونه إليهم عن الأستاذ محمود، ولم يدركوا أن جل المتحدثين لم يقرأ للأستاذ محمود بل كانوا يرددون دون علم أو هدى أو رشاد. قام العداء للأستاذ محمود بلا وعى وبلا معرفة وبلا استقلال وفردية فى القدرة على الوقوف على الحقائق. تعاطى الناس فى السودان مع الأستاذ محمود بمبدأ الإنابة ومفهوم فرض الكفاية، قام البعض بإنابة الناس فى موضوع الأستاذ محمود. فغيب الناس وضللت السوح والقضاءات المعرفية. ولكن بدأ الناس يكتشفون الأمر وبدأت الأجيال تدخل برؤى نقدية للسائد والمألوف. كتب ياسر عبيدى برّدويل، تحت اسم "طناش"، بالمنبر العام بموقع سودانيز أونلاين، يتحدث عن كتب الجمهوريين لدى والده الذى ينتمى للحزب الوطنى الاتحادى، كتب ياسر قائلاً: لم أقرب من تلك الكتيبات التى قد تكون مازالت موجودة فيما خلفه الوالد من كتب، إذ كنت أنظر إليها من زاوية عيني شذراً مذراً، وذلك من كثرة ما شنّف به "عبد الجبار المبارك" أذائنا بفتاويه التلفزيونية ضد الأستاذ العظيم، فقد كنت

(1) الوليد موسى مادبو، "حرية الضمير"، صحيفة السودانى، 3 أغسطس 2007، الخرطوم.

حينها أمر بنوبة تدين عاصفة⁽¹⁾. لقد انقذه والده من تلك الحالة، وبدأ رحلة البحث بعيداً عن التضليل كتب ياسر قائلاً:

كم سأظل مديناً و مقدراً له مجهوده ذلك.. وبفضل انقاذه إياي، طفقت مثله أحاول معرفة كل شيء ولا أكون رأياً تجاه أى شيء حتى أعرفه جيداً، وساعدنى ذلك فى التخلص من كل آرائى المسبقة. وفى أواخر المرحلة الجامعية تعرفت لأول مرة على كثير من أفكار الأستاذ المفكر "محمود محمد طه"، وكم ندمت لعدم تعرفى عليها إبان صرعة تدينى تلك "الطالبانية!" لكنك سلمت الوالد من ما أصابه من عقوق و سلمت نفسى من ما أصابها من عنت دينى، ولكنك منذ حينها وحتى الآن "جمهورياً!!"⁽²⁾.

برغم ما قام به التحالف الإسلامى الذى قوامه الفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء السودان" بامتداداته الخارجية فى الأزهر بجمهورية مصر العربية وفى المملكة العربية السعودية، فإن حقبة السكوت قد انتهت، وحقبة التضليل على وشك الانتهاء. روى على آداب المعروف بـ "Degna" بالنسبة العام بموقع سودانيز أونلاين، قصة مؤثرة ومعبرة، عام 2009، روى قائلاً:

دعنى أحكى لك ولكم جميعاً هذه القصة الصغيره وهى واقعية وليها أقل من 5 سنه. مرة ذهبت كعادتى لابن عم لى، زيارة عادية، وهو أكبر منى سنأ، وأبناؤه فى مثل سننى وأكبر. وفجأة تذكرت الأستاذ محمود وحينها لم أكن أعرف الأستاذ محمود معرفة شديدة، ولم أقرأ له أى كتاب. وسألته ما هو رأيك فى الأستاذ محمود محمد طه؟ ولم يتردد قال لى: أعوذ بالله منو. ده زول خارج من الملة الإسلامية. وقال لى: وإنك سمعت بيهو وين؟ لأنو عندما أغتيل الأستاذ محمود، عمرى لم يتجاوز الثلاث سنوات، فقلت له: أنا بسألك سآى بس سمعت بيهو

(1) طنأاش (ياسر عبيدى بردويل)، "كيف تغير موقفى تجاه الفكر الجمهورى"، ضمن خيط بعنوان: بين (نيروز) الحلاج ... و (نيروز) الأستاذ محمود محمد طه، من موقع سودانيز أونلاين، استرجاع (Retrieved) 22 يناير 2004، الموقع على الإنترنت:

<http://www.sudaneseonline.com>

(2) طنأاش (ياسر عبيدى بردويل)، مرجع سابق.

حببت أعرف رأيك بس. ولكن بعد 3 سنوات من هذا الكلام مع ابن عمي، وبعد تعرفي على كتب ومؤلفات الأستاذ محمود خرجت برأى مغاير تماماً لكثير من الكلام الذي كنت أسمعه عن الأستاذ محمود. وفي يوم من الأيام ذهبت إليه وهذه المرة معي 4 أوراق أو وريقات من كتاب الأستاذ محمود طريق محمد وقرأته له وفجأة قام ابن عمي وقال لي: هذا كلام كبير، وكلام عارفين كبار، وسألني من هذا الشيخ؟ وقلت له: هذا هو محمود محمد طه انتفض مجدداً من جلوسه، واعتدل في الجلسة وصمت فجأة ثم بكى وقال لي: كم ظلمت هذا الرجل لأنني صدقت كلامهم دون أن أتبين أو أقرأ له أو أسمع منه مباشرة" (1).

أيضاً، كتب الوليد موسى مادبو، وهو من المثقفين الشباب، قائلاً: "لا ننسى اغتيال النميري للأستاذ محمود محمد طه الأمر الذي أنكرناه سياسياً لمجرد رفضنا للظلم وللحقارة، لكننا لم نستطع أن ننبذه (أي اغتيال نميري للأستاذ محمود) دينياً لسيطرة الغش على قلوبنا ومعتقداتنا. إن التقاطع بين هاتين الحريتين: حرية الممارسة السياسية وحرية الاعتقاد الديني هو سبب الإشكالية النفسية التي نعيشها" (2). ثم أعترف الوليد مادبو اعتراف الشجعان قائلاً: "لا أنكر أنني وحتى فترة قصيرة لم أجرو أن أقرأ كتب الأستاذ لتهيبي (الخوض في الفتنة)" (3). ثم يتبع ذلك الاعتراف بإبداء رأي وموقف يستند على الفردية، وهي مطلب اليوم ومدخل المستقبل، ومبنى كذلك على الوعي وعمق المعرفة، وهي بعض شروط الورع العلمي. كتب الوليد قائلاً: "أي فتنة أشد من تقييد العقل بالوجدان، كما يقول صديقي المهندس الأديب محمد عبد اللطيف هارون (شيخ طويل)؟" (4) إن جل الشواهد التاريخية تبرهن على أن الدين حتى وفق النظرة النصوصية بقي بعيداً عن المقاصدية (لأن النصوص لم تكن بالوفرة) فلم يكن مسؤولاً عن قتل شهداء الفكر في عالمنا الإسلامي، لكننا يجب أن نعترف بأن صيرورة

(1) على آداب، ورد ضمن خط افترعه عبدالله عثمان بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه: قالوا ولم نقل !!!"، موقع سودانيز أونلاين Sudaneseonline، المنبر العام، استرجاع (Retrieved) يوم 2009/11/5، الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com

(2) الوليد موسى مادبو، "حرية الضمير"، مرجع سابق، الخرطوم.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

الحدث التاريخي قد شكلت الوجدان سلباً مما جعله على أحسن الفروض لا يجزؤ على الإنكار، إنما الإقرار السلبي - السكوت⁽¹⁾. إنني ما أن أرى صورة الأستاذ عبد الخالق محبوب إلا وأحس بوخز في ضميري كأنني ساهمت في قتله لأننا وبالسكوت الجماعي قبلنا (لطيح الفصل) أن يوارى سواته - الغيرة الشخصية - باغتيال (أول الفصل) متهماً إياه بالعمالة تارة وبالزندقة تارة أخرى، إذ كان يقول ملء فاه (عبد الخالق الذي لا يعرف الخالق)⁽²⁾. إن الحيلة ذاتها قد انطلت علينا ولو إلى حين، حين قبلنا من (عريد نذر حياته للزندقة) أن يتناول على راهب (مهر أيامه بالدعوة إلى الفضيلة) ويصفه بالزندقة وبالكفر. إن النميري ليلة اغتيال محمود محمد طه سمع هتافاً من أحد سائقي التاكسي وهو مار بكبرى بحرى يقول له (نصرت الدين يا ريس!!). هذا هو الوجدان السوداني الذي تشكل وفق مقتضيات البدوة وجلافتها وآفات التزمت ومأساته. يا ترى هل كانت الانتفاضة تكفيراً لسيئة لم نبرح حتى عاودنا ارتكابها بقبولنا لزمرة المستشار الرجوع إلى القصر مرة ثانية وباسم الإسلام؟⁽³⁾.

وفي نموذج آخر من الاعترافات الشجاعة والتي تتصل بالحوارات والنقاشات التي كان يجريها تلاميذ الأستاذ محمود في الجامعات عن قضايا كبرى ومركزية مثل قضية المساواة بين الرجل والمرأة، كتب على عبدالله حسن قائلاً: أذكر أول مداخلة لي في ركن نقاش الجمهوريين عندما كنت "برلوماً" جديداً في الجامعة، وكان مدير الركن آنذاك العملاق الدكتور عمر القراي، وموضوع النقاش المساواة بين الرجل والمرأة. تحدث عمر القراي عن النصوص والتشريعات الخاصة بالمرأة في الإسلام وأن المرأة في الجاهلية كانت أمية وضعيفة وفي حاجة للرجل للدفاع عنها... إلخ ثم فتح الفرصة للنقاش وعلى الفور رفعت أصبعي وأعطاني الفرصة للرد فقلت وأنا أتحدث بكل حماس وبشيء من التشنج والانفعال: "الله سبحانه وتعالى لم يساو بين الرجل والمرأة تجو إنتو الجمهوريين تساووا بين الرجل والمرأة؟ يقول الله تعالى "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى" ويقول تعالى "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم".. ويقول تعالى "فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى". تقول لى علم المرأة والمرأة فى زمن الجاهلية؟ الله سبحانه وتعالى لم يقل ذلك فى كتابه الكريم بل وضع أحكاماً صالحة لكل زمان ومكان.. وكنت واثقاً من نفسى بهزيمة عمر القراى فأيات القرآن واضحة فى عدم المساواة بين الرجل والمرأة وقلت فى نفسى "سوف أحاصره بهذه الآيات فأين له من مخرج اليوم؟".. ولكن هل لكم أن تتصوروا إنه مع تسلىحى بهذه الآيات وبأحاديث صحيحة فإن عمر القراى استطاع أن يهزمنى هزيمة نكراء وفى خلال دقائق معدودة؟ بل جعلنى أضحوكة أمام الطلاب الحضور. ومنذ ذلك اليوم قررت عدم مناقشة عمر القراى أو أحمد دالى فى ركن نقاش عام. وهزيمتى فى ذلك الركن بدأت عندما وجه إلى عمر القراى السؤال التالى: أيهما أفضل عائشة أم المؤمنين أم أبوجهل؟ وطبعاً حاولت أن أزوغ من هذا السؤال لأننى أعرف تماماً أن الإجابة على هذا السؤال معناها الهزيمة. ولكن مع أى محاولة للزوغان كان عمر القراى يصصر على السؤال: يا أخى جاب على سؤالى أيهما أفضل عائشة أم المؤمنين أم أبوجهل؟ وأمام إصراره وضحك الحضور أجبت: نعم عائشة أم المؤمنين أفضل من أبوجهل. فسألنى مرة أخرى: لماذا؟ قلت: بسبب الإيمان. ثم السؤال قاصمة الظهر: وعائشة امرأة وأبوجهل رجل؟⁽¹⁾

المثقف بأدواته غذاء لمنابت الخير وتجفيف لمنابت الظلم والجهل

نحن المثقفين قصرنا، وأنا من المقصرين، فى موقفنا من الكتابة عن الأستاذ محمود.. وأنا أرى إني عوقبت على ذلك، وعقوبتى أننى لم أستطع أن أكتب، كأن معنى جف أو نضب⁽²⁾. إن عدم كتابتى عن الأستاذ محمود، أمر لن أغفره لنفسى⁽³⁾.

الطيب صالح، نقلاً عن أحمد محمد الحسن والباقر العفيف

- (1) على عبدالله حسن، "فى ذكرى إعدام الأستاذ محمود محمد طه... وذكريات تلك الأيام"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) 19 يناير 2013، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org.
- (2) مقابلة مع أحمد محمد الحسن، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، الخرطوم، 2012/1/6، الساعة الثالثة عصراً. حدثنى أحمد بأن الطيب صالح قال هذا فى المغرب. وقد رواه لأحمد صديقه صديق على يحيى (صديق ابن عربى)، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، الذى كان مبعثاً من المجلس القومى للبحوث، لدراسة الماجستير هناك. قال أحمد قال صديق على يحيى: كنت فى المغرب فى عام 1988. وحلت ذكرى 18 يناير فتم تنظيم جلسة لإحياء الذكرى. تحدث فيها أنا باعتبارى جمهورياً، وتحدث الطيب صالح الذى كان من بين الحضور، وقال ما ورد عليه.
- (3) هذا ما قاله الطيب صالح للباقر العفيف. المصدر: مقابلة مع الباقى العفيف، الخرطوم، 28 يوليو 2012، الساعة 11:30.

بدأ المثقفون من غير الفقهاء ومن لف لف الفقهاء، الكتابة عن الأستاذ محمود وعن مشروعه، في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي، على الرغم من وجود متفرقات قبل ذلك (سترد إشارات للمتفرقات في أماكن مختلفة من هذا الكتاب). وتوسع هذا النوع من الدراسات مع خواتيم القرن العشرين، وزاد نشاطه مع بداية هذا القرن، ولا يزال، في نشاط وتوسع. صدر هذا النوع من الدراسات في كتب وأوراق علمية ومقالات وأطروحات جامعية أعدها سودانيون وغير سودانيين داخل السودان وخارجه في جامعات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب الحوارات على المنابر العامة على Internet (الشبكة الدولية لتبادل المعلومات International Network) برغم تأخر المثقفين بأدواتهم في الحضور لسوح السجال والحوار بشأن الأستاذ محمود ومشروعه، إلا أن مجيئهم كان حتمياً لا شك في ذلك. فمشروع الأستاذ محمود حمل في داخله حيوية وقوة واتصالاً بالمستقبل تجلت كلما تقدمت الحياة وظهرت متغيرات الواقع المعاصر بما تطرحه من إشكاليات كما أشار لذلك عبدالله بولا في دراسة له، استلكت منها قوله الذي تصدر هذا الفصل، أشار عبدالله بولا إلى أن الأستاذ محمود بين المفكرين الإسلاميين المجددين المعاصرين "أكثرهم وأعمقهم إدراكاً لمأزق الفكر الإسلامى السلفى في مواجهة متغيرات الواقع المعاصر وما تطرحه من إشكاليات متواترة ومعقدة".

كان لابد من حضور المثقفين لتنقية المناخات المعرفية والسوح الفكرية والثقافية، بكنس آثار سبعة وثلاثين عاماً من الهراء والعبث الفكرى والإفلاس الأخلاقى في كتابات الحقبة الماضية (1957-1985)، وقد وقفت على كتابات تلك الحقبة بالتفصيل في الفصل السابق. أيضاً، كان لابد من مجيء المثقفين لأن الظلم لا يقهر إلا بنمو حاسة العدل عبر الوعي وبتفعيل أدوات المثقف، كما أن الظلام المصنوع لا يمكن له أن يستمر في حجب النور، فمجىء المثقف بأدواته يغذى منابت الخير والحق والأخلاق ويجفف منابت الظلم والجهل ويحاصر القديم. كما أن مشروع الأستاذ محمود يتسم بالثراء، والثراء في أى مشروع لا تكتمل عناصره إلا إذا كان المشروع قادراً بالنهوض بأطروحاته وأركانه في سوح السجال الكوكبى، ومن ثم مثل إضافة حقيقية لمجلد البشرية. كذلك، كان حضور المثقفين حتمياً لأن مواقف الشموخ والصمود على منصة المشنقة في سبيل حرية الفكر وكرامة الإنسان، تهم المثقفين في المقام الأول وتخطب

المشروع الأهم عندهم وهو التغيير. إن مواقف الصمود على المشنقة لا تموت ولا تقبر وإن حاولت حجبتها جهود المؤرخين والمغرضين والأعداء. فموقف الصمود على المشنقة هو قصة نسب وعرق وخلاصة الكبرياء والشموخ لشعوب تاريخها موغل في القدم. والنسب في مثل هذه المواقف لا ينقطع بل يبعث في صباح كل يوم جديد.

الدراسات النقدية وإعادة توصيف صورة الأستاذ محمود في المخيلة

ولقد تمنيت أن لو عاش المجذوب (الشاعر محمد المهدي المجذوب) ليشهد الاحتفال الضخم الذي أقمنه عبر أسبوع كامل بنادي الأساتذة (جامعة الخرطوم)، تخليداً لذكرى الشهيد محمود محمد طه، وكان احتفالاً ذا طابع "سنابى" إذ قدم متحدثيه د. عدلان الحارذلو أبوسن، وكنت أنا أول المتحدثين. وقد شعر كلانا بانتماء محمود الكامل إلينا، واتمنا أن إليه، فكرراً وروحاً وبلداً وتقاليداً، فقد كان الشهيد يلبس الثوب، كاهلنا⁽¹⁾.

على أبو سن (???-2004)

ما أن بدأت تندفق دراسات المثقفين السودانيين من غير الفقهاء والقضاة الشرعيين، عن الأستاذ محمود ومشروعه، حتى بدأت عملية إعادة توصيف لصورة الأستاذ محمود في الشارع والمخيلة السودانية. عبرت هذه الدراسات، والتي جاءت باللغة العربية والإنجليزية، من خلال رصانتها العلمية عن ترفيع مستوى السجال والحوار بشأن مشروع الأستاذ محمود، عن ما كان عليه في حقبة سجال الفقهاء. لقد اتسمت هذه الدراسات، كما أشرت آنفاً، في أغلبها بالموضوعية والتزمت الشروط العلمية، وكان ههما "الارتقاء بالعقل السوداني وإثراء الفكر من خلال الاختلاف والتعدد". تعاطت جل هذه الدراسات مع الأستاذ محمود على أساس إيجابى يلمحه القارئ في الوصف الذى كان يطلق على الأستاذ محمود فى هذه الدراسات، وبعضها جمع بين الوصف (هذه بعض الوصوف التى وقفت عليها) منها: الشهيد، البطل، المفكر، المفكر الإسلامى، مجدد الفكر الدينى فى السودان، القائد، المرشد، الرائد، المصلح، غاندى السودان، وغاندى إفريقيا. إن أقوى ملاحظة برزت لى أثناء دراستى لهذا الفصل، أن

(1) على أبوسن، المجلوب والذكريات: أحاديث الأدب والسياسة بين الخرطوم، ولندن، والقاهرة، وباريس، ج2، بدون تاريخ ومكان نشر، ص 230.

الدراسات العلمية للمثقفين والتي أنا بصدها الآن، قد خلت في جلها من الاعتماد على كتابات الفقهاء والقضاة الشرعيين التي كتبت خلال حقبة الظلام (1957-1985)، كمصادر ومراجع لها. أيضاً، لم تهتم دراسات المثقفين في موضوعاتها بما اهتمت به كتابات تلك الحقبة من قضايا وموضوعات. فكتابات تلك الحقبة، ذات الخطاب العاطفي، بعضها تبخر من ذاته وبعضها الآخر دفتته تطورات الحياة وقبرته دراسات المثقفين الحدائين أصحاب الخطاب العقلي. إن الدارس حينما يدرس كتابات المثقفين التي بدأت مؤخراً، وهي موضوع دراستي الآن، مقارنة بما كتب في حقبة الظلام (1957-1985) يدرك منذ الوهلة الأولى أننا أمام دراسات نقدية تقوم على الأسس العلمية والأخلاقية وتسعى لإثراء الحوار وترفع شرف السجل. ولعل هذا ما سيلمسه القارئ لهذا الكتاب من خلال تناولي لكتابات تلك الحقبة في الفصل السابق، ومن خلال الإضاءات التي سأقدمها هنا عن دراسات المثقفين.

إن دراسات المثقفين، وهي في تقديري لا تزال في بداياتها مقارنة بحجم المشروع، تناولت مجالات عديدة في مشروع الأستاذ محمود، قضايا المرأة والفكر والسياسة والحرية والأخلاق والفنون... إلخ. قام بالدراسات سودانيون وأجانب، وجاءت في شكل كتب وأوراق علمية، إلى جانب أطروحات جامعية قدمت في داخل السودان بجامعة الخرطوم، وخارجه في جامعات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب الحوارات على المنابر العامة على الـ Internet (الشبكة الدولية لتبادل المعلومات "International Network") وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يتناول المثقفين السودانيين، إلا أنني أشرت لدراسات الأجانب الذين تناولوا مشروع الأستاذ محمود، لكون أصحابها يمثلون وجهة نظر من خارج الثقافة الإسلامية والعربية والسودانية، إلى جانب أنها صدرت في الدوائر الأكاديمية، ومثلت مراجع للعديد من الدراسات خارج السودان وداخله.

في هذا الفصل سأقدم نماذج فقط من الدراسات التي تناولت الأستاذ محمود في مجالات متنوعة، وبمنهج وصفي. ذلك لأنه يصعب حصر ورصد وتحليل كل الدراسات التي تناولت الأستاذ محمود ومشروعه في هذه المساحة المخصصة لهذا الفصل، فالدراسات تناولت قضايا عديدة في الفكرة الجمهورية منها: المرأة والتاريخ والصلاة والهوية والإنسان والوجود والكون والمجتمع والشرعية والعقاب والحجاب والرق والجهد والفردية، والتغيير

والتطوير ونشأة الحزب الجمهوري، وأشارت إلى محكمة الردة الأولى والثانية، والمشاركة في فترة مايو... إلخ. لهذا سيكون تناولي لهذه الدراسات بالإشارة إليها مقسمة في ثلاثة أنواع: الكتب، والأوراق العلمية والأطروحات الجامعية (دبلوم، ماجستير أو دكتوراه)، ولن أقف كثيراً عند المقالات الصحفية. كذلك، أننى فى هذا الفصل أسعى إلى تقديم نقد مختصر لهذه الدراسات عبر تسليط الضوء عليها، سواء من حيث الموضوعات التي تناولتها أو المناهج التي اتبعتها، والوقوف عند أهم القضايا التي أثارته. ويأتى نقدي لبعضها بالمقارنة فى ما بينها وفى ما وصلت إليه من نتائج وفى ما اتبعته من مناهج فى معالجتها، فى أماكن متفرقة من هذا الكتاب، مثلاً بعض هذه الدراسات تناولت موضوع "ثورة رفاعه- الخفاض الفرعوني"، وبعضها الآخر وقف على "مشاركة الجمهوريين فى ثورة مايو"... إلخ، ففى هذه الحالة سيجد القارئ أننى أحيله لمكان المحور المعنى. كذلك، أود الإشارة إلى أننى سأقف باختصار على مذكرات تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته التى صدرت مؤخراً وعددها خمس مذكرات، وذلك لأهميتها وقيمتها كمصدر تاريخى مهم. أيضاً، بالإضافة لذلك فإننى سأخصص مساحة للإشارة لإهداءات الكتب والأطروحات الجامعية والروايات ودواوين الشعر... إلخ التى أهديت من مثقفين سودانيين للأستاذ محمود. كذلك سأخصص مساحة أشير فيها للفنانين: المسرح، اللحن، والكاركاتير، وكذلك إشارة للشعراء السودانيين الذين رثوا الأستاذ محمود وخلدوا مواقفه وحياته شعراً.

الكتب

الفكرة الجمهورية ربت فى داخلي الكثير من المعارف⁽¹⁾.

بدر الدين الأمير

لابد من الإشارة إلى أن عبدالله أحمد النعيم، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، قد قدم إسهامات كبيرة فى التعريف بالأستاذ محمود وبمشروعه فى مختلف أنحاء العالم. فقد نشر النعيم ضمن إسهاماته فى التعريف بالفكرة الجمهورية عدداً كبيراً من الأوراق العلمية،

(1) بدر الدين الأمير، 'رفاعة عبقري المكان وإلهام التجديد الخلاق أبوسن وبابكر بدرى ومحمود محمد طه، من موقع سودانيز أونلاين، استرجاع (Retrieved) 26 فبراير 2007 الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com

والكتب، وكان جملها، إن لم يك كلها باللغة الإنجليزية. كذلك ترجم النعيم كتاب: الرسالة الثانية من الإسلام⁽¹⁾، إلى اللغة الإنجليزية، كما يقفز كتاب النعيم الذي صدرت نسخته العربية عام 1994 بعنوان: **نحو تطوير التشريع الإسلامي - الحريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولي**⁽²⁾، وكان الكتاب قد صدر أول مره باللغة الإنكليزية بعنوان: *Toward an Islamic Reformation: Civil Liberties, Human Rights, and International Law*⁽³⁾. ولا شك أن الكتاب يذكر بمرتکز من أهم مرتکزات مشروع الأستاذ محمود، وهو التطوير. لقد نشر النعيم في مجالات عديدة منها: القانون الإسلامي والجنائي، والدستور، وحقوق الإنسان بتقاطعاتها ومرجعياتها الثقافية المختلفة، والدين، والفكر الإسلامي، وشؤون الحكم والسياسة والمجتمع مع التركيز على الدول والمجتمعات الإسلامية والإفريقية، إلى جانب إدارته للعديد من المشاريع البحثية التي تركّز على استراتيجيات الدعوة للإصلاح والتغيير من خلال التحول الثقافي الداخلي،... إلخ. وقد ترجمت بعض أعمال النعيم (معظم كتابات النعيم بالإنجليزية) إلى لغات عديدة منها: العربية والأندونيسية والروسية والفارسية. إن منشورات النعيم، لا تعد حديثاً باسم الأستاذ محمود أو باسم تلاميذه (الإخوان الجمهوريين)، وإنما أصالة عن نفسه، كما ظل يؤكد، فالمنشورات على تنوعها وتعددتها في تقديري، تأتي في إطار مشروع النعيم الخاص، بيد أن المشروع على خصوصيته وتعدد معالمه، لا جدال في أنه ينتهي في نسبه الفكري عند الأستاذ محمود. يمكن للقارئ أن يقف على منشورات النعيم وعلى مشاريعه البحثية على صفحته الخاصة على موقع جامعة إيموري Emory University, Atlanta, U.S.A على شبكة الإنترنت، وفق الإشارة إليها في الهامش⁽⁴⁾.

(1) Mahmoud Mohamed Taha. *The Second Message of Islam*, Translated by Abdullahi Ahmed An-na'im (into English with Introduction). Syracuse NY: Syracuse University Press, 1987.

محمود محمد طه، **الرسالة الثانية من الإسلام**، ترجمه عبد الله أحمد النعيم إلى اللغة الإنجليزية، دار جامعة سيراكيوز للنشر، سيراكيوز، 1987.

(2) عبد الله أحمد النعيم، **نحو تطوير التشريع الإسلامي - الحريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولي**، ترجمة: حسين أحمد أمين، دار سينا، القاهرة، 1994.

(3) Abdullahi Ahmed An-Na'im, *Toward an Islamic Reformation: Civil Liberties, Human Rights, and International Law*, Syracuse University Press, Syracuse, 1996

(4) <http://www.law.emory.edu/aannaim>

من المهم أيضاً، الإشارة إلى أنه حتى تاريخ اليوم، حسب علمي، لم تتقدم أى مؤسسة سودانية سواء أكانت أكاديمية أو مركزاً للدراسات والبحوث لتنظيم مؤتمر علمي أو عقد ندوة أو حلقة نقاش أو إصدار دراسة حول مشروع الأستاذ محمود أو سيرة حياته أو عطائه الوطني والإنساني، بل لا تجد اسم الأستاذ محمود في قائمة مصادر ومراجع إصدارات معظم المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحوث والدراسات السودانية، إلا بعض الجهود التي قامت بها مؤسسات قليلة، منها: اتحاد الكتاب السودانيين، ومركز الدراسات السودانية، ومركز الخاتم عدلان للاستشارة والتنمية البشرية، ومركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، ومكتبة البشير الريح، ونشاطات لمثقفين شهدها نادى أساتذة جامعة الخرطوم، ومؤسسات أخرى سترد الإشارة لذلك ضمن فصل بعنوان: "الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية".

لقد أصدر مركز الدراسات السودانية العديد من الدراسات بشأن الأستاذ محمود، منها (نماذج فقط): كتاب بعنوان: محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان⁽¹⁾، الذي صدر عام 1992. شارك في الكتاب ستة من الأساتذة والباحثين. قام حيدر إبراهيم على إلى جانب إعدادة لورقة علمية، بالإشراف والتحرير. تضمن الكتاب في قسمه الأول خمس أوراق. هي حسب ترتيب نشرها في الكتاب كما يلي: كتب حيدر إبراهيم على ورقة بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه: الإنسان والمواقف والأفكار"، وعبدالله أحمد النعيم ورقة بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد في القانون الإسلامي"، وعلم الدين عمر ورقة بعنوان: "الفكر الجمهوري في السودان"، ومحمد أحمد محمود ورقة بعنوان: "في ذكرى الأستاذ محمود محمد طه، حرية الفكر: بين السياق الإسلامي والسياق المعاصر"، كما تضمن الكتاب جزءاً من رسالة للماجستير للباحث يورجن روجالسكي، قام محرر الكتاب حيدر إبراهيم على بترجمة ذلك الجزء، وأشار في الهامش إلى أن يورجن روجالسكي قدم رسالة الماجستير في جامعة برلين الحرة عام 1990. كذلك، كان طه إبراهيم من المشاركين. وتضمن القسم الثاني من الكتاب مختارات من الفكر الجمهوري، وملحق اشتمل على وثائق محاكمة الجمهوريين. كما نشر مركز الدراسات

(1) حيدر إبراهيم على (تحرير وإشراف)، محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السوداني (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

السودانية فى كتابه غير الدورى، كتابات سودانية، مقتطفاً من السفر الأول: أول كتاب صدر للجمهوريين بتاريخ 26 أكتوبر 1945⁽¹⁾. هذا إلى جانب إصدارات أخرى بشأن الأستاذ محمود، مع إشارات عديدة للأستاذ محمود فى إصدارات المركز الأخرى مثال: المشروع المدنى فى السودان: قضايا الانتقال إلى الديمقراطية والسلام، (مؤتمر 8-12 فبراير 1999)⁽²⁾. وغيره. كذلك تجد الإشارة للأستاذ محمود فى معظم دراسات حيدر إبراهيم على، أمثلة فقط: الدين والثورة: لاهوت التحرير فى العالم الثالث⁽³⁾.

منذ العام 1995، بدأت تظهر إسهامات عمر القرأى المكتوبة، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود. كانت كل إسهامات القرأى تستند وتنطلق من مشروع الأستاذ محمود. ففوق نشر المقالات الصحفية بشكل مستمر، نشر القرأى فى عام 1995 كتاباً بعنوان: الجهاد أم حرية الاعتقاد⁽⁴⁾. وفى عام 1997م كتاباً بعنوان: الفكر الإسلامى وقضية المرأة⁽⁵⁾، وكانت الطبعة الثانية من الكتاب فى عام 2007. كما نشر القرأى فى عام 2007 كتاباً بعنوان: الصادق المهدي الانكفائية ودعاوى التجديد⁽⁶⁾. كذلك أفادنى القرأى بأنه فرغ من تأليف كتاب بعنوان: الدين والتطور⁽⁷⁾، ودفع به للنشر والآن الكتاب تحت الطبع⁽⁸⁾. أيضاً نشر القرأى دراسة علمية بعنوان: "الحركة الجمهورية السودانية: المؤسس والمواقف"، جاءت ضمن كتاب المسبار الثامن والأربعين الذى هو بعنوان: الإسلاميون فى السودان: من التأسيس إلى الانفصال⁽⁹⁾، عام 2010.

(1) محمود محمد طه، "السفر الأول"، كتابات سودانية، العدد الرابع عشر، ديسمبر 2000، مركز الدراسات السودانية، القاهرة.

(2) ألكس دوفال وعبد السلام حسن (تحرير) المشروع المدنى فى السودان: قضايا الانتقال إلى الديمقراطية والسلام، مرجع سابق.

(3) حيدر إبراهيم على، الدين والثورة: لاهوت التحرير فى العالم الثالث، ط2، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1999.

(4) عمر القرأى، الجهاد أم حرية الاعتقاد؟، القاهرة، 1995.

(5) عمر القرأى، الفكر الإسلامى وقضية المرأة، ط2، دار عزة للنشر بالخرطوم فى 2007.

(6) عمر القرأى، الصادق المهدي الانكفائية ودعاوى التجديد، ط1، دار عزة للنشر، الخرطوم 2007.

(7) عمر القرأى، الدين والتطور، (تحت الطبع)، دار النهضة العربية بالقاهرة.

(8) أفادة من عمر القرأى عبر رسالة كانت فى يوم 27 يناير 2013.

(9) عمر القرأى، "الحركة الجمهورية السودانية: المؤسس والمواقف"، الإسلاميون فى السودان: من التأسيس إلى الانفصال، كتاب المسبار الثامن والأربعين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دى، ديسمبر 2010.

فى عام 1988 نشر مختار عجبوبة محوراً بعنوان: "قتل فقير بخراب أمير"، ضمن كتابه: **قادة السودان... وآفة النسيان**⁽¹⁾، كان مختار عجبوبة قد نشر المحور من قبل كمقالة صحفية. وفى عام 2004 صدر كتاب بعنوان: **التأويل الصوفى للحدائث فى الإسلام: عرض ونقد فكر وفلسفة الجمهوريين فى السودان**⁽²⁾، لبكرى خليل. وكتاب بكرى يعد من أوائل الكتب، إن لم يك أولها، التى صدرت فى نقد الفكرة الجمهورية، فيما أسميته، دراسات مرحلة ما بعد الفقهاء. يقع الكتاب فى (258) صفحة من القطع المتوسط. وسعى الكتاب كما أشار مؤلفه فى المقدمة قائلاً: "إن هذا الكتاب يستهدف إزاحة الستار عن المشهد العام لمساهماتهم فى معالجة مشكلات الكون والإنسان والمجتمع واستخلاص العناصر الفلسفية والمبادئ الاجتماعية والسياسية من فكرهم وذلك لتكوين صورة مجملة عن رؤيتهم وأبعادها". وعبر المؤلف فى مقدمته عن ما يعنيه قائلاً: "والذى يعنينا فى هذا الكتاب هو تقديم قراءة نقدية لأحد أبرز تيارات الفكر المعاصر فى السودان الذى سعى فى جراءة ووضوح لأن يسمع صوته ويعرف باجتهاده فى أهم قضايا العلاقة بين الدين والحياة"⁽³⁾. تناول الكتاب الفكرة الجمهورية من خلال خمسة فصول ومقدمة وتمهيد عن نشأة الجمهوريين وتطورهم الفكرى. تناول الفصل الأول نظرية المعرفة ومنهج التفسير، والفصل الثانى فلسفة الوجود والطبيعة. تحدث الفصل الثالث عن فلسفة الحرية والأخلاق والجمال، والفصل الرابع الفلسفة السياسية والاجتماعية عند الجمهوريين. وقدم الفصل الخامس تقويماً للفكر الجمهورى.

وفى عام 2006 نشر عبدالله على إبراهيم كتاباً بعنوان: **الشرعية والحدائث: جدل الأصل والعصر**⁽⁴⁾. كما نشر عبدالله عام 2008 *Manichaean Delirium: Decolonizing the Judiciary and Islamic Renewal in Sudan, 1898-1985*⁽⁵⁾ وقد أشار الكتابان إلى

(1) مختار عجبوبة، **قادة السودان... وآفة النسيان: (إليك يا بلدى السلام)**، مجموعة مقالات نُشرت بالصحافة السودانية (1977-1988)، 1988، (بدون مكان نشر) ص 101-107.

(2) بكرى خليل، **التأويل الصوفى للحدائث فى الإسلام: عرض ونقد فكر وفلسفة الجمهوريين فى السودان**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004.

(3) المرجع السابق، ص 6.

(4) عبدالله على إبراهيم، **الشرعية والحدائث: جدل الأصل والعصر**، مركز البحوث العربية والإفريقية، القاهرة، 2006.

(5) Abdullahi Ali Ibrahim, *Manichaean Delirium: Decolonizing the Judiciary and Islamic Renewal in Sudan, 1898-1985*, Printed in the Netherlands, LEIDEN - BOSTON, 2008.

الأستاذ محمود، خاصة في علاقة الأستاذ محمود بالفقهاء والقضاة الشرعيين. بشأن دراسة عبدالله على إبراهيم لا بد من الإشارة إلى أن عبدالله كان أول أكاديمي سوداني، حسب علمي، يستخدم منهج مدرسة ما بعد الاستعمار في دراسته للأستاذ محمود ومشروعه، خاصة في موضوع "ثورة رفاعه/ الخفاض الفرعوني"، الذي درسه في إطار الحدائث الاستعمارية، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً. استخدم عبدالله على إبراهيم منهج مدرسة ما بعد الاستعمار في دراسته التي نشرت باللغة الإنجليزية عام 2008 بعنوان: *Keep These Women Quiet: Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom*⁽¹⁾. وترجمته: "يا نسوان كفى: الحدائث الاستعمارية، والقومية، وختان النساء البربري"⁽²⁾. خلص عبدالله في دراسته متفقاً مع موقف الأستاذ محمود وأقواله بشأن ثورة رفاعه وقضية الخفاض الفرعوني. وبهذا كان عبدالله على إبراهيم من أوائل الأكاديميين السودانيين، حسب علمي، الذين وصلوا لتلك النتائج، وهذا ما سأتناوله لاحقاً، ضمن محور: "ثورة رفاعه/ الخفاض الفرعوني". كما نشر محمود شعراني العديد من الإصدارات التي تنطلق وتتكى على فكر الأستاذ محمود منها: *هذه كلمتي في السياسة والحقوق*⁽³⁾ وقد تضمن الكتاب في أحد محاوره بعنوان: "محمود محمد طه: المشكل الثقافي والرؤية السياسية": هذه هي الخطوط العريضة لفكر الأستاذ محمود وجهده التجديدي. وكتب الشعراني كذلك كتاباً بعنوان: *الأزمة الأخلاقية العالمية*⁽⁴⁾، كان نسب الأفكار والمعاني والخلاصات فيه، تنتهي في مشروع الأستاذ محمود. تضمن الكتاب تعقيبات لثلاثة من المثقفين السودانيين كانوا قد عقبوا على البحث الذي قدمه المؤلف، وهو أصل الكتاب، في المركز السوداني لدراسات حقوق الإنسان المقارنة، والثلاثة هم: الطيب زين العابدين، وحيدر إبراهيم على، ونصرى مرقس يعقوب. يرى المؤلف أن الكتاب يمثل دعوة

(1) Abdullahi Ali Ibrahim, "Keep These Women Quiet": Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom, *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World* 9, 2011, PP. 97-151

(2) تمت ترجمة العنوان بالتشاور مع كاتب الورقة عبدالله على إبراهيم، وتم اعتماد العنوان أعلاه بعد التفكر معه في الوصول لهذه الصيغة.

(3) محمود شعراني، *هذه كلمتي في السياسة والحقوق*، المركز السوداني لدراسات حقوق الإنسان المقارنة، أم درمان، 2002.

(4) محمود شعراني، *الأزمة الأخلاقية العالمية*، ط 1، المركز السوداني لدراسات حقوق الإنسان المقارنة، الخرطوم، 2009، صفحة الإهداء.

لاستمرار المنابر الحرة التي كان رائدها الأستاذ محمود، كتب المؤلف قائلاً: "الحوار يعني التسامح بحيث تتجلى الحقيقة أمام القارئ بوسيلة إشاعة مثل هذه المنابر الحرة والتي كان رائدها الأول في السودان شهيد الفكر والحرة الأستاذ محمود محمد طه وذلك منذ أربعينيات القرن الماضي، ونحن هنا نحاول العمل على استمرار هذه المنابر الحرة"⁽¹⁾.

نشر محمد أحمد محمود العديد من الدراسات التي تناولت مشروع الأستاذ محمود، فبالإضافة للدراسة التي وردت الإشارة إليها ضمن الكتاب الذي أصدره مركز الدراسات السودانية، فقد نشر محمد دراسة كانت بعنوان: "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement"⁽²⁾. باللغة الإنجليزية بعنوان: *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*⁽³⁾، يقع الكتاب في (296) صفحة من القطع المتوسط. كان كتاب محمد أحمد محمود أكثر الكتب التي أحدثت حراكاً وسجالاً في السوح الفكرية والثقافية في السودان. لم يترجم الكتاب إلى العربية، ولكن أخذت الأوساط الفكرية والثقافية بما يشبه الاجماع بترجمة العنوان على النحو التالي: السعى وراء الألوهة: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه. فالكتاب يُعد أول دراسة نقدية شاملة لفكر الأستاذ محمود، تصل إلينا من مثقف سوداني أكاديمي له خبرة طويلة في الأكاديميا الغربية والعربية والسودانية ونشر العديد من الدراسات النقدية في المجال الفكري والاجتماعي والأدب المقارن وفي مقارنة الأديان. ففوق المنهج العلمي الصارم الذي التزمه محمد أحمد محمود، فإن أهمية دراسته تأتي أيضاً من كونه كان على معرفة بالفكرة وبالمجتمع الجمهوري من الداخل إذ التقى الأستاذ محمود وقضى بعض الوقت في معيته، وكان لفترة وجيزة من بين تلاميذ الأستاذ محمود⁽⁴⁾، إلا أنه لم ترد إشارة

(1) المرجع السابق، ص 1.

(2) Mohamed Ahmed Mahmoud, "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement", *New Political Science* 23 (1), 2001:pp 65- 88

(3) Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007, P 12

(4) مقابلة مع عصام عبدالرحمن البوشي، 17 ديسمبر، 2009، مدني؛ مقابلة مع النور حمد، 22 نوفمبر 2009، الدوحة.

لذلك فى الكتاب. يقع الكتاب فى (310) صفحات، وتهىكل الكتاب فى ستة فصول ومقدمة وخلاصة وخلفية قدمت تعريفاً عن الإسلام فى السودان. تناول الفصل الاول عالم الأستاذ محمود وعوامل التشكيل الروحية والفكرية والتعليم والتعلم الذاتى... إلخ تحت عنوان: السياق والرجل والحركة. ووقف الفصل الثانى على نظرية الصلاة: العبادة والفردية والأصالة، أما الفصل الثالث فقد تناول القرآن وتأويل الألفاظ. ودرس الفصل الرابع الحتمية وحرية الإرادة والعقاب الإلهى. وتناول الفصل الخامس: من الرسالة الأولى إلى الرسالة الثانية من الإسلام، أما الفصل الأخير فقد وقف عند التطور والشرعة والفن ثم الخلاصة. تعرض الكتاب إلى قضايا عديدة منها: التاريخ والصلاة والهوية والإنسان والوجود والكون والرق والجهاد والفردية والجندر، وأشار إلى محكمة الردة الأولى والثانية، وفترة مايو... إلخ.

فى تقديرى، أن هذه القضايا الكبيرة والكثيرة التى تناولها محمد أحمد محمود فى كتابه، دفعت بالكتاب إلى الاختزال والاختصار، فهى قطعاً موضوعات تحتاج لأكثر من كتاب حتى تتم الاحاطة بها، بمنحها ما تستحق من مساحة. لقد تداخل فى تناول تلك القضايا الفلسفى والتاريخى والسياسى والاجتماعى والأيدىولوجى، وعبر التناول بفصاحة عن أن الكتاب يتسمى كلية إلى حقبة الحداثة، سواء من حيث الموضوعات التى تناولها أو فى منهج المعالجة. لقد مثل مشروع الحداثة بأسئلته الفكرية المركزية للكتاب، ولم يك واضحاً الاستعانة بمنهج مدرسة ما بعد الاستعمار فى معالجة الكثير من القضايا التى تتصل بالأستاذ محمود. إن ما خلّص إليه محمد فى موضوع انخفاض الفرعونى مثلاً، وشاركه الرأى عدد من المثقفين مثل خالد المبارك وغيره، نجده يتناقض تماماً مع ما خلصت إليه الدراسات التى تناولت نفس الموضوع بمنهج مدرسة ما بعد الاستعمار، حيث اتفقت هذه الدراسات كلية مع رؤية الأستاذ محمود. كان من بين هذه الدراسات دراسة جينس بودى ⁽¹⁾ Janice Boddy *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*، ودراسة عبد الله على إبراهيم "Keep These Women Quiet: Colonial Modernity,

(1) Janice Boddy, *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*, Princeton University Press, Princeton and Oxford, 2007.

(1) "Nationalism, and the Female Barbarous Custom"، "يا نسوان كفى: الحداثة الاستعمارية، والقومية، وختان النساء البربري" (2). ودراسة أسماء محمد عبدالحليم (3) *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture* المرأة السودانية في الولايات المتحدة: مشكلات النوع والثقافة (4). ودراسة ألين قرونوم بعنوان: "الاقتصاد السياسي للخفاض الفرعوني" (5)، وغيرهم. وهذا ما سأقف عنده في محور: "ثورة رفاعة"، بإبراز الرؤيتين واختلافهما من حيث منهج المعالجة والنتائج. إلى جانب أنني سأشير لموضوعات عديدة مستأنساً برأى محمد وآخرين، وموضوعات عديدة منها: محكمات الردة 1968 و 1985 وثورة مايو، وستراد الإشارة لهذه الموضوعات في مواضعها. أيضاً أشارت رقية مصطفى أبو شرف في العديد من دراساتها إلى ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعوني وهي تدرس شؤون المرأة والحداثة والآثار الاستعمارية في السودان الشمالي، وخلصت بدورها إلى اتفاقها مع موقف الأستاذ محمود وآرائه بشأن ثورة رفاعة والخفاض الفرعوني. ومن أهم دراسات رقية في هذا الشأن دراسة بعنوان: "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan، وقد ترجمت هذا العنوان على النحو التالي: "لقد تجرعنا من كأس الأهوال": نحو فهم لعاطفة المستعمر وردود الفعل البريطانية على ختان الإناث في السودان الشمالي (7).

(1) Abdullahi Ali Ibrahim, "Keep These Women Quiet:" Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom, *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World* 9, 2011, PP. 97-151.

(2) هذه ترجمة كاتب الورقة عبدالله على إبراهيم، لعنوان ورقته.

(3) Asma M. Abdel Halim, *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture*, the Edwin Mellen Press, New York/ Queenstown, 2006.

(4) وصلتنى ترجمة عنوان الكتاب من المؤلفة أسماء محمد عبدالحليم.

(5) ألين قرونوم، "الاقتصاد السياسي للخفاض الفرعوني"، مجلة الدراسات السودانية، مج 11، الخرطوم، عدد عام 1990.

(6) Rogaia Mustafa Abusharaf, "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan, *History and Anthropology*, Vol. 17, No. 3, September 2006, pp. 209-228.

(7) قمت بترجمة العنوان بالتشاور مع المؤلفة رقية أبو شرف، وبعد موافقتها عليه.

قدم خالد الحاج عبد المحمود مساهمات كبيرة فى دراسة الفكرة الجمهورية . لقد صدرت مساهماته فى شكل كتب وأوراق علمية ومقالات صحفية، وكان منها (نماذج فقط): فى عام 2007 أصدر خالد الحاج كتاباً بعنوان: **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**⁽¹⁾، يقع الكتاب فى (500) صفحة من القطع المتوسط. ونشر فى عام 2008 وكتاب: **العصر الذهبى للإسلام أماناً**⁽²⁾، ويقع الكتاب فى (233) صفحة من القطع المتوسط. وفى عام 2009، أصدر كتاب **المعرفة وطبيعة الوجود**⁽³⁾، (293) صفحة من القطع المتوسط، كما أصدر كتاب: **الإسلام ديمقراطى اشتراكى**⁽⁴⁾، ويقع الكتاب فى (485) صفحة من القطع المتوسط. لا تعبر إصدارات خالد عن مشروع خاص به، وإنما تعلن منذ الوهلة الأولى، ليس ضمناً وإنما صراحة فى صدور الكتب ومقدماتها، بأن هذه الكتب لا تخرج من كونها امتداداً لمشروع الأستاذ محمود، تسعى لتسييل فكره والتعريف بمشروعه. ففى كتاب: **العصر الذهبى للإسلام أماناً**، كتب خالد قائلاً: "**العصر الذهبى للإسلام أماناً**، كتاب وعد الأستاذ محمود محمد طه بإصداره، ونحن نعمل على إصداره وفاءً بذلك الوعد"⁽⁵⁾.

وعن كتابه: **المعرفة وطبيعة الوجود**، كتب خالد قائلاً: "هذه دراسة حول نظرية المعرفة، فى الإسلام، عند الأستاذ محمود محمد طه.. وقد اخترنا لها اسم (المعرفة وطبيعة الوجود)، لأنه يناسب المحتوى بصورة كبيرة"⁽⁶⁾. وعن كتاب: **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، كتب خالد قائلاً: "الأستاذ محمود محمد طه صاحب دعوة للإسلام متفردة.. وبنفس القدر هو صاحب دعوة للسلام متفردة.. وعنده الإسلام والسلام لا يفترقان فهما لا بد أن يقوما معاً إذ أنهما يمثلان وجهين لعملة واحدة، وهذا فى حد ذاته وجه من وجوه التفرد الهامة"⁽⁷⁾. ثم يبين خالد موقع ومنهج وغرض كتابه قائلاً: "ونحن هنا سنورد بعض النصوص من كتابات الأستاذ محمود محمد طه لعكس وضوح الرؤية

(1) خالد الحاج، **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007.

(2) خالد الحاج عبدالمحمود، **العصر الذهبى للإسلام أماناً**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008.

(3) خالد الحاج عبدالمحمود، **المعرفة وطبيعة الوجود**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2009.

(4) خالد الحاج عبدالمحمود، **الإسلام ديمقراطى اشتراكى**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2011.

(5) خالد الحاج عبد المحمود، **العصر الذهبى للإسلام أماناً**، مرجع سابق، ص 1.

(6) خالد الحاج عبد المحمود، **المعرفة وطبيعة الوجود**، مرجع سابق، ص 1.

(7) خالد الحاج، **الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه**، مرجع سابق، ص 11.

ودقة الفكر، وتبيين الارتباط بين الإسلام والسلام عنده،...⁽¹⁾. وعن كتاب: الإسلام ديمقراطي اشتراكي، يقول خالد أنه: "من الكتب التي وعد بها الأستاذ محمود محمد طه، ضمن الكتب التي تشرح دعوته لبعث الإسلام.. وقد كلفني بإعداد الجزء الخاص بالديمقراطية، فقمْتُ بإعداده، بالفعل، وعرضته عليه، وكان، حينها، معتقلاً، في معتقلات جعفر نميري.. بعد الاطلاع على مسودة الكتاب، أرجعه إليّ، وطلب مني أن أحتفظ به، إلى حيث الوقت المناسب لنشره.. وقد مر وقت طويل، منذ ذلك التاريخ، وأنا أشعر بأنني قد تأخرت، في العمل على إصدار الكتاب.. والآن، تهيأت الظروف لهذا العمل، فأرجو الله أن يتقبله، ويغفر لي ما جرى من تأخير وتقصير"⁽²⁾.

في عام 2007 جاء للمكتبات كتاب بعنوان: السرائية: مقال في عقيدة الباطن⁽³⁾، لمؤلفه ميرغني أبشر، وقد أورد المؤلف في كتابه بعض الإشارات للأستاذ محمود.

نشر بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، عدداً من الكتب والدراسات التي تتكئ وتنتقل من فهم خاص للفكرة الجمهورية، منها كتاب وسمه بدر الدين ب: شذا زهرة الحياة العليا⁽⁴⁾، وكتاب آخر بعنوان: علامات في طريق غير مطروق⁽⁵⁾. وكتاب ثالث هو: ما وراء الكلمات... على شواطئ الأبدية⁽⁶⁾، وكتاب رابع جمع ما بين السيرة الذاتية ومشاهدة المؤلف للأحداث التاريخية، كما يقول، في اللحظة الراهنة، مشاهدة حية. جاء الكتاب بعنوان: وذكرهم بأيام الله⁽⁷⁾، وكتب المؤلف في مقدمته قائلاً: "تلقى المقالات التي احتوى عليها هذا السفر بعض الأضواء على لمحات من حياة الاستاذ الجليل محمود محمد طه، وما أحدثته من تغيير جذري، في قلوب وعقول الذين أحبوه وعرفوه، بل إن شيئاً من

(1) المرجع السابق، ص 17.

(2) خالد الحاج عبدالمحمود، الإسلام ديمقراطي اشتراكي، مرجع سابق، ص 7.

(3) ميرغني أبشر، كتاب: السرائية: مقال في عقيدة الباطن، كاف نون للنشر، القاهرة، 2007.

(4) بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، شذا زهرة الحياة العليا، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

(5) بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، علامات في طريق غير مطروق، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

(6) بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، ما وراء الكلمات... على شواطئ الأبدية، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

(7) بدر الدين يوسف دفع الله السيمت، وذكرهم بأيام الله، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.

ذلك التغيير، قد لمس بأجنحته النورانية، كل من اتصل بهذا الرجل الغريب، من قريب أو بعيد". ثم نبه بدر الدين القارئ قائلاً: "ومع ذلك فإن هذا السفر ليس كتاب تاريخ، وإنما هو مشاهدة لتلك الأحداث التاريخية، في اللحظة الحاضرة، مشاهدة حية ماثلة، تروى الأحداث كما وقعت، في صدق وتجرد، لم ينل منهما، ولم يلتو بهما، الشوق العظيم والمحبة الدفينة البادية في رواية كل حدث". ثم أشار بدر الدين للمساحة الزمنية التي يتحرك فيها الكتاب، وهي فترة مرافقته للأستاذ محمود⁽¹⁾، كتب بدر الدين قائلاً: "وسيجد القراء الكرام، في هذا السفر، ومضات من حياة الأستاذ الجليل محمود محمد طه الخصبة العامرة، المملوءة برأ وإحساناً، وإيماناً وإسلاماً، مبسوطة، في سرد نرجو أن يكون شيقاً وممتعاً، لوقائع وأحداث تاريخية عاشها وشاهدها الكاتب، أثناء مرافقته، مرافقة متصلة للأستاذ الجليل محمود محمد طه، خلال الفترة ما بين 1968 و1982 من القرن الماضي".

الشاهد أن كتابات بدر الدين السيمت قد نحت منحىً مختلفاً عن كتابات تلاميذ الأستاذ محمود الآخرين ممن وردت الإشارة إليهم، ومن سترد إليهم الإشارة لاحقاً. فقد نحا بدر الدين في كتاباته منحىً روحياً، وهو عنده يمثل اتجاهاً مختلفاً لفهم الأستاذ محمود، وهو فهم، كما يرى بدر الدين، يتحقق من خلال المعرفة الروحية الخاصة التي يدعو لها بدر الدين. إن كتابات بدر الدين تعبر عن طرح مشروع خاص، إذ تبدى لى من خلال قراءتى الأولية لكتابات بدر الدين أنه يقدم نفسه كصاحب مشروع، يقوم مشروعه على معرفة روحية خاصة، وقد ترسم بدر الدين طريقه ووضع مرتكزاته التي تنطلق من

(1) وضح بدر الدين فترة مرافقته للأستاذ محمود، وبين أسباب مفارقتها في مقدمة كتابه تحت عنوان فرعى وسمه بـ "كتاب هذا السفر ليس من الجمهوريين"، كتب بدر الدين قائلاً: "بإحدى ذي بدء، أحب أن ألفت نظر القراء الكرام، إلى أن كاتب هذا السفر ليس من الإخوان الجمهوريين، فهو قد فارق الفكرة الجمهورية منذ عام 1982، ولم يعد عضواً مع الإخوان الجمهوريين، في أثناء حياة الأستاذ الجليل، ووجوده وجوداً حسيماً... وقد تم الخروج بعد حوار لطيف مع الأستاذ الجليل، والإخوة الجمهوريين الأجلاء، في مسائل عرفانية، تتعلق بالأصالة والفردية، يجدها القراء مبسوطة في موضعها من هذا السفر. ومهما يكن من أمر، فإننا كنا وما زلنا، ولن ننفك نحفظ للأستاذ الجليل قدره الأسنى، ونعرف له فضله الأسنى، ومقامه الباذخ الشامخ، كما أننا لا نزال نحفظ الود القديم لكل الأخوات والإخوان الذين ينسبون أنفسهم للفكرة للجمهورية. ومن ما لا شك فيه، أن الخلاف في مثل هذه الدقائق العرفانية، أمر محمود ومطلوب، وهو دليل بذرة الفردية، فقد علم كل أناس مشربهم، وما يعقلها إلا العالمون... أكثر من ذلك، فإنه إذا لم يقبض الله ذلك الخلاف، ويستعملنا فيه استعمالاً حسناً، فإن الفكرة الجمهورية، ستذهب في التاريخ - شأنها شأن بقية الحركات الدينية - كحركة تقليدية، يقودها أصيل واحد، ويتبعه مقلدون كثيرون، وعن ذلك تعالت الفكرة الجمهورية علواً كبيراً".

إرث البشرية في البعد الروحي والنقطة الأسمى في النسب، نسب الروح وعرقها. تمثل هذه المعرفة الروحية الخاصة بيدرالدين المدخل السليم لفهم الأستاذ محمود وفهم أنفسنا وفهم الكون والديانات... إلخ، بيد أنى أعتقد، اعتقاداً خاصاً ويقوم على قراءة أولية لكتابات بدرالدين، أن مشروع بدرالدين مهما كانت ملامحه ومآلاته ووجهته وغاياته ومهما تجلّى نفاذ بصيرته وسمات أصالته فهو مشروع ينتهى عرقه الفكرى ونسبه الروحي عند الأستاذ محمود محمد طه.

الأوراق العلمية عن الأستاذ محمود ومشروعه

رجاء دعوا الأستاذ محمود يمشى بين الناس بقيادة حملة شعبية تصحيحية أو تعريفية بأفكار الأستاذ محمود محمد طه وتبسيطها حتى توافق لغتهم وعقلهم، فما أحوج مجتمعنا بشوارعه ومدارسه وجامعاته وجوامعه لفكره الاصلاحى الاجتماعى الثقافى الدينى (1).

أمل هبانى

كتب منصور خالد باكراً مناصراً ومنافحاً عن الأستاذ محمود، فقد كتب أوراقاً ومقالات عديدة، وقدم شهادته فى حق الأستاذ محمود، فى مناسبات وأوقات مختلفة. كما أن منصور قد سكب ذاته فى إهدائه كتبه للأستاذ محمود، كما سترد الإشارة لذلك لاحقاً. لقد نشر منصور فى يناير 1985 مقالة قوية وباكراً، ولأهميتها فقد استشهدت بمقتطفات منها فى مفتتح بعض فصول هذا الكتاب. كذلك كثيراً ما تجد فى كتب منصور الإشارات للأستاذ محمود، عبر الاستشهاد بكتبه ومواقفه، والتذكير بآراء وأقوال الأستاذ محمود فى قضايا عديدة وكبيرة. يكاد لا يخلو كتاب من كتب منصور من ذكر الأستاذ محمود ومن الاستشهاد بكتبه ومواقفه. ويكاد كذلك لا يخلو أى حوار إذاعى أو تلفزيونى أو صحفى من إشارة للأستاذ محمود، كأنما انطبع فى ذهن الناس أن منصور هو أحق الناس بالسؤال عن الأستاذ محمود. قدم منصور محاضرات عديدة عن الأستاذ محمود،

(1) أمل هبانى، "الأستاذ يمشى بين الناس"، صحيفة الراكونية الإلكترونية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 19 يناير 2013، الموقع على الإنترنت: <http://www.alrakoba.net>

منها محاضرة كانت بعنوان: "محمود الذى عرفت"⁽¹⁾، قدم فيها منصور شهادته للأجيال عن الأستاذ محمود، وقدم نظرات فى فكر الأستاذ محمود لم يكن غائباً فيها وعنهما شمول التناول وتحجير التواصل من مفكرى الغرب والشرق. وقد نشرت المحاضرة فى مواقع عديدة.

كتب عبدالله بولا دراسة علمية كان عنوانها: "محاولة للتعريف بمساهمة الأستاذ محمود محمد طه فى حركة التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر"⁽²⁾. ونشرت الدراسة فى مجلة رواق عربى، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، عام 1996 إلى جانب بعض المواقع على الشبكة الدولية لتبادل المعلومات (Internet). عدّ عبدالله بولا "مساهمة المفكر الإسلامى السودانى الشهيد الأستاذ محمود محمد طه (1909-1985) نموذجاً أصيلاً من عدة وجوه"، ثم عرف بها انطلاقاً من سؤالين جوهريين طرحهما فى صدر دراسته بعد المدخل، قال بولا: ولتذهب مباشرة إلى موضوعنا الرئيس. ما الجديد فى مساهمة الأستاذ محمود محمد طه؟ وفيه هو هام وجذرى إلى هذا الحد الذى زعمته له؟ أجاب بولا عن سؤاليه وأشار لقضايا عديدة فى فكر الأستاذ محمود. التزم بولا فى دراسته بمنهج علمى صارم، وختم دراسته بعبارة أشد صرامة فى التزامه الإنسانى تجاه الأستاذ محمود. فقد ختم بولا دراسته باحتراز العلماء وأدب العارفين قائلاً: "أقول هذا وأنا جد قلق مستوحش"⁽³⁾ من أن أكون قد أسأت الوقوف فى حضرة هذا (الشيخ) الجليل"⁽⁴⁾.

فى عام 1997 نشر Gerhard Lichtenthäler دراسة بعنوان:

National issues, political styles and Islamic responses in the Sudan 1956-1985: the case of Mahmud MuhammadTaha and the Republican Brothers⁽⁵⁾.

(1) منصور خالد، "محمود الذى عرفت"، مصدر سابق.

(2) عبدالله بولا، مرجع سابق.

(3) وضَّح عبدالله بولا معنى استوحش فى هامش دراسته فكتب قائلاً: استوحش من عبارة "الوحيد الممكن" ولم أجد من حل مناسب سوى وضعها بين مزدوجتين. ثم لا أزال منزعجاً منه فمعذرة.

(4) المرجع السابق.

(5) Lichtenthäler, G, National issues, political styles and Islamic responses in the Sudan 1956-1985: the case of Mahmud MuhammadTaha and the Republican Brothers. *Seeking an open society: inter-faith relations and dialogue in Sudan today* (ed. by S. Brown), Paulines Publications Africa, Nairobi, 1997, pp. 37-60.

أيضاً نشر إستيف هاورد Steve Howard العديد من الأوراق العلمية عن الأستاذ محمود وعن الإخوان الجمهوريين، ففي عام 2002 نشر ورقة علمية بعنوان: "Mahmoud Mohammed Taha⁽¹⁾، وفي عام 2003 نشر ورقة بعنوان: "Transforming Islamic Society⁽²⁾، وفي عام 2006 نشر "Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Brotherhood، وكذلك ورقة بعنوان: "Mahmoud Mohammed Taha and the Repuplicant Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan⁽³⁾، ويمكن الوقوف على أوراق إستيف هاورد في موقع جامعة أوهايو، بالولايات المتحدة الأميركية على شبكة الإنترنت⁽⁴⁾.

كذلك نشرت ناهد محمد الحسن بعض الأوراق العلمية التي اتخذت فيها الأستاذ محمود نموذجاً لدراساتها منها ورقة بعنوان: "المرأة في الخطاب الفكري الإسلامي"⁽⁵⁾، نشرت عام 2003، وقد كان موضوع المرأة عند الأستاذ محمود أحد نماذج دراستها. جاءت كذلك ناهد بورقة علمية بعنوان: مآزق الفكر الإسلامي.. المواطنة نموذجاً.. تعقيباً على ورقة المواطنة في فكر الحركات الإسلامية الحديثة لعبدالله على ابراهيم، نُشرت ضمن المصالحة الوطنية وإبراء الجراح⁽⁶⁾. كتب حسن موسى العديد من المداخلات وبعض الدراسات النقدية عن مشروع الأستاذ محمود، منها دراسة بعنوان: "ماذا نفعل بـ"مشكلة الشرق الأوسط؟"⁽⁷⁾. وعما يعنيه بمشكلة الشرق الأوسط كتب حسن قائللاً: "أعنى

(1) Howard, W.S., "Mahmoud Mohammed Taha," in Lobban, et. al. eds., Historical Dictionary of the Sudan. Scarecrow Press, 2002, pp 287-288.

(2) Howard, W.S., "Transforming Islamic Society: Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Brotherhood," Fall 2003, Journal for IslamicStudies.

(3) Howard, W. Stephen, Mahmoud Mohammed Taha and the Repuplicant Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan, *Ahfad Journal*, Vol. 23, No. 2, December 2006, Omdurman.

(4) <http://www.mediaschool.ohio.edu/w-stephen-howard>

(5) حيدر ابراهيم على (محرر)، المرأة السودانية في الحياة العامة، وقائع ندوة مهرجان المرأة الأول، الخرطوم 8-11 مارس 2003، مركز الدراسات السودانية. الخرطوم، ص 107.

(6) شمس الدين الأمين ضوايبت (محرر)، المصالحة الوطنية وإبراء الجراح، مؤسسة فردريش آيبرت-السودان، ط 1، 2008.

(7) حسن موسى، 'ماذا نفعل بـ'مشكلة الشرق الأوسط؟'، من سودان للجميع Sudan for all، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/1/28، موقع على الإنترنت: <http://www.sudan-forall.org>

بـ (مشكلة الشرق الأوسط) ذلك الكتاب الذى أصدره "الحزب الجمهورى" فى السودان عقب حرب يونيو 1967". ثم وصف حسن الكتاب قائلاً: "وأظنه من أول -ومن أهم- الكتب التى صدرت فى السودان حول مشكلة الشرق الأوسط بعد حرب 67. صفة الأهمية تتأتى من كونه كتاباً صادراً من جهة سودانية منظمة سياسياً (الحزب الجمهورى) تحاول أن تقف على مسافة نقدية من مجموعة من المسلمات والمفاهيم السائدة فى المجتمع العربى عن العلاقة مع الآخرين فى مشهد الواقع الذى شكلته الحرب الباردة". ثم نظر حسن إلى مركز ثقل الكتاب فكتب قائلاً: "ورغم أن الكتاب يعالج أسئلة الصراع العربى الإسرائيلى وقضايا التحالفات السياسية ضمن ملابسات التحرر من الاستعمار والحرب الباردة إلا أن مركز الثقل الفكرى فيه يتبلور عند سؤال الهوية"⁽¹⁾.

نشر قصى همور كذلك، بعض الدراسات والأوراق العلمية التى كانت تتكى وتنطلق من مشروع الأستاذ محمود، من تلك الدراسات: "من أجل الاشتراكية: الماركسية فى السودان بين زمنين"⁽²⁾، وقد نبه قصى فى ختام دراسته قائلاً: "وكما هو واضح فإن من أهم ما توجهنا إليه فى هذه الورقة هو لفت النظر لمنجز فكرى أصيل ومتميز من تراثنا السودانى، لم يوله يساريونا حقه من الانتباه والاعتبار، وهو المتمثل فى المدرسة الفكرية الجمهورية، برائدها الأستاذ محمود محمد طه". كما نشر قصى دراسة بعنوان: "التسامح الدينى.. ضرورة لا بديل عنها"⁽³⁾، ودراسة أخرى بعنوان: "بين الإيمان والعقيدة: مشهد من الفكرة الجمهورية"⁽⁴⁾، وغيرها. ونشر محمد وقيع الله، ورقة بعنوان: "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام"⁽⁵⁾، وسأتناول هذه الدراسة لاحقاً. كما نشر محمد المهدي بشرى، ورقة علمية كانت بعنوان: "الثقف والسلطة: مصائر

(1) حسن موسى، المرجع السابق.

(2) قصى همور، "من أجل الاشتراكية: الماركسية فى السودان بين زمنين"، من موقع الفكرة الجمهورية، مقالات، استرجاع (Retrieved) 2013/11/23، الموقع على الإنترنت: <http://www.alfikra.org/article>

(3) قصى همور، "التسامح الدينى.. ضرورة لا بديل عنها"، من موقع الفكرة الجمهورية، مقالات، استرجاع (Retrieved) 2012/11/23، الموقع على الإنترنت: <http://www.alfikra.org/article>

(4) المرجع السابق.

(5) محمد وقيع الله، 'دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام'، من موقع سودانيز أونلاين، استرجاع (Retrieved) 2011/8/17، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

فاجعة⁽¹⁾، سعى محمد المهدي في ورقته لدراسة "مآلات ومصائر بعض المثقفين في مراحل تاريخنا المعاصر" فتناول أربعة نماذج من المثقفين، كان من بينهم الأستاذ محمود محمد طه. وكما الحال عند بعض المثقفين لم يقبل محمد المهدي موقف الأستاذ محمود من ثورة مايو (1969-1985)، وهذا ما سأعرض له في محور: "الأستاذ محمود وثورة مايو (1969-1985)".

قدم أحمد صادق أحمد عرضاً لكتاب: **البحث عن الألوهية: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه**⁽²⁾، آنف الذكر، في مجلة كرامة، التي يصدرها اتحاد الكتاب السودانيين، لم يكتب أحمد بالعرض باللغة العربية لكتاب صدر باللغة الإنجليزية وإنما قدم بعض التأملات النقدية بحكم أواصر المحبة التي ربطته بالفكر الجمهوري، كما أشار لذلك، وقدم توصيفاً للدور التاريخي لما أسماه (الكتابة الجمهورية) "التي حملت هم تاريخ السودان والدين والثقافة واليومى والمعيشى". تأتي قيمة العرض للكتاب بأنه بالإضافة للتعريف بالأفكار الأساسية والمنطلقات النقدية التي اتصلت بشكل مباشر بمشروع الحداثة وأسئلتها، وأزمة الإسلام والمسلمين والرأسمالية والرق والاسترقاق والجندر... إلخ فإن العرض أتاح لقراء العربية، خاصة في السودان، فرصة التواصل مع مؤلف الكتاب، وفرصة المتابعة لما أحدثه الكتاب من سجال، فقد اتكأت على الكتاب العديد من الندوات والحلقات النقاشية والكتابات، منها ندوة⁽³⁾ عقدت لمناقشة كتاب **السعى وراء الألوهية: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه**، وشارك فيها كل من: فاروق محمد إبراهيم، وعمر القراي، وإدريس سالم، والباقر العفيف، وغيرها. كما نشر المنصور جعفر ورقة بعنوان: "الإخوان الجمهوريون ... شكل ديني لما بعد الحداثة"⁽⁴⁾. ونشر قيصر موسى الزين، دراسة علمية

(1) محمد المهدي بشرى، ورقة علمية كانت بعنوان: "الثقاف والسلطة: مصائر فاجعة"، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أمدردمان، 2007.

(2) أحمد صادق أحمد، "عرض كتاب: البحث عن الألوهية"، مجلة كرامة، اتحاد الكتاب السودانيين، العدد الثالث، ديسمبر 2011، ص 489-493.

(3) فاروق محمد إبراهيم، "مناقشة كتاب: السعى وراء الألوهية: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه"، مركز الخاتم عدلان للاستشارة والتنمية البشرية، بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على مولد المفكر الاسلامي الشهيد محمود محمد طه 1909-2009، الخرطوم، السبت 10 يناير 2009.

(4) المنصور جعفر، "الإخوان الجمهوريون ... شكل ديني لما بعد الحداثة"، الرأي الآخر، مجلة الديمقراطية، =

بعنوان: "حركة الإخوان الجمهوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات"⁽¹⁾. وفى عام 2010 نشر حيدر بدوى صادق وهالة أبوقوتة دراسة كانت متكئة على فكر الأستاذ محمود، وجاءت بعنوان: "Peace Communication in Sudan: Toward Infusing a New Islamic Perspective"⁽²⁾.
 (2) "Ustadh Mahmoud Mohamed Taha and Islamic Reform: Embodying and Communicating Absolute Individual Freedom"⁽³⁾

الأطروحات الجامعية

فى تقديرى أن القيمة الفكرية والإنسانية والسودانوية للأستاذ محمود محمد طه ليست فى صحة تفسيراته للدين من حيث أنه مر إسلامياً بمرحلتين "مكى ومدنى" أو فى رباطة جأشه حين ثبت موقفه البطولى كمفكر إزاء بطش ديكتاتور جاهل، أو فى صحة المنهج الذى اتبعه فى التحرك من البعد السودانوى. إن خطورته بالنسبة لى - على الأقل - أنه فتح المجال للباحثين السودانيين، والمسلمين، والعرب، لرؤية التراث العربى الإسلامى من زاوية الناقد لا المتلقى الذاعن لقضه وقضيضه⁽⁴⁾.

صلاح شعيب

= مجلة التحالف الديمقراطى بالملكة المتحدة، استرجاع (Retrieved) 9 نوفمبر 2010، الموقع على الإنترنت: <http://www.d-a.org.uk>

(1) قيصر موسى الزين، دراسة علمية بعنوان: "حركة الإخوان الجمهوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات"، من مركز التنوير المعرفى، مقالات وأوراق بحثية، استرجاع (Retrieved) 18 ديسمبر 2010، الموقع على الإنترنت: www.tanweer.sd

(2) Haydar Badawi Sadig and Hala Asmina Guta, "Peace Communication in Sudan: Toward Infusing a New Islamic Perspective", *the Handbook of Global Communication and Media Ethics*, edited by Robert S. Fortner and P. Mark Fackler, Blackwell Publishing Ltd, 2011.

(3) Haydar Badawi Sadig, ?Ustadh Mahmoud Mohamed Taha and Islamic Reform: Embodying and Communicating Absolute Individual Freedom,? in M. Fackler and R. Fortner (eds.) *Ethics and Evil in the Public Sphere: Media, Universal Values and Global Development*. Cresskill, NJ: Hampton Press, 2010.

(4) صلاح شعيب، "السودانوية: محمود محمد طه!!"، صحيفة الصحافة، الخرطوم، بتاريخ 10/11/2007.

كان الطبيب حسن محمد الطيب، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، من أوائل الطلاب، إن لم يكن أولهم، الذين قدموا أطروحة جامعية تناولت الفكرة الجمهورية، بجامعة الخرطوم، السودان. قدم الطبيب بحثاً تكميلياً لنيل درجة البكالوريوس مرتبة الشرف في قسم الفلسفة، جامعة الخرطوم عام 1983، بعنوان: *وحدة الوجود في الفكرة الجمهورية*⁽¹⁾. ثم جاء حيدر بدوى صادق، وهو من أصغر تلاميذ الأستاذ محمود سناً، إن لم يكن أصغرهم⁽²⁾ وقتئذ، جاء حيدر في عام 1985 فأعد بحثاً تكميلياً لنيل درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف بكلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، جامعة الخرطوم، بعنوان: *Aspects of Female Participation in Religious Organizations in Sudan: The Case of the Republican Sisters*⁽³⁾، اتبع حيدر هذا البحث في نفس الكلية بتقديم أطروحة لنيل درجة ماجستير في عام 1988، كانت بعنوان⁽⁴⁾: *The Republican Brothers : A Religio-political Movement in Sudan* . في عام 1990 قدم يورجن روجالسكى رسالة

- (1) الطبيب حسن محمد الطيب، *وحدة الوجود في الفكرة الجمهورية*، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس مرتبة الشرف، إشراف د. كمال حامد شداد، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1983، (غير منشور).
(2) حكي لى حيدر بدوى صادق، بأنه حينما جاء للأستاذ محمود في عام 1977 ليلتزم الفكرة الجمهورية، وكان عمره وقتئذ ستة عشر عاماً، دخل حيدر، على الأستاذ محمود فقدمه أحمد محمد الحسن، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، للأستاذ محمود قائلاً: الأخ حيدر جاء ليلتزم بالفكرة الجمهورية، فرد الأستاذ محمود قائلاً: "لكن ما صغير". المصدر: مقابلة مع حيدر بدوى صادق، الدوحة، قطر، بتاريخ 18 يونيو 2012، الساعة 18:30.

(3) Sadig, HaydarBadawi, *Aspects of Female Participation in Religious Organizations in Sudan: The Case of the Republican Sisters*, 1985, An unpublished Honour's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

بإشراف: زينب بشير البكري. أفادني حيدر بدوى صادق أنه يرجع الفضل في إنجاز هذا المشروع إلى زينب البكري. فحينما زهد حيدر في إكمال درجة الشرف بعد تنفيذ حكم الاعدام على الأستاذ محمود، تصدت زينب لزهد حيدر قائلة له: إنك إن لم تتجز هذا المشروع فلا أحد غيرك يمكن أن ينتجزه، ثم عبرت عن استعدادها للتعاون معه لأقصى حد ممكن. قبل حيدر وأنجز المشروع. ثم نال لاحقاً درجة الماجستير بإشراف زينب وكانت رسالته بعنوان: *The Republican Brothers : A Religio-political Movement in Sudan* أنجز حيدر رسالته للماجستير ونال بها درجة الماجستير بعد المناقشة (الامتحان). وكان المستحن الخارجي حيدر إبراهيم على. المصدر: مقابلة مع حيدر بدوى صادق، المقابلة كانت بالهاتف، المؤلف في مدينة الدوحة، وحيدر في المملكة العربية السعودية، 18 يناير 2013، الساعة 12:35.

(4) Sadig, HaydarBadawi, *The Republican Brothers: A Religio-political Movement in Sudan*, 1988, An unpublished Master's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan. بإشراف: زينب بشير البكري.

ماجستير فى جامعة برلين الحرة عام 1990، بعنوان: الإخوان الجمهوريون فى السودان: مساهمة فى تاريخ الأيدولوجيا الإسلامية المعاصرة، وقد وردت الإشارة آنفاً لترجمة حيدر إبراهيم على، لجزء من هذه الرسالة ونشرها ضمن إصدارات المركز عام 1992. أيضاً، قدم الطيب حسن محمد الطيب أطروحة دكتوراة فى عام 1995، بعنوان: الرسالة الثانية من الإسلام The Second Message of Islam بجامعة مانستر بالمملكة المتحدة⁽¹⁾. فى عام 1995 قدم Gerhard Lichtenthäler رسالة ماجستير بمعهد الدراسات الآسيوية والإفريقية (SOAS) بجامعة لندن. وقد نشر Gerhard Lichtenthäler ملخصاً لرسالته فى دورية Sahara Islam et Societes au Sud du

Muslih, mystic and martyr, The vision of Mahmud Muhammad Taha and the Republican Brothers in the Sudan: towards an Islamic reformation⁽²⁾

فى عام 2001 نشر محمد سعيد الطيب كتاباً باللغة الإنجليزية، كان هو الأطروحة التى نال بها درجة الدكتوراة فى القانون الدولى لحقوق الإنسان، من جامعة أوترخت، بهولندا بعنوان : A Human Rights Approach to Combating Religious Persecution: Cases from Pakistan, Saudi Arabia and Sudan⁽³⁾، منظور حقوق الإنسان نحو مناهضة الاضطهاد الدينى حالات من: باكستان، والمملكة العربية السعودية، السودان، الأحمدية/ باكستان، والشيعة/ السعودية، والإخوان الجمهوريين/ السودان⁽⁴⁾. وقد تناول الإخوان الجمهوريين، نموذج دراسته، فى الفصل الخامس⁽⁵⁾، الذى جاء بعنوان: Sudan and the

(1) Eltayeb H. M. Eltayeb, *The Second Message of Islam*, An unpublished PhD thesis, Middle Eastern Studies, University of Manchester, Manchester, UK, 1995.

(2) Lichtenthäler, G., Muslih, mystic and martyr, The vision of Mahmud Muhammad Taha and the Republican Brothers in the Sudan: towards an Islamic reformation? Islam et Societes au Sud du Sahara, 9, 1995, pp. 57-81.

(3) Mohamed S. M. Eltayeb, *A Human Rights Approach to Combating Religious Persecution: Cases from Pakistan, Saudi Arabia and Sudan*, Antwerp/ Groningen/ Oxford: International- Hart Publishers, 2001

(4) قمت بترجمة عنوان الأطروحة بالتشاور مع المؤلف، الذى وافق على ترجمة العنوان.

(5) Mohamed S. M. Eltayeb, *A Human Rights Approach to Combating Religious Persecution: Cases from Pakistan, Saudi Arabia and Sudan*, Antwerp/ Groningen/ Oxford: International- Hart Publishers, 2001, PP 135-183.

Persecution of the Republican Brotherhood، "السودان واضطهاد الإخوان الجمهوريين". فى عام 2010 نشر Edward Thomals أطروحته للدكتوراة⁽¹⁾ فى كتاب كان عنوانه: *Islam's Perfect Stranger: The life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim Reformer of Sudan*

الشاهد أن هذا مجرد جرد مجمل، وإشارة لبعض نماذج الدراسات (كتب، أوراق علمية، وأطروحات جامعية)، التى نشرت عن الأستاذ محمود ومشروعه، فى فترة ما بعد مرحلة الفقهاء. أما بالنسبة للمقالات الصحفية فهى كثيرة جداً ويمكن الاطلاع عليها فى بعض المواقع على الشبكة التى سترد الإشارة إليها فى محور لاحق فى هذا الفصل. من الملاحظ أن هذه الدراسات سعت فى نقدها الأستاذ محمود ومشروعه إلى إثراء الحوار وتلاقح الرؤى وتزاوج الأفكار، وقد اختلفت كلية عن دراسات مرحلة الفقهاء سواء من حيث الالتزام بالأسس العلمية والأخلاقية أو من حيث الموضوعات ومنهج المعالجة وفى التوصيات والنتائج التى خلصت إليها. فقد درست دراسات مرحلة ما بعد الفقهاء الأستاذ محمود ومشروعه بمقارنة مع الأطروحات العالمية والأسئلة التى يطرحها واقع اليوم، وبعيداً عن أى هوس دينى أو خطاب عاطفى أو رؤية فقهية. من الملاحظات أيضاً، أن هذه الدراسات نجحت إلى حد كبير فى ترفيع مستوى السجال بشأن الأستاذ محمود ومشروعه وبالتالي ساهمت فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود وتلاميذه فى الشارع وفى المخيلة السودانية، وإلى حد ما فى السوح العالمية والإقليمية الإسلامية والعربية. من الملاحظ أيضاً أن هذه الدراسات لم تعتمد فى مصادرها ومراجعها على الدراسات التى نشرت خلال الفترة من 1957 إلى 1985، مما يعنى أن هناك حداً فاصلاً قد وقع بين دراسات المرحلتين. ولا صلة البتة بينهما. وفى الوقت الذى تبخرت فيه كتابات مرحلة الفقهاء وفقدت قيمتها، ولم تعد تغذى الخيال أو تضيف شيئاً أمام تطورات الحياة ونهوض الواقع، توسعت، من الناحية الأخرى دراسات مرحلة ما بعد الفقهاء، توسعاً واضحاً ومستمراً باللغات العربية والأجنبية، داخل السودان وخارجه، خاصة فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وآسيا.

(1) Edward Thomas, *Islam's Perfect Stranger: The life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim Reformer of Sudan*, I. B. Tauris & Co. Ltd, New York, 2010.

كذلك حملت هذه الكتابات إعلانات ضمنية، فإلى جانب هجرها لدراسات مرحلة الفقهاء، فإنها أعلنت عن فك الحصار على مشروع الأستاذ محمود وإنهاء حقبة السكوت، وحقبة الأوصياء على العقول. الشاهد أن السوح الفكرية والثقافية السودانية الآن ومستقبلاً ستكون أمام معطيات جديدة حيث كل مثقف قادر على استخدام أدواته وقادر على الحضور في السوح الفكرية والثقافية ليتولى دوره الطبيعي في إنتاج المعرفة وتقديم الخدمات التنويرية ومن ثم خلق مناخ عام جديد، وإطار معرفي يستند على العقل.

برغم كل هذا، تظل الدراسات عن الأستاذ محمود ومشروعه في بداياتها، وأن الحوار لا يزال ضعيفاً، وإن الإصدارات قليلة. كذلك لاتزال الأكاديمية السودانية مقاطعة للأستاذ محمود ولإنتاجه الفكرى، وحتى لم يقبل الطلاب على دراسة مشروع الأستاذ محمود، ولم يبدأ أساتذة الجامعات بتوجيه طلابهم إلى البحث والتنقيب في مشروع الأستاذ محمود. أيضاً؛ من واقع هذه الدراسات نلاحظ أن الموضوعات التى يضح بها مشروع الأستاذ محمود لم تجد حظها الكافى من التناول. فأغلب هذه الدراسات وقفت على قضايا عديدة يصعب معالجتها فى كتاب واحد أو دراسة واحدة، الأمر الذى جعل هناك خللاً يلزمها ناتجاً من تقديم رؤوس موضوعات وليس دراسات عميقة ومحيطة وشاملة لأى موضوع من الموضوعات. فيصعب على دراسة واحدة تنشر فى كتب صفحاتها دون الخمسمائة، أن تعالج مشروعاً ضخماً يستحق كل موضوع فيه كتاباً أو كتاباً على أقل تقدير. فهناك، المرأة، والأخلاق، والحرية، التاريخ والصلاة والهوية والإنسان والوجود والكون والرق والجهد والفردية والمجتمع، والجندر، ومحاكم ردة ومواقف سياسية،... إلخ. الشاهد إن تناول مشروع مثل هذا فى كتاب واحد يدخل مؤلف الكتاب فى ضرورة اتباع منهج الاختصار والاختزال، ومن الناحية الثانية يقلل من فرصة الاحاطة الشاملة بالموضوع. أيضاً، كان لغياب المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحوث وإحجامها عن تنظيم المؤتمرات وعقد الندوات والحلقات النقاشية بشأن الأستاذ محمود ومشروعه، العامل الأساس فى ضعف الحوار حوله والتنوير بشأنه، الأمر الذى جعل التغيب والتضليل فى حالة استمرار، ولكنه تغيب وتضليل إلى حين، كما تنبئنا الدراسات التى تعد عن الأستاذ محمود ومشروعه وهى فى استمرار وتوسع صباح كل يوم جديد.

إهداءات الكتب والدراسات إلى الأستاذ محمود سكب الذات وإعلان النسب في موقف المشتقة

أقيموا للأستاذ محمود تمثالاً في قلب الخرطوم لنقول للأجيال القادمة أننا قوم
نحترم الفكر الحر ونضع مكانة خاصة لمفكرينا حتى وإن خالفناهم الرأي⁽¹⁾.

فتحى الضَّو

إن الإهداء الذي يتصدر الكتب أو الدراسات في صفحاتها الأولى، ويسكب فيه المبدع ذاته و"يودعه عصارة علاقته بالمُهدى إليه"⁽²⁾، هو فعل أخلاقي في غاية العظمة، ومن أجلّ الأفعال التي يمارسها المبدع، وهو تعبير من أصدق التعابير عن المواقف الإنسانية. فالإهداء هو رسالة حب وامتنان، وهو تعبير عن مودة واحترام. والانسان لا يهدى إلى أحد شيئاً إلا إذا كان على علاقة خاصة به، "والإهداء في كثير من حالاته هو نوع من التجريد العقلي والفلسفي"⁽³⁾. بهذا، المفهوم للإهداء ودلالاته الإنسانية، يمكن أن نتأمل إهداءات الكتب والدراسات إلى الأستاذ محمود. فقد سكب عدد كبير من المبدعين والمثقفين السودانيين ذواتهم في إهداءات كتبهم ودراساتهم، وأودعوها عصارة علاقتهم بالأستاذ محمود. معبرين بذلك عن احترامهم وإكبارهم للأستاذ محمود واحتفائهم وتخليدهم لمواقفه. بل عبر تلك الإهداءات بثوا الفضائل الإنسانية، وقاوموا ضعف الإحساس بالتاريخ، وناهضوا جهود التغيب وكشفوا بعضاً من عثبات تزوير التاريخ، وفوق كل ذلك فإنهم ثبتوا المبدأ الذي يجب أن تكون عليه سير العظماء في سجلات أمتهم. إن هذه الإهداءات تكشف عن الانهيار الجزئي للجدار العازل بين الأستاذ محمود من جهة وجل المثقفين وعامة الناس من الجهة الأخرى، والذي وضع أساسه الفقهاء والقضاة الشرعيون وعلماء السودان عبر تحالف إسلامي واسع، وبعد وضع الأساس، تم البناء بجهود قطاع واسع من الساسة

(1) فتحى الضَّو، "أيها المبعوث فينا"، صحيفة الأحداث، 2010/1/17.

(2) فاطمة الوهبي، "إهداءات الكتب"، مجلة الجزيرة الثقافية، فضاءات، العدد 187، 2007/2/9 القاهرة، 2009، النسخة الإلكترونية، استرجاع (Retrieved)، 2012/5/13، الموقع على الإنترنت:

<http://www.al-jazirah.com.sa>

(3) حمدي عبدالمعالم البدوي، إهداءات الكتب، سلسلة دنيا الكتب والمكتبات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص 20-23.

والمثقفين. تكشف هذه الإهداءات عن الانهيار الجزئي للجدار، فأصبح التواصل مع الأستاذ محمود مباشراً وفي توسع وتجدد واستمرار. فقد لاحظت من خلال رصدى لهذه الإهداءات أنها في زيادة وابتقاء سريع سواء في الأطروحات الجامعية داخل السودان وخارجه بشكل أوسع، أو في الإصدارات الجديدة من الكتب والروايات ودواوين الشعر... إلخ. ولأحظت أيضاً، أن هذه الإهداءات أكثر حضوراً في الكتب التي تتناول الشأن السياسي والقانوني وفي الروايات. من الملاحظات أيضاً أن بعض الإهداءات اقترن فيها اسماً الأستاذ محمود والعقيد جون قرنق (1945-2005). أيضاً، حملت هذه الإهداءات دلالات ومضامين كبيرة، فمن خلالها نخلص إلى أننا أمام رؤية مغايرة تماماً لما كان سائداً في النصف الثاني من القرن الماضي ضد الأستاذ محمود وتلاميذه، من ردة عن الإسلام، وتشويه لسيرته وصورته ومشروعه. فقد حملت هذه الإهداءات تعابير قوية بالفخر والاعتزاز بمواقف الأستاذ محمود وبشخصه وصموده على منصة المشتقة.

الشاهد أن الإهداءات التي قمت برصدها كثيرة، يصعب إيرادها كلها في هذا الحيز، وإنما سأورد نماذج منها، حسب ترتيب تواريخ صدورها. لقد جاءت الإهداءات في صدر كتب في مختلف المجالات، وفي صدر دواوين الشعر والروايات، والأطروحات الجامعية (الدبلوم، الماجستير والدكتوراة). أيضاً، وأود أن ألفت نظر القارئ إلى أن جل هذه الإهداءات كانت لمثقفين غير جمهوريين، إلى جانب أنني أوردت نماذج من إهداءات بعض تلاميذ الأستاذ محمود وقد أشرت لذلك في موضعه. أدناه نصوص الإهداءات مرتبة حسب تاريخ نشرها.

أهدى حيدر بدوى صادق بحثه لنيل درجة الشرف بالسنة الخامسة بكلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية بجامعة الخرطوم قائلاً⁽¹⁾:

Dedication:

To Him, who offered his life, energy and effort to Sudan.

To Him, who sacrificed his life for others? humanity and dignity.

To Him, who fought against oppression and humiliation of people by fanatics.

(1) Sadig, HaydarBadawi, *Aspects of Female Participation in Religious Organizations in Sudan: The Case of the Republican Sisters*, 1985, An unpublished Honor's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

To Him, who gifted his soul willingly to purify Islam from fanaticism and finally for this aim stood up facing the gallows smiling.

To Him, who raised the issue of women's rights to the highest place of honour and gave it utmost priority.

To my godfather and the father of all Republican Brothers and Sisters, Ustaz Mahmoud Mohamed Taha, I dedicate this humble work.

ترجمة الإهداء

إلى الذى وهب حياته وطاقته وجهده للسودان

إلى الذى ضحى بحياته من أجل إنسانية وكرامة الآخرين

إلى الذى حارب اضطهاد وإذلال المهووسين للناس

إلى الذى أهدى روحه راضياً بهدف تنقية الإسلام من الهوس حتى أقبل على المشنقة مبتسماً

إلى الذى رفع شأن المرأة وحقوقها إلى أعلى مراتب التشريف فجعلها أهم الأولويات لأبى الروحى وأب جميع الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، الأستاذ محمود محمد طه، أهدى هذا العمل المتواضع

وأهدى حيدر كذلك رسالته لنيل درجة الماجستير من كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية بجامعة الخرطوم، قائلًا⁽¹⁾:

إلى الشعب السودانى، "To the Sudanese People"

أهدى عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، أهدى عصام ديوانه إلى الأستاذ محمود، وقد قال فى إهدائه⁽²⁾:

(1) Sadig, HaydarBadawi, *The Republican Brothers: A Religio-political Movement in Sudan*, 1988, An unpublished Master's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

(2) عصام عبدالرحمن أحمد، الصقر يعلو وجهه، (ديوان شعر)، ط 1، 1987، ص الإهداء.

إلى الأستاذ محمود محمد طه:

الصَّقْرُ يَعْلُو وَحَدَهُ مُتَسَنِّمًا أَعْلَى الْقِمَمِ
مُتَفَرِّدًا عَنْ سِرِّهِ وَتَلَوُذُ بِالسَّرْبِ "الرَّخْمِ"

كان منصور خالد من أكثر المثقفين السودانيين الذين أهدوا كتبهم إلى الأستاذ محمود. فقد أهدى كتابه: **الفجر الكاذب: غمري وتحريف الشريعة**، إلى الأستاذ محمود قائلاً:

إلى روح الأستاذ محمود محمد طه الذى ذهب مبعياً عليه فى عهد اللوثة ولسان حاله يقول:

"يا أحبابى فى بلد الأشياء"

"فى بلد المشى على أربع"

"هذا آخر عهدى بوجوهكم السمحة"

"بعقولكم العطشى للإنجاب الفكرى الممنوع"

"فالحكم الصادر، لقضاة مدينتكم فى مجلسه المرموق"

"عاجنى بالموت" (1). (من أبيات للشاعر: محمد أبو دومة (2))

كذلك أهدى منصور كتابه: **السودان: أهوال الحرب وطموحات السلام**، قصة بلدين إلى إبراهيم بدرى، وستانسلاوس عبد الله بياسما، والأستاذ محمود محمد طه. فكتب فى إهدائه للأستاذ محمود قائلاً:

رجل لم يأسره الحرص إذ غنى عن الدنيا باليأس منها. ومفكر ذو بصر حديد لم يتق غير الله فى التعبير عن فكره. جابه الناس بهذا الفكر ولم يستدبرهم بغيث. فأراؤه

(1) منصور خالد، **الفجر الكاذب: غمري وتحريف الشريعة**، دار الهلال، بيروت، 1986، ص 4.

(2) محمد أبو دومة، هو شاعر مصرى ولد بمحافظة سوهاج عام 1944. حاصل على الماجستير والدكتوراة فى الأدب المقارن من المجر 1986. له العديد من دواوين الشعر منها: **المآذن الواقعة على جبال الحزن** 1978، **والسفر فى أنهار الظلم** 1980، **والوقوف على حد السكين** 1983، وأتباعه عنكم فأسافر فيكم 1987، و**تباريح أوراد الجوى** 1990، **والذى قتلته الصباية والبلاد** 1988. ومن مؤلفاته: **علاقة الشباب والتأثر فى الأدب الفلسفى الفارسى، العربى المجرى (الدكتوراة)**، ونصوص من المسرح المجرى الحديث (ترجمة) - فن المسرح.

السياسية التي أجلينا في هذا الكتاب، منذ مؤتمر الخريجين، آراء لا يجسر عليها إلا أولو العزم في وطن فيه للباطل سلطان. واجتهاده في الدين اجتهاد بديع بريع لا يرفضه إلا من ضاق وعاءه. ولئن عاد من عاد الى الكثير من تلك الاجتهادات فهو متبع لا مبتدع⁽¹⁾.

أهدى عمر القراي، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، كتابه: الجهاد أم حرية الاعتقاد؟، قائلا⁽²⁾:

إلى الذى وقف طوال حياته على حدا الاستقامة
فكان فى فكره وقوله وعمله على سراط مستقيم !!
حتى بلغ من تجويد العبودية
أن لقي الموت بابتسامة الرضا !!
صاحب الفكر القوى الدقيق
والقلب الحر الطليق
الذى وسع الأحياء والأشياء رحمة وتلطفاً ومحبة !!
من أنزل كمالات الدين من نعماء الغيب
بعد طول العهد وانقطاع الارشاد
فجسدها حية تمشى بين الناس !!
الى أستاذى الأستاذ محمود محمد طه
أهدى هذا العمل المتواضع
على ما به من قصور !!
ويقيني أنه يقبله .. كما كان يفعل دائماً !!

أهدى حيدر الصافى شبو، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، رسالته للماجستير⁽³⁾

(1) منصور خالد، السودان: أهوال الحرب وطموحات السلام، قصة بلدين، دار تراث، لندن، 2003، ص الإهداء.

(2) عمر القراي، الجهاد أم حرية الاعتقاد؟، القاهرة، 1995.

(3) Haidar El Safi Mohamed Ali Shapo, Dedication for M.Sc 1990, Resource Management, Edinburgh University.

قائلاً⁽¹⁾:

To Alustadh Mahmoud Mohamed Taha

Who has taught us how to think!

We put faith on you

We observe the "Day of Presence" with no doubt at all

إلى الأستاذ محمود محمد طه

الذى علمنا كيف نفكر

نؤمن بك

ونتتظر عودتك بلا أدنى شك

كما أهدى حيدر كذلك أطروحة للدكتورة إلى الأستاذ محمود وإلى تلميذه سعيد الطيب شايب، وجلال الدين الهادى الطيب إدريس وأسماهما بالتوأمين، كتب حيدر فى إهدائه قائلاً⁽²⁾:

إلى أبى، ثم إلى ابنه التوأمين

قد عسعس الليل بغيابكم! وبتنا نترقب الصبح

أليس الصبح بقريب!

أيضاً أهدى خالد حسن عبدالله، أطروحة الجامعة التى قدمها فى كلية علوم الغابات والبيئة، بمعهد إدارة الغابات والاستشعار عن بعد⁽³⁾، بمدينة قوتنغن بولاية سكسونيا السفلى بألمانيا، إلى الأستاذ محمود قائلاً⁽⁴⁾:

(1) كُتِبَ الإهداء باللغة الإنجليزية، كما هى لغة الرسالة، وقام مؤلف هذا الكتاب بالترجمة، كما هو الحال مع الأطروحات الأخرى.

(2) Haidar El Safi Mohamed Ali Shapo, *Modification of Microclimate in an Alley Cropping System in Northern Sudan*, 2002.

(3) Khalid Abdalla Hussein, *Parameter-parsimonious Models for Crown and Stem Profiles*, Georg-August University of Gottingen (Göttingen, right spelling) Germany, June 2001.

(4) حصلت على هذه المعلومات من صاحب الرسالة نفسه، خالد حسن عبدالله، عبر حوار بالبريد الإلكتروني بتاريخ 29 مايو 2012.

This study (work) is dedicated to the soul of الأستاذ Mahmoud Mohamed Taha.

هذه الدراسة مهداة إلى روح الأستاذ محمود محمد طه

أهدى الروائي مروان حامد الرشيد روايته، **مندكورو: برق وهلال**⁽¹⁾، قائلاً:

إلى روح العارف بالله، الشهيد

محمود محمد طه

الصوت الذى نطق بالحق،

الصوت الذى قال: لا! للحاكم السوء، وقضاته الزبانية، يوم احتقنت ألسن معظم

الرجال بالسكوت

الضمير الحى، يوم شبت ضمائر معظم الرجال استتارا

إلى روح الصنديد محمود بن أبى محمود، أبى أسماء أم محمود،

بشرى وتحية! فالأمة التى نافحت عنها بدمك يمتخض فى أحشائها اليوم إنسان الغد،

قد اشتد بها الطلق، وتنفس صبح الميلاد!

أهدى الشاعر السموأل محمد الحسن ديوانه: هل، إلى الأستاذ محمود قائلاً:

فى البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة هى المحبة. الله رمزها فى السماء ورمزها فى

الأرض الأم [...] أخص الأستاذ محمود محمد طه الذى أفهمنى أن الله هو الحرية فقلت

بدورى للعلم سلاماً⁽²⁾.

فى عام 2004، نشر الأستاذ إبراهيم يوسف، كتاباً عن ثورة رفاعه، وهى الثورة التى

قادها الأستاذ محمود فى مدينة رفاعه عام 1946. وسم إبراهيم كتابه بـ: **ثورة رفاعه**

المجهولة: لوحة مشرفة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار، وكتب فى

الإهداء قائلاً⁽³⁾:

(1) مروان حامد الرشيد، **مندكورو: برق وهلال**، (رواية)، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2001، ص (الإهداء).

(2) السموأل محمد الحسن، **هل**، (ديوان شعر).

(3) إبراهيم يوسف، **ثورة رفاعه المجهولة: لوحة مشرفة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار**، 2004،

(بدون مكان نشر)، ص 1.

إلى الشعب السوداني العملاق صانع الثورات...

إلى شعب رفاعة الذى كانت ثورته الشعبية صفحة فخار مجهولة، ولضرورة التعريف بها صدر هذا الكتاب ويكفى أنها كانت غرة نضالنا الوطنى إذ ناجزنا فيها الاستعمار وجهاً لوجه فحققنا ما أردنا.. وبذلك وضعت الحركة الوطنية موضع الجدل فى مواجهة الاستعمار، كما أنها فدت الشعب من ذل الاستعمار وكانت هى طليعة ثورة أكتوبر الخالدة. فهنيئاً لثورة رفاعة بقائمة شرف بنيتها الثوار الأحرار.. وحقاً كان شعب رفاعة يومها يكثر عند الفرع ويقل عند الطمع.

أصدر أحمد مصطفى الحسين ديوان شعر، فكتب فى الإهداء قائلاً:

إلى أبى وأستاذى محمود محمد طه،

وإلى أبنائه "الجمهوريين" حيث كانوا وكيف كانوا⁽¹⁾.

أهدى فتحى الضو محمد كتابه: سقوط الأقنعة، إلى الأستاذ محمود محمد طه، وعبدالعزیز النور خلف الله، والتاية أبو عاقلة، وإلى جلاديكم جميعاً. كتب فى إهداءه للأستاذ محمود قائلاً:

إلى الأستاذ محمود محمد طه.. شهيد الفكر الحر، الذى أُنذرنا بقدوم الطوفان، ولم نستبِ النصيح إلا ضحى الغد!!!

واجه الموت معتدلاً بابتسامة وضيئة، هزمت ترهات الظلاميين

لم يدركوا بأنه ليس فى الجبة إلا كلمة حق فى وجه سلطان جائر⁽²⁾.

أهدى خالد الحاج عبد المحمود، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كتابه: الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه، إلى الأستاذ محمود قائلاً⁽³⁾:

(1) أحمد مصطفى الحسين، الإنسان قادم إلى المدينة، (ديوان شعر)، 2004، بدون مكان نشر، ص 2.

(2) فتحى الضو محمد، السودان: سقوط الأقنعة: سنوات الحية والأمل، شركة سوتير (طابعون)، دار آفاق جديدة ومركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2006، صفحة الأهداء.

(3) خالد الحاج عبد المحمود، الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه، مرجع سابق، ص 5.

إلى الأستاذ محمود محمد طه....

إليك، سيدى، نهدي بعض ما علمتنا،

فالأمر منك.. وإليك...

ونحن إذ نقدم هذا العمل، نرجو به،

أن نغسل من الأوصاب،

وأن نكون من أهل الفضل..

ومن طلائع من تفتح لهم الأبواب،

ويخصون بالخطاب:

"ادخلوها بسلام آمنين"

هنا، فى هذه الدار.. وفى دار المآب...

وبكم، سيدى، نرجو أن نكون،

بهذا العمل، من هداة الحياة، وحداتها إلى سبيل السلام

أهدى الباقى العفيف، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كتابه: **وجوه خلف الحرب:**

الهوية والنزاعات الأهلية فى السودان، إلى الأستاذ محمود ومنصور خالد، فكتب قائلاً⁽¹⁾:

● إلى شهيد الفكر الأستاذ محمود محمد طه، الذى علمنا أن الفرد الحر هو الذى يفكر

كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، ثم إنه على استعداد دائم لتحمل مسؤولية

فكره وقوله وعمله أمام قانون دستورى.

● وإلى الدكتور منصور خالد الذى لم تتوقف محاولات اغتياله معنوياً بترويج

شائعات سخيفة. إن لك فى الأستاذ محمود أسوة وعزاء. أسوة، لأنك مثله صاحب نعمة،

هى العقل الصافى والقلب السليم، ومثله أيضاً أنت محسود عليها. وعزاء، لأنه قال عنك

أنتك "ذكى وأن الله غيور على الأذكىاء".

(1) الباقى العفيف، **وجوه خلف الحرب: الهوية والنزاعات الأهلية فى السودان**، مركز الخاتم عدلان للاستشارة والتنمية البشرية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم 2007، ص 3.

كتب محمود شعراني، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، في إهدائه لكتابه: **الأزمة الأخلاقية العالمية⁽¹⁾**، قائلاً:

إلى روح أبى وأستاذى وصديقى الذى هو أكثر من صديق.. على حد قوله لى...
إلى روح الأستاذ محمود محمد طه
أهدى هذه الدراسة المتواضعة

أهدى عبدالماجد بوب كتابه: **جنوب السودان جدلية الوحدة والانفصال⁽²⁾**، إلى
الأستاذ محمود، وجوزيف قرنق، وجون قرنق دى مبيور. كتب في إهدائه للأستاذ
محمود قائلاً:

إلى منارات الوطنية السودانية...
إلى الأستاذ الشيخ الجليل محمود محمد طه لأنه الأول الذى صاغ برنامجاً رائداً
وواقعياً للفدرالية والتعايش عند منتصف القرن الماضى
إلى جوزيف قرنق لأنه نبه مبكراً إلى أن الديمقراطية والتنمية المتوازنة هما الأساس
لبناء الدولة الوطنية.
إلى الدكتور جون قرنق دى مبيور مهندس طريق السودان الجديد ومسيرة السلام
والتحول الديمقراطى.
أهدى إبراهيم يوسف فضل الله، وهو من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود، مذكراته
الموسومة بـ: **ذكريات جمهورى⁽³⁾**، قائلاً:

إلى المثقفين السودانيين.. إن الفكرة الجمهورية بأصالتها هى شرفكم... وهى قدركم
إذ تحترم عقولكم وحقوقكم الإنسانية العصرية. فأنصفوها وادرسوا كتبها بعقول مبرأة من
أضرار الجهالات.. تهيبكم عظمة الفكر ومكانة الريادة.

(1) محمود شعراني، **الأزمة الأخلاقية العالمية**، مرجع سابق، صفحة الإهداء.

(2) عبد الماجد بوب كتابه: **جنوب السودان جدلية الوحدة والانفصال**، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 2009.

(3) إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهورى**، الخرطوم، 2001.

كتبت سمية محمود محمد طه، فى إهدائها لرسالة الماجستير التى نالت بها درجة الماجستير⁽¹⁾ كتبت سمية قائلة:

إلى أبى الذى نادى بـ:

"ساووا السودانيين فى الفقر إلى أن يتساووا فى الغنى"

ثم إلى أمى .. وكفى ..

كتبت بتول مختار محمد طه، وهى من تلميذات الأستاذ محمود، وابنة شقيقه، ظلت مرافقة له ولصيقة به طوال حياتها، كتبت فى إهدائها لمذكراتها: محمود الإنسان: قراءة الأيام⁽²⁾، قائلة:

إلى روح أبى محمود المقدسة ..

أرفع هذا العمل المتواضع ..

فى سجل حياتك الطاهرة ..

وهو بداية لكثير قد تواعدنا عليه ..

أرجو أن أتمكن من إكماله تحت رعايتك ..

وحبك العظيم ..

أهدى مجذوب محمد مجذوب، وهو من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود، مذكراته الموسومة بـ: السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى⁽³⁾. وهى الآن تحت الطبع، فقد اطلعت عليها، وشرّفتنى مؤلفها مجذوب بأن أكتب تصديراً لها بالشاركة مع النور حمد، فكتب النور تصديراً أول، وكتبت أنا تصديراً ثانياً. كتب مجذوب فى إهدائه لمذكراته قائلاً:

إلى الشعب السودانى عامة - نساءً ورجالاً .. وإلى جيل أبنائنا وبناتنا منه

(1) سمية محمود محمد طه، مرجع سابق، ص الإهداء.

(2) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، الشركة العالمية للطباعة والنشر 2012، ص الإهداء.

(3) مجذوب محمد مجذوب، بعض أوراق جمهورى، السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى، دار رؤية للنشر، القاهرة، (تحت الطبع).

بصورة خاصة.. وإلى جيل الحفيدات والأحفاد بصورة أخص.. حملة المشعل
والمشغل،... أمل الغد وبناء المجد.. رجاء أن يكونوا على قدر المسؤولية.. بأن
يكونوا جمهوريين، فمن لم يستطع، فلا أقل من أن يبقى على سودانيته.. فإن
لكم في الحاليين معزة ومفخرة.. غير أن التشاؤم للتسامي أعز وأفخر.. فالفكرة
الجمهورية هي منكم ولكم.. سودانية 100% ... أدام الله على السودان
والسودانيين عادته في الحفظ.. ودمتم والله معكم ولن يترككم أعمالكم..

الشاهد أن هذه بعض الإهداءات وهناك كثيرون من من أهدوا كتبهم للأستاذ محمود،
ولكن يصعب استعراض كل ذلك الكم. لقد سكب المثقفون ذواتهم في إهداءاتهم،
فكانت الإهداءات كلها تعبيراً عن الاحترام والحب للأستاذ محمود، والإجلال والإكبار
لمواقفه، وبعض الإهداءات كانت اعتذاراً وتعبيراً عن الأسف والتبرؤ.

الشاعر يخلد البطل المهمل عند المؤرخ

إن الأوضاع التاريخية تُسلم نفسها بطريقة أفضل، من خلال عمل
أدبي مهم⁽¹⁾.

ريجيس دوبريه

لقد بكى الكثير من مثقفي السودان ورثوا بشعرهم الأستاذ محمود بعد وقفته على
منصة المشتقة. كانت قصائدهم تعبيراً عن المناصرة والاعتداد بالأستاذ محمود وبموقفه. كما
حكّت قصائدهم بأن لدى شعوب السودان في صمود الأستاذ محمود على المشتقة نسباً
وحسباً. قدمت قصائد شعراء السودان في رثاء الأستاذ محمود وفي إحياء ذكره في شهر
يناير من كل عام، وستظل تقدم شهادة تاريخية ناصعة ووثائق إنسانية ساطعة أمام فعل
المؤرخ. كان الشعراء يؤرخون للذات السودانية عبر تحرير البطل من سجن المؤرخ. كان
الشاعر محرراً وكان المؤرخ سجيناً. الشاهد أن الشعراء الذين رثوا الأستاذ محمود كان
عددهم كبيراً ويصعب تناولهم جميعهم، ولكن يمكن للقارئ أن يطلع على قصائدهم

(1) ريجيس دوبريه، "حوار مع ريجيس دوبريه"، أجرى الحوار محمد برادة، مجلة الدوحة، مجلة ثقافية شهرية،
العدد 19، مايو 2009، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ص 54.

فهي مثبتة في موقع الفكرة الجمهورية على شبكة الإنترنت⁽¹⁾، إلى جانب كتب الشعراء أنفسهم ومنشوراتهم. إن الشعر (كما كتب محمد المهدي المجذوب، وورد آنفاً) قاض وشاهد، وكما ورد كذلك في قول ريجيس دوبريه أعلاه أن الأوضاع التاريخية تُسلم نفسها بطريقة أفضل، من خلال عمل أدبي مهم. كتب المجذوب قائلاً:

وأكتبُ شعراً ليسَ للشعرِ غايةٌ سوى أنه قاضٍ عريقٌ وشاهدٌ

في يقيني، أن موقف صمود الأستاذ محمود على منصة المشتقة ليس هو تنفيذاً لحكم إعدام نقرؤه في حدود الشجاعة والفراصة والثبات على المبدأ فحسب؛ وإنما هو لوحة وأبدة من أوابد الدهور ستظل رمزاً للكرامة والعزة والكبرياء تنتهي عندها أنساب الأحرار والشرفاء وأعراقهم، وهنا معنى أرحب وأكبر ومفهوم جديد للنسب والعرق.

الفنان يخلد البطل المهمش عند المؤرخ

المسرح واللحن والكاركاتير

أنا باعتبار الأستاذ محمود محمد طه أبوى الروحي، أنا الوحيد الكنت بشترى كتبو في دار الفنانين⁽²⁾.

الفنان محمد عثمان وردى (1932-2012)، نقلاً عن عبدالله عثمان

لقد قام الفنان بما عجز عنه المؤرخ، ففي الوقت الذي ظل فيه المؤرخ متجاهلاً للأستاذ محمود، وهو في حالة تهاوى مع الفقيه وسير مع القطيع وخشية من سلطة المجتمع، كما سيأتي تبين ذلك لاحقاً، كان الفنان يسعى لتخليد الأستاذ محمود. يقول معاوية محمد نور (1909-1941): "الفنان المجيد خادم الحكمة الإلهية ومستودع الشعلة الخالدة"⁽³⁾. فالفنان هو

(1) يمكن الوقوف على الشعراء وقصائدهم التي كتبوها في تمجيد مواقف الأستاذ محمود، في موقع الفكرة الجمهورية على شبكة الإنترنت: <http://www.alfikra.org>

(2) عبدالله عثمان، "الأستاذ محمود محمد طه: إلى سبانا الشريف: سيروا إلى الله عرج ومكاسير"، مرجع سابق.

(3) معاوية محمد نور، الأعمال الأدبية لمعاوية محمد نور: دراسات في الأدب والنقد وقصص وخواطر، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الخرطوم، 1994، ص 40.

الذى يجب أن يكون خارجاً عن التشابه، وهو الذى يبعث بالأسئلة من أجل التغيير والتحرير، يقول الشاعر محمد المهدي المجذوب (1918-1982): "الإنسان المسؤول لا تنفعه المواعظ وإنما يبعثه الفن على التساؤل"⁽¹⁾. لهذا فمن المتوقع أن يكون الفنان حليفاً للأستاذ محمود فى السعى والمواجهة من أجل الحرية وكرامة الإنسان وأنسنة الحياة وتحريرها من القديم والجهل. لا غربة فى هذا التحالف، إذ إن للأستاذ محمود رأياً كبيراً بشأن الفن، يقول الأستاذ محمود:

إن الفن هو وسيلة التعبير عن ملكة التعبير... إن ملكة التعبير إنما هى الحياة.. والحياة تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة، فى مستويات مختلفة... فهى تعبر عن نفسها بالحركة، وتعبر عن نفسها بالغذاء، وتعبر عن نفسها بالتناسل، كما تعبر عن نفسها بالشعر، وبالنثر، وبالغناء، وبالرقص، وبالنحت، وبالرسم، وبالتصوير، وبالتمثيل، وبالموسيقى، وبغيرها من ضروب الطاقة الفكرية، والجسدية، التى تفيض وتنبجس"⁽²⁾.

وعن الفن والتعبير عن القيمة الحياتية يقول الأستاذ محمود: "إننا لا نسمى أساليب الحياة، فى التعبير عن نفسها، فناً، بالمعنى المخصص لهذه الكلمة، إلا إذا ما دخلت هذه الأساليب على مستوى التعبير عن القيمة - القيمة فى الحياة - وأعلى قيم الحياة الحرية"⁽³⁾. وعن دور الطاقة العقلية فى إدخال القيمة فى الحياة، يقول الأستاذ محمود: "هناك الطاقة الحياتية، وهناك الطاقة العقلية، وإنما بالطاقة العقلية دخلت القيمة فى الحياة.. فالفن إنما هو تعبير الطاقة الحياتية عن نفسها من خلال مصافى العقول المرتاضة، الصافية، القوية الإدراك"⁽⁴⁾. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "الفن هو التعبير عن حياة الفكر وحياة الشعور، فى آن معاً.. والطاقة الحياتية إنما هى أصل الحياة، فى سذاجة، وبساطة، وهى لا تفلسف، ولا تتأنق، ولا تحتفل، حين تعبر عن نفسها"⁽⁵⁾.

(1) حوار مع محمد المهدي المجذوب، كتابات سودانية، العدد 30، مركز الدراسات السودانية، ديسمبر 2004، الخرطوم، ص 158.

(2) محمود محمد طه، الإسلام والفنون، أمدرمان، 1974، ص 3-2.

(3) المصدر السابق، ص 3-2.

(4) المصدر السابق، ص 3-2.

(5) المصدر السابق، ص 3-2.

المسرح

حينما كتبت مسرحية محمود، كنت فقط أود أن أقول إن حياة محمود يلزم أن تبقى أبد الدهر مثلما يلزم أن يموت القنلة كل يوم⁽¹⁾.

عثمان جعفر النصيري⁽²⁾

كتب عثمان جعفر النصيري مسرحية بعنوان: محمود. لم يكن النصيري، كما أفاد، يحلم بأن يتم عرض المسرحية في لندن، يقول النصيري: "عندما كتبت مسرحية محمود ما كنت أحلم بإمكانية عرضها في لندن. لقد كنت أرمى الى تقديمها كقراءة شعرية فقط"⁽³⁾. غير أن المسرحية عرضت في لندن، وكان العرض بإشراف عثمان النصيري وبإخراجه في يوم الجمعة 18 يناير 2002، إذ قدمتها جماعة السودان لفنون الأداء Sudan Performance Art Group في عرض مسرحي بقاعة (فينشر سنتر Venture Centre)، بوورنينغتون رود Wornington Road بمنطقة لادبروك غروف غرب لندن، في ذكرى مقتل الأستاذ محمود محمد طه⁽⁴⁾، (وهي الذكرى السابعة عشرة). يضيف النصيري قائلاً: "لو كنت أعتقد

(1) مقابلة مع عثمان جعفر النصيري، كانت أكثر من مقابلة بالهاتف وتبعتها مراسلات بالبريد الإلكتروني، المؤلف في الدوحة والنصيري في لندن، كانت المقابلات في يومي 25 أبريل و 29 مايو 2012، وكانت المراسلات في أيام: 25 أبريل، و 29 مايو، و 12 أغسطس، و 25 أغسطس و 5 سبتمبر.

(2) عثمان جعفر النصيري، هو كاتب ومخرج مسرحي سوداني. كتب المسرحيات باللغتين العربية والإنجليزية. كتب النصيري وأخرج العديد من الأعمال المسرحية، كما نشر كتاب بعنوان: المسرح في السودان 1905-1915، إلى جانب أعمال مختلفة في الترجمة في محيط اللغتين العربية والإنجليزية. غادر النصيري السودان عام 1972 واستقر في بريطانيا. من المهم الإشارة إلى أن النصيري كان عضواً في مجمع الكتاب والفنانين التقدميين "أبادماك"، وهو التجمع الذي أصدر في أول اجتماع له في يوم 1969/1/10، بياناً استنكر محكمة الردة الأولى التي حكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام في يوم 18 نوفمبر عام 1968، كما أدان البيان وقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود أمام القضاء الشرعي. حدثني عصام عبدالرحمن البوشي قائلاً: إن عثمان النصيري كان آمناً في الدراسة بعام، وكان النصيري كالتحفة لا يعرف غير العمل الدؤوب، كان لا ينام وهو المطارد والملاحق باستمرار، كان يشبه الأخ جمعة حسن محمد، الذي كان يعمل كالتحفة أيضاً في الفكرة الجمهورية وبين الإخوان الجمهوريين. الشاهد أن جمعة حسن محمد، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، والذي أشار إليه البوشي كان في بادئ أمره أيضاً شيعياً، قال عنه يونس الدسوقي، وهو من قادة الحزب الشيوعي السوداني بمدينة كوستي، قال عن جمعة: "كان طاقة عجيبة، يمكن يساوي عشرة من زملاؤه"، وسأورد قول الدسوقي مفصلاً لاحقاً.

(3) مقابلة مع عثمان جعفر النصيري، مصدر سابق.

(4) "محمود: مسرحية سودانية في لندن"، جريدة الشرق الأوسط، العدد: 8453، بتاريخ 19 يناير 2002.

بإمكانية عرض محمود كمسرحية فى لندن لكنك كتبته بالاعتماد على عدد أقل من الممثلين توفيراً لجهدهم. كنت أطلع إلى قراءة مسرحية لا أكثر، بيد أن صبر المجموعة وهمتها العالية دفعا بهذا العرض الطموح إلى الحشبة⁽¹⁾. اشترك فى التمثيل كل من: سلمى بابكر الريح فى دور المناذية، وعزالدين طه فى دور الأمين داؤود وفى دور حسن حامد أيضاً، ومحمد المهدي عبد الوهاب فى دور المكاشفى طه الكباشى، وإسماعيل التاج فى دور ثلاثة أشخاص هم: توفيق أحمد صديق، وحسن إبراهيم المهلاوى، وعبد الجبار المبارك. كما قام محمد عثمان عبد الحميد بدور شخصيتين هما: محمد سالم بعشر وتاج الدين عبدالرازق، وقدم معتز أحمد الفكى دور خالد بابكر حمزة، وسيف الدين محمد عبدالرحيم فى دور محبوب حاج نور، وعاصم نورين فى دور عبداللطيف عمر حسب الله. وتكونت الجوقة من: عاصم نورين قائد الجوقة، وانشرح أحمد، ومواهب ميرغنى، وعادل محمد طه، ومعتز أحمد الفكى، وسيف الدين محمد عبدالرحيم، وعزالدين طه، وإسماعيل التاج، ومحمد عثمان عبد الحميد، ومحمد المهدي عبد الوهاب. وقدمت السيدة نبيلة أديب عبدالله إسهامات فى سبيل إعداد العرض⁽²⁾. وقام بالتصوير والإخراج التلفزيونى الفنان التشكيلى سامى الملك. خصصت مجموعة اداء النصيرى عائدات المسرحية التى بلغت ألف وسبعمائة وسبعة وتسعين جنيهًا ونصف جنيه إسترليني (1797.50) لدعم مشروع يتصل بتأهيل أطفال الشوارع، وقد تم ذلك عبر مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى بأمدردمان⁽³⁾.

لقد كتب عثمان النصيرى مسرحية محمود وهو لم يلتق الأستاذ محمود. يقول النصيرى: "لم التق محمود قط"⁽⁴⁾. بيد أن هناك ثلاثة أمور فى تقديري قد دفعت بنص مسرحية محمود إلى حيز الوجود. الأمر الأول يتصل بما ترسب عن الأستاذ محمود فى ذاكرة النصيرى منذ طفولته فى مدينة رفاعة بوسط السودان، وقد استرجع النصيرى ذلك قائلاً: "لقد كان لى وعي وأنا فى مدرسة المسرح اللندنية قبل نحو أربعين عاماً بكتابة شئ

(1) ورد ذلك فى المطوية (البروشور) التعريفية بالمسرحية.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

عن طفولتي في محاولة لقراءة عالم المسرحيات التي ندرسها بعيون الطفولة ومفرداتها. من ذلك أن عدت بالذاكرة الى حادثة قلت أنها وقعت في بلدتي رفاعه. لا أحسب أن تلك كانت ذاكرة زائفة متوهمة". ثم يصور النصيري المشهد قائلاً:

المكان ساحة المولد. هناك لمة من الناس لم أعد أذكر أن كان فيهم أحد الأهل أو المعارف. كل ما أذكره هو أنني جريت من ساحة المولد وقابلت امرأة لا أدرى من هداني إلى أنها ذات صلة بالأمر ولا أذكر إن كنت اعرفها شخصياً أم لا. قلت لها: ولدك البدرى كتلوه [قتلوه]. البدرى هو مساعد سائق السيارة الذي أصيب خلال هبة أهالي رفاعه (ثورة رفاعه / 1946 الخفاض الفرعوني، خصص هذا الكتاب فصلاً عنها) ولم يقتله أحد وقتها- أحسب أنه أصيب في رجله. ظلت تلك الحادثة في ذاكرتي وهي كل ما ترسب في ما له صلة بالأستاذ محمود في فترة الطفولة⁽¹⁾.

الأمر الثاني وقد لخصه النصيري قائلاً: "إنني ظللت أحمل في صباي وفي شبابي وداً واحتراماً عظيمين لشباب الجمهوريين من بين أصدقائي في رفاعه. كان يأخذني صدقهم واستقامتهم ونكران ذاتهم واعتبرهم بمثابة أبناء العم لنا كشيوعيين"⁽²⁾. أما الأمر الثالث فهو في تقديري، أن مسرحية محمود موقف أخلاقي. إن مسرحية محمود تكتسب قيمتها وأهميتها ليس من كونها العمل المسرحي الوحيد الذي تناول الأستاذ محمود ووثق فنياً لمحاكمته وتنفيذ حكم الإعدام عليه فحسب؛ وإنما لأنها من الأعمال الفنية ذات الهوية الأخلاقية، وما من كلمة أو عمل أو موقف ذو هوية أخلاقية إلا ويُبعث بأنصع مما انطوى عليه من دلالات ومضامين، وسيظل بعثه مستمراً عبر الزمان كلما تمدد الوعي بما يخدم الحرية وتسييل الأفكار ونمو الحس العدلي في داخل الإنسان.

(1) مقابلة مع عثمان جعفر النصيري، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

الألحان

أنا أعلنت مراراً رأيي

أن "قوانين سبتمبر" ترجع بالإسلام دهور

أعلنت مراراً

أن بضاعتكم شوّهت الإسلام وسوف تبور

هذا من حيث التنظير

أما من حيث التطبيق

فإن الطوق اليوم يضيق

وإن الفتنة سوف تفيق

وإن دماراً سوف يحيق (1)

معتصم سيد أحمد القاضي

قام طارق الأمين بتلحين نص كلمة الأستاذ محمود أمام المحكمة يوم الاثنين 17 يناير 1985، التي حكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، وتبع ذلك تنفيذ حكم الإعدام عليه يوم 18 يناير. ظلت كلمة الأستاذ محمود هذه بما حملته من قوة ورصانة تُبعث على الدوام وفي مستويات مختلفة، تبعث في دوائر القانونيين، ولدى الدارسين للفكر الإسلامي وعند الباحثين في حقوق الإنسان... إلخ. ثم جاء لحن طارق، وما لبث أن شاع ذلك اللحن، كأنما الناس كانوا في انتظاره، فأصبحت تلك الكلمة بذلك اللحن الاستهلال والمدخل لمعظم اللقاءات التي تأتي احتفاءً بالأستاذ محمود، خاصة ذكرى 18 يناير، في مختلف أنحاء العالم وبأصوات عديدة لفئات عمرية مختلفة، مع تفاعل خاص للأطفال. لقد غدت كلمة الأستاذ محمود بما حملته من قوة ووضوح رؤية، من أشهر النصوص، ومن أكثر النصوص تأملاً في قصة النص، كما غدت الكلمة موضعاً للشراكة الوجدانية بين الفئات العمرية المختلفة في الأداء والاستماع. قال الأستاذ محمود في كلمته تلك أمام المحكمة:

أنا أعلنت رأيي مراراً في قوانين سبتمبر 83 من أنها مخالفة للشريعة، وللإسلام..

(1) معتصم سيد أحمد القاضي، "أعلنت مراراً"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، تحتوي القصيدة على عبارات مقبسة من كلمة الأستاذ محمود محمد طه أمام محكمة المهلاوى.

أكثر من ذلك، فإنها شوهت الشريعة، وشوهت الإسلام ونفرت عنه.. يضاف إلى ذلك، أنها وضعت واستغلت لإرهاب الشعب وسوقه إلى الأستكانة عن طريق إذلاله.. ثم انها هددت وحدة البلاد.. هذا من حيث التنظير. وأما من حيث التطبيق، فإن القضاة الذين يتولون المحاكمة تحتها غير مؤهلين فنياً.. وضعفوا أخلاقياً عن أن يمتنعوا عن أن يضعوا أنفسهم تحت سيطرة السلطة التنفيذية تستعملهم لإضاعة الحقوق، وإذلال الشعب، وإهانة الفكر والمفكرين، وإذلال المعارضين السياسيين.. ومن أجل ذلك، فإنى غير مستعد للتعاون مع أى محكمة تنكرت حرمة القضاء المستقل، ورضيت أن تكون أداة من أدوات إذلال الشعب، وإهانة الفكر الحر والتنكيل بالمعارضين السياسيين.

الكاركاتير

لم يكن الكاركاتير بعيداً عن التعبير، قدحاً فى الفكرة، أو مدحاً فى مناصرة ومؤازرة الأستاذ محمود. فقد وقفت على عدد من الكاركاتيرات التى قام بنشرها عز الدين عثمان، خاصة فى شهر نوفمبر 1968 أيام محكمة الردة الأولى، وفى تواريخ غيرها. كما نشر عمر دفع الله العديد من الكاركاتيرات التى تعبر عن التحالف والمناصرة للأستاذ محمود. وقد اخترت واحداً من تلك الكاركاتيرات التى نشرها عمر دفع الله باعتباره تعبيراً عن شهادة فى حق الأستاذ محمود، وأوردته ضمن الفصل الثانى عشر والذى جاء بعنوان: "شهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسام على منصة الإعدام". هذه مجرد نماذج فقط، فهناك آخرون عبروا عن مواقفهم من المتخصصين فى الكاركاتير، غير عمر وعز الدين.

ترجمة كتب الأستاذ محمود

لقد استهل عصام عبدالرحمن أحمد البوشى⁽¹⁾ الترجمة لأعمال الأستاذ محمود باكراً،

(1) أيضاً استهل عصام عبدالرحمن البوشى كتابة الكتب باسم الإخوان الجمهوريين باللغة الإنجليزية، فقد كتب عصام فى عام 1972 كتاب بعنوان: "An Introduction to the second Message of Islam". كانت بعض كتب الإخوان الجمهوريين تكتب بواسطة لجان وبعضها الآخر يكتب من قبل أحد تلاميذ الأستاذ محمود، =

فقد ترجم إلى الإنجليزية كتاب: الإسلام (مع آخرين) ورسالة الصلاة وطريق محمد والثورة الثقافية وخطاب التعليم. والآن عادت الترجمة لأعمال الأستاذ محمود من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، وعلى الرغم من أن الترجمة لا تزال في بدايتها إلا أنها أتاحت الفرصة لبعض الدوائر الأكاديمية الناطقة بغير اللغة العربية بالاطلاع على أعمال الأستاذ محمود، الأمر الذي وسع من الحوار والاهتمام بشأن مشروع الأستاذ محمود. فقد قام عبدالله أحمد النعيم بجهود كبيرة في الترجمة منها، ترجمته لكتاب: الرسالة الثانية من الإسلام⁽¹⁾، إلى اللغة الإنجليزية⁽²⁾، وجاء بعنوان *The Second Message of Islam* كما كتب النعيم مقدمة وافية صدر بها الكتاب. قام كذلك محمد البارودي وكارولين باي بترجمة نفس الكتاب في 2002 من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية وجاء بعنوان:⁽³⁾ *Un Islam à vocation libératrice*. وكتب سمير أمين مقدمة للنسخة المترجمة وصدرت النسخة باللغة الفرنسية من دار لارماتان للنشر، باريس. قامت نجاة محمد علي، بترجمة

= وفي كل الأحوال كان نشرها يتم بعد مراجعة الأستاذ محمود. فهناك كتب عديدة صدرت باسم الإخوان الجمهوريين وكان قد كتبها أحد تلاميذ الأستاذ محمود أو إحدى تلميذاته. حدثني عصام قائل: "في مرة قال لي الأستاذ محمود: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لكنت اسم كل أخ أو أخت على غلاف الكتاب الذي ألفه". كذلك كان عصام قد قام بصياغة كتاب: *خطوة نحو الزواج في الإسلام*، ط 1، أمدرمان، يناير 1971، وقد كتب الأستاذ محمود الإهداء. المصدر: مقابلة مع عصام عبدالرحمن البوشي، تمت المقابلة عبر الهاتف، المؤلف في الدوحة وعصام بمدينة مدني، السودان، 24 مايو 2013، الساعة 14:30.

(1) أفادني سمية أمين صديق بأن أول من قام بترجمة كتاب الأستاذ محمود: *الرسالة الثانية من الإسلام*، هو الأستاذ الدرديري عثمان الصايم (1912/11-1980). وأضافت سمية قائلة: "وقد أعجب الأستاذ محمود بترجمة الدرديري وأشاد بها. لقد كان الدرديري زميلاً للأستاذ محمود ولوالدي أمين صديق بكلية غردون، وقد تخصص في اللغة الإنجليزية وعمل مدرساً بوادي سيدنا الثانوية وقبلها بدار النشر بوزارة التربية والتعليم. فالدرديري من أسرتنا والوالدي عمه، كما كان صديقاً محبوباً للأستاذ محمود، أذكر حينما توفي الدرديري عام 1980، كنت بغرفة الأستاذ محمود، فجاء شقيقى محمد وأبلغ الأستاذ محمود بخبر وفاة الدرديري والتي كانت قبل ثلاثة أيام، فلام الأستاذ محمود، شقيقى محمد وقال له: "كان تبلغنا لنحضر، إنت مش عارف الدرديري عزيز لدينا؟" الشاهد أن ترجمة الدرديري لكتاب: *الرسالة الثانية من الإسلام*، والتي وجدت خبرها عند سمية أمين صديق، طبعت منها نسخ قليلة ومحدودة، كما أبلغتني سمية، بيد أنى لم أعر على نسخة منها. (المصدر سمية أمين صديق، مقابلة عبر المراسلات بالبريد الإلكتروني، خلال الفترة 4-8 مايو 2013).

(2) Mahmoud Mohamed Taha. *The Second Message of Islam*, Translated by Abdullahi Ahmed An-na-im (into English with Introduction). Syracuse NY: Syracuse University Press, 1987.

(3) نجاة محمد علي، "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب *الرسالة الثانية*"، مرجع سابق.

تقديم سمير أمين من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، كما ورد آنفاً. هذه مجرد إشارات مختصرة ولكن جهود الترجمة لكتابات الأستاذ محمود فى توسع مع صباح كل يوم جديد.

مذكرات تلاميذ الأستاذ محمود وتلاميذاته

كتب خمسة من تلاميذ الأستاذ محمود مذكراتهم. نشر ثلاثة منهم مذكراته وهم: إبراهيم يوسف فضل الله وعوض لطفى عبدالله، وتول مختار محمد طه. كما دفع مجذوب محمد مجذوب بمذكراته للمطبعة، وهؤلاء من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود. أما بتول، فهى ابنة شقيق الأستاذ محمود وتلميذته، وقد ظلت أكثر الناس التصاقاً به. أيضاً، جمع حمد النيل عبدالله العركى ودون ما سمعه من أحاديث الأستاذ محمود فى مخطوطة. مثل ما جمعه العركى من أحاديث وبما قدمه من شرح وتصوير للمناخ العام حول الحديث، مشروع مذكرات على غمط جديد فى التدوين وتسجيل المشاهدات وجمع الأحاديث وتوثيقها فى السودان وربما العالم، مع الاحتراز. إن المذكرات الخمس قدمت شهادات قوية فى حق الأستاذ محمود وحول مشروعه وعن طبيعة مساجلاته وعن تاريخ الحركة الجمهورية وتطورها. كان كُتابها الخمسة من الملازمين للأستاذ محمود ومن الشاهدين والمعاصرين للأحداث والمشاركين فى صنعها، ولهذا فإن مذكراتهم ذات قيمة تاريخية عالية فهى تمثل أول مصدر تاريخى وصلنا من تلاميذ الأستاذ محمود، يحمل تجربة كل منهم الذاتية. ولهذا فإننى أستمح القارى الكريم عذراً فى أن أقدم له لمحة مختصرة عن كل منها، باعتبارها أول مذكرات تصدر من تلاميذ الأستاذ محمود، وباعتبار أن ما حوته من معلومات وأحداث تتيح الفرصة للمقارنة بتقديم قرائن جديدة لمقارنتها مع ما هو متوفر لدينا من معلومات حول الأحداث والوقائع التاريخية. سأستعرض باختصار كل مذكرة من المذكرات الخمس، مرتبة وفقاً لتاريخ الصدور.

مذكرات عوض لطفى عبدالله

نشر عوض لطفى كتاباً بعنوان: زمان الوصل: محطات وسندات⁽¹⁾، تضمن الكتاب،

(1) عوض لطفى عبدالله، زمان الوصل: محطات وسندات، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2011.

كما أشار مؤلفه، بعض ما يذكره من ذكرياته. ففي الأصل، كانت نواة الكتاب محاضرة قدمها عوض في مدينة أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، يوم 28 يونيو 2002، استجابة لدعوة الجمعية السودانية لخدمات المجتمع بالمدينة. أعجب بعض الحضور بالمحاضرة، فطلبوا منه الموافقة على تسجيل تاريخ حياته منذ ميلاده عام 1920⁽¹⁾ وحتى تاريخ مجيئه لأمريكا. وافق عوض لطفي، فتم التسجيل، ثم تم تفريغ المادة وإعدادها للنشر، وصدر الكتاب. تهيكل الكتاب في مقدمة وأربعة أبواب، إلى جانب فصل في آخرها بعنوان: "شخصيات يجب معرفتها". يقع الكتاب في 134 صفحة من القطع المتوسط. أشار عوض لطفي إلى الأستاذ محمود خاصة في الباب الثالث، وقدم معلومات عن النضال الوطني للأستاذ محمود في النصف الثاني من أربعينيات القرن الماضي. تحدث عوض حديثاً مهماً عن ثورة رفاعه.

تعود أهمية مذكرات عوض لطفي إلى أنه شاهد عيان، عايش الأحداث بل شارك في بعضها، خاصة ثورة رفاعه، إذ كان عمره وقتئذ ستة وعشرين عاماً، وكذلك عايش خروج الأستاذ محمود من اعتكافه بمدينة رفاعه ورافقه في أول جولة له خارجها. هنا ربما كان عوض لطفي هو المصدر الوحيد الذي على قيد الحياة من من عايش ثورة رفاعه وخروج الأستاذ محمود من اعتكافه. قدم لنا عوض معلومات نادرة وفي غاية الأهمية. إن صلة عوض لطفي بالأستاذ محمود، صلة كبيرة وباكرة، فهو شقيق "أمنه" أمانة زوجة الأستاذ محمود، كما أنه من تلاميذه الأبنكار. فقد رافق عوض لطفي الأستاذ محمود وزوجته أمانة لطفي، في أول جولة بعد خروج الأستاذ محمود من اعتكافه بمدينة رفاعه في أكتوبر عام 1951. فعندما أراد الأستاذ محمود أن يخرج من خلوته أخبر شيخ لطفي، الذي بدوره أرسل في طلب ابنه عوض، الذي كان يعمل بمصلحة الغابات بالدندر، وطلب منه الحضور فوراً إلى مدينة رفاعه، لمرافقة الأستاذ محمود وشقيقته أمانة زوجة الأستاذ محمود في جولة لبعض المدن. حضر عوض لطفي ورافق الأستاذ محمود وشقيقته أمانة، زوجة الأستاذ محمود في جولة انطلقت من مدينة رفاعه، وبدأت بمدينة أمدرمان ثم مدينة عطبرة،

(1) مقابلة مع عوض لطفي عبدالله، بالهاتف، هو في مدينة الفتيحاب، أمدرمان، والمؤلف بمدينة الدوحة، قطر، بتاريخ 2011/10/4.

وبورتوسودان وكسلا والقضارف. كان الأستاذ محمود كلما وصل إلى مدينة أقام المحاضرات وحدث الناس في شؤون السودان والإسلام. ومن مدينة القضارف رجع عوض إلى رفاعه، وواصل الأستاذ محمود جولته بمعية زوجته إلى مدينتي كوستي والأبيض⁽¹⁾.

مذكرات إبراهيم يوسف فضل الله

فرغ إبراهيم يوسف فضل الله من كتابة مذكراته عام 2008، ونشرها عام 2011 في كتاب وسمه بـ: **ذكريات جمهوري**⁽²⁾. تكمن أهمية مذكرات إبراهيم في أن كاتبها ظل منذ أن التقى الأستاذ محمود بمكتبه بعمارة أبنعوف بوسط الخرطوم عام 1954، ملازماً له ومؤمناً بأفكاره حتى تاريخ هذا اليوم⁽³⁾. وكما يفهم من عنوان الكتاب فإن إبراهيم يوسف جعل موضوع الكتاب ومحوره هو الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية والتعلم على الأستاذ محمود، ولم يخرج عن هذا إلا في صفحة ونصف تحدث فيها بإيجاز شديد عن نشأته. يقع الكتاب في 213 صفحة من القطع المتوسط، تحدث إبراهيم فيها تحت أربعة وتسعين عنواناً بالإضافة إلى الإهداء ومقدمة وخاتمة.

قدم إبراهيم في مذكراته شهادات ناصعة وكشف عن أحداث ووثق لوقائع كبيرة ومهمة. تحدث عن مقابلته للجمهوريين وعن أول لقاء جمعه بالأستاذ محمود وفصل في ما دار في ذلك اللقاء من تساؤلات وإجابات من الأستاذ محمود. وثَّق الكثير من الوقائع والأحداث منها: فصله مع اثنين من زملائه الجمهوريين⁽⁴⁾ من المعهد العلمي عام 1960، وتناول أسباب الفصل وما تبعه من نتائج. أشار إبراهيم من خلال الأحداث إلى علاقة الأستاذ محمود بمدينة الأبيض، ومدينة رفاعه ومدني وعطرية وكوستي وتندلتي. تناول منهج الأستاذ محمود في المواجهة، وتحدث عن موقف الأستاذ محمود من الطائفية والصوفية، والشيوعية والوهابية والقوى السلفية، وفصل في موضوع الأستاذ محمود

(1) المصدر السابق.

(2) إبراهيم يوسف فضل الله، **ذكريات جمهوري**، مصدر سابق.

(3) مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، مدينة الدوحة، دولة قطر، في يوم 2011/8/31، الساعة 22:00.

(4) الذين فصلوا هم ثلاثة من تلاميذ الأستاذ محمود: محمد خير علي محبسي، وإبراهيم يوسف فضل الله، وأحمد عبدالرحمن العجب.

وثورة أكتوبر. تحدث عن استهداف الحزب الجمهوري، وبين موقف الأستاذ محمود من مشكلة الشرق الأوسط والاعتراف بإسرائيل. تناول معارضة الأستاذ محمود للدستور الإسلامى المزيف فى نهاية ستينيات القرن الماضى، وتحدث عن محكمة الردة عام 1968 وموقف المشققين من المحاكمة وتجريم الفكر. تحدث عن لوثة سبتمبر 1983، وتناول بيان "هذا... أو الطوفان!!" الذى أصدره الأستاذ محمود، وما تبعه من نتائج واعتقالات. تحدث إبراهيم عن حديث الفداء وقدم لمحات من حياة الأستاذ محمود، ثم تحدث عن اعتقال الوداع، وليلة وضحي تنفيذ الإعدام. وقف عند حكم المحكمة العليا للدستورية ببطلان الحكم على الأستاذ محمود والجمهوريين. كما صوراً للقراء ابتسامة فرح الأستاذ محمود بالله يوم التنفيذ، وحكى لهم عن ذلك المشهد تحت عنوان: "تعلموا كيف تموتون". تعرض إبراهيم لاستتابة الجمهوريين وصدى تنفيذ الاغتيال. ثم ختم مذكراته ببعض الوثائق وخاتمة.

مذكرات بتول مختار محمد طه

نشرت بتول مختار محمد طه كتاباً بعنوان: **محمود الإنسان (قراءة الأيام)**، ووسمته فى مقدمتها بأنه عبارة عن مذكرات. وأوضحت بأنها لا تدعى كثير معرفة بحياة الأستاذ محمود، وإنما كتبت مذكراتها عن القدر الذى عايشته وعرفته جيداً. كتبت بتول قائلة:

للأستاذ محمود حياة واسعة مليئة بالفكر والحيوية والعمل الدؤوب... ولهذه الحياة أيضاً خاصيتها وأسرارها، وهذا ما لا أدعى فيه كثير معرفة... أنا لا أدعى فهماً شاملاً لحياته، كما أنى لا أحصيها فى هذه الصفحات وإنما أكتب مذكرات عن القدر الذى عايشته وعرفته جيداً وذلك بإلقاء الضوء على الأحداث حسب ترتيبها الزمنى...⁽¹⁾

ظلت بتول، ولا تزال، مؤمنة بأفكار الأستاذ محمود، فهى تقول: "فقد صدقته بإيمان فى كل أفكاره وأقواله وأعماله، فهو نافذتى على عالم "اللامحدود" وقد وضعنى على قمة قيادة الأخوات الجمهوريات..."⁽²⁾. وعن أسباب عزمها الكتابة عن الأستاذ محمود، أوضحت بتول قائلة: "عزمنى على الكتابة عنه يرجع لأسباب عدة أولها أنى قد أخذت بتلك الحياة الخصبة

(1) بتول مختار محمد طه، **محمود الإنسان: قراءة الأيام**، مصدر سابق، ص 13.

(2) المصدر السابق، ص 14.

الخلافة العامرة بالمحبة لله وللناس.. ثانياً أريد لحياته أن تُسجل وتُحفظ بنقائها وطهرها فهي نموذج أصيل للرجال والنساء الأحرار...⁽¹⁾. كانت بتول، كما حكّت في المقدمة، قد بدأت الكتابة في مذكراتها بجامعة درم ببريطانيا عام 1991، حينما قدمت إليها في منحة عن طريق جامعة الخرطوم، لمتابعة بحثها في رسالة الدكتوراة. أنهت بتول عملها في رسالة الدكتوراة، ثم شرعت فيما تبقى لها من وقت في كتابة مذكراتها، بعد أن أبدت الجامعة موافقتها على ذلك. أنجزت بتول بعضاً من مذكراتها هناك، وأكملت بعضها الآخر في السودان، ثم دفعت بها إلى المطبعة لتصل إلينا عام 2012/2013 في 436 صفحة من القطع المتوسط.

تهيكلت مذكرات بتول في مقدمة وسبعة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة للمصادر والمراجع. غطى الفصل الأول تاريخ الأسرة (1910-640) ونهج حياتها، وعمل والدهم محمد طه، وتقييم الأستاذ محمود لحياته الباكورة، والمراحل الدراسية وبداية الحياة العلمية. أما الفصل الثاني فتتبع نشأة الحزب الجمهوري ومواجهة الاستعمار وفترة السجن، وفترة الاعتكاف برفاعة، ولجنة الدستور القومية، والعمل في المشاريع الزراعية، وفترة الحكم العسكري الأول وثورة أكتوبر، ورعاية الأسرة، واستمرار الحركة والوفود، والرحيل إلى مدينة الثورة بأمدرمان 1964. تناول الفصل الثالث ثورة أكتوبر ودور الأستاذ محمود فيها، وبداية المرحلة الجديدة من التأليف، وفترة معهد المعلمين وحل الحزب الشيوعي، وزيارة الأستاذ محمود لأضرحة الأولياء، وإقامة دار الحزب الجمهوري بأمدرمان حي الموردة، ثم تناول الفصل الأطروحات التي قدمها الأستاذ محمود باعتبارها ليست أصلاً في الإسلام وهي: الجهاد والرق والرأسمالية وعدم المساواة بين الرجال والنساء، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه، وتعدد الزوجات، والطلاق. ثم تناول الفصل دور الأستاذ محمود في السياسة العربية والعالمية، والتفرغ وتصعيد العمل الفكري. ووقف الفصل الرابع على محكمة الردة 1968، والطواف والوفود الكبيرة إلى الأقاليم، والاعتداء على الأستاذ محمود بمدينة الأبيض، وزيارة أبو حراز ومواقع السادة العريكين ومناطق أخرى، وتدهور صحة مربيته ربي جود في عام 1973، والدعوة للثورة الثقافية وأهدافها، وقضية بورتسودان ومواجهة القضاء الشرعي 1974، وحريق معرض الفكر الجمهوري بمدينة ود مدني،

(1) المصدر السابق، ص 14.

ومحاصرة النشاط الجمهورى وتحول الندوات إلى المنازل، ومواجهة المعارضة فى مدينة كوستى 1975، ومؤتمر فتح العاصمة 1976، والاعتقال بسبب الوهابية 1967، وتبسيط الدعوة، وقضية الأستاذ محمود ضد الشيخ الأمين داؤد، ومراجعة منازل الإخوان الجمهوريين. أما الفصل الخامس فقد تمحور حول الأخوات الجمهوريات ونشر الفكر الجمهورى، ووضع المرأة فى الشرق الأوسط، ومجتمع الأخوات الجمهوريات، والاختلاط داخل المجتمع الجمهورى، والعقبات التى كانت تواجه قيام مجتمع للنساء الجمهوريات. أما الفصل السادس فقد ركّز على طابع حياة الأستاذ محمود وبرنامجه اليومى، والأطفال فى عالمه، ومواقيت نموه، ولبسه، وطابع حياته، وصيامه وقيامه، وطعامه والتزامه النباتية، والتسامح، والوفاء، وتأليف الكتب منذ نشأة الفكرة الجمهورية وحتى 1984، والجلسات الصباحية، والحوار داخل المجتمع الجمهورى، ووفاة مربيته. اشتمل الفصل السابع على الحديث عن قوانين سبتمبر 1983، وصلة الأستاذ بالمجتمع الجمهورى أثناء فترة الاعتقال، وإطلاق سراح الأخوات الجمهوريات، والمواضيع التى كان يتحدث عنها الأستاذ محمود وهو فى السجن 1984، والمؤامرة (الأيام الأخيرة 19 ديسمبر 1984 - 18 يناير 1985)، وصدور المنشور "هذا... أو الطوفان!!"، واجتماع مساء الجمعة 1985/1/4، والاعتقال الثانى 1985/1/5، والأوضاع داخل الحراسة، وعصر الخميس 1985/1/17، وخلاصة حوادث الأيام الأخيرة، وردود الفعل العالمية بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ محمود.

الشاهد أن أهمية مذكرات بتول تكمن فى أمرين، الأول: أن بتول عاشت منذ طفولتها الباكرة لصيقة بالأستاذ محمود ومرافقة له طوال حياتها حتى يوم 17 يناير 1985، كتبت قائلة:

... أنا ابنة شقيقه الأصغر مختار محمد طه، وقد قام الأستاذ محمود بمهمة رعايتنا وتربيتنا وتعليمنا جميعاً أنا وإخوتى بعد وفاة والدنا مختار فى بداية الخمسينيات وقد كنا وقتها صغاراً دون مستوى المدارس.. كنت الخامسة بين تسعة أطفال ولكنى كنت دائماً قريبة منه منذ طفولتى فقد أحسست بغربته منذ وقت مبكر، فعشت لصيقة به ورافقته منذ طفولتى الباكرة طوال حياتى حتى يناير 1985 فهو والدى، وأستاذى، وصديقى، كان دائماً يقول لى: "أنا راضى

عنك تمام الرضا⁽¹⁾.

روت بتول أن الأستاذ محمود حكى لها، وفي أوقات مختلفة وعلى مدى سنوات طوال، قصة حياة أسرته وطفولته. شكَّلت تلك الحكاوى مصدر المذكرات الأساس. تحدثت بتول عن مصادر معلوماتها وشرحت الكيفية التى نحتت بها وسم مذكراتها، كتبت بتول قائلة:

مصادرى للمعلومات للفترة من 1910 وما قبلها (تشمل حياة والديه) إلى 1960 هو ما كان يقصه علىّ، فقد كان فى مناسبات مختلفة يحكى لى لمحات من حياة أسرته وفى إحدى زيارتى له فى فترة اعتقاله الأخير 1984، وعلى مدى ساعات طوال حكى لى قصة حياة أسرته وطفولته بما أسماه (قراءة الأيام) وإن كان قد ذكر لى بعض جوانب منها، فى أوقات كثيرة متفرقة على مدى سنوات طوال.. وستكون قراءة الأيام هذه هى مركزية ما سأكتب عن حياته والمصدر الذى يلى ذلك، هو ما قرأته من كتابات وأما الفترة من 1960 وحتى 17 يناير 1985 فهى من إلامى ومتابعتى الخاصة لأحداث تلك الفترة، ثم من أقواله المتواصلة لى ومن كتاباته أيضاً.

الأمر الثانى الذى ترجع إليه أهمية مذكرات بتول هو أنها، من أوائل المذكرات التى تصل إلينا من المثقفات السودانيات، على حد علمى، وهذا فى حد ذاته أمر يحمل الكثير من الدلالات والمضامين. فقد درجت قلة من المثقفين الرجال على كتابة مذكراتهم، ولم تُقدم أى مثقفة سودانية على كتابة مذكراتها، حتى دشنت إحدى تلميذات الأستاذ محمود مجال كتابة مذكرات المثقفات السودانيات. وبهذا تكون مذكرات بتول أول مذكرات لمثقفة سودانية تستقبلها المكتبة السودانية، وتعتد كاتبها فيها بالانتماء للأستاذ محمود وتحتفى به.

مذكرات مجذوب محمد مجذوب

أغجز مجذوب محمد مجذوب كتابة مذكراته فى أبريل 2011، ووسمها بـ: السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى⁽²⁾. ودفع بها إلى المطبعة (فهى الآن تحت

(1) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 13-14.

(2) مجذوب محمد مجذوب، السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى، مصدر سابق.

(الطبع - 204 صفحات من حجم الـ A4).

تتسم تجربة مجذوب محمد مجذوب بالتفرد. فمنذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي، أصبح مجذوب من أوائل المؤسسين، إن لم يكن أولهم، لتنظيم الإخوان المسلمين في مدينة عطبرة والمناطق المجاورة. ظل مجذوب داعية من دعاة تنظيم الإخوان المسلمين حتى السادس من ديسمبر عام 1964. في ذلك اليوم أصدر مجذوب منشوراً، أعلن فيه انتهاء انتمائه لتنظيم الإخوان المسلمين، والتحاقه بالأستاذ محمود وبالجمهوريين. بدأ مجذوب معارضاً للأستاذ محمود، وكان أول لقاء جمعه بالأستاذ محمود في نهاية عام 1959 في مكتبه بعمارة ابنعوف، وسط الخرطوم⁽¹⁾. خرج مجذوب من ذلك اللقاء، وهو مصمم على أحد أمرين، إما أن ينضم الأستاذ محمود لحركة الإخوان المسلمين أو ينضم هو إلى الأستاذ محمود. تأثر مجذوب بهذا اللقاء على النحو الذي وصفه، كما كان متأثراً بعبارة سابقة قالها له محمد يوسف محمد (1932-2010)، وهو أحد مؤسسي حركة الإخوان المسلمين في السودان. قال محمد يوسف لمجذوب، واصفاً الأستاذ محمود: "أنه أصلح من يقود الحركة الإسلامية لولا موضوعه في الصلاة". ذهب مجذوب بعد ذلك للقاء ولقاءات لاحقة مع الأستاذ محمود، إلى أبعد من المعارضة الشفوية، فقد أصدر مجذوب كتاباً بعنوان: **سويا إلى الله - مع محمود محمد طه**، طبع في يونيو 1960. كان هدف مجذوب من إخراج ذلك الكتيب: **سويا إلى الله**، هو الإعلان عن موقفه المعارض، ودعوته للأستاذ محمود "لينضم إلى القطيع فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية...". الشاهد، أن إخراج ذلك الكتيب، بما حمله من معارضة، لم يكن سبباً في نهاية العلاقة بالأستاذ محمود. فقد واصل مجذوب لقاءاته بالأستاذ محمود، يتفهمه على مكث وروية. حتى وصل لقناعة تامة بآراء الأستاذ محمود، وظل ملازماً للأستاذ محمود ومؤمناً بأفكاره حتى تاريخ هذا اليوم.

تهيكّل كتاب مجذوب في مقدمة وأربعة فصول، وملحق هو عبارة عن دراسة لواقع السودان السياسي، عنوانها: **"الأزمة السودانية والمعادلة الصعبة - ما المخرج؟ - ما الحل؟"**، هذا إلى جانب **"تصدير أول"** كتبه النور حمد، و**"تصدير ثان"** تشرفت بكتابته، كما ورد

(1) مقابلة مع مجذوب محمد مجذوب، الجند البيرة، ولاية الجزيرة، يوم 21 يوليو 2011، الساعة: 16:00.

أنفاً. تناول الفصل الأول: "قراءة الأيام"، ميلاده ونشأته وتعليمه وزواجه وأسرته. كما تحدث عن مساره الفكرى وانتمائه العقائدى، وقصة انتقاله من تنظيم الإخوان المسلمين إلى الإخوان الجمهوريين. وفى الفصل الثانى، تحدث مجذوب عن "وحدة الوجود"، وأشار إلى أن هذا الفصل يتصل بالفصل الأول؛ إذ أن موضوعه يمثل المنطلق والحصاد والنتيجة للمكونات الفكرية للمذهبية التى اتبعها بانتمائه للأستاذ محمود. مثل الفصلان الأول والثانى التمهيد للفصل الثالث، الذى هو كما أشار مجذوب، العمود الفقرى لكتابه ويمثل مركزته. فى هذا الفصل تناول مجذوب بعنوان: "نبأ عظيم"، نبوءة الأستاذ محمود بشأن السودان وأهله، قال مجذوب: قال الأستاذ محمود:

أنا زعيم بأن السودان هو قبلة العالم منذ اليوم وأن القرآن هو قانونه وأن السودان إذ يقدم ذلك القانون فى صورته العملية المحققة للتوفيق بين حاجة الجماعة إلى الأمن وحاجة الفرد للحرية الفردية المطلقة هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب ولا يهولن أحداً هذا القول لكون السودان جاهلاً خاملاً صغيراً فإن عناية الله قد حفظت على أهله من أصايل الطبايع ما يجعلهم نقطة التقاء أسباب الأرض بأسباب السماء.

لدراسة هذه النبوءة، وضع مجذوب إطاراً نظرياً، ضمنه نص النبوءة، وتعريفه لـ "أصايل الطبايع"، باعتبارها النقطة الجوهرية فى النبوءة، إلى جانب مقولات الأستاذ محمود وإشارات المثبوتة فى أعماله. ثم وقف مجذوب على شواهد من الواقع السودانى، باعتباره يمثل الإطار التطبيقى لدراسته حول نبوءة الأستاذ محمود. انتقى شواهد على أصايل الطبايع بعناية فائقة، فجاءت دامغة ومعبرة وفصيحة ومؤثرة، وزاد من فصاحتها وتأثيرها، السرد القصصى الممتع والشيق. جاءت الشواهد من مختلف أقاليم السودان. ومن ما يحمد فى هذا الفصل أن بعض الشواهد التى أتى بها مجذوب، ربما لأول مرة تجد فرصة التوثيق، والانتشار عبر الكلمة المكتوبة. وفى الفصل الرابع والأخير ذهب مجذوب إلى الإجابة على سؤال جوهرى وكبير، وهو: "كيف بنى سوداننا". فى هذا الفصل قدم مجذوب، كما أشار، عرضاً مقتضباً وخلفية لوضع السودان قبيل الاستقلال وبعيده، ثم أحال القارئ الكريم إلى ما أعده الأستاذ محمود من أعمال فكرية لنهضة السودان الحضارية والمدنية.

مخطوطة حمد النيل عبدالله العركي

عكف حمد النيل عبدالله العركي، على جمع أحاديث الأستاذ محمود كما سمعها منه، ودونها بخط يده. أخبرني العركي بأنه جمع تلك الأحاديث على مدى عامين، ولا يزال مستمراً في جمع المزيد⁽¹⁾. فرغ العركي من المرحلة الأولى من جمع الأحاديث وكتابة مخطوطته في يوم 9 أبريل 2009، كما جاء في ذيل مقدمته، ووسم مخطوطته بـ: جواهر المعاني في حضرة الأستاذ محمود محمد طه. وضع هذا العنوان على صفحة الغلاف مع رسم لاسم كاتبها، واسم قريته أبو حراز الشيخ يوسف أبو شرا. التقى العركي الأستاذ محمود أول مرة في يونيو 1974 بنادي الخريجين بمدينة مدني، وكان وقتئذ جمهورياً مضى عليه نحو عام، وظل جمهورياً حتى يومنا هذا⁽²⁾. كتب العركي الأحاديث كلها بخط اليد على صفحات مفكرة ثم صور صفحات المفكرة على ورق بحجم الـ A4، فأصبحت الصفحة تحتوي على صفحتين من صفحات المفكرة، وبعد تغليف المفكرة وترقيمها أصبح مجموع الصفحات هو 86 صفحة A4⁽³⁾ فقد رُقم صفحات الـ A4، وليس صفحات المفكرة. شرح العركي في مقدمة مخطوطته كيف جمع ما سمعه من الأستاذ محمود، ووصف الأحاديث التي جمعها، وبيّن كيفية جمعها، وحدثنا عن المدى الزمني الذي استغرقه جمع الأحاديث، وختم المقدمة برسم اسمه، وقريته أبو حراز الشيخ يوسف أبو شرا، والتاريخ وهو 2009/4/9.

(1) أفادني بذلك حمد النيل عبدالله العركي. لقد التقيت به في منزله بأبي حراز في يوم 7 يناير 2012، بعد ترافقنا في رحلة من الخرطوم إلى قريته. وتحدثت معه ثانية في يوم 4 مايو 2012. اقترحت على العركي طباعة مخطوطته في كتاب، لأهميتها وقيمتها العلمية والتاريخية، وذلك بعد تصنيف الأحاديث وتبويب المخطوطة وكتابة المقدمات الشارحة والموضحة لمنهج وطريقة جمعه للأحاديث... إلخ. أفادني العركي بأنه فكر في هذا الأمر، أمر الطباعة، وسيتم فيه.

(2) مقابلة مع حمد النيل عبدالله العركي، المقابلة عبر الهاتف، المؤلف في الدوحة، قطر، وحمد النيل في السودان، بتاريخ 6 مايو 2012، الساعة 20:00.

(3) حمد النيل عبدالله العركي، جواهر المعاني في حضرة الأستاذ محمود محمد طه، (مخطوطة). حصلت على هذه المخطوطة عن طريق الأخ لطفى على لطفى، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، والذي بدوره حصل عليها من كاتبها. وصلتني النسخة في منزلي بمدينة الدوحة، دولة قطر، في يوم 12 فبراير 2012.

المثقفون الرقميون وتحرير الخدمة التنويرية دور الإنترنت في إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود في المخيلة السودانية

أنا صديق محمود محمد طه، محمود رجل شجاع.. محمود رجل مفكر.. له أفكار جريئة وهو صديقي⁽¹⁾.

عوض إبراهيم عوض

لا جدال في أن ما شهدته البشرية من ثورة تكنولوجية وانفجار معلوماتي في أخريات القرن العشرين، أنت معه خيرات كثيرة، وأدى إلى دفع الحياة إلى الأمام في وجهات عديدة. من تلك الخيرات، بدون حصر، أتاحت فرص التعلم الذاتي، والتوثيق والحوار الحر وتحرير النشر من قبضة الحكومات ومراكز السلطات، سلطة المجتمع أو المؤسسات الدينية... إلخ، وأتاحت الفرصة لممارسة الرقابة والمحاسبة وتوسيع دائرتيها بشكل جماعي ومفتوح، وأتاحت الفرصة للجرد التاريخي وإعادة بعث المبادرات والمشاريع الخلاقة والخالقين من الأمم، وقد قبر بعضها بواسطة الحكومات والمؤرخين والأعداء آنذ... إلخ. ففي السودان، كما هو الحال في كل مجتمعات العالم، فإن المنابر الحوارية الرقمية ألقت بظلالها على الكثير من القضايا، لا سيما موضوع الأستاذ محمود ومشروعه وتلاميذه. لقد ساهمت تلك المواقع من خلال الحوارات فيها ومن خلال ما نشر فيها من كتابات وبما قدمت فيها من شهادات ساهمت في إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود في الشارع والمخيلة السودانية، فقد بعثت المواقف وسعت لإعادة قراءتها، ثم قامت بدور المحاسب على تلك المواقف، وربما تكون قد ساهمت في اعتذارات الكثيرين. هنا تبرز مواقع سودانية كثيرة على شبكة الإنترنت. منها:

1- موقع الفكرة الجمهورية <http://www.alfikra.org>

2- موقع سودانيز أونلاين <http://www.sudaneseonline.com> Sudaneseonline

3- موقع سودان للجميع <http://www.sudan-forall.org> Sudan for all، يتميز موقع

(1) عوض إبراهيم عوض، 'حوار مع عوض إبراهيم عوض'، برنامج نجم وجمهور، تقديم سراجتم بشير، إذاعة ساهرون، السبت 2009/7/17 الساعة 18:25.

سودان للجميع، الجمعية السودانية للدراسات والبحوث في الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، إلى جانب منبر الحوار الديمقراطي وهو منبر تفاعلي، بأنه يصدر بعض الدوريات منها: مجلة احترام، وتُعنى بثقافة حقوق الإنسان وقضايا التعدد الثقافي، والمجلة السودانية للفنون والآداب والعلوم الإنسانية، وهي من الدوريات الرصينة وتتسم الكتابات فيها بأنها كتابات رفيعة وحرّة في معالجتها للقضايا، وظل الأستاذ محمود ومشروعه يحظى باهتمام كبير في الدوريتين، وكذلك في الحوار والسجال في صفحة منبر الحوار الديمقراطي.

4- موقع الجالية السودانية الأمريكية <http://www.sacdo.com>

كما تبرز صحف إلكترونية عديدة منها:

1- موقع سودانيل (<http://www.sudanile.com> Sudanile)

2- صحيفة الراكونية <http://www.alrakoba.net>

3- صحيفة حريات <http://www.hurriyatsudan.com>

تجدر الإشارة إلى أن موقع "الفكرة الجمهورية" The Republican Thought، أنشأه عمر عبدالله "هوارى" وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود. ظل عمر يدير هذا الموقع ويعمل على بنائه بالتعاون مع تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، حتى تم تدشين الموقع وطرح خدماته للزوار في حوالى عام 1998. لقد قام هذا الموقع بدور كبير في التعريف بالأستاذ محمود ومشروعه. وقدم فرصة عظيمة ليكون وعاءاً للنشر والحوار. فالموقع يقوم بالتوثيق عبر تحويل الكتب والمحاضرات والندوات ومختلف النشاطات التي قام بها الأستاذ محمود والإخوان الجمهوريون إلى نصوص رقمية لتكون متاحة على مستوى الكوكب. كما يقوم الموقع بتوثيق وإضافة المقالات التي تكتب عن الأستاذ محمود والإخوان الجمهوريين. يتكون الموقع من عدة صفحات، بالإضافة للصفحة الرئيسية والتي تتضمن سيرة الأستاذ محمود، فهناك صفحة الكتب، المحاضرات، لقاءات، مقالات، صور، قرآن وإنشاد، ذكرى 18 يناير، فيديو، وكراسة الزوار. فالموقع في حالة تطور مستمر من خلال التوثيق للأستاذ محمود ومشروعه وللإخوان الجمهوريين. فهو يقدم خدماته باللغتين العربية والإنجليزية. وأصبح مصدراً للمعلومات يعين الباحثين والقراء، ويتيح لهم فرصة البحث فيه، إلى جانب تقديم خدمة مباشرة عبر إمكانية توجيه الاستفسارات والأسئلة للقائمين عليه.

هذه فقط نماذج فهناك مواقع أخرى، تساهم بشكل قوى وواضح فى إثراء الحوار وتقديم الخدمات التنويرية، مع اختلافها فى طبيعة تلك الخدمة. فبعضها لا يحتوى على منبر حوارى، إلى جانب اختلافها فى مستوى الحوار وشروط التعاطى فى داخلها وفى ما لديها من أذرع وأفرع، إذ بعضها لديه أفرع تصدر إصدارات علمية وبشكل دورى، مثل السودان للجميع. الشاهد أننى فى هذه السانحة أسعى لتقديم إشارة فقط لهذه المواقع ولا أسعى لدراستها فى هذه المرحلة أو البحث فى كيفية طرحها لموضوع الأستاذ محمود وكيفية معالجة القراء وتعاطيهم مع الموضوع. قصدت من الإشارة القول إلى أننى لا يمكن أن أتحدث عن دراسات المثقفين عن الأستاذ محمود بعد مرحلة الفقهاء، وإسهامهم فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود، دون الإشارة لهذه المواقع والتذكير بدورها الكبير والفعال فى تقديم الخدمة التنويرية وفى إنتاج المعرفة وتبادلها، ودورها فى توفير المواعين والأوعية. لقد أصبح لكل موقع من هذه المواقع مكتبة خاصة بالأستاذ محمود، مثلت مادتها تفاعل القراء وكتابات الكتاب. إن موضوع الأستاذ محمود فى المواقع السودانية على الإنترنت، مربوطٌ بالمثقفين الرقميين والمساهمة فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة السودانية، وهو يمثل مادة جيدة وجديدة للدراسة والبحث. وبرغم أننى لست بصدد الدراسة والتفصيل ولكن يمكن أن أقف على دور هذه المواقع فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى الشارع والمخيلة السودانية من خلال تقديم نموذجين من نماذج الموضوعات التى تتصل بالأستاذ محمود، وهما موضوعان طُرِحَا فى المنبر العام لموقع سودانيز أونلاين.

الموضوع الأول: ياسر الشريف المليح، "عوض إبراهيم عوض.. وإذاعة خبر مقتل الأستاذ محمود"

جاء الموضوع كخيط للحوار بعنوان: "عوض إبراهيم عوض.. وإذاعة خبر مقتل الأستاذ محمود"⁽¹⁾. طرح الموضوع للحوار ياسر الشريف المليح فى يوم 2004/1/18، بالمنبر العام لموقع سودانيز أونلاين. كتب ياسر فى مدخل الخيط قائلاً:

(1) ياسر الشريف المليح، "عوض إبراهيم عوض.. وإذاعة خبر مقتل الأستاذ محمود"، من موقع سودانيز أونلاين، استرجاع (Retrieved) 9 يونيو 2008، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

هذه الشهادة من الأخ أبو قصي وردت في بوست الدكتور حسن الجزولى.. رأيت أن أفرد لها بوستا خاصاً لأهميتها فى التوثيق لتلك الفترة المظلمة..

الأخ حسن الجزولى.. لك التحية ولضيفك الكرام.. كنت مسئولاً عن الوردية المسائية بقسم الأخبار بالإذاعة السودانية فى ذاك اليوم الحزين ، اتصل بى أحد الأخوة من سونا وذكر لى ان هنالك بياناً عاجلاً سيصلك باليد لاذاعته فى نشرة الخامسة مساء ، بالفعل وصلنى البيان وكان هو بيان إعدام الشهيد محمود محمد طه ، وللأمانة والتاريخ البيان كان مقتضباً جداً فقط أشار إلى أنه تم صباح اليوم تنفيذ حكم الإعدام فى المدعو محمود محمد طه بسجن كوبر وشهادة نديليها للأمانة وللتاريخ أن كل ما ورد فى البيان بعد ذلك مثل عبارات (هكذا اجثت الله رأساً من رؤوس الكفر ، نحمده ونشكره) وما تلى ذلك من إنشاء هى إضافة أضافها المذيع عوض إبراهيم عوض ، أضافها على الهواء بعد أن أخذ النشرة من قسم الأخبار وذهب إلى الاستديو وهناك أضافها بخط يده رغم الحزن الذى خيم على كل الزملاء بالقسم بعد استلامنا للبيان وبعد النشرة مباشرة دخلت معه فى نقاش حاد انتهى كالعادة طبعاً بالتهديد والوعيد لكل من يقف فى وجه دولتهم الدينية .

تبع طرح الموضوع، الإدلاء بالشهادات وتقديم الانطباعات والتحليلات، مما ساهم فى إثراء الحوار وتقديم خدمة تنويرية واسعة، وأتاح الفرصة للاطلاع على شهادات أدلى بها من كانوا يعملون داخل الإذاعة، ومن سمعوا الخبر. بلغ عدد القراء الذين قرأوا الموضوع حتى تاريخ اليوم 16382 قارئاً، وبلغ عدد الذين شاركوا بالتعليق كتابة 88 مشاركاً. بالإضافة للقراء والكتاب فإن الموضوعات التى يتم التداول حولها تنتزل فى الشارع السودانى، ويتم تسيلها بطرق عديدة ومناسبات مختلفة. الشاهد أنه دار حوار طويل حول موضوع إذاعة عوض إبراهيم عوض للخبر، وأتت أسئلة كثيرة فى التخصص مثل: أين الحد الفاصل بين الخبر والرأى الخاص للمذيع؟ وطرحت كذلك أسئلة تتعلق بغيب الطرف الثالث وهو عوض إبراهيم عوض، إلى جانب العديد من الآراء. كتب حيدر بدوى صادق فى نفس الخيط قائلاً:

وليعلم الأخ الكريم الطيب البشير، ومن يطالبوننا بالتحرى، إن أحداً لم يدن عوض إبراهيم عوض لأنه قرأ خبراً.. ولكنى أذكر جيداً بأننى كنت أستمع إليه ملء جوارحى، وأتحسر عليه، (لا على الأستاذ محمود)، لسقوطه الأخلاقى المريع. ما ذكره أبو قصي هنا

صحيح، وإنى أذهب لأبعد منه حين أقول بأن عوض إبراهيم عوض كان يقرأ الخبر بنشوة وتشوف وتحذلق، وكأنه كان يريد من أحدهم أن يلحظ ذلك ليعطيه منصباً كان يتطلع له، أو أى شئ من هذا القبيل. لا أدري ماذا كانت دوافعه، فإنى قد التقيت الرجل وأعرف أنه بدا لى مهذباً حين التقيته بصحبة خاله الأستاذ الأمين أحمد نور، الجمهورى القيادى المتميز فى الأبيض، فى أوائل الثمانينيات. وأعرف يقيناً أنه لم يكن يحمل رأياً مثل الذى بثه على الناس فى يوم استشهاد الأستاذ. أما لماذا تلك الانتكاسة؟ فإن هذا ما لن يجيب عليه غير عوض إبراهيم عوض نفسه.

كان عصام عبدالرحمن البوشى قد كتب مقالاً، عن خبر إعلان المحكمة العليا / الدائرة الدستورية عام 1986 لإبطال الحكم الصادر فى حق الأستاذ محمود عام 1985، تحدث فيه عن كيفية إذاعة الخبر. كتب عصام قائلاً: "إن أولئك نفر الذين أوسعوا الجمهوريين شتماً وسباباً كان ينبغى عليهم، تكفيراً عن بعض ذنبهم الحرص على إذاعة الخبر وبنفس تلك الحماسة المبالغ فيها والتي تمثلت فى إبراز خبر الحكم بالإعدام وتنفيذه وفى إذاعته بأصوات تنم عن التشدق والتنطع والخنوع أمام جبروت الظالمين.. وقد يقول قائل لقد أرغموا على إذاعته ولكن هل أرغموا على الإجادة والحماسة فى إذاعته". وأضاف عصام قائلاً: "أما التلفزيون فلقد أذاع الخبر بعد أن استنفد كل اخبار .. قام .. سافر .. تاه .. سافر فلان .. وحضر إعلان وسيعقد مجلس الوزراء اجتماعه الدورى.. هل هذا بربك خبر؟ إن التطفيف الذى عالج به التلفزيون الخبر هو إلى حد ما، جزء من الجهل والتخلف الإعلامى الذى يتربع على دست المؤسسات الإعلامية عندنا، إذ أن وسائل الإعلام والأقلام عند غير أهلها"⁽¹⁾.

بعد خمس سنوات من طرح هذا الموضوع، أذكر أننى سافرت من مقر إقامتى فى الدوحة، بدولة قطر فى عطلة صيفية (شهر يوليو) إلى الخرطوم، وفى أثناء فترة وجودى فى الخرطوم، استمعت فى أمسية من الأماسى وأنا أتجول فى شوارع الخرطوم، استمعت إلى عوض إبراهيم عوض متحدثاً فى حوار فى إذاعة ساهرون⁽²⁾. أذكر أن المذيع سأل عوض

(1) عصام عبدالرحمن البوشى، «لقد أرادوا أن يغتالوا الأستاذ مرة أخرى!! ولكن!!»، صحيفة الميدان، الثلاثاء 25 نوفمبر 1985.

(2) عوض إبراهيم عوض، مصدر سابق.

إبراهيم عوض قائلاً:

هل جاءك خبر وفاة الأستاذ محمود قبل دقيقتين من إذاعة نشرة الأخبار؟

فأجاب عوض إبراهيم عوض قائلاً:

نعم صحيح جاءني الخبر قبل نشرة الأخبار في التلفزيون ودار لفظ كثير حول هذا الموضوع وكتب كثيرون في الإنترنت وقالوا أنى كنت فرحاناً عند إذاعة الخبر وهذا حديث مغرض أنا لم أرد عليه وقد صدر من أناس يمكن أن أسميهم جهلاء ولهم غرض. أنا صديق لمحمود محمد طه زرت منزله مع خالى الأمين أحمد وهو جمهورى. محمود رجل شجاع وله أفكار جريئة تتفق معه فى الكثير منها ونختلف معه فى بعضها. تحدث أحد الذين كانوا يعملون معنا أن عوض غير الخبر وعدل فيه وهذا لم يحدث وإذا حدث يفصل المذيع. المذيع لا يغير الخبر. أنا لم أفرح بموته أو قتله أنا بكيت فى يوم من الأيام حينما جاءنى خبر وفاة جهشت بالبكاء فكيف لمن يجesh بالبكاء فى الاستديو على الهواء يفرح لموت إنسان. أنا لم أفرح أنا صديق محمود محمد طه .. محمود رجل شجاع .. محمود رجل مفكر .. له أفكار جريئة وهو صديقى .. الله يرحمه .. أنا لم أرد على أحد ممن كتبوا عني ووصفوني بأنى كنت فرحاناً ولم أرد بكلمة .. أنا صديق لمحمود والجمهوريون أصدقائى.

الشاهد أن الخيط الذى افترعه ياسر الشريف المليح للحوار فى المنبر العام بسودانيز أولان أتاح فرصة الحوار حول هذا الموضوع وتفكيكه ودراسته، ومن ثم أتاح فرصة أن يتنزل الموضوع لعامة الناس من خلال طرحه فى الحوار الإذاعى مع عوض إبراهيم عوض، والذى رفض فكرة اتهمه، ثم قدم شهادة فى حق الأستاذ محمود وجاءت فيها أوصاف قطعاً سيسمعهها الناس فى الشارع الذين ظلوا فى موضوع الأستاذ محمود ولدى عقود رهينين لخطاب الإثمة والوعاظ والخطباء والفقهاء و"علماء السودان". هنا، بغض النظر عن موقف عوض إبراهيم عوض فى ذلك الوقت والآن، فإننا أمام شهادة فى حق الأستاذ محمود قوية وجديدة، لم تشهدها مناخات الخرطوم من قبل من عوض إبراهيم عوض، كما لم يكتبها لنا فى مقال أو دراسة. السؤال هل كان يمكننا أن نسمع أو نقرأ شهادة عوض إبراهيم عوض، على هذا النحو الذى أتت به، فى حق الأستاذ محمود

دون أن يفتح ياسر الشريف المليح ذلك الخيط الحوارى فى سودانيز أولان؟ الشاهد أن الشهادة لم ترد إلا فى يوليو 2009، وحينما جاءت كانت شهادة قوية وناصحة وجميلة وقطعاً ستساهم فى إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى الشارع والمخيلة السودانية.. فى تقديرى، أن مقولة عوض إبراهيم عوض والتي صدرت بها هذا المحور، وجاءت كالشهادة فى حق الأستاذ محمود، ما كان يمكن أن يسمعها الناس، على الأقل فى هذا الوقت، لولا طرح ياسر الشريف المليح لهذا الموضوع فى سودانيز أولان، ولولا المداخلات والتبيين للمواقف ومن ثم التوثيق وإجراء المراجعات والتقييم والتحليل للمواقف من الأستاذ محمود، لاسيما موقف إذاعة الخبر الذى كان موضع الدراسة والتحليل فى سودانيز أولان.

الموضوع الثانى: الصحفى هاشم كرار يروى من قلب صحيفة الأيام أسرار إعدام

الشهيد محمود محمد طه

جاء الموضوع كخيط للحوار بعنوان: "أم المفاجآت (الصحفى هاشم كرار يروى من قلب صحيفة الأيام أسرار إعدام الشهيد محمود محمد طه)"⁽¹⁾. طرح الموضوع للحوار عبدالكريم الأمين أحمد فى يوم 2006/1/17، بالمنبر العام لموقع سودانيز أونلاين. كتب عبدالكريم فى مدخل الخيط قائلاً:

سنقرأ هنا وعبر حلقات أسرار ستنتشر لأول مرة بعد عشرين سنة ونيف بقلم الأستاذ الصحفى الكبير هاشم كرار صاحب القلم الرشيق والأداء السلس وأحد الوجوه المتألقة فى الصحافة القطرية وبالتحديد صحيفة الوطن واسعة الانتشار. هاشم كرار فى إفادته للتاريخ يحكى أضيائير الأضيائير من داخل القصر الجمهورى والصحافة السودانية ولحظات المحاكمة وماذا كان يدور خلف الكواليس وهناك... الكثير.. المثير للخطر نشكر أستاذ هاشم لاختياره هذا المنبر الوطنى الحر لتفجير أم المفاجآت لأول مرة.

قدم الصحفى هاشم كرار شهادته، تضمنت الشهادة تفاصيل من داخل القصر الجمهورى،

(1) عبدالكريم الأمين أحمد، "أم المفاجآت (الصحفى هاشم كرار يروى من قلب صحيفة الأيام أسرار إعدام الشهيد محمود محمد طه"، من موقع سودانيز أونلاين، استرجاع (Retrieved) 22 يناير 2007، الموقع على الإنترنت <http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=9&ms=g1178502916&page=0>

عن دور بعض الأشخاص، قدم هاشم تفاصيل جديدة لم تشر من قبل، يمكن للقارئ الوقوف على تلك الشهادة في ذلك الخيط المشار لرابطه في الهامش. بلغ عدد القراء لهذا الموضوع حتى تاريخ اليوم 18705، وبلغ عدد الذين شاركوا بالتعليق كتابة 188 مشاركاً. هذه خدمة تنويرية كبيرة وشهادة في غاية الأهمية، قدمت مادة حوارية جادة وساهمت في ترفيع مستوى السجال وتسهيل المعلومات والقدرة على إبداء الرأي حول موضوع هو في غاية الأهمية. أيضاً، تفرعت من هذا الموضوع موضوعات أخرى في مواقع أخرى وكتبت عنه كتابات كثيرة.

لا بد من الإشارة إلى أن هناك خيطين فتحا للحوار في المنبر العام بسودانيز أونلاين فكانا من أكثر خيوط سودانيز أونلاين تفاعلاً واستمراراً في الحوار من حيث امتداد المساحة الزمنية ومن حيث عدد القراء والمدخلات المكتوبة. افترع الخيطين، عبدالله عثمان، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، كان الخيط الأول بعنوان: "الأستاذ محمود عم يتساءلون؟"⁽¹⁾، افترع عبدالله الخيط يوم 2008/4/2، وتشير إحصائيات سودانيز أونلاين أن قراء الخيط حتى تاريخ اليوم 2012/11/30، بلغوا (31726) قارئاً، وشارك كذلك بالكتابة في الخيط (980) مشاركاً. أما الخيط الثاني فكان بعنوان: "الأستاذ محمود محمد طه: إلى سبانا الشريف: سيروا إلى الله عرج ومكاسير"⁽²⁾، افترعه عبدالله عثمان في يوم 2011/9/20، وقد بلغ قراء الخيط حتى تاريخ اليوم 2012/11/30، (30805) قارئاً، وشارك فيه بالكتابة (957) مشاركاً.

الشاهد إن مبدأ استمرار الحوار هو في حد ذاته خطوة في إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود في المخيلة السودانية والإسلامية. أما الحوار من حيث المحتوى والكيف فهو ما يتطلب الدراسة. ففي تقديرى أن تناول الأستاذ محمود في المنابر الحوارية على شبكة الإنترنت، والتداول بشأن مشروعه، يمثل مادة تحتاج للدراسة والبحث والتحليل ذلك لأننا من خلالها نستطيع أن نقف على اتجاهات الرأي لدى شريحة في غاية الأهمية، وهي شريحة المثقفين الرقميين من الأجيال الجديدة.

- (1) عبدالله عثمان، "الأستاذ محمود عم يتساءلون؟"، من موقع سودانيز أونلاين، استرجاع (Retrieved) 30 نوفمبر 2012، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>
- (2) عبدالله عثمان، "الأستاذ محمود محمد طه: إلى سبانا الشريف: سيروا إلى الله عرج ومكاسير"، مرجع سابق.

خاتمة: قيام مركز الأستاذ محمود محمد طه الثقافى

لا جدال فى أن حواراً جديداً عن الأستاذ محمود ومشروعه قد بدأ، وأن مرتكزات هذا الحوار ومرجعياته تختلف كلية عما كان عليه حوار الأُمس، الذى كان خلال الفترة من 1957 وحتى عام 1985. إن حوار اليوم بدأ بقطيعة تكاد تكون تامة مع حوار الأُمس، ونسف معه فكرة مبدأ طبيعى وهو أن المعارف تتراكم وتأخذ من بعضها بعضاً بناءً وبرهاناً، فتعتمد دراسات اليوم على الدراسات السابقة كمصدر ومرجع. الشاهد أننا، لا نجد، إلا نادراً، هذا المبدأ الطبيعى فى دراسات اليوم عن الأستاذ محمود وعن مشروعه. وهذا أمر غريب، وربما كان جديداً، أن تبدأ دراسات عن الأستاذ محمود وعن مشروعه دون أن تستند على الدراسات السابقة (1957-1985)، وتشطب دراسات هذه الحقبة شطباً يكاد يكون كلياً عن قائمة مصادر ومراجع دراسات اليوم، ونحن فى بداية الحوار الجديد. هذا مؤشر يقودنا للكثير من المعانى التى ستكشف فى مقبل الأيام. إن صورة الأستاذ محمود قد تم إعادة توصيفها فى الشارع السودانى وفى المخيلة السودانية، ولعل أنصع دليل على ذلك، هو قيام مركز الأستاذ محمود محمد طه الثقافى، بنفس الشعار: الحرية لنا ولسوانا، وفى نفس المدينة، مدينة الخرطوم (أمدرمان الثورة الحارة الأولى)، عاصمة السودان، التى شهدت تنفيذ حكم الاعدام عليه، وفى نفس منزل "الجالوص" بمدينة الثورة بأمدرمان مقر إقامة الأستاذ محمود، وقاعدة انطلاق نشاطاته. فبعد ربع قرن من تنفيذ حكم الاعدام على الأستاذ محمود افتتح المركز رسمياً فى ضحى يوم الاثنين 18 يناير 2010. وطرح المركز أهدافه فكان منها: إشاعة الفكر الإنسانى المتقدم، والمساهمة فى ترسيخ التنوع الثقافى، والفكرى.. وترسيخ ثقافة السلام، واللاعنف، ومبدأ المساواة بين أبناء الوطن الواحد، ونشر ثقافة تنمية وترقية البيئة، والاهتمام بتنمية الطفل، والمرأة، والأسرة، ونشر ثقافة الدفاع عن حقوقهم، والبحث عن وسائل ترقيتهم.. وذلك عبر وسائل عديدة منها: نشر المؤلفات، والدراسات، وتقديم الندوات، وورش العمل، وحلقات التدريب، والمعارض، ... وكل الوسائل التى تحقق أهداف المركز، على ألا تتعارض مع النظام الأساسى وقانون تنظيم نشاطات الجماعات الثقافية. برغم قصر عمره فإن المركز قد قطع شوطاً كبيراً فى تقديم خدماته التنويرية، وفى تجسير التواصل مع الجماهير عبر تسهيل فكر الأستاذ محمود وإقامة

الحوارات بشأن مشروعه وحول السودان والإنسان. يمكن للقارئ أن يسجل زيارة للمركز على الأرض أو على موقعه على شبكة الإنترنت: <http://www.alustadhcenter.org>

الشاهد أن مشروع الأستاذ محمود أصبح يكتسب قيمته وتزداد أهميته مع صباح كل يوم جديد. بل بدأ الشعور بالحاجة إليه خاصة مع تطورات الحياة وطرح الواقع فيها للأسئلة الجديدة في وجه الفكر الإسلامى وفي دوائر التفكير من أجل السلام العالمى. فمن خلال الدراسات التى نشرت عن المشروع، ومن واقع توسعها المستمر الملحوظ، والذي وردت الإشارة إليها، فإن المشروع فى طريقه ليصبح قريباً موضعاً للدراسات والبحوث فى مجالات عديدة ولقطاع ضخم من الطلاب والباحثين والمؤسسات داخل وخارج السودان. عندها سيقف الناس على حيوية المشروع وثرائه وقدرته على تقديم وصفات ناجعة لقضايا عديدة كلها تتصل بإحداث التغيير والتحرر والتطوير. وفى يقينى التام بأنه متى ما تم فك الحصار عن مشروع الأستاذ محمود، وأصبح التعاطى معه أمراً طبيعياً فإن العالم سيكون أمام غذاء جديد للخيال والروح والإلهام لتبدأ صياغة الرؤى الجديدة لإحداث التغيير وتحقيق السلام العالمى.

الباب الثانى

الدور الوطنى والسودان فى مشروع الأستاذ محمود

وبإعادة النظر، نجد أن القومية السودانية قد عانت من حدثين رئيسيين أو تطورين مهمين... بالنسبة للحدث الأول، فإذا ما حدث وتم إشراك الجنوبيين بشكل أكبر فى عملية اتخاذ القرارات المؤدية إلى الاستقلال، لكان من الممكن، غالباً، ضمان مساعدتهم فى تطوير الترتيب الذى كان من الممكن أن يكون أكثر عدلاً فى تقبل التنوع داخل الوحدة... الحدث الثانى: وبنفس القدر، إذا ما قُدر لمحمود محمد طه أن ينجح فى تحقيق نظرته للمسيرة الإسلامية مرشداً للحركة السياسية فى البلاد، لسادت الظروف المساعدة على المساواة بين المواطنين، وشجع احترام الأسس الديمقراطية على خلق رؤية للوطن تجذب الاحترام من الشماليين والجنوبيين على حد سواء. وكان يمكن حينها أن يكون الإحساس بالهدف الوطنى مدفوعاً بتعاليم الإسلام، الليبرالية، والتسامح كما فسرها "الإخوان الجمهوريون"... أدى كبت فكر محمود محمد طه، إلى ضياع الفرصة لتطوير هوية وطنية أكثر شمولاً وتكاملاً. على كل، ساعد كبتة فى الحفاظ على هوية الجنوب كوحدة مختلفة ثقافياً ودينياً⁽¹⁾.

فرانسيس دينق

(1) فرانسيس دينق، صراع الرؤى: نزاع الهويات فى السودان، ترجمة هوض حسن، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ط2، 2001، ص 121-122.

الفصل الرابع

4

.....
دور الأستاذ محمود
في الحركة الوطنية السودانية
.....

وواجب الأحرار أن يعملوا على حمل الأمانة في تنوير شعبهم وصون استقلاله⁽¹⁾.

عبد اللطيف عمر حسب الله⁽²⁾

وكنّا من الجهة الأخرى على اتصال بالحزب الجمهوري وكان حزباً ثورياً. والجمهوريون هم أول من أصطنع المطبعة السرية لطبع المنشورات ويوزعونها في المقاهي وغيرها. وأذكر لما تظاهروا في الوادي في 1946، جاؤونا بمنشورات وزعناها وسط الطلاب. فازعجت المنشورات مفتش مركز أمدرمان وتحروا في كيفية وصولها للوادي من أمدرمان. ولم ينتهوا إلى شيء⁽³⁾.

أحمد خوجلي

(1) عبد اللطيف عمر، "حول: الخطوة التالية لعبد الناصر هي السودان"، (آراء صريحة)، أنباء السودان، العدد 164، 1958/10/18.

(2) الأستاذ عبد اللطيف عمر حسب الله هو من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود وقد وردت الإشارة لمعنى أبكار آنفاً. وقد ورد أيضاً في محور: "شكر وتقدير" أن الأستاذ عبد اللطيف قد ظل ملازماً للأستاذ محمود منذ يوم 1951/11/30.

(3) أحمد خوجلي، ضمن مقابلة تمت معه ومسجلة بصوته. قام بالمقابلة عبدالله على إبراهيم خلال عام 2005 وقد أهداني هذا الجزء من نص المقابلة في يوم 3 يوليو 2013 أثناء تفرغه للمقابلة من شريط التسجيل. كان عبدالله متابعاً لتطورات ومراحل إعداد هذا الكتاب فكتب لي يوم أهداني النص قائلاً: عزيزي عبد الله، أفرغ شريطاً سجلته مع أحمد خوجلي، أستاذ الفيزياء ونائب مدير جامعة الخرطوم في الستينات وعضو الحلقات الماركسية. الحلقة الأولى عن فترة الطلب بوادي سيدنا 1942-1946. فذكر بداية اتصال الشيوعيين بهم منذ كانت المدرسة الثانوية في أمدرمان حتى تفرقت إلى جهات منها وادي سيدنا. ما يهكم أنه ذكر أن الجمهوريين اتصلوا بهم في وادي سيدنا. فهناك النبأ: وكنّا من الجهة الأخرى على اتصال بالحزب الجمهوري... إلخ.

لقد ضرب الجمهوريون المثل فى الإخلاص للعمل فهل نرى من أحزابنا بعض العناية بأهدافها فإننا لم نسمع، على اتساع دار المؤتمر ودار حزب الأمة ودور أندية الخريجين وأعمدة الصحف، بمجهود يذكر لقيادة هذه الأحزاب كأن الخطة التى أجمعوا عليها على اختلاف نزعاتهم هى إيقاف التنفيذ. حيا الله الجمهوريين فقد جاهدوا ما وسعهم الجهد وما هدام التفكير فإن وفقوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر⁽¹⁾.

صحيفة الرأى العام، فى الكلمة الافتتاحية، أكتوبر 1946

دخلت شعوب السودان العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين، بمرارة ضمور أراضى وطنها، وتغيير كسائه الجغرافى، وتكلس تنوعه وتعددته الثقافى، يوم أن جاء إعلان انفصال جنوب السودان رسمياً فى التاسع من يوليو عام 2011. فقد اختارت شعوب جنوب السودان فى الاستفتاء الذى أعلنت نتيجته فى السابع من فبراير 2011، خيار الانفصال وفضلته على الوحدة. لاشك أن انفصال جنوب السودان، هو المقدمة التى لها ما بعدها، محلياً وإقليمياً، إن لم تعالج القضايا، وهى عديدة ومتراكمة منها المزمن ومنها الناشئ حديثاً، بمخاطبة جذورها لا نتائجها. إذ ليس هناك ضامن لعدم انفصال أقاليم أخرى من السودان. الشاهد أن الانفصال ما هو إلا خلاصة للإرث السياسى الذى ورثناه عن الآباء والجدود، من القادة والحكام الساسة، الذين "عملت المؤسسات الاستعمارية على تعليمهم

(1) "مجاهدون"، خواطر، الرأى العام، السنة الثانية، العدد 479، الاثنين 3 ذو الحجة 1365 - 28 أكتوبر سنة 1946، الخرطوم.

خدمة لمصالحها. ورثت هذه الصفوة المتعلمة لاحقاً الدولة⁽¹⁾، وهم قادة الحركة الوطنية وموجهو مسار السودان السياسى، طلائع المتعلمين واللاحقين من بعدهم وحتى يومنا هذا. لقد فارق السودان المبادرات الخلاقة الحاملة للتشخيص العميق لقضايا السودان وحلولها، منذ أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن الماضى. فالمبادرات الخلاقة التى كانت تعبر عن الانتماء للمستقبل، والتجاوز للقيود وتنشد التحرر وتعتمد المواجهة والبكور فى مواجهة القضايا الموروثة، قد قبرت. إننا وبقراءة سريعة لقضايا السودان وطبيعة التعاطى معها، نجد أن قادة السودان وساسته من قبل قيام الدولة المستقلة، قد جُبلوا على المجئ المتأخر للقضايا العظام، وفُطموا على شن الحرب على من يأتى باكراً بالمبادرات الخلاقة، حتى ولو كان فى إتيانه الخير والمخرج والخبر اليقين.

كان موقف القادة والسياسيين، من قبل استقلال السودان -نحو أصحاب المبادرات الخلاقة فى الشأن السودانى، لا سيما الأستاذ محمود ومشروعه- موقفاً عدائياً، ورفضاً لمبادراته وأطروحاته، وساعياً إلى تضليل شعوب السودان حول المبادرات وأصحابها. فقبل نصف قرن ونيف من السنين، تحدث الأستاذ محمود وقدم أطروحات ورسم سيناريوهات -لاتزال حية وناجعة- والتى سترد الإشارة إلى بعضها فى هذا الفصل، لصور البدائل والحلول للمشكلات. لكنه قُوبل بالرفض، والحرب، وحملات التضليل حوله وحول أطروحاته، بل سعى الكثيرون لتغييبه، وتغييب إنتاجه الفكرى والمعرفى من الذاكرة الجمعية. خاطب الأستاذ محمود قضايا اليوم منذ قبل ستة عقود تناول: قضايا الهوية، والتنوع، وبناء الذاتية السودانية، والتهميش والمهمشين، ومشكلة الجنوب، ومشكلة أهل الشرق - مؤتمر البجة عام 1958، وطالب بانسحاب السودان من جامعة الدول العربية عام 1958، وكتب عن أسس الدستور والحكم الفدرالى، وتناول اتفاقية مياه النيل، وغير ذلك. سأحاول أن أقف باختصار فى هذا الفصل، بالإضافة للموضوعات التى وردت الإشارة إليها، على بعض المحاور منها: موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين، وتحرير الحزب الجمهورى من تنميط المؤرخ الفقيه، ودور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية من خلال

(1) عبدالله جلاب، مجتمع مدنى مؤجل: قبضة العنف الثلاثية فى السودان، ترجمة وعرض وتلخيص: بدر الدين حامد الهاشمى، من سودانيل [Sudanile](http://www.sudanile.com)، منبر الرأى، استرجاع (Retrieved) يوم 26 يونيو 2012، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com.

بعض المحطات والأحداث المهمة فى تاريخ السودان، وسأتناول جبهات المواجهة: الاستعمار، الطائفية، المثقفين، والتشخيص الباكر لقضايا التهميش والمهمشين، والهوية ومستقبل الثقافة العربية فى السودان، ورغبة بعض الأحزاب السودانية وسعيها للتحالف مع الحزب الجمهورى، وثورة رفاة - الخفاض الفرعونى وتباين القراءات: نقاد الحداثة ونقاد مدرسة ما بعد الاستعمار، وغيرها من المحاور.

موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين

وفى عام 1937 كنا فى جماعة الخريجين الذين أيقظوا عطبرة. كانت سنة 1937 حاسمة فى عطبرة.. وفيها قادة المؤتمر أمثال.. شاعر "صه يا كنار" محمود أبوبكر ومحمود الفضلى.. والشاب المستنير محمود محمد طه الذى أسس الحزب الجمهورى وكان الدغوم المحرك وسكرتير النادى السودانى.. وهو الذى أنشأ الجمعية الأدبية فى النادى (1).

مصطفى أبو شرف (1919-2008)

كان قيام مؤتمر الخريجين فى فبراير عام 1938 من أعظم الأحداث فى السودان منذ بداية التعليم الحديث مع فواتيح القرن العشرين. من المعروف أن مطلع القرن العشرين فى السودان شهد نشأة التعليم الحديث أثناء فترة الحكم الثنائى البريطانى - المصرى (1898-1956)، حيث رفدت مؤسسات التعليم الحديث واقع الحياة السودانية بالطلّاع الأولى للمتعلّمين، وقد تخرجوا فى كلية غردون التذكارية التى افتتحت عام 1902، والمدرسة الحربية (مدرسة الخرطوم الحربية) التى تأسست عام 1905. والمعهد العلمى بأمدرمان الذى أنشئ على غرار الأزهر عام 1912. إلى جانب القلة التى درست فى مصر ولبنان فيما بعد، وقد كان التعليم قبل ذلك تعليماً دينياً، محوره العلوم الشرعية واللغة العربية، ومؤسساته الكتّاب والخلوة والمسجد ومجالس العلماء

(1) مصطفى أبو شرف، "الشاعر المعلم مصطفى أبو شرف فى ضيافة الصحافة"، (حوار)، أجرى الحوار الطاهر حسين الطاهر، صحيفة الصحافة، السبت 26 أغسطس 2000.

(2) عبدالله الفكى البشير، "التنوع الثقافى والأمنية العذراء: حَيَّة القادة والعقول الراكدة (7 حلقات)"، صحيفة الأحداث، كانت تنشر فى يوم الخميس من كل اسبوع خلال الفترة ما بين 2010/4/1 - 2010/5/14.

والأزهر⁽²⁾. إن التمهيد لقيام مؤتمر الخريجين عام 1938 فى ظل ثمار التعليم الحديث، قد عبرت عنه مؤشرات وأحداث كثيرة، يقول محمد سعيد القدال: كان إنشاء نادى الخريجين بأمدردمان عام 1918، الثمرة الأولى لنشأة التعليم الحديث فى السودان، وكان بمثابة أول تنظيم يضم المتعلمين على أساس التعليم وليس المنطقة أو القبيلة، ولذلك بدأ نشاطه مهتماً بنشر التعليم وتوسيعه بالنشاط الثقافى عامة. على أن تطور النشاط السياسى وجد طريقه إلى النادى الثقافى الاجتماعى وتحول إلى منبر للعمل السياسى⁽¹⁾. كما أثمر التعليم الحديث فى السودان، بالإضافة لعوامل أخرى خارجية، من أهمها الحركة الوطنية المصرية، فى قيام ثورة عام 1924، بقيادة الشباب الأفندية. لقد خضعت ثورة 1924 لتقييم من قادة ومؤرخين كثير، السؤال ما هو موقف الأستاذ محمود من ثورة 1924؟ فى لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم يوم السبت 22 نوفمبر 1975، طرح على الأستاذ محمود السؤال التالى: "س: طيب دا يكون محل كويس عشان نعرف رأيك فى حركة سنة 24 على اعتبار هى بداية للحركة الوطنية؟"، أجاب الأستاذ محمود على السؤال قائلاً:

"فى اعتبارات، فى حركة 24 فى اعتبارات حقها تاخذ وزنها .. نحن على طول المدى كانت عندنا دعوة لإنشاء علاقة بمصر، فى مستوى من المستويات.. والأحزاب الاتحادية كانت هى الأحزاب الأثرت على مجرى تاريخ السودان الأخير فى نضاله ضد الاستعمار .. كانت أقوى من الأحزاب الاستقلالية.. الصلة دى مع مصر، فيما بعد، بعد خروج الأحزاب من مؤتمر الخريجين، ظهر أنها وسيلة لغاية، وأنه الناس اللى بيدعوا للاتحاد مع مصر ما غرضهم إلا أن يسندوا ظهرهم إلى قوة يواجهوا الانجليز من قاعدتها، ليتخلصوا من الانجليز ثم ليتخلصوا برضو من النفوذ المصرى .. دا كان بطبيعة الحال الأمر الحقيقى تحت السطح .. فى حركة 24 الإتجاه دا ما كان ناضج وواضح، حتى يمكن

(1) محمد سعيد القدال، الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1992، ص 122.

أن يقال أنه حركة 24 تكاد تكون دعوة لمصلحة المصريين أكثر مما هي دعوة لوطنية السودانين⁽¹⁾.

كان السيد عبدالرحمن المهدي (1885-1959) من جانبه قد قدم تقويماً لثورة 1924، إذ جاء في مذكراته: **جهاد في سبيل الاستقلال:**

"كان لانحلال الإمبراطورية العثمانية وتقلص ظل الخلافة أثر في انبعاث الحركة الوطنية المصرية وقد كان للحوادث الجارية في مصر منذ بدئها في عام 1919 صدى في السودان حرك الوعي السياسى عند الفئة القليلة المتعلمة وسكان المدن وأخذت الصحف المصرية تنادى بوحدة وادى النيل فانساق في تيار هذه الحركة أكثر المتعلمين في السودان وكان المظهر المادى لهذه النداءات قيام حركة عام 1924 إذ لم تكن هذه الحركة إلا امتداداً للحركة الوطنية المصرية وإننى كنت أكبر صفات الرجولة والصبر التى امتاز بها أعضاء جمعية اللواء الأبيض إلا أننى لا اعتبر حركة 1924 ممثلة للمطالب الحقيقية لشعب السودان"⁽²⁾.

كتب محمد سعيد القدال عن تقييم ثورة 1924، مشيراً للتقييم الذى قدمه الشهيد عبدالخالق محجوب (1927-1971) قائلاً: "فقد كان شعار الجمعية والثورة التى فجرتها هو (وحدة وادى النيل) يعبر عن العجز السياسى والاقتصادى للطبقة الوسطى السودانية، أكثر من التعبير عن رغبة الجماهير الشعبية فى الانعتاق من عسف الاستعمار البريطانى. كما أن حركة 1924 كانت خالية من أى برنامج يمكن بمقتضاه تعبئة الجماهير وحملها على الانضمام إليها، إذ أن البرنامج فى مجمله لم يخرج عن ترديد ألفاظ الحرية ووحدة وادى النيل وعاشت مصر، أما المستقبل الذى يمكن أن تلقاه الجماهير من نظم ديمقراطية للحكم وتقدم اقتصادى واجتماعى، فأمر كانت مهمة من جانب تلك الحركة. وكان تنظيم الحركة ضعيفاً وغير متسع فى المستوى المطلوب لمجابهة الاستعمار. كانت به بعض

(1) لقاء الأستاذ محمود مندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) عبدالرحمن المهدي، **جهاد في سبيل الاستقلال**، أشرف على إعداده الصادق المهدي، الخرطوم، 1986، ص 23-25، محمد سعيد القدال، **الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 126.

العناصر الخائنة التي اتهمت بنفسه والتآمر على أعضائه⁽¹⁾.

كذلك حدثت أحداث أخرى قبل قيام مؤتمر الخريجين كانت تعبر عن تجمع الوعي القومي والعمل الوطني الجماعي منها: قيام **المدرسة الأهلية** عام 1927. قامت المدرسة الأهلية كرد فعل على حادث عابر أخذ ينتشر في أمدردمان، وهو أن المدرسة الإرسالية الأمريكية تمارس نوعاً من التبشير وسط التلاميذ المسلمين. أثار هذا الأمر سخط الأهالي والمتعلمين، فقرروا جمع التبرعات لبناء مدرسة، وبالفعل جمعوا التبرعات وقامت المدرسة الأهلية، الأمر الذي أكد قدرة الشعب وتضامن قطاعاته المختلفة، مما أعاد الثقة في قدرته على الإنجاز⁽²⁾. وكان هناك كذلك من الأحداث السابقة لقيام مؤتمر الخريجين، إضراب طلبة كلية غردون 1931. كان الأستاذ محمود قد جاء عقبه مباشرة كطالب بكلية **غردون**، كما ورد آنفاً، وقد وصف الأستاذ محمود الإضراب بأنه أحيا الروح الوطنية⁽³⁾. وقد ورد حديث موسع عن إضراب الطلبة في الفصل الأول من هذا الكتاب، ولكن ما يمكن أن أضيفه هنا هو أن الأستاذ محمود اعتبر إضراب الطلبة عام 1931 هو بداية الحركة الوطنية في السودان. لقد طرح مندوبو **معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية** على الأستاذ محمود السؤال التالي: ماهو في تقديرك التحديد الزمني الممكن نحن نعتبرو فعلاً دى بداية الحركة الوطنية فى السودان؟ فأجاب الأستاذ محمود قائلاً: "والله التحديد الزمني لبداية الحركة الوطنية فى السودان أنا بعتمد إضراب طلبة كلية غردون فى عام 31.. فعلا بعد داك انداعى العمل طوالى والأدب وجد رواجه، والمجلات الأدبية السياسية، يمكنك أن تقول، أو الوطنية ظهرت، والمقالات الوطنية والسياسية ظهرت.." ⁽⁴⁾.

حدث آخر، سبق قيام مؤتمر الخريجين، وكان يعبر عن تجمع الوعي القومي والعمل الوطني الجماعي هو تأسيس "ملجأ القرش"، وهى فكرة طرحها عبر الصحف الأستاذ

(1) المرجع السابق، ص 126.

(2) المعتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مرجع سابق، ص 19-20.

(3) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(4) المصدر السابق.

عبدالفتاح المغربى المدرس بكلية غردون، بعد عودته من زيارة قام بها إلى ملجأ زاره فى مدينة المنصورة بمصر ورأى فيه الصناعات الوطنية المتقنة، فعبّر عن أمله أن ترى الفكرة النور فى بلده. وسرعان ما تبنى جماعة الخريجين الفكرة بتأسيس ملجأ يكون مدرسة صناعية ومهنية لتعليم الأيتام والفقراء، وتكون وحدة التبرع لتأسيسه هى القرش، حتى يستطيع عامة الناس المساهمة فى قيام ذلك الصرح الذى سُمى باسم وحدة التبرع (ملجأ القرش)، والذى تم افتتاحه عام 1936⁽¹⁾. أيضاً سبق قيام مؤتمر الخريجين حدث مهم على الرغم من أنه حدث خارجى، ولكن ظلاله وآثاره كانت قوية داخل السودان، وهو معاهدة عام 1936. أبرمت المعاهدة بين مصر وبريطانيا ولم يشارك فيها السودان، برغم تناولها لشأن السودان. لم تبدِ المعاهدة اهتماماً بآمال السودانيين فقد كرست الحكم الثنائى القائم على اتفاقية سنة 1899، كما أنها نظرت فى العلاقات بين مصر والسودان فى إطار حقوق مصر ومصالحها فى السودان، ولم تقدم المعاهدة للسودانيين سوى مفردة "الرفاهية". ألهمت هذه المعاهدة المشاعر، واتكأت عليها الكثير من النشاطات، أهمها المحاضرة الشهيرة للأستاذ أحمد خير بعنوان: "واجبنا السياسى، بعد معاهدة 1936"⁽²⁾، ونشرتها مجلة الفجر فى شهر مايو من عام 1937، وقد وردت فيها الإشارة لفكرة مؤتمر الخريجين. (لاحقاً سأناقش فكرة مؤتمر الخريجين وعلاقتها بالفكر التنظيمى الهندى، وكيف نقل طلائع المتعلمين الفكر التنظيمى الهندى وليس فكر المقاومة الهندى - الغاندى "المهاتما غاندى"؟ وهل مثل المهاتما غاندى نموذجاً إرشادياً لطلائع المتعلمين السودانيين؟ وما دوره وما مدى تأثيره فى طلائع المتعلمين؟ وهل تأثر الأستاذ محمود بفكر المقاومة السلمية لدى المهاتما غاندى؟ وما هى التقاطعات التى كانت بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى والتى عبر عنها البعض من خلال إطلاقه على الأستاذ محمود اسم "غاندى السودان" وعبر عنها البعض الآخر باسم "غاندى إفريقيا"، سأحول الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها فى الفصل

(1) المعتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مرجع سابق، ص 19-21.

(2) أحمد خير المحامى، "واجبنا السياسى: مؤتمر الخريجين"، الفجر، العدد 6، مجلد 3، 16 مايو 1937، ص 181-184؛ أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، مرجع سابق، ص 59. فى الأصل كانت المحاضرة بعنوان: "واجبنا السياسى، بعد معاهدة 1936"، وقد عدل الأستاذ أحمد يوسف هاشم (1903-1958)، الذى ترأس تحرير مجلة الفجر خلال الفترة من 1937/3/1 إلى 1939/8/6، عنوان المحاضرة ليكون على النحو الذى نشر وشاع "واجبنا السياسى: مؤتمر الخريجين".

الثامن عشر: "الأستاذ محمود والروحانيون: فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية، الأستاذ محمود والمهاتما غاندى: مقارنة أولية".

من المهم الإشارة إلى أنه مع تلك الأحداث التى سبقت قيام مؤتمر الخريجين، لابد من الإشارة إلى أمرين مهمين، الأمر الأول هو دور جماعات القراءة فى الأحياء والجمعيات الأدبية بأندية الخريجين والموظفين، والتى أنشأها المثقفون بعد فشل ثورة 1924، ومارسوا من خلالها نشاطاتهم الأدبية والاجتماعية. كانت "جمعية أبوروف" التى تكونت من خريجى عامى 1924 و1925. و"جماعة الهاشماب" (أولاد الموردة) وقد عرفت فيما بعد بمدرسة الفجر، إشارة إلى مجلة الفجر، و"جمعية ود مدنى الأدبية"، و"جماعة الأشقاء"⁽¹⁾، وغيرها. ويشير سليمان كشة فى مذكراته إلى جمعية "روضة الشعر بسنار" التى قامت مع بداية العمل فى خزان سنار عام 1914، كانت أول جمعية أدبية فى السودان⁽²⁾. والأمر الثانى وهو ما أشار إليه الأستاذ محمود حينما تحدث عن ما تبع إضراب الطلبة عام 1931 من صدور للمجلات الأدبية والسياسية، والمقالات الوطنية والسياسية، فقد كان الأمر الثانى هو صدور مجلتى النهضة السودانية، والفجر. فقد صدرت مجلة النهضة السودانية لمؤسسها ورئيس تحريرها محمد عباس أبو الريش، وصدر عددها الأول فى 4 أكتوبر 1931، وتوقفت عن الصدور فى شهر ديسمبر عام 1932. وصدرت مجلة الفجر فى مجموعتين، الأولى، وكان رئيس تحريرها عرفات محمد عبدالله (1897-1936)، خلال الفترة من يونيو 1924 إلى أكتوبر 1925. أما المجموعة الثانية فكانت خلال الفترة من 1937/3/1 إلى 1939/8/6، وآلت رئاسة التحرير فيها للأستاذ أحمد يوسف هاشم (1906-1958)، بعد أن توفى عرفات محمد عبدالله (1897-1936)⁽³⁾.

تبلورت فكرة المؤتمر وجاء الاعلان عن قيامه فى فبراير عام 1938. كان الأستاذ محمود، كما وردت الإشارة آنفاً، يعمل مهندساً برئاسة مصلحة سكك حديد السودان فى مدينة عطبرة.

(1) قاسم عثمان نور، أضواء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين 1925-1938، وزارة الثقافة ومركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، 2004، ص 31-43.

(2) سليمان كشة، سوق الذكريات، ج 1، مطابع شركة الطبع والنشر، الخرطوم، 1963، ص 37.

(3) قاسم عثمان نور، أضواء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين 1925-1938، مرجع سابق، ص 31-56.

فقد دعم فكرة مؤتمر الخريجين بقوة، إذ استطاع برفقة ميرغنى حمزة وأمين صديق أن يصححوا أوضاع نادى عطبرة، ويثروا الحركة الثقافية والسياسية بالمدينة. فقد نجحوا فى تحويل اسم النادى من نادى السكة الحديد- نادى موظفى السكة حديد السودانين، إلى نادى الخريجين، كما انتزعوا إدارته من قبضة كبار موظفى السكة حديد لتكون الإدارة عبر الانتخابات⁽¹⁾. من الواضح أن الأستاذ محمود كان مرحباً بقيام مؤتمر الخريجين فى بادئ الأمر، إلا أنه ما لبث أن اختلف كلية مع القائمين على المؤتمر ورفض منهج عمله الوطنى ووسائله فى النضال. لقد تحدث الأستاذ محمود بتوسع عن المؤتمر ووصفه بأنه خرج مرموقاً ومرعياً، ودعا لإصلاحات جمة، كتب الأستاذ محمود عن نجاحات المؤتمر ودوره فى الإصلاحات قائلاً:

"فأصاب كثيراً من النجاح، ووفق، بوجه خاص، فى يوم التعليم.. فقد جمع الأموال، وافتتح المدارس فى شتى أنحاء القطر، أو، إن أردت الدقة، إنه ساعد العاملين من أبناء مدن القطر على إنشاء المدارس الوسطى التى أرادوها، وقد كان، كلما أنشأ مدرسة، أو ساعد على إنشاء مدرسة، تخلى عنها لمصلحة المعارف تسييرها وفق مناهجها، وأولاها ظهره، وتطلع إلى غيرها.. فقد جعل وكده إنشاء المدارس، ولاشئ بعد ذلك ثم أن المؤتمر كان له رأى ونشاط فى الميدان الاقتصادى وفى إصلاح القرية، وإصلاح الفرد، ومحاربة الأمية، وتحسين الصحة العامة، إلى آخر ما إلى ذلك.. مما جعل المؤتمر مرجواً"⁽²⁾.

كان موقف أعضاء المؤتمر إيجابياً ومعتدلاً مع الأستاذ محمود قبل أن يبدأ الأستاذ محمود فى نقد المؤتمر ورفض منهجه والتخلى عن العمل معه، ومن ثم إعلانه بوضوح وصراحة عن رفضه للمؤتمر. مما يوضح إيجابية موقف المؤتمر تجاه الأستاذ محمود، أن وفد السودان حينما أصدر كتاب بعنوان: مأسى الإنجليز فى السودان، ورد الحديث عن سجن الأستاذ محمود الأول عام 1946، يقول النص: "واعتقلت هذه الحكومة (الشرقية) دون حكم، المواطن محمود محمد طه لأنه كتب منشوراً يكشف به ألاعيبها ووضع فى سجن كوبر، ومنع عن أداء الصلاة، ووضع فى زنزانة مع بعض المصابين بالسل فى درجات

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، السفر الأول، أمدردمان، 1945، ص 1.

المرض الخطيرة. ولم يطلق صراحه إلا بعد تدخل المؤتمر وخشية قيام الاضطرابات من أفراد الشعب⁽¹⁾. وما أن أعلن الأستاذ محمود موقفه من المؤتمر وحديثه عن انحراف المؤتمر عن مساره ورفضه التعاون والعمل معه، تغيرت العلاقة تماماً، فأصبح الباحث لا يجد أى إشارة لسجن الأستاذ محمود ونضالاته الوطنية سواء فى إصدارات المؤتمر أو مذكرات الأعضاء فيه من طلائع المتعلمين كما سيرد الحديث لاحقاً فى الفصل السادس عشر والذى سيتناول: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه". أعلن الأستاذ محمود والحزب الجمهورى الذى ترأسه فيما بعد، تحفظاته ورفضه لمنهج المؤتمر فى معالجة الكثير من القضايا وقد عبر عن ذلك من المنشورات والبيانات، منها بيان للحزب قال فيه: "إن هذا المؤتمر يسمى رسمياً باسم مؤتمر الخريجين العام، وهذا معناه أن أى عمل ينطوى تحت لوائه إنما يعبر عن آراء وغايات الخريجين لا عن سواهم من المواطنين لأنهم غير أعضاء فيه"⁽²⁾. ثم بدأ المؤتمر فى الانحراف عن المسار، بمجرد ميلاد الحركة السياسية فيه، بعد مذكرة حق تقرير المصير. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وقد أحاط المؤتمر هذه المذكرة بتكتم رصين، عاشت فيه، حتى اللجان الفرعية، فى ظلام دامس.. ثم أخذ يتداول مع الحكومة الردود بهذا الشأن بدون أن يعنى بأن يقول للجنان الفرعية، بله الشعب، كيف يريد أن يكون هذا المصير الذى يطلب أن يمنح حق تقريره"⁽³⁾. تبع ذلك الانقسامات والشيع، يضيف الأستاذ محمود قائلاً:

"ثم انقضت فترة، ومشت فى المؤتمر روح شعبت أتباعه، شيعاً، على أساس الصداقات، وتجانس الميول، بادئ الرأى، ثم اتخذ كل فريق اسماً سياسياً، ... فمنهم من يريد للبلاد اندماجاً مع مصر، ومنهم من يريد لها اتحاداً، ومنهم من يريد لها شيئاً لا هو بهذا، ولا هو بذلك، وإنما هو يختلف عنها اختلافاً، هو على أقل تقدير، فى أخلاق أصحابه، كاف ليجعل لهم لوناً يميزهم عن هؤلاء، وأولئك.. أنبت هذه الأحزاب، وتعددت، و اختلفت، فيما يوجب الاختلاف، وفيما لا يوجب الإختلاف.. ولكنها كلها متفقة على الاحتراب على كراسى

(2) وفد السودان، مأسى الإنجليز فى السودان، دار الشرق للنشر والطبع، 1946، ص 173.

(2) عبدالقادر المرضى، "موقف الحزب الجمهورى من المؤتمر ومن وثيقة الأحزاب المؤتلفة"، (مخطوطة بيان بتاريخ 1945/11/9)، ضمن: مقالات تحكى تاريخ الحزب الجمهورى، (مخطوطة).

(3) محمود محمد طه، السفر الأول، مصدر سابق، ص 1-2.

المؤتمر، وعلى الاستمرار فى حرب المذكرات هذه، مع الحكومة" (1).

تبع ذلك كما أشار الأستاذ محمود تبادل المذكرات مع الحكومة ومن ثم "كانت مساومات، و كانت ترصيات.. بين من يريدون الإنجليز، و بين من يريدون المصريين، وظهرت الوثيقة، (هكذا أسموها هذه المرة) الوثيقة التى تنص على حكومة ديمقراطية حرة، فى اتحاد مع مصر، و تحالف مع بريطانيا" (2).

لقد أعلن الحزب الجمهورى موقفه من هذه الوثيقة و التى ائتمت عليها الأحزاب فى 25 أغسطس 1945، و عرفت بوثيقة الأحزاب المؤتلفة، و تبناها المؤتمر فى أكتوبر. أعلن الحزب موقفه فى بيان جاء بعنوان: "موقف الحزب الجمهورى من المؤتمر ومن وثيقة الأحزاب المؤتلفة" و نشر البيان بتوقيع عبدالقادر المرضى السكرتير المؤقت للحزب الجمهورى فى يوم 9 نوفمبر 1945، قال الحزب فى بيانه: "وموقفنا إزاء وثيقة الأحزاب يتلخص فى أننا من جانبنا لا نقرها لأنها تختلف فى جوهرها اختلافاً واضحاً عن دستورنا على أننا لا نفهم لماذا تنقيد باتحاد و تحالف فتضع بذلك حق البلاد الطبيعى فى الحرية موضع المساومة بأن ندفع ثمن الحرية اتحاداً مع هذه أو محالفة مع تلك" (3). لقد تجلّى اختلاف الأستاذ محمود الكلى مع المؤتمر ومن ثم مع المثقفين على اختلاف ألوانهم السياسية، فى طرحه لجملة من الأسئلة و من خلال إجابته على تلك الأسئلة، تساءل الأستاذ محمود قائلاً:

لماذا لم يسر المؤتمر فى التعليم الأهلى على هدى سياسة تعليمية موضوعية، منظور فيها إلى حاجة البلاد كلها، فى المستقبل القريب، و البعيد؟ ولماذا لم يعن المؤتمر بمناهج الدراسة كما عنى بإنشاء المدارس؟ لماذا، عندما ولدت الحركة السياسية فى المؤتمر، اتجهت إلى الحكومة تقدم لها المذكرات تلو المذكرات و لم تتجه إلى الشعب، تجمععه، و تنيره، و تثيره لقضيته؟؟ ولماذا قامت عندنا الأحزاب أولاً، ثم جاءت مبادئها أخيراً؟؟ و لماذا جاءت هذه المبادئ، حين جاءت مختلفة فى الوسائل مختلفة فى الغايات؟؟ و لماذا يحدث تحور، و تطور، فى مبادئ بعض هذه الأحزاب،

(1) المصدر السابق، ص 2.

(2) المصدر السابق، ص 3.

(3) عبدالقادر المرضى، مصدر سابق.

بكل هذه السرعة؟ ثم لماذا تقبل هذه الأحزاب المساومة، فى مبادئها، مساومة جعلت أمراً كالوثيقة عملاً محتملاً، وقد وقع واستبشر به بعض الناس؟⁽¹⁾.

ثم أجاب الأستاذ محمود على الأسئلة التى طرحها قائلاً: "والجواب قريب: هو انعدام الذهن الحر، المفكر، تفكيراً دقيقاً، فى كل هذه الأمور، فلو كان المؤتمر موجهاً توجيهاً فاهماً لعلم أن ترك العناية بنوع التعليم خطأ موبق، لا يدانيه إلا ترك العناية بالتعليم نفسه.. ولأيقن أن سياسة (سر كما تشاء) هذه المتبعة فى التعليم الأهلى سيكون لها سود العواقب فى مستقبل هذه البلاد"⁽²⁾. ويرى الأستاذ محمود أن انعدام الذهن المفكر تفكيراً حراً دقيقاً هو الذى طوع للمؤتمر يوم ولدت فيه الحركة السياسية، وهى قد ولدت ميتة، أن يعتقد أن كتابة مذكرة للحكومة تكفى لكسب الحرية، حتى لكأن الحرية بضاعة تطلب من الخارج، ويعلم بها الزبائن بعد وصولها، حتى تكون مفاجأة.. و دهشة.. ولو أن جميع الأحزاب القائمة الآن استطاعت أن تفكر تفكيراً دقيقاً لأقلعت عن هذه الألاعيب الصبائية التى جعلت الجهاد فى سبيل الحرية ضرباً من العبث المزرى⁽³⁾. بتلك الأسئلة وبهذه الإجابة نخلص إلى أن اختلافاً عميقاً نشأ بين الأستاذ محمود وطلّاع المتعلمين بمختلف ألوانهم السياسية ومشاربهم الفكرية فى الرؤية السياسية وفى الغايات والوسائل فى السعى للاستقلال وفى البناء المستقبلى للسودان. وعندما نشأ الحزب الجمهورى عام 1945، حدد الحزب موقفه من مؤتمر الخريجين وعلاقته به. فقد أعلن الحزب أنه لا يعمل سياسياً تحت لواء المؤتمر لأنه أى الحزب الجمهورى فتح عضويته لكل السودانين بينما المؤتمر لا يعبر إلا عن آراء وغايات الخريجين دون سواهم من المواطنين. وأوضح الحزب أنه سيعيد النظر فى موقفه من مؤتمر الخريجين عندما يصبح مؤتمر السودان العام ويصبح لكل سودانى حق العضوية فيه⁽⁴⁾. وعن تعاون الحزب مع المؤتمر يقول الحزب: "وأما فى نطاق الإصلاحات الاجتماعية فسوف يتعاون الحزب مع أى هيئة تضطلع بها بدون أن يكون هذا التعاون

(1) محمود محمد طه، السفر الأول، مصدر سابق، ص 3-4.

(2) المصادر السابق، ص 4.

(3) المصدر السابق، ص 4.

(4) عبدالقادر المرسى، مصدر سابق؛ فيصل عبدالرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى

بشأن السودان (1936-1953)، ط2، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2004، ص 230-231.

مقيداً بضرب من ضروب التبعية⁽¹⁾. أما عن موقف الحزب الجمهورى من الأحزاب السودانية يقول الأستاذ محمود: "موقفنا من الأحزاب فى الحقيقة من الأول كان موقف معارضة.. إن أحزابنا أحزاب انضوت تحت الطائفية.. هى مرعية من زعماء الطائفة.. الزعيم السياسى حريص على إرضاء زعيم الطائفة، ونحن بنعتقد آفة البلد دا كله من الطائفية.."⁽²⁾. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "فنحن ضد الأحزاب من بداية نشأتها، ودائماً بتكلم عن دا وبنقول أنه يجلو الاستعمار بكرة ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين وإنما متخبطين فى فوضى لا قرار لها، لأننا أحزاب بدون فلسفات وبدون مناهج وبدون برامج.. فالجملة دى كانت تقريباً بتمثل موقفنا من الأحزاب"⁽³⁾.

رفض الأستاذ محمود التعاون فى أى عمل وطنى مع هذه الأحزاب إلا فى أربعة مشاريع، سترد الإشارة إليها لاحقاً، وهى: الجبهة الاستقلالية الأولى 1946، والجبهة الاستقلالية الثانية 1955، ولجنة الدستور القومية 1956، ومؤتمر الدفاع عن الديمقراطية نوفمبر 1965. من المهم الإشارة إلى أن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى قد ندد بالمجلس الاستشارى لشمال السودان، وظل على الدوام رافضاً له. من المعلوم أن المجلس الاستشارى لشمال السودان، قد تم التصديق على قانونه فى 1943، وكان قيامه بناء على توصية من لجنة شكلها الحاكم العام من أربعة بريطانيين، وأصدر بموجب ذلك تشريعاً يفصل قانون المجلس الذى اشتمل تكوينه على المديرىات الشمالية ويرأسه الحاكم العام، ويبلغ عدد أعضائه ثمانية وعشرين عضواً معيناً من قبل الإدارة الاستعمارية، من زعماء العشائر، ورجال الدين، والوجهاء... إلخ. ومن ثم تطور المجلس إلى الجمعية التشريعية (1948-1952). عارض الحزب الجمهورى المجلس الاستشارى ليس فى طبيعة التشكيل والتركيب الجهوية والصفوية، وخطورة ذلك على وحدة السودان فحسب؛ وإنما بتعارض

(1) عبدالقادر المرضى، مصدر سابق.

(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاعة المجهولة: لوحة مشرفة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار، مرجع سابق، ص 61.

(3) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاعة المجهولة: لوحة مشرفة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار، مرجع سابق، ص 61.

قيام المجلس مع رؤية الحزب الجمهورى للاستقلال القائمة على المواجهة والنضال لا التسويات والمساومات وتبادل المذكرات وتقديم التوصيات كما ذهب فى هذا المنحى مؤتمر الخريجين. هذا إلى جانب حديث الأستاذ محمود بأن المجلس الاستشارى سيقود لانفصال الجنوب لذلك ظل يناهض ويندد بالمجلس. يقول الأستاذ محمود: "أنو الإنجليز نواياهم مبيتة لفصل الجنوب ولذلك جعلوا المؤتمر (المجلس) الإستشارى لشمال السودان ونواياهم كلها فى أنهم يفصلوه .. فدا كنا بنحمس بيهو الجماهير"⁽¹⁾. والمجلس الاستشارى لشمال السودان هو الذى أصدر قانون الخفاض الفرعونى، كما سيأتى توضيح ذلك لاحقاً فى الفصل الخامس والذى يعالج: ثورة رفاعة (الخفاض الفرعونى)، سبتمبر 1946. قام الحزب الجمهورى بنشاط كبير فى سبيل ذلك، الأمر الذى أدى لسجن بعض أعضائه بسبب تنديدهم ومناهضتهم للمجلس الاستشارى، فقد أوردت صحيفة الرأى العام، خبر اعتقال أعضاء الحزب الجمهورى وهم ينددون بالمجلس الاستشارى، جاء فى تفصيل الخبر:

"اعتقل بوليس الخرطوم بحرى مساء أمس ذا النون جبارة وعبد المنعم عبد الماجد أعضاء الحزب الجمهورى عندما ألقيا خطابين أمام السينما الوطنية بالخرطوم بحرى ونددا فيهما بالمجلس الاستشارى وقانون الخفاض وكبت حرية الرأى والخطابة، وباعتقال هذين بلغ عدد المعتقلين من الحزب الجمهورى خمسة مازالوا فى السجن"⁽²⁾.

الشاهد أن نشاط الحزب الجمهورى كان نشاطاً كثيفاً فى التنديد بالمجلس الاستشارى والتنبيه على خطورة نتائجه المستقبلية، فقد نشرت صحيفة الرأى العام تحت عنوان: "عضوان من الحزب الجمهورى يطلق سراحهما"، وجاء فى تفاصيل الخبر: "اطلق سراح منير أفندى صالح عبد القادر وعبد المنعم أفندى عبد الوهاب اللذان قبض عليهما قبل أيام بتهمة القاء خطب تندد بالمجلس الاستشارى... فى مكان عام فى الخرطوم. كان إطلاقهما بلا ضمان"⁽³⁾.

الشاهد أنه برغم نقد الأستاذ محمود لمؤتمر الخريجين، ودعوته للمثقفين للأخذ بمبدأ

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) "إضراب رئيس الحزب الجمهورى عن الطعام، والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه"، صحيفة الرأى العام، العدد: 453، الخميس 27 سبتمبر 1946.

(3) "عضوان من الحزب الجمهورى يطلق سراحهما"، صحيفة الرأى العام، الجمعة 4 أكتوبر 1946.

المواجهة للمستعمر بدلاً عن المساومة ونضال المذكرات، برغم ذلك يبدو أن فكرة مؤتمر الخريجين قد كانت موضع تقدير عند الأستاذ محمود ونظر إليها كنواة للحركة الوطنية. ففي خطاب وجهه الأستاذ محمود في عام 1979 إلى رئيس نادي الخريجين بمدينة مدني عندما أغلق النادي (أنظر ملحق رقم: "46"). كتب الأستاذ محمود قائلاً: "لقد خرجت من ناديك، في الثلاثينات، الشعلة الاولى التي كانت نواة الحركة الوطنية العظيمة التي انتهت الى إخراج الاستعمار الحسى -حكم الانجليز- من البلاد، فأحرزت بذلك تحريرها"⁽¹⁾. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "فأرجو أن يكون هذا الحادث البشع نقطة انطلاق لناديكم ولأندية الخريجين في كل مكان، لتواصل المشوار الذي بدأته في الثلاثينات في محاربة الاستعمار الحسى، حتى تقضى على هذا الاستعمار الجاهل الذى يشل العقول باسم الله وباسم الإسلام"⁽²⁾. وفي موقع آخر من الخطاب، أطلق الأستاذ محمود على الجهل بالدين اسم الاستعمار المعنوى، حيث كتب الأستاذ محمود وهو يتحدث عن الدور المأمول للنادي بعد دوره في اخراج المستعمر الإنجليزي ليكون دوره: "إخراج الاستعمار المعنوى - الجهل بالدين وتسلط هذا الجهل على عقول أفراد شعبنا- من العقول بإذن الله، فيتم بذلك ما بدى، في مضمار التحرير، من إحراز الاستقلال الصحيح"⁽³⁾.

تحرير الحزب الجمهورى من تنميط المؤرخ الفقيه

ومؤسس الحزب (الجمهورى) هو الاستاذ محمود محمد طه الذى كان من أبرز الوجوه الوطنية فى مستهل حركات النضال... ولأن محمود زاهد فى المكاسب ورأغب عنها فإن حربه... لم يكن فيه من إغراءات الطموح السياسى ما يدفع الناس الى عضويته الجافة من ماديّات الحياة والتي لا يقبلها الإنسان إلا إذا كان سيفه بيمينه ويطائفيه على كتفه ليدخل السجن"⁽⁴⁾.

التجاني عامر (1987-1908)

(1) محمود محمد طه، "خطاب إلى عبد الرحيم محمود أبو عيسى، رئيس نادي الخريجين بمدينة مدني"، 1979/1/13.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) التجاني عامر، "ذكريات: من مذكرات التجاني عامر"، مرجع سابق.

حضر الأستاذ محمود فى مهرجان تكوين الأحزاب السودانية معلناً فى يوم الجمعة 26 أكتوبر 1945، عن تأسيس الحزب الجمهورى. وكان قد اقترح تسمية الحزب بالحزب الجمهورى، أمين مصطفى التنى، اشارة لمطالبتهم بقيام جمهورية سودانية مستقلة عن دولتى الحكم الثنائى. وعن قصة نشأة الحزب يقول الاستاذ محمود: "قبل ما ينشأ الحزب الجمهورى أنا كانت عندى مقالات فى الصحف.. منها صدر مقال زى يقول: لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟ المقال دا لعله، وبعض النشاط الأدبى فى الصحف المحلية، لفت نظر بعض الأخوان المهتمين برضو بالسياسة، الواحد يذكر منهم أمين مصطفى التنى"⁽¹⁾. لفت المقال نظر بعض الشباب، فجاءوا إلى الأستاذ محمود وأخبروه باختيارهم له. سبق وأن أوردت ما قاله الأستاذ محمود بشأن زيارة أمين مصطفى التنى إليه، وإخطاره له بأهم لفيف من الشبان فكروا فى إنشاء حزب جمهورى ووقع اختيارهم على الأستاذ محمود. وكما ورد فى الفصل السابق، عقد اجتماع واختير الأستاذ محمود رئيساً للحزب، وعبدالقادر المرضى سكرتيراً له. وقد كان الحزب الجمهورى هو الحزب السياسى الوحيد وقتها الذى كان يطالب بالحكم الجمهورى، وفى المطالبة بالاستقلال التام⁽²⁾. فى يوم الجمعة 26 أكتوبر 1945 أصدر الحزب دستوره وأغراضه وسياسته العامة ضمن إصدار اسمه بـ: **السفر الأول**. جاء فى المذكرة التفسيرية لدستور الحزب: "لما كانت الغاية من قيام الحكومات هى أن تهىء للفرد أقصى ما يمكن أن يصل إليه من الرفاهية رأت هذه الجماعة التى تكونت باسم الحزب الجمهورى، أن أنسب نظام يلائم نفسية هذا الشعب، ويتجاوب مع رغائبه، ويخدم أغراضه، ويحمى منافعه، هو قيام حكومة جمهورية ديمقراطية حرة"⁽³⁾. وعن النظام الجمهورى تقول المذكرة التفسيرية:

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مرجع سابق.

(2) جاء فى مصادر تاريخية متفرقة أن الأعضاء المؤسسين للحزب الجمهورى إلى جانب الأستاذ محمود هم (مع الاحتراز بأن ربما كانت هناك أسماء لم ترد هنا، ولكنى سأظل أبحث وأدقق فى هذه القائمة الأولية، على أمل أن أقدم دراسة لاحقة بشأن التعريف بالأعضاء المؤسسين للحزب الجمهورى): أمين صديق، ميرغنى حمزة، ذا النون جبارة، أمين مصطفى التنى، عوض لطفى، إبراهيم المغربى، أحمد المبارك عيسى، أحمد يوسف قوى، إسماعيل محمد بخيت، حسن طه، سعد صالح عبد القادر، عبد القادر المرضى، عثمان عتبانى، محمد خير على، محمد صالح التوم، محمود الأزهرى، مكاوى المرضى، منصور عبد الحميد، منير صالح عبد القادر، مهدى أبوبكر، يحيى محمد عبد القادر.

(3) الحزب الجمهورى، **السفر الأول**، مصدر سابق، 1-4.

"إن هذا الحزب، كما هو ظاهر، يرى أن النظام الجمهورى هو أرقى ما وصل اليه اجتهاد العقل البشرى فى بحثه الطويل عن الحكم المثالى وعلى هذا الأساس وللأسباب المذكورة فضّله". وعن أغراض الحزب جاء فى دستوره⁽¹⁾:

الاسم: الحزب الجمهورى

المبدأ: الجلاء التام

الغرض:

أ- قيام حكومة سودانية جمهورية ديمقراطية حرة مع المحافظة على السودان بكامل حدوده الجغرافية القائمة الآن.

ب- الوحدة القومية.

ج- ترقية الفرد والعناية بشأن العامل والفلاح.

د- محاربة الجهل.

هـ- الدعاية للسودان.

و- توطيد العلاقات مع البلاد العربية والمجاورة.

العضوية:

1- لكل سودانى بلغ من العمر 18 سنة.

2- لكل مواطن ولد بالسودان أو كانت إقامته فيه لا تقل عن عشر سنوات لم يبارح خلالها السودان.

مال الحزب: يصرف فى الأغراض التى نشأ من أجلها الحزب.

لخصت المذكورة التفسيرية لدستور الحزب الأولويات والحوائج التى تستدعى التفاتة خاصة من الحزب فى الآتى:

1- العناية بالوحدة القومية، ونرمى بذلك إلى خلق سودان يؤمن بذاتية متميزة

(1) المصدر السابق، 3-4.

ومصير واحد وذلك بإزالة الفوارق الوضعية من اجتماعية وسياسية، وربط أجزاء القطر شماله وجنوبه وشرقه وغربه حتى يصبح كتلة سياسية متحدة الأغراض متحدة المنافع متحدة الإحساس.

2- ترقية الفرد من ناحية الإنتاجية والمعيشية حتى يتمكن من استغلال موارد بلاده الزراعية والصناعية بإنشاء جمعيات تعاونية لهذا الغرض وإنشاء نقابات توجه العمال التوجيه الصحيح.

3- تعليم الفرد حتى يصبح عضواً صالحاً في المجموعة يدرك ما عليه من الواجبات وماله من الحقوق.

4- الدعاية للسودان بشتى الوسائل حتى يتمكن أن يسمع صوته خارج هذا النطاق المحلى الضيق.

5- نحن وإن كنا لا نريد أن نربط بشيء ما فى الوقت الحاضر ولكن لا يمكننا أن نتجاهل الأواصر التى تربطنا بدول الشرق العربى بشكل عام، والمنافع التى تربطنا بالأقطار المجاورة بشكل خاص وسوف تتكيف علاقاتنا مع هؤلاء جميعاً على هذا الأساس.

وعن رؤية الحزب للاستقلال جاء فى السفر الأول: "إن الحزب الجمهورى لا يسعى إلى الاستقلال كغاية فى ذاته، وإنما يطلبه لأنه وسيلة إلى الحرية.. وهى التى ستكفل للفرد الجو الحر الذى يساعده على إظهار المواهب الكامنة فى صدره ورأسه"⁽¹⁾. طالب الحزب الجمهورى بالاستقلال التام، فى الوقت الذى كانت فيه الحركة الوطنية السودانية، بقسميها اللذين يقودهما حزبا الاتحادى والأمة لايناديان إلا بالاتحاد مع مصر (الاتحاديون) أو بالاستقلال فى تحالف مع التاج البريطانى (الأمة). كتب الأستاذ أحمد خير المحامى قائلاً: "ولما وضحت معالم الخلاف واشتد وطيسه بين الاتحاديين والانفصاليين، نشأ الحزب الجمهورى، وهو حزب ينادى باستقلال السودان من مصر وانجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية... لقد برهن رجال الحزب الجمهورى على صدق عزيمتهم وقوة إيمانهم لذلك يتمتعون باحترام الجميع، كما برهن رئيسهم

(1) الحزب الجمهورى، مصدر سابق، ص 5-6.

[الأستاذ محمود] على إخلاص وصلابة وشدة مراس⁽¹⁾. تحدث المؤرخ محمد سعيد القدال كثيراً في دراساته مشيراً للحزب الجمهوري ودوره في الحياة السياسية في السودان، وتميزه باعتباره أول الأحزاب الداعية للاستقلال، وتحدث القدال عن نشر الحزب لبرنامج وأهدافه. وانتقاده للتيارين الكبيرين لارتباطهما ببريطانيا ومصر ولانعدام المذهبية في عملهما، ودعا الحزب إلى استقلال السودان عن بريطانيا ومصر وقيام جمهورية سودانية، وفصل القدال في ذلك⁽²⁾.

بإنشاء الحزب الجمهوري في أكتوبر 1945، برز رئيسه الأستاذ محمود في الساحة الوطنية، قائداً سياسياً مستفرداً في رؤيته وفي صلابته مواقفه. انطلق الحزب في رؤيته السياسية من متطلبات المرحلة، وهي مرحلة النضال من أجل طرد الاستعمار، والتي أطلق عليها مرحلة ملء فراغ الحماس، وتبنى فيها خط المواجهة والصدام مع المستعمر، فسجن الأستاذ محمود رئيس الحزب مرتين قبل نهاية الأربعينات، كما سيرد لاحقاً. ومنذ 30 أكتوبر 1951، والعقود التالية، سطع اسم الأستاذ محمود في سماء الخرطوم، كصاحب مشروع جديد، فانتقل بالحزب الجمهوري من مرحلة ملء فراغ الحماس إلى مرحلة ما أسماه ملء فراغ الفكر (المذهبية). طرح الأستاذ محمود مبادرة خلاقة، تمثلت في مشروع فكري إسلامي جديد. ومنذ أن بدأ في طرح الخطوط العريضة لمشروعه، تجلت فيه طاقة فكرية هائلة، وقدرة عالية على الإنتاج المعرفي والاهتمام بالتوثيق. وتعد حركة التأليف والنشر المستمرين، التي قادها الأستاذ محمود، ثقافة جديدة في الفضاء المعرفي السوداني منذ ظهور طلائع المتعلمين مع بواكير القرن العشرين، كما وردت الإشارة في الفصول السابقة.

فالحزب الجمهوري كان من أوائل الأحزاب الاستقلالية في السودان. وقاد أعضاؤه نضالاً عظيماً ضد الاستعمار. سجن بعضهم بسبب النضال ضد المستعمر. وسجن رئيس الحزب الأستاذ محمود مرتين، الأولى في يونيو عام 1946، والمرة الثانية حينما قاد ثورة رفاعة عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين. كتب الأستاذ يحيى محمد

(1) أحمد خير المحامي، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان، مصدر سابق، ص 95-96.

(2) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820-1955، مرجع سابق، ص 494-495.

عبدالقادر (1914-2011)، الذى كان عضواً فى الحزب الجمهورى، وتركه فيما بعد، كتب يحيى وهو يتحدث عن ثلاثة أطوار مر بها الحزب الجمهورى، قائلاً: "الطور الأول وهو هادئ متزن شغل الأعضاء فيه بالاعداد والتجهيز... وقد أخرجوا فى هذا الطور عدة كتيبات ذات طابع دراسى محض تناولوا فيها شؤوناً مختلفة بعضها اجتماعى والآخر سياسى"⁽¹⁾. وعن الطور الثانى يقول يحيى: "والطور الثانى كان طور العنف والشدة والاضطراب. فقد خرج أفراد الحزب إلى المجتمعات والجوامع والمقاهى يخطبون ضد الاستعمار والحكم الثانى... ويوزعون المنشورات السرية المتضمنة هذه المعانى.. وأسفر هذا الطور عن سجن رئيس الحزب وبعض أعضائه مدداً مختلفة فى كوبر"⁽²⁾. وأضاف يحيى قائلاً: "وكان من أبرز أعمال الحزب خلال هذه الفترة تعاونه مع الجبهة الاستقلالية لمحاربة مشروع اتفاقية صدقي - بيفن التى أقرت وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل.. ثم انسحابه من الجبهة بعد انقشاع هذه المخاوف"⁽³⁾. أما عن الطور الثالث كتب يحيى قائلاً: "أما الطور الثالث وهو طور الانحلال فقد بدأ عقب سجن رئيس الحزب للمرة الثانية لمهاجمته على رأس فريق من الجماهير سجن رفاة وإخراجهم امرأة كانت قد خفضت ابنتها خفاضاً فرعونياً"⁽⁴⁾.

كل هذه الأطوار كانت تقع ضمن المرحلة الأولى وهى، كما أسماها الأستاذ محمود، مرحلة ملء فراغ الحماس. وعندما انتقل الحزب للمرحلة الثانية والتى أطلق عليها الأستاذ محمود فى عام 1951 مرحلة ملء فراغ الفكر (المذهبية)، لم يختلف كثيراً دستور الحزب عما كان عليه فى عام 1945. فقد نشر الحزب بياناً بعنوان: دستور الحزب الجمهورى، متضمناً مذكرة تفسيرية، جاء فى البيان والمذكرة⁽⁵⁾:

الاسم: الحزب الجمهورى

(1) يحيى محمد عبدالقادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، ج3، مصدر سابق، ص 144.

(2) المصدر السابق، ص 144.

(3) المصدر السابق، ص 144.

(4) المصدر السابق، ص 144-145.

(5) الحزب الجمهورى، "مذكرة تفسيرية"، دستور الحزب الجمهورى، دار الوثائق القومية، الأحزاب السودانية، 31/1/2، الخرطوم.

الشعار: الحرية لنا ولسوانا

المبدأ: تحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة والحرية الفردية المطلقة

الوسيلة: قيام حكومة سودانية، جمهورية، ديمقراطية، حرة داخل حدود السودان الجغرافية القائمة الى عام 1934 وذلك بالعمل المتصل لـ:

أ- الوحدة القومية

ب- ترقية الفرد من رجل وامرأة

ج- محاربة الخوف

د- الدعاية للسودان بالعمل الصادق والقول المقتصد

و- توطيد العلاقات مع البلاد الإسلامية والبلاد المجاورة بوجه خاص ومع سائر بلاد المعمورة بوجه عام

العضوية :

أ. لكل سودانى أو سودانية بلغت من العمر 18 سنة

ب. لكل مواطن ولد بالسودان أو كانت إقامته فيه لا تقل عن عشر سنوات لم يغادر خلالها البلاد

مال الحزب : يصرف مال الحزب فى تحقيق الأغراض التى من أجلها نشأ الحزب

مذكرة تفسيرية (تم إبراز بعض الكلمات ووضع خط تحتها، مثلما جاء إبرازها ووضع الخط تحتها فى أصل البيان)

الحزب الجمهورى دعوة الى مدينة جديدة تخلف المدنية الغربية المادية الحاضرة التى أعلنت إفلاسها بلسان الحديد والنار فى هذه الحروب الطواحن التى محقت الأرزاق وأزهقت الأرواح ثم لم تضع أوزارها إلا وقد انطوت الضلوع على حفائظ تجعل فترة السلام فترة استعداد لمعاودة الصيال من جديد بصورة أكثر بشاعة وأشد تسعيراً.. والفلسفة الاجتماعية التى تقوم عليها تلك المدنية الجديدة ديمقراطية اشتراكية تؤلف

بين القيم الروحية وطبائع الوجود المادى تأليفاً متناسقاً مبرراً على السواء من تفريط المادية الغربية التى جعلت سعى الانسانية موكلًا بمطالب المعدة والجسد ومن إفراط الروحانية الشرقية التى اقامت فلسفتها على التحقير من كل مجهود يرمى الى تحسين الوجود المادى بين الأحياء، وطلّاع هذه المدنية الجديدة أهل القرآن الذين قال تعالى فيهم "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" أى وسط بين تفريط الغرب المادى وإفراط الشرق الروحانى ودستور هذه المدنية الجديدة القرآن الذى تقدم بحل المسألة التاريخية التى أعيت حكمة الفلاسفة: مسألة التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة.. وسمة هذه المدنية الجديدة الإنسانية فانها ترى أن الأسرة البشرية وحدة وأن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهى بشرية وأن الحرية والرفاهية حق مقدس طبيعى للأسود والأبيض والأحمر والأصفر. وسيبدأ الحزب الجمهورى بتنظيم منزله، ومنزل الحزب الجمهورى السودان بكامل حدوده الجغرافية القائمة الى عام 1934 ذلك بأن هذه المدنية الجديدة لا بد لها أن تطبق داخل هذه الحدود قبل أن تسترعى انتباه الانسانية اللاعبة الضاربة فى التيه وأول خطوة فى سبيل تطبيقها إجلاء الاستعمار فى جميع مظاهره اجلاءً تاماً ناجزاً. وسلاحنا فى إجلاء الاستعمار عدم التعاون معه أول الأمر ، نبلغ بعدم التعاون هذه درجة العصيان المدنى آخر الأمر ، فإذا تم ذلك فقد أصبح بقاء الاستعمار ضرباً من المحال. وأما سبيلنا إلى تحقيق العصيان المدنى فهو الاستقتال فى سبيل نشر الدعوة حتى تتم لنا الوحدة القومية بخلق سودان يؤمن بذاتية متميزة ومصير واحد يفهم أفرادها المسائل العامة على نحو قريب من قريب فتزول بذلك الفوارق الوضعية من اجتماعية وسياسية فترتبط أجزاء القطر من شماله وجنوبه وشرقه وغربه فيصبح كتلة سياسية واجتماعية متحدة المنافع متقاربة الإحساس .

الحزب الجمهورى: يرسم الطريق ويقدم النموذج للأحزاب

إن الحزب الجمهورى بنشر (قل هذه سبيلى) إنما يرسم الطريق ويضرب الأمثال للأحزاب الأخرى التى تخلفت حتى الآن وعجزت عن نشر أهدافها ووسائلها وأغراضها على الناس. وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأدعو جميع الأحزاب أن تحذو حذو الحزب الجمهورى فتخرج على الناس أهدافها ومراميتها وتتعاون على تربية الشعب تربية سياسية لا بد منها إن أردنا للشعب أن يكون له صوت وكلمة فى حكومته (1).

بشير محمد سعيد (1921-1995)

كان من بين ما يميز الحزب الجمهورى أنه ليس لديه ارتباطات طائفية أو قبلية، ولم تكن له ارتباطات أو علاقات مع الساسة فى مصر أو مع الإدارة البريطانية. ولهذا فهو بعيد عن المفاوضات الفوقية فى نضاله من أجل الاستقلال، فى الوقت الذى كانت فيه جهود الاستقلال تقوم على المفاوضات الفوقية مع دولتى الحكم الثنائى، ولم يخرج السعى إلى الاستقلال من حيز المفاوضات والعمل الفوقى إلى النشاط السياسى العريض، أو العمل الجماهيرى الواسع. (لقد تناول المؤرخ محمد سعيد القدال هذا المعنى فى الكثير من دراساته). الشاهد أن الحزب الجمهورى اتجه إلى مخاطبة الجماهير فى المقاهى والأماكن العامة. يقول الأستاذ محمود: "فانصرفت فى عملى الحزبى إلى تصعيد المعارضة للاستعمار البريطانى فى منشورات بالرونو توزع بالليل وبالنهار على المواطنين..." (2). عمل الحزب الجمهورى بمبدأ المواجهة للمستعمر وسعى لتعزيز خطه الثورى فى مجابهة المستعمر، فظل يطبع المنشورات والبيانات فى مطبعة سرية ويوزعها ليحض الشعب على الثورة ضد المستعمر. وفى هذا كان أول حزب سياسى يستخدم المطبعة السرية، كما شهد بذلك أحمد خوجلى فى حديثه الذى ورد آنفاً. وقد تحدث يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011) بتوسع فى مذكراته الموسومة بـ: "على

(1) بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، صحيفة السودان الجديد، العدد 1630، الأحد 1952/6/8.

(2) محمود محمد طه، تعريف بمحمود محمد طه، (مخطوطة)، مصدر سابق؛ إبراهيم يوسف فضل الله، ذكريات جمهورى، مصدر سابق، ص 127-129.

هامش الأحداث في السودان⁽¹⁾، كما وردت الإشارة، عن نضال الحزب، وأشار إلى أن الرسائل الواردة للحزب كانت تأتي عن طريق عنوانه بصحيفة النيل. وكان من بين أعضاء الحزب الجمهوري أمين صديق، وميرغنى حمزة على، والشاعر منير صالح عبدالقادر (1919-1994) وصديقه الشاعر محمد المهدي المجذوب (1918-1982)، وآخرون سيرد ذكرهم في معرض التناول. وكانت تربط الشاعر المجذوب علاقة خاصة بالأستاذ محمود، وظل على صلة به حتى وفاته عام 1982. وأيضاً جعفر الشريف عمر السورى، الذى ظل على علاقة بالأستاذ محمود وصاحب صلة به إلى حين وفاته (1956-???)⁽²⁾.

أخذ الحزب الجمهوري مبدأ المواجهة، وواجه رئيسه السجن مرتين كما سيرد الحديث لاحقاً، وكذلك بعض أعضائه. ظل الحزب الجمهوري يقدم النموذج للأحزاب من خلال نشره للكتب والنشرات التى تبين أهدافه ووسائله وتحسّر التواصل مع الجماهير، فقدم بذلك معطىً جديداً فى الساحة السياسية السودانية. كتب بشير محمد سعيد (1921-1995) فى 8 يونيو 1952 مقال بعنوان "الجمهوريون يرسمون الطريق"، كتب قائلاً: "أصدر الحزب الجمهوري الذى يتزعمه الأستاذ محمود محمد

(1) يحيى محمد عبدالقادر، على هامش الأحداث فى السودان، مصدر سابق.

(2) حكى لى عبداللطيف عمر حسب الله قائلاً: "يكاد جعفر الشريف عمر السورى يكون أول من سمي ابنه محمود" وكذلك أمين صديق. وأضاف عبداللطيف عمر حسب الله قائلاً: "فى يوم 1951/11/30 أنا أتيت من القضايف فى طريقى إلى عطبرة لمقابلة شقيقى هناك وللعمل فى السكة حديد. وعندما وصلت الخرطوم، وقبل استئناف سفرى إلى عطبرة، ذهبت لزيارة نادى الصبيان، كانت أندية الصبيان فى ذلك الوقت منتشرة، وكان هناك نادى مجاور لنا فى القضايف. عندما دخلت نادى الصبيان فى الخرطوم، وجدت جريدة فقرأتها فوجدت فيها دعوة للحزب الجمهوري، دعوة عامة مفتوحة للجمهور. ذهبت وكان عمرى 17 عاماً، وكانت الدعوة عامة فوجدت من بين الحضور من المشاهير مثل: محمد أحمد المحجوب ود. محمد أحمد آدم، إلى جانب عدد كبير من الحضور. أثناء وجودى فى النادى سمعت أحدهم يقول: من يريد الالتحاق بالحزب الجمهوري فهناك فورمات لتعبثها. كان هذا هو جعفر الشريف عمر السورى. وهو معلم كان يعمل فى مكتب النشر، وكان قائماً بأعمال السكرتارية. ذهبت وملأت الفورم. وزاد عبداللطيف قائلاً: "فى يوم من الأيام نزلنا من مكتب الحزب بعمارة أبنعوف وكنت مع الأستاذ محمود وجعفر السورى. فقال لى جعفر إنت يا عبداللطيف ما بتكلم مالك فقال الأستاذ محمود: "الصفير صمته خير من كلامه". وعن انتقال جعفر الشريف السورى يقول عبداللطيف: "حينما انتقل جعفر الشريف عمر السورى، كان الأستاذ محمود، أرسل برقية قبيل وصوله بيومين، كان نص البرقية يقول: "فقد جعفر جليل، ولكن فى الله عنه عوض". ثم وصل الأستاذ محمود بعد يومين. المصدر: مقابلة مع عبداللطيف عمر حسب الله، أمدرمان، يوم 2011/7/30، الساعة 11:00.

طه كتيباً يشتمل على أهداف الحزب وعلى مذكرة تفسيرية حول تلك الأهداف، والكتيب في مظهره متواضع من حيث طباعته وورقه، ولكنه من حيث معناه بلا شك فتح جديد في دنيا سياستنا المحلية⁽¹⁾. ثم تحدث عن الحزب السياسى باعتباره مجموعة من الناس تجمع بينها مبادئ خاصة وأهداف واضحة لخدمة المجتمع وخيره، يكتمل تعريفه بنشره لأهدافه ووسائله وأغراضه ومنهج عمله. ثم قدم نقداً لعدم نشر الأحزاب لأهدافها، كما ورد آنفاً في صدر هذا المحور: "إن الحزب الجمهورى بنشر (قل هذه سبيلى) إنما يرسم الطريق ويضرب الأمثال للأحزاب الأخرى... إلخ⁽²⁾". كان الحزب الجمهورى قد أصدر فى عام 1952 كتاباً بعنوان: قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة⁽³⁾. وجاء فى إهدائه: "إلى الإنسانية التى أزرّت بها ضراوة الوحشية فأفسدت فى الأرض وقطعت أرحامها نقدم المدنية التى تقوم على العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى".

يبدو أن الحزب الجمهورى قد أتى بتقاليد وأسس جديدة فى الساحة السياسية وفى الممارسة الحزبية، فقد نشرت صحيفة الزمان فى عددها الصادر فى يوم الاثنين 1958/6/9، خبر عقد الحزب الجمهورى لمؤتمره الأول لتدارس فكرة الحزب وماضيه ومستقبله. وفى تقديرى فإن هذا المؤتمر من أوائل المؤتمرات التى ينظمها حزب سياسى على هذا النحو. كتبت الصحيفة تحت عنوان: "المؤتمر الدراسى الأول للحزب الجمهورى"، قائلة:

"قرر الحزب الجمهورى عقد مؤتمر دراسى فى اليوم الخامس من هذا الشهر يشترك فيه مندوبو الحزب من الخرطوم ومدنى وبورتسودان والروصيرص يقيم فيه الأعضاء سبعة أيام يتدارسون فكرة حزبهم وماضيه ومستقبله. فنرجو أن يبارك الله هذه الخطوة ويحقق الخير منها.. سيكون المحل دار الحزب الجمهورى بمدنى وسينصب صيوان للاجتماع به مع عقد بعض الجلسات بغاية أم بارونة. والحضور قاصر على أعضاء الحزب ما عدا مساء اليوم الأخير حيث تقام ليلة سياسية عامة"⁽⁴⁾.

(1) بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة، دار الطباعة السودانية، الخرطوم، 1952.

(4) "المؤتمر الدراسى الأول للحزب الجمهورى"، صحيفة الزمان، العدد: 97، الاثنين 1958/6/9.

ثم أتبع **صحيفة الزمان** خبر انعقاد المؤتمر بالبرنامج الذى سيطرحه الحزب على الأعضاء للتداول فى المؤتمر، كتبت الصحيفة قائلة:

"يشتمل البرنامج على الآتى:

فكرة الحزب: يقدمها الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب، يوم الأحد والاثنين وصباح الثلاثاء ومساء الخميس والجمعة.

تاريخ الحزب: يقدمه الأستاذ ذا النون جبارة، مساء الثلاثاء.

اقتصاديات السودان: يقدمها الأستاذ أحمد كرار، الأربعاء.

تنظيم الحزب: يقدمه الأستاذ حسن صادق، صباح السبت.

ليلة سياسية: مساء السبت يتكلم فيها زعماء الحزب الجمهورى عن فلسفة الحكم ومستقبل الديمقراطية، ومستقبل الاقتصاد⁽¹⁾.

مواعيد الجلسات: فى الصباح من الساعة السادسة إلى الواحدة ظهراً مع رفع الجلسات من الساعة التاسعة إلى العاشرة والنصف للفقور وفى المساء من الخامسة إلى العاشرة مع رفع الجلسات لصلاة المغرب والعشاء. سكرتارية الحزب الجمهورى⁽²⁾.

الشاهد أنه من خلال رئاسته للحزب الجمهورى قدم الأستاذ محمود نموذجاً جديداً للقائد السياسى صاحب الرؤية، والمفكر الكبير صاحب العقل العبرى والإنتاج المعرفى الوفير. وهذا فى حد ذاته أمر جديد وغير مألوف بين طلائع المتعلمين. ففى تلك الفترة كان معظم طلائع المتعلمين قد دخلوا إلى ساحة العمل العام عبر الشعر العربى والأدب. لقد كان البون شاسعاً بين الأستاذ محمود وأنداده من طلائع المتعلمين، حينما دلفوا إلى ساحة العمل العام. كان هو قائداً سياسياً حراً، ومفكراً كبيراً، بينما كان معظم طلائع المتعلمين يدورون فى نشاطهم السياسى حول حركتى الاستقلالية والاتحادية، كما أن كثيرين منهم دخل إلى ساحة العمل العام عبر بوابة الشعر العربى. كتب محمد سعيد القدال

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(1935-2008) قائلاً: "إن الأستاذ محمود يمتلك قدرات فكرية إذا ما قيس بالسياسيين المعاصرين له"⁽¹⁾. تبنى الحزب الجمهورى خط المواجهة والصدام مع المستعمر، فسجن الأستاذ محمود مرتين قبل نهاية الأربعينيات. ولم تكن مواجهة المستعمر من مبادئ الأحزاب الأخرى، يقول الأستاذ محمود: "الحزب الجمهورى كان وحده فى الميدان. سنة خمسة وأربعين نحننا كنا وحدنا البنواجه الإنجليز، وقلنا أنه فى فراغين فى الحركة الوطنية: فى فراغ الفكرة، وفى فراغ الحماس فى مواجهة الاستعمار. فراغ الفكرة، نحننا كنا نشعر بأنه الإسلام هو الفكرة، لكننا لم نكن نملك التفاصيل ليها، وكنا نعتقد إننا نستطيع أن نملك مواجهة الإستعمار"⁽²⁾. بدأت مرحلة ملء فراغ الفكر مع بداية الخمسينيات. فمنذ يوم 30 أكتوبر 1951، والعقود التالية، سطع اسم الأستاذ محمود فى سماء الخرطوم كمفكر كبير، صاحب مشروع جديد، بعد أن انتقل بالحزب الجمهورى من مرحلة ملء فراغ الحماسة إلى مرحلة ما أسماه ملء فراغ الفكر. طرح الأستاذ محمود مبادرة خلاقة، تمثلت فى مشروع فكرى إسلامى جديد، وهذا ما سأتناوله لاحقاً.

جبهات الصدام والمواجهة

قدم الأستاذ محمود نموذجاً جديداً وفريداً للقائد السياسى، فى الرؤية، وفى التطبيق العملى لمتطلبات العمل الوطنى للمثقفين، سواء فى مصادمة المستعمر أو فى مواجهة الطائفية. نادى الأستاذ محمود تحت مظلة الحزب الجمهورى باستقلال السودان من مصر وانجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية. كما اتسمت مواقفه بالصدق فى العزيمة، والصلابة فى الموقف ضد المستعمر والطائفية، وضد خيارات المثقفين، التى راهنت على التسوية مع الطائفية، ونهج المساومة والمهادنة والتحالف مع القوى الاستعمارية (مصر وانجلترا). قدم الأستاذ محمود نموذج القائد السياسى الذى يتبع القول بالعمل، وسبق أنداده من طلائع المتعلمين فى الحنكة السياسية، والصلابة فى مواجهة المستعمر. لقد وزع الحزب الجمهورى المناشير، وخطب رئيسه وقادته فى الأماكن العامة والمقاهى ضد

(1) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820-1955، مرجع سابق، ص 495.

(2) محمود محمد طه، "الاستقلال وقضايا الشعب"، (محاضرة)، مصدر سابق.

المستعمر. قال العلامة عبدالله الطيب فى قصيدته "مصاب وحزن"⁽¹⁾، التى رثا بها الأستاذ محمود بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه عام 1985، (أبيات متفرقة):

وطنىّ مجاهد وأديب منشئ، فى بيانه تجويد
وخطيب مؤثر ولديه سرعة الردّ والذكاء الفريد
وجرى، وشخصه جذّاب ولدى الجِد، فالشجاع النجيد
ذاق سجن المستعمرين قديماً ومضت فى الكفاح منه العقود
سبق الناس فى السياسة رأياً حين فيها تفكيرهم محدود

الأستاذ محمود وطلّاع المتعلمين والطائفية

الملاحظ أن الأحزاب فى السودان على وجه العموم تتمتع بكسل ذهنى لا حد له وإنها تنتظر التأييد والمساندة دون أن تقوم بأقل مجهود لكسب التأييد ونيل الثقة ولولا هؤلاء الأتباع الدينون الذين هم رهن الإشارة لما حسبنا أن مجهود الأحزاب وحدها يكفى لأداء رسالتها على الوجه الأكمل... إعجابنا بهذا المثل الحسن الذى يضره الجمهوريون فى الثبات على المبدأ والدفاع وعدم تهريبهم فى [هكذا] المسؤولية التى أضطلعوا بها مختارين. ثم أن الجمهوريين حين يقررون أمراً أو يقومون بدعوة يظهرون من الجِد والحزم والبلاء الحسن ما يشرفهم كل التشريف⁽²⁾.

صحيفة الرأى العام، فى الكلمة الافتتاحية، فى يوم 28 أكتوبر 1946

عاب الأستاذ محمود على المثقفين من طلائع المتعلمين لهائهم وراء الطائفية، ووصف الطائفية بالبغيضة، وبأنها تجميد لوعي المواطنين، ودعا إلى عزل الطائفية من الحركة الوطنية. ظل الأستاذ محمود على هذا الموقف من الطائفية، وظل يشير فى معظم كتاباته منذ إصداره السفر الأول عام 1945، وحتى آخر ما كتبه وهو نص الديباجة، الذى كتبه فى

(1) عبدالله الطيب، "مُصاب وحَزَن"، صحيفة الصحافة، العدد: 8096، الأربعاء 26/6/1985، ص 9.

(2) "مجاهدون"، خواطر، الرأى العام، السنة الثانية، العدد 479، الاثنين 3 ذو الحجة 1365 - 28 أكتوبر سنة 1946، الخرطوم.

المعتقل في 30 أكتوبر 1984، كتب الأستاذ محمود في الديباجة قائلاً:

أما نحن السودانيون فقد بلونا أسوأ ألوان الحكم النيابي، في محاولتنا الأولى، في بدء الحكم الوطني، وفي محاولتنا الثانية، بعد ثورة أكتوبر 1964. فقد كانت أحزابنا السياسية طائفية الولاء، طائفية الممارسة، فهي لم تكن تملك مذهباً في الحكم.. والطائفية نقيض الديمقراطية.. ففي حين تقوم الديمقراطية على توسيع وعي المواطنين، تقوم الطائفية على تجميد وعيهم⁽¹⁾..

نقد الأستاذ محمود ما لاحظته من تراخ من الحركة الوطنية في مواجهة الإنجليز، ونقد أسلوب المذكرات الذي لا يخدم إشراك الشعب في النضال ضد المستعمر، وإن إشراك الشعب يجعل للاستقلال معنى، ويحقق فرص البناء الوطني الجماعي. ولاحظ الأستاذ محمود أيضاً، أن الحركة الوطنية تعيش في انعزال عن الشعب وقضاياه، وتبادل المذكرات مع المستعمر بوصاية على الشعب وبدون تنوير له. كما عاب على كل قادة الحركة الوطنية بشقيها: الاستقلالي والاتحادي (جماعة الأشقاء وجماعة الأمة) صراعاتهم وانقساماتهم ونهجهم المساوم ومسلكتهم الناعم في النضال من أجل الاستقلال. ونبه إلى خطورة آثار تلك الانقسامات، وإلى خطورة انعكاسات النهج المساوم والناعم في النضال. عبر عن كل ذلك في مناشير وبيانات كانت تُنشر في مناسبات مختلفة، ولعل من أكثرها قوة ووضوحاً ذلك المنشور الذي أصدره الحزب الجمهوري في يوم 18/2/1946. حينها كانت الحركة الوطنية في أوج انقساماتها، وهي تتمحور حول حركتي الاستقلال والاتحاد (الاتحاد مع مصر). كما كانت هناك حالة استقطاب حادة للمثقفين من قبل الطائفية بشقيها الاستقلالي والشيقي الآخر الداعي للاتحاد مع مصر. جاء فيه:

“هذا نذير من النذر الأولى

يا جماعة الأشقاء ويا جماعة الأمة - أيها القاسمون البلاد باسم الخدمة الوطنية -
أيها القادحون قادحات الاحن بين أبناء الأمة - أيها المذكون ثائرات الشر والفرقة
والقطيعة، أيها المرددون النعمة المشئومة - نعمة الطائفية البغيضة - إنكم لتوقرون

(1) محمود محمد طه، الديباجة، مصدر سابق، ص 3.

أمتكم وقرأ يؤودها.. يا هؤلاء، وهؤلاء، أنتم تلتتمسون الحرية بالانتماء إلى المصريين فتمسكون بأسباب رمام، وأنتم تلتتمسون الملك بالبقاء تحت الإنجليز فتتهيئون لدور الهر الذي يحكى بانتفاخه صولة الضرعغام.. أنتم تريدون إبقاء المصريين، وأنتم تريدون إبقاء الإنجليز، فإذا اجتمعت كلمتكم فإنما تجتمع على إبقاء المصريين والإنجليز معاً.. يا هؤلاء، وهؤلاء، أنتم تتمسحون بأعتاب المصريين لأنكم لا تقوون على مواقف الرجال الأشداء، وأنتم تتمسحون بأعتاب الإنجليز لأنكم صورتم المجد في أخلادكم صوراً شوهاء.. أنتم تريدون السلامة، وأنتم تريدون الملك.. أنتم تضيعون البلاد لما تجبنون وأنتم تضيعون البلاد لما تطمعون.. أنتم تستغلون سيداً لا يعرف ما تريدون، وأنتم يستغلكم سيد يعرف ما يريد، والبلاد بينكم أنتم، وأنتم، على شفا مهواة ومهانة.. فليطف الله ببلاد لا يخدم نهضتها إلا صغار الموظفين، أو كبار الموظفين، وليتدارك الله ديناً باسمه يحيا أناس في برد العيش، وقرار النعمة، ورخاء الدعة، وباسمه هم لأبنائه يكيدون.. يا هؤلاء، وهؤلاء: إن الله لواحد، وإن الدين لواحد، وإن الوطن لواحد، فقيم تنقسمون على هذا النحو المزرى. يا هؤلاء، وهؤلاء: كونوا ليوناً غضاباً، أو فكونوا قردة خاسئين، وارحموا شباب هذا الوادى المسكين، فقد أوسعتموه غشانة وحقارة وهواناً.. يا هؤلاء، وهؤلاء -لأنتم أشأم على هذه البلاد من كل شؤم وشؤم.. أيها السادرون من هؤلاء وهؤلاء، لا تحسبن الكيد لهذه الأمة مأمون العواقب، كلا!! فلتشهدن يوماً تجف لبهته سؤاله أسلات الألسن، يوماً يرجف كل قلب، ويرعد كل فريضة.. أما بعد: فهذا نذير بين يدي صاخة، تمزق مسامع من أصمّه الطمع" (1).

جدير بالإشارة أنه على الرغم من موقف الإخوان الجمهوريين المعلن والموثق والمستمر ضد الطائفية منذ بداية الأربعينيات من القرن الماضي، ودعوته إلى عزلها من أن تصبح المسيطر على الحركة الوطنية، على الرغم من ذلك فقد كان الجمهوريون يقدرّون دور رجال الحركة الوطنية، ويقدرّون دور السيد على الميرغنى والسيد عبدالرحمن المهدي. فقد جاء في كتابهم: معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، خلال ثلاثين عاماً، (1945-1975) - الكتاب

(1) الحزب الجمهوري، "هذا نذير من النذر الأولى" (منشور)، بتاريخ 18/2/1946.

الأول: "ولكن لم يغيب عن بالنا، نحن الجمهوريين، وما ينبغي أن يغيب عن بال أحد، أن رجال الحركة الوطنية الآخرين قد أدوا دوراً مقدراً في سبيل جلاء الاستعمار، وفي إتمام السودان، وإقامة أول حكومة سودانية بعد الاستقلال.. فإن الدور الذي قام به رجال مثل: السيد علي الميرغني، والسيد عبدالرحمن المهدي، وأعوانهما من السياسيين، دور كبير"⁽¹⁾.

الأستاذ محمود أول سجين سياسي بعد ثورة 1924 في السودان

السجن الأول يونيو 1946

فقد عرف الجمهوريون بصلاتهم ورفضهم لكل ما يؤثر على حرية البلاد وعلى حرية الأفراد. ومن جراء ذلك شرد الجمهوريون وسجنوا، فكانوا أول من دخل السجون من السياسيين بعد حركة عام 1924⁽²⁾.

من خلاصات قرارات مؤتمر الحزب الجمهوري يوم 1968/12/20

عندما اشتد نشاط الحزب الجمهوري عبر المناشير، والخطب في الأماكن العامة ضد المستعمر. تم اعتقال الأستاذ محمود في يونيو من عام 1946، وتم تقديمه إلى المحاكمة، حيث خُير بين السجن لمدة عام، أو إمضاء تعهد بعدم ممارسة العمل السياسي فاختر السجون دون تردد. وما أن دخل الأستاذ محمود السجن إلا وغطت الصحف المحلية في الخرطوم خبر محاكمة الأستاذ محمود ورفضه توقيع التعهد وتفضيله للسجن. نشرت صحيفة الرأي العام تحت عنوان: "رئيس الحزب الجمهوري في السجن"، وجاء في تفاصيل الخبر:

"مثل الأستاذ محمود محمد طه المهندس أمس أمام قاضي الجنايات المستر مكداول متهماً من بوليس الخرطوم تحت قانون التحقيق الجنائي لتوزيعه منشورات سياسية من شأنها الإخلال بالأمن العام، وقد أمره القاضي أن يوقع على صك بكفالة شخصية بمبلغ خمسين جنيهاً لمدة عام لا يشغل خلالها

(1) الإخوان الجمهوريون، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، خلال ثلاثين عاماً، (1945-1975)- الكتاب الأول، أندرمان، 1976، ص 6.

(2) الحزب الجمهوري، المواجهة طرف من الجهاد الأكبر، خلاصات قرارات مؤتمر الحزب بمدني عيد الفطر عام 1388، الموافق 20 ديسمبر 1968، ص 4-5.

بالسياسة ولا يوزع منشورات. ويودع السجن لمدة سنة إذا رفض ذلك.. ولكن الأستاذ محمود رفض التوقيع، مفضلاً السجن، وقد اقتيد لتوه إلى سجن كوبر ولم تستغرق هذه الإجراءات كلها غير وقت يقل عن ساعة⁽¹⁾.

كان الأستاذ محمود بذلك أول سجين سياسى بعد ثورة 1924. ولم يكن السجن عند الأستاذ محمود إلا فرصة للاستمرار فى المقاومة للمستعمر من خلال عصيان أوامر إدارة السجن، وعدم تنفيذ أوامر السجن، فى حين واصل رفقاؤه فى الحزب مقاومتهم خارج السجن. ففى داخل السجن ظل الأستاذ محمود يخالف تعاليم السجن ولا ينصاع لقوانينه وأوامره ويرفض القيام لمدير عام السجون عند مروره الروتينى، مما حدا بإدارة السجن أن تضع الأستاذ محمود فى الزنزانة (الحبس الانفرادى)، قبل المرور الروتينى لمدير السجون، يقول الأستاذ محمود:

"فى الزنزانة أنا بصوم ما يسمى بالصيام الصمدى عند الصوفية.. الحركة الوطنية بتاعتنا نحن الجمهوريين فى خارج السجن كانت بتشوشر شوشرة كبيرة وترفع المسألة دى وأنه محمود لسوء المعاملة فى السجن مضرب عن الطعام فحصلت قلاقل شديدة جداً ليهم.. قاموا فكروا فى أنو الموضوع دا ما ينتهى كدة وما فى فائدة فيه وبرضو المديرين بتاعين السجن ذكروا لمدير عام السجون أنو الحكاية البيعملها محمود دى راح تثير بعض المساجين للمعارضة لأنو هو متمرد ونحن كل البنعملو ليهو بنوديهو الزنزانة ودا بزيد عطف الجماعة المساجين فى الدرجة الثانية عليه، فأحسن يكون فى إفراج عنه.. بعد الخمسين يوم كان فى اقتراح للحاكم العام أن يفرج عنى كعمل رحمة.. وجاء فعلا الجواب بأن يفرج عنى بعد الخمسين يوم كتدخل من الحاكم العام رحمة منه"⁽²⁾.

الشاهد أن الأستاذ محمود لم يستخدم سلاح الصيام كأداة احتجاج، فى السجن الأول والسجن الثانى الذى سترد الإشارة إليه، ولم يكن غرضه من الصيام الاحتجاج، ولكن إدارة السجن والناس فى الخارج قد فهموا أن صيام الأستاذ محمود هو إضراب عن الطعام. لقد أوردت صحيفة الراى العام، تحت عنوان: "إضراب رئيس الحزب الجمهورى عن الطعام"، وجاء

(1) "رئيس الحزب الجمهورى فى السجن"، صحيفة الراى العام، يوم 1946/6/3.

(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

فى بعض تفاصيل الخبر: "وعلمنا أن رئيس الحزب الأستاذ محمود محمد طه المعتقل فى سجن ودمدنى قد أضرب عن الطعام احتجاجاً على اعتقاله بدون محاكمة"⁽¹⁾. تطورت المواجهة داخل السجن بين الأستاذ محمود وإدارة السجن وتطور الصراع، يقول محمد محمد الأمين:

"من وحي هذا الصراع استشار الحاكم العام السيد الدرديرى محمد عثمان...، فقال له الدرديرى أنه يعرف الأستاذ محمود منذ الصبا فهو لا يتنازل عن رأى يراه الحق حتى لو أدى ذلك إلى موته.. فأصدر الحاكم العام قراراً باطلاق سراح الأستاذ محمود دون قيد أو شرط بعد خمسين يوماً فقط فلم يكمل العام المقرر فى الحكم الأساسى"⁽²⁾.

أدى نبأ اطلاق سراح الأستاذ محمود، تماماً كنبأ سجنه، إلى تجاوب واسع من قطاعات الشعب، أظهرته برقيات التأييد التى انهمرت على الحزب من كافة محافظات السودان. ومن تلك البرقيات النماذج التالية:

إلى سكرتير الحزب الجمهورى - أمدرمان: "كان سجن الرئيس درساً وطنياً قيماً لشباب الجيل فى الإيمان والروح وقد سررنا لخروجه لا شفقة عليه ولكن ليوصل الجهاد الوطنى". حسن بابكر، القصارف، 1946/7/24.

إلى محمود محمد طه، الحزب الجمهورى، أمدرمان:
"تأكل النار الصدا واللمما وبها يسمو كريم الذهب
ويرى الحر العذاب المؤلماً لذة فى الحق ياللعجب
يا سجيناً قدره قد عظما وسما حتى جثا فى السحب"
أحمد محمد عثمان - عطبرة 1946/7/29.

إلى الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى، أمدرمان: "أعضاء جبهة المؤتمر الوطنية بالأبيض يرون فى خروجك من السجن آية واضحة للإيمان بالوطنية الصادقة

(1) "إضراب رئيس الحزب الجمهورى عن الطعام، والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه"، صحيفة الرأى العام، العدد: 453، الخميس 27 سبتمبر 1946.

(2) محمد محمد الأمين، "فى ذكرى الاستقلال: كيف تمكن الأستاذ محمود محمد طه من انتزاع حقوق السجين السياسى؟"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2012/12/29، الموقع على الإنترنت: <http://www.alfikra.org>.

ويعدّون جهادكم رمزاً للكرامة السودانية، فبقلوب مفعمة بالغبطة يشاركون إخوانهم الجمهوريين السرور بعودتكم لميدان الجهاد" السكرتارية 1946/7/24.

إلى أمين صديق، البوستة الخرطوم للرئيس: "دخلته رجلاً وغادرته بطلاً وضربته مثلاً"، على عبد الرحمن، الأبيض 1946/7/23.

إلى سكرتير الحزب الجمهوري، الخرطوم: "إن جميع أعضاء الجبهة الوطنية بسنجه مستبشرون بالافراج عن رئيس حزبكم العظيم وهم جميعاً يتهلون الى الله أن يسدد خطاكم ويتمنون للرئيس العافية وحسن الجهاد". سكرتير عام الجبهة الوطنية، سنجه، 1946/8/2.

إلى محمود محمد طه - أمدرمان: "عرفنا فيك المثل الأعلى منذ عهد الطلب، فسرّنا أن يعرف القاصي والداني هذا القلب الكبير" صديق الشيخ، كوستي 1946/7/30.

إلى محمود محمد طه، أمدرمان: "أوفيت كرامة السودان وإيائه حقهما - فلتعش رمزاً صادقاً للوطنية الخالصة، لك تقديرنا واعجابنا"، اتحاد طلبة كردفان، الأبيض 1946/7/23.

إلى محمود محمد طه، أمدرمان: "لقد سجلت بعزمك القوى وإيمانك الصادق فخراً للأجيال فلتعش مرفوع الرأس - لك منى التهاني؟"، الطيب حسن، عطبرة 1946/7/24.

هذه مجرد نماذج من البرقيات التي انهمرت على الحزب الجمهوري ورئيسه من كافة محافظات وأقاليم السودان. لقد أوضحت هذه البرقيات بجلاء نجابة قول الأستاذ محمود بإشراك الشعب في تحمل مسؤوليته في استقلاله وها هو إشراك الشعب في قضاياها قد آتى ثماره.

السجن الثاني سبتمبر 1946

لقد أصدر الحزب الجمهوري النشرات وخطب أعضاؤه وحذروا وأنذروا وأخيراً ذهبوا إلى السجن وفقد بعضهم وظائفهم وامتيازاته في سبيل ما اعتقدوا أنه حق، جدى أيتها الأحزاب كما يجد الجمهوريون وإن اختلفت معهم فى الوسائل فالذى نطلبه، أن يكون صاحب الدعوة جاداً فيها لا أن يطنطن فى محيطه الضيق ويختار الراحة والنعمة وأمن الوظيفة ونعمة البعد عن مزعجات الليالى⁽¹⁾.

صحيفة الرأى العام

(1) "مجاهدون"، خواطر، صحيفة الرأى العام، مصدر سابق.

بعد إطلاق سراح الأستاذ محمود واصل الحزب الجمهورى نضاله ضد الإنجليز، حتى حانت في سبتمبر 1946 فرصة أخرى لتصعيد المقاومة، إذ قامت سلطات الاستعمار بتفعيل قانون منع الخفاض الفرعوني والذي كان قد صدر في ديسمبر من عام 1945، وبناءً عليه قامت السلطات في رفاة بسجن أم سودانية خففت بنتها خفاضاً فرعونياً، فنهض الأستاذ محمود إلى التصدي لحادثة الاعتقال هذه، معتبراً أن الاستعمار بتفعيله القانون في مواجهة عادة متأصلة لا يمكن محاربتها بالقوانين، إنما يرمى إلى اضمحاء الشرعية على حكمه عن طريق إظهار نفسه محارباً لعادات الشعب السيئة من ناحية، وإظهار السودانيين كشعب غير متحضر مستحق للوصاية من ناحية ثانية. خطب الأستاذ محمود خطبة قوية في مسجد رفاة مستنهضاً الشعب للدفاع عن المرأة التي أقتيدت من بيتها إلى ظلمات السجن. فتوحدت المدينة بأكملها خلفه في ثورة عارمة تصاعدت وأدت إلى إطلاق سراح المرأة، برغم المواجهة العنيفة التي ووجهت بها من قبل السلطات والتي وصلت لحد إطلاق النار على الشعب. تمخضت ثورة رفاة عن سجن الأستاذ محمود لمدة سنتين، حيثُ سجن في سجن ودمدنى لبعض الوقت، ثم أتم باقى مدة السجن في سجن كوبر بمدينة الخرطوم بحرى. ففى السجن الثانى عام 1946 الذى بدأ فى مدينة مدنى ثم انتهى فى سجن كوبر واستمر لمدة سنتين، استخدم الأستاذ محمود أسلوب الصيام للمرة الثانية. يقول الأستاذ محمود: "بدت [بدأت] بطبيعة الحال بنفس الأسلوب بتاعى الذى هو الصيام الصمدى فكان سبعة أيام ما فيها أكل ولا شراب لا بالليل ولا بالنهار"⁽¹⁾. وكان يخالف القوانين يقول الأستاذ محمود: "لابد أن أحدث حاجة فى داخل السجن هى المخالفة لتعاليم السجن وقوانين السجن وأوامر السجن"⁽²⁾. كان الأستاذ محمود يعرف تماماً بأنه سجين سياسى، ففى حوارهِ مع ضباط السجن يحكى لنا الأستاذ محمود قائلاً: "كانوا اثنين إنجليز .. أنا قلت ليهم: أنا ما عندى معاكم انتو حاجة شخصية.. الحكومة ما بتعترف بالمسجون السياسى، لكن [هذا] سجن سياسى بطبيعة حاله.. كونه ما بتعترف بيهو دا ما بغير الحقيقة دى ويبقى حاكم تعرفوها وتحترموها". ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً وهو يتحدث مع ضباط السجن:

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

إذا كان أنا مسجون سياسى وأنا بقول للحاكم العام إنت تخرج من البلد لا يمكن أن أطيع أوامرهم وانتو موظفين صغار وإنجليز .. فإنتو ما تعتبروا المسألة دى حاجة بينى وبينكم خاصة .. وفعلا فهموها بالصورة دى .. فلمن يمروا أنا ما يقوم ليهم، أنا بجلس، ودى كبيرة جداً عندهم .. هى عند السودانى برة السجن كبيرة كانت ، كيف وهو مسجون .. ودى كانت بتقتضى أن أعاقب بززانة .. وكان عندنا فى كل يوم اتنين يمر مدير عام السجن .. يوم الأحد قبله يمر مدير السجن (1).

كتب الشاعر محمد المهدي المجذوب فى ديباجة قصيدته "المجاهد" والتي نظمها فى أوائل مارس عام 1947، وكان محورها الأستاذ محمود، وبلغ عدد أبياتها ستة وستين بيتاً، وضمنها ديوانه "نار المجاذيب"، كتب المجذوب فى ديباجة القصيدة قائلاً: "قيلت هذه القصيدة بعد أيام من الزيارة الرسمية لسجن (كوبر) وقد منعت سلطات السجن يومذاك أعضاء الحزب الجمهورى من زيارة رئيسهم المجاهد محمود محمد طه". قال فى قصيدته (أبيات متفرقة):

يا صاحبي والسجنُ فرق بيننا زمناً على قلبى الوحيد طويلا
ما السجن هل مسخ الرجال أعزة والغمدُ هل أكل الحسام صقيلا؟
أسمعت أبطال (الأشقة) كذبوا معنى الجهاد وآثروا التأويلا
وطنى بُليت على الخطوب ولم تجد أسفاً يهز لك القلوب دخيلا
قد خاب ظنك فى بنيك أذلة أتراك تدمن وعدهم مظلولا
بات الرجال على الخيانة والخنى وجعلت قيدك للوفاء مقبلا
قلَّبتَ يا وطنى السيوف كثيرةً حتى وجدتَ حسامك المأمولا
أنظرُ حسامك ذو المضاء مُحجَّبٌ فى السجن يبرقُ حده مصقولا
محمودُ يلمعُ فى عَمَايَةِ كُوبِرٍ مثل الهلال وضاءةٍ ونحولا

محمد المهدي المجذوب (1918-1982) (2)

(1) المصدر السابق.

(2) محمد المهدي المجذوب، "المجاهد" (قصيدة)، نار المجاذيب، (ديوان شعر)، وزارة الإعلام والشؤون الاجتماعية، 1969، الخرطوم، ص 189-192.

الشاهد أن النضال الوطني للأستاذ محمود موثق شعراً وفي الدوريات والوثائق، وظل ساطعاً وواضحاً إلا لدى المؤرخين وفي صحائفهم، فلم يرد له ذكر، وكذلك لدى معاصري الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين عندما كتبوا مذكراتهم وسيرهم الذاتية، فقد أغفلوا ذكر الأستاذ محمود، وحجّبوا نضاله وجهاده ضد المستعمر، وسيأتى تفصيل ذلك لاحقاً.

بعد إتمامه لمدة سجنه فى العام 1948 خرج الأستاذ محمود إلى مدينة رفاعه حيث اعتكف لمدة ثلاث سنوات فى خلوة عن الناس، حيث أتم ما كان قد بدأه فى سجنه من تهيه لدعوته الاسلامية. كان الحزب الجمهورى طوال فترة اعتكافه قد توقف نشاطه، وكان أفراداه ينتظرون خروج قائدهم من اعتكافه. خرج الاستاذ محمود من اعتكافه فى أكتوبر 1951 ودعا الحزب الجمهورى الى اجتماع عام عقد فى 30 اكتوبر 1951. فى هذا الاجتماع طرح الأستاذ محمود المذهبية الإسلامية الجديدة، والتي تقوم على الحرية الفردية المطلقة، والعدالة الاجتماعية الشاملة، ليتجه الحزب الجمهورى من ملء فراغ الحماسة الى ملء فراغ الفكر، ومن ثم الإعلان عن المشروع الإسلامى التجديدى. وهذا ما ساقف عليه فى فصل لاحق.

العضوية فى الجبهة الاستقلالية الأولى 1946

فور الإعلان عن بروتوكول صدقى - بيفن عام 1946، الذى وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل، بدأ فى الخطوط الاحتجاج وتوسع ثم تبلور فى نشأة الجبهة الاستقلالية الأولى، التى ضمت نفراً من المواطنين، ثم لحقت بهم فيما بعد بعض الأحزاب والهيئات. كان الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى من المؤسسين لهذه الجبهة، الجبهة الاستقلالية الأولى. جاء فى موقع حزب الأمة القومى على شبكة الإنترنت: "بادر حزب الأمة بتكوين الجبهة الاستقلالية للعمل على إنهاء الحكم الثنائى والتى تشكلت فى 28 أكتوبر 1946 فى دار حزب الأمة من: حزب الأمة، حزب القوميين الأحرار، حزب الأحرار، الحزب الجمهورى، ونفر من المستقلين"⁽¹⁾. كما أوردت صحيفة الراى العام قائلة: "تجتمع الجبهة

(1) عن حزب الأمة، التاريخ: المراحل السبعة، "المرحلة الأولى: تكوين الحزب 1945 وحتى انقلاب 1958"، حزب الأمة القومى، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2010/8/23، الموقع على الإنترنت: <http://www.umma.org>

الاستقلالية بدار حزب الأمة يومياً الجبهة الاستقلالية الجديدة المؤلفة من حزب الأمة والقوميين والجمهوريين وقسم من حزب الأحرار لمحاولة إقرار خطة مشتركة للتعاون في الكفاح بين هذه الأحزاب وتألّفت لهذا الغرض لجنة فيها عضو واحد من كل حزب لدراسة التفاصيل المتعلقة بهذا الأمر وعرضها على الجبهة⁽¹⁾.

كان الحزب الجمهوري حاضراً وبقوة، فقد نشرت صحيفة الرأي العام تغطية للمذكرة التي رفعتها الجبهة الاستقلالية إلى مكتب السكرتير الإداري احتجاجاً على مبدأ إقرار السيادة المصرية والمطالبة بإنهاء الحكم الثنائي فوراً وقيام حكومة سودانية ديمقراطية متمتعة بكامل السيادة على البلاد. وأوردت الصحيفة أن الذين وقعوا على المذكرة هم: عن حزب الأمة إبراهيم أحمد وعن القوميين الأستاذ محمد حمد النيل وعن الجمهوريين الأستاذ أمين محمد صديق وعن الأحرار الأستاذ إبراهيم قاسم وعن المستقلين الشريف عبدالرحمن الهندي والأستاذ محمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد وعبدالرحيم أفندي الأمين⁽²⁾. أيضاً كتب فيصل عبدالرحمن على طه قائلاً: "لقد تعاون الحزب الجمهوري مع حزب الأمة وأحزاب استقلالية أخرى في إطار الجبهة الاستقلالية عندما أوقف حزب الأمة التعاون مع حكومة السودان وأعلن الجهاد. وقد عبّر الحزب الجمهوري عن ذلك بقوله: "كانت هناك حواجز بيننا وبين حزب الأمة، ولكن عندما أعلن الجهاد ورفض التعاون مع الإنجليز سقطت تلك الحواجز، واشتركنا في الجبهة الاستقلالية"⁽³⁾. كتب يحيى محمد عبدالقادر، وهو يتحدث عن أبرز أعمال الحزب الجمهوري في الطور الثاني، قائلاً: "وكان من أبرز أعمال الحزب خلال هذه الفترة تعاونه مع الجبهة الاستقلالية لمحاربة مشروع اتفاقية صدقي - بيغن التي أقرت وضع السودان في محيط وحدة وادي النيل.. ثم انسحابه من الجبهة بعد انقشاع هذه المخاوف"⁽⁴⁾. فقد أوردت صحيفة الرأي العام تحت عنوان: "انسحاب الحزب الجمهوري من الجبهة الاستقلالية"، قائلة: "أخبرنا اليوم سكرتير الحزب الجمهوري الأستاذ

(1) الموقف الداخلي، "صحيفة الرأي العام، العدد: 480، بتاريخ الأربعاء 30 أكتوبر 1946، الخرطوم.

(2) المصدر السابق.

(3) فيصل عبدالرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري السوداني بشأن السودان (1936-1953)، مرجع سابق، ص 231.

(4) يحيى محمد عبدالقادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، مصدر سابق، ص 144-146.

أمين محمد صديق أن **الحزب الجمهورى** انسحب من الجبهة الاستقلالية المكونة من أحزاب الأمة والقوميين وقسم من الأحرار، ويقول أن هذا الانسحاب نتيجة لاختلاف أساسى فى وجهات النظر. وسينشرون قريباً بياناً فى هذا الصدد⁽¹⁾.

الشاهد، أن الأستاذ محمود رئيس **الحزب الجمهورى** كان من مؤسسى الجبهة الاستقلالية الأولى، ومشاركاً فى نشاطاتها، وداعماً لمواقفها. لقد درج الأستاذ محمود فى مشاركاته بأن يعلن انسحابه متى ما تحقق الغرض الذى شارك من أجله فى الحدث أو النشاط. وهذا ما تم عند مشاركته فى الجبهة الاستقلالية الثانية فما أن حققت الجبهة أغراضها بإعلان موقفها والتعبئة العامة ضد بروتكول صدقي - بيغن وما أن زالت المخاوف إلا وأعلن انسحابه مبيناً بأن الغرض الذى من أجله نشأت الجبهة قد تحقق.

العضوية فى الجبهة الاستقلالية الثانية 1955

تشكلت الجبهة الاستقلالية مرة ثانية فى يناير 1955، وعرفت بالجبهة الاستقلالية الثانية، وكانت أوسع فى عضويتها من تلك التى تكونت عام 1946. وكان **الحزب الجمهورى** برئاسة الأستاذ محمود عضواً فيها. وفى "الليلة السياسية التى أُقيمت بدار الجبهة المعادية للاستعمار فى 23 يناير 1955 وشارك فيها خطباء من حزب الأمة وحزب الاستقلال الجمهورى، دعا محمد أحمد المحجوب زعيم المعارضة لتكوين جبهة وطنية للاستقلال واقترح تكوين لجنة تمهيدية لدراسة المشروع. استجابت لدعوة المحجوب أحزاب الأمة والجمهورى والجمهورى الاشتراكى والجبهة المعادية للاستعمار وشخصيات مستقلة وشخصيات عمالية"⁽²⁾. وقد تم بعد ذلك تكوين الجبهة الاستقلالية الثانية. وفى أول اجتماع أخذ المجتمعون بالأسس التى اقترحها اتحاد طلاب كلية الخرطوم الجامعية وهى: الاستقلال التام، وكفالة الحريات العامة، وعدم ربط البلاد بالأحلاف العسكرية ومعونات الدول الأجنبية التى تؤثر على سيادة البلاد. ومن ثم حددت الجبهة الواجبات العملية التى

(1) "انسحاب الحزب الجمهورى من الجبهة الاستقلالية"، صحيفة **الرأى العام**، العدد: 486، بتاريخ السبت 9 نوفمبر 1946، الخرطوم.

(2) فيصل عبد الرحمن على طه، **السودان على مشارف الاستقلال الثانى (1954-1956)**، مرجع سابق، ص 205.

ينبغي القيام بها، وتطورت مطالبها. وفي اجتماع عقد في 5 مارس قررت الجبهة الاستقلالية تقديم اقتراح للبرلمان يدعو للجلاء الفوري للقوات المصرية والبريطانية عن السودان بموجب المادة 9 من اتفاقية عام 1953 بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان⁽¹⁾. الشاهد أن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى، كان عضواً أصيلاً وفاعلاً فى نشاطات الجبهة الاستقلالية. أوردت صحيفة النيل تحت عنوان: نشاط الجبهة الاستقلالية فى الأقاليم"، أوردت قائلة:

"سافر إلى كوستى بالسيارات صباح أمس وفد من الجبهة الاستقلالية يضم الأساتذة حسن محبوب وقاسم أمين ومحمود محمد طه ومحمد سعيد معروف وغيرهم تلبية للدعوة من لجنة الجبهة الاستقلالية بكوستى للاشتراك فى ليلة سياسية. وسيعرج هذا الوفد فى طريق عودته إلى العاصمة على الدويم للاشتراك فى ليلة سياسية أخرى تقام بحاضرة النيل الأبيض"⁽²⁾.

وأوردت صحيفة النيل كذلك تحت عنوان: "الحزب الجمهورى"، قائلة: "عقدت لجنة الحزب الجمهورى الذى يرأسه الأستاذ محمود محمد طه اجتماعاً بمكاتب الحزب بالخرطوم مساء أمس وتضمنت الأجندة النظر فى برنامج رحلة وفد الجبهة الاستقلالية إلى الهند وجاكرتا الذى يشترك فيه عن الحزب عبد الحميد صالح"⁽³⁾. كما أوردت صحيفة النيل فى صفحتها الأولى تحت عنوان: "وفد الجبهة الاستقلالية لمؤتمر دلهى.. الوفد يسافر إلى جاكرتا لمراقبة الأحوال"، ثم أوردت تشكيلة الوفد وكان بينهم ممثل الحزب الجمهورى عبد الحميد صالح إلى جانب عبدالرحمن على طه (1901-1969)، ومحمد سعيد معروف (1926-???)، وقاسم أمين (1924-1980)، وعضو من حزب الأحرار الجنوبى⁽⁴⁾. وضمن تغطيتها لأضخم ليلة سياسية تقيمها الجبهة الاستقلالية بحضور آلاف المواطنين، تناولت صحيفة النيل المتحدثين من أعضاء الجبهة الاستقلالية فى الليلة

(1) المرجع السابق، ص 205-209.

(2) "نشاط الجبهة الاستقلالية فى الأقاليم"، صحيفة النيل، بتاريخ 1955/3/27.

(3) "الحزب الجمهورى"، صحيفة النيل، بتاريخ 1955/3/27.

(4) "وفد الجبهة الاستقلالية لمؤتمر دلهى.. الوفد يسافر إلى جاكرتا لمراقبة الأحوال"، صحيفة النيل، بتاريخ

1955/3/28.

السياسية، وعلقت على كلماتهم. وأشارت الصحيفة لكلمة الأستاذ محمود حينما جاء دوره ليخاطب الليلة السياسية، ومتناولة مدى تفاعل الجمهور معه فقالت: "ثم جاء دور ممثل الحزب الجمهورى الذى ألهم المشاعر بخطابه الرصين وحماسه المتدفق وكلماته النارية وتوجهاته الوطنية"⁽¹⁾. ظل الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى عضواً بالجهة حتى جاء انسحاب الحزب منها فى يونيو 1955، قائلاً إنه انسحب من الجهة لأنه يرى أن الهدف الأساسى قد تحقق، وقد "أعلن الحزب الجمهورى فى منتصف يونيو 1955 انسحابه من الجهة الاستقلالية لأن الفكرة الاستقلالية قد تركزت فى أذهان السودانيين جميعاً"⁽²⁾.

العضوية فى لجنة الدستور القومية 1956

بعد إعلان الاستقلال فى عام 1956 تم تكوين لجنة قومية لوضع الدستور الدائم. ولقد وجهت الحكومة الدعوة للأحزاب والهيئات لتوفد ممثليها فى اللجنة. وقد تكونت اللجنة بالفعل، واشترك الجمهوريون فيها. تشكلت اللجنة باسم لجنة الدستور القومية من 46 عضواً. فقد أوردت صحيفة أنباء السودان، قائمة بأسماء أعضاء لجنة الدستور القومية وهيئاتهم، وأوردت الصحيفة أن الأستاذ محمود محمد طه كان عضواً فى اللجنة من الحزب الجمهورى وكان الأستاذ صالح محمود إسماعيل عضواً منابواً⁽³⁾. يقول إبراهيم محمد حاج موسى: "شكلت اللجنة القومية للدستور فى سبتمبر سنة 1956 لوضع مشروع للدستور الدائم يعرض على الجمعية التأسيسية عند قيامها"⁽⁴⁾. وأشار إبراهيم إلى أن مشروع الدستور الذى أعدته اللجنة لم يعرض على الجمعية التأسيسية بسبب وقوع الانقلاب العسكرى 17 نوفمبر 1958⁽⁵⁾. ويضيف فيصل عبدالرحمن على طه قائلاً: "... تم تكوين لجنة قومية من 46 عضواً لوضع الدستور الدائم للبلاد"⁽⁶⁾. وفى أول اجتماع

(1) "العاصمة تشهد أضخم ليلة سياسية تقيمها الجهة الاستقلالية بدار المركز العام لحزب الأمة"، صحيفة النيل، بتاريخ 5/3/1955.

(2) فيصل عبد الرحمن على طه، السودان على مشارف الاستقلال الثانى (1954-1956)، مرجع سابق، ص 214، 215.

(3) "أعضاء لجنة الدستور القومية وهيئاتهم"، صحيفة أنباء السودان، العدد 43، بتاريخ 1956/9/24.

(4) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 71.

(5) المرجع السابق، ص 71.

(6) فيصل عبد الرحمن على طه، السودان على مشارف الاستقلال الثانى (1954-1956)، مرجع سابق، ص 351.

فوجيء الأستاذ محمود بأن الحكومة قد حاولت أن تهيمن على اللجنة، وتؤثر على قراراتها.. فقد عيّنت رئيسها، واختارت أعضائها المعيّنين المستقلين.. فاعترض الأستاذ محمود على تفوّك الحكومة واعترض على سير عمل اللجنة وطالب بأن تكون اللجنة مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومة. ويمكن الوقوف على ذلك من خلال صورة من المداوولات بين أعضاء اللجنة في جزء من محضر جلسة اللجنة القومية بتاريخ 1956/9/27⁽¹⁾:

السيد زيادة أرباب وزير العدل: إن واجب اللجنة أن تضع مسودة الدستور وبالطبع ستكون كل مداولاتها مدونة، وسوف تقدم إلى جهة الاختصاص.

السيد محمود محمد طه: هل ستقدم مسودة الدستور التي تضعها هذه اللجنة إلى الجمعية التأسيسية رأساً أم إلى الحكومة؟

السيد زيادة أرباب: لقد عيّنت الحكومة هذه اللجنة بغرض أن تساعد في وضع التوصية اللازمة بشأن الدستور للجمعية التأسيسية، ولا يمكن أن تقدم إليها توصيات هذه اللجنة ما لم تكن مصاغة صياغة قانونية، وعندما تصاغ تلك التوصيات بطريقة لا تخرج عن المعنى الذي تحمله تسلمها الحكومة للجمعية التأسيسية..

السيد محمود محمد طه: إن موضوع الصياغة هذا لا نقره، لأنه سوف يجعل بيننا وبين الجمعية التأسيسية وسيطاً، ونحن في الواقع نعتبر أنفسنا هيئة استشارية.. ولهذا فإننا نرفع توصياتنا وقراراتنا للجمعية التأسيسية، ولا نرضى أن يكون للحكومة دخل في ذلك..

السيد مبارك زروق: أود أن أشير إلى النقطة التي تحدث فيها السيد محمود محمد طه، فيما يختص بجهة الاختصاص: هل هي الحكومة، أم هي اللجنة الوزارية؟ ثم مسألة صياغتها بواسطة المستشار القانوني: فهل هي ستعرض على اللجنة بعد صياغتها؟ لأنها قد تكون بُدِّلَتْ، أو غُيِّرَتْ بسبب الصياغة.. وأن الجهة المختصة في نظري هي الجمعية التأسيسية، لا أية جهة أخرى.

السيد عقيل أحمد عقيل: إنه يجب ألا يكون هناك أي شبح رسمي على هذه اللجنة، سواء كان ذلك عن طريق الإيحاء أو الصياغة.

(1) الحزب الجمهوري، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية - الكتاب الثاني، ط 1، 1976، أمدرمان، ص 3-7.

السيد عبد الرحيم أحمد: إننى أرى أن حديث السيد محمود محمد طه فى هذه الناحية يجب أن يكون موضع الاعتبار لأن وجودنا فى هذه اللجنة، ومعرفة اختصاصاتها، أهم من هذا التعديل.

السيد مبارك زروق: إننى لا أقر أن الحكومة هى التى عيّنت هذه اللجنة، وإننى كنت أعترض دائماً وخصوصاً عندما فرض مجلس الوزراء نفسه وعيّن رئيساً للجنة. إن اعتراضى ينصب على المبدأ، وليس على شخص السيد الرئيس..

السيد محمود محمد طه: إن الهيئة التى أمثلها قد تعيد النظر فى الاستمرار فى عضوية هذه اللجنة بعد معرفة الاختصاصات، إننا نريد أن نعرف هل نحن أحرار فى كل الخطوات التى نخطوها أم يجب أن نرجع للحكومة فى كل شىء؟

السيد أحمد سليمان: إننى ذكرت فى اقتراحى "الجمعية التأسيسية" وليس "جهة الاختصاص"

السيد الرئيس: فى الواقع إننا رجعنا إلى خطاب الحكومة الذى صدر عند تكوين اللجنة وتصرفنا هذا التصرف بوضع كلمتى "جهة الاختصاص" بدل "الجمعية التأسيسية".

من هذه الصورة المختصرة للمداولات، وما تبعها من مداولات، ظهر للأستاذ محمود التأثير الواضح للحكومة على سير عمل اللجنة، وتصرف رئيس اللجنة فى استبدال عبارة: "الجمعية التأسيسية" التى وردت فى اقتراح أحد الأعضاء، وظهر جلياً أن سلطان الحكومة قد وقع على الرئيس، فى أول وهلة، مما دفعه ليغير كلمات الاقتراح، بصورة أبعدها كلية عن المقصود منها.. تقدم الأستاذ محمود باقتراح بأن تكون لجنة الدستور مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومة، تعين رئيسها وأعضاءها، وتتخذ ما تشاء، بعيدة عن الحكومة. فسقط الاقتراح. وقد نشرت صحيفة الرأى العام ضمن خبر لها عن لجنة الدستور، جاء الخبر بعنوان: "ماذا دار فى لجنة الدستور أمس؟". تحدثت الصحيفة تحت عنوان جانبى هو "استقلال اللجنة عن الحكومة"، قائلة: "وتقدم السيد محمود محمد طه باقتراح أن تكون لجنة الدستور مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومة تعين رئيسها وأعضاءها وتتخذ ما تشاء بعيدة عن الحكومة. وقد سقط الاقتراح⁽¹⁾". بعد سقوط الاقتراح أعلن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى انسحابه من اللجنة، عبر

(1) "ماذا دار فى لجنة الدستور أمس؟"، صحيفة الرأى العام، العدد: 3534، بتاريخ 1957/1/19، الخرطوم.

خطاب نشر في الصحف المحلية، كتب الأستاذ محمود في خطابه قائلاً⁽¹⁾:

"حضرة السيد رئيس لجنة الدستور القومية، والسادة أعضاء اللجنة المحترمين
تحية طيبة، وبعد: يؤسفنا أن نبأكم انسحابنا من اللجنة القومية للدستور، وذلك
لانهيار الأساس الذي قبلنا به الاشتراك فيها.. فقد جاءت فكرة تكوين هذه اللجنة
عقب رغبة حقيقية أعلنها الرأي العام السوداني، كيما تساعد على إبراز الرأي المعبر
عن مُثل الشعب الإنسانية، ليصاغ منها دستوره، وقامت الحكومة بتنفيذ فكرة
تكوين اللجنة باعتبار أنها أصلح من يقوم بمثل هذا العمل.. وما كنا لنبخس
الحكومة حقها في شكرها على أدائها هذا العمل لو سارت فيه السير الصحيح..
ولكن مع الأسف كونت اللجنة بصورة يصدق عليها أن تعتبر لجنة حكومية،
وليست قومية، فاستحلت الحكومة لنفسها أن تعين رئيسها، وتعين أعضائها
المستقلين، حسبما يروقها، وهذه من أخص حقوق اللجنة التي ما كان للحكومة أن
تتغول عليها.. وكان أملنا أن تسترد اللجنة حقوقها المسلوبة، ولكن اللجنة نفسها،
خذلتنا عندما أسقطت الاقتراح الذي تقدمنا به في هذا الصدد فارتضت لنفسها
بذلك وضعاً مهيناً، لا نشعر بالكرامة في قبوله، والاستمرار فيه.. وقد قال بعض
أعضاء اللجنة، أن اللجنة عيبتها الحكومة، وعينت لها اختصاصاتها، وليس من حق
أعضائها أن يعيدوا النظر فيما حددته الحكومة، بل لا يتورع بعض الأعضاء من أن
يعلن أن الدستور منحة تمنحها الحكومة للشعب الذي هي ولية أمره فيفصح بذلك
عن كفرانه بالشعب أصل الدساتير، كل هذا يقال داخل اللجنة، واللجنة تقبله.
وبذلك وضع أن الحكومة تريد أن تجعل هذه اللجنة مخلب قط في يدها وتتخذ
منها أداة لعمل تلبسه ثوب القومية.. وإزاء كل هذا لا يسعنا إلا أن نعلن انفصالنا
من هذه اللجنة.. وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام، الحزب الجمهوري".

أتبع الحزب الجمهوري بيان انسحابه من لجنة الدستور بتوضيح حملته صحيفة الرأي
العام، بعنوان: "الحزب الجمهوري يوضح الأسباب التي أبقتهم في لجنة الدستور حتى

(1) محمود محمد طه، "انسحاب الحزب الجمهوري من لجنة الدستور القومية"، صحيفة الرأي العام، بتاريخ
1957/1/26، الخرطوم.

تاريخ انسحابهم"⁽¹⁾. جاء فى توضيح الحزب الجمهورى: السيد محرر رأى العام الغراء: تحية طيبة وبعد، لقد تساءلتم فى تعليقكم على خطاب انفصال الحزب الجمهورى من لجنة الدستور القومية عن استمرار الحزب طيلة هذه المدة؟ فرجو أن تسمحوا لنا بايضاح ذلك بايجاز... إلخ. وبعد أن بين الحزب أسباب الانسحاب، فصل فى الأسباب التى أبقتهم فى اللجنة حتى تاريخ الانسحاب، قائلاً:

"... كان مقدراً أن تجتمع اللجنة بعد الاجتماع الرابع فى خلال ثلاثة أسابيع وكان مفروضاً أن تبحث اقتراحنا آنف الذكر فى أول اجتماع لها ولكن اللجنة لم تجتمع إلا بعد أكثر من ثلاثة أشهر وهو اجتماعها قبل الأخير الذى بحث فيه اقتراحنا واسقطته اللجنة وقررنا على إثره الانسحاب منها من ذلك ترون أن استمرارنا طيلة هذه المدة كان مسبباً أن تبحث اللجنة اقتراحنا وهى إذ لم تفعل ذلك إلا مؤخراً لم يكن أمامنا نحن إلا انتظار النتيجة وأخيراً نشكر رأى العام على اتاحتها هذه الفرصة لنا لنوضح لمن عسى أن يكون فى حاجة إلى إيضاح"⁽²⁾.

بعض الأحزاب تطلب التحالف مع الحزب الجمهورى

"إن فى السودان الآن (1952/7/8) نحواً من خمسة عشر حزباً كل منها ينادى بأعلى صوته أنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ هذا الشعب من براثن الاستعمار، وهى تقوم فى معظم الأحوال لا على برامج سياسية واضحة ولكن على استغلال عواطف وعصبية لا تمت إلى السياسة بصلة... وإنى لأنتهز هذه الفرصة فادعو جميع الأحزاب أن تحذوا حذو الحزب الجمهورى فتخرج على الناس أهدافها ومراميتها وتعاون على تربية الشعب تربية سياسية لا بد منها إن أردنا للشعب أن يكون له صوت وكلمة فى حكومته"⁽³⁾.

بشير محمد سعيد (1921-1995)

(1) "الحزب الجمهورى يوضح الأسباب التى أبقتهم فى لجنة الدستور حتى تاريخ انسحابهم"، صحيفة رأى العام، بتاريخ 1957/1/29.

(2) المصدر السابق.

(3) بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، صحيفة السودان الجديد، العدد 1630، الأحد 1952/6/8.

برز الحزب الجمهورى عبر مواقفه المناهضة للاستعمار، ووضوح رؤيته فى العمل الوطنى من خلال نشره لبرنامج ووسائل عمله، برز كنموذج يحتذى وموضع للإعجاب. فقد كتبت الكثير من المقالات فى الأربعينيات والخمسينيات تشيد بالحزب الجمهورى وبجهاده ومنهجه العلمى والعملى فى التعااطى مع الشأن الوطنى. لم يكن الحزب الجمهورى موضع إعجاب فحسب، وإنما تقدمت بعض الأحزاب السودانية بطلبات للحزب الجمهورى بغرض التحالف وتوحيد المواقف والعمل المشترك، وطلبت بعض الأحزاب إشراكه معها والتعاون معه، يقول الأستاذ محمود، "ولكن الحزب الجمهورى ظل بمعزل رغم المحاولات الكثيرة التى بذلت لإشراكه"⁽¹⁾. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "ولم يرفض الحزب الجمهورى التعاون مع حزب الأمة لسبب لا يرفض من أجله التعاون مع حزب الشعب الديمقراطى أو الحزب الوطنى الإتحادى والحق أنه ليس هناك فرق جوهري بين هذه الأحزاب جميعاً"⁽²⁾. وقد جاءت الدعوات للحزب الجمهورى بالتحالف والتعاون من أحزاب عديدة منها على سبيل المثال، أنه فى يوم الأربعاء 19 مارس 1952، وعلى صدر صفحتها الأولى نشرت صحيفة السودان الجديد، بياناً للحزب الجمهورى يوضح فيه فشل المسعى لالتقاء الحزب الجمهورى الاشتراكى والحزب الجمهورى لاختلاف المبادئ والوسائل. جاء فى بيان الحزب الجمهورى:

"أبدى سكرتير الحزب الجمهورى الاشتراكى الرغبة فى الاجتماع بأعضاء الحزب الجمهورى لمناقشة مبادئ الحزبين ووسائلهما ومحاولة التوفيق بينهما للعمل معاً للدعوة الجمهورية للسودان وبالرغم من أن الحزب الجمهورى يرى استحالة اللقاء نظراً للفروق الكبيرة بين الحزبين فقد رحب بالاجتماع وتم ذلك بمكتب الحزب الجمهورى بالخرطوم يوم 1952/3/3⁽¹⁾.

(1) محمود محمد طه، 'بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى'، صحيفة أنباء السودان، العدد: 166، تاريخ 1958/11/1.

(2) المصدر السابق.

(3) الحزب الجمهورى، 'فشل المسعى لالتقاء الحزب الإشتراكي الجمهورى والحزب الجمهورى لاختلاف المبادئ والوسائل'، (بيان)، ضمن الموقف الداخلى بالصفحة الأولى، صحيفة السودان الجديد، العام التاسع، العدد: 1564، الأربعاء 23 جماد الثانى سنة 1371، الموافق 19 مارس سنة 1952.

الشاهد أن الحزب الجمهورى اعترض على دستور الحزب الجمهورى الاشتراكى ووسائله فى الكفاح، ومن ثم تم الاتفاق على أن يبعث الحزب الجمهورى باعتراضاته للحزب الجمهورى الاشتراكى وقد لخصها فى ثلاثة أسئلة، ثم قدم نقداً لما جاء عن الاشتراكية لدى الحزب الجمهورى الاشتراكى، كما أضاف بعض الأسئلة حول الاشتراكية. يمكن الوقوف على الأسئلة والتفاصيل وعلى رد الحزب الجمهورى الاشتراكى ضمن بيان الحزب الجمهورى ضمن قائمة الملاحق، (أنظر ملحق رقم: "25"). وختم الحزب الجمهورى بيانه قائلاً: "ونحن إذ ننشر هذا البيان على رأى العام إنما نقصد إلى أن يفهم الشعب الفرق بين الحزب الجمهورى والحزب الجمهورى الاشتراكى فى المبادئ والوسائل لنيل الحرية، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين" (1).

أيضاً، كتب يحيى محمد عبدالقادر، قائلاً: "وقد حاول الحزب الإشتراكى وحزب الشعب (الكتلة) وكلاهما جمهورى أن يتعاونوا معه بحجة وحدة الأهداف الرئيسية بين ثلاثتهما ولكن الحزب الجمهورى (فقط) رفض هذا التعاون لانهامه كلا من الحزبين بممالة المستعمر" (2). الشاهد أن الحزب الجمهورى كان موضع احترام كبير وليس كما صورته لنا مؤرخو الحركة الوطنية من السودانيين وغير السودانيين. فقد كان الحزب موضع إعجاب وإلا لما تقدم حزبان من الأحزاب السودانية لإقامة الشراكة معه، وسعياً للتحالف معه.

إصدار صحيفة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهورى

وللجمهورية فى الصحافة رأى، وهو أنها يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل.. يجب أن تسير أمام الشعب لا أن تسير فى زمرته تنسقط رضاه، وتجارى هواه، وتقدم له من ألوان القول ما يلذه ولا يؤذيه (3).

محمود محمد طه

واجه الأستاذ محمود اعتذارات متكررة من الصحف لنشر مقالاته وبياناته ومنشوراته،

(1) الحزب الجمهورى، المواجهة طرف من الجهاد الأكبر، مصدر سابق.

(2) يحيى محمد عبدالقادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، ج3، مصدر سابق، ص 144-146.

(3) محمود محمد طه، "افتتاحية العدد الأول من صحيفة الجمهورية"، صحيفة الجمهورية، الجمعة 15 يناير 1954.

بسبب ما كانت تتضمنه من مواجهات ونصائح تقوم على الدعوة لمواجهة قضايا السودان بالوعى لا بالجهل، وبالشجاعة فى المواقف وبالدراسة الرصينة. ولما تكرر رفض الصحف عزم الأستاذ محمود على إصدار صحيفة. وبالفعل أصدر الأستاذ محمود، العدد الأول من **صحيفة الجمهورية** فى يوم الجمعة 15 يناير 1954 لتكون لسان حال **الحزب الجمهورى**. صدرت الصحيفة كصحيفة أسبوعية. جاء فى افتتاحية العدد الاول من **صحيفة الجمهورية**⁽¹⁾، الجمعة 15 يناير 1954:

"أيها القارى الكريم: تحية، أما بعد: فهذه صحيفة الجمهوريين يقدمها لك فنية آمنوا بربهم، فهيمن عليهم الإيمان على صريح القصد، فهم يقولون ما يريدون بأوجز أداء، ويعنون ما يقولون من الألف إلى الياء .. و(الجمهورية) تطمح فى أن تخلق تقليداً فى الصحافة فى معنى ما يخلق الجمهوريون من تقليد جديد فى السياسة .. والجمهوريون حزب سياسى ولكنهم لا يفهمون السياسة على أنها اللف والدوران .. وإنما يفهمونها على أنها تدبير أمر الناس بالحق وبميزان .. وللجمهورية فى الصحافة رأى، وهو أنها يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل .. يجب أن تسير أمام الشعب لا أن تسير فى زمرته تتسقط رضاه، وتجارى هواه، وتقدم له من ألوان القول ما يلذه ولا يؤذيه .. وقد تعرض الجمهوريون فى نهجهم السياسى للكثير من العنت، والأذى من جراء مضائهم فيما يرونه الحق والعدل .. فهل تتعرض الجمهورية لشيء من الكساد، من جراء ما ستجافى من التقليد التجارى بتقديم ما يقدم فى سوق النفاق؟ إن هذا لا يعيننا بقدر ما يعيننا أن نستقيم على الحق .. فقد أنفقنا عمرنا نبحث عنه، ولا نزال، فإن وجدناه، فإننا سنلصق به صريحاً غير مشوب بتلطيف، وسيكون عليك أنت أن تختار لنفسك بين وجه الحق ووجه الباطل".

وجاء فى كلمة **الجمهورية** فى العدد الثانى، الجمعة 22 يناير، عن "واجب الحكومة، وواجب المعارضة" (جزء من الكلمة):

(1) "كلمة الجمهورية"، صحيفة الجمهورية، السنة الأولى، العدد الأول، الجمعة 15 يناير 1954.

"واجب الحكومة وواجب المعارضة واحد فى هذه الفترة وهو واجب بسيط إذا ترفعت النفوس عن غائر الأحقاد. واجبهما أن يعرفا أن الاستعمار لا يزال باقياً وأن حظه من الاستمرار فى البقاء فى هذه البلاد اليوم ليس أقل منه بالأمس وأن مدة الثلاث السنوات المشروطة للجلاء فى الاتفاقية الإنجليزية المصرية مدة طويلة حقاً وهى تقيض للاستعمار الفرصة الكافية جداً ليكيد كيده لهذه البلاد إذا لم تكن الحكومة والمعارضة على السواء كالذئب ذلك الذى زعموا أنه لا ينام حين ينام إلا بعين واحدة ولا بأس أن تكون تلك العين هى المعارضة... إلخ..

كانت كلمة العدد الرابع، الجمعة 5 فبراير 1954، بعنوان: "ساوا السودانيين فى الفقر إلى أن يتساوا فى الغنى". وتضمن العدد الرابع تعليق الأستاذ محمود على مقال الشاعر محمد محمد على والذى كان بعنوان: "تكرموا بإنزال الفلسفة من السماء على الأرض". جاء مقال الشاعر محمد محمد على تعليقاً على خطاب الأستاذ محمود إلى رئيس منظمة اليونسكو الذى نشر فى العدد الأول من صحيفة الجمهورية. عقب الأستاذ محمود تحت عنوان: "أو ما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء؟ على تعقيب الشاعر محمد محمد على، هذه مجرد إشارة، فقد ورد الحديث آنفاً عن الأستاذ محمود والشاعر محمد محمد على. وجاءت كلمة الجمهورية فى العدد السادس عشر، يوم السبت 12 يونيه 1954، بعنوان: "اسمعونى وعونى! والله لا تحررون بغير الإسلام".

لقد توقفت صحيفة الجمهورية قبل قيام الانقلاب العسكرى فى 17 نوفمبر 1958 بقيادة الفريق إبراهيم عبود (1900/1897-1983)، بسبب الموارد المالية. لقد أوردت بعض المصادر⁽¹⁾ أن صحيفة الجمهورية قد عاودت الصدور بعد توقفها فى الخمسينيات من القرن الماضى، وأنها صدرت فى مرتين الأولى عام 1954 والمرة الثانية عام 1969. بيد أن الجمهورية لم تصدر ثانية كصحيفة، وإنما صدرت كمجلة داخلية شهرية للحزب الجمهورى، وقد صدر العدد الأول منها فى يوم الخميس 17 أبريل 1969. وقد جاء فى صدر العدد الأول أن: الجمهورية، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، تصدر شهرية،

(1) قاسم عثمان نور، دليل الدوريات السودانية: الصحف (1903-1998) - المجلات (1931-1998)، مرجع سابق، ص 21.

شعارها: "الحرية لنا ولسوانا"، رئيس التحرير سعيد الطيب شايب، وقد وقفت على العدد الأول منها، وقد تضمن الموضوعات الآتية: الافتتاحية، ومشكلة التعليم - الحل الجذري لها، بقلم ميرغنى حمزة. والصلاة عند الترايبى مجرد حركات، بقلم بتول مختار. والمحكمة تدين الفقيه المصرى شاهين، والأستاذ محمود محمد طه وإسماعيل الأزهرى عام 1954، والهجرة النبوية معلم عرفانى، والتدخل المصرى فى السودان هل هذا أوان مواجهته؟ بقلم عوض الكريم موسى. و"حاجة البشرية للرسالة الثانية من الإسلام"، بقلم عبدالرحيم الريح⁽¹⁾، وعمود "من خواطر الطواف"، وعمود: "قلنا.. فقالوا.. ونقول" بقلم محمد فضل محمد صديق، و"ندوة الجمهورية". إلى جانب أخبار الحزب الجمهورى.

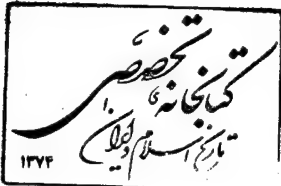
(1) الدكتور عبدالرحيم الريح هو من أبكار تلاميذ الأستاذ محمود، ومن أوائل الذين قادوا النشاط والحركة والتبشير بالفكرة الجمهورية بجامعة الخرطوم.

الفصل
الخامس

5

ثورة رفاعة (الخفاف)

الفرعوني) - سبتمبر 1946



وسيدة فى السجن تبكى مهیضة
أبايعُ محموداً على الحقِّ ببيعة
لك النصر يا محمود والنور باقياً
عرفنا رجالاً قدرهم ليس قادراً
بسطنا لهم برقية من رفاعة
فأعشى عيون القوم بارقها الشزر
رفعنا بها فى أول الليل راية
يظهرها الفكر المقاتل والجهر

الشاعر محمد المهدي المجذوب (1918-1982) (1)

إن عادة الخفاض، كعادة رسخت أقدامها فى بلادنا قروناً وأماذاً طويلة، لا يمكن أن تزيل آثارها أو تزحزح اعتقادات النساء فيها أمثال هذه الزيارات (فى إشارة لزيارات بعثات الدابات) العابرة الخاطفة. والدعاية المثمرة، هى تعليم مستمر منتظم، بحملات تعليمية ذات برامج منظمة ثابتة تعالج هذه المشكلة فى كل جهات السودان فى سلسلة من الدعاية المنظمة المثمرة، وتستمر هذه الجهود السنين الطوال حتى نستطيع أن نقول أن الحكومة قد قطعت شوطاً كبيراً فى ميدان الدعاية (2).

صحيفة الرأى العام، فى يوم الأربعاء 16 أكتوبر 1946

- (1) كتب الشاعر محمد المهدي المجذوب، ثمانى قصائد، كلها كان محورها الأستاذ محمود. ومنها قصيدة: "سيدة رفاعة" (40 بيتاً من الشعر)، وهذه أبيات متفرقة منها. المصدر: محمد المهدي المجذوب، الشرافة والهجرة، (ديوان شعر)، ط 2، دار الجيل، بيروت/ شركة المكتبة الأهلية، الخرطوم، 1982، ص 197-199.
- (2) "دعوى لا نقرأها"، صحيفة الرأى العام، العدد: 469، الأربعاء 16 أكتوبر 1946، الخرطوم.

قامت ثورة رفاعة في سبتمبر 1946، بقيادة الأستاذ محمود على إثر إصدار الإدارة الاستعمارية البريطانية في السودان لقانون الخفاض الفرعوني في ديسمبر 1945. ثم اتبعته بإعلان عن تعديل سنة 1946 للقانون والذي نشرته صحيفة الرأي العام، تحت عنوان: "الخفاض غير المشروع، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائي، قانون غمرة 3 سنة 1946"⁽¹⁾. كان حاكم عام السودان قد أصدر تعديل سنة 1946 للقانون في اليوم العاشر من فبراير سنة 1946. جاء في تعريف القانون: يسمى هذا القانون، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائي، تعديل سنة 1946". حيث أضيفت مادة جديدة بعد المادة (248)، يقول النص⁽²⁾: "الخفاض غير المشروع: 284- (1) كل من يسبب طوعاً أذى لأعضاء المرأة التناسلية الخارجية يكون قد أجرى عملية خفاض غير مشروعة ما عدا في الأحوال المستثناة فيما يلي: استثناء: لا تعد مخالفة تحت هذه المادة إزالة الجزء السائب الناتئ من البظر فقط. (2) كل من يجري عملية خفاض غير مشروع يعاقب بالحبس لمدة يجوز امتدادها إلى خمس سنوات أو بالغرامة أو بالعقوبتين معاً، ثم تبع ذلك تفاصيل وتوضيحات... إلخ ثم جاء الإمضاء من ه. ج. هدلستون الحاكم العام، وإمضاء آخر من د. م. ه. ايفنس سكرتير المجلس. من المهم الإشارة إلى أن القانونين الأول والثاني قد صدرا من المجلس الاستشاري لشمال السودان، لهذا نجد إمضاء سكرتير المجلس إلى جوار إمضاء الحاكم العام. كتب أحمد خير المحامي وهو يتحدث عن إنشاء حكومة السودان للمجلس الاستشاري لشمال السودان، وعن القوانين التي أصدرها المجلس، كتب أحمد قائلاً

(1) "الخفاض غير المشروع، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائي، قانون غمرة 3 سنة 1946"، صحيفة الرأي العام، الثلاثاء 1946/4/30.

(2) المصدر السابق.

عن حكومة السودان: "أصدرت في سبتمبر 1943 قانوناً بإنشاء المجلس الاستشاري لشمال السودان... ولد المجلس الاستشاري ضعيفاً في روحه،... والواقع أن المجلس لم يمثل الأمة التي أسس ليقوم على شؤونها أو بعض شؤونها لا في أقلية أو في أكثرية. ولم يحاول أن يعبر عن مشاعرها في أي صورة من الصور"⁽¹⁾. وعن القوانين التي أصدرها المجلس، يقول أحمد خير المحامي: "المسألان اللتان عرضت فكرتهما عليه - قانون الخفاض، ولوائح تعاطي الخمر - صدر فيها عن رأي جاء دليلاً قاطعاً على فقدان حرية الرأي في رحابه. فمن السخرية أن يوافق أعضاؤه على قانون يعلمون علم اليقين أنهم أنفسهم سيخالفونه، لتعارضه مع تقاليد لم تفقد حتى الآن احترامها في نفوس الكثرة الغالبة"⁽²⁾. هذه كانت رؤية الأستاذ أحمد خير المحامي عن القانون وعن مدى تعارضه مع التقاليد. يقول الأستاذ محمود:

والقانون الذي طلبه المجلس الاستشاري لشمال السودان - دا القانون الآخر
ونحن كنا في معارضة شديدة ليهو.. النقطتين ديل كانن حساستين واشتغلنا فيهم
شغل كثير لكن برضو مهما كان وضع الإنجليز في التطش مننا ما استطاعوا أن
يحتملوا الموضوع دا.. خرجت مناشير - نحنا كنا بنعمل مناشير فتج منه السجن
الأولاني بعدين حصل إفراج بعد زى خمسين يوم.. السجن الثاني كان في
حادث خفاض بنت في رفاة - القضية دي مشهورة بين الناس.. دا كان برضو
في أغسطس 46.. دا استمر سنتين⁽³⁾. بالرونيو وينوزعها على الناس وينمضاها
بأسمننا، فكان في واحد اعتبروه دا مثير للأمن واعترضوا عليه.

وعن تاريخ بدء العمل بالقانون يقول النص المنشور في الصحيفة المشار إليها: "ويعمل به بعد نشره في غازية حكومة السودان"⁽⁴⁾. الشاهد أن الإدارة الاستعمارية أصدرت القانون عام 1945 ومن ثم تم تعديل سنة 1946، وبدأت في تطبيقه، إذ جاءت الإشارة في الإعلان الأول في ديسمبر 1945، والثاني في فبراير حيث تم تعديل سنة 1946، إلى العمل به بعد

(1) أحمد خير المحامي، كفاح جيل: تاريخ حركة الحريجين وتطورها في السودان، مصدر سابق، ص 76-78.

(2) المصدر السابق، ص 78.

(3) محمود محمد طه، "لقاء الأستاذ محمود بندوقى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية"، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(4) "الخفاض غير المشروع، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائي، قانون نمر 3 سنة 1946"، مصدر سابق.

نشره في غازيتة حكومة السودان، دون اعتبار إلى أن عادة الخفاض الفرعوني عادة متأصلة في المجتمع السوداني، ومن دون أن يسبق تطبيق القانون خطة تنويرية أو نشاط توعوي للناس، وإنما حرصت الإدارة الاستعمارية على تنفيذه. فكانت أولى ضحايا القانون امرأة من مدينة رفاة حكم عليها بالسجن مدة أربعة أشهر⁽¹⁾. ومن ثم جاءت ثورة رفاة. كانت صحيفة الرأي العام قد كتبت، في "حديث المساء" في صدر صفحاتها الأولى تحت عنوان: "أسدلوا الستار على مأساة رفاة وعالجوا مشاكل الخفاض بحذر"، كتبت منبهة عن الخطر الذي سينجم عن التسرع في تطبيق القانون، فقالت: "أصبح واجباً لزاماً علينا أن ننبه الحكومة في أول تجربة لتطبيق هذا القانون إلى الخطر الذي ينجم من التسرع في تطبيقه وإلى النكبة الاجتماعية الخطيرة التي ستعرض لها المرأة السودانية عند تطبيق هذا القانون عليها"⁽²⁾.

ظل موضوع، ثورة رفاة- الخفاض الفرعوني، من أكثر الموضوعات في سيرة ومسيرة الأستاذ محمود النضالية، التي غشيها مثقفو السودان، على قلة تناولهم للقضايا الأخرى في مشروع الأستاذ محمود. لقد صور الاستعمار ثورة رفاة بأنها ثورة ضد عادة منع الخفاض الفرعوني، فجاز ذلك على بعض المثقفين. يقول إبراهيم يوسف:

إن ثورة رفاة عام 1946 هي أكبر ثورة أرغمت الاستعمار على تكسير قوانينه. وحين صورها الاستعمار على أنها ثورة ضد منع عادة الخفاض الفرعوني الذميمة جاز ذلك على بعض المثقفين، ولكن الثورة في حقيقتها وأحداثها كانت ثورة المسجد الشعبية التي قامت لحماية العرض وصون حياء المرأة وللدفاع عن كرامة الأمة السودانية التي حاول الاستعمار أن يهدرها بذلك القانون المذل⁽³⁾.

قبل الدخول في معالجتى لثورة رفاة وأسبابها ونتائجها وتحليل موقف الدارسين منها، وتقويم مدى اتفاقهم واختلافهم مع الأستاذ محمود، لا بد من الوقوف عند موقف الأستاذ محمود من المعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge. فثورة رفاة لا تسبر أغوارها دون

(1) "أول امرأة تسجن تحت قانون منع الخفاض"، صحيفة الرأي العام، الأربعاء 11 سبتمبر 1946.

(2) "حديث المساء: أسدلوا الستار على مأساة رفاة وعالجوا مشاكل الخفاض بحذر"، جريدة الرأي العام، العدد: 456، الثلاثاء 1 أكتوبر 1946.

(3) إبراهيم يوسف، ثورة رفاة المجهولة: لوحة مشرفة من النضال الوطني وأول ثورة أرغمت الاستعمار، مرجع سابق، ص 12.

قراءتها في اطار المعرفة الاستعمارية والسياج أو الاطار المعرفي، الذي سعى الاستعمار لخلقه. إن مواجهة الأستاذ محمود المستمرة للاستعمار البريطاني والتي تجلت في مواقف نضالية عديدة منها ثورة رفاعة، لم تكن مواجهة رافضة للسياسات الاستعمارية فحسب، وإنما سعت المواجهة لتفكيك ما وراء السياسات الاستعمارية، والكشف لخطط المستعمر بعيدة المدى، ولهذا فهي مواجهة ونضال ضد الاستعمار وضد المعرفة الاستعمارية بما في ذلك البناء الاستعماري للمفاهيم والتصورات لطبيعة القضايا وجذورها. من المعلوم أن الدراسات المتصلة بحقبة الحداثة لم تعط اعتباراً لدراسة الآثار الثقافية والسياسية والاقتصادية للاستعمار، على النحو الذي يبرز في خطاب نقد الآثار الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والحاجة لتفكيك الذاكرة الاستعمارية، وضرورة إعادة النظر في البناء الاستعماري للمفاهيم والتصورات لطبيعة القضايا وجذورها، التي خلفتها مرحلة الاستعمار على الشعوب والدول التي خضعت للاستعمار، بما في ذلك نقد التعليم الاستعماري، والدعوة للتحرر من الإرث المعرفي للاستعمار. لقد برز هذا الخطاب حديثاً مع أطروحات فكر ما بعد الحداثة. وقد تظهر الخطاب في مدرسة دراسات الاستعمار، ومدرسة دراسات ما بعد الاستعمار. لهذا لا بد من الوقوف عند الإسهامات الباكورة للأستاذ محمود في نقد الآثار الاستعمارية والتي توافقت مع عناصر الخطاب الكولونيالي؛ مدرسة دراسات الاستعمار، وما بعد الكولونيالية؛ مدرسة ما بعد الاستعمار. لقد كانت مواقف الأستاذ محمود وآرائه متجاوزة لحقبة الحداثة، بما في ذلك موقفه من الخفاض الفرعوني وقيادته لثورة رفاعة، وستقف على ذلك حينما نقيم مواجهة بين الدراسات التي لم تتفق مع الأستاذ محمود (نموذجين)، أحدهما دراسة علمية رصينة، والدراسة الثانية لم تستوف الشروط العلمية في تقديري) في ثورة رفاعة، ومع الدراسات التي اتفقت مع الأستاذ محمود (سبعة نماذج من الدراسات العلمية الرصينة) وأكدت صحة مواقفه وآرائه واستطاعت أن تسبر غور ثورة رفاعة حينما أخذت في معالجتها لثورة رفاعة بمنهج مدرسة ما بعد الاستعمار.

المعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge وإرث السودان

أما التعليم الحر الذي نرمى إليه [الحزب الجمهوري] والتي تقوم مدينتنا على دعائمه فيمكن أن نقول بأن خطوطه العريضة تستمد من المجتمع الذي نشده

ألا وهو إعداد إنسان حر يعيش في مجتمع عالمي... إن الأسرة البشرية وحدة وإن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهي بشرية، وإن الحرية والرفاهية حق مقدس طبيعي للأسود والأبيض⁽¹⁾.

خوجلي محمد خوجلي

سبق وأن كتبت دراسة بعنوان: "المعرفة الاستعمارية وإرث السودان السياسي قراءة في إسهامات البروفيسور عثمان البيلي النقدية"⁽²⁾، وأشارت فيها مستنداً على العديد من المصادر والمراجع، إلى أنه برز خطاب نقد الآثار الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والحاجة لتفكيك الذاكرة الاستعمارية، وضرورة إعادة النظر في البناء الاستعماري للمفاهيم والتصورات لطبيعة القضايا وجذورها، التي خلفتها مرحلة الاستعمار على الشعوب والدول التي خضعت للاستعمار، بما في ذلك نقد التعليم الاستعماري، والدعوة للتحرر من الإرث المعرفي للاستعمار، برز هذا الخطاب حديثاً مع أطروحات فكر ما بعد الحداثة. وقد تظهر الخطاب في مدرسة دراسات الاستعمار، ومدرسة دراسات ما بعد الاستعمار. كان إدوارد سعيد أحد أهم المنظرين لمدرسة دراسات ما بعد الاستعمار⁽³⁾. يقول الباحث والناقد يحيى بن الوليد في دراسته: "خطاب ما بعد الاستعمار"، مستشهداً بكتاب: الإمبراطورية ترد كتابة، لبيل أشكروفت وآخرين، وكتاب: دوغلاس روبنسون: الترجمة والإمبراطورية - الدراسات ما بعد الكولونيالية، يقول يحيى بن الوليد: "إن أكثر من ثلثي الشعوب التي تعيش في عالم اليوم، كانت لهم حياتهم التي شكلتها تجربة الاستعمار. وتشير صفة "ما بعد الكولونيالية" إلى نظرنا في أواخر القرن العشرين إلى القوة السياسية والثقافية التي كانت تطبع العلاقات، أما الفترة التاريخية التي تغطيها فهي التاريخ كله"⁽⁴⁾. ويضيف يحيى إن مقولة "ما بعد

(1) خوجلي محمد خوجلي، "التعليم الحر"، صحيفة الجمهورية، العدد الثاني، 22 يناير 1954.

(2) عبدالله الفكي الشير، "المعرفة الاستعمارية وإرث السودان السياسي قراءة في إسهامات البروفيسور عثمان البيلي النقدية"، جهوداً. د. عثمان البيلي العلمية وعطاءاته الإنسانية (ندوة علمية)، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، المدينة التعليمية، الدوحة، قطر، الاثنين 26 مارس 2012، الدوحة، قطر.

(3) إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، ط 1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006؛ إدوارد سعيد، الإمبريالية والثقافة، ترجمة كمال أبو ديب، ط 3، دار الآداب، بيروت، 2004؛ إدوارد سعيد،

تعلقيات على الاستشراق، ترجمة صبحي حديدي، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996.

(4) يحيى بن الوليد، "خطاب ما بعد الاستعمار"، من موقع الطليعة العربية في تونس، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2011/8/23، الموقع على الإنترنت: <http://www.goutaliezzedine.maktoobblog.com>

الكولونيالية (Post colonialism) التى سيتم جلبها إلى مجال الخطاب النقدى؛ وهى، فى أساسها، "مقولة سياسية" استخدمت أول مرة فى مجال النظرية السياسية فى السنوات الأولى من عقد السبعينيات لوصف المأزق الجديد الذى أخذت تتخبط فيه البلدان التى خرجت من تجارب الاستعمار الذى تعرضت له من قبل الإمبراطوريات الأوروبية. وعلى مستوى آخر عادة ما يتم التمييز بين "دراسات ما بعد الاستعمار" (Postcolonial Studies) و"نظرية ما بعد الاستعمار" أو "نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالى". والغاية من هذا التمييز هى التأكيد على أن دراسات ما بعد الاستعمار، وإن كانت لا تزال متواصلة حتى اليوم، تعود إلى فترة قديمة⁽¹⁾.

وقف يحيى عند قراءات مؤسسى نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالى إلى الطبيب النفسانى الأتلى فرانز فانون وكتابه: **معذبو الأرض/ المعذبون فى الأرض**، وتحدث يحيى عن دراسة صبحى حديدى، حول "الخطاب ما بعد الكولونيالى"، والقراءات ما بعد الكولونيالية لفرانز فانون، وأشار إلى أن صبحى كتب قائلاً: "إدوارد سعيد جعل من فانون المدافع عن سرد التحرير المضاد الذى ينتمى إلى حقبة ما بعد الحداثة؛ وهومى بابا نحت من أفكار فانون معماراً نظرياً لعالم ثالث ما بعد بنوى؛ وعبد الرحمن جان محمد اكتشف فيه منظراً مانوياً للاستعمار والنفى المطلق؛ وبينيتا بارى وجدت فيه برهاناً ساطعاً على النظرة التفاؤلية للأدب والعمل الاجتماعى؛ أما عند سبيفاك فقد ظهر فرانز فانون فى أصدق صوره وأكثرها بساطة وإقناعاً: الطبيب النفسى الذى خرج من بين أبناء البلد لكى يحلل بعمق ونفاذ ما تعكسه تلك المرأة الرهيبة المعقدة: الامبريالية الثقافية". وأشار يحيى إلى قول إدوارد سعيد بأن فرانز فانون فى كتابه: **المعذبون فى الأرض**، طرح قضايا تقع فى صميم نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالى من مثل "عقدة القابلية للاستعمار" و"عبء الأزمنة الحديثة" (أى المستعمرين)، و"فك الاستعمار" من حيث هو "صيرورة تاريخية" و"ظاهرة عنيفة" تستلزم "العنف المطلق" ... إلخ⁽²⁾. وذهبت آنيا لومبا فى دراستها: فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، إلى التساؤل قائلة: يمكننا أن نسأل ليس فقط متى

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

تبدأ مرحلة ما بعد الاستعمار، ولكن أين يمكن أن نجد ما بعد الاستعمار؟⁽¹⁾، وقدمت بتوسع تعريفات للاستعمار وما بعد الاستعمار، وأشارت إلى مقاربات ما بعد بنوية للتاريخ وأن حيوات عدد من الشعوب المقهورة يمكن أن تُكشف فقط بالإصرار على أنه لا يوجد تاريخ واحد بل (تعددية تاريخية). ووقفت عند إرجاع بعض نقاد نظرية ما بعد الاستعمار، السبب إلى الاعتماد الكبير على نظريات ما بعد البنيوية أو ما بعد الحداثة (واللتين غالباً تقرأن على أنهما متماثلتان). إنهم يدعون أن الإصرار على تعددية التواريخ والتشظى في داخل هذين المنظرين كان مؤذياً للتفكير حول العملية الكونية للرأسمالية هذه الأيام. فالتشظى المتزايد وقابلية التحرك لدى المجتمعات والشعوب تحتاج أن توضع في سياقها فيما يتعلق بالطرق الجديدة التي تعمل من خلالها الرأسمالية الكونية⁽²⁾. وأضافت آنيا قائلة: "لقد أظهرت دراسات ما بعد الاستعمار أن العملية الاستعمارية غيرت كلاً من "المدينة الحواضرية" و"المستعمرة" بصورة عميقة. وأعيد بناء كليهما وفقاً لذلك أيضاً بواسطة فكفكة الاستعمار.

وفي السودان يُعد عبدالله على إبراهيم، من أوائل الذين دشّنوا هذا النوع من الدراسات النقدية، إذ نشر كتاباً عن التعليم والاستعمار في عام 2010. قال في المقدمة: "وتقع هذه الدراسة بصورة أخص في حيز دراسات الاستعمار والمناهج المدرسية"⁽⁴⁾. أشار عبدالله في كتابه إلى المفكر إدوارد سعيد، مُطلق عقال مدرسة دراسات ما بعد الاستعمار، وإلى الدكتورة لند سميث، التي دعت شعب الماروي النيوزيلندي للتحرر من الاستعمار كمعرفة تشربها⁽⁴⁾. كما أشار إلى كتاب: المنهاج الإمبريالي: العقائد العرقية والتعليم في التجربة الاستعمارية البريطانية، لمؤلفه ج. أ. ماقمان، الذي قال: "إننا لم ندرس بصورة كافية الجذور العرقية في التعليم الاستعماري. فالمدارس حقاً تعلم معارف ومهارات ولكن

(1) آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغنى غنوم، ط 1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007، ص 28.

(2) المرجع السابق، 27-28.

(3) عبدالله على إبراهيم، بخت الرضا: التعليم والاستعمار، سلسلة كتاب الشونة، ط 1، دار المصورات للنشر، 2010، ص 3.

(4) المصدر السابق، ص 6.

فقط في صور تضمن الخضوع للأيديولوجية السائدة وطغيان ممارساتها⁽¹⁾. كتب عبدالله في كتابه قائلاً: "خلص الباحثون إلى أن الاستعمار مشروع ثقافي بعيد المدى". وأضاف قائلاً: "فلقد تهافت البرنامج الوطني لـ "محو آثار الاستعمار" لأننا فهمنا خطأ أن الاستعمار "يتبخر" بالاستقلال⁽²⁾،... لقد ظنت الحركات الوطنية أن بوسع الأمة التي تحررت أن تعيد صلتها بتاريخها وثقافتها كأن الاستعمار لم يكن. إن الإحاطة بالاستعمار كإرث ثقافي متين يلزم في حربه البأس الفكري الشديد⁽³⁾. لقد تحدثت في دراستي تلك عن أن أمر نقد المعرفة الاستعمارية في السودان، لم يحظ حتى اليوم بالاهتمام اللازم، على الرغم من أن السودان يسير في مختلف المجالات وبشكل واضح، وفقاً لتلك المعرفة. وأشرت إلى تجليات المعرفة الاستعمارية (مع ملاحظة أن موضوع الورقة هو: المعرفة الاستعمارية والإرث السياسي) ودورها بشيء من التفصيل في الجوانب التالية: في التاريخ، وفي تهيئة مناخ الصفوية وعميق الانبئات الثقافي، وتخفيض السقف المعرفي وصناعة القادة، وتجميد حركة التغيير، والصراع بين الطوائف والأحزاب وبين النخبة السودانية، والفشل في تحقيق التسوية الوطنية، وغياب ثقافة البناء الجماعي للوطن وللمستقبل، إلى جانب تفشي ثقافة الثارات في الممارسة السياسية السودانية (سياسة التطهير 1969، وسياسة التمكين 1989). إلى جانب ظهور الثنائيات: القضاء الشرعي والقضاء المدني، التعليم المدني والتعليم الديني، السوق العربي والسوق الأفرنجي... إلخ. ولا تزال المعرفة الاستعمارية تهيمن على مسار السودان حتى اليوم".

نقد الأستاذ محمود للمعرفة الاستعمارية Colonial Knowledge

نحن حتى الآن مستقلون سياسياً، مستعمرون فكرياً.. فكرك، وفكري، ما عندو غير الثقافة الغربية.. الثقافة [التي تستعمرنا]، وقد أخرجنا مستعمرنا من أرضنا، وهي لا تزال تستعمر عقولنا⁽⁴⁾.

محمود محمد طه

(1) المصدر السابق، ص 3.

(2) المصدر السابق، ص 6-7.

(3) المصدر السابق، ص 7.

(4) محمود محمد طه، الدعوة الإسلامية الجديدة، ط 1، أمدردمان، 1974، 7-11.

وجه الأستاذ محمود ونشر نقداً باكراً وواسعاً وقوياً للسياج المعرفى الذى أحاط به الاستعمار الشعوب المستعمرة، عبر نوع التعليم والثقافة والاقتصاد... إلخ الذى خلقه فى مناحاتها وسماواتها وفى فضاءاتها المعرفية ومؤسساتها التعليمية، لاسيما فى السودان. كما أن حياة الأستاذ محمود فى حد ذاتها تمثل نقداً للمعرفة الاستعمارية، فهو لم يكن صفوياً فى مزاجه أو سلوكه، ولم يتمثل أياً من النماذج التى تمثلها طلائع المتعلمين، نموذج المثقف الإنجليزى أو نموذج الفقيه الأزهرى. لقد عاش حياة بسيطة وكان منزله فى حى شعبي ومفتوح لعامة الشعب وحريصاً على الالتصاق بالشارع وقضاياها، ويعرف ذلك كل من عاصره أو زاره فى داره. كتب تاج السر حسين قائلاً: "كنت من المحظوظين الذين التقوا الأستاذ محمود واستمعوا اليه وشربوا شاي الصباح فى بيته المتواضع المبنى من (الجالوص) وهو المهندس المتخرج من كلية غردون! واستمعت للقرآن يتلى والأناشيد العرفانية تردد، وأمور الدين والدنيا تطرح للحوار، وكأن ذلك البيت البسيط إحدى جامعات العالم الأول العريقة، وهو فى الحقيقة أكبر من ذلك كله"⁽¹⁾. نشر الأستاذ محمود نقده فى المقالات والكتب منذ أربعينيات وخمسينيات القرن الماضى، وذلك قبل بروز خطاب نقد الآثار الاستعمارية، الخطاب الكولونيالى؛ مدرسة دراسات الاستعمار، وما بعد الكولونيالية؛ مدرسة ما بعد الاستعمار.

لم يكن الاستعمار عند الأستاذ محمود يعنى خروج الإنجليز المستعمرين، يقول الأستاذ محمود: "إن الإنجليز قد يجلون غداً ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين، لأن الاستقلال والحرية لا تحيى إلا نتيجة للحكم الواعى الرشيد وذلك أمر لا يتفق اتفاقاً وإنما يجيى عن تعمد وتوخ ودراسة واعية"⁽²⁾. كذلك لقد نقد الأستاذ محمود التعليم الاستعمارى بتوسع، وتحلى ذلك النقد فى كتابات عديدة منها (مجرد نماذج): السفر الأول، 1945⁽³⁾، وقل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة، 1952⁽⁴⁾. وأسس دستور السودان لقيام حكومة

(1) تاج السر حسين، "محمود محمد طه الذى عرفته..."، من سودانيل *Sudanile*، منبر الرأى، استرجاع (Retrieved) يوم 4 يناير 2010، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

(2) محمود محمد طه، "بيانات الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، صحيفة أبناء السودان، العدد 166، بتاريخ 1958/11/1.

(3) محمود محمد طه، السفر الأول، مصدر سابق.

(4) الحزب الجمهورى، قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة، مصدر سابق.

جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، 1955⁽¹⁾. وقد كتب الأستاذ محمود خطاباً إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب⁽²⁾، في يوم 1958/12/24. كما صدرت منشورات وكتب مختلفة عن التعليم⁽³⁾ في مناسبات عديدة، يمكن الوقوف عليها في موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت. كما أصدر الأستاذ محمود كتاب: **الثورة الثقافية**، وقد كتب الأستاذ محمود في مقدمته قائلاً: "هذا كتاب عن الثورة الثقافية، نخرجه للناس، ونستهدف به إحداث التغيير الجذري - في حياة الأفراد والجماعات، وذلك عن طريق إعادة التعليم - إعادة تعليم المتعلمين وغير المتعلمين..."⁽⁴⁾. تكاد معظم كتابات الأستاذ محمود لا تخلو من حديث عن التعليم، وتضمن جزء كبير منها نقداً للتعليم وللمعرفة الاستعمارية. ففي كتابه: **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، تحدث عن دور الاستعمار في إحداث التناقض عند المثقفين وفي معارفهم. يقول الأستاذ محمود:

"ولقد لاحظنا... أن المثقفين لا يجدون حرجاً من الاعتراف بجهلهم لهذه الشريعة.. في حين أنهم لا يرضون أن تظهر ثغرات في ثقافتهم العامة من الفلسفات المعاصرة، ومن الأفكار الاجتماعية التي تسود عالم اليوم.. ولعل بعض السبب في عدم الاهتمام هذا يعود إلى صنيع الاستعمار البريطاني، الذي صنعه بهذه الشريعة، وبرجال هذه الشريعة"⁽⁵⁾.

وتحدث الأستاذ محمود عن دور الاستعمار وتدخله في الشؤون الدينية وتقسيمه للقضاء، يقول الأستاذ محمود: "عندما دخل الاستعمار البريطاني... أخذ في تطمين الشعب على عدم التدخل في دينه، فأعلن عزمه على تسليم أمور دين الشعب إلى زعمائه الدينيين وإلى فقهاءه، وإلى قضاة الشرعيين". ويضيف الأستاذ محمود قائلاً:

"فأنشأ المحاكم الشرعية.. وحدد لها اختصاصاً لا يتعدى شريعة الأحوال الشخصية.. وجعل تنظيم أحوال الناس المعاشية، في تعاملهم اليومي، إلى

(1) محمود محمد طه، أسس دستور السودان لقيام جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، أمدمان، 1955.

(2) محمود محمد طه، "خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، الخرطوم، 1958/12/24.

(3) الإخوان الجمهوريون، التعليم، المنشور الثاني بمناسبة عام الطفل العالمي 1976، ط 1، 1976.

(4) محمود محمد طه، **الثورة الثقافية**، مصدر سابق، ص 1.

(5) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 8.

الشريعة الوضعية، وأقام القضاء المدني بإزاء القضاء الشرعى، وجعله فوقه، وأعطاه السيادة عليه، وجعل تنفيذ أحكام القضاء الشرعى فى يد القضاة المدنيين.. وكانوا، فى الغالب الأعم، بريطانيين⁽¹⁾.

ثم تناول الأستاذ محمود آثار تلك السياسات قائلاً: "فأوحى هذا الصنيع للشباب الذين أخذوا يتلقون العلم فى المعاهد التى أنشئت حديثاً بالبلاد، على مناهج التعليم الغربى، أوحى إليهم بثانوية الشريعة الإسلامية عامة، وبشريعة الأحوال الشخصية خاصة، إذا ما قورنت إلى القانون المدنى.. وكذلك نشأ عدم الاهتمام بها و الانصراف عن الاطلاع عليها"⁽²⁾. وتناول الأستاذ محمود فى كتابه: **الدعوة الإسلامية الجديدة**، كيف أن التحرر فى الأمم الإسلامية كان سياسياً ولم يكن فكرياً، يقول الأستاذ محمود:

"وأى إنسان مراقب لما عليه الأمم الإسلامية، فى الآونة الأخيرة، يعلم أن الأمم الإسلامية كلها نهب للدول المستعمرة، حتى أنه ليس هناك بلد إسلامى حر تماماً.. نحن نحررنا، فى الوقت الحاضر، لكننا نسعى باستمرار لنستكمل استقلالنا، من النواحي الاقتصادية، ومن النواحي الاجتماعية، ومن النواحي الفكرية"⁽³⁾.

ثم تناول الأستاذ محمود ما وردت الإشارة إليه فى صدر هذا المحور من أننا مستقلون سياسياً، مستعمرون فكرياً.. وأشار إلى البلاد العربية، قائلاً: "البلاد العربية حيث وجدتموها، تعيش على المدنية الغربية.. هى تحارب الاستعمار باللفظ، وتدافع عنه، وتعيشه، فى الواقع"⁽⁴⁾.

الشاهد أننى قدمت إشارات مختصرة فى هذا المحور، بيد أن نقد المعرفة الاستعمارية عند الأستاذ محمود، احتل مساحات واسعة فى كتاباته وأحاديثه، ووقف عند جوانب عديدة: التعليم، السياسة، الاقتصاد، الاجتماع، تنمية المرأة، الحداثة، والدين... إلخ. وقد نشر الأستاذ محمود هذه الكتابات فى نقد المعرفة الاستعمارية، فى كتب ومقالات وبيانات... إلخ منذ أربعينيات وخمسينيات القرن الماضى.

(1) المصدر السابق، ص 8.

(2) المصدر السابق، ص 8.

(3) محمود محمد طه، **الدعوة الإسلامية الجديدة**، مصدر سابق، ص 7-11.

(4) المصدر السابق، ص 7-11.

وقائع ثورة رفاة (الخفاض الفرعوني) - سبتمبر 1946

وقد تعرض محمود للسجن الطويل فى خصومات إيجابية مع الإنجليز منها حادث (الطهارة الفرعونية) فى رفاة وهو حدث اجتماعى رفعه محمود إلى مستوى المساس بالدين والوطن⁽¹⁾.
التجاني عامر (1987-1908)

اتسم تناول لثورة رفاة - الخفاض الفرعوني، عند الدارسين بعلتين أساسيتين، العلة الأولى: أن المعلومات التاريخية عن الثورة لم تك دقيقة عند بعضهم، ومن الطبيعى أن تختل نتائج الدراسة التى لا تقف على المعلومات وحقائق التاريخ فى مظانها، ولهذا لم يتعاط هذا الفريق مع ثورة رفاة على أساس أنها ثورة ضد المستعمر البريطانى، وذهب هذا الفريق بتفسيره للثورة وأسبابها ونتائجها فى وجهة لا يشوبها التناقض وعدم تماسك الحجج والجهل والبتر للمعلومات فحسب؛ وإنما يكون التناقض أكثر وضوحاً عندما نقف على الدراسات العلمية التى تقوم على الأسس العلمية الرصينة، وتدفع بالحقائق التاريخية، وبمناهج البحث الجديدة لدى المتخصصين. كانت الدراسات التى نظرت فى ثورة رفاة وصاحبها علة الخلط فى حقائق التاريخ وعدم الدقة فى المعلومات كثيرة، منها نموذج أشار إليه خالد الحاج عبد المحمود وهو يفند حججه ويدحض آراءه.

كتب خالد الحاج قائلًا: "لقد تعرض د. خالد المبارك، لأحداث ثورة رفاة 1946 فى حديث له بجريدة الرأى العام ...، هبط فيه بدور المثقفين الى قاع، يصعب أن يجاريه فيه أحد... فقد جاء حديثه، متحاملاً مغرضاً، يفتقر إلى أبسط قيم الفكر الموضوعى الأمين... فالموضوعية فى أبسط صورها تقتضى ذكر الحقائق كماهى، ثم مناقشتها، لا تبديلها وعكسها، أو تحريفها"⁽²⁾. وكتب طه إسماعيل أبو قرعة (2003-???) فى مقالة من ثلاث حلقات بعنوان: "د. خالد المبارك يكشف عن حقائق مؤسفة، متى يرفع السودانيون أصواتهم استنكاراً لتزييف التاريخ؟"، نشره فى أيام 25، 26، 28 ديسمبر على التوالى من عام 2002، وسبقه بمقال آخر بعنوان: "خالد المبارك يجهل الحقائق ويضلل القراء" نشره بتاريخ 11 ديسمبر 2002،

(1) التجاني عامر، "ذكريات: من مذكرات التجاني عامر"، مصدر سابق.

(2) خالد الحاج عبدالمحمود، "ثورة رفاة 1946: التاريخ بين المثقفين المصريين والمثقفين السودانيين"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved)، 2009/3/14، الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfikra.org

كانت مقالات أبو قرجة رداً على مقال كتبه خالد المبارك بعنوان: "مفكرة سودانية بريطانية.. محمود محمد طه وأنصاف الحقائق"⁽¹⁾، كتب أبو قرجة في مقاله الثاني قائلاً:

"قال الدكتور خالد المبارك في مقاله عن ثورة رفاة: (قيل لنا أنها مثل إضرابات الطعام في المدارس وإضرابات زيادة الأجور العمالية، مجرد ظواهر اجتماعية لمضمون سياسي هو رفض الاستعمار...)!! ولا بد أن أقول هنا للدكتور أن الكتابة بطريقة "قيل لنا" لا تليق به، خصوصاً في موضوع بهذه الأهمية والحساسية. وأنا أعفيه من أن يذكر لنا من قال ذلك، ولمن، ومتى، وأين".

كتب خالد المبارك في نفس المقال في مغالطة لحقائق التاريخ، تكشف عن خلل تناول، والمجافاة للمصادر والمراجع، بما لا يليق بمن يريد أن يساهم في الخدمة التنويرية، كتب خالد قائلاً:

لكن الأستاذ محمود محمد طه ارتكب ايضاً عدة أخطاء تقديرية جسيمة. حدثت انتفاضة رفاة.... احتجاجاً على قرار الإدارة الاستعمارية بمنع انخفاض الفرعوني. قيل للعامة: يريد الإنجليز أن يتدخلوا في كل شيء حتى (.....) بناتكم! وفعلنا ثار الناس حماية للشرف الرفيع وكان على رأسهم الأستاذ محمود. كان موقفه ذلك متخلفاً ورجعياً في مواجهة قرار «تحديثي» جرى وسليم. انتفاضة رفاة المزعومة ليست من مآثرنا في النضال ضد الاستعمار بل هي من مخازينا. ويقع وزرها على كاهل الأستاذ محمود محمد طه. قيل لنا أنها مثل إضرابات الطعام في المدارس وإضرابات زيادة الأجور العمالية، مجرد ظواهر اجتماعية لمضمون سياسي هو رفض الاستعمار. وهذا دفاع واه لأن الأستاذ محمود لم يراجع موقفه علناً او يذكر مبرراته بعد نيل الاستقلال.

كتب عبدالله عثمان ناقداً لآراء خالد المبارك ومخاطباً خلل التصور وخلط الحقائق وهو يستدعي دعوة "إعادة تعليم المعلمين" التي أطلقها الأستاذ محمود، كتب عبدالله في مقاله الذي جاء بعنوان: "إعادة تعليم المعلمين"⁽²⁾، كتب قائلاً: "عندما طالعت 'أنصاف حقائق' الدكتور

(1) خالد المبارك، "مفكرة سودانية بريطانية.. محمود محمد طه وأنصاف الحقائق"، صحيفة الرأي العام، بتاريخ 18 نوفمبر 2002، الخرطوم.

(2) عبدالله عثمان، "إعادة تعليم المعلمين"، صحيفة الرأي العام، 23 ديسمبر 2002.

خالد المبارك المنشورة بجريدة الرأي العام، 18 نوفمبر 2002، طالعنى أول ما طالعنى دعوة الأستاذ محمود لإعادة تعليم المعلمين، ذلك أمر نحن أحوج ما نكون له اليوم أكثر من أى وقت مضى، ... لقد ظل الدكتور خالد المبارك يردد أنصاف حقائقه هذه...". ثم ذهب عبدالله فى نقده لخالد المبارك وهو يحمل الأبعاد والدلالات الوطنية فى حادثة رفاة، وكيف أن الأستاذ محمود وظف الحادثة توظيفاً يصب بروح ثورية فى خانة النضال ضد المستعمر، كتب عبدالله قائلاً:

إن "حادثة رفاة" المشار إليها، اتخذها الأستاذ محمود سبباً لإذكاء روح النضال ضد المستعمر الإنجليزي، وقد كان رأى الأستاذ محمود أن مثل هذه المسائل الاجتماعية المعقدة لا تتم معالجتها ولا محاربتها عن طريق القانون، وإنما عن طريق التربية و طالب الإنجليزية بفتح المدارس للفتيات بدلاً عن سن القوانين. ولم يفت عليه أن الإنجليزية إنما رموا لذلك بتصوير الشعب السودانى على أنه شعب متخلف يستحق الوصاية لإطالة أمد إقامتهم بالبلاد⁽¹⁾.

أيضاً، كان هناك نموذج آخر من نماذج الدراسات التى تعانى من نقص المعلومات وضعف الامام بالحقائق التاريخية، إلى جانب استخدامها مناهج البحث التى لا تعطى اعتباراً للمعرفة الاستعمارية وهى دراسة محمد وقيع الله، وقد وردت الإشارة إليها آنفاً، وهى بعنوان: "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام". يقول محمد وقيع الله: "وقد أصدر الاستعمار قانوناً يمنع عملية الخفاض الفرعونى للصبايا ويعاقب القابلة التى تجرى تلك العملية بخمسة أعوام سجن. كان محمود فى الصف المعارض لمنع الخفاض⁽²⁾. ويضيف وقيع الله قائلاً: "وبسبب نشراته المعارضة للخفاض، أرسل إليه مدير الشرطة البريطانى يطلبه... إلخ". ثم أشار وقيع الله إلى رفض الأستاذ محمود التوقيع على تعهد بحسن السير والسلوك، والإقلاع عن الانغماس فى العمل السياسى، ومن ثم حكم عليه بالسجن لمدة عام. وقد أطلق سراحه بعد خمسين يوماً، كما وردت الإشارة فى كتابنا هذا آنفاً. يقول وقيع الله: "وبعد شهرين من إطلاقه من السجن

(1) المرجع السابق.

(2) محمد وقيع الله، "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2006/11/23، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

اعتقلت السلطات الاستعمارية إحدى " القابلات " واتهمتها بإجراء عملية الخفاض الفرعونى على الفتيات الصغيرات، وحكم عليها بالسجن مدة أربعة أشهر، فأشعل محمود أهل المنطقة حماسة واضطراباً، وقاد تظاهرة ضخمة اتجهت إلى مركز الشرطة وحاصرته، واقتحمته، وأطلقت سراح السجينة، وعادت ظافرة بها إلى أهلها، وقد أعتقل محمود مجدداً فى إثر ذلك الحادث، وقدم لمحكمة قضت عليه بالسجن مدة عامين⁽¹⁾. ثم أضاف قائلاً: " وفى عام 1952 أنشأ أول كتبه، وهو الكتاب الموسوم بـ " قل هذه سبيلى " دعا فيه إلى حكومة عالمية، ودافع فيه من جديد عن عادة الخفاض الفرعونى المستهجنة"⁽²⁾.

أكتفى فيما يتعلق بالدراسات التى تنقصها المعلومات وضعف الإلمام بالحقائق التاريخية بإيراد هذين النموذجين. من المهم الإشارة إلى أن هناك أمثلة عديدة، لنوع الكتابات وكان جلها مقالات صحفية، جاءت حاملة للجهل بالحقائق التاريخية والخلط فى الأحداث والوقائع فى كل مايتصل بثورة رفاعه - الخفاض الفرعونى. كذلك فقد لاحظت أن مثل هذه الدراسات اتسمت بالضعف والسطحية والمهاترة والمجافاة للمصادر والمراجع، الأمر الذى يجعلها لا ترقى لمستوى الدراسة العلمية، وإنما تظاهرة بحثية هتافية فاقدة للأركان العلمية، وينقص أصحابها الورع العلمى والحصافة والكياسة المعرفية، كما أنها تقوم على الروايات السماعية والأخبار الشفهية غير الدقيقة. وقد عانى السودان عناءً شديداً من مثل هذا النوع من الكتابات والكتب، فالسودان بلد عميق وعريق وقديم ولكن للأسف تدرس قضاياها بسطحية، وكسل ذهنى منقطع النظر، كما أن دراسات القضايا فيه يرتكز، كما هو حال غموجينا، على الأخبار السماعية، لا على الأخبار والمعلومات فى مظانها. الشاهد أنه لاحقاً ومن خلال معالجتى لثورة رفاعه سبرى القارىء مدى ضعف المعلومات والجهل بالحقائق التاريخية لهذين النموذجين، كما أن معالجتى تحمل بين طياتها التنفيذ لخلاصات ونتائج هذا النوع من الدراسات.

أما العلة الثانية التى عانت منها الدراسات والمقالات التى تناولت ثورة رفاعه، فهى المنهج الذى استخدم من قبل الدارسين فى دراسة ثورة رفاعه. كان المنهج الذى استخدم فى دراسة ثورة رفاعه، قد أدى لنتائج وخلاصات، تجعلنا أمام نوعين من الدراسات. فالنوع الأول: هو

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

تلك الدراسات التي استخدمت المناهج البحثية التي تعبر عن حقبة الحداثة، ونتائج هذا النوع لم تك على وفاق مع موقف الأستاذ محمود وأقواله وتقييمه، وذهب هذا النوع إلى أن ثورة رفاة، باعتبار سببها انخفاض الفرعوني، هي عمل ضد الحداثة، وضد تحرير المرأة، وهذا النوع من الدراسات كان قليلاً مقارنة مع النوع الثاني، كما سيتضح ذلك. أما النوع الثاني: فهي الدراسات التي استخدمت المناهج البحثية التي تتصل بتفكيك خطاب المعرفة الاستعمارية وتتصل بحقبة ما بعد الحداثة Postmodernism، أكثر من اتصالها بحقبة الحداثة. فهي دراسات استخدمت منهج مدرسة دراسات ما بعد الاستعمار (ما بعد الكولونيالية) Post-Colonialism، ونتائج هذا النوع من الدراسات جاءت متفقة مع الأستاذ محمود تماماً في مواقفه بشأن ثورة رفاة وفي آرائه بشأن قانون انخفاض الفرعوني. كما اتفق هذا النوع من الدراسات مع الأستاذ محمود في تفسيره للغرض السياسي لمسألة انخفاض الفرعوني، واتفقت مع ما قال به من تقويم وفي نظرته للكيفية التي يجب أن تحارب بها عادة انخفاض الفرعوني. هذا النوع من الدراسات كان أكثر عدداً من النوع الأول، وقد قام بهذه الدراسات، علماء ودارسون سودانيون وغربيون، ومنهم نساء ومنهم رجال. الشاهد أنني قبل الدخول في التفصيل بشأن النوعين من الدراسات وما خلصت إليه من نتائج، أود أولاً تنوير القارئ بالأبعاد والوقائع التاريخية لثورة رفاة، مع تقديم تفاصيل للقصة كما روتها وقتئذ دوريات الخرطوم والمصادر في الأعوام ما بين 1945-1948، حتى يكون الحديث حديثاً علمياً وحتى يكون القارئ في درجة شعورية مقارنة معى ومع الذين درسوا ثورة رفاة من النوعين من الدراسات التي سترد تفاصيلها لاحقاً.

ثورة رفاة والحقائق التاريخية: لقاء الذاكرة بالخيال

والحق أن من يجهل حقائق التاريخ لا يمكنه تقويم ثورة ولا أى حدث تاريخي. وتديماً قال الأستاذ محمود محمد طه: "الفكر هو ثمرة لقاء الذاكرة بالخيال" (1).

طه إسماعيل أبو قرعة

(1) طه إسماعيل أبو قرعة، "مقال د. خالد المبارك يكشف عن حقائق مؤسفة (3 من 3)، ثورة رفاة غيرت وسائل الحركة السياسية وقصّرت أجل الاستعمار"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) يوم 12/3/2001، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

لقد لاحظت، أن معظم الدارسين لثورة رفاعة، يخلطون بين الأحداث وبعضهم يجهل بعض الحقائق والوقائع التاريخية، لهذا ولمصلحة السجال ولترفيه الجدل، فإننى استميت القارئ أن أورد هنا تحقيقاً صحفياً قامت به ونشرته صحيفة الرأى العام، فى 25 سبتمبر 1946، وهو من أشمل ما قرأت من تقارير عن ثورة رفاعة، وقد تتبعت بدقة أخبار ثورة رفاعة فى المصادر والمراجع وفى الصحف السودانية منذ أن أصدر المجلس الاستشارى لشمال السودان، قانون الخفاض الفرعونى فى شهر ديسمبر 1945، وحتى انتهاء فترة سجن الأستاذ محمود فى يوم 21 سبتمبر 1948. وهى صحف عديدة: الرأى العام، والسودان الجديد، وغيرها. فيما يلى نص التحقيق الصحفى لمندوب صحيفة الرأى العام الخاص عن حوادث رفاعة، كما نشر فى يوم 25 سبتمبر 1946، ولم أضف عليه سوى أنى زينت صدره بمقولة الكاتبة الشابة سارة ضيف الله.

نص تحقيق صحيفة الرأى العام عن حوادث رفاعة⁽¹⁾

واحدة من أهم النساء فى الوسط الفنى،... والتي رسمت لها الاقدار بأن يقترن اسمها "فايزة عمسيب" بالفكر والمناضل محمود محمد طه، والذي سجن ستين، بسبب الثورة التى اندلعت بمدينة رفاعة ضد المستعمر على أثر ختان فايزة عمسيب التى كانت حينها طفلة لا تعى معنى الختان ولا الثورة⁽²⁾.

سارة ضيف الله، فى يوم 12 فبراير 2011

أصل السبب

(المنين الحاكم) امرأة من ساكنات رفاعة مات عنها زوجها منذ شهرين تاركاً لها أطفالاً منهم بنت فى السادسة من عمرها. وفى حوالى أول سبتمبر الحالى أجرت المرأة لبنتها المذكورة عملية الخفاض الفرعونى منساقة مع عادة تناهت فى القدم هنا فى السودان وقد وصل خبر خفاض البنت إلى المساعد الطبى برفاعة الذى أبلغه بدوره إلى مفتش مركز

(1) "تحقيق صحفى (لمندوب الرأى العام الخاص) عن حوادث رفاعة"، صحيفة الرأى العام، العدد: 451، بتاريخ 25 سبتمبر 1946، الخرطوم.

(2) سارة ضيف الله، "فايزة عمسيب: مُشعلة ثورة رفاعة ضد الختان"، صحيفة الأحداث، 12 فبراير 2011.

رفاعة المستر ديك فاستدعى المرأة وحكم عليها بأربعة شهور سجنًا لمخالفتها قانون منع الخفاض الفرعوني وكان ذلك فى يوم 1946/9/7.

استياء الجمهور

وعندما علم الجمهور محاكمة المرأة استاء لها كل الاستياء وارسل تلغرافات إلى المفتش ممضاة (أهالى رفاعة) يحتج فيها على هذا العمل الفريد فى نوعه فى تاريخ البلاد ويطلب من المفتش أن يسمح لأربعة من ممثلى الأحزاب لمقابلته غدًا 1946/9/8 للتفاوض معه فى هذا الموضوع الدقيق. وفى التاسعة من صباح اليوم المذكور ذهب الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى وحسين كرقلى رئيس لجنة المؤتمر الفرعية وعبدالله لطفى مندوب حزب الأمة فقابلوا المفتش وتناقشوا معه فى الأمر وقال لهم أنه يقبل ضماناً يطلق بموجبه سراح المرأة نهائياً على أن تعود الى السجن ليلاً ولكنهم عرفوه أنها امرأة مسكينة وزوجها مات قريباً وأنها لم تكمل عدة الحبس الشرعى، وأنها ذات أطفال لا كافل لهم سواها. وعندئذ قال لهم المفتش انه سيطلق سراحها بضامين فتقدم محمد المكي ومحمد حامد للضمانة فأمضياها وانصرف الناس والمرأة.

إعادة قبض المرأة

وفى يوم الخميس 1946/9/19 أمر المفتش بالقبض على المرأة مرة أخرى وأودعت السجن برفاعة ولم يعلم الجمهور فى نفس اليوم بخبر إعادة قبض المرأة ولكن النبا انتشر فى اليوم التالى الذى هو الجمعة وتذاكر الناس أمر هذه المرأة فى المسجد عقب الصلاة فذهب فريق منهم يقدر بثلاثمائة الى المركز وطلبوا من نائب المأمور قاسم أفندى محمد الأمين أن يطلق سراح المرأة ويسجنهم جميعاً بدلاً عنها فتناول نائب المأمور التليفون وتكلم مع المفتش الذى كان بالحصاحيصا آنذاك وبعد قليل قال لهم أن المفتش أمر بإطلاق المرأة وسجن الضامين مكانها ولكن الجمهور رفض وقال إما أن نسجن جميعاً وإما أن نطلق جميعاً.

وازاء هذا الإصرار جاء الأمر من المفتش بإطلاقهم جميعاً وعلى ذلك تفرق الجمهور.

القبض مرة ثالثة

وفى الساعة الثانية عشرة من ليل الجمعة ذهب العمدة محمد عبدالله أبوسن ومعه أحد الخفراء الى منزل المرأة ونادى أباها (محجوب حاكم) الذى يشتغل بوليساً فى مركز رفاة وأمره أن يخرج المرأة ليحتفظ بها العمدة فى منزله وأخرج المرأة وهى فى ثياب النوم، رداء دون إزار، واخذها العمدة والخفير الى حيث أعد لها مركباً ينقلها الى الحصاصيصا ومنها الى مدنى .

غضب الجمهور

ولما علم الجمهور بأخذ المرأة ليلاً غضب غضباً شديداً وقدر أن المرأة لابد أن تكون فى الحصاصيصا ولذلك اتجه كل من سمع بالخبر، صوب الحصاصيصا.

وقد استطاع بعضهم فى الصباح الباكر أن يعبر النهر ليقابل المفتش فى الحصاصيصا وتوالى بعد ذلك تدفق الجمهور نحو النهر ولكنه وجد أن المراكب ممنوعة من العبور فذهب أفرادها إلى رفاة واحضروا مراكب عبروا عليها، وقد لقيت طلائعهم الفئة التى عبرت أولاً وقابلت المفتش وعرفتهم انها لم تصل الى نتيجة فاتجهوا جميعاً صوب مركز الحصاصيصا لمقابلة المفتش ولكنهم وجدوا بابه موصداً فاخذوا يقرعونه دون أن يفتح لهم ولما يتسوا أخذوا يقرعون النوافذ والأبواب بالعصى.

وفى تلك الأثناء حضر المستر هوكسويرث نائب مدير الجزيرة وأبدى تدمره من هذا العمل وقال إنه لن يستمع مالم ينسحب الجمهور وفعلاً انسحب الجمهور وخف منهم نحو عشرة أشخاص لمقابلته، ولكنه أخذ يطيل معهم الحديث، وقبل أن ينتهوا الى نتيجة ما، حضرت قوة من بوليس ودمدنى مسلحة بالبنادق والسيات والدرك، وأخذت فى تفريق الجمهور، وكان عددهم نحو ثمانين بوليساً ولكن الجمهور اقتحم نطاق البوليس وأستطاع بعض أفرادها أن يقابلوا المستر هوكسويرث مرة أخرى، وقد قال لهم أن المرأة ستسجن فى مدنى ولما سمعوا ذلك ثار ثائرههم وأخذوا يحطمون الأبواب والنوافذ بالعصى والحجارة وأصاب حجر زجاج عريبة المفتش فحطمه ولما رأى المستر هوكسويرث هذا الأمر قال لهم

أنه أمر بفك المرأة. وفعلا حضرت بعد وقت قليل عربية من مدنى تقل المرأة فأخذها الجمهور وانصرف بها.

وصول قوات الجيش

ومضى يوم السبت بأكمله هادئاً وكذلك صبيحة يوم الأحد ولكن فى حوالى الساعة الثانية عشرة وصلت رفاعة ست عربات محملة بالجيش أخذت تطوف بالطرقات والسوق بقيادة بكباشى بريطانى وضابطين سودانيين، ولما رأى الناس هذه القوة تجمعوا يدفعهم الفضول لاستطلاع غرضها وكان بعضهم يظن أنها جاءت لاعتقال المرأة وفعلاً ذهب فريق منهم للاطمئنان على المرأة فوجدوها فى منزلها وقد انفصلت عربتان صوب الديم وكان معهما عمدة رفاعة، وبعد قليل احضرتا الأستاذ محمود محمد طه.

وقد اتجه الناس صوب المركز لمعرفة شىء عن ذلك ولكنهم وجدوا الجنود قد سبقوهم إلى المركز وأنشؤوا استحكامات ووضعوا مدفعين رشاشين فى أعلى بناية المركز واحتشد صفان من الجند أمام المركز ووضعوا أربعة من رجال البوليس المدنى فى الطريق.

ولما بلغ الجمهور موقف رجال البوليس انسحب الأخيرون إلى حيث تقف قوات الجيش، ويظهر أن انسحاب البوليس أوحى إلى رجال الجيش أن الجمهور يريد الهجوم عليهم فأطلقوا طلقتين فى الهواء ثم أطلقوا بعدها أسلحتهم فى الهواء.

فوقف الجمهور فى مكانه وأخذ بعض الناس يهدؤون بعضهم واثناء ذلك انفرط إسماعيل على العشاربى وهو صبى فى العاشرة من عمره وتقدم إلى القوة فقبض عليه ولما رأى بعض الشبان ذلك تحفز ثلاثة من الشبان الذين تجاوزت أعمارهم العشرين وتقدموا صوب القوة فاطلق الجند الرصاص فى الارض فوقف الشبان مكانهم ولكن الجندى أخذ يضرب بالرصاص فكسرت رجل البدرى عبدالرحمن واخترق الرصاص عضلة ساق عطية عبد السيد وأصيب اثنان فى أرجلهم وهما حسن العمرابى والجيلى عباس، كما أصيب أحد الناس فى عينه وآخر بخدش بسيط، واخذ الجمهور جرحاه وانسحب وكان ذلك فى الواحدة والنصف بعد الظهر ولم يعالج هؤلاء حتى السادسة مساء حيث جاءت

عربة فأخذتهم إلى حيث ضمدت جراحهم فى المرفق الطبى للقوة وسيق بعضهم إلى أبى عشر للعلاج وقد انصرف الناس فى الثانية والربع.

المعتقلون

وقد تم اعتقال بعض الناس من رفاة والحصاحيصا منهم الأستاذ محمود محمد طه وشقيقه مختار محمد طه فوضعوا فى سجون رفاة والحصاحيصا ومدنى. ولم يقع بعد ذلك شىء. وما زالت الحالة الآن هادئة وتعاسكر القوات خارج رفاة ومنع الخروج من المدينة إلا بتصريح. (انتهى نص التحقيق الصحفى). هذا هو نص التحقيق الصحفى الذى جاء عن ثورة رفاة فى صحيفة الرأى العام السودانية، دون تدخل منى فى النص، سوى إضافتى لمقولة الكاتبة سارة ضيف الله فى صدر التحقيق.

قائد ثورة رفاة والتفكيك العملى للمعرفة الاستعمارية

الحزب الجمهورى [ما يدافع] عن الخفاض الفرعونى، ... وكلامنا كان أنه كل شعب عنده عادات حسنة وعادات سيئة. العادات الحسنة تُنمى وتزيد بالتعليم، والعادات السيئة تُحارب بالتعليم والتوعية، موش بالقوانين، موش بالبوليس⁽¹⁾.

محمود محمد طه

لقد أوضح الأستاذ محمود قائد ثورة رفاة موقفه منذ البداية، مبيناً أن الحزب الجمهورى استغل قضية الخفاض الفرعونى ووظفها ليثير الشعب، وفى هذا فإنه لا يدافع عن الخفاض الفرعونى، يقول الأستاذ محمود: "مواجهة الاستعمار استغلينا فيها قضية الخفاض الفرعونى الذى شرع ليهو المجلس التشريعى، وأخرج سفر بقانونه. هاجمنا السفر دا فى منشور، فكان سجن. السفر لمن طبق فى الحادث بتاع رفاة المشهور، هاجمناه فكان سجن آخر، ستة وأربعين. ناس كثيرين يقولوا الحزب الجمهورى بدافع عن الخفاض الفرعونى، لكن دى لغفلة، ظهرت فى الصحف فى أيام أخيرة"⁽²⁾. ففى ديسمبر 1945 حينما صدر قانون الخفاض الفرعونى،

(1) محمود محمد طه، "الاستقلال وقضايا الشعب"، (محاضرة)، دار الحزب الجمهورى، أمدرمان، 13 ديسمبر 1968.

(2) المصدر السابق.

أصدر الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى بياناً: "بيان الحزب الجمهورى عن مشروع قانون الخفض الفرعونى"، (أنظر ملحق رقم: "9"). قال الأستاذ محمود فى ذلك البيان: "لا نريد بكتابتنا هذا أن نقف موقف المدافع عن الخفض الفرعونى ولا نريد أن نتعرض بالتحليل للظروف التى أوحى به لأهل السودان والضرورة التى أبقت بين ظهرانيهم إلى يومنا هذا ولكننا نريد أن نتعرض لمعاملات خاصة وأساليب خاصة وستأ خاصة ستها حكومة السودان أو قل ابتدعتها إرغاماً⁽¹⁾. ثم تساءل الأستاذ محمود فى بيانه بشأن قانون الخفض الفرعونى، تحت عنوان جانبى: "لماذا أثيرت مسألة الخفض الفرعونى"، تساءل الأستاذ محمود قائلاً: "للسائل أن يسأل لماذا أثارت الحكومة مسألة الخفض الفرعونى؟ وله أن يسأل لماذا أثيرت فى هذا الوقت بالذات - وله أن يسأل أيضاً لماذا أثيرت فى البرلمان الإنجليزى - ولماذا تبودلت الرسائل فى شأنها مع [...]؟ ولماذا لجأت الحكومة إلى القانون لإبطالها؟ ولماذا كانت هذه الصرامة فى القانون؟"⁽²⁾. ثم تحدث الأستاذ محمود عن الإجابات على هذه الأسئلة وأوضح قائلاً: "نعم للسائل أن يسأل هذه الأسئلة وله أن يقتنع بأى رد يقال له إذا كان على جانب من البساطة والسذاجة وضيق الأفق، ولكن الذين علمتهم التجارب أن يستشفوا الحقائق الكافية وراء كل حركة تقوم بها حكومة السودان، لن يجدوا ما يبرر قبولهم للرد القائل بأن المسألة قد أثيرت إشفاقاً بالمرأة، لانهم لا يجدون أثراً لمثل هذا الإشفاق فى مدى الخمسين عاماً التى مكثتها حكومة السودان، وتقصيرها ظاهر ملموس فى ناحية المرأة التعليمية والاجتماعية والصحية"⁽³⁾. ثم تناول ادعاء الشفقة على المرأة والسعى لتطوير حياتها وتحديثها، وكان الأستاذ محمود يرى أن التطوير والتحديث والتوعية لا تتم بالقانون وإنما بالتعليم. يقول الأستاذ محمود:

أما من الناحية التعليمية فالحكومة قد تجاهلتها وأسقطتها من حسابها رداً من الزمان ولم تبصر فى تعليمها إلا مؤخراً ولأنها لما بدأت تعليمها ضيعته لدرجة مخجلة مزرية وحصرته فى التعليم الأولى وفى معهد واحد آخر يرتفع قليلاً فى مستواه على مستوى المدارس الأولية، اضطرت لإنشائه للحصول على حفنة من المعلومات ليقمن بمهمة التدريس فى تلك المدارس، ولأنها حين وضعت البرنامج

(1) الحزب الجمهورى، "بيان الحزب الجمهورى عن مشروع قانون الخفض الفرعونى" 10 ديسمبر 1945.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

لهذا القدر من التعليم، لم تراعى فيه ما يجب مراعاته فى تعليم بنت مسلمة فى قطر إسلامى، ولم تعدها لتدبير بيت منتظر وتعهده طفولة مرتقبة وسياسة زوج لا يمكن أن يربطه بوكر الزوجية سوى خلق قويم. وأما من الناحية الصحية فلأنها لم توفر طبيباً سودانياً واحداً من أطبائها للتخصص فى أمراض النساء وعلى كثرتها- ولم تلتفت أقل التفات، وعدم اهتمام الحكومة بناحية التعليم والصحة والبقاء هو ما يدعو الحذر للعزم بأن المسألة لم تثر إشفاقاً بالمرأة⁽¹⁾.

أوضح الأستاذ محمود فى البيان الذى أصدره بشأن قانون الخفاض الفرعونى فى ديسمبر 1945، قبل حدوث ثورة رفاة، أن العادات الموروثة منذ أمد بعيد لا تحارب بالقانون وبالبوليس، وإنما بالتعليم والتنوير والتوعية. وليس بالإعلان عن القانون ثم تطبيقه فوراً على أناس لم يسمعو به، دك من شرحه لهم وتنويرهم به. وكما هو معروف فإن عادة الخفاض الفرعونى فى السودان عادة موروثة منذ آلاف السنين. فقد وردت الإشارة لعادة الختان، وليس الخفاض، فقد سميت بالخفاض فى القانون الذى صدر فى ديسمبر 1945، (قانون الخفاض الفرعونى) بينما وردت الإشارات إليها فى المصادر التاريخية بالختان، ومن المعلوم أنها عادة قديمة. فهى بالطبع سابقة للإشارات التى وردت فى كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين⁽²⁾ الذين زاروا بلاد الحبشة، وديار البجة، وبلاد النوبة، والزغاوة⁽³⁾. لقد أشار عدد من الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين إلى عادة

(1) المصدر السابق.

(2) عبدالله الفكى البشير، "صورة شعوب القرن الإفريقى فى كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة"، مؤتمر: العرب والقرن الإفريقى: جدلية الانتماء والحوار، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات (معهد الدوحة)، الدوحة، دولة قطر، (27-29 نوفمبر 2011)؛ عبدالله الفكى البشير، "النسب الحضارى: قراءة فى عوامل الانتبات والتكيف وتغذية الخيال الجمعى"، (ورقة علمية)، المؤتمر العام السادس لاتحاد الكتاب السودانيين بعنوان: نسبنا الحضارى، قاعة ودعة، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، (24-25 مارس 2013).

(3) قال الحميرى: "زغاوة: من بلاد السودان، بينها وبين أنجيمى ستة أيام، وزغاوة مجتمعة الكور كثيرة البشر، شرب أهلها من الآبار، ولهم تجارات يسيرة وبضائع يتعاملون بها، وأكلهم الذرة ولحوم الجمال المقددة والحوت المصبر، والألبان عندهم كثيرة، ولباسهم الجلود المدبوغة يستترون بها، وهم أكثر السودان حزناً، وفى مئان يسكن أمير زغاوة وعاملها. المصدر: الحميرى، محمد بن عبد المنعم، الروض المطار فى خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 294.

الختان، فقد تحدث اليعقوبى⁽¹⁾ (حوالى 839/225 - 907/294) عن ختان الإناث عند البجة قائلاً: "وهم بين النيل والبحر، ولهم عدة ممالك، ... فأول مملكة البجة من حد أسوان، ... والمملكة الثانية مملكة بقلين: ... وهم الذين ينتفون لحاهم، ويقلعون ثناياهم، ويختنون، ..." (2). وتحدث الإدريسي⁽³⁾ (1110/493 - 1166/560) عن النوبة قائلاً: "وفى نسائهم جمال فائق وهن مختنات ولهن أعراق طيبة" (4). وتحدث الحميرى⁽⁵⁾ (000-27/1336هـ) بتوسع عن الختان من خلال حديثه عن النساء المقورات من نساء النوبة قائلاً: "ومن النوبة النساء المعروفات بالمقورات..." (6). فالعادة أقدم من إشارات الرحالة

(1) هو أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، المعروف باليعقوبى. وهو مؤرخ وجغرافى عربى. نشأ فى بغداد وخرج منها فى سن الشباب متجولاً فى ربوع الدولة الإسلامية، وزار بلداناً عديدة. يُعد أول جغرافى ورحالة عربى وصف الممالك وسجل عنها ملاحظاته. تحدث عن ممالك البجة والنوبة والحبشة، ووصف البلدان فى منطقة القرن الإفريقى. يُعد كتابه تاريخ اليعقوبى أقدم كتاب عربى يتضمن التواريخ من آدم حتى ظهور الإسلام وحتى عصر المعتمد على الله العباسى سنة 259هـ. أما كتاب البلدان الذى ألفه حوالى سنة 278هـ/ 891، فيعتبر أقدم ما صنف فى مجاله، وهو كتابه الوحيد فى الجغرافيا. وله مؤلفات أخرى.

(2) اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبى، ج 1، دار العراق للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص 217-219.

(3) هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموى، الشهير بالإدريسي، ولد فى سبته. انتقل مع أسرته وهو صغير إلى قرطبة. تلقى العلم فى جامعاتها، ودرس فيها العلوم والرياضيات وكان له اهتمام بدراسة التاريخ والجغرافية. بدأ أسفاره فى سن مبكرة. وفى عام 1138 سافر قاصداً بالرمو عاصمة صقلية تلبية لدعوة ملكها روجر الثانى حيث كلفه بتصنيف كتاب شامل فى وصف مملكته وسائر الأصقاع المعروفة فى ذلك العهد. ظل الإدريسي واثق الصلة بروجر إلى وفاة الأخير عام 1154، بعد أن أنجز له كتابه الشهير: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، فى سنة 518هـ/ 1123. كان الكتاب ينسب إلى أمير البلاد فيقال: كتاب رجار أو الكتاب الرجارى. غادر الإدريسي صقلية فى أيام شيخوخته راجعاً إلى مسقط رأسه سبته وتوفى فيها. قدم فى كتابه معلومات دقيقة عن نهر النيجر وعن السودان ومتابع نهر النيل. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، (دمشق: دار الفكر، 1995)، ص 388-394.

(4) الإدريسي، أبى عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموى الحسنى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مج 1، المكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، "د. ت. س."، ص 27-31.

(5) هو محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن عبد المنعم، من أهل سبته. أخذ يبلده عن أبى إسحاق الغافقى، ولزم أبى القاسم ابن الشاط وتنفع به وبغيره من العلماء. قدم غرناطة مع الوفد الذى قدم من أهل سبته عندما صار إلى إيالة الملوك من بنى نصر لما وصلوا بالبيعة. اشتهر بمعجمه الجغرافى: الروض المعطار فى خبر الأقطار. ترتيب معجمه ترتيب هجائى، واهتم بوصف المدن والأقطار والجزر والبحار. نقل الكثير من مادة معجمه من السابقين. وكان يعتمد فى تصنيفه على الكتب. المصدر: محمد بن عبد المنعم الحميرى، مصدر سابق، (مقدمة المحقق).

(6) محمد بن عبد المنعم الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 58.

والجغرافيين العرب والمسلمين الذين زاروا المنطقة في القرن التاسع الميلادي والقرون التالية. ولهذا فإن مثل هذه العادات لا تحارب بالقانون ولا يمكن للقانون أن يقضى عليها، كما هو حال قانون الخفاض الفرعوني، قبل التعليم والتوعية والتنوير. ولهذا قال الأستاذ محمود:

لا شك أن مجرد التفكير في الإلتجاء الى القانون للقضاء على عادة مستأصلة في النفوس، استئصال الخفاض الفرعوني، دليل قاطع على أن حكومة السودان، إما أن يكون قد رسخ في ذهنها، أننا شعب تستطيع القوة وحدها أن تثنيه عن كل مبدأ وعقيدة، أو أن تكون قد أرادت أن تقول للعالم الخارجي أن السودانيين قوم متعنتون وان تعنتهم الذي ألجأنا للقانون لاستئصال عادة الخفاض الهمجية، هو التعنت الذي وقف في سبيلنا وشل أيدينا عن استثمار الأراضي الواسعة الخصبة في الجنوب والاستفادة من مياه الدندر والرهذ والأتبرا والتوسع في التعليم⁽¹⁾.

جماهير رفاة تستنجد بقائد لا يخذل

ومشكلة قانون الخفاض، مشكلة توقعها أكثر السودانيين منذ أن صدر ذلك القانون،... وما من شك أن أكثر الفئة المتعلمة تؤمن بخطر هذا الخفاض، ولكن هذه الفئة، عندما صدر قانون الخفاض، كانت تشك إن كان هذا القانون سيثنى الناس عن هذه العادة أم سيخلق تطبيقه مآسى عنيفة⁽²⁾.

صحيفة الرأي العام، يوم 24 سبتمبر 1946

في الواقع لم تجد الجماهير في مدينة رفاة قائداً تستنجد به سوى الأستاذ محمود. فهى تعرف من هو الأستاذ محمود محمد طه حينما يجد الجد وعند النضال وعند الدفاع عن الحق والوطن. فقد عاش بينهم ودرس في مدارسهم، وهى تعلم بأنه سجن خمسين يوماً، يوم أن خير بين السجن وإمضاء تعهد بأن لا يمارس السياسة أو يقوم بعمل ضد الحكومة الاستعمارية، رفض الأستاذ محمود التوقيع على التعهد واختار السجن، فسجن خمسين يوماً بسبب مناشيره المناهضة للاستعمار، خاصة منشوره المندد بقانون الخفاض الفرعوني،

(1) الحزب الجمهورى، "بيان الحزب الجمهورى عن مشروع قانون الخفاض الفرعوني"، مصدر سابق.

(2) "حديث المساء: مأساة رفاة"، جريدة الرأي العام، العدد: 450، الثلاثاء 24 سبتمبر سنة 1946.

والذى نادى فيه بأن مثل العادات السيئة لا تحارب بالقانون والبوليس، وقد وردت الإشارة لذلك. نقلت خبر السجن صحف الخرطوم: **الرأى العام والسودان الجديد**، وقد وردت الإشارة لذلك أيضاً. حينما فوجئت جماهير رفاة بتطبيق قانون لم يسمع به جلهم، أو على الأقل لم تسمع به السيدة التى طبق عليها القانون، (المنين الحاكم، المنين بنت محمد عثمان⁽¹⁾) كما وصف حالها الشاعر المجذوب كما ورد آنفاً:

وسيدة فى السجن تبكى مهیضةً وليس بقانون الخفاض لها خبر

وجدت الجماهير فى مدينة رفاة نفسها فى مواجهة مع قانون سجن إحدى بناتها، فقد نقلت صحف يوم 11 سبتمبر 1946 فى صدر صفحاتها، تحت عنوان: "أول امرأة تسجن تحت قانون منع الخفاض"، وجاء تفصيل الخبر على النحو التالى: "جاء من رفاة أن امرأة حكم عليها بأربعة شهور سجنًا لأنها خفضت ابنتها خفاضاً فرعونياً وقد أحدثت هذه المحاكمة دويًا كبيراً فى جميع الأوساط هناك حتى اضطرت السلطات إلى إطلاق المرأة مؤقتاً"⁽²⁾. فجماهير رفاة لم ترض بأن تكون أول سبينة بقانون الخفاض من بناتهم، ولم يكونوا على علم بأن عدم الالتزام بهذا القانون يتناقض مع الحدائنة أو يتنافى مع حقوق المرأة، بل قد يكونون لا يعلمون أصلاً بصدور القانون نفسه، ولكن قطعاً أخذت بنت من بناتهم وإيداعها السجن هذا أمر غير مقبول، ويجعلهم فى مواجهة مع السلطة والقانون، حتى يحرروا بنتهم. ولكن أين القائد؟ أين القائد الذى يقودهم وهم على استعداد لمواجهة السلطة الاستعمارية فى سبيل تحرير بنتهم؟ فهم حينما فعلوا ذلك لم يكونوا كافرين بالقانون وإنما لجهلم به. فمثل هذه القوانين تحتاج لرحلة طويلة من التمهيد وخطط مدروسة للتثوير والتوعية بها، لأنها قوانين ستطبق على الجماهير، على عامة الناس. لم يك هناك قائد يستجدون به سوى الأستاذ محمود. وهذا أمر لا يمكن أن يمر بسلام فى بلد، سرب مستعمروها الصراع والمنافسة بين قادتها وزعمائها وبين متعلميها، طلائع المتعلمين، فأصبح الثابت الصراع والمنافسة، والتحول مزيداً من الصراع والمنافسة. تحدث يحيى محمد عبدالقادر فى مذكراته باستفاضة عن تلك الصراعات والمنافسة،

(1) "سبينة الخفاض"، صحيفة الرأى العام، العدد: 452، بتاريخ الخميس 26 سبتمبر سنة 1946.

(2) "أول امرأة تسجن تحت قانون منع الخفاض"، صحيفة الرأى العام، بتاريخ 11 سبتمبر 1946.

وأشار بصراحة ووضوح وتفصيل إلى الدسائس وطبيعتها، وإلى المؤامرات، وكيفية نسجها، وإلى أن الصراع والمنافسة بين طلائع المتعلمين بلغ مبلغاً جعل بعضهم يستأجر بلطجية ليضرب بعضهم بعضاً، فالمذكرات تعج بالتفصيل في هذه الصراعات والمنافسة وحالات الحسد والدسائس بين القادة والمتعلمين. لهذا فإن استنجد أهل رفاة بالقائد الأستاذ محمود لم يكن موضع ترحيب من القادة في الساحة آنئذ، ولم يك موضع ترحيب من معاصري الأستاذ محمود، لهذا فموقفهم من ثورة رفاة كان عدائياً، وورث اللاحقون وحتى يومنا هذا ذلك العداء. لم ترد حتى مجرد إشارة لثورة رفاة في مذكرات معاصري الأستاذ محمود، وقد تحدثت عن تجاهل الأستاذ محمود والسعي لتفسيه من الذاكرة الجماعية من قبل معاصريه كما سيأتى لاحقاً في الفصل السادس عشر، وهو بعنوان: "الأستاذ محمود في مذكرات معاصريه".

قائد ثورة رفاة يستمع للجماهير

إن انتفاضة رفاة حقيقةً قد كانت دفاعاً عن حق السودانيين في الانعتاق من التخلف والعادات الضارة بإرادتهم وبتناج التوعية والتعليم لا قهراً بسطوة القانون؟؟⁽¹⁾

عبدالمطلب بلة زهران

الشاهد أن جماهير رفاة كانت تبحث عن قائد لقضيتها، ولم يرد في ذاكرتهم قائد سوى الأستاذ محمود، فجاءت إليه. لقد حكى الأستاذ محمود قصة ثورة رفاة، وكيف أن الناس في مدينة رفاة جاؤوا إليه مستنجدين به، أثناء زيارته لمدينة رفاة بغرض موااساة إحدى الأسر في وفاة أحد أعضائها، حكى الأستاذ محمود قائلاً⁽²⁾: "حدث رفاة، أنا مشيت مشية عابرة لبكاء (لوفاة) هناك.. بعدين الناس طبعاً كانوا اتسامعوا بسجنى الأولانى بمناسبة قانون الخفاض الفرعونى فلما سجنت المرأة، ما بعرفهم أنا، جو فى

(1) عبدالمطلب بلة زهران، "محمود محمد طه.. الحقيقة الكاملة"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) يوم 16 سبتمبر 2009، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

الفراش (حيث منزل المتوفى) وسألوا عنى وحكوا لى.. قالوا لى نحن عندنا بتنا أرملة، خرجت من الحبس على زوجها، لتوها، وطهرت بنتها، وفى وشاية مشت للسلطات، والسلطات اعتقلتها وختتها فى السجن.. وكان دا يوم جمعة". بعد أن استمع القائد، الأستاذ محمود، للجماهير بدأ الخطوات العملية والقانونية، قال الأستاذ محمود: "أنا كتبت جواب لمفتش المركز أنه أنا عايز أقابله.. فى بعض الإخوان من رؤساء اللجان الفرعية للأحزاب الموجودين فى رفاة قالوا أنهم يضموا اسمهم لاسمى فى المبادرة.. فقابلنا المفتش وكلمناه بالموضوع دا وكانوا الناس كتيرين فى الأبواب وزاحمين عليه مكتبه، فشوش كدة، وقال هو راح يطلق سراحها لغاية ما تظهر نتيجة الاستئناف لأنه فى استئناف ساير، فأطلقها". لقد أطلق سراحها بعد تلك المفاوضات وهو مدخل سليم وحضارى، بيد أن إطلاق سراح المرأة لم يك سوى خدعة، تحدث الأستاذ محمود عن المفتش قائلاً:

هو تاريخو [يبدو] فى الأثناء هذا بتشاور مع مدير النيل الأزرق بمدنى.. نحن افكرنا إنو ما يرجع ليها.. لكن بعد شوية، نحن قاعدين ثلاثة أربعة يوم مضت، افكرنا كان يوم خميس - الخميس البعد الجمعة دى، كان زى أعادوها للسجن.. زى مدير النيل الأزرق - اسمه روس بيرز كلم المفتى - المفتش كان اسمه باستر بول قال ليهو ناس رفاة ديل هراشين ساي ونفاخين أنا افكر ما بقدرو يعملوا حاجة، أنت اعيد المرأة للسجن، وأعادوا المرأة للسجن.

ما لبثت الجماهير قليلاً حتى أتت قافلة إلى الأستاذ محمود لتخبره بسجن المرأة مرة ثانية، قال الأستاذ محمود: "وجو (جاؤوا) كلمونى، وقلت ليهم فى الجمعة راح يكون فى حديث.. مشينا صلينا الجمعة فى جامع رفاة وكانت فى خطبة بعد الصلاة"⁽¹⁾. نقلت صحف الخرطوم خبر خطبة الأستاذ محمود، إذ جاء فى صحيفة الراى العام تحت عنوان: "حوادث رفاة": "وفى يوم الجمعة الموافق 20 سبتمبر القى محمود محمد طه خطاباً فى جامع رفاة يقال أنه حرض فيه الحاضرين على إنقاذ المرأة وقد انطلق جمع من الناس إلى المركز والسجن فدخلوه وأطلقوا سراح المرأة وفى تلك الليلة قبض

(1) لقاء الأستاذ محمود بمدوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

البوليس عليها مرة ثانية دون تشويش ثم نقلت المرأة الى الحصاحيصا⁽¹⁾. شرح الأستاذ محمود مرتكزات خطبته فى الجامع، إذ قال: "الموضوع دا بطبيعة الحال حساس ونحن قدرنا نلمسه.. فالتاس خرجوا من المسجد، مشوا للسجن طوالى فكوا المرأة، وملوا السجن"⁽²⁾. كان المفتش يومئذ وهو مفتش رفاة والحصاحيصا، فى الحصاحيصا.. كانت المهمة تقع على نائب المأمور الذى اتصل بالمفتش، يقول الأستاذ محمود مشيراً لحديث نائب المأمور للمفتش: "وقال ليهو الجماعة ديل عملوا وعملوا وقال ليهو سيب المرأة وسيهم يمشو خلاص... دا كان يوم الجمعة العصر.. الناس مشوا". ثم ما لبث أن تم التشاور بين السلطات الاستعمارية (نائب المأمور والمفتش ومدير النيل الأزرق بمدنى)، يقول الأستاذ محمود: "المدير (مدير النيل الأزرق بمدنى) قال ليهو المرأة تاخدها نص الليل وتعدوها الحصاحيصا وتجيوها لينا نحن هنا فى مدنى.. فكان ليلة السبت عملوا العملية دى... مشو زى السرقوها كدة، طلعوها من جنب بيتها وبعدين العربية دورت ومشت بيها وعدوها فى الليل". لم يكن لجماهير رفاة قائد يشكون إليه سوى الأستاذ محمود ليتولى قضيتهم ويقودهم. فبمجرد ما تم أخذ المرأة مرة ثانية جاءت الجماهير للأستاذ محمود، يقول الأستاذ محمود:

فى الصباح بدرى جوفى الناس فى الدير (أحد أحياء مدينة رفاة).. قالوا أنو البنت أخذوها فى الليل.. أخذها العمدة بتعليمات من المفتش والمدير.. نحن مشينا للسوق وحركنا المدارس أنهم يمشوا الحصاحيصا وكان الفيضان الشاذ بتاع سنة 46.. المفتش سحب المراكب من البر البقابلنا نحن للبر الغربى اللى بيللى الحصاحيصا.. الناس مشوا المشرع ما لقوا مراكب، جو ثلاثة أربعة بى عربية للدير - المحلة النحن قاعدين فيها القلت ضاحية [...] من رفاة - فى مشرعا فى مراكب، فقاموا الناس طلقوا المراكب دى وخلوها عايمة فى البحر لغاية ماجات فى رفاة قبضوها الناس العندهم مهارة فى الموضوع دا.. وركبوا فيها الناس وعدوا بى هناك وحاصروا المركز.. فيهو المفتش⁽³⁾.

(1) "عن حوادث رفاة"، صحيفة الراى العام، العدد: 454، 1946/9/28، الخرطوم.

(2) لقاء الأستاذ محمود بمدنى معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

تحدث الأستاذ محمود مصوراً مشهد المواجهة والصدام بين الجماهير والبوليس، يقول الأستاذ محمود: "المفتش كان يتصل بالمدير، أنو الناس وصلوا ومصرين على أنو المرأة ترجع وفي هياج كبير .. نائب المدير - هو روس بيرز أخذ كمندان البوليس وجاء ومعاهم عدد من البوليس بعصيههم والدرق بتاعة السعف دى، بعدين لقوا عدد كبير بالمره... بعدين الناس حاصروا المركز والمكتب الفيهو المدير والكمندان والمفتش - بقو الثلاثة جوه - بعدين نحن جينا ودخلنا عليهم". ثم عبر الأستاذ محمود عن كيف كان المدير والكمندان والمفتش يتجنبون الحديث معه؟، يقول الأستاذ محمود:

"فكان حاولوا يتجنبونى أنا فى الكلام، عارفين الحكاية، حتى يعنى عمى ووالد زوجتى - شيخ لطفى عليه رحمة الله - فروس بيرز قال لى خلى نسيك يتكلم، قلت ليه سيب المسألة دى - هو كان فى عدد كبير من الشيايب، كان يفكر أنو بقدر يأتّر على الشيايب بأنه يرجعوا الناس... نحن بطبيعة الحال شعرنا أنو راح يفشل اجتماع الناس فاتصعد الحماس طوالى بكلمة منّا من هنا وكلمة من هنا.. لمن الساعة اتنين جات وهو كان برضو عندو أمل فى الموضوع دا وكان يطلب موية الموية يحموها اياه - يحجزوها منه - يشربوها الناس، جات جبنة، حموها اياه - شربوها الناس.. بعدين اتوتر، بعد شوية الناس ملخوا فروع الشجر وبدوا يضربوا فى الشبايبك والأبواب والقرزاز والدواليب وبقت هيجة عجبية.. فى اللحظة ديك هو عرف أنو الموضوع دا لازم ينهيهو فاتناول التلفون وكلم السجن، قال لضابط السجن تحيب البنت انت بنفسك وتجى.. زى الساعة اتنين ونص أو ثلاثة بعد الظهر جابوا البنت وسلموها لناس رفاة ورجعوا بيها.. دا كان يوم السبت.. فى الوكت داك هو طلب قوة من الجيش تقوم من الخرطوم، تجى تحيط رفاة كلها، وقوة من البوليس ليقضى علينا نحن .. حضر ليهو قايمة من 12.. "

محاكمات أبطال ثورة رفاة

فى صباح يوم 1946/9/28 نشرت صحيفة الرأى العام على صدر صفحتها الأولى قائلة: "الإضرابات فى رفاة: إرسال فصيلة من قوة دفاع السودان لحفظ الأمن - إطلاق

سراح المرأة- تحطيم أجزاء من مركز الحصاصيصا- إطلاق الرصاص- هدوء الحالة اليوم⁽¹⁾، ثم أوردت تفاصيل القوة ولحظة وصولها... إلخ. ونشرت كذلك خبراً آخر على صفحتها الأولى تقول فيه: "وفى يوم الأحد الموافق 22 سبتمبر عبر مفتش المركز مع قوة من البوليس برئاسة القومندان النهر عند الحصاصيصا واتجهوا إلى رفاة لكي يلقوا القبض على زعماء الفتنة فى الاضطرابات الأخيرة"⁽²⁾. وسمت الصحيفة الثوار بـ "زعماء الفتنة فى الاضطرابات الأخيرة"، وهذا الوسم يعبر عن تبنى وجهة نظر الاستعمار، ويعبر عن الموقف العدائى، والذي أشرت له آنفاً، من ثورة رفاة. وتضيف الصحيفة فى خبرها قائلة:

قبضت دورية من البوليس على محمود محمد طه وعقب ذلك بوقت قصير تجمعهم عدد من الناس يقارب عددهم الأربعمئة شخص وكان من بينهم صبية للمرة الثانية ثم أخذوا يتقدمون بحالة عدائية صوب المركز وقد طلب منهم أن يقفوا ولكنهم رفضوا فاطلقت دفعة من الرصاص فوق رؤوسهم ثم لما استمروا فى تقدمهم أطلقت دفعة أخرى من الرصاص على الأرض تحت أرجلهم... أصيب رجل برصاص فى ساقه اليسرى فكسرت الساق وأصيب رجل بجرح لحمى فى ساقه اليمنى وأصيب رجل بجرح سطحي فى فخذه الأيمن⁽³⁾.

فى هذا الأثناء نشرت صحيفة الرأى العام خبراً تحت عنوان: "رئيس القضاء ينظر فى قضية الخفاض برفاة"، جاء فى الخبر: "وقد علمنا من مكتب الصحافة هذا الصباح أن قضية الخفاض التى سببت كل هذا الشغب هى الآن تحت نظر رئيس القضاء بالمصلحة القضائية وأن التهم الموجهة الى الذين اعتقلوا فى هذه الحوادث لا دخل لها بأرائهم فى موضوع الخفاض ولكنها تتعلق أولاً وأخيراً باستخدام القوة لتحقيق غاية فى الوقت الذى كان الاستئناف مفتوحاً أمام المتظاهرين"⁽⁴⁾. وفى يوم 28 سبتمبر أوردت صحيفة الرأى

(1) "الإضرابات فى رفاة: إرسال فصيلة من قوة دفاع السودان لحفظ الأمن- إطلاق سراح المرأة- تحطيم أجزاء من مركز الحصاصيصا- إطلاق الرصاص- هدوء الحالة اليوم"، صحيفة الرأى العام، العدد: 449، 1946/9/23، الخرطوم.

(2) "عن حوادث رفاة"، صحيفة الرأى العام، العدد: 454، 1946/9/28، الخرطوم.

(3) "عن حوادث رفاة"، صحيفة الرأى العام، مصدر سابق.

(4) "رئيس القضاء ينظر فى قضية الخفاض برفاة"، صحيفة الرأى العام، العدد: 450، يوم الثلاثاء 24 سبتمبر سنة 1946، الخرطوم.

العام فى صدر صفحتها الأولى خبراً تحت عنوان: عن حوادث رفاة، قاتلة فيه: "ومازال القبض على زعماء الفتنة مستمراً ويوجد الآن عشرة منهم تحت الحراسة فى رفاة (علاوة على محمود محمد طه) كما أنه قبض على أربعة أشخاص فى الحاصحيا لاشتراكهم فى الاضطرابات التى حدثت هناك⁽¹⁾. ضمت قائمة المقبوض عليهم 12 شخصاً.

تحدث الأستاذ محمود مفسراً الاختيار الذى تم لقائمة الـ 12 شخصاً الذين تم قبضهم، وتناول الأستاذ محمود الأحكام التى صدرت بالسجن فى حق بعضهم، يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن قائمة الـ 12 شخصاً، الذين اختارهم المفتش، تحدث الأستاذ محمود قائلاً: "12 كلهم اختارهم من الشبان الصغار ... اتجنب أن يذكر الشبان فى كشفه عشان الناس يقولوا أنهم كلهم أحداث وصغار ومنفعلين ولذلك هم أقرب الى الشغب منهم الى الاحتجاج الرشيد... تمت الاعتقالات فى صبيحة السبت داك - فى أغسطس من عام 46.. بعدين بدت محاكمات⁽²⁾.

كانت صحيفة الراى العام قد تابعت محاكمات ثوار رفاة، فنشرت فى 12 أكتوبر 1946 خبر محاكمة لستة عشر من المناضلين، قائلة: "صدرت أحكام بالسجن بمدد تتراوح بين شهر وسنة على كل من عباس المكى وعوض القريض وأحمد الأمين ومحمد إلياس والزبير جاد الرب وعبدالعال حسن وأحمد عثمان وحمد النيل هاشم وعلى مالك ومحمد الحاج على وبابكر وقبع الله وعبدالله حامد الشيخ وحسن أحمودى، ومنصور رجب وعبدون عجيب، وحكم على صبى بالجلد"⁽³⁾. وفى يوم 19 أكتوبر 1946 نشرت الصحيفة خبراً عن تفاصيل محاكمة ثلاثة من أعضاء الحزب الجمهورى، من ثوار رفاة، كما تضمنت الخبر إحالة قائد الثورة، الأستاذ محمود محمد طه إلى محكمة كبرى بمدنى. تقول الصحيفة: "أصدرت محكمة الجنايات حكمها على بعض أعضاء الحزب الجمهورى المتهمين تحت المادة (105) وكانت الأحكام كالآتى: عثمان عمر العتبانى 3 شهور سجنًا، سعد صالح عبدالقادر شهر سجنًا، ذو النون جبارة شهر سجنًا، وكانت المحكمة برئاسة

(1) "عن حوادث رفاة"، صحيفة الراى العام، مصدر سابق.

(2) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(3) صحيفة الراى العام، 12 أكتوبر 1946؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاة للجهولة، مصدر سابق، ص 16-17، بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 61-66.

استأنلى بيكر وعضوية محمد أفندى... مفتش الخرطوم بحرى والعمدة... أما الأستاذ محمود محمد طه فقد أحيل إلى محكمة كبرى بمدنى⁽¹⁾.

محاكمة قائد ثورة رفاعه والتبنى لوجهة نظر الاستعمار

أوردت صحيفة الراى العام تفاصيل محاكمات ثوار رفاعه، كما تابعت محاكمة قائد الثورة الأستاذ محمود. فقد نشرت فى يوم 12 أكتوبر 1946، قائلة: "علمنا أن الأستاذ محمود محمد طه رفض أن يقبل محامياً للدفاع عنه، وأنه أعلن بأنه لن يدلى بأية أقوال للتحقيق إلا على أساس مناقشة قانون منع الخفاض الفرعونى"⁽²⁾. كانت محاكمة الأستاذ محمود، قائد ثورة رفاعه، تتم فى محكمة كبرى بمدنى، وقد حضر من الخرطوم عدد من المحامين للدفاع عن الأستاذ محمود، منهم: الأستاذ أحمد خير المحامى والأستاذ زيادة⁽³⁾، والأستاذ مبارك زروق (1914-1965) وآخرون⁽⁴⁾. رفض الأستاذ محمود مبدأ أن يتقف له محامياً، وقد شكرهم وأوضح لهم أن تلك القضية سياسية وسوف يتولى الدفاع عن نفسه. عقدت المحاكمة برئاسة القاضى محمد أحمد مصطفى أبورنات (1902-1979)⁽⁵⁾. وقف الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدنى برئاسة أبورنات مدافعاً عن الابرياء وعن الوطن

(1) صحيفة الراى العام، 19 أكتوبر 1946؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاعه للجهولة، مصدر سابق، ص 16-17.

(2) صحيفة الراى العام، 12 أكتوبر 1946؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاعه للجهولة، مصدر سابق، ص 17؛ بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 63.

(3) إبراهيم يوسف، ثورة رفاعه للجهولة، مصدر سابق، ص 17.

(4) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 64.

(5) ولد بمدينة النهد. أبو رنات هو لقب أسرة شهيرة مقرهم جزيرة أبو رنات بديار الشايقية وهاجروا قديماً إلى النهد وحلفاية الملوك. تخرج أبورنات محاسباً فى كلية فرحون عام 1922 وعين مترجماً فى مركز الأبيض ونقل إلى بحر الغزال والرى السودانى. ثم درس القانون فنقل عام 1933 للمصلحة القضائية. فى عام 1935 اختير ليكون طالباً بمدرسة الحقوق، وتخرج فيها عام 1938 حيث عين قاضياً من الدرجة الثانية. فى عام 1943 انتخب قاضياً من الدرجة الأولى، وكان أول قاض سودانى يرأس محكمة كبرى فى عام 1944. فى نفس العام عين قاضياً مدنياً من الدرجة الأولى وشغل منصب نائب مساعد السكرتير القضائى ومفتشاً للمحاكم الأهلية، وكان أول سودانى يشغل هذه المناصب. فى عام 1949 أرسل إلى بعثة فى إنجلترا. عاد من بعثته عام 1950 فعين قاضياً بالمحكمة العليا وعضواً بمحكمة الاستئناف لمديرية الخرطوم. عند سودنة القضاء عام 1954، اختير رئيساً للقضاء (1954-1964). المصدر: عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج 2، مرجع سابق، ص 987.

وعن الحق والحقيقة، فقدم مرافعة جاءت في أكثر من ألفى كلمة⁽¹⁾. ما أجدر هذه المرافعة أن تُدرّس وتُدْرَس في الدوائر العدلية والحقوقية وفي كليات القانون وأقسام العلوم السياسية والتاريخ وتنمية المجتمع بالجامعات السودانية. وفي يقيني انه سيأتي اليوم الذي يتم فيه ذلك، بل سيأتي اليوم الذي تتم فيه الدراسة لكل نص كتبه الأستاذ محمود محمد طه. وقف الأستاذ محمود أمام المحكمة برئاسة القاضي أبو رنات وقدم مرافعة طويلة وقوية (للاطلاع على نص المرافعة كاملاً أنظر ملحق رقم: "18"). قال الأستاذ محمود في بعض مرافعته:

أهالى رفاة جميعهم أبرياء.. وزملائى الذين سجنوا أبرياء وأنا برىء والمسألة فى الحقيقة سلسلة أخطاء من الإدارة من أولها إلى آخرها.. كلما أخطأت الإدارة مرة، وتمسك الناس بحقهم اعتبرته مساساً بهيئتها، فاستعلت وأخذتها العزة بالإثم فقفزت فى خطأ آخر هو فى زعمها يعيد لها هيبتها فى نفوس الناس.. وما علمت أن اجتماع الأخطاء، لا ينتج منه ولا صواب واحد. الوضع الصحيح المجلل لهذه المسألة هو أن الإدارة قد ضربت أهالى رفاة فصاحوا من ألم الضرب بصوت خفيض، ثم ضربتهم فصاحوا، ثم ضربتهم فصاحوا، فاستاءت من أن يصيح المضروب المتألم، فقدمتنا للمحكمة فكانت هذه المحكمة.. ولو كنا نملك ما نملك لقدمنها نحن لهذه المحكمة، ولكننا لا نملك جيشاً ولا بوليساً ولا سجوناً ولا قيوداً، ولو ترك القطا ليلاً لنام⁽²⁾.

واصل الأستاذ محمود مرافعته قائلاً: "قلت بالأمس إنى وبالمثل أى عضو من أعضاء الحزب الجمهورى لا أنكر تهمة الإثارة لمجرد أنها تهمة إثارة، إنما أنكر تهمة الإثارة بالنقد الذى لا يحترم الحقائق وبالتشويش المغرض.. ولقد كان من دواعى الشرف لى ولحزبى (لو صح أنى أنا الذى أثرت أهالى رفاة)، لأنها من القضايا التى نقدنا فيها الحكومة وستنقدها

(1) إبراهيم يوسف، ثورة رفاة المجهولة، مصدر سابق، ص 31.

(2) إبراهيم يوسف، ثورة رفاة المجهولة، مصدر سابق، ص 31-32؛ أشار إبراهيم يوسف إلى أن السيد مكاوى المرضى عضو الحزب الجمهورى هو الذى نقل لنا مرافعة الأستاذ محمود أمام المحكمة وأعدّها تحت عنوان: "مرافعة دفاع الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدنى عام 1946". أوردت بتول مختار محمد طه أجزاء من مرافعة الأستاذ محمود فى كتابها. المصدر: بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 64-66.

إلى أن تقلع عنها.. ولكن للأسف فإن الإدارة قد سبقتنى إلى هذا الشرف فأثارت أهل رفاعه وأثارتنى معهم فلننظر⁽¹⁾. وهكذا تولى الأستاذ محمود المرافعة بنفسه، واستمر فى مواجهة المحكمة. أصدرت المحكمة حكمها ونشرته صحيفة الراى العام فى يوم 17 أكتوبر 1946 قائلة: "حكمت محكمة كبرى بود مدنى برئاسة القاضى أبو رنات بستين سجنأ على الأستاذ محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى بتهمة إثارة الشغب فى رفاعه كما حكم عليه بوضعه تحت المراقبة لمدة سنة أخرى بعد إتمام مدة سجنه"⁽²⁾. كان الحكم الذى أصدرته المحكمة حكماً جاهزاً ومعداً سلفاً. يقول الأستاذ محمود، وهو يتحدث عن الأحكام ومحاكمات ثورة رفاعه: "كان واضح عندنا أنها جاهزة، فكان نصيبى أنا فيها ستين، بعدى أظن سنة، تسعة شهور، ستة شهور فى، لكن أنا كان نصيبى ستين"⁽³⁾.

بدأ سجن الأستاذ محمود فى سجن مدينة ود مدنى ثم تم نقله، كما ورد آنفاً، إلى سجن كوبر بمدينة الخرطوم بحرى. كانت فترة السجن من يوم 23 سبتمبر 1946 وحتى يوم 20 سبتمبر 1948. زار الشاعر محمد المهدي المجذوب (1918-1982). الأستاذ محمود، رئيس الحزب الجمهورى، أثناء فترة سجنه بسجن كوبر بالخرطوم بحرى. أخبرنا المجذوب بهذا الخبر فى ديباجة قصيدته "المجاهد" التى نظمها فى أوائل مارس عام 1947، قائلاً: "قيلت هذه القصيدة بعد أيام من الزيارة الرسمية لسجن (كوبر) وقد منعت سلطات السجن يومذاك أعضاء الحزب الجمهورى من زيارة رئيسهم المجاهد محمود محمد طه". قال المجذوب فى بعض أبيات قصيدته (أبيات متفرقة)⁽⁴⁾:

يا صاحبى والسجنُ فرق بيننا زمناً على قلبى الوحيد طويلاً
ما السجن هل مسخ الرجال أعزة والغمدُ هل أكل الحسام صقيلاً؟
أسمعت أبطال (الأشقة) كذبوا معنى الجهاد وأثروا التأويلاً

(1) إبراهيم يوسف، ثورة رفاعه المجهولة، مصدر سابق، ص 32؛ بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 64.

(2) صحيفة الراى العام، 17 أكتوبر 1946؛ إبراهيم يوسف، ثورة رفاعه للمجهولة، مصدر سابق، ص 19؛ بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 63.

(3) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(4) محمد المهدي المجذوب، "المجاهد"، (قصيدة)، نار المجاذيب، (ديوان شعر)، ط1، وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، الخرطوم، 1969، ص 189-192.

وطنى بليت على الخطوب ولم تجد
 قد خاب ظنك فى بنيك أذلة
 بات الرجال على الخيانة والخنى
 قَلْبَتِ يا وطنى السيوف كثيرة
 أنظر حسامك ذو المضاء مُحَجَّبٌ
 فى السجن يبرق حده مصقولا
 محمود يلمع فى عَمَايَةِ كُوبَرٍ
 مثل الهلال وضاءة ونحولا
 أسفا يهز لك القلوب دخيلا
 أتراك تدمن وعدهم ممطولا
 جعلت قيدك للوفاء مقيلا
 حتى وجدت حسامك المأمولا
 فى السجن يبرق حده مصقولا
 مثل الهلال وضاءة ونحولا

قائد ثورة وطنية أمام محكمة استعمارية برئاسة "أبورنات" قاضى سودانى!

تولى القاضى محمد أحمد مصطفى أبورنات رئاسة المحكمة التى نطقت بالحكم فى حق الأستاذ محمود، قائد ثورة رفاعة. نطق أبورنات بالحكم، وفى واقع الأمر كان الحكم معداً وجاهزاً سلفاً، كما ورد فى حديث الأستاذ محمود آنفاً. لم يكن أبورنات فى هذه المحاكمة من دون غيره من القضاة الآخرين، سوى أداة استعمارية، تم توجيهها وتوظيفها واستخدامها ضد نائير وطنى. أوردت بتول مختار محمد طه فى مذكراتها قائلة: "والجدير بالذكر أنه قد رفض عدد من القضاة تولى تلك المحاكمة"⁽¹⁾. رفض القضاة تولى المحاكمة وقبل أبورنات. من الواضح ومن المفهوم ابتداءً أن قبول تولى رئاسة المحكمة فى ظل حكم استعمارى يعنى التبنى لوجهة نظر المستعمر. وتبنى وجهة نظر الإدارة الاستعمارية ليس فى أمر يتصل بالمخالفات الشخصية للقانون أو الأفعال السلوكية المناقضة للقيم أو القانون العام، وإنما فى محاكمة نائير وطنى مقاوم ومناضل من أجل تحرير وطنه وشعبه.

إننا لا نستطيع أن نفهم موقف أبورنات من قبول تولى محاكمة الأستاذ محمود؛ إلا بقراءة ذلك الموقف مقروناً بدراسة التاريخ اللاحق لأبورنات وسجل أدائه وهو رئيساً للقضاء منذ السودان وأثناء فترة الحكم العسكرى الأول (1958-1964) وحتى تطهيره كرئيس للقضاء عندما قامت ثورة أكتوبر عام 1964. قدم عبدالله على إبراهيم فى كتابه: ربيع ثورة أكتوبر 1964، ملامح لسجل أبورنات الوطنى والقانونى وهو يتحدث عن التطهير الذى تم بعد ثورة أكتوبر، كتب عبدالله على إبراهيم قائلاً: "فمن بين أوضح من

(1) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 64.

طهرتهم [ثورة أكتوبر] رئيس القضاء السيد محمد أحمد أبورنات (1902-1977). والحق إنه، سياسياً لا بيروقراطياً، لم ينتظر حتى بدء إجراءات التطهير فسقط مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة. فقد كان عضواً فيه من وراء ستار. بل ربما كان عضواً مؤسساً خرق الدستور مع سائر أعضاء ذلك المجلس⁽¹⁾. ثم أورد عبدالله على إبراهيم ما جاء فى التحقيق بشأن أبورنات، قائلاً: "فقد جاء فى التحقيق فى ملابسات انقلاب 1958 أن رئيس القضاء هو الذى جاء بالرجل الثانى فى الانقلاب؛ اللواء حسن بشير نصر (1916-???)، صباح الانقلاب إلى دار السيد أحمد خير المحامى... ليعينه فى الصياغات القانونية لأوامر الانقلابيين (الدستورية) التى توالى فى يوم انقلابهم"⁽²⁾.

أشار عبدالله على إبراهيم لموقف ثوار أكتوبر 1964 من أبورنات رئيس القضاء قائلاً: "لم يكن رئيس القضاء فى نظر الثائرين سوى مفردة سلطوية. فقد روع السياسة بقانون دفاع السودان (1958) الذى استنسخته النظم الدكتاتورية اللاحقة: قانون أمن الدولة (1973) فى دولة نميرى، وقانون الأمن الوطنى (1991) الحالى. فأبطل قانون دفاع السودان الحقوق المدنية والدستورية للمواطنين بالجملة: عطل حرية التعبير والتنظيم وحرية الانتقال، وأرسى ممارسات مجافية للعدالة ما تزال معنا. فقد أقحم المحاكم العسكرية فى التقاضى، فنظرت فى قضايا تطلها قوانين السودان السارية ومحاكمه العادية"⁽³⁾. وذهب عبدالله على إبراهيم مفصلاً فى سيئات أبورنات الوطنية واعتدائه على الديمقراطية قائلاً: "كما أنه قن الاعتقال التحفظى، واعتدى على الديمقراطية من جهة أخرى، بقيادته للجنة وضعت تشريع المجلس المركزى البرلمانى، الذى دمج دمجاً عقيماً بين مجالس الحكم المحلى والبرلمان، وزخر بالتعيينات، فضلاً عن قيام انتخاباته فى ظل قانون دفاع السودان"⁽⁴⁾. وأشار عبدالله على إبراهيم إلى ظل كل ذلك على جامعة الخرطوم قائلاً: "أما فى الجامعة فقد عطل النظام قانون الجامعة لسنة 1956 الذى أراد أن يتنقل بها من شبه

(1) عبدالله على إبراهيم، ربيع ثورة أكتوبر 1964، الأعمال الكاملة (3)، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، الخرطوم، 2013، ص 22.

(2) عبدالله على إبراهيم، ربيع ثورة أكتوبر 1964، مرجع سابق، ص 22.

(3) المرجع السابق، ص 22-23.

(4) المرجع السابق، ص 23.

مصلحة حكومية، فى ظل الإنجليز، إلى جامعة وطنية مستقلة فى رحاب الاستقلال. ولسنا نفصل فى ذلك. فيكفى أن النظام عدل قانونها فى 1960 ليجعل تعيين مديرها من سلطات راعيها، وهو الفريق عبود، رئيس الدولة، فى حين عقد قانون 56 هذه المسؤولية على عاتق مجلس الجامعة الديمقراطيّ التكوين. وقس على ذلك بقية القانون ولواحقه⁽¹⁾.

ثورة رفاعة والحادثة ودراسات ما بعد الاستعمار

إن المساواة، بين الرجال والنساء، ليست مساواة الميزان، والمسطرة.. وإنما هى مساواة القيمة.. ومعنى ذلك أن المرأة، فى نفسها، كإنسان، وفى المجتمع، كمواطنة، ذات قيمة مساوية لقيمة الرجل، فى نفسه، كإنسان، وفى المجتمع، كمواطن.. وهذه المساواة تقوم وإن وقع الاختلاف فى الخصائص، النفسية، والعضوية، فى بنية الرجال والنساء.. وهى تقوم، وإن اختلفت الوظيفة الاجتماعية، وميدان الخدمة للمجتمع، الذى يتحرك فيه الرجال والنساء. إن النظرة المادية للأمور، هذه النظرة التى هى سمة المدنية الغربية الحاضرة، هى التى طوعت لهذا الخطأ المؤسف أن يتركز فى أذهان الناس⁽²⁾.

محمود محمد طه

إن الدارس فى مشروع الأستاذ محمود وفى قصة نضاله ومواقفه وأقواله، يدرك بأن مناهج البحث التى تنتسب إلى حقبة الحداثة تظل عاجزة عن سبر أغوار أى طرف من أطراف مشروع الأستاذ محمود. والشواهد على ذلك عديدة، فالكثير من أقوال الأستاذ محمود ينطق بها واقع اليوم، كما أن الكثير من آرائه كانت تتصل بالمستقبل أكثر من اتصالها بالواقع آنئذ، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً، سواء على مستوى السودان خاصة فى قضايا الهوية ودعوته الباكرا لانسحاب السودان من جامعة الدول العربية، أو حديثه عن مستقبل الثقافة العربية فى السودان، أو كتاباته عن الفدرالية وأسس دستور السودان بما يتناسب ومجتمع التعدد والتنوع الثقافى... إلخ. ولعل أنصع الأدلة على عجز مناهج البحث التى تنتسب لحقبة الحداثة عن سبر أغوار مشروع الأستاذ محمود وإسهاماته، هو

(1) المرجع السابق، ص 23.

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 8.

الدراسات التي صدرت عن ثورة رفاة وموضوع الخفاض الفرعوني. أقصد هنا الدراسات العلمية الرصينة، وليست الدراسات التي تعاني نقص المعلومات والجهل بحقائق التاريخ؛ كالنموذجين اللذين ورد ذكرهما آنفاً. فالأستاذ محمود في أقواله وفي كتاباته وفي مواقفه لم يقرأ ولم يدرس ولم يسمع منه، بعد، لا سيما ثورة رفاة. كتب صلاح أحمد إبراهيم قائلاً⁽¹⁾:

نشرت جريدة خليجية تهجماً لقاضٍ آخر يدعى بأن محمود ليس غاندي إفريقيا، كما وصفه الإعلام في الخارج، ولكنه غلام ميرزا السودان. رددت عليه وما تُشر ردي فكثير من صحفنا العربية تتصف بالجن والمجاملة على حساب الحق، وكان بعض ما أخذته عليه سوء فهمه لموقف محمود من قضية رفاة، وليس قضية الخفاض الفرعوني في إطلاقها، وأوردت له شهادة سوداني أمين حوكم مع محمود في نفس القضية، ولكنه قدم لنا شرحاً وطنياً وإسلامياً لدوافع محمود، وهو شاعرنا محمد المهدي المجذوب، حيث وصف محموداً بما هو أهل له والقصيدة مثبتة في ديوان المجذوب:

أَقَالُوا دَفَعْنَا عَنْ أُمُورٍ قَدِيمَةٍ؟ وَأَمْسُوا، لَهُمْ فِي كُلِّ كَارِثَةٍ عَذْرٌ؟
نَحْطُمُ أَظْفَارَ الْأَعَادَى وَهُمْهُمْ حَمَائِئُهَا، وَالْغَدْرُ يَمْنَعُهُ الْغَدْرُ
أَبَايَعُ مَحْمُوداً عَلَى الْحَقِّ بَيْعَةٍ هِيَ الصَّبْرُ وَالرِّضْوَانُ فِي عَقْدِهَا بَذْرُ
أَبَى اللَّهِ أَنْ تَلْقَى هَوَاناً مَصُونَةً وَمَا ذَنْبُهَا، إِلَّا الْعَفَافَةُ وَالطُّهْرُ
حَمَاهَا أَبَى الدِّينَ وَالْعَقْلُ ثَائِرُهُ مَنِبْرٌ مَا فِيهِ خَوْفٌ وَلَا سِتْرُ
تَخْطَى إِلَيْهَا السَّجَنَ وَالنَّارَ دُونَهُ وَلَمْ يُجِدْ إِنْذَارُ الْمُفْتَشِّ وَالزَّارُ
لَكَ النَّصْرُ يَا مَحْمُودُ وَالنُّورُ بَاقِياً وَأُعْطِيتَ، مَا أُعْطِيَ بِصَائِرِنَا الْفَجْرُ
عَرَفْنَا رَجَالاً قَدَرُهُمْ لَيْسَ قَادِراً وَغَيْرُكَ فِي السُّودَانِ لَيْسَ لَهُ قَدْرُ
سَلاماً نَزِيلِ السَّجَنِ لَا عَنْ خِيَانَةٍ وَلَكِنَّمَا يَخْشَى عَقِيدَتَهُ الْكُفْرُ

(1) صلاح أحمد إبراهيم، "بين محمود محمد طه وود جوبة .. والشفيق ..."، مرجع سابق.

ويضيف صلاح أحمد إبراهيم قائلًا: ثم يصف [محمد المهدي المجذوب] القاضي ولكأنما يصف قاضي الأمس أيضاً:

يسائلني قاضي عن الحزب عابساً ومن محتى هذا الدعوى له أجر
عجبت له لم يلق أذنأ سميعة تتيه به النفس الحقيرة والذعر
يقلب وجهاً ذا بريق يذمه حذاء وهل ومض الحذاء به كبر

وختم صلاح قائلًا: "ما أشبه الليلة بالبارحة، الحكم جاهز، قبل المحاكمة، الحق سجين، والقاضي هو الخصم والحكم.. تحية لمحمود في عليائه، تحية لمحمود وهو فينا، تحية لمحمود وهو نحن، ولا نامت أعين الجبناء".

الشاهد أن عدم القراءة المتكاملة لفكر الرجل، الأستاذ محمود، كما أشار لذلك صلاح أحمد إبراهيم، تعد من أهم السمات لجل الدراسات التي تناولت الأستاذ محمود ومشروعه. فالدراسات التي تناولت ثورة رفاة وقضية الخفاض الفرعوني، انقسمت في خلاصاتها ونتائجها إلى فريقين. فريق رأى أن موقف الأستاذ محمود من قضية الخفاض الفرعوني، وفي سبيل كسب المعركة باسم شرف المرأة السودانية، ساهم بدون قصد، في وقوع الضرر برفاهية المرأة السودانية وتحريرها. ويضيف هذا الفريق أن موقف الأستاذ محمود المعارض لمحاربة الخفاض الفرعوني كان موقفاً لا يتماشى مع الحداثة. ولعل أوضح الدراسات العلمية التي تمثل هذا الفريق هي دراسات محمد أحمد محمود، ومنها دراسته التي جاءت بعنوان: "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement"⁽¹⁾، وكتابته الذي صدر بعنوان: *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha* ⁽²⁾. وقد وردت الإشارة للدراستين آنفاً.

(1) Mohamed Ahmed Mahmoud, "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement", *New Political Science* 23 (1), 2001:pp 65- 88

(2) Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007, P 12

أما الفريق الثانى من الدراسات التى تناولت ثورة رفاعة وموضوع الخفاض الفرعونى فقد خلصت إلى الاتفاق مع الأستاذ محمود فى رأى والمواقف، وأكدت صحة آرائه. فقد أشارت إلى أن الخفاض الفرعونى كمادة متأصلة ومتجذرة لا تحارب بالقانون والبوليس وإنما بالتعليم والتنوير والوعى. كما أن دعوة الإدارة الاستعمارية إلى محاربة الخفاض الفرعونى بالطريقة التى تمت بها ما هى إلا دعوة استعمارية تفسر فى إطار المعرفة الاستعمارية وفى إطار تحقيق الأغراض وخدمة السياسات والمصالح الاستعمارية. وماذا قدم المستعمر لرفاهية المرأة وتحريرها حتى يتلطف إلى تطبيق قانون الخفاض الفرعونى؟ وكيف للقانون يعلن وينفذ ويطبق قبل وضع الترتيبات اللازمة من الخطط الصحية والتنويرية والتعريفية لعامة الناس؟ إن قانون الخفاض الفرعونى يفسر فى إطار الآثار الاستعمارية، وهذه ما خلصت إليه الدراسات التى استخدمت منهج دراسات مدرسة ما بعد الاستعمار، فى تحليلها ومعالجتها لثورة رفاعة والخفاض الفرعونى. بعض الدراسات قدمت نقداً لدراسات محمد أحمد محمود، ومن ذلك دراسة أسماء محمد عبدالحليم *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture المرأة السودانية فى الولايات المتحدة: مشكلات النوع والثقافة*⁽¹⁾. فقد أوردت أسماء حديث محمد أحمد محمود الذى كتب قائلاً:

In winning this battle in the name of the "honor" of Sudanese women, Taha had inadvertently contributed the single greatest damage to the welfare of the Sudanese women. Circumcision had never been a "Sudanese" tradition in the sense that all Sudanese practiced it, Taha's opposition served the interests of those sections of the population who adamantly clung to the practice, refusing to see its harm and brutality⁽²⁾.

قدمت أسماء نقداً لمحمد أحمد محمود، وقالت أنه أعطى الأمر وزناً أكثر من ما يستحق. وقالت إن محمود محمد طه كان من القلائل فى ذلك الوقت الذين هم ضد

(1) وصلتنى ترجمة عنوان الكتاب من المؤلفة أسماء محمد عبدالحليم.

(2) Mohamed Ahmed Mahmoud, "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement", *New Political Science* 23 (1), 2001: pp 65- 88.

التقاليد البالية، ولهذا فهو لا يعد مناصراً لعادة بالية وضارة، وإنما كان الأستاذ محمود يرى طريقاً آخر، وهو الطريق الأمثل لمحاربة العادة. وأشارت أسماء أن غرض المستعمر كان هو تحقير الناس وإعادة تشكيل حياتهم وهو لم يكن شريكاً فى تقاسيم تلك الحياة. استشهدت أسماء عبدالحليم بدراسة لستيف هاورد وهى تشير إلى أن التقدمية لا تعنى الانضمام الى جانب الإدارة الاستعمارية البريطانية فى موقف "التقدمية" ضد ختان الإناث. ولا يعد الأستاذ محمود فى موقفه معارضاً لمحاربة هذه العادة الضارة، فالأستاذ محمود كان من المنادين بالمساواة الاجتماعية بل المساواة بين الرجل والمرأة، وظل يعمل بوسائل مختلفة لتوفير تلك المساواة، سواء من خلال السعى لإزالة العقبات التى تعترض مواصلة المرأة والفتاة فى التعليم، أو الدفع بها للمساهمة فى الخدمة التنويرية لتكون شريكاً أصيلاً فى التنمية والتغيير الاجتماعى. وظلت الفكرة الجمهورية ورسالة الجمهورى على الدوام تتمحور حول التغيير الاجتماعى، والإنسان فى هذا هو وسيلة التغيير وغايته. عبرت أسماء عبدالحليم عن ذلك وهى تشير إلى ستيف هاورد قائلة:

Dr. Mahmoud gave the incident undue weight. Taha was not acting within a community that was ambivalent about FC. Actually he was among the very few who were against the tradition at that time. He did not demonstrate in support of FC but rather in contempt of reshaping the lives of the people by a colonizer who was not participating in or sharing that life. Further, it does not take practice by a whole nation to make an act a tradition. Sudan was not and still is not a homogeneous nation. FC is a tradition within the communities that practiced it and those communities constitute over 70% of the country's population (Stephen Howard 2001)⁽¹⁾.

أشارت أسماء عبدالحليم لدراسة ستيف هاورد ولم تكن الدراسة قد نشرت فى ذلك الوقت، وقد نشر ستيف دراسته بنفس العنوان فى مجلة الأحفاد:

(1) Asma M. Abdel Halim, *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture*, the Edwin Mellen Press, New York/ Queenstown, 2006.

"Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan"⁽¹⁾. تحدث ستيف هاورد في دراسته باستفاضة عن أن من انشغل بحقوق المرأة وتحريرها وضرورة مساواتها بالرجل، حال الأستاذ محمود، لا يمكن أن يوصف بأنه وقف ضد الحدائنة فيما يتعلق بالخفاض الفرعوني. أيضاً أشارت رقية مصطفى أبو شرف في بعض دراساتها إلى ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعوني وهي تدرس شؤون المرأة والحدائنة والآثار الاستعمارية في السودان الشمالي. خلصت رقية أبو شرف بدورها إلى اتفاقها مع موقف الأستاذ محمود وآرائه بشأن ثورة رفاعة والخفاض الفرعوني. ومن أهم دراسات رقية في هذا الشأن دراسة كانت بعنوان: "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan⁽²⁾ وقد ترجمت هذا العنوان على النحو التالي: "لقد تجرّعنا من كأس الأهوال": نحو فهم لعاطفة المستعمر وردود الفعل البريطانية على ختان الإناث في السودان الشمالي⁽³⁾.

تحدثت رقية أبو شرف عن ختان الإناث وأشارت إلى أنه كعادة لها تاريخ وقامت حولها قصص وتحيط بها ثقافة وطقوس لا يمكن أن تحارب بقانون يدفع به للتطبيق دون السعي لدراسة التقاطعات الثقافية والتاريخية لهذه العادة. وأكدت رقية أبو شرف على صحة موقف الأستاذ محمود وسلامة آرائه في ثورة رفاعة وقضية الخفاض الفرعوني. ومن الدراسات المهمة التي أشارت إلى قضية الخفاض الفرعوني دراسة جينس بودي التي صدرت في كتاب بعنوان: *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*⁽⁴⁾.

(1) Howard, W. Stephen, Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan, *Ahfad Journal*, Vol. 23, No. 2, December 2006, Omdurman.

(2) Rogaia Mustafa Abusharaf, "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan, *History and Anthropology*, Vol. 17, No. 3, September 2006, pp. 209-228.

(3) قمت بالترجمة للعنوان بالتشاور مع المؤلفة رقية أبو شرف، وبعد موافقتها.

(4) Janice Boddy, *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*, Princeton University Press, Princeton and Oxford, 2007.

أيضاً، درس عبدالله على إبراهيم ثورة رفاة وقضية الخفاض الفرعوني في دراسته التي نشرت باللغة الإنجليزية عام 2008 بعنوان: "Keep These Women Quiet: Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom"⁽¹⁾، وترجمة العنوان على النحو التالي: "يا نسوان كفى: الحداثة الاستعمارية، والقومية، وختان النساء البربري". استخدم عبدالله على إبراهيم في دراسته منهج دراسات مدرسة ما بعد الاستعمار. لا بد من الإشارة إلى أن عبدالله كان أول أكاديمي سوداني، حسب علمي، يستخدم منهج مدرسة ما بعد الاستعمار في دراساته بشأن التعليم كما وردت الإشارة سابقاً لكتابه: بخت الرضا: التعليم والاستعمار، وكذلك في دراسته لثورة رفاة والخفاض الفرعوني. خلص عبدالله في دراسته باتفاق تام مع موقف الأستاذ محمود وأقواله بشأن ثورة رفاة وقضية الخفاض الفرعوني. كان عبدالله على إبراهيم قد أشار في كتابه: **الثقافة والديمقراطية في السودان**⁽²⁾ إلى دراسة ألن قرونوم التي نشرت بمجلة **الدراسات السودانية**، وكانت بعنوان: "الاقتصاد السياسي للخفاض الفرعوني"⁽³⁾، قال عبدالله على إبراهيم: "بعض البحث القائم في الثقافة السودانية الآن يصل الغبن بتحليل القوة التي تؤثر لعمليات التفاعل بين مفردات التباين الثقافي المختلفة. فقد جرى وصف الخفاض الفرعوني طويلاً بالجراح التي تبرأ لمبضع الثقافة العربية الإسلامية؛ لأنها شديدة الخوف من تفریط النساء بعفتهم كجنس خسيس، ولذا وضع الخفاض في أجندة التهذيب العالمية لتتناصر على محوه قوى التحضر والنباهة"⁽⁴⁾. ثم أشار إلى ألن قرونوم قائلاً: "وكانت هذه النظرة واحدة من المنطلقات التي فضلت الباحثة ألن قرونوم أن تبدأ منها النظر إلى موضوع الخفاض، واختارت أن تنظر إليه في سياقات القوة الفعلية والرمزية للمجتمع. فالخفاض

(1) Abdullahi Ali Ibrahim, "Keep These Women Quiet:" Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom, *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World* 9, 2011, PP. 97-151.

(2) عبدالله على إبراهيم، **الثقافة والديمقراطية في السودان**، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996، ص 46-45.

(3) ألن قرونوم، "الاقتصاد السياسي للخفاض الفرعوني"، مجلة **الدراسات السودانية**، مج 11، الخرطوم، عدد عام 1990.

(4) عبدالله على إبراهيم، **الثقافة والديمقراطية في السودان**، مرجع سابق، ص 45.

عند قرونوم مرتبط بمفهوم العذرية، فحواء أن القابلية للزواج تنشأ من السمعة الحسنة للفتاة، وهى سمعة لا يمكن ضمانها إلا بالخفافض". ثم قدم عبد الله على إبراهيم خلاصة لتقدير قرونوم قائلاً: "ولذا قدرت قرونوم أن الوعى بمخاطر عملية الخفافض، الذى هو هدف حملات التهذيب والمقاومة، قد لا يؤدي إلى إلغاء العملية؛ لأنه لم يتفق بعد للمجتمع صورة بديلة للأثوثة لا يرتبط فيها الصون بالخفافض"⁽¹⁾.

خاتمة

رفع الأستاذ محمود قبيد الوصاية داخل الأسرة وخارجها عن المرأة محيلاً إياها والرجل إلى القانون الدستورى... وساواها بالرجل⁽²⁾.

ناهد محمد الحسن

الشاهد أن قيادة الأستاذ محمود لشورة رفاعه وموقفه من قضية الخفافض الفرعونى حينما أخضعاً للدراسة والبحث بمناهج دراسات مدرسة الاستعمار ومدرسة ما بعد الاستعمار، خلص الباحثون إلى نفس ما قاله الأستاذ محمود فى بياناته وانفقت نتائج الدراسات مع موقف الأستاذ محمود وأكدت صحة رأيه بأن الخفافض الفرعونى عادة سيئة وموروثة منذ تاريخ بعيد، والعادات السيئة لا تحارب بالقانون والبوليس، وإنما بالتعليم والتوعية. كما أن الإدارة الاستعمارية أرادت بإعلانها قانون الخافض الفرعونى إلى إبراز الشعب السودانى كشعب متخلف وتسعى هى كسلطة استعمارية لإخراج هذا الشعب من تخلفه إلى الحداثة والرفاهية. وتساءل الأستاذ محمود عما قدمت الإدارة الاستعمارية من قبل لرفاهية وتطوير وتحرير المرأة؟ ولهذا فإنه يرى فى موقف الإدارة الاستعمارية تحقيراً للشعب ومحاولة للسيطرة عليه والاستحواذ على خياراته من خلال إطالة فترة البقاء بحجة الواجب الإنسانى والتنموى. كما أن الإدارة الاستعمارية لم تلتفت من قبل إلى تعليم المرأة أو الاهتمام بشؤونها الصحية، ولهذا دعا للحذر والجزم فى أن المسألة لم تُثر إشفاقاً بالمرأة.

(1) المرجع السابق، ص 46.

(2) ناهد محمد الحسن، "ورقة المرأة فى الخطاب الفكرى الإسلامى"، المرأة السودانية فى الحياة العامة، وقائع ندوة مهرجان المرأة الأول، مركز الدراسات السودانية. الخرطوم 8-11 مارس 2003.

وقد اتفقت مع مواقف الأستاذ محمود وآرائه معظم آراء الباحثين والباحثات من العلماء وأهل الاختصاص فى شؤون المرأة والأنثربولوجيا والتاريخ والتنمية والدراسات الثقافية والسياسية والقانونية... إلخ، ومن هؤلاء: أسماء محمد عبدالحليم، ورقية مصطفى أبو شرف، وعبدالله على إبراهيم، وستيف هوارد، وألن قرونوم، وجينس بودى. وغيرهم. فى يقينى أن هذا يؤكد بأن سبر أغوار مواقف وأقوال الأستاذ محمود وكتاباته، يعتمد على عنصر أساسى وهو عنصر الوقت، فكلما تقدم الوقت كنا أقرب إلى فهم تلك المواقف والأقوال والكتابات.

الفصل

السادس

6

السودان في مشروع الأستاذ محمود

(حب السودان من حب الله)⁽¹⁾

وكون السودان قطراً شاسعاً وفيه من اختلاف اللهجات والعنصريات والعادات ما فيه إنما هو من دواعي التفاؤل بمستقبل هذا البلد وليس من دواعي اليأس أو التخوف - هو من دواعي التفاؤل لأن خصائص كل عنصرية من هذه العنصريات إذا نمت وهذبت وتفتقت طاقاتها الأصلية فستزيد من حيوية الأمة السودانية في مجموعها وتخصب شخصيتها وتزيد من وزنها وزناً ومن قيمتها قيمة⁽²⁾.

محمود محمد طه، عام 1964

(1) محمود محمد طه ضمن شهادة كتبها: تاج السر حسين، "محمود محمد طه الذي عرفته..."، من سودانيل Sudanile، منبر الرأي، استرجاع (Retrieved) يوم 4 يناير 2010، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com.

(2) محمود محمد طه، "مشكلة الجنوب"، (بيان)، دار الوثائق القومية، الأحزاب السودانية 27/1/2، الخرطوم.

كنت من المحظوظين الذين التقوا الأستاذ محمود واستمعوا إليه... ومن أكثر ما
علق بالذاكرة حديثه الذى خصنى به والذى قال فيه: (حب السودان من حب
الله)!(1).

تاج السر حسين

ظل الأستاذ محمود مسكوناً بحب السودان، ومهموماً بمستقبل شعبه وأراضيه،
تلمس ذلك فى كتاباته وفى محاضراته ووصاياه لتلاميذه وتلميذاته. كان موضوع حب
السودان ومستقبل مساره، من أهم محاور كتاباته ومحاضراته، وأحاديثه فى مجلسه.
وتلمس من ذلك أن الأستاذ محمود كان صاحب نظر بعيد، وصاحب منظار شامل
ومتكامل. يُعير الأمور والأحداث بمعيار العارف المفكر الكبير، المتأمل للصورة الكلية
والمشهد المتكامل، لا بمعيار السياسى، الذى يتمحور حول المكسب. ذكر منصور خالد
فى كلمة كتبها فى يناير عام 1985، ونُشرت بجريدة السياسة الكويتية، قائلاً: "ويا ليت
حاكم السودان كان يملك الحس من المسئولية الوطنية التى تجعله يقول ما كان يقوله

(1) تاج السر حسين، مرجع سابق.

شهيد الحرية الأستاذ محمود أيام الحرب في جنوب السودان، وحينما تأتى أخبار الموت والانتصارات، كان الأستاذ محمود يقول: "تقول الحكومة راح منا عشرون وقضينا على ستمائة من المتمردين" أما نحن فنقول "لقد راح ستمائة وعشرون مواطناً سودانياً". تحدث الأستاذ محمود قبل ستة عقود ونصف من الزمان، بلسان المستقبل، وهو يقدم الأطروحات عن حل مشاكل السودان وتحقيق السلام فيه وهو البلد المتنوع ثقافياً، كتب الأستاذ محمود عام 1955 فى الفصل السادس من كتابه: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، كتب قائلاً:

لقد قلنا إن المشاكل الراهنة لأى بلد هى فى حقيقتها صورة مصغرة لمشاكل الجنس البشرى جميعه، وهى فى أسها، مشكلة السلام على هذا الكوكب، وعندنا أنه من قصر النظر أن نحاول حل مشاكل مجتمعنا السودانى داخل حدودنا الجغرافية، من غير أن نعبأ بالمسألة الإنسانية العالمية، ذلك بأن هذا الكوكب الصغير الذى نعيش فيه قد أصبح وحدة ربط تقدم المواصلات الحديثة السريعة بين أطرافه ربطاً يكاد يلغى الزمان والمكان إلغاء تاماً، فالحادث البسيط الذى يجرى فى أى جزء من اجزائه تتجاوب له فى مدى ساعات معدودات

جميع الأجزاء الأخرى، يضاف إلى هذا أن هذا الكوكب الصغير الموحد جغرافياً، إن صح هذا التعبير، تعممه إنسانية واحدة، متساوية في أصل الفطرة، وإن تفاوتت في الحظوظ المكتسبة من التحصيل والتمدين. فلا يصح عقلاً أن تنجب قمتها الإنسان الحر، إذا كانت قاعدتها لا تزال تتمرغ في أوحال الذل والاستعباد، أو قل، على أيسر تقدير، إنه لا يمكن أن يفوز جزء منه بمغرم السلام والرخاء إذا كانت بعض أجزائه تتضرع بالحروب، وتتضور بالمجاعات.

وتحدث الأستاذ محمود منذ عام 1945، عن ضرورة العناية بالوحدة القومية، وإزالة الفوارق، تحدث الأستاذ محمود قائلًا: "نرمي بذلك إلى خلق سودان يؤمن بذاتية متميزة ومصير واحد وذلك بإزالة الفوارق الوضعية من اجتماعية وسياسية، وربط أجزاء القطر شماله وجنوبه وشرقه وغربه حتى يصبح كتلة سياسية متحدة الأغراض متحدة المنافع متحدة الإحساس"⁽¹⁾.

دعوة الأستاذ محمود لاحترام التنوع من أجل زيادة حيوية الأمة السودانية

نادى الأستاذ محمود باحترام التنوع الإثني والديني وحسن إدارته قبل أن تنادى بذلك الحركة الشعبية لتحرير السودان⁽²⁾.

أتيتم قرنق

لقد التفت الأستاذ محمود إلى تنوع السودان من وقت باكر، وظل يتحدث عن التنوع ودعا في بياناته⁽³⁾ ومقالاته وكتبه إلى حمايته وصيانه والمحافظة عليه بالدستور

(1) الحزب الجمهورى، "دستور الحزب الجمهورى"، 26 أكتوبر من عام 1945.

(2) أتيتم قرنق، "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، رصد علاء الدين بشير، اللجنة القومية للاحتفال بالذكرى الثانية والعشرين لاختيال الأستاذ محمود محمد طه ويوم حقوق الإنسان السوداني، بالتعاون مع سكرتارية الشباب والطلاب بالحركة الشعبية قطاع الشمال، اليوم المفتوح بدار الحركة بالمقرن، صحيفة الصحافة، 19 يناير 2007، الخرطوم.

(3) محمود محمد طه، "بيان من الحزب الجمهورى عن حوادث الجنوب"، صحيفة الاستقلال، العدد: 87، السبت 1955/9/10، الخرطوم. ملاحظة: جاء تاريخ صدور الصحيفة فى كل صفحاتها كما هو وارد يوم 1955/9/10، عدا فى صفحة 3، وهى الصفحة التى جاء فيها البيان المشار إليه، حيث جاء التاريخ يوم 1955/9/9.

وبالحكم الفدرالى. وكما ورد آنفاً فى المذكرة التفسيرية لدستور الحزب الجمهورى فإن: "الحزب الجمهورى دعوة الى مدنية جديدة... والفلسفة الاجتماعية التى تقوم عليها تلك المدنية الجديدة ديمقراطية اشتراكية... وسمة هذه المدنية الجديدة الانسانية فإنها ترى أن الاسرة البشرية وحدة وأن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهى بشرية وأن الحرية والرفاهية حق مقدس طبيعى للأسود والأبيض والأحمر والأصفر"⁽¹⁾. لم ير الأستاذ محمود فى تنوع السودان واختلاف عنصرياته إلا عاملاً لزيادة حيوية الأمة السودانية، وداعياً من دواعى التفاؤل لمستقبل السودان، كما جاء آنفاً فى حديثه الذى أوردته فى صدر هذا الفصل.

ربط الأستاذ محمود التنوع ببعث دواعى التفاؤل بالمستقبل وبزيادة حيوية الأمة السودانية، ذلك لأن نمو وتفلق خصائص كل عنصرية من العنصريات هو رصيد فى التخصيب وزيادة فى القيمة. كذلك رهن الأستاذ محمود حماية التنوع والمحافظة عليه بالحرية والتعليم وتحقيق الرخاء. أيضاً، شبه الأستاذ محمود -فى سبيل تقريب المعنى- الناس بالنبات يقول الأستاذ محمود: والناس كالنبات خصائصهم تتأثر بالتربة والمناخ إلى حد كبير ومع أنهم قادرون على أن يتأقلموا حيث وجدوا إلا أن استجابتهم لعوامل التهذيب والتدين أسرع إذا هيئت لهم الفرصة فى تربتهم التى فيها نشأوا"⁽²⁾. وعن ماهية فرص التهذيب والتدين وشروط تحقيقها، يقول الأستاذ محمود: "وفرض التهذيب والتدين هى الحرية والرخاء والتعليم ولا تتيسر الحرية للناس إلا بممارستها فى جميع أطوارها من البداية، ولا يتحقق الرخاء والتعليم للناس إلا إذا عملوا لأنفسهم من غير اتكال على أحد"⁽³⁾. ويرى الأستاذ محمود أن السودان يمكن أن يضيف للبشرية، وقد أشار إلى هذا المعنى كثيراً وفى كتابات متفرقة. كتب الأستاذ محمود فى السفر الأول الذى صدر عام 1945، كتب قائلاً: "ويعتقد الحزب الجمهورى أن الشرق، عامة، والسودان، خاصة،

(1) الحزب الجمهورى، "مذكرة تفسيرية"، دستور الحزب الجمهورى، دار الوثائق القومية، الأحزاب السودانية، 31/1/2، الخرطوم.

(2) محمود محمد طه، "مشكلة الجنوب"، (بيان)، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

يمكنهما أن يضيفا عنصراً إلى المدنية الغربية هي في أمس الحاجة إليه، وذلك هو العنصر الروحي".

قضايا الهوية ودعوة الأستاذ محمود للانسحاب من جامعة الدول العربية عام 1958

الانسحاب فوراً من الجامعة العربية وذلك لسببين أولهما أننا أمة إفريقية،
وثانيهما أن الجامعة العربية أصبحت تابعة لوزارة الخارجية المصرية ولم تعد
تمثل دولاً مستقلة (1).

محمود محمد طه، في 28 أغسطس 1958

منذ فجر الاستقلال ظل الأستاذ محمود يشخص في قضايا السودان على ضوء حقيقة التنوع والتعدد الثقافي، ويكتب عنها المقالات وينشر في البيانات والمناشير والكتب، مع التنبيه لثقافة السودان ودعوتهم للتأمل في تلك القضايا والسعي لتقديم الحلول الباكورة لها. ولكن كما ردد الأستاذ محمود في بعض بياناته ومقالاته: "ولكن من لنا بأن يفهم قبل فوات الأوان" (2). فات الأوان وداهمت القضايا أهل السودان، وظلت تحاصر سماءه وأرضه من الجهات الأربع. والآن يعيش في مرحلة التشظى والتفتت. الشاهد أنه عقب نيل السودان استقلاله وفور انتمائه لجامعة الدول العربية، نظر الأستاذ محمود في تنوع السودان، وفي المكاسب التي تحققها شعوبه من الانتماء لجامعة الدول العربية، وفي المستقبل، فخرج منادياً بانسحاب السودان من جامعة الدول العربية. دعا للانسحاب وعلل أسباب الانسحاب. جاء ذلك ضمن بيان تضمن خمس نقاط ليقوم عليها الميثاق القومي، منها، كما ورد آنفاً: "الانسحاب فوراً من الجامعة العربية وذلك لسببين أولهما أننا أمة إفريقية وثانيهما أن الجامعة العربية أصبحت تابعة لوزارة الخارجية المصرية ولم تعد تمثل دولاً مستقلة". ثم التذكير بإفريقية السودان في مواقفه مع دول الجوار وتعاطيه مع الدولة العربية، يقول الأستاذ محمود: "الموقف الواضح كدولة

(1) محمود محمد طه، "بيانات... الحزب الجمهوري يقدم دعائم الميثاق القومي، صحيفة أنباء السودان، العدد: 154، السبت 1958/8/23.

(2) المصدر السابق.

إفريقية ترعى حسن الجوار مع جميع الدول المجاورة وتتعاون مع جميع الدول العربية والبعيدة لحفظ السلام ولتدعيم هيئة الأمم وتشجيع الاحتكام إليها والرضا بقراراتها⁽¹⁾. لبقية النقاط أنظر ملحق رقم: "34" وكذلك ملحق رقم: "35". لم تكن دعوة الأستاذ محمود لانسحاب السودان من جامعة الدول العربية، دعوة عابرة، وإنما كانت دعوة تقوم على رأى مؤسس، ومعلن فى بيانات ومقالات عديدة، كتب الأستاذ محمود فى بيان أصدره بعد نحو شهرين ونصف من بيانه الذى دعا فيه لانسحاب السودان من جامعة الدول العربية قائلاً:

رأى الحزب الجمهورى فيما يتعلق بعضوية السودان فى الجامعة العربية واضح ومعروف ويتلخص فى أنها مؤسسة أقليمية ضيقة لا تقوم على مذهبية فكرية تجعلها أداة خلاقة تخدم مصالح أعضائها وتسير فى الوقت ذاته فى اتجاه سليم يخدم قضية الإنسانية فى السلام العالمى. إنما هى عنصرية ضيقة هذا وتسيطر عليها دولة واحدة تسيروها وفق أهوائها وتطوعها لخدمة أغراضها⁽²⁾.

ثم تناول الأستاذ محمود الخدمة التى يقدمها السودان لنفسه، ولدول الجوار ولقضايا الأحرار وقضية السلام العالمى، وهو خارج إطار جامعة الدول العربية، يقول الأستاذ محمود: "ونحن كشعب إفريقى فتى له مكانته فى القارة الأفريقية، ممكن نخدم أنفسنا ونخدم الشعوب المجاورة بل ويمكن أن نقدم خدمات أكبر لقضايا الأحرار وقضية السلام العالمى بأوسع وأيسر مما يمكن أن نفعل ونحن داخل إطار جامعة الدول العربية"⁽³⁾. لمزيد من التفاصيل أنظر ملحق رقم: "34" ورقم: "35". جدير بالإشارة إلى أن الأستاذ محمود كانت له رؤية خاصة بشأن مستقبل الثقافة العربية فى السودان.

(1) المصدر السابق.

(2) محمود محمد طه، "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"، صحيفة أنباء السودان، العدد 164، 1958/10/18.

(3) المصدر السابق.

رؤية الأستاذ محمود لمستقبل الثقافة العربية في السودان

الأستاذ محمود محمد طه هو أبوي (1).

أبكر آدم إسماعيل

ويا له من ألم بمعن ذلك الذي يجتاح النفس كلما تذكّر الواحد منا أنه ذهب
عن ديانا اللثيمة إنسان نتيجة مؤامرة دنيئة رخيصة دبرتها جحافل الظلام
والإغلام التي يزعجها ويغشى عيونها أى نور وضاء مثل هذا يسطع ويشع في
سماء الفكر في بلادنا (2).

عبدالرحمن بلاص

أقدم هنا إشارة مختصرة، دون تكرار لما ورد آنفاً لما كتبه الأستاذ محمود بشأن "مستقبل
الثقافة العربية في السودان" (3). فقد حضر الأستاذ محمود محاضرة في الخمسينيات من
القرن الماضي، قدمها أستاذ مصري، كان مبعوثاً من الأزهر للتدريس في المعهد العلمي،
لأساتذة المعهد العلمي وطلبته. ففي الوقت الذي كانت فيه كل مؤسسات التنوير، خاصة
تلك التي لها صلة مباشرة بالقاهرة، مثل المعهد العلمي، ومعظم القادة والساسة تدفع في
وجهة عروبة السودان، الأمر الذي عقد أمر السودان وعكر مستقبله بالقضايا المؤجلة لا
سيما، قضايا الهوية، في ذلك الوقت كان الأستاذ محمود يحمل رؤية خاصة لمستقبل
الثقافة العربية في السودان، رؤية تتصل بالمستقبل أكثر من اتصالها بالراهن، كتب الأستاذ
محمود ضمن مقاله قائلاً: "كل حديث، منذ اليوم، عن مستقبل أى قطر على هذا الكوكب
يجب ألا ينحصر في الحدود الجغرافية لذلك القطر، ذلك لأن الوضع قد تغير عن ذى قبل،

(1) أبكر آدم إسماعيل، ضمن جلسة خاصة بمنزل بدر الدين الأمير، الدوحة، قطر، 26 سبتمبر 2012، الساعة 24:15.

(2) عبدالرحمن بلاص، "عندما غنيت بمنزل الأستاذ محمود محمد طه"، الخميس 23 فبراير 1989، ضمن خيط
عبدالله عثمان، "شيخ فوق السبعين والمقصلة"، من سودانيز أونلاين، استرجاع (Retrieved) يوم 2001/4/7،
الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com؛ عبدالرحمن بلاص، "عندما غنيت بمنزل الأستاذ
محمود محمد طه"، الخميس 16 رجب 1409 / 23 فبراير 1989 / 14 امشير 1705 ق. (وقفت على النص
في الصحيفة التي نشر فيها ولكن اسم الصحيفة لم يكن واضحاً في النسخة التي حصلت عليها).

(3) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية في السودان، مصدر سابق.

وأخذ عالمنا يستقبل عهداً جديداً، كل الجدة، من وحدة المصالح، ووحدة المصير، ووحدة الشعور..⁽¹⁾. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً:

والحق، الذى لا مرأى فيه، أن الحواجز التى كانت تفصل بين البشر، فى الماضى، لم تعد قادرة على الحيلولة بينهم، منذ اليوم، بعد أن قهرت سبل المواصلات، وسبل الاتصال الحديث، الزمان، والمكان قهراً يكاد يكون تاماً.. بفضل الله، ثم بفضل هذه الكشوف، أصبحت الإنسانية تعيش فى بيئة طبيعية جديدة.. بيئة صغيرة، موحدة.. ولكى توائم الإنسانية بين مذاهبها الاجتماعية، وبيئتها الطبيعية هذه الموحدة، أصبح لزاماً أن تبرز، إلى حيز الوجود، مذهب اجتماعية، عالمية، موحدة، أيضاً، عندها تلتقى الإنسانية جمعاء، التقاء أصالة، بدوافع الجبلية المركوزة فى كل نفس بشرية، من حيث أنها بشرية، بصرف النظر عن اختلاف اللون، واللسان، والموطن.

وبعد أن توسع الأستاذ محمود فى الحديث عن عنصرى الزمان والمكان فى ظل المعطيات الجديدة، وعن الثقافة واللغة العربية، وبعد أن عرج ناقداً لحديث المحاضر المبعوث من الأزهر، ختم الأستاذ محمود مقاله قائلاً:

أما بعد، فلإن يكن لا بد من التحدث عن مستقبل (الثقافة العربية) فى السودان فإننى أقول أن مستقبلها هو مستقبل نشر الفكرة الإسلامية فى بساطتها، بالعودة بالناس جميعاً إلى الشعار المبسط بقولك: "أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله".. إلا أنه سيقولها أقوام ليسوا عرباً، ولا يكادون يحسنون نطقها، كما قالها، من قبل، بلال الحبشى، وقلب شينها سينا، وقال المعصوم: (سين) بلال عند الله (شين) ثم لم يضره ذلك شيئاً، فبلغ فى الإسلام المبالغ، ونزل منه منازل التشريف.. ومستقبل نشر الفكرة الإسلامية، فى بساطتها الأولى، فى السودان، مستقبل مرموق بعون الله، وبتوفيقه⁽²⁾.

(1) المصدر السابق.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"، مصدر سابق.

الأستاذ محمود والاستقراء لطابع الحركة الوطنية ومسارها عام 1958

وكانت الحركة الوطنية بين هؤلاء [دعاة التحالف مع بريطانيا] وهؤلاء [دعاة الاتحاد مع مصر] لا تجد فرصة للدرس والتفكير والنضوج: بل لا تجد فرصة حتى لإشاعة روح الزمالة والثقة المتبادلة والشعور بوحدة المصير⁽¹⁾.

محمود محمد طه

يقينى، أن أقل ما يمكن إن يخرج به الدارس فى مشروع الأستاذ محمود، بأنه مشروع ضخم وجديد وأصيل، تناول بعمق قضايا عديدة ومتنوعة، واتسم بالثراء والغنى والشمول والإحاطة. كما يمكن القول بأن المشروع فى بعض أركانه، وهى أركان عديدة، ينطلق من رؤية نقدية للسائد والمألوف والطريق المطروق سواء بشأن الإسلام أو السودان أو الإنسانية، مع تقديم التشخيص للقضايا وطرح البدائل العلمية والعملية الشاملة والجديدة لمسيرة البشرية، ولما ينبغى أن يكون عليه إنسان اليوم فى سيره غداً فى المستقبل. وفى هذا قدم الأستاذ محمود تشخيصاً باكراً لقضايا السودان، وقدم أطروحات لما يجب أن يكون عليه حال ومسار السودان. اتسم تشخيص الأستاذ محمود لقضايا السودان بالإحاطة والنظرة الكلية، فهو تشخيص يأخذ فى الاعتبار الحقائق والأسباب الجوهرية ومعطيات التفاعل فى السيرة التاريخية وفى الواقع، وتحدث عن النتائج المتوقعة فى المستقبل. فإلى جانب ما وردت الإشارة إلى بعضه، مثل قضايا الهوية والتنوع الثقافى والآثار الاستعمارية وغياب المذهبية عند الأحزاب السودانية ذات النشأة الخطأ والرؤية القاصرة، قدم كذلك أسس دستور السودان والحكم الفدرالى، وبناء الذاتية السودانية، والطائفية ودورها فى تجميد حركة الوعى وتجميد حركة التغيير، ... إلخ، إلى جانب ذلك فإن الأستاذ محمود أفرد مساحات واسعة فى كتاباته وأحاديثه لتقديم النقد للمقادة والمثقفين وللأساسة وللأحزاب السودانية. وجاء النقد فى العديد من البيانات والمناسير والمحاضرات والمقالات والكتب. ولعل الدارس لهذا النقد الذى قدمه الأستاذ محمود، يشعر بأن هذا النقد بما حمله من حيوية وعمق، كأنما كتب صباح اليوم. ولتأكيد ما ذهب إليه، أقدم نموذجاً واحداً من النماذج التى قدمها الأستاذ

(1) محمود محمد طه، بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى، صحيفة أنباء السودان، العدد: 166، تاريخ 1958/11/1.

محمود فى نقد المثقفين والحركة الوطنية والأحزاب السودانية، وباختصار شديد.

النموذج الذى سأقف عليه بالتحليل والقراءة المختصرة هو استقراء قدمه الأستاذ محمود لطابع الحركة الوطنية السودانية⁽¹⁾، فى غرة نوفمبر 1958. تضمن الاستقراء نقداً للمثقفين؛ نقداً لوعى الحركة الوطنية، ونقداً للقادة وللأحزاب السودانية. نُشر الاستقراء فى صحيفة أنباء السودان، وجاء الاستقراء كبيان ضمن سلسلة البيانات على الموقف الداخلى، التى ظل يصدرها الأستاذ محمود باسم الحزب الجمهورى، وجاء وسم البيان بالاستقراء لطابع الحركة الوطنية من الأستاذ محمود، لم يرد ذلك فى العنوان وإنما فى سياق النص، يقول الأستاذ محمود: "والآن وبعد هذا الاستقراء القصير لطابع الحركة الوطنية عندنا فإن الموقف الحاضر ليس شيئاً غير متوقع إلا عند الغافلين". لقد تناول الاستقراء قضايا عديدة لكنى سأركز على بعضها. وتعود أسباب اختياري لهذا النموذج لأهميته فى كونه يبرز حقيقة أن بدايات الدولة السودانية بعد الاستقلال شابها الكثير من الأخطاء الفادحة، وأن القادة كانت تنقصهم الرؤية، وأن الصراع كان يتحكم فى تفكيرهم وفى سلوكهم، والاستقلال تم بخروج الإنجليز ولكنه ظل (أى الاستعمار) قابعاً فى العقول. ويفيد النموذج كذلك بأن أصحاب الرؤية السياسية لم يكونوا جزءاً من تحديد مسار السودان، وأن التهميش للأفكار والأفراد والثقافات قد نشأ باكراً. هذا بالإضافة إلى أن النموذج يلامس واقع اليوم فى السودان، إلى جانب بعض الأسباب التى ستبدي للقارئ، القارئ، من خلال قراءته/ قراءتها للاستقراء.

استهل الأستاذ محمود حديثه بالتعاون الذى كان يتم بين الأحزاب فى قضايا ومواقف مختلفة، سواء فى تكوين الحكومة أو المعارضة أو الجهات التى نشأت، الجبهة الاستقلالية الأولى والثانية، وغيرها. وتحدث عن موقف الحزب الجمهورى من المحاولات لإشراكه والتعاون معه، ورفضه لتلك العروض، كما ورد آنفاً. ثم أشار الأستاذ محمود لموقف الحزب الجمهورى واعتراضه منذ فجر الحركة الوطنية "على ما سموه بوثيقة الأحزاب التى كانت تنص على قيام سودان مستقل فى اتحاد مع مصر

(1) المصدر السابق.

وتحالف مع بريطانيا". يقول الأستاذ محمود إن الحزب الجمهورى أعلن موقفه واعتراضه فى منشور: "أخرجناه بالرونيو ووزعناه فى أواخر عام 1946 فى شوارع العاصمة وكان عنوانه (لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟؟)". ثم ذكر الأستاذ محمود بوثيقة الأحزاب، قائلاً: "ووثيقة الأحزاب هذه لمن لا يذكرها كانت وثيقة ارتبطت بها الأحزاب المكونة لوفد السودان الذى سافر إلى مصر فى مارس من عام 1946 وكان يحوى الأحزاب الاستقلالية وعلى رأسها حزب الأمة (اقرأ الأنصار) والأحزاب الاتحادية وعلى رأسها حزب الأشقاء (اقرأ الختميه)". ثم طرح الأستاذ محمود سؤالاً جوهرياً وباكرأ عن الحركة الوطنية، وهو يقدم تقويماً لما جرى بين الفريقين، إذ كان الفريق الأول يتمسك بالإنجليز والفريق الثانى يتمسك بالمصريين، يقول الأستاذ محمود: "ولكى تكون الوثيقة مرضية للطرفين فقد نصوا فيها على قيام السودان الجديد على شرط أن يكون فى اتحاد مع مصر حتى يرضى الفريق الداعى لمصر وتحالف مع بريطانيا حتى يرضى الفريق الداعى لبريطانيا.. فهل سمع الناس بحركة وطنية فى مثل هذا الوعى؟". ثم أشار الأستاذ محمود لموقف الحزب الجمهورى من ذلك الجهل قائلاً: "ولقد نقدهم الحزب الجمهورى نقداً مرأ قوياً فى ذلك المنشور ونعى عليهم جهلهم وغفلتهم ثم واصل الحملة ضد جهل الحركة الوطنية ولا يزال يفعل إلى يومنا هذا كلما وجد الى ذلك سبيلاً ولقد أخرج فى ذلك سفرأ بعنوان: خيانة المثقفين⁽¹⁾".

كان الأستاذ محمود كثيراً ما يشير فى كتاباته وأحاديثه إلى خيانة المثقفين. وقد شرح فى إحدى ندواته: ندوة المثقفين، ما يعنيه بخيانة المثقفين وهو يتحدث (بلغة الكلام) قائلاً:

خيانة المثقفين بنعى بيها أنو المثقف فى بلدنا ما علمو أبوه، ما علمو بيتو، وإنما علمو هذا الشعب، من عهد الإنجليز وإلى اليوم.. ميزانية وزارة التربية، ميزانية مصلحة المعارف فى الماضى، كانت بتجيبى من الشعب.. نحن جميعاً تعلمنا على حساب هذا الشعب.. والثقافة تلقى علينا واجب أن نعيش من أجل هذا

(1) وردت الإشارة لاصدار الأستاذ محمود لهذا السفر: خيانة المثقفين، ضمن حديثه فى هذا المقال، وقد بحثت عنه فى دار الوثائق القومية السودانية فى الخرطوم، وسألت عدداً كبيراً من تلاميذ الأستاذ محمود، ولم أصل إلى شىء، ولا أزال أبحث عنه.

الشعب، إلى جانب أن نعيش من أجل أنفسنا.. لكن لا يكون كل نشاطنا وكل عملنا هو أن نبني ذواتنا ونطور أنفسنا كما يقول كثير من الناس.. نحن علينا دين نحو شعبنا، ثقفتنا، فيجب أن نرد له هذا الدين بإدراكنا لحاجته هو للتغيير، للنلقو ونشعروا بحاجته للتغيير، نلقوا حول حاجتو ونشعروا [ونُشعره] بيبها وننوروا [ننوره] فى طريقوا، ولذلك المثقفين فى بلدنا حقهم يكونوا إيجابيين إلى حد بعيد⁽¹⁾.

عاب الأستاذ محمود على رجال الحركة الوطنية، وهو يستقرأ طابع ومسار الحركة الوطنية، عاب عليهم "جهلهم وانصرافهم إلى التهريج الرخيص وتملقهم للجماهير واسترضائهم رجال الطائفية ليضمنوا السند الشعبى الطائفى الذى يحملهم على أكتافه إلى كراسى الحكم... الخ". ثم عبر الأستاذ محمود عن مصير ذلك النقد وتلك الصيحات قائلاً: "ولكن صيحاتنا كانت تذهب أدراج الرياح وكانت الصحف تنصرف عن الدعوة الرصينة للدراسة التى نطالب بها نحن لتسير فى ركاب الحركة الوطنية غير الواعية التى يتصدرها سياسيو اليوم". ومتابعة لقوله السابق بأن "لا فرق جوهرى بين هذه الأحزاب جميعاً"، يقول الأستاذ محمود: "إن الأخطاء الداخلية والأخطاء الخارجية متشابهة بين الأحزاب الكبرى اليوم، وأمس وفى جميع أطوار تاريخها". ثم يفصل الأستاذ محمود قائلاً:

فأما فى الداخل فهى جميعها طائفية.. تفكر تفكيراً طائفاً فضلل الناس وتستغلهم وتهمل مصالحهم وتجعل حكومتها سيدة الشعب لا خادمته وتهمل الدراسة وتحقر العقول وتزيف القيم، ولا تتحدث عن الديمقراطية إلا كوسيلة إلى الكراسى ثم تنسى غداة فوزها وعودها للناخبين، وتذهب فى حكمهم إما مذهب التضليل أو مذهب الكبت أو كليهما.

ثم تناول الأستاذ محمود موقف الأحزاب السودانية بشقيها (دعاة التحالف مع

(1) محمود محمد طه، ندوة المثقفين، (ندوة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، منزل محمد فضل الصديق، الموردة، أمدرمان، الأحد 30 مايو 1976، الموافق غرة جمادى الآخرة 1396.

بريطانيا، ودعاة الاتحاد مع مصر) فى الخارج، يقول الأستاذ محمود:

وأما فى الخارج فهى جميعاً تدعو لغير السودان سواء شعرت أم لم تشعر .. فالاتحاديون بكل صورهم ما كانوا يرون للحركة الوطنية سبيلاً غير الوحدة مع مصر تحت التاج المصرى وكانوا يفكرون بمخاوفهم ويرون أن حزب الأمة يتآمر مع الإنجليز لخلق تاج محلى .. وحزب الأمة ما كان يرى للحركة الوطنية سبيلاً غير التحالف مع بريطانيا وكان قاداته يفكرون بشكوكهم ويتهمون الاتحاديين بالتآمر مع مصر لفرض التاج المصرى على السودان .. وكانت الحركة الوطنية بين هؤلاء وهؤلاء لا تجد فرصة للدرس والتفكير والنضوج: بل لا تجد فرصة حتى لإشاعة روح الزمالة والثقة المتبادلة والشعور بوحدة المصير.

ثم تحدث الأستاذ محمود عن أسباب مهاجمة الحزب الجمهورى للحركة الوطنية بنفس القدر الذى كان يهاجم به الاستعمار البريطانى، يقول الأستاذ محمود:

وحين كان الجمهوريون فى مناشيرهم وكتيباتهم يهاجمون الحركة الوطنية بنفس القدر الذى يهاجمون به الاستعمار الإنجليزى وينعون عليها جهلها ووصوليتها كانوا أيضاً يتنبؤون بمصير الاستقلال الذى لا تتولاه أحزاب واعية ذات برامج إصلاحية مدروسة ومذهبية فى الحكم محددة وكنا نقول أنه ما ينبغى أن يكون قصارانا محاربة الاستعمار وبكل سبيل كما كان الشعار الشائع فى ذلك الوقت وكنا نقول أن الإنجليز قد يجلون غداً ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين لأن الاستقلال والحرية لا تخرج إلا نتيجة للحكم الواعى الرشيد وذلك أمر لا يتفق اتفاقاً وإنما يجئ عن تعمد وتوخ ودراسة واعية وكانت صيحاتنا تذهب أدراج الرياح.

لم يكن هنا فرق بين الأحزاب لا فى تكوينها ولا فى أغراضها، لا فى الداخل ولا الخارج، يقول الأستاذ محمود: "فأنتم ترون إذن أن هذه الأحزاب التى تتولى الحكومة والتى تتولى المعارضة لا فرق بينها لا فى الداخل ولا فى الخارج وأنها فى الحقيقة فى مركب واحد .. فإن يكن هناك فرق فهو سوء حظ حزب الأمة!! فإنه لا يستطيع أن يحدث الناس عن الإنجليز أو الأمريكان بنفس الحرارة التى يستطيع بها الاتحاديون أن

يحدثونا عن مصر أو روسيا".

ثم تناول الأستاذ محمود موقف المعارضة (الاتحادية)، قائلاً: "ومن عجب أن المعارضة أخذت تستغل الحالة السيئة الحاضرة استغلالاً خلوّاً من كل أمانة محاولة من وراء ذلك العودة إلى الكراسى من جديد ونحن نعلم أنها متهمّة في نقدها مغرضة في هجومها وهي إن عادت للحكم فلن تفلح في حل المشاكل الحاضرة". ثم يبين الأستاذ محمود لماذا قال بأنها لن تفلح؟، يقول الأستاذ محمود: "ونحن لا نقول هذا مجرد معرفتنا بحقيقة قيادتها وتفكيرها وإنما نقوله بعد أن جربناها في الحكم زمنا بلوناهها فيه وبلونا المر من غباؤها... هي إن عادت لن تفلح في حل المشاكل الحاضرة ولكنها ستحيل حلها على مصر وتسلمها هذه البلاد برمتها باسم السير مع (الحركة العربية التحررية) وباسم (القومية العربية) وقد ينتظر أزهري لقب (المواطن العربي الثاني)". ثم تناول الأستاذ محمود تحت عنوان جانبي هو: "من لنا بأن يفهم"، تناول بتوسع الخطر المصري والخطر الغربي وكيف أن الخطر المصري هو مخلب قط للشيوعية الدولية، ووقف عند الملايين من الجنيّات التي تدفعها الشيوعية الدولية لمصر "والتدليل الذي تتلقّى به جمال عبدالناصر وأصحابه ليست هي الثمن الذي باع به جمال مصر بيع السوام. وإنما هي ثمن العرب جميعاً حين يستطيع جمال بقامته الجديدة التي تنشئها له الشيوعية الدولية أن يضطرهم إلى الإذعان والانقياد له بوسائل الدعاية ووسائل الرشوة ووسائل الإرهاب أيضاً". ثم كتب الأستاذ محمود قائلاً: "من لنا بأن يفهم قومنا قبل فوات الأوان أن مصر نفسها في حاجة إلى من ينقذها مما ورطها فيه جمال عبدالناصر قبل أن تحرق مراكبها وتقطع أرحامها". ثم توسع الأستاذ محمود في تحليل الواقع آنئذ محلياً وإقليمياً ودولياً. ثم ختم استقراءه مجيباً على السؤال التالي ما الذي ينقصنا؟ فأجاب من خلال عنوان جانبي وسمه بـ: "ما ينقصنا"، قائلاً:

إن الذي ينقصنا ليس أن يحكمنا **الحزب الوطني الاتحادي** متعاوناً مع الجبهة المعادية للاستعمار بدل **حزب الأمة** مثلاً وإنما الذي ينقصنا أن يكون حكامنا مثقفين وواعين مخلصين وأن تكون معارضتنا الرسمية وغير الرسمية هيئات وصحافة مثقفة واعية مخلصة: للسودان والسودان وحده (وبعد الله سبحانه وتعالى).

ثم تحدث الأستاذ محمود عن نوع القيادات التي يحتاجها ويستحقها الشعب السوداني، كتب قائلاً: "أما بعد فإن الشعب السوداني يستحق قيادة أفضل مما تعطيه هذه الحكومة العيية الصامتة المنعزلة عن الناس التي لا يترك لها العمل على (تقوية الائتلاف) والاحتيايل المضحك على وضع (رأس الدولة) فى الدستور الجديد وقتاً تتفرغ فيه للاتصال بالشعب ورعاية مصالحه وحمايته من التضليل". وأضاف الأستاذ محمود وهو يتحدث عن القيادات قائلاً: "وقيادة أفضل مما تعطيه هذه المعارضة التي احترفت السياسة حتى أصبحت كراسى الحكم بالنسبة لها مسألة (حياة أو موت) فهي إن ظفرت بها تصرفت فيها تصرف المالك فى ملكه، وإن فقدتها احتالت صنوف الخيل لاستردادها". ثم قال الأستاذ محمود: "إن هذا الشعب العظيم يستحق قيادة أفضل من كل أولئك".

ثم ختم الأستاذ محمود مقدماً تسعة مقترحات لتعين على الوحدة الداخلية والخروج من المأزق آنئذ، وهو يستشعر شراً مستطيراً يهدد استقلال البلاد، خاصة وأن الأستاذ محمود نشر استقراءه هذا فى غرة نوفمبر 1958، قبل أسبوعين من قيام الانقلاب العسكرى فى 17 نوفمبر 1958 بقيادة الفريق إبراهيم عبود (1897/1900-1983). فقد كتب الأستاذ محمود قائلاً: "إننا ننصح هذه الحكومة أن تحفظ اتزانها فلا يحملها النقد الذى ينصب عليها الآن على ارتكاب حماقة ضد النظام الديمقراطى فى البلاد". ثم يوضح الأستاذ محمود أسباب قوله هذا، فكتب قائلاً:

"نقول قولنا هذا بعد أن اطلعنا على تصريح فى الصحف منسوب للسيد رئيس الوزراء وقد كان التصريح غير حكيم فيما نرى فهو يحمل تهديداً ونذيراً ويذكر أن هذه البلاد تتمتع بحرية ديمقراطية واسعة وأن بعض الناس يسيئون استعمالها .. فإن يكن ذلك فإن واجب الحكومة أن تقدم من يسيئون استعمال الحرية إلى المحاكمة لا أن تهدد الشعب بعمل ضد الديمقراطية".

كان الأستاذ محمود قد طالب منذ منتصف أربعينيات القرن الماضى أن يتصل النضال ضد المستعمر بالشعب، وأن تكون الجماهير طرفاً أصيلاً فى مواجهة الاستعمار وطرده. وطالب بقوة أن لا يكون النضال نضالاً فوقياً، وأن يكون العمل الوطنى عملاً شعبياً، حتى تكون الحركة الوطنية ملتصقة بالشعب بعيداً عن الصفوية والفوقية. ونادى باشارك النساء

وسكان القرى فى الحركة الوطنية عبر الإنتاج والعمل لا الهتاف. كتب الأستاذ محمود فى عام 1952 مقالاً بعنوان: "الحركة الوطنية كما أريدها"⁽¹⁾، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "ثلاث فئات من المواطنين يجب أن تشترك فى الحركة الوطنية اشتراك العمل المنتج. النساء وسكان القرى والأغنياء. ولإشراك هؤلاء اشتراك العمل المنتج يجب أن تكون الحركة الوطنية نفسها حركة عمل منتج لا حركة تهريج وهتاف بسقوط الاستعمار ليس إلا".

الأستاذ محمود والقراءة المبكرة لاتفاقيات مياه النيل والحدود مع مصر

لفت نظرى⁽²⁾ حوار تلفزيونى⁽³⁾ مع سلمان محمد أحمد سلمان وهو خبير وباحث فى قوانين وسياسات المياه. تحدث سلمان عن اتفاقية مياه النيل التى وقعت بين السودان ومصر فى يوم 8 نوفمبر عام 1959، كيف تمت الاتفاقية؟ وما هى خبايا وأسرار الاتفاقية؟ وما هى أبعاد ما قدمه المفاوض السودانى من تنازلات كبيرة لمصر؟ خاصة وأن التنازلات بدأت فى سبتمبر 1954، والتنازل الرئيسى فى أبريل 1955، وتوالت التنازلات حتى توقيع الاتفاقية فى يوم 8 نوفمبر 1959. وكيف قابلت القوى السياسية الاتفاقية؟ وما هو موقف النخب والأفراد من الاتفاقية؟ تحدث عن تفاصيل كثيرة عن الاتفاقية. وفى رده على سؤال

(1) محمود محمد طه، "الحركة الوطنية كما أريدها"، 1952/12/18، المصدر: جلال الدين الهادى الطيب إدريس، منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 12.

(2) هاتفى حيدر بدوى صادق، حينما استمع لحديث سلمان محمد أحمد سلمان فى الحوار التلفزيونى، خاصة قول سلمان بأن كل القوى السياسية قد أيدت اتفاقية عام 1959 تأييداً مطلقاً، ولم يعترض أحدٌ لا من القوى السياسية أو الأفراد سوى ميرغنى حمزة الذى أبدى بعض الملاحظات. كنت أستمع للحوار مع سلمان محمد أحمد، حينما هاتفى حيدر ليسألنى عن موقف الأستاذ محمود من الاتفاقية، وهو على يقين من أن الأستاذ محمود قد قال أو كتب شيئاً، بل يكاد حيدر أن يجزم بأن الأستاذ محمود لا يمكن أن يكون قد مرر موضوع الاتفاقية دون أن يكون قد قال أو كتب شيئاً. وبالفعل أكدت لحيدر بأن الأستاذ محمود ظل يتحدث فى المحاضرات وينشر المقالات عن اتفاقية مياه النيل وعلاقتها بالحدود مع مصر قبل أن توقع الاتفاقية فى يوم 8 نوفمبر 1958. أوحى لى مهاتفة حيدر مقرونة بحديث سلمان محمد أحمد سلمان بأن أدفع بهذا المحور ليكون من ضمن هذا الكتاب، لأهمية التاريخية وقيمتها العلمية، الذى لولا حديث سلمان محمد أحمد سلمان لما كان من ضمن محاور هذا الكتاب.

(3) سلمان محمد أحمد سلمان، "برنامج مراجعات: الحلقة 4-3"، (سلسلة حوارات)، أجرى الحوار الطاهر حسن التوم، قناة النيل الأزرق، الخرطوم، 10 مايو 2013، الساعة 16:30.

(4) خبير وباحث فى قوانين وسياسات المياه.

المحاور: كيف قابلت القوى السياسية فى المقابل فى الخرطوم اتفاقية عام 1959؟ أجاب سلمان قائلاً: السؤال عظيم والإجابة عليه مذهشة، غاية من الدهشة القوى السياسية قابلت الاتفاقية بالترحيب والتأييد، تأييد مطلق بدون أى شروط وبدون أى ضوابط. ثم أشار لأول تأييد من السيد على الميرغنى راعى حزب الشعب الديمقراطى. كما أيد الاتفاقية عبدالله خليل ببرقية من لندن. كما أيد الاتفاقية السيد الصديق المهدي والسيد إسماعيل الأزهرى والسيد عبدالله الفاضل المهدي، واتحاد مزارعى الجزيرة والمناقل أيد الاتفاقية، والصحف السودانية أيدت الاتفاقية... إلخ. ثم تدخل المحاور قائلاً: يعنى بالاجماع قابلت القوى السياسية الاتفاقية، ما كان هناك أى صوت معترض؟ فأجاب سلمان قائلاً: لم يكن هناك صوت معترض، ولكن يجب أن أوضح شيئين، بحثت فى الوثائق السودانية والأمريكية والبريطانية عن موقف الحزب الشيوعى السودانى والحركة الإسلامية. ولم أجد أى شىء من الحزب الشيوعى السودانى أو الحركة الإسلامية. اتصلت بمجموعة من الإخوة فى المنظمين وسألت إذا كان هناك أى بيان صدر يوضح رأيكم فى الاتفاقية، فقال بعضهم أنهم ضد الاتفاقية، ولكنى قلت لهم أنا أكاديمى وموثق وأريد شيئاً موثقاً صدر فى عام 1959 يوضح رأيكم وموقفكم من الاتفاقية. ولكنى لم أجد شيئاً موثقاً سواء من الحزب الشيوعى السودانى أو من الحركة الإسلامية يبين موقفهما من الاتفاقية. ثم سألت المحاور قائلاً وماذا عن الأفراد والنخب ما فى أى زول قال حاجة؟ فأجاب سلمان قائلاً: السيد ميرغنى حمزة هو الشخص الوحيد الذى أبدى بعض التحفظات. ثم تحدث سلمان عن مسألة الربط بين اتفاقية مياه النيل والحدود.

الأستاذ محمود ومقاومة اتفاقية مياه النيل

يبدو أن سلمان محمد أحمد سلمان، وهو يبحث عن مواقف القوى السياسية والمثقفين من اتفاقية مياه النيل عام 1959، لم تتح له فرصة الاطلاع على ما كتبه الأستاذ محمود محمد طه، برغم أنه تحدث بقوة وثقة عن اطلاعه على الوثائق السودانية والأمريكية والبريطانية. الشاهد أن الأمر عند الأستاذ محمود لم يكن فى حدود إعلان موقفه من اتفاقية مياه النيل بعد توقيعها فى يوم 8 نوفمبر عام 1959، وهى المواقف التى كان يبحث

عنها سلمان كما وردت الإشارة، فالأمر عند الأستاذ محمود أمر مقاومة للاتفاقية. فالأستاذ محمود لم يكن رافضاً لاتفاقية مياه النيل ومعتزلاً عليها فحسب؛ وإنما كان مقاوماً لها، قبل أن يتم توقيعها، بل منذ النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي. بل كان الأستاذ محمود يطالب، كما سيرد قوله لاحقاً، بضرورة إشراك الرأي العام في السودان وتنويره بسير المفاوضات وطبيعة أبعاد الاتفاقية ومآلاتها. كما عاب الأستاذ محمود، على الحكومة تقصيرها في عدم تنوير الرأي العام بإزاء شأن يتحكم في مستقبل العلاقات بين البلدين. كما طالب الحكومة بترك العواطف الرخوة عندما يكون الكلام عن أمر جاد وهو اتفاقية مياه النيل. ودعا إلى ضرورة التسوية العادلة لمياه النيل بما يضمن المصالح المستقبلية. ونبه إلى أن أمر اتفاقية مياه النيل، هو أمر يتوقف عليه مستقبل العلاقات بين البلدين، السودان ومصر.

بدأ الأستاذ محمود نشاطه باكراً من أجل مقاومة الاتفاقية، ولكن كنف من نشاطه منذ شهر فبراير عام 1958. لقد كتب الأستاذ محمود في مقاومته لتوقيع اتفاقية مياه النيل الكثير من المقالات، وأصدر عدداً من البيانات وأقام المحاضرات. كتب محذراً ومنبهاً لخطورة المسألة على راهن ومستقبل العلاقات بين البلدين، ودعا لضرورة الربط بين اتفاقية مياه النيل والحدود. ففي يوم 26 فبراير عام 1958 نشر الأستاذ خوجلى محمد خوجلى⁽¹⁾، عضو الحزب الجمهورى، تلخيصاً لمحاضرة⁽²⁾ قدمها الأستاذ محمود عن "الموقف السياسى الحاضر" بدار الحزب الجمهورى بمدينة ود مدنى وتحدث فيها بتوسع عن الحدود مع مصر.

(1) خوجلى محمد خوجلى من أبنكار الجمهوريين. ولد عام 1932 بمدينة دنقلا العريش، تلقى تعليمه الأولى بدقلا والمتوسط بالقولد ضمن أول دفعة تلتحق بأول مدرسة أهلية فى القولد كانت قد فتحت أبوابها فى عام 1944. ثم التحق بمدرسة التجارة/ أمدران الثانوية الصغرى وزامل فيها عام 1947 الأستاذ سعيد شايب. تخرج فى مدرسة التجارة واجتاز امتحان الخدمة المدنية الـ "C.S" فعين بمصلحة المعارف محاسباً بمدرسة حثوب الثانوية عام 1950. نقل فى عام 1959 إلى وزارة المالية وفى عام 1961 نُقل للعمل بوزارة الخارجية. أثناء عمله بوزارة الخارجية عمل ببنجيريا ثم عاد للعمل بديوان المراجع العام. نقل إلى إثيوبيا للعمل بمنظمة الوحدة الإفريقية ليكون أول سودانى يعمل بها. المصدر: وصلتنى هذه المعلومات من إبراهيم عيسى، الذى كان قد أجرى حواراً توثيقياً مع خوجلى محمد خوجلى.

(2) محمود محمد طه، "الموقف السياسى الحاضر"، (محاضرة)، دار الحزب الجمهورى، مدينة ود مدنى، مساء يوم السبت 22 فبراير 1958. وقد نشر خوجلى محمد خوجلى ملخصاً للمحاضرة فى صحيفة أبناء السودان فى يوم 26 فبراير عام 1958.

كتب خوجلى محمد خوجلى قائلاً: "استهل الأستاذ محمود حديثه بأنه كان يود أن يكون حديثه عن الانتخابات ولكن الأزمة التى نشبت بين السودان ومصر فى مشكلة الحدود تجعل الحديث عن الانتخابات مختصراً". وأضاف خوجلى بأن الأستاذ محمود بعد أن تحدث حديثاً مختصراً عن الانتخابات تناول مشكلة الحدود، قائلاً: "إن السودانيين ستكون خسارتهم كبيرة جداً لو لم يأخذوا الدرس الكافى من هذه الأزمة التى خلقتها حكومة مصر". ثم تناول الأستاذ خوجلى حديث الأستاذ محمود عن الأزمة المصرية السودانية، وإشاراته لسوء تصرف مصر، وتحليلاته لتصرفات مصر والتى مثلت امتهاً لكرامة الشعب السودانى. وأضاف الأستاذ خوجلى قائلاً بأن الأستاذ محمود تناول أبعاد الأزمة وأطماع جمال عبدالناصر التوسعية، فتحدث قائلاً: "إننا نجهل البواعث الحقيقية لمثل هذا الحادث الخاسر الذى لن تجنى منه مصر شيئاً ولكننا نستطيع أن نخمن فنقول إما أن عبدالناصر غافل جداً وليس له من ينصحه، وإما أن الزهو والغرور قد أملى على دكتاتور مصر أن يوسع رقعته وذلك بالزحف على الجنوب وكل ذلك ينهض دليلاً لمسألة أصيلة فى سوء الحكم المصرى، وما سوء القياس بمسألة جمبيلا إلا دليلاً قاطعاً على وجود الغفلة، وثمة شىء آخر هو أن الحكومة المصرية دائماً تفكر من ناحية واحدة وتتجاهل مشاعر الآخرين، وما الكيفية التى تمت بها طريقة تأميم القنال إلا دليلاً على ذلك ومسألة تجاهل المشاعر تتجسم فى تجاهل حكومة مصر للمواطن والمشاعر الإنسانية التى ربطت سكان تلك المنطقة بالسودان حقبة كبيرة من الزمن فكيف يراد لها بين عشية وضحاها أن تنسى كل ذلك". ختم خوجلى قائلاً: "هذا وفى نهاية النقاش اتخذ الحاضرون قراراً بارسال برقية لاتحاد الصحافة يستنكرون فيه تجاهل حكومة مصر لحكومة السودان، ويعتبرون أن المسألة غير منتهية حتى تفعل حكومة مصر ذلك. ويطالبون الذين استرضتهم حكومة مصر أن يرفضوا استرضاءها".

وفى يوم الأحد 14 سبتمبر 1958 نشر الأستاذ محمود مقالاً بعنوان: "مشكلة مياه النيل"⁽¹⁾. يكشف المقال عن المتابعة الدقيقة للأستاذ محمود لسير المراسلات بين الحكومتين السودانية والمصرية، وحرصه على نقد التعاطى من قبل الدولتين مع ملف المياه ونقده بشكل أشد لمواقف حكومة السودان. كتب الأستاذ محمود فى مستهل مقاله قائلاً: "لقد جاء فى رد

(1) محمود محمد طه، "مشكلة مياه النيل"، صحيفة أبناء السودان، بتاريخ الأحد 14 سبتمبر 1958.

مصر على مذكرتى جمهورية السودان الخاصتين بمشكلة مياه النيل المؤرختين 19 أغسطس و25 أغسطس من هذه السنة ما يأتى: "نود أن نستبصر النظر إلى ما بين هاتين المذكرتين من اختلاف فى الأسلوب والاتجاه، إذ ترحب المذكرة الثانية بفتح باب المفاوضات حرصاً على ما بين الشقيقتين من علاقة فى حين أن المذكرة الأولى بإعلانها عدم الاعتراف باتفاقية سنة 1929 من جانب واحد لم تهىء جو الثقة المتبادل الواجب توافره فى أية مفاوضات). هذا ومن الواضح بالطبع، (والكلام للأستاذ محمود) أنه ليس هناك تناقض فى جوهر الأمر وإنما جاء التناقض فى ظاهر الصياغة وذلك للحرص التقليدى الذى يصاحب كل حديث نقوله نحن السودانيون عن مصر (الشقيقة) وإنى لأرجو أن يقلع على الأقل المسؤولون عن مثل هذا المظهر المهين". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "هذا وإنى لألاحظ بارتياح تام أن حكومة السودان قد ردت على مذكرة مصر التى تشترط الاعتراف باتفاقية سنة 1929 كأساس للدخول فى المفاوضات بأن جمهورية السودان تجدد تمسكها بعدم الاعتراف باتفاقية مياه النيل المبرمة بين دولتى الحكم الثنائى سنة 1929 وذكر الرد إلى جانب ذلك رغبة جمهورية السودان فى الدخول فى مفاوضات لتسوية المشاكل المعلقة بما فيها مياه النيل".

كذلك أولى رجال الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود اهتماماً واسعاً ومستمر بالتدخل المصرى فى شؤون السودان، وأثر ذلك التدخل على مشكلة مياه النيل ومسألة الحدود. ففي يوم 18 أكتوبر 1958 كتب الأستاذ عبداللطيف عمر مقالاً⁽¹⁾ تعرض فيه لمياه النيل، وهو يتحدث عن التدخل المصرى فى الشؤون الداخلية، متنبهاً لأطماعه فى مياه النيل وأراضى السودان. ربط عبداللطيف بين مشكلة مياه النيل ومسألة الحدود، فكتب قائلاً: "التدخل المصرى مستمر بالإذاعة والصحافة لتأليب الشعوب العربية والشعب السودانى ضد حكوماتهم حتى لكان هذه الحكومات حكومات أجنبية مفروضة على هذه الشعوب فجعل عبد الناصر ولى أمر وقيماً عليها. ومن الأمثال الواضحة حادث الحدود ومشكلة مياه النيل ففي كليهما وقف عبد الناصر موقف المتجبر، فهو ذو أطماع كبيرة فى السودان: فى مياهه الوفيرة وأراضيه الواسعة".

(1) عبداللطيف عمر، "حول الخطوة التالية لعبد الناصر فى السودان"، صحيفة أنباء السودان، العدد 164، بتاريخ 18 أكتوبر 1958.

وفى إطار مقاومته لاتفاقية مياه النيل، نشر الأستاذ محمود فى يوم 25 أكتوبر 1958 مقالاً طويلاً عن اتفاقية مياه النيل⁽¹⁾. جاء المقال بعنوان: "الأزمة بين السودان ومصر: اتفاقية مياه النيل سنة 1929". تناول الأستاذ محمود فى مقاله هذا، قصة مياه النيل، فوقف عند اتفاقية عام 1929 وتاريخها وتبع جلسات مباحثاتها واجتماعات لجانها منذ أن كانت الاتفاقية فكرة أولية عند البريطانيين ونمت فى إطار الأهداف الاستعمارية والعلاقات مع مصر. وتحدث فى مقاله عن بداية التفكير فى اقامة مشروع لزراعة القطن فى أرض الجزيرة وتناول تطور الفكرة ووضوحها فى الأذهان حتى تقرر رى مساحة مائة ألف فدان وتطورت المساحة إلى ثلاثمائة ألف فدان. تناول الأستاذ محمود فى مقاله تعهدات بريطانيا لحكومة مصر بآلا تزيد المساحة من مشروع الجزيرة بدون التشاور مع حكومة مصر. ثم وقف على مقتل السردار السير لى أستاك وأثره على التطورات بشأن اتفاقيات مياه النيل، وما تبع ذلك من إنذار بريطانيا لمصر بأنها تخلت عن مبدأ التشاور معها بشأن زيادة المساحة الزراعية، وأن الزيادة فى المساحة المزروعة فى السودان ستم دون التشاور مع مصر. رفض رئيس الوزراء سعد زغلول باشا ذلك، الأمر الذى أدى لتدخل الملك فؤاد الأول ومن ثم استقالة رئيس الوزراء. ثم قدم الأستاذ محمود تفصيلاً عن اللجان والتقارير والمراسلات التى تمت بين بريطانيا ومصر خلال الفترة ما بين 22 نوفمبر 1924 و26 يناير 1925. أشار الأستاذ محمود فى مقاله إلى تمسك مصر على الدوام بوجهة نظرها، فى المفاوضات والمراسلات بشأن مياه النيل. فقد تمسكت مصر بأن مسألة تطوير الرى فى السودان يجب بأى حال من الأحوال ألا تكون بصورة تضر بالرى فى مصر أو تعوق مشاريع التوسع المرتقبة فيها والضرورية لتفى بحاجة السكان المتزايدين بسرعة شديدة.

ظل الأستاذ محمود على الدوام مشغولاً بمسألة مياه النيل، وداعياً لإقامة العلاقات مع مصر على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل. إن الدارس والباحث يلاحظ أن الأستاذ محمود كشف من نشر مقالاته وإصدار بياناته وإقامة محاضراته العامة، عن مياه النيل فى فترة الخمسينيات من القرن الماضى، وهو عقد الحراك بشأن اتفاقية مياه النيل التى وقعت فى 8 نوفمبر 1959. ففى يوم السبت 23/8/1958 نشر الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ

(1) محمود محمد طه، "الأزمة بين السودان ومصر: اتفاقية مياه النيل سنة 1929"، صحيفة أبناء السودان، العدد 165، بتاريخ 25 أكتوبر 1958.

محمود بياناً عن دعائم الميثاق القومى، (أنظر ملحق رقم: "34"). تناول البيان رؤية الحزب للعلاقة مع مصر، ومواقفه من مياه النيل، يقول البيان: "لتحسين العلاقة مع مصر يجب تصفية المسائل المعلقة معها فوراً، مثل مياه النيل ومستعمرات الرى المصرى فى الشجرة والجلبل وملكال وذلك بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم ويجب ألا نترك هذه المسائل معلقة هكذا لأى فترة من الزمن بعد اليوم لأنها هى سبب سوء التفاهم المستمر فإذا ما تمت هذه التسوية فإن علاقتنا بمصر ستقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل".

أتبع الأستاذ محمود اهتمامه الشديد بمياه النيل بنقده للقادة والوزراء ومتخذى القرار. ففى يوم السبت 1958/9/6 نشر مقالاً بعنوان: "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، (أنظر ملحق رقم "36"). كتب الأستاذ محمود فى مقاله قائلاً: "أبادر فأقرر هنا أن خطاب السيد وزير الداخلية الذى قرأه على الصحفيين فى مؤتمره الصحفى فيما يخص مشكلة مياه النيل مع مصر لم يكن خطاباً لبقاً ولا كان موفقاً وليس الكيس من يأبى أن يقدم الوعيد والتهديد بين يدى الرجاء بالتعاون.. ثم أنه ما ينبغى أن يغيب عن بال رجل مسئول أن الشعب بجميع طبقاته بله الصحفيين غيور على حريته حريص على صيانتها.. وما جدوى الاستقلال إذا ما أُمست الحريات سلبية؟" ثم أضاف الأستاذ محمود فى نقده لوزير الداخلية الذى تحدث فى مؤتمر صحفى عن مياه النيل، أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "هل قرأتم ما جاء عن المؤتمر الصحفى الذى عقده وزير الداخلية عن مشكلة مياه النيل؟ لقد طلب الوزير من الصحفيين ألا ينشروا عن مشكلة مياه النيل من خبر إلا ما يستقى من الحكومة ولا من تعليق إلا ما يتوخى فيه توفير الجو الودى الذى يجب أن يسبق المفاوضات ليزيد فرص نجاحها وعند ذلك توجه إليه أحد الصحفيين بسؤال فحواه "هل طلبت مصر من صحافتها مثل هذا الطلب؟" فلم يجد الوزير بداً من أن يجيب "ستتوجه إلى مصر برجاء أن تطلب من صحافتها مثله" والآن فإن لهذا السؤال دلالة كبيرة. فهو يدل على أن بعض صحفيينا لا يعرفون فرقاً بين صحافة مصر وصحافة السودان ولا يقدرون مبلغ التفاوت فى الحرية بينهما مع أن كل من يعرف شيئاً ولو يسيراً عن الحياة فى مصر يعلم أن صحافة مصر لا تكتب شيئاً إلا ما تمليه حكومة مصر إملاءً. فإن لم يكن إملاءً فهو لا يخرج عن ما اختطته الحكومة فى روح سياستها من غير نقد أو تساؤل. وهو يدل أيضاً على أن صحفيينا (بعضهم) حين يدافع عن حرية الصحافة لا يعرف

حقيقة ما يريد وهو ليس لديه مانع من أن يعيش فى حرية صحفية (كالحرية) التى تعيش تحتها الصحافة المصرية هل استعدى الحكومة على حرية بعض الصحف بقولى هذا ؟ كلا ؛ والحق لو إنى كنت مقتنعاً بأن حكومتنا رشيدة ذات فلسفة فى الحكم ومذهب فى التربية لطلبت إليها أن تجعل للحرية ثمناً هو حسن التصرف فيها أو تحمل مسؤولية سوء التصرف. فالناس أحرار ليفكروا كما يشاءون وان يقولوا كما يفكرون وان يعملوا كما يقولون على شريطة أن يقولوا صواباً وألا يعملوا عملاً يخل بحريات الآخرين". ثم ختم مقاله قائلاً: "فكم من صحفنا تقول الصواب ؟ أم كم من صحفنا تعرف الصواب ؟ حقاً ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟؟"

الأستاذ محمود والربط الباكر بين مياه النيل والحدود

ربط الأستاذ محمود باكراً بين اتفاقية مياه النيل والحدود. وقد ورد هذا الربط فى المحاضرات العامة التى عقدها وفى المقالات التى نشرها. فبالإضافة لما وردت الإشارة إليه آنفاً، فقد قدم الأستاذ محمود محاضرة⁽¹⁾ فى مساء يوم 1958/7/23، ونشرت المحاضرة بتاريخ 7 أغسطس 1958 بعنوان: "الحكومة القومية خطرة وستضيع على السودان مياه النيل والحدود". تحدث الأستاذ محمود فى تلك المحاضرة قائلاً: "الحكومة القومية خطيرة وستضيع على السودان مياه النيل والحدود.. فالحكومة القومية... خطرة لأنها ستأتى بأغلبية المواليين لمصر من الأحزاب وبالتالي تضع المشاكل المعلقة بيننا ومصر وهى مياه النيل والحدود ولذلك يجبذ أن تكون فى هذا الوقت حكومة حازمة من جهة مصر حتى تحل هذه المشاكل".

تناول الأستاذ محمود مسألة الحدود مع مصر ومشكلة مياه النيل، والمشاكل المعلقة مع مصر فى مقال⁽²⁾ نشره فى يوم 3 مايو 1958 بعنوان: "نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية". كتب الأستاذ محمود فى مقاله وتحت محور وسمه بـ "بيننا وبين مصر" قائلاً: "بلغنا أن حكومة السودان قد استعدت بالوثائق التى تؤيد حقها فى نزاع الحدود ولكنها لا تنوى أن تشير المسألة

(1) محمود محمد طه، "الموقف الدولى الراهن"، (محاضرة)، مدينة ود مدنى، مساء يوم 23 يوليو 1958؛ نشرت المحاضرة فى صحيفة أنباء السودان، "الحكومة القومية خطرة وستضيع على السودان مياه النيل والحدود"، بتاريخ 7 أغسطس 1958.

(2) محمود محمد طه، "نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، صحيفة أنباء السودان، العدد 149، بتاريخ 3 مايو 1958.

من جانبها وإنما تترك البدء لمصر ولقد تردد هنا أن مصر أيضاً لا تريد أن تبدأ بإثارة المشكلة من جانبها على الأقل في الوقت الحاضر". ثم أضاف الأستاذ محمود رابطاً بين نزاع الحدود ومشكلة مياه النيل فكتب قائلاً: "ولما كانت المسائل المعلقة بيننا وبين مصر لا تقف على مسألة الحدود فقط وإنما تتعداها إلى ما هو أهم منها مثل مشكلة مياه النيل التي لا بد من حلها حلاً نهائياً حتى نستطيع ان نمنع في استغلال حصتنا من المياه". ثم أضاف الأستاذ محمود وهو يتحدث عن المسائل المعلقة مع مصر قائلاً: "ومنها مشكلة المستعمرات المصرية داخل بلادنا مثل ملكال وجبل أولياء وشجرة غردون ولعل المصريين لا يريدون إثارة مشكلة في الوقت الحاضر حتى يتمكنوا بمرور الزمن من استمالة سكان تلك المناطق بمختلف صنوف الدعاية والإغراء والرشوة، ذلك بأن الأخبار تردنا من منطقة حلايب بما يدل على أن أموراً من هذا تمارس هناك علانية وجهاراً". ثم نبه الأستاذ محمود حكومة السودان قائلاً: "والحزم يقضى على حكومة السودان بأن تثير هذه المسائل المعلقة منذ اليوم... ليس هذا فحسب بل إن حل هذه المسائل لا يجب أن يتعثر ويتعرض للتسويق كسابق عهده، ذلك بأنه من مصلحة مصر كما هو من مصلحة السودان أن تبنى علائقنا على [أسس] واضحة حتى ولو اقتضى ذلك اللجوء إلى هيئة الأمم لتشكيل بيننا لجنة تحكيم يكون حكمها مرضياً من كلينا سلفاً"... إلخ. وكان الأستاذ محمود قد تحدث في بيان للحزب الجمهوري⁽¹⁾، صدر في يوم 10 نوفمبر 1955 بعنوان: "حول السياسة الاقتصادية الرسمية". تناول البيان، وهو بيان طويل، استغلال مصر والسودان لمياه النيل، وتحدث البيان عن ضرورة أن تولى الحكومة جل اهتمامها بالتوسع الزراعي وإقامة المشاريع الزراعية في مختلف أنحاء السودان. كما تحدث البيان عن "إن مصر استغلت كل ما تملك من أراضي زراعية في حين أن السودان لم يستغل عشر أراضيها الخصبة".

ظل الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهوري، ورجال الحزب كذلك منشغلين باتفاقية مياه النيل وبكل القضايا المعلقة مع مصر. ففي يوم 18 أكتوبر 1958، كتب الأستاذ أحمد إبراهيم مدني، عضو الحزب الجمهوري، مقالاً⁽²⁾ أشار فيه لمياه النيل. استهل الأستاذ أحمد إبراهيم مدني

(1) محمود محمد طه، "حول السياسة الاقتصادية الرسمية"، (بيان)، صدر البيان بتاريخ 10 نوفمبر 1955، ونشر بصحيفة الاستقلال، بتاريخ 17 نوفمبر 1955.

(2) أحمد إبراهيم مدني، "في الميدان السياسي: إنكار مصر لعرضها يشكل سابقة خطيرة في تاريخ العلاقات الدولية"، صحيفة أنباء السودان، بتاريخ يوم 18 أكتوبر 1958.

قائلاً: "بعد أن درس مجلس الوزراء السوداني العرض الذي تقدمت به الجمهورية العربية المتحدة حول مياه النيل، وبدأ في إعداد رده عليه، أبلغ سفير الجمهورية العربية لدى الخرطوم حكومتنا أن مصر لم تقدم أى عرض رسمى ...". ثم تابع الأستاذ أحمد إبراهيم مدنى حديثه شارحاً طبيعة عرض الحكومة المصرية بشأن مياه النيل، والذي نقله القائم بأعمال السفارة السودانية فى القاهرة، الوزير المفوض السيد عباس الدابى. كما تناول الأستاذ أحمد إبراهيم مدنى الكيفية التى قدم بها العرض وإذاعة راديو القاهرة للعرض، ثم إنكار القاهرة للعرض. وأشار الأستاذ أحمد قائلاً: "وأغلب الظن أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة سلكت هذا المسلك عندما شعرت باتجاه مجلس الوزراء لرفض هذا العرض الذى ربما قد يتمسك به السودان كحد أدنى مستقبلاً". وختم الأستاذ أحمد مقاله قائلاً: "فإنكار مصر لعرضها الرسمى الأخير فيه إحراج للدبلوماسية ومحاولة لزعزعة الثقة به، ويشكل سابقة خطيرة فى تاريخ العلاقات الدولية. إن القول بأن الحكومة اعتبرت المسألة متتهية عند هذا الحد قولاً لا يمكن أن تأخذ به دولة من أول واجباتها حماية ممثلها بالخارج من الافتراءات والتعرض لتحطيم مجهوداتهم ونشاطهم الدبلوماسى".

المطالبة بتنوير الرأى العام وتربية الشعب على الديمقراطية

فى سعيه المستمر لتربية الشعب على الديمقراطية من خلال إشراكه فى شؤونه ومصالحه الآنية والمستقبلية، طالب الأستاذ محمود منذ عام 1958 بتنوير الرأى العام بشأن اتفاقية مياه النيل وسير مفاوضاتها. ودعا الأستاذ محمود الحكومة إلى تمليك الشعب الحقائق بشأن كل القضايا المعلقة مع مصر لا سيما مياه النيل. كما طالب الحكومة باتخاذ المواقف الصلبة بإزاء مصر بمساندة الرأى العام. ففى مقاله الذى نشر فى يوم الأحد 14 سبتمبر 1958 بعنوان: "مشكلة مياه النيل"⁽¹⁾، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "يجب أن نترك العواطف الرخوة عندما نتكلم على الأقل فى مسائل جاده على تسويتها العادلة يتوقف مستقبل العلاقات بين مصر والسودان... وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "أحب أن أذكر أن الموقف الصلب من جمهورية السودان بإزاء مصر سيكون لمصلحة مستقبل العلاقات بين البلدين وإنى لأرجو للحكومة حسن التوفيق إذ لا تجد مساندة من الرأى العام على المواقف

(1) محمود محمد طه، "مشكلة مياه النيل"، مصدر سابق.

الصلبة بإزاء مصر". وعن تقصير الحكومة فى إشراك الرأى العام كتب الأستاذ محمود قائلاً: "والحديث عن الرأى العام يسوقنى مرة أخرى إلى تقصير الحكومة فى تنويره حتى انتهته مصر وحولته بإذاعتها وصحافتها إلى قوة تعمل لمصلحتها أكثر مما تعمل لمصلحة هذه البلاد". كان إشراك الرأى العام وتنوير الشعب بقضاياهم وبمصلحته المستقبلية من أهم الأمور عند الأستاذ محمود. ففى مقاله هذا طالب الأستاذ محمود الحكومة بضرورة تنوير الشعب فى كل المسائل المتعلقة بين مصر والسودان، ولقد طلب إلى حكومتنا فى كلمته الماضية أن تعيد النظر فى أمر تنوير الشعب وتعميق الأفكار الأصلية عن المسائل المتعلقة بيننا وبين مصر فى ذهنه وذلك بنشر الأسس الأصلية التى عليها ينهض حقنا فى جميع هذه المسائل ولقد أوردت مثلاً من أمثال التضييل الذى تبأشره الصحف المصرية ولقد كان ذلك المثل مقالاً طويلاً فى روز اليوسف حشوه الخطأ والتضييل".

ظل الأستاذ محمود حريصاً على الوضوح مع الشعب وضرورة تنويره. ففى يوم السبت 30 أغسطس 1958، نشر الأستاذ محمود مقالاً بعنوان: "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"⁽¹⁾.

وتناول المقال محورين، الأول "هيئة الأمم" والمحور الثانى "مياه النيل". وقد خصص الأستاذ محمود جل المقال للمحور الثانى، وهو مياه النيل. يكشف المقال عن انشغال الأستاذ محمود بضرورة الوضوح مع الشعب فى شؤونهم، كما يكشف المقال، كما هو ديدنه مثلما ورد فى الحلقة السابقة، عن المتابعة الدقيقة للأستاذ محمود لسير المراسلات بين حكومتى السودان ومصر. ويكشف المقال كذلك عن حرص الأستاذ محمود، على نقد التعاطى من قبل الدولتين مع ملف مياه النيل، ونقده بشكل أخص لمواقف حكومة السودان. كتب الأستاذ محمود وهو يتحدث عن الحكومة قائلاً: "إن مصلحة العلاقات بيننا وبين مصر تقضى بأن نترك هذه العبارات الجوفاء، عبارات العواطف النواضب، وأن نبنى علاقتنا معها على العدل والحق والرعاية المنصفة للمصالح المشتركة وهذا المسلك هو الذى يحفظ على الإخوان ودهم وإخاءهم... ولتكن واضحة مع الشعب تبين له الحقائق

(1) محمود محمد طه، "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، صحيفة أنباء السودان، العدد 155، بتاريخ السبت 30 أغسطس 1958.

فإذا اقتضى الأمر الخروج بمشكلة مياه النيل إلى المحافل الدولية فلتتمض الحكومة راشدة ولتخط الدول الأخرى علماً بتفاصيل المشكلة بلا إبهام ولا غموض. ثم لتمض الحكومة لحل جميع المشاكل المعلقة مع مصر وبكل الوسائل.. وسائل التحكيم إن لم تنجح وسائل المفاوضات".

الشاهد أن الأستاذ محمود أولى اتفاقية مياه النيل والحدود مع مصر اهتماماً كبيراً وباركاً، وكذلك رجال الحزب الجمهورى، لاسيما الأستاذ عبداللطيف عمر وخوجلى محمد خوجلى وأحمد إبراهيم مدنى. كما لفت الأستاذ محمود الانتباه وبرؤية سياسية ناقبة إلى ضرورة الربط بين اتفاقيات مياه النيل وقضية الحدود مع مصر. وكثيراً ما نوه إلى أن تشكيل الحكومة السودانية بأغلبية موالية لمصر، مثل تشكيل الحكومة القومية التى نادت بها بعض الأصوات فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى، أمر خطير على اتفاقية مياه النيل وخطير كذلك على الحدود مع مصر. وكل ذلك موثق فى الدوريات السودانية التى وقفت عليها بدار الوثائق القومية، وقد أوردت هنا بعضاً منها. ويلاحظ الباحث أن الأستاذ محمود اهتم اهتماماً بالغاً بمياه النيل، واستمر هذه الاهتمام حتى فى آخر نص كتبه قبل تنفيذ الإعدام عليه فى يوم 18 يناير 1985. ففى آخر نص خطه يراعى الأستاذ محمود أثناء فترة اعتقاله الأخير (- 1984/12/19) 1983/6/9)، وأرخ لكتابته النص بتاريخ 30 أكتوبر 1984، ووسمه بـ (الدياجة)، تحدث الأستاذ محمود عن أخطاء الحكم النيابى فى السودان. وفى حديثه عن الأخطاء حلل العوامل والمعطيات التى تحكم فى مساره وأحدثت الضرر فى أثره، كما أشار إلى ظلال تلك الأخطاء على اتفاقيات مياه النيل. كتب الأستاذ محمود فى الدياجة⁽¹⁾ صفحة (3)، وهو يتحدث عن فترة الحكم النيابى الأول مشيراً إلى صحيفة أبناء السودان بتاريخ 1958/11/14، وصحيفة الراى العام بتاريخ 1958/11/9، فكتب قائلاً: "فقد كانت الحكومة ائتلافية بين حزب الأمة، وحزب الشعب - حزبى الطائفتين ذواتى الخصومة التقليدية، طائفة الأنصار، وطائفة الختمية.. ودخلت البلاد فى أزمة سياسية من جراء عدم الانسجام فى الوزارة، وبرز الاتجاه للالتقاء بين الحزب الوطنى الاتحادى، الذى كان فى المعارضة، وحزب الشعب، عن طريق وساطة مصر.. فسافر رئيسا الحزبين، السيد إسماعيل الأزهرى، والسيد على عبد

(1) محمود محمد طه، الدياجة، مصدر سابق، ص 3.

الرحمن، إلى مصر، لهذا الغرض.. ولقد نسب لرئيس الوطنى الاتحادى تصريح ، بمصر، يعترف فيه باتفاقية 1929، التى كانت حكومة السودان الشرعية قد ألغتها.. - وهى الاتفاقية التى أبرمت فى الماضى بين دولتى الحكم الثنائى، بريطانيا، ومصر، بينما كان السودان غائبا، تحت الاستعمار، فأعطت السودان نصيبا مجحفاً من مياه النيل، بالنسبة لنصيب مصر.. وكان ذلك الاعتراف بالاتفاقية بمثابة مساومة مع مصر لتعين الحزب على العودة للحكم.. كما صرح رئيس حزب الشعب، بمصر، بأن حزبه يقف فى المعارضة!! (أنباء السودان 1958/11/15، **الرأى العام** 1958/11/9) وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "فى هذا الجو السياسى الذى يهدد استقلال البلاد، وسيادتها، بالتدخل الأجنبى، سلم السيد عبد الله خليل رئيس الوزراء، الحكم للجيش". المصدر كما أشار إليه الأستاذ محمود: أقوال الفريق عبود فى التحقيق الجنائى حول الانقلاب بعد ثورة أكتوبر 1964. "التجربة الديمقراطية، وتطور الحكم فى السودان، للدكتور إبراهيم محمد حاج".

فى تقديرى أن سلمان محمد أحمد سلمان ليس بالرجل المتهم فى احترامه للأستاذ محمود أو فى عدم تقديره لجهود الآخرين أو يمكن أن يكون متهماً بالسعى لتغيب الأستاذ محمود عن الذاكرة الجمعية. فالدكتور سلمان رجل أكاديمى ويعرف جيداً المبادئ والأسس الأكاديمية وهو رجل متمكن وعالم بل حجة فى سياسات وقوانين المياه، وصاحب باع وخبرة طويلة فى المنابر الأكاديمية والبحثية وفى المؤسسات العالمية. لهذا فإننى أرجو منه أن يتدارك ما أطلقه من أحكام على موقف القوى السياسية والمثقفين من اتفاقية مياه النيل، بأن التأييد للاتفاقية كان بالإجماع المطلق، خاصة بعد أن علم بأن موقف الأستاذ محمود لم يكن مؤيداً بل مقاوماً لاتفاقية مياه النيل. لهذا يصعب قبول قول سلمان بأن تأييد القوى السياسية للاتفاقية كان بالإجماع المطلق. هنا نحن أمام خلاصة محددة وهى إما أن يكون لدى سلمان ما يؤكد زعمه بشأن تأييد الأستاذ محمود والحزب الجمهورى للاتفاقية مثلما استعرض بيانات التأييد من قبل قادة الأحزاب أو أنه لم يسعى لمعرفة موقف الأستاذ محمود والحزب الجمهورى. يضاف إلى ذلك فإنه حتى ولو سعى لمعرفة موقف الحزب الجمهورى فإنه لم يورد ذلك فى حديثه التلفزيونى، وقد أشار إلى سعيه لمعرفة موقف الإخوان المسلمين والحزب الشيوعى السودانى من الاتفاقية. أكثر من ذلك، فإن سلمان تحدث عن جولات المفاوضات التى بدأت قبل سنوات من توقيع الاتفاقية فأشار

إلى الجولة الرابعة التي كانت في عام 1957 والجولة الخامسة في يناير 1958 والتي توقفت بسبب مشكلة حلايب، وخلال كل هذه الفترة كان الأستاذ محمود حاضراً بالندوات وبكتابة المقالات في الصحف عن سير المفاوضات وما ينبغي أن تكون عليه وما ينبغي أن يكون عليه موقف الحكومة، وربما لا نجد مواقف مثل هذه المواقف من القوى السياسية الأخرى. أبلغ من ذلك فإن الأستاذ محمود طالب الحكومة بضرورة إشراك الرأي العام في سير المفاوضات وتمليك الحقائق بشأن الإنفاقية، لأن الاتفاقية شأن يتصل بمصالح ومستقبل الشعوب.

إنني آمل أن يعيد سلمان النظر ويصحح هذا الأمر بأن يعطى هذه الجهود الضخمة التي بذلها الأستاذ محمود، وقد أشرت إلى نماذج منها وباختصار، في مقاومة اتفاقية مياه النيل عام 1959، حقها من التقدير والاعتبار ويرصدها في حجب وخبرته. كما أذكر الباحثين والأكاديميين والمتخصصين الذين يقومون بالدراسات والبحوث أو أولئك الذين يودون إجراء مراجعات، تلفزيونية، أو إذاعية أو منشورة كتابة، عن الإرث الفكري والسياسي والثقافي أن يضعوا الأستاذ محمود ضمن مراجعهم ومصادرهم. فآراء الأستاذ محمود في قضايا السودان والإسلام والإنسان والسلام والمستقبل، منشورة في كتبه وموثقة، وقد كان شديد الحرص على التوثيق، في مقالاته وبياناته ومناسيره وفي الدوريات السودانية منذ أربعينيات القرن الماضي، وقد وقفت على كم ضخم منها بدار الوثائق القومية بالخرطوم.

جدير بالذكر أنني عزمت على إصدار ما جمعته من مادة بشأن مقاومة الأستاذ محمود لإنفاقية مياه النيل عام 1959، وقد قدمت هنا بعض من تلك المادة⁽¹⁾، إلى جانب ما جمعته من بيانات وآراء للأستاذ محمود عن مسألة الحدود وتطورات مشكلة مياه النيل وتأثيرهما على مستقبل العلاقات بين مصر والسودان، عزمت على إصدار كتاب بعنوان: الأستاذ محمود محمد طه واتفاقيات مياه النيل والحدود. وآمل أن أدفع به إلى المطبعة قريباً.

(1) نشرت بعض هذه المادة في مقال من ثلاث حلقات بعنوان: "مراجعة لمراجعات سلمان والطاهر حسن التوم: لا يا سلمان!! التأييد لاتفاقية مياه النيل لم يكن بالإجماع المطلق!!"، بصحيفة الصحافة بالخرطوم في أيام 18، 20 و31 يوليو 2013، وكذلك في صحيفة التغيير الإلكترونية، وصحيفة سودانيل الإلكترونية، وصحيفة حريات الإلكترونية، ومواقع إلكترونية أخرى. كما عقب سلمان محمد أحمد سلمان بمقال: «الحزب الجمهوري واتفاقية مياه النيل تعقيب على الأستاذ عبدالله الفكي البشير»، نشر في حلقتين بصحيفة الصحافة في يومي 3 و6 أغسطس 2013م.

بناء الذاتية السودانية وإزالة الفوارق واتحاد الأغراض والمنافع

تظل مكانة الجمهوريين فى الساحة السودانية شاغرة لم يملأها أى تيار سياسى أو فكرى. كم رغبتنا أن يساهم الجمهوريون فى تبصير الناس بحقائق الإسلام السمحة. إن بلادنا شهدت حرباً طويلة نتيجة للانسداد فى البصائر⁽¹⁾.

ياسر عرمان

استشعر الأستاذ محمود منذ وقت باكر قضايا السودان، وخاطب جذورها وأسبابها، وتنبأ بما ستكون عليه أحوال السودان، والتي نعيشها اليوم، من صراعات وانقسامات وتشظ. لقد سعى الأستاذ محمود، منذ أربعينيات القرن الماضى، بقوة لدرء خطر التهميش، ومحاصرة الفوارق وتذليل أسباب الانعزال بين أقاليم السودان المختلفة، ودعا لتحقيق الوحدة عبر إزالة الفوارق واتحاد الأغراض والمنافع والإحساس بين أجزاء السودان. استخدم الأستاذ محمود فى تبليغ رؤيته السياسية، أدوات المثقف الحدائى، فكتب المقال ونشر البيان والكتاب ونظم المحاضرات فى العاصمة الخرطوم وفى أقاليم السودان المختلفة. قدم الأستاذ محمود نموذج المثقف المواجه الحر صاحب الرؤية السياسية الثابتة، وبثوابت أخلاقية تجاوزت حقبة الحدائى لتلتقى مع أسئلة اليوم، أسئلة حقبة ما بعد الحدائى، وأهمها سؤال الأخلاق. نظر الأستاذ محمود فى واقع السودان وما انطوى عليه من تنوع وتعقيدات استعمارية وتداخلات فى سيرورته التاريخية، فشخص القضايا وحلل المعطيات، وطرح الحلول والمعالجات الناجعة. وفى كل ذلك كان يرمى، كما أوضح، إلى بناء الذاتية السودانية وتأسيس الوحدة على أسس العدل التنموى بإزالة الفوارق. ولما كان التوثيق أحد أهم مرتكزات مشروع الأستاذ محمود، فإنه عكف على كتابة أطروحاته فى معالجة القضايا وظل ينشرها فى الصحف اليومية وفى الكتب منذ عام 1945 وحتى 18 يناير 1985. ففى دستور الحزب الجمهورى الذى ترأسه الأستاذ محمود منذ نشأته، والذى نشر فى يوم 26 أكتوبر من عام 1945، وفى الحديث عن الذاتية السودانية وضرورة العناية بالوحدة القومية، جاء فى دستور الحزب: "نرمى بذلك إلى خلق سودان يؤمن بذاتية متميزة ومصير واحد وذلك بإزالة الفوارق

(1) ياسر عرمان، "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، رصد علاء الدين بشير، اللجنة القومية للاحتفال بالذكرى الثانية والعشرين لاغتيال الأستاذ محمود محمد طه ويوم حقوق الانسان السودانى، بالتعاون مع سكرتارية الشباب والطلاب بالحركة الشعبية قطاع الشمال، اليوم المفتوح بدار الحركة بالقرن، صحيفة الصحافة، 19 يناير 2007، الخرطوم.

الوضعية من اجتماعية وسياسية، وربط أجزاء القطر شماله وجنوبه وشرقه وغربه حتى يصبح كتلة سياسية متحدة الأغراض متحدة المنافع متحدة الإحساس⁽¹⁾. ثم يتحدث الأستاذ محمود عن الفرد وعن أهمية إشراكه فى حكم نفسه، وخدمة نفسه ومجتمعه، وكيف أنه بهذا الصنيع يجد الناس فرص التحرر والترقى. يقول الأستاذ محمود:

إن اهتمامنا بالفرد يجعلنا نتجه، من الوهلة الأولى، إلى إشراكه فى حكم نفسه بكل وسيلة، وإلى تمكينه من أن يخدم نفسه ومجموعته فى جميع المرافق، التشريعية والتنفيذية والقضائية وذلك بتشجيع الحكم الذاتى، والنظام التعاونى ولما كان السودان قطراً شاسعاً وبدائياً فإن إدارته من مركزية واحدة غير ميسورة، هذا بالإضافة إلى ما تفوته المركزية على الأفراد من فرص التحرر والترقى والتقدم، بخدمة أنفسهم ومجموعتهم⁽²⁾.

ظل الأستاذ محمود مشغولاً بأهل الأقاليم وقضاياهم، كان لا يكتفى بتقديم المحاضرات فى العاصمة الخرطوم، وإنما كان على الدوام يذهب إلى مدن وقرى السودان المختلفة متحدثاً عن السودان والإسلام والسلام والإنسان. كما كتب من وقت باكر عن قضايا أهل الأطراف. وظل يراهن على أن السودان هو دخر الإنسانية، يقول الأستاذ محمود: "ويؤمن الحزب الجمهورى إيماناً لا حد له بالسودان ويعتقد أنه سيصبح من الروافد التى تضيف إلى دخر الإنسانية ألواناً شهية من غذاء الروح وغذاء الفكر إذا أمن به ابناؤه فلم يضيعوا خصائصه الأصيلة ومقوماته بالاهطاع نحو الغرب ونحو المدنية الغربية فى غير روية ولا تفكير⁽³⁾.

الأستاذ محمود والدعوة للاتحادات الفدرالية وقراءة فى مؤتمر البجة

أنا من الداعين للاتحادات الفدرالية لجميع مناطق السودان لأن الحكم المركزى لن يستطيع أن يطور هذه المناطق بالسرعة اللازمة ولأن اختلاف هذه المناطق يجعل التشريع المركزى الموحد غير صالح لإدارتها⁽⁴⁾.
محمود محمد طه

(1) الحزب الجمهورى، "مذكرة تفسيرية"، السفر الأول، مصدر سابق، ص 1-2.

(2) محمود محمد طه، أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، مصدر سابق، ص 6.

(3) محمود محمد طه، السفر الأول، مصدر سابق، ص 6.

(4) محمود محمد طه، "نظرات فى السياسة الداخلية والخارجية"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 164، 18 أكتوبر 1958.

وقف الأستاذ محمود باكرأ على قضية أهل شرق السودان. ففى مقال نشره فى يوم 18 أكتوبر 1958، تضمن نظرات فى السياسة الداخلية والخارجية، خصص الأستاذ محمود مساحة للحديث عن مشكلة أهل الشرق تحت عنوان: "مؤتمر البجة"⁽¹⁾. لم يقف الأستاذ محمود عند تسليط الضوء فحسب، وإنما قدم أطروحات للحلول ولفت الانتباه إلى القضية، ودعا إلى الأخذ بنظام الاتحادات الفدرالية لجميع مناطق السودان. كتب الأستاذ محمود قائلاً بأنه: "من الداعين للاتحادات الفدرالية لجميع مناطق السودان لأن الحكم المركزى لن يستطيع أن يطور هذه المناطق بالسرعة اللازمة ولأن اختلاف هذه المناطق يجعل التشريع المركزى الموحد غير صالح لإدارتها". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "إن الحكم الفدرالى لأي منطقة لا يجئ بالتمنى وإنما يجئ بالاستعداد للوفاء بالتزاماته فهو يحتاج الى كفاية إدارية، وكفاية فنية، وكفاية اقتصادية". وتابع قائلاً: "ولست أزعم أن هذه الأمور لا يمكن أن تتوفر فى أى وقت من الأوقات حتى لأشد المناطق تخلفاً ولكنى أزعم انها تأخذ وقتاً وما يجب أن يضى هذا الوقت ونحن نسير على هدى حكم مركزى بدعوى أننا بهذا الحكم المركزى نوجد احتياجات الحكم الفدرالى للولايات السودانية ثم بعد ذلك نعطيها إياه لأن هذا رأى أقل"⁽²⁾. ثم تحدث عن أن الناس لا يمكن أن يتعلموا المسؤولية إلا بمباشرتها، ولا يمكن أن يتعلموا الحرية إلا بممارستها، وأن الحكومة يجب أن تعينهم لا أن تتولى عنهم حل مشاكلهم، يقول الأستاذ محمود: "إن الناس لا يمكن أن يتعلموا المسؤولية إلا بمباشرة المسؤولية ولا يمكن أن يتعلموا الحرية إلا بممارسة الحرية ويجب لذلك أن تضع الحكومة الناس مباشرة أمام مشاكلهم وتحاول أن تعينهم على حلها لا أن تتولاها عنهم"⁽³⁾. ثم أشار الأستاذ محمود إلى ما يجب أن يعطى من مسؤوليات، فكتب قائلاً: "غير أنه يجب ألا تعطيه من هذه المسؤوليات إلا ما هم مليون بالاضطلاع به". وقدم مثلاً لشرح الفكرة فقال: "فمثلاً الحكم الذاتى الداخلى للولايات يمكن أن يتبدى من أول السلم وقد تكون السلطات الممنوحة لأجهزه الولايات فى هذه المرحلة لا تزيد عن السلطات الممنوحة للحكومات المحلية ولكن يكون واضحاً من البداية أن السير سيطرد فى طريق الحكم الذاتى الداخلى لا طريق الحكومات المحلية"⁽⁴⁾. ثم أضاف محيلاً

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

القارئ إلى كتاب أصدره عام 1955، قائلاً: "ولقد فصل الحزب الجمهورى هذه المسألة فى الكتيب الذى أخرجه للناس عن أسس دستور السودان فى أواخر عام 1955".

لقد لفت الأستاذ محمود الانتباه باكراً إلى أن أقاليم السودان المختلفة فى الشرق والغرب والشمال تحمل بعض سمات الاختلاف. فقد دعا لضرورة تصور الأبعاد الحقيقية لمشكلة الجنوب ومواجهتها بشجاعة، فالجنوب الذى يحمل اختلافاً فى اللغة والعقيدة والعنصر والجغرافيا، ليس بدعاً فى هذا الاختلاف، كتب الأستاذ محمود ضمن بيان بعنوان: **مشكلة الجنوب**، قائلاً: "وفى الحق أن الجنوب ليس بدعاً فى هذا الاختلاف وإنما هناك سمات من هذا الاختلاف فى شرق السودان وفى غربيه وفى شماله عن وسطه وكل ما يقال عن الجنوب أن الاختلاف فيه أشد تأكيداً وأبلغ ظهوراً من ما هو فى بقية الأجزاء⁽¹⁾".

جنوب السودان: المشكلة والحل⁽²⁾

إن الاستعلاء بالإيمان عند الأستاذ محمود هو الخلفية الفكرية التى يستند عليها الاستعلاء العرقى والذى ناضل الأستاذ محمود من أجل نشر الوعى المضاد له⁽³⁾.

أسماء محمود محمد طه

لقد أولى الأستاذ محمود قضية الجنوب عناية خاصة. كتب عنها الكتب والمقالات ونشر المناشير والبيانات، منوراً بها ومشخصاً أسبابها ومقدمات المقترحات بشأن حلها، وهى عنده النموذج المصغر لمشاكل الإنسانية المعاصرة. وفى هذا المحور سأقدم إضاءة مختصرة، مع الإشارة لبعض المصادر والمراجع لمن يرغب فى المزيد من التوسع. كتب الأستاذ محمود فى **السفر الأول** الذى صدر فى أكتوبر عام 1945، قائلاً: "والمكان الأول من هذه العناية سينصرف لمواطنينا سكان الجنوب الذين قضت عليهم مدينة القرن العشرين أن يعيشوا حفاة عراة جوعاً

(1) محمود محمد طه، **مشكلة الجنوب**، (بيان)، مصدر سابق.

(2) فى إشارة لكتاب: الإخوان الجمهوريين، **جنوب السودان: المشكلة والحل**، أمدرمان، 1982، ص 48.

(3) أسماء محمود محمد طه، "احتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، رصد علاء الدين بشير، مرجع سابق.

مراضاً بمعزل عنا⁽¹⁾. ولعل القارئ حينما يقرأ أطروحات الأستاذ محمود ورؤيته السياسية عن قضية جنوب السودان أو أطراف البلاد الأخرى، والتي عبر عنها منذ الأربعينيات والخمسينيات، يشعر كأنها قد كتبت صباح اليوم. لقد جاء في كتاب الإخوان الجمهوريين: جنوب السودان: المشكلة والحل⁽²⁾، في محور: "موقف الجمهوريين من مشكلة الجنوب"، قولهم: "هنا سنبين الموقف السياسي والفكري للجمهوريين من مشكلة الجنوب، وبهنا، بصورة خاصة، أن نبرز الحل الحضاري الذي يقدمه الجمهوريون لهذه المشكلة.. هذا الحل الذي هو الحل النهائي لها، وهو، في نفس الوقت، الحل الذي يقدمه الجمهوريون لمشاكل الانسانية المعاصرة، والتي ما مشكلة الجنوب الا صورة مصغرة لها"⁽³⁾. وفي هذا المعنى، يقول الأستاذ محمود:

إن المشاكل الراهنة لأي بلد هي في حقيقتها صورة مصغرة لمشاكل الجنس البشري جميعه، وهي في أسها، مشكلة السلام على هذا الكوكب، وعندنا أنه من قصر النظر أن نحاول حل مشاكل مجتمعنا السوداني داخل حدودنا الجغرافية، من غير أن نعبأ بالمسألة الإنسانية العالمية، ذلك بأن هذا الكوكب الصغير الذي نعيش فيه قد أصبح وحدة ربط تقدم المواصلات الحديثة السريعة بين أطرافه ربطاً يكاد يلغى الزمان والمكان إلغاء تاماً، فالحدث البسيط الذي يجري في أى جزء من اجزائه تتجاوب له في مدى ساعات معدودات جميع الأجزاء الأخرى، يضاف إلى هذا أن هذا الكوكب الصغير الموحد جغرافياً، إن صح هذا التعبير، تعممه إنسانية واحدة، متساوية في أصل الفطرة، وأن تفاوتت في الحظوظ المكتسبة من التحصيل والتمدين. فلا يصح عقلاً أن تنجب قمتها الإنسان الحر، إذا كانت قاعدتها لا تزال تتمرغ في أحوال اللذل والاستعباد، أو قل، على أيسر تقدير، انه لا يمكن أن يفوز جزء منه بمغنم السلام والرخاء إذا كانت بعض أجزائه تتضرع بالحروب، وتتضور بالمجاعات⁽⁴⁾.

لقد تحدث الأستاذ محمود قبل ستة عقود ونصف من الزمان، بلسان المستقبل، وببصيرة العارف، وحكمة الحكيم الذي أوتى الخير الكثير. دعا باكراً إلى الحاجة لتنمية الوعي بالذاتية

(1) محمود محمد طه، السفر الأول، مصدر سابق، ص 9.

(2) الإخوان الجمهوريين، جنوب السودان: المشكلة والحل، أمدردمان، 1982، ص 48.

(3) المصدر السابق، ص 48.

(4) المصدر السابق، ص 48.

السودانية. ونادى بإقامة المشاريع التنموية فى مختلف أجزاء القطر، لإزالة الفوارق بين المجموعات البشرية. وحثَّ على ضرورة العمل منذ ذلك الوقت على ربط أجزاء القطر بسبل النقل والمواصلات حتى تتحقق وحدة المنافع والإحساس. كتب الإخوان الجمهوريون قائلين: "إن حل مشكلة الجنوب فى حل مشكلة الشمال.. فالشمال والجنوب لا تحل مشكلتهما إلا بالمذهبية التى توحد، مشاعر الشعب وتوحد أفكاره.. ولقد اقترحنا الحكم اللامركزى الفدرالى ليس للجنوب فحسب بل لأقاليم السودان الخمسة وجاء هذا فى كتابنا أسس دستور السودان بتاريخ 1955، وقد قابله الناس فى ذلك الوقت بالاستغراب وعدّوه تفتيتاً للقطر وفصلاً للجنوب"⁽¹⁾. وحول هذا المعنى تحدث منصور خالد فى محاضرة له قائلاً:

"فى أخريات الأيام أخذنا نتدفق على الفدرالية وكأننا قد اكتشفنا الوجه الآخر للقمر؛ الدعوة للفيدرالية جاهر بها فى الشمال قبل نصف قرن (ديسمبر 1955) الأستاذ محمود محمد طه فى كتاب عنوانه: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية. ففى شمال السودان، إذن، لم تكن الفيدرالية كسفاً "انقاذياً" ولا ابتداءً جيوتياً. ولا غضاضة فى أن يتعلم الناس من أخطائهم، كلنا يتعلم من أخطائهم ويعترف بها ويدين بالشكر لمن أعانه على تدبر الصواب؛ المتقصّة تكون عندما يدفع الرضا بالنفس بعض الناس لعدم الاعتراف بأخطائهم الماضية بل ولتجاهل من سبقهم إلى الحق، ثم الادعاء بأنهم أهل الكشف المبين"⁽²⁾.

كان الأستاذ محمود صاحب نظر بعيد، وصاحب منظار شامل ومتكامل. يُعبر الأمور والأحداث بمعيار العارف المفكر الكبير، المتأمل للصورة الكلية والمشهد المتكامل، لا بمعيار السياسى، قصير النظر، ناقص النضج، يافع الخبرة والتكوين.

ظل الأستاذ محمود مسكوناً بحب السودان، ومهموماً بمستقبل شعبه وأراضيه، إلى الحد الذى يجعلك تشعر بأنه كان مهموماً بالمستقبل أكثر من الحاضر، ويُعوّل على الأجيال الجديدة واللاحقة، ويُراهن عليها فى إحداث التغيير، وفى القدرة على استيعاب اطروحاته. تلمس ذلك فى كتبه وفى محاضراته. كان موضوع حب السودان ومستقبل مساره، من أهم محاور كتاباته ومحاضراته،

(1) الإخوان الجمهوريون، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، الكتاب الثانى، 1976، أمدرمان، ص 12-15.

(2) منصور خالد، جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى، مرجع سابق، ص 330.

وأحاديثه في مجلسه. وقد صدرت هذا المحور بكلمات كتبها تاج السر حسين بتاريخ 27 يناير 2007 ضمن مقال عنوانه: "محمود محمد طه الذى عرفته..." ثم أشار تاج السر كما ورد أعلاه، بأن أكثر ما علق بذاكرة تاج السر من حديث الأستاذ محمود قوله: "حب السودان من حب الله"!

رؤية الأستاذ محمود للدستور السودانى

إن السودانيين يعيشون فى ظلام منذ الاستقلال وحتى اليوم، إذا كنا نريد النور لما قتلنا الأستاذ محمود محمد طه. إن الأستاذ محمود فكر من داخل الفضاء الإسلامى ولكن رؤاه استوعبت غير المسلمين لأنها غير منحازة للعروبة ولا للدين بشكل متعصب وإنما كانت للمواطن السودانى من حيث أنه سودانى⁽¹⁾.
أتيتم قرنق، يناير 2007

ارتبط وضع الدستور الدائم فى تاريخ السودان بالتغيير السياسى. فكلما بدأ الحديث عن وضع الدستور الدائم، جاء الجدل حول الدستور الإسلامى، فيتبعه تغيير سياسى. حدث ذلك أيام لجنة الدستور القومية عام 1956. فمشروع الدستور الذى أعدته اللجنة لم يعرض على الجمعية التأسيسية حتى وقع الانقلاب العسكرى يوم 17 نوفمبر 1958⁽²⁾. وحدث ذلك فى عام 1969، يقول عبد الماجد أبو حسبو (1919-1985): "عندما وضعت اللجنة مشروع الدستور الدائم كنت وزيراً للعدل وكانت وزارة العدل بحكم وظيفتها مسئولة عن الصياغة وعن مشروعات القوانين... عرض الدستور على الجمعية التأسيسية لدراسته ومناقشته وإقراره وتمت بالفعل القراءة الأولى والثانية وأجيزتا، وقبل القراءة الثالثة والأخيرة وقع انقلاب 25 مايو سنة 1969"⁽³⁾. أيضاً، على إثر قوانين سبتمبر عام 1983، انهارت اتفاقية أديس أبابا الموقعة عام 1972، ومع تداخل عوامل أخرى جلتها يتصل بقوانين سبتمبر حدث التغيير السياسى عام 1985. ثم كان دستور جمهورية السودان الانتقالى لسنة 2005 الذى أجازته المجلس الوطنى فى السادس من يوليو 2005، وارتبط بتوقيع اتفاقية السلام الشامل فى

(1) أتيتم قرنق، مصدر سابق.

(2) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 68-72.

(3) عبد الماجد أبو حسبو، مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، ج 1، دار صنب للنشر والتوزيع، الخرطوم، 1987، ص 267-268.

يناير 2005، وأحدث تغييراً سياسياً تمثل في مشاركة الحركة الشعبية لتحرير السودان فى الحكم وفقاً لنسب متفق عليها، إلى أن اختارت شعوب جنوب السودان الانفصال وأعلن الانفصال رسمياً فى التاسع من يوليو عام 2011. واليوم فى السودان يجرى الحديث والجدل بشأن وضع الدستور الدائم. فهل يا ترى هذه المرة ستكون كسابقاتها، بأن يحدث تغيير قبل اعتماد الدستور الدائم؟ أم أن هناك معطيات ومتغيرات تسير بالأمر فى وجهة تختلف عن وقائع التاريخ فى السودان، والتي تقول بفصاحة وبالوثيقة والسوابق، أن دستوراً دائماً فى السودان يعنى تغييراً سياسياً. وفى تقديرى أن هذا أمر يعود إلى طبيعة بيئات ومجتمعات التنوع والتعدد الثقافى، فوضع الدستور الدائم لشعوب مثل شعوب السودان، ظل التنوع والتعدد الثقافى حقيقة تاريخية وواقعة، لا يمكن أن يمر بسلام إلا إذا أخذ فى الاعتبار طموح وآمال هذه الشعوب على النحو الذى طرحه وأسس له الأستاذ محمود من وقت باكر.

الدستور صياغة لأمل الأمة

إن خطر رجال الدين فى بلدنا يأتى فى الدعوة إلى الدستور الإسلامى ولا بد أنه إذا طبق الدستور الإسلامى كما يريدون فإنهم سيكونون أصحاب السيادة وحماة الدستور، ويومها أي جهل وأي ظلام سيطبق على بلادنا⁽¹⁾.

عبدالرحيم الريح

برغم التنوع الدينى فى السودان. فإن السودان منذ استقلاله لم تغب عن سمائه الدعوات للدستور الإسلامى وتطبيق الشريعة الإسلامية على المستوى الرسمى للدولة، عدا فترة توقيع اتفاقية أديس أبابا (1972-1983)، والتي انهارت بسبب قوانين سبتمبر 1983 (ما سمى بتطبيق الشريعة الإسلامية). ففى فترة الحكم العسكرى الأول (1958-1964) أعلنت سياسة نحو الجنوب تقوم على فرض الإسلام واللغة العربية وإصدار قانون الجمعيات التبشيرية عام 1962 وطرد المبشرين بدعوى تدخلهم فى شؤون السودان الداخلية وفى إذكاء الحرب الأهلية والصراعات الدينية بين المسلمين والمسيحيين⁽²⁾. وفى عام 1965

(1) عبدالرحيم الريح، "حاجة البشرية إلى الرسالة الثانية من الإسلام"، الجمهورية، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 17 ابريل 1969، ص 13.

(2) محمد عمر بشير، مشروع الدولة السودانية الديمقراطية: قضايا وإشكاليات البناء الوطنى، مرجع سابق، ص 26.

طُرِح مشروع للدستور الإسلامى، وتم حل الحزب الشيوعى بقرار من البرلمان بحجة أنه يدعو إلى الإلحاد وأنه مناهض للإسلام. وفى عام 1968 ناقشت الجمعية التأسيسية مسودة الدستور الإسلامى، وقبل إجازته وقع انقلاب مايو عام 1969. وفى عام 1983 صدرت قوانين سبتمبر التى فجّرت الحرب الأهلية مرة أخرى فى جنوب السودان. وخلفت جراحاً وآثاراً يصعب علاجها على المدى القريب.

الشاهد أن الدعوة للدستور الإسلامى كانت موضع تأييد من كل الأحزاب الطائفية وجبهة الميثاق (الإخوان المسلمين). بينما كان الأستاذ محمود على الدوام ضد الدستور الإسلامى الذى طرح، ووسمه بالدستور الإسلامى المزيف، وناهضه بقوة. كانت للأستاذ محمود رؤية خاصة وباكورة لدستور السودان، جاءت فى كتابه: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، الذى نشر عام 1955، وقد وردت الإشارة إليه آنفاً، كما يمكن للقارئ أن يطلع عليه على موقع الفكرة الجمهورية على شبكة الإنترنت⁽¹⁾. يضاف إلى ذلك فإن الأستاذ محمود كتب كثيراً عن الدستور فى مجتمعات التنوع والتعدد الثقافى، وتحدث عن مفهومه والأسس والملامح التى ينبغى أن يكون عليها دستور السودان. ففى محاضرة قدمها عام 1969، وهى مسجلة بصوته، قال الأستاذ محمود⁽²⁾:

الدستور عبارة عن صياغة أمل الأمة... وهو أمل كل الشعب، أقليته وأغلبيته... الكلام عن أن الدستور الإسلامى يعطى الأقليات حرية العبادة، هذا كلام ليس له قيمة بالمرة. لأنك حينما تتكلم عن الدستور أنت تتكلم عن الديمقراطية، والديمقراطية هى فرص التساوى بين المواطنين من حيث هم مواطنون.

وعن رأى السائد بأن الدستور يجب أن يستمد من مذهب الأغلبية أو دين الأغلبية، قال الأستاذ محمود:

هذا خطأ بحقيقة الدستور. الدستور يجب أن يستمد من الفكرة التى توحد الشعب كله. الدستور ليس فيه أغلبية أو أقلية، لكن فى الإدارة والتنفيذ تأتى

(1) موقع الفكرة الجمهورية على شبكة الانترنت: www.alfikra.org

(2) محمود محمد طه، "الدستور الإسلامى المزيف"، (محاضرة)، دار الحزب الجمهورى، أمدرمان، 1969. منشورة بموقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: <http://www.alfikra.org>

الأغلبية والأقلية. فى الوضع الديمقراطى الدستور يجب أن يكون حق كل الناس وأمل كل الناس وتطلع كل الناس... بمعنى أن رئيس الدولة يمكن أن يترشح من أى جهة من الأقلية المسيحية أو الأقلية الوثنية أو أى جهة، حسب الديمقراطية هذا هو الوضع. هؤلاء الأغلبية يستطيعون أن يفوزوا مرشحهم، لكن أولئك لا يمكن أن يحرروا دستورياً من هذا الحق على اعتبار أنهم هم أقلية⁽¹⁾.

وعن أسس دستور السودان الدائم قال الأستاذ محمود: "إن أسس دستور السودان الدائم يجب أن تقوم على الأصول التى يلتقى فيها الناس وهى أصول الإنسانية..."⁽²⁾. الشاهد، أنه على الرغم من المساهمة والإنتاج الفكرى الكبير للأستاذ محمود، وهو إنتاج جديد ونوعى فى السودان، ظل موقف معظم القادة والمثقفين - ولا يزال - مقاطعاً للأستاذ محمود، وظلت المؤسسات الأكاديمية مهمشة لإنتاجه المعرفى، ومهملة لآرائه الفكرية والسياسية. بل لا يجرؤ أحد من المثقفين، حتى يومنا هذا، (ما عدا أصحاب العقل الحر والفكر المستنير، وهم قليل)، على الاستشهاد بأقوال الأستاذ محمود، أو آرائه، وإن نطق الواقع بصحة أقواله، وأفصحت الأحداث عن عبقرية آرائه وسلامتها. لقد ظل الجميع يجردون الأستاذ محمود من حقوقه الفكرية والمعرفية، وهى موثقة ومكتوبة، وباخلين بأن ينسبوا إليه صواب الرأى وحكمته، حتى حين أتضح ذلك بعد نصف قرن من الزمان.

الشاهد أن الدعوة لدستور إسلامى فى بلد يعيش كظة التنوع والتعدد الثقافى، لا سيما التنوع الدينى، ويبحث عن سبل التعايش بين مجموعات وثقافته، هى ليست دعوة قاسية وظالمة فى حق غير المسلمين فحسب؛ وإنما فى حق المسلمين أنفسهم. فالمسلمون أنفسهم جماعات وفرق ولكل منهم رؤيته وفلسفته ومدرسته الخاصة فى فهم الإسلام، وهذا فى حد ذاته يُغنى عن الحديث عن وضع غير المسلمين أمام الدستور الإسلامى. وخلاصة الأمر أنه ليس هناك فرصة فى مجتمعات التنوع الثقافى كحال السودان سوى اعتماد الدولة المدنية على أساس المواطنة، بتساوى جميع المواطنين من حيث هم مواطنون.

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

نحو بناء سلطة للمثقف: مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية 1965

التعليم يجب أن يكون هدفه تحقيق الحياة الكريمة للفرد بتحقيق حريته الفردية، عن طريق مجتمع الديمقراطية والاشتراكية... والتربية... حق لجميع المواطنين، فهي السبيل لتحرير عقولهم وقلوبهم، وفك الحصار المضروب حولهم بسبب الجهل والخرافة والتضليل. ومن جانب آخر فهي السبيل لربطهم ببيئتهم وتدريبهم على العيش فيها وتطويرها وتنميتها⁽¹⁾.

ميرغنى حمزة على (1911-2010)

كان تأسيس "المؤتمر الوطني للدفاع عن الديمقراطية" عام 1965، على إثر الأزمة العنيفة التي تفجرت بحل الحزب الشيوعي السوداني وطرد نوابه من البرلمان، وأثرت تلك الأزمة بشكل سافر على مسار السودان السياسى، وعلى التجربة الديمقراطية فيه. قامت الأزمة بسبب حادثة ندوة معهد المعلمين العالى بأمدردمان، التى نظمتها جبهة الميثاق الإسلامى (الإخوان المسلمون) مساء يوم الاثنين 1965/11/9. ودار نقاش حول موضوع البغاء. فنهض طالب (ورد فى بعض المصادر بأن اسمه شوقى) أعلن أنه ماركسى، وخاض فى حديث الإفك. ففجر حديثه مشاعر غضب وسط جمهور الطلبة، وأصدرت تنظيماتهم بيانات تدين الطالب وتطالب بمعاقبته. كما أصدرت رابطة الطلبة الشيوعيين بياناً وضحت فيه أن الطالب ليس عضواً فى الحزب الشيوعى، بل هو يصدر صحيفة حائطية يهاجم فيها الحزب. أما الإخوان المسلمون فحولوا المعركة نحو الحزب الشيوعى مصرين على أن الطالب عضو فيه، واتهموا الحزب بالكفر والإلحاد⁽²⁾. وتطور الأمر بعد ذلك، وصف محمد سعيد القدال ذلك التطور قائلاً: "ويبدو أن الأحزاب السياسية قررت استغلال الحادثة لتصفية حساباتها مع الحزب الشيوعى. فدفعت بأعداد من مؤيديها لمهاجمة دور الحزب بالأسلحة وبأسلوب همجى أطلق عليه عبدالحق "عنف البادية"⁽³⁾. وما لبث أن

(1) ميرغنى حمزة، "مشكلة التعليم"، الجمهورية، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 1969/4/17، ص 2-3.

(2) محمد سعيد القدال، معالم فى تاريخ الحزب الشيوعى السودانى، دار الفارابى، بيروت، ط 1، دار كوش للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 1999، ص 153.

(3) المرجع السابق، ص 153.

أذيع قرار الجمعية التأسيسية (البرلمان) بحل الحزب الشيوعي السوداني وطرده نوابه من البرلمان، وفور إذاعة الخبر جاء نداء من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم لعقد مؤتمر بدار الاتحاد العام لطلاب جامعة الخرطوم لكافة المنظمات الديمقراطية تحت شعار "الدفاع عن الديمقراطية"، كان الحزب الجمهوري برئاسة الأستاذ محمود من بين الحضور. كتب محمد أبو القاسم حاج حمد، وهو من قادة حزب الشعب الديمقراطي آنئذ، قائلاً:

لم يكن الحزب الشيوعي وحده في المعركة ضد حكومة "محمد أحمد المحجوب" القائمة على تحالف حزبي "الأمة" و"الوطني الاتحادي" والمدعومة بالإخوان المسلمين... كما لم يكن عبد الخالق محجوب وحده بقوة الحزب الشيوعي... استجاب حزب الشعب الديمقراطي على نحو فوري للنداء الذي وجهه اتحاد طلاب جامعة الخرطوم من أجل عقد مؤتمر بدار الاتحاد العام لطلاب جامعة الخرطوم لكافة المنظمات الديمقراطية ينعقد تحت شعار "الدفاع عن الديمقراطية". وهكذا وُلد في شهر نوفمبر 1965 "المؤتمر الوطني للدفاع عن الديمقراطية" والذي ضم (32) تنظيمًا من بينهم حزب الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي السوداني ومنظمات الاشتراكيين العرب والحزب الجمهوري الذي يقوده محمود محمد طه (1).

كان الحزب الجمهوري برئاسة الأستاذ محمود حاضراً في ذلك التجمع، مع التنظيمات الأخرى، مناصراً ومدافعاً عن الحق الديمقراطي للحزب الشيوعي السوداني. كان الأستاذ محمود في موضوع الحرية وفي مناصرة المثقفين في حقوقهم لا يتأخر قط. بل كان يسير في وجهة الحق ولا يعطى بالاً للقطيع. كتب مجذوب محمد مجذوب قائلاً: كنت من الممثلين مع الأستاذ محمود للحزب الجمهوري في مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية أذكر أنه في أحد الاجتماعات قال الأستاذ محمد إبراهيم نقد (1930-2012) سكرتير الحزب الشيوعي عندما طرح الأستاذ محمود مشروعه الرامي إلى سحب البساط من تحت أرجل الطائفة المستغلة للشعب بالإسلام المزيف وذلك بتقديم البديل بالإسلام الواعي وذكر (وكثيراً ما ذكر الماركسيين) بأن من مبادئهم أو تكتيكاتهم "أن تقا تل عدوك بسلاحه" فرد نقد: "إن الواحد منا لا ينكر أثر

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المآزق التاريخي وآفاق المستقبل 1956-1996، مرجع سابق، ص 318-320.

الثقافة الإسلامية في الشعب السوداني وإن أي دستور لا يرى فيه الشعب ذاتيته لن يستجيب له" ...، رد عليه الأستاذ محمود بأن الإسلام في حياة الشعب ليس أثراً وإنما هو كل حياته.. وإنما فقط يحتاج إلى إحياء وتفعيل.. ولن يتأتى ذلك إلا بتبنى الخط الذي يقدمه الجمهوريون⁽¹⁾.
حكى الشاعر محمد المكي إبراهيم مشيراً إلى حديث الأستاذ محمود وموقفه في ندوة شارك فيها الأستاذ محمود مع متحدثين من الأحزاب السياسية. على أثر تداعيات حديث الطالب شوقي الذي تحدث في ندوة معهد المعلمين العالي مساء يوم الاثنين 1965/11/9، وقاد حديث الطالب شوقي إلى تلك الأزمة التي تمثلت في حلّ الحزب الشيوعي، وسابقة طرد نوابه من البرلمان. قال المكي: "كان المتحدث الوحيد الذي وقف في صف شوقي هو الأستاذ محمود.. الأستاذ قال للناس ما معناه "أرفقوا بالرجل فهو ومهما كان فعله، فإنه في النهاية إنسان..". أعجبني موقف الأستاذ في تلك اللحظة أدركت أن هذا هو الإنسان الحقيقي، وتقدمت إليه.. مددت يدي إليه وقلت له "أبايعك يا أستاذ" أحيى رجلاً عظيماً وأرفع يدي محبباً⁽²⁾.

الخلط بين الأحزاب الجمهورية والجرأة في الاستنتاجات العرجاء

ولما وضحت معالم الخلاف واشتد وطيسه بين الاتحاديين والانفصاليين، نشأ الحزب الجمهوري، وهو حزب ينادى باستقلال السودان من مصر وإنجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية⁽³⁾.

أحمد خير المحامي

إن الخلط بين الأحزاب الجمهورية، أمر شائع بين الكتاب السودانيين، قد لا ينشغل الباحث كثيراً بهذا الخلط، ولكن يصبح الخلط أمراً واجب التصحيح، حينما تبني عليه تحليلات ويقود إلى استنتاجات عرجاء، وخلاصات بكماء تقود إلى التضليل والتزوير في الحقائق كما هو الحال عند شوقي بشير عبدالمجيد في رسالته للدكتورة، وورقة محمد وقيع

(1) مجذوب محمد مجذوب، بعض أوراق جمهوري، السودان: بلد وشعب وفكرة، مصدر سابق.

(2) محمد المكي إبراهيم، "كلمة بمناسبة إحياء الذكرى السنوية لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه"، احتفال إحياء الذكرى الثالثة والعشرين لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه، مدينة مونتري، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، بتاريخ يومي 19-20 يناير 2007.

(3) أحمد خير المحامي، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان، مصدر سابق، ص 95، 96.

الله، وقد وردت الإشارة آنفاً لهما. فقد لاحظت أن بعض الباحثين يلقون بالإخفاقات والأخطاء التاريخية، إن كانت هناك ثمة أخطاء وإخفاقات، للأحزاب الجمهورية يلقون بها في ساحة الأستاذ محمود، والحزب الجمهوري، على أنها من إخفاقات الأستاذ محمود وأخطائه، وهو منها براء. والمؤسف أن استنتاجات شوقي عبدالمجيد بما فيها من أخطاء شاعت في معظم الدراسات التي اعتمدت على أطروحته (أطروحة الدكتوراة للطالب شوقي - آنذ)، وهي دراسات كثيرة، لا سيما المقررات الدراسية الجامعية. هذا من حيث الخلط الذي تبني عليها الاستنتاجات والخلاصات. بينما هناك خلط بين الأحزاب الجمهورية لدى بعض المؤرخين والكتاب دون أن تبني عليه نتائج، وإنما خلط عفوى، لا يذهب مذهب شوقي عبدالمجيد، ومن نماذج ذلك الخلط العفوى ما ورد في كتاب المؤرخ محمد إبراهيم أبو سليم (1927-2004): **بحوث في تاريخ السودان: الأراضي - العلماء - الخلافة - بربر - على الميرغنى**، كتب أبو سليم قائلاً: "ولجأ السيد "على" إلى المواجهة البطيئة وتقدم وهو يتحسس طريقه، قدم السيد ميرغنى وخلف الله وجماعة الحزب الجمهوري فأسسوا الحزب الجمهوري، وظل الجمهور ينتظر ليرى هل يقف السيد على مع الجماعة أم لا، وفي وسط هذه الدوامة مات الحزب لفقدان السند الشعبي"⁽¹⁾. من الواضح أن المؤرخ أبو سليم، يقصد حزب الاستقلال الجمهوري. فالحزب الذي حظي بتأييد السيد على الميرغنى، هو حزب الاستقلال الجمهوري. الذي كونه كل من ميرغنى حمزة⁽²⁾ (1895-1973)، وخلف الله خالد، وأحمد حليبي، عام 1955، بعد أن استقالوا من الحزب الوطني الاتحادي بزعامة إسماعيل الأزهرى. وقد تم حل حزب الاستقلال الجمهوري عام 1956. ثم نشأ حزب الشعب الديمقراطي الذي قام على سند طائفة الختمية، برئاسة الشيخ على عبدالرحمن الأمين (1906-1983). ثم اندمج حزب الشعب الديمقراطي مع الحزب الوطني الاتحادي في عام 1965، وتم تكوين الحزب الاتحادي الديمقراطي، برئاسة إسماعيل الأزهرى، وأصبح الشيخ على عبدالرحمن الأمين نائباً للرئيس⁽³⁾. أيضاً، كتب عبدالمحمود نور الدائم الكرنكى في

(1) محمد إبراهيم أبو سليم، **بحوث في تاريخ السودان: الأراضي - العلماء - الخلافة - بربر - على الميرغنى**، دار الجليل، بيروت، عام 1992، ص 188.

(2) هو غير ميرغنى حمزة على (1911-2010) الذي كان من رفقاء الأستاذ محمود، وقد سبقت الإشارة لذلك آنفاً.

(3) محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969)**، مرجع سابق، ص 240.

عموده اليومي بصحيفة ألوان، مقالاً بعنوان: "أنا عيسى بن مريم!" قال فيه: "التقيت الدكتور الراحل أحمد صفى الدين عوض فى مكتبه بكلية الاقتصاد بجامعة الخرطوم، ليحدثنى عن تاريخ الحركة الإسلامية فى السودان... الدكتور أحمد صفى الدين متزوج من بنت السيد مختار محمد طه، الشقيق الأكبر لـ (محمود محمد طه) مؤسس الحزب الجمهورى الاشتراكى. كان من زملائه عند تأسيس الحزب فى الأربعينات الشاعر محمد المهدي المجذوب..."⁽¹⁾ من الواضح أن عبد المحمود نور الدائم الكرئكى يقصد الحزب الجمهورى، وليس الحزب الجمهورى الاشتراكى. فالحزب الجمهورى الاشتراكى نشأ عام 1951، ودعا إلى استقلال السودان، وقيام جمهورية اشتراكية مستقلة⁽²⁾، وكان إبراهيم بدرى (1897-1962) أمينه العام، ومكى عباس (1909-1979)، أحد مفكره ومنظره، إلى جانب آخرين.

الشاهد، أن السودان شهد قيام العديد من الأحزاب الجمهورية، كما تبين الوثائق بدار الوثائق القومية والمصادر التاريخية، فقد أفرد أحمد خير المحامى فى كتابه: كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، عنواناً جانبياً للحديث عن الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود وعن أعضائه⁽³⁾. أما الأحزاب الجمهورية الأخرى فقد وردت الإشارة إليها فى كتاب محمد عمر بشير: الجلاء والاستقلال⁽⁴⁾، وهو يتحدث عن الاجتماعات والمداولات حول الحكومة القومية لتحقيق الاستقلال، فقد أورد مداولات الاجتماع الخامس يوم الاربعاء 14 ديسمبر 1995 بغرفة اللجان بمجلس الشيوخ، وبالطبع لم يكن من بينها الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود، وذلك لسبب بسيط وهو أن الحزب الجمهورى لم يكن له فى أى يوم من الأيام عضو نائب بالبرلمان، ولم يتقدم فى أى يوم من الأيام لخوض الانتخابات فى السودان منذ بداية الخمسينيات وحتى تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. كان الحزب الجمهورى أول الأحزاب التى نادى بالجمهورية، وكانت الأحزاب الجمهورية الأخرى

(1) عبد المحمود نور الدائم الكرئكى، "أنا عيسى بن مريم"، صحيفة ألوان، العدد رقم: 4340، يوم 2010/9/13.

(2) محمد خير البدوى، قطار العمر، فى أدب المؤانسة والمجالسة، دار النهار للإنتاج الإعلامى، الخرطوم، 2008، ص 247-257.

(3) أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، مصدر سابق، ص 88، 96.

(4) محمد عامر بشير (فوراوى)، الجلاء والاستقلال، الدار السودانية للكتب، مصدر سابق، ص 49.

والتي وقفت عليها في المصادر السودانية التي اطلعت عليها هي:

- 1- الحزب الجمهوري، الذي ترأسه الأستاذ محمود ونشأ في 26 أكتوبر 1945.
- 2- الحزب الجمهوري الاشتراكي، الذي نشأ في السادس من ديسمبر 1951.
- 3- حزب الاستقلال الجمهوري، يناير 1955⁽¹⁾.
- 4- حزب الاحرار الجمهوري، الذي نشأ بعد انقسام حزب الاحرار.

الأستاذ محمود في إرثيف السودان القومي - دار الوثائق القومية صحيفة الجمهورية في دار الوثائق القومية

الآن إن زار احدكم مكتب بعثة حكومة الجنوب (جنوب السودان) في العاصمة الأمريكية واشنطن سوف يرى صورة للأستاذ الشهيد محمود محمد طه تزين المكان. وحسنا فعل القائمون على أمر المكتب لشيخ ضحى بجسده حفظاً لدمائنا نحن⁽²⁾.

عبد الفتاح عرمان، عام 2010

لقد وردت الإشارة في الفصل السابق إلى أن النواة الأولى لدار الوثائق القومية تعود إلى عام 1916، حيث خصصت الإدارة البريطانية مكتباً لجمع الأوراق المالية والقضائية ثم تطور الأمر في عام 1948 إلى تأسيس مكتب محفوظات السودان، والذي تولى إدارته فيما بعد البريطاني بيتر مالكوم هولت Peter Malcolm Holt (1918-2006). يقول على صالح كرار، الأمين العام الأسبق لدار الوثائق القومية: "دار الوثائق هي ذاكرة السودان ومستودع تراثه الوثائقي، وتعد من أقدم وأعرق دور الوثائق القومية بالعالمين العربي والإفريقي إذ تحتل من حيث الأقدمية المرتبة الثانية بعد دار الوثائق القومية المصرية، وتعود جذورها التاريخية إلى عام 1916"⁽³⁾. وعن تأسيس مكتب محفوظات السودان يقول على صالح

(1) حزب الاستقلال الجمهوري، دستور ولوائح، الخرطوم، يناير 1955.

(2) عبد الفتاح عرمان، "وحدة السودان.. ونبوءة محمود محمد طه"، من موقع سودانيل، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 16 سبتمبر 2010، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

(3) على صالح كرار، "الخدمة الأرشيفية بين النظام البدوي والآلى في السودان بإشارة خاصة لدار الوثائق القومية"، (المؤتمر العام الأول) المكتبات السودانية وتحديات القرن الحادي والعشرين، قاعة الشهيد، الخرطوم 18-17 أكتوبر 1998.

كرار: "أسندت مهمة إدارته إلى لجنة سميت لجنة محفوظات السودان وقد عنى هذا المكتب بجانب جمع الوثائق الرسمية بكافة أنواعها وموضوعاتها، بجمع الوثائق والمعلومات الخاصة التي كانت بحوزة بعض الأسر والأفراد والبيوتات الدينية بالبلاد⁽¹⁾. تولى هولى إدارة المكتب وساعده فى مهمته محمد إبراهيم أبو سليم (1927-2004) وكان وقتها خريجاً يافعاً من كلية الخرطوم الجامعية ثم آلت إليه حين سودنت الوظائف مهام الإشراف على وثائق السودان⁽²⁾. وبعد الاستقلال تشعبت مهام مكتب المحفوظات، ونمت لتواكب إعادة هيكلة مؤسسات دولة السودان الحر المستقل، وتساير تصاعد الوعى الفكرى حول أهمية الوثيقة، الأمر الذى أدى لبروز شخصية الدار الاعتبارية بصدر قانون دار الوثائق المركزية لسنة 1965، الذى بموجبه عدل اسم مكتب محفوظات السودان إلى دار الوثائق المركزية، وحددت مهام الدار واختصاصاتها، والضوابط التنظيمية التى تحكم حركة الوثائق فيها، وتوضح مصادر اقتنائها، وكيفية الحصول عليها من المؤسسات الحكومية والأكاديمية والأفراد⁽³⁾. وفى عام 1982 عدلت مفردات القانون، وبموجب ذلك التعديل أضحت الدار هيئة ذات شخصية اعتبارية تُعرف بدار الوثائق القومية، وتُدار بمجلس قومى يرأسه الوزير الذى يسميه رئيس الجمهورية (أو رئيس الوزراء)، وجهاز تنفيذى يتصدره الأمين العام ونائبه ومساعدوه فى الإدارات التالية: إدارة الوثائق الحكومية، وإدارة المحفوظات، وإدارة البحوث، وإدارة الشؤون الفنية (الصيانة والترميم)، وإدارة العلاقات العامة والتدريب، وإدارة الشؤون المالية والإدارية⁽⁴⁾. منذ سودنة الوظائف خلف محمد إبراهيم أبو سليم هولى، وظل فى خدمة وثائق السودان جمعاً وحفظاً وبحثاً وتنقيحاً وتحقيقاً وترجمةً ونشراً حتى بلوغه سن التقاعد فى عام 1995⁽⁵⁾. فخلفه على صالح كرار. واليوم يتولى كبشور كوكو قمبيل منصب الأمين العام لدار الوثائق القومية.

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) أحمد أبو شوك، "دار الوثائق القومية السودانية: إرث تليد... ومقر جديد"، السلطة والتراث، ط 1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2007، ص 155.

(4) المرجع السابق، ص 156.

(5) على صالح كرار، مرجع سابق.

حرصت فى كتابى هذا، كما وردت الإشارة فى المقدمة، على الاطلاع على المعلومات والوثائق والوقوف على الأحداث والوقائع فى مظانها وفى مصادرها، وليس هناك مؤسسة أمثل لهذه المهمة من دار الوثائق القومية بالخرطوم. ظللت على مدى سنين فى زيارات مستمرة لدار الوثائق القومية، وفى كل مرة كنت أجد كل ترحيب وعون من العاملين والعاملات فيها بقاعة الباحثين وبمختلف الأقسام والإدارات، كما كان السيد الأمين العام، حينما التقيته مرتين، فى غاية اللطف والعون وكذلك كان العاملون والعاملات فى مكتبه. من واقع بحثى فى دار الوثائق القومية عن الأستاذ محمود لاحظت جملة من الملاحظات الجديرة بالاهتمام والمناقشة. وهى ملاحظات تتصل بمنشورات الأستاذ محمود ومنشورات تلاميذه من كتب وبيانات وصور فوتوغرافية وملف خدمته. بيد أنى سأؤجل الحديث عن كل تلك الملاحظات، حتى يتسنى لى مزيد من الاطلاع والبحث والتنقيب، ما عدا حديثى عن صحيفة الجمهورية. كما وردت الإشارة آنفاً، فقد صدرت صحيفة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهورى، فى أول أعدادها فى يوم الجمعة 15 يناير 1954، وكان الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى، رئيس تحريرها، وكان شعارها هو شعار الحزب الجمهورى القائل: "الحرية لنا ولسوانا"، (أنظر الملاحق رقم: 25-28).

صحيفة "الجمهورية" فى دار الوثائق القومية

إذا كانت ابتسامة الحرية مى الشرط الجوهرى والحاسم للنهوض وإذا كانت ابتسامة المواليزا، عنوان لحساسية جمالية جديدة، عنوان لنهضة أوروبا فإن ابتسامة الشهيد الأستاذ محمود محمد طه ستظل عنواناً لنهضة أهل السودان عنواناً لحرية الفكر والضمير⁽¹⁾.

الحاج وارق

بعد سؤال مستمر عن صحيفة الجمهورية فى قاعة اطلاع الباحثين بدار الوثائق القومية، وفى كل مرة كانت الإجابة بأن الصحيفة غير موجودة. بدأت فى إجراء بعض المقابلات من المختصين

(1) الحاج وراق، "كلمة حركة القوى الجديدة الديمقراطية"، جمعية التنوير الثقافى تحفى بذكرى محمود محمد طه، تحرير بكرى المدنى، (إحياء ذكرى، الرحيل والياد 1-2)، صحيفة الوفاق، الخرطوم، الأحد 2001/1/21.

فى مجال الوثائق والباحثين، خاصة وأنى كنت أعلم بأن بعض الباحثين قد أشاروا إلى الصحيفة فى كتبهم لا سيما قاسم عثمان نور. أكد لى المختصون والباحثون بأنهم اطلعوا على الصحيفة فى دار الوثائق القومية. بعد ذلك قمت فى يوم 2012/8/23 بتوجيه خطاب إلى السيد الأمين العام لدار الوثائق القومية (أنظر ملحق رقم: "55")، قلت فيه مخاطباً السيد الأمين العام⁽¹⁾:

أود إفادتكم بأننى سبق وأن طلبت فى قاعة الباحثين بدار الوثائق الاطلاع على جريدة الجمهورية المشار إلى فترة صدورها أعلاه، وجاءنى الرد شفهاً بأنها غير موجودة. وفيما بعد لاحظت أن هناك إشارة لها فى كتابى البروفيسور قاسم نور، الأول: مصادر الدراسات السودانية، (4 أجزاء)، والكتاب الثانى: معجم المؤلفين السودانيين، (3 أجزاء)، الذى صدر عام 2012، فاتصلت بالبروفيسور قاسم مستفسراً عن المصدر الذى اعتمد عليه فى إشارته لجريدة الجمهورية، فأكد لى بأنه قد اطلع عليها فى دار الوثائق القومية. الأمر الذى جعلنى أرجح أن تكون الجريدة موجودة بدار الوثائق، ولكن وبسبب صغر حجم مجلدتها نسبة لقصر فترة صدورها، قد تكون غابت عن الأعين فى مستودع الدوريات.

جاءنى رد السيد الأمين العام ضمن خطاب موجه إليه من السيد مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإجابة عليه، (أنظر ملحق "56")، قال السيد مدير إدارة الحفظ فى خطابه للسيد الأمين العام⁽²⁾:

أرجو أن أوضح أن الباحث عبد الله الفكى البشير طلب الصحيفة المذكورة ورجعنا للصحف المسجلة لدينا حتى السبعينات ولم نجد لها وجهها لارشف الصحف بمكتبة السودان جامعة الخرطوم. وهو ما نرجح أن البروفيسور قاسم عثمان نور أطلع عليها هناك ومن ثم أخبره بأنه أطلع عليها بدار الوثائق. أما الجمهورية الصادرة فى نهاية التسعينات فهى موجودة لدينا. وعليه نأسف لعدم

(1) عبدالله الفكى البشير، "خطاب إلى السيد الأمين العام لدار الوثائق القومية"، الخرطوم، بتاريخ 2012/8/23.

(2) البشير التجانى عثمان (مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإجابة)، "خطاب إلى السيد الأمين العام لدار الوثائق القومية"، بتاريخ 2012/8/26، يتضمن الخطاب تعليق الأمين العام بخط يده رداً على المؤلف، بتاريخ 2012/8/28، الخرطوم.

تمكننا من تلبية طلب الباحث هذا ما لزم توضيحه.

ثم علّق السيد الأمين العام بخط اليد على خطاب مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإجابة عليه، قائلاً:

الأخ الباحث عبدالله الفكي البشير

1- هذا ما انتهت إليه جهودنا في البحث.

2- سواصل البحث في مقتنياتنا على الأعداد المفقودة من الجمهورية.

لم أجد نفسي مقتنعاً بما جاء في الرد على خطابي. فالقول بأن: "ورجعنا للصحف المسجلة لدينا حتى السبعينات ولم نجدها". ففي تقديري، أن أى صحيفة صدرت في تلك الفترة، فترة الخمسينيات، حيث صدرت **صحيفة الجمهورية** في عام 1954، أرجح وبقوة أن تكون من ضمن موجودات دار الوثائق، وأرجح وبقوة أنها من ضمن الصحف المسجلة بدار الوثائق القومية. أذكر في يوم من الأيام كنت بقاعة الباحثين وسألت عن تواريخ نشرها، وجاءني أحد العاملين بتواريخ نشرها كما جاءت في كتب قاسم عثمان نور، الذي سترد الإشارة إليه. أيضاً في تلك الفترة، فترة الخمسينيات كانت الخدمة المدنية متميزة وكانت دار الوثائق، مكتب محفوظات السودان، في فترة الشباب ولم تكن الوثائق بكثافة اليوم، ولم تكن الصحف كذلك بالكثرة مثل ما هي عليه في الستينيات وما بعدها. الشاهد أنني لم أفق عند هذا الحد، بل بحثت عن الصحف التي صدرت في نفس تلك الفترة وكانت فترة صدورها قصيرة، وبالتالي كانت أعدادها قليلة وبعضها أقل من أعداد **صحيفة الجمهورية**. فوجدتها كلها موجودة ومنها: **صحيفة الاستقلال**، لسان حال حزب الاستقلال الجمهوري، وقد صدرت لشهور قليلة في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، وغيرها.

أما قول السيد مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإجابة: "وجهناه لأرشيف الصحف بمكتبة السودان جامعة الخرطوم وهو ما نرجح أن قاسم عثمان نور أطلع عليها هناك ومن ثم أخبره بأنه أطلع عليها بدار الوثائق"، صحيح وجهني السيد البشير مدير إدارة الحفظ لأرشيف الصحف بمكتبة السودان، وذهبت إلى هناك ولم أجد للصحيفة أثراً، بل أفادني أهل مكتبة السودان بأن أذهب لدار الوثائق. أما الترجيح بأن قاسم عثمان نور قد اطلع على الصحيفة

بمكتبة السودان، فهو ترجيح غير مقنع. فقاوم قال لى بوضوح أنه أطلع على الصحيفة بدار الوثائق، وهو رجل مرجع فى مجال الوثائق، وكان يعمل بمكتبة جامعة الخرطوم ومكتبة السودان، خاصة حينما أعد كتابه الذى وردت الإشارة فيه لصحيفة الجمهورية: مصادر الدراسات السودانية، أربعة أجزاء. لا أعتقد أن هناك مجالاً للترجيح. أيضاً، ففى أحد الأيام، كما أشرت، بأننى سألت عن الصحيفة بدار الوثائق جاعنى أحد العاملين وُأفادنى بأنها غير موجودة، وجاءنى بتواريخ صدورها وكانت هى نفس التواريخ التى جاءت لدى قاسم بأنها صدرت عام 1954، وتوقفت عن الصدور ثم عاودته فى عام 1969، وقد جاء ذلك فى كتابه الموسوم بـ: مصادر الدراسات السودانية، (4 أجزاء)، وفى كتابه: دليل الدوريات السودانية: الصحف (1903-1989) - المجلات (1931-1998)⁽¹⁾، وغيرهما. كانت الجمهورية فى المرة الثانية عام 1969، مجلة، ولم تكن صحيفة. كانت مجلة داخلية شهرية للحزب الجمهورى، وقد صدر العدد الأول منها فى يوم الخميس 17 أبريل 1969. وقد جاء فى صدر العدد الأول أن: الجمهورية، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، تصدر شهرية، شعارها: "الحرية لنا ولسوانا"، رئيس التحرير سعيد الطيب شايب⁽²⁾.

الشاهد أننى كنت فى خطابى الذى وجهته للأمين العام قد رجحت بأن تكون صحيفة الجمهورية موجودة بدار الوثائق، ولكن وبسبب صغر حجم مجلداتها نسبة لقصر فترة صدورها، قد تكون غابت عن الأعين فى مستودع الدوريات، وأضيف الآن أيضاً أن عملية انتقال الدار من مبنى إلى مبنى ربما تبعتها بعض أعمال الضياع أو التلف غير المقصود. ولكن ما جاء فى الرد على خطابى بأن الصحيفة لم تكن ضمن الصحف المسجلة أصلاً بدار الوثائق حتى السبعينيات حيث جاء النص: "ورجعنا للصحف المسجلة لدينا حتى السبعينات ولم نجدها"، هذا القول مقروناً بالمقابلات التى أجريتها، والإفادات التى بلغتنى بأن جميع صحف تلك الفترة كانت مكتملة فى دار الوثائق، إلى جانب الإشارات التى وردت عن الصحيفة فى كتب قاسم وإفادته بأنه أطلع عليها فى دار الوثائق، والتواريخ التى

(1) قاسم عثمان نور، دليل الدوريات السودانية: الصحف (1903-1998) - للمجلات (1931-1998)، مرجع سابق، ص 21.

(2) عوض الكريم موسى، "الافتتاحية"، الجمهورية، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 1969/4/17، ص 1.

مدنا بها أحد العاملين في دار الوثائق، كل ذلك يجعلني أرفع الصوت بالنداء من أجل دار الوثائق القومية، فدار الوثائق هي ذاكرة السودان ومستودع تراثه الوثائقي، ولهذا فإن أهمية هذه المحاجة، تكمن في أنها ترى ضرورة فتح الباب للحديث والحوار بشأن حركة الوثيقة وتداولها في السودان، وتفتح الحوار بشأن القوانين التي تحكم الوثيقة وحفظها، خاصة وأن دار الوثائق، إدارة المحفوظات، هي الجهة المعنية بحفظ الوثائق المودعة بالدار بكل أشكالها وفقاً للمواصفات العلمية. فإلى أى مدى ظلت دار الوثائق القومية، وهي ذاكرة السودان ومستودع تراثه الوثائقي، في أمن وأمان وحفظ وفقاً للقانون والأهداف والاختصاصات والسلطات التي وردت في قانون دار الوثائق القومية لسنة 1982⁽¹⁾؟ وفقاً للسياسات التي يضعها مجلس إدارة الدار الذي نص عليه قانون دار الوثائق القومية لسنة 1982، قائلاً: "ينشأ مجلس لإدارة الدار بقرار من مجلس الوزراء بناءً على توصية الوزير من رئيس وعشرة أعضاء من ذوى الخبرة والمؤهلات المناسبة"⁽²⁾. وهو مجلس يختص بوضع السياسة القومية للوثائق والإشراف العام على الدار ومراجعة تقارير أداء وعمل الدار وإصدار القرارات اللازمة لتنظيم جميع شؤون الهيئة، وغيرها من الاختصاصات.

مدخل أولى لرؤية الأستاذ محمود في ممارسة السياسة والصحافة

وأنا واثق كل الثقة إنو الديماجوجيين البهرجوا [الذين يهرجون] البكذبوا [الذين يكذبون] وبغشوا [الذين يغشون] الناس باسم السياسة سيتهى عهدهم، وسيشرق على البلاد عهد المعرفة والنور والوعى⁽³⁾.

محمود محمد طه

أراد الأستاذ محمود من خلال الحزب الجمهورى وعبر إصداره صحيفة الجمهورية

(1) "قانون دار الوثائق لسنة 1982"، من موقع المجلس الوطنى، جمهورية السودان، استرجاع (Retrieved)،

http://www.parliament.gov.sd/، الموقع على الإنترنت: 2013/2/2

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "مشكلة الشرق الأوسط"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، نادى السكة الحديد بالأيض، 22 مايو 1969.

أن يخلق تقليداً جديداً في السياسة وفي الصحافة. يقول الأستاذ محمود: "و(الجمهورية) تطمح في أن تخلق تقليداً في الصحافة في معنى ما يخلق الجمهوريون من تقليد جديد في السياسة"⁽¹⁾. فالسياسة عند الأستاذ محمود علم، يجب أن يكون واضح المعالم حتى لا يدخله الذين لا يحسنونه. والصحافة عنده يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالي على الجهل. فعن السياسة وممارستها يقول الأستاذ محمود: "السياسة لسوء حظها بتورطوا فيها الناس الأقل خبرة من كثير من الناس البنصر فوا عنها.. الساسة المحترفين أقرب إلى الجهل منهم إلى العلم.. والسياسة أخذت في أذهاننا أنها صورة من الشطارة والكذب واللف والدوران والخذاع والمقالب"⁽²⁾. ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "السياسة أشرف من هذا. السياسة في الحقيقة علم، يكفي أن تعلم إنو كلو ما يؤثر عليك في بيتك من معيشتك من حريتك من تربيتك من أخلاقك كلو يتأثر بالسياسة.. فالسياسة أمر هام ويجب أن يولى من الاهتمام ما يستحقوا وأنا أحب أن نتجه إلى أنو السياسة علم وأنو هذا العلم يجب أن يكون واضح المعالم حتى لا يستطيع أن يدخل فيه الذين لا يحسنونه"⁽³⁾. وعن الحزب الجمهوري وفهم الجمهوريين للسياسة يقول الأستاذ محمود: "والجمهوريون حزب سياسى ولكنهم لا يفهمون السياسة على أنها اللف والدوران.. وإنما يفهمونها على أنها تدبير أمر الناس بالحق وبميزان"⁽⁴⁾. وعن علاقة السياسة بالفكر، ومشكلة السياسة، يقول الأستاذ محمود: "السياسة هى مشكلتنا نحن الداخلية ومشكلة الشرق الأوسط اللهى مشكلتنا الخارجية بتمارس بنوع من عدم الفكر"⁽⁵⁾.

إن ممارسة السياسة بلا فكر لا يقابلها عند الأستاذ محمود ممارسة السياسة بالعاطفة، فالعواطف أمر آخر عنده، يقول الأستاذ محمود: "نحن أحياناً بنقول العواطف.. وأنا أعتقد أنو العواطف مظلومة في أن ننسب ليها هذا النوع من التخبط الذى يمارسه السياسيون.. السياسة عندنا نحن الشرقيين بصورة خاصة بتمارس بنوع من التمنى..

(1) محمود محمد طه، "افتتاحية العدد الأول من صحيفة الجمهورية"، صحيفة الجمهورية، الجمعة 15 يناير 1954.

(2) محمود محمد طه، "مشكلة الشرق الأوسط"، (محاضرة)، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

(4) محمود محمد طه، "افتتاحية العدد الأول من صحيفة الجمهورية"، مصدر سابق.

(5) محمود محمد طه، "مشكلة الشرق الأوسط"، (محاضرة)، مصدر سابق.

التفكير المعوج بالتمنى⁽¹⁾. ثم تحدث الأستاذ محمود عن السمات الطفولية للتفكير المعوج بالتمنى يقول الأستاذ محمود: "والتفكير المعوج بالتمنى من سمات الطفولة.. الأطفال يتمنون ولا يفكرون.. والعاطفة أشرف من أن ينسب ليها هذا العمل.. لأن العاطفة في الحقيقة هي وقود الفكر، العاطفة تتسامى بالفكر، والفكر يطهرها وينقيها ويجعلها إنسانية"⁽²⁾. ثم يصحح الأستاذ محمود مفرقاً بين العاطفة والتمنى والأحلام من جهة، وبين التمنى والأحلام والتفكير والدراسة من الجهة الأخرى، يقول الأستاذ محمود: "فنحن كثيراً ما نقول ده كلام عاطفى وده حل عاطفى فى مسألة الشرق الأوسط بصورة خاصة.. وأنا أحب أن نصحح وضعنا دا هى أنو المسائل أقرب إلى التمنى وإلى الأحلام منها إلى التفكير والدراسة"⁽³⁾.

أما بشأن الصحافة، فقد كتب الأستاذ محمود، وكما ورد آنفاً، فى افتتاحية صحيفة الجمهورية قائلاً: "فهذه صحيفة الجمهوريين يقدمها لك فتية آمنوا بربهم، فهيمن عليهم الإيمان على صريح القصد، فهم يقولون ما يريدون بأوجز أداء، ويعنون ما يقولون من الألف إلى الياء"⁽⁴⁾. وعن رأى صحيفة الجمهورية فى الصحافة يقول الأستاذ محمود: "وللجمهورية فى الصحافة رأى، وهو أنها يجب أن تعين على العلم، لا أن تمالى على الجهل.. يجب أن تسير أمام الشعب لا أن تسير فى زمرته تتسقط رضاه، وتجارى هواه، وتقدم له من ألوان القول ما يلذه ولا يؤذيه"⁽⁵⁾. الشاهد أن الأستاذ محمود بعد أن توقفت صحيفة الجمهورية، ظل يكتب وينشر المقالات الصحفية والبيانات بشكل مستمر، مبيناً رؤيته لما ينبغى أن تكون عليه الصحافة ولما ينبغى أن يكون عليه دور الصحفيين فى تقديم الخدمة الصحفية، وكان يحث الصحفيين ويدعوهم لدراسة الحركة الوطنية وتقويم مسارها، بما يسهم فى رفع الوعي والتنوير. وعلى هدى تلك الرؤية وفى سبيلها ظل يقدم النقد للصحافة والصحفيين. كتب الأستاذ محمود فى

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) محمود محمد طه، "افتتاحية العدد الأول من صحيفة الجمهورية"، مصدر سابق..

(5) المصدر السابق.

نوفمبر عام 1958 عن الصحف، قائلاً: "وكانت الصحف تنصرف عن الدعوة الرصينة للدراسة التي نطالب بها نحن لتسير في ركاب الحركة الوطنية غير الواعية التي يتصدرها سياسيو اليوم"⁽¹⁾.

تحدث الأستاذ محمود عن تخطيط الصحف ودورها في تلبس أصل قضية الشعب، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "والحق إن صحفنا [...] تتخط بغير وعى وتلبس على الشعب أصل قضيته وتغريه بالجري وراء السراب وتخيله له ماء فراتا غمرأ دانياً"⁽²⁾. ووصف الأستاذ محمود بعض محرري الصحف قائلاً: "إن بعض محرري الصحف السودانية فقراء الجيوب والنفوس"⁽³⁾. وفي مقال بعنوان: "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"⁽⁴⁾، نشر في يوم السبت 1958/9/6، (أنظر ملحق رقم "36"). في هذا المقال ناقش الأستاذ محمود ما فعله الصحفيون بحريتهم. يقول الأستاذ محمود: "ولكن ليس من العدل أن نتساءل ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟ فإن صحفيينا أحرار في أن ينقدوا من شاءوا، من حكام ومواطنين وأن يشتموا من شاءوا أيضاً.. والأول حق كفلته الديمقراطية لجميع الصحفيين والثاني (حق) استباحه لأنفسهم بعض الصحفيين وهو يجيء من قبيل إساءة ممارسة الحق الأول"⁽⁵⁾. ثم يضيف الأستاذ محمود قائلاً: "وليس غريباً أن تكون ممارسة الحرية مصحوبة بإساءة استعمالها.. ولكن ما ينبغي أن نخدع عن حقيقة واضحة وهي أن إساءة استعمال الحرية يتم عن قلة النضوج والمراهقة الفكرية"⁽⁶⁾. ثم يتناول قبول الرشوة؛ كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وبعض صحفنا تملك حرية أن ترتشى أو قل إن كنت منْ يؤثرون (التلطف) إنهم يملكون حرية أن يقبلوا الهدية من بعض الدول الخارجية في شكل (معونات) مالية تساعد على أداء (رسالتهم) وهذه أيضاً (حرية) لا تكفلها الديمقراطية وإنما جاءت من قبيل إساءة ممارسة الحق الديمقراطي في الحرية"⁽⁷⁾. ثم تحدث الأستاذ

(1) محمود محمد طه، بيانات.... الحزب الجمهوري على الموقف الداخلي، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) يحيى محمد عبد القادر، على هامش الأحداث في السودان، مصدر سابق، ص 261.

(4) محمود محمد طه، "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، صحيفة أنباء السودان، العدد 157، السبت 1958/9/6.

(5) المصدر السابق.

(6) المصدر السابق.

(7) المصدر السابق.

محمود عن حرية التفكير قائلاً: "فالناس أحرار ليفكروا كما يشاءون وأن يقولوا كما يفكرون وأن يعملوا كما يقولون على شريطة أن يقولوا صواباً وألا يعملوا عملاً يخل بحريات الآخرين" (1). ثم ختم الأستاذ محمود متسائلاً: "فكم من صحفنا تقول الصواب؟ أم كم من صحفنا تعرف الصواب؟ حقاً ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟" (2).

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

الفصل السابع

7

.....
طرح مشروع الفهم الجديد للإسلام-
الفكرة الإسلامية الجديدة
.....

فالشريعة الجماعية ليست أصلاً، وإنما الأصل الشريعة الفردية، ذلك، ويتفسر القدر الذى به الجماعة ليست أصلاً، وإنما الأصل الفرد.. ولكن الناس لكثرة ما ألفوا المعيشة فى الجماعة، ولشدة أثر غريزة القطيع عليهم، ظنوا الأمر يعكس ذلك. فأنت تراهم يستغربون، ويستوحشون عندما تكلمهم عن الشرائع الفردية. ولأمر آخر أيضاً، فإن الشريعة الفردية مرتبة رجولة، ومرتبة مسئولية. والناس لا يزالون أطفالاً، يحبون أن يحمل غيرهم عنهم مسئوليتهم، ويطلب لهم أن يظفروا غير مسئولين.. أو هم إن احتملوا المسئولية فإنما يحتملونها فى القطيع، وعلى الطريق المطروق. أما أن يكون المسئول وتراً، وأن يطرق طريقاً بكرة، فإنه أمر مخيف، ولا يجد فى النفوس استعداداً، ولا ميلاً⁽¹⁾.

محمود محمد طه

إن المشكلة التى أعجزت الفلاسفات الاجتماعية، فى الماضى، والحاضر، إنما هى مشكلة علاقة الفرد بالمجتمع، وعلاقة الفرد بالكون، وذلك بأن الفرد إذا لم يتحرر من الخوف الذى رسبه فى صدره الجهل بهاتين العلاقتين، فلن يكون فى سلام، لا مع نفسه، ولا مع الآخرين..⁽²⁾

محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، الرسالة الثانية من الإسلام، ط3، أمدرمان، 1969، ص 200-201.

(2) محمود محمد طه، "إلى أبنائى المجوبين سعيد، وجلال، وإخوانهما فى القسمين.."، (رسالة)، 8 ديسمبر 1984، من سجن كوبر، الخرطوم بحرى، الخرطوم.

فى أول مؤتمر جامع للجمهوريين عام 1958، قدم الأستاذ محمود دراسة، تعد نواة الرسالة الثانية من الإسلام، وقال لنا: حينما كنت أكتب فى هذه الدراسة كنت أشعر كأنى أسير فى وادى مقدس (1).

الريح أبو إدريس

مثل العام 1951 من القرن الماضى، تحولاً كبيراً، ليس لأنه كان نقطة فارقة فى مسار الحزب الجمهورى وطبيعة نشاطه فحسب؛ وإنما كان تحولاً كبيراً على مستوى السودان والإنسان والإسلام والإنسانية، فبعض ملامح هذا التحول قد ظهرت وتجلت بشكل جزئى فى سماء السودان وفى التطور الفكرى والسياسى، وبعضها الآخر سيظهر بعد فك الحصار وهدم الجدار العازل بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام ومن ثم فتح الحوار الواسع والمتعمق عن الأستاذ محمود وعن مشروعه، ويقينى بأن هذا سيحدث وقريباً جداً. ففى عام 1951 خرج الأستاذ محمود من اعتكافه بمدينة رفاعه، والذى دام ثلاثة أعوام، وأعلن عن مشروعه: الدعوة للفكرة الإسلامية الجديدة - الفهم الجديد للإسلام. كما شهد العام 1951 بداية مرحلة التلمذ على يدى الأستاذ محمود، وشهد كذلك تخلق بعض رفاق الأستاذ محمود عن عضويتهم فى الحزب الجمهورى حينما بدأ مسار جديد للحزب قوامه ملء فراغ الفكر. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن بلورة الفكر الجمهورى: "بقى هو الحقيقة دى فيها تحول كبير جداً كان.. الحزب الجمهورى لمن كان متحمس فى مواجهة الاستعمار، لعله يقول الواحد أنه متطرف فى مواجهة الاستعمار.. كسب أرضية كبيرة جداً وكانت فى عضوية من ناس كبار فى السلك الوظيفى... فى المرحلة السياسية - نحن بنسميها المرحلة السياسية -

(1) مقابلة مع الريح أبو إدريس، الخرطوم، ٦7 يوليو 2011، الساعة 16:00.

لأنه لمن كان ملء فراغ الحماس كان عمل سياسي⁽¹⁾. ثم تحدث الأستاذ محمود عن تخلي بعض الأعضاء عن الحزب الجمهوري بعد ما انبعث في مستوى الفكرة الدينية قائلاً: "بعدين لمن انبعث تاني، انبعث في مستوى الفكرة الدينية، اتخلوا عنه كثير من أعضائه اللي كانوا بيبتكروا أنه نحن حقوا نكون حزب سياسي، وكحزب سياسي محترمين ومشهورين بنضافة شديدة جداً ويمكن إذا أن نجتمع عضوية حولنا وأن نصل لمناصب في الحكم"⁽²⁾. لقد أدى طرح المشروع بمرتكزاته الجديدة إلى إحداث تحول كبير وخلق واقع جديد.

طرح المشروع وإعلان المسار الجديد للحزب الجمهوري

برغم قناعتى الشخصية بأن ما جاء به محمود محمد طه مؤسس الفكر الجمهوري السوداني بأنه لا يمت للإسلام المعروف لدى المشايخ أو فى الكتب والتراث بصلة، إلا أننى ما زلت اعتقد بأن هذا الرجل هو أعظم مفكر بحق ظهر على أرض السودان على الإطلاق حتى اليوم⁽³⁾.

شجن شداد

كان الحزب الجمهوري قد توقف نشاطه، كما ورد آنفاً، منذ سجن الأستاذ محمود عام 1946، واعتكافه عام 1948. خرج الأستاذ محمود من اعتكافه، ودعا أعضاء الحزب الجمهوري إلى اجتماع عام عقد في يوم 30 أكتوبر 1951، وألقى عليهم بياناً⁽⁴⁾. كان البيان إيذاناً بأمرين: الأول: أن عهداً جديداً فى مسار الحزب الجمهوري قد بدأ. والثاني: أن مشروعاً كبيراً وخطيراً قد انبثق. قال الأستاذ محمود لأعضاء الحزب فى بيانه: "الحزب الجمهوري ليس حزباً يقوم على التهريج، كما هى العادة المألوفة لدى الأحزاب التى نراها، ونسمع عنها، وإنما هو دعوة إلى فكرة، أولاً، وقبل كل شيء...". ثم تحدث عن الديمقراطية الشعبية، وقدم تعريفاً لها، وقال إنها: "تلخص فى نظام يكفل العدالة الاجتماعية، والحرية الفردية، فى ميزان لا يجور -نظام يعمل الشعب فيه بنفسه

(1) محمود محمد طه، لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) شجن شداد، "العلمانية، الدين السياسى ونقد الفكر الدينى"، الحوار المتمدن، العدد: 3822، بتاريخ 2012/8/17،

استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2012/8/23، الموقع على الإنترنت: <http://www.ahewar.org>

(4) يمكن الاطلاع على البيان الذى ألقاه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري فى الاجتماع العام للحزب فى الخرطوم يوم 1951/10/30، يمكن الاطلاع عليه فى موقع الفكرة الجمهورية على الانترنت: www.alfikra.org

لنفسه، على هدى المعرفة- فى هذا النظام المنشود تكون الحكومة خادمة الشعب، لا سيدهته.. فى هذا النظام تفهم الحكومة نفسها، ويفهمها كل فرد، كما فهمها أبو العلاء المعرى حين يقول:

ملّ المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستباحوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

"فالحاكم أجير لى، ولك وهو، أصلح ما يكون، خادماً لى، ولك، وليس سيداً، متسلطاً على الرقاب..." ويبيّن أن الديمقراطية الشعبية لم تتحقق حتى اليوم، ولا نجاة للإنسانية إلا بتحقيقها وقال: "... وأن أياً من الديمقراطيتين -الرأسمالية والشيوعية- لا يمكن أن تحقّقها، البتة.. وأنه لا بد -لتحقيق الديمقراطية الشعبية من الإسلام- لأنه الفلسفة الاجتماعية الوحيدة، فى هذا العالم، التى حاولت، وأفلحت، فى الجمع بين الروح والمادة، على هدى، وبصيرة، والجمع المستبصر، بين الروح والمادة، هو وحده الذى يمكن أن يحقق الحرية الفردية، والعدالة الاجتماعية، فى نظام متكافئ للجميع..."

أعلن الأستاذ محمود فى ذلك الاجتماع عن المسار الجديد، وهو الدعوة إلى المذهبية الإسلامية الجديدة، التى تقوم على بعث الدين، والحرية الفردية المطلقة، والعدالة الاجتماعية الشاملة، ليتجه الحزب الجمهورى من ملء فراغ الحماس فى مواجهة المستعمر، إلى ملء فراغ الفكر. وجاء طرح الفكرة، المذهبية الإسلامية الجديدة، بمنهاج وبلائحة داخلية جديدة، يقول الأستاذ محمود: "فى المستوى دا الفكرة عندها منهاجها، ما يمكن بعض الإخوان أن يسموه، اللائحة الداخلية كانوا بسموه، اللى هو طريق محمد - التزام طريق محمد.. نحن عايزين نبعث الدين، لازم نطبقه فى أنفسنا.. نبعثه فى أنفسنا قبل ما ندعو الآخرين لبعثه"⁽¹⁾. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن تطبيق البعث على أنفسهم: "الموضوع دا شق على الإخوان الكانوا قدام فى الأمر دا وكان عندهم مواقف سياسية ومطامع فى مناصب سياسية.. فالحزب زى اتشل وفقد كثير من سمعته الحسنة ديك، واتهم بأنه دخل فى مرحلة صوفية غامضة فأصبح ما مفهوم"⁽²⁾. كان هذا إيذاناً بطرح مشروع كبير وخطير، تبع ذلك دخول الكثير من

(1) محمود محمد طه، لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

الشبان الجدد، وخروج بعض رفقاء الأستاذ محمود من عضوية الحزب الجمهورى. تبع ذلك التطبيق للمنهج التربوى الذى أصبح معه الجمهوريون كأنهم مجتمع قائم ذاته، يقول الأستاذ محمود: "جات الممارسة الثانية اللى فيها التزام شديد وتطبيق، ودا فعلا فيها مرحلة تربية جعلت الجمهوريين كأنهم مجتمع داخل المجتمع السودانى⁽¹⁾."

خطورة المشروع والاستعداد للنتائج (كتابة الوصية)

الفكرة الجمهورية هى خلاصة الأديان السماوية كلها.. لأنها تدعو إلى قمة القرآن وقمة الإسلام.. فهى تدعو إلى الآيات المكية التى هى الأصول فى القرآن، وهذه الدعوة هى رسالة النبى صلى الله عليه وسلم الثانية التى عاشها فى خاصة نفسه، هى ستة بينما كانت رسالته الأولى من فروع القرآن، الآيات المدنية للمؤمنين⁽²⁾.
جلال الدين الهادى الطيب إدريس

إن أنصع الأدلة على أن مشروعاً كبيراً قد انبثق، وأن أمراً خطيراً قد لاح فى الأفق، هو ما أبداه الأستاذ محمود من استعداد لتحمل النتائج المتوقعة من طرح هذا المشروع. ولعل أوضح برهان على هذا الاستعداد، هو كتابته لوصيته قبل خروجه من الاعتكاف. كتب الأستاذ محمود وصيته فى يوم السبت 13 شعبان 1370 موافق 19 مايو 1951. وضمنها ثمانية عناصر مرقمة من 1 إلى 8. استهل الأستاذ محمود وصيته قائلاً: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذه وصيتى، ووكيلى على تنفيذها زوجتى بعد الله". ثم عدد سبعة من عناصر الوصية، ثم قال فى العنصر الثامن والأخير من وصيته: "لا يُفرش على ولا يتصدق، ولا أكفن فى جديد، ولا يناح على، ولا تجعل على قبرى أى علامة، ويياشر غسلى زوجتى". (أنظر ملحق رقم: "23"). تُعبر الوصية⁽³⁾ عن حالة الاستعداد المبكر لصاحبها وتحسبه

(1) المصدر السابق.

(2) جلال الدين الهادى (تقديم)، جلسة على حلقة إنشاد عرفانى، إنشاد بصوت عبدالله فضل الله، منزل الأستاذ محمود محمد طه، مدينة المهديّة، أمدرمان، الاثنين 30 رجب 1399 الموافق 25 يونيو 1979، الساعة 6:30 صباحاً.

(3) أول من لفت نظرى لهذه الوصية هو عبدالله عثمان، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود. زودنى عبدالله بنسخة من الوصية ثم سعت للحصول على النسخة الأصلية، فوجدتها لدى الأستاذة أسماء ابنة الأستاذ محمود. وقد احتفظت بالنسخة الأصلية بخط كاتبها، الأستاذ محمود، ضمن ما سلم من الانتاج المعرفى والفكرى =

للتائج المتوقعة⁽¹⁾. لقد كان المشروع جديداً وغريباً - ولا يزال -، يحتاج النظر فيه، دعك من الاقتناع به، إلى نشاط العقول وحيويتها، في وقت ساد فيه - ولا يزال - كسل العقول، والاستكانة للساند والمألوف، والشعور بالطمأنينة مع القديم. وكما قال طه حسين (1889-1973)، كما ورد آنفاً: "... الكسل العقلي يحبب إلى الناس أن يأخذوا بالقديم تجنباً للبحث عن الجديد..."⁽²⁾. إن وصية الأستاذ محمود تحمل دلالات كثيرة وعظيمة. تجدر الإشارة إلى أن الأهمية التاريخية لهذه الوصية، وعظمة دلالاتها ومضامينها، دفعتني إلى أن أعكف على دراستها وتحليلها، وقد فرغت في عام 2011 من كتابة المسودة الأولى، بيد أنني أجلت نشر الدراسة لما بعد نشر كتابي هذا. لقد سمت الدراسة عن الوصية بعنوان أولى هو: **وصية الأستاذ محمود محمد طه: قراءة وتحليل**.

= والرسائل التي كتبها الأستاذ محمود. وعلى الرغم من أن الوصية كوثيقة عمرها الآن أكثر من ستين عاماً، ولم تخضع لنظم الحفظ العلمية المتبعة في دور الوثائق، وحفظت بجهود فردية من قبل تلاميذ كاتبها، إلا أنها لاتزال بحالة جيدة، من حيث الورقة التي كتبت عليها، ومن حيث وضوح الكلمات. من المعروف أن الانتاج المعرفي والفكري للأستاذ محمود تعرض للمصادرة، والإنلاف، من قبل السلطات السودانية، فقد صادرت السلطات السودانية الكثير من كتابات الأستاذ محمود بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه عام 1985. برغم ذلك فقد تمكن تلاميذ الأستاذ محمود، وبجهود فردية، من الاحتفاظ والحفظ لعدد ضخم من كتابات الأستاذ محمود: كتب، ومناشير ورسائل ومقالات مكتوبة، ومحاضرات مسجلة، ومؤثرات كان الأخوان الجمهوريون يعقدونها بشكل دوري بحضور الأستاذ محمود وجلسات إنشاد عرفاني هي مسجلة وغيرها من النشاطات. الآن وبفضل ثورة المعلومات والاتصالات، وكما وردت في آنفاً، فقد نُقل معظم ذلك الإنتاج الفكري والمعرفي ليحفظ رقمياً في موقع خاص باسم موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت تحت العنوان: www.alfikra.org، أنشأه تلاميذ الأستاذ محمود. ولا يزال العمل جارياً لنقل المتبقي، وتفرغ ما هو مسجل بالصوت، ليُنشر رقمياً في ذلك الموقع.

(1) إن تنفيذ الوصية خاصة الجزء المتعلق بالديون وتصفية الحسابات تم من قبل كاتب الوصية، إذ أنه بقي على قيد الحياة حتى عام 1985، وهذا ما يؤكد حرص صاحب الوصية الذي نلّمسه في الوصية نفسها، أما الجزء الآخر من الوصية فقد نفذ دون أن تكون هناك حاجة لوكيل، فهو لم يفرش عليه ولم يكفن ولم نجعل على قبره علامة، ولم توضع على قبره علامة، إذ أنه بعد تنفيذ حكم الإعدام قامت السلطات السودانية بحمل جثمانه بطائرة هيلوكوبتر من ساحة الإعدام لمكان غير معلوم لا يعرفه أحد سوى طاقم الطائرة التي حملت الجثمان، والجهة التي وجهت بذلك الفعل. ظل الأمر على هذا الحال حتى خرج قائد الطائرة التي حملت الجثمان، وأفاد بأن الجثمان دُفن في خلاء غرب أمدرمان، قال العميد طيار فيصل مدني مختار في شهادته لمجلة الدستور: "نعم حملت جثمانه بطائرتي، ... ضباط السجون وآخرون اصطحبوا الجثمان أمره بالتوجه إلى خلاء غرب أمدرمان ونتيجة للتراشق الذي دار بينه وبين المجموعة هبط بطائرته في الموقع الذي حددوه ثم طار ثانية على أن يعود إليهم بعد الدفن". المصدر: فيصل مدني مختار، "العميد طيار فيصل مدني مختار يدلي بإفادات مثيرة حول جثمان محمود محمد طه"، مجلة الدستور، العدد: (27)، بتاريخ: 24-30 يونيو 2000، ص 6.

(2) طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط2، 1998، ص 155-156.

كتب الأستاذ محمود وصيته، وهي وصية تدل في الحد الأدنى من دلالاتها بأن ثمن النقد للمألف، والمفارقة للسائد، والدعوة إلى الفهم الجديد للإسلام، في ظل الكسل العقلي وانخفاض السقف المعرفي لدعاة الإسلام، بأن ثمن ذلك هو الحرب والموت لا ريب في ذلك. كانت الوصية تنطق بفصاحة عن الاستعداد لدفع الثمن، والقدرة على هزيمة تجربة الموت، وهذا ما سنقف عليه لاحقاً. الشاهد أنه بعد أن أعلن الأستاذ محمود عن المسار الجديد للحزب الجمهوري بدأ التبشير بالمرحلة الجديدة في الصحف. لقد جاء في الصفحة الأولى من صحيفة السودان الجديد عام 1952⁽¹⁾: "قررت هيئة الحزب الجمهوري برئاسة الأستاذ محمود محمد طه في جلستها الأخيرة أن تحتفل كل لجنة في الأقاليم بالعيد في إقليمها وتباشر نشاطها هناك". وأضافت الصحيفة: "وعلم مندوبنا من سكرتارية الحزب أن الحزب قد بعث إلى لجانه الفرعية التي بلغ تعدادها حتى الآن 22 لجنة برسالة يطلب إليها إقامة ليالي سياسية إذا توفرت لديها أو لدى بعضها الإمكانيات". وعن عضوية الحزب والفكرة الجمهورية، تقول الصحيفة: "وسأل مندوبنا مسؤولاً في سكرتارية الحزب عما إذا كانت العضوية في الحزب ماضية في ازدياد فأجابنا المسؤول بأن العضوية تسير في تقدم بيد أن الحزب يهتم بنشر الفكرة أكثر من اهتمامه برصد الأعضاء"⁽²⁾. كذلك أتبع الأستاذ محمود الإعلان عن مشروعه وملامحه بالتأليف والنشر، ففي عام 1952، أصدر الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً كتاب: **قل هذه سبيلي: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، وقد وصفه قائلاً: "وهو أول كتاب يتناول الدعوة بالتفصيل والتحديد"⁽³⁾. ثم توالى المنشورات والمحاضرات والندوات في موضوع بعث الإسلام من جديد⁽⁴⁾. ففي ديسمبر 1955 صدر كتاب: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**. وفي مارس 1960، صدر كتاب: **الإسلام**. وهو الكتاب (الأم) كما وصفه الأستاذ محمود⁽¹⁾. ثم توالى المؤلفات حتى بلغت كما ورد آنفاً، ستة وثلاثين كتاباً

(1) "الموقف الداخلي: الحزب الجمهوري يستعيد نشاطه السياسي"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 1640، بتاريخ 19 يولية 1952.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، **قل هذه سبيلي: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثالثة.

(4) محمود محمد طه، تعريف بمحمود محمد طه، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 5.

(5) عرف بكتاب **الإسلام** بينما كان عنوانه: محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري يقدم الإسلام، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثانية.

للأستاذ محمود، ونحو ثلاثمائة كتاب صدرت باسم تلاميذه: الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، بإشرافه، إلى جانب المقالات والمحاضرات والبيانات والمنشورات.

رفقاء الأستاذ محمود

نحن الفكرة الدينية عندنا هي الأصل بدت [بدأت] تظهر بعد سنة 1951 [1951]
اتمسكنا بيها [تمسكنا بها] واتخلو عننا [وتخلوا عنا] كثير جداً من أعضائنا
[أعضائنا] القدام ونشأت عضوية جديدة من شبان جدد جو [جاءوا] على
أساس الفكرة البدت [التي بدأت] تنشر تفاصيلها قليل قليل⁽¹⁾.

محمود محمد طه

رفقاء الأستاذ محمود، غير تلاميذه. فهم أولئك النفر الذين كانوا معه في المرحلة السياسية، كما ورد آنفاً، وهي الفترة ما بين 1945-1951. كان جلهم من طلائع المتعلمين. أسس معهم الحزب الجمهورى، كما ورد آنفاً، فى أكتوبر عام 1945، واختاروه رئيساً للحزب، وعملوا معه تحت مظلة الحزب، قائلين النضال ضد المستعمر. قام الحزب كما جاء فى دستوره، وكما ورد آنفاً، على مبدأ الجلاء التام، ونادى بقيام حكومة سودانية جمهورية ديمقراطية حرة مع المحافظة على السودان بكامل حدوده الجغرافية القائمة آنئذ. تميز الحزب بأنه لم تكن له ارتباطات طائفية أو قبلية، ولم تربطه علاقات مع الساسة فى مصر أو مع الإدارة البريطانية. فى الوقت الذى كانت فيه جهود الاستقلال تقوم على المفاوضات الفوقية مع دولتى الحكم الثنائى، ولم يخرج السعى إلى الاستقلال من حيز المفاوضات والعمل الفوقى إلى النشاط السياسى العريض، أو العمل الجماهيرى الواسع، اتجه الحزب إلى مخاطبة الجماهير فى المقاهى والأماكن العامة⁽²⁾. كان من رفقاء الأستاذ محمود الأوائل فى مرحلة تأسيس الحزب الجمهورى: عبد القادر المرضى، ومنصور عبد الحميد، أمين مصطفى التنى، ومحمود المغربى، وإسماعيل محمد بخيت حبة⁽¹⁾. وما لبث أن لحق بهم آخرون منهم: أمين صديق، ومحمد المهدي المجذوب،

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية (جامعة الخرطوم)، مصدر سابق.

(2) تضمنت معظم كتب المؤرخ محمد سعيد القدال (1935-2008) إشارات إلى ذلك.

ومنير صالح (1919-1994)، ويحيى محمد عبدالقادر (1916-2011)، وغيرهم. لقد ذكر يحيى محمد عبدالقادر (1916-2011)، في مذكراته أنه كان عضواً في **الحزب الجمهوري**، وأن الرسائل الواردة للحزب كانت تأتي عن طريق عنوانه بصحيفة "النيل"⁽²⁾. أيضاً، لحق بالحزب أعضاء آخرون يكشف عنهم ما ورد في الصحف من أخبار، سواء خبر السجن لبعضهم أو الإشارة لأسماء أولئك الذين سيروا المواكب الاحتجاجية. فبعد يومين من صدور الحكم بالسجن على الأستاذ محمود في يوم 1946/10/17، وهو السجن الثاني، أوردت صحيفة **الرأي العام**، الصادرة في يوم 1946/10/19، أسماء ثلاثة من أعضاء **الحزب الجمهوري**، وقد صدرت في حقهم أحكاماً بالسجن، يقول الخبر: "أصدرت محكمة الجنايات حكمها على بعض أعضاء **الحزب الجمهوري** المتهمين تحت المادة 105 وكانت الأحكام كالآتي: عثمان عمر العتباتي 3 شهور سجنًا، سعد صالح عبد القادر، شهر سجنًا، ذا النون جباره شهر سجنًا وكانت المحكمة برئاسة استانلي بيكر، وعضوية محمد أفندي محمود الشايقي مفتش الخرطوم بحري، والعمدة عمر كويس"⁽³⁾.

أيضاً، كان الشاعر محمد المهدي المجذوب (1918-1982)، عضواً في **الحزب الجمهوري**. وكانت تربطه علاقة خاصة بالأستاذ محمود، وظل على صلة به حتى وفاته عام 1982. كتب المجذوب ثمانى قصائد، كلها كان محورها الأستاذ محمود وتوثيق نضاله الوطني وإسهاماته الفكرية والإنسانية. قال المجذوب في قصيدة عنوانها: "سيدة رفاعة"، وقد ضمَّنها ديوانه: **الشرافة والهجرة**⁽⁴⁾:

أَبَايِعُ مُحَمَّدًا عَلَى الْحَقِّ بَيْعَةً هِيَ الصَّبْرُ وَالرَّضْوَانُ فِي عَقْدِهَا بَدْرُ

وقال عام 1946 في قصيدة عنوانها "الجمهوري"، وضمَّنها ديوانه: **منابر**:

شَفَى النَّفْسَ رَأَى لِقَيْتَهُ وَبَايَعْتُ فِكْرَ الْعَبْقَرَى الْمَسْدَدِ

فَتَى لَمْ يَقْلْ هَاتُوا زَكَاةً وَلَمْ يَرِدْ بِإِسْلَامِهِ دِينًا سِوَى دِينِ أَحْمَدِ

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبي معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) يحيى محمد عبدالقادر، **على هامش الأحداث في السودان**، مصدر سابق، ص 162.

(3) **صحيفة الرأي العام**، بتاريخ 1946/10/19.

(4) محمد المهدي المجذوب، **الشرافة والهجرة**، (ديوان شعر)، دار الجليل، بيروت، ط2، 1982، ص 197.

يُصاوِلُ كُهانَ الدِياجى بِمَنطِقِ يَدِكَ عَلَیْهِم كَلَّ زَوْرٍ مَشِيدٍ

وقال عام 1964، فى قصيدة عنوانها "الفيضان"، وضمّنها ديوانه: منابر:

خَذَ هِبَةَ الثَّوْرَةِ عَنْ مَحْمُودٍ إِقْدَامِهِ وَفَكَرِهِ الْجَدِيدِ

مَوَائِباً لِحَصْمِكَ اللَّدُودِ مَنْتَزَعاً مِنْ بِأَسْهائِ الْحَدِيدِ

ثَارَ جَدُودٌ وَعُلَا جَدُودٌ

كما أشار فى قصيدة "سيدة رفاعة"، إلى بعض أعضاء الحزب الجمهورى، قائلاً:

(أبيات متفرقة):

لَكَ النُّصْرُ يَا مَحْمُودُ وَالنَّوْرُ بَاقِيًا وَأَعْطَيْتَ مَا أُعْطِيَ بِصَائِرِنَا الْفَجْرُ

عَرَفْنَا رِجَالًا قَدَرُهُمْ لَيْسَ قَادِرًا وَغَيْرُكَ فِي السُّودَانِ لَيْسَ لَهُ قَدْرُ

سَعِينَا إِلَى النَّادِي فَطَارُوا وَأَبْلَسُوا عَصَافِيرَ أَهْوَى بَيْنَ أَغْشَاشِهَا نَسْرُ

بَسَطْنَا لَهُمْ بَرَقِيَّةً مِنْ رِفَاعَةٍ فَأَعْشَى عَيُونَ الْقَوْمِ بَارِقُهَا الشَّرُّ

رَفَعْنَا بِهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ رَايَةً يَظَاهِرُهَا الْفِكْرُ الْمُقَاتِلُ وَالْجَهْرُ

(أَمِينٌ) وَ(مَنْصُورٌ) وَ(فَضْلٌ) وَصَاحِبِي (مُنِيرٌ) (وَمَا يُلَوِّى بِأَخْلَاقِنَا الرَّجْرُ)

عَبَابٌ وَنَفْسِي فِي الْجَمَاهِيرِ قَطْرَةٌ هِيَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ الْمُفْجَرُ وَالْبَحْرُ

ذكر المجذوب فى قصيدته أربعة من أعضاء الحزب الجمهورى وهم: أمين محمد

صديق، ومنصور عبد الحميد، وهو من خريجي كلية فردون، ومحمد فضل الصديق،

والشاعر منير صالح عبدالقادر (1919-1994). كان الشاعر منير عضواً فى الحزب

الجمهورى، وظل على علاقة مستمرة بالأستاذ محمود. كان بعض أفراد أسرته يمشون

أوقاتاً فى منزل الأستاذ محمود، وكان يزور الأستاذ محمود حين يعود فى إجازاته السنوية،

إذ كان يعمل مستشاراً ثقافياً بالجمع الثقافى فى أبوظبى بدولة الإمارات العربية المتحدة

لسنوات طويلة حتى وافته المنية⁽¹⁾. وحينما تم تنفيذ حكم الإعدام فى حق الأستاذ محمود

عام 1985، رثاه الشاعر منير، بقصيدة عنوانها: (النشيد الأول) وقد أوردت أبيات متفرقة

(1) مقابلة مع النور حمد، بتاريخ 10 أغسطس 2010، الساعة 20:30، مدينة الدوحة، قطر.

منها في صدر الفصل الخامس عشر، الذي جاء بعنوان: "الأستاذ محمود في كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية". يقول منير في مطلع القصيدة "أحسبت هاتيك المشائق تقوى على طمس الحقائق".

رجال الحزب الجمهوري: صدق العزيمة والثقة في القائد

والله أنا ما بعرف العوم لكن والله لو الأستاذ محمود قال لى نقطع بحر رفاعة ده خوض لتبعته⁽¹⁾.

أمين صديق (1911-1980)

عُرف رجال الحزب الجمهوري بصدق العزيمة. وكان رئيس الحزب، الأستاذ محمود، يتمتع بقدرات قيادية نادرة وفريدة، وشهد له الكثيرون بالصلابة ورباطة الجأش، وقوة المراس. ومن هؤلاء الذين شهدوا بذلك الأستاذ أحمد خير المحامى، كما ورد آنفاً، فقد وصف رجال الحزب الجمهوري ورئيسه قائلاً: "لقد برهن رجال الحزب الجمهوري على صدق عزميتهم وقوة إيمانهم لذلك يتمتعون باحترام الجميع، كما برهن رئيسهم على إخلاص وصلابة وشدة مراس"⁽²⁾. الشاهد، أن الأستاذ محمود رافقه بعض طلائع المتعلمين، وبعض من غير طلائع المتعلمين، في درب النضال، وعرفوه عن قرب، فظل الأستاذ محمود عندهم موضع ثقة وإعجاب. وهناك بعض آخر جمعتهم بهم صلات أخوية وإنسانية طيبة، وشهدوا له بالاستقامة الشديدة، وسمو الأخلاق. أيضاً، كان زملاؤه المهندسون، من خريجي كلية غردون، وأعضاء نقابة المهندسين لاحقاً، يكونون له التقدير والاحترام والإكبار. ومن هؤلاء المهندس حسن بابكر الحاج على الحسين (1908-1975)⁽³⁾، الذى كان له موقف قوى وفريد أيام محكمة الردة الأولى عام 1968، سأتعرض له لاحقاً. لقد ظل الأستاذ محمود عند بعض طلائع المتعلمين موضع احترام وإعجاب وإكبار. وظل

(1) إفادة من سمية أمين محمد صديق، عبر البريد الإلكتروني بتاريخ 4 نوفمبر 2012.

(2) أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان، مصدر سابق، ص 95، 95.

(3) المهندس حسن هو من خريجي كلية غردون عام 1932. عمل مهندساً بالسكة حديد، ثم استقال منها عام 1944. كان صديقاً للأستاذ محمود ولم يكن عضواً في الحزب الجمهوري.

عند الكثيرين منهم، ولأسباب عديدة، موضع حسد، وحرب، وهذا ما سأتناوله لاحقاً.

تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

إن تربية واحد من الإخوان أعود بالخير والبركة وأدل على صدق الدعوة من عشرات المؤلفات العرفانية **فالحياة أصدق من العلم** ⁽¹⁾.

محمود محمد طه

كانت مرحلة التلمذ على الأستاذ محمود، هي الفرصة التي أتاحت للأجيال الجديدة آنذاك، اللقاء به، والأخذ من معينه المعرفي والفكري. إن تلاميذ الأستاذ محمود هم حواريه. جاؤوا إليه، ولازموه وناصروه وآزروه. كانوا ينادونه بالأستاذ، وكان يناديهم بأبنائي وبناتي. اختاروا لأنفسهم اسم الإخوان الجمهوريين، والأخوات الجمهوريات. تكون الاسم من مفردتين: الإخوان، والجمهوريين، فالإخوان مفردة تجدد تأصيلها الإسلامي وجذرها الفكري في دعوة الأستاذ محمود. أما مفردة الجمهوريين، فترجع إلى اسم الحزب الجمهوري الذي أنشأه الأستاذ محمود مع ثلة من رفاقه عام 1945. ومنذ منتصف الخمسينيات عُرف تلاميذ الأستاذ محمود بين الناس بالإخوان الجمهوريين، والأخوات الجمهوريات. انداح تلاميذ الأستاذ محمود في الفضاء المعرفي السوداني، وقادوا سجالاتاً عظيماً في السوح الفكرية والسياسية. عانوا عناءً شديداً، من جراء ذلك السجال، لكنهم ظلوا ثابتين على مبادئ أستاذهم، ومتصالحين مع ذلك السجال، لأنهم كانوا يدركون أبعاد المشاكل وجذورها في قصة حياة الإنسان. أنسنوا الحياة، وتركوا أثراً ضخمة، ومعاني ناصعة، تُروى وتُحكى. قدموا نماذج مشرقة في أخلاقها وسلوكها، وجمال سيرتها، بشهادة معاصريهم وأندادهم، وقد أوردت آنفاً، العديد من هذه الشهادات. فمتى ظهر اسم

(1) جاء هذا النص في رسالة خاصة بعث بها الأستاذ محمود في 18/1/1970 من مدينة أمدرمان إلى تلميذه عصام البوشي، الذي كان يدرس وقتئذ في جامعة لندن ببريطانيا. استهل الأستاذ محمود رسالته تلك قائلاً: (ابني المبارك عصام عصم الله خاطره وفكره ولسانه ويده... تحية طيبة ببارك الله لك وبارك عليك...). حصل المؤلف على هذه الرسالة ضمن رسائل ووثائق أخرى نادرة وقيمة من الأستاذ عصام البوشي. كانت الوثائق بحالة ممتازة فقد احتفظ بها البوشي بمنزله بمدينة ود مدني بعناية فائقة. (ملاحظة: كتب الأستاذ محمود رسالته هذه في يوم 18 يناير، وهو يوم له معاني ودلالات كبيرة، وكما هو معلوم، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً، أنه في يوم 18 يناير 1985 تم تنفيذ حكم الأعدام في الأستاذ محمود).

الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات؟ ومتى كانت بداية مرحلة التلمذ على يدي الأستاذ محمود؟ ومن هو الجمهوري عند الأستاذ محمود؟

بداية مرحلة التلمذ على يدي الأستاذ محمود

أعظم كتاب كتبه الفكرة الجمهورية سعيد شايب⁽¹⁾.

محمود محمد طه

يمكن التأريخ لمرحلة التلمذ على يدي الأستاذ محمود بمقالة كتبها الأستاذ سعيد الطيب شايب (1931-2002) ونشرها في **جريدة الشعب** بتاريخ السبت 13/1/1951، يتساءل فيها عن الأستاذ محمود الذي لمع نجمه عقب ثورة رفاة ولكنه سرعان ما اختفى بسبب السجن ثم بسبب اعتكافه في رفاة. كتب سعيد شايب في مقالته قائلاً: "لفتت نظري "قفشة"⁽²⁾ وردت في عددكم الثالث منسوبة إلى المجاهد "محمود محمد طه" فإنها قد أعادت لنفسى أملاً كاد أن يفلت، لما اكتنفتني من شكوك وأوهام؛ وعلى الأقل أعادت لنفسى بأن هناك صحافة حريصة على أعمال المجاهدين"⁽³⁾. ثم أضاف سعيد شايب قائلاً:

إن اسم "محمود" قد اختفى منذ حين، وكأنه لم يفعل شيئاً، بل كأنه لم يكن في عالم الوجود! ولكنني أخرق ذلك الصمت وأقول، أليس محمود ذلك الرجل الذي آمن بقضية شعبه وعمل لها ما وسعه العمل رغم العراقيل التي وضعت في سبيله؟ أليس هو ذلك الرجل الذي يقوم ولا يتردد ولا يتنازل مهما قابلته الصعاب من بطش ومعارضة حكومية وحزبية- كل ذلك لأنه يؤمن بأن الشعب الذي يريد الحرية ويسعى لها، يجب أن يكون في

(1) حمد النيل عبدالله العركي، **جواهر المعاني في حضرة الأستاذ محمود محمد طه**، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 6.

(2) لقد وقفت بدوري على هذه القفشة فقد جاءت في **جريدة الشعب** في باب طرائف تحت عنوان: سليمان، كتبت الصحفية: "من طرائف الأستاذ محمود محمد طه رئيس **الحزب الجمهوري** القفشة الآتية: كان الحديث يدور حول الإنجليز واستعمارهم والأحزاب السودانية فقال الأستاذ محمود: إن الإنجليز قد أصبحوا كسيدنا سليمان مات متكباً على عصاه ولم يعرف ذلك حتى تأكلت العصا.. فهل يفهم الناس أن سليمان الذي يستعمر هذا البلد ميت مركّز على عصا!!!!". المصدر: "سليمان"، **جريدة الشعب**، العدد: 3، السبت 1950/12/23.

(3) سعيد الطيب شايب، "محمود محمد طه"، **جريدة الشعب**، العدد: 6، يوم السبت 13/1/1951.

كفاحه صلباً لا يتزحزح وقوياً لا يلين وثابتاً لا يتنازل⁽¹⁾.

وأضاف سعيد في تساؤله عن الأستاذ محمود قائلاً: "واليس هو الذى سجن مرات دون أن يحرك الزعماء ساكناً للدفاع عنه والوقوف بجانبه؟ واليس هو الذى وقف وقفة الرجل المؤمن بحقه يوم حادث رفاعه - يوم مشكلة الخفاض - التى تمخضت عن سجنه عامين؟ وهل هو غير ذلك الرجل الذى رفض المنصب والجاه فى سبيل حرية رأيه؟"⁽²⁾. وتساءل سعيد شايب أيضاً، عن الأستاذ محمود قائلاً: "وهل هو غير ذلك الرجل الذى أراد أن نكون فى هذا الظرف العصيب مكافحين قبل أن نكون ساسة وعاملين على أخذ حريتنا دفعة واحدة وحالاً، ونكفر بتقسيط الحرية وسياسة التطور؟"⁽³⁾. (للاطلاع على كلمة سعيد شايب كاملة، أنظر ملحق رقم: "21").

كان الأستاذ محمود معتكفاً فى مدينة رفاعه، حينما نشر سعيد شايب كلمته. أطلع الأستاذ محمود على كلمة سعيد شايب ورد بمقال جاء فى جريدة الشعب، يوم السبت 1951/1/27، بعنوان: "سعيد يتساءل"⁽⁴⁾. قال الأستاذ محمود فى مقاله: "حاضرة صاحب جريدة الشعب، تحية، وبعد: فقد اطلعت، بعددكم السادس، على كلمة من الأخ سعيد يتساءل فيها عنى، وقد أعلم أن كثيراً من الإخوان يتساءلون، كما تساءل، فلزمنى لهمحق الشكر، ولزمنى لهم حق الإيضاح...". ثم تحدث الأستاذ محمود عن نشأة الحزب الجمهورى، ومعارضته للحكومة، وتناول مدلول كلمة الإسلام، وطبيعة نظراته إلى موضوع الدعوة إلى الإسلام، قائلاً: "فأنت، إذا أردت أن تدعو إلى الإسلام، فإن عليك لأن ترده إلى المعين المصطفى الذى منه استقى محمد، وأبو بكر، وعمر .. وإلا فإن الدعوة جعجعة لا طائل تحتها .. ولم تطب نفسى بأن أجمع..."⁽⁵⁾. ثم طرح فى مقاله السؤال التالى: فهل حبسنى ابتغاء المعرفة؟؟ وأجاب عن السؤال مبيناً أسباب انقطاعه، وحبه لنفسه فقال: "لا والله!! ولا كرامة .. وإنما حبسنى العمل لغاية هى أشرف من المعرفة .. غاية ما المعرفة إلا

(1) المصدر السابق.

(2) سعيد الطيب شايب، "محمود محمد طه"، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

(4) محمود محمد طه، "سعيد يتساءل"، جريدة الشعب، السبت 1957/1/27.

(5) المصدر السابق.

وسيلة إليها.. تلك الغاية هي نفسى التى فقدتها بين ركام الأوهام، والأباطيل.. فإن علىّ لأن أبحث عنها على هدى القرآن، أريد أن أجدها.. وأريد أن أنشرها.. وأريد أن أكون فى سلام معها، قبل أن أدعو غيرى إلى الإسلام..⁽¹⁾ ثم أضاف قائلاً: "ذلك أمر لا معدى عنه.. فإن فاقد الشيء لا يعطيه.. فهل تريدون أن تعلموا أين أنا من ذلكم الآن؟؟ إذن فاعلموا: أنى أشرفت على تلك الغاية، ويوشك أن يستقيم لى أمرى على خير ما أحب.."⁽²⁾ (للاطلاع على مقال الأستاذ محمود كاملاً أنظر ملحق رقم: "22").

مثّل فى تقديرى تساؤل سعيد شايب عن الأستاذ محمود، ورد الأستاذ محمود عليه، النواة الأولى لمرحلة التلمذ على الأستاذ محمود، والبداية الفعلية للتواصل بين الأستاذ محمود والأجيال الجديدة (آنذاك). وعندما طرح الأستاذ محمود عام 1951 ملامح مشروعه، ثم أخذ يُبين ملامحه، ويُفصل فيه، جاء الأستاذ سعيد الطيب شايب ليكون بذلك من أوائل تلاميذ الأستاذ محمود. ثم جاء محمد يوسف عبادى، وخوجلى محمد خوجلى، والأستاذ جلال الدين الهادى الطيب إدريس، والأستاذ عبداللطيف عمر، وعبد الباقي إسماعيل، وقسم الله عبید فضل⁽³⁾. وكان قد سار مع الأستاذ محمود فى المسار الجديد بعض رفقاءه من أعضاء الحزب الجمهورى القدامى. وكان من هؤلاء: أمين محمد صديق (1980-1911)، ومحمد فضل الصديق (1982-1919)، وميرغنى حمزة على (2010-1911)، ومهدى أبو بكر، والتوم عبد الجليل، وتاج السر الحورانى، وذو النون جبارة (1974-1918)، وعبدالرحمن البوشى (1978-1918)، الذى كان معاصراً للأستاذ محمود فى قسم الهندسة بكلية فردون، وتخرج فيها عام 1938، وكان ذلك بعد تخرج الأستاذ محمود بعامين وغيرهم. ومن أوائل الجمهوريات اللاتى التحقن بالأستاذ محمود الحاجة كلثوم محمد طه، والحاجة كلثوم حسين (1984-???) زوجة محمد فضل الصديق، وبتول مختار محمد طه (ابنة أخيه)، ونوال محمد فضل⁽⁴⁾.

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) مقابلة مع عصام عبدالرحمن البوشى، مدينة مدنى، السودان، بتاريخ 13 يوليو 2010، الساعة 16:00.

(4) المصدر السابق.

ومنذ نهاية الخمسينيات من القرن الماضي بدأ اعتناق الطلاب لفكر الأستاذ محمود بطلاب المعهد العلمى بأمدردمان الذين كان منهم إبراهيم يوسف، وأحمد عبد الرحمن العجب، ومحمد خير محيسى، وعبدالرحيم سفيان، والريح أبو إدريس. ومنذ بداية عقد الستينيات بدأ الشباب من طلاب الجامعات والمعاهد العليا فى التدفق على الأستاذ محمود، وزاد عددهم فى السبعينيات والثمانينيات بشكل كبير. لقد تحاشيت تقديم نماذج من أسماء التلاميذ والتلميذات الذين توافدوا منذ بداية الستينيات من القرن الماضي، وكان يمكننى أن أقدم مئات الأسماء، إلا أنه يصعب حصر الأسماء بما يحفظ الحقوق. خاصة وأنى من المؤمنين بأن تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته قدموا جهوداً وعطاءً، سواء على المستوى الفردى من خلال تقديم النموذج الإرشادى أو على المستوى الجماعى، قدموا تجربة حياتية فريدة، وتركوا للبشرية تراثاً ضخماً فى مجالات علمية مختلفة وضروب حياتية شتى. وعلى الرغم من أن هذا التراث الضخم قد أقيم بينه وبين شعوب السودان والإسلام جدار عازل سميك، وواجه حصاراً عنيفاً ولا يزال مستمراً، على الرغم من ذلك فإننى على يقين تام بأنه قريباً جداً سيكشف عن هذا التراث الضخم، وسيبدأ الحوار عنه، حينها سيحدث حيوية لم تكن من قبل، وسيغذى الخيال الجمعى للبشرية وسيلهمها بالمعانى الجديدة. وفى تقديرى سيتم ذلك حينما تتحرر الأكاديمية السودانية من القديم والجهل ومن التماهى مع الفقهاء، حينما يحدث التحرر سيكون هذا التراث الضخم ميداناً ومادة للبحث والدراسة، ووقتها ستخرج علينا مئات الرسائل الجامعية من دكتوراة وماجستير ودبلومات... إلخ، ومع كل ذلك فإن يقينى بأنه سيبدأ حوار حر ومناخ جديد ليأتى بالواقع المختلف. ولهذا فإننى لم أقدم حصاراً للأسماء ولكنى عزمت منذ وقت على إصدار معجم عن تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، ووسمت المشروع⁽¹⁾ مبدئياً ب: معجم تلاميذ الأستاذ محمود محمد طه وتلميذاته (1951-1985).

وعن الأخ الجمهورى عند الأستاذ محمود، يقول منصور خالد: "هناك درس تعلمته من الأستاذ محمود محمود طه، وكنت أسعى إليه دوماً للحوار معه حول بعض آرائه فى القضايا

(1) بالفعل شرعت فى الخطوات الأولى لإعداد المعجم فقد قمت بتصميم استمارة معلومات/ بيانات، ومن ثم وجهت رسالة لتلاميذ الأستاذ محمود بخصوص هذا المعجم وأرفقت مع الرسالة الاستمارة. والآن وصلتنى مجموعة مقدرة من الاستمارات معبأة ولا تزال تصلنى. والحق أنى عازم على إنجاز هذا المشروع برغم ضخامته من حيث المعنى ومن حيث الحجم.

العامة، سألته يوماً عن أسس اصطفائه للأخ الجمهوري". ثم أورد منصور خالد رد الأستاذ محمود الذي جاء فيه عن الأخ الجمهوري: "أن يكون متمكناً من مهنته لأن الذي لا يفلح في مهنته لن يفلح في إقناع الآخرين بأي شيء آخر، وأن يجيد التعبير عن نفسه ويملك القدرة على ضبط النفس وحسن الاستماع للآخر، لا يستفز ولا يُستفز. أهم من هذا أن لا يفعل في السر ما يستحي من فعله في العلانية، هذا ما أعنيه بالصدق مع النفس والطمأنينة الداخلية"⁽¹⁾.

ملاح أولية لدورتلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته

يا بوى صباح الخير

يا بوى صباح الخير

من آخر الأعماق

أنا حالي غيرك غير

في منتهى الأشواق



إنت بتروّح وين

يا مستبد يا عاق

من غصبة الطوفان

من شعبنا العملاق

يوم تشخص الأبصار

يلتف ساق بي ساق

بيناتنا يبقى الحق

ومكارم الأخلاق⁽²⁾!..

أزهري محمد علي

(1) منصور خالد، "الدكتور منصور خالد يفتح صندوق الذكريات الخاصة والعامة"، (حوار)، حوار كمال حسن بخيت، البيان الإماراتية، العدد: 196، الأربعاء 6 أغسطس 2003.

(2) أزهري محمد علي، "يا بوى صباح الخير"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، نشرت القصيدة في موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/2/5، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

إن تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته، بجانب مناصرة الأستاذ محمود، ومؤازرته، قاموا بدور كبير وعظيم. وقد تناولت هذا الدور آنفاً في الفصل الأول. ولكن بجرّد مجمل يمكن القول إن التلاميذ والتلميذات قادوا مع أستاذهم، الأستاذ محمود، المواجهة، ومهمة التعريف بمشروعه، تحدّثوا مع الناس في الطرقات، وأقاموا لاحقاً أركان النقاش في الجامعات والمعاهد، وفي الشوارع والحدائق العامة. اضطلعوا بمهام حملات بيع الكتب، التي تعرّف بالفكرة الجمهورية، وسعوا لبيعها في مدن وقرى أقاليم السودان المختلفة. أيضاً، كان الأستاذ محمود حريصاً على توصيل دعوته إلى المثقفين والفنانين والساسة والأكاديميين، والشعراء والكتاب. فقد تلاميذه اللقاءات بهم أفراداً وجماعات، حدثهم عن مشروع الأستاذ محمود، وقادوا معهم الحوار والمناظرة لاحقاً. استمعت إلى تسجيل للجلسة الختامية لمؤتمر عيد الفطر للأخوان الجمهوريين، الذي نُظم يوم 9 نوفمبر عام 1972، بمدينة أمبدة، بأمدردمان، وفيه قدم بعض تلاميذ الأستاذ محمود تقارير حول نتائج لقاءاتهم بالمثقفين⁽¹⁾. الأمر الذي يعكس مدى اهتمام الأستاذ محمود بتوصيل دعوته إلى المثقفين. لقد مر دور تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته في مناصرة الأستاذ محمود، وفي التعريف بمشروعه، وفي الدفاع عن ما لحق به، وبمشروعه من التضليل والتحريف لأطروحاته، مر دورهم بمراحل مختلفة: ففي البدء كانوا تلاميذ، وليسوا دعاة، ثم سمح لهم الأستاذ محمود فيما بعد، بأن يدعوا ويشيروا بالمشروع، يقول إبراهيم يوسف: "في عام 1960 رفض البوليس إقامة ندوة في النادي فنقلها أستاذ أمين صديق لمنزله. فعلق مدير البوليس قائلاً: "أيه الفائدة نحن نمنع الندوات من الأندية وأمين ينقلها إلى منزل الحكومة.. فقال أمين: دعوه يسألني حتى أبين له أن بيوت الحكومة تداس فيها الفضيلة"⁽²⁾. ثم أضاف إبراهيم يوسف قائلاً: "على إثر ذلك قال الأستاذ محمود: "آن للدعوة أن يكون لها أكثر من داعية"⁽³⁾. علق إبراهيم يوسف على كلمة الأستاذ محمود قائلاً: "كأنما أذن الأستاذ محمود لتلاميذه بالحديث"⁽⁴⁾. ولاحقاً، سمح الأستاذ محمود لتلاميذه بكتابة الكتب تحت إشرافه المباشر. صدر أول كتاب باسم الإخوان الجمهوريين عام 1973، وكان عنوانه: أضواء

(1) من موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 12 نوفمبر 2009، الموقع على الإنترنت: <http://www.alfikra.org>

(2) مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، بتاريخ الثلاثاء 2011/8/31، الساعة 20:00، الدوحة، دولة قطر.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

على شريعة الأحوال الشخصية. وصدر أول كتاب مشترك بين الأخوات والإخوان الجمهوريين عام 1974⁽¹⁾، وكان عنوانه: الميزان: بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية، وكتبه كل من: بتول مختار وإبراهيم مكى، وأسماء محمود محمد طه وعصام البوشى وعوض الكريم موسى. وكتبوا فى المقدمة عن هدفهم من الكتاب قائلين: "هذه مقدمة كتابنا الذى اخترنا له اسم: الميزان: بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية، هادفين من ورائه إلى كشف الاتجاهات الرجعية التى بدأت تسيطر على بعض الأجهزة الرسمية فى بلادنا..."⁽²⁾. وتحت عنوان: "قصة هذا الكتاب"، كتبوا قائلين:

"وقع فى أيدينا، قبل أيام قليلة، منشور من عدة صفحات، كتبه السيد أحمد البيللى، مدير مصلحة الدراسات الدينية، بالأمانة العامة للشؤون الدينية، فى شهر يوليو من هذا العام (عام 1974).. ولقد استهدف المنشور، على حد زعم كاتبه "تقويم وتقسيم" الفكرة الجمهورية التى اطلع على تسع وثائق من كتبها.. وبكل الأسف جاء ذلك المنشور خالياً تماماً من الفكرة الجمهورية، وحوافياً لانهامات جاهلة، ومغرضة، ما كان يمكن أن تقوم عند كاتب الشؤون الدينية لو قد اطلع على كتب "الدعوة الإسلامية الجديدة" التى زعم أن منها وثائق بين يديه، اللهم إلا إذا قلنا أن غرضه المبيت للنيل من هذه الدعوة أعماه عن الفهم، وعن المسؤولية، ليمكننا الله منه، ومن أمانته العامة التى كلفته بمهمة هذا التقرير".

وفى عام 1978 أصدر الأستاذ سعيد الطيب شايب كتاباً، كان بعنوان: قضايا كوستى: هدية لشعبنا لكيلا يُخدع عن حقيقة من يتصدون لتعليمه دينه⁽³⁾. تناول فيه الأستاذ سعيد اعتداء بعض الناس على محاضرة أقامها الإخوان الجمهوريون فى دار رابطة الفنانين بكوستى. ثم توالى صدور الكتب، بعضها فى مناسبات بعينها، وبعضها على أثر أحداث ومواقف. ومن الكتب التى صدرت بمناسبة وقصة كتاب: تعلموا كيف تجهزون موتاكم

(1) مقابلة مع عصام البوشى، 14 يوليو 2010، الخرطوم، الساعة 11:30 صباحاً.

(2) بتول مختار (وآخرون)، الميزان: بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية، مصدر سابق، ص 1.

(3) سعيد الطيب شايب، قضايا كوستى: هدية لشعبنا لكيلا يُخدع عن حقيقة من يتصدون لتعليمه دينه، ط 1، أمدران، 1978.

الذى صدر باسم الإخوان الجمهوريين عام 1978. تعود قصة الكتاب⁽¹⁾ إلى أن الأخوات الجمهوريات كن قد شاركن فى تشييع جثمان المهندس عبدالرحمن البوشى فى أبريل عام 1978، بمدينة ود مدنى، وكان ذلك بناءً على اقتراح تقدمت به بنتاه علوية وعطيات إلى الأستاذ محمود. أحدثت مشاركة الأخوات الجمهوريات فى التشييع ضجة كبيرة، وجدلاً واسعاً، توج بإصدار كتاب، ودخلت به الأخت الجمهورية عهداً جديداً من المواجهة⁽²⁾.

كانت حياة وأوقات تلاميذ الأستاذ محمود، كلها مواجهات، وصراعات مع العقل الثقافى ونسق القيم السائدين. إننا بمراجعات أمينة للتطور الفكرى والسياسى فى السودان بعد تحرير عقولنا وقلوبنا من العداء للأستاذ محمود ولمشروعه وتلاميذه، نجد أن هناك طاقات عقلية ضخمة، وقدرات فكرية جبارة قد ضاعت، وبددت بسبب الصراع العقيم، وتبع ذلك تهميشها، وعزلها عن الحراك السياسى والفكرى فى السودان. كتب الأستاذ فتحنى الضو قائلاً:

ولولا إننا قوم جُبلنا على الجحود ونكران الجميل لأعطينا الجمهوريين حقهم فى صدقة جارية، فقد ساهموا فى إرساء دعامة كبرى نحتاجها فى حياتنا وهى دعامة الحوار، وكلنا يعلم أن غيابها تسبب فى الكوارث السياسية والفكرية والاجتماعية التى ابتلينا بها، واستطيع أن أقول إن شوارع العاصمة الثالثة افتقدت حوارات الجمهوريين عنواناً للتسامح الدينى والفكرى والسياسى، وأستطيع أن أقول أيضاً وبنفس الروح أن شوارع العاصمة الثالثة تلك، تمدد فيها العنف وسالت فيها الدماء وفتحت جهنم أبوابها منذ أن غاب عنها الجمهوريون أنفسهم!⁽³⁾

من الملاحظة المهمة والتى لا تخطئها عين الدارس والمتخصص أن الأستاذ محمود منذ طرح مشروعه عام 1951، ظل يتحمل وبشكل مباشر المسئولية عن كل عمل أو نشاط. كان فى السابق وتحت مظلة الحزب الجمهورى يكتب حينما ينشر كتاباً أو بياناً، الحزب الجمهورى يقدم، ولكن منذ طرحه لمشروعه الكبير الخطير، درج على كتابة محمود محمد طه يقدم. تجد ذلك فى جل عناوين كتبه، وفى صدر البيانات، والمناشير التى تم توزيعها. كان أيضاً يتقدم تلاميذه حال

(1) مقابلة مع عصام البوشى، 14 يوليو 2010، الخرطوم، الساعة 11:30 صباحاً.

(2) المصدر السابق.

(3) فتحنى الضو، "ويلٌ لأمة لا تعرف قدر مفكرها"، صحيفة الأحداث، الخرطوم، 2009/1/18.

حدوث أى اتهام لهم من قبل الشرطة أو المحاكم، كان يأتى ويطلب تسجيل اسمه باعتباره المتهم الأول، والمسؤول المباشر عن كل أعمال تلاميذه ونشاطاتهم. حدث ذلك فى محكمة بورتسودان عام 1975، وحدث مثله فى كل المواقف والأحداث التى واجهها تلاميذه، وهى كثيرة⁽¹⁾.

مصادر تمويل حركة الإخوان الجمهوريين

الإسلاميون يضللوننا بأن الأستاذ محمود تموله الـ CIA، هل يعقل أن أمريكا تمول ثلاث قُلل وبرشين؟⁽²⁾

عبد المنعم بشير إمام، نقلاً عن على أحمد إبراهيم

قدم الأستاذ محمود وتلاميذه وتلميذاته، الإخوان الجمهوريون والأخوات الجمهوريات فى السودان، تجربة فريدة وضخمة ومدهشة، ليس من حيث حجم العمل وضخامة الإنتاج وحيوية النشاط فحسب؛ وإنما من حيث التوظيف للإمكانات المحلية والتفجير للطاقات البشرية والروحية مع الانضباط التام والمحاسبة الدائمة والجرد المستمر للأداء والانجازات. فمع الانشغال بالتبشير بالدعوة عبر كتابة الكتب والمقالات والبيانات والمناشير وإقامة أركان النقاش والمحاضرات والندوات، كان الأستاذ محمود وتلاميذه يواجهين بالرد على المعارضين ومواجهين بضرورة التبصير والتوضيح لما يقوم به أعداء الأستاذ محمود وتلاميذه من تضليل وكذب. وفى الوقت الذى كانت إمكانات الأستاذ

(1) مقابلة مع أحمد مصطفى دالى، الدوحة، دولة قطر، 13 فبراير 2011، الساعة 18:30 .

(2) كان عبد المنعم بشير إمام قد زار الأستاذ محمود فى منزله بمعية على أحمد إبراهيم، أحد تلاميذ الأستاذ محمود، فى نحو عام 1975، ووقف على حال منزل الأستاذ محمود من الداخل، ولم يرَ فيه سوى ثلاث قُلل وبرشين. خاصة وأنه قد نشرت إشاعات فى ذلك الوقت بأن الأستاذ محمود تموله جهات أجنبية. بعد ما وقف على الواقع علق عبد المنعم وهو واقف أمام منزل الأستاذ محمود مع على أحمد إبراهيم، فقال الشهادة أعلاه. الـ CIA اختصار لاسم Central Intelligence Agency وهى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. برشين مثنى برش، والبرش: حصير مخصوف. المصدر: عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية فى السودان، مرجع سابق، ص 84. والقلل جمع قلة، والقلة كما جاء فى معظم معاجم اللغة العربية بأنها: إناء من الفُخَّار يُشْرَب منه.

المصدر: مقابلة مع على أحمد إبراهيم رحمة (شيخ على)، كانت المقابلة فى رحلة (المؤلف وعلى) بسيارة ما بين الخرطوم ومدنى، يوم 2012/1/7، بدأت الرحلة الساعة 11:00 صباحاً وتخللتها نشاطات أخرى وانتهت عند الساعة 15:30.

محمود وتلاميذه إمكانيات محدودة وتعتمد على توظيف الأدوات البسيطة سواء بالطباعة على ماكينة الرونيو أو بالنسخ اليدوي للكتب والبيانات الذي كان يقوم به الفنانون وأصحاب المهارات الفنية، أو بالتسجيل الذي جاء لاحقاً. تقول بتول مختار محمد طه كان: "الإخوان يعملون ليل نهار في ماكينة الرونيو صانعة المعجزات"⁽¹⁾. في هذا الوقت كانت إمكانات الأعداء ضخمة ومدعومة من الدولة، بل كانت الدولة مثلة وقتئذ في المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف بالسودان (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) عدوة للأستاذ محمود. لم يقف الأمر عند الدولة بل الدعم يقوم به تحالف إسلامي عريض في العالم الإسلامي. وقد وردت الإشارة لذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب، وقد بينت كيف أن المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف بالسودان (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف)، قام باستكتاب الأساتذة ليردوا على الأستاذ محمود، وكيف أن أحد المحكمين لهذه الردود وهو سر الختم الحسن عمر، والذي طُلب منه إبداء الرأي حول دراسة تم إعدادها في الرد على الأستاذ محمود، وقُدمت الدراسة إلى المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف، فأصدر المكتب التنفيذي توجيهاً للسيد سر الختم الحسن عمر ليبدى رأيه حول الدراسة. كتب سر الختم ضمن الخطاب الموجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف، بتاريخ 20 نوفمبر 1984، كتب قائلاً: "فيما يتعلق بإبداء الرأي حول كتاب: رسالة في الرد على محمود محمد طه، فإنني أوضح الآتي: إن المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف يسعى لأن يستكتب أساتذة يردون على فكر محمود محمد طه وبطلانه الواضح، ولكن هذا لا يعنى أن يقبل أى شيء، يقدم إليه دون فحص أو تدقيق فيما يقدم إليه"⁽²⁾. كان يواجه الأستاذ محمود وتلاميذه الأعداء المدعومين من الدولة.

الشاهد أن ما قدمه الأستاذ محمود وتلاميذه من نشاط عقلى وحيوية، أدهش القائمين على أمر السودان والإسلام، فذهبوا يفسرون الأمر في وجهة التمويل الأجنبي... إلخ. كان

(1) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 288.

(2) سر الختم الحسن عمر، "خطاب موجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف"، ضمن: عبدالباقى يوسف نعمة، رسالة في الرد على: محمود محمد طه، مرجع سابق، ص الملاحق.

على رأس هؤلاء المندehشين للأمر "علماء السودان"، كما ورد آنفاً، فقد خاطب علماء السودان رئيس وأعضاء مجلس الشعب عبر الوثيقة رقم (6)، قائلين: عن الإخوان الجمهوريين وزعيمهم محمود محمد طه⁽¹⁾. السيد رئيس مجلس الشعب والسادة الأعضاء... إن وراء دعوة محمود محمد طه (جهات - أيادي) أجنبية تحركها وتمولها⁽²⁾. ثم أضاف علماء السودان قائلين في وثيقتهم: "وهذه الإمكانيات الضخمة الواسعة من المطابع والأوراق والنساخين والعمال والمنازل المؤجرة والعربات التي تنقل الأتباع والعائسات إلى جميع عواصم السودان ليعين الكتب وتكاليفها وتلك المساعدات المالية الضخمة التي يقدمها للناس والموائد الدائمة والشراب من أين يأتيه؟". ثم يعبرون عن تصورهم قائلين: "ولا نتصور أن له اتباعاً يمدونه بهذه الأموال فقد رأينا وجوههم الكالحة التي ارتسم عليها الفقر والحرمان فوق ما يجلوها من قتام الكفر وسيما الخزي والضلال فهؤلاء يأخذون ولا يعطون، حتى ولا يمكن لكتبه غير الرائجة أن تفي بعشر أعشار تكاليفها لو راجت"⁽³⁾. وفي واقع الأمر لم يكن هناك سوى جد وعزيمة ونكران ذات. لقد شهد بعض المثقفين السودانيين لتلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته بخصائص نادرة في النشاط والحيوية والعطاء والعمل. مثلاً كان "المرحوم" جمعة حسن (1947 تقريباً) - (2002)، وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود، الذين يقومون بأعمال متعددة منها: الطباعة والتسجيل والتصوير قد شهد في حقه أحد المثقفين السودانيين الكبار هو يونس الدسوقي القطب الشيوعي المعروف. كتب عمر القراي قائلاً:

عندما زرت عم يونس الدسوقي، في الفندق الصغير، الذي كان يقيم فيه بالقرب من ميدان رمسيس، في وسط القاهرة، في منتصف التسعينات، وعرفته بنفسى بادرني قائلاً: وين جمعة حسن؟! أخبرته أنه في أمدرمان. فقال: جمعة دا كان طالب في المدرسة الصناعية، في كوستى لما دخل معانا في الحزب الشيوعي.. وكان طاقة عجيبة، يمكن يساوي عشرة من زملاهو.. قام غاب عنا زى سنة كدا، لقيتو شايل كتب

(1) "النشرة اليومية"، وكالة السودان للأنباء (سونا)، مصدر سابق، ص 28.

(2) المصدر السابق، ص 28.

(3) المصدر السابق، ص 28-29.

الجمهوريين يبيع فيها!! قلت ليهو: يا جمعة الحكاية شنو؟ مالك خليتنا وبقيت مع الجمهوريين؟ قال لى: يا عم يونس أنا والله بحترمكم.. لكن اليقين الشفتو فى عيون الأستاذ محمود، ما شفتو فى غيرو.. قلت ليهو: والله صدقت يا ولدى، صدقت!!⁽¹⁾.

التمويل والموارد : القواعد والأنس

والله.. أنا من الماثورين به [الأستاذ محمود]. أنا كنت أعرفه وأتردد على منزله فى ذلك الوقت. وكنا كشباب فى الثانويات نجد عنده (اللقة) نتعشى معه وكنا نتعجب أن الشخص الذى يشغل الساحة الفكرية شخص بسيط زاهد ومتواضع، وكان المفكر الوحيد المطروحة كتبه فى السوق... أنا.. بفتكر أن محمود محمد طه -جرعة كبيرة لا نستطيع أن نحملها.. الناس ما قادرين يتحملوا حسن مكى - يتحملوا محمود محمود محمد طه؟؟⁽²⁾

حسن مكى

من المرتكزات الأولية والقواعد الأساسية التى وضعها الأستاذ محمود فى تمويل الحركة الجمهورية ونشاط الإخوان الجمهوريين، أن لا تُقبل أى تبرعات أو مساهمات مهما كانت عينية أو غيرها، من أى جماعة أو جهة رسمية أو غير رسمية أو أى شخص من خارج عضوية الحركة الجمهورية⁽³⁾. كان الأستاذ محمود فى عام 1966 قد ترك العمل فى مجال الهندسة نهائياً، وتفرغ تماماً للتأليف ولنشر الفكرة الجمهورية⁽⁴⁾.

كان التمويل للحركة والنشاط يتم من المصادر التالية:

1- العائد الذى يأتى من بيع الكتب التى كان يؤلفها الأستاذ محمود أو الكتب التى يكتبها تلاميذه بإشرافه وخرجت باسم الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات. وكانت كل حملة من حملات بيع الكتب تقدم تقريراً عن حجم المبيعات والعائدات، سواء

(1) عمر القراى، "فى ذكرى الاستاذ محمود: سلام على يونس الدسوقى فى العالمين!!"، من سودانيل، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/1، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudanile.com>

(2) حسن مكى، ضمن حوار مع حسن مكى، صحيفة الوفاق، السبت 5 ديسمبر 1998، الخرطوم.

(3) مقابلة مع على أحمد إبراهيم (شيخ على)، مصدر سابق.

(4) محمود محمد طه، مخطوطة، مصدر سابق، ص 7؛ إبراهيم يوسف فضل الله، ذكريات جمهورى، مصدر سابق، ص 127-129.

فى العاصمة أو الأقاليم (أنظر ملحق رقم: "38" فهو نموذج من نماذج التقارير التى تبين العائدات المالية من بيع كتب).

2- مساهمات الأعضاء كل حسب طاقته وحسب ظروفه، ولا تقبل أى مساهمة من أى شخص من خارج العضوية فى حركة الإخوان الجمهوريين، مهما كانت صلة قرابته أو درجة صداقته. ويذكر على أحمد إبراهيم قائلاً: "إن المرة الوحيدة التى قبلت فيها عينية، كانت من أحد الأصدقاء حيث حضر جلسة للإخوان الجمهوريين فى صالون الأستاذ محمود، فى صيف غائط ولاحظ الصديق عدم وجود مراوح فأعلن عن تبرعه بمروحتين، فقبلتا منه، وظلتا فى الصالون. أما غرفة الأستاذ محمود فلم تكن فيها مروحة، وكان يقول: "العارف مناخو داخلى" (1).

أما الصرف على منزل الأستاذ محمود فكان يتم من العائد المالى من بيع الكتب فقط، وليس من مساهمات العضوية. كان الأستاذ محمود حينما سأل عن مهنته فى محاكمة بورتسودان الشهيرة عام 1975، أجاب بأن مهنته مؤلف (2). وحتى الأموال العائدة من تأليف الكتب لم تكن لأسرة الأستاذ محمود وتلاميذه وإنما هناك أطراف أخرى. فأموال الكتب كما تقول بتول مختار: "كل أموال الكتب كانت تصرف مساعدات للفقراء وقليل منها لمنزله" (3). كانت هناك خزينة مال بيع الكتب، وخزينة أخرى لمساهمات الأعضاء، ولا يجمع بين الخزينتين (4). تقول بتول مختار محمد طه: "كان يطلب منى أن أسجل يومياً احتياجات المنزل بعد التشاور مع من تقوم بالعمل فى ذلك اليوم.. وكنت أحصل من مسئول المال على المبلغ الذى قد عرضته عليه" (5). وتضيف بتول قائلة: "أحياناً يتعدى الصرف المبلغ المحدد وذلك لكثرة الضيوف الذين يأتون من غير سابق ميعاد، ومع ذلك كان يشدد على أن لا أسرف فى الصرف على الطعام ويقول لى: "إن أموال الكتب هذه ليست ملكنا وحدنا ويجب أن نكون أقل الناس صرفاً منها" (6). ولذلك

(1) مقابلة مع على أحمد إبراهيم (شيخ على)، مصدر سابق.

(2) مقابلة مع ياسر الشريف، تمت المقابلة عبر الهاتف، المؤلف فى قطر وباسر فى ألمانيا، بتاريخ 22 أكتوبر 2012، الساعة 20:00.

(3) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 428.

(4) مقابلة مع على أحمد إبراهيم (شيخ على)، مصدر سابق.

(5) بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 122.

(6) المصدر السابق، ص 122.

كان صرفنا دائماً يقف في الحد الأدنى، حينما كان الصرف أكثر على المحتاجين والفقراء الذين يؤمّنون منزله كثيراً، كان له أسلوب معين في تقديم المساعدة للمحتاجين، لا يعطى من يسأله أمام الناس بل ينهض ليودعه خارج المنزل، وفي الطريق يقدم له ظرفاً بداخله المبلغ الذى يريد أن يعطيه إياه"⁽¹⁾. وحينما تفرغ خزانة الكتب كما حدث فى إحدى المرات، فإن الأستاذ محمود يعلن التقشف فى المنزل، حكى لى على أحمد إبراهيم قائلاً: "إنه فى مرة من المرات، طلب الأستاذ محمود من خزانة الكتب، مبلغ خمسة جنيهات لمصاريف المنزل، فرد محمد سالم بعشر وكان وقتها هو أمين مال الكتب، بأن الخزانة خاوية، فأعلن الأستاذ محمود حالة التقشف، وأوقف الشاى كلية"⁽²⁾.

الشاهد أن ضخامة نشاط الإخوان الجمهوريين، وتفرد تجربتهم، وضخامة حجم عملهم وإنتاجهم، أدهش الأعداء فسعوا لتشويه الفكرة وتاريخها وسيرة صاحبها، وهذا ديدن أصحاب الكسل الذهني فإنهم يقابلون النشاط والحيوية بالتقليل من الشأن والتشويه للنشاط. بيد أن الحقيقة والواقع إن تجربة الإخوان الجمهوريين، تجربة متفردة، وهى لم تدرس بعد، وحينما تدرس سيستخلص منها الناس عبراً ودروساً، وسينهل الناس منها من جديد علماً جديداً ومعارف لم تقل من قبل، مثلما نهل منها تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته من قبل ولا يزالون ينهلون. يقول خلف الله عبود: "قد نهلنا من علم لا يمكن أن نجده فى غير بيت الأستاذ محمود المصنوع من الجالوص فى ذلك الوقت... الغرب أن الأستاذ الصلحي هو أول من نبهنا للأستاذ محمود بقوله ذات يوم ونحن نجلس فى أستوديو التلوين: " فى أمدردمان فى بيوت الجالوص، فى ناس عندهم علم وتحقيق لا يمكنكم أن تتخيلوه... فى الأستاذ محمود محمد طه وإبراهيم قرنى قاعد يمشى هناك"⁽³⁾.

(1) المصدر السابق، ص 122.

(2) مقابلة مع على أحمد إبراهيم (شيخ على)، مصدر سابق.

(3) خلف الله عبود، ضمن خيط أحمد سيد أحمد، "كلية الفنون وشريط الذكريات"، من موقع سودان للجميع، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/1/27، الموقع على الإنترنت: www://sudan-forall.org

الباب الثالث

الفهم الجديد للإسلام ومؤامرات التحالف الإسلامي ومحكمة الردة والشراكة فى الاغتيال

وهناك ميزة لا تجارى فى الإسلام وإن كانت هذه الميزة مجهولة من كثيرين، بل إن أكثر الناس يعرف للإسلام عكسها تماماً.. تلك الميزة هى حرية الفكر.. إنه لا يجارى فى هذا المضمار.. وشعار الإسلام وهو شهادة "لا إله إلا الله" لا تعنى شيئاً أكثر من هذا.. فإنها تقول أن ليس فى جميع العوالم شىء هو حق مائة فى المائة إلا الله، ومن ثم فإن التعصب لأى رأى أو معتقد أو عادة تعصباً يمنع التفكير فى احتمال غيرها هو جهل وغباء، وهذا هو السر فى صياغة الشهادة بصورة تجمع بين النفى والإثبات "لا إله إلا الله"، فكان كل ما عدا الله يحوى الحق والباطل فى إطار واحد.. ففى كل حق نسبة من الباطل وفى كل باطل نسبة من الحق مما يجعل الرجل العاقل يفكر مرات ومرات قبل أن يجزم بصحة ما يرى هو جزءاً يجعله يزرى بمعتقدات غيره وهو مطمئن كل الاطمئنان..

محمود محمد طه، أمدردمان، الثلاثاء 21 أكتوبر 1958

الفصل الثامن

8

.....
محكمة الردة الأولى 1968

والعجز الفكري

.....
تحالف الساسة والفقهاء والانتقال بالمواجهة من

سوح الحوار الفكري إلى الصعيد الرسمي

وقصة احترام الدين، قد ظهرت بظهور طبقة (رجال الدين).. وذلك أمر منيت به كل الأديان وأكتوت بناره كل الشعوب.. وقد أسهم عندنا هنا فى السودان بنصيب وافر فى تعطيل الطاقات الحيوية من أبناء هذه البلاد، الذين فقدوا ثقتهم فى الدين والتمسوا هداهم عند سواه، حين حكموا عليه بأقوال وأعمال (رجال الدين) الذين طوعوه سبياً من أسباب الرزق، يلتمسون به هوى الحكام ورضاء الأغنياء... لسنا بصدد اجترار ذكريات الماضى أو تسجيل التاريخ، وإنما نحن فى الحقيقة بسبيل من مواجهة صور ذلك الماضى البغيض التى لا نزال نحمل أثقالها، وقد تجسدت أماننا فى هيكل الشؤون الدينية، كأكبر عقبة أمام حركة التغيير الاجتماعى الذى نحن بسبيله، وقد جمعت بقدرة قادر -كما يقولون- بين فقهاء الطائفية وأنصار السنة والإخوان المسلمين⁽¹⁾.

سعيد الطيب شايب

(1) سعيد الطيب شايب، قضايا كوستى: هدية لشعبنا لكيلا يخدع من حقيقة من يتصدون لتعليمه دينه، مصدر سابق، ص 6-7.

إن الحرج الذى تعرض له العقل والوجدان بوقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود محمد طه أمام القضاء الشرعى لهو حرج فى أفئدة كل الذين يريدون لبلادنا أن تستظل بالحوار وأن تسترشد بالحجة والبيان وأن يسان العقل من الاستعلاء والاستعداد⁽¹⁾.

تجمع الكُتاب والفنانين التقدميين "أبادماك"، 1969

لقد واجه الأستاذ محمود، على المستوى الرسمى، الحكم بالردة عن الإسلام مرتين. المرة الأولى كانت فى يوم 18 نوفمبر 1968، والمرة الثانية فى يناير 1985. فى المرة الثانية تبع صدور الحكم بالردة عن الإسلام، تنفيذ الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985. وبرغم المساحة الزمنية التى تفصل بين المحكمتين، وهى ستة عشر عاماً، إلا أن محكمة يناير 1985 استدعت فى رحلة حكمها، الحكم الصادر من محكمة الردة الأولى نوفمبر 1968. فالمحكمة الأولى مثلت السابقة التى بُنيت عليها المحكمة الثانية عام 1985، والتى سيأتى الحديث عنها لاحقاً. الشاهد فى الأمر أن حقائق أولية تقفز، وأسئلة عديدة تبرز، بمجرد ذكر محكمة الردة الأولى التى حكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام فى يوم 18 نوفمبر 1968. فمن الحقائق الأولية أن المحاكمة تمت فى ظل حكم نظام ديمقراطى نيابى تعددى، جاء بعد ثورة 21 أكتوبر الشعبية، التى أطاحت بنظام حكم عسكرى فى السودان عام 1964. كما أن المحاكمة تمت فى بلد يتميز بتعدد ثقافى

(1) من نص بيان تجمع الكُتاب والفنانين التقدميين "أبادماك". صدر البيان بتوقيع واحد وسبعين كاتباً نشر بالصحف اليومية السودانية ومجلة بيروتية. أنظر ملحق رقم (36): نص قرار تجمع الكُتاب والفنانين التقدميين "أبادماك".

ويتمتع بتنوع ديني قوامه: الإسلام والمسيحية وكريم المعتقدات الإفريقية، ويتسم كل دين من هذه الأديان بتنوع في داخله من حيث معتنقيه ومعتقداته ومدارسه الفكرية. أيضاً تمت المحاكمة في بلد شهد تعدد التصوف الإسلامي على أراضيه منذ خمسة قرون، وتجذر التصوف في المزاج الديني وفي التكوين الفكري والوجداني لشعوبه، حتى "أن التصوف وتصوف (الفقرا) بوجه أخص كاد يقوم مقام الدين نفسه في الفترة السنارية، ومن ثم يشكل المزاج الديني للسودانيين"⁽¹⁾. يضاف إلى ذلك أن هذه المحاكمة مثلت سابقة خطيرة في تاريخ السودان، ومن ثم تحكمت في مساره ومستقبله.

أما الأسئلة التي تقفز بمجرد ذكر محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام في عام 1968، فهي عديدة منها: ما هي قصة محكمة الردة الأولى؟ وما هو المناخ العام الداخلي والخارجي الذي ساهم في عقدها؟ وما هي أسبابها ودوافعها؟ ولماذا كانت المحاكمة أصلاً، والأستاذ محمود كان يرفع بسلام راية الحوار الفكري والسجال الديني؟ هل تعبر المحكمة عن أزمة يعيشها الفكر الإسلامي ودعائه ووعاظه ومفكروه؟ هل كانت المحاكمة محاكمة دينية أم محاكمة سياسية؟ وهل كانت الدوافع السياسية للمحاكمة دوافع داخلية أم هناك دوافع خارجية؟ وهل كان للمعهد العلمي بأمدردمان - جامعة أمدردمان الإسلامية لاحقاً، دور في المحاكمة؟ هل كان فقهاء السودان أصلاً في نقدهم للأستاذ محمود؟ وهل كانوا أصلاً في فكرة دفعهم للمواجهة مع الأستاذ محمود لتكون مواجهة رسمية عبر المحكمة بدلاً عن مواجهة فكرية؟ ما هو دور الوعاظ والفقهاء المصريين؟ هل للأزهر صلة ودور في المحاكمة؟ هل هناك صلة بين محكمة الردة وموقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952 في مصر؟ هل هناك صلة بين محكمة الردة ورأي الأستاذ محمود في مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل)؟ هل هناك صلة بين محكمة الردة وموقف الأستاذ محمود من خطاب الرئيس جمال عبدالناصر ودعوته للقومية العربية؟ هل كانت مصر الرسمية تتربص بالأستاذ محمود؟ هل تمت المحاكمة عبر تحالف بين الفقهاء والسلطة السياسية؟ هل كان لمصر دور في المحكمة؟ هل استجاب الشعب لحكم

(1) محمد الواصل، الشعر السوداني في القرن العشرين، آراء وقصائد مختارة، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2009، ص 15.

القضاء بردة الأستاذ محمود عن الإسلام؟ هل كان القضاء يتوقعون أن يقوم الشعب السوداني بتنفيذ الحكم بمجرد نطقهم بالردة عن الإسلام؟. الأسئلة كثيرة وهناك غيرها، إذ أن أمر محكمة الردة الأولى كان أمراً جليلاً وترتبت عليه الكثير من التبعات بل تحكم فى مسار السودان وفى مستقبله.

سأحاول الإجابة على هذه الأسئلة، بيد أنى أبادر وأقرر هنا، بأنه لا يمكن دراسة محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام فى عام 1968 بمعزل عن دور المعهد العلمى بأمدرمان، (أزهر السودان) وموقف مشايخه من الأستاذ محمود، ومن كل مبادرة خلاقة، ومن ثم لا يمكن دراستها بمعزل عن دور الأزهر وشيوخه المقيمين فى السودان والمبتعثين إليه. كذلك لا يمكن دراسة محكمة الردة بمعزل عن أزمة الفكر الإسلامى، وبمعزل عن هيمنة الفقهاء وتمكن سلطتهم فى السودان، وتحالفهم مع الأحزاب التقليدية والسلفيين فى سعيهم للإتيان بالدستور الإسلامى. ولا يمكن أن تدرس محكمة الردة بمعزل عن دور مصر الرسمية برئاسة جمال عبدالناصر. ومع ذلك فإنه لا يمكن دراسة محكمة الردة بمعزل عن موقف الطائفية من الأستاذ محمود وكذلك المثقفين فى السودان، ولا يمكن دراستها كذلك بمعزل عن واقعة حل الحزب الشيوعى السودانى وطرد نوابه من البرلمان عام 1965. لهذا فإننى سأستصحب معى كل هذه المعطيات فى محاولتى للإجابة على الأسئلة آنفة الذكر. ستكون معالجتى، بالإضافة لهذا الفصل، من خلال ثلاثة فصول، هى:

الفصل التاسع: "الأستاذ محمود ومعهد أمدرمان العلمى (أزهر السودان)".

الفصل العاشر: "الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبد الناصر ومحكمة الردة 1968"

الفصل الحادى عشر: "سنوات حكم نميرى، والشرافة فى الاغتيال يوم 18 يناير

عام 1985"

يوم الفرع الفكرى وإظلام الأرض وتضليل العقول

محكمة الردة لم تكن إلا بداية المواجهة بيننا وبين الفقهاء. وطويلة المسألة وكان فيها مواجهة فى محاضرات ومواجهة فى الصحف. وكان دعوتنا إليهم دائماً أن

تكون فى لقاءات لنصل لحقيقة ما هم ونحن بصده. لم يتفق هذا الأمر إلا فى أوقات قليلة ثم انقطع الاتصال⁽¹⁾.

محمود محمد طه

فى نهار يوم الاثنين 18 نوفمبر 1968، شهدت سماء الخرطوم ولأول مرة فى تاريخ السودان، صدور حكم شرعى بردة مفكر إسلامى عن دين الإسلام. صدر الحكم الشرعى من محكمة الخرطوم العليا الشرعية، برئاسة القاضى توفيق أحمد صديق، عضو محكمة الاستئناف العليا الشرعية المنتدب للنظر والفصل فى الدعوى - القضية رقم 1968/1035 - المقدمة من الأمين داؤد محمد وحسين محمد زكى ضد الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى بطلب ردة المدعى عليه عن دين الإسلام. حكمت المحكمة بالحكم الشرعى:

حكماً غيائياً للمدعيين حسبة الأستاذين الأمين داؤد محمد هذا وحسين محمد زكى/ على/ المدعى عليه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى الغائب عن هذا المجلس بأنه مرتد عن الإسلام وأمرناه بالتوبة عن جميع الأقوال والأفعال التى أدت إلى رده. كما قررنا صرف النظر عن البنود من نمرة 2 إلى 6 من العريضة وهى من الأمور التى تتعلق وتترتب على الحكم بالردة وفهم الحاضران ذلك⁽²⁾.

كانت البنود التى صرفت المحكمة النظر عنها، من نمرة 2 إلى 6 من العريضة، هى: حل حزبه لخطورة دعوته، وإغلاق دار حزبه، وتطليق زوجته المسلمة، وإعلان بيان رده للناس، وألا يتحدث باسم الدين، ومؤاخذه من يأخذ بمذهبه، والصفح عن من تاب وأناب من أتباعه⁽³⁾. وبفيد خطاب صادر من رئاسة إدارة المحاكم بالخرطوم تحت النمرة: م أ ع / 10 / ق. تمييز / 1969 وموجهاً إلى السيد وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، كتبت إدارة المحاكم إلى السيد الوكيل قائلة: "ونفيدكم بأن هذا الحكم قد طلب تمييزه من قبل

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة)، مصدر سابق.

(2) "النشرة اليومية"، وكالة السودان للأنباء (سونا)، مصدر سابق، ص 2.

(3) "خبر اليوم: المحكمة الشرعية تصدر حكماً غيائياً بردة الأستاذ محمود محمد طه عن الإسلام"، صحيفة الأيام، العدد: 5498، بتاريخ 1968/11/19.

الأستاذين المذكورين أمام محكمة التمييز ثم شطب التمييز بتاريخ 1969/1/1 وأصبح الحكم الابتدائي قائماً⁽¹⁾.

رفض المثول أمام المحكمة وصلاحيات التكفير

ولكن الكبد ينفطر وتنشق الضلوع أسى وحسرة إذ نجىء المحكمة الشرعية العليا بحكم أبعد ما يكون عن اختصاصها.. بل كان حرياً أن تحكم بعدم الاختصاص فى مسألة هى اعلم من غيرها بإسلامية محمود محمد طه ولكن يقينى الذى لا شك فيه ولا ريب ان الحكم جاء متعجلاً وقد فاتته البحث والتدقيق وخامره سوء النية والتصور من جانب المدعين على المدعى عليه فجاء الحكم فظيراً قاصراً فى أمر هذه القضية ومجافياً لأبسط قواعد الاسلام⁽²⁾.

حلمى عبد الله

نشرت صحيفة الأيام فى صدر صفحتها الأولى فى يوم الأحد 17 نوفمبر 1968، أى قبل يوم من انعقاد المحكمة والنطق بالحكم، نشرت قائلة: "قال الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى للأيام أنه رفض أن يوقع على طلب محكمة الخرطوم الشرعية العليا له ليمثل أمامها يوم غد الاثنين"⁽³⁾. وأضافت الصحيفة قائلة: "وقال إن القضاة السودانيين لا يملكون أية صلاحيات لتكفير أى إنسان أو إعلان رده عن الإسلام. وقال الأستاذ محمود إن ما يدعون إليه الآن هو الشريعة المرحلية للإسلام وأن موقفهم نفسه يوضح أن مثل هذا الفهم لا يصلح لإنسانية القرن العشرين"⁽⁴⁾. وفى عدد اليوم الثانى الاثنين 1968/11/18، كتب بشير محمد سعيد (1926-1993) فى مدخل حوار أجراه مع الأستاذ محمود، كتب بشير قائلاً: "رد (الأستاذ محمود) الموظف الذى جاءه رداً (مهذباً) وقاطعاً.. حدثه أنه يرفض المثول أمام المحكمة"⁽⁵⁾.

(1) "النشرة اليومية"، وكالة السودان للأنباء (سونا)، مصدر سابق، ص 2.

(2) حلمى عبد الله، السودان الجديد، 1968/11/21.

(3) "محمود محمد طه يرفض المثول أمام المحكمة للرد على دعوى رده عن الإسلام"، صحيفة الأيام، العدد: 5496، بتاريخ 1968/11/17.

(4) "محمود محمد طه يرفض المثول أمام المحكمة للرد على دعوى رده عن الإسلام"، مصدر سابق.

(5) بشير محمد سعيد، "بين الدين والشريعة"، (حوار مع الأستاذ محمود محمد طه)، مصدر سابق.

بعد صدور حكم المحكمة صرح لصحيفة الأيام، قاضى المحكمة، الشيخ توفيق أحمد صديق، عضو محكمة الاستئناف الشرعية العليا ورئيس المحكمة قائلاً: إن المحكمة ستقوم بإعلان الحكم للأستاذ محمود محمد طه وله الحق فى المعارضة على الحكم فى 15 يوماً من إعلانه كما له أيضاً حق الاستئناف لمحكمة الاستئناف الشرعية العليا فى ظرف 30 يوماً⁽¹⁾. وأضافت الصحيفة قائلة وقال القاضى فى حيثياته "إن المحكمة استمعت إلى أقوال المدعين وقد جاءا بشهود أثبتوا ما يفيد براءة المدعى عليه... وقدما كتابين من كتبه. وقال القاضى أيضاً: وبما أن المدعى عليه عاقل وراشد وهو يلقى المحاضرات الواحدة تلو الأخرى فإن أقواله لا يقرأها ما أجمع عليه المسلمون من سالف الزمان من عهد النبى وعهد الصحابة"⁽²⁾.

يقول الإخوان الجمهوريون: قبل انعقاد محكمة الردة بأسبوعين اتصل المدعى الأول فى القضية (الأمين داؤود بأعضاء مجلس السيادة فى شأن هذه القضية وقد حصل من أحدهم، وهو (الفاضل البشرى) على خطاب بتاريخ 1968/11/3 وقد جاء فى ذلك الخطاب من العبارات المبتذلة ما لا يجوز إيراده هنا وقد ختمه بقوله وهو يعنى الأستاذ محمود: "أرجو أن يتخذ الإجراء الرادع ضده". كما اتصل هذا المدعى بقاضى القضاة (عبد الماجد أبو قصيصة) وبقاضى محكمة الردة (توفيق أحمد صديق) ووجد منهما قبولاً وموافقة على رفع قضيته، جاء كل هذا فى صفحة 45 الطبعة الثانية من كتاب المدعى الأول الذى اكتظ مهاترة وسباً للجمهوريين فكان عنواناً لإهدار القيم وامتهاناً لأمانة العلم. فى هذا الجو، ووسط هذا التحرك السلفى الطائفى قامت (مهزلة محكمة الردة)⁽³⁾. ويضيف الإخوان الجمهوريون قائلين: وفى يوم الاثنين 18 نوفمبر 1968 انعقدت مهزلة محكمة الردة واستمعت الى المدعين الأمين داؤود، وحسين محمد زكى وإلى شهودهما عطية محمد سعيد (أخ مسلم)، والزبير عبد المحمود (وهاي)، وعلى طالب الله (مرشد سابق للإخوان

(1) توفيق أحمد صديق، 'خبر اليوم: المحكمة الشرعية تصدر حكماً غيابياً براءة الأستاذ محمود محمد طه عن الإسلام"، صحيفة الأيام، العدد: 5498، بتاريخ الثلاثاء 1968/11/19، الخرطوم.

(2) المصدر السابق.

(3) الإخوان الجمهوريون، مهزلة محكمة الردة مكيلة سياسية: الخلفية التاريخية لمواقف: أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين، مصدر سابق، ص 6-11.

المسلمين)، وشوقي الأسد (فقيه)، واستغرقت أقوال المدعين وشهودهما ثلاث ساعات ثم رفعت المحكمة جلستها لمدة ثلاث ساعة فقط عادت بعده لتقرأ حيثيات حكمها التي لا تكفى مدة الثلاث ساعة حتى لكتابتها، مما يدل على أن الحكم كان جاهزاً ومعداً مسبقاً!!⁽¹⁾.

أكبر قضايا القرن العشرين تحسم فى أقل من الزمن الذى تحسم فيه أصغر القضايا

محمود محمد طه لوثر القرن العشرين، ثورته الحققة تُفزع السلفيين: رأى فى أفكار محمود أنها تمثل ثورة دينية حققة ومن هنا كان خطرها على الهيئات الدينية الحاضرة سواء كانت رسمية أو اجتماعية... وأفكار محمود تهدف إلى نبذ الوصاية حتى لا يلغى عقل الإنسان ويساق بالإشارة فتتمحى شخصيته ويذوب كيانه⁽²⁾.

محمد زاكى

أثار الحكم الجائر الذى صدر ضد الأستاذ محمود ردود أفعال واسعة، فقد جاء فى صحيفة الأيام بتاريخ 19 نوفمبر 1968، أن قضية شرعية سترفع اليوم باسم السيد محمود جاد كريم وعدد من المحامين يطالبون بإلغاء الحكم الذى صدر⁽³⁾. وقال محمد إبراهيم خليل المحامى: "إن المحكمة الشرعية العليا ليس من اختصاصها إصدار حكم بردة أى إنسان من الإسلام"⁽⁴⁾. وأضاف محمد إبراهيم خليل المحامى قائلاً: "إن المحاكم الشرعية تأسست تحت قانون محاكم السودان الشرعية لسنة 1902 وأن اختصاصات هذه المحاكم منصوص عنها فى المادة السادسة من القانون المذكور وهى: مواضع الزواج والطلاق والحضانة والوصاية والوقف والهبة وما إلى ذلك من هذه المسائل التى تتعلق بالأحوال الشخصية"⁽⁵⁾. وأضاف محمد إبراهيم خليل المحامى للصحيفة قائلاً: أما فيما عدا ذلك فإن المحاكم الشرعية يمكنها أن تنظر فى أى نزاع غير

(1) الإخوان الجمهوريون، مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية: الخلفية التاريخية لمواقف: أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين، مصدر سابق، ص 7-11.

(2) محمد زاكى، "محمود محمد طه لوثر القرن العشرين"، صحيفة السودان الجديد، بتاريخ 1968/12/31.

(3) "محام كبير يقول: ليس هذا اختصاصها والحزب يرفع دعوى دستورية"، صحيفة الأيام، العدد: 5499، بتاريخ الأربعاء 1968/11/20، الخرطوم.

(4) محمد إبراهيم خليل، مصدر سابق.

(5) المصدر السابق.

هذه الأشياء المنصوص عنها صراحة في القانون على شريطة أن يتقدم الطرفان بطلب كتابي مهور بامضائهما إلى المحكمة طالبين منها أن تقضى في النزاع الناشئ بينهما وأن يعلننا في هذا الطلب التزامهما بحكم الشريعة الإسلامية⁽¹⁾. وكتب حلمي عبد الله بالإضافة لما ورد في صدر هذا المحور، كتب حلمي قائلاً: "أما أن تعرض وقائع القضية ثم بعد ذلك ترفع الجلسة لمدة عشرين دقيقة يتلى بعدها الحكم بردة مواطن مسلم فهذا لعمرى أمر استنكره ويستنكره كل حادب على أمر ديننا الحنيف"⁽²⁾.

الفقهاء والانتقال بالمواجهة من مواجهة فكرية إلى مواجهة رسمية

ولن يؤثر هذا الحكم على شخص محمود وآرائه التي تدعو إلى الحرية والرجوع إلى الإسلام وتنقيته من الشوائب التي لحقت به ممن يسمون أنفسهم رجال الدين... اللهم إن كان محمود مرتداً فأنا ثاني المرتدين، وإن كان المرتدون غيره فانت أولى بهم⁽³⁾.

حسن بابكر الحاج على الحسين (1975-1908)

كشف الحكم الصادر عن محكمة الخرطوم العليا الشرعية، بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، بجلاء عن حالة العجز الفكري للفقهاء ورجال الدين الإسلامي، وأفصح بوضوح عن ما ينطوي عليه مستقبل دولة ما بعد الاستقلال في السودان، كما مثل الحكم نفساً باكراً وعلى المستوى الرسمي لقيمة التسامح الموروثة في بلد لا شيء يميزه عن غيره من بلدان العالم، سوى التعدد والتنوع الثقافي. ذلك لأن الحكم عبّر عن لحظة انتقال الفقهاء بالمواجهة مع الأستاذ محمود، من المواجهة الفكرية حيث السجال والغربة للأفكار إلى المواجهة الرسمية حيث السلطة وإقامة التحالفات بين رجال الدين والسياسة. يقول الأستاذ محمود: "عندما جاءت محكمة الردة بطبيعة الحال ما كانت مواجهة في المستوى الذي كنا نريده، كنا نريد أن تكون هناك مواجهة فكرية لغربة الأفكار ولنقاش المسائل

(1) المصدر السابق.

(2) حلمي عبد الله، السودان الجديد، 1968/11/21.

(3) حسن بابكر الحاج على الحسين، "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين"، صحيفة الأيام، العدد: 5517، بتاريخ 1968/12/11، الخرطوم.

الهامة فى الدين حتى يظهر الحق على الباطل" (1). كان لجوء الفقهاء إلى المحكمة تعبيراً قوياً عن عجزهم فى مواجهة الأستاذ محمود فكراً فذهبوا بالمواجهة إلى الصعيد الرسمى، يقول الأستاذ محمود: "ومسألة محكمة الردة كانت مواجهة فى الصعيد الرسمى لتسكت صوت الحزب الجمهورى، ولكن الأمر جاء بعكس ما أراد الرجال الرسمىون بتمثيلهم فى محكمة الردة" (2). بعض الرسمىين كان تفكيرهم مثل تفكير القضاة، أرادوا القضاء على الحزب الجمهورى، وأرادوا تضليل الشعب، واستغلال حبه للدين، ومن ثم الإيحاء للشعب بتنفيذ الحكم الصادر من المحكمة. يقول الأستاذ محمود: "فى ناس تفكيرهم وتفكير القضاة حاجة واحدة وهم مسرورين جداً لمسألة محكمة الردة، وبفكروا إنو محكمة الردة بتقضى على الحزب الجمهورى، لكن دى جهالة كبيرة منهم" (3). ثم يبين الأستاذ محمود مصدر هذه الجهالة، قائلاً: "الجهالة جاءت من القضاة. القضاة كانوا يفتكروا إنو لما يصدر الحكم ده، الشعب بيكفيهم مهمة التنفيذ. هم كانوا يفتكروا كدا. العكس حصل. دا لأنو هم ما عايشين مع الشعب وما يعرفوا حقائق أنفسهم يفتكروا أنهم مطاعين" (4). كان دور الرسمىين واضحاً، وكذلك الأحزاب الطائفية التى كانت تشكل الحكومة الديمقراطية آنئذ، يقول حيدر إبراهيم على: "شجع المؤسسة الدينية الذهاب فى اتجاه الارهاب الفكرى، وجود حكومة طائفية على سدة الحكم. إذ قبل سنوات قليلة أعلن مصطفى حامد الأمين خروجه من الإسلام واعتناقه البوذية. ولم يحاكم، ليس لغياب الحماية الدينية ولكن الأجواء كانت متسامحة" (5). لقد كان الإعداد والترتيب للمحكمة قبل انعقادها، فقد تحدث الإخوان الجمهوريون (6) عن الكيد والمؤامرات التى كانت تتم فى الخفاء، فأوردوا خبراً نشر فى جريدة الرأى العام بتاريخ 1968/11/14، تقول الصحيفة:

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

(5) حيدر إبراهيم على، "الخفاض الفرعونى لعقل المثقف السودانى"، صحيفة الراكوبة على الإنترنت، استرجاع

(Retrieved) بتاريخ 2012/6/22، الموقع على الإنترنت: <http://www.alrakoba.net>

(6) الإخوان الجمهوريون، مهزلة محكمة الردة مكيده سياسية: الخلفية التاريخية لمواقف: أ. السياسيين التقليديين

ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين، مصدر سابق، ص 8-11.

جاءنا من القصر الجمهوري أن السيد الرئيس إسماعيل الأزهرى ينفى جملة وتفصيلاً أنه تدخل فى موضوع محاضرة الاستاذ محمود محمد طه بمعهد المعلمين العالى ويؤكد أنه ليست له علاقة لا من قريب ولا من بعيد بهذا الامر وأنه لم يسمع بالمحاضرة إلا من الخبر الذى أوردته (صحيفة الراى العام امس).. "وفى نفس الوقت جاءنا من وزارة التربية والتعليم أن السيد رئيس مجلس السيادة لم يصدر أى تعليمات لمنع المحاضرة المذكورة وكل الذى حدث هو أن فضيلة مولانا قاضى قضاة السودان بعث بخطاب الى السادة رئيس وأعضاء مجلس السيادة بصورة لوزارة التربية والتعليم وسلطات الأمن ينصح فيها بعدم تقديم المحاضرة خشية أن يكون فيها ما يثير المسلمين" .. "وتقول الوزارة أنها اتصلت من جانبها دون إيعاز من مجلس السيادة الموقر بالسيد عميد معهد المعلمين العالى لإبلاغ الطلاب مقدّمى الندوة باحتمال إثارة الأمن". وتمضى [الراى العام] فتقول بعد هذا: "ونود أن نؤكد أن العميد بالإجابة قد اجتمع بالطلاب وأبلغهم اعتراض الرئيس الأزهرى على المحاضرة - وطلب منهم إلغائها وأنهم قد أصروا على تقديمها، وقدموها بالفعل..."

مهزلة محكمة الردة واستمرار المواجهة

التقيت أمس بالسيد محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى، وهو من كبار رجالات الفكر والعلم والأخلاق فى بلادنا. التقيت به على إثر الأمر الذى وجهته له محكمة الخرطوم الشرعية العليا للمثول أمامها لمواجهة أشبع اتهام يوجه لمسلم، الردة، وكان محمود كعهدنا به أكبر من أن يهزه مثل هذا الموقف وهذا التصرف تجاهه (1).

بشير محمد سعيد (1921-1995)

فور صدور حكم المحكمة، وفى اليوم الثانى من المحاكمة 1968/11/19 أصدر الأستاذ محمود البيان ثمة (1)، وسم الأستاذ المحكمة بالمهزلة، مهزلة القضاة الشرعيين، ومهزلة محكمة الردة، قال فى بيانه، وقد وردت الإشارة للبيان أنفاً، قال الأستاذ محمود: "ولكن لا

(1) بشير محمد سعيد، "بين الدين والشرعية"، (حوار مع محمود محمد طه)، صحيفة الأيام، العدد: 5497، بتاريخ 1968/11/18.

بأس، فإن من جهلّ العزيز لا يُعزّه!! ومتى عرف القضاة الشرعيون رجولة الرجال، وعزة الأحرار، وصمود أصحاب الأفكار؟؟ إن القضاة الشرعيين لا يعرفون حقيقة أنفسهم...⁽¹⁾. وعن موقفه من حكم المحكمة يقول الأستاذ محمود: "والآن فإننى، بكل كرامة، أرفض هذه المهانة التى لا تليق بى، ولا يمكن أن توجه إلى ولا يمكن أن تعينى بحال.. فقد كنت أول، وأصلب، من قاوم الإرهاب الاستعماري فى هذه البلاد.. وقد فعلت ذلك حين كان القضاة الشرعيون يلعبون جزم الإنجليز...". (أنظر ملحق رقم: "39"، بيان غمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين). بعد ذلك قاد الأستاذ محمود وتلاميذه مواجهة واسعة ومستمرة، مع الفقهاء السودانيين والساسة والفقهاء المصريين عبر المحاضرات ونشر المقالات والكتب، وستأتى الإشارة لذلك. يقول الأستاذ محمود فى إحدى محاضراته بعد المحكمة، كانت بعنوان: "بيننا وبين محكمة الردة"، يقول الأستاذ محمود: "عنوان المحاضرة: بيننا وبين محكمة الردة، وده هو عنوان سلسلة من الكتيبات، صدر منها السفر الأول وفى النية متابعة إصدار بقاياها"⁽²⁾.

استمرت المواجهة، بكثافة وتوسع، وجعل الإخوان الجمهوريون من مرور ذكرى محكمة الردة 18 نوفمبر من كل عام، فرصة لاستمرار المواجهة الفكرية، وفرصة لتنوير الشعب وتنوير المثقفين بخطورة المنحى التكفيرى فى مسار الفكر الإنسانى. كما ظل الإخوان الجمهوريون يقدمون المعلومات عن المحكمة وتاريخها ودور الطائفية والأحزاب السلفية فى تدبيرها، وأطلقوا على المحكمة، مهزلة محكمة الردة، يقول الإخوان الجمهوريون فى واحد من سلسلة كتبهم عن محكمة الردة الأولى: "لقد أسمىنا تلك المحكمة: (مهزلة محكمة الردة) ذلك أنها لم تقم إلا على الكذب والجهل والنفاق وهى قد سارت فى التأريخ سبة يلاحق عارها كل من أسهم فيها فى التخطيط أو التنفيذ". وأضافوا عن ملاحقة عار المحكمة قائلين: "بل إن عارها ليعلق حتى بالذين صمتوا عن إدانتها وكشفها. فهى لم تكن مشرفة قط لأى أحد ينتسب للدين والثقافة فى هذا القرن العشرين

(1) المصدر: محمود محمد طه، "بيان غمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين"، دار الوثائق القومية، أحزاب 41/112، الخرطوم.

(2) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، مصدر سابق.

الذى خلف وراءه ظلام القرون الوسطى وما كان يصيب الفكر والمفكرين من المهانة ومن التقتيل⁽¹⁾. ثم تحدث الإخوان الجمهوريون عن أن المحكمة لم تنشأ من فراغ وإنما لها تاريخ طويل: "إن تلك المهزلة لم تنشأ فى فراغ ولا هى قامت بعسوية وإنما وراء قيامها تأريخ طويل من مواجهة الفكر الجمهورى للطائفية وللأحزاب السلفية التى دبرت قيام تلك المحكمة لتسكت بها صوت الجمهوريين ولتخلص من مواجهتهم لها وكشفهم لزيغها وتضليلها لشعبنا"⁽²⁾. ثم تحدث كتاب الإخوان الجمهوريين عن استغلال الطائفية والأحزاب السلفية للقضاة الشرعيين، قائلاً: "فاستغلت القضاة الشرعيين لتنفيذ هذه المكيدة السياسية الرخيصة. ولقد كان الفقهاء والقضاة الشرعيون عبر التاريخ وفى كل البلاد الإسلامية مطمعا للحكام لإفتائهم بما تهوى أنفسهم وكانوا مطايا لهم لتحقيق أغراضهم السياسية ومصالحهم الدنيوية"⁽³⁾. ثم تناول الكتاب محكمة الخرطوم الشرعية العليا، ودور قاضيتها ورئيس القضاء والمفتى قائلاً: "فلم تكن إذن محكمة الخرطوم الشرعية العليا ولم يكن قاضيتها ولا رئيس القضاء ولا المفتى بدعاً وإنما هم قد قاموا بدورهم الطبيعى الذى أهلهم وأعدهم له وضعهم التاريخى وحظهم الضحل من ثقافة العصر ومن العلم بحقائق الدين .. وقد بدأت مواجهة الجمهوريين للاستعمار والطائفية ولأحزابها السلفية ولمن يسمون (برجال الدين) منذ عام 1945 عندما نشأ الحزب الجمهورى.. فهو موقف مبدئى من هؤلاء جميعاً"⁽⁴⁾.

الأستاذ محمود والطائفية وطلائع المتعلمين

محمودُ بَرَكَ العَليمُ من الهوى وأحقَّ فيكَ على الحياةِ دليلاً
الفجرُ أنتَ على النفوسِ ولم يكن بسواكَ نورٌ هدايةً مكفولاً
أنتَ الغياثُ لموطِنِ أبنائِهِ تَرَكوهُ بَينَ عُيونِهِم مَحذولاً

(1) الإخوان الجمهوريون، مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية: الخلفية التاريخية لمواقف: أ. السياسيين التقليديين

ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين، مصدر سابق، ص 4-6.

(2) المصدر السابق، ص 5-7.

(3) المصدر السابق، ص 5-7.

(4) المصدر السابق، ص 5-7، ص 4-6.

أُنْبَتَ فِي النَّهْرِ الْبَطُولَةَ إِنَّهُ كَالنَّهْرِ فِي خَلْدِ الْقُرُونِ الْأُولَى (1)

الشاعر محمد المهدي المجذوب (1918-1982)

أوردت في الفصول السابقة، خاصة في الفصلين الرابع والخامس من الباب الثاني، أوردت بشيء من التفصيل موقف الأستاذ محمود من الطائفية، ومن المثقفين من طلائع المتعلمين، ومن مؤتمر الخريجين، ومن الحركة الوطنية ومن الأحزاب السياسية. لقد كان للأستاذ محمود موقف واضح من الطائفية. فقد وصفها بالبغيضة، وأشار إلى أنها جمدت حركة التغيير، ودعا إلى عزلها من الحركة الوطنية، واستمر هذا الموقف دون تغيير أو تهذبة في النقد منذ عام 1945. كما عاب الأستاذ محمود على المثقفين من طلائع المتعلمين، لهائهم وراء الطائفية، كما نقد وبشده تحالفهم مع الطائفية. كما رفض منهج مؤتمر الخريجين في النضال ضد المستعمر، ورفض تراخي الحركة الوطنية في مواجهة الإنجليز، وعاب على المثقفين أسلوب المذكرات الذي أخذوا به، ووصفه بأنها يخدم إشراك الشعب في النضال ضد المستعمر، وإن إشراك الشعب يجعل للاستقلال معنى، ويحقق فرص البناء الوطني الجماعي. نقد الأستاذ محمود المثقفين، ونشر سफراً بعنوان: **خيانة المثقفين**، كما ورد آنفاً، عاب فيه على رجال الحركة الوطنية "جهلهم وانصرافهم إلى التهريج الرخيص وتملقهم للجماهير واسترضاءهم رجال الطائفية ليضمّنوا السند الشعبي الطائفي الذي يحملهم على أكتافه إلى كراسي الحكم... الخ". كذلك نقد الأستاذ محمود الحركة الوطنية بشدة ووصفها بأنها تعيش في انعزال عن الشعب وقضاياها، وتتبادل المذكرات مع المستعمر بوصاية على الشعب وبدون تنوير له. ووصف الأحزاب بأنها: "جميعها طائفية.. تفكر تفكيراً طائفيّاً فتضلّل الناس وتستغلهم وتهمل مصالحهم وتجعل حكومتها سيدة للشعب لا خادمتها، وتهمل الدراسة وتحتقر العقول وتزيف القيم، ولا تتحدث عن الديمقراطية إلا كوسيلة إلى الكراسي ثم تنسى غداة فوزها وعودها للناخبين، وتذهب في حكمهم إما مذهب التضليل أو مذهب الكبت أو كليهما". كما اعترض الحزب الجمهوري على ما سموه بوثيقة الأحزاب... ووزع منشوراً في أواخر عام 1946 كان عنوانه "لماذا مصر ولماذا

(1) محمد المهدي المجذوب، "المجاهد"، (قصيدة)، ناز المجاذيب، (ديوان شعر)، مصدر سابق، ص 189-192. (أبيات متفرقة).

بريطانيا؟؟". وقال الأستاذ محمود: "ولقد نقدهم الحزب الجمهورى نقداً مرأ قوياً فى ذلك المنشور ونعى عليهم جهلهم وغفلتهم ثم واصل الحملة ضد جهل الحركة الوطنية ولا يزال يفعل إلى يومنا هذا كلما وجد إلى ذلك سبيلاً".

عاب الأستاذ محمود على كل قادة الحركة الوطنية بشقيها: الاستقلالى والوحدوى (جماعة الأشقاء وجماعة الأمة) صراعاتهم وانقساماتهم ونهجهم المساوم ومسلكتهم الناعم فى النضال من أجل الاستقلال. ونبه إلى خطورة آثار تلك الانقسامات، وإلى خطورة انعكاسات النهج المساوم والناعم فى النضال. عبر عن كل ذلك فى مناشير وبيانات كانت تُنشر فى مناسبات مختلفة، ولعل من أكثرها قوة ووضوحاً البيان الذى نشر فى يوم 18/2/1946، وقد وردت الإشارة إليه أيضاً سابقاً، يقول الأستاذ محمود فى بعض البيان: "يا جماعة الأشقاء ويا جماعة الأمة - أيها القاسمون البلاد باسم الخدمة الوطنية - أيها القادحون قادحات الإحن بين أبناء الأمة - أيها المذكون ثائرات الشر والفرقة والقطيعة، أيها المرددون النعمة المشنومة - نعمة الطائفية البغيضة - إنكم لتوقرون أمتكم وقرأ يؤودها". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "يا هؤلاء، وهؤلاء، أنتم تلتمسون الحرية بالانتماء إلى المصريين فتتمسكون بأسباب رمام، وأنتم تلتمسون الملك بالبقاء تحت الإنجليز فتتهيأون لدور الهر الذى يحكى بانتفاخه صولة الضرغام.. أنتم تريدون إبقاء المصريين، وأنتم تريدون إبقاء الإنجليز، فإذا اجتمعت كلمتكم فإنما تجتمع على إبقاء المصريين والإنجليز معا". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "يا هؤلاء، وهؤلاء، أنتم تتمسحون بأعتاب المصريين لأنكم لاتقوون على مواقف الرجال الأشداء، وأنتم تتمسحون بأعتاب الإنجليز لأنكم صورتم المجد فى أخلاذكم صورا شوهاء.. أنتم تريدون السلامة، وأنتم تريدون الملك.. أنتم تضيعون البلاد لما تجبنون وأنتم تضيعون البلاد لما تطمعون.. أنتم تستغلون سيداً لايعرف ماتريدون، وأنتم يستغلکم سيد يعرف مايريد، والبلاد بينكم أنتم، وأنتم، على شفا مهواة ومهانة... يا هؤلاء، وهؤلاء - لأنتم أشأم على هذه البلاد من كل شؤم وشؤم". هذا إلى جانب نقد واسع ومستمر يمكن الوقوف عليه فى الفصلين الرابع والسادس، إلى جانب الفصول الأخرى.

الشاهد أن الأستاذ محمود كان ينشر نقده بقوة وباستمرار فى الصحف وفى البيانات

والكتب. كان الأستاذ محمود فى نقده لا ينطلق من ردة أفعال وإنما ينطلق من موضوعية محكمة بمواقف مبدئية من أجل السودان والإنسان، والحق أن جل ما حذر منه الأستاذ محمود، ونقده فى مسلك المثقفين والأحزاب قد وقع. واليوم فإن المتتبع لشأن السودان والدارس لمشروع الأستاذ محمود يدرك أن ما قال به الأستاذ محمود فى الأربعينيات والخمسينيات والستينيات، وما حذر منه قد وقع وحدث بالفعل. يمكن للقارئ الوقوف على هذه الحقائق من خلال التأمل فى الفصول: الثانى والرابع والخامس والسادس من هذا الكتاب، وكذلك الإشارات المتفرقة فى الفصول الأخرى. لم يكن أمر النقد كذلك عند طلائع المتعلمين، فقد عبروا عن موقفهم العدائى الجماعى من الأستاذ محمود، من خلال تجاهلهم له فى مذكراتهم، ومن خلال مواقفهم يوم محكمة الردة الأولى عام 1968. لهذا لا يمكن أن تقرأ محكمة الردة الأولى بمعزل عن حالة العداء الناتجة عن النقد الذى قدمه الأستاذ محمود، ولا يمكن أن تدرس محكمة الردة بمعزل عن مواقف الأستاذ محمود من الطائفية والمثقفين من طلائع المتعلمين وأحزابهم. فى يوم انعقاد المحكمة فى يوم 18 نوفمبر 1968، كان هؤلاء المثقفون من طلائع المتعلمين، هم حكام السودان، وكانوا يتربعون على عرش نظام الحكم، وهو نظام ديمقراطى تعددى نيابى جاؤوا إلى قبة برلمانهم من خلال تلك الأحزاب، التى نقدها الأستاذ محمود، ممثلين للشعب. من هذا الباب، وهناك أبواب أخرى تتقاطع فى مداخلها مع بعضها البعض، سأستعرضها بالطبع فى الصفحات القادمة، من هذا الباب فإن محكمة الردة الأولى كانت تصفية حسابات مع الأستاذ محمود، استخدم فيها السياسة والفقهاء الدوائر الرسمية، لأغراض سياسية، أكثر من كونها محاكمة دينية، بل ليست لها صلة بالدين أصلاً. لقد تحالف السياسة المثقفون من طلائع المتعلمين مع الفقهاء والقضاة الشرعيين، وما دروا أن فى تحالفهم من أجل محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، نفساً لقيم التسامح والتعايش، وحكماً على السودان بالعودة، ومن ثم قدموا سابقة تم استدعاؤها عام 1985 وبهذا فإنهم خربوا واقع السودان آنذاك، ودمروا مستقبله، كما تجلّى فى يوم 18 يناير 1985، وكما يتجلى الآن.

مفكر وفقهاء

وبدا كأئمة القلم المتميز الوحيد الذى دأب على الانطلاق من موقع الالتزام هو
قلم محمود محمد طه... (1)

حسن مكى

منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضى، والعقود التالية، كما ورد فى الفصول السابقة، ظل الأستاذ محمود يطرح آراءه وأفكاره، من خلال حركة إنتاج معرفى واسعة وفريدة وجديدة. قوامها تأليف الكتب ونشرها، وتوزيع البيانات والمناشير، وإرسال الخطابات، وتقديم المحاضرات. فى ذلك الوقت كان تأليف الكتب فى السودان فى قضايا الفكر والثقافة والحضارة أمراً نادراً حتى بين طلائع المتعلمين. صاحب حركة تأليف الكتب نشاط مكثف من الأستاذ محمود فى كتابة البيانات والمناشير وتوزيعها، وتوجيه الخطابات والرسائل إلى الحكام ورؤساء الدول، وإلى قادة المؤسسات المحلية والإقليمية والعالمية. ضمن الأستاذ محمود تلك البيانات والخطابات آراءه ومواقفه من القضايا والمشكلات المحلية والإقليمية والعالمية. اتسمت موضوعات كتب الأستاذ محمود بالتنوع والجدة والجرأة فى طرح القضايا إلى جانب العمق فى تناولها. وتناول فى كتبه ومحاضراته قضايا عديدة منها: الإسلام كمذهبية تبشر بتحقيق إنسانية الإنسان، قضايا الفكر، والحرية، والديمقراطية، والاشتراكية، والشيوعية، والقومية العربية، والمساواة الاجتماعية، والتغيير الاجتماعى، وتطور المجتمعات، والاقتصاد، والتعليم، والمرأة، والموسيقى، والفنون. وقدم فى كتبه ومحاضراته تحليلات علمية عميقة ووافرة لقضايا السودان، ومأزق الحضارة الغربية، وواقع المسلمين، ورجال الدين عبر العصور. ونادى فى كتبه بضرورة تقليد النبى محمد صلى الله عليه وسلم كمنهاج للسلوك الدينى، ودعا إلى تطوير التشريع الإسلامى.

طرح الأستاذ محمود مشروعه فى آفاقه الفكرية، والسياسية، والمعرفية، بعلم واسع، وحجة قوية، وبيان ناصع، وصبر على سوء الفهم والتخريج والقصد وانخفاض السقف المعرفى لدى

(1) حسن مكى، الحركة الإسلامية فى السودان 1969-1985: تاريخها وخطابها السياسى، الدار السودانية للكتب، 1999 ص 175-176.

معارضيه. لقد أحدث الاستاذ محمود من خلال حركة التأليف والنشر، ومنابر الحوار وأركان النقاش التي أقامها تلاميذه لاحقاً، في الجامعات والطرق العامة والميادين والحدائق ودور العلم والأحياء، ثورةً فكريةً نادرة الشبيه! من حيث وسائلها الجماهيرية وغزارة إنتاجها الفكرى. ففى كتابه: **الحركة الإسلامية فى السودان 1969-1985: تاريخها وخطابها السياسى**⁽¹⁾، تحدث البروفسير حسن مكى عن التطور الفكرى والثقافى للحركة الإسلامية السودانية. وأشار إلى أن خطابها قد أثر بعمق على حركة المجتمع السودانى، إلا أن حصيلتها الثقافية ظلت ضئيلة نشرأ وإنتاجاً.. وأرجع ذلك إلى طبيعة السودانيين الذين لم يشتهروا فى تاريخهم ولا حتى فى حاضرهم بتسويد الصفحات وكتابة المصنفات.. وأن إسهامات السودانيين بقيت محصورة فى مجال البحث العلمى المرتبط بنيل شهادة علمية أو درجة جامعية.. ولم يعرف فى تاريخ السودان المعاصر من كُتِبَ فى مجالات الفكر والثقافة والحضارة إلا صفوة الصفوة مثل: "جمال محمد أحمد، محمد أحمد المحجوب، منصور خالد، محمد عمر بشير، أبو القاسم حاج حمد..."⁽²⁾. حيث طغت روح الفكر العلمانى على توجهات هذا النفر وانعدمت محاولات التأصيل وضاعت الكينونة والهوية الإسلامية... كما نبغ عدد من السودانيين فى مجالات القصة والأدب والشعر "محمد المهدي مجذوب، الطيب صالح، مصطفى سند... إلخ"⁽³⁾.. وقد اهتمت طائفة من الكتاب السودانيين بدراسة جوانب الحضارة الإسلامية فى السودان "د. يوسف فضل، د. محمد إبراهيم أبوسليم، د. عبدالله الطيب، د. عون الشريف قاسم، د. مدثر عبد الرحيم"، إلا أن التجويد الأكاديمى طغى على كتاباتهم كما تحاشوا الكتابة من موقع الدعوة والالتزام، ثم اتبع مكى كل ذلك بشهادته عن قلم الأستاذ محمود والتي جاءت فى صدر هذا المحور.

الشاهد أن البون كان شاسعاً بين الأستاذ محمود وأنداده من طلائع المتعلمين، حينما دلفوا إلى ساحة العمل العام. لقد تمثل جل طلائع المتعلمين أحد نموذجين من النماذج الإرشادية، إما نموذج الرجل الإنجليزى بما ينطوى عليه من مسلك ومظهر وأشواق وآمال... إلخ، وإما

(1) حسن مكى، **الحركة الإسلامية فى السودان 1969-1985: تاريخها وخطابها السياسى**، مرجع سابق، ص 175-176.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

نموذج الفقيه الأزهرى (الأزهر/ القاهرة) بما ينطوى عليه من مسلك ومظهر وأشواق وآمال... إلخ. بينما كان الأستاذ محمود نموذج نفسه، بل ظل ينقد بشده النموذجين وينسف مكوناتهما الفكرية والحضارية سواء فى مكونات الحضارة الإنجليزية، الغربية، أو نفس المكونات والتكوين الفكرى والمعرفى لفقهاء الأزهر وفقهاء الإسلام بشكل عام. كان الأستاذ محمود قائداً سياسياً حراً، ومفكراً كبيراً، بينما كان معظم طلائع المتعلمين يدورون فى نشاطهم السياسى حول حركتى الاستقلالية والوحدوية، وأن كثيرين منهم دخل إلى ساحة العمل العام عبر بوابة الشعر العربى. وفوق تلك الميزات التى تميز بها الأستاذ محمود عن أنداده، كانت مواقفه وصلابته فى المواجهة. كان لا يساوم، ولا يهادن، ولا يقبل بالتسويات، أو أنصاف الحلول، منطلقاً فى ذلك، من رؤيته لإحداث التغيير وتحريك الإنسان. كما كان نشره للعدد الضخم من الكتب والمقالات، قد ميزه عن معاصريه بقدرات فائقة وإمكانات فكرية ضخمة. كتب محمد سعيد القدال قائلاً: "إن الأستاذ محمود يمتلك قدرات فكرية إذا ما قيس بالسياسيين المعاصرين له"⁽¹⁾. كان الأستاذ محمود مفكراً يمتلك عقلاً كبيراً ومذهلاً، فى نشاطه وحيويته، وقد تجلّى ذلك فى إنتاجه المعرفى الهائل كمأ وكيفاً. كتب معاوية نور (1909-1941) عام 1929، وهو يستعرض كتاب "فن التفكير" الذى وضعه باللغة الإنجليزية الكاتب الفرنسى "أرنست دمنت"، عن ما هو المفكر؟ قائلاً: المفكر هو الذى "يرى حيثما لا يرى الآخرون، والذى لا تقع عينه على خلاف ما تقع عليه الأعين، غير أنه يرى فيها ما لا يراه بقية الناظرين"⁽²⁾. شهد العلامة عبدالله الطيب (1921-2003)، كما ورد آنفاً، للأستاذ محمود بأن له ذكاءً فريداً، وكان مفكراً صنديداً، وشجاعاً نجيداً، وأديباً مجوداً، وخطيباً مؤثراً ومفوهاً. جاء ذلك فى قصيدته "مُصاب وحزن"، التى بكى بها الأستاذ محمود بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه عام 1985. وتحدث فى قصيدته عن سبق الأستاذ محمود للناس فى الآراء السياسية قائلاً:

وإنما كان فى الخصومة بالفكر لو الفكر وحده المنشودُ
سبق الناس فى السياسة رأياً حين فيها تفكيرهم محدودُ

(1) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820-1955، مرجع سابق، ص 495.

(2) معاوية محمد نور، الأعمال الأدبية لمعاوية محمد نور: دراسات فى الأدب والنقد وقصص وخواطر، مرجع سابق، ص 289-300.

الحسد والدسائس وإرث العداء للمبادرات الخلاقة

وويل لامة أوقفت نشاطها على حرب الأشخاص لا على حرب أعمالهم⁽¹⁾.

جمال محمد أحمد (1915-1986)، في عام 1935

ظل الأستاذ محمود محاصر، حصاراً عنيفاً، ومحارباً حرباً قاسية، تأذى من ذلك هو، وتلاميذه فيما بعد، ومشروعه، والسودان، والبشرية جمعاء. بدأ أنداد الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين حصاره والحرب عليه بدوافع عديدة. حسدوه فقادوا عليه حرباً شعواء. يتضح ذلك في مواقفهم تجاهه، ومن إغفالهم لذكره في مذكراتهم وسيرهم الذاتية، كما ورد في الفصل السادس عشر، والذي تناول: "الأستاذ محمود في مذكرات معاصريه". في الواقع أن العداء للمبادرات الخلاقة، وثقافة الدسائس والمكائد والأحقاد ومظاهر وسلوك الحسد بين المثقفين وفي دوائرهم، ومجالات نشاطاتهم، السياسية وغير السياسية، أمور لها تاريخ في السوح الفكرية والسياسية في السودان. وهي كذلك أمور لها إرث متراكم وتركه ضخمة لا تزال تتراكم وتتمدد ولا تزال سارية المفعول. كما أنها كانت موضع شكوى الكبار والتميزين من أصحاب المبادرات الخلاقة، كما كتب عنها الكثير من المهتمين.

أرجع محمد عمر بشير تفشى ظاهرة الحسد بين طلائع المتعلمين، إلى نوع التعليم الذي خضعوا له. وأشار إلى أن نمو اتجاه الحسد عندهم كان من مخلفات نوع التعليم الذي تلقوه، كتب محمد عمر بشير قائلاً: "والتعليم الذي حظى به المتعلمون لم يستطع أن يطور ملكاتهم النقدية. إذ خَلَفَ اتجاهاً عقلياً يبلغ في دركه الأسفل الحسد. وفي أحسن صوره إحساساً بالانحراف صوب السفسطة والرومانسية"⁽²⁾. كتب الأستاذ فتحي الضو مقالاً في حلقتين، بعنوان: "الحسد في السياسة السودانية"⁽³⁾. سعى الضو إلى تقصى ظاهرة الحسد في الممارسة السياسية السودانية، وطرح فيهما تساؤلات كثيرة، منها: هل ظاهرة الحسد في السودان حكراً على السياسة والسياسيين؟، أم أنها طغت وتجبرت وشملت جوانب أخرى

(1) جمال محمد أحمد، "مؤملات الزعامة بين العشائر والأمم"، مجلة كلية فهدون، العدد الثاني، المجلد الثاني، 21 ديسمبر 1935، الخرطوم، ص 6.

(2) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969)، مرجع سابق، ص 143-165.

(3) فتحي الضو، "الحسد في السياسة السودانية"، (حلقتان)، صحيفة الأحداث، يومى 8 و15 فبراير 2009.

فى حياتنا؟ وهل يمكن أن نتحدث عن الحسد الرياضى أو الشقاوى أو الفنى أو الأكاديمى أو الصحفى، وهلمُ جراً؟ وتحدث الأستاذ فتحى الضو أيضاً، عن ظاهرة الحسد باعتبارها إحدى ظواهر التخلف والانحطاط الأخلاقى، وأنها بعد أن نهشت حياتنا الاجتماعية بدأت تستشرى فى جسدنا السياسى. فما الذى جعلها تستفحل وتستشرى، كما النار فى الهشيم؟ وبنفس القدر كيف يمكن أن تنكمش إن عزَّ اجتثاثها من جذورها؟ وذكر أن الحسد كظاهرة دائماً ما يتوفر لها المناخ الحاضن فى ظل الأنظمة الديكتاتورية والشمولية، ذلك لأنه تحت إبط هذه الأنظمة دائماً ما تختل موازين العدالة الاجتماعية. وأيضاً فى ظل تقلص الحريات، تنحسر مساحات الرأى والرأى الآخر مما يصعبُ ويعقّد الكشف عن الفساد والمفسدين، فلا مناص من أن يقود العجز إلى تغطية الفراغ بتمدد ظاهرة الحسد وتكاثر الحاسدين، وتعتقد المسألة أكثر فى ظل أنظمة القهر والمحسوبة أيضاً عندما تتلاشى قيم الحق والعدل والمساواة وتحتل مكانها ظواهر الغش والنفاق والكذب والخداع والتدليس... وفى مناخ كهذا يتنافس الحسد والحاسدون معاً!

إن أساليب الدسائس والمؤامرات وثقافة الشلليات والطموحات الشخصية، ومظاهر الحقد والحسد قد خيمت على دوائر المثقفين، منذ بواكير القرن العشرين، وتمكنت فيها، ومن ثم تحكمت فى مسارات الحياة السودانية. أرجع محمد إبراهيم أبوسليم (1927-2004) إخفاق طلائع المتعلمين فى قيادة السودان المستقل إلى عدة أسباب منها: طبيعة العمل السياسى الذى أصبح محصلة للشللية والطموحات الشخصية وعراك القوى والمناورات، إلى جانب أسباب تتعلق بضعف أجهزته السياسية، وطغيان الطائفية، والتدخلات الخارجية، وفقدان الاتجاه⁽¹⁾. أيضاً، تحدث الأستاذ يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011)، فى مذكراته عن الحسد لدى المتعلمين وكيدهم لبعضهم بعضاً، وأشار إلى مواقف بعينها، وتناول الجفوة فى العلاقات بين المتعلمين، والتنافس المحموم فيما بينهم، وحكى الكثير من القصص فى الدسائس والمكائد والمؤامرات والأحقاد التى كانت تتم بين طلائع المتعلمين، وأفاض فى ذلك بتفصيل ودقة. ومن بين القصص التى حكاها⁽²⁾ يحيى

(1) محمد إبراهيم أبوسليم، أباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان، دار الجليل، بيروت، 1991، ص 25.

(2) يحيى محمد عبدالقادر، : على هامش الأحداث فى السودان، مصدر سابق، ص 43-156.

فى كتابه أنف الذكر، قصته مع الفرسان الثلاثة: محمد أحمد المحجوب، وصالح عبدالقادر (1897-1968)، وأحمد يوسف هاشم (1903-1958). والفرسان الثلاثة هو وصف أطلق على ثلاثتهم يوم ذاك بعد استقالتهم من الجمعية التشريعية، وكونوا مع آخرين فى أوائل عام 1950، ما سُمى بهيئة تحرير السودان. وزعت الهيئة مذكرة على بعض أعضائها، وتمكنت جريدة (المستقبل) التى كان يصدرها الأستاذ يحيى من الحصول على نسخة من الوثيقة، وقامت بنشرها. أحدث نشر الوثيقة ضجة كبرى، وعلقت عليها معظم الصحف. ويروى الأستاذ يحيى قائلاً: يرجع أساس الضجة إلى أن الفرسان الثلاثة، زعماء الهيئة، كانوا يعيشون تحت ظلال السيد عبدالرحمن المهدي (1885-1959)، ويعتبرون من أدواته، فى حين أنهم فى هذه الوثيقة يعملون ضده بطريقة غير محترمة وغير كريمة وغير أخلاقية.. لقد لعبوا دوراً مزدوجاً بغيضاً، وعضوا اليد التى أحسنت إليهم. ويمضى الأستاذ يحيى قائلاً أما الوثيقة فقد جاء فيها ما يلي (1):

- 1- تجنيد الكتاب وخاصة الشباب منهم للكتابة والخطابة ضد الطائفية وإبراز عيوبها، والاستعانة بأنصار السنة.
- 2- الاستعانة بالنظار والعمد المرفوتين ضد الحاليين والاستعانة بالموتورين من أبناء البيوتات الكبيرة ضد أقاربهم (الاعتماد على فحل فى الجزيرة).
- 3- الاستفادة من أخطاء الجبهة الاتحادية واستعانتها بالأجنى.
- 4- إثارة الفتن بين الطوائف وخاصة الطائفتين الكبيرتين.. تبحث الوسائل. كل منطقة حسب ظروفها.
- 5- استغلال حالة الجوع فى الشمال والشرق والعطش فى الغرب، والجهل فى الجنوب.
- 6- الاستفادة من العمال فى الحركة السياسية.

ويضيف الأستاذ يحيى قائلاً: ولم يكذ يصدر عدد جريدة المستقبل مشتملاً على هذه الوثيقة حتى اتصل بى المرحوم أحمد يوسف هاشم تلفونياً وشممنى شتماً قبيحاً.. وقال لى

(1) المصدر السابق، ص 43-156.

لن أنسى لك هذه الإساءة.. إننى أعرف من أوعز إليك بنشر الوثيقة وهو السيد عبدالله خليل إنه يريد إبعاد محمد أحمد المحجوب عن الانتصار ليخلو له الجو.. وهيهات..! (1). وذكر يحيى أن أحمد يوسف هاشم أضاف له قائلاً: إن الكيد لنا نحن الثلاثة بهذا الأسلوب القذر لن يجديك.. وأنا وصالح باقيان ومكانانا محفوظان.. ولن يتخلى عنا السيد عبدالرحمن.. أما أنت أيتها الحشرة السامة فتقبل العزاء منذ الآن فى صحيفتك (المستقبل) (2). ويمضى الأستاذ يحيى قائلاً: لم أعن بغضبة المرحوم أحمد يوسف هاشم عناية كبيرة.. فقد تعود أن يسئ إلى وتعودت أن أسكت. ولن يضيرنى المزيد من نفثات صدره المحموم غير أننى اضطررت فيما بعد إلى العناية بكل كلمة قالها "فتقبل العزاء منذ الآن فى صحيفتك (المستقبل)". بالفعل فقد جاءنى خطاب من مصلحة السكرتير الإدارى يخطرني بإلغاء رخصة صحيفتى (المستقبل)، لعدم انتظامها. ولما كان الأستاذ أحمد يوسف هاشم هو ممثل الصحافة فى لجنة الترخيص بالصحف فى تلك المصلحة فقد علمت أن أحمد كان جاداً فى تهديده وإنه انتقم منى شر انتقام. وقد تأملت كثيراً من تصرف أحمد.. فإنه فى سبيل أحقاده- عليه الرحمة- لم يتورع من إلغاء رخصة صحيفتى (المستقبل) فحسب، وإنما وضع نصاً رديئاً فى لائحة قانون الصحافة يلغى الرخصة لمجرد عدم الانتظام فى الصدور.. ويعلق الأستاذ يحيى قائلاً: إن لائحة الصحافة قد أصبحت فى أيدى المستعمرين وأعوانهم العوبة وفسرت نصوصها بما يتفق مع البواعث الشخصية والسياسية... كان ينبغى أن تعان الصحف غير المنتظمة فى الصدور على شق طريقها وتركيز نفسها لا أن تواد فى المهذب.. ولكن ماذا نفعل بأولئك الذين استعبدتهم غرائزهم وفقدوا روح العدالة واهتزت فى نفوسهم القيم؟ (3).

نشر يحيى هذه الواقعة فى صحيفته أنباء السودان، عام 1958 بعد وفاة الأستاذ أحمد يوسف هاشم. ففى الأصل كانت مذكرات يحيى الموسومة بـ: على هامش الأحداث فى السودان، والمشار إليها أعلاه، عبارة عن سلسلة مقالات، نشرها أول مرة فى صحيفته أنباء السودان، ثم جمعها لاحقاً فى كتاب. وفى الحلقة التى تضمنت الواقعة أعلاه، وكان طرفها

(1) المصدر السابق، ص 43-156.

(2) المصدر السابق، ص 43-156.

(3) المصدر السابق، ص 43-156.

قد توفي، جاء تعليق ليحيى محمد عبدالقادر من يحيى الفضلى، وكان التعليق عبارة عن بيت شعر واحد، من نظم أبي العلاء المعرى، وهو:

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى إني أخاف عليكم أن تلتقوا

نشر يحيى محمد عبد القادر بيت الشعر في نفس المكان بصحيفته، أنباء السودان، ثم علق على بيت الشعر الذى أرسله يحيى الفضلى، ورد قائلاً: "لن نلتقى".

الشاهد أن الكثير من المتميزين والناجحين وأصحاب المبادرات الخلاقة والعطاء الجاد فى السودان قد شكوا من الحسد وكيد الحاسدين. شكى المربى بابكر بدرى (1861-1954)، من كيد الحاسدين والحاقدين، وهو يسعى جاهداً فى بناء وتطوير مبادراته التعليمية الخلاقة، مدرسة الأحفاد ونقلها من مدينة رفاعة إلى أمدرمان. وتحدث فى مذكراته: تاريخ حياتى، خاصة فى الجزء الثالث، عن ما واجهه من حسد وكيد وحقد، ومؤامرات ضد مشروعه. كما أضاف بأنه حينما بدأت تجربة مدرسة الأحفاد فى النجاح والتوسع والتطور، تحرك الحساد والحاقدون من طلائع المتعلمين، وسعوا سعياً حثيثاً لتدمير المشروع، وتمجيحه. أيضاً، شكى العلامة عبدالله الطيب (1921-2003) كثيراً من الحسد، ووثق لذلك فى بعض أشعاره. لقد ذكر الشاعر والناقد الأستاذ محمد الواصل فى بحثه: "محمد أحمد المحجوب وشعراء جيله"⁽¹⁾، مارس 2002، قائلاً: "رجع عبدالله الطيب للسودان بعد فترة الدراسة فى لندن ثم صار معلماً من أعلام التعليم فى السودان، ووجه بمكائد (أبناء اللكيعات) فكاد يشله الإحباط.. يلوذ عبدالله الطيب فى كل دواوينه بالرسول صلى الله عليه، وكان آخر دواوينه صوفى المنهج: برق الملد بعدد وبلا عدد، وتزخر دواوينه: أغاني الأصيل، وبنات رامة بذكر أهله فى الدامر وطبيعتها حيث يكثر ذكر شجر الأراك والطنذب والسلم وكثيراً ما يعرج على ذكر أهله من متصوفة المجاذيب وسنار". لعل وصف العلامة عبدالله الطيب لحساد الكائدين له بـ (أبناء اللكيعات)، وصف لا يخلو من القسوة والبذاءة، ولكنه يعكس حجم عناء العلامة عبدالله الطيب والمعاناة التى وجدها من المكائد والحساد، كما يعكس مدى الظلم الذى وقع عليه.

(1) محمد الواصل، "محمد أحمد المحجوب وشعراء جيله"، مارس 2002،

لقد حدثني بعض تلاميذ الأستاذ محمود⁽¹⁾، قائلين بأنهم: كثيراً ما سمعوا الأستاذ محمود يردد بيتين من أبيات شعر بن الفارض (576-632 / 1181-1235) المعروف بسلطان العاشقين، والبيتان هما:

وعن مذهبي، لما استحبوا العمى على الهدى، حسداً من عند أنفسهم، ضلُّوا
فهم في السرى، لم يبرحوا من مكانهم وما ظعنوا في السير عنه، وقد كلُّوا

على الرغم من أن ظواهر الحقد والحسد، وأساليب المكائد والدسائس والمؤامرات، في أى بيئة من البيئات، تتداخل فيها عوامل مختلفة وتدرس بمدخل عديدة: نفسية واجتماعية وتاريخية واقتصادية... إلخ؛ إلا أننا نلاحظ أن هذه الظواهر قد تمكنت في الواقع السوداني، وتمددت بشكل واضح في الحياة اليومية. وكما وردت الإشارة إلى أن هذه الظواهر، ظواهر موروثية منذ طلائع المتعلمين، فقد نمت وتوسعت في دوائرهم بسبب نوع التعليم، ونشوء ثقافة الشلليات، والدوافع الذاتية والطموحات الشخصية والسعى لتحقيق الذات بشتى الأساليب، إلى جانب المنافسة المحمومة التي زرعتها الإدارة الاستعمارية. ولا شك أن هذه المظاهر ملازمة للإنسان، ولكن يختلف الناس في قدرتهم على غربلة دواخلهم ومكوناتهم، وفي مدى مقدرتهم على إدارة ذواتهم وتهذيبها وتشذيبها، وفي هذا أيضاً، يدخل نوع التعليم كعنصر أساسى فى ذلك. فالتعليم فى بعض معانيه ما هو إلا تغيير السلوك. أيضاً، إن هذه المظاهر كانت موجودة فى المجتمع السودانى قبل ظهور طلائع المتعلمين. ولعل بيئة السودان بلونيتها الصوفية، والمزاج الصوفى، لها دور كبير فى تنمية هذا الاتجاه. فعلى الرغم من جمال البيئة الصوفية، بما تحمله من خصال وقيم إنسانية رفيعة وسامية، مثل: التسامح، والتواضع... إلخ؛ إلا أنها تمثل بيئة صالحة وخصبة لنمو بعض الاتجاهات والمظاهر، ومن بينها اتجاهات الحسد والغيرة. والشواهد على ذلك كثيرة.

روى يوسف ميخائيل فى مذكراته الموسومة بـ "مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثانى فى السودان"⁽²⁾: أنه عندما نظر أحمد بك دفع الله أن إلياس أخذ

(1) مقابلة مع النور حمد، 2009/10/26، الدوحة، قطر، الساعة 20:30؛ عصام عبدالرحمن البوشى، 5 أكتوبر 2010، عبر الهاتف، عصام بمدينة مدنى، السودان، والمؤلف فى الدوحة، قطر، الساعة 21:00.

(2) يوسف ميخائيل، مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثانى فى السودان، تحقيق أحمد أبو شوك، نشرها مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى بأمدرمان، عام 2004، ص 10-18.

وظيفة باشا وصار هو الحاكم على مديرية كردفان حصل له غيظ عظيم، وكمد الدم على القيق، وصار يدبر فى الأمر الذى يوقع به الياس باشا. عندما جَوَّل أفكاره قال: ليس لها إلا على كئونه، شيخ قبيلة الغديات هو سلطان الفرشة. عند ذلك أرسل له أحمد بك دفع الله كونه عندهم صحبه مع بعضهم ومودة كبيرة من قديم الزمان. بعد حضوره عنده قال له: "يا شيخ على كئونه هل وافقك بأن يكون إلياس باشا ماسك زمام الحكم وأنت موجود، ومن أهل الفونج أهل السلطنة الزرقاء ملوك سنار؟ وكان جدهم الكبير حضر من البحر وسكن الصعيد بجبل ولد البقا، وبنا فيه حوش بمرقت البقر، وatre (أثره) للآن موجود، والشيخ كئونه من نسله، وابن عمه الشيخ إسماعيل الأمين الدلندوك، جده سكن فى علوبة، وهما أولاد عم". وصار أحمد بك دفع الله وأولاد عمه وأخيه عبدالله يحرضون الشيخ على كئونه، لأجل ما يشق عصا الطاعة على الحكومة ويقول: "أنت اسمك مانجل، ولك نحاس وتخشى منك كافة العربان". وما زال أحمد بك يحضروا عنده أولاد عمه، ويحرضوا الشيخ على كئونه بهذا الكلام، وقام من عندهم على نية القتال، وتزود من أحمد بك دفع الله بالسلاح والجوخانة، وسافر من عندهم على هذه النية. وقد وصل إلى بلاده وجمع كافة مشايخ داره وأولاده، وأتباعه وعموم العربان والقبائل المجاورة له، ومشائخ الحوازمة، واستعد للحرب والقتال. وعمل لهم وليمة كبيرة، ومن بعد ما أكلوا الطعام قال لهم: "تانى لا أحد منكم يدفع طلبه للحكومة ما دام إلياس أم برير مدير المديرية". وبوقته قتل المأمور والعساكر والصراف حمد أبو عبيدة، وأخذ أموال الحكومة وفرقها على رؤوس القبائل. وقال: "تانى لا ندفع طلبه وأنا حى فى دارى ما دام الجعلى يكون علينا حاكم. من بعد بيع الشطة والملح صار فى ثروه كبيرة، وأخذ وظيفة باشا، ويحكم علينا الجلابى ما بينى وبينه إلا الحرب والقتال... ويضيف يوسف ميخائيل قائلاً: وعندما بلغ أحمد بك دفع الله أن الشيخ على كئونه قتل المأمور والعساكر والصراف، وأخذ أموال الحكومة صار مبسوط وازداد فرحه، وعلم أنه نال مقصوده بالحيلة التى دبرها والفتنة التى أوقعها، وقال لأخيه عبدالله وعموم أهله: "أنا ما قلت ليكم ليس يوجد رجل فيه الكفاية إلا الشيخ على كئونه. فالآن أنا صرت مسرور وانظروا يا أخوانى فشل إلياس أم برير فى ما بعد".

أيضاً، روى سلاطين باشا فى مذكراته بعض القصص عن الحسد والتحاسد، فقد كتب

واصفاً لأحد المواقف في التحاسد قائلاً: "وقد عين غردون التاجر السوداني الشرى إلياس ومنحه رتبة باشا فكان لهذا التعيين أثر سيء في نفوس الأهالي. وهذا القول ينطبق على تعيين قريبه وهو تاجر ثرى أيضاً يدعى عبدالرحمن بن نجبا. وكان كلاهما على كفاءة يعرف حالة البلاد وكيفية حكم الأهالي ولكنهما كانا يشتغلان لمصلحتهما. ونتج عن تعيينهما أن انتشرت روح التحاسد بين كبار السودانيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أهلاً لمثل وظيفة إلياس وقريبه عبد الرحمن"⁽¹⁾.

الشاهد أن العداء للمبادرات الخلاقة، لم يكن بعيداً من أسباب محكمة الردة، وأن الحسد كان معطى من معطيات المناخ العدائى تجاه الأستاذ محمود، بيد أن هناك أسباباً أخرى كثيرة. فبالإضافة لما وردت الإشارة إليه، كان هناك الموقف العدائى للمعهد العلمى بأمدردمان، جامعة أمدردمان الإسلامية من الأستاذ محمود، وكذلك موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952 فى مصر، وموقفه من خطاب عبدالناصر العروبي القومى، وموقفه كذلك من مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل). وهذا ما سأتناوله فى الفصول الثلاثة القادمة.

(1) سلاطين باشا، السيف والنار فى السودان، دار البلد، الخرطوم، 1999، ص 70-71.

الفصل
التاسع

9

.....
الأستاذ محمود والمعهد العلمي
بأمد رمان (أزهر السودان)
.....

المواجهة لشيخة أزهر السودان
والمشاخ المبتعثين إليه من أزهر مصر

ويجب الحذر، كل الحذر، من فصل التعليم إلى، تعليم ديني، وتعليم مدني، ينتظر فيه من رجال الدين، من استقامة الخلق، ما لا ينتظر من رجال التعليم المدني.. إن الأخلاق، في حقيقتها، هي حسن التصرف في الحرية الفردية، وهي بذلك حق على كل فرد.. ويجب علينا جميعاً أن نعين بعضنا بعضاً على تحصيلها وذلك لأهميتها الفردية والجماعية.. ولما كان الدين عامة، والإسلام خاصة، أكبر أسلوب يعين على تحصيل الأخلاق، بوصاياه، وبقرآنه، وبعبادته، وبسيرة نبيه، وأصحابه، وجب علينا أن نولي الدين اهتماماً خاصاً، لنحقق به التربية الخلقية.. على أنا يجب أن نميز بين القضايا الفقهية التي تلقن في المعاهد الدينية الحاضرة، وبين (روح الدين) فإن روح الدين البسيطة، المنبثقة من القول البسيط (لا إله إلا الله)، هي شعار التربية لأنها تدعو إلى الحرية، وترسم الطريق إلى الخلق الذي يليق بالأحرار، وهو ما عيناه بحسن التصرف في الحرية الفردية.

وأما تعلم القضايا الفقهية، على نحو ما يمارس في المعاهد الآن، فهو مهنة، كسائر المهن، ولا يحتاجه المجتمع الذي ندعو إليه.. نعم!! سنحتاج إلى رجال قانون، ولكنهم لن يكونوا بالصورة الحاضرة، لأننا لن نعمل على قيام محاكم شرعية، ومحاكم جزئية، وإنما سيكون التشريع موحداً أيضاً.. سيكون التشريع مبنياً على القيم الإنسانية الرفيعة، وهي القيم التي نعلمها في معاهدنا، ومنازلنا، ونطلبها من كل مواطن مهما كان دينه، ومهما كانت مهنته، بغير تمييز في ذلك⁽¹⁾.

محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محبوب"، 1958/12/24، الخرطوم.

لقد طوع لبعض الناس كسلهم الذهني مواجهتنا ببعض الحجج التي يلتقطونها من المتخصصين في ترويج الشبهات حول الفكر الجمهوري... قلنا بتطوير التشريع الإسلامى حتى يواكب تطور البشرية. فقالوا هذا خطأ، لأن الناقص هو الذى يتطور والشريعة جاءت من عند الله، ولا يمكن أن يكون تشريع الله ناقصاً. ويسوقون لنا الآية الكريمة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً). ونقول أولاً: إن الله لم يشرع فى مستوى كمالاته، وإنما شرع فى مستوى نقائصنا، حتى يدخلنا على مكث وتدرج من نقائصنا فى كمالاته. وثانياً: فإن التشريع الحكيم هو الذى يلبي حاجة المجتمع فى الزمان والمكان المعينين. والمجتمع ومن البدهة المعاشة إنما هو فى مقاس طفل السابع من الملابس لا يصلح له وهو فى سن العشرين. والمطلوب هو المقاس الجديد ولكن من نفس خاصة القماش. وخلود الشريعة هو فى نموها وتطورها لا فى جمودها وتحجرها. ثالثاً: فإن معنى الآية الكريمة ان الدين قد كمل تنزيهه ولم يكمل تبينه، وذلك لأن الدين أوله فى أرض الناس وآخره عند الله فى عليائه. وإننا لم نقل بتطوير الدين، وإنما قلنا بتطورنا فى فهم الدين، ومن ثم فإننا تطور تشريعنا فى رحاب الدين عارجين إلى لبابه⁽¹⁾.

محمد فضل محمد [الصديق]

(1) محمد فضل محمد [الصديق]، "قلنا... فقالوا... ونقول"، الجمهورية، مجلة الحزب الجمهورى الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 1969/4/17، ص 11.

إن سبب إعاقة تقدم المسلمين في العالم وفي ماليزيا، هو ذلك الحاجز الذي قامت بينائه الدوائر الدينية والعلماء، بينهم وبين المعرفة، والتي يعتبرونها لا علاقة لها بالإسلام قط، بل يجدوها غير مقبولة... إن المسلمين في فترات تاريخية إسلامية لاحقة تجاهلوا اكتساب المعرفة. لم ينظروا بعين الاعتبار إلا للعلوم الدينية فقط، بل هم تركوا كسب المعرفة في مجالات أخرى، لأنها لا تسهم في الحياة الآخرة. وهذه واحدة من المشكلات الأساسية وأسباب التخلف، والفقر في العالم الإسلامي⁽¹⁾.

مهاتير محمد

لا يمكن دراسة محكمة الردة الأولى التي عقدت في يوم 18 نوفمبر 1968، وحكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، بمعزل عن الدور الكبير والخطير الذي لعبته المؤسسة الدينية المحافظة ممثلة في المعهد العلمي بأمدرمان، ومشيخته، وهيئة علماء السودان. معلوم أن شيخ المعهد العلمي هو شيخ علماء السودان. فالمعهد، وقد تحول إلى جامعة أمدرمان الإسلامية فيما بعد، أظهر العداء للأستاذ محمود منذ النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي سواء من خلال مشائخه أو مبتعثي الأزهر إليه أو من خلال المناخ العام الذي خلقه، أو عبر اختطاف فقهاء لمنابر الحوار وسوح السجال بلا إمكانيات فكرية ومقدرات علمية مع اصرار في الأحقية وفرض الوصاية على المجتمع بأثره. (سيأتي لاحقاً محور بعنوان: "اختطاف الفقهاء لمنابر الحوار وسوح السجال بلا إمكانيات فكرية"). ومهما يكن من أمر المعهد فإنه كمؤسسة لا يمكن دراستها، منذ نشأتها الأولى، بمعزل عن دور الاستعمار البريطاني والتأثير المصري الذي استمر حتى بعد استقلال السودان عام 1956. كان التأثير منذ قيام نواة المعهد، يوم تكوين لجنة العلماء (وتعرف كذلك بهيئة علماء السودان، ومجلس العلماء) واستمر حتى بعد أن تم تحويل المعهد إلى جامعة أمدرمان الإسلامية عام 1965. إن المواجهة التي قادها الأستاذ محمود لمشيخة المعهد، كانت في واقع الأمر مواجهة للأزهر بمصر عبر مبتعثيه للمعهد، ومواجهة لهيئة علماء السودان،

(1) Somun, Hajrudin, *Mahathir: The Secret of the Malaysian Success*, Translated from the Bosnian into English by Lejla Somun-Krupalija, Pelanduk Publications, Malaysia, 2003, Pp26- 27.

ومواجهة لخريجى المعهد من فقهاء وقضاة شرعيين، ومواجهة كذلك للوعاظ ولأئمة المساجد فى السودان كله. إن الأستاذ محمود قاد مواجهة شاملة للمؤسسة الدينية المحافظة بامتداداتها خارج السودان.

كان إعلان تكوين ("لجنة العلماء"/ "هيئة علماء السودان"/ "مجلس العلماء")، نواة المعهد العلمى بأمدرمان، برعاية الحاكم البريطانى. وكان تحديد مهامها فى يوم 3 يونيو عام 1901، هو إعلان وتدشين ميلاد المؤسسة الدينية المحافظة فى السودان على أسس جديدة. كان أهم ما يميز المؤسسة أنها لم تكن تطوراً لما هو محلى، فكانت تناقض إرث السودان الحضارى، وتصادم "أركيولوجيته" الثقافية، وتخالف المزاج الدينى وتناطح التركيبة الفكرية والوجدانية لشعبه. وعندما تطورت هيئة علماء السودان إلى قيام المعهد العلمى بأمدرمان عام 1912 برعاية الحاكم البريطانى أيضاً، وعلى غرار الأزهر، كان تطورها إعلاناً باكراً بما سيكون عليه مستقبل السودان من تزمة دينى وتعطيل للطاقت الحيوية، ومن ثم إعاقه التقدم وتجميد حركة التغيير الاجتماعى. لقد كان قيام المعهد العلمى بأمدرمان تعبيراً قوياً عن انتقال السودان من حالة الانفتاح الموروث منذ آلاف السنين إلى حالة انغلاق فكرى مستمر ومتوسع. فقد مثل قيام المعهد، لحظة انتصار للفكر الفقهى وبشكل أخص على المستوى الرسمى، ومن ثم سيطرته وتمده على حساب الفكر الصوفى، فغدا المعطى الأساس فى تشكيل العقل الثقافى السائد. فالمعهد ومن خلال جرد متساهل (غير متعمق) لسيرته ومواقفه من عباقرة السودان ومن المبادرات الخلاقة، فإنه مثل حالة إعاقه دائمة لمناخ الحرية ولفرص التقدم الفكرى، من خلال تعطيله للطاقة الابداعية وانشغاله بالصغائر الفكرية والسعى لقبر الابداع والمبدعين.

التعليم الدينى قبل إنشاء المعهد العلمى بأمدرمان

لقد تبع سقوط سنار عاصمة مملكة الفونج (1504-1821)، أمام الغزو التركى المصرى (1821-1885)، دخول المؤسسة الفقهيّة الرسمى واللغة العربية الفصحى والشريعة والنظم الأزهرية وتحويل القبلة الفكرية والثقافية من المدينة المنورة إلى القاهرة. كان التعليم فى دولة الفونج وفى العهد التركى المصرى، تعليماً دينياً محوره اللغة العربية والعلوم الشرعية،

ومؤسساته الكتاب والخلوة والمسجد والمسجد ومجالس العلماء والأزهر⁽¹⁾. ولأن التعليم ارتبط بالتصوف كانت الخلوة هي المكان الوحيد الذي يتم فيه تعليم القرآن⁽²⁾. ترجع الخلوة في إنشائها إلى أواسط القرن الرابع عشر الميلادي عندما قَدُمَ غلام الله اليمنى إلى دنقلا⁽³⁾. يقول محمد عمر بشير: لا جدال في أن المؤسسة التعليمية الكبرى والمهمة والتي نشأت بجانب المسجد والمسجد هي الخلوة. فالخلوة كان لها مدلول في السودان غير الذي كان سائداً في البلدان الإسلامية، حيث الاعتزال عن الناس بقصد الوصول إلى الحقيقة، وتعنى التقرب إلى الله والتأمل في ذاته. بينما كانت في السودان تعنى المكان الذي تؤدي فيه وظائف التعليم الديني من تعلم للكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن ثم دراسة العلوم الدينية من فقه وتوحيد وسائر علوم العربية⁽⁴⁾. حافظ العهد التركي المصري على التعليم الديني والخلوى كمصدر رئيس للتعليم، مع انتشارها في أجزاء كثيرة من السودان. كما أنشأ الحكم التركي عدداً من المدارس الابتدائية في كل من الخرطوم وبربر ودنقلا وكردفان وكسلا وسواكن وسنار وجوبا بغرض تعليم أبناء الأتراك والمصريين العاملين في الجيش والإدارة، وتخريج عدد قليل من السودانيين للعمل في دواوين الحكومة في الوظائف الصغرى... وفي عهد الدولة المهدية استمرت الخلوى مصدراً رئيسياً لتعليم الصغار والكبار. كما شجعت المهدية تعليم القرآن والحديث وقراءة الراتب من خلال حلقات التدريس والتعليم التي نشأت في الأحياء المتعددة في أمدرمان، ومن خلال الخلوى التي كانت تقوم بتعليم القرآن والكتابة والحساب⁽⁵⁾.

الشاهد أن التعليم الديني كان محوره اللغة العربية والعلوم الشرعية، وكانت مؤسساته الكتاب والخلوة والمسجد ومجالس العلماء، والزوايا والمساجد⁽⁶⁾. وهناك مساجد كثيرة

(1) عز الدين الأمين، نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ط 1، 1999، ص 21.

(2) خالد حسين عثمان الكد، الأفندية ومفاهيم القومية في السودان، ترجمة محمد عثمان مكي العجيل، ط 1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، 2011، ص 21.

(3) يحيى محمد إبراهيم، تاريخ التعليم الديني في السودان، ط 1، دار الجليل، 1987، ص 79.

(4) محمد عمر بشير، التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956)، مرجع سابق، ص 10.

(5) المصدر السابق، ص 22، 26، 27.

(6) المتعصم أحمد الحاج، الخلوى في السودان: نظمها ورسومها (حتى نهاية القرن التاسع عشر)، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005، ص 53-82.

ومشهوره وكانت تشد إليها الرحال لتلقى العلم. من المساجد العتيقة مسجد المجاذيب بالدمار الذي كثرت الهجرة إليه من جميع نواحي السودان وصار فيما بعد مهذاً لتعليم العلوم على اختلاف أنواعها⁽¹⁾. وهناك مسجد الكتاب، ومسجد العمراب ومسجد أرباب العقائد في الخرطوم ومسجد الشيخ خوجلى ومسجد الشيخ إدريس بن الأرياب⁽²⁾ وغيرها.

أزهر السودان: تغذية الخيال الجمعى بالفكر الوافد وتجفيف النكهة المحلية

الإسلام علم وعمل بمقتضى العلم: وإلا فلا⁽³⁾.

محمود محمد طه

بدأ الحكم الثنائى البريطانى المصرى عام 1898. ومنذ الوهلة الأولى عمل البريطانيون بعد تجربتهم مع الثورة المهدية، على تقوية علماء الفقه على حساب المتصوفة، وسعوا إلى تقليص نفوذ الطرق والتصوف فعززوا دور الفقهاء والعلماء على حساب المتصوفة. فإلى جانب أنهم أنشأوا المدارس والكليات والمعاهد التعليمية الحديثة: كلية تدريب المعلمين والقضاة بأمدردمان فى عام 1900، ومدرسة الصناعة بأمدردمان، وافتتحت كلية غردون التذكارية عام 1902، والمدرسة الحربية (مدرسة الخرطوم الحربية) عام 1905، وافتتحت مدرسة كتشنر الطبية عام 1924، إلى جانب هذه المؤسسات فإنهم هيئوا المناخ لتمدد الفقه على حساب التصوف. فقد أنشأ الحاكم العام فى عام 1901 مجلس العلماء (ويسمى هيئة العلماء - لجنة العلماء)، نواة المعهد العلمى بأمدردمان، لينظم التدريس فى الجامع الكبير بأمدردمان. تم تشكيل هيئة العلماء⁽⁴⁾ برئاسة الشيخ محمد البدوى (1841-1911)⁽⁵⁾.

(1) مجذوب محمد جلال الدين، "التعليم الدينى فى السودان"، مجلة معهد أمدردمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377/ ديسمبر 1957، ص 11-16.

(2) المصدر السابق، ص 11-16.

(3) محمود محمد طه، الإسلام، أمدردمان، مصدر سابق، ص 34-44.

(4) العلماء هم: الشيخ النزير خالد، والشيخ عيسى دوليب، والشيخ محمد الأمين الضربير، والشيخ محمد المشهور بولد الجريف، والشيخ محمد عبدالماجد، الشيخ الباقى السيد إسماعيل، الشيخ أحمد محمد نور، الشيخ حاج أحمد المجذوب، الشيخ الجبلى التلب. المصدر: الأمين محمد المحيسى، "المعهد بين الماضى والحاضر من سنة 1912 - إلى 1957"، مجلة معهد أمدردمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377/ ديسمبر 1957، ص 35.

(5) الأمين محمد المحيسى، "المعهد بين الماضى والحاضر من سنة 1912 - إلى 1957"، مصدر سابق، ص 35.

وفى يوم 3 يونيو 1901 أصدر الحاكم العام عدة خطابات إلى الأعضاء المختارين فى لجنة العلماء، وحدد مهامها فى الآتى (1):

1- مباشرة تدريس العلم الشريف فى جامع أمدرمان.

2- النظر فى تقرير من يصلح للتدريس بهذا الجامع.

3- شؤون الطلبة فى الجامع.

4- تكون اللجنة موضع استشارة الحاكم العام فى الشؤون الدينية وكل ما يختص بالعلم والعلماء دون أن تكون مكلفة بأن تبتكر النظر فى أى موضوع من تلقاء نفسها، بل حتى إذا عرض عليها من الحكومة، أمر من ذا القبيل، كان عليها أن تحرر قرارها بما تراه وتقدمه لجهة الاختصاص التى لها الخيار فى العزل بموجب ما تقررره اللجنة.

5- بالإجمال فإن مهمة اللجنة هى كل ما يتعلق بالعلم والعلماء وطلاب العلم.

حينما توفى الشيخ محمد البدوى، رئيس لجنة العلماء، فى عام 1911، رشحت الحكومة الشيخ أبا القاسم هاشم (1856-1934) خلفاً له فى رئاسة العلماء، وكان إذ ذاك قاضياً شرعياً لمديرية النيل الأزرق بواد مدنى فقبل تحت اشتراطات على الحكومة تختص بتأسيس المعهد فتم تعيينه (2). قدم الشيخ أبا القاسم إلى أمدرمان سنة 1912 (3). وتسلم عمله فى يناير 1912 (4). كانت العادة الجارية يومئذ أن يقوم العلماء بالتدريس فى منازلهم (5). وقد جرت "حركة التعليم الدينى فى عهد الدروس المنزلية للمشائخ" (6)،

(1) المعتصم أحمد الحاج، أزهى السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 67-68.

(2) الأمين محمد المحيسى، "مصدر سابق، ص 35.

(3) أحمد البشير الطيب هاشم، "نبذة من تاريخ صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ أبى القاسم أحمد هاشم مؤسس ورئيس المعهد العلمى بأمدرمان وشيخ علماء السودان سابقاً"، مجلة معهد أمدرمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الخامس، رجب 1381 / ديسمبر 1961، ص 114.

(4) الأمين محمد المحيسى، مصدر سابق، ص 35.

(5) أحمد البشير الطيب هاشم، مصدر سابق، ص 114.

(6) محمد المبارك عبدالله، "شيخ العلماء يسرد التطورات التى مر بها معهد أمدرمان الدينى"، السودان الجديد، العدد: 3871، بتاريخ 1959/12/14.

فى حدود " حفظ القرآن وعلم الفقه والتوحيد وشىء من التفسير والحديث والتصوف والنحو" ⁽¹⁾. اجتمع الشيخ أبا القاسم بكبار العلماء فأقنعهم بضرورة التدريس بالجامع أسوة بالبلاد الإسلامية الأخرى وذلك باتخاذ المسجد الجامع معهداً للتدريس ⁽²⁾... ليكون نواة أزهر السودان. فجمعهم وتحدث إليهم عن فكرته هذه فوافقوه، واستقر رأيهم على أن تكون الدراسة فى جامع أمدرمان الكبير وكان بناؤه حينذاك (رواكيب من القش) فاجتمع فيه العلماء وطلابهم وأخذ الشيخ أبو القاسم على نفسه تنظيم التدريس وأحضر لائحة الأزهر ووضع المنهج الدراسى على غرارها وتقررت دراسة جميع العلوم التى تدرس بالأزهر الشريف كما جعلت المراحل الدراسية وشهاداتها كما هى فى الأزهر وسلك التدريس من ذلك الوقت طريقاً مركزاً سار عليه إلى يومنا هذا (ديسمبر عام 1957) وسميت هذه المؤسسة من ذلك الوقت (المعهد العلمى بأمدرمان) ⁽³⁾. لاحقاً تطور الجامع الكبير فى سوق أمدرمان وانتقل، بعد رحلة بناء بطيئة، من وضعية الرواكيب من القش إلى وضعية البناء بالطوب، اكتمل البناء، وشهد يوم 11 يناير عام 1925 الافتتاح الرسمى للجامع ⁽⁴⁾.

الشاهد أن فكرة تشكيل لجنة العلماء لا يمكن أن تدرس بمعزل عن المقاومة التى وجدها البريطانيون من الثورة المهدية، ولا يمكن أن تدرس بمعزل عن التقييم البريطانى للتصوف والطرق الصوفية، والتى يرون أن منها خرجت الثورة المهدية. كتب محمد عمر بشير عن أهداف المعهد قائلاً: "وبجانب الهدف المباشر لتأهيل عدد من العلماء السودانين وزيادة فرص التعليم الدينى، فإن الغرض من إنشاء المعهد كان إيجاد البديل فى السودان للأزهر الشريف يتوجه إليه السودانيون بدلاً من السفر إلى مصر" ⁽⁵⁾. بينما يرى محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004): "أن الهدف من إنشاء مجلس العلماء الذى أطلق عليه اسم "لجنة العلماء" فى عام 1902 هو الإمعان فى تقليص نفوذ قادة

(1) المصدر السابق.

(2) أحمد البشير الطيب هاشم، مصدر سابق، ص 114.

(3) الأمين محمد المحيى، مصدر سابق، ص 36.

(4) المعتصم أحمد الحاج، أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 87.

(5) المصدر السابق، ص 37.

الطرق الصوفية وتقوية جانب المدرسة الفقهية المنافسة، من خلال تركيز فكر سنى معارض للصوفية وداعم لمركز علماء الفقه والسنة كغطاء دينى للسلطة البريطانية من ناحية، ولموازنة نفوذ الفكر الصوفى من ناحية أخرى⁽¹⁾. الشاهد أن تمدد المؤسسة الفقهية فى السودان بدأ بتصالحها مع السلطة البريطانية وظل الفقهاء يجتمعون مع السلطان، وعملت السلطة البريطانية على تذكية الصراع الخفى بين الطوائف والطرق الصوفية، وأظهرت الاحترام لأقطابها، بل جذبوهم لحضور الحفلات الرسمية⁽²⁾. كما كتب حيدر إبراهيم على وهو يتحدث عن العوامل التى تضافرت وتآمرت للقيام بعملية ما اسماء (خفاض العقل السودانى)، كتب قائلاً إن أول تلك العوامل: "المؤسسة الدينية المحافظة التى بدأت بهيئة علماء السودان التى رعاها الاستعمار البريطانى". ثم يتناول موقفهم، مستشهداً برسالة منهم للإدارة البريطانية، وأشار لمصدرها وهو صحيفة حضارة السودان، بتاريخ 1921/10/26، كتب حيدر قائلاً⁽³⁾:

"ويظهر موقفهم فى رد على نقد وجه للإدارة البريطانية:.... فإن جميع الأمة السودانية قد ارتبطت بالحكومة الحاضرة (الانجليزية) الرشيدة ارتباطاً حقيقياً بالقلب والقالب، بصدقة واخلاص، ونقدرها قدرها بحيث لا نبغى بها بدلاً، لما هو شاهد بعين اليقين، من جلب المنافع ودفع المضار، وتعمير البلاد، وتأمين الطرق وعمارة المساجد، وبث العلوم الدينية، ونشر المعارف بترتيب العلماء ومساعدتهم بالمرتبات التى أراحتهم، وتشيد الجوامع والمدارس فى عموم البلاد حتى أن أبناء الوطن صاروا فى تقدم باهر، ونجاح ظاهر، مع اعطاء الحرية التامة لرجال المحاكم الشرعية فى المحاكم والاحكام بالشرع المحمدى. وبالجملة فإنها حكومة رشيدة ساهرة بالسعى فى كل ما يفيد الوطن وأبنائه. فبلسان العموم نقدم الشكر الجزيل لحكومتنا، ونكذب هذه المقالة بجميع اجزائها

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المآزق التاريخية وآفاق المستقبل، مج 1، مرجع سابق، ص 98-99.

(2) عبده بدوى، الشعر فى السودان، عالم المعرفة (41)، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، مايو 1981، الكويت، ص 99.

(3) حيدر إبراهيم على، "خفاض الفرعونى لعقل المثقف السودانى"، مرجع سابق.

تكذيباً تاماً وفى الختام نرفع لسعادتكم لائق التحية والاحترام.

الطيب هاشم، مفتى السودان

إسماعيل الأزهرى، مفتش المحاكم

أبو القاسم أحمد هاشم، شيخ علماء السودان

نظم الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم المعهد⁽¹⁾، وأنشأ لائحته وقوانينه على غرار مناهج ونظم الأزهر الشريف⁽²⁾. وبقيام المعهد فى عام 1912 أصبح المركز الرئيسى للدراسات العربية والإسلامية وتفرعت عنه معاهد فى أقاليم السودان المختلفة⁽³⁾. شهد عام 1920 تخريج أول دفعة من حملة الشهادة الأهلية بعد أن تم امتحانهم أمام لجنة من كبار العلماء، وتم إعلان النتيجة فى احتفال بنهاية العام الدراسى⁽⁴⁾. وبحلول عام 1924 اكتمل المعهد العلمى كمؤسسة تعليمية قائمة بذاتها عندما منح طلاب أول دفعة تخرجت فيه الشهادة العالمية التى تعادل الشهادة العالمية التى تمنحها إدارة الأزهر الشريف⁽⁵⁾. كانت أول دفعة تخرجت عام 1924 من حملة الشهادة العالمية مكونة من ثلاثة علماء هم: الشيخ عبدالله الترابى والشيخ إبراهيم أبو النور، والشيخ صالح حاج على⁽⁶⁾. وشهد عام 1932 تأسيس رابطة خريجي المعهد العلمى ثم تحولت فى عام 1945 إلى دار خريجي المعهد العلمى بأمدردمان⁽⁷⁾.

خلف الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، (1912-1932) فى مشيخة المعهد، الشيخ أحمد محمد أبو دقن (1932-1938)، والذى خلفه الشيخ أحمد الهاشم دفع الله منتدباً

(1) عثمان أحمد عبدالرزاق، "بين المعهد والأزهر"، مجلة معهد أمدردمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377/ ديسمبر 1957، ص 24.

(2) أحمد البشير الطيب هاشم، مصدر سابق، ص 113.

(3) المعتصم أحمد الحاج، أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدردمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 69.

(4) يحيى محمد إبراهيم، تاريخ التعليم الدينى فى السودان، مرجع سابق، ص 358.

(5) المعتصم أحمد الحاج، أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدردمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 69.

(6) الأمين محمد المحيسى، "مصدر سابق، ص 36.

(7) المصدر السابق، ص 39.

بالتبابة 1938-1943، ثم الشيخ أبو شامة عبدالمحمود (1943-1951)، فالشيخ هاشم أبو القاسم (1951-1955)⁽¹⁾. ثم جاء الشيخ الأمين محمد الأمين الضرير، متنبأً شيخاً للمعهد بالتبابة قرابة العام، ثم جاء الشيخ محمد المبارك عبدالله (1956-1963)، جاء شيخاً متنبأً من الأزهر الشريف وحصل على الشهادة العالمية النظامية منه عام 1928 وقد عين مدرساً في كلية اللغة العربية سنة 1937 ثم انتدب للعمل بمعهد أمدرمان سنة 1943 فمكث فيه حتى سنة 1953 ثم أعيد للأزهر ثم انتدب للمرة الثانية شيخاً للعلماء في أغسطس 1956 وقد ترقى في الأزهر إلى مفتش للعلوم الدينية والعربية بعد تسلمه العمل بمعهد أمدرمان وهو حاصل على درجة الأستاذية من قسم تخصص المادة بالأزهر شعبة التوحيد والفلسفة⁽²⁾. عندما تولى الشيخ محمد المبارك مهام منصبه وفي نيته تحويل المعهد إلى جامعة أزهريّة على نظام التخصص والكليات، وكتب مذكرة بذلك الخصوص إلى مدير الشؤون الدينية. كما طالب لاحقاً وبعد زيارته للمغرب وإطلاعه على تجربة جامعة القرويين، وقسم تعليم البنات فيها، عاد من المغرب وكتب إلى مدير الشؤون الدينية مطالباً بإنشاء معهد لتعليم البنات. وفي سبتمبر 1963 انتهى انتداب الشيخ محمد المبارك وعاد إلى مصر بعد أن ترك الكلية الإسلامية تسير نحو النظام الجامعي. بعد ثورة 21 أكتوبر 1964 بدأ طلاب الكلية الإسلامية في المطالبة بتطوير الكلية إلى جامعة إسلامية. بتاريخ 8 يونيو 1965 تحولت الكلية الإسلامية إلى جامعة أمدرمان الإسلامية بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم 390، وأصبح كامل الباقر (1918-1995) مديراً للجامعة في أغسطس 1965⁽³⁾.

(1) المصدر السابق، ص 40.

(2) المصدر السابق، ص 40.

(3) المتصم أحمد الحاج، أزهري السودان: المعهد العلمي بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 107-111.

الأزهر والمعهد العلمى: العجز عن المواكبة وركاكة سبيل الرشاد

AL-Azhar has been the custodian and propagator of Muslim learning for over a thousand years. Its real value lies in its historic service. In our present atomic age, when life is moving so fast, this Islamic Institute is losing touch, Islamic communities of modern turn of mind look for guidance elsewhere.

The Islamic Institute in Omdurman has all the demerits of AL-Azhar with none of its merits⁽¹⁾.

Mahmoud Mohammed Taha

ظل الأزهر هو الحامى والناشر للمعرفة الإسلامية لأكثر من ألف عام. إن قيمته الحقيقية تكمن فى خدمته التاريخية. بيد أنه وفى هذا العصر الحديث -عصر الذرة- حيث الإيقاع السريع للحياة، فإن هذا المعهد الإسلامى يعجز عن المواكبة، فالمجتمعات الإسلامية ذات غمط التفكير الحديث تبحث عن سبيل الرشاد فى أماكن أخرى.

إن المعهد العلمى بأمدرمان يملك جميع مثالب الأزهر دون أن يملك أياً من مزاياه.

محمود محمد طه

عندما نشأ المعهد عام 1912، وقبل ذلك نواته لجنة العلماء عام 1901، كان يتبع للحاكم العام بواسطة السكرتير القضائى⁽²⁾، حتى أول مايو عام 1947 إذ تقرر تسليم المعهد إلى مصلحة المعارف، أما معاهد الأقاليم فظلت تحت إشراف المصلحة القضائية⁽³⁾. وفى 1948/3/27 أعلن مدير مصلحة المعارف تكوين المجلس الأعلى للمعهد من تسعة عشر عضواً، برئاسة الشيخ أحمد الطاهر قاضى قضاة السودان وعضوية شيخ العلماء ووكيل المعهد وممثلين لمصلحة المعارف وكلية غردون والتجار والخريجين واتحاد خريجي المعهد العلمى⁽⁴⁾. أصبح المعهد يتبع لوزير المعارف بواسطة المجلس الأعلى للمعهد، ثم وزير العدل بواسطة مصلحة الشؤون الدينية⁽⁵⁾. كانت أول لائحة قد وضعها الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، على

(1) Mahmoud Mohammed Taha, "Questions from Mr. John Voll and Answers from Ustadh Mahmoud Mohammed Taha", Khartoum, 17 July 1963. (ترجمة النص إلى اللغة العربية من مؤلف هذا الكتاب)

(2) محمد الخليفة الهادى، "إدارة المعهد قديماً وحديثاً"، مجلة معهد أمدرمان، العدد الثانى، 1958، ص 63.

(3) المعتصم أحمد الحاج، أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 100.

(4) المرجع السابق، ص 100.

(5) محمد الخليفة الهادى، "مصدر سابق، ص 63.

غرار الأزهر، "واقبس له من نظام الأزهر القديم المسمى بنظام (الشيخ شاکر)⁽¹⁾، ثم وضعت لائحة أخرى أوفى فى سنة 1925 واستمر العمل بها حتى وضع المجلس الأعلى للمعهد لائحة النظام الجديد المعمول به سنة 1948⁽²⁾. وشهد عام 1948 كذلك إدخال اللغة الإنجليزية⁽³⁾. وظلت نظمه ولوائحه تأخذ بما هو فى الأزهر بمصر. كان دور الأزهر كبيراً منذ ميلاد نواة المعهد، لجنة العلماء، ثم ظل الدور والتأثير فى التوسع والاستمرار. كتب المعتصم أحمد الحاج وهو يتحدث عن دور الشيخ أبى القاسم والأثر المصرى فى قيام المعهد، كتب المعتصم قائلاً: "وعلى الرغم من أن الشيخ أبى القاسم كان أول عالم سودانى دعا إلى قيام معهد علمى شبيه بالأزهر، فإن الإمام محمد عبده قد سبقه فى الدعوة إلى مثل ذلك المعهد عند زيارته السودان فى عام 1905". ولا يستبعد المعتصم وجود صلة بين هاتين الدعوتين إذا ما استصحبنا، كما أشار، لصلات الشيخ أبى القاسم بالعلماء المصريين من زملاء وتلاميذ الإمام محمد عبده، ودراسته فى الأزهر بمصر. كما كانت بينه وبين قاضى قضاة السودان الشيخ محمد شاکر (مصرى الجنسية) صداقة عميقة، واستمرت تلك الصداقة والصلات حتى بعد مغادرة الشيخ محمد شاکر السودان. وعن زيارة محمد عبده إلى السودان يقول المعتصم:

زار الأستاذ الإمام محمد عبده السودان فى النصف الثانى من يناير عام 1905. وكان اللورد كرومر وراء هذه الزيارة. وكتب فى تقريره عن مصر والسودان سنة 1905 "بأن الحزب الإسلامى الذى كان زعيمه الشيخ محمد عبده، هو الوسط بين الحزب المحافظ على التقاليد العنيفة الذى يحارب المدنية وينبذها وبين حزب المتفرجين المارقين من الدين، وأنه هو الحزب الذى يرجى أن تنهض به البلاد، لأنه جامع بين الترقى المدنى والمحافظة على الدين"⁽⁴⁾.

تحدث المعتصم عن علاقة الإمام محمد عبده بالبريطانيين بعد أن تحول من نائر ومجاهد مع جمال الدين الأفغانى إلى مصلح يدعو إلى الإصلاح بالتدرج والترقى، ويرى أن الإنجليز

(1) محمد المبارك عبدالله، "شيخ العلماء يسرد التطورات التى مر بها معهد أمدرمان الدينى"، مصدر سابق.

(2) محمد الخليفة الهادى، مصدر سابق، ص 63.

(3) محمد المبارك عبدالله، "شيخ العلماء يسرد التطورات التى مر بها معهد أمدرمان الدينى"، مصدر سابق.

(4) المعتصم أحمد الحاج، أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 71.

خصوم شرفاء معقولون، يمكن التفاهم معهم وأخذ أشياء من أيديهم تدريجياً لمصلحة الأمة، حتى إذا نضجت الأمة أمكنها الحصول على حقوقها كاملة فى حكم نفسها بنفسها. ضمن المعتصم دراسته نقداً لمواقف الإمام محمد عبده ومدرسته، يقول المعتصم: "وفى الحقيقة أن الإنجليز كانوا أكثر ذكاءً وأبعد نظراً من محمد عبده ومدرسته فيما يتعلق بهذه الأمور"⁽¹⁾. ثم أشار المعتصم إلى أخطاء الإمام محمد عبده فى اعتقاده بأن الإصلاح بواسطة التربية بديل عن العمل السياسى المباشر ضد سلطة الاحتلال، وفى الآمال التى علقها على الاستفادة من أعماله الإصلاحية من سلطات الاحتلال، يقول المعتصم: "فلم يكن التحرر العقلى والإصلاح التربوى الذى يريده ما يسعد به المحتل ولا مما يرضى به المستعمرون. والأمر الذى حدث أنهم كانوا يظهرون له الرضا والسرور والتشجيع فى الوقت الذى يتركون فيه مشاريعه ومحاولاته تحتضر وتجهض"⁽²⁾. وأشار المعتصم إلى أن الاستعمار كسب الكثير من وراء مواقف محمد عبده، بينما لم يجنِ محمد عبده من وراء تأييدهم الشكلى لمشاريعه الإصلاحية سوى القليل. يقول المعتصم: "ولهذه المواقف سعى اللورد كرومر لدعوة الإمام محمد عبده لزيارة السودان حتى يستطيع خلق موقف مماثل للعلماء فيه"⁽³⁾.

كانت حكومة السودان تعتمد على الشيخ محمد عبده فى اختيار قضاة الشرع له من علماء مصر لا سيما قاضى القضاة، وسائر القضاة الشرعيين وبعض أساتذة كلية غردون من مريديه ومن خواص الأساتذة الشرعيين العصريين المتبعين لطريقته فى الإصلاح. وكان السودان يعمل بآرائه الإصلاحية بغير معارضة عن طريق هؤلاء المشائخ"⁽⁴⁾. "وعرف السودان كإحدى كبريات البلاد الإسلامية بتطبيق الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية على أساس التجديد والابتكار بمذهب الاجتهاد الذى كانت تدعو له مدرسة الإمام محمد عبده"⁽⁵⁾. وعندما زار الإمام محمد عبده السودان فى يناير عام 1905، وحينما بلغ الخرطوم. كانت الحكومة قد أعدت السفينة البخارية الخاصة بالحاكم العام لنقل فضيلته. كما ذهب

(1) المرجع السابق، ص 72.

(2) المرجع السابق، ص 73.

(3) المرجع السابق، ص 73.

(4) المرجع السابق، ص 73.

(5) المرجع السابق، ص 74.

السكرتير القضائي المستر يونهام كارتر وسلاطين باشا المفتش العام لحكومة السودان والسيد على الميرغنى زعيم الختمية والشيخ محمد هارون قاضى قضاة السودان (مصرى الجنسية)، والشيخ الطيب هاشم مفتى السودان والشيخ محمد البدوى شيخ العلماء، لاستقبال الإمام من قبل حكومة السودان⁽¹⁾. وفى زيارته لجامع أمدرمان الكبير فى يوم الجمعة 27 يناير 1905 لاحظ الإمام محمد عبده: "ما عليه هذا المسجد من تهدم، فدعا إلى الاكتتاب لإصلاحه وإنشاء معهد دينى تدرس فيه العلوم العربية والإسلامية على نحو ما يسير عليه منهج الأزهر الشريف. وافتتح الاكتتاب بمبلغ عشرة جنيهات، ووعد بأن يسعى لدى وزارة الأوقاف بمصر لتقرر مبلغاً من المال لهذا الغرض"⁽²⁾.

الشاهد أن صلة المعهد بالأزهر بدأت منذ مرحلة حضانة الفكرة، والرغبة فى استنساخ أزهر مصر فى السودان. وكما ورد آنفاً، فإن الشيخ أبو القاسم مؤسس المعهد، أخذ بلوائح الأزهر ووضع المنهج الدراسى على غرارها وتقررت دراسة جميع العلوم التى تدرس بالأزهر الشريف كما جعلت المراحل الدراسية وشهاداتها كما هى فى الأزهر. ثم توسعت وتطورت العلاقة مع الأزهر، وظلت البعثات من الأزهر إلى المعهد باستمرار وتوسع، كما ظل إيفاد الطلاب من المعهد إلى الأزهر فى توسع واستمرار. كانت البعثات من الأزهر إلى المعهد بأمدرمان تتم بأعداد كبيرة من المشايخ والأئمة والوعاظ. أورد عثمان أحمد عبدالرزاق فى مقال له بعنوان: "بين المعهد والأزهر"، والتى نشرها فى مجلة معهد أمدرمان، عام 1957، أورد عدداً من أسماء المشايخ المبعثين من الأزهر وتحدث عن دورهم وآثارهم، ولخص دورهم قائلاً: "وهكذا كان للثقافة الأزهرية أثر واضح فى تثبيت دعائم هذه المؤسسة من نشأتها إلى يومنا هذا (ديسمبر 1957)⁽³⁾". كما ذكر عثمان أحمد عبدالرزاق عدداً من أسماء الموفدين من المعهد إلى الأزهر، ولخص دورهم قائلاً: "كما أوفد المعهد إلى الأزهر عدداً من البعثات التعليمية نهلوا من منهله ثم عادوا إلى السودان ينشرون ثقافة الأزهر"⁽⁴⁾. كما

(1) المرجع السابق، ص 74.

(2) المرجع السابق، ص 74.

(3) عثمان أحمد عبدالرزاق، "بين المعهد والأزهر"، مجلة معهد أمدرمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377 / ديسمبر 1957، ص 25.

(4) المصدر السابق، ص 25.

استقدم الأزهر عدداً من خريجي المعهد لتلقى دراسات تربوية. وكانت كذلك مشيخة المعهد تجذب في أحاديثها لطلاب المعهد وفي نشراتها الصحفية أن تربط بين الأزهر والمعهد العلمي، ففي كلمة شيخ العلماء الشيخ محمد المبارك التي القاها على طلبة المعهد العلمي عند افتتاح المعهد لعامه الدراسي 1961، قال شيخ العلماء وهو يلقي بنصائح لطلبة المعهد: "ولقد كانت لطلاب الأزهر ومعهد أمدرمان، حين كان الطلبة طلبة، سنة حسنة وطريقة نافعة جداً في تحصيل العلم وتكوين ملكته يأخذون أنفسهم بها ولا يحيدون عنها إلا في حال الضرورة، وهي أن يذكروا دروس الغد قبل أن يحضروها على أساتذتهم..."⁽¹⁾.

من المهم الإشارة إلى علاقة المعهد بجامعة الخرطوم. لقد كانت هناك علاقات علمية وثقافية ربطت المعهد بجامعة الخرطوم. كتب عثمان عبدالرزاق، والذي كان يعمل مراقباً للقسم الثانوي بالمعهد، قائلاً: "وتاريخ هذه الصلات يرجع إلى سنة 1950 حيث التحقت أول دفعة من طلبة المعهد العلمي بكلية الحقوق قسم الشريعة وذلك على نظام المسابقة التي أجريت لطلبة المعهد وغيرهم من الراغبين في الالتحاق بهذا القسم"⁽²⁾. تطور التعاون بين الجامعة والمعهد وتوالت الدفعات العلمية من طلبة المعهد للدراسة بجامعة الخرطوم "من سنة 1953 إلى سنة 1957 حيث اشترطت الجامعة الحصول على الشهادة الثانوية من معهد أمدرمان العلمي أو ما يعادلها من الشهادات"⁽³⁾. كما ظل المعهد يتدرب بعض أساتذته لتدريس الشريعة الإسلامية بالجامعة، وقد انتدب عام 1950 الأستاذين الأمين محمد الأمين الضريير، وإبراهيم ناجي، فانتدب لاحقاً الأساتذة: عبدالعزيز عبيد، ومحمد كرمي عيسى، الأمين داوود للقيام بإلقاء المحاضرات في الشريعة الإسلامية⁽⁴⁾. وتوالت الانتدابات من المعهد إلى الجامعة، وظلت الصلات في تطور وتوسع.

(1) محمد المبارك عبدالله، "شيخ العلماء يلقي بنصائح غالية لطلبة المعهد العلمي عند افتتاح عامه الدراسي"، مصدر سابق.

(2) عثمان عبدالرزاق، "بين المعهد وجامعة الخرطوم"، مجلة معهد أمدرمان، العدد الثاني، 1958، ص 69.

(3) المصدر السابق، ص 70.

(4) المصدر السابق، ص 70 - 71.

المعهد وثقافة التكفير والإسهام فى تشكيل العقل الثقافى السائد

لنا نحن الجمهوريين، رأى فى التعليم الدينى القائم الآن.. ورأينا فيه رأى سىء. فى مستواه، ومحتواه وأغراضه، وأسلوبه، وأساتيده⁽¹⁾.

محمود محمد طه

مثَّل المعهد العلمى بأملرمان المعطى الأساس فى تشكيل العقل الثقافى السائد. وهو العقل الذى كَوَّن السلطات الدينية والمجتمعية والسياسية والثقافية... إلخ. وهو العقل الذى تحكم فى مسار السودان السياسى فى القرن الماضى ولا يزال يسيطر حتى اليوم. فالمعهد ساهم بقوة فى تشكيل ذلك العقل من خلال رؤيته ونظرة مشائخه وعبر مخرجاته وفى رسالته. فقد استل المعهد سيف التكفير باكراً، فأعاق مناخ الحرية الفطرى فى السودان، وعطل الطاقات الإبداعية والسعى لقبر الإبداع والمبدعين. كان الشيخ محمد المبارك، شيخ المعهد قد نشر فى أول عدد من أعداد مجلة معهد أملرمان رسالة المعهد قائلاً: "وللمعهد رسالة كبرى، هى فى التفصيل ثلاث رسالات: رسالة دينية، ورسالة علمية، ورسالة اجتماعية"⁽²⁾. ثم ذهب مفصلاً فى الرسالة فقال:

أما الرسالة الدينية فواضحة: تلخص فى أن يمد الأمة برجال تكون لهم هبة فى الصدور، وحب فى القلوب، ومنزلة سامية فى النفوس، يتصفون بالأخلاق الإسلامية، وتحلون بالعزة الإسلامية، والكرامة الإسلامية، يسبقون الناس إلى العمل بما يدعون إليه حتى يكونوا قدوة فى القول والعمل، ويشتركون فى الدنيا وشؤونها على نحو ما يريد الإسلام من أهلها، فلا هم بالرهبان المعتزلين للدنيا، ولا بأدعياء السلطة الروحية والوساطة بين الله وعباده، ولا بالذين يجعلون الدنيا كل همهم.. (يكون منهم الأئمة والقضاة والعلمون والوعاظ، يقومون على تصحيح العقائد الإسلامية، ودعمها بالأدلة التى هدى إليها القرآن)... ويتوفرون على نشر الشريعة الإسلامية السامحاء، وبيان ما فيها من حكم وعدالة وصلاحية لكل زمان

(1) محمود محمد طه، بيننا وبين محكمة الردة، السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة، مصدر سابق، (مقدمة الطبعة الثانية).

(2) محمد المبارك عبدالله، "رسالة المعهد"، مجلة معهد أملرمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الأول، جمادى الأول 1377 / ديسمبر 1957، ص 5.

ومكان، وينهضون بنشر مكارم الأخلاق الإسلامية⁽¹⁾.

ثم تناول الرسالة العلمية قائلاً: وأما الرسالة العلمية فهي تجمل في أن يدرس العقيدة الإسلامية دراسة عميقة مستفيضة، فيها اجتهاد في فهم النصوص، وتجديد في الأدلة... وأن يدرس الشريعة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية كذلك، ولا يتم له هذا إلا إذا درس التاريخ الإسلامي، والعلوم العربية والأدب العربي، والعلوم الكونية⁽²⁾. وفي رسالة المعهد الثالثة، وهي الرسالة الاجتماعية، برز المعهد فيها وكأنه الحارس والمراقب للشعب، وهو يقتبس من الأمم ويتأثر بحضارتها، ليأخذ بما لها من عادات صالحة وتقاليد نافعة، ويجتنب الضار الموبق من رذائلها وضلالاتها، حتى يشعر المجتمع أنه في حاجة إلى خريجيه كحاجته إلى الصناع والمزارعين، والأطباء. يقول الشيخ محمد المبارك:

وأما الرسالة الاجتماعية ففي أدائه هاتين الرسالتين -الدينية والعلمية- على أكمل وجه وأنفعه، حتى يكون له أثر واضح في المجتمع، وفي النهوض به وتوجيهه توجيهاً حسناً، وطبعه بالطابع الإسلامي الخالص، والإبقاء على عادات الشعب وتقاليده الصالحة، ومراقبته وهو يقتبس من الأمم ويتأثر بحضارتها، ليأخذ بما لها من عادات صالحة وتقاليد نافعة، ويجتنب الضار الموبق من رذائلها وضلالاتها، حتى يشعر المجتمع أنه في حاجة إلى خريجيه كحاجته إلى الصناع والمزارعين، والأطباء والجنود الذين يحمون استقلاله ويحافظون على سلامة أراضيه، أو يشعر أنه إليهم أحوج لسمو خدمتهم وعلاقتها بسعادة الدنيا والآخرة⁽³⁾.

بدأ المعهد العلمي باكراً في خنق مناخ الحرية، والتضييق على إبداع المبدعين من أصحاب العقول الكبيرة. والشواهد على ذلك كثيرة ومثبتة.

مواقف المعهد من الفجولة الفكرية والعقول الكبيرة: التجاني يوسف بشير (1912-1938)

أواخر عام 1935 قدمت إلى الخرطوم... وعملت في جريدة النيل... وذات مساء وأنا أعكف على تصحيح الجريدة... أقبل شاب شديد السمرة، نحيل،

(1) المصدر السابق، ص 5.

(2) المصدر السابق، ص 6.

(3) المصدر السابق، ص 6-7.

ضامر العود، متوسط الطول، خفيف الحركة، ساكن الريح، يلبس جلباباً من الدبلان، وعمامة من (الكرب) ونعلًا من مصنع أمدرمان، وسلم ثم جلس، وأراد أن يشقق الأحاديث ويعرفني بشخصه، ولكنني كنت في حالة لا تعين على الاستماع، فمضيت أنهى ما أمامي... وسرعان ما وجدت نفسي في عرض الطريق.. ولم أذكر ذلك الشاب إلا وأنا داخل (سينما كلزيوم) ومضى أسبوع كامل وإذا بالشاب يعود مرة أخرى، وأعرف أنني إزاء التيجاني يوسف بشير..

التيجاني "خرج من المعهد الديني متهمًا بالإلحاد دون أن يستوفي دراسته، ثم سطع كما تسطع الجوهرة بين الأدران... وهو ظاهرة إنسانية فريدة"⁽¹⁾.

يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011)

إن دراسة جمود حركة التغيير، وحالة الخنق للإبداع والمصادرة للحرية الفكرية ومن ثم تعطيل الطاقات الحيوية وحبسها وتغيير مسارها، والتأسيس لثقافة الأحكام بالردة والاحاد في السودان، لا يمكن في دراستها إغفال الدور والمناخ العام الذي خلقه المعهد العلمي بأمدرمان. فالمعهد تبنى باكراً الهجوم على العقول الكبيرة من أصحاب المشاريع والرؤى التقدمية والمبادرات الخلاقة، بعد تقويمها بمعايير قوامها السقوف المعرفية لمشائخه وللمبتعثين إليه من أزهر مصر. يقول حيدر إبراهيم على: "أطلقت المؤسسة الدينية المحافظة حملتها ضد الفكر الحر والعقل مبكراً، واستلت سيف التكفير منذ عهد الشاعر العظيم التيجاني يوسف بشير"⁽²⁾. فالشاعر التيجاني بعد أن حفظ القرآن بخلوة الكتّاب في سن مبكرة، التحق بالمعهد العلمي بأمدرمان، فما لبث أن جاء بما هو خارج عن مألوف المعهدين، فاتهم بالإلحاد والكفر وفصل من المعهد. يقول محمد الوائق عن التيجاني: فصل من المعهد بسبب الوسواس⁽³⁾. ويفصل الوائق قائلاً: "وكانت له آراء خاصة في قضايا الأدب والفلسفة خرجت عن مألوف المعهدين تسببت في فصله من المعهد بالكفر والإلحاد، فكّر في الذهاب إلى مصر لمزيد من الدراسة فلم تتح له ظروفه المالية ذلك"⁽⁴⁾. بعد فصله عمل محرراً في

(1) يحيى محمد عبدالقادر، على هامش الأحداث في السودان، مصدر سابق، ص 60.

(2) حيدر إبراهيم على، "الخفاض الفرعوني لعقل المثقف السوداني"، مرجع سابق.

(3) محمد الوائق، الشعر السوداني في القرن العشرين: آراء وقصائد مختارة، ط 1، إدارة التعريب، مطبعة جامعة

الخرطوم، 2009، ص 8.

(4) المرجع السابق، ص 89.

بعض الصحف والمجلات منها: جريدة ملتقى النهرين، وجريدة النيل، ومجلة أمدرمان، ومجلة الفجر، كما عمل بعض الوقت محصلاً بشركة سنجر للخياطة بأمدرمان⁽¹⁾. ثم أصيب بداء الصدر فتوفي عام 1938 وهو في سن الخامسة والعشرين بعد أن ظهر فيها نبوغه، وخلف لنا مجموعة قيمة من الشعر⁽²⁾. كان الشاعر التيجاني كبيراً في صوفيته وفي شعره الصوفي ولا يقاس إلا بكبار الصوفية، يقول محمد الواصل: "قصيدته الصوفي المعذب وما سار مسارها في شعره هي أقرب إلى أشياء ابن الفارض والحلاج منها إلى متصوفة الأولياء والصالحين في سنار الذين ذكرهم ود ضيف الله"⁽³⁾. قبل أن يتعرف الناس على التيجاني وشعره ويكتشفوا طاقاته الإبداعية كفره مشائخة المعهد ورموه بالإلحاد وفصلوه من المعهد. بينما التيجاني كان عند المصريين أمراً آخر. يقول محمد الواصل: "وأكاد أجزم أن المصريين اكتشفوا شاعرية التيجاني قبل أن يلتفت إليها السودانيون"⁽⁴⁾. لم يتح المعهد العلمي ومشائخته الفرصة ليلتفت السودانيون إلى شاعرية التيجاني، فالصاق تهمة الإلحاد والردة تشكل حجاباً وحاجزاً خاصة في بلد كالسودان، يتسم بثقافة القطيع وقوة السلطة الاجتماعية والسلطة الدينية. الشاهد أن اكتشاف المصريين كان باكراً والشواهد على ذلك كثيرة. كتب محمد محمود جلال في تقديمه لديوان إشراقة: في سنة 1935، قائلاً:

دعوتُ على صفحات (الرسالة) إلى إشراك الأدب العربي في إحياء الذكريات العامة لوادي النيل، والأيام الخالدة في تاريخه، وإبراز شخصيات الرجال... وأهبتُ بخيرة الشعراء والكتاب في الجنوب والشمال إلى التباري في أشرف مضمار وأشمله حياة الشعب. وقبل أن أنتهي من أول محاولة في هذا الباب، وفي الفترة التي تكفي لذهاب بريد إلى الجنوب وعودة آخر ظهرت على صفحات الرسالة ذاتها أول استجابة للدعوة في نشر رقيق وأداء واضح صادرة من أمدرمان بقلم (التيجاني يوسف بشير)،... فقد أملت منذ تلك المكاتبة أن أرى

(1) عز الدين الأمين، نقد الشعر في السودان، حتى بداية الحرب العالمية الثانية، مرجع سابق، ص 69.

(2) عبد المجيد عابدين، التيجاني شاعر الجمال، ط 1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2010، ص 5.

(3) محمد الواصل، محمد أحمد المحجوب وشعره جيله، معهد عبدالله الطيب للغة العربية، جامعة الخرطوم، 2002 (كتاب غير منشور)، ص 8.

(4) المرجع السابق، ص 8.

(التيجاني)... وجاء يناير 42 وقد حقق الله - جلَّ شأنه - أمنيته... كان أول واجب عليّ، بل أحب فرصة إلى قلبي أن أصافح يد الشاعر (التيجاني) قبل أي إنسان. ولكن (التيجاني) توفي رحمه الله قبل ذلك بستين (1).

وثقّ التيجاني الظلم الذي وقع عليه من المعهد ومشائخه، وشهد الأجيال عبر الزمان على ذلك الظلم، فكتب قصيدته الشهيرة: "المعهد العلمي". ودعانا في تلك القصيدة الشاهدة، أن نقرأها لنقف على تفاصيل ما أصابه من أذى وقتل معنوي. إن أقل ما أصاب التيجاني من جراء اتهامه جزافاً من المعهد العلمي بالإلحاد والكفر، أنه فصل من دراسته وقتل معنوياً، فتغيرت حياته وعطلت طاقاته. كتب التيجاني معزياً نفسه ومعبراً عن ما واجهه من قسوة من المعهد العلمي ومشائخه، كتب التيجاني قائلاً:

هُوَ مَعَهْدِي وَلَكِنْ حَفَظْتُ صَنْيَعَهُ فَأَنَا ابْنُ سَرَحْتِهِ الَّذِي غَنَى بِهِ
فَأَعِيدُ نَاشِئَةَ التُّقَى أَنْ يَرْجِفُوا بِفَتَى يَمْتِ إِلَيْهِ فِي أَحْسَابِهِ
مَا زِلْتُ أَكْبُرُ فِي الشَّبَابِ وَأَعْتَدِي وَأَرْوَحُ بَيْنَ بَخٍ وَيَا مَرَحِي بِهِ
حَتَّى رَمِيتُ وَلَكْتُ أَوَّلَ كَوَكَبِ نَفْسِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ فَضِلَّ شِهَابِهِ
قَالُوا وَأَرْجَفْتُ النُّفُوسَ وَأَوْجَفْتُ هَلْعاً وَهَاجَ وَمَاجَ قَسُورِ غَابِهِ
كَفَرَ ابْنُ يَوْسُفَ مِنْ شَقِيٍّ وَأَعْتَدِي وَبَغَى وَلَكْتُ بُعَابِي أَوْ أَبِهِ
قَالُوا احْرِقُوهُ بَلْ أَصْلَبُوهُ بَلْ انْسَفُوا لِلرَّيْحِ نَاجِسَ عَظْمِهِ وَإِهَابِهِ
وَلَوْ أَنَّ فَوْقَ الْمَوْتِ مِنْ مُتَلَمَّسٍ لِلْمَرءِ مَدَّ إِلَيَّ مِنْ أَسْبَابِهِ (2)

لم يكن التيجاني وحده الذي واجه الإرهاب والقتل المعنوي، ولحقه الأذى من المعهد العلمي ومشائخه، فقد أورد حيدر إبراهيم على قائلاً (3): شاعراً آخر هو محمد عبدالوهاب

(1) محمد محمود جلال، "مقدمة"، إشراقة، (ديوان شعر للتيجاني يوسف بشير)، ط 1، الدار السودانية للكتب، 2010، ص 5-7.

(2) التيجاني يوسف بشير، "المعهد العلمي"، (قصيدة)، إشراقة، (ديوان شعر)، ط 1 الدار السودانية للكتب، 2010، ص 106-107.

(3) حيدر إبراهيم على، "الحفاض الفرعوني لعقل المثقف السوداني"، مرجع سابق.

القاضى، والذى يقول عبدالله الشيخ البشير فى مقدمة ديوانه: "خرج من السودان على أثر مشادة بينه وبين شيخ المعهد العلمى عام 1935، لتصديه لقضايا المعهد فحرم من اعطائه الأولية التى كان يستحقها فى امتحان الشهادة التى يستحقها فى امتحان الاهلية، بطريقة تكاد تشبه الطريقة التى أبعدت التيجانى عن المعهد مع اختلاف فى التفاصيل". وقال فيهم: لقيت من الدنيا ومن ظلم أهله نضيض الافاعى فى سموم العقارب



سأعمل حد السيف فى أم رؤوس خرائب يايوح الرؤوس الخرائب
لهم من يراعى كل سيف مجرب يريهم سريعاً كيف فعل القواضب

كان الشاعر والكاتب محمد عبد الوهاب القاضى الكتيابى، ابن عم التيجانى⁽¹⁾، وكانت فيما يبدو تربط بينهما حوارات كبيرة. يشير يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011) فى مذكراته لتلك الحوارات قائلاً: "وأذكر أن التيجانى دعانى لزيارته فى أمدرمان فذهبت... وصحبني التيجانى إلى الأستاذ محمد عبدالوهاب القاضى وهو شاعر وكاتب كان قد اتسع له ذكر وتناولنا طعام الغداء معاً.. وكان محمد واضح الأستاذية علينا وكنت - أنا غير المتحدث الماهر - أنزوى فى مجلسى استخذاء (هكذا فى المصدر)، وزميلائى يشتدان فى الجدل ويغوصان فى المعانى الدقاق"⁽²⁾. يقول حيدر إبراهيم على⁽³⁾: "واستمر الارهاب الفكرى السرى للمؤسسة الدينية طوال الفترة الممتدة من الثلاثينيات حتى بعد الاستقلال، حين ظهر الامين داوود وحسين محمد زكى وكثائب القضاة الشرعيين وفقهاء الكلية الإسلامية الذين صاروا يحملون ألقاباً علمية حديثة، ليرفدوا نخبة دينية لقحت فى الأنابيب"⁽⁴⁾، فكانت محكمة الردة الأولى فى يوم 18 نوفمبر 1968 التى حكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام.

(1) عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 69.

(2) يحيى محمد عبدالقادر، على هامش الأحداث فى السودان، مصدر سابق، ص 60.

(3) حيدر إبراهيم على، "الخفاض الفرعونى لعقل المثقف السودانى"، مرجع سابق.

(4) المرجع السابق.

الأستاذ محمود والمعهد العلمى بأمدردمان (أزهر السودان)

السعة الفكرية والدعوة للقيم الإنسانية

الإسلام موش [ليس] هو إسلام الأزهر ولا إسلام المعهد العلمى ولا إسلام الفقهاء ولا القضاة الشرعيين، دى صورة خالية من المحتوى، اسم بلا محتوى، الروح ماتت فيه، لابد من البعث⁽¹⁾.

محمود محمد طه

كشف شيوخ المعهد العلمى بأمدردمان، منذ الوهلة الأولى، عن عداء شديد ومعارضة قوية للأستاذ محمود ومشروعه. لقد كان البون شاسعاً بين الأستاذ محمود ومشيخة المعهد العلمى فى كل شىء. لقد تجلّى ذلك البون والتناقض باكراً من خلال المساجلات والمداخلات التى كانت تتم فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى فى المحاضرات والندوات التى كان يقيمها المعهد العلمى فى مناسبات مختلفة، وكان يحضرها الأستاذ محمود، وأحياناً يشارك فيها كمتحدث. عندما طرح الأستاذ محمود مشروعه، الفكرة الإسلامية الجديدة دعا إلى الفهم الجديد للإسلام، وسعى لنشر الوعى بالفكر الإسلامى الجديد.. ليلتف الناس حوله ويتربوا⁽²⁾. انطلق مشروع الأستاذ محمود من رؤية نقدية شاملة للفكر والعقل الثقافى الإسلامى السائد، وللحضارة الغربية، وبمرتكزات لا تقبل التسوية أو المساومة أو انصاف الحلول من تلك المرتكزات: التطوير والتغيير والتحرر، والدعوة للقيم الإنسانية، ورفض الوصاية على العقول والمجتمعات، لا سيما وصاية رجال الدين. كل هذه المرتكزات تتناقض مع رؤية المعهد العلمى ومشائخه.

كان الأستاذ محمود يرفض أن يكون للدين تخصص يتكسب منه المرء، وكان يرفض فكرة رجال الدين من أساسها، ويدعو لفصل رجال الدين عن الدين. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن رجال الدين فى محاضرة عامة: "لازم يكون فى تمييز لازم نفصلهم تماماً عن الدين، لازم أنت وأنت وأنت وأنت كلكم، تعرفوا إنك، إنت رجل

(1) محمود محمد طه، لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية (جامعة الخرطوم)، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

دين. في الدين الإسلامي مافى حاجة اسمها رجل دين⁽¹⁾. وكان يحذر من التعليم الدينى، فهو يقول كما ورد آنفاً: "ويجب الحذر، كل الحذر، من فصل التعليم إلى، تعليم دينى، وتعليم مدنى، ينتظر فيه من رجال الدين، من استقامة الخلق، ما لا ينتظر من رجال التعليم المدنى"⁽²⁾. وكان يدعو للتمييز بين ما يلحق فى المعاهد وروح الدين قائلاً: "يجب أن نميز بين القضايا الفقهية التى تلقن فى المعاهد الدينية الحاضرة، وبين (روح الدين)"⁽³⁾. وعن رأيه فى التعليم الدينى القائم يقول الأستاذ محمود: "ورأينا فيه رأى سىء. فى مستواه، ومحتواه وأغراضه، وأسلوبه، وأساتيده"⁽⁴⁾. كذلك كان الأستاذ محمود يرفض ما تقدمه المعاهد الدينية من تعليم للقضايا الفقهية كمهن، فهو يقول: "وأما تعلم القضايا الفقهية، على نحو ما يمارس فى المعاهد الآن، فهو مهنة، كسائر المهن، ولا يحتاجه المجتمع الذى ندعو إليه"⁽⁵⁾. ثم يضيف الأستاذ محمود موضحاً: "نعم!! سنحتاج إلى رجال قانون، ولكنهم لن يكونوا بالصورة الحاضرة، لأننا لن نعمل على قيام محاكم شرعية، ومحاكم جزئية، وإنما سيكون التشريع موحداً أيضاً.. سيكون التشريع مبنياً على القيم الإنسانية الرفيعة، وهى القيم التى نعلمها فى معاهدنا، ومنازلنا، ونطلبها من كل مواطن مهما كان دينه، ومهما كانت مهنته، بغير تمييز فى ذلك"⁽⁶⁾. الشاهد أن مشائخ المعهد لم يكونوا قادرين على الاستماع للأستاذ محمود، ولم يكونوا مهتمين لمناقشة آرائه فى تطوير التشريع الإسلامى ورؤيته بشأن الشريعة وحقوق المرأة. أما آراؤه بشأن الاختلاط والحجاب والجهاد وأنها ليست أصلاً فى الإسلام، فكانت لا تجد حتى مجرد التفكير فيها من قبل مشائخ المعهد.

ظل الأستاذ محمود يدعو الناس ويطلب من المعارضين أن يسمعوا منه لا أن يسمعوا

-
- (1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، مصدر سابق.
 - (2) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، 1958/12/24، الخرطوم.
 - (3) المصدر السابق.
 - (4) محمود محمد طه، بيننا وبين محكمة الردة، السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة، مصدر سابق، (مقدمة الطبعة الثانية).
 - (5) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، مصدر سابق.
 - (6) المصدر السابق.

عنه، كتب الأستاذ محمود فى مقدمة كتابه: **من دقائق حقائق الدين**، قائلاً: "إن فى هذا الكتيب الموجز فرصة جديدة لسمعوا منا، بعد أن ظلوا طوال وقتهم يسمعون عنا.. ولقد أنكرنا عليهم هذا الوضع فى عديد المناسبات، ونحن إذ نجدد الدعوة الآن بهذا القول اللين.. فإننا نطمح أن هذا يجعلهم يتقون، أو يحدث لهم ذكراً⁽¹⁾. فى واقع الأمر منذ أن طرح الأستاذ مشروعه عام 1951، ومن ثم بدأ يدعو له بنشر الكتب والمقالات والمناشير وتقديم المحاضرات، فكان كل يوم يمر يزيد الفجوة بينه وبين مشائخ المعهد العلمى بأمدردمان. وظل الأستاذ محمود وتلاميذه فيما بعد، فى مواجهة واسعة ومستمرة مع مشيخة المعهد العلمى وأساتذته والذين من حوله من فقهاء وقضاة شرعيين و"علماء السودان". وكان من خلال هذه المواجهة يواجه مشائخ الأزهر بمصر بحكم العلاقة بين المعهد والأزهر، كما ورد آنفاً، وعبر تلك العلاقة كان هناك عدد كبير من المشائخ الأزهريين المبتعثين إلى المعهد وباستمرار.

صدام الجديد مع القديم وتجليات الكسل العقلى

يجب أن يكون تعليمنا بالقوة، لا بالكلام.. والدين، من حيث هو، من أكبر وسائل تعليم الخلق الجميل، والدين الإسلامى، بشكل خاص، على ألا يكون تعليمه مستقلاً عن النشاط اليومى، فى التعليم المهنى، أو فى الألعاب أو خلافة، وإنما يكون متلبساً بكل أولئك.. يجب أن يعلم الدين بسير الرجال الصالحين، حتى ولو كانوا غير مسلمين، فإبراز قيم السلوك الإنسانى التى عاشها العظماء، من مسلمين، وغير المسلمين ترسخ فى أذهان الطلاب النماذج البشرية المجددة⁽²⁾.

محمود محمد طه

استهل شيخ المعهد العلمى، ودوائرهم: الفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء السودان"، وموظفو الشؤون الدينية، النقد للأستاذ محمود ولمشروعه فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى، ولم يكن نقداً علمياً بقدر ما هو نقداً عدائياً. وما لبثوا أن شكّلوا

(1) محمود محمد طه، من دقائق حقائق الدين، مصدر سابق، ص 2-3.

(2) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، مصدر سابق.

تحالفاً إسلامياً واسعاً وبامتدادات خارجية في مصر والمملكة العربية السعودية. واستمروا في تقديمهم خلال الستينيات، وزاد النقد قبيل وبعد محكمة الردة عام 1968، وتوسع في السبعينيات، وتكثف في النصف الأول من الثمانينيات، ثم انحسر، ولكنه لم يتوقف، في النصف الثاني من الثمانينيات وما بعدها. ظهر النقد في شكل كتب وأوراق علمية ومقالات صحفية، وفي منابر المساجد، إلى جانب بعض الدراسات التي قدمها سودانيون داخل السودان بجامعة أمدرمان الإسلامية، وخارج السودان بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية. اتسمت هذه الدراسات بغياب الورع العلمي، وتأخير الوثيقة وتقديم الغرض، وبالنقل فيما بينها، ونَحَتْ إلى التشهير والتضليل، فمثلت أنصع صورة للصدام بين الجديد والقديم. بدأ اختلاف الآراء ووجهات النظر بين الأستاذ محمود ومشائخ المعهد تظهر في النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين. وقد تطور الأمر في عهد الشيخ محمد المبارك عبدالله، شيخ العلماء وشيخ المعهد العلمي (1956-1963). كان ميدان السجال هو المقالات الصحفية وعلى هامش المحاضرات التي كان ينظمها المعهد، وكان الأستاذ محمود يحضرها ويشارك ويعلق عليها في المنابر والصحف. وكانت كتاباته وتعليقاته على أى موضوع من الموضوعات يمثل تناقضاً تاماً لأطروحة مشائخ المعهد. هناك أمثلة عديدة على ذلك ولكنى أقدم نموذجين اثنين. النموذج الأول هو محاضرة قدمها الأستاذ محمود عن الاشتراكية من منطلق إسلامي. والنموذج الثاني هو مقال كتبه الأستاذ محمود تعقيباً على محاضرة قدمها أحد المتبعثين من الأزهر للمعهد عن موضوع مستقبل الثقافة العربية في السودان.

ففى النموذج الأول كان طلبة القسم العالى للدراسات الإسلامية بالمعهد العلمي بأمدرمان قد قدموا الأستاذ محمود فى محاضرة وتحدث فيها الأستاذ محمود عن الاشتراكية من منطلق إسلامي. أثناء المحاضرة ثار شيخ العلماء محمد المبارك عبدالله وانتزع الفرصة من السكرتارية وهاجم واعترض على الأستاذ محمود⁽¹⁾. ثم نقل ذو النون جبرة محتوى ما قاله الأستاذ محمود فى المحاضرة للصحف ليأخذ النقاش حول الاشتراكية الفرصة للأخذ والرد. كتب شيخ العلماء مستنكراً ومهاجماً الأستاذ محمود فى

(1) مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، مصدر سابق.

رد مطول. فرد عليه الأستاذ محمود. استمر الحوار مع الأستاذ محمود، وما لبث أن أحجم شيخ العلماء عن الرد والمناقشة⁽¹⁾. أما النموذج الثاني: فهو يتصل بتقديم أحد المبتعثين من الأزهر لمحاضرة عن: "مستقبل الثقافة العربية في السودان". يقول الأستاذ محمود: "كنت قد حضرت محاضرة، في منتصف الخمسينيات، أُلقيت على طلبة المعهد العلمي عن "مستقبل الثقافة العربية في السودان" وأعتقد أن أستاذاً مصرياً، كان مبعوثاً من الأزهر للتدريس في المعهد العلمي قد كان يحاضر تلك الليلة، فقام في بالي توجيه هذا الكلام، وأهديته لطلبة وأساتذة المعهد العلمي يومئذ". كان كلام الأستاذ محمود عبارة عن مقال، وقد وقفت على المقال منشوراً بصحيفة أنباء السودان في يوم 18 أكتوبر 1958، وهو مقال طويل، نُشر تحت عنوان: "مستقبل الثقافة العربية في السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمي بأمدردمان"⁽²⁾. في ذلك الوقت كان عبدالمجيد عابدين، قد نشر كتابه: تاريخ الثقافة العربية في السودان: منذ نشأتها إلى العصر الحديث، الدين، الاجتماع، الأدب"⁽³⁾.

كانت مجلة معهد أمدردمان تضح أعدادها بالحديث عن مستقبل الثقافة العربية والإسلامية في السودان، وعن مستقبل اللغة العربية في السودان. فقد نشر محمد المبارك عبدالله، شيخ العلماء شيخ المعهد، مقالاً بعنوان: "الثقافة الإسلامية والإصلاح السياسي والاجتماعي في بلادنا"⁽⁴⁾. ونشر كذلك مصطفى محمد مسعد، في مجلة معهد أمدردمان، وهو مدرس (آنئذ) بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، مقالين الأول بعنوان: "فجر الثقافة العربية في السودان"⁽⁵⁾، والثاني بعنوان: "مشرق الثقافة العربية في السودان"⁽⁶⁾.

(1) المصدر السابق.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية في السودان"، مصدر سابق.

(3) عبدالمجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان: منذ نشأتها إلى العصر الحديث، الدين، الاجتماع، الأدب، مرجع سابق.

(4) محمد المبارك عبدالله، "الثقافة الإسلامية والإصلاح السياسي والاجتماعي في بلادنا"، مجلة معهد أمدردمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الثاني، ديسمبر 1958، ص 4-12.

(5) مصطفى محمد مسعد، "فجر الثقافة العربية في السودان"، مجلة معهد أمدردمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الثاني، ديسمبر 1958، ص 25-33.

(6) مصطفى محمد مسعد، "مشرق الثقافة العربية في السودان"، مجلة معهد أمدردمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الثالث، جمادى الآخر 1379 / ديسمبر 1959، ص 20-26.

كما نشر كامل السيد محمد الباقر، نائب مدير مصلحة الشؤون الدينية، ومدير جامعة أمدرمان الإسلامية التي تحول إليها المعهد العلمى عام 1965، نشر مقالاً بعنوان: "مستقبل اللغة العربية فى السودان"⁽¹⁾.

فى هذا المناخ، مناخ الانفعال بمستقبل الثقافة العربية والإسلامية فى السودان، وأشواق كُتاب مجلة معهد أمدرمان العلمى، ومشائخ المعهد، بأن تسود الثقافة العربية والإسلامية واللغة العربية فى السودان. فى هذا المناخ كتب الأستاذ محمود عام 1958 مقالاً يختلف كلية عن أطروحات مجلة معهد أمدرمان بل نقد الشيخ الذى قدم المحاضرة، ونقد المصريين، ومشائخ الأزهر، وسمى رؤيتهم بالهوس. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "كل حديث، منذ اليوم، عن مستقبل أى قطر على هذا الكوكب يجب ألا ينحصر فى الحدود الجغرافية لذلك القطر، ذلك لأن الوضع قد تغير عن ذى قبل، وأخذ عالمنا يستقبل عهداً جديداً، كل الجدة، من وحدة المصالح، ووحدة المصير، ووحدة الشعور..⁽²⁾ ثم تناول عنصرى الزمان والمكان فى ظل المعطيات الجديدة، يقول الأستاذ محمود: "والحق، الذى لا مراء فيه، أن الحواجز التى كانت تفصل بين البشر، فى الماضى، لم تعد قادرة على الحيلولة بينهم، منذ اليوم، بعد أن قهرت سبل المواصلات، وسبل الاتصال الحديث، الزمان، والمكان قهراً يكاد يكون تاماً.. بفضل الله، ثم بفضل هذه الكشوف، أصبحت الإنسانية تعيش فى بيئة طبيعية جديدة.. بيئة صغيرة، موحدة"⁽³⁾. ثم انتقل يتحدث عن هموم الإنسانية والقيم الإنسانية، يقول الأستاذ محمود: "ولكى توائم الإنسانية بين مذاهبها الاجتماعية، وبيئتها الطبيعية هذه الموحدة، أصبح لزاماً أن تبرز، إلى حيز الوجود، مذهبية اجتماعية، عالمية، موحدة، أيضاً، عندها تلتقى الإنسانية جمعاء، التقاء أصالة، بدوافع الجبهة المركوزة فى كل نفس بشرية، من حيث أنها بشرية، بصرف النظر عن اختلاف اللون، واللسان، والموطن"⁽⁴⁾.

(1) كامل السيد محمد الباقر، "مستقبل اللغة العربية فى السودان"، مجلة معهد أمدرمان، مشيخة السودان العلمية، العدد الثالث، جمادى الآخر 1379 / ديسمبر 1959، ص 8-13.

(2) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدرمان"، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

ثم انتقل للحديث عن التفكير الجديد، كتب الأستاذ محمود قائلًا: "وبنفس القدر الذى به، أصبحنا، نعيش فى بيئة جديدة فقد وجب علينا أن نفكر تفكيراً جديداً، تفكيراً يتسم بالإحاطة، وبالشمول، وبالدقة.. ووجب علينا أيضاً أن نعيد النظر فيما تواضع عليه الناس، فى العهود السوابق، من مفاهيم، ومدلولات"⁽¹⁾. وبعد أن توسع الأستاذ محمود فى الحديث عن الثقافة واللغة العربية، أضاف قائلاً: "ومع أن الإسلام نشر اللغة العربية إلا أن اللغة العربية لن تستطيع أن تنشر الإسلام.. ويجب أن يكون هذا واضحاً، فى أخلاذ الذين يتحدثون عن العرب، وعن اللغة العربية، فى هذه البلاد، وفى غير هذه البلاد.. وليس من همى هنا أن أنكر على السودانين كونهم عرباً، أو كون ألسنتهم شرائح مقدودة من ألسنة العرب.. ولست أذهب مذهب التقليل من شأن اللغة فى مسائل الثقافة.. ولكنى إنما أحب أن أقرر أن اللغة العربية (تابعة) للإسلام وليست (متبوعة).." ⁽²⁾. ثم عرج على ما سمعه فى محاضرة مبعوث الأزهر الشريف، فكتب الأستاذ محمود قائلًا: "ولقد سمعت فى داركم يومها حديثاً يصرف الناس عن نشر الفكرة الإسلامية إلى نشر (الفكرة العربية) بل لقد قال مبعوث الأزهر الشريف حديثاً يجعل الإسلام وسيلة (القومية العربية) .. وذلك هوس زحم به المصريون المعاصرون رؤوس العرب، وأوشكوا أن يوردوهم به موارد الهلاك"⁽³⁾.

بالطبع لم يقبل مشائخ المعهد العلمى رؤية الأستاذ محمود هذه، وبالتأكيد لم يقبلها المشائخ المبعوثون من الأزهر الشريف إلى المعهد العلمى بأمدرمان، وكذلك الأزهر الشريف فى القاهرة، وهكذا كان كل يوم يمر يعبر عن مزيد من البُعد والبعاد بين الرؤيتين، وظل عداء مشائخ المعهد العلمى للأستاذ محمود مستمراً ومتوسعاً. كان ذلك فى عامى 1957 و 1958، وبعد ذلك تحولت المساجلات إلى عداء سافر، وبدأت المعارك بين الأستاذ محمود ومشائخ المعهد العلمى بأمدرمان ومن خلفهم مشائخ الأزهر فى القاهرة.

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

معارك لا تنسى ولن تموت وستبعث في كل يوم جديد

1- "نكبة المعهد العلمى المؤسفة": الرمى بالكفر والفصل للطلبة الجمهوريين

إننا نصر على أن رمى المشيخة لنا بالكفر لا يستند على دليل وفكرتنا التى لم تعطها إدارة المعهد فرصة لتفهمها هى أن التشريع الاسلامى الذى شرع فى الماضى لا يسع مجتمعنا الإنسانى الحالى الذى تعقدت مشاكله واتسعت عقليته ونمت إمكانياته أضعاف ما كانت عليه البيئة قبل أربعة عشر قرناً وأن الإسلام فى روحه يحمل من التنظيم ما يلائم الوضع الجديد⁽¹⁾.

الطلبة المفصولون، ضمن بيان نشر فى 5 فبراير 1960

أدى التباين الفكرى والاختلاف الشاسع فى الفهم للدين بين الأستاذ محمود ومشائخ المعهد، والذى ظهر بوضوح فى المحاضرات والندوات وما تبعها من مساجلات، لاسيما محاضرة الأستاذ محمود عن الاشتراكية بمنظور إسلامى، ومحاضرة المبعوث الأزهرى عن: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"، وتعقيب الأستاذ محمود عليها بمقال بنفس العنوان: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان"، مع اختلاف كلى فى المحتوى ونقد شديد للأزهر، وغيرها من ندوات ومحاضرات، أدى هذا التباين الفكرى والاختلاف فى الفهم للدين إلى تأسيس عدااء وضغينة من مشائخ المعهد والأزهر تجاه الأستاذ محمود. إن أوضح حدث يمكن أن يؤرخ لبداية ظهور عدااء وضغينة مشيخة المعهد العلمى للأستاذ محمود، وقد تبعه أول تشويه للفكرة الجمهورية، هو حادث فصل تلاميذ الأستاذ محمود من المعهد العلمى. والطلاب هم⁽²⁾: إبراهيم يوسف فضل

(1) "بيان من الطلبة المفصولين من المعهد العلمى"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3916، بتاريخ 1960/2/5.

(2) "بيان من إدارة المعهد العلمى عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، البحث والمناظرة، السودان الجديد، العدد: 3909، التاريخ: 1960/1/28. جاء فى البيان أن مشيخة المعهد قد أصرت على فصل الطلاب الثلاثة. كان اثنان منهم من الذين التحقوا بمعهد أمدرمان هذا العام فى السنة الأولى بقسم الشريعة من طلاب المعاهد الحاصلين على الشهادة الأهلية وهما: 1. إبراهيم يوسف فضل الله، من معهد مدنى ومن بلدة سعادة من ضواحي مدنى. 2. محمد خير على محبى، من معهد النهود التحق به بعد أن درس إلى السنة السابعة بمعهد مدنى وهو من أهالى تنقسي. أما الطالب الثالث فقد التحق بالمعهد فى نفس العام فى السنة الأولى =

الله، ومحمد خير على محيسى وأحمد عبدالرحمن العجب. فقد عرف الحدث في بيانات المعهد وفي الصحف بحادثة: فصل الطلبة - (الطلاب الثلاثة)⁽¹⁾، بينما أطلق الأستاذ محمود على الحدث في بيان له نشر يوم 31 يناير 1960، أطلق عليه اسم: "نكبة المعهد العلمي المؤسفة"⁽²⁾. قامت على ضوء هذا الحدث مساجلات صحفية بين الأستاذ محمود ومشيخة المعهد العلمي بأمدرمان، وشيخ العلماء محمد المبارك عبدالله (1905-1990). كان ميدان المساجلات صحيفة السودان الجديد. على إثر نكبة فصل الطلبة وما تم من مساجلات صحفية حولها، وعلى إثر ما تم سابقاً من مجادلات مع الأستاذ محمود في محاضرات وندوات متفرقة، دخل الفقهاء والقضاة الشرعيون و"علماء السودان" إلى حلبة النقد وبعاء ظاهر للأستاذ محمود. كان الأستاذ محمود قد أصدر عقب نكبة فصل الطلبة وما تبعها من تشويه للفكرة الجمهورية، أصدر كتاب: الإسلام. يقول الأستاذ محمود:

ولقد خرج هذا الكتاب عقيب حادث فصل الطلبة الجمهوريين الثلاثة من المعهد العلمي، وما صحب ذلك الفصل من تشويه شديد للفكرة الجمهورية. ولقد حاولنا تصحيح ذلك التشويه فلم يتيسر لنا النشر، ولقد منعنا المحاضرات في الأندية، وفي دور العلم المختلفة. خرج هذا الكتاب في طبعته الأولى مركزاً، شديد التركيز، مضغوطاً، كأشد ما يكون الضغط، ومع ذلك، فهو الكتاب (الأم) بالنسبة للحزب الجمهوري.. فيه كل ما نريد أن نقول عن الإسلام، فلم يبق أمر مستأنف، إلا أن يكون زيادة شرح، وزيادة توسيع لما جاء فيه موجزاً⁽¹⁾.

= بالقسم الثانوي من طلاب العاصمة الحاصلين على الشهادة الابتدائية وهو: أحمد عبدالرحمن العجب من معهد المعلمين ومن بلدة اللعونة القضيبين مركز مدني.

(1) "بيان من إدارة المعهد العلمي عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، البحث والمناظرة، السودان الجديد، العدد: 3909، التاريخ: 1960/1/28.

(2) محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمي"، البحث والمناظرة، السودان الجديد، العدد: 3911، التاريخ: 1960/1/31.

فصل الطلبة

أمسك بى الطلاب وأخذونى إلى مكتب شيخ العلماء، كما يسمونه، محمد المبارك عبدالله فى مظاهرة تهتف: نريد تطهير المعهد من الكفرة اتباع محمود محمد طه...

[لاحقاً]... لم يحتمل شيخ العلماء كلامى [يوم فصله من المعهد] فقال لى: أسكت بلاش سفسطة أخرج.. مفصول.. ثم انفعلى ويديك ترنجف وأمسك بسماعة التلفون وقال لى: تخرج أم أناذى لك البوليس.. فقلت له يا مولانا عليك الله لو هناك حق وعدل البوليس يتادوه لزول [شخص] هادى زى [مثلى] أم لزول [شخص] يرغى ويزبد زيك كدى [مثلك هكذا].. فقام من كرسيه وأمسك بى ودفعنى بيديه ناحية الباب (2).

أحمد عبدالرحمن العجب

ما هى قصة فصل الطلبة الجمهوريين من المعهد العلمى؟ والتى أطلق عليها الأستاذ محمود "نكبة المعهد العلمى المؤسفة". يروى إبراهيم يوسف فضل الله، وهو أحد الطلاب الجمهوريين المفصولين من المعهد العلمى، فى مذكراته، وفى مقابلة أجريتها معه (3)، يروى إبراهيم قائلاً: كنت قد ناقشت محاضراً حضر حديثاً من الأزهر... فلم يعجب ذلك النقاش بعض اتجاهات الطلبة وربما بعض المشائخ. وفى الغد ذهبت مجموعة من الطلبة شاكية للشيخ من وجود جمهوريين بالقسم العالى. وكنا على أبواب إجازة. فقال لهم الشيخ: بعد الإجازة. وكنا لا نرى أن الأمر مشكلة سنتعرض

(1) محمود محمد طه، محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الإسلام، مصدر سابق، مقدمة الطبعة الثانية.
(2) أحمد عبدالرحمن العجب، تسجيل وتوثيق لتجربة وحركة وانطباعات أحمد العجب فى الفكرة الجمهورية منذ التزامه فى منتصف خمسينيات القرن الماضى، تم التسجيل بمنزل فائز عبدالرحمن وأسماء محمد الحسن، واشنطن، أمريكا، قام بالتسجيل عبده الحاج، بتاريخ الجمعة 22 فبراير 2008.
(3) مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، مصدر سابق.

لها بسبب انتمائنا⁽¹⁾. ذهب الطلاب للإجازة، وروى تلاميذ الأستاذ محمود القصة له. فقال لهم الأستاذ محمود: "المشايع لابد سيتعرضون لكم وإذا سألوكم عن موضوع الصلاة فقولوا لهم نحن بنصلي وموضوع الصلاة يمكن أن تسألوا عنه الأستاذ محمود"⁽²⁾. انتهت الإجازة وعاد الطلاب إلى دراستهم بالمعهد العلمى. وبدأ استجواب مشيخة المعهد لتلاميذ الأستاذ محمود الثلاثة. يقول إبراهيم يوسف: "قدم للمشيخة محمد خير على محيسى باعتبار أنه جمهورى قدمه أحد المشايخ فحاول الأخ محمد خير حالتهم للأستاذ محمود ومناقشة الأمر موضوعياً فأبوا إلا استفزاز الأخ محمد خير وحصاره ليستخرجوا منه إدانات للأستاذ بالاسم ولما استفزوه فى ذلك واجههم بقوله لو صلى (مثل صلاتكم) لما اتبعته وفصلوه"⁽³⁾. جاء دور الطالب الثانى وهو إبراهيم يوسف، يقول إبراهيم: "حاولت الاستفادة من تجربة الأخ محمد خير ومن أننا نحن فى مرحلة دراسية عليا تدرس فيها مختلف الاتجاهات والشيخ نفسه كان يشاع أنه معتزلى. ولكن كل ذلك لم يغير فى الأمر شيئاً وهو أن يستصدروا منى إدانات للأستاذ محمود بالاسم فامتنعت وفصلت"⁽⁴⁾. أما الطالب الثالث فهو أحمد عبدالرحمن العجب كان طالباً فى الثانوى. يقول إبراهيم يوسف: "قص أحد الشيوخ قصة فصلنا بصورة محرقة فتصدى له الأخ أحمد لتصححه فقال للأخ أحمد هل أنت منهم فلما أجابه بـ (نعم) ما كان منه إلا أن أحضره للمشيخة فساروا معه نفس سيرتهم للتجريم فرفض فصلوه"⁽⁵⁾.

الشاهد أن الطلاب الثلاثة خضعوا لمحاكمات فكرية ودينية أمام المشايخ، كانت قصيرة فى مدتها الزمنية، وطالب الطلاب أن يوجه المشايخ أسئلتهم لصاحب الفكرة الأستاذ محمود، فكان الرد بقرارات سريعة ومتعسفة، قالت بفصل الطلبة الثلاثة. استنكرت الصحف والرأى العام فصل الطلبة، يقول إبراهيم يوسف: ولاستنكار الصحف والرأى

(1) إبراهيم يوسف فضل الله، ذكريات جمهورى، مصدر سابق، ص 29.

(2) المصدر السابق، ص 29.

(3) المصدر السابق، ص 29.

(4) المصدر السابق، ص 29.

(5) المصدر السابق، ص 29-30.

العام المستنير أحججت المشيخة عن فصل طلبة جمهوريين آخرين⁽¹⁾. يقول إبراهيم يوسف: "على أثر فصل الطلبة ذهب الاخ عبد اللطيف للمشيخة ليناقدش معهم موقفهم ولكن دون جدوى كما ذهبت بالطلبة الأخت حاجة كلتوم للسيد عبدالله خليل مستنكرة"⁽²⁾. ثم "حضر الأستاذ محمود من مقر عمله بكوستى وقابل السيد مدير الشؤون الدينية كامل الباقى وطرح عليه مسألة حرمان الطلبة من حقهم فى التعليم وأنا صاحب الفكرة التى فصلوا من أجلها فالحق أن نتحاور أنا وشيخ العلماء عن تلك الفكرة فإن وجدت حقاً يرجع الطلبة لتعليمهم وإن وجدت باطلاً يرجعون عنها"⁽³⁾.

2- مساجلات وبيانات بشأن "نكبة المعهد العلمى المؤسفة"

بقى سؤال أخير نوجهه للمشيخة الموقرة هو أنهم كدعاة للإسلام يقولون أنهم يريدون الإسلام ليتحقق به الحكم فى المجتمع الإنسانى فهل إذا تم ذلك واتسعت دائرة اختصاصهم خارج المعهد فشملت المجتمع هل يعاملون الناس فيه مثل هذه المعاملة التى عوملنا بها نحن كأن يفهمهم أو يسجنوهم أو يقتلوهم لمجرد أنهم لم يقتنعوا برأى من الآراء أو عقيدة من العقائد. أما نحن فنعتقد أن الإسلام بهذه الصورة لا يناسب مجتمع اليوم ونبرى الإسلام من التزمت والضيق⁽⁴⁾.

الطلبة المفصولون، فى بيان نشر فى 5 فبراير 1960

أصدرت إدارة المعهد العلمى بياناً عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد. وقفت على البيان منشوراً فى صحيفة السودان الجديد، بتاريخ 28 يناير 1960⁽⁵⁾، وجاء فيه، بعد أن أورد أسماء الطلاب الثلاثة، وعرف بالمستوى الدراسى لكل منهم ومناطقهم فى السودان، جاء فى البيان: "وقد أخذت الشكوى من هؤلاء الطلاب الذين لم يكملوا بالمعهد سنة

(1) المصدر السابق، ص 30.

(2) المصدر السابق، ص 30.

(3) المصدر السابق، ص 30.

(4) "بيان من الطلبة المفصولين من المعهد العلمى"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3916، بتاريخ 1960/2/5.

(5) "بيان من ادارة المعهد العلمى عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3909،

بتاريخ 1960/1/28.

دراسية واحدة بل لم ينتموا إليه أكثر من ستة أشهر تنهال على إدارة المعهد من زملائهم الطلاب ومن مدرسيهم ومن خارج المعهد. "ثم لخص البيان الشكوى قائلاً: "وتلخص هذه الشكوى فى أن لهم خرافة سخيصة تتنافى مع ما علم من الدين بالضرورة من وجوب الصلاة على جميع المكلفين ولا تليق بطالب فى القسم العالى والثانوى وهى أن فلاناً من الناس وصل الى درجة من معرفة الله وتوحيده ارتفعت عنه فيها التكاليف الشرعية وأصبح معصوماً لا ينطق عن الهوى". تحدث البيان عن احتجاج طلاب المعهد واستنكارهم ومجيئهم لمكتب شيخ العلماء قائلاً: "وفى اليوم السابق لإجازة الفترة الثانية 12 من ديسمبر سنة 1959 أقبل الطلاب على مكتب شيخ العلماء يستنكرون هذه الفرية بحالة إجماعية ويبدون أسفهم وتألهم من أن يسىء هؤلاء الطلاب إلى سمعتهم وسمعة معهدهم". ثم شرح البيان دور المراقب العام وبعض أساتذة المعهد فى جمع المعلومات عن الطلبة الثلاثة، يقول البيان: "وبعد عودة المعهد إلى الدراسة بدأ المراقب العام وبعض أساتذة المعهد يجمعون المعلومات عن هؤلاء الطلاب فثبت لهم بما لا مجال فيه للشك أن هؤلاء الطلاب لا يخفون هذه العقيدة ولا يتسترون عليها فلم يكن بد من أن تنظر المشيخة فى هذا الموضوع". أعدت المشيخة جلسة للنظر فى الموضوع، يقول البيان: "وفى جلسة بمكتب شيخ العلماء حضرها هو ومساعداه ومراقب القسم العالى ومراقب القسم الثانوى دعى الطالبان محمد خير المحيسى وإبراهيم يوسف فثبت من مناقشتهم فى وجوب الصلاة وعموم هذا الوجوب وحكم جاحده وحكم تارك الصلاة أنهما يجحدان وجوب الصلاة على الأستاذ محمود محمد طه". ثم قال البيان: "بل قال المحيسى ببلاهة مضحكة: إن محمود محمد طه لو صلى ما اتبعته". وأضاف البيان: "ثم جاء فضيلة الشيخ حسن إسماعيل المدرس بالمعهد شاكياً من الطالب أحمد عبد الرحمن العجب اعتقاده هذه الخرافة فدعاه الشيخ وكان معه المراقب العام والشيخ حسن إسماعيل وبعد المناقشة ثبت عليه ما ثبت على زميليه ففصلوا من المعهد".

ثم علل البيان أسباب إصرار مشيخة المعهد على فصل الطلاب، يقول البيان: "وقد أشارت جميع لوائح الدراسة بالمعهد إلى أن من أهم أهداف المعهد أن يخرج علماء يتصفون بكمال الاخلاق والنضج الفكرى والوعى العقلى واليقظة وحصافة الرأى،

يقومون على تصحيح العقائد ويحافظون على تعاليم الشريعة الإسلامية السمحة ويدعون إلى العمل بها ويخربون الخرافة والدجل". ولهذا "فطبيعي ألا تتحمل مشيخة المعهد تبعة تخريج علماء" للفتوى والقضاء والوعظ والإرشاد وإمامة الناس" من نوع هؤلاء المغفلين الضالين المضلين الذين يجرون وراء الأوهام والأباطيل المفضوحة وأن تصر على فصلهم لئلا تكون النتيجة عكس ما يرمى إليه المعهد فتجىء بذلك على الإسلام والمسلمين". لم تر مشيخة المعهد فى فصل الطلاب حجراً للرأى أو محاربة لحرية الرأى، يقول البيان: "وليس فى فصل هؤلاء الطلاب محاربة لحرية الرأى من قبل مشيخة المعهد وليس فيه قضاء على مستقبل هؤلاء الطلاب فأمام احدهم المدارس الثانوية وأمام زميليه الجامعات المدنية". فالفصل لا يقضى على مستقبل الطلاب "بل هو مجرد امتناع من أن يضع المعهد ثقته وشهاداته لطلاب لا يؤمنون بالمعارف التى يقوم على تعليمها ونشرها بين الناس ويرمون إلى نقيض ما يرمى إليه المعهد فى اداء رسالته التعليمية المحددة، ويعملون على تقويض الدين من أساسه". ثم جاء ختام البيان: "فإن أخبث من رزئ بهم الإسلام فى الماضى هم الذين انتسبوا إليه وحولوا دلالة آيات القرآن ونصوص السنة عن الأوضاع العربية؛ وحاولوا بذلك هدم الإسلام باسم الإسلام".

فى اليوم الثالث من نشر بيان إدارة المعهد عن فصل الطلاب من المعهد، نشر الأستاذ محمود بياناً، فى نفس الصحيفة، صحيفة السودان الجديد، نشرت الصحيفة البيان بعنوان: "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمى"⁽¹⁾. جاء رد الأستاذ محمود فى ست نقاط، يقول الأستاذ محمود:

1- فى نكبة المعهد المؤسسة، جرجر شيخ العلماء اسمى بين جدران فصول الدراسة، وشهر بى فى الصحف، فى بلاغاته، وبيانه الرسمى، وأساء إلى سمعتى عند الرأى العام جميعه، بصورة مؤلمة، وأنا أعرف ما لى من حق الرد عليه عند القضاء، ولكن لست بصدده الآن، وانما أنا الآن بصدد ما لى عليه من حق أدبى يجعل من واجب محررى الصحف أن يعطوا هذا البيان نفس الاهتمام الذى أعطوه لبيان الشيخ ولقد كان الطلبة يسألون عن

(1) محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمى"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3911، بتاريخ 1960/1/31.

رأيهم في ويطالبون بإصدار حكم على أنا بالذات ويراد منهم أن يقولوا عنى أمراً لا يرونه في فاذا قالوا أن محمود محمد طه غائب الآن ولا موجب للتحدث عنه ويمكنك أيها الشيخ الجليل أن تسأله في أى وقت شئت وبأى وسيلة شئت أصر الشيخ على الاجابة المحددة التى يريد.. فإذا ذهب الطلبة ليشرحوا رأيهم فى طريقة الاستجواب لم يمهلوا، وانما أعجلوا إعجالاً واستفزوا استفزازاً واستخرجت منهم فى حالة الاستفزاز والإثارة عبارات بنى عليها الشيخ قراره المؤسف.

2- إن هؤلاء الطلبة الثلاثة منهم اثنان يحملان الشهادة الأهلية ويتبعان إلى قسم الشريعة فى القسم العالى وهو آخر مراحل المعهد العلمى والشهادة الأهلية فى ذاتها درجة علمية لا تحمل الجمهرة الغالبة من خريجى المعهد العلمى أكثر منها، ومع ذلك يقول الشيخ عنهما وعن زميلهما الذى هو ثالث فرقته "إن لهم خرافة سخيفة تتنافى مع ما علم من الدين بالضرورة" ويقول فى بيانه عن محبسى وهو حامل الشهادة الأهلية، وهى كما قلنا مرتبة علمية يعترف بها المعهد ولا تحمل الجمهرة الغالبة من خريجيه أكثر منها يقول عنه فى بيانه: "بل قد قال محبسى فى بلاهة مضحكة أن محمود محمد طه لو صلى ما اتبعته" ويقول عنهم فى بيانه أيضاً "من نوع هؤلاء المغفلين الضالين الذين يجرون وراء الأوهام والأباطيل المفضوحة".

3- والآن فإن هناك أحد أمرين: إما الأفكار التى يحملها الطلبة الثلاثة "من الأوهام والأباطيل المفضوحة" فيكون طلبة المعهد العلمى حتى بعد أن ينالوا درجته العلمية الأهلية غير قادرين على الاعتصام عن "الأوهام والأباطيل المفضوحة"، وإما أن تكون هذه الأفكار أفكاراً صحيحة قوية لها أصالة فى الدين، فانت على شيخ العلماء، وشيخ العلماء يعلم أن هذه الأفكار قد قرأها هؤلاء الطلاب فيما يقرأون من مادة خارج المعهد وهو يعلم مصدرها حق المعرفة فما هو واجبه؟ أليس من واجبه نحو طلابه، ونحو دينه أن يناقش هذه الأفكار ويفضحها ويظهر وهمها وباطلها أو يعرف صحتها وسدادها فيدخلها فى المعهد عن بيته، أو يحاربها عن بيته، بدعوى أن للمعهد رسالة محددة، وأن حرية الفكر مكانها المعاهد المدنية لا الدينية؟.

4- والآن إلى رأى العام جميعه أسوق هذا الحديث التالى: لقد حملت أنا هذه

الأفكار، التي من أجلها رقت شيخ المعهد الطلاب الثلاثة، إلى الدكتور كامل الباقر مراقب مصلحة الشؤون الدينية وأخذت من وقته نحو الساعة أناقشه فيها بعد أن تركتها عنده في اليوم السابق ليقرأها قبل النقاش وانتهينا من النقاش وقد اقتنع الدكتور الباقر بأننا لو اجتمعنا أنا وشيخ العلماء في مجلس لعرف عن هذه الأفكار الكثير من ما ينكره الآن فقد كنت أخبرت الدكتور الباقر بأن شيخ العلماء لم يعط نفسه الفرصة ليفهم ما يقوله الطلبة الثلاثة وطلبت منه أن يعمل على أن نجتمع بالشيخ لهذا الغرض فأخبرني أنه سيعقد هذا الاجتماع إما في المعهد العلمي وإما في مكاتب مصلحة الشؤون وشعرت انه يميل لأن يكون الاجتماع بالمعهد اعتباراً لمكانة الشيخ فقبلت.

5- كان هذا الحديث بيني وبين الدكتور الباقر صباح يوم الثلاثاء الماضي وفي حوالي الساعة الواحدة والنصف من نفس اليوم اتصل الدكتور مشكوراً وقال إن فضيلة الشيخ قد قبل أن يكون الاجتماع غداً الأربعاء الساعة الرابعة بعد الظهر بمنزله فحاولت أن أحتج على المكان ولكن الدكتور لم ير في ذلك بأساً وطلب مني الموافقة، فوافقت، وخرجت من مكتبي على ذلك ولكن الشيخ عاد واتصل بالدكتور بعد نصف ساعة ليقول "أعفوني من هذا الاجتماع" ولم يتمكن الدكتور الباقر من الاتصال بي إلا صبيحة الأربعاء ليبلغني آخر التطورات.

6- والآن فاني أرى أنه من حقى وقد خاض الشيخ فيما خاض فيه من أمرى ومن حق الطلبة المفصولين والباقيين ومن حق الرأي العام السوداني ومن حق الإسلام على شيخ العلماء أن يناقشني في هذه الأفكار نقاشاً علنياً في مناظرة يحضرها كل من يحب حتى ينجلي الحق لدى عيني وإني أعتقد أن من واجب الصحافة أن تعلن طلبى هذا وأن تسانده وأن تسعى لتحقيقه وعلى الله قصد السبيل.

تبع بيان إدارة المعهد العلمي بشأن فصل الطلبة من المعهد، ورد الأستاذ محمود وطلبه لعقد مناظرة علنية بينه وبين شيخ العلماء، لمناقشة الأفكار مع صاحبها، من أجل إحقاق الحق، ودعوته للصحافة بحكم واجبها أن تساند هذا الطلب طلب الحوار الحر المفتوح (المناظرة)؛ تبع ذلك بأن أصدر الطلاب المفصولون في يوم 5 فبراير 1960 بياناً ونشروه بالصحف المحلية. دحض البيان النقاط والوقائع التي وردت في بيان إدارة المعهد العلمي،

وفند الادعاءات والتهم. يقول الطلبة المفصولون في بيانهم⁽¹⁾: "ستتجاوز في بياننا مشيخة المعهد العلمى من ألفاظ لا تصلح فى مجال فكر ونقاش وسندخل فى لب الموضوع الذى استند عليه فى فصلنا". فانتقل البيان فوراً للموضوع، يقول الطلاب: "أولاً القول بأننا جحدنا الصلاة قول مردود ولم تقم عليه مشيخة المعهد دليلاً ولا يكفى فى إصاق تهمه خطيرة كهذه التعميم فى الحكم. فنحن لنا آراء خاصة بالتشريع وتطويره ونعتقد أن هذه من أصل الدين فإذا خالف هذا الفهم مألوف العلم نرمى بالكفر ونُفصل به؟ ونحن نؤمن بالله ونفعل ما يأمر به وندع ما ينهى عنه؟". وعن ما أثارته مشيخة المعهد من ما بلغه الأستاذ محمود، يقول الطلبة المفصولون: "وأما القول باعتقادنا فى أن الاستاذ محمود محمد طه بلغ درجة انتهى فيها عن أداء الصلاة بشكلها المعهود، فأمر ببناءه على يقين وفهم، فإذا لم توافقنا مشيخة المعهد فلها ما ترى". وأضاف البيان: "ولكن ليس لها أن تقول أن ذلك كفر وجحود ذلك بأن الكفر والجحود لا يكون إلا بالتكذيب للنبي فى رسالته وهذا من البديهيات التى كنا نحب ألا تغيب عن رجال المعهد والإسلام زاهر بالآراء والاختلافات ومن غير المقبول أن يأتى أحد ويفرض فهماً بعينه على الناس". ثم تناول البيان مبدأ الاختلاف فى المذاهب، وأشار إلى ضرورة أن لا يرهمن العدل بالاختلاف، يقول البيان: "أما قول المشيخة بأنها لا تريد أن تعطى شهادتها لأناس لا يؤمنون برسالة المعهد ومعارفه المحدودة فقول غير عادل ولا يصلح حجة فى هذا المقام فمفهوم بالضرورة أن أخذ أحد العلم عن آخر لا يلزمه بالوقوف مع علمه هذا فقط ولو صح هذا لما رأينا مذاهب فى المذهب الواحد يخالف فيها التلامذة أساتذتهم اختلاف رأى حر جرياً وراء الحقيقة وما رأينا أحداً عاب عليهم ذلك، وهو غير عادل لأننا نحفظ للمعهد حرمة ما يدرس فيه ونقدره حق قدره".

تناول الطلاب فى بيانهم رمى مشيخة المعهد لهم بالكفر، وأصروا أن رميهم بالكفر لا يسنده دليل، وتحدث الطلاب عن فهمهم لضرورة تطوير التشريع الإسلامى، لأن روح الإسلام تحمل ما يلائم الوضع الجديد بما يسع المجتمع الإنسانى الحالى، كما ورد فى صدر المحور السابق. وعن التطوير الذى يعتقده الطلاب، يقول البيان: "ومن التطوير الذى

(1) بيان من الطلبة المفصولين من المعهد العلمى، مصدر سابق.

نعتقد أنه لازم فى الوضع الجديد أن العبادة لا يكره عليها الناس كما كان يجرى ذلك فى الماضى لمناسبة الإكراه فى ذلك الزمن ومناسبة الاحكام للأحوال أمر مهم جداً فى الفكرة الدينية وعلى الخصوص الإسلام". وأضاف الطلاب فى بيانهم قائلين: "إننا نرى أن تطوير العبادة يكون فى معنى أن لا يحمل أحد عليها إلا بالإقناع والقُدوة الحسنة مستندين فى ذلك الى قوله تعالى "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى" ونرى أن لا طريق لأحد يريد وجه الله إلا بالصلاة وأدائها بإتقان يحقق الغاية منها". ثم أضافوا قائلين: "إذا قام أحد مقلداً النبى بوعى ودقة وجودة فإننا لا نستبعد أن يحصل بها التحرر، وهو فى الحقيقة لا يكون قد ترك الصلاة وإنما نقل الصلاة وجعلها فى كل أوقاته، وفى هذه الحال اذا طالبناه بالتمسك بالشكل المعهود فى الصلاة نكون بذلك قد حججنا عليه بحريته الشخصية، وفرضنا عليه الانصباب فى قالب، يرى هو أنه لا يناسب شخصيته الجديدة المتميزة، وحججتنا فى ذلك السير الطويل للإنسانية ومصاحبة الأديان لها فى شتى مراحل سيرها فالصلاة لم تنقطع عن الأرض يوماً ولكنها مع ذلك لم تقف فى صورة واحدة". وعن الأستاذ محمود يقول البيان:

وأما أن الأستاذ محمود محمد طه لا ينطق عن الهوى فأقرأوا قول النبى "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" وهذا أقل مراتب الإيمان، والخير لا يصدر عن الهوى بالطبع، وإذا كنا لا نتنظر من الإسلام أن يبلغ بالمسلم مبلغ التحرر من الهوى فماذا نتنظر منه إذن؟ والقرآن يحدثنا عن الربانيين والصديقين أفلا يرى السادة المشائخ أن الربانيين والصديقين لا يصدق عليهم هذا الوصف الجليل إلا إذا كانوا متحررين لا ينطقون عن الهوى؟ فإذا كانوا يوافقوننا فى ذلك هل يعترضون أن يختص الله محمود محمد طه أو غيره من من يشاء من عباده بهذه الرحمة؟.

ثم ختم الطلاب بيانهم بسؤال وجهوه إلى مشيخة المعهد العلمى، وجاء نص السؤال على النحو الذى ورد فى صدر هذا المحور.

خاتمة

الكلام النحن بنقله [الذى نقوله نحن] مؤكداً في الدين لكن موش [ليس] في الشريعة.. جماعتنا لمن بنازعوه [عندما بنازعونه]، بنازعوه [بنازعونه] لأنو [لأنه] ما عندهم [ما لديهم] من الشريعة يفتكروه الكلمة الأخيرة.. أنا زى ما بقول، نحن ما بتلومهم على أنهم ما يفهمونا، لكن إذا كانوا هم صادقين في حيز ما هم فيهو حتى لو حكموا بردتنا أو بقتلنا، يكونوا هم مجاهدين ونحن قد نكون شهداء، إذا استطاعوا أن يقتلونا.. لكن إذا كان هم ما صادقين [غير صادقين] في حيز ما عندهم يبقى مسألتهم في الحقيقة تافهة.. ونحن نعرف أنهم ما صادقين [غير صادقين] في حيز ما عندهم لأنهم عبر التاريخ كانوا أدوات في يد السلطة⁽¹⁾.

محمود محمد طه

الشاهد أن المعهد العلمى فى كل تاريخه وبمختلف مراحل تطوره، هيئة علماء السودان، المعهد العلمى، الكلية الإسلامية، وأخيراً جامعة أمدرمان الإسلامية، كان على الدوام فى موقف عدائى من الأستاذ محمود. وقد تجلت المواقف العدائية فى محطات عديدة، منها ما وردت الإشارة إليه، فى هذا الفصل، ومنها ما ورد فى الفصل الثانى. فقد تناول الفصل الثانى الدراسات التى قدمها مشائخ المعهد العلمى ومن بعدهم أساتذة جامعة أمدرمان الإسلامية، وكيف أنها دراسات اتسمت بالكسل العقلى وقد تجلّى ذلك فى نقل النصوص، كما دلت على أنها دراسات تفتقر للأسس العلمية وينقصها الورع العلمى والوازع الأخلاقى. وخلصت إلى أن هذه الدراسات كانت نتائجها عرجاء وتوصياتها بكماء ولا تفيد الناس والمناخ المعرفى إلا ظلاماً وظلاماً لكاتبها وقارئها. وقد قدمتُ عدداً كبيراً من النماذج يمكن للقارئ أن يطلع عليها. كما بينتُ فى الفصل الثانى أيضاً أن البيانات التى أصدرتها هيئة علماء السودان فى نقد الأستاذ محمود، كانت فى حججها ومسوغاتها فى تحذير الأئمة والوعاظ من الأستاذ محمود ومن فكره وتلاميذه، كانت تأكيداً للإلصاق الكذب بلوثر علماء السودان. وما كان ينبغى لهم أن يلصقوا الكذب بدوائر العلماء، بيد

(1) محمود محمد طه، الصلاة، (محاضرة) نادى العباسية، أمدرمان، 3 ديسمبر 1968.

أن الكسل العقلى ساقهم إلى الكذب يوم اختطافهم لمناير الحوار وسوح السجال بلا إمكانيات فكرية وبلا مقدرات علمية. برغم كل ذلك، فإن الثابت الوحيد فى هذه المعادلة، كان هو المواجهة المستمرة والمتوسعة والمتجددة التى ظل يقودها الأستاذ محمود وتلاميذه، نيابة عن المثقفين والشعوب فى وجه الفقهاء والقضاة الشرعيين و"علماء السودان" منذ عام 1957 وحتى يوم تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود صبيحة يوم الجمعة 18 من شهر يناير عام 1985.

لم يكن دور المعهد العلمى بأمدردمان، ومشائخه، وكذلك الأزهر بمصر فى محكمة الردة الأولى فى يوم 18 نوفمبر 1968، بمعزل عن دور مصر برئاسة جمال عبدالناصر. لقد قاد الأستاذ محمود معارضة قوية ومستمرة لثورة 23 يوليو 1952. فمنذ الشهر الأول للثورة، خاطب الأستاذ محمود قادتها، محمد نجيب (1901-1984) وجمال عبدالناصر، بثلاث رسائل، ناقداً وناصحاً لا مادحاً أو مطرباً. كما تبنى خط المواجهة لدعوة القومية العربية، التى أشعل فتيلها الرئيس جمال عبدالناصر. وفى مواجهته طلب الأستاذ محمود من عبدالناصر أن يترك التدخل فى شؤون البلاد العربية، وأن ينفذ يده فوراً من الدعوة الباطلة، دعوة القومية العربية، وأن يريح الدول العربية من تدخله فى شؤونها، وأن يريحها من دجل دعوة القومية العربية. ثم نشر الأستاذ محمود آراءه ومواقفه من مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل) فى كتابين الأول: التحدى الذى يواجه العرب، عام 1967، والثانى: مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى، عام 1967، أيام هزيمة إسرائيل للعرب عام 1967، وفى مناخ انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم (8/29 - 1967/9/1)، الذى خرج بما عُرف باللآات الثلاثة (لا صلح لا اعتراف ولا تفاوض مع إسرائيل). كل هذا والتأثير المصرى فى الواقع السودانى، آتخذ كان قوياً، فقيام الثورة المصرية مثل تغييراً كبيراً فى موازين القوى، كما أن الثورة المصرية لقيت حماسة كبيرة من طلائع المتعلمين فى السودان، خاصة حلفاء مصر منهم، ودعاة الاتحاد والوحدة معها. فالأحزاب الاتحادية توحّدت فى القاهرة بمنزل محمد نجيب فى نوفمبر عام 1953، وتكوّن منها الحزب الوطنى الاتحادى. كما أن اتفاقية القاهرة كانت فى عام 1953. كما أن الثورة بزعامة جمال عبدالناصر بلغت أقصى حالات عنفوانها، وأصبح عبدالناصر

صاحب صيت قوى وتأثير كبير. فهل كان يمكن أن تمر مواقف الأستاذ محمود من الثورة المصرية ومن خطاب عبدالناصر القومى، من دون دفع ثمن؟ وهل كانت هناك عقوبة سياسية محكمة تنتظر الحزب الجمهورى؟ عقوبة مُحْكَمَة من حيث التصميم وقوة التنفيذ، ومن حيث القدرة على بناء الجدار العازل بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام، والقدرة أيضاً على اختراق عقول السودانيين والمسلمين والتأثير فيهم لأبعد مدى فى المستقبل، إلى جانب الشراكة الواسعة فى الإعلان عن تلك العقوبة. هذا ما ساقف عليه فى الفصل القادم، وهو بعنوان: "الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبد الناصر ومحكمة الردة 1968".

الفصل العاشر

10

.....
الأستاذ محمود ومصر برئاسة
عبد الناصر ومحكمة الردة 1968
.....

الأستاذ محمود ومصر برئاسة
عبد الناصر ومحكمة الردة 1968
.....

نحن واثقون إنو مسألة محكمة الردة، مسألة سياسية وليست مسألة دينية. والمسألة السياسية وراها [خلفها] إلى حد كبير مصر. ونحن الحزب الجمهورى مواجهتنا لمصر بدأت مع الثورة المصرية، يعنى سنة 1952 فى 23 يوليو...⁽¹⁾.

نحن واثقين جداً بأنو محكمة الردة وراها [خلفها] علماء مصريين أزهرين [جاءوا] ليدخلوا فى سياستنا الداخلية، اتخذوا مسألة الردة ذريعة ليدخلوا بيها. ونحن [الآن فى مواجهة لهم] فى مناشيرنا، وينعرف مواقف معينة مع بعضهم ما غرضهم الدين بالمرّة. غرضهم التطوع لخدمة النظام القائم فى مصر فى تدخلوا فى البلاد العربية عامة وفى السودان بصورة معينة. فى المرحلة الأخيرة نحن مواجهتهم. هم كانوا وراء مسألة محكمة الردة...⁽²⁾.

محمود محمد طه

بإيجاز الإجابة على الأخ عبدالله إنو طرف من كتاب الشرق الأوسط، رأينا فى مشكلة الشرق الأوسط فيما يخص زعامة جمال للعرب هو السبب فى محكمة الردة⁽³⁾.

محمود محمد طه، عام 1969

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة)، مدينة عطبرة، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة)، مصدر سابق.

قاد الأستاذ محمود معارضة قوية ومستمرة لثورة 23 يوليو 1952 التي قادها الجيش المصرى، وأدت إلى خلع الملك فاروق (1920-1965) عن عرشه، وتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية. لقد بدأت معارضة الأستاذ محمود لثورة 23 يوليو منذ الشهر الأول. فما هى طبيعة هذه المعارضة؟ وكيف عبر الأستاذ محمود عن معارضته للثورة؟ وما هو موقف الأستاذ محمود من خطاب عبدالناصر القومى؟ وما هو رأيه فى زعامة عبد الناصر للعرب؟ وما هو رأى الأستاذ محمود فى مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل)؟ هل كان يمكن لكل هذه المواقف أن تمر دون دفع ثمن؟ وهل كانت هناك عقوبة سياسية تنتظر الحزب الجمهورى؟ وهل كان لمشائخ الأزهر دور فى محكمة الردة؟ ما هى طبيعة مواجهة الأستاذ محمود لمشائخ الأزهر؟ سأحاول الإجابة على هذه الأسئلة ومعالجة موضوع هذا الفصل من خلال المحاور التالية:

■ موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952

■ موقف الأستاذ محمود من الاتفاقيات بشأن السودان بعد ثورة 23 يوليو

■ الموقف من جمال عبدالناصر رئيس مصر

● الرسالة الأولى من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر

● الرسالة الثانية من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر

■ عبدالناصر وانحراف الثورة والدعوة العنصرية الباطلة وتضليل العرب وإثارة الشعوب

■ استمرار مواجهة الأستاذ محمود لمصر برئاسة عبد الناصر

■ المخابرات المصرية تتربص بالأستاذ محمود

■ قمة المواجهة عام 1967 ومحكمة الردة فى عام 1968

رأى الأستاذ محمود فى مشكلة الشرق الأوسط وزعامة عبدالناصر للعرب

■ اقتراح الأستاذ محمود لحل قضية فلسطين عام 1967: الحل على مرحلتين

• الحل العاجل

• الحل الآجل

■ نص مبادرة السلام العربية 2002 (المبادرة السعودية)

■ سيناريو محكمة الردة واتساع التحالف ضد الأستاذ محمود

تشكيل محكمة الشعب فى القاهرة ومناخ الأحكام بالخيانة للوطن والردة عن الإسلام

موقف الأستاذ محمود من ثورة 23 يوليو 1952

إن السودانيين قوم يؤذيهم أن يطمع طامع فيما يحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون⁽¹⁾.

محمود محمد طه

كان أعضاء مجلس القيادة يضعون السودان فى ذيل قائمة اهتماماتهم ومتاعبهم⁽²⁾.. كما أن عبدالناصر كان يعتبر السودان عبئاً على مصر يحسن إزالته عن كاهلها... إن مشكلة جمال عبد الناصر وصلاح سالم، وباقى مجلس الثورة، مع السودان، هى أنهم لم يعرفوا، ولم يفهموا أهله، ولم يتصوروا أهميته بالنسبة لمصر فتصرفوا وكأنهم سياح وليسوا أبناء واد واحد⁽³⁾.

الرئيس محمد نجيب

(1) محمود محمد طه، "خطاب إلى اللواء محمد نجيب"، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، مصدر سابق، ص 12.

(2) محمد نجيب، مذكرات محمد نجيب: كنت رئيساً لمصر، ط8، المكتب المصرى الحديث، 2003، ص 278.

(3) المصدر السابق، ص 289-290.

عندما قامت ثورة 23 يوليو فى عام 1952 كانت قد مرت سبعة أعوام على مهرجان تكوين الأحزاب السودانية، وقد تبلورت فيه الحركة الوطنية السودانية فى قسميها الاتحادى والاستقلالى. كانت الأحزاب الاستقلالية، ومن بينها الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود، قد خاضت تجربة تعاون ناجحة فى تكوين الجبهة الاستقلالية التى وقفت بقوة ضد بروتوكول صدقى- بيفن. وكانت الإدارة البريطانية قد خطت خطوة حاسمة فى طريق التطورات الدستورية فى السودان وقد تمثلت الخطوة فى قيام الجمعية التشريعية والمجلس التنفيذى فى ديسمبر 1948⁽¹⁾. وقد قررت الحكومة البريطانية منح نظيرتها المصرية فرصة لمناقشة قانون الجمعية التشريعية والمجلس التنفيذى، وبدأت مباحثات خثبة- كامبل، وكانت مباحثات محكوماً عليها بالفشل حيث أصرت الحكومة المصرية - وهى حكومة أقلية ترأسها محمود فهمى النقراشى - على عدم الاعتراف بالقانون ما لم ينص صراحة على وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى⁽²⁾. أيضاً كانت الحكومة البريطانية قد اقترحت على رئيس الوزراء المصرى زيارة السودان للتشاور مع الزعماء السياسيين داخل وخارج الجمعية التشريعية حول مسألة فرض التاج المصرى على السودان. وقبيل ثورة 23 يوليو كانت الحكومة البريطانية قد فرغت من إعداد مقترحات جديدة لحل مسألة السودان. وصبت هذه المقترحات فى قالب قصد منه الحصول على موافقة الحكومة المصرية على مسودة دستور الحكم الذاتى الذى قامت الإدارة البريطانية برفعه إلى دولتى الحكم الثنائى فى 8 مايو 1952 بغية إجازته. وجاء فى هذه المقترحات تكوين لجنة دولية لمراقبة سير الانتخابات التى نص عليها فى مسودة الدستور على أن تتحول إلى لجنة استشارية للحاكم العام عند ممارسته سلطاته التقديرية التى نص عليها الدستور⁽³⁾.

حينما قامت ثورة 23 يوليو كانت هناك قوات بريطانية فى منطقة قناة السويس فى مصر؛ كما كانت هناك قوات بريطانية فى السودان⁽⁴⁾، وكان اهتمام الولايات المتحدة

(1) فدوى عبد الرحمن على طه، كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لانتفاكية 12 فبراير 1953 حول الحكم اللاتى وتقرير المصير، ط1، شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1997، ص 18.

(2) المرجع السابق، ص 19.

(3) المرجع السابق، ص 24-25.

(4) إبراهيم مواكىبى وآخرون، ثورة يوليو وإفريقيا مع إشارة خاصة للعلاقات المصرية السودانية، (ندوة)، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2001، ص 16.

الأمريكية بالشأن السوداني قد بدأ غداة الحرب العالمية الثانية. فقد كانت الحكومة الأمريكية ترى أن الاعتراف بالتاج المصري الرمزي على السودان هو السبيل الوحيد المتاح لإقناع مصر بقبول الترتيبات الغربية للدفاع عن الشرق الأوسط⁽¹⁾، والذي بدوره سيؤدي إلى حل المسألة الاستراتيجية⁽²⁾. بدأت الحكومة الأمريكية مباحثات مع الحكومة البريطانية في أبريل 1951 هدفت إلى وضع تصور مشترك لكيفية الدفاع عن مصر⁽³⁾. وبعد حريق القاهرة في 26 يناير 1952 وتصاعد العمل الفدائي في منطقة قناة السويس، كثفت الحكومة الأمريكية عبر وزير خارجيتها أشييسون وسفيرها في القاهرة كافرى من الضغط على الحكومة البريطانية للاتفاق مع الحكومة المصرية على صيغة تمكن من الاعتراف بسيادة مصر الرمزية على السودان وترك دون تغيير وضع السودانين وحققهم في تقرير المصير⁽⁴⁾. أخذ الاهتمام الأمريكي بمسألة السودان بعداً آخر تمثل في إيفاد وزارة الخارجية الأمريكية لوفد أمريكي إلى السودان في يناير 1952. تكون الوفد من استايلر نائب مدير مكتب شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية وماتسون الوزير المفوض بالسفارة الأمريكية بالقاهرة⁽⁵⁾. وترجع بداية الاهتمام الأمريكي بزيارة السودان إلى أواخر عام 1948 عندما زار أحد أعضاء السفارة الأمريكية بالقاهرة السودان واتبعت الزيارة بزيارة هلا سكرتير السفارة الأمريكية بالقاهرة والتقاءه بعدد من الشخصيات السودانية. ثم توالى الزيارات الأمريكية على السودان واتخذت طابعاً أكثر جدية في مايو 1952 عندما أوفدت الحكومة الأمريكية هوسكتر مستشار شؤون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية⁽⁶⁾.

قبل نحو تسعة أشهر من قيام ثورة 23 يوليو، أصدر الأستاذ محمود بعد خروجه من

(1) فيصل عبدالرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري السوداني بشأن السودان (1936-1953)، مرجع سابق، ص 523.

(2) فدوى عبد الرحمن على طه، كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953 حول الحكم الذاتي وتقرير المصير، مرجع سابق، ص 30.

(3) المرجع السابق، ص 28.

(4) فيصل عبدالرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري السوداني بشأن السودان (1936-1953)، مرجع سابق، ص 523.

(5) فدوى عبد الرحمن على طه، كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953 حول الحكم الذاتي وتقرير المصير، مرجع سابق، ص 33.

(6) المرجع السابق، ص 30.

اعتكافه، بياناً عن المسار الجديد للحزب الجمهورى. وتضمن البيان رؤيته للعلاقة مع مصر. القى الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى بيانه فى اجتماع عام للحزب بتاريخ 30 أكتوبر 1951. وضَّح الأستاذ محمود رؤيته بشأن العلاقة مع مصر، قائلاً:

ونحن الآن فى وضع سيئ جداً، ولا يمكن أن نحقق شيئاً من الإصلاح المرتب، إلا إذا تغير هذا الوضع تغييراً تاماً بجلاء الاستعمار البريطانى عن أرضنا، وحركتنا الوطنية الآن مقسومة على نفسها، ففريق يريد تحرير البلاد بالتعاون مع الاستعمار البريطانى وفريق يريد تحرير البلاد بالتعاون مع مصر.. فأما المتعاونون مع الاستعمار البريطانى فإننا لا نقرهم على شىء من عملهم البتة، لا فى جملته، ولا فى تفصيله وأما المتعاونون مع مصر فإننا نقرهم على عملهم فى شىء، ونخالفهم فى شىء.. نقرهم على الكفاح ضد الإنجليز، ونخالفهم فى الاتحاد مع مصر، حتى ولو كان الاتحاد فى التاج كرمز فقط⁽¹⁾.

وأضاف الأستاذ محمود فى بيانه قائلاً: "نحن والمصريون طلاب حرية، وزملاء جهاد وعدوٌّ واحد، هو الاستعمار البريطانى فينبغى أن نتفق على جهاده، وإجلائه، لنكون نحن أحراراً فى بلادنا، وليكونوا هم أحراراً فى بلادهم .. ويجب أن لا ينسينا اجترار العواطف أن للمصريين مطمعا فى بلادنا.. نريد أن نكون وإياهم زملاء جهاد، لا زملاء وحدة، أو اتحاد"⁽²⁾.

وفى بيان الحزب الجمهورى عن موقفه من ائتلاف الأحزاب السودانية عبر الأستاذ محمود عن موقفه من مصر. جاء فى البيان⁽³⁾: "منذ أيام وجهت دعوة كريمة من هيئة الائتلاف وبعثت للحزب بمشروعها الذى أعدته لالتقاء الأحزاب والهيئات السودانية... وقبل الحزب الجمهورى الدعوة مبدئياً... وأوفد مندوبين عنه لحضور الاجتماع الذى أعلن عن انعقاده بدار نقابة موظفى حكومة السودان فى الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين 1951/12/24 ولقد انتظر مندوبو الحزب من الساعة المحددة إلى نصف

(1) محمود محمد طه، "البيان الذى ألقاه الأستاذ محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى فى الاجتماع العام للحزب عام 1951"، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "موقف الحزب الجمهورى من الائتلاف"، جريدة الرأى العام، العدد 2017، 1952/1/2.

ساعة أخرى فلم يحضر سوى أربعة وخرج المندوبون محتجين على عدم تقدير المواعيد، والذي رأى أن يقدمه الحزب الجمهوري للمحتجين هو هذا الذي نقدمه اليوم للرأي السوداني العام". ثم تناول البيان بتفصيل موقف الحزب ووضح رؤيته عن الائتلاف والغاية منه، والسبيل إليه، وتحدث عن دور الشعب فيه، ثم ختم قائلاً: "نحن إذن ندعو إلى ائتلاف جميع المثقفين والشعب من ورائهم قوة وسنداً لتحقيق الآتي: 1. إجلاء قوى الاستعمار الإنجليزية والمصرية. 2. تكوين حكومة سودانية جمهورية تعمل على تحقيق الحرية الفردية المطلقة وتحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة"⁽¹⁾. الشاهد أن توصيف الأستاذ محمود لمصر في علاقتها بالسودان، أنها دولة مستعمرة وطامعة لهذا كان على الدوام يطالب بضرورة خروجها من السودان وأن لا يكون هناك اتحاد معها، وكان هذا موقفاً مبدئياً وثابتاً ولم يتغير. فور قيام ثورة 23 يوليو، خاطب الأستاذ محمود قادتها، فوجه خطاباً⁽²⁾ (أنظر ملحق رقم: "27"). إلى قائد الثورة اللواء محمد نجيب، بعد خمسة وعشرين يوماً، وذلك في يوم 1952/8/18. ففي مناخ برقيات التأييد والمدح والتهاني بقيام الثورة، وجه الأستاذ محمود خطابه ولم يكن فيه مهتساً أو مادحاً أو مطرباً ولا بجملته واحدة. كتب الأستاذ محمود في خطابه قائلاً: "الأخ الكريم اللواء محمد نجيب، تحية مباركة.. أما بعد فإن مسألة خلع الملك عن العرش، بالطريقة التي تمت بها، توفيق كبير.. ولكن ينبغي ألا تُحمَلْ أكثر مما تحمِل من دلائل النجاح، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها مسألة لها ما بعدها.. وسيكون الحكم لها، أو عليها، على ضوء ما يحصل عليه العهد الجديد من نجاح، أو من إخفاق". ثم تحدث الأستاذ محمود عن الفساد في مصر، قائلاً: "وإنه لحق أن العهد القديم قد بلغ من الفساد حداً يكاد يجعل أي عهد يأتي بعده، مهما كان حظه من الإصلاح ضئيلاً، عهداً مقبولاً.. ولكنه حق أيضاً أن الملك السابق، رغم فساد حكمه، قد كان عامل استقرار ضد الفوضى.. وسيكون هذا الانقلاب شراً على مصر إن استجرر بها إلى عدم الاستقرار". وتناول الأستاذ محمود في خطابه عن أسباب الفساد في مصر والإصلاح وكيفيته، قائلاً:

والفساد في مصر ليس سببه الملك، وليس سببه السياسة، والأعوان، الذين تعاونوا

(1) محمود محمد طه، "موقف الحزب الجمهوري من الائتلاف، جريدة الرأي العام، العدد 2017، 1952/1/2.

(2) محمود محمد طه، "خطاب إلى اللواء محمد نجيب"، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، مصدر سابق، ص 10-12.

مع الملك.. بل إن الملك، وأعوانه، هم، أنفسهم، ضحايا لا يملكون أن يمتنعوا عن الفساد، أو أن يدفعوه عنهم.. فإن أردت أن تلمس أسباب الفساد، فالتمسها فى هذه الحياة المصرية، فى جميع طبقاتها، وجميع أقاليمها، تلك الحياة التى أقامت أخلاقها، إما على قشور الإسلام، أو على قشور المدنية الغربية، أو على مزاج منهما.. وأنت لن تصلح مصر، أو تدفع عنها الفساد، إلا إذا رددتها إلى أصول الأخلاق، حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً..

ثم وجه الأستاذ محمود عدة تساؤلات إلى اللواء محمد نجيب حول ماهية رسالته ورؤيته، وذكره بأن التاريخ يترقب الإجابة على هذه التساؤلات... إلخ. قائلاً: "من أنت؟؟ هل أنت صاحب رسالة فى الإصلاح فتسير بشعب مصر إلى منازل التشريف؟؟ أم هل أنت رجل حائق، جاء به ظرف عابر، ليقطب نظاماً فاسداً، ثم يضرب ذات اليمين، وذات الشمال، حتى ينتهى به المطاف، إما إلى الخير، وإما إلى الشر؟؟". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "ذلك هو السؤال الذى يترقب التاريخ جوابه.. فانظر حيث تجعل نفسك.. فإنك رجل مجازى بالإحسان، مأخوذ بالاجترام". ثم ختم الأستاذ محمود خطابه بالحديث عن علاقة مصر بالسودان قائلاً: "وشئ آخر، نحب أن نشير إليه، هو علاقة مصر بالسودان، فإنها قامت، ولا تزال تقوم، على فهم سىء.. فإن أنت استقبلتها بعقل القوى فتستطيع أن تبرئها عما تتسم به الآن من المطمع المستخفى، والعطف المستعلن، فإن السودانيين قوم يؤذيهم أن يطمع طامع فيما يحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون".

موقف الأستاذ محمود من الاتفاقيات بشأن السودان بعد ثورة 23 يوليو

صلاح سالم سافر إلى السودان أكثر من مرة.. وتصور أنه بالرقص والنقود يمكن أن يكسب السودانيين.. وكانت النتيجة أن بعثر النقود.. وبعثر احترامنا فى السودان⁽¹⁾.

الرئيس محمد نجيب

تبع قيام ثورة 23 يوليو حراك كبير بشأن السودان، كما تم توقيع عدد كبير من

(1) محمد نجيب، مصدر سابق، ص 291.

الاتفاقيات التي كان لها تأثير كبير في تطور العلاقات السودانية المصرية، وفي تاريخ السودان ومساره المستقبلي. فقد وقعت اتفاقية بين وفد الاستقلاليين ومصر في 19 أكتوبر 1953. كما وقعت اتفاقية الأحزاب السودانية مع الحكومة المصرية في 10 يناير 1953، حيث اجتمع ممثلو الأحزاب السودانية وهي حزب الأمة والحزب الجمهوري الاشتراكي والحزب الوطني الاتحادي وحزب الوطن والصاغ صلاح سالم الذي عرض عليهم نقاط الخلاف التي ظهرت خلال المباحثات الدائرة بين الحكومتين المصرية والبريطانية، واتفقت كلمتهم جميعاً على الحلول الآتية كحل نهائي لا يمكن الرجوع عنه، وتضمنت الحلول: أولاً: موضوع الجنوب، ثانياً: لجنة الحاكم العام، ثالثاً: السودنة، رابعاً: الانتخابات، خامساً: جلاء القوات الأجنبية⁽¹⁾. وكانت هناك اتفاقية 12 فبراير 1953، التي كانت بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير. واتفاقية 3 ديسمبر 1955 التي عدلت بموجبها بعض مواد اتفاقية 12 فبراير الخاصة بإجراء تقرير المصير. كما توحدت الأحزاب الاتحادية في القاهرة في نوفمبر عام 1953، وتكون منها **الحزب الوطني الاتحادي**. وهناك غيرها من الاتفاقيات والمباحثات.

الشاهد أن **الحزب الجمهوري برئاسة الأستاذ محمود** لم يكن طرفاً في أى اتفاق وقع مع مصر. وكان الموقف الثابت عند الأستاذ محمود هو ضرورة خروج مصر كقوى مستعمرة من السودان، ونادى إلى الحاجة لوضع اتفاقيات عادلة بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم فيما هو عالق من المسائل وما هو مشترك من مصالح بين السودان مصر، مثل مياه النيل.... إلخ. وطالب بإقامة علاقات تنسم بالندية مع مصر وتقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل. لم يتغير هذا الموقف من مصر ولم يتبدل منذ عام 1945. ففي البيان الذي أصدره **الحزب الجمهوري** في نوفمبر عام 1945، عن وثيقة الأحزاب، رفض **الحزب الجمهوري** الاتحاد مع مصر وظل هذا الرفض أمراً مبدئياً لا حياد عنه البتة، يقول البيان عن وثيقة الأحزاب: "هذا وموقفنا إزاء وثيقة الأحزاب يتلخص في أننا من جانبنا لا نقرها لأنها تختلف في جوهرها اختلافاً عن دستورنا على أننا لا نفهم لماذا تنقيد باتحاد وتحالف فتضع بذلك ثمن الحرية اتحاداً مع هذه أو محالفة مع تلك"⁽²⁾.

(1) فدوى عبد الرحمن على طه، كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لاتفاقية 12 فبراير 1953 حول الحكم الذاتي وتقرير المصير، مرجع سابق، ص 350-352.

(2) "موقف الحزب الجمهوري من المؤتمر ومن وثيقة الاحزاب المختلفة"، (بيان)، بتاريخ 1945/11/9، مقالات تحكى تاريخ الحزب الجمهوري، (مخطوطة)، جلال الدين الهادي.

ظل الأستاذ محمود رافضاً للاتحاد مع مصر ورافضاً للاتفاقيات التي توقع مع مصر، حيثما لم تحقق هذه الاتفاقيات الموقعة شرطى الندية والاحترام المتبادل بين البلدين. بشأن تقرير المصير والذي وقعت من أجله اتفاقية 12 فبراير 1953، وعدلت فيما بعد، بعض مواده بموجب اتفاقية 3 ديسمبر 1955، أصدر الحزب الجمهورى بياناً وضع فيه وجهة نظره بشأن تقرير المصير. وقال الحزب فى بيانه: "معركة تقرير المصير تمثل خطراً ذا وجهين على هذه البلاد: الأول: احتمال تأثير المصريين على نتيجة الانتخابات لمصلحتهم بإفساد الذمم وإشاعة الرشوة. الثانى: إثارة الأحقاد بين طبقات الشعب". ثم أضاف البيان قائلاً: "وفى الحقيقة أن مسألة تقرير المصير نفسها خطأ تورطنا فيه لأن حركتنا الوطنية لم تكن واعية ولا رشيدة ولقد أشفق الحزب الجمهورى من عواقب هذا الأمر منذ أن بدأ فى الجو التفكير فى المطالبة بحق تقرير المصير". ثم حمل البيان خطة مفصلة من الحزب الجمهورى، جاء بين بنودها⁽¹⁾: "لتفادى الخطر الأول وهو احتمال تأثير المصريين على نتيجة الانتخابات لمصلحتهم يجب أن يعمل السودانيون على تعديل الاتفاقية بحيث يصبح تقرير مصير البلاد بالاستفتاء العام المباشر وتقتصر مهمة الجمعية التأسيسية على وضع دستور البلاد فى طورها المقبل فإن مثل هذا الإجراء خلىق أن يفوت على المصريين فرصة إشاعة الرشوة بين المواطنين بغرض التأثير على حرية اختيارهم وأن يجنبنا نحن المغامرة بوضع مصير البلاد فى يد فئة قليلة يسهل أن تتعرض للضغط والإغراء". وتضمنت بنود الخطة أيضاً: "على الحكومة أن تحارب النفوذ المصرى محاربة لا هوادة فيها ولا لين ويجب اتخاذ جميع الوسائل المشروعة للتأكد من أن نفوذ مصر لا يتسرب لإفساد ذمم المواطنين ولقد كان بودنا أن ندعو الحكومة إلى إنزال العملة السودانية تواءم إلى السوق حتى يكون الجنيه المصرى غريباً فى هذه الديار لولا أن الوقت ضيق لا يتسع لمثل هذا الإجراء الذى يحتاج الى تدرج وتطوير وثيد فلم يبق لنا أذن إلا أن تشدد الحكومة المراقبة على الحدود التى تأتينا منها الأموال المصرية وعلى الموظفين المصريين المقيمين هنا الذين يحاولون التأثير على المواطنين وعلى السودانييين الذين يتعاونون مع المصريين فى هذا التأثير الأثيم فإن هؤلاء يجب أن يقدموا للمحاكمة إذا ثبت ضدّهم تهمة إشاعة الرشوة والفساد وأن يحسبوا خارجين على

(1) "الحزب الجمهورى يوضح وجهة نظره بشأن تقرير المصير"، (بيان)، صحيفة الاستقلال، بتاريخ 1955/6/23.

إجماع الشعب فى مسألة هى فوق مسألة الحياه أو الموت". ثم أضاف البيان قائلاً: "فيجب اتخاذ الخطوات لتفاديه أو على الأيسر تخفيفه ومن الخطوات التى تتفاداه هى تعديل الاتفاقية بحيث لا تكون هناك ضرورة لخوض معركة تقرير المصير استناداً إلى أن مصير البلاد مقرر فى قيام الحكم الجمهورى الكامل السيادة وذلك بإجماع الهيئات عليه". ثم أوضح البيان قائلاً: "ونحن نحسب أن مصر ستعارض هذا التعديل ولكن معارضتها لا تجعله مستحيلاً ولو فرضنا جدلاً أن معركة تقرير المصير لا يمكن تفاديها فإن هناك العمل على تخفيف أثرها" ثم قدم البيان فى ذلك ثلاث خطوات واقتراحات. وهكذا ظل الأستاذ محمود فى مواجهة مستمرة مع مصر، ولم يتغير هذا الموقف ولم يتبدل، فقد كان موقفاً مبدئياً واستراتيجياً.

الموقف من جمال عبدالناصر رئيس مصر الرسالة الأولى من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر

فالتفكير الذى يدعو به جمال عبد الناصر يتغذى من معينين، معين الطموح الشخصى فى زعامة العالم العربى، وهو أمر تغريه دكتاتوريته من جهة، وتغنيه به وتخدعه الشيوعية الدولية من جهة أخرى... وكذلك يتغذى من معين الأطماع المصرية القديمة فى السودان فمنذ كان التاريخ تطالعنا صحائفه بالمحاولات المستمرة من حكام مصر للاستيلاء على السودان وللأسف فإن عبد الناصر لم يفعل شيئاً يقتنعنا بأنه مخالف لأسلافه بالرغم من تطور الزمن وتقلب الأحوال بل على النقيض فقد فاقهم بأساليب أكثر التواء ورياء⁽¹⁾.

عبد اللطيف عمر حسب الله

فى عام 1954 تولى جمال عبدالناصر (1918-1970)، رئاسة مصر خلفاً للواء محمد نجيب، وظل عبد الناصر رئيساً حتى وفاته. وكعادته فى توظيف أدوات المثقف فى المواجهة وتبيين مواقفه وإبداء آرائه، وجه الأستاذ محمود خطابين إلى جمال عبدالناصر بعد توليه للرئاسة فى القاهرة. كان الخطاب الأول من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبدالناصر

(1) عبد اللطيف عمر، "حول الخطوة التالية لعبد الناصر فى السودان"، (آراء صريحة)، أنباء السودان، العدد 164، 1958/10/18.

فى يوم 3 سبتمبر 1955 (أنظر ملحق رقم: "32")، وقد نشرت الصحف المحلية الخطاب تحت عنوان: "من محمود محمد طه إلى جمال عبد الناصر"⁽¹⁾. وكان الخطاب الثانى فى 18 أغسطس 1958⁽²⁾ (أنظر ملحق رقم: "33"). استهل الأستاذ محمود خطابه الأول قائلاً: "سيادة الأخ الكريم جمال عبد الناصر، تحية طيبة مباركة، أما بعد فلم يسبق لى شرف الكتابة إليك وإنما سبق لى أن كتبت إلى الأخ الكريم محمد نجيب فى مستهل حركتكم هذه وكان الناس يومئذ فى نشوة وفرحة، وكانت الرسائل تردكم بكثرة من كل صوب، وكانت فى غالبيتها برقيات، وكانت تزف التهاني والبشرى وكان أصحابها يتلقون الردود ولكن رسالة الحزب الجمهورى كانت من نوع آخر". ثم وقف الأستاذ محمود عند ملامح رسالته للرئيس محمد نجيب قائلاً: "كانت رسالة مطولة بالبريد وكانت متجهمة حذرة تتوجس فى نفسها خيفة وكانت ترجو النصح وتقلل من قيمة طرد الملك فى حد ذاته وتقول إن العبرة بتغيير حياة المصريين وبالسير بهم من مطارح الهوان إلى منازل الشرف ولم يتلق الجمهوريون رداً على رسالتهم هذه كما تلقى الأفراد والهيئات فى سوداننا العزيز". ثم أضاف الأستاذ محمود متناولاً أسباب عدم الرد وأثره، قائلاً: "عزاء بعض إخواننا عدم ردكم إلى أن رسالتنا قد أثقلت عليكم بالنصح وأنتم فى نشوة الظفر ولكننا لم نعر عدم ردكم كبير الاهتمام وإنما انصرفنا نرغب قلب حركتكم فلم يدهشنا شيء مما اتفق لها". ثم تحدث الأستاذ محمود عن منهجه فى الكتابة قائلاً: "والآن نعود لنكتب إليك أنت وكسابق عهدنا ناصحين ولسنا ندرى هل يثقل عليك نصحننا ولكننا ندرى أن واجبنا يحتم علينا أن ننصح فى هذا الظرف الدقيق وخاصة لأن إعفاء الأخ صلاح سالم من معالجة شؤون السودان يتيح فرصة حسنة لانتهاج أسلوب جديد لمباشرة العلاقات المصرية السودانية بأذهان مفتوحة".

أشار الأستاذ محمود فى خطابه إلى علاقة مصر بالسودان، ووقف عند سياسة صلاح سالم فى السودان ووصفها بأنها كانت سياسة سيئة وقاصرة، وتحدث عن أغراض مصر فى السودان... إلخ. ثم طرح الأستاذ محمود تطلعات السودانيين، وطالب بأن تعلن حكومة

(1) محمود محمد طه، "من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر"، صحيفة الاستقلال، العدد: 81، السنة الأولى، بتاريخ 1955/9/3.

(2) نشر فى صحيفة أنباء السودان، بتاريخ 30 أغسطس 1958، الخرطوم.

مصر من جانبها استقلال السودان فوراً، يقول الأستاذ محمود: "والآن وفي هذا الظرف الذى تنحى فيه الأخ صلاح وباشرت أنت بنفسك توجيه العلاقات المصرية السودانية. يتطلع السودانيون إلى تغيير أساس فى سير الأمور بل أنهم فى الحقيقة ليتطلعون إلى برهان دافع على أن مصر لم يكن يحدوها فى إسداء ما أسدت مطمع ولا مغنم ولا يكون هذا البرهان بأقل من أن تعلن حكومة مصر من جانبها على الفور باستقلال السودان استقلالاً تاماً شاملاً". وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "ومن الحق أن نقول إن مصر بإعلانها استقلال السودان لا تزيد على أن تعترف بالأمر الواقع، لا تزيد قيمة عملها هذا على أن توفر على السودانيين المال والوقت والجهد الذى يصرفونه فى إجراء استفتاء نتيجته معلومة سلفاً، وليس المال والوقت والجهد بالأمر اليسير". ثم ختم الأستاذ محمود خطابه قائلاً: "إن العداء بين مصر والسودان أمر غير طبعى ولا مستساغ ويكاد يجزم بأنه غير ممكن ولأن يكون كل منهما مستقلاً حراً قوياً أجدى على علاقتهما فى المضمار العالمى من أن يتحدا اتحاد الضعاف فان اتحاد الضعاف ضعف على ضعف".

الرسالة الثانية من الأستاذ محمود إلى الرئيس عبدالناصر

عبدالناصر وانحراف الثورة والدعوة العنصرية الباطلة وتضليل العرب وإثارة الشعوب

إلى الأخ جمال عبدالناصر رئيس جمهورية مصر:

ثم إن الثورة لما انحرفت عن رسالة البناء والحرية انحدرت فى سراديب مظلمة لا يحفرها فى شعابها إلا البغض والضعينة والحقْد وقديماً قيل أن الشيطان يعطى عملاً للأيدى العاطلة وهو أيضاً يعطى فكراً للرؤوس الفارغة⁽¹⁾.

محمود محمد طه

أرسل الأستاذ محمود خطابه الثانى للرئيس جمال عبدالناصر فى يوم 18 أغسطس 1958. فالخطاب مثل الخطاب الأول، فى غاية الأهمية، كوثيقة تصدر فى منتصف القرن الماضى، وتحمل فى طياتها مواجهة، أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها مواجهة عصية على أن

(1) محمود محمد طه، "عوامل جديدة فى المحيط السياسى: رسالة إلى جمال عبدالناصر"، صحيفة أبناء السودان، العدد: 155، بتاريخ 1958/8/30.

يقوم بها أو يقدمها رؤساء الأحزاب والمفكرون إلى القادة والرؤساء، وإلى الرئيس عبدالناصر بشكل خاص. فقد بلغ عبدالناصر مبلغاً من الصيت والسمعة كزعيم عربي كبير. والحق كان ينبغي أن يكون هذا الخطاب موضع دراسة فى حقول العلاقات الدولية والعلوم السياسية... إلخ، ولكن هيهات!! فمصير الخطاب لا يختلف عن مصير الكثير مما كتبه الأستاذ محمود.

بيد أننى على يقين أن وقت دراسة هذا الخطاب وكتابات الأستاذ محمود، ستأتى قريباً وقريباً جداً. وبرغم أن الخطاب يحتاج منى لتخصيص مساحة وحيز خاص لدراسته وتحليله، غير أننى ولضيق المساحة فى هذا الكتاب، سأقف عليه بتقديم إضاءة سريعة عنه وبتناول مجمل لمحتواه. لقد وجه الأستاذ محمود الخطاب بتاريخ 18 أغسطس 1958، وقد وقفت عليه منشوراً فى صحيفة أنباء السودان، بتاريخ 30 أغسطس 1958، وكان بعنوان: "عوامل جديدة فى المحيط السياسى: رسالة إلى جمال عبدالناصر"⁽¹⁾. يقع الخطاب فى (3018 كلمة)، وتهيكل فى عدد من المحاور والتى جاءت فى شكل عناوين جانبية، وهى: انحراف الثورة، تأميم قناة السويس، إضعاف الغرب، الأحلاف العسكرية، تضليل العرب، الحياد الإيجابى، إلى جانب أنه تناول قضايا أخرى عديدة منها: قضايا سودانية، وقضايا محلية فى مصر، وقضايا اقليمية مثل القومية العربية... إلخ، وقضايا عالمية مثل الحرب الباردة، والشوعية... إلخ. وختم الأستاذ محمود خطابه بتقديم خمسة اقتراحات إلى الرئيس عبدالناصر.

استهل الأستاذ محمود خطابه قائلاً: "سيادة الأخ جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر، تحية مباركة". ثم أشار الأستاذ محمود لقيام الثورة وخطابه الأول للرئيس محمد نجيب، وعدم الرد عليه، قائلاً: "وهو كتاب لم تلتق عليه ردأ فى حين أن ردودكم كانت تتوالى على مرسلى برقيات التهئة ولعل مرد ذلك إلى أن ثورتكم قد كانت من التوفيق والنجاح بحيث لم تدع لكم مجالاً لسماع ما يقال من غير كلمات التهئة وكلمات الإطراء ولم نكن نحن من هؤلاء المهتهين المطربين وإنما كنا ناصحين مشفقين ناظرين إلى غد الثورة لا إلى يومها". ثم لخص الأستاذ محمود ما جاء فى خطابه للرئيس محمد نجيب، وتحدث

(1) المصدر السابق.

قائلاً: "هذا ما قلناه يومئذ وما نرى إلا أن ما توقعناه وخشيانه قد حدث فقد لبشنا نراقب الثورة في كل ما تأتي وما تدع فنراها تنحرف شيئاً فشيئاً عن النهج القويم فبدل أن نوقظ العقول المصرية والضمائر المصرية بالتربية الرشيدة والفلسفة الإنسانية البانية والحرية الفردية التي تخلق الرجال والنساء أخذت تكبت المصريين كبتاً ألقى عقولهم وأفسد ضمائرهم وساقهم سوق السوام بلا إرادة ولا اختيار ثم ضربت عليهم من الرقابة ما أخرس ألسنتهم وأقامت عليهم من الجاسوسية ما أفسد ذات بينهم وألبسهم لباس الخوف". وتحدث الأستاذ محمود عن انحراف الثورة قائلاً: "إن الثورة لما انحرفت عن رسالة البناء والحرية انحدرت في سرايب مظلمة لا يحفزها في شعابها إلا البغض والضعف والحقد وقديما قيل أن الشيطان يعطى عملاً للأيدى العاطلة وهو أيضاً يعطى فكراً للرؤوس الفارغة". وقدم تفصيلاً في ذلك. ثم تناول موضوع تأميم قناة السويس، وتضمن الخطاب اعتراضاً على التأميم، وعلى الطريقة التي أمت بها، وتحدث عن حاجة الدول الغربية لقناة السويس، وتناول الشيوعية، وأشار إلى قادة الشرق ومؤتمر باندونق ووقف عند إضعاف الغرب، والحرب الباردة... إلخ.

تحدث الأستاذ محمود في خطابه عن الأحلاف العسكرية، قائلاً: "ومن هذه الشعارات الخادعة الجوفاء (محاربة الأحلاف العسكرية) ونحن نذكرها هنا على سبيل المثال لأنها وثيقة الصلة بما نحن بصدده من انحراف الثورة المصرية". وبعد أن تناول الأحلاف العسكرية بالشرح والتحليل، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "ثم قل لنا بربك أليس من الغفلة وأفن الرأي أن نهاجم نحن في مصر أو في السودان بلداً كباكستان مثلاً لدخولها في حلف بغداد وهي تعيش بين عداوتين: الشيوعية من الشمال والهند من الجنوب؟ أليس معنى خروجها من حلف بغداد خضوعها للضغط الشيوعي والضغط الهندي؟؟ وما يقال عن الباكستان يقال عن رصيفاتها إيران والعراق وتركيا على تفاوت في ذلك طفيف". وأضاف قائلاً: "إن هذه الدول وساستها الذين يصمدون أمام زحف الشيوعية الدولية ويضطرون في سبيل ذلك إلى التعاون مع الغرب اضطراراً لا اختياراً على قاعدة تفضيل أخف الضررين والذين تصفهم أنت ورجالك وإذاعتك وصحافتك بالخيانة والمروق والتبعية للغرب وتحرض عليهم شعوبهم التي أخذت بنصيبك الوافر في تضليلها". ثم وقف عند الساسة قائلاً: "إن هؤلاء الساسة يا سيدي يعرفون عن حقائق الصراع العالمي

أكثر مما تعرف ويملكون من الشجاعة ما لا تملك ولقد استشهد منهم من استشهد وستلقى الله وفي يدك من دمائهم أغلال وسينصفهم التاريخ ويخلد استقالتهم واستشهادهم في سبيل الحق وفي مقاومة الفساد والدجل". ثم تحدث عن تضليل عبدالناصر للشعوب قائلاً: "ولئن ذكر التاريخ ضغطهم على شعوبهم وكبتهم لها فسيذكر أنك كنت السبب بإثارتك لتلك الشعوب وتضليلك إياها وتحريضها على الثورة بحكامها والانتفاض عليهم".

ذهب الخطاب متناولاً تلك المحاور المشار إليها، بتفصيل ودقة وقوة في المواجهة، ثم قبل الختام كتب الأستاذ محمود في خطابه قائلاً: "ونحب أن نحذرك من التورط في خطأ كبير تورط فيه كثير من المفكرين الاجتماعيين وهو اعتبار الرخاء المادى بالتوسع الزراعى والصناعى بديلاً عن الحرية الفردية". ثم ختم الأستاذ محمود خطابه بخمسة اقتراحات قائلاً: ثم إنا نرجو أن نقترح عليك الآتى :

1- أن تترك التدخل فى شؤون البلاد العربية -التدخل بجميع صوره- الإذاعة والصحف والرشوة- وذلك لأنه ليس لديك ما تعطيه أيا من هذه الدول وما تزيدها بتدخلك فى شؤونها غير تخسير.

2- أن تنفض يدك فوراً من الدعوة الباطلة -دعوة القومية العربية - وأن ترجع بشعبك إلى الإسلام رجوعاً واعياً وأن تحاول بعث المعانى الإنسانية الرفيعة التى يزخر بها القرآن وأن تصلح بها قومك أولاً وهذا ما عيناه برد قومك إلى أصول الأخلاق حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً.

3- أن تصحح رأيك فى الحياد الإيجابى ... فإنك لن تستطيع الحياد إذا أسرفت فى عداوة فريق من الفريقين، فإن الإسراف لا يورث الاعتدال . فانت لا تجنى من الشوك العنب.. وإنك لن تستطيع أن تكون (إيجابياً) فى حيادك إلا إذا كنت تمتلك الفلسفة الإيجابية وما نرى لك من فلسفة بإزاء الرأسمالية والشيوعية غير الإسلام.

4- فإذا ما أرحت الدول العربية من تدخلك فى شؤونها ومن دجل دعوة القومية العربية فسيكون على كل دولة عربية داخل حدودها -ولا يعنى هذا عدم التعاون المتكافئ- أن تبعث الإسلام من جديد وأن تطبق مذهبيتها التى تحقق التوفيق بين الاشتراكية

والديمقراطية أى بين العدالة الاجتماعية والحرية الفردية فإذا ما استطاعت أى من الدول العربية أن تخلق من نفسها نموذجاً صالحاً للدولة الإسلامية التى تحل مشاكل سكانها على هدى أهدى من الشيوعية ومن الديمقراطية الرأسمالية فإن الدول العربية ستحذو حذوها وسيتم اتحاد العرب تحت راية القرآن وسيكونون باتحادهم ومذهبيتهم الكتلة الثالثة التى تنهض بين الشيوعية والرأسمالية وسيقلد نموذجهم سائر دول العالم وهكذا ينفضون من حول الشيوعية والرأسمالية وتقوم الحكومة الفدرالية العالمية على مذهبية تتمم النقص فى الشيوعية والرأسمالية وذلك بتحقيق التوفيق بين العدالة الاجتماعية والحرية الفردية وهكذا يحل فى الأرض السلام والرخاء.

5- ريثما تبرز الكتلة الثالثة فى الحيز العملى لأبد من فترة من السلام، وليس فى طوق الإنسانية فى عهدها الحاضر تحقيق سلام غير هذا السلام المحموم غير الطبيعى الذى يقوم على توازن القوى ولذلك فلا بد من اجتناب أى عمل يخل هذا التوازن حتى ولو كان عائداً ببعض الكسب المحلى على الدولة التى تمارسه .

وقبل توقيع الخطاب كتب الأستاذ محمود آخر جملة فى خطابه قائلاً: "هذا ما اتسع الوقت لتوجيهه إليك وإنا لنرجو لنا ولك من الله التوفيق والهداية". لا أحسب أن الرئيس جمال عبدالناصر رئيس جمهورية مصر قد وصل إليه خطاباً أو سمع حديثاً من مثقف أو مفكر من إفريقيا أو العالم العربى أو العالم الثالث، يحمل مواجهة ونقداً ونصحاً مثل ما جاء فى خطابات الأستاذ محمود. وهذا فى حد ذاته منهج جديد فى التعاطى مع الرؤساء والزعماء والقضايا، كما أنه توظيف رفيع وشجاع لأدوات المثقف، وهو توظيف ينشد الإصلاح والتغيير والتحرير والانشغال بقضايا الشعوب عبر النقد والمساءلة والمواجهة للحكام والزعماء. وهذا فى حد ذاته نمط جديد من التفكير فى المواجهة فى الشرق الأوسط وربما فى العالم.

استمرار مواجهة الأستاذ محمود لمصر برئاسة عبد الناصر

إن الحزب الجمهورى سيكشف لهذا الشعب الحقائق وسيقف بالمرصاد وبصلابة ضد تغفل النفوذ المصرى الذى تتطوع لخدمته الجامعة الإسلامية ومصلحة

الشؤون الدينية من الوعاظ الذين تستجلبهم من مصر. أساتذة مصريون فى الجامعة الإسلامية يتدخلون فى شؤون بلادنا ويعتدون على الحقوق الدستورية لمواطنين سودانيين. أساتذة مصريون أجانب دخلاء على بلادنا يجندون أنفسهم ويتطوعون للتدخل السياسى فى السودان وبلا حياء وعلى صفحات (الرأى العام) متعرضين للحزب الجمهورى بأسوأ ما يمكن أن يقال. منهم الدكتور كمال وصفى.. شخص آخر يدعى (محمد محمود شاهين) يزيّفون ويكذبون... ودكتور آخر من الجامعة الإسلامية (على عبد الواحد وافي) يقول فى محاضرة عامة أنه قد تأكد لديهم، أن الحزب الجمهورى يتلقى معونات من خارج السودان لهدم وتشويه الإسلام.. أى درك من عدم الأخلاق والأمانة تردى فيه هذا الرجل. أما كان عليه أن يتعلم الأمانة قبل أن يعلم أبناء شعبنا المسكين الدين فى الجامعة الإسلامية؟ إن جامعة هذا مستواها لا تشرف هذا الشعب. بل فى الحقيقة أن جامعة أمدرمان الإسلامية هى وليدة عقدة نفسية عند رجال الدين⁽¹⁾.

الحزب الجمهورى، "أوقفوا المخطط المصرى لغزو السودان"

استمرت مواجهة الأستاذ محمود للمواقف الرسمية لمصر برئاسة جمال عبدالناصر. ففى عام 1958 نشر الحزب الجمهورى بياناً تناول فيه دعائم الميثاق القومى، (أنظر ملحق رقم: 34"، وفيما يتعلق برؤية الحزب وموقفه من العلاقة مع مصر، يرى الحزب: "لتحسين العلاقة مع مصر يجب تصفية المسائل المعلقة معها فوراً، مثل مياه النيل ومستعمرات الرى المصرى فى الشجرة والجبل وملكال وذلك بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم ويجب الانترك هذه المسائل معلقة هكذا لآى فترة من الزمن بعد اليوم لأنها هى سبب سوء التفاهم المستمر فإذا ما تمت هذه التسوية فإن علاقتنا بمصر ستقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل"⁽²⁾. وفى بيان للحزب الجمهورى نشر فى أكتوبر عام 1958، وجاء بعنوان: "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"⁽³⁾، تحدث البيان

(1) الحزب الجمهورى، البيان نمرة (19): "أوقفوا المخطط المصرى لغزو السودان"، 1969/3/18.

(2) "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"، مصدر سابق.

(3) محمود محمد طه، "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"، مصدر سابق.

عن سيطرة مصر على جامعة الدول العربية وتسييرها للجامعة وفقاً لأهوائها، يقول البيان: "رأى الحزب الجمهورى فيما يتعلق بعضوية السودان فى الجامعة العربية واضح ومعروف ويتلخص فى أنها مؤسسة اقليمية ضيقة لا تقوم على مذهبية فكرية تجعلها أداة خلاقة تخدم مصالح أعضائها وتسير فى الوقت ذاته فى اتجاه سليم يخدم قضية الإنسانية فى السلام العالمى. إنما هى عنصرية ضيقة هذا وتسيطر عليها دولة واحدة تسيرها وفق أهوائها وتطوعها لخدمة أغراضها". ثم تناول الحزب الدور المرتجى من السودان إذا ما سار متناغماً مع إفريقيته، يقول البيان: "نحن كشعب أفريقى فتى له مكانته فى القارة الأفريقية، ممكن نخدم أنفسنا ونخدم الشعوب المجاورة بل ويمكن أن نقدم خدمات أكبر لقضايا الأحرار وقضية السلام العالمى بأوسع وأيسر مما يمكن أن نفعل ونحن داخل اطار جامعة الدول العربية⁽¹⁾".

وفى استقرائه لطابع الحركة الوطنية فى غرة نوفمبر 1958، تحدث الأستاذ محمود عن المعارضة التى أخذت تستغل الحالة السيئة الحاضرة استغلالاً خالياً من كل أمانة محاولة من وراء ذلك العودة إلى الكراسى من جديد، يقول الأستاذ محمود: "وهى إن عادت للحكم فلن تفلح فى حل المشاكل الحاضرة ونحن لا نقول هذا لمجرد معرفتنا بحقيقة قيادتها وتفكيرها وإنما نقوله بعد أن جربناها فى الحكم زمنا بلوناه فيها وبلونا المر من غبائها ... هى إن عادت لن تفلح فى حل المشاكل الحاضرة ولكنها ستحيل حلها على مصر وتسلمها هذه البلاد برمتها باسم السير مع (الحركة العربية التحررية) وباسم (القومية العربية) وقد ينتظر أزهرى لقب (المواطن العربى الثانى)". ثم تناول الأستاذ محمود الخطر المصرى قائلاً: "ولكن من لنا بأن يفهم قبل فوات الأوان أن الخطر المصرى الحاضر أشد علينا من الخطر الغربى بما لا يقاس: لأنه زيادة على أنه طامعاً ومستعمرأ فهو أيضاً مخلب قط للشيوعية الدولية فهى تؤيده وتقويه وتسانده لتنتشر به نفوذها علينا نحن أول الأمر ثم على العالم بأسره آخر الأمر؟؟".

أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "من لنا بأن يفهم قومنا قبل فوات الأوان أن هذه الملايين من الجنبيات التى تدفعها الشيوعية الدولية لمصر، هذا التدليل الذى تتلقى به

(1) محمود محمد طه، "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"، مصدر سابق.

جمال عبدالناصر وأصحابه ليست هي الثمن الذى باع به جمال مصر بيع السوام. وإنما هي ثمن العرب جميعاً حين يستطيع جمال بقامته الجديدة التى تنشئها له الشيوعية الدولية أن يضطرهم إلى الإذعان والانقياد له بوسائل الدعاية ووسائل الرشوة ووسائل الإرهاب أيضاً؟؟". ثم تحدث الأستاذ محمود عن حاجة مصر لمن ينقذها مما ورطها فيه عبدالناصر، يقول الأستاذ محمود: "من لنا بأن يفهم قومنا قبل فوات الأوان أن مصر نفسها فى حاجة إلى من ينقذها مما ورطها فيه جمال عبدالناصر قبل أن تحرق مراكبها وتقطع أرحامها". ثم ختم الأستاذ محمود بيانه بتسع اقتراحات جاء الاقتراح الثالث متعلقاً بالعلاقة مع مصر، يقول الاقتراح: "يجب أن تبشر الحكومة المعدلة واجبها بصرامة وصراحة فتخبر مصر فوراً أن الاحترام المتبادل هو الذى سيصون حسن العلاقات وأن ركن السودان من القاهرة عمل لا يحترم استقلال السودان وأنه يجب أن يقفل فوراً وفى أثناء ذلك تحرم الحكومة على أى مواطن أن يذيع أو يسجل للإذاعة المصرية أو يرسلها بأحاديث أو أغاني فيما يخص الأمور السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التى تتعلق بالسودان"⁽¹⁾.

المخابرات المصرية تتربص بالأستاذ محمود

إن التدخل المصرى فى السودان ليس بالأمر الجديد، ولكنه فى هذه الأيام الأخيرة بلغ حدّاً لا يمكن السكوت عليه، ولا بد من مواجهته... وهم يتدخلون فى سياسة هذه البلاد تدخلاً مباشراً وغير مباشر... ومن أسوأ مظاهر التدخل المصرى فى السودان التدخل تحت ستار التعليم، وتحت ستار الدين... ومن العجب أننا نستورد من مصر الوعاظ ورجال الدين⁽²⁾.

الحزب الجمهورى

ما كان يمكن لهذه المعارضة التى قادها الأستاذ محمود فى وجه ثورة 23 يوليو

(1) محمود محمد طه، "بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، صحيفة أنباء السودان، العدد 166، تاريخ 1958/11/1.

(2) الحزب الجمهورى، "البيان ثمرة (22): التدخل المصرى فى السودان"، 1969/3/26.

1952، منذ قيامها، والمواجهة لقادتها، لا سيما مواجهة الرئيس جمال عبد الناصر، والوقوف بقوة في مواجهة خطابه القومي، ووصف الدعوة للقومية العربية بأنها دجل، ودعوة عنصرية، وباطلة ومضللة للعرب، ما كان يمكن لهذه المعارضة والمواقف أن تمر دون دفع ثمن. وما كان يمكن لآراء الأستاذ محمود ومواقفه التي عبر عنها في خطابهاته الثلاثة، واحد منها إلى الرئيس محمد نجيب، وخطابين إلى الرئيس جمال عبدالناصر، ونقده للثورة وانحرافها، وكتاباته الناقدة بشكل مستمر لمصر وكتاباته عن الدور السلبي لمصر الرسمية في العلاقات السودانية المصرية، ما كان يمكن أن تمر دون أن تترتب عليها نتائج وعقوبة سياسية. فقد اتضح خلال شهر أكتوبر من عام 1958 أن المخابرات المصرية تربص بالأستاذ محمود وترصده. لقد ظهر ذلك جلياً حينما سافر أحد السودانيين إلى القاهرة وكان اسمه محمد طه الفكى، فتم القاء القبض عليه في مطار القاهرة على أساس أنه هو محمود محمد طه. قامت قوات الأمن بأخذ الرجل من مطار القاهرة إلى مبنى وزارة الداخلية وتم التحقيق معه، على أساس أنه محمود محمد طه، ولم يطلق سراح الرجل حتى تدخلت السفارة السودانية في القاهرة، وبعد أن تم فحص أوراقه ومراجعة تاريخ حياته.

ورد الخبر في صدر الصفحة الأولى لصحيفة أنباء السودان في الخرطوم، في عددها الصادر يوم 25 أكتوبر 1958. جاء الخبر تحت عنوان: "محمود محمد طه يعتقل في القاهرة"⁽¹⁾. يقول نص الخبر (أنظر ملحق رقم: "37"):

سافر إلى القاهرة السيد محمد طه الفكى الموظف بمشروع الجزيرة لقضاء إجازة قصيرة مقدارها أسبوعان. ولم يكد يصل إلى العاصمة المصرية حتى ألقى عليه القبض وأخذ إلى وزارة الداخلية وحقق معه على أنه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى والكاتب الحر الكبير.

وبعد مراجعة تاريخ حياة السيد محمد طه الفكى وهويته وتدخل السفارة السودانية أطلق سراحه. وقد عاد الآن ليروى هذا الخبر.

(1) "محمود محمد طه يعتقل في القاهرة"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 165، السبت 25 أكتوبر 1958، الخرطوم.

يوضح هذا الخبر أن اسم الأستاذ محمود محمد طه كان في القائمة السوداء لدى الأجهزة الأمنية المصرية، وإنها لن تفوت الفرصة في إلقاء القبض عليه، كما هو واضح في حالة الاشتباه التي قبض بموجبها على السيد محمد طه الفكي، وتم التحقيق معه على أساس أنه محمود محمد طه. ومما يدل على أن الأمر يتصل بمواقف الأستاذ محمود السياسية من مصر ومن ثورة 23 يوليو ومن الرئيس عبدالناصر، هو أن الأجهزة الأمنية المصرية تسعى للقبض على الأستاذ محمود برغم أنه ليست لديه أى جنحة أو مخالفة قانونية أو جريمة مدونة في محاضر الشرطة المصرية أو المحاكم المصرية. ولهذا، وبما أن الأستاذ محمود مطلوب لدى الأجهزة الأمنية المصرية فإن التوقعات بالأسوأ واردة ومتوقعة، خاصة إذا ما علمنا أن الأستاذ محمود استمر في مواجهته وبقوة للرئيس عبدالناصر ولخطابه القومى. بل بلغت مواجهة الأستاذ محمود للرئيس عبدالناصر قمتهما حينما أصدر الأستاذ محمود كتابين أيام انعقاد مؤتمر القمة العربى عام 1967، ضمنهما رأيه فى مشكلة الشرق الأوسط (الصراع مع إسرائيل)، ووصف جمال عبد الناصر بأنه فرض زعامته على العرب بالترغيب وبالتهريب، وأن قيادته قادت العرب من هزيمة إلى هزيمة، وجرت عليهم من العار ما سيقى على صفحات التاريخ، إلى نهاية التاريخ. كما قدم الأستاذ محمود تقويماً للمواقف المختلفة من مشكلة الشرق الأوسط، وعارض تأميم قناة السويس. كما وصف خطب جمال عبدالناصر بأنها جرت على العرب الهزيمة العسكرية، والهزيمة السياسية، والهزيمة الدبلوماسية. وكل هذا ما لا يمكن أن يمر دون انتقام. أقف فى المحور القادم عند الكتابين اللذين نشرهما الأستاذ محمود أيام انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم عام 1967، وهو المؤتمر الذى عُرف بمؤتمر اللاءات الثلاثة.

قمة المواجهة فى عام 1967 ومحكمة الردة فى عام 1968

رأى الأستاذ محمود فى مشكلة الشرق الأوسط وزعامة عبدالناصر للعرب

لقد كان الجمهوريون أول من دعا العرب إلى الاصطلاح مع إسرائيل انطلاقاً من تصور حضارى لمشكلة الشرق الأوسط... إن اقتراح الجمهوريين بالحل

السلمى لمشكلة الشرق الأوسط، والذي أستنكر في وقته، بدأ يتضح للكثيرين أنه اقتراح عملي⁽¹⁾.

سعد عبد الله أبو نورة⁽²⁾

ظل الأستاذ محمود فى نقد دائم وقوى لزعامة الرئيس عبدالناصر للعرب ودعوته

(1) سعد عبد الله أبو نورة، "مقدمة الطبعة الثانية"، ضمن كتاب: محمود محمد طه، التحدى الذى يواجه العرب، ط2، أدمرمان، 1982، ص 8-9. من الملاحظة المهمة أن اثنين من تلاميذ الأستاذ محمود كانا ممن كتب مقدمات لكتبه. المقدمة الأولى كتبها عبدالرحمن عصام البوشى للطبعة الثانية من كتاب: الثورة الثقافية، وكانت طبعته الأولى قد صدرت عام 1972. حدثنى عصام البوشى فيما يتعلق بكتابته للمقدمة. أما المقدمة الثانية فقد كتبها سعد عبد الله أبو نورة لكتاب: التحدى الذى يواجه العرب، فى طبعته الثانية التى صدرت فى عام 1982، وكانت الطبعة الأولى قد صدرت عام 1967.

(2) حدثنى سعد عبد الله أبو نورة، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، إنه وراء كتابته لمقدمة الطبعة الثانية من كتاب: التحدى الذى يواجه العرب، قصة. قال سعد: "كنت أجلس فى صالون الأستاذ محمود مع آخرين، فى يوم من أيام شهر يوليو من عام 1982، ونحن فى معيته، كان الحضور يتحدثون عن مشكلة الشرق الأوسط، مشكلة فلسطين، وخذلان الاتحاد السوفيتى للعرب. فأدليت برأى قائلاً: "إن خذلان الاتحاد السوفيتى للعرب، وإن ما رشح عبر الصحافة العربية من أخبار تنصّل بهزائم العرب بشأن مشكلة الشرق الأوسط، يؤكد صحة ما جاء فى كتاب التحدى الذى يواجه العرب، ويؤكد كذلك صحة ما جاء فى كتاب: مشكلة الشرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى. فأثنى الأستاذ على حديثى، ثم قال لى: "طيب ما نطبع طبعة جديدة من كتاب: التحدى الذى يواجه العرب، ونكتب أنت مقدمة لها". قال لى سعد واصفاً حاله: غمرتنى سعادة وأنا استشعر حجم المسؤولية أمام هذا التشريف لشاب لم يتجاوز عمره وقتئذ خمسة وعشرين عاماً.. ذهب وفى نحو أربعة أيام كتبت المقدمة، وعرضتها على الأستاذ محمود. أطلع الأستاذ محمود على المقدمة وعدل فيها الأخطاء اللغوية فى بعض المفردات ولكنه لم يغير شيئاً من العبارات أو الأفكار. بعدها تم الدفع بالكتاب للطباعة على الآلة الكاتبة وحمل على صدره المقدمة التى كتبها، وكانت تلك هى الطبعة الثانية من الكتاب، بيد أنها كانت طبعة محدودة. وقد وجدت نسخة من هذه الطبعة لدى الأخ خلف الله عيود حينما وصلت مسقط، سلطنة عمان، للإقامة والعمل. (انتهى حديث سعد عبد الله أبو نورة). المصدر: مقابلات مع سعد عبد الله أبو نورة، تمت المقابلات عبر الهاتف، سعد بمدينة مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف فى الدوحة، 13 مايو 2013، الساعة 20:30؛ 14 مايو 2013، الساعة 19:30.

من المفيد الإشارة إلى أن المقدمة التى كتبها سعد أبو نورة تقع فى الصفحات من 3 وحتى 12 صفحة. لقد أطلعت على المقدمة وعلى نسخة من الطبعة الثانية وقد زودنى بها سعد عبد الله أبو نورة. كانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد نشرت فى سبتمبر عام 1967، كما وردت الإشارة آنفاً، ثم فى عام 2009 طبعت طبعة أخرى، اعتمدت على نسخة الطبعة الأولى التى نشرت عام 1967، فلم تتضمن مقدمة سعد عبد الله أبو نورة، ولم يكن هناك سبب، كما أفادنى سعد، سوى أن الطبعة الثانية التى تصدرتها مقدمته نشرت ولكن فيما يبدو لم تشر على نطاق واسع، وبرغم امتلاك البعض لنسخ منها، إلا أن كثير من تلاميذ الأستاذ محمود لم يطلع عليها. الشاهد أن طبعة عام 2009 ضمت كتابين، وجاءت بعنوان: محمود محمد طه، 1. التحدى الذى يواجه العرب 2. مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى، مصدر سابق، وتصدرتها مقدمة كتبها بالاشتراك كل من: أسماء محمود محمد طه والنور محمد حمد.

للقومية العربية. ورأى فى خطاب عبدالناصر القومى أن خطبه أسباب هزيمة العرب وهى العار الذى لحق بالعرب. عبر الأستاذ محمود عن نقده ومعارضته بالبيانات والخطابات والمقالات وفى المحاضرات العامة. هذا إلى جانب كتابات تلاميذ الأستاذ محمود، لا سيما تلميذه عبداللطيف عمر حسب الله. لقد كتب عبداللطيف العديد من المقالات المنشورة فى الصحف السودانية من تلك المقالات (مجرد مثال): مقال نشر بتاريخ 1958/10/18 ونشر بصحيفة أبناء السودان، وكان بعنوان: "حول: الخطوة التالية لعبد الناصر هى السودان"⁽¹⁾ وغيره. استمر الأستاذ محمود فى كتاباته الناقدة والمعارضة للرئيس عبدالناصر ففى يوم 5 سبتمبر عام 1967 نشر كتاباً بعنوان: **التحدى الذى يواجه العرب**⁽²⁾. وعن التحدى الذى يواجه العرب، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "التحدى الذى يواجه العرب اليوم هو فى الحقيقة نصيبهم من التحدى الذى يواجه البشرية المعاصرة جمعاء.. والتحدى الذى يواجه البشرية هو أن موطنها الذى تعيش فيه اليوم- هذا الكوكب الذى نعيش فيه- قد انكمش وأصبح صغيراً، بفضل الله، ثم بفضل سرعة المواصلات الحاضرة، حتى لقد أصبح الناس -كل الناس- جيراناً، بعضهم لبعض وأصبح مطلوباً اليهم ان يتعايشوا فى حسن خلق، وحسن معاملة، وفى سلام، وإلا فما تطيب حياة لجيران يتشاكسون كل صبح جديد"⁽³⁾.

ثم أضاف الأستاذ محمود قائلاً: "بإيجاز فإن التحدى الذى يواجه البشرية اليوم هو أن الكوكب الذى نعيش فيه قد اكتملت له الوحدة المكانية، وقد أصبح يتطلب من البشرية التى تعيش فيه أن تحقق الوحدة الفكرية بين أفرادها حتى يستطيعوا أن يتعايشوا فى سلام- إن لم نقل يعيشوا فى سلام- مع اختلاف ألوانهم، ولغاتهم، وعاداتهم، وعقائدهم، فإن هم عجزوا عن ذلك فسيكون مصيرهم مصير كل الأحياء الذين عجزوا عن أن يوائموا بين حياتهم وبين بيئتهم- وقد جرت بذلك سنة الأولين"⁽⁴⁾. كما تناول هزيمة العرب العسكرية والدبلوماسية، وحيرة المسئولين فى السودان، والته الذى فيه العرب، والتحدى

(1) عبداللطيف عمر، "حول: الخطوة التالية لعبد الناصر هى السودان"، (آراء صريحة)، أبناء السودان، العدد 164، 1958/10/18.

(2) محمود محمد طه، التحدى الذى يواجه العرب، ط 1، أمدرمان، 1967؛ محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق، ص 25.

(4) المصدر السابق، ص 25-26.

الذى يواجه العرب والبشرية. وتحدث عن القومية العربية ووصفها بأنها دجل، وكتب قائلاً: "فإن الدجل الحاضر لن يرقى الى طمس الحقائق العلمية وهى متوفرة ودامغة بأن العرب لم يدخلوا التاريخ فى القرن السابع الميلادى كعرب وإنما دخلوه بعد أن أصبحوا مسلمين وهم لن يدخلوه فى القرن العشرين كعرب وإنما سيدخلونه اذا رجعوا الى ربهم وإلى دينهم، فأصبحوا مسلمين"⁽¹⁾. وتناول محوراً بعنوان: يهود يحاربون يهوداً، وتناول القضية الفلسطينية، ثم اقترح حلاً للقضية الفلسطينية يقوم على مرحلتين: الحل العاجل والحل الآجل، سيرد الحديث عن الحل بمرحلتيه لاحقاً.

وفى أكتوبر من عام 1967 نشر الأستاذ محمود كتاباً آخر بعنوان: **مشكلة الشرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**⁽²⁾. نشر الكتابان فى طبعتهما الأولى عام 1967 فى مناخ وأيام انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم (8/29 - 1967/9/1)، الذى ضم إلى جانب رئيس الوزراء السودانى محمد أحمد المحجوب، كلاً من الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود (1906-1975). وقد عُرف المؤتمر بمؤتمر اللاءات الثلاثة (لا صلح لا اعتراف ولا تفاوض مع إسرائيل). وقد أعيد نشر الكتابين مرات عديدة آخرها كان فى عام 2009⁽³⁾. تناول الأستاذ محمود فى كتاب الشرق الأوسط قضية فلسطين، وتأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثى الأول، والثانى. وتحدث عن أخطاء الزعماء العرب، وقلة حنكة الزعماء العرب السياسية والدبلوماسية والعسكرية، وعدم صدقهم. وتحدث عن الشيوعيين وكيف أنهم ورطوا جمال عبد الناصر فى الأخطاء. وتناول محوراً بعنوان: البحث عن كبش الفداء. وتناول خطب عبدالناصر وكيف أنها كانت من أسباب هزيمة العرب. وتحدث عن غرور الزعامة، والرضا عن النفس وتحقير شأن العدو، وتناول الزعماء العرب وكيف أنهم كانوا سبباً فى هزيمة العرب. وقدم قراءة تاريخية شاملة لليهود فى التاريخ، وفتح فلسطين، ومملكة اليهود،

(1) المصدر السابق، ص 30-31.

(2) محمود محمد طه، **مشكلة الشرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

(3) لقد نشرت الشركة العالمية للطباعة والنشر الكتابين فى كتاب واحد، وجاء العنوان وبيانات النشر على النحو

التالى: محمود محمد طه، 1. التحدى الذى يواجه العرب 2. مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى، مصدر سابق.

وإعادة بناء الهيكل، وجمهورية يهودا. وتحدث عن العنصرية الإسرائيلية، والحركة الصهيونية، ومشكلة فلسطين، وتناول الانتداب وهجرة اليهود، ومعارضة وعد بلفور، وقرار التقسيم ومقاومته. وتناول مشكلة اللاجئين، وتحدث عن أن الاعتراف بإسرائيل من مصلحة العرب. وتناول دور الروس والأمم المتحدة في مشكلة الشرق الأوسط.

ودعا الأستاذ محمود إلى الأخذ باقتراحه بالحل على مرحلتين: الحل العاجل والحل الآجل. ودعا إلى شجاعة المواجهة والمفاوضات المباشرة، كتب الأستاذ محمود قائلاً: "فإن اعتراف العرب بإسرائيل واقعياً، وعملياً حاصل، وكل المشاريع التي تقدم في المنظمة العالمية الآن ترمى إلى تسجيل هذا الاعتراف. لا يختلف في ذلك أصدقاء العرب، أو أصدقاء إسرائيل. ولعل كل ما هناك من اختلاف بين الفريقين هو هل يكون الجلاء قبل تسجيل هذا الاعتراف أم بعده؟؟ وهناك إصرار إسرائيل على التفاوض المباشر"⁽¹⁾. وأضاف الأستاذ محمود قائلاً: "وأمام هذا الإصرار فإن إسرائيل ستكون مستعدة لتنازل كبير، قد لا يكون ممكناً بغير قوة المساومة التي يحملها هذا الاعتراف من جانب العرب، ومن مصلحة القضية العربية ألا تضيق قوة المساومة هذه بتمسك العرب بعدم الاعتراف اللفظي، مع أن الاعتراف عملياً واقع، ومع الزمن، فإن إسرائيل ستحصل على هذا الاعتراف، بدون أن تدفع عليه ثمناً كافياً للعرب"⁽²⁾. وعن صعوبة الاعتراف على الزعماء العرب يقول الأستاذ محمود: "ونحن نعلم صعوبة الاعتراف على الزعماء العرب، ولكننا لا نحترمها، ذلك بأنها صعوبة تقوم على الكبرياء الزائف، وعلى المظهر الفارغ، وهي تستهدف خداع الشعوب العربية، ذلك بأن الزعماء قد ظلوا يحدثونها، على طول المدى، عن رمى دولة إسرائيل في البحر"⁽³⁾. ثم أشار الأستاذ محمود إلى مؤتمر القمة العربية الذي عقد في الخرطوم قبل نحو شهر من صدور الكتاب عام 1967، وقد عُرف كما وردت الإشارة، بمؤتمر اللاءات الثلاثة. كتب الأستاذ محمود قائلاً: "وحتى في مؤتمر الخرطوم الذي التقى فيه هؤلاء الزعماء مؤخراً لم ينسوا، تمثيلاً مع الأوهام القديمة، المزمته، والمعلنة على الشعوب، أن يعلنوا، من جديد، أنهم سيعملون على تحقيق انسحاب القوات

(1) المصدر السابق، ص 152.

(2) المصدر السابق، ص 152.

(3) المصدر السابق، ص 152.

الإسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها في الحرب الأخيرة (وذلك في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدول العربية وهي: عدم الصلح مع إسرائيل، أو الاعتراف بها. وعدم التفاوض معها)⁽¹⁾.

اقتراح بحل مشكلة الشرق الأوسط قبل نصف قرن من طرح المبادرة السعودية "الشجاعة" بعد النظر الأسطوري والبصيرة السياسية النافذة: المبادرة المبكرة بالحل العاجل والحل الآجل

وأصاب [الأستاذ محمود] قبل ذلك حينما دعا العرب (ببعد نظر أسطوري وبصيرة سياسية فريدة). للاعتراف بإسرائيل فتجاهلوه أو استهجنوا قوله. اضطروا لقبول رأيه بعد نصف قرن وعرضوا على إسرائيل الاعتراف وحسن الجوار "في الخطة السعودية التي باركتها سائر الدول العربية" فلم تقبل إسرائيل لأنها صارت قوة نووية تقف على كتف الدولة العظمى الوحيدة ولا يرضى شارونها وأقصى اليمين الأصولي - المتطرف الذي يؤيده بأقل من مصير الهنود الحمر للشعب الفلسطيني⁽²⁾.

خالد المبارك

قدم الأستاذ محمود في عام 1967 اقتراحاً لحل قضية فلسطين على مرحلتين: حل عاجل وحل آجل. كتب الأستاذ محمود اقتراحه ونشره في كتابين من كتبه، الأول: التحدي الذي يواجه العرب، والكتاب الثاني: مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسي، استقرأ تاريخي، حل علمي، ليقراه الرؤساء والملوك والزعماء والقادة والمثقفون والناس في الشارع. هكذا كان منهج الأستاذ محمود في المواجهة وفي تقديم الخدمات التنويرية، كان يحرص على تمليك الناس في الشارع المعلومات بل يجعلهم شركاء وشهوداً على رؤيته وأطروحاته وسجلاته مع الآخرين. يكتب رؤيته وينشرها سواء في كتاب أو بيان أو منشور أو مقال. نشر الأستاذ محمود اقتراحه قبل مبادرة السلام العربية بخمسة وثلاثين عاماً. كانت مبادرة السلام العربية في عام 2002، وهي مبادرة أطلقها الملك عبد الله بن

(1) المصدر السابق، ص 152.

(2) خالد المبارك، "مفكرة سودانية بريطانية.. محمود محمد طه وأنصاف الحقائق"، صحيفة الرأي العام، بتاريخ 18 نوفمبر 2002.

عبدالعزیز ملک المملكة العربية السعودية. هدفها إنشاء دولة فلسطينية معترف بها دولياً على حدود 1967 وعودة اللاجئين وانسحاب من هضبة الجولان المحتلة، مقابل اعتراف وتطبيع العلاقات بين الدول العربية مع إسرائيل، وكانت في عام 2002. وقد تم الإعلان عن مبادرة السلام العربية في القمة العربية في بيروت. وقد نالت هذه المبادرة تأييداً عربياً⁽¹⁾. حينما اقترح الأستاذ محمود في عام 1967 ما اقترحه المبادرة السعودية عام 2002، وُصف الأستاذ محمود بالعمالة والصهيونية... إلخ، بينما وسمت المبادرة السعودية بالمبادرة الشجاعة، ووجدت التأييد العربي والتبني من قبل جامعة الدول العربية. ولأهمية المقاربة بين اقتراح الأستاذ ومبادرة السعودية، وحتى يكون القارئ طرفاً في التقويم والشهادة، استمحيه عذراً بأن أورد اقتراح الأستاذ محمود لحل قضية فلسطين عام 1967 كاملاً، وأورد كذلك المبادرة العربية للسلام عام 2002.

اقتراح الأستاذ محمود عام 1967 لحل قضية فلسطين

الحل على مرحلتين⁽²⁾

هل تريدون الحق؟ إذن فاسمعوا!! إن العرب لم يرزأوا في دينهم، ولا في دنياهم بمثل ما رزئوا به بدجل القومية العربية⁽³⁾.

محمود محمد طه

مرحلة عاجلة، ومرحلة آجلة: فأما المرحلة العاجلة فهو حل سياسي، ومرحلي، في نفس الأمر، وهو حل يقتضيه حل المرحلة الآجلة.. وهذا وحده الحل المستديم السليم.. وبالحل المرحلي، العاجل، يستطيع العرب أن يرجعوا الى نقطة الاعتدال بين الكتلتين:

(1) "النص الحرفي لـ (مبادرة السلام العربية)"، من موقع إسلام ويب، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 2013/3/3، الموقع على الإنترنت: <http://www.islamweb.net>؛ "نص مبادرة السلام العربية (المبادرة السعودية)"، من موقع المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) الموقع على الإنترنت: <http://www.malaf.info>

(2) محمود محمد طه، 1. التحدي الذي يواجه العرب 2. مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسي، استقرار تاريخي، حل علمي، مصدر سابق، ص 32-34، 158-168.

(3) المصدر السابق.

الكتلة الشرقية، والكتلة الغربية. وهى النقطة التى فيها يقومون مقام الكتلة الثالثة - وهى كتلة لا شرقية ولا غربية - ومقامها قد قامه قديما أوائلنا، وقاموه من جميع الوجوه، وقد قال الله تبارك وتعالى عنهم، (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً).

وهذا الحل العاجل قد يقضى على العرب أن يدفعوا ثمن أخطائهم السياسية الكثيرة، وهو ثمن سيكلفهم شيئاً من كرامتهم، وشيئاً من مصلحتهم، مؤقتاً، ريثما يستعيدون كرامتهم الحققة، ومصلحتهم الحققة. ثم أنهم بنفس هذا الثمن سيشترون هدنة هم فى أمس الحاجة إليها ليباشروا حل مشكلتهم حلاً، علمياً، شافياً، ونهائياً. وهو ما أسمىه الحل الآجل، ويتمثل فى أدنى منازل فى إعادة بناء الجبهة الداخلية.. فإذا تفتّن العرب الى حقيقة المشكلة فانهم لن يتحدثوا إلا عن الحل السياسى، وبأى ثمن، ذلك بأن الحل العسكرى غير ممكن، على الإطلاق، وذلك لأمر بسيط، وهو أن العرب لا يحاربون دولة اسرائيل، وانما يحاربون، من ورائها، دول أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا الغربية.. وهم قد التزموا بالمحافظة على حدود دولة إسرائيل، حسب ما يعطيها قرار التقسيم الذى اتخذته الأمم المتحدة فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام 1947 - التزم بذلك، منذ عام 1950، كل من الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، يضاف إلى هذا الالتزام أن المنطقة قد أصبحت منذ تأميم قناة السويس فى السادس والعشرين من شهر يوليو عام 1956 منطقة نزاع بين الشيوعية الدولية، والاستعمار الغربى، كما سبقت الى ذلك الاشارة فى هذا السفر. ومن أجل ذلك فلن يسمح الغرب للعرب بالانتصار على دولة إسرائيل، لأن هذا الانتصار يمثل عندهم انتصار الشيوعية الدولية عليهم - الوضع أصبح يشبه الوضع فى فيتنام.

ثم ان الحالة، المتوترة، الحاضرة، ليست فى مصلحة أحد غير الاتحاد السوفيتى. وهى حالة كلما طالت وجدت الشيوعية الفرصة لتضليل الشعوب العربية. وذلك عمل يباعد بين هذه الشعوب وبين دينها، وهو، من ثم، يتهدها بأخطار أكبر مما تتهددها بها دولة اسرائيل.

الحل العاجل

إن على العرب ان يعلنوا للعالم على الفور أنهم، إيثاراً منهم لعافية الدول، وتضحية منهم فى سبيل السلام العالمى، وإبقاء منهم على المنظمة العالمية العظيمة، ورعاية منهم لصالحهم هم انفسهم، يقبلون التفاوض مع دولة إسرائيل، تحت إشراف الامم المتحدة، (ومجلس الامن بشكل خاص) وعلى أن يكون التفاوض على أساس قرارى الامم المتحدة، المتخذين فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام 1947 (قرار التقسيم)، وفى الحادى عشر من ديسمبر عام 1948 (قرار إعادة اللاجئين). وهما القراران اللذان التزمت بهما دولة اسرائيل لدى دخولها هيئة الامم، وقد وردت إلى ذلك الالتزام الاشارة فى القرار الذى اتخذته الجمعية العامة فى الحادى عشر من شهر مايو عام 1949، وهو القرار الذى يقضى بقبولها فى الهيئة، وينص "فى ديباجته" على أن إسرائيل قد تعهدت باحترام التزاماتها تجاه ميثاق الأمم المتحدة منذ قيامها، أى فى الرابع عشر من آيار (مايو) عام 1948، كما ينص على التذكير بقرارى 29 تشرين الثانى (نوفمبر) عام 1947 (قرار التقسيم)، والحادى عشر من كانون الأول (ديسمبر) عام 1948 "قرار إعادة اللاجئين". عن كتاب (قضايانا فى الأمم المتحدة).. وسيكون هدف المفاوضات المباشرة مع اسرائيل تحت اشراف مجلس الأمن، الآتى:

1- إنهاء حالة الحرب التى ظلت قائمة بين العرب وإسرائيل، والاعتراف لإسرائيل بحق البقاء فى سلام، وأمن. واحترام لسيادتها على أراضيها.

2- احترام حق اسرائيل فى المرور البرىء بالممرات المائية- خليج العقبة، وقناة السويس.

3- انسحاب القوات الاسرائيلية، والسلطات الاسرائيلية، من الأراضى العربية التى احتلتها اسرائيل على التوالى: فى حروب 15 مايو عام 1948، و29 أكتوبر عام 1956، و5 يونيو عام 1967.

4- إرجاع اللاجئين العرب الذين أخرجوا من ديارهم، أثناء هذه الحروب، أو بعدها، وتعويضهم عن جميع ما تعرضوا له من خسائر. وتوطين من لا يرغبون منهم فى العودة إلى داخل الحدود الإسرائيلية، فى الأرض الفلسطينية، التى خصصها مشروع التقسيم

الأصلى للعرب، مع تعويضهم أيضاً.. وهذا يعنى تنفيذ مشروع التقسيم الأصلى.

5- ضمان مجلس الأمن (الامم المتحدة) لحدود الدولة العربية الجديدة، التى تنشأ نتيجة لتنفيذ مشروع التقسيم الأصلى، ولتأكيد هذا الضمان توقف، على الفور، الهجرة اليهودية إلى دولة إسرائيل، وذلك لأن زيادة السكان الناتجة عن استمرار الهجرة ستجعل إسرائيل مضطرة إلى التوسع، وقد تصبح مهددة بذلك لأمن جيرانها، وسلامة أراضيهم.

6- تأخذ هيئة الامم على دولة إسرائيل تعهداً ألا تحاول أى توسع فى أرض أى من الدول العربية المجاورة لها. فإذا جرت منها أية محاولة فإن مسئولية إيقافها عند حدها تقع على عاتق المنظمة الدولية، مجلس الأمن والجمعية العامة.

فإذا ملك الزعماء العرب هذه الشجاعة، وهى شجاعة سيحتاجونها لمواجهة شعوبهم، (وذلك، على كل حال، أفضل من التضليل الذى يمارسونه الآن) فإن موقف إسرائيل سيصبح ضعيفاً.. ولكنها أمام إغراء اعتراف العرب بها، وأمام رأى العام العالمى، فى المنظمة وخارجها، لن تجد بداً من الموافقة. فإذا ما أبرم الحل العاجل بصورة مرضية فقد أصبح على العرب أن يباشروا الحل الآجل.

الحل الآجل

أول ماتجب الإشارة إليه هو أن العرب اليوم يواجهون تحدياً حاسماً، وليس هذا التحدى هو قيام دولة إسرائيل فى أرض فلسطين، بعد أن اقتطعتها، وشردت أهلها، واعانها، على كل أولئك، قوم آخرون، فى طليعتهم الشيوعية الدولية التى تدعى صداقة العرب اليوم، وتباكى على مسألتهم.. بل إن النظر العميق فى حقيقة هذا التحدى ليظهر دولة إسرائيل وكأنها صديق فى ثياب عدو.. أو انها نعمة فى ثوب نقمة.

واما التحدى الحاسم الذى يواجه العرب فإنه يتمثل فى أن منطق تطور الحياة البشرية المعاصرة فى هذا الكوكب يقول للعرب أن عليكم، منذ اليوم، أن تدخلوا التاريخ فى القرن العشرين، كما دخله أوائلكم فى القرن السابع، فأشرت بدخولهم على عالم يومئذ شمس مدينة جديدة.. أو أن تخرجوا عن التاريخ، لبقية التاريخ..

وفحوى هذا التحدى الحاسم هو أن العرب اليوم لا يعيشون حاضريهم، ولا يعيشون ماضيهم. فأما حاضريهم فهو عصر الحضارة الغربية، العلمية الآلية، الذى، وإن تأخرت فيه الأخلاق، وانحطت القيم، فقد بلغ فيه التقدم التكنولوجى مبلغاً فاق أحلام أصحاب الأحلام، وبلغ فيه تطور الآلة وتطويعها لخدمة الإنسان مبلغاً غير وجه الحياة.. ولكن العرب لا يعيشون إلا على هامشه.. فهم لا يصممون الآلة.. ولا يصنعونها، ولا يحسنون حتى صيانتها، ولا استعمالها.

وأما ماضيهم فقد كان عهد التقوى، والإيمان، والقيم الرفيعة، والسيرة المستقيمة، والخلق العبق، السجيج، والنجدة، والرجولة، والتضحية، والإيثار، والصدق! الصدق! الصدق!

ولكن العرب اليوم لا يعيشون إلا على هامشه، أيضاً، فهم قد تشربوا أخلاق المدنية الغربية، وجاروا أهلها فى مبادئهم، فأفقدتهم أصالة دينهم، ولم يبلغوا من أصالتها هى طائلاً. فأصبحوا يعيشون على قشور من الإسلام، وعلى قشور من المدنية الغربية.. أو قل، إن أردت الدقة، أنهم لا يعيشون، وإنما تقوقعوا، وتحجروا، وأصبحت حركتهم لا تنبعث منهم، وإنما تنبعث عن عوامل خارجة عن محيطهم، وعن إرادتهم.. أن العرب اليوم لا يوجهون التاريخ، ولا هم يسهمون فى توجيهه وإنما ينساقون خلفه ويعيشون على هامشه..

ويزيد فى حسم التحدى الحاسم الذى يواجه العرب عدة أمور: منها أولاً، أن المدنية، الغربية، الآلية، الحاضرة قد أعلنت إفلاسها، ووصلت الى نهاية مقدراتها التطورية، وعجزت عن استيعاب طاقة بشرية اليوم، وتطلعتها الى تحقيق الاشتراكية والديمقراطية فى جهاز حكومى واحد.. لأن الانسان المعاصر يريد الحرية، ويرى أن الاشتراكية حق طبيعى له، ووسيلة لازمة لتحقيق هذه الحرية. ومن خطئ رأى عنده، أن يطلب إليه، ان يتنازل عن حريته لقاء تمتعه بالحقوق التى تكفلها له الاشتراكية، كما تريد له الشيوعية الماركسية أن يفعل، أو أن يطلب إليه أن يحقق حريته الديمقراطية فى ظل نظام اقتصادى رأسمالى لا تتوفر له فيه حاجة المعدة والجسد، إلا بشق الأنفس، كما تريد له الرأسمالية الغربية. وقد عمق إفلاس هذه المدنية، وعجزها، شعور البشرية المعاصرة بالحاجة الى بزوغ

شمس مدنية جديدة، تلقح الحضارة الغربية الآلية الحاضرة، وتنفخ فيها روحاً جديداً به يتسق التناسق بين التقدم التكنولوجي، والتقدم الخلقى، وبذلك تصبح المدينة الغربية الحاضرة قادرة على التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة.

ومنها ثانياً، أن العرب يعيشون في منطقة هي سرّة العالم، وعندها تلتقي القارات الثلاث: أوروبا، وآسيا، وأفريقيا، وهي منطقة صنع فيها التاريخ، ومنذ فجر التاريخ، ولا يزال يصنع، ولقد نشأت فيها، وعلى صلة بها، والتقت على أرضها جميع المدنات، وبخاصة تلك التي تجمع بين المادة والروح - بين الإشتراكية والديمقراطية - وتطلب للإنسان الرغيف لأنه لا يعيش بدونه، وتطلب له، وراء الرغيف، الحرية لأنه لا يعيش بالرغيف وحده: (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من الله) كما يقول المسيح، أو (الدنيا مطية الآخرة) كما يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومنها، ثالثاً، أن العرب - دون سائر الناس - هم أهل الكتاب، هم أهل القرآن، والقرآن هو روح الله الذي اذا نفخ في هيكل الحضارة الغربية، الآلية، العملاقة الحاضرة عادت اليه الحياة، واستقامت فيه موازين القيم، وملك القدرة على ان يسير بالبشرية إلى منازل السلام..

ومنها، رابعاً، إن الزمان قد استدار استدارة كاملة، وأصبحنا نعيش اليوم في فترة تؤرخ نهاية عهد وبداية عهد.. وأصبحت منطقة العرب مسرحاً لصراع حضارى جديد، هو الصراع بين الحضارة الغربية الآلية كما يمثلها اليهود، فيحسنون تمثيلها، كل الإحسان، وبين المدينة الإسلامية (الروحية - المادية) كما يمثلها العرب، فيسيئون تمثيلها، كل الإساءة.. وستكون نتيجة هذا الصراع الحضارى، مولد المدينة الجديدة المرتقبة، إن شاء الله، ولكن على العرب أن يهبوا، وأن ينهضوا، وأن يحسنوا تمثيل المدينة الإسلامية في كفاءة، وكفاية، حتى يتم التزاوج والتلاقح. ولو أن العرب كانوا في مستوى كاف من الكفاءة والكفاية، لما نشأت بينهم دولة إسرائيل، بالصورة التي بها نشأت.. ولكنهم احتاجوا إلى نشأة إسرائيل، بينهم لتوقظهم من غفلتهم، ولتنبيههم الى تقصيرهم في حق ربهم، وفي حق أنفسهم، وفي حق البشرية عامة!.

النص الحرفي لـ (مبادرة السلام العربية)⁽¹⁾

تبنت القمة العربية الرابعة عشرة التي انعقدت في بيروت يومى الأربعاء والخميس فى 27 و28 آذار، مارس 2002 بـ "الإجماع" مبادرة السلام السعودية لإنهاء النزاع العربى الإسرائيلى وأصدرتها فى نص منفصل عن البيان الختامى تحت عنوان "مبادرة السلام العربية" قرأه أمين عام جامعة الدول العربية عمرو موسى فى مؤتمر صحفى عقد الخميس بعد اختتام أعمال القمة.

فى ما يلى النص الحرفى لمبادرة السلام العربية:

مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة المنعقد فى دورته الرابعة عشرة.

■ إذ يؤكد ما أقره مؤتمر القمة العربى غير العادى فى القاهرة فى حزيران، يونيو 1996 من أن السلام العادل والشامل خيار استراتيجى للدول العربية يتحقق فى ظل الشرعية الدولية، ويستوجب التزاماً مقابلاً تؤكد إسرائيل فى هذا الصدد.

■ وبعد أن استمع إلى كلمة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولى عهد المملكة العربية السعودية، التى أعلن من خلالها مبادرته داعياً إلى انسحاب إسرائيل الكامل من جميع الأراضى العربية المحتلة منذ 1967، تنفيذاً لقرارى مجلس الأمن (242 و338) وللذين عززتهما قرارات مؤتمر مدريد عام 1991 ومبدأ الأرض مقابل السلام، وإلى قبولها قيام دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة وعاصمتها القدس الشرقية. وذلك مقابل قيام الدول العربية بإنشاء علاقات طبيعية فى إطار سلام شامل مع إسرائيل.

■ وانطلاقاً من اقتناع الدول العربية بأن الحل العسكرى للنزاع لم يحقق السلام أو الأمن لأى من الأطراف.

1 - يطلب المجلس من إسرائيل إعادة النظر فى سياساتها، وأن تجنح للسلم معلنة أن السلام العادل هو خيارها الاستراتيجى أيضاً.

(1) "النص الحرفى لـ (مبادرة السلام العربية)"، مرجع سابق؛ "نص مبادرة السلام العربية (المبادرة السعودية)"، مرجع سابق.

2- كما يطالبها القيام بما يلي:

أ- الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك الجولان السوري وحتى خط الرابع من يونيو (حزيران) 1967، والأراضي التي ما زالت محتلة في جنوب لبنان.
ب- التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194.

ج- قبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ الرابع من يونيو (حزيران) في الضفة الغربية وقطاع غزة وتكون عاصمتها القدس الشرقية.
1- عندئذ تقوم الدول العربية بما يلي:

أ- اعتبار النزاع العربي الإسرائيلي منتهياً، والدخول في اتفاقية سلام بينها وبين إسرائيل مع تحقيق الأمن لجميع دول المنطقة.

ب- إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل في إطار هذا السلام الشامل.

2- ضمان رفض كل أشكال التوطين الفلسطيني الذي يتنافى والوضع الخاص في البلدان العربية المضيفة.

3- يدعو المجلس حكومة إسرائيل والإسرائيليين جميعاً إلى قبول هذه المبادرة المبينة أعلاه حماية لفرص السلام وحققا للدماء، بما يمكن الدول العربية وإسرائيل من العيش في سلام جنباً إلى جنب، ويوفر للأجيال القادمة مستقبلاً آمناً يسوده الرخاء والاستقرار.

4- يدعو المجلس المجتمع الدولي بكل دوله ومنظماته إلى دعم هذه المبادرة.

5- يطلب المجلس من رئاسته تشكيل لجنة خاصة من عدد من الدول الأعضاء المعنية والأمين العام لإجراء الاتصالات اللازمة بهذه المبادرة والعمل على تأكيد دعمها على كافة المستويات وفي مقدمتها الأمم المتحدة ومجلس الأمن والولايات المتحدة والاتحاد الروسي والدول الإسلامية والاتحاد الأوروبي.

الشاهد أن الأستاذ محمود في اقتراحه آنئذ كان يتكلم عن حدود عام 1948، بينما تتحدث المبادرة العربية الآن عن حدود عام 1967، وشتان ما بين الاثنين، وشتان كذلك بين

ما جاء فى التفاصيل الأخرى عند المقاربة بين النصين. حينما طرح الأستاذ محمود اقتراحه فى ذلك الوقت ضجت الخرطوم وتبارى الناس فى النعوت للأستاذ محمود. كانت السوح السياسية والفكرية فى السودان منذ بداية الحوار عبر مخرجات التعليم الحديث الذى نشأ مع فواتح القرن العشرين، وحضور طلائع المتعلمين فى الشارع السودانى، كانت تلك السوح فى صراع عنيف وحوار قاسٍ وبلا أسس أخلاقية وعلمية. يقول محجوب عروة، وهو أحد العاملين فى مجال تقديم الخدمات التنويرية مؤسساً لبعض الصحف ورئيساً لتحرير بعضها الآخر، معترفاً اعترافاً شجاعاً، يقول عروة:

قبل أكثر من أربعين عاماً وتحديداً عقب هزيمة العرب يونيو 1967 على يد الإسرائيليين الصهاينة، قرأت كتاباً لرئيس الحزب الجمهورى السودانى الأستاذ محمود محمد طه بعنوان: **مشكلة الشرق الأوسط.. تحليل سياسى.. استقراء تاريخى.. حل علمى..** وأعترف بأن خلافتنا الفكرى والسياسى معه إضافة إلى حالة الهزيمة النكراء فى حرب يونيو والحوال المشحون بالآلة الإعلامية العربية وحالة العداء مع الصهاينة التى تدعمها أمريكا والغرب عموماً وما يحدث فى فيتنام لم تكن استجابتنا لما كتبه بشكل موضوعى خاصة حول مشكلة فلسطين أو الشرق الأوسط.. لقد كانت لاءات الخرطوم الثلاث (لا صلح لا اعتراف ولا تفاوض مع إسرائيل) هى التى تقود الفكر والحركة السياسية... لما أعدت قراءة كتاب الأستاذ محمود محمد طه وجدت فيه عجباً وكأنى أقرؤه لأول مرة..⁽¹⁾

مثل هذا الاعتراف الذى تضمنه مقال محجوب عروة، فى تقديرى من الاعترافات الشجاعة التى تعين على ترفع مستوى السجال والحوار، وتسهم فى التعافى وتغذى خيال السلام، وتأتى بالموضوعية وتؤسس للدخول السليم للمستقبل. وبرغم أن الاعتراف جاء متأخراً، إلا أن فيه شيئاً من الشجاعة، ويحمل الكثير من الدلالات والمضامين. أهم تلك الدلالات أن الخلاف الفكرى والسياسى مع الأستاذ محمود تسبب فى إحجام الكثير من المثقفين والساسة من القراءة والتفاعل مع ما كتبه الأستاذ محمود، بشكل موضوعى، ليس بشأن مشكلة فلسطين والشرق

(1) محجوب عروة، "الفكر الجمهورى ومشكلة فلسطين"، صحيفة السودانى، العدد رقم: 1161، بتاريخ 2009/2/5.

الأوسط فحسب؛ وإنما تسحب هذه اللا موضوعية فى قراءة آراء الأستاذ محمود، فى مختلف القضايا، وقد كتبها الأستاذ محمود ونشرها وقالها محاضراً، منذ وقت باكر.

سيناريو محكمة الردة واتساع التحالف ضد الأستاذ محمود

تشكيل محكمة الشعب فى القاهرة ومناخ الأحكام بالخيانة للوطن والردة عن الإسلام

نحن قلنا أنو مسألة محكمة الردة دوافعها سياسية قولاً واحداً. وسياسية مُش [ليست] داخلية فقط. فى (هناك) نفوذ مصرى فى المسألة دى [هذه]. مواجهتنا نحن الحركة الجيش المصرى اللى [التى] بدت [بدأت] فى سنة 1952 فى يوليو نحن الجمهوريين فى 18 أغسطس سنة 52 شيعنا جواب لرئيس الحركة وقتها... عارضنا ونحن على مدى الوقت معارضين للاتجاه المصرى فى حركة الجيش⁽¹⁾.

محمود محمد طه

لقد قاد الأستاذ محمود مواجهة قوية لثورة 23 يوليو فى مصر، والثورة قد بلغت أقصى حالات عنفوانها، بقيادة جمال عبدالناصر الزعيم الذى عمَّ صيته الآفاق. ما كان يمكن لمعارضة الأستاذ محمود ومواقفه تجاه مصر، مصر الرسمية ومصر الأزهر، أن تمر بلا دفع ثمن، كان لابد من عقوبة سياسية. فقيام الثورة المصرية منذ عام 1952 مثل تغييراً كبيراً فى موازين القوى، كما أن التأثير المصرى آنذاك، نهاية عقد الستينيات، كان تأثيراً قوياً فى واقع السودان، وتأثيره كان شديداً فى السياسة السودانية. يقول الأستاذ محمود: "التدخل المصرى فى السودان فى المرحلة [.....] الحاضرة وجد فرصة ما وجدها فى الماضى.. لعلو وإلى حد كبير لضعف حزب الأمة الحاضر ولمشاركته فى حكم مع الاتحاديين الكانوا أصلهم مديونين للمصريين. أصبح ميدان المراقبة فاضى، أها، الحزب الجمهورى ييملاهو"⁽²⁾. كان لابد من تصميم سيناريو لعقوبة تتوخى ذريعة محكمة، وتستعطف الجماهير، للحد من نشاط الحزب الجمهورى، وعزل زعيمه الأستاذ محمود، وتشويه

(1) محمود محمد طه، "بيننا وبين محكمة الردة"، (محاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، مدينة عطبرة، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

صورته وإجهاض مشروعه. فاستعطف الجماهير أمر سهل، ذلك (لغلبة الجهل عليها، وقوة روح التبعية فيها، ولقلة المعلومات الوافية عندها). أتت الذريعة بتصميم سيناريو ذى تأثير قوى على الجماهير، ألا وهو سيناريو محكمة الردة عام 1968. كانت محكمة الردة عام 1968، مؤامرة كبرى ضد الأستاذ محمود. بل كانت سعيًا حثيثاً لاغتياله، وتخطيطاً مدبراً لنسف مشروعه. كان النفوذ السياسى المصرى قد وجه فقهاء مصر ليضللوا فقهاء السودان. فاستجاب هؤلاء وبتحالف مع الساسة التقليديين، نفذوا التصميم والرسم الأجنبى لسيناريو محكمة الردة ضد الأستاذ محمود. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن النفوذ السياسى المصرى فى السودان: "النفوذ السياسى وجه الفقهاء [...] ليضللوا فقهاءنا فى أن يحكموا على الحزب الجمهورى فى ميدان يمكن أن يتهم فيه. ما يمكنك أنت تتهموا بالعداوة لجمال عبدالناصر أو برأيه فى (مشكلة) الشرق الأوسط لكن ما دام رأيو كان بالصورة دى يمكن حذباً على الدين أن يثار الغبار فى الاتجاه دا ليحكموا"⁽¹⁾.

كانت أجهزة الرئيس عبدالناصر قد اكتسبت خبرة كافية فى المحاكمات منذ تشكيل محكمة الشعب فى الأول من نوفمبر 1954 بعد حادثة المنشية، وحتى إعدام سيد قطب (1906-1969). واكتسبت خبرة فى تليفق تهم الردة، أو خيانة الوطن، أو الأفعال ضد سلامة الوطن، أو ضد نظام الحكم أو الأسس التى قامت عليها الثورة، أو خيانة مبادئ الثورة. يقول الرئيس محمد نجيب فى مذكراته: "وبينما يلقى جمال عبدالناصر خطاباً فى المنشية 26 أكتوبر احتفالاً بتوقيع الاتفاقية (اتفاقية الجلاء)، أطلقت عليه عدة رصاصات. وسط 10 آلاف شخص فى السرداق... لكن عبد الناصر لم يصب، وأصيب ميرغنى حمزة (وزير سودانى) وأحمد بدر المحامى"⁽²⁾. ثم يقدم تقييماً لحادثة المنشية ويصفها بالمرحية، كتب محمد نجيب قائلاً: "وكانت هذه المسرحية المدبرة، محاولة لتحويل عبدالناصر إلى بطل شعبى، ومحاولة لينسى الناس عوار اتفاقية الجلاء. ثم هى فرصة ليتخلص عبدالناصر من القوة الوحيدة الباقية وهى الإخوان (المسلمين)"⁽³⁾. ويضيف محمد نجيب قائلاً: "ونجح عبدالناصر بهذا الحادث أن يضرب أكثر من عصفور بحجر واحد. ضرب الإخوان.

(1) المصدر السابق.

(2) محمد نجيب، مصدر سابق، ص 268-269.

(3) المصدر السابق، ص 269.

وضربنى. فقد اعتقل الإخوان، وشكل فى أول نوفمبر 1954، محكمة الشعب (برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى) لمحاكمتهم⁽¹⁾. ويضيف محمد نجيب قائلاً: "وبلغ عدد الذين حوكموا أمامها 867 وعدد الذين حكمت عليهم المحكمة 254 وحكم بالإعدام على 7 من كبار المتهمين، فى ٤ ديسمبر وهم محمود عبداللطيف ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوى دوير والشيخ محمود فرغلى وعبدالقادر عودة وحسن الهضيبي، الذى خفض الحكم عليه إلى المؤبد⁽²⁾". وعن ما لحق به يقول محمد نجيب: "أما أنا فقد تلقيت وعدى فى 14 نوفمبر. فى ذلك اليوم توجهت إلى مكتبى فى القصر الجمهورى فوجدت بعض ضباط البوليس الحزبى على باب القصر وتبعنى اثنان منهم إلى المكتب فنهرتهما.. فقالا لى: إن عندهما تصريحاً من كبير الباوران بالنيابة بالدخول وهو الأمير لاي حسن كامل الذى عُين سفيراً فيما بعد.... نهرتها بشدة.. فخرجا". وأضاف نجيب قائلاً: "واتصلت بعبدالنصر فقال: سوف أرسل لك عبد الحكيم وحسن إبراهيم. وعندما جاء عامر وحسن إبراهيم قال لى فى خجل وبصوت خافت: إن مجلس الثورة قرر إعفاءكم من منصب رئيس الجمهورية. وهنا قلت: أنا لن استقيل الآن لأننى بذلك سأصبح مسؤولاً أمام التاريخ عن ضياع صلة السودان بمصر". ثم أضاف قائلاً لهما: "أما إذا كان الأمر إقالة فمرحباً لأنكم تعفوننى من مسؤولية لم يعد ضميرى يحتملها. وخرجت معهما حاملاً المصحف وحده من المكتب. وركبت مع حسن إبراهيم عربة اتجهت بى إلى المرج.. إلى منزل كان استراحة ريفية لزينب الوكيل ثم وضع تحت الحراسة"⁽³⁾. ويضيف الرئيس محمد نجيب قائلاً: "وقال لى عامر: إن إقامتك فى المرج لن تزيد عن بضعة أيام. ولكن إقامتى فى المرج استمرت من نوفمبر 1954 إلى أكتوبر 1983"⁽⁴⁾.

من المهم الإشارة إلى موقف الأستاذ محمود من محاكمات الإخوان المسلمين فى مصر. فى تلك الفترة لم يكن من السهل الكتابة ضد النظام الحاكم فى مصر، ونقد محاكماته التى يجريها، ومصر أصبحت تحت زعامة جمال عبدالناصر بعد اللواء محمد

(1) المصدر السابق، ص 269-270.

(2) المصدر السابق، ص 270.

(3) المصدر السابق، ص 270.

(4) المصدر السابق، ص 270.

نجيب. ولكن الأمر كان للأستاذ محمود أمر مبدأ، المبدأ الديمقراطي والحق الديمقراطي. كان الأستاذ محمود رجلاً ديمقراطياً، قال لى البروفيسور عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلي فى إحدى مقابلاتى له: "إن الأستاذ محمود أكثر رجل ديمقراطى فى السودان، وقد ظلم"⁽¹⁾. الشاهد أن الأستاذ محمود فى أيام محاكمات الإخوان المسلمين فى مصر، كان يكتب دفاعاً عن الحق الديمقراطى للإخوان المسلمين فى مصر. فقد كتب ونشر ضد الأحكام بالردة والإعدام، وكتب كثيراً منتقداً المحاكمات التى صدرت فى القاهرة. وفى أيام محاكمة سيد قطب (1906-1966)، كتب الأستاذ محمود مندداً بالمحاكمة⁽²⁾. كان الأستاذ محمود رافضاً لتلك المحاكمات وكان متابعاً لأخبارها. حدثنى أستاذ عبداللطيف عمر حسب الله قائلاً: "وفى آخر يوم قبل تنفيذ حكم الإعدام على سيد قطب ذهب الأستاذ محمود إلى دار الإخوان المسلمين فى أمدرمان ليعرف الأخبار ووجد جعفر شيخ إدريس وسأله عن الأخبار. فقال جعفر: ليست هناك أخبار جديدة"⁽³⁾.

أصبحت مصر الرسمية جزءاً من التحالف الكبير ضد الأستاذ محمود. التحالف الذى ضم، كما ورد آنفاً، كلاً من أزهر مصر وأزهر السودان، المعهد العلمى بأمدرمان/ جامعة أمدرمان الإسلامية، والمنظمات الإسلامية التى وردت الإشارة إليها آنفاً. فقد افتى مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر بكفر الأستاذ محمود، وأن فكره فكر ملحد وطالب الأزهر بمصادرة كتبه (أنظر ملحق رقم: "43"). أما رابطة العالم الإسلامى بمكة، المملكة العربية السعودية، فقد أصدر مجلسها التأسيسى فى دورته السادسة عشر حكمه بالإجماع بارتداد الأستاذ محمود عن الإسلام تأييداً لما حكمت به المحكمة الشرعية العليا بالخرطوم، وإنه يجب على المسلمين أن يعاملوه معاملة المرتدين كما يجب مصادرة كتبه أينما وجدت ومنع طبعا (أنظر ملحق رقم: "44" وملحق رقم: "42"). استطاعت أجهزة مصر عبدالناصر أن تحوّل المعارضة التى قادها الأستاذ محمود لزعامة عبدالناصر للعرب، ومواجهته لدعوة القومية العربية، إلى مواجهة محلية وإقليمية ضد الأستاذ محمود وضد مشروعه.

(1) مقابلة مع عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلي، الدوحة، 13 مايو 2010، الساعة 20:00.

(2) مقابلة مع عبداللطيف عمر حسب الله، أمدرمان، 30 يوليو 2011، الساعة 11:00؛ مقابلة مع عوض الكريم موسى، الخرطوم، 23 يوليو 2012، الساعة 19:00.

(3) المصدر السابق.

الشاهد أن محكمة الردة عام 1968 فى حق الأستاذ محمود كانت سابقة خطيرة، فى الفضاء الفكرى والدينى والسياسى فى السودان. ولم تكن هناك خبرة محلية فى تصميم سيناريوهات للردة، فالذاكرة السياسية السودانية لا تحمل قسوة مثل هذه. ففى تقديرى أن تصميم فكرة محكمة الردة، وتصميم سيناريو المحكمة ورسم خطة سيرها كان عملاً أجنبياً. وكان الفقهاء والقضاة الشرعيون فى السودان أدوات، تم استغلالهم لتنفيذها. كما تم تسويق فكرة الردة للمثقفين فاشتراها بعضهم، وتحمسوا لتنفيذها حماساً شديدة. كان بعض المتحمسين على قمة رأس الدولة. كتب الأستاذ محمد خير البدوى فى مذكراته قائلاً:

وقد أحزنتنى الفتوى التى صدرت فى عهد الحكم الديمقراطى بتكفير محمود محمد طه، ورأيت فيها شططاً كبيراً واعتداءً على حرية الفكر والعقيدة. وكتبت رسالة فى هذا الشأن إلى الحاج خضر حمد، عضو مجلس السيادة، فرد علىّ برسالة مطولة بتاريخ 1969/4/28، اقتطف منها ما يلى: أما محمود محمد طه فقد طلق منه المرأة أبوها شيخ لطفى منذ أن خرج محمود من السجن بعد أن ادعى أنه سيدنا عيسى عليه السلام. ومحمود ما زال يحاول أن يكون نبياً يشارك محمد الرسالة، فذاك الإسلام الأول ومحمود نبي الإسلام الثانى الذى يصلح للقرن العشرين. وقد استفتينا علماء السودان ومصر ومشائخ الطرق وأصحاب السبح والدرأيش والعلماء فى الجامعة الإسلامية وجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة وكلهم كفّره وخطّأه. هل يترك ليعير أم يُسلّم لكوير؟⁽¹⁾.

كان السيد خضر حمد، وهو من طلائع الاتحاديين، وقتئذ من قادة نظام الحكم، ومثقفاً يترعب بحق العضوية على عرش أعلى جهاز للدولة "مجلس السيادة"، وفى ظل نظام ديمقراطى.

كانت آثار محكمة الردة خطيرة وعظيمة على الفضاء المعرفى السودانى. لقد حجبت الناس، والمثقفين خاصة، عن الأستاذ محمود، فانصرفوا عن كتبه ومحاضراته،

(1) محمد خير البدوى، قطار العمر: فى أدب الموانسة والمجالسة، مصدر سابق، ص 402، 403.

وقاطعوا مشروعه ونبذوا تلاميذه، وأغمضوا أعينهم عن ما طرحه من حلول ناجعة للكثير من القضايا المحلية والإقليمية. عاش الكثير من المثقفين وعامة الناس فى حالة تضليل وتغييب عن الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود، واكتفى جلهم، بأن ينوب عنهم الفقهاء فى معيرة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود وتقييمه، وإبداء الرأى حوله. وهذا جعل الأحكام على الأستاذ محمود ومشروعه أحكاماً سماعية وسطحية ومفارقة للصدق والورع الدينى والورع العلمى. قليلون هم الذين قرؤوا للأستاذ محمود. كانت محكمة الردة سابقة خطيرة، من حيث هى محاكمة للفكر والحرية، ووأد للمبادرات الخلاقة، وتغييب للوعى بالذاتية السودانية. وسابقة خطيرة أيضاً، من حيث هى مكيدة سياسية، استهدفت عقلاً سودانياً كبيراً وجباراً، بسيناريو أجنبى التصميم والصنع. كان جزءاً من أهداف السيناريو إشعال الحماسة المحلية لدى بعض المثقفين والفقهاء لتنفيذه، ولدى عامة الناس لمناصرته، وعزل الأستاذ محمود سياسياً وفكرياً عن القاعدة الشعبية. عزلت محكمة الردة الأستاذ محمود عن شعوب السودان، ولكن فى تقديرى كان هذا عزلاً إلى حين. بعد صدور الحكم أنفق الأستاذ محمود وتلاميذه بعد محكمة الردة زمناً طويلاً، فى التبيين والتنوير بأبعاد المحاكمة، وكيف أنها كانت مكيدة سياسية، جافى المتحمسون لها الصدق، وجرى استغلالهم من السلطة السياسية فى مصر والسودان، وأصبحوا أداة من أدواتها. ففى توضيح الأمر للشارع العام، قام الأستاذ محمود بنشاط مكثف من أجل التوعية والتنوير بأبعاد مؤامرة محكمة الردة ومآلاتها، ودحض افتراءاتها. طاف على أقاليم السودان، وأقام العديد من المحاضرات، وأصدر كتباً، ونشر الكثير من المنشورات.

بعد صدور حكم محكمة الردة، لم يواجه الأستاذ محمود المعارضة لآرائه فحسب؛ وإنما واجه العنف الجسدى. وقد قابل الأستاذ محمود العنف الجسدى بالصفح والعفو. ففى أبريل من عام 1969، تحرك الأستاذ محمود مع بعض تلاميذه، طائفاً بمدن شمال السودان وشرقه، حتى انتهى بغربه فى مدينة الأبيض. كان أثناء طوافه يقيم المحاضرات، ويفتح الحوارات حول مشروعه. وفى مدينة الأبيض مساء الثانى والعشرين من شهر مايو عام 1969، وأثناء تقديم الأستاذ محمود لإحدى محاضراته،

اقترب أحد الحاضرين للمحاضرة، من المنصة وضرب الأستاذ محمود، ضربة قاسية على رأسه. هاج الحضور رافضين لهذا السلوك، وأرادوا أن ينالوا من الرجل الذي ضرب الأستاذ محمود؛ إلا أن الأستاذ محمود وقف حامياً للرجل، ورافضاً أن يمسّه أحد، وعفا عنه وقال بأن "الرجل ضحية". وبعد ثلاثة أيام من حادثة الاعتداء على الأستاذ محمود في مدينة الأبيض، وقع انقلاب 25 مايو 1969 بقيادة جعفر محمد نيمري. وهذا ما ساقف عليه في الفصل الحادى عشر وهو بعنوان: "سنوات حكم نيمري، والشراكة في الاغتيل يوم 18 يناير 1985".

الفصل الحادى عشر

11

.....
سنوات حكم نميرى والشراكة
فى الاغتيال يوم 18 يناير 1985
.....

التحالف الإسلامى، والصمت
العالمى وخيانة المبادئ الإنسانية

كرهت العمل مع مايو بسبب إعدام محمود محمد طه... لأنه رجل مفكر ومن حقه أن يكون في المجتمع⁽¹⁾.

أحمد عبد الحليم

وجم الجميع وتصدى الأستاذ محمود وحده للإرهاب المايوي. عرى الأوضاع القائمة من أى صلة لها بالدين الإسلامى، الأمر الذى جعل النظام بشقيه، الهوس الدينى والطغمة الديكتاتورية، يدبرون محاكمته بليل من أجل إسكاته⁽²⁾.

أمين مكى مدنى

لقد دافع الأستاذ محمود محمد طه... عن كل ضمير سودانى حتى وسبقنا وسبق الجميع فى رفض نظام مايو وقوانين مايو التى أجمع الناس على رفضها منذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا⁽³⁾.

سيد أحمد خليفة (1940-2010)

(1) أحمد عبد الحليم، "أحمد عبد الحليم يجيب على الأسئلة الصعبة"، مجلة الدستور، العدد: 42، بتاريخ 14-20 أكتوبر 2000، ص 10-12.

(2) أمين مكى مدنى، "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، رصد علاء الدين بشير، اللجنة القومية للاحتفال بالذكرى الثانية والعشرين لاعتقال الأستاذ محمود محمد طه ويوم حقوق الانسان السودانى، بالتعاون مع سكرتارية الشباب والطلاب بالحركة الشعبية قطاع الشمال، اليوم المفتوح بدار الحركة بالقرن، صحيفة الصحافة، 19 يناير 2007، الخرطوم.

(3) سيد أحمد خليفة، "صباح الخير يا جمهوريين...!"، صحيفة الوطن، الأحد 22 يناير 2006.

ينبغي أن نقرأ فكر الرجل [الأستاذ محمود] متكاملًا⁽¹⁾.

صلاح أحمد إبراهيم

ظل موضوع موقف الإخوان الجمهوريين من الانقلاب العسكرى الذى وقع فى يوم 25 مايو عام 1969⁽²⁾، بقيادة جعفر محمد نميرى، إلى جانب موضوع الخفاض الفرعونى، ثورة رفاعه، من أكثر الموضوعات التى حظيت لدى المثقفين السودانيين بالنقد والدراسة والتعليق. سبق وأن تناولت موضوع ثورة رفاعه، الخفاض الفرعونى، فى الفصل الخامس من هذا الكتاب، والآن فى هذا الفصل أتناول موضوع موقف الجمهوريين من حكومة مايو. لقد مثل الموضوعان دليلاً ناصعاً على طبيعة التعاطى الجزئى للمثقفين مع مشروع الأستاذ محمود، بدلاً عن القراءة والتناول المتكامل، وهو الأمر الذى لفت الانتباه إليه الشاعر صلاح أحمد إبراهيم كما ورد أعلاه. لا جدال فى أن المقاومة والمواجهة التى قادها الأستاذ محمود فى وجه حكومة مايو برئاسة نميرى وشركائه، حينما جاءت بقوانين سبتمبر 1983، (ما سُمى بقوانين الشريعة الإسلامية، وهى قوانين "مخالفة للشريعة والإسلام")، كانت مواجهة بطولية وفريدة ونادرة على مستوى البشرية، وستظل حية وناصعة، وستُبعث فى كل يوم جديد. فقد بلغت المواجهة حد الصمود أمام المشنقة، على النحو الذى شهده وشهد عليه العالم أجمع. وبهذا تكون مواجهة الأستاذ محمود لحكومة مايو مواجهة عصية على الكثيرين من أهل النضال الوطنى، ودعاة الإصلاح الدينى والتغيير، وخادىمى الوعى

(1) صلاح أحمد إبراهيم، "بين محمود محمد طه وود جوبة .. والشفيق"، مرجع سابق.

(2) ستكون الإشارة إليه لاحقاً بانقلاب مايو أو حكومة مايو.

والتنوير والمعرفة والبناء الإنسانى. بل مثل هذه المواجهة لا تصدر إلا من صاحب مشروع له رؤية وغاية، كالأستاذ محمود، من أجل التحرير والتغيير والتطوير، إلى جانب أنه حر وصاحب مبادئ. يقول الأستاذ محمود: "إن الحرية فردية مطلقة، هو الذى استطاع أن يعيد وحدة الفكر، والقول، والعمل إلى بنيته. فأصبح يفكر كما يريد ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، ثم لا تكون عاقبة عمله إلا خيراً للناس، وبرا بهم"⁽¹⁾.

دكتاتورية الفقهاء والعبث بالدستور والحاجة للتغيير والكبوات الكبرى

حل الحزب الشيوعى السودانى 1965، ومحكمة الردة 1968

كانت الطائفية، قبيل "مايو"، وشيكة أن تقنن نفوذها، وتعطى شرعية لما تمارسه من تضليل لأتباعها، وإرهاب لخصومها، وذلك بوضع دستور طائفى، انتحلت له، تزييفاً، اسم "الدستور الإسلامى"، فجاءت "مايو" لتوقف ذلك المد الطائفى الذى كاد أن يعزّز سلطته الدينية المستولية بالسلطة الزمنية الشاملة، وقطعت "مايو" الطريق إلى السلطة أمام الطائفية، فأجهضت كل مؤامراتها لاستعادة مراكز نفوذها القديمة⁽²⁾.

الإخوان الجمهوريون

ماذابقى من نظام ديمقراطى فى ظله تحكم محكمة شرعية غير مختصة، بردة مفكر إسلامى عن دين الإسلام؟ ثم تأمره بالتوبة عن جميع أقواله وأفعاله، وتقرر بأنه يترتب على حكم الردة: حل حزبه لخطورة دعوته، وإغلاق دار حزبه، وتطليق زوجته المسلمة، وإعلان بيان رده للناس، وألا يتحدث باسم الدين، ومؤاخذه من يأخذ بمذهبه، والصفح عن من تاب وأناب من أتباعه. ماذابقى من هذا النظام الديمقراطى والذى جاء بعد ثورة شعبية، والناس تتوق إلى ممارسة الحرية وتحقيق العدل وتمكين المساواة، ماذابقى منه بعد هذا العبث الطفولى فى مصادرة الحق الديمقراطى فى حرية التفكير. فقد صدر الحكم بالردة عن الإسلام، كما ورد فى الفصول السابقة، فى حق الأستاذ محمود فى يوم الاثنين 18 نوفمبر 1968 فى ظل نظام ديمقراطى، هو فى واقع الأمر دكتاتورية فقهاء. كان محمد

(1) محمود محمد طه، رسالة الصلاة، ط5، أدرمان، 1970، ص 107.

(2) الإخوان الجمهوريون، لماذا نؤيد سلطة مايو؟، ط1، أدرمان، 1979، ص 5-6.

أحمد المحجوب رئيساً للوزراء، وقد شكّل وزارته من وزراء ينتمون إلى الحزب الاتحادي الديمقراطي وحزب الأمة (جناح الإمام) كما ضمت الوزارة وزيرين من أبناء المديريات الجنوبية كما تقضى بذلك المادة 23 من دستور سنة 1964⁽¹⁾. ضمت الحكومة ثمانية وزراء من الحزب الاتحادي الديمقراطي وستة وزراء من حزب الأمة واثنين من جبهة الجنوب، وبقيت هذه الحكومة حتى أطاح بها انقلاب مايو سنة 1969⁽²⁾.

كان مجلس وزراء هذه الحكومة، وهي آخر حكومات العهد الديمقراطي، يتكون من وزراء كانوا من المتخصصين في القانون وبعضهم كان من أوائل قانوني السودان ومحاميه وقضاة وبعضهم الآخر من العاملين في دوائره العدلية. فقد كانت آخر حكومة في الفترة الديمقراطية، أيام الحكم برودة الأستاذ محمود عن الإسلام، وقبيل وقوع انقلاب مايو تتكون من ستة عشر وزيراً، منهم خمسة وزراء من القانونيين، والمتوقع منهم باعتبار تخصصاتهم ودراساتهم أن يكونوا عارفين بالقانون والحقوق. فمن هؤلاء كان رئيس الوزراء ووزير الخارجية محمد أحمد المحجوب، الذي درس القانون وعمل قاضياً واشتغل بالمحاماة منذ أربعينيات القرن الماضي. ومن الوزراء إبراهيم المفتي، وزير الري والقوة الكهربائية المائية، الذي درس الحقوق وتم الاحتفاء به كأول محامى سودانى يتخرج في أول مدرسة للحقوق في السودان. والشيخ على عبدالرحمن الأمين، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وقد عمل بالقضاء الشرعى وكان وزيراً للعدل في الحكومة السودانية قبل تحقيق الاستقلال. والرشيد الطاهر بكر (1930-1988)، وزير الأشغال والعدل، الذي درس القانون وعمل بالمحاماة. وعبدالمجيد أبو حسبو، وزير الإعلام والشؤون الاجتماعية، والذي تولى وزارة العدل أيام المداولات بشأن الدستور الإسلامى، وهو أيضاً درس القانون⁽³⁾. ليس هناك وضع أمثل للدارسين للقانون والمشغولين بالحقوق

(1) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 448.

(2) عبد المجاد أبو حسبو، مذكرات عبد المجاد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان، ج مصدر سابق، ص 207.

(3) عبدالباسط صالح سبدرات، حكومات السودان: خمسون عاماً من التملعل والقلق الوزارى، رحلة التغيرات في الجهاز التنفيذي (1954-2004)، دراسة تاريخية- تحليلية- مقارنة، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2004، ص 227؛ عبد المجاد أبو حسبو، مصدر سابق، ص 267-268، الغلاف؛ إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 448.

من أن يكونوا في مواقع سيادية تتيح لهم فرصة بناء الثقافة القانونية وتمكينها ونشرها في المجتمع، بيد أن هذا لم يحدث. أما موقف مجلس السيادة في العهد الديمقراطي تجاه محكمة الردة فقد تجلّى بوضوح في حديث عضو المجلس خضر حمد. وسيرد حديث خضر حمد بتفصيل لاحقاً ضمن الفصل السادس عشر، والذي بعنوان: "الأستاذ محمود في مذكرات معاصريه"، يقول خضر حمد: "أما محمود محمد طه فقد... استفتينا علماء السودان ومصر ومشائخ الطرق وأصحاب السبج وال دراويش والعلماء في الجامعة الإسلامية وجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة وكلهم كفّره وخطّاه. هل يترك ليعبر أم يُسلم لكوبر؟؟" الشاهد أنه لم يقف الأمر عند هؤلاء في هذا الحد، حد التماهي مع الفقهاء ونسيانهم لإخلاقيات تخصصاتهم وعجزهم عن القيام بواجباتهم الوطنية والإنسانية لاعتبارات تخصهم وأخرى محلية وخارجية؛ وإنما رسبوا ثانية رسوباً وثقوه بأيديهم. فحينما أراد هؤلاء تسجيل شهاداتهم التاريخية وتقليد أجيال المستقبل أمانة تبليغ أقوالهم، أغفلوا الحديث كلية عن محكمة الردة، وتجاهلوها ولم يقل أحد منهم رأياً عنها. وقد تناولت هذا الأمر بتوسع في الفصل السادس عشر من هذا الكتاب، وهو بعنوان: "الأستاذ محمود في مذكرات معاصريه".

ماذا بقي من نظام ديمقراطي يتأمر الشركاء فيه على حل حزب وطرده نوابه من الجمعية التأسيسية (البرلمان)؟ فقد حل الحزب الشيوعي السوداني وتم طرد نوابه المنتخبين وفقاً لشروط ومتطلبات الديمقراطية. فبعد سلسلة من الإجراءات تم بناء عليها تعديل الدستور مرتين. يقول الأستاذ محمود: "فقد عدل الدستور مرتين للتمكين للحكم الطائفي في الاستمرار: مرة ليتمكن أزهرى من أن يكون رئيساً دائماً لمجلس السيادة، في إطار الاتفاق بين الحزبين على اقتسام السلطة.. ومرة أخرى لحل الحزب الشيوعي، وطرده نوابه من الجمعية التأسيسية.. فقد عدلت الجمعية التأسيسية المادة 2/5 من الدستور، والتي تعد بمثابة روح الدستور.. وهي المادة التي تنص على الحقوق الأساسية، كحق التعبير، وحق التنظيم⁽¹⁾. تقدمت الحكومة في جلسة 8 ديسمبر 1965 بمشروع قانون حل الحزب الشيوعي. وحدد جلسة يوم 9 ديسمبر موعداً للقراءة الثانية وقدم للقراءة الثالثة وأجيز في نفس الجلسة، ونشر بغازيته حكومة السودان بتاريخ 9 ديسمبر 1965 وجاء فيه: "منذ سريان

(1) محمود محمد طه، الدياجة، مصدر سابق، ص 3.

هذا القانون يحل الحزب الشيوعي السوداني وجميع المنظمات غير المشروعة في حدود المعنى المراد في المادة السابقة، وتقفل ذورها وتصادر ممتلكاتها وصحفها وجميع وسائلها⁽¹⁾. وبذلك فقد النواب الشيوعيون مقاعدتهم في الجمعية التأسيسية. خلقت الأحزاب الطائفية، كما يرى الإخوان الجمهوريين "جواً من الهوس الديني، ساهم فيه الإخوان المسلمون بقدر كبير، حتى يلدوا قرار الجمعية بتعديل الدستور وكأنه مطلب شعبي، بينما هو، في الحقيقة، كيد سياسي يستتر بالدين"⁽²⁾.

بناءً على هذه التطورات الخطيرة، تم حل الحزب وطرده نوابه، ورفع الشيوعيون قضية إلى المحكمة العليا⁽³⁾. يقول الأستاذ محمود: "ولما حكمت المحكمة العليا بعدم دستورية ذلك التعديل (مجلة الأحكام القضائية 1968) أعلن رئيس الوزراء آنذاك، السيد الصادق المهدي، "أن الحكومة غير ملزمة بأن تأخذ بالحكم القضائي الخاص بالقضية الدستورية. (الرأي لعام 1966/7/13)⁽⁴⁾. ويقف الأستاذ محمود عند التحقير الذي تعرض له القضاء قائلاً: "فتعرض القضاء السوداني بذلك لصورة من التحقير لم يتعرض لها في تاريخه قط!! ولما رفعت الهيئة القضائية مذكرة إلى مجلس السيادة تطلب فيها تصحيح الوضع بما يعيد للهيئة مكانتها (الرأي العام 1966/12/27). وصف مجلس السيادة حكم المحكمة العليا بالخطأ القانوني (الأيام 1967/4/20)⁽⁵⁾. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "فاستقال رئيس القضاء السيد بابكر عوض الله، وقد جاء في الاستقالة: "إنني لم أشهد في كل حياتي القضائية اتجاهاً نحو التحقير من شأن القضاء، والنيل من استقلاله كما أرى اليوم.. إنني أعلم بكل أسف تلك الاتجاهات الخطيرة عند قادة الحكم اليوم، لا للحد من سلطات القضاء في الدستور فحسب، بل لوضعه تحت إشراف الهيئة التنفيذية"⁽⁶⁾. ويعلق الأستاذ محمود على هذه الصورة قائلاً: "هذه صورة لفشل التجربة الديمقراطية في بلادنا، مما حولها إلى دكتاتورية مدنية، فهدد الاستقرار السياسي،

(1) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 465.

(2) الإخوان الجمهوريون، ما هو البديل عن مايو؟!، ط 1، أمدرمان، 1980، ص 20.

(3) المصدر السابق، ص 21.

(4) محمود محمد طه، الديباجة، مصدر سابق، ص 3.

(5) المصدر السابق، ص 3.

(6) المصدر السابق، ص 3.

حتى جاءت ثورة مايو بمثابة انقاذ للبلاد!!⁽¹⁾ ويضيف الأستاذ محمود قائلًا: "إن قصور تجربتنا الديمقراطية مرده الأساسى إلى قصور الوعي، وعى الشعب، ووعى القلة التى تحكم الشعب، مما أفرغ مدلول كلمة الديمقراطية من محتواها.. هذا وفشل الديمقراطية فى ظل البلاد المتخلفة أدى إلى الانقلابات العسكرية، فى كل مكان، فى النصف الأخير من هذا القرن وليس فى الانقلابات العسكرية حل"⁽²⁾.

تبع ذلك حل الجمعية التأسيسية وتمت الدعوة لانتخابات عامة مع استبعاد دوائر الخريجين التى كان يسيطر عليها الحزب الشيوعى السودانى. فقد حلت الجمعية التأسيسية التى قامت فى يونيو سنة 1965، فى السابع من فبراير سنة 1968. تضمن القرار الصادر من مجلس السيادة بحلها الدعوة إلى إجراء انتخابات عامة لقيام الجمعية التأسيسية الثانية. وعملاً بأحكام المادة 67 من دستور سنة 1964 أصدر مجلس الوزراء فى 12 فبراير سنة 1968 بالأمر المؤقت رقم (1) لسنة 1968 قانون انتخابات الجمعية التأسيسية لسنة 1968، كما عين مجلس السيادة بناءً على مشورة مجلس الوزراء لجنة ثلاثية مستقلة للإشراف على الانتخابات العامة⁽³⁾. اختلفت هذه الانتخابات عن انتخابات سنة 1965 فى استبعاد دوائر الخريجين. كانت الفقرة الأولى من المادة الرابعة من قانون انتخابات سنة 1965 تنص على أن "تكون لانتخابات الجمعية التأسيسية دوائر إقليمية ودوائر جغرافية"، كما حددت الفقرة الثانية من نفس المادة عدد هذه الدوائر بقولها "فيما يتعلق بالخريجين تخصص لهم خمس عشرة دائرة"⁽⁴⁾. استندت الحكومة فى استبعادها لدوائر الخريجين إلى سببين⁽⁵⁾:

الأول: إن تخصيص دوائر للخريجين بوصفهم فئة معينة عمل غير ديمقراطى وأنه يؤدى إلى خلق طبقة مميزة.

الثانى: إن تخصيص دوائر للخريجين فى الماضى كان الهدف منه إنصافهم بعد الاستقلال أما الآن فلا معنى له.

(1) المصدر السابق، ص 3.

(2) المصدر السابق، ص 3.

(3) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 444.

(4) المرجع السابق، ص 444.

(5) المرجع السابق، ص 445.

يقول إبراهيم محمد حاج موسى⁽¹⁾: "إن هذه الحجج لم تكن الدافع لإلغاء دوائر الخريجين، ولكن الدافع الوحيد هو أن التجربة الأخيرة لدوائر الخريجين فى انتخابات سنة 1965 أعطت الأحزاب السياسية درساً قاسياً وأظهرت مدى انصراف الخريجين عن هذه الأحزاب ومناصرتها، حيث لم ينل حزب الأمة أى مقعد فى هذه الدوائر الخمسة عشرة، كما أن الحزب الوطنى الاتحادى لم ينل إلا مقعدين، فى حين حصل الحزب الشيوعى السودانى على 11 مقعداً⁽²⁾. وأضاف إبراهيم قائلاً: فخشيت الأحزاب من أن يحتل الشيوعيون هذه المقاعد مرة أخرى، فعملت الحكومة الائتلافية على استبعاد دوائر الخريجين... ولعل إدراك وحيوية نواب دوائر الخريجين هى التى دفعت أحزاب الحكومة الائتلافية سنة 1965 إلى إخراجهم من الجمعية التأسيسية عن طريق تعديل الدستور وحل الحزب الشيوعى السودانى وتحريم نشاطه، خاصة وأن أغلبية نواب دوائر الخريجين كانت من أعضاء الحزب الشيوعى. وبإخراج أغلبية نواب دوائر الخريجين من الجمعية التأسيسية فقدت الجمعية عضواً هاماً وفعالاً كان وجوده يضيف على مداولاتها حيوية وعلى مناقشاتها مستوى رفيعاً من التفكير الموضوعى والتعليل المنطقى المقنع.

بدأ التسجيل لهذه الانتخابات فى فبراير 1968 وبدأ الترشيح فى 6 مارس، وبدأ التصويت فى 18 أبريل. وأعلنت النتيجة فى آخر أبريل سنة 1968. وكانت النتيجة على النحو التالى: الحزب الاتحادى الديمقراطى 101 مقعد، حزب الأمة بجناحيه 72 مقعداً (34 مقعداً لجناح الصادق و38 مقعداً لجناح الهادى)، حزب سانو 15 مقعداً، جبهة الجنوب 10 مقاعد، المستقلون 10 مقاعد، جبهة الميثاق الإسلامى (الإخوان المسلمون) 3 مقاعد، مؤتمر البجا 3 مقاعد، اتحاد جبال النوبة مقعدان، قوى العاملين مقعد واحد، وحزب النيل مقعد واحد⁽³⁾. لقد تقدم الحزب الاتحادى الديمقراطى وحصل على أغلبية كبيرة، ويرجع ذلك إلى اندماج حزب الشعب الديمقراطى مع الحزب الوطنى الاتحادى⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، ص 445.

(2) أعلن ثمانية منهم لونهم السياسى بأنهم شيوعيون، فى حين أعلن الثلاثة الباقون بأنهم مستقلون، وإن كانوا فى حقيقة الأمر قد فازوا فى الانتخابات بتأييد الشيوعيين وأن مبولهم شيوعية. والجدير بالذكر أنه كان بين هؤلاء الثلاثة أول امرأة سودانية تدخل البرلمان. المصدر: إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 428.

(3) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 448.

(4) المرجع السابق، ص 448.

أدى حل الحزب الشيوعي السوداني إلى هبة قوية جاءت تضامناً معه، من أجل ممارسة حقه الديمقراطي. قادت الهبة إلى قيام مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية في نوفمبر 1965، وقد شارك فيه 32 تنظيمًا ومنظمة وحزبًا سياسيًا، كان الحزب الجمهوري برئاسة الأستاذ محمود من أبرز المشاركين. وقد تناولت ذلك بتوسع في الفصل السادس من هذا الكتاب. كذلك تبنت الحكومة الدعوة للدستور الإسلامي الذي عارضه الأستاذ محمود وناهضه بقوه ووسمه بالدستور الإسلامي المزيف، ونشر في سبيل مناهضته للدستور الإسلامي المزيف العديد من الكتب وأقام الكثير من المحاضرات والندوات... إلخ، كما ورد في الفصل السادس والفصول الأخرى من هذا الكتاب. كونت الحكومة لجنة لمشروع الدستور الإسلامي. وضعت اللجنة مشروع الدستور، وقبل تقديمه للجمعية التأسيسية، رأى وزير العدل آنئذ عبد الماجد أبو حسبو⁽¹⁾، كما ورد في الفصول السابقة، أن يعرض ذلك المشروع على العالم الدستوري السنهاوري في مصر. كون الوزير وفداً لحمل مشروع الدستور وعرضه على العلامة الأستاذ السنهاوري الذي درس المشروع وأبدى عليه ملاحظات قيمة⁽²⁾. عرض الدستور على الجمعية التأسيسية لدراسته ومناقشته وإقراره وتمت القراءة الأولى والثانية وأجيزتا، وقبل القراءة الثالثة والأخيرة وقع انقلاب 25 مايو سنة 1969⁽³⁾.

إجهاض ثورة أكتوبر وغياب المحتوى الديمقراطي ومبررات قيام مايو

لخص الإخوان الجمهوريون، تزيف الأحزاب للديمقراطية وغياب المحتوى الديمقراطي ومبررات قيام ثورة مايو، قائلين: "وفي الحقيقة إن عهود الحكم قبل ثورة مايو لم تشهد الديمقراطية، في أي محتوى من محتوياتها، على الإطلاق!! وفيما يلي صور لتزيف الأحزاب للديمقراطية مما برّر قيام ثورة مايو، وما دعا الشعب إلى الالتفاف حولها⁽⁴⁾:"

1- كانت دعاوى الديمقراطية هي نفسها الأسلوب الذي انتهجته هذه الأحزاب في إجهاض ثورة "أكتوبر" وتصفية مكتسباتها، عندما كانت تضغط، عن طريق حشد أنصارها

(1) عبد الماجد أبو حسبو، مصدر سابق، ص 267.

(2) المصدر السابق، ص 267-268.

(3) المصدر السابق، ص 267-268.

(4) الإخوان الجمهوريون، لماذا نريد سلطة مايو؟؟، مصدر سابق، ص 56-58.

من الأقاليم لفرض جو من الإرهاب السياسى، على رئيس حكومة "أكتوبر" الثورية لإجراء الانتخابات، ولو بصورة جزئية فى الشمال، فى ظروف لم يكن الأمن فى الجنوب فيها مستتباً، حتى قدّم استقالته لتجىء حكومة حزبية، ولتداعى الوضع السياسى إلى السيطرة الطائفية على الحكم مرة أخرى..

2- والديمقراطية والطائفية إنما هما على طرفى نقيض، فبينما تقوم الديمقراطية على الحرية الفردية تقوم الطائفية على الانقياد الأعمى، فنحن لم يكن لدينا من الديمقراطية إلا هياكل وإجراءات فارغة المحتوى، فقد كان النفوذ الطائفى، هو الذى يحدّد مرشح الدائرة، ويوجّه إرادة الناخبين، ويرسم خط الحكومة، وخط المعارضة، على السواء. وثورة مايو، بدورها فى صيانة السلطة من النفوذ الطائفى، وتسليمها للشعب، بعد تحرره من جمود الوعى الذى فرضته عليه الطائفية، إنما تقوم بأكبر عمل فى سبيل الديمقراطية شهدته بلادنا طوال عهود الحكم الوطنى..

3- اتخذت الطائفية أسوأ الأساليب لتزييف الديمقراطية .. فقد أخلّى حزب الأمة للصادق المهدي دائرة انتخابية، عند بلوغه السن القانونية للنياحة، باصطناع استقالة نائبها الأصلي، ليرشح نفسه فيها، ويفوز بالتركية..

4- انتهكت الأحزاب الطائفية الحاكمة حرية الصحافة بتعطيل صحف المعارضة إدارياً، كما فعل الصادق إبّان توليه رئاسة الوزارة بجريدة "أخبار الأسبوع" ..

5- قامت الأحزاب الطائفية، بالتواطؤ مع الإخوان المسلمين، بتعديل الدستور وانتهاك الحقوق الأساسية، بحل الحزب الشيوعى، وطرد نوابه الثمانية من الجمعية التأسيسية، وبغض النظر عن رأينا فى الشيوعية، كمذهبية وكحزب، فإن النظام الحزبى الذى يدعى الديمقراطية ويحجر حرية التعبير، والتنظيم، على المواطنين إنما هو يزيّف الديمقراطية لتصفية خصومه السياسيين..

6- وجهت الأحزاب الطائفية، والإخوان المسلمون، احتقاراً شنيعاً للقضاء السودانى لم تشهد البلاد حتى فى عهد الاستعمار، حينما اعتبر الصادق والترابى حكم المحكمة العليا ببطان قرار الجمعية التأسيسية بحل الحزب الشيوعى، حكماً تقريرياً ليس له حق التنفيذ، أو قوة الإلزام..

7- استغلت الأحزاب الطائفية، والإخوان المسلمون، القضاء الشرعى، إستغلالاً سيئاً، بتدبير محكمة الردة، فى محاولة لإسكات صوت الأستاذ محمود محمد طه، وهو يقود حملة التوعية الواسعة ضد النفوذ الطائفى..

8- وضعت الأحزاب الطائفية، والإخوان المسلمون، دستوراً طائفيّاً يتستّر بقداسة الإسلام، انتهكت فيه الحقوق الأساسية لخصومها الحزبيين فى نظام يدعى الديمقراطية..

9- أساءت أحزابنا الطائفية إلى تربية هذا الشعب أسوأ الإساءة حينما جعلت أصوات الناخبين، وولاء النواب يباع ويشترى بالمال، والمحسوبية، والوعود البراقة.

ولهذا يرى الإخوان الجمهوريون أن العهد الحزبى تحول إلى دكتاتورية مدنية، هى أسوأ من الدكتاتورية العسكرية، لأنها تؤدى مؤداها، ثم هى فى ظل الطائفية هياكل فارغة من أى محتوى ديمقراطى⁽¹⁾.

إلتقاء مايو بالجمهوريين على خط درء خطر الطائفية ورفض فرض الوصاية الدينية

كان خطنا الثابت فى مناهضة الطائفية، وتوعية الشعب بتزييفها للدين، وأطماعها فى الحكم، فالتقت بنا "مايو" على هذا الخط لنرداً خطر الطائفية المائل فى فرض الوصاية الدينية الفاشمة، ولتهىء المناخ السليم لاقتلاع جذورها العميقة فى نفسية شعبنا بالوعى الدينى والسياسى الشامل⁽²⁾.

الإخوان الجمهوريون

لقد تم تفريغ العهد الديمقراطى من أى محتوى ديمقراطى حينما هيمن عليه الطائفون والفقهاء والإخوان المسلمون. فبعد أن تم حل حزب سياسى وطرده نوابه المنتخبين من البرلمان، وبعد الحكم بالردة عن الإسلام على مفكر إسلامى، لم يكن انقلاب 25 مايو سوى أفضل الخيارات السيئة التى تلبى أشواق ورغبة قطاع واسع من المثقفين للتغيير. جلهم كان رافضاً للطائفية ورافضاً لفرض الوصاية الدينية، وجلهم تأذى من الحكم بالردة ومن حل

(1) الإخوان الجمهوريون، ما هو البديل عن مايو؟!، مصدر سابق، ص 21.

(2) الإخوان الجمهوريون، لماذا تؤيد سلطة مايو؟؟، مصدر سابق، ص 5-6.

حزب سياسى وطرده نوابه، وكما كان جلهم رافضاً للدستور الإسلامى. لهذا تحمس قطاع كبير من المثقفين لانقلاب مايو. فقد ضم مجلس وزراء حكومة مايو منذ أيامه الأولى وحتى عام 1976 قبل المصالحة الوطنية، وكذلك مؤسسات حكومة مايو المختلفة، عدداً كبيراً من كبار المبدعين والمثقفين والأكاديميين الوطنيين من منتجى المعرفة ومكفى رأى العام ومحدد مسار السودان، ولا يزال بعضهم، حتى يومنا هذا، يؤدى فى واجبه الوطنى والإنسانى. ولا أحسب أن شراكتهم فى حكومة مايو هى اليوم موضع طعن فى وطنيتهم أو ألحقت بهم العيب فى مسار نضالهم الوطنى أو انتقصت من قدرهم الوطنى أو تاريخهم النضالى. فقد تبدل وتعدل مجلس وزراء حكومة مايو منذ تاريخ قيامها وحتى يوم سقوطها فى 6 أبريل 1985، ثمانى عشرة مرة، حسب عبدالباسط سبدرات، وكان مجلس الوزراء يتكون بتفاوت فى عدد الوزراء فى كل مرة، ولكن كان العدد يتراوح ما بين عشرين إلى أربعة وأربعين وزيراً⁽¹⁾.

لقد ضم أول تشكيل وزارى للحكومة نيمرى فى 1969/5/25 الآتية اسماؤهم: عقيد.أ.ح. جعفر محمد نيمرى، رئيس مجلس قيادة الثورة ووزير الدفاع، السيد بابكر عوض الله، رئيس الوزراء وزير الخارجية، رائد فاروق حمد الله، وزير الداخلية، السيد عبد الكريم ميرغنى، وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية، السيد مكابى مصطفى، وزير التخطيط، السيد جوزيف قرنق، وزير التموين، السيد خلف الله بابكر، وزير الحكومة المحلية، السيد محى الدين صابر، وزير التربية والتعليم، السيد أمين الطاهر شبلى، وزير العدل، السيد موريى سدر، وزير الصحة، السيد محمد عبد الله النور وزير الزراعة والغابات، السيد محجوب عثمان، وزير الإرشاد القومى، السيد محمود حسيب، وزير المواصلات، السيد سيد احمد الجاك، وزير الأشغال، السيد مرتضى أحمد إبراهيم، وزير الرى، السيد موسى المبارك، وزير الصناعة والثروة المعدنية، السيد طه بعشر، وزير العمل، السيد أحمد الطيب عابدين، وزير الثروة الحيوانية، السيد أبيل البير، وزير الإسكان، السيد منصور محجوب، وزير الخزانة، السيد فاروق أبو عيسى، وزير شؤون الرئاسة⁽²⁾.

(1) عبدالباسط صالح سبدرات، مرجع سابق، ص 228-258.

(2) المرجع السابق، ص 229.

أيضاً، ضمت تشكيلات مجلس الوزراء السبع عشرة اللاحقة، الكبار من مثقفي السودان. فقد ضم مجلس الوزراء فى أوقات متفاوتة كل من: عبدالكريم ميرغنى، وزيراً للاقتصاد والتجارة القومية، ومحى الدين صابر، وزيراً للتربية والتعليم، ومنصور خالد، وزيراً للشباب والرياضة، ومبارك سنادة، وزيراً للإسكان، وعثمان أبو القاسم، وزيراً للتعاون والتنمية الريفية، ومحمد عبدالحليم، وزيراً للخزانة والتخطيط، وجعفر محمد على بخيت، وزيراً للحكومات المحلية، وعون الشريف قاسم، وزيراً للشؤون الدينية والأوقاف⁽¹⁾، وغيرهم. (هذه مجرد نماذج مختصرة). واستمرت مشاركة بعضهم، وتقلبوا فى الوزارات، وجاء مثقفون غيرهم. كما شارك عدد كبير من المبدعين والمثقفين فى مستويات مختلفة بمؤسسات حكومة مايو من هؤلاء على سبيل المثال: الشاعر محمد عبدالحى، والفنان التشكيلى إبراهيم الصلحى، وغيرهم. هذا إلى جانب التغييرات الواسعة فى مجلس الوزراء وفى مؤسسات حكومة مايو والتى تبعت فترات المساومات والتسويات والمصالحات الوطنية، كاتفاقية أديس أبابا عام 1972، والمصالحة الوطنية مع الجبهة الوطنية عام 1977، واتفاقية عام 1978 مع الشريف حسين الهندي وصحبه.

الشاهد أن الجمهوريين لم يشتركوا فى حكومة مايو، ونظروا إليها كحركة مرحلية، التقت بهم فى الطريق، وليس العكس. وجاء تأييدهم لها مرحلياً. يقول عيسى إبراهيم: "لقد أيد الجمهوريون نظام مايو كنظام مرحلى،... ومايو بالطبع لا تمثل رأيهم، فرأيهم معروف. قال الجمهوريون لنظام مايو، كتابة، فى كتاب وزع على الشعب أنه نظام مرحلى، ومما جاء فى ذلك: (إننا نرى أن "ثورة مايو" مهما قيل عن حسناتها، ومهما عددنا من إنجازاتها، فهى حركة مرحلية، نرجو أن يخرج الشعب، بفضل الله، ثم بفضل إنجازاتها فى محاربة الطائفية وفساد الإدارة الأهلية، وما تبعها من إنجازات الوحدة الوطنية بالجنوب، وتعمير البلاد بحركة التنمية، نرجو أن يخرج الشعب بعد كل أولئك الى رحاب الديمقراطية الواسعة فينخرط "رجال مايو" مع الشعب فى وحدة وطنية شاملة، بعد ان أدوا دورهم فى المرحلة"⁽²⁾.

(1) عبدالباسط صالح سبدرات، مرجع سابق، ص 229-230.

(2) عيسى إبراهيم، "فى حوارية المثقف والسلطة أو جدلية الفكر والواقع: الجمهوريون ومايو: جرد حساب (4-4)"، صحيفة الأحداث، الثلاثاء 2008/1/29، الموافق 21 محرم 1429.

حكومة مايو وتعدد الأنثواب السياسية

الجمهوريون، على عكس جميع الذين أيدوا مايو، عَفُوا ولم يشتركوا في أجهزة النظام، تشريعية كانت أو سياسية أو تنفيذية، مما قاد مراقبيهم لوصفهم بأنهم "مايويون من منازلهم أو مايويون بالمجانى"، كما هو عند الشاعر المرحوم صلاح أحمد إبراهيم، لأن فى عرف هؤلاء المراقبين لا بد من جنى ثمار التأييد مالا أو وظيفة أو جاهاً وسلطة. وما دامت السياسة هى فن الممكن فلا يمكن وصف الأستاذ أو الجمهوريين بالسذاجة السياسية لأنهم... فى مساندتهم لهذا النظام استقراء حصيف للواقع الذى لا يملكون تغييره، والذى لا يمكن أن ينتج بديلاً أفضل، والبديل الجاهز هو الطائفية التى تراهن على تجميد وعى المواطنين، والهوس الدينى الذى نعيش نحن اليوم فى برائن إحباطاته، وهو المروض بفعل الزمن⁽¹⁾.

عيسى إبراهيم

حينما يقول بعض الدارسين، إن الإخوان الجمهوريين كانوا مؤيدين لحكومة مايو، هنا لا بد من الوقوف عند هذا التعميم من حيث الاطار الزمنى والذى يفيد بأن التأييد كان منذ قيام حكومة مايو وحتى نهايتها، وهذا غير صحيح. فمن المعروف أن حكومة مايو استمرت من عام 1969 وحتى عام 1985. ولما لم يكن الحال كذلك فى مسألة تأييد الجمهوريين لحكومة مايو، فهنا تعميم غير محمود فى التناول العلمى، إذ يجافى الدقة ويقود للخلط وتغيب الحقائق. هنا تطرح العديد من الأسئلة: هل ظلت حكومة مايو طيلة هذه الفترة (1969-1985) متدثرة بثوب سياسى واحد، أم أنها تدرت بأثواب سياسية عديدة ومختلفة؟ هل ظل موقف الأحزاب السياسية على ما هو عليه منذ قيام انقلاب مايو 1969 أم أن هناك شراكات تمت مع حكومة مايو بموجب تسويات ومصالحات ومساومات؟ لهذا، من المهم تحديد الإطار الزمنى عندما نتناول موقف الإخوان الجمهوريين من فترة حكم مايو. فحكومة مايو بقيادة نميرى ورفاقه، مرت بتقلبات سياسية وأخذت بألوان ثورية عديدة، بما يشبه تعدد المنطلقات والمرجعيات الفكرية المختلفة. فقد وقع الانقلاب

(1) عيسى إبراهيم، "فى حوارية المشقف والسلطة أو جدلية الفكر والواقع: الجمهوريون ومايو: جرد حساب (4-3)"، مرجع سابق.

يوم 25 مايو 1969، وفى عام 1972 تم توقيع اتفاقية أديس أبابا مع حركة أنانيا الأولى⁽¹⁾. ومنحت الاتفاقية الحكم الذاتى لإقليم جنوب السودان، الأمر الذى أوقف حرباً أهلية دامت ١٧ عاماً. ظلت الأنانيا شريكاً فى حكومة مايو بموجب هذه الاتفاقية، حتى إعلان قوانين سبتمبر 1983 (ما سُمى بقوانين الشريعة الإسلامية، وهى قوانين "مخالفة للشريعة والإسلام"). مع إعلان وتطبيق قوانين سبتمبر 1983 جاء ميلاد الحركة الشعبية لتحرير السودان⁽²⁾. وقبل المصالحة الوطنية وفى يوم 1976/12/20 كان الأستاذ محمود وتلاميذه فى معتقلات حكومة مايو. ظل الأستاذ محمود وبعض تلاميذه من القيادين فى المعتقل حتى يوم 1977/1/20. ومع يوم 17 مايو 1977 استلم فتح الرحمن البشير (1930-2008) تفويضاً كاملاً من الرئيس نميرى كوسيط للمصالحة الوطنية، بعد أن اقنع نميرى بالمصالحة بين حكومة مايو والمعارضين الذين كانت تمثلهم الجبهة الوطنية⁽³⁾. وبعد مكاتبات وجولات من المفاوضات فى سبيل المصالحة الوطنية، جاء لقاء السيد الصادق المهدي بنميرى بمدينة بورتسودان فى يوم 7 يوليو 1977. وفى أغسطس 1977 صدر قانون العفو العام وتم إطلاق سراح المعتقلين، وفى سبتمبر 1977 أعلن حسن الترابى حل الجبهة الوطنية. وفى يوم 28 سبتمبر 1977 وجه الصادق المهدي كلمة فى أعقاب وصوله البلاد أكد فيها أن الشعب نجاب مؤيداً للمبادرة التاريخية التى قام بها الرئيس نميرى والتى أدت للوفاق والاتفاق⁽⁴⁾.

تمت المصالحة الوطنية. فتبع ذلك مشاركة القوى السياسية فى الحكم حيث انخرطت كوادر الأحزاب المعارضة فى أجهزة الحكم المختلفة، بينما رفض الشريف حسين الهندي

(1) أنانيا وتعنى الثعبان السام، هو الاسم الذى أطلق على حركة التمرد الأولى التى انطلقت فى 18 أغسطس 1955، وانتهت بتوقيع اتفاقية أديس أبابا بين الحكومة السودانية وأنانيا الأولى. هناك أيضاً، أنانيا الثانية وهى حركة مسلحة تكونت من عدة مجموعات بجنوب السودان وأعلنت تمرداً عام 1982، وقد انضمت إلى، وانسلخت من الحركة الشعبية لتحرير السودان- بعد قيام الأخيرة فى عام 1983- على مراحل متعددة. المرجع: الوثائق كمبر (تحرير)، جون قرنق: رؤيته للسودان الجديد وإعادة بناء الدولة السودانية، ط3، ماستر للطباعة، الخرطوم، 2005، ص 72، 77.

(2) عطا الحسن البطحاني، أزمة الحكم فى السودان: أزمة هيمنة أم هيمنة أزمة، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2011، ص 78.

(3) سمية سيد، المصالحة الوطنية: صراع الحكم فى السودان، بدون مكان وتاريخ نشر، ص 34.

(4) حسن مكى، الحركة الإسلامية فى السودان (1969-1985): تاريخها وخطابها السياسى، مرجع سابق، ص 313.

(1982-1924) وآخرون المصالحة، وظل الهندي يقود الجبهة الوطنية المعارضة. وفي 12/4/1978 جاء بيان الشريف حسين الهندي: "استلهاماً لتاريخ شعبنا... فإنه قد تمت اجتماعات بين الإخوة أبو القاسم هاشم واللواء عمر محمد الطيب وعزالدين السيد وفتح الرحمن البشير والشريف حسين الهندي وعبد الماجد أبو حسبو وأحمد زين العابدين وأحمد عثمان محمد خير وصالح عثمان صالح والمهندس أحمد عبدالله.. وآخرون، قد أجمعوا على سبع نقاط تضمنها البيان (اتفاقية لندن عام 1978)⁽¹⁾، جاء فيها: "تقرر حل الجبهة الوطنية..." كما أعلن البيان: "نهاية مرحلة الخلاف والصراع والتفكك والتشتت إلى غير رجعة بإذن الله..." وقد صدر البيان في يوم 12/4/1978⁽²⁾.

مما لاشك فيه أن التسويات والمصالحات التي أقامتتها حكومة مايو مع مختلف القوى الوطنية، والتي أدت إلى توسيع دائرة المشاركة، لا ينفي عنها حقيقة كونها حكومة جاءت بانقلاب عسكري، ولكن قطعاً يجعلها في وضع مختلف عن الثورات التي قامت وقتئذ، لا سيما، ثورة 23 يوليو 1952 التي قامت في مصر برئاسة محمد نجيب الذي خلفه جمال عبدالناصر ومن ثم أنور السادات (1981/1918). وقد تناولت ثورة 23 يوليو 1952 بتوسع في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

إن الاطار الزمني لدراسة موقف الإخوان الجمهوريين من حكومة مايو، يبدأ من عام 1969 وينتهي في عام 1976 حيث تم اعتقال الأستاذ محمود وتلاميذه قبل توقيع المصالحة الوطنية بين حكومة مايو والجبهة الوطنية. يضاف إلى ذلك فقد "كان الأستاذ محمود محمد طه ممنوعاً، من سلطة مايو، من الحديث في المنابر العامة منذ العام 1973 أى نسبياً منذ بدايات مايو"⁽³⁾. فمنذ المصالحة الوطنية عام 1977 وحتى تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود يوم 18 يناير 1985، كانت الأحزاب شريكة مع حكومة مايو مع تفاوت

(1) الشريف حسين الهندي، لوطنى وللتاريخ: مذكرات الشهيد الشريف حسين الهندي (1982-1924)، إعداد: محمد الأمين الشريف عمر الهندي (أبو الحيران)، تحرير ومراجعة: إبراهيم قرشى، ط 1، شركة الجزيرة للطباعة والنشر المحدودة، ومدني، 2006، ص 483.

(2) حسن مكى، الحركة الإسلامية في السودان (1969-1985): تاريخها وخطابها السياسي، مرجع سابق، ص 111، 318.

(3) قصي همور، "الجمهوريون ومايو: حقائق التاريخ وأسس الموقف"، مجلة نقدي، العدد الثالث، يوليو-سبتمبر 2008، الموقع على الإنترنت: www.naqdy.org

واختلافات فى طبيعة شراكة ومواقف بعضها وخروج بعضها الآخر من الشراكة. يضاف إلى ذلك أن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى كان كما هو حال بقية الأحزاب السياسية التى حلت بمجرد قيام ثورة مايو ومنعت من ممارسة أى نشاط عام.

من بين الحقائق التى يجب التأكيد عليها أنه لم يشارك أحد من تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته فى أى مؤسسة من مؤسسات حكومة مايو، ولم يمثل أحد الأستاذ محمود أو الإخوان الجمهوريين فى أى منبر من منابر حكومة مايو. كتب قصى همور فى دراسة عنوانها: "الجمهوريون ومايو: حقائق التاريخ وأسس الموقف"، وهى دراسة تضمنت بالإضافة لمقدمة قصى الضافية، سلسلة مقالات كتبها كل من عمر القراى وعيسى إبراهيم، كتب قصى قائلاً: "إن الجمهوريين كانوا، منذ البداية، على رفض مبدئى للمشاركة التمثيلية فى أجهزة مايو، وقد حاولت مايو فى بداياتها احتواء بعض الجمهوريين كممثلين فى أجهزة حكومتها، لكن رفض الجمهوريين ظل مبدئياً وواضحاً على طول المدى، وبهذا لم يجن الجمهوريون أى مكاسب سياسية تنظيمية، أو مادية عموماً، من وراء فترة تأييدهم لمايو"⁽¹⁾.

الأولوية فى التغيير عند الأستاذ محمود للقاعدة الشعبية لا السلطة السياسية

الأستاذ محمود والتغيير والثورة الثقافية وأصحاب الامتياز

ونحن نعتقد جازمين بأن [بأن] التغيير لا يمكن أن يجرى من القمة وينزل على القاعدة.. العكس هو الصحيح التغيير ينشأ من القاعدة ويصعد للقمة.. والتغيير يكون [يكون] محتاج لأمرين: أن يحتاجه الناس، أن يشعر الناس بالحاجة إلى التغيير، وأن يعرف الناس كيف يتم التغيير؟... ونحن نعتقد أن الذين يحتاجون التغيير أو يمكن أن يُشعروا بحاجتهم للتغيير هم عادة الناس الذين لا يجلسون امتياز فى الحاضر"⁽²⁾.

محمود محمد طه

(1) قصى همور، "الجمهوريون ومايو: حقائق التاريخ وأسس الموقف"، مرجع سابق.

(2) محمود محمد طه، ندوة المثقفين، (ندوة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، منزل محمد فضل الصديق، الموردة، أمدرمان، الأحد 30 مايو 1976، الموافق غرة جمادى الآخرة 1396.

ظل الأستاذ محمود وهو صاحب مشروع للتغيير والتحرير والتطوير، مشغولاً بالقاعدة الشعبية، بال جماهير، وليس بالشراسة في السلطة السياسية. كما لم يتشغل بالعمل على تحقيق التغيير من علٍ أو من القمة، وإنما ظل يسعى لتحقيق التغيير من القاعدة إلى القمة. وظل في مواجهة لعدو الشعب الأول. الطائفية. وهذا ما يفسر المنطلق الذي انطلق منه الإخوان الجمهوريون في تأييدهم لحكومة مايو. يقول الإخوان الجمهوريون: "فنحن إنما ننطلق في تأييدنا لثورة مايو من موقف مبدئي، لا تمليه رغبة في كسب سياسي، ولا تحركه نزعة للاحتواء والوصاية. فقد كان تاريخ دعوتنا، كله، مناهضة موضوعية فعالة للطائفية، عدو الشعب الأول... وذلك بتوعيتنا للشعب بالصورة الصحيحة للإسلام التي شوّتها عنده، الطائفية، وبكشفنا تضليلها إياه باسم الإسلام"⁽¹⁾. ثم تأتي الإشارة إلى أن هذا الموقف ظل موقفاً مبدئياً وثابتاً منذ الأربعينيات من القرن الماضي. يقول الإخوان الجمهوريون: "وقد بدأ موقفنا المبدئي هذا من الطائفية منذ الأربعينيات حيث نعيننا على الأحزاب السياسية، في الحركة الوطنية، ذيليتها للطائفية، ونبهنا، في ذلك الوقت المبكر، الى خطر الطائفية على وحدة البلاد... وذلك كما جاء في منشورنا بعنوان: "هذا نذير من النذر الأولى" عام 1945: (يا جماعة "الأشقاء" ويا جماعة "الأمة" .. أيها القاسمون البلاد باسم الخدمة الوطنية.. أيها القادحون قادحات الإحن بين أبناء الأمة... إلخ)"⁽²⁾. (أنظر نص المنشور في الفصل الرابع من هذا الكتاب). يرى الإخوان الجمهوريون أن أس أزماتنا يرجع في جوهره "إلى أزمنا الأخلاقية التي بذرت بذرتها أحزابنا السياسية، في الماضي، بممارستها غير الأخلاقية، فأساءت إلى تربية هذا الشعب، وضرلته، وقعدت به"⁽³⁾. ويضيف الإخوان الجمهوريون: هذه الأزمة الأخلاقية كانت بذرتها الأولى هي مسئولية أحزابنا السياسية الطائفية التي جمدت وعى الشعب السياسي والديني. كما أن عدم وجود مذهبية للحكم لدى الأحزاب، أو منهج أخلاقي تلتزم به قيادتها وتلتزم به قاعدتها، أدى إلى شتى الممارسات اللا أخلاقية في العمل السياسي: كالدعاية الانتخابية التي تستهدف الكسب السياسي بأي سبيل، وكالوعود الكاذبة من المرشحين للناخبين، وكشراء الأصوات، وكأساليب التهريج السياسي، والإرهاب الديني، وكشراء النواب بالمال،

(1) الإخوان الجمهوريون، لماذا تؤيد سلطة مايو؟؟، مصدر سابق، ص 5-6.

(2) المصدر السابق، ص 5-6.

(3) الإخوان الجمهوريون، ما هو البديل عن مايو؟، مصدر سابق، ص 3.

والامتيازات، وكسوء استغلال النفوذ لدى الوزراء فى توزيع الخدمات، وفى الدعاية الحزبية، وفى التوظيف، وفى الترقية، مما ترك أسوأ الآثار على الخدمة المدنية⁽¹⁾.

أضحى الأستاذ محمود وتلاميذه يعملون لإحداث الثورة الفكرية من أجل التغيير من قاعدة الشعب لا من قمته. يقول الأستاذ محمود، كما ورد أعلاه: "والتغيير سيكون محتاج لأمرين: أن يحتاجه الناس، أن يشعر الناس بالحاجة إلى التغيير، وأن يعرف الناس كيف يتم التغيير؟ ودى [هذه] ما يمكن أن تسمى بالثورة الثقافية والثورة الفكرية.. الثورة الفكرية ترشيد للثورة الثقافية.. والثورة الثقافية تغيير يبتدىء من النفس البشرية ثم ينتقل للأفراد المدعويين وتتسع الدائرة لغاية ما تنبثق القاعدة قاعدة الشعب أى شعب لتتحرك لتحدث هذا التغيير"⁽²⁾. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "الثورة الفكرية هى النور الذى يسعى بين يدي الثورة الثقافية.. ونحن نعتقد أن الذين يحتاجون التغيير أو يمكن أن يشعروا بحاجتهم للتغيير هم عادة الناس الذين لا يجدون امتياز فى الحاضر". ويشرح الأستاذ محمود قائلاً: "الناس الواجدين امتياز فى الوضع الموجود والأنت عايز تحدث الشعور بالحاجة إلى التغيير منو إلى عهد جديد، الناس أصحاب الامتياز فى مثل هذا الوضع غير مستجيبين وغير مستعدين ليدركوا الحاجة للتغيير، على الأقل هم يبطئون فى إدراك هذه الحاجة"⁽³⁾. ويضيف الأستاذ محمود قائلاً: "ودى [هذه] تسوقنا لمواجهة مش [ليس] المقصود منها بطبيعة الحال الجفا [الجفوة] وإنما المقصود منها الوضوح والصراحة.. نحن وجدنا أن جمهور المثقفين أقل فى إدراك الحاجة للتغيير من رجل الشارع العادى من مزارع ومن عامل"⁽⁴⁾. ويوضح الأستاذ محمود من هم أصحاب الامتياز قائلاً:

وفى بلدنا جمهور المثقفين يمكن أن تقول عنهم أصحاب امتياز.. لأنو التعليم فى البلد قليل والناس المتعلمين حتى فى مستويات ماها [ليست] كبيرة برضو عندهم وضع قد يعتبر مريح.. والإنسان بيستجيب للحاجة حاجة المعدة والجسد قبل ما يستجيب لحاجة الفكر.. فالإنسان إذا كان عندو وبيعش حاجة

(1) المصدر السابق، ص 36.

(2) محمود محمد طه، ندوة المثقفين، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

حقيقية فى الوضع الذى تحدث أنت عنه وتدعو إلى تغييره هذا الإنسان مستعد ليدرك الحاجة للتغيير.. مش معنى الكلام دا أنو كل مثقف ما بيدرك الحاجة للتغيير.. فى بعض المثقفين يدركونها ولكن التدريك لا يتجسد فى أذهانهم بالصورة التى تدعو إلى الممارسة ممارسة العمل من أجل التغيير⁽¹⁾.

ظل الأستاذ محمود يسعى للجدل الفكرى بعيداً عن مؤسسات السلطة السياسية، حكومة مايو، بشروط الجدل الأخلاقية وبمتطلباته فى المسؤولية العلمية وفى ميدانه الحقيقى حيث المنابر الحرة. يقول الإخوان الجمهوريون: "ولذلك فنحن، وحدنا، أصحاب هذه الدعوة الذين نستطيع أن نتحمل المسئولية عنها، من حيث الفكرة، ومن حيث أسلوب العمل.. فلا يمكن، ولا يجب، أن يتحمل الاتحاد الاشتراكى هذه المسئولية عنّا، كأعضاء فيه"⁽²⁾. ويضيفون قائلين: "لا سيّما وهو لا يزال يعتبر المسئولين فى المؤسسات الدينية التقليدية، وهو فى ذلك معذور، هم الممثلين الرسميين للدين فى البلاد، وتضم عضويته هؤلاء المسئولين الرسميين بهذه الصفة، حيث يصعب أن يتعايش فهان دينيان متصارعان، صراعاً لا يحسمه التطور الزمن، داخل تنظيم واحد يرجى له التماسك والقوة"⁽³⁾. ثم يشير الإخوان الجمهوريون إلى الجو الشعبى قائلين: "هذا والاتحاد الاشتراكى ليس هو ميدان هذا الصراع.. ميدانه الحقيقى حركة المنابر الحرة التى يدور فيها الحوار الفكرى، ويشارك فيها الشعب، بأفراده، ومجاميعه، فى جو شعبى"⁽⁴⁾. وعن العمل فى التوعية الشعبية، بعيداً عن مؤسسات حكومة مايو، لا سيما الاتحاد الاشتراكى، يقول الإخوان الجمهوريون: "إن عملنا فى التوعية الشعبية اليومية، بأخطار الطائفية، والإخوان المسلمين، والشيوعيين، على مصالح البلاد العليا، وهو خطنا الأصيل فى التوعية منذ نشأة دعوتنا، مما لا تستطيع أن تستوعبه برامج الاتحاد الاشتراكى، وهو يدخل فى مصالحه وطنية مع بعض هذه العناصر السياسية، ودخولنا الاتحاد الاشتراكى، من جهة أخرى، إنما يعنى فراغ ميدان التوعية الشعبية من طبيعة هذا العمل المتميّز، الفعّال، الذى نقوم به". بل دعا الإخوان الجمهوريون إلى

(1) المصدر السابق.

(2) الإخوان الجمهوريون، لماذا نؤيد سلطة مايو؟؟، مصدر سابق، ص 73-74.

(3) المصدر السابق، ص 73-74.

(4) المصدر السابق، ص 73-74.

تكوين تنظيمات فكرية تخلف التكتلات العقائدية، والطائفية، القائمة اليوم⁽¹⁾.

المصالحة الوطنية والعودة لمربع الفقهاء مختطفى منابر الحوار فى عقد الستينيات

بكل أسف هذا حادث كبير كان فى هذا الزخم، زخم الشريعة هذا. لم يعدم محمود محمد طه، جعفر نميرى.. كل عناصر القوى السياسية التى جاءت فى المصالحة الوطنية كانت تتحمل المسؤولية فى إعدام محمود محمد طه، لأن محمود محمد طه كان ضد الطائفية وكان ضد حركة الجبهة الإسلامية والإخوان المسلمين⁽²⁾.

أبو القاسم محمد إبراهيم، عضو مجلس قيادة ثورة مايو 1969

لقد تمكنت سلطة الفقهاء فى السودان، منذ مطلع القرن العشرين، وتجلت هيمنتهم وسيطرتهم بوضوح فى عقد الستينيات. فقد نجح الفقهاء فى اختطاف منابر الحوار والسجال من المثقفين فى عقد الستينيات. وشهد عقد الستينيات تكفير تلاميذ الأستاذ محمود بعد أن فصلوا من المعهد العلمى بأمدرمان عام 1959-1960، وقد كفر المعهد من قبل الشاعر التجانى يوسف بشير، وألحق الأذى والإرهاب الدينى بالشاعر محمد عبدالوهاب القاضى، كما ورد فى الفصل التاسع من هذا الكتاب. وشهد عقد الستينيات أيضاً حل الحزب الشيوعى السودانى وطرد نوابه من البرلمان، وعقدت محكمة الردة فى 18 نوفمبر 1968، كما ورد فى الفصول السابقة. وفى عقد الستينيات تحول أزهر السودان "المعهد العلمى بأمدرمان" إلى "جامعة أمدرمان الإسلامية بناءً على قرار مجلس الوزراء رقم 390، وأصبح كامل الباقر (1918-1995)، القادم من مصلحة الشؤون الدينية مديراً للجامعة فى أغسطس 1965⁽³⁾. وكان فى سبتمبر 1963 قد انتهى انتداب الشيخ محمد المبارك عبدالله، الذى ظل شيخاً للعلماء وشيخاً للمعهد من العام 1956 وحتى العام 1963⁽⁴⁾. وشهد عقد الستينيات

(1) المصدر السابق، ص 73-74.

(2) أبو القاسم محمد إبراهيم، ضمن سلسلة "بين زمنين"، كان هناك برنامج من خمس حلقات تناول فترة حكم الرئيس السودانى الأسبق جعفر محمد نميرى، إعداد وتقديم أحمد المهنا، قناة أبو ظبى، أبو ظبى، يوليو 2008.

(3) المعتصم أحمد الحاج، أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 107-111.

(4) الأمين محمد المحيسى، مصدر سابق، ص 40.

الدعوة للدستور الإسلامى بحماسة واسعة من مختلف الأحزاب التقليدية والطائفية وجبهة الميثاق الإسلامى (الإخوان المسلمين). الشاهد أن هيمنة الفقهاء، واختطافهم لمنابر الحوار والسجال، كانت من أوضح معالم عقد الستينيات من القرن الماضى فى السودان.

حينما تمت المصالحة الوطنية عام 1977، عادت أحزاب الجبهة الوطنية، وانتقلت من وضعية المقاومة إلى وضعية المشاركة. لم تكن عودة الأحزاب الطائفية والإخوان المسلمين سوى عودة ثانية للمناخ الفقهي وعودة ثانية لهيمنة الفقهاء وسيطرتهم على منابر الحوار والسجال، وعودة ارهاصات الدستور الإسلامى والحكم بالشرعية الإسلامية. كتب عمر القراى قائلاً: "فى عام 1977 صالح زعماء الطائفية نظام ما يودون أى شرط، ودخلوا فى الحزب الواحد، الاتحاد الاشتراكى، رغم ادعائهم الإيمان بالتعددية، وقام غيرى بتنصيب د. حسن الترابى والسيد الصادق المهدي والسيد محمد عثمان الميرغنى، الذى ناب عنه شقيقه السيد أحمد الميرغنى، فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى، وبدأ الصراع داخل السلطة بين "القادمين والقدامى"!!⁽¹⁾. وأضاف القراى قائلاً: "فى هذه الظروف طرح الجمهوريون ضرورة قيام المنابر الحرة، حيث تضطر الأحزاب أن توضح مبادئها، فتتكشف للشعب ويأخذ منها النظام حذره"⁽²⁾. وأضاف القراى قائلاً: كتب د. منصور خالد قائلاً: "ومن بين كل القوى السياسية فإن الفئة الوحيدة التى دعت لإعلاء مكان متقدم للجانب الفكرى فى حوار المصالحة كانت هى الإخوان الجمهوريون. ففى بيان وقعه عبداللطيف عمر حسب اللهجاء (لقد آن الاوان للتكتلات الطائفية العقيدية أن تبنى نفسها فى صورة أحزاب ذات مناهج تقوم على مذهبية واضحة، مفصلة، تلتزمها فى أخلاق قادتها وفى أخلاق قاعدتها، وعلى هداها تورد تفاصيل حل مشكلات المجتمع المعاصر)"⁽³⁾.

دخلت الأحزاب فى المصالحة وكان لكل منها مآربه وخططه بعيدة المدى. كتب منصور خالد قائلاً: "يقول حسن الترابى: (صالحنا النميمى بسبب ما رأى من بأسنا "أى بأس

(1) عمر القراى، "الجمهوريون ومايو (4-3)"، صحيفة السودانى، 16 فبراير 2008.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

الإخوان المسلمين" في حركة يوليو... وكنا ندرى بالضبط ماذا نريد منها (المصالحة) ولم نكن نعول على التعامل ولم نكن نرجو منه شيئاً، ولكن كنا نعول على بناء حركة إسلامية واسعة المدى ونحاول أن نتقى ما يستفزه من مظهر سياسى سافر. فهو يريد السلطة اليوم وغداً ونحن نريد وراثته المستقبل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للأمة⁽¹⁾. كان الإخوان الجمهوريون قد قادوا مواجهة واسعة مع السلفيين والإخوان المسلمين، كشفت عن الفهم الزائف للدين، وسعت للتعريف بحقيقة الإخوان المسلمين. نشر تلاميذ الأستاذ محمود العديد من الكتب عن الإخوان المسلمين منها سلسلة كتب كانت بعنوان: **هؤلاء هم الإخوان المسلمون**⁽²⁾، وصدرت منها ثلاثة أجزاء⁽³⁾، وكذلك كتاب: **الإخوان المسلمون يلعبون على الحبلين**⁽⁴⁾، و**بنك فيصل الإسلامى**؟!⁽⁵⁾، وغيرها.

الشاهد أنه مع المصالحة الوطنية بدأت الجهود للتخلص من الأستاذ محمود وتصفية حركته وفقاً لرؤية الإخوان المسلمين. وتوجت الجهود بتطبيق قوانين سبتمبر 1983. فقد كتب حسن مكى عن وقع المصالحة الوطنية عام 1977 على الإسلاميين داخل وخارج السودان، وتحدث عن أن الحركة الإسلامية والت محاولات اختراق نظام الرئيس نمى والتغلغل فى صفه... وانشغل الإخوان [المسلمون] طيلة عام 1978 بهجوم التوسع والعمل الداخلى.. ومع بدايات عام 1980 بدأت الحركة الإسلامية العمل فى الجنوب⁽⁶⁾. كما شرعت القيادة الإخوانية فى إقامة منظمة الدعوة الإسلامية وتغذية المركز الإسلامى الإفريقى وبنك فيصل الإسلامى بالعناصر الإسلامية⁽⁷⁾. وابتداءً من العام 1982 أخذ نظام مايو يعزز توجهاته فى اتجاه الإسلام.. فقد شهد عام 1982 (مارس - أبريل) انعقاد المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية فى إطار احتفالات البلاد بمقدم القرن الخامس عشر

(1) منصور خالد، الفجر الكاذب: نمى وتحريف الشريعة، دار هلال، بيروت، 1986، ص 420.

(2) الإخوان الجمهوريون، هؤلاء هم الإخوان المسلمون، ج 1، 1978.

(3) الإخوان الجمهوريون، هؤلاء هم الإخوان المسلمون، ج 2، 1978؛ الإخوان الجمهوريون، هؤلاء هم الإخوان المسلمون، ج 3، 1979.

(4) الإخوان الجمهوريون، الإخوان المسلمون يلعبون على الحبلين، ط 1، أمدرمان، 1979.

(5) الإخوان الجمهوريون، بنك فيصل الإسلامى؟!، 1983.

(6) حسن مكى، الحركة الإسلامية فى السودان 1969-1985: تاريخها وخطابها السياسى، مرجع سابق، ص 122.

(7) المرجع السابق، ص 110-114.

الهجرى.. حيث وصل البلاد عدد من المفكرين الإسلاميين وواصلوا تقديم محاضراتهم الشعبية والرسمية⁽¹⁾. وفى منتصف عام 1983 قام الرئيس نيرى بتعيين عدد من الإسلاميين مستشارين قانونيين فى القصر الجمهورى وهم: عوض الجيد محمد أحمد والنيل أبو قرون وبدرية الزين [هكذا]⁽²⁾. وقد وردت الإشارة آنفاً، إلى دور هؤلاء الثلاثة فى محاكمة الأستاذ محمود والجمهوريين فى يناير 1985 (لمزيد من التفاصيل أنظر ملحق رقم: "48" وملحق رقم: "49"). أضاف حسن مكى متحدثاً عن نجاح الإسلاميين فى تطوير حركة المصالحة الوطنية حتى بلغت قمته فى تصفية الأستاذ محمود، فقد مثل الأستاذ محمود والجمهوريون الخصم اللدود للإخوان المسلمين، ولا بد من تصفيته. أوضح حسن مكى أن استثمار الحركة الإسلامية لمناخ المصالحة قد تجلّى فى: "جهود الإسلاميين فى تطوير حركة المصالحة إلى علاقات مشاركة وتحالف مرحلى إلى أن توجت جهودهم بحركة تطبيقات القوانين الشرعية والتي بلغت قمته فى تصفية حركة محمود محمد طه"⁽³⁾.

المواجهة والصمود وتجسيد المعارف والسمو فى مدارك العبودية

جاء الوقت لتجسيد معارفنا، وأن نضع أنفسنا فى المحك ونسمو فى مدارك العبودية سموً جديداً⁽⁴⁾.

محمود محمد طه، قبل تنفيذ الإعدام بأسبوعين

واجه الأستاذ محمود الإرهاب الدينى، وناجز التخلف والدعوات السلفية بالفكر والحجة الناصعة منذ الستينيات حيث عقدت المحكمة المهزلة فى 18 نوفمبر 1968، وأصدرت حكمها الجائر الجاهل برده عن الإسلام. اتخذ الأستاذ محمود من ذلك الحكم مادة لتوعية الشعب وقد ظل يرفعه نموذجاً لما ينتظر الشعب من ذل وهوان لو قدر لأمثال

(1) المرجع السابق، ص 123.

(2) المرجع السابق، ص 129-130.

(3) المرجع السابق، ص 14.

(4) محمود محمد طه، "حديث الأستاذ محمود فى ختام المؤتمر الذى أقيم بمناسبة عيد الاستقلال"، مساء الجمعة يوم 1985/1/4، مصدر سابق.

أولئك القضاة وأشياعهم أن يجدوا فرصة لحكم السودان⁽¹⁾. وظل الأستاذ محمود وتلاميذه وتلميذاته على الدوام يحذرون من خطر الهوس الدينى ويواجهونه بالكلمة المسموعة والمكتوبة، ليس فى السودان فحسب؛ وإنما على مستوى العالم، وأصدروا فى ذلك العديد من الكتب كما وردت الإشارة وكما هو مثبت بعضها فى قائمة المصادر والمراجع. فى مايو 1983 أصدر الإخوان الجمهوريون كتاب: **الهوس الدينى يثير الفتنة ليصل إلى السلطة**⁽²⁾، والذى واجه النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس جهاز الأمن عمر محمد الطيب بنقد قوى لقيامه بالسماح لجماعات مهووسة، ودعاة مشبوهين من خارج القطر، باستغلال مسجد يتبع له، وباستغلال أجهزة الاعلام، فى القيام بحملة رأى الجمهوريون أنها تفتح الباب أمام فتنة دينية لا تبقى ولا تذر، فقامت السلطة باعتقال الأستاذ محمود، وعدد من الجمهوريين من غير أن توجه لهم تهمة، وظلوا فى المعتقل حتى صدرت قوانين سبتمبر 1983 - وكان الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، أول من أطلق عليها تسمية قوانين سبتمبر 1983 - والتي نسبت زوراً الى الشريعة الاسلامية، فعارضها الأستاذ محمود وتلاميذه من داخل المعتقل، ومن خارجه، ثم تصاعدت وتيرة الأحداث الى إعلان حالة الطوارئ واقامة المحاكم الإيجازية العشوائية فى أبريل 1984 لتطبيق تلك القوانين السيئة الإخراج والقصد⁽³⁾.

ما أن أطلقت سلطات حكومة مايو سراح الأستاذ محمود وتلاميذه فى يوم 1984/12/9، إلا وأعلن فى مساء نفس اليوم: "إننا لم نخرج من المعتقل لنرتاح، وإنما لنواجه الظلم الذى يمارس باسم الإسلام"⁽⁴⁾. ولم تمض سوى ستة أيام على خروجه من المعتقل حتى أصدر الأستاذ محمود فى 25 ديسمبر 1984 منشوره الشهير "هذا... أو الطوفان!!"، (أنظر ملحق رقم "47"). وقد طالب فيه، كما ورد آنفاً، بإلغاء قوانين

(1) الإخوان الجمهوريون، **حيثيات المحكمة العليا فى قضية الأستاذ محمود محمد طه: انتصار للحق، ودحض للحكم المهزلة**، أمدرمان، نوفمبر 1986، ص 2.

(2) الإخوان الجمهوريون، **الهوس الدينى يثير الفتنة ليصل إلى السلطة**، أمدرمان، 1983.

(3) "لمحات من سيرة الأستاذ محمود محمد طه"، من موقع **الفكرة الجمهورية**، محاضرات، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 18 أكتوبر 2009، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(4) الإخوان الجمهوريون، **حيثيات المحكمة العليا فى قضية الأستاذ محمود محمد طه: انتصار للحق، ودحض للحكم المهزلة**، مصدر سابق، ص 2.

سبتمبر 1983 وتنقية الدين من التشويه الذى ألحقته به، ودرء الفتنة الدينية، وطالب السلطة ومعارضيتها فى الجنوب إلى التفاوض لحل مشكلة الجنوب، وإلى إيقاف الاقتتال، صوناً لوحدة الوطن، وحقناً لدماء أبنائه.. كان الأستاذ محمود يدرك بأن جماعة الهوس الدينى وعناصرهم من المستشارين من أدوات السلطة يتربصون به، ويتتظرون فرصة تقديمه لمحاكم السلطة الجائرة. وهذا ما كشفت عنه مراسلات النيل عبدالقادر أبوقرون إلى الرئيس جعفر محمد نيمرى بتاريخ 1984/12/29. كتب النيل عبدالقادر أبوقرون قائلاً: "المنشور المرفق [منشور: هذا... أو الطوفان!!] وزعه الجمهوريون وقد قبض على ستة منهم وتم التحقيق معهم وسوف يقدمون للمحاكم وبهذا فقد أتاحوا لنا فرصة تاريخية لمحاكمتهم". (للمزيد أنظر ملحق رقم "48" و "49"). وبينما كان يتحدث المستشارون والمتربصون عن الفرصة التاريخية لمحاكمة الأستاذ محمود، كان الأمر عند الأستاذ محمود مختلفاً كلية معنًى وروحاً وقيمة وفكرة ومبدأ. فالأمر عنده، كما كان طوال سيرته، أمر دين، وأمر حقوق الشعوب، ونصرة المستضعفين، وكرامة الإنسان، فلا مساومة فيه، وهو أمر مبدأ فكري وإنساني لا نكوص عنه ولا حياد فيه.. ففى مساء يوم الجمعة 1985/1/4 وفى ختام المؤتمر الذى أقيم بمناسبة عيد "الاستقلال"، تحدث الأستاذ محمود إلى تلاميذه وتلميذاته عن ضرورة أن يفدى الجمهوريون الشعب السودانى حتى يرفعوا عن كاهله اصر الظلم الذى وقع عليه، مقدماً نماذج من تأريخ التصوف لصور من فداء كبار المتصوفة لشعبهم. كما تحدث عن مجيء الوقت لتجسيد المعارف، كما ورد أعلاه⁽¹⁾.

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من حديث الأستاذ محمود لتلاميذه وتلميذاته مساء الرابع من يناير عام 1985، عن تجسيد المعارف والسمو فى مدارك العبودية، قامت سلطات النظام المايوى فى صباح الخامس من يناير 1985 باعتقال الأستاذ محمود. وكانت السلطات قد اعتقلت قبله عدداً من تلاميذه، ليم بذلك استغلال الفرصة التاريخية التى تحدث عنها مستشارو الرئيس نيمرى. وفى واقع الأمر كانت محاكمة الأستاذ محمود وتلاميذه قد أعد

(1) محمود محمد طه، "حديث الأستاذ محمود فى ختام المؤتمر الذى أقيم بمناسبة عيد الاستقلال"، مساء الجمعة يوم 1985/1/4، مصدر سابق.

الدينى، كما كشفت المراسلات والوثائق والشهود (أنظر الملاحق رقم: "48" و"49"، كما يتضمن الفصل القادم بعض الشهادات التى تبين مواقف النيل أبو قرون وعوض الجيد محمد أحمد، وغيرهم من المستشارين والقضاة).

المؤامرة والشراسة فى الاغتيال !

وما كان للمتآمرين أن يعلموا أن الأستاذ محمود محمد طه قد ذهب إلى ما ذهب إليه مختاراً وحيث أباح هذا السر ونعى نفسه لتلاميذه وللحاضرين فى الليلة السابقة لاعتقاله الأخير، حيث تحدث فى ختام مؤتمر احتفاله بعيد الاستقلال وفى الطريق العام عن ضرورة الفداء للشعب حتى يذهب نميرى الذى أصبح "الدجال" الذى يقف عقبة أمام مجد الإسلام ومجد السودان.. وحديثه عن الفداء كان واضحاً حينما عدد عدداً من الأخيار الذين فدوا الأمة السودانية فى الماضى ⁽¹⁾.

سعيد الطيب شايب

عاد المناخ الذى تحكم فى عقد الستينيات من القرن الماضى، كما وردت الإشارة آنفاً، وهو مناخ الفقه والفقهاء. فقد تجلّى فى عقد الستينيات بوضوح سافر اختطاف الفقهاء لمنابر الحوار وسوح السجال. فقد عاد ذلك المناخ ليهيمن ثانية وبقوة على عقد الثمانينيات من القرن الماضى. فقد تم استدعاء محكمة الردة الأولى والتى عقدت فى 18 نوفمبر 1968، وحكمت غيابياً على الأستاذ بالردة عن الإسلام. وكما ورد آنفاً، فإن محكمة الردة الأولى تقاطعت فيها عوامل عديدة، تتصل بالطائفية، وجهة الميثاق الإسلامى (الإخوان المسلمين)، وحلفاء مصر والتحالف الإسلامى العريض بين القاهرة وأمدرمان ومكة. لقد فصلت هذه الأمور فى الفصول السابقة، خاصة فى الفصل الثانى: "قراءة فى الدراسات السابقة: مرحلة الفقهاء، تعطيل الطاقات الحيوية وتجميد حركة التغيير والتحرير"، والفصل الثامن: "محكمة الردة الأولى 1968 والعجز الفكرى". يقول عمر القراى وهو يتحدث عن

(1) سعيد الطيب شايب، "حوار مع الأستاذ سعيد شايب عن الفكر الجمهورى"، أجرى الحوار: عيروس عبدالعزيز، صحيفة الأيام، 6 يناير 1986 الموافق 25 ربيع النفل 1406؛ نص الحوار منشور فى موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: www.alfikra.org.

محكمة الردة الأولى: "ولم تحدث محكمة الردة فجأة، دون أسباب، وإنما كانت بسبب تراكم مواقف أزعجت الطائفية، وجبهة الميثاق الإسلامى، ودفعتهما ليتآمرا ضد الحزب الجمهورى، مثلاً فى شخص رئيسه الأستاذ محمود محمد طه"⁽¹⁾. فى يوم الاثنين 7 يناير 1985 قُدم الأستاذ محمود وأربعة من تلاميذه للمحاكمة أمام محكمة الطوارئ، برئاسة حسن إبراهيم المهلاوى. فأعلن الأستاذ محمود محمد طه رفضه التعاون مع المحكمة، بكلمة خالدة وآبدة، ورد نصها فى الفصل الثانى من هذا الكتاب، واضعاً المحكمة، والقانون الذى تحاكم به، والسلطة التى تأتمر بأمرها فى موضعها الصحيح من أنها مجرد أدوات لقمع الشعب وإسكات صوت الأحرار من أبنائه. فى يوم الثلاثاء 8 يناير 1985 أصدرت المحكمة المهزلة حكمها المعد سلفاً بالإعدام على الأستاذ محمود وتلاميذه الأربعة: عبداللطيف عمر حسب الله، ومحمد سالم بعشر، وتاج الدين عبدالرازق، وخالد حمزة.

الاغتيال!!!

ما كنت أعتقد لحظة أن محمود محمد طه قد وشى به بعض فقهاءنا الذين أجلبهم وأقْدَرهم وقد تتلمذت على فتاويهم رداً من الزمن فى العمل العام والحياة الخاصة إلى أن خاب ظنى فيهم بعد سماعى لخطبة الجمعة بمسجد النيلين⁽²⁾ بتاريخ 11 شوال 1405... لقد جاء فى خطبة الجمعة أن ثلثة من الفقهاء اجتمعت وتشاورت طواعية أو طمعاً مع عمر محمد الطيب⁽³⁾ فى أمر محمود محمد طه، وقد أصدرت هذه الثلثة فتوى أظنها سرية وغير دستورية فمنهم من هو غير سودانى ومنهم من هو غير مؤهل قانونياً بتكفير محمود قبل أشهر من تلفيق التهمة ضده⁽⁴⁾.

مختار عجوبة

- (1) عمر القراى، "محكمة الردة (1-3)، فى ذكرها المشؤومة الأربعين"، من موقع الفكرة الجمهورية، مقالات، استرجاع (Retrieved) 18 فبراير 2010، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org/article
- (2) يقع مسجد النيلين عند ملتقى النيلين الأبيض والأزرق على شاطئ مدينة أمدرمان الشرقى. افتتح المسجد فى 1984/12/2 فى عهد الرئيس نبرى.
- (3) كان نائباً لرئيس الجمهورية، ورئيساً لجهاز أمن الدولة حتى انتفاضة 6 أبريل عام 1985.
- (4) مختار عجوبة، مرجع سابق، ص 101-107.

والجريمة التي تمثلت في شق هذا الرجل المسن بهذه الطريقة البشعة... هي جريمة تقلص من قيمتنا، نحن المجتمعين في هذه القاعة ومن قيمة كل إنسان يوجد على وجه البسيطة⁽¹⁾.

سيريل ثاوسند، نائب في البرلمان البريطاني

وفي يوم 15 يناير 1985 أصدرت محكمة الاستئناف المزعومة برئاسة القاضي المكاشفى طه الكباشى حكمها المتوقع بتأييد حكم المحكمة المهزلة، بعد أن قامت بتحويل الحكم من إثارة الكراهية ضد الدولة، إلى اتهام بالردة، لتتضح ملامح المؤامرة أكثر. لقد استدعت المحكمة حكم محكمة الإستهناف الشرعية بالخرطوم 1968، واستشهدت به، كما استدعت الفتاوى الصادرة من الأزهر ومن المؤسسات الإسلامية واستشهدت بها. فقد جاء لاحقاً في إعلان المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية، بطلان الحكم في حق الأستاذ محمود من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف، إذ قالت المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية أن المحكمة في حكمها في يناير 1985 قد: "استشهدت بحكم محكمة الاستئناف الشرعية بالخرطوم الذي صدر في عام 1968 بإعلان ردة محمود محمد طه، واستعرضت بعضاً مما جاء في كتب صدرت عن الجمهوريين، وما صدر عن المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي من تأييد لحكم عام 1968، وما صدر عن مجمع البحوث الإسلامية بجمهورية مصر العربية من وصف لفكر محمود محمد طه "بالفكر الملحد" وخلصت محكمة الاستئناف الجنائية من كل ذلك إلى أنه "مما تقدم يتضح أن محمود محمد طه مرتد عن الدين ليس فقط ردة فكرية وإنما هو مرتد بالقول والفعل داعية إلى الكفر معارض لتحكيم كتاب الله... إلخ". ولعلنا لا نكون في حاجة إلى الاستطراد كثيراً في وصف هذا الحكم، فقد تجاوز كل قيم العدالة سواء ما كان منها موروثاً ومتعارفاً عليه، أو ما حرصت قوانين الإجراءات الجنائية المتعاقبة على النص عليه صراحة، أو انطوى عليه دستور 1973 الملغى رغم ما يحيط به من جدل.. إلخ"⁽²⁾.

(1) الإخوان الجمهوريون، ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود، أمدرمان، 1985، ص 33. ورد في المصدر أن هذا الحديث ورد ضمن جلسة لمجلس العموم البريطاني، بتاريخ 11 فبراير 1985. كما ورد أن بسيريل ثاوسند هو نائب البرلمان الممثل لحزب المحافظين ورئيس جمعية تعزيز التفاهم العربي - البريطاني.

(2) للاطلاع على التفاصيل أنظر: القضية نمرة م/ع/ق د/ 1406/2، أسماء محمود محمد طه وعبد اللطيف عمر حسب الله ضد حكومة جمهورية السودان، الموسوعة السودانية للأحكام والسوابق القانونية، مصدر سابق.

لم يكن مشهد المحاكمة عند الأحرار من المثقفين والمفكرين والمفكرات، كما هو عند الفقهاء والقضاة الشرعيين، فقد كتبت عطيات الأبندى من مصر، بعد أن شاهدت شريط فيديو المحاكمة، قائلة:

عندما شاهدت شريط الفيديو المنقول عليه محاكمة الأستاذ الشهيد محمود محمد طه المفكر السوداني الإسلامى الكبير سنأ ومقاماً، فزعت روحاً وعقلاً إن صح هذا التعبير، وأحسست أنى عشت ولمدة ثلاث ساعات متواصلة كابوساً بشعاً فى مشاهدة مسرحية من مسرحيات محاكم التفتيش التى كنا نقرأ عنها ونحن صغار السن، ولم أكن أتصور أنه من الممكن أن أشاهد محاكم التفتيش هذه حية هكذا وبأشخاص حقيقين قضاة ومخبرين ومحامين وجمهور مشاهدين وحجرة ضيقة غاية الضيق وقضبان مديبة ملتصقة بحايط بحيث يصعب أن يتحرك أى إنسان خلف هذه القضبان.... عندما خرج علينا قاضى محكمة الاستئناف المكاشفى طه الكباشى ويجواره وزير إعلام النظام السودانى فى عام 1985 وهو يتربع على شاشات التليفزيون السودانى لكى يقرأ مبررات حكم الإعدام على الأستاذ، وبمعنى أصح، لكى يحاكمه مرة أخرى بعد أن أعدموه. لقد أحسست من مشاهدتى للمحاكمة كيف أن القضاة والمخبرين والعساكر والضباط والمحامين - أحسست بهم - كأنهم هم داخل القفص لا هؤلاء المقدمين للمحاكمة، أحسست أيضاً تجاه هذا الرجل المدعو قاضى محكمة الاستئناف بأنه الخائف المذعور رغم كاميرات التلفزيون وعساكر السلطة التى تحيط به⁽¹⁾.

ظلت كلمات الأستاذ محمود التى قالها فى قاعة المحكمة تلهم وتعلم معانى الجسارة والشموخ. كتب عبدالعظيم محمد أحمد قائلاً: "كلمة الأستاذ محمود محمد طه أمام محكمة المهلاوى مرافعة تاريخية سامقة جديرة بالتأمل وصفحة مليئة بالفكر والجسارة من صفحات نضال أبناء شعبنا فى سبيل مجتمع إنسانى.. الخزى والعار للجلادين والقتلة"⁽²⁾.

(1) عطيات الأبندى، "النص الكامل لمحاكمة وإعدام زعيم إسلامى فى السودان"، القاهرة، يناير 1994، ص 46.

(2) عبدالعظيم محمد أحمد، ضمن خط مريم بنت الحسين: "كلمة الأستاذ محمود محمد طه أمام محكمة المهلاوى"، من موقع سودانيز أولاين، استرجاع (Retrieved) 25 أكتوبر 2005، الموقع على الإنترنت:

www.sudaneseonline.com

لم يقف الأمر عند ابتداع تهمة الردة التي لم تكن موجودة فى قانون العقوبات آنذ، وإنما استحدثت إجراءات لا علاقة لها بالقانون، سميت بالاستتابة. يقول عبدالله الأمين⁽¹⁾ إنه قُدم للمحاكمة، مع أربعة من تلاميذه، أمام محكمة جنايات أمدرمان التي كانت واحدة من محاكم (العدالة الناجزة) فى ذلك الوقت.. وقد كانت التهمة الموجهة للمتهمين أمام هذه المحكمة، هى المادة (96) من قانون العقوبات آنذاك (إثارة الكراهية ضد الدولة) ولم تكن توجد بالقانون تهمة تسمى الردة.. وقد أدانتهم هذه المحكمة تحت المادة المذكورة (إثارة الكراهية ضد الدولة) وحكمت عليهم بالإعدام، ثم أضافت إلى الحكم ما أسمته بإعطائهم حق التوبة إلى ما قبل تنفيذ الحكم، مما لم يكن له أى سند فى القانون، ثم رفع الحكم تلقائياً إلى محكمة استئناف (العدالة الناجزة) التي أضافت ما أسمته بتهمة الردة، رغم عدم وجود مثل هذه التهمة فى القانون آنذاك، وأيدت الحكم بالإعدام، وأضافت إليه أحكاماً اختلقتها، لا سند لها فى أى قانون أو عرف، مثل مصادرة كتبه، وعدم الصلاة على جثمانه، وعدم دفنه فى مقابر المسلمين، إلى آخر هذه الغرائب اللاإنسانية.. وأيضاً سعت محكمة الاستئناف المذكورة إلى محاولة تشويه فكر الأستاذ محمود من خلال حيثيات حكمها المذكور، والتي أذيعت على الناس من خلال أجهزة الإعلام، وقد كانت هذه الحيثيات ظاهرة التحامل والتأمر، وتفتقر إلى أبسط مقومات العمل القضائي، كما سنرى، ثم رفع الحكم مباشرة إلى رئيس الجمهورية الأسبق المخلوع، دون أن يمر على المحكمة العليا (لأنها كانت خارج نطاق محاكم العدالة الناجزة) فقام الرئيس المخلوع بتأييد الإدانة بالردة، والعقوبة بالإعدام، وما أضيف إليها من عقوبات مما سلف ذكره، فى بيان سياسى ركيك ومتحامل، بثّ أيضاً من خلال الإذاعة والتلفزيون.. وبعد ذلك، وبتاريخ 18 يناير 1985، تم تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود وحده، بينما ألغى فى حق تلاميذه الأربعة، من خلال إجراءات مستحدثة، لا علاقة لها بالقانون، سميت بالاستتابة⁽²⁾.

(1) قانونى وهو أحد تلاميذ الأستاذ محمود.

(2) عبدالله الأمين، 'حيثيات حكم المحكمة العليا الصادر عام 1986 فى قضية الأستاذ محمود محمد طه!!'، من

موقع الفكرة الجمهورية، مقالات، استرجاع (Retrieved) 26 يناير 2010، الموقع على الإنترنت:

www.alfikra.org/article

الاستتابة والانحدار إلى درك العصور الوسطى

جلسة الاستتابة التي أخرجها فقهاء سبتمبر كانت تمثيلية فاشلة لم تقنع حتى الذين طبخوها بلبيل. وقد بدأت المسرحية بإحضار الإخوة الجمهوريين وإجبارهم على مشاهدة عملية إعدام الأستاذ محمود محمود طه لإرهابهم والضغط عليهم. وقبل أن يختفى أثر المشهد القاسي من نفوسهم أجبروا بحل هذه الجلسة التي أرادوا لها أن تكون مغلقة.. ولكن إرادة الله فضحتهم وقد سجلت أجهزة الإعلام الجلسة التي أذيعت على الهواء ونشر نص الحوار غير العادل وكل ما فيه من ضغوط وتهديد⁽¹⁾.

طلحة الشفييع

تم إلغاء حكم الإعدام في حق تلاميذ الأستاذ محمود الأربعة بإجراءات مستحدثة، كما يقول القانوني عبدالله الأمين، لا علاقة لها بالقانون، سميت بالاستتابة. وسم المؤرخ محمد سعيد القدال هذه الاستتابة بمحكمة الاستتابة. يقول القدال: "وانتدبت مجموعة من العلماء وكونوا محكمة الاستتابة لمناقشة بقية الأربعة المحكوم عليهم بالإعدام. وكانوا قد اقتيدوا إلى ساحة السجن وشاهدوا إعدام محمود. وتكونت المحكمة من المكاشفي وحاج نور وسر الختم ماجد ومعهم من العلماء: عبد الجبار المبارك، حسن أحمد حامد، عبدالرحمن دفع الله، صديق عمر الإمام"⁽²⁾. ويضيف القدال: "وأعلنت المحكمة أن الإسلام يفتح بابه واسعاً للتوبة. وبدأت مناقشة المحكومين في أحد مكاتب السجن العمومي وهم بملابس الإعدام". ويسترسل المؤرخ القدال يصور في المهزلة والعبث ويراقب الانحدار إلى درك العصور الوسطى بحسنة التاريخي الذي يدرك بأن المواقف ستبعث من جديد، يقول القدال: "وكانت جلسة مفتوحة بثتها أجهزة الإعلام، انحدر فيها القضاة إلى درك العصور الوسطى. واعترف الرجال الأربعة بكذبهم وردتهم وأعلنوا توبتهم وعودتهم إلى حظيرة الدين الإسلامي. وتحدثت جريدة الأيام في كلمتها عن سماحة الإسلام وديمقراطيته وارتفاع رايات الحرية بين المحكومين والعلماء"⁽³⁾.

(1) طلحة الشفييع، "مشاهد لم تعرض عليكم من مسرحية الإستتابة"، صحيفة الصحافة، العدد: 8098، 1985/6/29.

(2) محمد سعيد القدال، الإسلام والسياسة في السودان (1961-1985)، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 227-228.

(3) المرجع السابق، ص 228.

كان مشهد الاستتابة كما صورته الصحفية الأمريكية جوديث ميلر، مراسلة صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية، والتي شهدت تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، وقد أوردت شهادتها على تنفيذ الإعدام ضمن شهادات آخرين في الفصل التالي. كتبت جوديث ميلر عن مشهد الاستتابة، واستميت القارىء عذراً في إيراد شهادتها كاملة برغم طولها، لأهميتها التاريخية، كتبت قائلة⁽¹⁾:

فى صبيحة اليوم التالى، زرت وصديقى ديفيد بلندى، من صحيفة صنداي اللندنية، زرنا معاً محمد عمر بشير (لا علاقة له بالإسلامى الحاكم عمر البشير)، ويعد بشير من المفكرين المعروفين ويقوم بتدريس العلوم السياسية فى جامعة الخرطوم بجانب كونه ناشطاً فى حقوق الإنسان. كنا جلوساً فى مظلة حديقة، من النوع الذى اعتاد مشقفو شمال السودان على قضاء أوقاتهم فيها يتجاذبون أطراف الحديث حول شؤون وأمور بلدهم. كان م. ع. ب، كما هو الاسم المتداول لدى المراسلين، مكتئباً. قطع خادمه علينا استرسالنا فى نقاشنا هامساً لمضيفنا بشيء فى أذنه. فجأة قفز بشير ودلف بنا الى غرفة كبيرة، معتمة أغلقت نوافذها جيداً من شمس الشتاء الساطعة. أدار المروحة وشغل تلفزيوناً عتيقاً من النوع الأبيض وأسود. ظلت كاميرا التلفزيون مركزة على غرفة صغيرة تبدو وكأنها سجن. تماثل الغرفة مقهى غير مرتب وقد بدت على مناضد، مغطاة بملاء بلاستيكية، أكواب شاي نصف فارغة وثمة ذباب متجول بينها.

أدخل أربعة رجال فى جلابيب ممزقة، واحدا تلو الآخر، الى غرفة كاشفة الأضواء. كان كل من الأربعة يحمل فى يديه جنازير تقيد رجله. تذكرت مسيح سودان القرن التاسع عشر، المهدي وخليفته وقد قيذا معتقليهما بذات الجنازير. تنهد بشير لرؤيا رجال يعرفهم وتبادلت وبلندى نظرات حيرى. جلس ستة "قضاة" مسلمون حول الطاولة، يلبس اثنان

(1) Judith Miller, *God Has Ninety-Nine Names: Reporting From A Militant Middle East*, Simon & Schuster, New York, 1996, pp 138-141.

شهدت جوديث ميلر تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى كوبر، وأودعت شهادتها فى كتابها الذى صدر باللغة الإنجليزية أعلاه.

قام بترجمة هذه الشهادة عبدالله عثمان، والذى اختار لترجمة عنوان (فقط العنوان) كتاب جوديث ميلر إلى اللغة العربية جملة: للإله 99 اسماً.

منهما نظارات شمسية عاكسة للضوء. أرسل هؤلاء القضاة لث الأربعة رجال المرتدين - من أتباع طه من الإخوان الجمهوريين - على التوبة، وقد اختار الرجال التوبة عوضاً عن الموت الذي كان مجدولاً له صبيحة اليوم التالي. كانت جريمتهم أنهم وزعوا منشوراً ضد تنفيذ قوانين غيرى الإسلامية. على الهواء مباشرة، طلب القضاة من كل واحد من الرجال الأربعة أن يوقع اعترافاً بأنه قد ضل "سواء سبيل" الإسلام. بعد توقيعهم طلب منهم القضاة أن يعلنوا، على الهواء مباشرة، كون زعيمهم السابق مرتداً. تردد أحد الرجال الأربعة في ذلك. قال، والدموع تلتصق في عينيه، أنه خدم مع طه لثلاثين عاماً. كان على استعداد ليعترف بكونه خاطئاً وأنه سيظل مسلماً ملتزماً ولكنه لا يمكن أن يتبرأ من صديقه. حدّق فيه القضاة صامتين. أخيراً، مدّ قاض ذا نظارات شمسية وعمامة ناصعة البياض، مدّ أصبعه متهدداً إياه بالتبرؤ عن طه "حالا" أو يقاد الى المقصلة من توه. بعد لحظات انهيار المدان ووسط بكائه أقتيد لخارج الغرفة. بعدها استند ذلك القاضى الذى قام بتلك البلطجة إلى كرسيه مبتسماً إلى الكاميرا. اسم ذلك القاضى حاج نور وهو، كما قال لنا بشير، رجل متطرف فى قسوته... هؤلاء هم "أعمدة المجتمع" قال بشير بمرارة، الذين حكموا على طه بالموت وأقاموا هذه الإستابة التى شهدناها لتونا. بعد أقل من عقد من الزمان، سيظهر حاج نور تحت مظلة جبهة الترابى الإسلامية الحاكمة إماماً لمسجد جامعة الخرطوم حيث يصلى الترابى، البشير وزعماء "الجبهة" كما يطلق على تنظيم الجبهة القومية الإسلامية، صلاة الجمعة وهو المكان الذى يتلقى فيه الطلاب المنضوون تحت ذلك التيار.

قام مضيفنا باغلاق الجهاز. بينما كان إعدام طه علنياً، كان التقاط الصور ممنوعاً، وعلى العكس من ذلك، فقد كانت الاستتابة المذاعة قد بثت مراراً. "لو أراد فيلبنى أن يصور محكمة عصور وسطى حديثة فإنه لن يجد مثالا خيراً من هذا" قال بشير. "ما رأيتموه الساعة لا علاقة له البتة بالإسلام" أرعد بشير. "بمقدور غيرى ممارسة القطع والجلد والإعدام والصلب حتى يوم الدين، ولكن تظل الحقيقة أن ليس بمقدوره إقامة نظام إسلامى". بشير الذى كان سفيراً متجولاً لفترة قصيرة لنميرى، الآن يكره هذا الرجل. "لقد عمد غيرى الى هذا لإظهار سطوته وأنه لا يزال ممسكاً زمام القيادة ولذلك يخاف الناس منه ويطاع، ولكن مثل هذه الأفعال المذلة لا تشبه السودانيين وهذه بداية النهاية لنميرى."

ختمت جوديث ميلر بآخر مقابلة لها مع نميري، فكتبت قائلة سألته: لماذا قتلت محمود محمد طه؟ سألت النميري، منتقلة بذلك لمنطقة غير مريحة له. أجاب النميري: "أنتم تسمونه معتدلاً، ولكنه ليس كذلك" مفضلاً ألا يفصح أكثر. "القرآن يأمر بالقتل حداً للردة، وليس للرؤساء أو الملوك والسلاطين تغيير ذلك". غرق النميري في كرسيه وفي الصمت ثم عمد إلى منديل ليمسح جبينه. من الواضح أنه قد تناسى تماماً وجودى أخذاً في العبث، وكأنه مغيب الوعي، في تجاعيد شعره. وجهه، الذي كان نابضاً بالحياة لحظات خلود، كأنما مات فجأة وأنتفخ خداه متهدداً مشيراً إلى يده للمغادرة. كانت تلك آخر مقابلة لى للرئيس نميري".

يقول عبدالله الأمين وعقب انتفاضة أبريل، وإبان الحكم الانتقالي، حيث ألغيت تلك المحاكم المشؤومة (محاكم العدالة الناجزة) تقدمت ابنة الأستاذ الشهيد، وأحد تلاميذه، بعريضة إلى المحكمة العليا، فى دعوى حماية حق دستورى، مطالبين بإبطال حكم الإعدام، وكافة الأحكام اللا إنسانية التى أضيفت إليه، وإزالة ما ترتب على ذلك من أوضاع، وتبرئة ساحة القضاء السودانى من ذلك العمل السياسى الإجرامى المشين⁽¹⁾. وقد تم نقض الحكم وإبطاله⁽²⁾.

نقض الحكم وإبطاله من قبل المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية

لاشك أن جريمة اغتيال الأستاذ محمود محمد طه أدت إلى دفعة كبيرة للقوى المعارضة للنظام المايوى،... والموقف البطولى للأستاذ محمود محمد طه أعطى

(1) عبدالله الأمين، مرجع سابق.

(2) من المهم الإشارة إلى أن هناك اثنين من تلاميذ الأستاذ محمود فضلاً البقاء فى السجن على توقيع تعهد كانت السلطات الأمنية قد طالبتهم مع آخرين على التوقيع عليه، فبقيا حتى أخرجتهم الجماهير يوم ثورة 6 ابريل 1985. كان التعهد يتضمن بنوداً تلزمهم بما يتناقض مع قناعاتهم ومعتقداتهم. والاثان هما: الباقر الفضل الأمين الذى انتقل إلى الرفيق الأعلى مساء يوم 18 يناير 1997، ومصطفى محمد صالح. فقد ظلا فى سجن كوبر حتى أخرجتهم الجماهير الثائرة فى السادس من إبريل 1985. كانت الجماهير الثائرة قد اقتحمت سجن كوبر بعد أن فتحت أبواب الجزء المخصص للمسجونين السياسيين. دخلت الجماهير ساحة السجن، وأخرجت المعتقلين السياسيين بعد أن خطب فيهم داخل ساحة السجن أحد السجناء السياسيين وهو الشاعر محبوب شريف. المصدر: مقابلة مع مصطفى محمد صالح، تمت المقابلة عبر الهاتف، مصطفى بمدينة عطبرة بالسودان والمؤلف بمدينة القاهرة، 26 يوليو، 2013، الساعة 21:30.

الناس جميعاً في السودان زاداً في الصمود البطولي والجسارة لمقاومة السلطة⁽¹⁾.

عدلان الحار دلو

فى يوم 18/11/1986، وبعد عشرة أشهر من تنفيذ حكم الإعدام، وبعد ثمانية عشر عاماً من حكم الردة الأول الذى كان فى يوم 18/11/1968، أعلنت المحكمة العليا - الدائرة الدستورية، بطلان الحكم فى حق الأستاذ محمود من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف⁽²⁾. كما أعلنت كذلك بطلان الحكم الصادر فى حق المدعى الثانى، الأستاذ عبداللطيف عمر حسب الله، من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف. كانت غمرة القضية هى: م/ع/ق/د/1406هـ وكان القضاة هم: محمد ميرغنى مبروك، رئيس القضاء، رئيساً، هنرى رياض سكلا، قاضى المحكمة العليا، عضواً، فاروق أحمد إبراهيم، قاضى المحكمة العليا، عضواً، حنفى إبراهيم أحمد، قاضى المحكمة العليا، عضواً، زكى عبد الرحمن، قاضى المحكمة العليا، عضواً، محمد حمزة الصديق، قاضى المحكمة العليا، عضواً، محمد عبد الرحيم، قاضى المحكمة العليا، عضواً⁽³⁾. وكان المحامون:

1- هيئة الادعاء: الأستاذ طه إبراهيم، والأستاذ عابدين إسماعيل.

عن المدعين: الأستاذ عبد الله الحسن، الأستاذ محمود حاج الشيخ، الأستاذ جريس أسعد جريس، الأستاذ بيتر نيوت كوك. وكان هناك أيضاً أمين مكى مدنى.

2- هيئة الدفاع: النائب العام (شارلس كير دينق) عن المدعى عليها.

جاء من ضمن حيثيات حكم المحكمة العليا، الدائرة الدستورية بشأن الحكم الصادر من محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم فى حق محمود محمد طه وتلاميذه بتاريخ 15/1/1985، (يمكن الاطلاع على حيثيات حكم المحكمة العليا فى المصادر المشار إليها فى الهوامش)، جاء فيما يتعلق ببطلان الحكم⁽⁴⁾: "وحيث أن المسائل التى أثارها هذه الدعوى ما لم يكن من المتاح

(1) أحمد مصطفى الحسين، "المثقفون: الصديقية واللهية والأستاذ محمود محمد طه"، من موقع سودانيل، استرجاع (Retrieved) يوم 4/6/2010، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

(2) للاطلاع على التفاصيل أنظر: القضية غمرة م/ع/ق/د/1406، أسماء محمود محمد طه وعبداللطيف عمر حسب الله ضد حكومة جمهورية السودان، الموسوعة السودانية للأحكام والسوابق القانونية، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

التصدي له فى إطار قواعد الإجراءات السارية حالياً لا من خلال دعوى دستورية ودون أن يكون فى ذلك ما يخل بمبدأ حجية الأحكام فيما تتوفر له شروط تطبيق ذلك المبدأ فإن هذه الدائرة تقرر، تأسيساً على ما تقدم بيانه، أن الحكم الصادر من محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم فى حق محمود محمد طه ورفاقه بتاريخ 1985/1/15 صدر بإهدار حقوقهم التى كانت تكفلها لهم المواد (64) و (70) و (71) من دستور السودان لسنة 1973 الملغى.. أما ما ترتب على ذلك من أحكام بالإعدام فقد ألغيت فى مواجهة جميع المحكوم عليهم فيما عدا والد المدعية الأولى، ورغم ما شابتها من مخالفات للقانون وللدستور، فقد أصبحت حقائق فى ذمة التاريخ، تقع المسؤولية عنها سياسية فى المقام الأول، ولم يعد من الممكن استدراك كثير من النتائج التى ترتبت على كل ذلك، إلا مابقى منها دون نفاذ، كما لم يعد من المتاح النظر إلى الوراء إلا لأغراض العظة والعبرة، فلم يعد من الميسور بعث حياة وثدت مهما بلغت جسامه الأخطاء التى أدت إلى ذلك، كما أصبح من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - العثور على جثمان أخفى بترتيب دقيق.. بيد أنه يبقى أمر جوهري هو أن للمدعين حقاً فى الحصول على إعلان بالحقائق المتعلقة بهذه المحاكمة التاريخية، وإن كان على ذلك الحق من قيد فإنه إنما ينشأ من طبيعة الإجراءات القضائية عموماً، وما تقوم عليه هذه الإجراءات، وعلى وجه الخصوص فى مثل هذه الدعوى، من شكل هو بدوره محدد، فى طبيعته، وفى خصومه، وما يصلح محلاً للتنفيذ فى ضوء ذلك كله.

وعلى هدى من ذلك تقرر هذه الدائرة ما يلى :

1- إعلان بطلان الحكم الصادر فى حق المواطنين محمود محمد طه والمدعى الثانى فى هذه الدعوى من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف.

2- إلزام المدعين برسوم وأتعاب المحاماة فى هذه الدعوى.

محمد ميرغنى مبروك، رئيس القضاء ورئيس الدائرة الدستورية

فاروق أحمد إبراهيم، قاضى المحكمة العليا وعضو الدائرة الدستورية

زكى عبد الرحمن، قاضى المحكمة العليا وعضو الدائرة الدستورية

محمد حمزة الصديق، قاضى المحكمة العليا وعضو الدائرة الدستورية

كتب الإخوان الجمهوريون فى كتاب أصدره فى نفس الشهر الذى أصدرت فيه

المحكمة العليا - الدائرة الدستورية بطلان الحكم، كتبوا قائلين: "إن قيمة الحكم بطلان حكم الردة المزعوم لا تكمن في تبرئة ساحة الأستاذ محمود، وإنما تكمن هذه القيمة في ارتفاع القضاء السوداني إلى قامته التي نبغيها له.. أما إسلام الأستاذ محمود ففوق الشبهات، ويقينه بالإسلام هو يقين تام لا ريب فيه، كما أن ثقته في الشعب السوداني لا تحدها حدود"⁽¹⁾. وأضافوا قائلين: "إن المحكمة العليا لم تواجه الحكم الباطل الذي أصدره قضاة نميري، وحسب، وإنما واجهت القضية في جذورها، فقررت في حيثياتها بطلان حكم ما سمي بالمحكمة الشرعية العليا، تلك المحكمة المهزلة التي انعقدت في 1968/11/18 لتصدر غيابياً وفي مدى ثلث ساعة من التداول، ما سمي بحكم الردة بحق الأستاذ محمود والجمهوريين. وقد باشرت المحكمة العليا، الدائرة الدستورية اليوم حقها، بل واجبها، في حماية الحقوق الأساسية، وهذه بحق أولى الخطوات الجادة، والثمار الحقيقية التي قامت من أجلها ثورة الشعب في مارس، أبريل 1985"⁽²⁾.

التحالف الإسلامي وغياب الورع العلمي واستمرار التشويه

الندوة العالمية للشباب الإسلامي⁽³⁾ نموذجاً

إن ما جعل إعدام الأستاذ محمود محمد طه ممكناً في بلد إسلامي وفي الربع الأخير من القرن العشرين هو افتراض أن من يملك سلطة التفسير الديني

(1) الإخوان الجمهوريون، حيثيات المحكمة العليا في قضية الأستاذ محمود محمد طه: انتصار للحق، ودحض للحكم المهزلة، مصدر سابق، ص 1.

(2) المصدر السابق.

(3) جاء في المادة الأولى من النظام الأساسي للندوة العالمية للشباب الإسلامي أن "الندوة العالمية للشباب الإسلامي، هيئة إسلامية عالمية مستقلة، وملتقى إسلامي يدعم جهود العاملين في مؤسسات الشباب الإسلامي في العالم وجمعياتهم وهيئاتهم". ونصت المادة الثانية على أن: "مقر الندوة العالمية للشباب الإسلامي مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، ولها عدة فروع ومكاتب داخل المملكة العربية السعودية وخارجها". ونصت المادة الثالثة أن الندوة العالمية للشباب الإسلامي تسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية: خدمة الدعوة إلى الإسلام، عقيدة وشريعة وسلوكاً اجتماعياً بين الشباب المسلم في العالم، وترسيخ الاعتزاز بالإسلام لدى الشباب المسلم، ومن خلال التأكيد على سمو النظام الاجتماعي الإسلامي، وأهمية التزام الشباب بالتعاليم الإسلامية في حياتهم الفردية والاجتماعية، تبيين العقيدة الإسلامية الصحيحة التي يجب على المسلمين =

يملك في نفس الوقت حق إعدام من يختلفون معه في الرأي والاعتقاد. وهذه ممارسة كانت سائدة في الماضي إلا أنها لم تعد مقبولة في عصرنا هذا⁽¹⁾.

محمد أحمد محمود

تبع تنفيذ حكم الإعدام نشاطات واسعة من قبل التحالف الإسلامي ومؤسساته. هدفت تلك النشاطات إلى تشويه مشروع الأستاذ محمود والتضليل في سيرته. فقد تحدثت في الفصول السابقة عن مكونات التحالف الإسلامي الذي واجهه الأستاذ محمود، ودور مؤسسات ذلك التحالف والقائمين عليها في محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، وفي تشويه مشروعه قبل تنفيذ حكم الإعدام عام 1985. أما بعد تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فقد ظل ذلك التحالف الإسلامي ومؤسساته يقوم بالتشويه والتضليل، ولم تتوقف تلك الجهود إن لم تكن قد زادت. والنماذج على ذلك عديدة، بيد أنني ونسبة لضيق المساحة أقف عند نموذج واحد من نماذج التشويه لسيرة الأستاذ محمود ومشروعه. وهو نموذج الندوة العالمية للشباب الإسلامي. أصدرت الندوة العالمية للشباب الإسلامي الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة⁽²⁾. تضمنت الموسوعة تحت عنوان: "الحزب الجمهوري في السودان"، تعريفاً بالحزب وحديثاً عن الأستاذ محمود محمد طه، مؤسس ورئيس الحزب، من خلال المحاور التالية: "التأسيس وأبرز الشخصيات"،

= أن يلتزموا بها وفقاً لما في كتاب الله الكريم وسنة نبيه وما جرى عليه سلف الأمة الصالح. العمل على تعميق الثقافة الإسلامية لدى الشباب المسلم والحفاظ على أسباب الوحدة التي تجمعهم وفقاً للكتاب والسنة، وتوضيح رسالة الشباب المسلم في بناء المجتمع الإسلامي ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، والسعي إلى إزالة أسباب التخلف والفرقة والجمود في المجتمعات الإسلامية، ودعم الهيئات والجمعيات العلمية والثقافية والمهنية الخاصة بالشباب والطلاب المسلمين، ورعايتهم في جميع أنحاء العالم، ومساعدتها في تنفيذ المشروعات التي تحقق أهداف الندوة، والتعاون والتنسيق مع المؤسسات والهيئات التي تعمل في خدمة الشباب والطلاب المسلمين في العالم، والاهتمام بالطلاب المسلمين النابهين، ورعايتهم مادياً وثقافياً. المصدر: "من نحن، الهوية والتأسيس"، من موقع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/3/17، الموقع على الإنترنت: <http://www.wamy.org>

(1) محمد أحمد محمود، "في ذكرى الأستاذ محمود محمد طه، حرية الفكر: بين السياق الإسلامي والسياق المعاصر"، محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السوداني (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992، ص 67-68.

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط2، 1989، ص 183-190.

و"الأفكار والمعتقدات"، و"الجذور الفكرية والعقائدية"، و"الانتشار ومواقع النفوذ" ثم "مراجع للتوسع".

لقد اشتمل التعريف بالأستاذ محمود ومشروعه في موسوعة الندوة العالمية للشباب الإسلامى على الكثير من التشويه والتضليل فى الحقائق. الأمر الذى يكشف عن خصومة فاجرة إلى جانب الجهل بالشروط العلمية، ورسوب فى الالتزام بها وبالأخلاق، خاصة فى الأعمال العلمية، مثل اصدار موسوعة فى الأديان. إن فضيلة الصدق فى الخصومة، ما ينبغى لها أن تهجر الدوائر الإسلامية، إن كانت الدوائر فعلاً إسلامية. كما أن الالتزام الأخلاقى واستيفاء شروط الصدق والورع العلمى ما ينبغى لها أن تهجر الأعمال العلمية الإسلامية، فالأعمال العلمية الإسلامية أحق بهذه القيم والفضائل، ذلك لأن الإسلام يدعو لها، وظلت الدوائر الإسلامية تتباهى نظرياً بذلك. وحق لها التباهى، بيد أن التباهى بلا استحقاق والتزام بالقيم الإسلامية، ضلال وتضليل. فالأعمال العلمية هى أهم آليات وأدوات تقديم الخدمة التنويرية وتنمية الوعى وترفع الحس الإنسانى، الأمر الذى يتطلب لنشرها التزام المسؤولية والأخلاق. أقف هنا على بعض التشويه والمغالطة للحقائق من ما ورد فى الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة:

أولاً: جاء فى التعريف "هو حزب سودانى يدعو مؤسسه محمود محمد طه إلى قيام حكومة فدرالية ديمقراطية اشتراكية تحكم بالشريعة الإنسانية، ومبادئ الحزب مزيج من الأفكار والفلسفات المختلفة مع شىء من الغموض والتعقيد المقصود بغية إخفاء كثير من الحقائق أولاً. ولجذب أنظار المثقفين ثانياً"⁽¹⁾. ينطوى هذا النص على الكثير من المغالطات التى لا تتسق والأسس العلمية لنشر موسوعة للأديان. فقد تحدث التعريف عن الغموض والتعقيد المقصود، ولم يقدم غامضاً لذلك. كما أشار النص قائلاً: "بغية إخفاء كثير من الحقائق أولاً"، هنا مغالطة تكذبها الحقائق والوقائع، فالحزب الجمهورى من أكثر الأحزاب السودانية نشرأ لأدبياته وأفكاره ووسائله... إلخ منذ نشأته عام 1945، وقد وردت الإشارة لذلك بتوسع فى الفصول السابقة من هذا الكتاب. ثم ورد فى النص "لجذب أنظار المثقفين ثانياً"، هنا سذاجة لا تستحق التفصيل.

(1) المرجع السابق، ص 183.

ثانياً: جاء محور فى أحد محاور التعريف بالحزب الجمهورى، بعنوان: "مراجع للتوسع". (ينبغى لفت انتباه القارئ العزيز إلى أن المراجع فى الموسوعة التى نحن بصدددها لم تكتب بالطريقة العلمية، وأن عناوين الكتب لم تكن مكتملة، كان المرجع الأول هو كتاب: محمود محمد طه، أسس دستور السودان. ثم جاء التعليق التالى إلى جنبه - المؤلف): "وهو كتاب نادر الوجود إذ يعملون على إخفائه من الأسواق"⁽¹⁾. هذا حديث لا يجد له سند، فالكتاب طبع أكثر من مرة. وهو من الكتب التى تواجه أى نوع من أنواع الرفض أو المعارضة، بل ظل الكتاب موضع احتفاء عند الكثير من المثقفين السودانيين. وليس فيه ما يدعو لإخفائه. جاء فى مقدمة الطبعة الثانية منه والتى كانت فى نوفمبر عام 1968: "أسس دستور السودان" خرجت طبعته الأولى للناس فى ديسمبر من عام 1955، وظهرت الحاجة اليوم إلى إعادة طبعه فلم نجد شيئاً نحذفه منه، ولم نجد ضرورة لإضافة شئ عليه، فأخرجناه من هذا الاعتبار، على ما عليه كان أول عهده بالخروج..."⁽²⁾.

ثالثاً: التدخل بجمل اعتراضيه فى النص من أجل الشرح والتفسير المخالف لما صرح به كاتب النص، مثلاً: تقول الموسوعة فى الحديث عن أفكار ومعتقدات الجمهوريين، "وقد حدد زعيمهم الأهداف التى يسعون إليها بما يلى: ثم تورد الموسوعة الهدف رقم: (1) والهدف رقم (2) أما عن الهدف رقم (3) فتقول الموسوعة: 3. محاربة الخوف. "والخوف من حيث هو الأب الشرعى الأخلاق لكل آفات ومعاييب السلوك (ويعنى هنا مخافة الله) ولن تتم ولن تتم كمالات الرجولة للرجل وهو خائف، ولا تتم كمالات الأنوثة للأنثى وهى خائفة، فى أى مستوى من الخوف، وفى أى لون من ألوانه، فالكمال فى السلامة من الخوف" .. فعبارة (ويعنى هنا مخافة الله) إضافة جاءت بها الموسوعة، وهى لا تتسق مع المعنى ولم يقل بها كاتب النص. فهذه عبارة تضلل القارئ وتشوه النص وتقود إلى معنى لم يرم إليه كاتب النص ولم يقل به. كما أن النص الذى أوردته الموسوعة جاء مبتوراً فى بداية حيث إن الصواب هو: "والخوف من حيث هو، هو الأب الشرعى لكل آفات ومعاييب السلوك"⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، ص 190.

(2) محمود محمد طه، أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، مصدر سابق، ص 5.

(3) محمود محمد طه، الرسالة الثانية من الإسلام، ط3، مصدر سابق، ص 71.

رابعاً: فضمن محور "الأفكار والمعتقدات" تقول الموسوعة: "الدين - في نظره - هو الصدا والدنس وذلك كله كان بسبب الكبت الذي جرى منذ نشأة المجتمع البشرى والذي لا يزال يجرى... إلخ"⁽¹⁾. هنا مفارقة للأسس العلمية وترسيخ للخرافة والأسطورة. فالموسوعة لم تقدم شاهداً أو دليلاً على أن الدين في نظر الأستاذ محمود هو الصدا والدنس. وهذا حديث غير علمي لذا فهو لا يستحق الوقوف عنده.

خامساً: بتر النصوص وحذف الكلمات واستبدالها من ما يؤدي لتغيير المعنى وتشويه النص. نموذج أول: في محور "الأفكار والمعتقدات" أوردت الموسوعة نصاً للأستاذ محمود، بعد أن بترته فتغير المعنى. تقول الموسوعة:

الشهادتان: يقول زعيمهم في كتابه الرسالة الثانية ص 164-165: "فهو حين يدخل من مدخل شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله يجاهد ليرقى بإتقان هذا التقليد حتى يرقى بشهادة التوحيد إلى مرتبة يتخلى فيها عن الشهادة، ولا يرى إلا أن الشاهد هو المشهود، وعندئذ يقف على الاعتبار، ويخاطب كفاحاً، بغير حجاب قل الله ثم ذرهم في خوض يلعبون"⁽²⁾.

يتكون هذا النص والذي أوردته الموسوعة من (52) كلمة، بينما النص الصحيح للأستاذ محمود يتكون من (86) كلمة. لقد حذفت الموسوعة (34) كلمة من نص الأستاذ محمود. فالنص الصحيح كما ورد في كتاب الأستاذ محمود يقول:

فهو حين يدخل من مدخل شهادة "ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله" يجاهد ليرقى بإتقان تقليد المعصوم إلى مرتبة "فاعلم أنه لا إله إلا الله ثم يجاهد بإتقان هذا التقليد حتى يرقى بشهادة التوحيد إلى مرتبة يتخلى فيها عن الشهادة، ولا يرى إلا أن الشاهد هو المشهود، ويطلع بقوله تعالى "شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، وأولو العلم، قائماً بالقسط، لا إله إلا هو، العزيز الحكيم" وعندئذ يقف على الاعتبار، ويخاطب كفاحاً، بغير حجاب "قل الله! ثم ذرهم في خوض يلعبون".

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، المرجع السابق، ص 185.

(2) المرجع السابق، ص 186.

إن كل الكلمات التي تحتها خط هي محذوفة من النص الذي أوردته الموسوعة. وبهذا الحذف تغير المعنى، ولا أحسب أنه حذف نتج عن سهو أو خطأ وإنما حذف مقصود.

نموذج ثانى: جاء فى الموسوعة، دون الإشارة لمصدر النص:

يقول محمود طه عن القرآن الكريم:

"القرآن موسيقى علوية، فهو يعلمك كل شىء، ولا يعلمك شيئاً بعينه.. هو ينبه قوى الإحساس، ويشحذ أدوات الحس ثم هو يخلى بينك وبين عالم المادة لتدركه على أسلوبك الخاص، هذا هو القرآن..

بينما كان النص الصحيح للأستاذ محمود يقول:

إن القرآن، فى حقيقته الأزلية، موسيقى علوية، فهو يعلمك كل شىء، ولا يعلمك شيئاً بعينه.. هو ينبه قوى الإدراك، ويشحذ أدوات الحس فى جميع وجودك، ثم هو يخلى بينك وبين عالم المادة لتدركه على أسلوبك، ولتكون منه لنفسك أنموذجاً تتأثر به فى حياتك اليومية، بإزاء الناس، والأشياء.. هذا هو القرآن.. وهو، بهذه الصفة الخالدة، لا يخضع للتطور، وإنما إليه ينتهى تطور كل متطور⁽¹⁾..

وبمقارنة النصين، نخرج بالآتى: يتكون النص الذى أوردته الموسوعة من (32) كلمة، بينما النص الصحيح يتكون من (63) كلمة. فقد تم حذف وبتير لبعض الكلمات، وهى الكلمات التى تحتها خط. كما أضيفت مفردة "الخاص"، واستبدلت مفردة "الإدراك" بالاحساس. هذا بالإضافة لغياب المصدر.

نموذج ثالث: جاء فى الموسوعة، دون الإشارة لمصدر النص:

يشير صاحب هذا المذهب إلى أن القرآن شعر ملتزم، وأن الذى نفاه القرآن إنما هو عدم الصدق وعدم الالتزام إذ يقول: (وما نفاه الله تعالى عن القرآن ليس كونه شعراً، وإنما نفى عنه ملابسات الشعر فى عدم الالتزام وعدم الصدق). ويقول بعد ذلك: (وأنت إذا جئت لدقائق القرآن فإنه الشعر).

(1) محمود محمد طه، "خطاب إلى المحامى العام فى الباكستان بشأن دستور الباكستان والقرآن"، الكتاب الأول من وسائل ومقالات، مصدر سابق، ص 39.

هنا نقل للنص بلا أمانة وبلا ورع علمي وبلا مسؤولية أخلاقية، فالنص كما ورد في كتاب الأستاذ محمود: **الإسلام والفنون**، يقول:

القرآن يشبه الشعر، وما هو بالشعر (وما علمناه الشعر، وما ينبغي له!!) وأنت إذا جيت لدقائق القرآن، فإنه الشعر!! وأكثر من الشعر.. ولكن ملاسبات الشعر في عدم الالتزام، وعدم الصدق، هي ما نفاهو الله عن القرآن⁽¹⁾.

والاختلاف بين نص الأستاذ محمود مقارنة بما ورد في الموسوعة، اختلاف كبير وواضح جداً، ولا يحتاج لتبيين.

الشاهد أن هذه مجرد نماذج فقط يمكن القياس عليها في دراسة مستوى التشويه والتضليل الناتج عن تغيير المعنى عبر الحذف والبت والتدخل في النص بالجميل الاعتراضية. فغيرها كثير سواء ما جاء في هذه الموسوعة والتي أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي أو ما جاء في كتب الفقهاء على النحو الذي تمت دراسته في الفصل الثاني من هذا الكتاب. ختمت الموسوعة تعريفها بإطلاقها نبوءة بشأن **الحزب الجمهوري**، الإخوان الجمهوريين، تقول الموسوعة: "ومن المتوقع أن ينقرض هذا الحزب تماماً نتيجة لانتشار الصحوة الإسلامية في السودان"⁽²⁾.

من المهم الإشارة إلى أن العديد من دول العالم الإسلامي، كانت، وما تزال، ترفض نشر كتب الأستاذ محمود. وظلت تشترط حذف ما يتعلق بالأستاذ محمود إذا خصص الكتاب ضمن موضوعه جزءاً منه عن الأستاذ محمود. والشواهد على ذلك كثيرة. فقد حكى لي الأكاديمي السوداني البروفيسور عبدالسلام نور الدين⁽³⁾ أنه حينما أراد نشر كتابه الموسوم بـ: **الحقيقة والشرعية في الفكر الصوفي**⁽⁴⁾، في سوريا عام 1992، وكان الكتاب يتضمن جزءاً خاصاً بمفهوم السنة والشرعية لدى الأستاذ محمود محمد طه، رفضت السلطات الرسمية الموافقة على نشر الكتاب، واشترطت حذف الجزء الخاص

(1) محمود محمد طه، **الإسلام والفنون**، أمدردمان، 1974، ص 40.

(2) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق، ص 190.

(3) مقابلة مع عبدالسلام نور الدين، الدوحة، قطر، 23 سبتمبر 2012، الساعة 7:30 صباحاً.

(4) عبدالسلام نور الدين، **الحقيقة والشرعية في الفكر الصوفي**، ط 1، دار سومر للنشر والتوزيع، قبرص، 1992، المقدمة.

بالأستاذ محمود. أخيراً نُشر الكتاب بدون ذلك الجزء. وقد أشار عبدالسلام لذلك في هامش مقدمة كتابه قائلاً: "قد حذفنا لأسباب، نشر ذلك الجزء الخاص بمفهوم السنة والشريعة لدى الأستاذ محمود محمد طه، لأسباب خارجة عن الإرادة والعمل على نشره في وقت لاحق إذا تيسر ذلك. دمشق 1992" (1). ومنذ ذلك الوقت ظل عبدالسلام نور الدين يسعى لنشر الكتاب مكتملاً ولا يزال.

الشاهد أن العبث والتشويه الذي قامت به المؤسسات الإسلامية، وجهود التضليل التي قام بها الفقهاء، كما ورد في الفصول السابقة، كانت جهوداً كبيرة وظلت مستمرة. بيد أنى على يقين تام بأنه سيأتى اليوم الذى يكشف فيه كل هذا العبث والتشويه وستتم إعادة قراءة مشروع الأستاذ محمود كما ستتم إعادة الدراسة لمواقفه الآبدة. فالمواقف البطولية للأستاذ محمود، والتي كان آخرها الابتسامة على منصة الإعدام، كما قال عدلان الحارदلو وورد أعلاه، قد أعطى الناس جميعاً فى السودان زاداً فى الصمود البطولى والجسارة لمقاومة السلطة التي سقطت فى يوم 6 أبريل 1985. ففى واقع الأمر قد ضحى الأستاذ محمود فى إرث البشرية، المعانى الآبدة والمواقف الخالدة وهو يجسد المعارف بالصمود على منصة الإعدام. والحق أن القضاة لم يحاكموا الأستاذ محمود بقدر ما أنهم حاكموا أنفسهم ودوائر الجهل والقديم الذى انطوى، ولا يزال ينطوى عليه العقل الثقافى السائد فى السودان وفى العالم الإسلامى. يقول عيسى إبراهيم: "الكثيرون يعتقدون أن المهلاوى والمكاشفى حاكموا الأستاذ محمود محمد طه ولكن قرائن الأحوال وملابسات القضية وسيرها والنتائج تدل على أن الأستاذ محمود محمد طه هو الذى حاكم المهلاوى والمكاشفى، ومن خلالهما حاكم قوانين سبتمبر 1983 والسلطة السياسية ومن لف لفها" (2). لقد شهد الكثير من شرفاء الأرض داخل السودان وخارجه، قولاً وكتابة بجسارة الأستاذ محمود وصلابة مواقفه ونصاعة حجته، وقوة صموده وابتسامته على منصة الإعدام. هذا ما سأقف عليه فى الفصل القادم والذى سيكون بعنوان: "بعض الشهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتسامات على منصة الإعدام".

(1) المرجع السابق.

(2) عيسى إبراهيم، "محمود محمد طه يحاكم قوانين سبتمبر 83 والسلطة السياسية والمهلاوى والمكاشفى!!"، صحيفة أجراس الحرية، الثلاثاء 18 يناير 2011، العدد: 921، الخرطوم.

الفصل الثاني عشر

12

بعض الشهادات على مشاهد تجسيد
المعارف والابتسامة على منصة الإعدام

ثم عادوا فقالوا؛ إن محمود "أمانه الله شتقاً في سجن كوبر". وهكذا وبمنتهى السهولة يريدون أن يغسلوا أياديهم من الدماء التي لطختها، ويطهروا ضمائرهم من الجريمة التي أثقلتها. ولو كان مثل هذا المسلك مشروعاً دينياً لأصبح في مقدور كل المجرمين أن يضعوا جرائمهم على أعتاب الذات الإلهية ويمضوا إلى حال سبيلهم!... إنها جريمة شهودها الناس جميعاً، ليس في السودان فقط، بل في العالم كله، لأنها إحدى أبرز جرائم العصر... وفي مواجهة القاصرين الهاربين من مسئولية أعمالهم من رجال الدنيا اللابسين أقنعة الدين، ومن الحكام الطفاة، نلمح جمع الشهداء الذي يعمر تاريخ السودان، ممن تصدوا للمسئولية الكاملة عن كل مبادئهم، ومن قالوا أن أجسادهم ليست سوى النسخة المجسدة لتلك المبادئ، وواجهوا السيف، والرصاص، والمشتقة المنصوبة، على الفروة، وبالتحية العسكرية الأبية، وبالهاثاف بمجد السودان وثواره، وبالإبتسامة الوضاعة المشرقة... هؤلاء هم الباقون.. أما الزيد فيذهب جُفاءً (1).

الخاتم عدلان (1948-2005)

(1) الخاتم عدلان، "ويذهب الزيد جفاءً"، صحيفة الميدان، العدد: 875، بتاريخ 15 يناير 1986.

وخرج المحكوم عليه محاطاً برهط من حرس السجن واصطف عدد مواز من الحرس حول المحكوم وهو يتقدمهم فى خطى قوية وثابتة أنوفاً، شامخاً كالطود الأشم ذو كبرياء يندر أن تتوفر للآخرين. لم أشاهد فى حياتى شخصاً كهذا الشخص الذى كان يواجه الموت فى شجاعة ورجولة وإقدام وهو يقلد دائرة حبل المشنقة المشؤومة وقف دون حراك ودون أن تهتز شعرة واحدة من شعر رأسه حتى أثار الخوف والرعب والحجل فى نفوس جلاديه⁽¹⁾.

السر حسن جكسم

سمعت [أى الأستاذ محمود] يقول: "سيأتى نموذج الإنسان الذى يهزم تجربة الموت ويمشى إلى الله مشياً". كان قوله فعله.... مشى فى لجج الموت نازعاً حتى غريزة البقاء، وليس أقوى منها غريزة، مشى هادئاً مطمئناً، بل وباسماً - ابتسامة الرضا بروية اكتمال المسير خلف غبار الجزئى والمؤقت والعابر والشرير⁽²⁾.

الحاج وراق

لقد شهد الكثير من الناس داخل السودان وخارجه، قولاً وكتابةً، بما خلده الأستاذ محمود فى الذاكرة والتاريخ وفى إرث البشرية من مواقف ومعانى أبدة. فقد قيلت إفادات مختلفة، وكتبت شهادات عديدة عن مشاهد تجسيد المعارف والابتسامات على منصة الإعدام. لقد تحكمت مساحة الفصل فى عدم إيراد الكثير من الشهادات القوية والمهمة، لهذا فإن الفصل يقدم نماذج فقط من بعض الشهادات والإفادات دون تدخل فى نصوصها

(1) السر حسن جكسم، "مائة خطوة تفضلهم من منصة المشنقة"، صحيفة الأضواء، الخميس 18 يناير 2007.

(2) الحاج وراق، "18 يناير ذكرى فداء العريس"، صحيفة الحرية، الخرطوم، 2001/12/22.

أو تحليل لها. ولم أضف سوى عبارات هي الأخرى شهادات وإعلانات لمواقف لآخرين، فأوردتها في صدور الشهادات مع التوثيق لها. فالشهادات نفسها بليغة وفصيحة وحملت في داخلها التحليل والتعليل، فكانت بمثابة تبليغ وإعلان وأمانة وشهادة للتاريخ. تكتسب هذه الشهادات قيمتها مع مرور كل يوم، وتزداد حاجتنا إليها حينما نقف على بعض الكتابات عديمة الورع العلمي والمجافية للحقيقة والخالية من الأمانة والمسؤولية والأخلاق. فمثل هذه الشهادات والإفادات التي تضمنها هذا الفصل تمثل رداً ساطعاً ودحضاً قوياً لما أورده بعض المفكرين والكتاب، لا سيما، المفكر الإسلامى محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004)، صاحب العالمية الإسلامية الثانية، من معلومات تحمل في داخلها الغرض ومجافة الحقيقة والواقع عن جثمان الأستاذ محمود ومكان دفنه. لقد تناولت ما كتبه محمد أبو القاسم حاج حمد في كتابه: السودان: المازق التاريخي وآفاق المستقبل (1956-1996)، ضمن الفصل السابع عشر من كتابي هذا. فالفصل السابع عشر هو في الأصل فصل خصصته لدراسة موقف محمد أبو القاسم من الأستاذ محمود، على المستويين: السياسى والفكرى. لقد تضمن الفصل العديد من الأسئلة منها: ما هو موقف حاج حمد السياسى من الأستاذ محمود؟ إلى أى مدى استفاد حاج حمد من الأستاذ محمود؟ كيف كانت الإشارات للأستاذ محمود في كتابات حاج حمد؟ وغيرها من الأسئلة والمحاو. جاء الفصل بعنوان: "الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون: محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً".

الشهادات والإفادات التي تضمنها هذا الفصل

إن من لم يتعرفوا على الأستاذ محمود إلا من خلال مشهده العظيم وهو يتسم على منصة الإعدام قد شهدوا⁽¹⁾.

إبراهيم يوسف فضل الله

من المهم الإشارة إلى أن هذه الشهادات نشرت في أوقات مختلفة. بعضها جاء ضمن كتب، والبعض الآخر نشرها أصحابها في صحف. وهناك ما جاء في شكل حوارات

(1) إبراهيم يوسف فضل الله، ذكريات جمهورى، مصدر سابق، ص 1.

صحفية، قام بها بعض الصحفيين مع أصحاب الشهادات. الشهادة الوحيدة التي تم تسجيلها بغرض التوثيق، هي شهادة العميد طيار (م) فيصل مدني مختار. فقد جاءت شهادته مسجلة بالصورة والصوت بطلب من أسماء محمود محمد طه. الشاهد أننى أثبت المعلومات التي تتعلق بالتوثيق والمصادر فى الهوامش. كانت الشهادات والإفادات خمس عشرة شهادة وإفادة كما هى مبينة أدناه:

- 1- شهادة عبداللطيف عمر حسب الله ضمن لقاء صحفى
- 2- الروائى العالمى الطيب صالح وباربرا براى والصمت العالمى
- 3- تصوير كمال الجزولى لحاله وحال الفنان أبى عركى البخيت عشية يوم تنفيذ الإعدام
- 4- شهادة سيد أحمد خليفة (1940-2010)، "هذه باختصار شهادتى للتاريخ..."
- 5- شهادة الشفيح خضر سعيد، رؤيا فى المشهد السياسى: "يا... مُشرع الحلم الفسيح.. سجن "كوبر" فى 17 يناير 1985".
- 6- عبد اللطيف سعد على، حارس الأستاذ محمود فى زنزانة الإعدام، ضمن حوار صحفى، "لم يتعامل معنا كأعداء!... قال لمدير السجن: "لو بَسْتَأْنَف أو بَسْتَرْحَم ما كان جيت هنا"!!
- 7- إدريس زكريا، منفذ حكم الإعدام، "نفذت حكم الإعدام ومحمود محمد طه أشجع من قابلنى"
- 8- شهادة العميد طيار (م) فيصل مدني مختار قائد الطائرة التى حملت الجثمان، "شهادة للتاريخ هذا ما حصل لدفن الأستاذ المرحوم الباشمهندس محمود محمد طه"
- 9- شهادة اللواء معاش محمد سعيد ابراهيم مدير سجن كوبر، "الأستاذ محمود دفن غرب أمدرمان بجنازيرو!!"
- 10- شهادة فاروق أبو عيسى، الأمين العام لاتحاد المحامين العرب سابقاً، "لذا قررت المنظمة العربية لحقوق الإنسان أن يكون يوم 18 يناير يوماً لحقوق الإنسان العربى"
- 11- شهادة مولانا محمد الحسن محمد عثمان، "شجاعة أم أسطورة: وابتسم الأستاذ

محمود محمد طه فى وجه الموت".

12- شهادة بكرى الصايغ، "فى الذكرى الـ27: وكنت حاضراً لإعدام الشيخ محمود محمد طه".

13- شهادة جوديث ميلر، "كانت عيونه متحدية، وفمه صارماً، ولم تبد عليه مطلقاً، أية علامة من علامات الخوف".

14- شهادة عميد أمن (م) محمد عبدالعزيز والعقيد أمن (م) هاشم عثمان أبو رنات، "إعدام محمود محمد طه"

15- وصية على منصة الإعدام، شعر عوض الكريم موسى

16- شهادة عمر دفع الله والتعبير نيابة عن الشرفاء من أهل الأرض

شهادة أستاذ عبد اللطيف عمر حسب الله ضمن لقاء صحفي⁽¹⁾

كيف تقتلون إنساناً لأنه يفكر!!!!⁽²⁾
عماد الدين أحمد عيدروس

(نص اللقاء)

أجرى اللقاء محمد الشيخ حسين، صحيفة الصحافة، الأحد 19 يناير 1986
بعد عام من إعدام غاندى إفريقيا: عبد اللطيف يروى حكاية الاعتقال ومأساة المحاكمة
ومسرحية الاستتابة بعد أن إنهار المسرح فوق مؤلفى ومثللى ومهرجى المأساة:
حيث العقل لا يخاف والرأس مرفوع عال..

(1) جاءت شهادة عبد اللطيف عمر حسب الله ضمن لقاء صحفي أجراه محمد الشيخ حسين، ونُشر بعنوان: "بعد عام من إعدام غاندى إفريقيا: عبد اللطيف يروى حكاية الاعتقال ومأساة المحاكمة ومسرحية الاستتابة.. بعد أن إنهار المسرح فوق مؤلفى ومثللى ومهرجى المأساة"، صحيفة الصحافة، الأحد 19 يناير 1986 الموافق 9 جمادى الأولى 1406 هـ؛ نص الحوار بنفس العنوان بموقع الفكرة الجمهورية، www.alfikra.org

(2) عماد الدين أحمد عيدروس، ضمن خيط: محمد فضل الله المكى، "لست جمهورياً.... ولكن"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

وحيث المعرفة حرة..

وحيث العالم لم يمزق التعصب جذرائه..

وحيث تخرج الكلمات من أعماق الحقيقة..

وحيث الكفاح المستمر يمد ذراعيه نحو الكمال..

وحيث لا يفقد العقل مجراه في صحراء التقاليد الميتة..

وحيث يقود العقل نحو ساحات أفسح من الفكر والعمل تحت سماء الحرية تلك..

يا إلهي..

أيقظ وطني

(طاغور)

مثل ملايين كثيرة توقف بى الزمن فترة غير قصيرة عند ذلك المشهد الذى عشناه وعاشه العالم معنا يوم 18 يناير 1985.

حزين فى صمت، مقهور النفس، أدور بفكرى محاولاً اختراق سحب الظلام التى أحاطت بنا لكى أعرف كيف.. ولماذا؟

كيف هان عليهم أن يغتالوه، وأن يعلقوه على حبل المشنقة، وهو الذى وقف أمامهم مبتسماً.

لقد فعلوها وحاولوا اغتيال البلد كلها، ولعل مشيئة الله اختارته ليفدى وطنه.

قطعاً لم يكن ذلك الاغتيال حقيقة الدين الذى رفعوا قرآنه الكريم، واختفوا وراءه لكى يدبروا جريمتهم البشعة.

فى القصة التالية سوف نجد جريمة قتل. إنه قتل مع سبق الإصرار والترصد، إنه ليس تكفيراً أو... إنه قتل.

القتل فيه معروف.. أداة القتل مضبوطة، وسبب القتل واضح، والشهود موجودون، ومع ذلك فإن جريمة القتل لم يتم تسجيلها حتى الآن — حتى لو ضد مجهول!

إن القتل ليس شخصاً عادياً، والقاتل ليس شخصاً واحداً، وهدف المحاكمة كان محدداً؛ إعدام رجل.. مصادرة رأى.. وأد فكر.

كان ذلك هو الهدف العاجل المحدد وهناك هدف آجل "إعدام الحرية" وجوهر القضية نفسها عرفها التاريخ كثيراً، ومعنى العقوبة هو نفسه فى كل حالة، فقد تم التشهير بقاسم أمين، وقتل الكواكبي.. وعزل الشيخ على عبد الرازق.. وفصل طه حسين، والقائمة طويلة، والقضية نفسها ليست مفاجأة.. فالأستاذ محمود محمد طه نفسه كان يعلم مقدماً بما ينتظره، ومع ذلك قرر المضى فى طريقه، فهو اختار الحرية قبل الضغط، اختار الاختلاف قبل الموافقة، اختار المفكر فوق السياسى، اختار الإنسان الواحد فوق القطيع الضخم.

ولكن حسمت السلطة، وأصدر الخصوم السياسيون حكماً بأن الأستاذ قد كفر، وكالعادة وجدت السلطة مثقفين آخرين مهدوا الطريق وصفقوا وما يزالون!

حكاية للتاريخ:

فى الأسطر التالية نلتقى من جانب مع الأستاذ عبد اللطيف عمر، أحد الذين كانوا قاب قوسين أو أدنى من حبل المشنقة، ونعتمر ذاكرته لكى يروى لنا أحداث الجريمة البشعة، باعتبارها نموذجاً فى الشجاعة العقلية والصراع بين السلطة وحرية الرأى. والطرف الآخر هو شاهد عيان، أتاحت له الظروف حضور كل فصول المسرحية — ما عدا لحظة التنفيذ — يعود لأوراقه المخبأة ليصبح ما يرويهِ الإثنان معاً — عبد اللطيف والشاهد — تاريخاً.

عبد اللطيف عمر:

بداية البداية كانت مع إطلاق سراحنا من المعتقل فى 1984/12/19 وفى نفس الأسبوع — تحديداً — شرعنا فى إعداد المنشور.

والأستاذ قال بكلمات مباشرة: يجب أن نفهم أن هذا المنشور قد نتعرض فيه لأقصى صور البطش — والنظام منهار وخائر ولا يحتمل أى مواجهة.

كلمات الأستاذ رسخت فى أذهاننا المدى الذى يصل له رد الفعل وخصوصاً فى ظل

وجود القوانين المذلة.

المنشور أخذ طريقه فى التوزيع، وتم اعتقال بعض الاخوان الذين حملوا المنشور.. وعلم أننى المسئول عن التوزيع.. والذين اعتقلوا فى أمدرمان تحت المادة (127 - أ) كانوا أربعة.. وذهبت إلى القسم الأوسط لأضمنهم، وهناك تمَّ اعتقالى، باعتبارى المسئول عن توزيع المنشور، وكان واضحاً أنهم يريدون الأستاذ، ثم حضر أحد الإخوان يريد أن يضمنا الخمسة، وفعلاً تمت الضمانة.. وخرجنا من الحراسة، وقبل أن نتنسم عبير الحرية كان لهم طلب غريب، بالذهاب إلى مكتب نيابة أمدرمان.. ومثلنا أمام وكيل النيابة. وبعد دخول وخروج اتضح لنا أن مكتب النائب العام ومن ورائه محمد آدم عيسى وزير الشؤون الجنائية قد وضع المادة "96" بملحقاتها فى أورنيك التحرى وعدنا مرة أخرى للحراسة.

شاهد العيان:

تجربة الحراسة حقيقة لا يعرفها إلا من عاشها، وحياة الحراسات فى بلد المليون ميل تجربة مؤلمة ومعاناة صعبة، وعبد اللطيف الذى عاشها وأنفعل بها كيف يراها الآن؟

عبد اللطيف عمر:

أعدنا للحراسة بالقسم الأوسط بأمدرمان فى زنزانة كبيرة اسمها الصين لكثرة من بها من منتظرين. وأخذت من الصين الازدحام وكثرة السكان فقط، والعالم داخلها أشكال وألوان. ومكثنا فيها ليلتين لا توصفان.

وفى تلك الأثناء تم اعتقال الأستاذ فى القسم الأوسط لمدة أسبوع كامل، ولم يحصل له الشرف الذى حصلنا عليه بنقلنا إلى سجن أمدرمان!!

وقبل أن أترك حديث الحراسة ألفت نظر من يود معرفة الحياة فى الحراسات إلى مقال الأستاذ طه إبراهيم المحامى الذى نشرته (الأيام).

شاهد العيان:

نحن الآن فى غرفة كانت أصلاً صالوناً فى المنزل الذى تعقد فيه المحكمة الجنائية رقم "1" والصالون هو المحكمة الجنائية رقم "4" .. فى الداخل تربية مكتب بحجم عادى وكتبان من كنب المدارس قبل السلم التعليمى .. عدد البشر داخل الغرفة أكبر من سعتها .. أدوات تسجيل .. كاميرات تلفزيون .. فلاشات مصورين .. وفى الخارج مجموعة كبيرة من الإخوان الجمهوريين بملابسهم ناصعة البياض ..

القاضى يدخل الصالون مرتدياً طربوشاً ذا لون أقرب إلى لون التراب المخلوط بالدماء .. القاضى يصيح طالباً من الجميع الخروج، والقضية عادية ولا تستحق هذه الضجة، بحثت فى تلك اللحظة عن وقار القاضى - عفواً - لم أجده، ولا أدرى لماذا رسخ فى ذهنى مشهد مهرجى الأفلام الهندية ..

وأخيراً بعد اتصال تلفونى انتقل الجميع إلى مبنى البلدية، وأترك المايكروفون للأستاذ عبد اللطيف ..

عبد اللطيف عمر:

كان رأى الأستاذ الذى وافقنا عليه، هو لا بد من موقف سياسى واضح بمواجهة القوانين فى مستوى التنظير والتطبيق، مواجهة تُشعر السلطة بالرأى الآخر فى قوانينها، ولهذا لم نتلفت أو نهتم بإجراءات المحكمة العادية، واعتذرنا للسادة الأفاضل المحامين الذين تطوعوا للدفاع، ورسخ فى ذهننا أن نفدى أبناء شعبنا الذين جلدوا وقطعت أيديهم، أهّلنا أنفسنا لهذا الدور، فداء للشعب من المذلة.

وعندما عدنا .. لسماع الحكم، لم يتغير شعورنا عند لحظة النطق بالإعدام، وإن كانت دهشتنا بالغة فى المفارقة بين التهمة - توزيع منشور - والحيثيات التى ساقها للحكم - ادعوا فهماً جديداً للإسلام !!

بعد الحكم قال الأستاذ " إنتما اظهروا " ولم نتقدم بأى استئناف.

شاهد العيان:

الحكم رفع لمحنة الاستئناف لفحصه، وتم تأييده.. واكتنفت سماء الخرطوم بغيوم كثيرة قبل إعلان التأيد، حتى فوجئ الناس بالمكاشفى وهو يتصبب عرقاً داخل التلفزيون يتلو حكم التأيد، لحظتها تذكرت بطل مسرحية ليلة السحلية لتنسى ويليامز، مرة حمامة وديعة، وأخرى سحلية زاحفة، وثالثة ثعباناً ساماً، ورابعة قرداً فى حديقة الحيوانات يقذف الأطفال بالفول، ومرة نمراً مفترساً.. لا أعرف ماذا افترس؟ المهم أن أحيا أدافع عن بقائى!

عبد اللطيف عمر:

تأييد المكاشفى للحكم لم نعلم به، لأننا كنا فى كوبر.. كنا فى "زنزانات إنفرادية" ولم نخط علماً به إلا بعد تسرب صحيفة صباح الخميس 1985/1/17.

وفى صباح يوم الخميس كنا قد تقابلنا داخل السجن.. وفى الظهر شعرنا أن الحركة غير طبيعية، ولم يكن لدينا خبر بتأييد الرئيس المخلوع للحكم.

وفى تمام الخامسة حضر إلينا ضابط ومعه بعض الجنود، وأخذوا الأستاذ، ولم نكن نعلم أين ساييرين به.

وبعد أن أكملت الشمس رحلتها اليومية، دعينا لمكتب مدير السجن فرادى، وهناك تم إبلاغنا بتأييد الرئيس المخلوع للحكم، وأنه قد أمهلنا ثلاثة أيام للتوبة.

وكانت إجاباتنا تقريباً موحدة، بدون اتفاق وتشاور، وهى رفضنا للرجوع.

وبعد ذلك وضعت القيود فى أرجلنا، وحُوِّلنا الى الزنزانات البحرية المعدة للمتظرين لتنفيذ الأحكام بالإعدام.. ووضعنا كل اثنين فى زنزانة لأنها كانت مزدحمة.

فى غضون هذه الإجراءات، كنا لا نعلم مصير الأستاذ، وسألنا عنه أحد الضباط، فأوضح لنا أنه فى إحدى الزنازين، وثمة حاجز يفصله عنا.. ونحن فى الانتظار سسمعنا النشرة من راديو مع أحد المتظرين، وساعتها عرفنا أن التنفيذ فى الأستاذ سيتم غداً — المهم مكثنا ليلة..

وفى صباح الجمعة، حضر إلينا شاويش، وقادنا فى طريقه للمشقة، وجال فى أذهاننا أننا مقادون إلى تنفيذ الحكم فينا، لأننا رفضنا الرجوع.

وعند وصولنا ساحة المشقة، وجدنا الحشود، والقضاة، ومستشارى غميرى يشهدون اللحظة البشعة وكأنهم فى انتظار عرس.

ثم خرج الأستاذ من غرفة غرب المشقة، وسار فى خطوات واثقة ثابتة، وهو مقيد اليدين، والرجلين، مغطى الرأس.. حين اعتلى المنصة كان يمشى مشيته الطبيعية التى عرفتها ثلاثين عاماً رغم ثقل القيد حول اليدين والرجلين.

فى تلك اللحظة الرهيبة، وجلال الموقف الذى يدخل فى اللب رهبة وإجلالاً، انطلق المكاشفى مسرعاً، واعتلى المنصة، والأستاذ واقف فى شموخ ببسمته المشهورة.

وتحدث المكاشفى عن تدرج الحكم وقال بالنص " ان الرئيس جعفر المنصور قد أيد الحكم "

بمجرد أن انتهى التنفيذ، طلب منا العودة إلى الزنازين، وساعتها فهمنا أن الهدف هو إرعابنا، ثم علمنا أن طائرة هيلكوبتر قد أخذت جثمان الأستاذ وحلقت به شرقاً.

شاهد العيان:

انقضى نفس هذا اليوم قبل عام بكارثة، وجاء السبت وفى يوم الأحد 1985/1/20 كان موعدنا مع الفصل الأخير من المسرحية الهزلية.

فى ذلك اليوم جاء من أطلق عليهم مجموعة العلماء. وجلست مع الأربعة الآخرين، تعرض كتابة صيغة التوبة الشرعية أو الإعدام.. لم يكن هناك حوار ولم يكن هناك نقاش، كانت هناك كتابة أو مشقة.

تلك كانت اللمحة العامة، غير أن الخرطوم استيقظت صباح الاثنين 1985/1/21 تحدثت عن رجل نحيل الجسم، حاد النظرات، بارع الحجة، أذهل مجموعة العلماء بحجة فى غاية البساطة وقمة الحجية (إذا رغب فرد فى أن يدخل الإسلام، ليس بالضرورة أن يقر

أن زيدا كافر). وبعدها أصبح حديث المدينة التي أعجبت به واحترمت ذكاه واندثشت حينما عرفت حقيقة تلك الكوكبة!

عبد اللطيف عمر:

فى أمسية الخميس 1985/1/17 بعد أن تم تأييد الحكم بواسطة الرئيس المخلوع، تمت اعتقالات واسعة وسط الإخوان الجمهوريين.

وبعد التنفيذ فى الأستاذ، لم يكن هناك أى اتجاه للرجوع، غير أن الفاصل الزمنى حتى موعد التنفيذ فينا، قد أعطانا فرصة للتفكير وتقويم الموقف، وهل غمضى فى طريق التصفية الجسدية ونحن مدركين مدى جهالة النظام وإصراره على أن حكمنا "حد" لا يمكن الرجوع عنه.

المهم ظللنا فى انتظار وتقويم جديد، واضعين فى الاعتبار همجية النظام.

وكان لا بد من معرفة تقويم التنظيم ككل للأمر، وهل نعطى لأصحاب الهوس الدينى الفرصة فى القضاء على التنظيم.. وساعدنا الاعتقال فى ذلك كثيراً، وفى صباح السبت حضر إلينا كبير الجمهوريين ونقل إلينا رأى القلة التى نجت من الاعتقال، التى قومت الموقف بأنهم همجيون ومهووسون، وطلبوا منا الرجوع عن الأقوال كتابة. بعد أن وصلنا إلى هذه القناة، بعد مناقشة شارك فيها كل أعضاء التنظيم تقريباً..

بلغنا إدارة السجن بأننا لا نرغب فى مقابلة أى علماء، ولسنا فى حوجة إليهم، وكل ما يرغبون فيه إخراج مسرحية.. ولكنهم أصروا على الحضور، وجبكوا المسرحية جيداً، ونادوا أصغرنا سناً، ومضوا فى مهزلةهم.. ووجدنا متنازلين فى الظاهر على الأقل ولم يدركوا أن مقابلتنا لهم كانت تفويهاً للفرصة والاستجابة تحصيل حاصل، ولو أن الغرض الهداية كما ادعوا لما تمت بتلك الصورة المظهرية، فضلاً عن ما سمى بصيغة التوبة الشرعية.. كانت صيغة مكاشفية.

وفى الختام أقول أن الموقف قد كان صعباً تعرضت فيه بكل بساطة لأن أرى رجلاً فى مقام الأستاذ محمود محمد طه يتعرض للتصفية الجسدية، فى تأمر مكشوف ومن خصومه السياسيين.

ومؤكد أن الشعب السوداني قد ظهرت له بشاعة الجريمة، ولكن الشعب السوداني كان مغلوباً على أمره.. ولكن هذا لا يعفيه ومثقفيه عن المسؤولية في أن يتم عمل كهذا ضد حقوق الإنسان، بتلك الصورة البربرية، ولعل العزاء يكمن في أن الحادث المأساة، أشعل الثورة المكبوتة بعد 76 يوماً من إعدام الأستاذ..

والحكم جسداً كيف يتم إرتكاب أبشع الجرائم باسم الإسلام، وهذا نذير للناس لكي يجتنبوا الدعوات الدينية الجاهلة.

شاهد العيان:

انتهت رواية الأستاذ عبد اللطيف عمر.

وفعلاً نجح خصوم الأستاذ السياسيين في اغتياله في محكمة سريعة دبرت لبيل. غير أن الذين أعدموه، والذين أيدوهم، إن ظنوا أنهم تخلصوا منه ومن فكره بإعدامه.. فقد أخطأوا...

الروائي العالمي الطيب صالح وباربرا براى⁽¹⁾ والصمت العالمي⁽²⁾

باربرا للطيب: إننى كنت أتحديث منذ لحظات مع البيت الأبيض فى واشنطن. طلبت محادثة الرئيس ريجان، طبعاً أنكروا أنه موجود. كلمنى أحد مساعديه. قلت له كل ما خطر على بالى. إن دم هذا الرجل معلق فى رقبتكم. سألتها متغايياً: ولكن ما دخل الرئيس ريجان بمقتل محمود طه؟ فقلت: لا تكن غيباً. هل تظن أنهم ما كانوا يستطيعون إنقاذه لو أرادوا؟ هل يستطيع غيرى أن يفرض لهم طلباً؟ أليسوا هم الذين جاؤوا به وهم الذين يساعدونه على البقاء فى الحكم؟

(1) الطيب صالح، وطنى السودان "7"، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2005، ص 49-53.

(2) كانت الخطة أن يتضمن هذا الكتاب فصلاً بعنوان، "الأستاذ محمود والغرب: الموقف من مشروع الفهم الجديد للإسلام والصمت عن الإعدام"، لكن ونسبة لكبر حجم الكتاب رأيت أن أحذف هذا الفصل بغرض التوسع فيه وإصداره لاحقاً فى كتاب لحاله. وعلى الرغم من أن هناك أسباباً عديدة وراء الصمت العالمي الذى يعبر إلى حد كبير عن موقف الغرب خاصة الولايات المتحدة وأوروبا من الأستاذ محمود، إلا أننى أوردت فى هذا الفصل بعض الشهادات التى تحمل إشارات وتفسيرات لموقف الغرب من الأستاذ محمود وصمته عن إعدامه.

أدى إعدام محمود محمد طه إلى تصاعد حملة عالمية على نظام نميري في الخارج، كما أقيمت في لندن ليلة لتأبين محمود محمد طه ظهر فيها د. خليل عثمان وأحمد إبراهيم دريج وعدد من عناصر المعارضة.. ولكن سكوت الإعلام العالمي الذي تسيطر عليه الصهيونية حتى لا يفسد أمر تهجير النلاشا⁽¹⁾.

حسن مكى

كتب الروائي الطيب صالح قائلاً: حينما أعدم الرئيس السابق جعفر محمد النميري الرجل الهرم محمود محمد طه (رحمه الله)، كلمتني "باربرا براى" فى الدوحة من باريس آخر الليل، كان صوتها فى التلفون غاضباً حاداً، أقرب إلى الصراخ، وذلك أمر لم أعهده منها، فهي عادة هادئة رقيقة مهذبة، قالت لى: ألا تنوى أن تفعل شيئاً؟

أفعل شيئاً بخصوص ماذا؟

ألم تسمع الأخبار؟ ألم تسمع بأن رئيسكم الهمجى قد أعدم رجلاً فى الثمانين من عمره؟ أنه أمر مخجل حقاً، من يصدق أن هذا يحدث فى هذا العصر؟

صمت وتركتها تسترسل فماذا أقول لها. لم تهدأ ثائرتها بل إن غضبها ازداد قوة وهي تمضى فى الكلام. وحين يطول صمتي تقول لى بعنف: هل أنت هناك؟ هل تسمعنى؟

نعم يا باربرا، أنا هنا وأسمعك جيداً.

إذاً لماذا لا تفعل شيئاً؟

قلت لها متضحكاً لعلنى أعيدها إلى هدوئها: الآن؟ فى هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

لم تستجب لمحاولتى، وقالت لى بصوت أكثر غضباً: إننى كنت أتحدث منذ لحظات مع البيت الأبيض فى واشنطن. طلبت محادثة الرئيس ريجان، طبعاً أنكروا أنه موجود. كلمنى أحد مساعديه. قلت له كل ما خطر على بالى. قالت له إن دم هذا الرجل معلق فى رقبتكم.

(1) حسن مكى، الحركة الإسلامية فى السودان (1969-1985): تاريخها وخطابها السياسى، مرجع سابق، ص 139.

سألتها متغابياً: ولكن ما دخل الرئيس ريجان بمقتل محمود طه؟

لا تكن غيباً. هل تظن أنهم ما كانوا يستطيعون إنقاذه لو أرادوا؟ هل يستطيع غيرى أن يرفض لهم طلباً؟ أليسوا هم الذين جاءوا به وهم الذين يساعدونه على البقاء فى الحكم؟ وماذا قال لك مساعد الرئيس؟

وماذا يمكن أن يقول لى أحد هؤلاء الشبان التافهين الذين يسمونهم تجاوزاً مساعدى رئيس؟ كل عملهم أنهم يحملون حقائبه ويتراكضون حوله. لم يظهر عليه أنه فهم ما أقول وأظنه لا يعلم أين السودان ومن هو غيرى أو محمود محمد طه. أخذ اسمنى وعنوانى وتلفونى ووعد بأن ينقل احتجاجى للرئيس. بعد أن انتهت المكالمة طلبتك فوراً. قلت لها متضاحكاً مرة أخرى: إنه لشرف عظيم لى أن تضعينى فى كفة مع رئيس أكبر دولة فى العالم. أنا الموظف الغلبان فى منظمة اليونسكو.

تحول سخطها من الرئيس الأمريكى إلى اليونسكو، فهى تكره المؤسسات البيروقراطية من حيث هى. فقد استقالت من هيئة الإذاعة البريطانية وتعاونت فترة قصيرة مع منظمة اليونسكو ثم رفضت التعامل معها: "متى تستقيل من هذه المنظمة الجوفاء وتفرغ لما هو أهم؟ وما هو الأهم؟

ألا تعرف إلى الآن ما هو الأهم؟

بلى، أنا أعرف ما هو الأهم فى نظر "باربرا براى" وفى نظرى أنا أيضاً. ولكن من يطعم الزوجة والعيال، ويدفع أقساط المدارس والجامعات؟ كل هذه الأشياء الصغيرة أم الكبيرة، التى تكبل الإنسان بقيود يشتد وثاقها يوماً بعد يوم، وتجعله يصمت حين يجب عليه أن يصرخ، ويدعن حين يتحتم عليه أن يرفض. "باربرا براى" لا تأبه لذلك. لقد استقالت من هيئة الإذاعة البريطانية منذ ثلاثين عاماً وهى فى قمة النجاح، وليس عندها مصدر دخل. غامرت وحملت طفليتها وجاءت إلى باريس. استأجرت شقة صغيرة فى الحى اللاتينى قريباً من "بوليفار سان ميشيل" وعلى مرمى حجر من نهر الـ "سين"، ماتزال تعيش فيها إلى اليوم. رفضت بتاتاً أن تشتري بيتاً أو شقة بالأقساط كما يفعل كل الناس. "منسى" وأنا

حاولنا إقناعها ولكنها قالت إنها لا تحب أن تمتلك أى شىء، وتحب أن تفارق الدنيا وليس وراءها شىء. أخذت تعيش من كتاباتها فى النقد للصحف الفرنسية والإنجليزية، فهى ناقدة متمكنة لها نفوذ وصيت، وترجم الفرنسية إلى الإنجليزية، وكثيرون يعتبرونها أحسن مترجم فى هذا المجال. وقد ترجمت جميع روايات الكاتبة الفرنسية الشهيرة "مارجريت دورا" لا حبا فى المال ولكن لأن الكاتبة صديقتها. وحين يضيق بها الحال، تكتب "سيناريوهات" للسينما، فهى تحترق السينما، ولا تعتبرها شكلاً فنياً محترماً. وكان بوسعها أن تجمع مالاً وفيراً من كل هذا الجهد، ولكنها لا تحسن تدبير المال ولا تأبه له، وتقع دائماً فريسة لطمع الناشرين وخداعهم.

دائماً تجعلنى أحس بالخجل من نفسى، هذه السيدة العجيبة. لا تنتمى لحزب، وليس عندها أى مطمح، وتعطى الحياة أكثر من ما تأخذ منها. كأنها تحمل على عاتقها هموم الإنسانية بأسرها، إذا وقع زلزال فى الجزائر أو فيضان فى السودان أو مجاعة فى إثيوبيا، يعصر الألم قلبها، كأنها مسؤولة شخصياً عما حدث. ولا تكفى بذلك بل تجمع التوقيعات وترسل الاحتجاجات. تؤيد كفاح الشعب الفلسطينى وتكره النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا، وتمقت التسلط والقهر حيثما يكون. وأنا لا أشك أنها تحس مأساة جنوب السودان أكثر مما يحسها جون قرنق وبقية هؤلاء الزعماء النجباء، الأذكاء الأغبياء. "باربرا براى" تؤمن كما جاء فى القرآن الكريم أن من قتل نفساً واحدة بغير حق، فكأنما قتل الناس جميعاً، وهؤلاء عندهم أن يموت مليون، لا شىء، فى سبيل أن يصبح الواحد منهم زعيماً.

فى تلك الليلة شعرت بخجل عميق. قلت لها وأنا أعلم أن كلامى أعرج وحتى جوفاء: أنت تعلمين أننا حينما ندخل اليونسكو كما فى المنظمات الدولية، نقسم يميناً أن نكون محايدين ولا نتدخل فى شؤون الدول الأعضاء فى المنظمة.

(قالت باربرا): كلام فارغ.

أطارت النوم من عينى وقضيت الليل مسهداً أضرب أخماساً فى أسداس.. وذلك أضعف الإيمان.

تصوير كمال الجزولى لحاله وحال أبو عركى البخيت عشية يوم تنفيذ الإعدام الكون كرة من البلور، وعركى كائن أثيرى، والجزولى شبكة من الاعصاب العارية المشدودة

"شئت طه وهو ينسم" (1)

صحيفة القبس الكويتية

غداة إعدام الشهيد محمود ضحى السابع عشر من يناير عام 1985، جاءنى صديقى الموسيقار المغنى أبو عركى البخيت مُشَوَّشَ الشَّعر، مُجَعَّدَ الثَّوب، مُسَهَّدَ الرُّوح، متورِّمَ العينين، داعم الفؤاد، مُحْتَقَباً عوده الفصيح، وشفافيته الثورية، واختياراته الباذخة، ورهاناته التى لا تخيب قط، وجلس فى ركن الغرفة يُسمِعنى، كما (زرقاء اليمامة)، لحناً ظلَّ عاكفاً عليه طوال ليلة البارحة، وقد تجافى جنباه، فى سبيل ذلك، عن مضجعهما، وجافت عيناه الكرى وجافاهما. ما كاد عركى يطلق لحنجرته العنان، ويتوغل فى الاغنية - النبوءة، حتى أخذ الكون كله يستحيل، رويداً رويداً، إلى كرة من البلور، وعركى إلى كائن أثيرى، وأنا نفسى إلى شبكة من الاعصاب العارية المشدودة، فقد اقشعرَّ بدنى، وقفَّ شَعر رأسى، وتحشّدت دمدمة العواصف فى أذنى، ووجيب (الجلجلة) تحت قدمى، وإذا بكلمات الفيتورى التى كان نضّدها قبل ذلك بما يناهز العشرين سنة كأن لم تولد إلا فى تلك اللحظة، بل كأن لم تولد إلا لأجل تلك اللحظة: "أرضك ظمأى، والخريفُ شَحَّ هذا العام، والمتسولون يزحفون، والاقزام، يُعربدون فى حطام المملكة، يا ملكاً مُتَوَجِّهاً على حطام، يا قائداً بغير معركة، هذا أوانُ المعركة!" (2).

شهادة سيد أحمد خليفة (1940-2010)

هذه باختصار شهادتى للتاريخ... تجربتان ثرتان مع الأستاذ محمود محمد طه وأتباعه، مرة فى مكتبه المتواضع فى الستينات من القرن الماضى ومرة فى زنازين كوبر (3).
حوارات سمحة ومتسامحة.. وصمود مدهش...

(1) الإخوان الجمهوريون، ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود مصدر سابق، ص 5-6.

(2) كمال الجزولى، "ولا صراخُ العالم.. كله!؟"، صحيفة السودانى، الاثنين 2008/3/31.

(3) سيد أحمد خليفة، "صباح الخير يا جمهوريين...!"، صحيفة الوطن، الأحد 22 يناير 2006.

تعرفت واجتمعت بمئات القادة الجمهوريين والأعضاء العاديين، فهم "حتى العادى
لديهم ليس عادياً.. ديناً وخلقاً وسلوكاً ووطنية وتجرداً ونظافة فى الجوهر والمظهر"..

يا ... يا زمنَ العُنُقِ الجُمهُورِىِّ يعلَقُ

بين حبالِ الحَصَمِ

فينهَضُ

ينهَضُ من حُجراتِ الغُبْنِ المُرَمِّمِ

صَوْتُ القَوْمِ

وسيفُ القَوْمِ

وبحرُ القَوْمِ

وشجرُ القَوْمِ

وطيرُ القَوْمِ

وينهَضُ فى الرِّزْزَانَةِ صَوْتُ اللّهِ

ويُنْفِخُ

يُنْفِخُ

يُنْفِخُ فى الطُّرُقَاتِ الصُّورِ (1)

إلياس فتح الرحمن

يقول المثل الشعبى "ليس من رأى كمن سمع"، وأقول ليس من عايش كمن قرأ.
فتجربتى الشخصية مع الأستاذ محمود محمد طه لا تجعلنى أفكر أو أقدر أو أكتب على
نحو ما يكتب بعض خصومه السياسيين والفكرين والدينيين...! ففى ستينيات القرن
الماضى وأنا صحفى شبه مبتدئ التقيت الأستاذ محمود محمد طه فى مكتب متواضع فى
شارع الحرية غرب الخرطوم وحملت إليه أسئلتى البسيطة، إن لم أقل الساذجة، حول
الفكر الجمهورى الذى كان مثار نقاش واسع فى تلك الأيام بين الـ "مع" والـ "ضد" ولكنى

(1) إلياس فتح الرحمن، لا أحد يسعفُ الحَيَل، (ديوان شعر)، من قصيدة "من دفتر مظاهرات أعوام الفزع (إلى
روح الشيخ الشهيد محمود محمد طه، 1983-1986 الخرطوم)، ط 1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى،
أمدرمانة، 2003، ص 129-145.

أعترف أن حوار تلك الأيام، حول الفكر الجمهورى كان يشبه تفكير تلك الأيام وعقلية وعقلاء تلك الأيام، وسياسة وسياسى تلك الأيام، وفكر ومفكرى تلك الأيام...!!

حوارات سمجة ومتسامحة..!

فقد كان أتباع الأستاذ محمود محمد طه والفكر الجمهورى من الشباب والشابات والطلاب والطالبات وخريجى الجامعات وأساتذتها يتجولون فى شوارع الخرطوم فى الوسط والأطراف وفى عواصم بعض الأقاليم والمدن الكبيرة لا يحملون عصى أو مدى أو مسدسات ولا حتى حجارة بل ولا كلمات نابية أو جارحة، لكنهم كانوا يحملون كتيبات ومشورات يناقشون أو يناقشهم الكبير والصغير، العالم والجاهل، الطامع فى الفهم والتفاهم والراغب فى الشبكة والاحتكاك والمبرمج أصلاً ضد الفكر الجمهورى دون أن يقرأ محتوياته أو يتعمق فيها على الأقل.

يومها جلست لساعات استمع للرجل حتى تحول المجلس بيننا إلى تلميذ صحفى هو أنا وأستاذ كبير هو المفكر محمود محمد طه الذى كان يكبرنى بنحو عشرين عاماً وهو مدى زمنى كاف لكى يتفوق الإنسان فكراً وقولاً ومنطقاً على من يصغره سنأ ناهيك عن أن يكون المتحدث هو محمود محمد طه المهندس والمفكر الذى خلط بين ثلاث هى: المسألة الدينية (وتحديداً الدين والحياة أو الحياة والدين) وبين الهندسة (بكسرهما وجبرهما وأرقامها ومعادلاتها الصعبة) وبين السياسة والأخلاق والقيم وهموم واهتمامات الإنسان أينما كان..!

لا ادعى أنني خرجت من تلك الجلسة بعمل صحفى كبير ولكننى لخصت ما قاله لى الأستاذ محمود بقدر ما مكنتى الله وأسعفتنى فكرى وتفكيرى الغض فى تلك الحقبة من حياتى الصحفية، حيث مازلت أتعلم وأسمع وأزداد خبرة وشهرة وكل من يعتقد أنه وصل وهو على قيد الحياة فهو لم يصل..!

صبيحة اليوم الذى نشر فيه ذلك التحقيق الصحفى المتواضع، ولعله بين عامى 66-1967 من القرن الماضى إنهالت الرسائل والمكالمات الهاتفية على الصحيفة بين مقدر لما قاله الأستاذ وبين من اتهمنى بالانتماء للفكر الجمهورى، وبين من وقف بين هذه وتلك من التصنيفات الجاهزة..!

بعدها لم ألتق بالأستاذ الشهيد محمود محمد طه فى عمل صحفى أو لقاء فكرى طيلة سنوات مايو الأولى، حيث كان الجمهوريون من المؤيدين لتجربة مايو السياسية والفكرية فى بداياتها اليسارية والوسطية حتى إذا دخلت مايو حقبة الهوس الدينى وتحول غيرى من (مناضل) إلى (مجاهد) ومن مجاهد إلى (إمام) ومن إمام إلى (أمير المؤمنين) كما كان يناديه بعض أعوانه فى القصر، وقف الأستاذ محمود محمد طه ومعه سائر الجمهوريين إلا قليل ليقول مايو ولنميرى: لا ومن ثم يدخل السجن فى العام 1983 ويتنقل بين زنزانة وزنزانة (ويقوم الأجويد ويقعدوا وتتوالى الاتصالات به وبمجموعته لكى يتراجع عن إدانته للهوس الدينى وتوجهات مايو فى هذا المجال ولؤلؤات مايو من نحو «النهج الإسلامى لماذا وأخواتها»، ولمحاكم العدالة الناجزة ومحاكم الطوارئ)!!

عداوة بعد محبة...!

كان ذلك الموقف من الجمهوريين ضد مايو بعد شبه تحالف معها فى السنوات الأولى مستغرباً من غيرى ونظامه وحتى من المعارضة السودانية وأبرزها السيد الصادق المهدي الذى لم يهاجمه حزب ويندد به زعيم ويستاء من زمانه ونظامه مفكر كما فعل الأستاذ محمود محمد طه والحزب الجمهورى فى فترة الديمقراطية قبل مايو وفى حقبة مايو الأولى، حيث كان الفكر الجمهورى يرى فى الصادق المهدي وفى السيد محمد عثمان الميرغنى والحزب الاتحادى حواجز طائفية وتاريخية تمنع التطور الدينى كما يراه الفكر الجمهورى، وكان الأستاذ محمود يقول عن الطائفية ما معناه إنها سجن كبير للفكر والعقل السودانى وإنها توظف قدرات السودانين لخدمة مفاهيمها الدينية الأقرب للهوس منها للدين..!

بعد مجادلات ومحاولات وصراع خرج من المنشورات والكتب إلى المواجهات فى الجامعات والمنابر بين مايو والجمهوريين صدر المنشور المشهور الذى ندد بمحاكم العدالة الناجزة وبقضاتها (إمام المؤمنين) إلى (أمير المؤمنين) حتى إذا بلغ هذه المرحلة الأخيرة من الهوس قال إنه (أصبح يطير) وأنه يشاهد الذين يجلسون حوله من الشيوخ ولا يشاهدهم غيره وبقية القصص المايوية المعروفة..

منشور وصمود مدهش..!

كان المنشور الحاسم والحازم الذى أصدره الحزب الجمهورى وصاغته لجنة فكرية برئاسة الأستاذ محمود ونشرته وانتشرت به مجموعة من الجمهوريين الأفذاذ فى كل شوارع العاصمة توزعه وتدافع عنه وتناقش حوله وتشرحه للناس هو الحد الفاصل بين حرية الجمهوريين وحقهم فى الحركة وبين نظام مايو الذى أعطاهم هذا الحق فى بداياته عندما كانوا يمارسون نفس النشاط الفكرى لصالح فكرهم ودعوتهم منتقدين خصومهم الحزبيين ممثلين فى السيدين المهدي والميرغنى، وهذه فى تقديرى كانت غلطة الجمهوريين أو ذلتهم الكبرى، إذ لم يكن من حق الأحزاب وزعاماتها أن تدافع عن نفسها وفكرها فى بدايات مايو وهذه قاعدة لا تجوز أخلاقياً فى العمل السياسى والفكرى إلا لذوى الإيديولوجيات المغلقة الذين لا يرحبون بمناقشة خصومهم الفكرين فى الهواء الطلق، بل يعمدون إلى وضعهم فى السجون والزنازين وبيوت الأشباح ووراء الشمس ثم ينددون أو يناقشون أو يرفضون فكر الآخرين بعد أن غيبوهم تماماً. (حاشية من المؤلف: تضمن كتابى هذا معالجة كافية لجذلية موضوعات الجمهوريين وحكومة مايو - الفصل الحادى عشر - والجمهوريين والطائفية والأحزاب السياسية - الفصول الرابع والسادس والثامن والتاسع والعاشر - يمكن للقارئ الرجوع إلى هذه الفصول لاستجلاء الموقف الحقيقى للأستاذ محمود والجمهوريين من حكومة مايو والطائفية والأحزاب السياسية).

فى العام 1983 يسر لى الله لقاءً سياسياً قهرياً لمدة عام كامل جمعنى برجال أفذاذ فى زنازين كوبر كان فى مقدمتهم السيد الصادق المهدي والراحل العظيم الدكتور عمر نورالدائم وآخرون من أفذاذ ذلك الزمان العظيم الذى أكرمنى الله بالعيش فيه ومعايشته، وكان الهمم الفكرى الثانى الذى إلتقيته فى تلك الحقبة فى الزنازين أيضاً الأستاذ محمود محمد طه وآخرين من قادة الفكر الجمهورى، حيث شكل هؤلاء وأولئك من الجمهوريين والأنصار مدرسة فى حياتى امتدت لـ 360 يوماً هى حقبة دراسية تعادل عندى كل الحقب النظامية المعروفة..!

كنت أنا أجالس الأستاذ العظيم محمود محمد طه قبل أشهر من اقتياده للمشنقة وعمرى كان عندها فوق الأربعين عاماً أحسن فهماً وإدراكاً لما يقول مقارنة بحقبة

الستينيات ولم تمسني مستاندياً أى خدشة دينية فى حديث الرجل الذى كنت استمعت إليه بعدما قرأت بعض ما كتب، فالذين يتحدثون عن عدم صلاة الرجل أقول لهم بأن الرجل كان يقيم الليل تلاوة للقرآن وصلاة وتتواصل من العشاء حتى صلاة الصبح فى كثير من الأحيان وأحياناً يستيقظ قرابة الفجر ويواصل حتى صلاة الضحى، إن هذه بإختصار شهادتى للتاريخ فيما يتعلق بادائه المباشر للعبادة ممثلة فى الصلاة والتلاوة، وفيما يتصل بفهمى لحركة المجتمع والناس، وبعد أيام المعيشة تلك وأقول أيام لأنها كانت أياماً فعلاً نقلت أنا إلى المستشفى العسكرى كمعتقل سياسى فلازمنى فى الغرفة قائد جمهورى فذ هو الأستاذ عصام البوشى الذى مثل من الناحية التنظيمية فى تلك الحقبة موقعاً للاتصال بين الجمهوريين داخل السجن وخارجه، فكانت الزيارات المفتوحة لنا ولهم قد عرفتني وجمعتني بمئات القادة الجمهوريين والأعضاء العاديين، فهم (حتى العادى لديهم ليس عادياً.. ديناً وخلقاً وسلوكاً ووطنية وتجرداً ونظافة فى الجوهر والمظهر)..

لقاء مع عصام..!

كنت أحاور الأستاذ عصام البوشى ونحن فى غرفة لا تتجاوز مساحتها 3x3 متر حول الفكر الجمهورى وما يثار حوله من شبهات وأشهد للرجل أيضاً بثلاث: العبادات كاملة: صلاة وصياماً وقياماً وفهماً عميقاً للدين، ووطنية رفيعة لا تختصر الوطن فى الذات، ولا تعتدى على حق الوطن أو حقوقه فى أى جانب من الجوانب باعتبار المعتدى هو المعتدى عليه عندما يتحول الفاسدون والمرثشون والسارقون إلى أثرياء ويعتبرون ذلك الاعتداء (تصحيح وضع اجتماعى)، والثالثة هى تواضع العلماء وبساطة العالمين وسماحة الحوار وهذوء النقاش والترحيب بالرأى الآخر وعدم الاعتداء على الآخرين ولو بكلمة نابية ناهيك عن الاعتداء بالسيخ أو الرصاص أو قبيح الكلام كما كان يفعل ومازال يفعل بعض أذعياء الدين والتدين..!

فى ذلك العام الكئيب 1983 تداعت كل القوانين سيئة السمعة المسماة بقوانين سبتمبر وتنادى قضاتها وشحنوا القبح والتسلط والعنف والجهل المركب قائد النظام نيمرى لكى يصدر قراره الإجرامى الخطير ويرسله بأية وسيلة كانت إلى قضاة أو إلى محكمة أو إلى

مجموعة من الذين بلغ بهم الهوس الدينى حداً يحكمون خلاله على شيخ تجاوز السبعين بحد الردة دون حثيات، حيث كان بين هذا الشيخ وبين الموت شقاً كلمات هى الاعتراف بأهلية المحكمة والقضاة ناهيك عن الاعتراف بقوانين سبتمبر أو الخوض فى مجاهل الهوس الدينى.

لقد دافع الأستاذ محمود محمد طه عن كل ضمير سودانى حى وسبقنا وسبق الجميع فى رفض نظام مايو وقوانين مايو التى أجمع الناس على رفضها منذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا.

حيث ماتت هى ولم يمت الشهيد العتيد العنيد محمود محمد طه..!

شهادة الشفيح خضر سعيد⁽¹⁾

رؤيا فى المشهد السياسى: يا .. مُشرع الحلم الفسيح.. سجن "كوبر" فى 17 يناير 1985⁽²⁾

ثم جاءوا بالشيخ مكبلاً ومغطى الرأس حتى العنق.... كان يمشى بثبات وبطولة... لم، وأعتقد لن، أرى خطوة ثابتة وقوية مثل تلك الخطوات التى كانت تتجه، مدركة، إلى السكون الأبدى

لابد من أن يُعطى هذا المفكر المثقف الوطنى السودانى، الأستاذ محمود، حقه بإعادة قراءة الكثير جداً من الأشياء، ولا بد من إعادة فحصها، فهى بالفعل، اتفق معك، تدخل فى مفهوم المؤامرة عليه⁽³⁾.

الشفيح خضر سعيد

(1) حينما طلبت من الشفيح خضر سعيد إجراء مقابلة معه بشأن موضوع الأستاذ محمود، وكنت أعرف أن وقته كان ضيقاً وبرنامجه مزدحماً بالعديد من اللقاءات والمواعيد المسبقة، فأعذرت له عن مساحة الوقت التى أخذتها المقابلة، فرد على قائلاً: "إن الكلام عن الأستاذ محمود محمد طه توجب له كل المواعيد وتلغى من أجله كل الالتزامات".

(2) الشفيح خضر سعيد، "رؤيا فى المشهد السياسى: يا .. مُشرع الحلم الفسيح.. سجن "كوبر" فى 17 يناير 1985"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 26 يناير 2011، الموقع على الإنترنت www.alfikra.org

(3) مقابلة مع الشفيح خضر، الدوحة، قطر، 2012/9/28، الساعة 8-10:30.

سجن "كوبر" ... فى 17 يناير من العام 1985. كان السجن طيباً، يسمح بحرية الحركة بين الأقسام المختلفة داخل السجن.. وكان الشيخ فى قسم "زنازين الغربيات". قضيت معه كل صباح الخميس وبعضاً من الظهيرة... استقبلنى بابتسامة جميلة تنضح بالحياة.... كان ممثلاً حيوية وثقة بالنفس، وكان جميلاً بهياً وهو فى جلبابه الأبيض. جلسنا فوق "البرش"، وقدم لى البلح والشاى. حدثنى: عن الهوس الدينى وتشويه الإسلام، عن سرقة قوت الفقراء باسم الله، عن أن "النميرى" مطية غبية لتجار الدين، عن صراعه المحتدم والمستمر مع جماعة الهوس، عن رفضه الثابت لقوانين سبتمبر (1983)، وأنه لن يتنازل أبداً حتى ولو كلفه ذلك حياته!.. وحدثنى عن الثورة...!! قال لى بالحرف الواحد: "حال البلد هذه الأيام أشبه بحالها فى الأيام الأخيرة قبل ثورة أكتوبر 1964.... الشعب فى حالة غليان وسينفجر ويطيح بالهوس... إنى أرى الخضرة فى كل شىء.... وأراها قريباً جداً". ثم أخرج من جيبه ورقة أعطانى إياها قائلاً: "هذا منشور من جماعتكم، أصدروه صباح اليوم". كانت الورقة بياناً من الحزب الشيوعى السودانى بعنوان "أرفعوا أيديكم عن محمود محمد طه".

وواصلت الاستمتاع بالاستماع إليه والحديث معه. تحدثنا فى كل شىء...، إلا الموت وحكم الإعدام. وفجأة جاءنى السجنان الطيب مسرعاً ومشفقاً يطلب منى سرعة الرجوع إلى (عنبرى) فى قسم "المديرية" (أحد أقسام السجن). ودعت الشيخ ووعدته بالحضور إليه صباح الجمعة وأنا لا أدرى...

فى الطريق إلى العنبر كان السجنان الطيب مهموماً.. سألته فقال لى: "السجن مليان جيش.. ويظهر فى حاجة بطالة ح تحصل...". دخلت إلى العنبر لأجد زملائى المعتقلين متجمعين حول التلفاز يستمعون إلى فحيح السفاح "نميرى" وهو يؤيد حكم الإعدام.. وجم السجن، وازدادت جدرانها وجوماً. كان الصمت مطبقاً إلا من نبضات الحزن والغضب المكبوت....

اتجه أبوبكر الأمين، زميلى فى المعتقل، إلى الجدار الفاصل بين قسمنا وساحة الإعدام... اسمها "ساحة العدالة الناجزة"!.. وبدأ أبوبكر يحفر فى الحائط قضى الليل كله، ونحن معه، يحفر ونحفر، بكل ما هو متاح: بقية من "علبة صلصة"، قطعة زجاج،

مشبك حزام بنطال... ونصل مخبأ!! حتى زحزحنا الحجر الضخم / الصخرة الصغيرة... وأصبحنا نرى قبح المشنقة بكل وضوح..

أطل الصباح الشتوى الحزين... الجمعة 18 يناير 1985. رفضنا استلام الغداءات وأعلنا إضراباً عن الطعام فى كل أقسام السجن. بدأت جموع المرجفين ترد إلى ساحة الإعدام وهم يهتفون ويتصايحون.... كانوا فى حالة لا توصف من الهيستريا والهوس المجنون... وكان بعضهم يرقص...!!! ونحن ننظر من خلال تلك الكوة السرية، مجموعة تلو الأخرى فى تنظيم وترتيب دقيق، صامت ومتوتر.

ثم جاءوا بالشيخ مكبلاً ومغطى الرأس حتى العنق.... كان يمشى بثبات وبطولة... لم، وأعتقد لن، أرى خطوة ثابتة وقوية مثل تلك الخطوات التى كانت تتجه، مدركة، إلى السكون الأبدى... كانت الخطوات تكتب على أرض ساحة الإعدام: نعم، أشهد أنى أنقله من الشيخ القوى إلى الشيخ الشهيد... لكنه الشيخ الثابت على المبدأ... الشيخ المنتصر... الشيخ الملهم....

تعالت صيحات الهيستريا والهوس المجنون... وتضاعفت... كانوا كثر... أتوا ليروا هزيمتهم... ولكن هل يروا؟ كان الجلاد حزيناً وهو يلف حبل المشنقة حول عنق الشهيد.... بعد تلك اللحظة تخلص عن "مهنته" إلى الأبد!.. وفجأة أمر القاضى بكشف الغطاء عن وجه الشهيد قائلاً بتلذذ عجيب: " ليرى الزنديق كيف ينبذه الناس"... وكشف عن وجه الشهيد.... يا للروعة ويا للعظمة... كان مبتسماً وهادئاً وساخراً... ما أجمل ذلك.. شجاعة وصمود وبسالة وإيمان... وازدراء للموت... لم، وأعتقد لن، أرى مثل ذلك قط...! ومع كشف وجه الشيخ أخرست كل عواءات الهوس... وأطبق صمت رهيب.. رهيب إلا من أصوات ارتجافاتهم... والشيخ ينظر إليهم فى ابتسامة خالدة... ابتسامة تجهيل ورثاء!.. ما أقوى أن ترد الحقد بالرثاء حتى وهو يقتلك!!

ونحن، كنا ننظر فى صمت وخشوع ورهبة.... لحظة لا تملك أى قدرة على وصفها.... فهى غشتنا مرة واحدة فقط... لكنها فعلت الكثير فى دواخلنا وأنسجة مشاعرنا وعقولنا.... فعلت ما لم تستطع فعله سنوات الدراسة والتجربة والعمل.... تغذينا بلحظة الموت تلك ما لم تستطع أن تغذينا به لحظات الحياة.....!!

وفى لحظة السكون تلك..قررنا نحن أن يسمعنا الشيخ قبل استشهاده....فهتفت كل أقسام السجن فى لحظة واحدة وبنغم واحد، رددته معنا السماء والجدران: شهيد...شهيد يا محمود، فاشى...فاشى يا كباشى، سفاح سفاح...سفاح يا نميرى، مجرم نازى يا....،

وسمع الشيخ الهتاف، وازدان وجهه بابتسامة أجمل..! وسرى الرعب فى كل المهووسين وازداد يؤسهم صمتا...وسمعنا حشرجة القاضى يأمر الجلاد بالتنفيذ....سريعا غطى الوجه المبسم....وتدلى جسد الشيخ النحيل....لا صوت إلا هتاف المعتقلين.. يشق عنان السماء مصاحبا لروح الشيخ الشهيد.....

يا صنوج الإعلان.....يا طبول الشهادة دقى...رددى....دقى للشيخ الذى كان يدرى أن يضحك....ولا يبكى للحياة.....الباطن والظاهر صمت الجميع....إلا صوت الشارع فى المدن الجبلية بالثورة.

وتحدث الصمود، تفجر المخزون المكبوت، والتقت روح الشيخ الشهيد بروح حفيده "مشاعر"، وكانت انتفاضة الشعب فى مارس أبريل 1985.

شهادة عبد اللطيف سعد على حارس الأستاذ محمود فى زنزانة الإعدام⁽¹⁾ ضمن حوار صحفى

لم يتعامل معنا كأعداء..!

قال [الأستاذ محمود] لمدير السجن: "لو بستانف أو بسترحم ما كان جيت هنا"!!

رحم الله محمود محمد طه..لم يتنازل ولم ينحن ولم يتخاذل مات وهو مؤمن بالطريق الذى سار فيه، أنا لست جمهورية ولكنى فعلاً أحترم إرادة هذا الرجل فقد فاقت إرادة شعب بأكمله⁽²⁾.

سارة منصور

(1) عبد اللطيف سعد على، "حارس الأستاذ محمود فى زنزانة الإعدام"، حوار عبد الله الشيخ، صحيفة أجراس الحرة، الخميس 25 نوفمبر 2010.

(2) سارة منصور، "موسم البكاء على محمود محمد طه"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/1، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

حوار عبدالله الشيخ

هذا الرجل، رقيب أول عبد اللطيف سعد على أوكلت إليه مهمة حراسة الاستاذ محمود محمد طه داخل سجن كوبر منذ عصر السابع عشر من يناير 1985 وحتى لحظة التنفيذ فى العاشرة من صباح اليوم التالى.. مرت خمس وعشرون سنة على هذا الحدث، وهذه الإفادات التى وردت خلال الحوار تقرأ الى جانب إفادات آخرين، إذ المشهد الكامل لحادثة اغتيال الاستاذ محمود قد يتشكل من إفادات أخرى لشهود آخرين، الى جانب ذاك الذى لم يزل فى صدور الرجال.. كان الحكمدار عبد اللطيف حريصاً على ترديد عبارات الاستاذ محمود التى سمعها منه فى تلك الساعات، يرددها حتى يكاد يطمئن السامع الى أن مرور كل هذه السنين لم تجعله ينسى الوقائع.. مهما يكن، فإن استخلاص الحقائق عن طريق الحوار يبدو صعباً مع عسكري أُمى، ملتزم بمهته، ربما لو تحدث قبل هذا العهد لما أهمل تفاصيل صغيرة ودقيقة وملاحظات قد لا تبدو مهمة من وجهة نظره، نظراً لانغماسه فى القيام بواجبه المباشر فى حراسة سجين هدد بكلماته القوية وبمواقفه الصميمة عرش الحاكم.. ومع إعجاب السجان بالسجين، إلا ان السجان مازال يؤكد أن جناية الاستاذ محمود التى اوصلته الى حبل المشنقة هى أنه سمع مايلى: "قالوا، قال إنو الصلاة رُفِعَت مِنو"..

فى بداية اللقاء، وقف الرجل بشلوخه، وقف الرجل الشمانينى "رقيب أول" عبد اللطيف سعد على، وألقى على "التحية العسكرية" "...! قلت له: عسكري بالمعاش، يلقي التحية العسكرية على ملكى، لماذا؟

قال الرقيب أول عبد اللطيف: نظامنا فى العسكرية، لما تدور تتكلم كلام مهم ترفع التحية العسكرية، لأنو الكلام عن الزول دا كلام مهم.. (الزول هو الأستاذ محمود محمد طه، وقد كان الرقيب أول عبد اللطيف مكلفاً بحراسته منذ عصر السابع عشر من يناير، وحتى لحظة تنفيذ حكم الإعدام فى الساعة العاشرة من صباح الجمعة 18 يناير 1985).

متى دخلت الشرطة..؟

أنا من البرصة، من الشمالية، جيت الخرطوم، اتعينت شهر واحد سنة 56 لما كان الخواجات ينقلوا عشهم راحلين بالسكة حديد، زمن الاستقلال أنا كنت مستجد، عملت

فى بورتسودان، وجابونى سجن كوبر عشان ابنى القشلاقات، كنت شغال فى الكمينه بتاعة الطوب فى الجريف غرب، من الكمينه جابونى السجن للتنفيذ.. الترقيات زمان كانت بالأقدمية، ما عندك كفاءة ممكن تتظلم، أنا أمى ما بعرف القراية.. نزلت المعاش سنة 93، لما نزلت المعاش أدونى معاش 700 جنيه بس.. زول ما اشتغل عسكرى ما بيعرف يمشى كويس فى الشارع، أنا هسه شغال بى حرارة العسكرية، لحدى هسه عمري تمانين سنة ما بقدر أرقد فى السرير وأتناوم، عندى روح معنوية عالية..

من هو قدوتك فى العسكرية..؟

أحسن عسكرى هو الصول طه على عيسى، شايقى من جلاس..

ماهذا الغرام بين الشايقية والعسكرية..؟

زمان كان تعليم مافى، زمان كانوا بيقولوا الشايقى إن نجح هجانى، وإن بطل طيانى..

هل كنت تعرف الاستاذ محمود محمد طه من قبل؟

ما بعرفو، ما قابلتو إلا لمن الله جابو لى فى السجن، لكن كنت بلاقى ناسو فى الخرطوم واقفين فى الشارع، بنات وأولاد شباب، نسوان ورجال، شايلىن كتبو، واقفين "لمة لمة"، لابسين أبيض، كنت أعرف إنو ديل الجمهوريين.. لكن الله جابو لى فى السجن، كنت حارسو من العصر لحدى ما طلع المشتقة..

ممكن توصفو لينا؟

ماهو طويل، وماهو قصير، مربع، ماهو سمين ولا هو نحيف..

لماذا جاءوا به الى السجن؟

جابوهو محكوم عليهو بالاعدام، قالوا "قال الصلاة رفعت منى"..

هل سمعت منه هذا الكلام؟

لا، أنا كنت حارسو من العصر الخميس لحدى ساعة التنفيذ،

كيف تم اختيارك لحراسته؟

انا كنت حكمدار، كنت شغال فى كماين الجريف، بنشتغل فى الطوب، سلمونى ليهو ومعاي ثلاثة من العساكر .

هل تذكر أسماءهم ؟

العساكر اللى كانوا حرس تحت إمرتى هم جعفر طه، صلاح محمد، خالد طه، ما يعرف بلودهم وين، لمتنا العسكرية..

استلمتوهو وين؟

استلمناه فى سجن كوبر، لما استلمناه وديناهو الميزان، بعد الميزان دخلناهو على مدير السجن، مدير السجن قال ليهو: يا محمود، إنت بكره فى الدار الآخرة..

مدير السجن - حينها - إسمو منو؟

مدير السجن كان الكمندان عبد الرحمن الصاوى..

ماذا كان رد الأستاذ محمود على عبارة إنو بكرة حيكون فى الدار الآخرة ؟

ما قال حاجة، أنا كنت واقف بى شمالو، عسكرى واقف بى يمينو وإثنين وراهو.. وقدامو مدير السجن، قاعد فى الكرسى قدامو تربيضة.. بعدين مدير السجن سألو تانى، قال ليهو: عندك وصية لأولادك؟ رد عليهو طوالى، وقال: " أنا أولادى موصيين طبيعى"، تانى سألو مدير السجن: عندك استئناف أو استرحام؟ رد عليهو طوالى: "لو بستأنف أو بسترحم ما كان جيت هنا".. مرقنا من مدير السجن، ومشينا بى زولنا عشان ندق ليهو القيد..

ماهو دق القيد؟

دق القيد دا يسويهو العسكرى بتاع الحدادة، القيد عبارة عن حجل كبير وجنيزير، يركبوهو فى الكرعين، وفى اليدين، لما تجى ساعة الإعدام يفكو القيد، ويركبو القيد فى اليدين من الخلف..

ماذا قال الأستاذ محمود لحظة "دق القيد"؟..

لما وصلنا للعسكرى بتاع القيد سأل العسكرى: دا شنو ؟ العسكرى بتاع القيد قال

ليهو: دى أوامر.. رد عليه طوالى وقال : " أوامركم زى زبد البحر"

يعنى شنو؟ هل هذا اعتراض على وضع القيد فى يديه ورجليه؟

لا، مافى احتجاج، قال بصوت واضح ما فيهو خوف "أوامركم زى زبد البحر" .. بعد ما دقينا ليهو القيد وديناهو للزنزانة، قعد فى الزنزانة..

قعد كيف؟

قفلنا الطبله، الطبله مسوكرة، والمفتاح معاى، دخل الزنزانة، خت نعلينو تحتو وقعد لحدى الصباح..

ما طلب منكم حاجة؟

لا حاشا، ولا قال ماشى الحمام.. ما طلب أى حاجة، القعدة الياها.. كان قاعد مستقبل القبلة، ونحن كنا قاعدين قدام الزنزانة مقابلين ليهو، الزنزانة بلاط، مترين فى متر ونص..

قال ليكم شنو؟

ما قال أى حاجة، واحد من العساكر سألو: داير الحمام ؟ نجيب ليك موية ؟ نجيب ليك أكل ؟ قال: لا..

قال: "لا" بى ياتو طريقة..؟

قال: "لا، شكرأ" .. (يحاكى الرقيب أول عبد اللطيف الاستاذ محمود ويقول أنه أوماً بإصبع يده اليمنى بعلامة لا..)..

قعد قعدة واحدة فى الزنزانة حتى الصباح؟

قعدة واحدة، ما اتزحزح منها، لا نام، ولا نحن نمنا، نحن كنا بنتناوب على الحراسة اتنين، اتنين..

لما جات الساعة 4 صباحاً جانا الضابط يعقوب وقال لينا : "جيبو الرجل ده " .. سقناهو، ومرقنا بيهو الى بوابة السجن القبلى، لقينا عربية، أركبوا، أركبوا ركبنا، مشت العربية الى الباب الشمالى للسجن وحتى وحدة العدالة الناجزة، لما طلعلنا بالعربية لقينا

البوليس مالى الفجة بى درقاتو، وبى سلاحو، والأمة طالعة فى رؤوس البيوت، بيوت القشلاق، وفوق الكُبرى، وفى الشوارع والناس مرصوصة وزاحفة لحدى سلاح النقل والمنطقة الصناعية، ما أعدموهو الساعة 4 زى ما بيعدموا المساجين العاديين، أعدموهو الساعة 10، نحن المساجين العاديين بتننذ عليهم الحكم الساعة 4 صباحاً..

كنت تحرسه فى "وحدة العدالة الناجزة" أم تغير طاقم الحراسة..؟

كنت حارسو، و مدير السجن قال شيلو الطاقةية والشال منو، لما شلنا الطاقةية والشال منو قال : "ما عندكم كلام"، جاء القاضى وقرأ صحيفة "السوابق" ..

هل تعرف ذلك القاضى الذى قرأ صحيفة السوابق؟

مايعرفو، كمان جابوا نفر من ناسوا، لابسين أبيض، وقفوهم فى صف واحد، و ونحن مشينا طلعناهو فى السلم..

لماذا لم يصعد وحده الى سلم المشنقة؟

كان مقيد بالجنازير، القيد ثقيل.. المهم طلع المشنقة، بعد سحب الحبل، الجماعة كبروا.. بعد ربع ساعة جاء الطبيب، وكشف عليهو، شلناه بالنقالة، واستلموهو متنا..

استلمو منو..؟

مافى أى زول بيعرف ودوهو وين، لا عسكرى، ولا ملكى، استلموهو ناس الأمن.. الناس لو عرفت مكانو "كان بيلحسوا ترابو" ..

ليه..؟

الرجل ده صميم، كلمتو واحدة، وما بيعرف التراجع..

خلال حراسته من عصر الخميس وحتى التنفيذ هل أبدى أى اعتراض على علملكم..؟

لا، حاشا، ما أدانا ولا كلمة، كان ساكت قاعد، ما كان بيعتج على أى حاجة، ما أبدى أى اعتراض.. يا زول دا سجين ما عادى..

ما هو الشئ الذى يميزه عن الآخرين..؟

أنا حضرت إعدام ناس كثيرين، الزول لما يقولو ليهو "إنت بكره فى الدار الآخرة" بعضاً منهم يكورك [يفزع ويفزع] ويبكى، وفيهم اللي بيقع غمران، فيهم اللي بيرجف، فيهم اللي بيتضعع، فيهم اللي بـ "بتر" لا ورا [يتراجع إلى الخلف]، وفيهم..... زولنا ده ثابت، شجيع، ما فيهو حبة خوف من الموت، يرد الكلمة بالكلمة.. يقول كلامو بصوت واضح، وكلام قوى..

أثناء الحراسة كنتو قاعدين قدامو، شفت تعابير وجهه؟ تعابير وجهه بتقول شنو؟ أيوه، شفتو، شفت تعابير وشو، الموضوع ده ولا هاميهو،، وشو طيعى جداً..الصاح يعلم بيهو الله،، لكن الزول دا لا هو كاتل ولا هو سراق، أنا ما كنت بعرفو، لامن الله جابو لى، ولا قيتو..

وأنت تقوم بواجبك فى الحراسة، هل تعتقد إنو ممكن يفكر فى الهرب..؟ أنا واجبى أحرسو، لكن الزول ده شجاع وثابت.. لكن لو ثابت أو ما ثابت نحن بنحرسو، وبس..

كيف عرفت أنه شجاع وأنت أول مرة تشوفو فى السجن..؟
ردو على مدير السجن براهو كفاية..

إنت عسكرى، وعندك قوة الملاحظة، إحساسك شنو لما لقيتو قدامك..؟
إحساسى..؟ أنا زول حارس..

الحراسة مهنة، هذا عملك، "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"، لكن إنت لما شفتو، هل حسيت إنو الزول ده بتاع شر..؟
لا، حاشا، ده زول ما عندو شر..

بأماره شنو عرفت إنو ما عندو أى شر..؟
عرفت من وشو..

هل أذاك إحساس بأنك إنت عدو بالنسبة ليهو..؟
لا، حاشا، ولا أدانى إحساس بإنو زعلان منا، ولا حتى من مدير السجن، ولا حتى من

الناس الى حكموا عليهم.. الزول دا أنا قلبى انشرح ليهو..

إذن، لماذا لم تتحدث معه..؟

أنا حارس..

لو قدر لك أن تتحدث معه، ماذا كنت ستقول..؟

(أطرّق برهة، وقال): لو اتكلمت معاهو كنت حاسألو " السبب الجابك هنى شنو" ..؟

لكن، نحن ما بندخل فى الحاجات دى.. وما بنتونس...

تفتكر جابوهو السجن ليه..؟

ما اتكلم معانا..

سمعت السبب الجابوهو بيهو شنو؟ هل سمعت إنو الجمهوريين وزعوا منشور "هذا أو

الطوفان" ..؟

سمعت قالوا إنو قال الصلاة رفعت منو..

قلت إنو الاستاذ محمود قعد قعدة واحدة من العصر حتى الساعة الرابعة صباحاً، هل

أصيب بالقلق أو تمللمل من القعدة الطويلة دى..؟

لا، لا، حاشا..

لو قلنا ليك وصف لنا حالتو فى الساعات ديك تقول شنو..؟

ده زول عارف بيسوى فى شنو، أنا ما حصل لاقيت زول زى دا، سجين ما عادى،

المساجين العادين المحكوم عليهم بالإعدام نحن بنعرفهم، كل الناس تبطبط [تفقد ثباتها]،

إلا دا، ثابت، ناشف عود..

لما قال لمدير السجن " أولادى موصيين " قال الكلام دا بى ياتو صيغة..؟

قال "أنا أولادى موصيين طبيعى" ..

هل قالها بانفعال..؟

لا، ما كلام زول زعلان، قال كلامو بصوت عادى، صوت واضح..

هل قالها هازئاً بمدير السجن..؟

لا مستهزئ، ولا ساخر، ولا خائف، ولا زعلان..

لما وقف قدام الميزان، طلع فى الميزان براهو..؟

الحكمدار بتاع الوزن قال ليهو أطلع فى الميزان، ملص نعلينو وطلع فى الميزان..

تذكر وزنو كان كم..؟

لا أذكر.. لكن وقف زى خمسة دقائق فى الميزان..

العسكرى بتاع القيد اسمو منو..؟

إسمو بلال..

أنت كمواطن عادى، هل ترى أنه مظلوم..؟

قالوا قال الصلاة رفعت منو.. لكن السمعتو منو إنيو كان بيرد الكلام بكلام قوى، رد

بى معنى..

لكن ما اتكلم معانا، هو فى حدودو، ونحن فى حدودنا..

"أوامركم زى زبد البحر" الكلام دا فهمت منو شنو..؟

قالها ومدير السجن واقف قدام الباب.. فى راجل بيقول كده؟، ده زول كلمتو واحدة،

ما لا جاي، ولا جاي..

هل أنت معجب بيهو..؟

جداً جداً، أنا معجب بى شجاعتو، معجب بى رجالتو دى..

لو لا قيت الزول الشجاع ده تانى، حَ تقول ليهو شنو..؟

(رفع يديه علامة السؤال، ابتسم وقال): ألاقيهو وين..؟

نفترض إنك لاقيتو تانى، حَ تقول ليهو شنو..؟

لو لا قيتو حَ أهنيهو على الرجالة بتاعتو دى، مافى ولد مرا وقف الموقف دا..

سألت ابنه الذى كان طالباً حينها، سألته عن تلك الحادثة، قال: فى ذلك اليوم طرق

باب بيتنا فى القشلاق بعض النسوة فى عمر جدتى، طلبن منى أن أسقيهن، جئت إليهن بجردل ماء، قلن لى أنهن من حى لطفى، من رفاعة.. سألتهن: هل انتن من تلاميذ الأستاذ محمود..؟ ردن على بصوت واحد: كيف يا ولدى..؟ والليلة نحن جينا من رفاعة عشان نحضر التنفيذ، الليلة إن شاء الله تحصل كرامة..

هل وقعت الكرامة..؟

وهل هناك كرامة أكثر من الابتسامة ؟

ابتسامة وإنْت ماشى لحبل المشتقة..؟ فى كرامة أكثر من زوال نظام نيرى بعد 73 يوم من إعدام الأستاذ..؟

عندما ودعت عم عبد اللطيف، الذى كانت كنيته بين العساكر "سعد حداد" لإدمانه حياة العسكرية، كان "سعد حداد" حريصاً على أن يقف وقفة العسكرى ليودعنى.. ابتسم، كأن الطيف الذى يروق له قد استقر فى الواقع!

قال بلكنة حديثه المميزة: " الليلي..ده يوم سعيد، ذكرتنى بى زولاً ليهو تاريخ، عندو بنت اسمها أسماء، رفعت قضية فى زمن حكومة الصادق، قالت أبوى دفنوهو وين..؟ قول ليها أنا حافظ تاريخ أبوك" ..

شهادة إدريس زكريا، أقدم شناق بالسجن الاتحادى، منفذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود⁽¹⁾

نفذت حكم الإعدام ومحمود محمد طه أشجع من قابلنى

كانت وقفته حدأ بين الكلمة والمعنى..

بين المطلق والمحدود

كانت وقفته حدأ بين المدرك والمحسوس..

بين العلم وبين الجهل

(1) إدريس زكريا، "منفذ حكم الإعدام ضد محمود محمد طه.... أقدم شناق بالسجن الاتحادى"، صحيفة الدار، العدد: 2104، الأربعاء 23 أغسطس 2000.

بين الديمومة والموت

بين الهوة والقمة

بين النعمة والنعمة

كانت وقفته لا تشبه إلا واقفها...!!

وكنا أجمل من يتعلم

كنا أجمل من يتعلم!!⁽¹⁾

عصام إبراهيم جمال الدين

لقد قمت بتنفيذ حكم الإعدام على النزيل محمود محمد طه... وفى يوم التنفيذ كان الغرفة المخصصة للإعدام... صعد إلى جبل المشتقة بشجاعة ولم يبدُ عليه أى تأثير فقد كان شجاعاً بحق وحقيقة ورغم تقدم سنوات العمر بى فمازلت أذكر هذا اليوم جيداً وحقيقة محمود محمد طه أشجع من قابلنى..!

شهادة العميد معاش طيار فيصل مدنى مختار قائد الطائرة التى حملت جثمان الأستاذ محمود⁽²⁾

هذه الإفادة شهادة للتاريخ...

هذا بالضبط حقيقة وشهادة للتاريخ ما حصل لدفن الأستاذ المرحوم الباشمهندس محمود محمد طه. أؤكد للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة، إنو فى غرب أمدردمان فى هذه المنطقة التى تبعد حوالى 20 إلى 30 كيلو.

أما ملحمة الرجل الحقيقية فقد تمثلت بحق فى وقفته الجليلة، المجللة بنصاعة الحق وأنوار الفداء العظيم، أمام قضاة السوء أولاً: ... وأمام المشتقة ثانياً: فعندما أحكموا جبل الموت حول عنقه وأزاحوا غطاء الرعب عن وجهه

(1) عصام إبراهيم جمال الدين، "مرآة ومواقف"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، صحيفة الأيام، 17 يناير 1987.
(2) فيصل مدنى مختار، "شهادة فيصل مدنى مختار"، (تسجيل بصوته وبالفديو)، أدلى فيصل بشهادته بطلب من أسماء محمود محمد طه، تم التسجيل بواسطة مركز الأستاذ محمود محمد طه الثقافى، أمدردمان، حصلت على نسخه من تسجيل الشهادة بالفديو من أسماء محمود محمد طه مديرة المركز.

الوضىء وجدوا رجلاً يبتسم لا ساخراً ولا مستهزئاً بالموت بل موقناً بالفداء الكبير مطمئناً إلى "اختيار ربه" منسجماً حتى "النهاية" مع منطقة التوحيدى وهذا أقصى ما يصل إليه الصديق. وهكذا فقد مضى "إلى الخلود بطلاً ورائداً وقائداً رعى الشهداء ورمز إيمان جديد بالفداء... وبالوطن"⁽¹⁾.

عبدالله بولا

بسم الله الرحمن الرحيم أنا العميد طيار معاش فيصل مدنى مختار، كنت طياراً بقيادة القوات الجوية السودانية وكنت أخيراً عضو مجلس ثورة الإنقاذ الوطنى. هذه الإفادة شهادة للتاريخ وحقيقة قبل ذلك، قبل عدة أعوام بالظبط فى سنة 92 وفى عام 95 صرحت بها فى بعض الصحف، وذلك خوفاً من أن هذه الحقيقة تضع لأن كثيراً جداً من الناس ذهبوا شتى المناحى فى هذا الأمر، وهو ما يختص بمكان دفن الأستاذ المرحوم محمود محمد طه. حقيقة هذا الأمر الآن هذه الشهادة بطلب يعنى خاص مقدر من الأخت أسماء ابنة المرحوم، وعن طريق أخونا عثمان كولا والأخ على وأخ عزيز أيضاً هو الأمين الطيب. وحقيقة كنت أتمنى أن أتصل بهذه الأسرة منذ زمن طويل جداً ولكن شاءت الأقدار أن تكون هذه الشهادة اليوم موثقة فى هذا البرنامج.

حقيقة قبل يوم من إعدام الأستاذ المهندس محمود محمد طه، كنت فى رحلة بالطائرة وفى مأمورية تدريبية وهبطت فى مطار الخرطوم أو حقيقة فى المنطقة العسكرية من مطار الخرطوم فى وقت متأخر بعد ساعات الدوام. ووجدت فى ذلك الوقت تعليمات من القيادة بأخذ طائرة معينة هيلوكوبتر إلى منطقة سجن كوبر، وبالتحديد فى منطقة سلاح النقل، وذلك لأخذ جثمان المرحوم بعد إعدامه. حقيقة ليينا التعليمات وذهبنا بالطائرة إلى تلك المنطقة المحددة ثم جئنا صباح اليوم، صباح يوم التنفيذ. وقد كان المنظر كالاتى: فى مكاننا وهو فى منطقة سلاح النقل كنا ننظر من الناحية الشرقية حيث السجن، سجن كوبر، المكان الذى كان سيتم فيه الإعدام، ومن خلف السجن كان هنالك، زى ما معروف، كبرى القوات المسلحة وهو كبرى برى. المنظر حقيقة كان منظر عجيب حيث تقاطرت كميات

(1) عبدالله بولا، مرجع سابق.

هائلة من البشر، وحقيقة تكاد تكون قد غطت على الكبرى وما حولين السجن. الشيء الذى تعذر بالنسبة لنا بالرغم من أسوار السجن العالية إلا أننا لم نستطع أن نرى ما يدور بداخله. بعد تنفيذ الإعدام جاءت مجموعة من السجانة اللى هم حراس السجن على عربة مكشوفة يحملون جثمان المرحوم، وكان هذا الجثمان على نقالة، مثل التى يُحمل بها الجرحى. وجاءوا على عربة مكشوفة وبسرعة خيالية ادخلوا الجثمان فى الطائرة. حيث لاحظت فى ذلك الوقت بالتحديد أن رجلى المرحوم، حقيقة قدماء، أن قدميه كانتا خارج البطانية التى غطى بها. وأقلعنا بسرعة ثم سألت أحد هؤلاء السجانة عن المكان الذى يتم فيه الدفن. فقال لى: تعليماتهم أن يتم الدفن فى غرب أمدرمان. أين فى غرب أمدرمان؟ هل فى أم بده؟ فى المقابر المعروفة مثلاً فى البكرى فى شرفى. قالوا لى: لا أبداً غرب أمدرمان. وين يعنى فى المرحيات. قالوا غرب أمدرمان. حسب علمنا فى غرب أمدرمان منطقة صحراوية ليس بها مقابر.

حقيقة فى ذلك الوقت حصلت حدة بينى أنا وبين هؤلاء الأشخاص، وكان يجب أن نتخذ قراراً سريعاً إما أن نذهب إلى هذه المقابر المعروفة وإما أن نذهب إلى حيث أشار هؤلاء السجانة. وبما أنه لم تكن هناك مقابر، يعنى لم يكن هناك قبر جاهز فى أى من هذه الأماكن فاستقر رأينا أخيراً على أساس أن إكرام الجثة دفنها. فعلى مضض ذهبنا إلى غرب أمدرمان حوالى بين 20 إلى 30 كيلو لا أذكر بالضبط وأنزلنا المجموعة التى جاءت معه وبدأوا فى الحفر، ثم أفلعت وكان معى أحد الطلبة الذين كنت أدرهم فى ذلك الوقت على الطيران. وحوالى بعد نصف ساعة تقريباً جئنا، والشيء العجيب أننا فى أول الأمر لم نستطع أن نحدد المكان الذى أنزلنا فيه هذه المجموعة. وذلك للتشابه.. المنطقة كانت طبعاً رمال صفراء وكانت أيضاً ملابس هؤلاء الحراس قريبة من هذا اللون، ثم اعتقد أنه كان هنالك فى البحر بعض الأثرية. المهم أخيراً وجدناهم وتأكدنا من أنه قد تم الدفن، فحملناهم وما بقى معهم من أجهزةهم ومعداتهم وأنزلناهم فى مطار الخرطوم. هذا بالضبط حقيقة وشهادة للتاريخ ما حصل لدفن الأستاذ المرحوم الباشمهندس محمود محمد طه. أوكد للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة، إنو غرب أمدرمان فى هذه المنطقة التى تبعد حوالى 20 إلى 30 كيلو. وأنا على استعداد للإجابة عن أى سؤال من الحاضرين [أثناء التسجيل] فى هذا الأمر. أثناء جلسة

التسجيل تم توجيه بعض الأسئلة إلى العميد طيار فيصل مدنى مختار، عن الشائعات التي ترددت عن دفن الجثمان وعن عدد أفراد طاقم الطائرة، وهل حضر أى مسؤول عملية الدفن؟ وهل كفن أم لا؟ ... إلخ فأجاب العميد طيار فيصل مدنى مختار قائلاً:

حقيقة أنا سمعت كثير جداً من الإشاعات، وهذا واحد من الأسباب التي جعلتني إنو فى ذلك الزمن، زى ما قلت فى سنة 92 وسنة 95 بالذات، حدا بى أن أصرح بهذا التصريح، وهو أننى سمعت إنو الطائرة القته فى البحر الأحمر وسمعت أنه ألقى فى وادى الحمار وأشياء أخرى كثيرة. حقيقة الناس إمكن الكانوا حاضرين فى ذلك الوقت ورأوا الاتجاه اتجاء إقلاع الطائرة يدل فعلاً على إنو إلى طريق وادى الحمار أو إلى البحر الأحمر لأنو الـ Take-off أو الإقلاع كان من ناحية الشمال أو الشمال الشرقى تقريباً حيث كانت تأتى الرياح. أنا أؤكد أن هذه إشاعات غير قابلة للتصديق ولا يمكن نحن كناس مسؤولين وكمسلمين إنو نلقى جثة فى العراء وهذا التاريخ لا يرحم ونحن ذاتو ضميرنا لا يسمح بأن هذا الأمر يحدث. أؤكد لكل المرات إنو هذا الدفن تم فى غرب أمدردمان، ودفن تماماً، وتأكدت من ذلك بعد أن نزلت فى المرة الثانية فى هذه المنطقة، وليس هنالك أى مجال لأى قصة أخرى.

عدد الطيارين الموجودين أساساً كنت أنا الطيار ومعى مساعد طيار وهو كان فى ذلك طالب تحت التمرين، ومعنا فنى جوى. هذا هو طاقم الطائرة المعروف، ويعرفه كل الذين تعاملوا مع هذا النوع من الطائرات. أما حكاية إنو موجود مصرى. أو أى.. له يكون فى مصرى أیه السبب يكون فى مصرى موجود مع طاقم سودانى مائة فى المائة.. أنا أؤكد وأقسم بالله وأنا متوضىء أقسم بالله إنو هذا الأمر تم بأيدي سودانية مائة فى المائة وفى المكان الذى قلته. أما السؤال الثانى فيما يختص بماذا تم بخصوص المنطقة. أنا أؤكد أيضاً بأنو الطاقم الذى قام بالدفن هم حراس فى سجن كوبر. ولو ذهبتم إلى سلطات سجن كوبر أنا متأكد أنهم سيعطونكم الأسماء بالأشخاص الذين تم تكليفهم فى ذلك الوقت للقيام بهذه العملية، وسيؤكدون قولى بأنهم قاموا بدفنه فى نفس المنطقة. أما السبب الذى جعلنا فى ذلك لا نستطيع برغم خبرتى، أنا ما شاء الله عندى خبرة كانت ممتازة جداً فى

ذلك الوقت فى الطيران، أننا لم نستطع منذ الوهلة الأولى أن نجد المكان الذى أنزلنا فيه الحراس، وطبعاً السبب واضح جداً أولاً: تم اختيار المنطقة عشوائياً، لم تكن هذه المنطقة محددة من قبل. ثانياً: نحن كطيارين دائماً نعتمد على العلامات الموجودة على الأرض مثلاً جبال، قرى، حجارة ضخمة أنهار على أساس أنك تحدد موقعك بالضبط أما هذه فكانت عبارة عن رمال وكتبان رملية. بالتالى وجود أى نوع من الأتربة فى ذلك الوقت قد يعذر مدى الرؤية وبالتالى كانت من الصعوبة فى أول وهلة نجد الجماعة محل أنزلناهم.

هذا يقودنى أيضاً لسؤال أخير قبل كده أنا سألونى عنه. سألنى عنه أحد الصحفيين فى ذك الوقت فقال لى: إذا ذهبت إلى هذا المكان هل تستطيع أن تحدد مكان الدفن. قلت له لا. لأنو كان بعد زمن هذا السؤال. لسبب بسيط جداً إنو التحديد يعنى إذهب لهذا المكان واحفروا هنا، من الصعوبة بمكان. للأسباب التى قلتها قبل شوية إنو ما فى علامات أرضية، تحديد المكان كان عشوائى، وفى عامل آخر وهو عوامل التعرية التى تحصل فى الصحراء، الزحف الصحراوى، الزحف الصحراوى لم يقف ولن يقف فى يوم من الأيام وحتى النيل الأبيض الآن بدأ فيه بعض الزحف الصحراوى. وبالتالى المكان فى ذلك الوقت لم نستطع تحديده للأسباب هذه ولسبب آخر هو لم يكن لدينا فى القوات الجوية فى ذلك الوقت الأجهزة المتقدمة الموجودة حالياً مثل الجى بى أس والتى تحدد المكان بالضبط بالطول والعرض. لهذه الأسباب من الصعوبة بمكان أقول الآن إنو تحديد المكان بالضبط، إلا إذا فى تكنولوجيا جديدة أو أقمار صناعية أو بحث مضمّن قد يستمر لأيام وقد يستمر لشهور. وأنا على استعداد أيضاً فى هذا المقام أعلن - إذا ربنا طول فى العمر - أى محاولة للبحث أنا مستعد أكون جاهز وأشارك فيها.

ثلاثة أسئلة. بخصوص السؤال الأول: حقيقة كانت التعليمات بأنو تقوم الطائرة إلى منطقة سلاح النقل لعملية دفن المرحوم بعد الإعدام. ولم يكن معها أى توضيح آخر، على اعتبار أنه هذا سيخبرونا عنه بعد عملية الإعدام. بالنسبة للسؤال الثانى فيما يختص بالمسؤولين، لم يكن هنالك أى مسؤول قد حضر الدفن، غير السجانة فى منطقة غرب أمدرمان. لكن طبعاً فى أثناء الانتظار قبل أن يأتوا بالجثمان كان هناك إمكّن شخص واحد مسؤول كبير فى ذلك الوقت وهو قائد سلاح النقل، وهو العميد فى ذلك الوقت فضل

الله برمة ناصر، كان هو قائد سلاح النقل، وكان يقف معنا وكنا كالعادة نتناقش فيما سيحدث. غير ذلك لم يكن أى من المسؤولين بخلافه موجود فى ساحة الجثمان حينما أخذناه بالطائرة. أما بخصوص سؤال الأستاذة أسماء، حقيقة فعلاً يعنى امتداد لهذا الكلام ضمناً نفس الإجابة إنو لم يكن هناك أى مسؤول ولا شيخ ولا.. يعنى نحن ما فى شىء غير إنو أخذنا الفاتحة آخر حاجة على المرحوم. لكن لم يحضر أى شخص آخر. وكان شىء عجيب يعنى كنا نعتقد على الأقل تُمثل الحكومة بشخص غير شخصنا الضعيف، نحن ما كنا ممثلين ولكن كان ممكن.

بخصوص الكفن. طبعاً أنا لم أحضر عملية الدفن عشان أقول لك بالضبط فى كفن أو ما فى كفن. ولكن من الشواهد التى رأيتها، إنو رأيت قدمى المرحوم فى ساعة رفعه على الطائرة وهم خارج البطانية وقد يدل ذلك لعدم وجود الكفن وقد لا يدل، قد كانتا مكشوفتين.

أنا أذكر تماماً إنو بعد الدفن لم تباشر سلطة عليا أو جهاز أمن أو واحد من المسؤولين جاء سألنى دفتوه وين ما فى، لم يسألنى أحد عن مكان الدفن.

شهادة اللواء معاش محمد سعيد إبراهيم مدير سجن كوبر 1982-1985 فى مقابلة صحفية⁽¹⁾

الأستاذ محمود دفن غرب أمدرمان بجنازير و!!

نفذ حكم الإعدام فى 18 يناير 1985 فى حوش الطوارئ بسجن كوبر العمومى. وكان ذلك لكمة عنيفة للإسلام والتراث العربى والإسلامى ولقيم التسامح الدينى والثقافى فى السودان⁽²⁾.

محمد على جادين

(1) محمد سعيد إبراهيم، "مقابلة مع اللواء معاش محمد سعيد إبراهيم"، صحيفة اليوم التالى، الأحد 4 مارس 2012.

(2) حمد على جادين، "الدين والسياسة فى السودان: الجمهوريون والبعثيون أمام مقصلة الردة"، صحيفة الأحداث، الخميس 18 يناير 2010.

الصحيفة س: محمود محمد طه وإعدامه؟

ج: محمود محمد طه وآخرون أتوا بهم إلى كوبر وتهمتهم "الردة" والحكم كان فيه استتابة وهذا أول حكم اعدام فيه مخرج بأن الشخص إذا تراجع عما يعتقد به يتم نجاته من حكم الإعدام.

س: ماذا فعلت؟

ج: جلست معه لمدة "نصف ساعة" لكنه كان مصراً على رأيه بأن المحكمة لا تملك الحق في الحكم عليه ورفض التراجع عن رأيه.

س: هذه آخر كلماته؟

ج: نعم هو رفض بشدة ولم يتراجع وتم التنفيذ... تم التنفيذ بحضور عدد من الناس.

س: ماذا قال قبل التنفيذ؟

ج: أخبرناه بالوقت المحدد وحاول أحد الإخوة معه وفشل وتم (كما قلت لكم) التنفيذ.

س: جثمان الراحل محمود محمد طه ماذا فعلتم به؟

ج: لم يتم تسليمه لأهله استلمته الجهة التي أتت به وحملته إلى جهة غير معلومة.

س: هناك من يردد بأن جثمانه قد رمى بالبحر؟

س: معلوماتي تقول غير ذلك بأن جثمانه قد حمل في مروحية ودفن غرب أمدرمان وليس هناك معلم واضح يمكن من خلاله التعرف عليه.. وأقول لكم الجنازير في رجليه لم يرجعوا لنا.. تم دفنه بجنازيرو.. أعتقد ذلك من الصعب تحديد أين وكيف دفن.

س: أنت بذلك تنفي رميه بالبحر؟

ج: بكل تأكيد واحد الذين حضروا ذلك أخبرني بأن "هواء الطائرة" بعد تحركها قد أخذ بعض تراب القبر.

س: مباشرة بعد إعدام ونزول الطبيب لكتابة تقرير الوفاة ماذا قال لك الذين نزلوا؟

ج: أعفني من هذا السؤال..

فاروق أبو عيسى، الأمين العام لاتحاد المحامين العرب سابقاً، ضمن حوار مع صحيفة الأيام⁽¹⁾

اغتالوا المفكر الشجاع، جهاراً، نهاراً، وهكذا اغتالوا حقوق المواطنين السودانيين وحرياتهم، وأساءوا لسمعة السودان. لذا قررت المنظمة العربية لحقوق الإنسان أن يكون يوم 18 يناير (يوم استشهاد الأستاذ محمود) يوماً لحقوق الإنسان العربى.

وجدت أن واجبى أن أندد بأقصى ما أملك من قوة بما وقع للأستاذ محمود محمد طه، وأن أدعو الناس جميعاً بأن تستنكر مسلك نميرى وحكومته، فى حق حريات الإنسان الأساسية وما يجب للإنسان فى السودان من رعاية لرأيه، ومن رعاية لتقاليد المحاكمة وأصولها المتبعة فى كل مكان، إلا حيث ينهار الحكم، وتنهار معه القيم الإنسانية⁽²⁾.

فتحى رضوان

صحيفة الأيام: ما هو موقف الاتحاد من إعدام الأستاذ محمود محمد طه؟

موقف اتحاد المحامين العرب مع منظمات عربية؛ كالمنظمة العربية لحقوق الإنسان.. ونقابة المحامين المصريين، وغيرهما، كان موقفاً مبدئياً، ينطلق من تقديس حق الفرد فى حرية الرأى والعقيدة، وأن ما اتهم به الأستاذ محمود كان انتهاكاً لهذا الحق، وبداية لتصفية الخصوم السياسيين، وقهر المعارضة المتنامية للنظام المبادى. وأن ما ورد فى المنشور المنسوب للأستاذ والصادر عن الحزب الجمهورى، كان رأياً سياسياً ينتصر لضمير الشعب السودانى ويعبر عن موقفه الراض لتشريعات سبتمبر القهرية، لأنها فى شكلها وجوهرها معادية للإسلام وتعاليمه من جانبنا نظمتنا حملة عالمية لكشف تلك المهزلة، على النطاقين العربى والدولى، بالتعاون مع العديد من المنظمات غير الحكومية المعنية بقضايا حقوق الإنسان.. كما قمنا بإرسال مجموعة من كبار المحامين المصريين المتفقهين فى تعاليم الشريعة

(1) فاروق أبو عيسى، "الأيام تحاور فاروق أبو عيسى، الأمين العام لاتحاد المحامين العرب"، أجرى الحوار عبدالرحمن الأمين، صحيفة الأيام، الخرطوم، 17 يناير 1986.

(2) فتحى رضوان، "تقديم"، ضمن كتاب: رفعت سيد أحمد، لماذا أعدمى نميرى؟ قراءة فى أوراق الشيخ محمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين بالسودان مع حيثيات الحكم باعدامه وردود الفعل عليه، دار ألف للنشر، القاهرة، 1985، ص 10.

الإسلامية عن اتحاد المحامين العرب ، ليتعاونوا مع نقابة المحامين السودانيين فى الدفاع عن الأستاذ محمود.. إلا أن المسرحية المهزلة لم تستغرق سوى ساعات قليلة .. فإن وفدنا لم يتمكن من حضور المحاكمة، إلا أنهم قاموا بالاتصال بالعديد من المسؤولين فى العهد السابق، بالتعاون مع نقابة المحامين السودانيين مطالبين بوقف الإجراءات، وإنقاذ حياة الأستاذ محمود، الذى كنا على اقتناع تام بأن تلك السلطة الدموية كانت قد قررت إعدامه سلفاً وقبل البدء فى إجراءات ما أسموه بالمحاكمة، لمسلسل تصفيات جسدية للعديد من القيادات السياسية المناهضة لذلك النظام..

ولما قوبلت جهودنا بأذن صماء، عاد وفدنا لمقر الاتحاد بالقاهرة، وعقد مؤتمرًا صحفيًا كبيرًا، حضره كل مندوبى الصحافة العربية، والعالمية، وكشف فيه رئيس الوفد المغفور له الأستاذ محمد المسمارى المحامى، وأحد الزعماء البارزين للإخوان المسلمين ما أسماه بالجريمة النكراء ضد حقوق المواطن وحرياته باسم الإسلام، وأكد أن المنشور الذى حوكم الأستاذ محمود بناء عليه، ليس فيه مساس بالإسلام أو تعاليمه، بل هو انتصار لجوهر الإسلام، وأن المعادى الحقيقى لتعاليم الإسلام، هو تشريعات سبتمبر التى حوكم الأستاذ بمقتضاها، وأنه إذا ما تمَّ إعدام الأستاذ بحكم من تلك المحكمة غير المؤهلة، وبموجب تلك القوانين، فسيكون ذلك اغتيالاً، وقتلاً عمداً، من قبل السلطة لشخص لم يفعل سوى أنه عبر عن رأيه فى تلك القوانين الشوهاء وهكذا واصلنا الحملة، لنحول دون حكم الإعدام، وإنقاذ حياة الأستاذ.. وذهبت بشخصى إلى الأمم المتحدة، وخاطبت لجنة حقوق الإنسان التابعة لها، واستصدرنا منها قراراً إيجابياً بهذا الشأن.. ولكن كما هو معروف فإن النظام المباد كان قد أصم أذنيه عن كل هذه الحملة.. ونفَّذ فى خسة، ووضاعة، ما كان مبيتاً سلفاً.. اغتالوا المفكر الشجاع، جهاراً، نهاراً، وهكذا اغتالوا حقوق المواطنين السودانيين وحررياتهم، وأساءوا لسمعة السودان. لذا قررت المنظمة العربية لحقوق الإنسان أن يكون يوم 18 يناير (يوم استشهاد الأستاذ محمود) يوماً لحقوق الإنسان العربى.. وفى هذا العام قررت اللجنة التحضيرية للاحتفال باستشهاد الأستاذ، أن تدعو بعض قيادات المنظمة العربية، ومن بينهم الأستاذ فتحى رضوان، كما سيشارك اتحاد المحامين العرب، ونقابة المحامين المصريين، والعديد من المفكرين العرب فى هذه المناسبة، من أجل تأكيد

ديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، باعتبار ذلك الضمانة الأولى لاستقرار وتقدم الشعوب العربية.

شهادة مولانا محمد الحسن محمد عثمان، قاضى سابق

شجاعة أم أسطورة: وابتسم الأستاذ محمود محمد طه فى وجه الموت⁽¹⁾

ورفع الغطاء الأحمر عن رأس محمود والتفت الرجل نحو فؤاد الامين وابتسم..
وتصيب الربكة المجموعة.. فؤاد يتزحزح فى كرسيه وكاد يسقط.. عوض الجيد يكتب
فوق قلبه (ن) عدة مرات وبسرعة.. النيل يخرج سبخته ويحتمى بها والمكاشفى يضحك
فى عصبية.

الفكر الحى لا يموت ومحمود مفكر إسلامى وإعدامه جريمة⁽²⁾.

مصطفى عبدالقادر

ما أحوجنا فى هذه الأيام أن نسترجع ذكرى رجال من قادتنا من الذين ضحوا
بأرواحهم ثباتاً على المبدأ وتضحية من أجل الوطن ونحن فى أيام يتوارى فيها القادة حتى
عن اتخاذ موقف أو الثبات على مبدأ ما أحوجنا لاستعادة سيرة رجال فى قامة محمد
أحمد الريح الذى رفض الاستسلام وظل يقاتل حتى ضرب المبنى الذى كان بداخله فانهار
عليه المبنى ولم ينهر الرجل..

ومثل شباب الحركة الإسلامية حسن ورفاقه فى دار الهاتف الذين قاتلوا فى دار الهاتف
وهم جوعى فاستمروا فى المقاومة رغم حصارهم وقذفهم بالدانات ولم يستسلموا إلا بعد
أن نفذت ذخيرتهم ... وعبد الخالق محجوب الذى تهندم للموت وكأنه ذاهب لعرس،
فاروق حمد الله الذى فتح صدره للرصاص وقال الراجل بيضريوا بى قدام ... وبابكر

(1) محمد الحسن محمد عثمان، "شاهد عيان لمحاكمة واعدام محمود محمد طه (1)"، من ذاكرة الشعوب،
صحيفة الفجر اللندنية، 17 يناير 1999. لندن؛ محمد الحسن محمد عثمان، "شجاعة أم أسطورة: وابتسم
الأستاذ محمود محمد طه فى وجه الموت"، من موقع Ancient Sudan Nubia، الموقع على الإنترنت:
<http://www.ancientsudan.org>

(2) مصطفى عبدالقادر، ضمن استطلاع: "محمود محمد طه شخصية تحت الضوء"، استطلاع: أكرم جعفر،
صحيفة البيان، الخميس 19 أغسطس 1999.

النور الذى ظل يهتف وهو يضرب بالرصاص عاش كفاح الشعب السودانى ... ورجال الأنصار الذين قاتلوا فى شرف فى 76 ... وأولادنا السمر فى الجبهة الشرقية الذين ضحوا من أجلنا ولا نعرف حتى أسماءهم وكانوا على استعداد لمواصلة الدرب لولا خيانة قياداتهم السياسية. إنه الشعب السودانى سيستعيد يوماً سيرته الأولى وستجاوز قاداته الأقرام ويزيل كل هذا العبث الطافى..

ومحمود من القادة النادرين الذين عاشوا ما آمنوا به لم يكن فكرهم فى جانب وحياتهم فى جانب آخر... ولو كان قادتنا من أمثال محمود لارتفع صوتهم فى أحداث ميدان المهندسين فمحمود كان منزله من الطين فى الحارة الأولى الثورة لم يكن له قصر فى الإسكندرية أو شقة فاخرة فى القاهرة تجعله يختبئ ويفقد صوته عندما تقطع مصر جزءاً من وطنه حلايب وشلاتين أو يتوارى عن الأنظار عندما يغتال المصريون أطفالنا ويكشفون عورات نساتنا فى القاهرة... لم يشجع محمود فى الطعام فقد كان نباتياً واختلف مع الذين نادوا على التركيز على أفكار الرجل وليس إعدامه وما قيمة الفكر إذا لم يصمد صاحبه ويقبل التضحيات فى سبيله وهل كان الفكر سيلقى كل هذا الزخم ويصمد إذا انهيار صاحبه وتاب فى مواجهة الموت ... وهل كان الجمهوريون من تلامذته سيرفعون صوتهم إذا انكسر معلمهم... وأين الأب فيليب غبوش الذى هدده بغيره بالإعدام فقال كما ورد على لسانه "قلت يا ود يا فيلب أحسن تلعب بوليتيكا" فلعب الأب فيلب بوليتيكا وتاب على رؤوس الشهداء فكسب حياته وضاع فكره..

ويبقى أننى لست جمهورياً ورأيت الأستاذ محمود لأول مره فى ساحة المحكمة كانت الساحة السياسية فى عام 85 ماثجة بعد أحداث إضراب القضاة فى 83 وخروج نميرى من هذه المواجهة مهزوماً وإعلانه بعدها لقوانين سبتمبر فى محاوله منه لتشتيت الأنظار عن تراجعهم ومن ناحية أخرى كان نميرى مرعوباً من الثورة الإيرانية التى أطاحت بالشاه رغم حماية أمريكا له فأرعب نميرى المد الإسلامى وأراد أن يلتف عليه ويتقدم هذا المد ... وأصدر الأستاذ محمود محمد طه منشور "هذا... أو الطوفان!!" وقد ذكر الأستاذ فى هذا المنشور أن قوانين سبتمبر جاءت فشوهت الإسلام فى نظر الأذكىاء من شعبنا وأساءت لسمعة البلاد فهذه القوانين مخالفه للشريعة ومخالفة للدين.. وفى فقره أخرى: إن هذه القوانين قد هددت

وحدة البلاد وقسمت هذا الشعب فى الشمال والجنوب وذلك بما أثارته من حساسية دينية كانت من العوامل الأساسية التى أدت لتفاقم حرب الجنوب وطالب الأستاذ بإلغاء قوانين سبتمبر وحقق الدماء فى الجنوب واللجوء للحل السياسى والسلمى..

تم القبض على الأستاذ محمود وتقديمه لإحدى محاكم العدالة الناجزة وقاضيتها المهلاوى وهو شاب صغير السن كان قاضياً بالمحاكم الشرعية وهو قريب النيل أبوقرون مستشار رئيس الجمهورية وأحد مهندسى قوانين سبتمبر وكان المهلاوى يعوزه الإلمام بقانون الإجراءات الجنائية وقانون الجنايات وهذا ما يفسر ارتبائه فى ذلك اليوم عندما مثل أمامه الأستاذ محمود الذى احضر لمجمع المحاكم بأمدردمان ومعه مجموعته مدججة بالسلاح أحاطت بالمحكمة.. كان الأستاذ يرتدى الزى الوطنى وفى الصفوف الأمامية كان المحامون الوطنيون الذين اعتدنا رؤيتهم فى مثل هذه المحاكمات السياسية متطوعين: مصطفى عبد القادر فارس هذه الحلقات (شفاه الله) وأمين مكى مدنى والشامى والمشاوى وعلى السيد وآخرين..

استمع المهلاوى ومن ركبته نسى أن يحلف المتحرى مع أنه الشاهد الوحيد وارتجل الأستاذ كلمته الخالدة التى ردد فى بدايتها رأيه فى قوانين سبتمبر كما جاء فى المنشور وأضاف: أما من حيث التطبيق فإن القضاة الذين يتولون المحاكمة تحتها غير مؤهلين فنياً وضعفوا أخلاقياً عن أن يمتنعوا عن أن يضعوا أنفسهم تحت سيطرة السلطة التنفيذية تستعملهم لإضاعة الحقوق وإذلال الشعب وتشويه الإسلام وإهانة الفكر والمفكرين وإذلال المعارضين السياسيين ولذلك فإنى غير مستعد للتعاون مع أى محكمة تنكرت لحرمة القضاء المستقل ورضيت أن تكون أداة من أدوات إذلال الشعب وإهانة الفكر الحر والتمثيل بالمعارضين السياسيين (وما أشبه الليلة بالبارحة يا أستاذ.. وشكر الأستاذ المحامين الوطنيين للتطوع عن الدفاع عن الجمهوريين وأضاف أن الجمهوريين سيتولون مباشرة قضاياهم بأنفسهم..

وأصدر المهلاوى حكماً بإعدام الأستاذ محمود..

فحين يسود الرعب والوهن

ويطىء الشهود والقضاء والزمن

ينفلت القاتل والمقتول يدفع الثمن

أيدت محكمة استئناف العدالة الناجزة الحكم وأيده نيمرى الذى قال إنه بحث فى كل كتب الفقه فلم يجد للأستاذ مخرجاً وهذا لا يعقل فكيف رجع نيمرى فى أيام معدودة لكل كتب الفقه ونيمرى لا تمكنه مؤهلاته العقلية من قراءة كتاب المطالعة الأولية بدون أن يخطئ عشرات الأخطاء.

جاء يوم 1985/1/18 يوم التنفيذ تقاطر المئات نحو بحرى واغلبهم كان يعتقد أن الإعدام لن يتم لأسباب شتى وبعضهم بين مصدق ومكذب لكل هذه المهزلة أن يعدم بشر لإصداره منشوراً.. أوقفت العربات للقادمين من الغرب عند خط السكة حديد وساروا على الأقدام متجهين نحو سجن كوبر.... دخلت ساحة الإعدام بسجن كوبر وهى ساحة واسعة فى مساحة ملعب كرة قدم ووجدت مجموعة من الناس جلست على الأرض فى الجانب الشرقى وفى الجانب الشرقى كانت منصة الإعدام تنتصب عالية فى الجانب الجنوبى منها صفت كراسى تحت المنصة مباشرة فى الصف الأول مولانا فؤاد الأمين رئيس القضاء والمكاشفى طه الكباشى رئيس محكمة استئناف ما أطلق عليه المحاكم الناجزة وبجواره الأستاذ عوض الجيد مستشار رئيس الجمهورية ومولانا النيل أبو قرون مستشار رئيس الجمهورية وبجوارهم مولانا محمد الحافظ قاضى جنايات بحرى ومولانا عادل عبد المحمود وجلست فى الصف الأول وكنت أقرب إلى المنصة وفى الصفوف الخلفية ضباط شرطة وسجون..

وعلى الحائط الغربى وعلى مسافة من المنصة اصطف الجمهوريون المحكوم عليهم بالإعدام كانوا يلبسون ملابس السجن ذقونهم غير حليقة يبدو عليهم التشتت وكانوا مقيدىن... رجال الأمن متشرىن والشرطة بأسلحتها منتشرة فى المكان... كان هناك رجل طويل القامة بصوره ملفته أسمر اللون يحمل شنطة فى يده يقف خلف المنصة مباشرة ونفس هذا الرجل رأيته فى المحاكمة... المكاشفى كان يتحرك متوتراً ويبتسم حتى والسن الذهبية تلمع فى فمه..

أحضر الأستاذ محمود محمد طه يرتدى زى السجن مقيد الرجلين مغطى الوجه بغطاء أحمر... اقتيد حتى سلم المنصة حاول السجانان المسكان به مساعدته فى الصعود إلى المنصة ولكنه لم يعتمد عليهم تقدمهم وبدأ يتحسس السلالم بقدمه ويطلع درجة بعد درجة..

انتصب الأستاذ محمود واقفا فوق المنصة وهو مغطى بالغطاء الأحمر ... تلا مدير السجن من ميكرفون مضمون الحكم وتلا أمر التنفيذ ... الأستاذ محمود ذو الـ 76 سنة واقف منتصب .. حبل المشنقة يتدلى بجواره ... قرىء عليه أمر تنفيذ الإعدام عليه ويمسك المكاشفى بالميكرفون لسمع الأستاذ آخر كلمات فى هذه الدنيا فيسب الأستاذ محمود ويشير إليه فى كلمته بهذا المرتد الذى يقف أمامكم .. وتستمر الكلمة زمن والمكاشفى يزيد ويرغى .. يطلب السجنان من الأستاذ محمود أن يستدير يمينا ..

ويستدير الأستاذ ويواجهنا تماماً، يتم كشف الغطاء عن وجه الأستاذ.. يتسمم الأستاذ وهو يواجه القضاة الذين حكموا بإعدامه ابتسامه صافية وعريضة وغير مصنوعة.. وجهه يشع طمأنينة لم أرها فى وجه من قبل ... قسماته مسترخية وكأنه نائم ... كان يشوبه هدوء غريب ... غريب .. ليس فيه ذرة اضطراب وكأن الذى سوف يعدم بعد ثوانٍ ليس هو ... والتفت إلى الجالسين جوارى لأرى الاضطراب يسودهم جميعاً..

فؤاد يتزحزح فى كرسیه وكاد يقع.. عوض الجيد يكتب حرف (نون) على قلبه عدة مرات .. والنيل يحتمى بمسبحته فى ربة (النيل تعرض لاتهام بالردة فى عهد الإنقاذ وتاب) كان الخوف والرعب قد لفهم جميعاً والأستاذ مقيد لا حول له ولا قوة ... ولكنه الظلم جعلهم يرتجفون وجعل المظلوم الذى سيعدم بعد لحظات يتسم !! التف الجبل حول عنق الأستاذ محمود كان مازال واقفاً شامخاً (قيل أن الشيخ الترابى حضر مرة قطع يد سارق فأغمى عليه) وسحب المربع الخشبى الذى يقف عليه الأستاذ وتدلّى جسده (وكذب من قال أنه استدبر القبلة) هتف الرجل طويل القامة الواقف خلف المنصة .. سقط هبل .. سقط هبل ردد معه بعض الغوغاء الهتاف . ويحضرنى صلاح عبد الصبور فى مأساة العلاج ..

صفونا .. صفاً .. صفاً

الأجهر صوتاً الأول والأطول

وضعوه فى الصف الأول

ذو الصوت الخافت والمتوانى

وضعوه فى الصف الثانى

أعطوا كلاً منا ديناراً من ذهب قانى

براقاً لم تمسه كف

قالوا صيحو زنديق كافر

صحننا زنديق كافر

قالوا صيحو : فليقتل إنا نحمل دمه فى رقتنا

صحننا: فليقتل إنا نحمل دمه فى رقتنا

كان هناك من هتف من بين الجمهور "شبه لكم .. شبه لكم" تم القبض عليه وتم ضربه
أمام رئيس القضاء أوقفهم مولانا محمد الحافظ (عرفت من الأستاذ بشير بكار الدبلوماسى
السابق إنه هو الذى هتف) خرج الحضور من القضاة عن طريق سجن كوبروعندما
مروا بزنزانات المعتقلين السياسيين كان هتافهم يشق عنان السماء.

محمود شهيد لعهد جديد..

لن ترتاح يا سفاح..

مليون شهيد لعهد جديد..

لم يغط على هذا الهتاف حتى أزيز الطائرة التى يقودها فيصل مدنى وحملت جثمان
الشهيد لترمى به فى وادى الحمار (وهذا حسب ما تسرب لاحقاً) وكان محمود شهيداً
لعهد جديد..

وسقطت مايو بعد 76 يوماً من إعدام الأستاذ..

هادئاً كان أوان الموت

وعادياً تماماً

وتاماً كالذى يمشى

بخطو مطمئن كى يناما

وكشمس عبرتها لحظة كف غمامة

لوح بابتسامة

قال مع السلامة
ثم ارتمى وتسامى
وتسامى
وتسامى

شهادة بكري الصايغ⁽¹⁾

فى الذكرى الـ 27: وكنت حاضراً إعدام الشيخ محمود محمد طه⁽²⁾

انتهت (حفلة) بدرية وأبوقرون وعوض الجيد، وهرعوا (الوزراء وباقي كبار المسؤولين) يتسابقون نحو عرباتهم بالخارج وهم فى أشد حالات الخجل، ومارفح أحدهم رأسه من الأرض أين الجثمان؟؟...

أنا لا ألوّم غيرى كشخص وإن كنت ألوّمه على أنه مازال يباهى بما اتخذ من قرار..
لكنى ألوّم الفقهاء والقضاة الذين أصدروا هذا الحكم وأنا ما عندي أدنى شك فى
أنه أى واحد فيهم لا يرقى إلى أخصص قدم محمود فى العلم ناهيك عن الخلق⁽³⁾.

منصور خالد

مقدمة: يوم الأربعاء القادم (بعد غد) - 18 يناير 2012، تمر الذكرى السابعة والعشرون على إعدام الشيخ الراحل محمود محمد طه عام 1985 بسجن (كوبر). واحياءً لذكراه الطيبة اكتب عن آخر ستة أيام وقبيل إعدامه وما جرت فيها من أحداث، ولن أكتب عن

(1) بكري الصايغ كان أوانها مديراً تنفيذياً لمكتب وزير الثقافة والاعلام والذي كان يشغله آنذاك الأستاذ على محمد شمو. المصدر: عيسى إبراهيم، مقابلة عبر الإسكايب عيسى بالخرطوم والمؤلف فى الدوحة، 4 مايو 2013، الساعة 9:16 صباحاً.

(2) بكري الصايغ، "فى الذكرى الـ 27: وكنت حاضراً إعدام الشيخ محمود محمد طه"، من موقع صحيفة الراكوبة، استرجاع (Retrieved) 17 يناير 2012، الموقع على الإنترنت: <http://www.alrakoba.net/articles> (بكري الصايغ كان أوانها مديراً تنفيذياً لمكتب وزير الثقافة والإعلام والذي كان يشغله آنذاك الأستاذ على محمد شمو - عيسى إبراهيم)..

(3) منصور خالد، ضمن سلسلة "بين زمنين"، كان هناك برنامج من خمس حلقات تناول فترة حكم الرئيس السودانى الأسبق جعفر محمد نيمرى، إعداد وتقديم أحمد المهنا، قناة أبو ظبى، أبو ظبى، يوليو 2008.

أفكار ومعتقدات الراحل، فهذه المقالة مخصصة فقط لسرد أحداث تاريخية ووقائع وقعت خلال الفترة من يوم 13 يناير - وحتى يوم الجمعة 18 منه، واكتبها بعيون شاهد عصر.

مدخل (1):

الأحد 13 يناير 1985:

وقع الرئيس جعفر النميري على قرار حكم محكمة (العدالة الناجزة) والقاضى بالإعدام شنعاً على المرتد (هكذا وردت الكلمة فى قرار المحكمة) والتي حاكمت الشيخ محمود، وكانت المحكمة برئاسة المكاشفى طه الكباشى الذى رفع قرار المحكمة للقصر.

كانت أعصاب الرئيس النميري فى غاية التوتر بسبب المكالمات التى تلقاها من عدة رؤساء دول وشخصيات دولية كبيرة تناشده بالإبقاء على حياة شيخ وصل عمره للسبعين عاماً، ومن بين تلك الشخصيات الرئيس المصرى حسنى مبارك الذى أكد للنميري أن رؤساء دول أوروبية ومنظمات مصرية قد طلبت منه (مبارك) أن يتصل بالرئيس السودانى لكى يعفو عن شيخ أصلاً هو ما حمل السلاح ضد النظام السودانى، ولا عادى الوضع أو عمل على تقويضه، كانت أعصاب الرئيس النميري فى غاية التوتر بسبب الهجوم الضارى عليه من قبل الصحف العربية بصورة خاصة والأجنبية بصورة عامة، والتي كالت الاتهامات عليه بسبب سكوته على مهزلة محاكمة الشيخ محمود، وكانت صحف الكويت بصورة خاصة هى الأكثر هجوماً على النميري ونظامه، بل وشككت احدى الصحف الكويتية بأن النميري يعانى من مرض فى عقله !!.

بعد صدور قرار المحكمة بالإعدام وقيل تنفيذ الحكم، استقبل الرئيس النميري فى قصره بعض سفراء دول عربية وأجنبية جاءوا كلهم يتوسطون فى إلغاء حكم الإعدام فى شيخ كل تهمته أنه قد اعتنق فكراً وجاهر به، هذه المقابلات مع السفراء والدبلوماسيين الأجانب سببت لنميري احباطاً كبيراً، لأنه ما كان يتوقع أن تصل الأمور الى هذا الحد من التدخلات والوساطات الدولية، كان النميري يظن أن إعدام الشيخ سيكون كإعدام الشيوعيين عام 1971 ويمر مرور الكرام !!.

شن الرئيس معمر القذافى - وقتها - هجوماً ضارياً على النميري واتهمه بعدة تهم منها

أن النميرى قد فقد السيطرة على حكم بلاده، وسلم مقاليد المهووسين دينيين (هبل) لا يعرفون الله ولا رسوله. ولم يكن هجوم القذافى على النميرى حياً فى الشيخ محمود، وإنما كراهية فيه، لان النميرى كان وقتها صديقاً حميماً للرئيس حسنى مبارك المكروه من غالبية الملوك والرؤساء العرب، ولم يتم بإلغاء اتفاقية (كامب دافيد) وأصر على بقائها. كان القذافى يكره ويمقت النميرى لأنه انحاز للجانب المصرى ورفض الوحدة الفورية مع ليبيا، كانت أعصاب الرئيس النميرى فى غاية التوتر بسبب الجو العام المليء بالغضب على حكمه الإسلامى الجديد، وأيضاً بسبب السخط الشعبى على محاكم (العدالة الناجزة) وأحكامها البالغة القسوة، وكانت تصله يومياً عشرات التقارير من جهاز أمنه وأمانات الاتحاد الاشتراكى بالخرطوم والاقاليم عن عدم رضا الناس لقرار محكمة المكاشفى.

مدخل (2)

الاثنين 14 يناير 1985:

وحتى يتفادى النميرى ما قد سيقع لاحقاً بعد إعدام الشيخ محمود، ومن ردود الفعل العالمية، والسخط الشعبى عليه، قال إن قرار الاعدام لن ينفذ فيه ومريديه الآخرين إن أعلنوا صراحة وجهراً بأنهم قد تخلو عن افكارهم المتطرفة.. وأنهم قد أخطأوا فى حق دينهم.

الثلاثاء 15 يناير 1985:

وما أن جاء تصريح النميرى بإسقاط العقوبة عن الشيخ محمود إن تخلى عن أفكاره، حتى انهالت الزيارات كالطر الغزير على الشيخ محمود فى زنانيته بـ (كوير) من شخصيات لها وزنها السياسى والدينى بالخرطوم، وأيضاً من شخصيات تعمل فى مجالات التدريس بالجامعات وكتاب وصحفيين، وراحوا كلهم يستعطفون الشيخ أن يعلن عن توبته والتخلى عن أفكاره للحفاظ على حياته، وراح البعض يؤكدون للشيخ أن الإعلان عن التخلي لا يعنى نبذ المبدأ الذى سيظل كامناً بالقلوب، وماكان الشيخ يجادلهم كثيراً، مكتفياً فقط بالابتسامة فى وجوه الضيوف والزوار، وفشلت كل المحاولات لإثناء الشيخ عن تخليه عن أفكاره معتقداته.

الثلاثاء 15 يناير 1985:

قامت الأمانة العامة بمجلس الوزراء بتوزيع منشور رئاسي صادر منها معنون لكل الوزراء، ووزراء الدولة، والوكلاء، وكبار المسؤولين بأجهزة الخدمة المدنية، ومحافظ بنك السودان، والمراجع العام، ومحافظ مديرية الخرطوم، وإيضاً لوزير الدفاع وكبار القادة العسكريين، ورؤساء الامانات بالاتحاد الاشتراكي بالخرطوم للحضور بساحة سجن (كوبر) صباح يوم الجمعة 18 يناير 1985، الساعة التاسعة صباحاً بخصوص تنفيذ حكم الإعدام على المرتد- (هكذا وردت الكلمة في المنشور) محمود محمد طه. وشدد المنشور على عدم التخلف عن الحضور مهما كانت الأسباب والدوافع، ويقال إن (بدرية سليمان، وعوض الجيد، أبوقرون) هم الذين أصرروا على أن يكون تنفيذ حكم الإعدام علنياً وبساحة السجن، وبحضور قادة الأجهزة المدنية والعسكرية، وألا يكون تنفيذاً متسترأً محجوباً عن العيون، كيإعدام عبدالحالقي محجوب، والشفيع أحمد الشيخ، وجوزيف قرنق عام 1971.... وحتى يكون عظة وعبرة للآخرين!!.

الأربعاء 16 يناير 1985:

اشتدت الزيارات للشيخ محمود في زنزانه حدة عن ذي قبل، وزاره بعض من السفراء والقناصل العرب، وإيضاً بعض من الصحفيين التابعين لوكالات أجنبية وصحف عالمية، بعضهم يحثه ويسترجيه ان (يعقل.. ويهدأ بالله)، وصحفيون يتسابقون للسبق الصحفي على حساب إعدامه.

ما أشارت الإذاعة بأمدردمان ومعها التلفزيون بكلمة حول ما يجري من سخط وغضب شعبي على مكتب أبوقرون بالقصر، وعلى المكاشفي وبدرية والجيد، ويعود سبب السخط الى ان مكتب (الثلاثة الكبار) بالقصر، قد ألغى تماماً دور وزارة العدل والقضائية والمحاكم الجنائية والمدنية، وفي ظل حكم بدرية وأبوقرون والجيد ما عادت القوانين الوضعية معمولاً بها، بل والأسوأ من كل هذا أن جحافل العاملين بوزارة العدل من قضاة وحقوقيين وموظفين وعمال، غدوا كلهم وبلا استثناء... عطالة مقنعة!!.

سكتت الصحف المحلية تماماً عن التعليق والكتابة حول موضوع حكم الإعدام، ومن ذا

من الصحفيين كان يستطيع أن "يجر" سطرأ عن إبداء رأيه فيما يجرى حوله من قصص (احكام قراقوش) السودانيين؟.. فتهمة مخالفته للشريعة وللنظام الاسلامى ممكن أن تلبس هذا الصحفى ويعاقب عقاباً أكبر من الجرم!!!.

الخميس 17 يناير 1985:

بدأت قوات الشرطة بالخرطوم وبحرى تحتل مواقعها الهامة المؤدية لسجن (كوبر)، وكان ظاهراً للعيان حجم الكثافة الأمنية المضروبة على مداخل كبرى بحرى من الجهتين (شمالاً وجنوباً)... وكانت عربات (الماجروس) التابعة للقوات المسلحة والمليئة بالجنود المدججين بالرشاشات ظاهرة للعيان وعلى بعد من بوابة السجن، كل الناس تمنوا من صميم قلوبهم أن يعلن الشيخ محمود وقبيل إعدامه غداً الجمعة التخلّى عن أفكاره، وما كان يهم الناس وقتها كثيراً أى أفكار يحملها الشيخ بقدر ما (الحياة حلوة ونعمة من الله)، إنه حرام أن يضع الشيخ عمره!!

وجاء بنشرة اخبار التاسعة بتلفزيون أمدرمان- وباختصار شديد-، أن تنفيذ حكم إعدام فى المرتد محمود سيتم غداً صباحاً بسجن (كوبر).

الجمعة 18 يناير 1985:

وقبيل تنفيذ حكم الإعدام بنحو ساعتين، كانت الساحة بسجن (كوبر) مكتظة بالحضور، أغلبهم كانوا من الإسلاميين (جماعة أنصار السنة، الإخوان المسلمين، طلاب إسلاميين)، بل وحتى دراويش (حمد النيل) جاؤوا بأباريقهم وسيح اللالبوب واللبس الأخضر. كبار الزوار من أهل السلطة وأصحاب المناصب الدستورية، احتلوا مقاعدهم الأمامية وعلى وجوههم الكسوف وشحوب لون سحناتهم، وفارقت البسمات شفاههم اليابسة، وكانوا يتبادلون التحايا فى خجل شديد، فقد تورطوا أن يكونوا شهود عيان على جريمة قتل فى روح لم تقترب أى جرم، أكثر الناس سعادة كانوا هم الإسلاميون التابعون للترابى أو جماعة (أنصار السنة المحمدية)، فهم عندهم هذا اليوم عظيم وسيحققون فيه انتصاراً كبيراً، كانوا يقولون (لو تخلص محمود عن أفكاره فهى انتصار لزوار ساحة السجن، فلم يكن يسمح لأحد بالدخول ومعه آلة تصوير، أو أى نوع من اللافتات، ويتم

التفتيش الشخصى بشكل صارم. رجال الأمن انتشروا وسط الصفوف يراقبون الجميع بعيون كالصقر، كانت منصة الإعدام تتوسط الساحة وحولها بعض من ضباط مصلحة السجون وعدد من رجال شرطة السجن، وكانوا (الضباط الكبار) يتحركون بعصبية وقلق ظاهر لم يخف على أحد، وما أن جىء بالسجين محمود وهو مكبل اليدين حتى عم المكان صمت رهيب لا تسمع فيه إلا أنفاس الحاضرين، وصعدوا به الى المنصة العالية، وراح مدير السجن والمشرف على عملية الإعدام يتوسل للشيخ وقبل تنفيذ الحكم أن يعلن عن تخليه عن أفكاره، ولكن الشيخ مانطق بحرف، وكان يجول ببصره فى الجميع وعلى شفثيه ابتسامة كبيرة واضحة، وبدأت مراسم تنفيذ الحكم، وتم سؤاله ان كانت عنده أمنية أخيرة، وقال شيئاً لمدير السجن ولا نعرف حتى الآن ماهى (قد يكون هناك من عرف ماذا قال الشيخ)،... لف الحبل حول عنقه، وانفتحت (الكوة) من تحت رجله، وتدلّى جسمه الطاهر إلى أسفل. راح مدير السجن ينظر فى ساعته لدقائق عدة ثم امر بإنزال الجثمان وسط صيحات الله أكبر وابتهاج الاسلاميين بالحدث، تم الكشف طيباً على الجثمان، وعلى ما أظن أن الذى قام بعملية الكشف هو الطبيب المعروف زكى مصطفى الذى كان يقوم بتنفيذ أحكام القطع والقطع من خلاف، انتهت (حفلة) بدرية وأبوقرون وعوض الجيد، وهرعوا (الوزراء وباقى كبار المسؤولين) يتسابقون نحو عرباتهم بالخارج وهم فى أشد حالات الخجل، وما رفع أحدهم رأسه من الارض..

أين الجثمان؟؟...

سؤال ظل يردده الناس طوال اليوم. والغريب فى الأمر، إن الإجابة على هذا السؤال لم يعرفه الناس إلا بعد انتفاضة 6 ابريل 1985، فقد جاءت الأخبار لتقول، ان الرئيس النميرى قد امر بعدم دفن جثمان الشيخ بأى مكان حتى لا يكون قبره مزاراً لمريديه، وأنه قد أصدر توجيهاته بإلقاء جثمان الشيخ فى منتصف البحر الاحمر، وأن القوات الجوية قد قامت بهذه المهمة، وأن عبدالرحيم حسين وزير الدفاع الحالى هو من قام بالمهمة!!.

وفى نشره أخبار التاسعة مساءً بالتلفزيون المحلى، وباقتصاب شديد تم بث خبر تنفيذ حكم الإعدام فى الشيخ المرتد محمود محمد طه!!.

أين كان الرئيس النميرى وقت تنفيذ حكم الإعدام؟

كان الرئيس النميرى يتفقد أسواق أمدرمان!!، ويعاين أحوالها وهى مغلقة والاسواق خالية من الناس بسبب عطلة يوم الجمعة!!، بل والاغرب والعجيب فى الأمر، ان نشرة الأخبار فى الساعة التاسعة تناولت زيارة النميرى للأسواق بأمدرمان بصورة أوسع من خبر الإعدام!!.

شهادة جوديث ميلر، مراسلة صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية⁽¹⁾

ولن أنسى ما حييت، التعبير المرتسم على وجهه. كانت عيونه متحدية، وفمه صارماً، ولم تبدُ عليه مطلقاً، أبة علامة من علامات الخوف... من وحى الموقف، أحسست، أنا أيضاً، أن طه لم يقتل بسبب يتعلق بنقص فى قناعته الدينية، وإنما بسبب من نقصهم هم.

وما تزال ابتسامة الأستاذ محمود محمد طه مشرقة فى جنبات روى بإخضرارها المورق، وكل ما حاصرتنى الأوجاع والكوابيس تضى لى عشار الخطى... وما يزال الشهيد الأستاذ محمود طه يتجلى بهياً مثل عنقاء تنفض موتها كل يوم... وما يزال الشهيد الأستاذ محمود محمد طه أرقاً مالخاً لكل المهووسين⁽²⁾.

عفيف إسماعيل

(1) Judith Miller, *God Has Ninety-Nine Names: Reporting From A Militant Middle East*, Simon & Schuster, New York, 1996, pp 11-12

شهدت جوديث ميلر تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى كوبر، وأودعت شهادتها فى كتابها الذى صدر باللغة الإنجليزية، ويمكن ترجمة عنوان الكتاب بـ: لله 99 اسماً، ص 11-12. أورد بعض الباحثين والمتداخلين شهادة جوديث ميلر فى بعض المواقع على شبكة الإنترنت، فى أوقات مختلفة بنصوص بعضها مختصر، منهم على سبيل المثال: مهدي محمد خير، "الشمع الذى قبضه هتفة اغتيال.. الأستاذ محمود"، من موقع سودانيوز أونلاين، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 26 يناير 2006، الموقع على الإنترنت: www.sudaneseonline.com وقد استفدت مما ورد فى هذا الخط. واستفدت كذلك من ترجمة مدنى بها عبدالله عثمان.

(2) عفيف إسماعيل، "مسامرة من وراء المحيط.. محمود.. أرق المهووسين"، المحور: الشهداء والمضحين من أجل التحرر والاشتراكية، الحوار المتمدن، العدد 3614، بتاريخ 2012/1/21، الموقع على الإنترنت: <http://www.ahewar.or>

كان صباحاً مثالياً. بعد سويغات، تصبح الخرطوم خانقة. ولكن عند السادسة من صباح 18 يناير من عام 1985 كان الهواء صافياً. وكانت السماء قد لبست زرقة حمام السباحة.

فى غرفتى بفندق الهيلتون، كان الصوت الوحيد، هو صوت مكيف الهواء، ذى العشرين سنة، وهو يضخ هواء محتمل السخونة. شربت قهوتى، وقرأت جريدة الصباح، محاولة ألا أفكر فيما سيحدث. لقد رأيت وقمت بأشياء كثيرة، بوصفى رئيسة مكتب صحيفة نيويورك "تايمز" بالقاهرة. كما شهدت أحداثاً مروعة عديدة منذ رحلتى الأولى إلى الإقليم فى عام 1971، وأنا لم أزل طالبة حديثة السن. غير أنى، لم أعطِ حادثة تنفيذ حكم بالإعدام.

بعد ساعة خرجت فى طريقى إلى سجن كوبر. ساحة سجن كوبر مستطيلة الشكل، وبحجم ميدان لكرة القدم. عندما وصلت برفقة جمال محى الدين، مدير مكتب مجلة "تايمز" بمصر، كانت ثلاثة أرباع تلك الساحة ممتلئة بالناس. كنت ألبس جلباباً أبيض فضفاضاً، وغطاء للرأس، لئلا يكشف حراس السجن أننى شخص أجنبى. لوح لنا الشرطى بيده إيداناً لنا بدخول موقف السيارات. فعل ذلك، من غير أن يلقى حتى بنظرة ثانية نحوى فى المقعد الخلفى. علماً بأن المقعد الخلفى هو المكان الطبيعى لوجود امرأة فى سيارة، فى الشرق الأوسط. خفضت رأسى بينما سرنا أنا وجمال ببطء، وسط الحشد، نحو قلب ساحة السجن، لنجد مكاناً للجلوس على الأرض الرملية.

كانت المشقة فى الجانب البعيد من الساحة. مرتفعة نوعاً ما، غير أنها أقل فى الارتفاع من حوائط السجن المبنية من الحجر الرملى. كان المشهد فى كوبر مرحاً. لا شىء هناك يشبه الصور المتجهمّة التى رأيتها للسجون الأمريكية حيث يحتشد أصدقاء وأقارب المحكوم عليهم بالإعدام، خارج الأسوار، وسط المتظاهرين المعارضين الذين يحملون الشموع فى الليل.

يبدو أننى كنت المرأة الوحيدة فى الساحة. وبدا أن كثيراً من الحاضرين، الذين يقدرّون بضع مئات، يعرفون بعضهم البعض. ظلوا يحيون بعضهم البعض، بتحية الإسلام التقليدية "السلام عليكم" ويجىء الرد مراراً ومرات "وعليكم السلام". الرجال ذوو البشرات الداكنة، فى عمائمهم التى يبلغ ارتفاعها القدم، وجلايبهم البيضاء الفضفاضة، يتصاحكون ويتجادبون أطراف الحديث، حول حالة الطقس، بشائر محصول تلك السنة،

والحرب التى لا تنتهى فى جنوب السودان. ورويداً رويداً، جلس كل واحد على الرمل، تحت وهج الشمس، التى بدأت حرارتها تزداد قسوة مع كل دقيقة تمر. كان الموعد المعلن لتنفيذ الحكم هو الساعة العاشرة.

قبل الزمن المحدد بقليل، قيد محمود محمد طه إلى الساحة. الرجل المحكوم عليه والذي كانت يده مربوطة خلف ظهره، بدا لى أقل حجماً مما كنت أتوقع. ومن المكان الذى كنت أجلس فيه، وبينما كان الحراس يسرعون به إلى الساحة، بدا لى أصغر من عمره البالغ ستة وسبعين عاماً. سار مرفوع الرأس، وألقى نظرة سريعة على الحشد. عندما رآه الحاضرون، انتصب كثيرون منهم واقفين على أقدامهم، وطفقوا يومنون ويلوحون بقبضات أيديهم نحوه. ولوح قليلون منهم بالمصاحف فى الهواء.

تمكنت فقط من التقاط لمحة خاطفة من وجه طه، قبل أن يضع الحارس الذى قام بالتنفيذ، كيساً ملوناً على رأسه وجسده. ولن أنسى ما حييت، التعبير المرتسم على وجهه. كانت عيونه متحدية، وفمه صارماً، ولم تبدُ عليه مطلقاً، أية علامة من علامات الخوف. بدأ الحشد فى الهتاف، بينما كان مجندان سودانيان يلبسان زياً رملى اللون، يضعان عقدة الحبل على المكان المفترض أن تكون فيه رقة محمود طه. ورغم أن ضجيج الحشد قد ابتلع أصوات الجندين، إلا أنه بدا وكأنهما كانا يصيحان ضده. فجأة تراجع الحراس للوراء، ثم سحبت أرضية المنصة. فاشتد الحبل، واهتز الغطاء الموضوع على جسده فى الهواء. اشتعل الهدير فى الساحة "الله أكبر". وتكثف الهتاف عندما بدأ الحشد فى تكرار الهتاف بشكل جماعى، "الإسلام هو الحل". الرجال الذين امتلأوا حماسة، عانقوا وقبلوا بعضهم البعض. أحد الرجال الذين كانوا بجانبى صرخ، "أخذت العدالة مجراها"، ثم جثا على ركبتيه، ووضع جبهته على الرمل وتمتم بصلاة إسلامية. الحالة الاحتفالية التى جرت من حولى، صعقتنى، وأصابتنى بالغشيان. جذبت جمال من كم قميصه، محاولة أن أشعره بأنه يتعين علينا مغادرة المكان، فقد كنت بالفعل، عاجزة عن النطق. فى حالة التوتر العصبى التى اعترتنى لابد أننى قد قمت لا شعورياً بسحب الغطاء الذى كان يغطى رأسى، فانحرف عن موضعه. استشعر جمال الخطر، وجذب الغطاء على ناصيتى شعرى اللتين انكشفتا، ودفعنى بحزم صوب المخرج. وبينما كنا نشق طريقنا صوب البوابة الحديدية الثقيلة، بدأت الرمال فى الثوران

والارتفاع فى شكل سحابة برتقالية نتيجة لجرجرة الحشد لأقدامهم على الأرض الترابية. عند وصولى للمدخل، لويت عنقى لألقى نظرة أخيرة على المشتقة. كان الكيس، وجسده لا يزالان متدليان على الحبل. فتساءلت فى نفسى، متى سينزلونه؟

لدى كثير من السودانيين الذين هلكوا لإعدامه فى ذلك اليوم، فإن طه قد اقترف أسوأ جريمة يمكن أن ترتكب. لقد أدين بتهمة الردة عن الإسلام. وهى تهمة نفاها طه، الذى أصر حتى النهاية، أنه ليس مهرطقاً، أو مرتدّاً عن الإسلام، وإنما مصلح دينى، ومؤمن وقف فى وجه التطبيق الوحشى للشرعية الإسلامية، "قانون المسلمين المقدس" والطريقة التى فهمها ونفذها بها الرئيس جعفر نميرى. من وحى الموقف، أحسست، أنا أيضاً، أن طه لم يقتل بسبب يتعلق بنقص فى قناعاته الدينية، وإنما بسبب من نقصهم هم.

شهادة عميد أمن "م" محمد عبدالعزيز والعقيد أمن "م" هاشم عثمان أبورنات ضمن كتابهما⁽¹⁾

استشعر الإخوان المسلمون أن المنافس الوحيد لهم على الساحة وسط الحركات الدينية القائمة، هم الإخوان الجمهوريون.

كانت الحرب شعواء فى منابر الجامعات والمساجد والندوات. كانت شعبية الإخوان المسلمين تسير على وتيرة واحدة أغلبها وسط الطلاب. بينما كانت شعبية الإخوان الجمهوريين تسير فى كل الاتجاهات، وسط الطلاب، الموظفين ومعظم الطبقة المتعلمة والوسط الشعبى.

إن القضية كانت وستظل قضية سياسية، قضية مفكر أراد أن يوقظ شعبه فى أحلك لحظات السبات والظلام، ونادى بأن هذه الشريعة التى تطبق، ليست سوى (طريقة بشعة) لإذلال الشعب (وإهدار آدميته)⁽²⁾.

رفعت سيد أحمد

(1) محمد عبدالعزيز وهاشم عثمان أبو رنات، أصرار جهاز الأسرار: جهاز الأمن السودانى، الفترة من 1969-1985، ط2، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2008، ص 107-111.

(2) رفعت سيد أحمد، لماذا أهدمتى نميرى؟ قراءة فى أوراق الشيخ محمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين بالسودان مع حثيات الحكم باعدامه وردود الفعل عليه، دار ألف للنشر، القاهرة، 1985، ص 16.

الأستاذ محمود محمد طه المفكر الإسلامى المجتهد بدأت قصته كقصة كثير من المتصوفة تم تكفيرهم ثم تخليدهم بعد إعدامهم. كان للإخوان الجمهوريين شعبية وسط الجماهير السودانية. كان الإخوان الجمهوريون يلاقون سنداً من ثورة مايو، بالتالى يشكلون سنداً ودعماً لها. وغيرى شخصياً كان يدافع عن الأستاذ محمود محمد طه.

بالرغم من أن دعوة الإخوان الجمهوريين كانت دعوة قام بها رجل واحد إلا أنه كان قد امتلك ناصية قلوب من إتبعوه. فى بداية عام 1977 كان قنصل جمهورية السودان فى القاهرة المقدم محمد على مالك. وقد كان متزناً وذو كفاءة، إلا أن تقارير المراقبة عن ضباط الجهاز أفادت بأنه بدأ يميل إلى جماعة الإخوان الجمهوريين والتي تعتبر من الجماعات الدينية التى لها نشاط يعتبر عقائدى سياسى. قام الجهاز برصد المقدم محمد على مالك ورصد بعض كتب ومنشورات الإخوان الجمهوريين تسافر له إلى منطقة عمله فى القاهرة بالحقيبة الدبلوماسية. لما كان نشاط الجمهوريين محظوراً فى مصر آنذاك فقد كتبت وزارة الخارجية المصرية للخارجية السودانية عن هذا بالتالى كان واجباً استدعائه إلى الخرطوم لطرح الأمر عليه والتفاهم معه. عندما تمت مواجهته بالأمر أفاد بأنه جمهورى الإنجاز. لما كان لا غبار عليه ورتبته تكاد تكون إحدى الرتب الكبيرة فقد خيرته سلطة الجهاز بين ترك العمل وإنهاء انتدابه وبين أن يترك جماعة الإخوان الجمهوريين. جاء قراره حازماً واختار أن يعمل حواراً⁽¹⁾ مع أستاذه محمود محمد طه.

المقدم عبد الله الدابى هو الآخر كان ضابطاً يعمل بالقسم الدبلوماسى بالجهاز ومن المنتمين للجمهوريين ففضل العمل مع أستاذه على العمل بجهاز الأمن. لم يكن مستغرباً أن ترى على رصيف الشارع هذين الجامعيين يروجان لكتب أستاذهم فى ملابس متواضعة.

العداء العقائدى بين الشيوعيين والإخوان المسلمين به فوارق دائماً. فنقاط الالتقاء بينهما مستحيلة. ولقد تفوق الإخوان المسلمون على الشيوعيين فى أيام مايو خاصة بعد الضربة التى لحقت بالحزب الشيوعى ومن ثم عامل آخر أهم هو أن المقارعة بالحجة فى

(1) من المعروف أن الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات عرفوا أنفسهم فى الشارع السودان وفى كتاباتهم بأنهم: تلاميذ وتلميذات، والواحد منهم تلميذ وتلميذة.

مجال الفقه والقرآن كان مقبولاً للسوداني المتصوف النزعة. بينما لم يكن وسط الشيوعيين من يمتلك هذه الموهبة إلا قلة.

كانت جماعة الإخوان الجمهوريين منافساً حقيقياً للإخوان المسلمين للأسباب الآتية:

1- لأنها كانت على دراية بالقرآن والسنة ويمكنها أن تقارع الإخوان المسلمين حجة بحجة.

2- لأنها كانت تتمتع بحرية الحركة لتأييدها لنظام مايو.

استشعر الإخوان المسلمون أن المنافس الوحيد لهم على الساحة وسط الحركات الدينية القائمة، هم الإخوان الجمهوريون. كانت الحرب شعواء في منابر الجامعات والمساجد والندوات. كانت شعبية الإخوان المسلمين تسير على وتيرة واحدة أغلبها وسط الطلاب. بينما كانت شعبية الإخوان الجمهوريين تسير في كل الاتجاهات، وسط الطلاب، الموظفين ومعظم الطبقة المتعلمة والوسط الشعبي. بدأ بعض المتصوفة ينسلخ عن طريقته للانضمام لهم وأصبح منزل الأستاذ محمود محمد طه مزاراً لكل المريدين والمعجبين ولمن يريد أن يستمع، حتى الاجانب أصبح من أهم برامجهم هو زيارة منزل الأستاذ محمود محمد طه.

وأصبح الأستاذ محمود محمد طه خطراً يهدد تنظيم الإخوان المسلمين. خاصة أن الاختراق السريع قد بان واضحاً. ووضح أن حصان الجمهوريين قد تقدم كثيراً على حصان الإخوان المسلمين.

كان تنظيم الإخوان المسلمين يستعين بكل الوسائل لهزيمة تنظيم الإخوان الجمهوريين. ولم تكن تنقصه الامكانيات لذلك أصبحت تأتي فتاوى من خارج السودان من مصر والسعودية والدول العربية والإسلامية بتكفير الأستاذ محمود محمد طه، علاوة على الفتاوى التي صدرت من قبل بالسودان.. إضافة إلى أن الإخوان المسلمين بدأوا يوحون للنظام بالسودان أن حركة محمود محمد طه قد تشكل خطراً على النظام وأنها يجب أن تكون مرصودة.

كان ذلك الصراع وغيرى لم يعلن بعد قوانين سبتمبر. في سبتمبر عندما أعلن غيرى

قوانين الشريعة الإسلامية إرتفع صوت الصادق المهدي معارضاً تلك القوانين. بينما أصدر الجمهوريون كتاباً يعارضون فيه تلك القوانين بالطبع فكان مصيرهما الاعتقال. لكن اعتقال السيد الصادق المهدي وبعض زعماء الأنصار لم يكن مفرحاً للإخوان المسلمين مثل اعتقال الأستاذ محمود محمد طه وأنصاره ومصادرة كتبه ومنع مريديه من الترويج لأفكاره. كان هذا كافياً لايقاف محمود محمد طه وأعوانه من الحركة.

ذكر لى المقدم أمن "معاش" عبد الله على الدابي والذي مكث عاماً كاملاً معتقلاً بسجن كوبر مع أستاذه محمود محمد طه عند خروجه من المعتقل، الحمد لله أنها كانت خلوة للتعبد وذكر الله. وخلال هذا العام لم يتمكن الإخوان الجمهوريون "سبتمبر 1983- سبتمبر 1984" من تعكير صفو الإخوان المسلمين. فقد كان نشاط الجمهوريين محدوداً ولم يتعد بعض الكتيبات هنا وهناك. لكن عند خروج الأستاذ محمود محمد طه وتلامذته من المعتقل بدأ نشاط الجمهوريين يتصاعد. وكانت حججهم تلخص كلها في معارضتهم للطريقة التي تم بها تقديم قوانين الشريعة وأن وقتها لم يحن.

الإخوان المسلمون في وقوفهم بجانب قوانين الشريعة كانوا يلجأون دائماً إلى استخدام عناصر ليست ملتزمة بالخط السياسي للإخوان. لكن لديها إلتزام ديني وحماس ديني معين. وربما كان بعضهم من الإخوان المسلمين. لكن التنظيم لا يعتبرهم من الملتزمين تماماً بالخط الترابي لونا.

كان مهماً الإيحاء للرئيس نيزى بمحاكمة الأستاذ محمود محمد طه وقادة تنظيمه، كان مهماً أن يكون هناك قرار حاسم تجاهه في هذه الظروف المهمة لهم.

كان بعض الصوفية يكونون عداً للأستاذ محمود محمد طه وجماعته بحكم التنافس على ساحة العمل الديني.

فقد كانت جماعة الإخوان الجمهوريين تشكل مدرسة غريبة على مجتمع الصوفية في السودان. تنادى بأفكار تقع في حساب المحظورات لدى رجال الدين. كانت بعض هذه الأفكار لها أدلة على انحراف قد يدل على زندقة وكفر. كان كثير من الشيوخ ورجال الدين لهم رأى في الأستاذ محمود محمد طه وجماعته، بالتالى كان أنسب من يقوم بهذه

المهمة نيابة عن التنظيم الذى عانى ما عانى من الإخوان الجمهوريين هم الصوفية. خاصة إذا كان ممكناً أن يبدو الأمر وكأنه عادى.

النيل أبو قرون مستشار الرئيس نغرى للشؤون القانونية يعرف قاضى يمت له بصلة القرابة يدعى المهلاوى.. المهلاوى هذا هو الذى قضى فى قضية الأستاذ محمود محمد طه.. وكان الحكم سريعاً "محاكم طوارى".

على ما أذكر أنه وفى خلال شهر يناير عام 1985 كنت⁽¹⁾ موفداً فى مهمة كلفنى بها اللواء أ.ح عمر محمد الطيب إلى القصر تستدعى مقابلة المستشار النيل أبو قرون. عندما دلفت إلى مكتبه قابلنى مقابلة جيدة. ثم رن جرس الهاتف لم أكن أعرف من هو المتحدث على الطرف الآخر..

برهة وإذا بأساريه تنفج.. ويهتف فرحاً.. خلاص.. ده تمام.. الله أكبر.. الله أكبر. ووضع السماعه.. ثم قال لى.. فرحاً المحكمة حكمت على محمود محمد طه بالإعدام.

لم أدر ما اعترانى فى تلك اللحظة فسرحت بخيالى وحزنت حزناً عميقاً فى تلك الأيام كل شئ جائز ولم نعد ندرى الصحيح من الخطأ صمت طويلاً ولما لاحظ النيل وجومى رفع السماعه مرة أخرى وبدأ يحدث آخرين بالنبا كما أنه نقل الخبر إلى عوض الجيد محمد أحمد.

بعد الانتهاء من مهمتى مع النيل أبو قرون دلفت إلى مكتب اللواء عمر بالقصر ووجدت مدير مكتبه العقيد صلاح محمد محمد صالح فأخبرته بالنبا فلم يصدق بعدها دخلت إلى اللواء عمر محمد الطيب فأخبرته بما سمعت. كان يبدو أنه يعرف ولاحظت أنه منزعج. توقع الجميع أن يراجع السيد رئيس الجمهورية قرار المحكمة ويصدر حكماً أخف، خاصة أنه فى تلك الأيام كان يتراجع عن قرارات كثيرة، لكن نغرى أيد قرار المحكمة وأتى بفتوى إضافية تؤكد إصراره [على] إعدام الأستاذ محمود محمد طه. حاول اللواء أ.ح عمر محمد الطيب إثناء الرئيس للعدول عن قرار الإعدام إلا أنه لم يوفق. فبذل جهداً خارقاً لكى يشئ الأستاذ محمود محمد طه لقد سمعته⁽²⁾ يجادل بعض رجال

(1) عقيد/ أبو رنات. (هكذا فى الأصل).

(2) عقيد/ أبو رنات. (هكذا فى الأصل).

الدين لكي يحاولوا قدر الإمكان أن ينصحو محمود محمد طه ليجد له مخرجاً هو وجماعته من هذا المأزق. كما قال لهم..

"اتكلموا معاه فهموه إنه الرجل ده حيعدموا.. يا اخواننا إنتو ما شايفنو بقى كيف" وهكذا أعدم الأستاذ محمود محمد طه.. وأسدل الستار على دعوته وجماعته. من الأخطاء الشائعة أن إعدام الأستاذ محمود محمد طه كان بعلم جهاز الأمن.

لقد كان قرار الرئيس.. وصادق عليه ما بين منزله الواقع داخل القيادة العامة.. وما بين القصر الجمهورى.. وجرى التنفيذ داخل سجن كوبر التابع لوزارة الداخلية.. وحملت الجثمان طائرة تابعة ل سلاح الطيران السودانى.. أحد ملاحيهام عضو مهم بحكومة الفريق عمر حسن أحمد البشير.

وصية على منصة الإعدام

شعر عوض الكريم موسى

وردت هذه القصيدة فى بعض المصادر والمواقع على شبكة الإنترنت بعنوان: "هو وحده والحق"، والعنوان الصحيح هو: "وصية على منصة الإعدام". ففى مقابلة لى مع شاعر القصيدة، أفادنى بأنه حينما كتب القصيدة كانت بلا عنوان. فقد كتبها فى ليلة واحدة بمناسبة احتفال الذكرى الأولى لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه بنادى أساتذة جامعة الخرطوم، يناير 1986. ثم طبعت القصيدة فى كتاب بعنوان: "وصية على منصة الإعدام"، وتم توزيعه فى ذلك الاحتفال الذى أمه وشارك فيه عدد كبير من الأساتذة الجامعيين والمثقفين والفنان محمد عثمان وردى.

هو وحده ولا نصير إلا الله وحده	والعبد فرضه الرضا بالله
ووراء جبل الموت جبل الله وحده	بكل ما يسوقه إليه ربه المريد
جبل بغرزه مستمسك هو وحده	يفضى به الرضا الى الفرح
جبل من الرحمن مد للعبد العزيز وحده	الى الأمان عند ركنه الشديد
والجبل يطوى بعده	محض اغتيال .. محض اغتيال
قد كان عبداً طول وقته	لكنه يرضى بما يريده رب العبيد
فكان عبداً عند موته	فإنما الإسلام تسليم الى رب العبيد
■●■	وتلك كانت دعوته، طريقته، طريقة النبي
الموت عنده الميلاد فى كون جديد	طريقة الطرق فى مفرق الطرق
ميلاد إنسان جديد	طريقة الخلاص للإنسان من رق العبيد
■●■	
وكان كله بالله	
حياته مثواه.. وكل وقته لله	فأين هم من عيشه وموته؟!
فكان كل وقته شهيد	أنى لهم حياة لحظة من وقته؟!

من زاده القليل، ونومه القليل، وكدحه

الجليل

مرضية وجد مفرحة



راض بطين بيته

بكل خشن من فراشه وقوته

بكسرة رضية من مائه وزيته

يقوم آخر القوم لها

فى الأرض فى جماعة الزهاد حولها

يللمم الفتات منها لا ينال إلا فضلها

وتلك كانت عنده دنياه كلها



وماله من أى شىء أى زوج،

جلبابه، قميصه، مركوبه، عمامة، طاقة،

وملفحة

وركوة، وفروة، ومبخر، ونفحة مروحة

وحجرة صغيرة هى مكتبه، هى مسجده،

هى مرقده

ما روحنها قط مروحة

فعنده المناخ داخلى

والكون كله مرآة مشهد من الجمال

داخلى

وكل لحظة فى حضرة الفعل الإلهى جد

والفارس المقدام

يفضى لحارس مرافق فى ليلة الإعدام

يوصيه بالإقدام: لا تخش إلا الله

كأنما حارسه هو الذى يواجه الإعدام

لا تخش إلا الله

رقيقة الرقائق، حقيقة الحقائق، حصيلة

الإسلام

ويطمعون منه فى وريقة استرحام

ويحسبون أن هامة الضرغام تعنو الى
الرغام

ومادروا بأن عنده استرحام أولاء الطغام
أدنى إليه منه أن تخط الشمس فوق
أرضهم

أو أن تكلمهم أجنة الأرحام



ويسألونه قبيل موعد الإعدام

فهل لديك ما تقوله للقاضى؟؟

فناشهم بآخر السهام وأقتل السهام

بقوله: وهل هناك قاضى!!!

وأجمل القضية

فعنده القضاء لا يقوم فى دويلة

خصومها المستضعفون

حماتها- أخذلهم دعاة، أنذلهم قضاة،

أرذلهم إمام

وعنده القضاء كالضياء

لا يعيش فى دويلة قد عشعشت فيها

خفافيش الظلام

وعنده الرحمن وحده قاضى القضاء

وحاكم الحكام

وعنده القلب السليم لا يساوم ولا يسام



ويسألون عن وصية لآله

لا يعلمون أن الله وحده كان الوصى فى

مآله

فقال: عشت بينهم ويعرفون ما أريد ..

من غير أن يزيد !!

ليس المقام للكلام، وإنما للفعل والتجسيد



مصفداً يساق من عربنه كقسورة

والحمر حوله مستنفرة

بروعها وأمنها وكيدها وجندها مسورة

وفى رغام عارها معفرة

كأنه العريس إذ يزف فى الضحى

والقيد فى يديه إسورة

حجل على قدميه وهو يبطئ الخطى

المظفرة

وقال من شواهد الإباء: فكوا يدى من

أسرها،

حتى أحى الشعب وهو صابر على إساره

كأنه مودع وعائد

ما فل ظل الموت من مساره

الآية

وقد أبوا عليه هذه التحية السماء

لله وحده أعطى زمame

ليمسحوا، بظنهم، ما يترك الإباء من آثاره

أقام دينه أوفى تمامه

وما دروا بأن كل شبر فى دياره

تبت يداهم يقتلون فى الضحى السلام

يموج بالجليل من أخباره

والغصن والحمامة

■●■

ويخلع النعلين عند سفح المشنقة

قاماتهم قماءة، وجوههم دمامة

كانها المصلى، وهو يصعد الخطى الموثقة

أليسوا الساقطين فى شر الفتن؟

الواثقة

كانه المحب فى لقاء محبوب مهاجر يرنو

البائعين الدين، والمبايعين التالف المتلاف

بيعة الإمامة

لأن يعانقه

■●■

ويكشف الغطاء عن بوارق ابتسامه

إمامهم يطرز الصدور من تحت اللحي

عن أنضر ابتسامه

بأوسمة

عن أجسر ابتسامه

بوسمة كفحة الدجى على وجوههم

كالشمس لم تخامرها غمامه

مقسمة

برهانه على اليقين والصمامه

منسوبة الى الشرف، وما دروا بأنها عدم

رسالة الى الأحرار بالخلاص المرتجى

الشرف

حرب على الفجار فهى فى حلوقهم

مرة الأبد لمن سلف ومن خلف

شجى

تصحبهم كظلمهم مجسمة

وفى عيونهم قذى وفى صدورهم لظى

يزيفون شرع الله بمسكين مرجفين

فقد أبى أن يعطى الدنيا فى دينه من نفسه

يطوعون بعض شرع الله وفق أغراض

السياسة

يعطلون بعض شرع الله حيثما تملئ

ضرورة السياسة

يحرفون شرع الله كيفما تضطربهم

مصالح السياسة

يعارضون من يدعو الى التجديد بالتوحيد

تدفعهم خصومة السياسة

الدين صار سلطة من حكرهم

يطوعونه لنكرهم ومكرهم

ليسوا دعاة دين

ليسوا مجاهدين

شراكة من المرابحين والمضاربين وبعض

ساسة

وأنه يعيش فوق ما قد عاش

والهيكل الشريف يبنى فى هياكل الأحرار

يسبرون غوره ويخبرون معدنه

وأنه يشيد فى شواهد العقول والقلوب

مسكنه



وما دروا بأنه أوصى وصية قديمة

أن يدفنه فى ثيابه القديمة

وأن يكون قبره بلا علامة

فموته على الإباء وحده العلامة

ولا يقام مأتم له

ما دامت الثورات فى فجاج الأرض

أعراس مقامة

فكان يدري أنه شهيد

يموت فى فداء شعبه شهيد

يمضى لسر ربه من بعد أن يطيب الثرى

بطيب الإقامة



وقالوا: أحرقوا الكتب !!

وما دروا بأن البسمة السماء فى عناق

الحبل كانت الكتاب

وقالوا: غيبوا عن العيون مدفنه

ونكروا عليهم موطنه

يخشونه حياً بظنهم وميتاً

وما دروا بأن الأرض - كل الأرض -

صارت محضنه

وما دروا بأن صوته يمتد فى فجاجها

الفساح صيتا

كانت هناك أوله وآخره وأكبره

منصة الإعدام كانت منبره

والحبل للخلود معبره



وقالوا: صادروا العقار

ويحسبونه كواحد من القصور يسكنونها

على الضفاف

يفيض بالكثير من رافه وفاره ومن وثير

وما دروا بأنه ماكان يملك الكفاف

لكنه فى الحق كان يملك الكثير

جسارة الفكر الذى يثور فى مجاهل المثير

صمامة القلب الذى يخافه الردى ولا

يخاف



وزلزل الشهيد أرضهم مراراً

أعطاهم بكل عام من عمار عمره

يوماً وحيداً من خراب عهدهم

وأشعل الشرارة

وجاء مارس التغيير يلفيهم على مضاجع

الغرارة

المستشار والمشير والإشار

هذا يقرر الخيانة، وهذا صايغ قراره



إمامه يأوى الى ديارنا المناضلين

لكى يرحل اليهود فى ديارهم مستوطنين

يقول فى إمامه بملء فيه، ولا يمل القول

فيه:

إمام كل المؤمنين، مهدي قرننا العشرين

مجدد الدين الذى له ندين

من أجله تنظيمنا محلول

ندوب فيه.. نهيم فيه

عدونا عدوه ونصطفى من يصطفيه

وإننى صفيه، وفيه، مفتيه

بايعته فى منشطى ومكرهى ألا أنازعه ولا

أعصيه

زودنى الأخ الرئيس بالتوجيه

حملنى رسالة الى أخيه

كلفنى بأخطر المهام ، ونبهنى وكرر التنبيه

أليس يشبه النبى؟!؟

ما كاد يدعوهم الى الهدى حتى تسارعوا

بالطعن فيه

أليس يشبه النبى، حينما أراق الخمر فى

الناعقة

حتى يروا ما قد بنوه ريبة ينهد فوقهم

كصاعقة

فلا يمدوا مدية الجزار صوب أيدي

البائسين

أيديهم هم هي التي امتدت لقوت

الشعب سارقة

لا يلهبوا بدرة الإذلال ظهر البائسين

ظهورهم هم هي التي تنوء بالأوزار وهي

عن حياض الدين مارقة

لا ينصبوا مشانق الإرهاب للأحرار

والمناضلين

أرقابهم هم هي التي في آسنان الإفك

غارقة

ولا يلاحقوا مستضعفاتهم من النساء

جيوبهم هم هي التي ربت من الربا

وقد أحلوا كل تلك المفضحات الساحقة،

الماحقة

■●■

على منصة الإعدام يكتب الوصية

وصية الى الأحرار أن يساهروا على

المدينة وحد شاربيه؟!؟!

بايعته !! بايعته !! فى منشطى ومكرهى

مجاهدا وراءه أفديه

ما دام رافعاً حد الخرابة على معارضى

أو معارضيه

هذا معارض زنديق!! هذا معارض

مرتد!!

هذا معارض يجادل الإمام فى بيوت

الله!!

السجن لا يكفيه

لا بد من إلهاب ظهره حتى يصير عبرة

لمقتفيه

ما أضيع الإسلام ، وكائدوه من

ذويه؟!!!

ما أضيع السودان، وخائنوه من بنيه؟!!!

■●■

ويكتب الشهيد آخر الوصية

على منصة الإعدام يكتب الوصية

وصية الى الأحرار أن يساهروا على

الحرية

وأن يذودوا عن حياضها تلك الفلول

الحرية

وأن يكون الدين دريهم الى الحرية

وأن يكون الخبز زادهم الى الحرية

وأن يكون قوتهم حرية ووقتهم حرية

وعشقهم ومقتهم حرية

وعيشهم وموتهم حرية

فمن يولى دبره مصارع الحرية

عيشته دنية، ميتته دنية

وصية موثقة

منسوجة صدقاً وحقاً من جبال المشنقة

وصية أخيرة

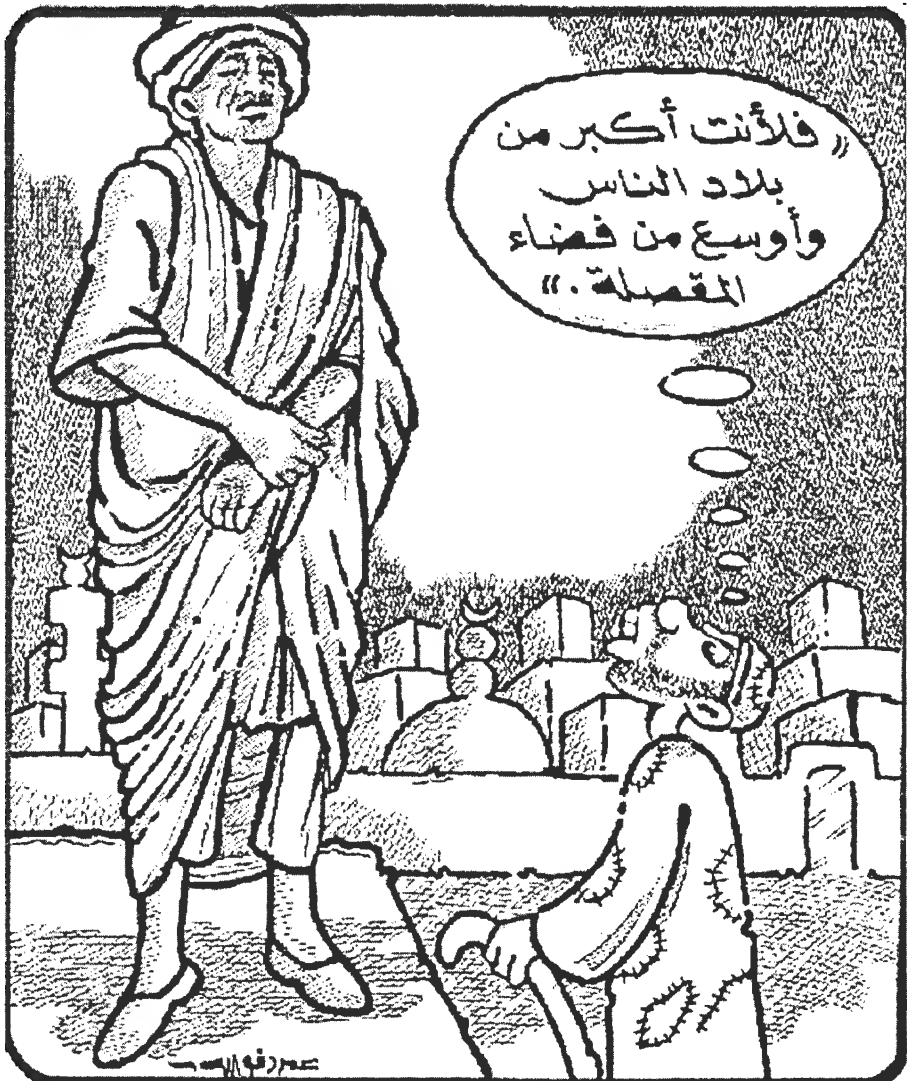
فلترفعوا فى وجههم صلابة المداومة

على جسارة المقاومة

بلا مساومة

فلا مساومة

شهادة عمر دفع الله والتعبير نيابة عن الشرفاء من أهل الأرض



الباب الرابع

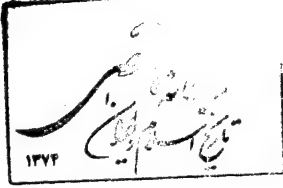
الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية التهميش والبتير للمعارف والعزل عن ميدان البحث العلمى

إن التعليم الجامعى الحاضر باهظ التكاليف جداً... وهو غير كبير الجدوى للبلاد... بل إن الخريجين والجامعيين يكونون طبقة جديدة لا تابه كثيراً بحالة البؤس التى يعانى منها الشعب، وهم على التحقيق، غير قادرين على السكن فى القرى، والأرياف، حتى يستطيعوا أن يتفهموا حالة مواطنيهم، ويعينوا على تطوير حياة الريف... ولو أوقف هذا التعليم الجامعى الحاضر، وأستعين بما ينفق عليه، فى الوقت الحاضر، لتوسيع قاعدة التعليم، وتركيز مراحله، على النحو الذى اقترحت أعلاه، لكان ذلك أفيد للبلاد...

عندما يتركز التعليم، ويرتفع مستوى المواطنين، العقلى والصحى، والاجتماعى، والاقتصادى، بفضل ما يبذله خريجو معاهدنا التى ذكرت آنفاً، يمكن أن نرتقى الى تعليم جامعى ينبت من طبيعة أرضنا، وتفكيرنا، وشخصية قومنا، ثم يتلقى ما يتلقى من أفكار غربية شرقية، فيضمها، ويجعلها سودانية أصيلة. أى يستطيع أن ينظر إلى العالم الشرقى، والغربى، من وجهة نظر سودانية، بذلك يكون تعليمنا أصيلاً، لا دخيلاً... ويكون خريجونا إنسانيين، سودانيين، أصلاء يسمعون لإسعاد قومهم، ولإسعاد البشرية عامة، كعمل طبيعى، فى غير تكلف ولا رياء (1).

محمود محمد طه، عام 1958

(1) محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محبوب"، 1958/12/24، الخرطوم.



الفصل الثالث عشر

13

.....
الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية
قراءة في نماذج من الرسائل الجامعية (الدكتوراة والماجستير)
.....

التهميش والبتير للمعارف والعزل عن ميدان البحث العلمي

إن كتب التدريس تبدأ ببتير حسن العالم بتاريخ نظامه المعرفي، ثم تستمر لتقدم
بديلاً مما حذفته⁽¹⁾.

توماس س. كون

(1) توماس س. كون، بُنية الثورات العلمية، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية،
بيروت، 2007، ص 241.

الأكاديمية : تعاريف ومبادئ

الفكر يتيم في هذا البلد ⁽¹⁾.

محمود محمد طه

لقد قطع العالم شوطاً مقدراً، عبر المنظمات والمليقات الإقليمية والدولية، في التشريع والتصميم للمواثيق والمعاهدات والإعلانات بشأن الخدمة الأكاديمية والمجتمع الأكاديمي والمؤسسات الأكاديمية وحريتها واستقلالها ومسؤولياتها. فقد سعى ولا يزال يسعى لنشر تلك المواثيق والمعاهدات وتعزيز الالتزام بها من أجل الحق في السعي للمعرفة، وإظهار الحقيقة ونشرها مع التسامح وتحرير الاختلاف من علاقات القوى، ومن أجل أن يخدم التعليم والبحث مبادئ الحرية والعدالة وكرامة الإنسان. ففي المؤتمر الدولي الذي عقدته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" عام 1950 بمدينة نيس، أعلنت جامعات العالم عن ثلاثة مبادئ رئيسية على جامعات العالم أجمع الالتزام بها وهي:

1- الحق في السعي للمعرفة من أجل المعرفة والوصول في البحث عن الحقيقة حيثما

(1) عوض الكريم موسى، "الافتتاحية"، الجمهورية، مجلة الحزب الجمهوري الداخلية، العدد الأول، بتاريخ 17/4/1969، ص 1؛ مقابلة مع عوض الكريم موسى، كانت المقابلة بالهاتف، عوض الكريم بمدينة الخرطوم في السودان، والمؤلف بمدينة الدوحة بدولة قطر، بتاريخ 2013/1/5، الساعة: 11:10 صباحاً.

يؤدي هذا البحث.

2- التسامح مع الاختلاف في الآراء وتحريره من التدخل السياسى.

3- الالتزام كمؤسسة اجتماعية، عن طريق التعليم والبحث، بتعزيز مبادئ الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية والتضامن الإنسانى ووجوب تطوير مادة متبادلة ومساعدة معنوية على المستوى الدولى.

جاءت هذه المبادئ فى صدر إعلان الحرية الأكاديمية 2005 الذى أصدره المؤتمر العالمى الأول لرؤساء الجامعات فى يناير 2005⁽¹⁾، وأضاف الإعلان عن تلك المبادئ قائلاً: "وتدل تلك المبادئ على الدور المركزى الذى يلعبه البحث والتعليم الجامعى فى التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات. وتنطبق المبادئ على كافة الجامعات سواء الحكومية أو التى تشرف عليها الحكومات أو المؤسسات الخاصة"⁽²⁾. لقد عرف إعلان ليما/ بشأن الحرية الأكاديمية واستقلال مؤسسات التعليم العالى - ديسمبر 1988، المجتمع الأكاديمى قائلاً: "(المجتمع الأكاديمى) يغطى جميع أولئك الأشخاص الذين يقومون بالتدريس والدراسة والبحث والعمل فى مؤسسة للتعليم العالى". وعن مؤسسات التعليم العالى أوضح الإعلان قائلاً: "(مؤسسات التعليم العالى) تتكون من الجامعات وغيرها من

(1) "إعلان الحرية الأكاديمية 2005" وقد صدر عن المؤتمر العالمى الأول لرؤساء الجامعات الذى أُنْعِد في جامعة كولومبيا يومي 18-19 يناير 2005.

(2) المصدر السابق.

مراكز التعليم ما بعد الثانوى وما يرتبط بها من مراكز البحث والشفافة"⁽¹⁾. وعن تعريف المؤسسة أو الهيئة الأكاديمية كتبت ميمونة ميرغنى حمزة قائلة:

فى أغلب التعريفات الهيئة الأكاديمية تشمل أساتذة الجامعات من حملة الدرجات العليا وهى الفئة التى خصت بالحرية الأكاديمية بمعنى أن الطلاب ليسوا أعضاء فى هذه الهيئة... فالطالب جاء للجامعة ليتعلم لا ليعلم أو يبحث وبالتالي لا نتوقع منه إظهار الحقيقة... حتى بالنسبة لطلاب الدراسات العليا فما يقومون به من أبحاث يتم تحت إشراف أساتذة وبأساليب متفق عليها ولا يعتبرون بأى حال فى مقام أو صنف للأساتذة"⁽²⁾.

أشارت ميمونة فى ورقتها إلى أن هناك أطروحات وإعلانات تصنف الطلاب جزءاً من الهيئة الأكاديمية فكتبت قائلة: "إن إعلان دار السلام صنف الطلاب والموظفين كجزء من الهيئة الأكاديمية التى عرفها بأنها: كل الأشخاص الذين يقومون بالتدريس أو البحث أو يعملون فى مؤسسات التعليم العالى"⁽³⁾. والبحث العلمى كما عرفه حاتم بابكر هلاوى قائلاً: "البحث العلمى هو عبارة عن نشاط علمى منظم يعمل على كشف الحقائق اعتماداً على مفاهيم منهجية من أجل معرفة الارتباط بين هذه الحقائق ثم استخلاص الاستنتاج"⁽⁴⁾.

(1) نشأت الفكرة الأصلية للإعلان عن حلقة تدريبية عقدتها "الخدمة الجامعية العالمية" فى نانيس فى عام 1984، وهى الحلقة التى بدأت برنامجاً جديداً هو: - "التضامن والتعاون بين الجامعات" - تحت مسؤولية لجنة خاصة. وقد طلبت هذه اللجنة، بعد تنظيم حلقة تدريبية فى مدريد فى سبتمبر 1986، إلى مانفريد نواك، المدير الحالى للمعهد الهولندى لحقوق الإنسان، اقتراح مشروع إعلان. وقد نبعت فكرة الإعلان من إدراك أنه على الرغم من وجود صكوك وتوجيهات شاملة فى ميدان حقوق الإنسان بوجه عام، كان هناك افتقاد لمثل هذه الصكوك والتوجيهات فى ميدان التعليم العالى شمل حرية الجامعات واستقلالها. وقد كتب مشروع الإعلان فى يناير 1987، وخاضت اللجنة عملية شاقة لناقشته واختباره وتنقيحه بالتشاور مع الشبكة الدولية للجان الوطنية التابعة "للخدمة الجامعية العالمية"، سواء على المستوى الوطنى أو الإقليمى. كما أرسل المشروع إلى أكثر من خمسين منظمة متخصصة لتقديم ملاحظاتها عليه، وكان لمقترحاتها فائدة كبيرة فى الصياغة النهائية للإعلان. وتم تنقيح المشروع ثلاث مرات قبل أن تقره الجمعية العمومية الدولية "للخدمة الجامعية العالمية" فى سبتمبر 1988.

(2) ميمونة ميرغنى حمزة، "الحرية الأكاديمية معناها وأبعادها"، كتابات سودانية، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 40.

(3) المرجع السابق، ص 40.

(4) حاتم بابكر هلاوى، "الحرية الأكاديمية والبحث العلمى"، كتابات سودانية، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 44.

وعن الغرض من الجامعات جاء في إعلان الحرية الأكاديمية 2005: "يناط بالجامعات مسئولية حفظ معارف الماضي ونقلها للجيل التالي، وتعليم مواطني ومدرسي وقادة المستقبل، والسعى وراء اكتشاف معارف جديدة التي من شأنها إما أن تدعم أو أن تدحض ما هو موجود بالفعل من أفكار ومعايير. وهذا كله بغرض تعميق الفهم الإنساني وتحسين حالة البشرية"⁽¹⁾. وعن وظيفة الجامعة في مجال التنمية الاقتصادية ودعم الاختراع والإبداع، يقول الإعلان: "كذلك فإن الجامعة تقوم بوظيفة المحرك الأساسي للتنمية الاقتصادية، ودعم الاختراع التكنولوجي والعلمي، وحفز الإبداع في الفنون والآداب، ومخاطبة القضايا العالمية الطارئة مثل الفقر، والمرض، والصراع السياسي العرقي والتدهور البيئي"⁽²⁾.

أما بشأن تعريف الأكاديمي، فإنني ولغرض هذه الدراسة، أخذت بالإضافة للتعريف الذي قدمه إعلان الخرطوم للحرريات الأكاديمية الصادر من ندوة: الحريات الأكاديمية، التي عقدت خلال الفترة 10-9 مارس 2002، بمركز الدراسات السودانية بالخرطوم، أخذت في الاعتبار أولئك المشتغلين في إنتاج المعرفة والمساهمين في الخدمة التنويرية من خلال نشر الكتب والدراسات، حتى ولو لم ينطبق عليهم تعريف الأكاديمي على النحو الذي جاء في إعلان الخرطوم للحرريات أو في غيره من الاعلانات والمواثيق والمعاهدات. يقول إعلان الخرطوم للحرريات الأكاديمية في تعريفه للأكاديمي: "المقصود بالأكاديمي في هذا الإعلان هو عضو هيئات التدريس بمؤسسات التعليم العالي ولا يشمل معاونين"⁽³⁾. وعن الحريات الأكاديمية يقول إعلان بغداد- عمان للحرريات الأكاديمية في الجامعات العراقية: "الحريات الأكاديمية جزء أساسي وحيوي من حرية التعبير والحقوق الأساسية للإنسان لا يمكن للعمل الأكاديمي أن يتطور ويزدهر بدونها"⁽⁴⁾. وعن أهم جانب من الحرية الأكاديمية تحدثت ميمونة قائلة: "ولعل أهم جانب من الحرية الأكاديمية حق الأستاذ في اختيار مجال البحث وتسهيل حصوله على المعلومات من وثائق وتقارير بهدف إظهار الحقيقة ونشرها إذ

(1) "إعلان الحرية الأكاديمية 2005" مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) "إعلان الخرطوم للحرية الأكاديمية"، كتابات سودانية، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 68.

(4) "إعلان بغداد- عمان للحرريات الأكاديمية في الجامعات العراقية"، صدر في عمان بتاريخ 11/ محرم/ 1427 الموافق 10/ شباط / 2006.

إن هذه هي مهمة عضو الهيئة الأكاديمية الذى درب للقيام بها⁽¹⁾. وفى سبيل تعظيم الجامعات لإظهار الحقيقة كهدف أساسى وسامى، يفقد معه الأستاذ (الأكاديمى) مكانه فى الجامعة إن لم يشتغل على إظهار الحقيقة، كتبت ميمونة ميرغنى حمزة قائلة: "ولقد رفعت بعض الجامعات شعار (أنشر أو أندثر Publish or Perish) بمعنى أن الأستاذ الذى لا يعمل فى مجال البحث كمهمة أساسية هدفها إظهار الحقيقة ليس له مكان فى الجامعة"⁽²⁾. جاء فى إعلان كمبالا بشأن الحرية الفكرية والمسئولية الاجتماعية 1990، الذى صدر عن المشاركين فى ندوة: الحرية الأكاديمية والمسئولية الاجتماعية للمفكرين، والذين رأوا بأن الإعلان ربما يكون هو المعيار للمجتمع الفكرى الأفريقى لتأكيد الاستقلالية والتعهد بالمسئولية تجاه شعوب قارتنا، وجاء فى الإعلان: "لكل مفكر إفريقى الحق فى أن تحترم كل حقوقه المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما هو وارد فى بيان حقوق الإنسان الدولى والميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب". وعن أعضاء المجتمع الفكرى والأكاديمى جاء فى الإعلان: "يلتزم أعضاء المجتمع الفكرى بأداء أدوارهم ووظائفهم بكفاءة وأمانة وبأفضل صورة، ويجب أن يؤدوا واجباتهم وفقاً لأفضل المعايير العلمية والأخلاقية"⁽³⁾. وعن الحرية الأكاديمية وأثارها الإيجابية على المجتمع ودور الأكاديمى السودانى، جاء ضمن الفصل الثانى: الواجبات والمسؤوليات الاجتماعية للأكاديمى السودانى فى إعلان الخرطوم للحرية الأكاديمية، "إن الحرية الأكاديمية لا يمكن أن تتبلور آثارها الإيجابية على المجتمع مالم يدرك الأكاديمى السودانى مسؤولياته نحو المجتمع ويؤديها بدقة وأمانة وشفافية"⁽⁴⁾.

الشاهد أننى فى هذا المدخل الموجز عن الأكاديميا والأكاديمى، قد ركزت من خلال بعض المواثيق والمعاهدات والإعلانات التى صدرت على التعريف بالمجتمع الأكاديمى والأكاديمى والمؤسسات الأكاديمية والبحث العلمى وأهمية الهيئة الأكاديمية واستقلالها ومسؤولياتها ودورها فى المجتمعات الحديثة. كما وقفت على مبادئ الأكاديمية والحرية

(1) "إعلان الخرطوم للحرية الأكاديمية"، مصدر سابق، ص 68.

(2) ميمونة ميرغنى حمزة، مرجع سابق، ص 40.

(3) "إعلان كمبالا بشأن الحرية الفكرية والمسئولية الاجتماعية 1990"، الصادر عن ندوة: الحرية الأكاديمية والمسئولية الاجتماعية للمفكرين، صدر الإعلان فى التاسع والعشرين من نوفمبر 1990 بمدينة كمبالا.

(4) "إعلان الخرطوم للحرية الأكاديمية"، مصدر سابق، ص 68.

الأكاديمية. بالطبع إن المواثيق والمعاهدات والإعلانات التي أشرت إليها، ليست هي كل ما صدر؛ وإنما قدمت في هذا المدخل نماذج منها. وغنى عن القول أيضاً، بأن التعاريف التي أوردتها هي تعاريف لغرض هذه الدراسة، وإلا فإن التعاريف عن المجتمع الأكاديمي والبحث العلمي والحرية الأكاديمية والأكاديمي... إلخ تعاريف عديدة ومتجددة ومتطورة ومتوسعة.

نشأة الأكاديمية السودانية

منذ أن عرفت الأستاذ محمود، وأنا طالب في بداية السنة الأولى بجامعة الخرطوم، ما صليت مع أهلي إلا قاصراً⁽¹⁾.

أحمد دالي

لقد نشأت الأكاديمية السودانية في كنف الإدارة الاستعمارية البريطانية، إذ شهدت فترة الحكم الثنائي الإنجليزي/ المصري (1898-1956) قيام مؤسسات التعليم الحديث. كان التعليم في السودان قبل ذلك تعليماً دينياً مع انفصال يكاد يكون تاماً عن إرث السودان الحضاري في كرمة (ق.م. 1500 - ق.م. 2500)، وفي كوش (750 ق.م. - 350م)، ونوباتيا والمقرة وعلوة (550-1450). ففي عهد دولة الفونج (1504-1821) وفي العهد التركي/ المصري (1821-1885)، كان التعليم "تعليمياً دينياً محوره اللغة العربية والعلوم الشرعية، وقوامه الكتاب والخلوة والمسجد والمسجد ومجالس العلماء والأزهر"⁽²⁾. يقول محمد عمر بشير: "في الفترة السنارية (سلطنة الفونج) اتجه السودان بنظره إلى الشرق أي صوب الحجاز والجزيرة العربية أكثر من اتجاهه صوب مصر، وذلك أمر طبيعي إذ كانت مكة والمدينة تمشلان مركز الوحي الديني والروحي أكثر من القاهرة"⁽³⁾. ظل التصوف هو الذي يستهوى السودانيين، يقول يوسف فضل حسن: ففي البدء هاجر بعض السودانيين للاستزادة من المعارف الإسلامية من مصر والحجاز... اهتم العلماء السودانيون بتحفيظ القرآن الكريم وتفسير ونشر الفقه خاصة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل بن إسحاق

(1) مقابلة مع أحمد مصطفى دالي، الدوحة، 2013/1/24، الساعة 9:00.

(2) عز الدين الأمين، مرجع سابق، ص 21.

(3) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969)، مرجع سابق، ص 15.

والتوحيد والحديث والسيرة وعلوم اللغة العربية. إلا أن هذه هي الثقافة الفقهية،... إذ فضل عامة الناس الانخراط في سلك الطرق الصوفية... وقد دفع هذا الوضع الفقهاء لترسموا خطى رجال التصوف⁽¹⁾. يقول محمد الواصل: إن التصوف "وتصوف" الفقراء بوجه أخص كاد يقوم مقام الدين نفسه في الفترة السنارية (فترة دولة الفونج)، ومن ثم يشكل المزاج الديني للسودانيين⁽²⁾. ولأن التعليم ارتبط بالتصوف، فقد كانت الخلوة هي المكان الوحيد الذي يتم فيه تعليم القرآن⁽³⁾. ويقول يوسف فضل حسن: إن الخلوة كانت بمثابة مركز الإشعاع الروحي والثقافي والاجتماعي⁽⁴⁾.

أرجع يحيى محمد إبراهيم نشأة الخلوة إلى أواسط القرن الرابع عشر الميلادي عندما قَدَّم غلام الله اليمنى إلى دنقلا⁽⁵⁾. يقول محمد عمر بشير: لا جدال في أن المؤسسة التعليمية الكبرى والمهمة والتي نشأت بجانب المسجد والمسجد هي الخلوة. فالخلوة كان لها مدلول في السودان غير الذي كان سائداً في البلدان الإسلامية، حيث الاعتزال عن الناس بقصد الوصول إلى الحقيقة، والتقرب إلى الله. بينما كانت في السودان تعنى المكان الذي تؤدي فيه وظائف التعليم الديني من تعلم للكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن ثم دراسة العلوم الدينية من فقه وتوحيد وسائر علوم العربية⁽⁶⁾. فالخلوة كما يرى المعتصم أحمد الحاج "قد قدمت نوعاً من التعليم يلائم ظروف البلاد ويلبي احتياجات المجتمع"⁽⁷⁾. حافظ العهد التركي المصري على التعليم الديني والخلوة كمصدر رئيسي للتعليم، مع انتشارها في أجزاء كثيرة من السودان. كما أنشأ الحكم التركي عدداً من المدارس الابتدائية في كل من الخرطوم وبربر ودنقلا وكردفان وكسلا وسواكن وسنار وجوبا بغرض تعليم أبناء الأتراك

(1) يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب، ج3، سوداكت المحدودة، الخرطوم، 2008، ص187، 188.

(2) محمد الواصل، الشعر السوداني في القرن العشرين، آراء وقصائد مختارة، مرجع سابق، ص15.

(3) خالد حسين عثمان الكد، الأفندية ومفاهيم القومية في السودان، مرجع سابق، ص1.

(4) يوسف فضل حسن، ضمن مقدمته للطبعة الأولى لتحقيقه لكتاب: محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، ط4، مطابع دار ومكتبة الهلال، 1992، ص12.

(5) يحيى محمد إبراهيم، تاريخ التعليم الديني في السودان، ط1، دار الجبل، 1987، ص79.

(6) محمد عمر بشير، التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956)، مرجع سابق، ص10.

(7) المعتصم أحمد الحاج، الخلاوى في السودان نظمها ورسومها (حتى نهاية القرن التاسع عشر)، مرجع سابق، ص5.

والمصريين العاملين في الجيش والإدارة، وتخريج عدد قليل من السودانيين للعمل في دواوين الحكومة في الوظائف الصغرى... وفي عهد الدولة المهديّة (1885-1898) استمرت الخلاوى مصدرًا رئيسيًا لتعليم الصغار والكبار. كما شجعت المهديّة تعليم القرآن والحديث وقراءة الراتب من خلال حلقات التدريس التي نشأت في الأحياء المتعددة في أمدرمان، ومن خلال الخلاوى التي كانت تقوم بتعليم القرآن والكتابة والحساب⁽¹⁾.

سعى الحكم الثنائي الإنجليزي/ المصري الذي قضى على الثورة المهديّة عام 1898، منذ سنواته الأولى إلى تأسيس منهج تعليمي ينأى بالمشقف السوداني عن التفكير التأملّي والتنظير، لأن مثل هذا التفكير هو الذي يقود في النهاية إلى نسف الاستعمار من قواعده⁽²⁾. كتب خالد حسين عثمان الكدفى كتابه: **الأفندية ومفاهيم القومية في السودان**، وهو يتحدث عن سياسة الإدارة البريطانية في التعليم، قائلاً: "إن سياسة الإدارة البريطانية فيما يختص بالتعليم كانت حذره جداً، وتعمل بتعليمات اللورد كرومر، المندوب السامي البريطاني في مصر. كانت توجيهات كرومر تقوم على التحذير من التعليم العالي والذي اسماءه: "عملية صناعة الغوغائية"،..."⁽³⁾. ويقول محمد سعيد القدال أن اللورد كرومر كان يؤكد لحكام السودان من الإنجليز قائلاً: "إن الخطأ الأكبر في تعليم الفقراء كان الطموح الكبير في ادخال الدراسات الأدبية. إن التعليم الابتدائي يجب أن يهتم بملاحظة الحقائق وليس بأى شكل من أشكال التفكير التأملّي أو الفكر"⁽⁴⁾.

كان التعليم يهدف إلى تحقيق الأغراض الاستعمارية، المتمثلة في توفير الوظائف الكتابية والفنية بمعزل عن الدور القيادي المستقبلي للمتعلمين. يقول خالد الكد: "كانت الإدارة البريطانية تعامل الأفندية كأتباع، لا حلفاء مستقبليين، هذا على الرغم من أن أغلبية المدرسين البريطانيين، كانوا شباباً من خريجي أكسفورد وكمبردج، ولكنهم لم يرتبطوا بأى

(1) محمد عمر بشير، **التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين** (1820-1956)، مرجع سابق، ص 22، 26، 27.

(2) محمد سعيد القدال، **"المدرسة التاريخية السودانية"، الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 20.

(3) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، ص 107-108.

(4) محمد سعيد القدال، **"المدرسة التاريخية السودانية"، الانتماء والاغتراب، دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 20.

عمل يمكن أن يدفع بتطوير هؤلاء "الأفندية" أو دفعهم فى الخط البريطانى. كان هؤلاء المدرسون كما يقول إدوارد عطية: "أعضاء فى الخدمة السياسية. كان دورهم مزدوجاً، كمعلمين وحكام، وغلبت صفتهم الثانية على الأولى. ولم يطلبوا من التلاميذ مجرد طاعة التلميذ لأستاذه، وإنما خضوع التابع لسيده"⁽¹⁾. يقول عبدالرحمن عبدالله (1933-???) فى كتابه: السودان الوحدة أم التمزق، وهو يتحدث عن الميراث البريطانى الإدارى الذى لم يشفع للسودانيين لمواصلة الحكم بفاعلية، مشيراً لحديث بازل ديفيدسون الذى قال: "إنه فى أغلب الحالات فى المستعمرات "فإن التعليم كان من أجل تثبيت الأمر الواقع، والأمر الواقع الاستعماري على وجه التحديد"... وأن نفوذ من احتلوا المواقع استمر "لأن المكاتب التى جلسوا عليها، هى نفسها المكاتب القديمة، وكذلك الملفات التى يعملون عليها، فقد تغير الحكام ولم تتغير مؤسسات الحكومة الكولونiale"⁽²⁾. وأضاف عبدالرحمن عبدالله قائلاً: "وفى حقيقة الأمر فإن الميراث البريطانى الإدارى لم يشفع للسودانيين لمواصلة الحكم بفاعلية، وكما حدث فى الهند فلقد أرسوا دعائم حكم القانون، ولكن، ورغم المظهر الخارجى، كما قال نهرو (جمدوا حركة التغيير)"⁽³⁾. وأشار عبدالرحمن عبدالله وهو يتحدث عن ظروف عدم إعداد المتعلمين إلى مهام مستقبلية، أشار إلى حديث السير جيمس روبرتسون، آخر سكرتير إدارى فى السودان، فقد عبر روبرتسون قائلاً: "إن النظرة للسودانيين المتعلمين كانت ملأى بالشك، ولم يكن يسمح لهم بالتعبير عن أفكارهم، كما لم يُهيأوا لمهام مستقبلية..."⁽⁴⁾. وهكذا فإن الإدارة الاستعمارية كانت تُحدد نوع التعليم وطبيعة الجرعات التعليمية بما يضمن تخريج فنيين وكتبه للقيام بالمهام الخدمية. كما سعت إلى تخفيض السقف المعرفى فاكتفت بالتعليم الابتدائى والمتوسط ولاحقاً الثانوى. فمؤسسات التعليم العالى، عند اللورد كرومر وصفت بـ: "عملية صناعة الغوغائية"، كما ورد آنفاً.

الشاهد أن المؤسسات التعليمية فى السودان قامت بناءً على تلك السياسات التى

(1) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، ص 105.

(2) عبدالرحمن عبدالله، السودان: الوحدة أم التمزق، ترجمة الفاتح التجانى، شركة رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2002، بيروت، لبنان، ص 73.

(3) المرجع السابق، ص 76.

(4) المرجع السابق، ص 76.

وضعها كرودر، وعلى أهداف أوضحها السير جيمس كرى، أول مدير للمعارف السودانية، والذي ترأس كلية غردون التذكارية⁽¹⁾، أوضح كرى بأن الهدف من إنشاء المؤسسات التعليمية في السودان هو تعليم الحرف وشئ من المعرفة يمكن الأهالي من التعرف على أغراض الحكومة ونظام الإدارة وتدريب بعضهم لكي يتمكنوا من شغل الوظائف الصغيرة التي تحتاج إلى أن يملأها السودانيون⁽²⁾. بناء على هذه الأهداف سارت السياسة التعليمية وكان إنشاء المؤسسات التعليمية. فقد أنشئت كلية تدريب المعلمين والقضاة بأمدرمان في عام 1900، ومدرسة الصناعة بأمدرمان باقتراح من السير جيمس كرى⁽³⁾، وافتتحت كلية غردون التذكارية في 8 نوفمبر عام 1902، وقد فتحت أبوابها للدراسة في أكتوبر 1903 بأن نقل إليها تلاميذ مدرسة الخرطوم الابتدائية⁽⁴⁾. وفي 1905 قامت المدرسة الحربية (مدرسة الخرطوم الحربية)، وافتتحت مدرسة كتشنر الطبية عام 1924. وكان الحاكم العام قد أنشأ عام 1902، مجلساً للعلماء ينظم التدريس في الجامع الكبير بأمدرمان ويمهد لإنشاء المعهد العلمي. وفي عام 1912 أنشئ المعهد العلمي بأمدرمان على غرار الأزهر⁽⁵⁾، وعُين الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم (1856-1934) شيخاً له⁽⁶⁾. وقد أصبح المعهد العلمي بأمدرمان في عام 1965 جامعة أمدرمان الإسلامية⁽⁷⁾. هنا يتجلى الأثر المصري/ العربي إلى جانب الأثر البريطاني/ الغربي في الأكاديميا السودانية. فالأثر المصري أثر قديم، وقد زاد على المستوى الأكاديمي بقيام جامعة القاهرة فرع الخرطوم التي تأسست عام 1956، وقد أصبحت في عام 1993 جامعة النيلين، هذا إلى جانب التدريب والدراسة في الأزهر وجامعات مصر المختلفة للذان لم تنقطعاً حتى اليوم.

-
- (1) عبد الكريم محمد، "تاريخ كلية غردون 2"، مجلة كلية غردون، العدد 2، مج 2، 21 ديسمبر 1935، ص 1.
 (2) محمد عمر بشير، التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956)، مرجع سابق، ص 31.
 (3) عبد الكريم محمد، مرجع سابق، ص 1.
 (4) المرجع السابق، ص 2.
 (5) عز الدين الأمين، نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، مرجع سابق، ص 17.
 (6) محمد عمر بشير، التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956)، مرجع سابق، ص 37.
 (7) المعتصم أحمد الحاج، أزهري السودان: المعهد العلمي بأمدرمان تاريخه وتطوره (1912-1965)، مرجع سابق، ص 110.

تطورت كلية غردون التذكارية التي بدأت عام 1903 بالقسم الابتدائي. ففى عام 1905 شهدت بداية القسم العالى / المستوى الثانوى، كما قامت مدرسة الطب التى افتتحت عام 1924، ومدرسة القانون عام 1926، وفى 1938 كليتا الزراعة والطب البيطرى، وفى عام 1939 مدرسة العلوم والهندسة، وفى عام 1940 أنشئت مدرسة الآداب. لقد ارتبطت الكلية خاصة بعد قيام القسم العالى / المستوى الثانوى، من حيث المناهج وامتحان الشهادة الثانوية وتدريب الأساتذة وفى الكثير من النظم الدراسية، ارتبطت بجامعة كمبردج وجامعة لندن ببريطانيا. الشاهد أن الكلية توسعت وتطورت وأصبحت فى عام 1951 كلية الخرطوم الجامعية، ومع استقلال السودان عام 1956، تم تحويلها إلى جامعة الخرطوم، وهى الجامعة القائمة الآن. تعد جامعة الخرطوم أول وأعرق نموذج للأكاديميا السودانية، كما أنها أكبر الجامعات السودانية. ظلت جامعة الخرطوم فى بداياتها مرتبطة بتقاليد الأكاديميا البريطانية، حيث الصرامة وقواعد البحث العلمى الرصين والتقاليد العلمية الراسخة. كما ظل أساتذتها ينالون التدريب الأكاديمى الرفيع والشهادات العليا فى بريطانيا، بما يمكنهم من أداء مهامهم الأكاديمية وفقاً للمتطلبات والشروط العالمية. أيضاً، بعد استقلال السودان، فقد شهد الربع الأخير من القرن العشرين فى السودان قيام العديد من الجامعات السودانية الحكومية والأهلية والخاصة. قامت جامعة الأحفاد، والتى تعود نواتها الأولى كمدرسة ابتدائية إلى عام 1907، وجامعة جوبا 1965، والتى كان نواتها (مركز جوبا التدريبى) الذى تأسس فى أربعينيات القرن الماضى بعد تطوير البرنامج التدريبى الذى كان غرضه تعليم الطلاب فى الجنوب السودانى وتدريبهم وتنمية مهاراتهم. وقامت جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا عام 1990، بعد أن تم ترفيع معهد الكليات التكنولوجية الذى نشأ عام 1975، وجامعة الجزيرة عام 1975، وجامعة إفريقيا العالمية عام 1986 بعد تطوير المركز الإسلامى الإفريقى الذى نشأ عام 1979، والذى تعود نواته إلى المركز الإسلامى الإفريقى الذى نشأ فى عام 1977. وهكذا استمر التوسع فى الجامعات الحكومية وقامت كذلك الجامعات والكليات الأهلية والخاصة حتى بلغت اليوم ثمانين وثمانين، منها ثلاثون جامعة حكومية وثمان وخمسون جامعة وكلية أهلية وخاصة⁽¹⁾.

(1) "مؤسسات التعليم العالى"، من موقع وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2012/1/6، الموقع على الإنترنت: <http://www.mohe.gov.sd>

بداية الدراسات الأكاديمية المنظمة في السودان

إن المجتمعات النامية في عموميتها تمجنح إلى المحافظة وكل جديد ينظر إليه عن باب الريبة والشك وهذه كافية لتجعل النشاط الأكاديمي متحفظاً وفي بعض جوانبه مجارياً لما هو مألوف مما يؤثر سلباً على حرية القائمين بأمر العمل الأكاديمي⁽¹⁾.

الحاج بلال

برغم أن المؤسسات التعليمية الحديثة نشأت في السودان مع بواكير القرن العشرين، في كنف الحكم البريطاني، إلا أن الدراسات الأكاديمية المنظمة لم تأت إلا بعد الحرب العالمية الثانية. يقول محمد سعيد القدال: "بعد الحرب العالمية الثانية بدأت الدراسات الأكاديمية المنظمة في أروقة كلية الآداب (إحدى كليات جامعة الخرطوم اليوم). واتجهت هذه الدراسات إلى إجلاء الحقيقة عن بعض جوانب الماضي الذي عمل الاستعمار على تشويهه وطمسه"⁽²⁾. وبحكم نشأة الأكاديمية السودانية في كنف الاستعمار البريطاني، كان طبيعياً أن اتجهت الأكاديمية السودانية، والمدرسة التاريخية السودانية، والتي سيأتى الحديث عنها لاحقاً، إلى الغرب تتلمس أساليب البحث فيه، وتؤهل نفسها في مؤسساته فأخذت بالمنهج التجريبي الذي سيطر على توجهات البحث الأكاديمي في جامعات الغرب الرأسمالية. فتأثرت به، وبجوانب القصور التي كانت تكتنفه. وانبهرت بإيجابياتها وسعت إلى تجويدها، وهو سعى حميد أرسى قواعد ثابتة للبحث العلمي⁽³⁾. كانت الدراسات الأكاديمية تعتمد في سعيها ذاك على امتلاك ناصية البحث الأكاديمي، والوقوف على أدواته من وثائق وأساليب كتابة... إلخ ونشطت هذه المدرسة بعد استقلال السودان عام 1956، وأفرزت نتاجاً متتابعاً في الستينيات والسبعينيات ليغطي جوانب القصور في تاريخ البلاد⁽⁴⁾. ورثت الأكاديمية السودانية تقاليد الأكاديمية البريطانية، بيد أنها لم تنعم

(1) الحاج بلال، "المحددات الاجتماعية والثقافية للحرية الأكاديمية"، كتابات سودانية، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 51.

(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، الانتماء والاختراب، دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 16-17.

(3) لمرجع السابق، ص 16-17.

(4) المرجع السابق، ص 16-17.

بالاستمرار والمحافظة على تلك التقاليد، وقد تجلّى ذلك بوضوح تام في موقفها من الأستاذ محمود.

موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه

لقد قوبلت الفكرة الجمهورية بتجاهل كامل من قبل المثقفين السودانيين، رغم معرفتهم بها، وإهمال واضح من قبل المثقفين العرب والمصريين منهم خاصة، خوفاً من الدوائر الدينية من جهة، واستعلاء عليها دون مبرر فكري مقنع من جهة أخرى⁽¹⁾.

أحمد مصطفى الحسين

تنطلق معالجتي لموقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه من خلال عدة أسئلة: ما هو موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه؟ وما هو موقف أكاديميها؟ هل كان الإنتاج الفكري للأستاذ محمود وإسهاماته في مجال الفكر الإسلامي، والمرأة... إلخ، ميداناً للدراسات الأكاديمية أو الدراسات العليا، الدبلوم، الماجستير والدكتوراة والتي تأتي بتوجيه ومباركة وإشراف الأكاديميين؟ إلى أي مدى التزمت الأكاديمية السودانية بأهم المبادئ الأكاديمية وهو إظهار الحقيقة ونشرها، كما جاء في الميثاق والمعاهدات والإعلانات العالمية والإقليمية والمحلية؟ إلى أي مدى كانت الأكاديمية السودانية وفية للشعار الذي يزين صدر أهم وأول وأعرق وأكبر جامعاتها، جامعة الخرطوم، الله، الوطن، الحقيقة والإنسانية؟ هل كانت جهود الأستاذ محمود الوطنية موضعاً للدراسة أو ميداناً للدراسات العليا؟ ما هو موقف الأكاديمية السودانية من محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام في عام 1968 وفي عام 1985؟ هل كانت أي من المحاکمتين موضعاً للدراسة من قبل الأكاديميين أو موضعاً للدراسات الأكاديمية أو الدراسات العليا، الدبلوم، الماجستير والدكتوراة والتي جلها يأتي بتوجيه وإشراف الأكاديميين؟ وما هو موقف الأكاديمية السودانية من تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود عام 1985، هل كان الحكم موضعاً لدراسة الأكاديميين أو موضعاً لتوجيه طلابهم لدراسة المحاكمة أو تنفيذ حكم

(1) أحمد مصطفى الحسين، "المثقفون: الصديقية واللهية والأستاذ محمود محمد طه"، من موقع سودانابيل، استرجاع (Retrieved) يوم 2010/6/4، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

الإعدام؟ هل تماهت الأكاديمية السودانية وأكاديميها مع الفقهاء فى موقفهم من الأستاذ محمود؟ هل كانت الدراسات الأكاديمية تشير أو تستشهد بالأستاذ محمود فى المجالات التى كانت له فيها إسهامات منشورة؟ هل تضمنت قوائم مصادر ومراجع الدراسات الأكاديمية إشارة للأستاذ محمود فى المجالات التى كانت له فيها إسهامات منشورة، أم أنها خلت من الإشارة إليه؟ الشاهد إننى للإجابة على هذه الأسئلة بشأن موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود ومشروعه إجابة علمية، قمت ببعض الخطوات المنهجية وهى:

أولاً: سأقدم إضاءة وإشارة موجزة عن تناول الأستاذ محمود فى المؤتمرات الأكاديمية فى السودان، تحت عنوان: الأستاذ محمود والمؤتمرات الأكاديمية ومبدأ إظهار الحقيقة ونشرها.

ثانياً: اخترت جامعة الخرطوم لتكون نموذجاً لدراستى لقراءة موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود من خلال الرسائل الجامعية (الدكتوراة والماجستير). ويرجع اختيارى لجامعة الخرطوم لعدة أسباب منها:

1- تعد جامعة الخرطوم أعرق الجامعات السودانية.

2- لقد بدأت الدراسات الأكاديمية المنظمة فى السودان من جامعة الخرطوم وانطلقت منها.

3- كانت من أكثر الهيئات الأكاديمية وكذلك أكاديميها وطلابها شهوداً على مشروع الأستاذ محمود، من خلال ما شهدته ساحاتها من طرح وحوار بشأن الأستاذ محمود ومشروعه، وقد قاد ذلك النشاط والحوار تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته.

4- منذ نشأتها لم تأخذ جامعة الخرطوم بأى هوية دينية، مثل ما هو حال بعض الجامعات الأخرى، التى أخذت بالهوية الإسلامية فى تقديم رسائلها ومنطلقات خدماتها التنويرية والبحثية. إن شعار جامعة الخرطوم: الله، الوطن، الحقيقة، والإنسانية، يصنفها فى موضع الحياء فى الرسالة وفى تقديم الخدمات التنويرية والبحثية مع الالتزام الوطنى والإنسانى.

ثالثاً: اخترت اثنان وثلاثين (32) أطروحة دكتوراه ورسالة ماجستير جميعها مثبتة فى قائمة المصادر والمراجع، وقد نال بها الطلاب درجات علمية عليا تحت مظلة كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم. وتناولت جميعها موضوعات كان للأستاذ محمود فى

كل موضوع منها إسهامات باكرة ومنشورة. والموضوعات هي: تاريخ السودان السياسى، وتاريخ الحركة الوطنية، والفدرالية فى السودان، المرأة، والدستور. والقضاء فى الشريعة الإسلامية، والاجتهاد فى الإسلام، ومفهوم السلام فى السودان، ومفهوم التفكير فى الإسلام، وحقوق الإنسان بين الإسلام والمواثيق الدولية... إلخ. وقد قدمها طلاب وطالبات من أقسام مختلفة من جامعة الخرطوم والأقسام هي: قسمى: التاريخ والدراسات الإسلامية بكلية الآداب. وقسم العلوم السياسية بكلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية. ولما كانت كل رسالة جامعية بمثابة دراسة أكاديمية يجب أن تستوفى الشروط المطلوبة، فإن اختيارى للعينة لم يراع سوى أن تكون الرسالة قد تناولت موضوعاً من الموضوعات التى كان للأستاذ محمود فيها إسهامات منشورة. امتدت الفترة الزمنية التى غطتها الرسائل الجامعية من عام 1994 وحتى العام 2011.

رابعاً: خصصت الفصل التالى لهذا الفصل، لتناول موضوع: "الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية: قراءة فى كتب مؤرخى الحركة الوطنية وكتب أخرى". اخترت تسعة عشر كتاباً (19)، منها، تسعة (9) من كتب الحركة الوطنية وتاريخ السودان السياسى وكتب فى مجالات أخرى مختلفة، وهى كتب منشورة وقد أعدها أكاديميون ومهتمون سودانيون من جامعات سودانية مختلفة وليس فقط جامعة الخرطوم، درست هذه الكتب ووقفت على كيفية معالجتها لدور الأستاذ محمود وإسهاماته.

الأستاذ محمود والمؤتمرات الأكاديمية ومبدأ إظهار الحقيقة ونشرها

إذا نظرنا إلى تاريخ السودان فيما يخص الحرية الفكرية منذ قيام أول دولة فى العصر الحديث (دولة الفونج وحتى التاريخ المعاصر)، لم نجد سوى الإعدامات الفكرية للعلماء والمفكرين- مادية أو معنوية- من قبل السلطة السياسية آخرها كان الشهيد محمود محمد طه⁽¹⁾.

عثمان سراج الدين فتح الرحمن

(1) عثمان سراج الدين فتح الرحمن، "الحرية الأكاديمية بالمؤسسات الجامعية السودانية- وقائع ومشاهدات"، كتابات سودانية، مركز الدراسات السودانية، العدد العشرون، يونيو 2002، ص 61. أشار عثمان فى دراسته إلى أنه أستند فى النص أعلاه على الأكاديمى محمد المهدي بشرى، بما يفيد أن القائل هو محمد المهدي بشرى.

برغم أن إظهار الحقيقة ونشرها يعد أحد أهم المبادئ التي نصت عليها موثائق ومعاهدات الجامعات في العالم، وبرغم أن الحقيقة هي إحدى المفردات الأربع المكونة لشعار جامعة الخرطوم، وبرغم ضخامة وتنوع الإسهامات الوطنية والإنسانية والفكرية للأستاذ محمود وتلاميذه، فإنه حتى تاريخ اليوم، على حد علمي، لم تنظم جامعة الخرطوم، نموذج دراستي، أو أي هيئة أكاديمية في السودان مؤتمراً أو ندوة أو ملتقى للمدارسة بشأن الأستاذ محمود ومشروعه. أكثر من ذلك فإن جل المؤتمرات والملتقيات التي تعقد في الهيئات الأكاديمية السودانية عن الموضوعات والتي كان للأستاذ محمود إسهامات باكرة فيها ومنشورة مثل: الإسلام والفكر الإسلامي والمرأة والحركة الوطنية... إلخ فإنها (أي المؤتمرات والملتقيات) خلت من أي ورقة تتناول الأستاذ محمود أو مشروعه⁽¹⁾، والنماذج على ذلك كثيرة ولا حصر لها، منها (مجرد مثال فقط): المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف في السودان، الذي عقدته كلية الآداب والدراسات الإنسانية بجامعة دنقلا. تهيكّل المؤتمر في ثلاثة محاور هي: الدراسات الفكرية والنظرية، والدراسات الاجتماعية والثقافية، والدراسات الفلسفية والتطبيقية، وتحت هذه المحاور قدمت خمس عشرة ورقة علمية من أكاديميين سودانيين من جامعات مختلفة، وقد نشرت أوراق المؤتمر وتوصياته، وقد وصفه المحرر في مقدمته بأنه: "المؤتمر الأكاديمي العلمي"⁽²⁾. وبالطبع فإن عدم الإشارة للأستاذ محمود ومشروعه في مؤتمر أكاديمي يتناول التصوف، من خلال ورقة علمية فيه فإن هذا إقصاء لا يستقيم مع مبادئ الجامعات وموثيقها، حيث البحث عن الحقيقة وإظهارها ونشرها. خاصة إذا علمنا أن الجمهوريين هم امتداد للصوفية، مع تمايز في الوسائل والغايات. لقد وردت الإشارة آنفاً لعلاقة الفكرة الجمهورية بالصوفية في الفصل الأول. لم تقدم ورقة في المؤتمر عن الأستاذ محمود أو مشروعه، ولم ترد أي إشارة لأي كتاب من كتب الأستاذ محمود أو كتب الجمهوريين في أي قائمة من

(1) بالطبع هناك استثناءات وهي قليلة ومنها جامعة الأحفاد للثبات. فقد ضمت بعض أعداد دوريات جامعة الأحفاد للثبات أوراقاً علمية تناولت الأستاذ محمود ومشروعه. مثال: تضمن العدد رقم (23): Ahfad Journal, Vol. 23, No. 2, December 2006, Omdurman ورقة عن الأخوات الجمهوريات، وقد وردت الإشارة إليها آنفاً.

(2) نصر الدين سليمان على فضل الله (محرر)، دراسات فكرية في التصوف بالسودان: أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف في السودان، ط 1، دار عزة للنشر والتوزيع، 2007.

قوائم مصادر ومراجع الأوراق الخمس عشرة التى قدمت فى المؤتمر. هنا الأمر لا يتصل بالتجاهل والتغيب فحسب؛ وإنما يتصل فى الأصل بالإجماع غير المعلن فى الموقف من الأستاذ محمود ومشروعه. هل الأكاديمية فى أى بلد معنية باتخاذ موقف من مشروع فكرى أو طرح سياسى؟ لا أعتقد ذلك، بل الأكاديمية فى واقع الأمر معنية بتصحيح المواقف إن كانت هناك مواقف، وإظهار الحقيقة ونشرها.

مثال آخر لمؤتمر أكاديمى يعبر بوضوح عن موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود. لقد شارك أكثر من مائتين من الباحثين يمثلون أكثر من أربعين قطراً إفريقياً وغير إفريقياً فى مؤتمر كان بعنوان، المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا. جاء المؤتمر بمبادرة من جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم/ السودان، وعقد فى قاعة الصداقة فى الخرطوم، خلال الفترة 26-27 نوفمبر 2006⁽¹⁾، بمناسبة ذكرى مرور أربعة قرون على دخول الإسلام فى إفريقيا⁽²⁾. كان المؤتمر مؤتمراً ضخماً وقد نشرت أعماله فى ثلاثة عشر كتاباً، يقع كل كتاب منها فى نحو (660) صفحة كمتوسط (بعض الكتب زاد عدد صفحاتها عن ذلك وبعضها كان أقل بقليل من هذا الرقم)، من القطع المتوسط. ناقش المؤتمر قضايا عديدة من خلال محاور مختلفة يصعب استعراضها فى هذه المساحة الضيقة، تناولت أوراق المؤتمر دخول الإسلام وانتشاره فى إفريقيا، والتصوف فى إفريقيا دوره ومنهجه فى نشر الإسلام... إلخ، ودور الصوفية فى مقاومة الاستعمار فى إفريقيا، كما قدمت أوراق فى دراسة شخصيات إسلامية وزعماء إصلاح، درست مشاريعهم وأدوارهم... إلخ، وتناولت بعض الأوراق الحركات الإسلامية فى إفريقيا، وقدمت أوراق فى تحرير المرأة من منظور إسلامى... إلخ. إن الدارس لمشروع الأستاذ محمود، والباحث فى إسهاماته المنشورة فى الإصلاح وتحرير المرأة وفى مناهضة الاستعمار فى السودان... إلخ مما وردت الإشارة إليه فى الفصلين الأول والرابع وغيرهما، يتوقع أن مؤتمراً مثل هذا أن تكون فيه بعض الأوراق التى تتناول الأستاذ محمود ومشروعه ودور الإخوان الج.هوريين والأخوات الجمهوريات. الشاهد أن

(1) "التوصيات الختامية لمؤتمر الإسلام فى إفريقيا"، المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا، 26-27 نوفمبر 2006، أوراق المؤتمر: الكتاب الثالث عشر، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ص 659.

(2) "فاتحة وتصدير"، المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا، 26-27 نوفمبر 2006، أوراق المؤتمر: الكتاب الأول، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ص 1.

هذا لم يحدث، بل حينما جاء الكتاب الأول للمؤتمر محتوياً على قائمة ببلوغرافية مختارة وترصد قدرأ غير يسير من مصادر ومراجع دراسة الإسلام في إفريقيا من كل أنحاء إفريقيا، وأوردت القائمة 137 كتاباً من السودان عن الإسلام⁽¹⁾، لم يكن من بينها الأستاذ محمود. معلوم أن إسهامات الأستاذ محمود عن الإسلام كانت باكرة ومنشورة. كتب حسن مكى قائلاً: "لم يعرف في تاريخ السودان المعاصر من كتب في مجالات الفكر والثقافة والحضارة إلا صفوة الصفوة مثل: (جمال محمد أحمد، محمد أحمد المحجوب، منصور خالد، محمد عمر بشير، أبو القاسم حاج حمد...) حيث طغت روح الفكر العلماني على توجهات هذا النفر وانعدمت محاولات التأصيل وضاعت الكينونة والهوية الإسلامية... كما نبغ عدد من السودانيين في مجالات القصة والأدب والشعر (محمد المهدي مجذوب، الطيب صالح، مصطفى سند... إلخ).. وقد اهتمت طائفة من الكتاب السودانيين بدراسة جوانب الحضارة الإسلامية في السودان (د. يوسف فضل، د. محمد إبراهيم أبو سليم، د. عبدالله الطيب، د. عون الشريف قاسم، د. مدثر عبد الرحيم)، إلا أن التجويد الأكاديمي طغى على كتاباتهم كما تحاشوا الكتابة من موقع الدعوة والالتزام"⁽²⁾. ثم اتبع ذلك قائلاً عن قلم الأستاذ محمود: "وبدا كأنما القلم المتميز الوحيد الذي دأب على الانطلاق من موقع الالتزام هو قلم محمود محمد طه"⁽³⁾.

أيضاً، لم يجد تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، والذي كان بسبب غياب حرية الفكر، اهتماماً يذكر من الأكاديمية السودانية. فعلى الرغم من التنوع الديني في السودان حيث: الإسلام والمسيحية وكريم المعتقدات الأفريقية، وتنوع كل دين من هذه الأديان في داخله، فإن السودان هو البلد الوحيد في العالم، ربما لمدى قرون، الذي أعدم فيه مفكر إسلامي بسبب غياب حرية الفكر، وهو الأستاذ محمود⁽⁴⁾، على الرغم من ذلك لم يعقد

(1) عبد القيوم عبد الحليم، "مقدمه منهجية"، الإسلام في إفريقيا: بيلوغرافيا مختارة، المؤتمر الدولي: الإسلام في إفريقيا، 26-27 نوفمبر 2006، أوراق المؤتمر: الكتاب الثالث عشر، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ص 67-154.
(2) حسن مكى، الحركة الإسلامية في السودان 1969-1985: تاريخها وخطابها السياسي، مرجع سابق، ص 175-176.

(3) المصدر السابق، ص 175-176.

(4) عبدالله الفكى البشير، "الإخفاق في إدارة التنوع"، انفصال جنوب السودان: المخاطر والفرص، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2012، ص 65-112.

أى ملتقى أو مؤتمر أكاديمي لدراسة موضوع حكم الإعدام وتنفيذه وأسبابه وأبعاده وآثاره. فقد تناساه الأكاديميون، كما نسيته الهيئات الأكاديمية، برغم ما تحمله ذاكرة جامعة الخرطوم من شهادة تاريخية بشأن مشروع الأستاذ محمود، ذلك لأن سوحها كانت ميداناً للجدل والسجال عبر آلية حوار غدت معلومة لكل أستاذ أو طالب جاء إلى جامعة الخرطوم دارساً أو عابراً، وهى أركان النقاش، حيث السجال المفتوح فى ساحات نشاط الطلاب فى الجامعة. لقد ابتدع تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته فكرة أركان النقاش فى جامعة الخرطوم (أركان النقاش التى تعطى رأى والرأى الآخر مساحة ليدلى برأيه فى ما يقال)، ثم عبروا بتلك الفكرة إلى جامعات أخرى وإلى الطرقات والميادين العامة والحدائق ودور العلم والأحياء، وسيأتى الحديث عن ذلك لاحقاً. بدأ تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته ذلك النشاط فى جامعة الخرطوم فى نهاية الستينيات وتوسع بكثافة فى السبعينيات والثمانينيات وظل حتى تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير عام 1985. وما لا شك فيه أن طلاب تلك الفترة هم أكاديميو اليوم، لهذا فإننا نتوقع أنه قد بلغهم خبر مشروع الأستاذ محمود بل أنهم يعلمون الكثير عنه.

من المهم الإشارة إلى البيان الذى أصدرته الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم بتاريخ 1985/1/10، والذى أذانت فيه حكم الإعدام وأعلنت فيه وقوفها إلى جانب حق الأستاذ محمود محمد طه فى حرية الرأى والفكر، (أنظر ملحق رقم: "50"). ومن المهم الإشارة لمذكرة نقابة المحامين السودانيين إلى رئيس الجمهورية، (أنظر ملحق رقم: "51"). ومن المهم أيضاً الإشارة إلى المذكرة التى رفعها عبد الله على إبراهيم إلى النخبين الخريجين فى العاصمة القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة فى القانون الجنائى، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفى طه الكباشى، قاضى محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب إيدائه مخالفه فى الرأى. وكان عبدالله آتذ أستاذاً جامعياً يعمل بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم، (أنظر ملحق رقم "54"). ومن المهم الإشارة أيضاً، أن هناك عدداً من الأكاديميين قد أعدوا دراسات ونشروها عن الأستاذ محمود ومشروعه. كما أشرف بعض الأكاديميين على عدد قليل من الطلاب الذين نالوا

الدرجات العليا: الدبلوم العالي / وبحوث التخرج بمرتبة الشرف والماجستير والدكتوراة، وكانت موضوعات دراساتهم في مشروع الأستاذ محمود. وقد وردت الإشارة لبعض تلك الدراسات ضمن هذا الكتاب. ومن الأكاديميين من سكب ذاته شعراً في مناصرة الأستاذ محمود وتمجيد مواقفه ورفض الذل وهدر الكرامة ومصادرة حرية الرأي والفكر، وقد وردت الإشارة لبعضهم⁽¹⁾. وجدير بالذكر أيضاً، أن كثيراً من الأكاديميين لهم موقف إيجابي من الأستاذ محمود ومشروعه، وقد عبروا عن إيجابية موقفهم ضمن حوارات صحفية وأحاديث إذاعية وتلفزيونية، وقد وردت الإشارة لبعض النماذج، وسترّد لبعض آخر، بيد أنهم لم يعبروا عن مواقفهم من خلال إعداد الدراسات الأكاديمية أو نشر شهاداتهم. أيضاً، هناك أكاديميون على الرغم من مواقفهم الإيجابية من الأستاذ محمود إلا أنهم لم يعدوا دراسات أكاديمية ولم يعبروا كذلك عن تلك المواقف، بينما احتفظ بعضهم بصلات قوية بتلاميذ الأستاذ محمود. من المهم الإشارة أيضاً، إلى أن معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم وعن طريق المؤرخ يوسف فضل حسن قدم منحة لأحد تلاميذ الأستاذ محمود وهو خالد الحاج عبدالمحمود لنيل درجة الماجستير يكون موضوعها الفكرة الجمهورية، كان ذلك في حوالى عام 1978 (تقريباً)⁽²⁾. وبعد أن ناقش خالد الحاج عبدالمحمود فكرة البحث ووضع الترتيبات الأولية مع المشرف يوسف فضل حسن، تم توقيف المشروع من قبل وزارة التربية والتعليم⁽³⁾. أيضاً، لا بد من التذكير بأن جامعة الخرطوم شهدت أكبر احتفال بالأستاذ محمود، وذلك بعد تنفيذ حكم الأعدام عام 1985، وقد وردت الإشارة إلى ذلك.

لقد وردت الإشارة آنفاً لمركز الدراسات السودانية بما ظل يقوم به من جهود من ندوات وإصدارات بشأن الأستاذ محمود ومشروعه. كذلك كانت هناك إسهامات مقدرة من

(1) يمكن الاطلاع على أشعار بعض الأكاديميين ضمن قائمة طويلة من الشعراء السودانيين الذين مجدوا مواقف الأستاذ محمود في موقع الفكرة الجمهورية على شبكة الإنترنت: <http://www.alfikra.org>

(2) مقابلة مع خالد الحاج عبدالمحمود، كانت المقابلة بالهاتف، خالد بمدينة رفاعة في السودان، والمؤلف في الدوحة، 2013/1/5، الساعة: 14:00.

(3) أفادني خالد الحاج عبدالمحمود في المقابلة بأن أسباب توقيف المشروع، ومن خلال الوقائع والقرائن وبما لمسه آنئذ فإن التوقيف كان بتدخل مباشر من الإخوان المسلمين.

مراكز ومؤسسات محلية باحياء الذكرى السنوية لاغتيال الأستاذ محمود من خلال تنظيم المحاضرات وعقد الندوات، ومنها: مركز الخاتم عدلان للإستشارة والتنمية البشرية، الذى قدم العديد من الندوات والمحاضرات وأتاح الفرصة للكثير من المتحدثين ليتحدثوا عن مشروع الأستاذ محمود. كذلك ساهم مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، ومكتبة البشير الربيع، عبر الاحتفاء بذكرى اغتيال الأستاذ محمود.

أيضاً، ظل اتحاد الكتاب السودانيين، فى تفاعل مستمر مع الأستاذ محمود ومشروعه، والاحتفاء بمواقفه. فقد أقام الاتحاد احتفاءً كبيراً فى الخرطوم بمناسبة اعلان المحكمة العليا/ الدائرة الدستورية الذى صدر فى يوم 1986/11/18، ببطلان الحُكم فى حق الأستاذ محمود من المحكمة الجنائية ومحكمة الاستئناف، شارك فى الاحتفال عدد كبير من المثقفين السودانيين وبعض المثقفين المصريين منهم: خليل عبدالكريم ومحمد نور فرحان⁽¹⁾. كما ظل الاتحاد يتفاعل مع الأستاذ محمود سواء بالإشارة لمواقفه وانجازاته أو بالتناول لبعض جوانب مشروعه فى إصدارات الاتحاد، خاصة دوريته المسماه كرامة. إلى جانب ذلك فإن الاتحاد قام بإحياء الذكرى الثالثة والعشرين لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه، فى مؤتمره العام الثانى فى يناير 2008، بالتعاون مع مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى بأمدردمان. وقد قدمت العديد من الأوراق العلمية والكلمات، وغيرها من النشاطات.

كذلك، لم تكن الصحف اليومية بعيدة من أحياء الذكرى السنوية للأستاذ محمود والاحتفاء به من خلال استنطاق المثقفين والتفاكر بشأن الأمر من جوانب مختلفة، فقد قامت بذلك صحيفة الأيام يناير 1986، وكذلك أقامت صحيفة الصحافة بالتعاون مع اللجنة القومية للإحتفاء بالأستاذ محمود محمد طه ندوة فى يوم 19 يناير 1986. من الصحف التى ظلت تحتفى بالأستاذ محمود وتفتح أبوابها للكتابة عنه، صحيفة الحرية، وصحيفة الأحداث، وصحيفة أجراس الحرية، وغيرها. هذه مجرد نماذج فقط.

(1) مقابلة مع كمال الجزولى، الأمين العام لاتحاد الكتاب السودانيين، تمت المقابلة فى الخرطوم، فى يوم 4 يونيو 2013، الساعة 16:30.

قراءة فى الرسائل الجامعية (نماذج: دكتوراه وماجستير) الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية ومبدأ إظهار الحقيقة ونشرها

عارف محمود دا
لو كان فى بلد
غير هاذا السودان
كان توجهه ملك
وكان عمدوه امام
محمود جنا طه
ملك وملكه علم
وفقير وفقره علم
ويمين ... يمين الله
لو عندى إيد لاحقه
أديه تاج الرجال
وابنيلو فى الخرطوم
فوق البحر تمثال⁽¹⁾

سيد أحمد الحارदلو (1940-2012)

سأقف على بعض النماذج لأقدم إضاءات وإشارات موجزة، وتناول مجمل دون تفصيل وتحليل واسع، نسبة لكثرة عدد النماذج وباعتبار ضيق المساحة، إلى جانب أن الإشارات فى تقديرى تكفى. فقد وردت الإشارة إلى أن الأكاديمية السودانية ظلت مقاطعة لمشروع الأستاذ محمود، وكذلك جل الأكاديميين السودانيين، فإنهم لا يوجهون

(1) سيد أحمد الحاردلو، "محمود جنا طه"، (قصيدة، أبيات متفرقة)، 1975، كنشاسا. المصدر: موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 16 أغسطس 2011، الموقع على شبكة الإنترنت، www.alfikra.org.

طلاب الدراسات العليا لدراسة مشروع الأستاذ محمود ومواقفه. وفي هذا المحور سأقف على أطروحات جامعية تناولت موضوعات كان للأستاذ محمود فيها إسهامات باكرة ومنشورة، لا تخطئها العين ولا يمكن تجاوزها فبعضها لم يكن مسبقاً في السودان، فهل تمت الإشارة إليها؟ وهل تضمنت قوائم مصادر ومراجع الأطروحات أى كتاب من كتب الأستاذ محمود أو بياناته أو منشيره... إلخ؟ سأحاول الإجابة على هذه الأسئلة من خلال تناولي لهذه النماذج حسب الموضوعات.

الفدرالية والتنمية والتعليم في السودان

الدعوة للفيدرالية جاهر بها في الشمال قبل نصف قرن (ديسمبر 1955)
الأستاذ محمود محمد طه في كتاب عنوانه: أسس دستور السودان لقيام
حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية⁽¹⁾.

منصور خالد

في أى مجتمع من المجتمعات الحديثة ليست هناك دراسات معنية بإبراز الكتابات الباكرة في ذلك المجتمع التي تناولت موضوعاً ما، ومعنية بالاحتفاء بها وبحث دورها في تطور ذلك الموضوع، ودراستها في ظل المعطيات المحلية آنئذ، ومقارنتها بما كتب عن الموضوع في أماكن أخرى، مثل ما معنية به الدراسات الأكاديمية. كان الأستاذ محمود هو أول من كتب كتاباً عن الفدرالية في السودان. كان ذلك في عام 1955، قبل اعلان استقلال السودان رسمياً والذي جاء في غرة يناير 1956. كان الكتاب، وقد وردت الإشارة إليه آنفاً، بعنوان: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، ولما كان الأستاذ محمود صاحب منهج خاص في التبليغ والتوثيق باستخدام أدوات المثقف، كما ورد آنفاً في الفصل الأول، فقد نشر كتابه هذا، بل طبع الكتاب أكثر من ثلاث طبعات. أكثر من ذلك، فقد جاءت الإعلانات عنه في الصحف السودانية. ففي صحيفة الأيام، بتاريخ 3 ديسمبر 1968 نشر إعلان بارز وبمساحة هي (5x4 بوصات)، وجاء في

(1) منصور خالد، جنوب السودان في المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخي، مرجع سابق، ص 330.

أعلى الإعلان⁽¹⁾: "صدر الآن كتاب الأستاذ محمود محمد طه: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية".

لقد وقف الأستاذ محمود باكراً على قضية أهل شرق السودان، كما وردت الإشارة آنفاً في الفصل الرابع، الذى تناول: "دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية"، ففى مقال نشره فى يوم 18 أكتوبر 1958، خصص الأستاذ محمود مساحة من مقاله للحديث عن مشكلة أهل الشرق بعنوان جانبي باسم: "مؤتمر البجة"⁽²⁾. وتحدث الأستاذ محمود عن أنه من الداعين للاتحادات الفدرالية لجميع مناطق السودان لأن الحكم المركزى لن يستطيع أن يطور هذه المناطق بالسرعة اللازمة ولأن اختلاف هذه المناطق يجعل التشريع المركزى الموحد غير صالح لإدارتها. كما تحدث الأستاذ محمود عن أن الناس لا يمكن أن يتعلموا المسؤولية إلا بمباشرتها، ولا يمكن أن يتعلموا الحرية إلا بممارستها، وأن الحكومة يجب أن تعينهم لا أن تتولى عنهم حل مشاكلهم. السؤال على ضوء ما تقدم، هل يمكن لأكاديميا تقوم مبادئها على إظهار الحقيقة ونشرها، أن تتجاوز إنتاجاً فكرياً باكراً وغير مسبوق عن الفيدرالية، على نحو الذى جاء به الأستاذ محمود عام 1955، وهى تتناول التجربة الفيدرالية فى السودان بدراسات تمنح بموجبها الدرجات العليا: الماجستير والدكتوراة؟

لقد وقفت على رسالتين للماجستير بشأن هذا الموضوع، موضوع الفدرالية، الرسالة الأولى كانت بعنوان: التجربة الفيدرالية فى السودان: بالتركيز على دراسة ولايتى الخرطوم وغرب كردفان⁽³⁾. تناول الفصل الأول: "الفيدرالية فى الفكر والممارسة"، وتحدث عن تعريف الفيدرالية وخصائص النظام الفيدرالى وتطور الفكر الفيدرالى... إلخ، ووقف الفصل الثانى على: "أنظمة الحكم والإدارة فى السودان (فى الفترة من 1821 إلى يونيو 1989)"،

(1) "صدر الآن كتاب الأستاذ محمود محمد طه: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية"، (إعلان)، صحيفة الأيام، العدد: 5515، الثلاثاء 3 ديسمبر 1968.

(2) محمود محمد طه، "نظرات فى السياسة الداخلية والخارجية"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 164، 18 أكتوبر 1958.

(3) حسن حامد حسين مشيكة، التجربة الفيدرالية فى السودان: بالتركيز على دراسة ولايتى الخرطوم وغرب كردفان، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2001، (بحث غير منشور).

وتناول الفصل الثالث: "الفيدرالية في السودان: البداية والأبعاد"، وتحدث عن الدستور والحكم الفيدرالي... إلخ، ثم تناول الفصل الرابع: "تجربة ولاية الخرطوم"، والفصل الخامس: "تجربة ولاية غرب كردفان"، والفصل السادس: "مستقبل الفيدرالية في السودان".

أما رسالة الماجستير الثانية فكانت بعنوان: **الفيدرالية والتنمية في السودان: تجربة ولاية النيل الأبيض 1991-2001**⁽¹⁾. كان الفصل الأول هو المقدمة، وتناول الفصل الثاني: "الفيدرالية المفاهيم والنظريات المتباينة"، وقد تحدث الفصل عن تعريف المركزية، والفيدرالية، وتعريف مفهوم الكونفيدرالية، وخصائص الدولة الفيدرالية، ووقف الفصل الثالث عند: "تطور الإدارة والحكم في السودان في الفترة ما بين 1821-1989"، وتناول الفصل الرابع: "سياسات ومؤسسات الحكم الاتحادي 1989-1999"، والفصل الخامس: ولاية النيل الأبيض، وخصص الفصل السادس للتحليل والتقييم. الشاهد أنه على الرغم من المساهمة الباهرة للأستاذ محمود عن الفيدرالية، قد خلت قائمة المصادر والمراجع في الرسائل من الإشارة للأستاذ محمود أو لكتابه آنف الذكر عن الفيدرالية والذي صدر عام 1955، وهذا أمر يدعو للدهشة والاستغراب. فهل يعود الأمر إلى ضعف في الاطلاع والبحث عن المعلومات في مظانها الأمر الذي لم يتمكن معه الطالب من الوقوف على كتاب الأستاذ محمود؟ أم أن هناك خوفاً من السلطة الدينية، الفقهاء، أو سلطة المجتمع؟ أم أن هناك صمتاً جماعياً باتفاق وتحالفاً غير مكتوب؟ الأمر يتطلب منا البحث والتنقيب بشكل أوسع فالكتاب منشور ومتوفر في دار الوثائق القومية السودانية وبمكتبة السودان بجامعة الخرطوم. أيضاً كتب الأستاذ محمود عن التنمية كثيراً وباكراً، فقد وردت الإشارة لكتاب: **قل هذه سبيلي** والذي صدر عام 1952، الذي ورد فيه تناول **للاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**. كما نشر الأستاذ محمود في عام 1974 كتاب: **الدين والتنمية الاجتماعية**⁽²⁾، وتناول فيه ماهية التنمية الاجتماعية وأغراضها، وتحدث عن التنمية الاقتصادية، وتناول البيئة ومظهرها المادي والحقيقي والروحي، وتحدث عن كيف أن التنمية الاجتماعية محاولة

(1) ندى محمد حسين على الشامي، **الفيدرالية والتنمية في السودان: تجربة ولاية النيل الأبيض 1991-2001**، (رسالة ماجستير)، إشراف عطا الحسن البطحاني، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2002، (بحث غير منشور).

(2) محمود محمد طه، **الدين والتنمية الاجتماعية**، ط1، أمدران، 1974.

للسلام، وتحدث عن علاقة التنمية الاجتماعية بالحرية، وتناول التنمية والوحدة السياسية والوحدة الجغرافية والوحدة القومية. إلى جانب ذلك فهناك العديد من المصادر التي تشير للكتاب، بل هناك كتابات عديدة للأستاذ محمود في الصحف السودانية منذ خمسينيات القرن الماضي تشير لكتابه وتشير لكتابات أخرى للأستاذ محمود بشأن الفيدرالية، وقد أوردت بعضها في الفصل الأول وكذلك في الفصل الرابع، والذي تناول "دور الأستاذ محمود في الحركة الوطنية" في هذا الكتاب. مهما يكن الأمر فإن عدم الإشارة لكتاب الأستاذ محمود وكتاباته الأخرى، على أقل تقدير تثير الكثير من التساؤلات والاستفهامات.

أيضاً كان التعليم من الموضوعات التي أولاهها الأستاذ محمود عناية خاصة واهتماماً كبيراً، ونشر عن التعليم منذ أربعينيات القرن الماضي. فبالإضافة لما وردت الإشارة إليه، فقد نشر الأستاذ محمود في يوم 27 يناير 1951 مقالاً بعنوان: "بين السياسة والعلم أيضاً أحمد السيد لطفى السيد"⁽¹⁾، وهو تعقيب على كلمة كتبها السيد لطفى تحت عنوان: "التربية بين السياسة والعلم". كما أرسل الأستاذ محمود في 1953 خطاباً إلى مدير عام منظمة اليونسكو⁽²⁾، وتناول فيه التعليم الجديد وإعداد إنسان حريعيش في مجتمع عالمي... إلخ. كما كتب الأستاذ محمود مقالاً بعنوان: "مشاكل التربية الأساسية في الشرق الأوسط"⁽³⁾، تعقيباً على جاك بيرل أستاذ علم الاجتماع بجامعة السوربون، ونشر المقال في جريدة السودان الجديد بتاريخ 1957/9/12. وكتب الأستاذ محمود "خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"⁽⁴⁾، في يوم 1958/12/24، كتب الأستاذ محمود في ذلك الخطاب قائلاً: "إن مناهج التعليم التي نرسمها يجب، قبل كل شيء، أن تهدف إلى تعليم الطالب كيف يعلم نفسه، وكيف يكلف بمواصلة هذا التعليم، طوال حياته - التعليم الذاتي.... فإن نحن استطعنا أن نعطيه، في التعليم النظامي الذي تقيمه الحكومات

(1) محمود محمد طه، "بين السياسة والعلم أيضاً أحمد السيد لطفى السيد"، جريدة الشعب، 27 يناير 1951.

(2) محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: خطاب إلى الدكتور توريز بوديت، مدير عام منظمة اليونسكو"، الكتاب الأول من رسائل ومقالات، أمدردمان، 1973، ص 30-37.

(3) محمود محمد طه، "مشاكل التربية الأساسية في الشرق الأوسط"، جريدة السودان الجديد بتاريخ 1957/9/12.

(4) محمود محمد طه، "خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب"، بتاريخ 1958/12/24، مصدر سابق، ص 7-10.

التمدينة، الأسلوب العلمى الذى به يستطيع أن يعلم نفسه فقد أعددناه للحياة الإعداد المطلوب". كما صدرت منشورات وكتب مختلفة عن التعليم⁽¹⁾ فى مناسبات عديدة، يمكن الوقوف عليها فى موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت. كما أصدر الأستاذ محمود كتاب: الثورة الثقافية، وقد كتب الأستاذ محمود فى مقدمته قائلاً: "هذا كتاب عن الثورة الثقافية، نخرجه للناس، ونستهدف به إحداث التغيير الجذرى - فى حياة الأفراد والجماعات، وذلك عن طريق إعادة التعليم - إعادة تعليم المتعلمين، وغير المتعلمين..."⁽²⁾. الشاهد أن معظم كتابات الأستاذ محمود لا تخلو من حديث عن التعليم، وإن كان هناك شىء يميز آراء الأستاذ محمود فى التعليم فأنها آراء جديدة وأصيلة وذات طبيعة نقدية ورؤية شاملة، برغم ذلك فإن جل الرسائل الجامعية التى تناولت التعليم أغفلت الإشارة إلى الأستاذ محمود، مثال: رسالة ماجستير كانت بعنوان: التعليم والتنمية فى السودان 1970-1990⁽³⁾. وقد وردت آنفاً الإشارة للكتابات الباكورة للأستاذ محمود عن التنمية.

خطاب عبدالناصر والقومية العربية

سيادة الأخ جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر، تحية مباركة... إنا نرجو أن نقترح عليك الآتى: أن تترك التدخل فى شؤون البلاد العربية -التدخل بجميع صوره- الإذاعة والصحف والرشوة - وذلك لأنه ليس لديك ما تعطيه أياً من هذه الدول وما تزيدهابتدخلك فى شؤونها غير تخسير. أن تنفض يدك فوراً من الدعوة الباطلة - دعوة القومية العربية-..⁽⁴⁾

محمود محمد طه، فى يوم 18 أغسطس 1958

- (1) الإخوان الجمهوريون، التعليم، المنشور الثانى بمناسبة عام الطفل العالمى 1976، ط 1، 1976.
- (2) محمود محمد طه، الثورة الثقافية، مصدر سابق، ص 1.
- (3) محمد حمدنا الله عبدالحافظ، التعليم والتنمية فى السودان 1970-1990، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، شعبة العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).
- (4) محمود محمد طه، "الحزب الجمهورى يرسل خطاباً لجمال عبدالناصر: الشرق الأوسط، عظم النزاع، الشيوعية الدولية والاستعمار الغربى، دور الثورة المصرية فى تعجيل بلشفة العالم"، 18 أغسطس 1958. المصدر: صحيفة أبناء السودان، العدد: 155، بتاريخ 1958/8/30.

إن الدارس للمواجهة التي قادها الأستاذ محمود ضد الرئيس جمال عبدالناصر، وضد خطابه السياسى ودعوته للقومية العربية، عبر ما نشره الأستاذ محمود من كتب وبيانات ومقالات، يدرك تماماً بأن أى دراسة أكاديمية فى السودان تتناول عبدالناصر وخطابه، ليس لها أن تشير للأستاذ محمود فحسب؛ وإنما لا بد من تخصيص محور ضمن الرسالة الأكاديمية إن لم يكن فصلاً كاملاً، عن مواجهة الأستاذ محمود للرئيس عبد الناصر ودعوته للقومية. بيد أن الأمر لم يكن كذلك فى الأكاديمية السودانية، برغم المواجهة القوية والمستمرة التي قادها الأستاذ محمود. لقد بعث الأستاذ محمود بخطابين إلى الرئيس جمال عبدالناصر، الخطاب الأول (613 كلمة) بتاريخ 3 سبتمبر 1955، وقد نشر فى **صحيفة الاستقلال**⁽¹⁾، (أنظر ملحق رقم "32"). والخطاب الثانى (3018 كلمة) كان بتاريخ 18 أغسطس 1958، وقد وقفت على الخطاب منشوراً فى **صحيفة أنباء السودان**⁽²⁾. أيضاً، نشر الأستاذ محمود كتابين، تضمننا نقداً لعبدالناصر وخطابه ودعوته للقومية العربية. الكتاب الأول بعنوان: **التحدى الذى يواجه العرب**⁽³⁾، والكتاب الثانى بعنوان: **مشكلة الشرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**⁽⁴⁾. نشر الكتابان فى طبعتهما الأولى عام 1967 فى مناخ وأيام إنعقاد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم (8/29 - 1967/9/1)، الذى ضم إلى جانب رئيس الوزراء السودانى محمد أحمد المحجوب، كلاً من الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود (1906-1975). وقد عُرف المؤتمر بمؤتمر اللاءات الثلاثة (لا صلح لا اعتراف ولا تفاوض مع إسرائيل). وقد أعيد نشر الكتابين مرات عديدة آخرها كان فى عام 2009⁽⁵⁾. هذا إلى جانب البيانات والمناشير التى نشرها الأستاذ محمود فى مواجهة عبدالناصر ودعوته

(1) محمود محمد طه، "من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر"، **صحيفة الاستقلال**، العدد: 81، بتاريخ 1955/9/3.

(2) محمود محمد طه، "عوامل جديدة فى المحيط السياسى: رسالة إلى جمال عبدالناصر"، **صحيفة أنباء السودان**، العدد: 155، بتاريخ 1958/8/30.

(3) محمود محمد طه، **التحدى الذى يواجه العرب**، مصدر سابق.

(4) محمود محمد طه، **مشكلة الشرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

(5) محمود محمد طه، 1. **التحدى الذى يواجه العرب** 2. **مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى**، مصدر سابق.

للقومية العربية، والمقالات التى كتبها فى نقد القومية العربية، وكلها متوفرة بدار الوثائق القومية. وكذلك الكتابات الباكراة التى كتبها تلاميذ الأستاذ محمود، لا سيما تلميذه عبد اللطيف عمر حسب الله. لقد كتب عبد اللطيف العديد من المقالات المنشورة فى الصحف السودانية من تلك المقالات (مجرد مثال): مقال نشر بتاريخ 1958/10/18 ونشر بصحيفة أبناء السودان، وكان بعنوان: "حول: الخطوه التالية لعبد الناصر هى السودان"⁽¹⁾ وغيره. سيرد لاحقاً ضمن الفصل العاشر، والذى يتناول: "الأستاذ محمود ومصر برئاسة عبد الناصر ومحكمة الردة 1968، حديثاً موسعاً عن مواجهة الأستاذ محمود للرئيس عبد الناصر وللقومية العربية، وتفصيلاً فى رؤية الأستاذ محمود للصراع مع إسرائيل وحديثاً عن السلام كطريق لحل مشكلة الشرق الأوسط.

برغم ذلك فإن الدراسات الأكاديمية التى تناولت عبد الناصر وخطابه والقومية العربية، والتى وقفتُ عليها بجامعة الخرطوم قد خلت قوائم مصادرها ومراجعها من إشارة للأستاذ محمود، دعك من أن يكون هناك محور أو فصل عن مواجهة الأستاذ محمود لعبد الناصر وخطابه القومى، أو تكون هناك رسالة ماجستير أو دكتوراه تتناول إسهامات الأستاذ محمود. والدراسات التى خلت من الإشارة للأستاذ محمود كثيرة منها رسالة ماجستير بعنوان: **تأثير الدين فى خطاب عبد الناصر القومى**⁽²⁾. وقد تهيكلت الرسالة بالإضافة للمقدمات والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع فى خمسة فصول وقف الفصل الأول عند: "الدراسات السابقة والاطار النظرى"، وتناول الفصل الثانى: "ظهور القومية العربية وعلاقتها بالإسلام"، ودرس الفصل الثالث: "عبد الناصر والقومية العربية"، وعالج الفصل الرابع: "عبد الناصر والقوى الدينية"، وتناول الفصل الخامس: "تأثير الدين فى خطاب عبد الناصر". أيضاً ليس بعيداً من هذا الدراسات الأكاديمية تلك التى تناولت إسرائيل وسياساتها وعلاقة العرب بإسرائيل... إلخ. إن ما وردت الإشارة إليه من مناشير

(1) عبد اللطيف عمر، "حول: الخطوه التالية لعبد الناصر هى السودان"، (آراء صريحة)، **أبناء السودان**، العدد 164، 1958/10/18.

(2) أمل يحيى الشريف، **تأثير الدين فى خطاب عبد الناصر القومى**، (رسالة ماجستير)، إشراف حسن حاج على، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير منشور).

وبيانات ومقالات وكتب كتبها الأستاذ محمود ونشرها تخاطب بشكل مباشر موضوع إسرائيل، وتخاطب السلام العالمى، سواء كان كتاب: **مشكلة الشرق الأوسط أو التحدى الذى يواجه العرب**. ومع ذلك لا تجد إشارة لكتابات الأستاذ محمود أو مناقشة لأرائه الجديدة آنئذ وربما حتى اليوم، فى الرسائل الجامعية التى تتناول الصراع مع إسرائيل. والنماذج على ذلك كثيرة منها رسالة ماجستير بعنوان: **سياسة إسرائيل المائية وأثرها على الأمن القومى العربى 1973-1989**⁽¹⁾. وقد تناولت الرسالة محاور عديدة منها: الأمن القومى العربى، والوطن العربى والقوى الاستعمارية، وأطماع الدول الكبرى وإسرائيل، سياسة إسرائيل المائية فى مشاريع السلام الراهنة،... إلخ.

تاريخ السودان السياسى

أول الأحزاب الداعية للاستقلال هو **الحزب الجمهورى** الذى أسسه الأستاذ محمود محمد طه عام 1945. ونشر الحزب برنامجاً انتقد فيه التيارين الكبيرين لارتباطهما ببريطانيا ومصر ولانعدام المذهبية فى عملهما، ودعا إلى.... قيام جمهورية سودانية.... فقد أخرج الحزب دعوة الاستقلال من محيط المناورات وطموح السيد عبدالرحمن، إلى نقاء العمل السياسى الحقيقى من أجل الاستقلال فألبسها دثاراً ناصعاً جعل منها دعوة يمكن أن تلهم جيلاً بأكملها. كما أخرج العمل السياسى من دائرة المناورات والتكتيك، إلى رحاب العمل الفكرى القائم على البرنامج الملزم المحدد الجنبات والآفاق⁽²⁾.

محمد سعيد القدال

قدمتُ فى الفصل الأول جرداً مجملاً للإنتاج الفكرى للأستاذ محمود، وتناولت فى فصل آخر "دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية". بينت مواقفه والسجون التى واجهها من المستعمر، ورئاسته للحزب الجمهورى الذى نشأ عام 1945، والكم الهائل من البيانات والمناشير التى أصدرها فى مناهضة الاستعمار، وقيادته لثورة رفاة عام 1946، ومشاركته

(1) مصباح محمد القذافى، **سياسة إسرائيل المائية وأثرها على الأمن القومى العربى 1973-1989**، (رسالة ماجستير)، إشراف عطا حسن البطحانى، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1997، (بحث غير منشور).

(2) محمد سعيد القدال، **تاريخ السودان الحديث 1820-1955**، مرجع سابق، ص 494، 495.

فى الجبهة الاستقلالية الأولى 1946 والثانية 1955، وعضويته فى لجنة الدستور القومية 1956... إلخ وفى كل ما قدمت كنت قد اعتمدت على المصادر والمراجع المتوفرة بدار الوثائق القومية السودانية، لا سيما الدوريات السودانية منذ عام 1944. وبينت كيف أن الأستاذ محمود كان مناضلاً وطنياً أصيلاً وفريداً فى نهجه ومواجهته وصلابة مواقفه وشدة مراسه، وقد شهد له بذلك أحمد خير المحامى، فى كتابه، كما ورد آنفاً. الشاهد أنه على الرغم من هذا الدور الوطنى الكبير والثابت والموثق فإن الدارس والقارئ للأطروحات الجامعية التى تناولت تاريخ السودان السياسى، يجد أن جلها قد خلت قوائم مصادرها ومراجعها من الإشارة للأستاذ محمود سواء أكانت الإشارة إلى كتبه أو بياناته أو مناشيره أو مواقفه، ولا تجد استشهاداً بأقواله أو مواقفه. والأمثلة على ذلك من الرسائل الجامعية بجامعة الخرطوم كثيرة جداً، منها (مجرد نماذج) رسالة ماجستير بعنوان: تاريخ السودان السياسى 1930-1956⁽¹⁾.

تناولت الرسالة فى الفصل الأول: "الحركة الوطنية 1930-1935"، وتابع الفصل الثانى: "مؤتمر الخريجين"، ودرس الفصل الثالث: "التطورات السياسية والدستورية 1945-1951"، ثم تناول الفصل الرابع: "الاستقلال". الشاهد أن تجاوز الأستاذ محمود فى دراسة أكاديمية تتناول هذه القضايا، والتى كان للأستاذ محمود فيها دور كبير كما وردت الإشارة آنفاً، فقد سجن 25 شهراً وعشرين يوماً وهو رئيس الحزب الجمهورى، إلى جانب ما كتبه فى نقده لمؤتمر الخريجين وللحركة الوطنية ورجالها... إلخ، وبدأ النشر منذ العام 1945 فى كتب وبيانات... إلخ. إن هذه الرسالة لا تختلف عن الرسائل الجامعية الأخرى فى نفس المجال، فهناك أيضاً، رسالة ماجستير ينطبق عليها ما انطبق على الرسالة السابقة، وهى بعنوان: تاريخ الحركة السياسية السودانية 1952-1958⁽²⁾، وفى هذه الفترة كانت للأستاذ محمود إسهامات كبيرة، وقد وردت الإشارة إليها. وبرغم أن الرسالة أشارت إشارة مختصرة إلى

(1) أميرة بكرى محمد الماحى، تاريخ السودان السياسى 1930-1956، (رسالة ماجستير)، إشراف عبدالوهاب عبد الرحيم المبارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2000، (بحث غير منشور).
(2) شيرين إبراهيم النور صديق، تاريخ الحركة السياسية السودانية 1952-1958، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010، (بحث غير منشور).

الحزب الجمهورى باعتباره حزباً "ينادى بالاستقلال الفورى على أساس النظام الجمهورى"⁽¹⁾، إلا أن قائمة المصادر والمراجع خلت من أى إشارة للأستاذ محمود أو كتبه أو كتب تلاميذه. كذلك هناك أطروحة دكتوراه بعنوان: مكتب السكرتير الإدارى 1889-1956⁽²⁾، بالإضافة لما ذكرته آنفاً بشأن غياب الأستاذ محمود فى قوائم المصادر والمراجع، فإن الأستاذ محمود كان من أكثر القادة الوطنيين الذين أزعجوا السكرتير الإدارى، فقد عقد السكرتير الإدارى بشأنه عدة اجتماعات وأصدر كذلك البيانات، فقد نشرت صحيفة الرأى العام فى يوم الأربعاء 26 يونيو 1946 بياناً (أنظر ملحق رقم: "13") بعنوان: "بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس الحزب الجمهورى". صحيفة الرأى العام، فى يوم الاربعاء 26 يونيو سنة 1946⁽³⁾. وغير ذلك مما وردت الإشارة إليه فى الفصول السابقة. وينطبق الأمر على رسالة ماجستير أخرى، كانت بعنوان: إسهامات الأعضاء الجنوبيين فى البرلمانات واللجان والمجالس السودانية (1948-1969)⁽⁴⁾. قدمت الرسالة فى الفصل الأول: "خلفية تاريخية"، تحدثت فيها عن سياسة حكومة السودان نحو الجنوب 1899-1944 والمجلس الاستشارى لشمال السودان 1944... إلخ. وتناولت فى الفصل الثانى: "الأعضاء الجنوبيون فى الجمعية التشريعية 1948-1953"، وفى الفصل الثالث: "الأعضاء الجنوبيون فى الفترة البرلمانية الأولى"، ودرس الفصل الرابع: "جنوب السودان خلال الحكم العسكرى"، وعالج الفصل الخامس: "الأعضاء الجنوبيون فى المؤتمرات واللجان"، حيث تحدث عن مؤتمر المائدة المستديرة، واللجنة القومية للدستور 1956، واللجنة القومية للدستور عام 1966-1968، ومسودة الدستور،.... إلخ. وتناول الفصل السادس: "الأعضاء الجنوبيون فى الفترة البرلمانية الثانية (1965-1969)".

(1) المرجع السابق، ص 3.

(2) الطيب أبشر الطيب، مكتب السكرتير الإدارى 1889-1956، (أطروحة دكتوراه)، إشراف عبد الوهاب عبد الرحيم المبارك بوب، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996، (بحث غير منشور).

(3) "بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس الحزب الجمهورى". صحيفة الرأى العام، فى يوم الاربعاء 26 يونيو سنة 1946.

(4) نجلاء عبد الله محمد يوسف، إسهامات الأعضاء الجنوبيين فى البرلمانات واللجان والمجالس السودانية (1948-1969)، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2004، (بحث غير منشور).

الشاهد أن إغفال الأستاذ محمود لا يستقيم مع ما نشره عن قضية الجنوب، فإلى جانب كتاب: **السفر الأول** والذي صدر عام 1945، وكتاب: **أسس دستور السودان** فى عام 1955، وكتاب: **قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**⁽¹⁾، فى عام 1952، كما وردت الإشارة آنفاً للكتب الثلاثة، والتي خاطبت قضية الجنوب مخاطبة مباشرة مع تناولها لقضايا أخرى، فقد نشر الأستاذ محمود كمأ كبيراً من البيانات والمناشير عن قضية الجنوب وعن المجلس الاستشارى لشمال السودان، وجل هذه البيانات والمناشير متوفرة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، ومنشورة كذلك فى الصحف المحلية، وقد وقفت على معظمها، إن لم يكن كلها، منها بيان بعنوان: **مشكلة الجنوب**⁽²⁾، وبيان آخر بعنوان: **بيان من الحزب الجمهورى عن حوادث الجنوب**⁽³⁾. وأصدر كذلك تلاميذه كتاباً بعنوان: **جنوب السودان: المشكلة والحل**⁽⁴⁾، وغيرها من ما وردت الإشارة إليه فى الفصول السابقة. الثابت أن الأستاذ محمود له إسهامات منشورة وبكرة ولا يمكن تجاوزها أو إغفالها، ولهذا فإن هذا التجاهل يعزز فكرة ضرورة دراسته فى إطار تجاهل جماعى وتحالف غير مكتوب وغير معلن أكثر من أنه تجاهل طالب طالبة بعينه أو طالبة بعينها.

أما رسالة الماجستير التى تناولت إسلامية الدستور فى السودان، وكانت بعنوان: **قضية إسلامية الدستور والقوانين فى السودان (1955-1985) وتأثيرها على الاستقرار السياسى**⁽⁵⁾، فما كنت أعتقد أن هذه الرسالة ستكون قائمة مصادرها ومراجعها خالية من كتب الأستاذ محمود وبياناته ومنشيره، وما كنت أعتقد أن هناك رسالة جامعية أنسب من هذه الرسالة للاستشهاد بأقوال الأستاذ محمود ومواقفه وكتابات، ذلك لأن أمر إسلامية الدستور كان من أكثر الموضوعات التى نقدها الأستاذ محمود نقداً باكراً ومستمراً ونشر

(1) الحزب الجمهورى، **قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، "مشكلة الجنوب"، (بيان)، دار الوثائق القومية، الأحزاب السودانية 27/1/2، الخرطوم.

(3) محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى، "بيان من الحزب الجمهورى عن حوادث الجنوب"، صحيفة **الاستقلال**، بتاريخ 1955/9/9.

(4) فى إشارة لكتاب: **الإخوان الجمهوريين، جنوب السودان: المشكلة والحل**، مصدر سابق.

(5) عبد العظيم محمد حمد أبو الحسن، **قضية إسلامية الدستور والقوانين فى السودان (1955-1985) وتأثيرها على الاستقرار السياسى**، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبد الرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010، (بحث غير منشور).

نقده، كما لم يبلغ أذى تأذاه أحد في السودان من قضية إسلامية الدستور مثل ما تأذى الأستاذ محمود وتلاميذه وتلميذاته. بيد أن الرسالة كانت لا تختلف عن الرسائل الجامعية التي تجاهلت الأستاذ محمود وأهملته، فلم يرد كتاب واحد من كتب الأستاذ محمود أو منشور أو بيان في قائمة مصادرها ومراجعها. في تقديري أن هذا الأمر لا يستقيم علمياً وأخلاقياً فالإطار الزمني للرسالة يبدأ بعام 1955 وينتهي بعام 1985، فقد شهد العام 1985، كما هو معلوم، الحكم بردة الأستاذ محمود عن الإسلام ومن ثم تنفيذ حكم الإعدام عليه، أما العام 1955 فهو العام الذي أصدر فيه الأستاذ محمود كتابه: أسس دستور السودان، كما ورد آنفاً. فبالإضافة لهذا الكتاب فقد نشر الأستاذ محمود كثيراً عن الدستور الإسلامي، ففي عام 1968 نشر كتاباً بعنوان: **الدستور الإسلامي؟ نعم.. ولا!!**⁽¹⁾، ونشر في عام 1969 كتاباً بعنوان: **أسس حماية الحقوق الأساسية**⁽²⁾، هذا إلى جانب كم هائل من المحاضرات التي تحدث فيها الأستاذ محمود عن الدستور الإسلامي وآثاره السياسية وظلاله على بناء الأمة ففي محاضرة قدمها عام 1969، كما ورد آنفاً، قال الأستاذ محمود: "الدستور عبارة عن صياغة أمل الأمة... وهو أمل كل الشعب، أقليته وأغلبيته... حينما تتكلم عن الدستور أنت تتكلم عن الديمقراطية، والديمقراطية هي فرص التساوي بين المواطنين من حيث هم مواطنين"⁽³⁾. هذا إلى جانب الكثير من كتابات الأستاذ محمود التي وردت الإشارة إليها في الفصول السابقة

ينطبق ما ورد أعلاه على رسالة ماجستير أخرى كانت بعنوان: **انتخابات وبرلمانات السودان مايو 1965 - مايو 1969، دراسة تاريخية**⁽⁴⁾، وقد تناولت الدراسة من خلال خمسة فصول مواضيع مختلفة، كثير منها تقاطع مع الأستاذ محمود منها: المجلس الاستشاري، والأحزاب السودانية، والأحزاب الاستقلالية، مشكلة الجنوب، المشكلة الدستورية وحل

(1) محمود محمد طه، **الدستور الإسلامي؟ نعم ولا!!**، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، **أسس حماية الحقوق الأساسية**، أمدرمان، 1969.

(3) محمود محمد طه، "الدستور الإسلامي المزيف"، (محاضرة)، دار الحزب الجمهوري، أمدرمان، 1969. نشرت

المحاضرة في موقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: <http://www.alfikra.org>

(4) هدى النور دينج، **انتخابات وبرلمانات السودان مايو 1965-1969**، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2011، (بحث غير منشور).

الحزب الشيوعي السوداني... إلخ. وينطبق ما ورد أعلاه على رسالة أخرى فى مجال آخر وهو مجال العلوم السياسية، جاءت الرسالة بعنوان: أزمة الشرعية السياسية لنظام مايو 1969-1985⁽¹⁾. فقد تناولت الرسالة الموضوع من خلال خمسة فصول. وقد تقاطع الأستاذ محمود من خلال إسهاماته مع محاور عديدة فى الرسالة منها: المصالحة الوطنية وإعلان تطبيق الشريعة الإسلامية سبتمبر 1983، وغيرها. وبشأن قوانين سبتمبر 1983، كان الأستاذ محمود حاضراً حضوراً قوياً وقدم إسهامات كبيرة ومنشورة.

على ضوء ما ورد آنفاً فى الفصول السابقة، وعلى ضوء ما تقدم أعلاه فى هذا الفصل من إشارات لإسهامات الأستاذ محمود والمنشورة باكراً، وعلى ضوء ما سيأتى من إشارات، لا أحسب أن أطروحة دكتوراه فى العلوم السياسية تتناول ضمن فصولها: الحركة الوطنية واستقلال السودان، ونشأة الأحزاب السياسية فى السودان، وقضية الجنوب، وتدرس القوى السياسية والاجتماعية التى تشكلت تحت الاستعمار 1898-1955، والنظام المايوى والتوجه الإسلامى 1983-1985، وتقف عند غيرى وقوانين سبتمبر 1983، ونظام غيرى والإخوان المسلمين، ومظاهر انهيار سقوط نظام مايو... إلخ، لا يتوقع الدارس أن أطروحة تتناول هذه الموضوعات والمحاور وتخلو قائمة مصادرها ومراجعها من اسم الأستاذ محمود وبعض من كتبه ولا تناقش مواقفه وإسهاماته، بيد أن هذا هو ما يحدث مع أطروحة دكتوراه كانت بعنوان: إشكالية الدولة وتجربة الحزب الواحد فى إفريقيا: الاتحاد الاشتراكى السودانى، دراسة حالة⁽²⁾. فإن القارئ لا يجد فى قائمة مصادر ومراجع الأطروحة اسم الأستاذ محمود أو أى كتاب من كتبه أو كتب تلاميذه. وينطبق هذا الحال كذلك على أطروحة دكتوراه جاءت بعنوان: الإسلام والدولة القطرية: دراسة للمشروع السياسى الإسلامى فى السودان (1989-2005)⁽³⁾.

(1) مظفر الصديق حسن الصافى، أزمة الشرعية السياسية لنظام مايو 1969-1985، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2001، (بحث غير منشور).

(2) عبدالسلام أحمد على ضو، إشكالية الدولة وتجربة الحزب الواحد فى إفريقيا: الاتحاد الاشتراكى السودانى، دراسة حالة، (أطروحة دكتوراه)، إشراف حسن مكى محمد أحمد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2003، (بحث غير منشور).

(3) عمر الخير إبراهيم أحمد، الإسلام والدولة القطرية: دراسة للمشروع السياسى الإسلامى فى السودان (1989-2005)، المشرف محمد عثمان أبو ساق، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2008.

تكونت الأطروحة من ستة فصول وقائمة مصادر ومراجع. مثلت المقدمة الفصل الأول، وتناول الفصل الثاني: "الدولة فى الإسلام: المفهوم والتطور"، ودرس فى مبحثين: الإسلام منهج للتوحيد والتشريع والحكم، وتطور فقه الدولة فى الخير السياسية الإسلامية (إطار نظرى). وعالج الفصل الثالث: "الوطنية والدولة القطرية فى البلاد الإسلامية" ووقف على الوطنية والدولة فى الغرب، والعالم الإسلامى والدولة القطرية، والمسألة الوطنية والدولة القطرية فى السودان. ودرس الفصل الرابع: "الحركة الإسلامية السودانية والدولة القطرية"، وتناول فى ثلاث مباحث: دخول الإسلام إفريقيا والسودان، الحركة الإسلامية والعالم الإسلامى والدولة القطرية، والحركة الإسلامية السودانية القطرية. ثم تناول الفصل الخامس والسادس: تحديات المشروع الإسلامى فى السودان (1989-2005)، وتقييم التجربة الإسلامية فى السودان (نظام الإنقاذ). لقد تقاطعت موضوعات هذه الأطروحة مع العديد من الآراء التى نشرها الأستاذ محمود باكرأ وقد وردت الإشارة إليها، وبرغم ذلك لا تجد إستشهاداً أو إشارة لآرائه فى متن الأطروحة، كما أنك لا تجد إشارة له أو لكتبه أو كتب تلاميذه فى قائمة المصادر والمراجع.

رسائل جامعية عن المرأة

التاريخ كله ضد المرأة، لكن عهدنا الجائى، عنوانه المرأة⁽¹⁾.

محمود محمد طه

وصيتى للرجال: أعيىنوا النساء على الخروج من مرحلة القصور، ليستأهلىن

حقهن الكامل فى المسئولية، حتى تنهض المرأة، وتتصرف كإنسان، لا كإنثى⁽²⁾.

محمود محمد طه

كان موضوع المرأة من أكثر الموضوعات التى وجدت اهتماماً عند الأستاذ محمود، وكان حظها فى رؤيته التطويرية حظاً وافراً بل مثلت المرأة مركزاً أساسياً فى مشروع الأستاذ محمود. وقد تجلّى فى ما نشره الأستاذ محمود عنها فى كتبه وبياناته ومناشيريه ومحاضراته

(1) محمود حمد النيل عبدالله العركى، جواهر المعانى فى حضرة الأستاذ محمود محمد طه، مصدر سابق، ص 29.

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 89-90.

وندواته، وفي كتب تلاميذه. بالإضافة إلى ذلك كان هناك الجانب العملي، والذي تم تناوله في الفصل الأول من هذا الكتاب، حيث أن تلميذات الأستاذ محمود كن يقمن بأدوار كبيرة في المنابر وحلقات النقاش ويدرن الحوار عن الدين والسياسة والاقتصاد وفي مختلف المجالات. ليس هذا فحسب فقد طرح الأستاذ محمود باكراً أطروحات متقدمة بشأن حقوق المرأة والمساواة بين الرجال والنساء وتعدد الزوجات والحجاب والاختلاط... إلخ.

لقد قدم الأستاذ محمود أطروحات كثيرة فيما يتعلق بشؤون المرأة ونشرها باكراً ففي عام 1952 نشر كتاب: **قل هذه سبيلي: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، وجاء في مدخل الحديث عن المرأة: "المرأة غير الرجل ولكنه ليس أفضل منها لمجرد كونه رجلاً وإنما لكل منهما فضائله وهما في زحمة الحياة متممان لبعضهما البعض حتى أنه ليصح أن يقال أن الوحدة الاجتماعية ليست الفرد من رجل أو امرأة وإنما هي الزوج من رجل وامرأة وكونهما متممين لبعضهما البعض يجعل التكنة على التفضيل بينهما عبثاً سخيلاً وإنما العبرة بأن ينمي كل منهما فضائله التي أشرجت في تكوينه"⁽¹⁾. كما تناول المرأة في كتاب: **نحو مشروع مستقبلي للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**⁽²⁾، وقد نشر عام 2002، وكذلك عام 2012، وهو متوفر في المكتبات، ويحتوي على ثلاثة كتب من الأعمال الأساسية للأستاذ محمود، ومن بينها كتابه: **الرسالة الثانية من الإسلام**، الذي صدر في طبعته الأولى في عام 1967، تناول الكتاب أطروحات جديدة ومتقدمة عن المرأة منها: عدم المساواة بين الرجال والنساء ليس أصلاً في الإسلام، وتعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام، والطلاق ليس أصلاً في الإسلام، والحجاب ليس أصلاً في الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً في الإسلام⁽³⁾. كما نشر الأستاذ كتاباً بعنوان: **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**⁽⁴⁾، وكتاب: **خطوة نحو الزواج في الإسلام**⁽⁵⁾، وفي عام 1981 نشر الإخوان الجمهوريون: **المرأة ليست عدوة الرجل !! الجهل**

(1) محمود محمد طه، **قل هذه سبيلي: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة**، مصدر سابق، ص 11-12.

(2) محمود محمد طه، **نحو مشروع مستقبلي للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ودار قرطاس، الكويت، ط 1، 2002.

(3) المصدر السابق.

(4) محمود محمد طه، **محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية**، مصدر سابق.

(5) محمود محمد طه، **خطوة نحو الزواج في الإسلام**، أدمان، 1971.

هو عدوهما معاً⁽¹⁾!! ونشر كذلك تلاميذه وتلميذاته عدداً كبيراً من الكتب منها: المرأة في أصول القرآن⁽²⁾، وتعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام⁽³⁾، والزى عنوان عقل المرأة وخلقها⁽⁴⁾، أضواء على شريعة الأحوال الشخصية⁽⁵⁾، والاختلاط بين الشريعة والدين⁽⁶⁾، المرأة والتدين⁽⁷⁾، والمرأة مكانها البيت؟؟⁽⁸⁾. ونشر تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته كذلك: بيت الطاعة: المشكلة والحل⁽⁹⁾، والمنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمي⁽¹⁰⁾، واتحاد نساء السودان وقضية المرأة⁽¹¹⁾، وغيرها.

لا أحسب أن دارساً أكاديمياً في السودان يسعى لإظهار الحقيقة ونشرها، بدراسة أكاديمية تستوفي شروط الأسس العلمية والمبادئ الأكاديمية، يستطيع أن يتجاوز الأستاذ محمود في موضوع المرأة، سواء بوقوفه حتى ولو على جزء يسير من الكم الهائل الذي نشره الأستاذ محمود بشأن المرأة، أو بمناقشته للأطروحات والآراء الجديدة التي طرحها الأستاذ محمود، متفقاً كان أو مختلفاً معها. إلا أن واقع الحال في الأكاديمية السودانية غير ذلك. فقد كانت معظم الدراسات الأكاديمية التي وقفت عليها عن المرأة لم تشر إلى الأستاذ محمود، هناك قلة وردت الإشارة لبعضها في الفصول السابقة، ونادراً ما تجدد اسمه وكتبه ضمن قائمة المصادر والمراجع. كان من بين هذه الدراسات الأكاديمية، دراسة ماجستير بعنوان: التبرج وأثره في المجتمع الإسلامي⁽¹²⁾، ورسالة ماجستير أخرى بعنوان:

(1) الإخوان الجمهوريون، المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل هو عدوهما معاً!!، أمدرمان، 1981.

(2) الإخوان الجمهوريون، المرأة في أصول القرآن، أمدرمان، 1975.

(3) الإخوان الجمهوريون، تعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام، ط1، أمدرمان، 1975.

(4) الإخوان الجمهوريون، الزى عنوان عقل المرأة وخلقها، أمدرمان، 1975.

(5) الأخوات الجمهوريات، أضواء على شريعة الأحوال الشخصية، أمدرمان، 1973.

(6) الإخوان الجمهوريون، الاختلاط بين الشريعة والدين، أمدرمان، 1975.

(7) الإخوان الجمهوريون، المرأة والتدين، أمدرمان، 1975.

(8) الإخوان الجمهوريون، المرأة مكانها البيت؟؟، ط1، أمدرمان، 1975.

(9) الإخوان الجمهوريون، بيت الطاعة: المشكلة والحل، أمدرمان، 1975.

(10) الإخوان الجمهوريون، المنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمي، أمدرمان، 1975.

(11) الإخوان الجمهوريون، اتحاد نساء السودان وقضية المرأة، أمدرمان، 1975.

(12) حرم أحمد محمد، التبرج وأثره في المجتمع الإسلامي، (رسالة ماجستير)، إشراف التجاني مصطفى محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996، (بحث غير منشور).

أثر بعض الفروق بين الرجل والمرأة على الذاكرة وأداء الشهادة في المحاكم⁽¹⁾، ورسالة بعنوان: حقوق المرأة في السنة النبوية⁽²⁾، وقد تناولت الرسالة في ستة فصول المواضيع التالية: مكانة المرأة بين الجاهلية والإسلام، وحق المرأة في طلب العلم والعمل في السنة النبوية، وحقوق المرأة في الزواج في السنة النبوية، الطلاق ومراعاة حقوق المرأة فيه، وحقوق المرأة في الميراث، والشبهات التي أثيرت حول حقوق المرأة في الإسلام والرد عليه. وكانت هناك أيضاً رسالة ماجستير بعنوان: حق المرأة في الميراث بين الشريعة والعرف⁽³⁾. وقد خلت قوائم مصادر ومراجع كل هذه الدراسات من الإشارة للأستاذ محمود ولكتبه ومناشيره أو كتب تلاميذه وتلميذاته. أيضاً ليست بعيدة من هذا رسالة ماجستير أعدت في قسم الدراسات الإسلامية وكانت بعنوان: حقوق الإنسان بين الإسلام والمواثيق الدولية مع دراسة خاصة لحقوق الإنسان في السودان⁽⁴⁾، وبرغم اختلاف المداخل في المعالجة، إلا أن الرسالة ما كان يمكن لها أن تتجاوز الأستاذ محمود، ولكنها تجاوزته وأغفلت إسهاماته. فقد تناول الباب الأول من الرسالة: "حقوق الإنسان في الإسلام"، ووقف فصله الأول على ثلاثة محاور هي: فلسفة الحق في الإسلام، وفلسفة المصلحة ودفع الضرر، وتقدير الإسلام للحرية والعدل والمساواة. وتناول الفصل الثاني: "حقوق المرأة والأقليات غير المسلمة". وتناول الباب الثاني: حقوق الإنسان في المواثيق الدولية والإقليمية... إلخ. وكل هذه الموضوعات (كما وردت الإشارة) كانت للأستاذ محمود إسهامات كبيرة فيها ومنشورة باكراً.

(1) أمل عبدالعزيز حسن، أثر بعض الفروق بين الرجل والمرأة على الذاكرة وأداء الشهادة في المحاكم، (رسالة ماجستير)، إشراف شمس الدين زين العابدين، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996، (بحث غير منشور).

(2) هاجر محمد عثمان موسى، حقوق المرأة في السنة النبوية، (رسالة ماجستير)، إشراف عبدالله محمد أحمد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير منشور).

(3) غانية محمود أحمد محمد خير، حق المرأة في الميراث بين الشريعة والعرف، (رسالة ماجستير)، إشراف حسين محمد الحسن على، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2002، (بحث غير منشور).

(4) هويدا صلاح الدين العتباتي، حقوق الإنسان بين الإسلام والمواثيق الدولية مع دراسة خاصة لحقوق الإنسان في السودان، (رسالة ماجستير)، إشراف حافظ الشيخ الزاكي، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

الاجتهاد والتفكير والصحة والسلام فى الإسلام

إن معظم ما وردت الإشارة إليه فى المحاور السابقة من إسهامات الأستاذ محمود المنشورة فى كتبه وبياناته ومقالاته يمثل اجتهاداً وأطروحات جديدة. بل إن التطوير هو أحد أهم مرتكزات مشروع الأستاذ محمود. التطوير عند الأستاذ محمود يخاطب بشكل مباشر تطوير التشريع، وتطوير شريعة الأحوال الشخصية،... إلخ. طرح الأستاذ محمود أطروحات جديدة منها، كما وردت الإشارة آنفاً: المساواة بين الرجال والنساء، وتعدد الزوجات، و الطلاق ليس أصلاً فى الإسلام، الحجاب ليس أصلاً فى الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً فى الإسلام... إلخ. كما أصدر الأستاذ محمود فى عام 1969 كتاباً بعنوان: **الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**⁽¹⁾، وفى عام 1971 أصدر كتاباً بعنوان: **القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى**⁽²⁾، رداً على كتاب كان قد أصدره الكاتب المصرى مصطفى محمود (1921-2009) بعنوان: **القرآن، محاولة لفهم عصرى**⁽³⁾. وغير ذلك مما وردت الإشارة إليه فى الفصل الأول والفصول الأخرى. ورغم ذلك فإن الدراسات الأكاديمية التى وقفت عليها بجامعة الخرطوم قد أغفلت كتب الأستاذ محمود تماماً ولم ترد إشارة لأى كتب من كتبه، أو مناقشة لآرائه واجتهاداته غير المسبوقة. ومن الأمثلة على تلك الرسائل، رسالة دكتوراه كانت بعنوان: **الاجتهاد وحاجة العصر إليه**⁽⁴⁾. وقد تناولت الدراسة الموضوع فى أربعة أبواب. وبرغم أنها قد تناولت فى الباب الرابع: "ضمان استمرار إبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً"، ودرست فى الفصل الأول منه: "دعوة علماء العصر الحديث إلى الاجتهاد"، وتناولت فى الفصل الثانى موضوع: "مرونة الشريعة الإسلامية وقابليتها للتطوير"، ووقفت على قضايا عديدة من خلال محاور مختلفة منها: المقصود بتطوير الفقه الإسلامى والثابت والمتغير من أحكام الشريعة الإسلامية... إلخ وبرغم أن التطوير هو أحد أهم مرتكزات مشروع الأستاذ محمود، كما

(1) محمود محمد طه، **الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، **القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى**، أمدران، 1971.

(3) مصطفى محمود، **القرآن: محاولة لفهم عصرى للقرآن**، دار الشروق، بيروت، 1970.

(4) مازن مصباح محمود صباح، **الاجتهاد وحاجة العصر إليه**، (رسالة دكتوراه)، إشراف عوض عبدالله بابكر، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

ورد آنفاً، وقد كتب الأستاذ محمود ونشر عنه كثيراً، برغم ذلك لم تشر الدراسة حتى مجرد إشارة لما أصدره الأستاذ محمود من كتب ومقالات، ولم تناقش ما طرحه من آراء عن التطوير. هذا إلى جانب التقاطعات الأخرى بين الموضوعات التي تناولتها الرسالة والأطروحات التي تضمنها مشروع الأستاذ محمود. إلى جانب ذلك فإن هناك كتاباً انطلق من رؤية الأستاذ محمود لتطوير التشريع الإسلامي، ألف الكتاب عبدالله أحمد النعيم، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود. ونشره باللغة الإنجليزية بعنوان: *Toward an Islamic Reformation: Civil Liberties, Human Rights, and International Law* كما وردت الإشارة إليه آنفاً، ثم ترجم الكتاب ونشر عام 1994 تحت عنوان: **نحو تطوير التشريع الإسلامي - الحريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولي** (1).

كانت هناك رسالة ماجستير أخرى بعنوان: **الاجتهاد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم** (2)، تناولت في الفصل الرابع: حاجتنا للاجتهاد اليوم، ولم ترد إشارة لآراء الأستاذ محمود كما لم تضم قائمة مصادر ومراجع الرسالة كتاباً واحداً للأستاذ محمود. أيضاً، كانت هناك أطروحة ليست بعيدة عن الموضوع، وكذلك كانت متوافقة في موقفها مع الأستاذ محمود كما هو حال الرسائل السابقة، وهي أطروحة كان عنوانها: **مقاصد الشريعة الإسلامية وأثرها على الحماية الفكرية للمسلم المعاصر: دراسة مقارنة** (3). وينطبق الحال كذلك على رسالة دكتوراة بعنوان: **الجرائم المعاقب عليها بالقتل في الشريعة الإسلامية والقانون الجنائي السوداني لسنة 1991** (4)، وقد تناولت الرسالة تعريف الردة وشروط الحكم بها ومتى يحكم بها وذلك ضمن الباب الثالث: "الجرائم المرتكبة في حق الدين

(1) عبدالله أحمد النعيم، **نحو تطوير التشريع الإسلامي**، مرجع سابق.

(2) عواطف أحمد الإمام، **الاجتهاد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، (رسالة ماجستير)، إشراف حافظ الشيخ الزاكي، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1994، (بحث غير منشور).

(3) حسين محمد الحسن على، **مقاصد الشريعة الإسلامية وأثرها على الحماية الفكرية للمسلم المعاصر: دراسة مقارنة**، (رسالة دكتوراه)، إشراف عوض عبدالله بابكر، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير منشور).

(4) صالح أحمد التوم ضيف الله، **الجرائم المعاقب عليها بالقتل في الشريعة الإسلامية والقانون الجنائي السوداني لسنة 1991**، (رسالة دكتوراه)، إشراف حافظ الشيخ الزاكي، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

المعاقب عليها بالقتل. مثل هذه الرسائل في تقديرى لو كانت الأكاديمية السودانية، أكاديميا ملتزمة بالمبادئ لما كان لها أن تتجاوز الأستاذ محمود سواء في قائمة المصادر والمراجع أو بالمناقشة لأرائه أو بالتناول لقضية الحكم الذى صدر فى حقة بالردة عن الإسلام مرتين، لتناولت هذا الأمر ولربما خصصت له فصلاً أو باباً. ولا يختلف حال الدراسات التى وردت الإشارة إليها مع تلك التى تناولت مفهوم التفكير فى الإسلام، فى إغفال الإشارة للأستاذ محمود وكتبه.

من أمثلة الدراسات التى تناولت التفكير فى الإسلام رسالة ماجستير بعنوان: **مفهوم "التفكير" فى الإسلام**⁽¹⁾. فقد تناولت الرسالة مفهوم التفكير، والعقل فى القرآن الكريم، وما بين التفكير والتفكر، والتفكير والعقل والعلم فى السنة... إلخ. قدمت الدراسة الموضوع فى خمسة فصول، عرف الفصل الأول بإطار الدراسة والخطة والمصطلحات والدراسات والجهود السابقة، وتناول الفصل الثانى: "مفهوم (التفكير) عند علماء النفس"، والفصل الثالث: "مفهوم (التفكير) فى القرآن الكريم"، ودرس الفصل الرابع: "مفهوم التفكير فى السنة النبوية"، وعالج الفصل الخامس: "مفهوم التفكير عند بعض علماء المسلمين". الشاهد أن الأستاذ محمود قد نشر باكراً عن العقل ونشأته وأنواعه والعلم والتفكير والتفكر... إلخ، وجاء ذلك فى العديد من كتبه التى وردت الإشارة إليها، ففى كتابه: **رسالة الصلاة**⁽²⁾، الذى نشر فى خمس طبعات كان أولها عام 1966، وكان آخرها عام 2012 ضمن كتاب: **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**⁽³⁾ تناول الأستاذ محمود نشأة العقل، وأنواعه، وتحدث عن العقل الواعى والعقل الباطن، والعقل الواعى وكيف نشأ. وفى كتابه: **الرسالة الثانية من الإسلام**، الذى طبع أربع مرات كان أولها، كما ورد آنفاً، عام 1967، وكان آخرها عام 2012 ضمن كتاب: **نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**، فقد تحدث الأستاذ محمود عن التفكير من

(1) عفاف مساعد بشير مساعد، مفهوم "التفكير" فى الإسلام، (رسالة ماجستير)، إشراف عبدالمتعال زين العابدين، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير منشور).

(2) محمود محمد طه، رسالة الصلاة، ط1، أمدردمان، 1966.

(3) محمود محمد طه، نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية، مصدر سابق، ص 206-234.

خلال باب كان عنوانه: الفرد والجماعة في التفكير الفلسفي، كما تناول الفرد والكون والإرادة في الإسلام... إلخ⁽¹⁾. وغيرها مما وردت الإشارة إليه. وينطبق ما ورد آنفاً على رسالة ماجستير كانت بعنوان: أصول الاجتماع السياسي في القرآن الكريم دراسة حول (مفهوم الأمة)⁽²⁾، خاصة وأنها قد تناولت في الباب الرابع: "غياب نظرية الأمة عن الفكر السياسي الإسلامي المعاصر"، ودرست في الفصل الأول منه: "الحداثة السياسية وغياب المرجعية الإسلامية"، وفي الفصل الثاني: "تجليات أزمة الفكر السياسي الإسلامي المعاصر"، وفي الفصل الثالث: "الفكر الأصولي واختلاط المفاهيم". أيضاً نجد أن جل كتب الأستاذ محمود ومقالاته التي وردت الإشارة إليها، تخاطب كذلك مفهوم السلام في الإسلام، بل أن السلام يعد واحداً من مرتكزات مشروع الأستاذ محمود وثابت من ثوابت مقاومته. لقد كان السلام عند الأستاذ محمود مرتكزاً أساسياً وموضع اهتمام. فقد وردت الإشارة للعديد من كتبه التي تناولت ذلك. برغم ذلك نجد أن دراسة أكاديمية هي عبارة عن رسالة ماجستير بعنوان: مفهوم السلام في الإسلام⁽³⁾، لم ترد حتى مجرد إشارة لكتابات وآراء الأستاذ محمود. لم يقف أمر السلام عند الأستاذ محمود في حدود التنظير، وإنما كان السلام منهج حياة، وفكر مقاومة سلمية. ويمكن للقارئ أن يقف على فكر المقاومة السلمية عند الأستاذ محمود في موقع آخر من هذا الكتاب تناولت فيه: "فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية من جديد: الأستاذ محمود والمهاجرات غاندى: مقاربة أولية". جدير بالإشارة إلى أن هناك كتاباً تناول السلام عند الأستاذ محمود. ألف الكتاب خالد الحاج عبدالمحمود، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، ونشره عام 2007، وقد وردت الإشارة إليه آنفاً، وسمي خالد كتابه ب: الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه⁽⁴⁾، ويقع الكتاب في (500) صفحة من القطع المتوسط.

كان من بين ما وقفت عليه من الدراسات الأكاديمية، رسائل جامعية تناولت الصحوة

(1) المصدر السابق، ص 93-134.

(2) محمد مجذوب محمد صالح، أصول الاجتماع السياسي في القرآن الكريم دراسة حول (مفهوم الأمة)،

إشراف أم سلمة محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، 2000.

(3) فتح الرحمن الصديق إبراهيم، مفهوم السلام في الإسلام، (رسالة ماجستير)، إشراف عبدالشعال زين

العابدين، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999، (بحث غير

منشور).

(4) خالد الحاج، الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه، مرجع سابق.

الإسلامية وتحديات العصر. ولا أحسب أن دراسة أكاديمية في السودان تدرس هذا الموضوع وتتجاوز إسهامات الأستاذ محمود، وذلك نسبة لما قدمه الأستاذ محمود من إسهامات باكرة وجديدة. لقد كانت الدعوة الإسلامية الجديدة هي الهوية التي وسم بها مشروعه منذ أن طرحه عام 1951. وضم المشروع ليس الدعوة للعودة إلى الإسلام والصحة واليقظة الإسلامية ومواجهة تحديات العصر فحسب؛ وإنما ناقش الكيفية والسبيل لذلك وقدم حلولاً وأطروحات ونشرها عن ضرورة الفهم الجديد للنص، ودعا للتطوير.

كان التطوير من أهم مرتكزات مشروع الأستاذ محمود، كما وردت الإشارة آنفاً. فبالإضافة لما وردت الإشارة إليه من كتابات، فإن الأستاذ محمود نشر الكثير من الكتب التي خاطبت موضوعي الصحة الإسلامية وتحديات العصر بل كانا من العناصر الأساسية لمشروع الأستاذ محمود وحظيا بمساهمات ضخمة مما نشره الأستاذ محمود. ففي عام 1972 نشر الأستاذ محمود كتاب: *الثورة الثقافية*⁽¹⁾. فبالإضافة للإهداء والمقدمة والخاتمة، فقد تناول الكتاب الموضوعات التالية: "الثورة"، "والثورة الإسلامية الأولى"، "والثورة الإسلامية الثانية"، "والثورة الفكرية"، "والثورة الثقافية". ونشر في عام 1968 كتاب بعنوان: *زعيم جبهة الميثاق في ميزان 1. الثقافية الغربية 2. الإسلام*⁽²⁾، ونشر في عام 1973 كتاباً بعنوان: *الإسلام وإنسانية القرن العشرين*⁽³⁾. كما نشر الأستاذ محمود في عام 1974 كتاباً بعنوان: *الدعوة الإسلامية الجديدة*⁽⁴⁾، ونشر في عام 1975 كتاب: *الغربة في الدعوة الإسلامية الجديدة*⁽⁵⁾. كما نشر الأستاذ محمود وتلاميذه العديد من الكتب والمناشير في نقد الإخوان المسلمين، وفي نقد الهوس الديني، واعتبره عائقاً لبعث الإسلام. ففي عام 1981 وجه نقداً للمؤتمر العالمي للدعوة الإسلامية واعتبره بلا دعوة إسلامية.

الشاهد أن البعث الإسلامي والصحة الإسلامية وتحديات العصر كانت من أهم عناصر مشروع الأستاذ محمود. على الرغم من أن كل هذه المساهمات التي قدمها الأستاذ

(1) محمود محمد طه، *الثورة الثقافية*، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، *زعيم جبهة الميثاق في ميزان 1. الثقافية الغربية 2. الإسلام*، مصدر سابق.

(3) محمود محمد طه، *الإسلام وإنسانية القرن العشرين*، أمدرمان، 1973.

(4) محمود محمد طه، *الدعوة الإسلامية الجديدة*، مصدر سابق.

(5) محمود محمد طه، *الغربة في الدعوة الإسلامية الجديدة*، أمدرمان، 1973.

محمود، وغيرها مما وردت الإشارة إليه، فإن عدم الإشارة إليه وإلى الإسهامات كان السمة المميزة لما وقفت عليه من الدراسات الأكاديمية التي تناولت الصحوة الإسلامية وتحديات العصر. ومن الأمثلة على ذلك، رسالة ماجستير كانت بعنوان: **الصحوة الإسلامية وتحديات العصر**⁽¹⁾. وقد تناولت في الباب الأول: "تعريف الصحوة الإسلامية"، ووقفت فصول الباب بالإضافة لتعريف الصحوة الإسلامية، على تحديات العصر، وضرورة التدين في واقع الناس، وفضل الحضارتين الشرقية والغربية في حل مشاكل المجتمع المسلم، والتحدى الحضارى، والضرر من التقليد. ودرس الباب الثانى: "الصحوة الإسلامية وتحديات الكم والكيف"، وتناولت فصوله: مسببات تدهور الفكر الإسلامى، الحضارة الغربية وأثرها على انحطاط الفكر الإسلامى، ومشكلة التراث والمعاصرة في الفكر الإسلامى. وتناول الباب الثالث: "الصحوة الإسلامية وتحديات العصر"، وتناول موضوعات عديدة منها: الديمقراطية وحقوق الإنسان في الفكر الإسلامى، والديمقراطية ومبادئ الحكم الإسلامى، والعقيدة الإسلامية واستيعاب الديمقراطية، والمشروع الحضارى الإسلامى الديمقراطى. وتناول الباب الرابع: "الحركات الإسلامية ومنهجية التغيير"، وتحدث الباب عن العنف السياسى وموقف الإسلام منه، ووقف على عدد من المفاهيم الخاطئة فى العقل العربى التى يجب تغييرها، ومنها الوصاية. وتناول الباب كذلك الجهاد فى الإسلام. ووقف الباب الخامس على: "مستقبل الصحوة الإسلامية فى ظل الوضع الدولى الراهن".

الشاهد أن فى كل هذه الموضوعات التى تناولتها الرسالة كان للأستاذ محمود إسهامات وأطروحات منشورة وبأكرة وجديدة، بيد أن قائمة مصادر ومراجع الرسالة خلت تماماً من أى إشارة لأى كتاب من كتب الأستاذ محمود أو مقالاته أو أحاديثه فى المحاضرات والندوات أو كتب تلاميذه (الإخوان الجمهوريين أو الأخوات الجمهوريات).

(1) حمد عمر حاوى، **الصحوة الإسلامية وتحديات العصر**، (رسالة الماجستير)، إشراف التجانى عبدالقادر حامد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1995، (بحث غير منشور).

العلاقات الدولية والسلام العالمى "رؤية إسلامية"

كان الأستاذ محمود صاحب رؤية شاملة للسلام وبمفهوم شامل له. فقد كتب ونشر باكراً، عن السلام مع النفس حيث الداخل، داخل الإنسان، و سلام الإنسان مع الآخرين، ومع المجتمع والكون والأحياء والأشياء، كما وردت الإشارة آنفاً لكتبه. لقد تضمن كتابه: **الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**، تناولاً للإسلام والسلام، وقانون الغابة وقانون الإنسان... إلخ⁽¹⁾. وتناول السلام العالمى بما فى ذلك العلاقات الدولية والصراعات الناشئة بسبب الدين، لا سيما صراعات الإسلام مع الغرب بما فى ذلك الصراع مع إسرائيل، وقد وردت الإشارة لكتاب: **مشكلة الشرق الأوسط**، وغيره. ونشر الأستاذ محمود كذلك كتاب: **الصلح خير**⁽²⁾، كما نشر فى عام 1981 كتاباً بعنوان: **بمناسبة زيارة السادات للسودان: السلام هو الطريق لحل مشكلة الشرق الأوسط**⁽³⁾. ونشر تلاميذه كتاب: **اصطلحوا مع إسرائيل**⁽⁴⁾، وغيرها. لقد كتب الأستاذ محمود عن آثار تلك الصراعات على السلام العالمى، وقدم أفكاراً عن السلم العالمى، وتحدث عن الحكومة العالمية، وقد وردت الإشارة لكتبه آنفاً، وقد تناول فى كتابه: **الرسالة الثانية من الإسلام**⁽⁵⁾، المدنية والحضارة، والمدنية الغربية، وفشل المدنية الغربية. كما تحدث الأستاذ محمود عن الاستعمار الأوروبى وأشكاله وكيف أن الاستعمار خرج من الأرض وبقي فى العقول، وتحدث بتوسع عن الرأسمالية والشيوعية. ويمكن للقارئ أن يجد ذلك فى كتابات الأستاذ محمود المشار إليها آنفاً، وكذلك فى ما سبق من إشارات فى هذا الكتاب، وهى إشارات عديدة. لهذا فإن الدراسات الأكاديمية سواء كانت تلك التى تتناول مفهوم السلام فى الإسلام أو تلك التى تدرس السلام العالمى، لا يمكن لها أن تتجاوز الأستاذ محمود وتغفل الإشارة إليه، أما أن يحدث الإغفال وعدم الإشارة إلى كتبه، وهذا ما حدث بالفعل، فإنه أمر يدعو للاستغراب والدهشة وي طرح استفساهات كثيرة وكبيرة عن الأكاديمية السودانية

(1) محمود محمد طه، **الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين**، مصدر سابق، ص 25-50.

(2) محمود محمد طه، **الصلح خير**، أمدردمان، 1977.

(3) محمود محمد طه، **بمناسبة زيارة السادات للسودان: السلام هو الطريق لحل مشكلة الشرق الأوسط**، أمدردمان، 1981.

(4) الإخوان الجمهوريون، **اصطلحوا مع إسرائيل**، أمدردمان، 1978.

(5) محمود محمد طه، **نحو مشروع مستقبل للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية**، مصدر سابق، ص 87-89.

ودورها ومسؤولياتها العلمية والأخلاقية. إن الأمثلة على الرسائل التي تناولت السلام العالمى برؤية إسلامية والعلاقات الدولية ولم تشر إلى الأستاذ محمود مجرد إشارة فعديدة، منها: رسالة ماجستير بعنوان: **العلاقات الدولية المعاصرة والسلام العالمى: رؤية إسلامية**⁽¹⁾. وقد عاجلت الدراسة موضوعها من خلال أربعة فصول، تناول الفصل الأول: "نشأة التنظيم الدولى المعاصر"، والفصل الثانى: "تقييم التنظيم الدولى المعاصر"، وتحدث هذا الفصل عن الظاهرة الاستعمارية والرأسمالية ميراث الفقر والتخلف، والعولمة والمركزية الأوروبية،... إلخ. ودرس الفصل الثالث: "رؤية إسلامية لنظام الأمن والسلم الدوليين"، وتناول الفصل الرابع: "الفكر الإسلامى والبديل المعاصر فى العلاقات الدولية"، وتحدث عن تقييم الفكر الإسلامى فى العلاقات الدولية، ومعالج الرؤية الإسلامية الحديثة لإقرار السلم العالمى، وغيرها. كذلك كانت هناك أيضاً دراسة ماجستير بعنوان: **الإسلام والغرب المعاصر: دراسة فى إشكالية العلاقات السياسية**⁽²⁾. وتناولت فى الفصل الأول: "نظريات الصراع"، الصراع الدينى والصراع الحضارى والصراع السياسى، وفى الفصل الثانى: العلاقات التاريخية بين الإسلام والغرب. ووقف الفصل الثالث على: السياسة الغربية نحو الإسلام، وتناول الفصل الرابع: الإسلاموفوبيا، والإسلام والإرهاب والاعلام الغربى، ومستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب. الشاهد أن كل هذه الموضوعات، كما وردت الإشارة آنفاً، قدم فيها الأستاذ محمود إسهامات باكرة ومنشورة. وعلى الرغم من ذلك لم ترد مجرد إشارة لإسهاماته.

من المهم الإشارة إلى أننى قدمت فى هذا الفصل (32) نموذجاً من الرسائل الجامعية من بين مائة أطروحة ماجستير ودكتوراه كنت قد وقفت عليها فى المجالات الأربعة المشار إليها والتي كان للأستاذ محمود إسهامات منشورة فى كل منها. ولما كان المجال والمساحة المخصصة لهذا الفصل لا تسمح بالتوسع فقد اختصرت النماذج على (32) نموذجاً،

(1) معاوية عوض الله مصطفى، **العلاقات الدولية المعاصرة والسلام العالمى: رؤية إسلامية**، (رسالة لنيل درجة الماجستير فى العلاقات الدولية)، إشراف محمد حسن أحمد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010، (بحث غير منشور).

(2) آمنة عبدالقادر محمد بشير، **الإسلام والغرب المعاصر: دراسة فى إشكالية العلاقات السياسية**، (رسالة ماجستير)، إشراف الشفيق محمد المكي، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2011، (بحث غير منشور).

وقدمت جرداً مجملًا ومختصراً على أمل العودة في المستقبل لدراسة موضوع الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية، دراسة قائمة بذاتها ومفصلة وموسعة. ومن المهم الإشارة أيضاً أنني من بين مائة الرسالة الجامعية، وبالطبع من بينها النماذج الـ (32)، قد وقفت على أطروحة دكتورة قد خصصت محوراً للحديث عن الحزب الجمهورى. كانت الأطروحة بعنوان: **التنظيم السياسى الواحد وأثره على الوحدة الوطنية فى السودان**⁽¹⁾. فقد جاءت الأطروحة فى أربعة أبواب هى، الباب الأول: "نشأة وتطور الحركة السياسية السودانية المعاصر"، والباب الثانى: "الديمقراطية الثانية والنظام الحزبى"، والباب الثالث: "حكومة مايو والتنظيم السياسى الواحد"، والباب الرابع: "الاتحاد الاشتراكى والوحدة الوطنية". وفى الفصل الأول من الباب الأول وقفت الأطروحة على: "نشأة وتطور الأحزاب الإسلامية"، وفى الفصل الثانى تناولت: "نشأة وتطور الأحزاب العلمانية".

تناولت الأطروحة الأحزاب الإسلامية والعلمانية، وخصصت لكل منها عنواناً، وكذلك الحال بالنسبة للحزب الجمهورى. تناولت الأطروحة نشأة ومبادئ الحزب الجمهورى، فقالت: "هو أول حزب يدعو لاستقلال السودان دون الارتباط بمصر، وقد أسسه الأستاذ محمود محمد طه عام 1945 ونشر الحزب برنامجاً انتقد فيه التيارين الكبيرين لارتباطهما ببريطانيا ومصر ولانعدام المذهبية فى عملهما، ودعا إلى استقلال السودان عن بريطانيا ومصر، وقيام جمهورية سودانية"⁽²⁾. كما تناولت الأطروحة موقف الحزب من الطائفية ومن الأحزاب السودانية، ودعوته المبكرة للحكم اللامركزى، ودعوته المبكرة أيضاً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وحديثه عن الديمقراطية الشعبية... إلخ. كما أشارت الأطروحة لعدد من كتب الأستاذ محمود ومنشوراته، منها: المذكرة التفسيرية لدستور الحزب الجمهورى الذى صدر عام 1945، وبيان رئيس الحزب الجمهورى فى الاجتماع العام للحزب فى يوم 30 نوفمبر عام 1951. كما أشارت الأطروحة لكتاب: **قل هذه سبيلى**، وكتاب: **الرسالة الثانية من الإسلام**، ومقال لعبد اللطيف عمر حسب الله،

(1) صالح عبدالقادر صالح الشيخ، **التنظيم السياسى الواحد وأثره على الوحدة الوطنية فى السودان**، (أطروحة دكتوراه)، إشراف: محمد نورى الأمين، مشرف مساعد: عدلان أحمد الحدلو، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1997، (بحث غير منشور).

(2) المرجع السابق، ص 27.

بعنوان: موجز تاريخ الحركة الجمهورية، ومنشور الإخوان الجمهوريين بعنوان: "خذوا حذرکم!! الشيوعية الدولية هي الاستعمار الجديد"، الذي صدر عام 1979. أثارت الأطروحة العديد من القضايا التي تحتاج لإعادة النظر، منها: وسم الأطروحة للحزب الجمهورى بالإسلامى. وتخصيصها لعنوان جانبى باسم: "الحزب الجمهورى الإسلامى". وكذلك فى كل الصفحات كان الحديث عن الحزب الجمهورى الإسلامى، وهذا غير صحيح البتة. كما لا تؤيده الوقائع ولا الوثائق التاريخية، ولا مصدر واحد من المصادر التى اعتمد عليها الباحث. أيضاً تناولت الأطروحة موقف الحزب الجمهورى من انقلاب 25 مايو عام 1969 فوصفته قائلة: "وانطلاقاً من كفرانه بالطائفية والتعددية الحزبية قد أيد انقلاب مايو 1969"⁽¹⁾. ومع هذا الوصف الذى تؤيده أدبيات الحزب الجمهورى، يحمد للأطروحة أنها اعتمدت على مصادر متوفرة فى دار الوثائق القومية وتناولت الحزب الجمهورى، وهذا ما أغفلته الرسائل الجامعية الأخرى، كما ورد آنفاً.

إن الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود فى الرسائل الجامعية، ليس فى عدم الاهتمام بتخصيص رسائل جامعية لدراسة مشروع الأستاذ محمود فحسب؛ وإنما فى عدم الإشارة إليه حتى ولو بتأكيد الاختلاف معه، وعدم الإشارة لكتبه فى قوائم مصادر ومراجع الدراسات التى تتناول موضوعات كان للأستاذ محمود فيها إسهامات باكرة ومنشورة، بل سبق فيها أهل الاختصاص. لهذا فإن أكثر الأسئلة إلحاحاً ليست تلك التى تتصل بعدم الإشارة للأستاذ محمود فى الرسالة الجامعية الواحدة؛ وإنما تتصل الاستفهامات بهذا الإجماع فى التجاهل والتجاوز الواسع والمستمر والذى كأنما هو تحالف غير مكتوب. وكما هو معلوم فى الدراسات الأكاديمية فإن الإشارة للدراسات والكتابات السابقة والباكرة عن موضوع ما تعد من بين الأسس العلمية التى تتطلب المراعاة. وقد كتب الأستاذ محمود كتابات عديدة وفى موضوعات مختلفة، كانت باكرة وسابقة للكثير مما كتب فى السودان، بل وربما فى العالم. أيضاً إذا ما استبعدنا القصد فى الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود، فهل يعزى غياب الإشارة للأستاذ محمود إلى ضعف صلة الطلاب بفهارس ومصادر الدراسات السودانية فى دار الوثائق القومية،

(1) المرجع السابق، ص 30.

حيث الفهارس المنشورة، والوثائق والمصادر والدوريات والمراجع؟. من المهم الإشارة إلى أنه ليس كل الأساتذة الأكاديميين لديهم مواقف سلبية من الأستاذ محمود، فمنهم المناصرون له والمدافعون عنه. من الملاحظات المهمة والتي تفيد بأن هذا الإغفال قد استمر طويلاً، أن بعض الطلاب قدموا رسائلهم الجامعية وأغفلوا الأستاذ محمود، ثم أصبحوا فيما بعد أساتذة جامعيين، فأشرفوا على رسائل جامعية أغفلت الأستاذ محمود أيضاً، الأمر الذي يفيد أن الإغفال مارسه أكثر من جيل من الأكاديميين. وبقدر ما يمكن الباحث في التقصي لا يجد سوى التجاهل لأهم القضايا وأكبرها. إن دراسة تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود بتهمة الردة عن الإسلام، مثلاً، وهو أمر فارقه البشرية - وليس المسلمون فحسب - قرونًا. وربما منذ القرون الوسطى، ليس بالدراسة التي يمكن تجاهلها أو تجاوزها أو تأجيلها أو تهيبها أو التعالي عليها، إن تنفيذ حكم الإعدام بتهمة الردة عن الإسلام سيعطل أبدًا من الأوابد، التي ستبعث مع صباح كل يوم بالمعانى الجديدة والدلالات العظيمة.

الشاهد أنه لم يقف الأمر في حدود عدم الإشارة للأستاذ محمود ببراءة وحسن نية؛ وإنما بلغ الأمر مبلغ العمد في السعي لتغيب الأستاذ محمود، وتجاهله، بل التوجيه بحذف بعض ما يتعلق به، مما جاء في الرسائل الجامعية. هنا أقدم نموذجاً يعبر بفصاحة عن ذلك، ويقدم دليلاً قوياً على رسوب الأكاديمية السودانية في امتحان الأستاذ محمود.

رسوب الأكاديمية السودانية في امتحان الأستاذ محمود

حينما يتلاشى مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها

وصلت أثناء رحلة البحث والتنقيب من أجل هذا الكتاب، إلى رسالة ماجستير موسومة بـ: التطورات الدستورية لنظام مايو 1969-1985⁽¹⁾، قدمها أحد طلاب قسم

(1) محرم عوض السيد حسن، التطورات الدستورية لنظام مايو 1969-1985، (رسالة ماجستير)، إشراف محمد نوري الأمين، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، بجامعة الخرطوم، فى عام 1998. قادتنى هذه الرسالة إلى الوقوف على ما يؤكد صحة ما أزعمه فى موقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود، ليس فى عدم الإشارة للأستاذ محمود وكتاباتة فحسب؛ وإنما فى صنوف العمد فى السعى لتغييبه وتجاهله. فالتغيب والتجاهل رسوب فى امتحان إظهار الحقيقة ونشرها ومن ثم تزوير فى تاريخه واستمرار فى تشويه سيرته. غنى عن القول أن السعى من الأكاديمى والهيئة الأكاديمية إلى التغيب والتجاهل، هو أمر يجافى الأخلاق العلمية والمسؤولية فى مبدأ اظهار الحقيقة ونشرها. قبل الإجابة على السؤال الذى يفرض نفسه فى هذا الموقف وهو: كيف قادتنى هذه الرسالة لتأكيد صحة ما أزعم تجاه الأكاديمية السودانية؟ أقف على ما تناولته رسالة الماجستير من موضوعات، وما هو موقفها من الأستاذ محمود، خاصة وأن الأستاذ محمود كان حاضراً فى الموضوعات والأحداث التى تناولتها. لقد لاحظت أن الرسالة تناولت موضوعات تعد من أهم الموضوعات التى كتب عنها الأستاذ محمود وتلاميذه، وبرغم ذلك لم تناقش ولم تورد آراء الأستاذ محمود، فقد تناولت الرسالة: تعريف الدستور والنظام الإسلامى والدستور الإسلامى، والقوانين الإسلامية وتأثيرها على القواعد الدستورية، والحركة الإسلامية فى السودان، وأثر القوانين الإسلامية... إلخ. وهذه من أهم الموضوعات التى كتب عنها الأستاذ محمود وتلاميذه. فقد درست الرسالة هذه الموضوعات وغيرها من خلال ستة فصول، فقد تناول الفصل الأول: "التطورات الدستورية لنظام مايو"، والفصل الثانى: "كتابة الدستور الدائم لعام 1973"، ووقف الفصل الثالث على: "التطورات التشريعية فى فترة مايو"، والفصل الرابع على: "التطورات الدستورية فى مجال الحكم المحلى"، وعالج الفصل الخامس: "القوانين الإسلامية وتأثيرها على القواعد الدستورية"، والفصل السادس تناول: "إعلان القوانين الإسلامية (1983)"، أما الفصل السابع فقد تناول: "أثر القوانين الإسلامية"، والفصل الثامن وهو الأخير فقد تناول: "معارضة القوانين الإسلامية (سبتمبر 1983)". هذه الرسالة ومن خلال ما عاجلته من موضوعات ونسبة لكثرة ما كتبه الأستاذ محمود والإخوان الجمهوريون فى هذه الموضوعات، فإنه من الناحية العلمية ليست هناك فرصة فى أن تتجاوز الأستاذ محمود وتتجاوز كتاباته ومواقفه. غير أن

الرسالة تجاوزه وتجاوزت كتاباته وكتابه الإخوان الجمهوريين ولم تأت إلا بكتاب واحد هو: لماذا تؤيد ثورة مايو⁽¹⁾. معلوم كما ورد آنفاً أن الأستاذ محمود كتب ونشر باكراً وكثيراً عن الدستور والقوانين الإسلامية... إلخ. كما أن الفصل الأخير من الرسالة والذي تناول معارضة القوانين الإسلامية، فغنى عن القول أن الأستاذ محمود وتلاميذه كانوا أكثر المعارضين للقوانين المسماة إسلامية من غير وجه حق (كما هو دأب الأستاذ محمود وتلاميذه في نعتها)، إلى جانب أن الأستاذ محمود حكم عليه بالردة عن الإسلام وأعدم في ظل تلك القوانين الإسلامية، والإسلام منها براء.

الآن إلى الإجابة على السؤال الذي ورد آنفاً، كيف قادتني رسالة الماجستير هذه إلى تأكيد صحة ما أزعم، وهو أن الأكاديمية السودانية في موقفها من الأستاذ محمود لم تقف عند حدود عدم الإشارة إليه فحسب؛ وإنما سعت سعياً متعمداً إلى تغييبه وتجاهله. لم أكن أعلم أن الطالب (آنئذ) محرم عوض السيد حسن الذي أعد رسالة الماجستير هو من تلاميذ الأستاذ محمود، وحينما علمت⁽²⁾ أنه من الجمهوريين، زادت دهشتي واستغرابي، فسعيت إلى الوصول للطالب. وبالفعل وصلت إلى الطالب وأجريت معه مقابلة مطولة⁽³⁾. سألته عن رسالته للماجستير وكيف تناولت موضوعات تتصل بشكل مباشر بكتابات وآراء الأستاذ محمود ومواقفه، وبرغم ذلك لم تتضمن مناقشة لآراء الأستاذ محمود أو إشارة لكتابه؟ كما تناولت الرسالة القوانين التي حكم في ظلها على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام وتم تنفيذ حكم الإعدام عليه، وبرغم ذلك لم تتناول الرسالة مواقف الأستاذ محمود وآراءه. حكى لي الطالب (آنئذ) محرم عوض السيد حسن عن قصة رسالته للماجستير بتفصيل، فأفادني أولاً بأن هيئة رسالته للماجستير لم تكن على ما هي عليه الآن. فالنسخة الحالية هي نسخة ثانية. فقد كانت الرسالة في بادئ الأمر متناولة للعديد من آراء الأستاذ محمود ومواقفه من الدستور

(1) الإخوان الجمهوريون، لماذا تؤيد ثورة مايو، مصدر سابق.

(2) لفت نظري الأستاذ عيسى إبراهيم إلى أن الطالب الذي أعد رسالة الماجستير المشار إليه، محرم عوض السيد حسن، هو من تلاميذ الأستاذ محمود.

(3) مقابلة مع محرم عوض السيد حسن، مقابلة بالهاتف، المؤلف في الدوحة، قطر، ومحرم عوض السيد حسن في مدينة بورتسودان، السودان، بتاريخ 17 يناير 2013، الساعة 9:54.

الإسلامى، وتحديث الرسالة عن نقد الأستاذ محمود للدستور الإسلامى، وناقشت الرسالة الكثير من أطروحات الأستاذ محمود وهى تناقش تعريف الدستور، والنظام الإسلامى والدستور الإسلامى، والقوانين الإسلامية وتأثيرها على القواعد الدستورية، والحركة الإسلامية فى السودان، وأثر القوانين الإسلامية... إلخ. وكان كل ذلك بدعم وسند من المشرف محمد نورى الأمين. أيضاً كان الإهداء فى الرسالة ليس كما هو عليه الآن. وأضاف محرم عوض السيد حسن قائلاً: إننى كتبت فى النسخة الأولى إهداءً مختلفاً عما هو عليه الإهداء فى النسخة الحالية، والتى نلت بموجبها درجة الماجستير، لقد كتبت فى النسخة الأولى النص التالى، ثم تلاى محرم عوض السيد حسن نص الإهداء، يقول محرم فى إهداء رسالته:

إهداء

إنما يهدى هذا العمل المتواضع إلى شهيد الفكر.

والدى العزيز

الأستاذ محمود محمد طه

"والذى بذل روحه فداءً لهذا الشعب العظيم فى عهد عدم التسامح الدينى وقد كانت آخر عباراته (اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون)".

فما الذى حدث؟ الذى حدث هو أن الطالب أنجز رسالته للماجستير وجاء فى يوم المناقشة. معلوم أن جامعة الخرطوم تأخذ بنظام المناقشات المغلقة للرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراة)، إذ لا يكون فى القاعة سوى الطالب والمشرف والممتحن الداخلى والممتحن الخارجى. حضر الطالب محرم عوض السيد حسن، والمشرف محمد نورى الأمين، وكان الممتحن الداخلى محمد عثمان أبو ساق، والممتحن الخارجى عون الشريف قاسم (1933-2006). ومنذ الوهلة الأولى عبر عون الشريف وهو الممتحن الخارجى عن اختلافه وعدم اتفاقه مع الطالب وكذلك الممتحن الداخلى، فى ما أورده الطالب من آراء ومواقف للأستاذ محمود وفى ما قدمه من حجج وبراهين، واختلف

عون الشريف مع الطالب حتى فى نص الإهداء⁽¹⁾. واجه الطالب هذا الاختلاف مع آرائه والرفض لما قدمه من حجج وبراهين، من قبل الممتحنين الخارجى والداخلى، ولكنه لم يستطع اقناعهما. تشاور الطالب محرم والمشرّف محمد نورى الأمين والذى كان مسانداً للطالب، ولكن الأمر الواقع هو أن هناك ممتحناً خارجياً وداخلياً غير مقتنعين. لم يكن أمام الطالب (إن أراد نبيل درجة الماجستير)، سوى إعادة كتابة الرسالة وتعديل بعض محاورها والآراء الواردة فيها، وإلغاء وحذف الأجزاء التى أشار إليها الممتحنان الخارجى والداخلى، بما فى ذلك الإهداء المشار إليه أعلاه، حتى يستطيع اقناعهما. الشاهد هذا ما حدث، أعاد الطالب كتابة الرسالة وقام بإلغاء الأجزاء المختلف والمتحفظ عليها، وحذف نص الإهداء للأستاذ محمود، وكتب إهداءً آخر كان لوالديه، ومن ثم تمت إجازة الرسالة ومنح الطالب درجة الماجستير. ماذا نسمى هذا؟ أين أهم مبادئ الأكاديمية، وهو مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها؟ أين الأخلاق العلمية؟ أين الشرف المهني؟ ما هو أنسب وصف يمكن أن نطلقه على هذه الحالة؟ أليس فى هذا نموذج ناصع على انحراف الأكاديمية السودانية عن أهم المبادئ الأكاديمية، وهو مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها. أليس هذا تماهياً مع الفقهاء وتبنياً لموقفهم من الأستاذ محمود؟ الشاهد أن الغرض الأساسى من كتابى هذا هو محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة، والمساهمة فى دراسة مواقف الأكاديمية السودانية من الأستاذ محمود بما يخدم شرف السجل، والوعى بموضوع الأستاذ محمود، والتنوير بحقيقة المواقف من مبدأ إظهار الحقيقة ونشرها، والسعى لتفكيك رموز الأزمات وأبعادها من أجل أن ندخل على المستقبل بمعانى الورع العلمى وقيم الأخلاق والعدل والحرية.

الشاهد أن هذا الإغفال والسعى لتغيب الأستاذ محمود وتجاهله لا تكتمل صورته إلا بالوقوف على كتب مؤرخى الحركة الوطنية السودانية، ودراسة كيفية معالجة المؤرخين لدور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية. ولعل دراسة كتب مؤرخى الحركة الوطنية لا تكتمل صورتها إلا بدراسة مذكرات معاصرى الأستاذ محمود، باعتبار أن

(1) مقابلة مع محرم عوض السيد حسن، مقابلة بالهاتف، المؤلف فى الدوحة، قطر، ومحرم عوض السيد حسن فى مدينة بورتسودان، السودان، بتاريخ 17 يناير 2013، الساعة 4:25.

المذكرات مصدر تاريخي مهم، فكيفية معالجة تلك المذكرات لدور الأستاذ محمود في الحركة الوطنية يسهم في دراسة أبعاد هذا التجاهل والإغفال. لقد خصصت الفصل السادس عشر من هذا الكتاب لدراسة موضوع: "الأستاذ محمود في مذكرات معاصريه". كذلك لا تكتمل صورة موضوع الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية إلا بالوقوف كذلك على إصدارات الأكاديميين في العلوم السياسية والفكر الإسلامي وغيرها من المجالات التي كان للأستاذ محمود فيها حضور قوى وأصيل وباكراً. وهذا ما سأتناوله في الفصل القادم وهو بعنوان: "الأستاذ محمود والأكاديمية السودانية: دراسة في نماذج من كتب المؤرخين والأكاديميين".

الفصل الرابع عشر

14

قراءة فى كتب تاريخ الحركة الوطنية وكتب أخرى

الطريق نحو

"ما بعد التاريخ المعلن"

إلى الشعب السودانى: الذى لا تنقصه الأصالة، وإنما تنقصه
المعلومات الوافية.. وقد تضافرت شتى العوامل لتحجبه عنها⁽¹⁾.
محمود محمد طه

(1) محمود محمد طه، زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان: 1. الثقافة الغريبة 2. الإسلام، مصدر سابق، نص الإهداء.

كلما ارتفع الإنسان فى مراتب الإنسانية، ارتقت نظرتة التاريخية وغزر فعله التاريخى، وكذلك كلما كان وعيه للماضى أصفى ومجاوبته له أصدق وأعمق اغتنى كيانه الإنسانى وغدا أقدر على الإنتاج والإبداع⁽¹⁾.

قسطنطين زريق (1909-2000)

جاءت الإشارة فى الفصل السابق إلى أن الدراسات الأكاديمية المنظمة فى السودان بدأت بعد الحرب العالمية الثانية فى كنف الحكم البريطانى بمدرسة الآداب العليا، التى هى الآن، كلية الآداب، إحدى كليات جامعة الخرطوم اليوم. ولكننى هنا بصدد تقديم إضاءة ومدخل مختصر عن ظهور المدرسة التاريخية السودانية وتطورها. معلوم أن الكتابات التاريخية فى السودان كانت سابقة لبداية الدراسات الأكاديمية المنظمة فى مدرسة الآداب العليا، بيد أن المدرسة التاريخية السودانية ظهرت كواحدة من ثمرات التعليم الحديث مع ظهور طلائع المتعلمين والحركة الوطنية. يقول المؤرخ محمد سعيد القدال: "ظهرت المدرسة التاريخية السودانية مع بروز الحركة الوطنية... واتجهت فى بداياتها الأولى نحو تجميع التراث حتى يساعد على شحذ الشعور القومى. ولكنها ظلت اجتهادات شخصية ومبادرات متفرقة، تستلهم مآثر المهدي حيناً، وتخوض فى الماضى التليد حيناً آخر، وتشرئب نحو دراسات التراث الإسلامى الوافدة من مصر"⁽²⁾.

(1) قسطنطين زريق، "نحن والتاريخ: مطالب وتساؤلات فى صناعة التأريخ وصنع التاريخ"، الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق، المجلد الأول، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص386.

(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 16.

كان الأثر العربى والإسلامى واحداً من معطيات تكوين المؤرخين السودانين والمدرسة التاريخية، كما كان للوثيقة العربية حضور باكر فى تاريخ السودان. يقول المؤرخ محمد إبراهيم أبوسليم (1927-2004):

يرجع تاريخ الوثيقة العربية الديوانية فى السودان إلى قيام سلطنة الفونج وقيام سلطنة الفور إلى الغرب منها، ذلك لأن الوثيقة العربية قد صارت بفضل هاتين السلطنتين الإسلاميتين أداة من أدوات الحكم والإدارة. ولما انتعشت حركة الثقافة العربية بعد ظهورهما وبالأخص فى النصف الثانى من عهديهما توطدت مكانة الوثيقة العربية، وارتفع شأن الديوان السلطانى والكتاب الذين يلتحقون به⁽¹⁾.

هيات بداية الدراسات الأكاديمية المنظمة، وبالطبع المدرسة التاريخية السودانية، فى كنف الحكم البريطانى، الفرصة للأخذ بالمنهج العلمى والروح الغربية إلى جانب التدريب الأكاديمى. أشار المؤرخ يوسف فضل حسن إلى فضل الغرب الذى لا ينكر فى تطوير أقسام التاريخ واقتباس نهجه العلمى فى كتابة التاريخ⁽²⁾، وأشار كذلك إلى أن أثر روح النقد الغربية وأساليب البحث والكتابة الحديثة واضحة فى مؤلفات معظم المؤرخين السودانين المعاصرين. أشار أحمد أبو شوك إلى أثر المدارس التاريخية فى التكوين الفكرى والإعداد الأكاديمى للمؤرخين السودانين،

(1) محمد إبراهيم أبوسليم، بحوث فى تاريخ السودان (الأراضى، العلماء، الخلافة، بربر، على الميرغنى)، مرجع سابق، ص 68.

(2) يوسف فضل حسن، دراسات فى تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب، ج 3، مرجع سابق، ص 61.

وتحدث عن سيادة المدرسة المثالية (الفيلسوف الألماني فريدريك هيجل 1770-1821)، والمدرسة المادية الجدلية (كارل ماركس 1818-1883)، والمدرسة الحضارية (أرنولد توينبي 1889-1975)، ومدرسة الحوليات الفرنسية. تناول أبو شوك المنطلقات الفكرية للمدارس الأربعة فى كيفية معالجة الواقعة التاريخية والمسألة الحضارية، وألح إلى بعض تأثيراتها على المؤرخين السودانيين⁽¹⁾. الشاهد أن المدرسة التاريخية اتخذت منهجاً صارماً فى تحقيق الوثائق والتدقيق فى أمرها.. وهذا أعطى البحث التاريخى أرضية صلبة ليقف عليها⁽²⁾. أجمل القدال الصفات العامة للمدرسة التاريخية السودانية التى اشترك فيها كل المؤرخين بدرجات متفاوتة. لعل من أهم جوانبها الإيجابية⁽³⁾:

- 1- قدمت دراسات تاريخية فيها الخصوصية السودانية وعملت على دحض كتابات المؤرخين الاستعماريين والكشف عن تشويههم وزيفهم.
- 2- ركزت على الجوانب السياسية، ولكنها بدأت تتراد مجال الدراسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.
- 3- أسست منهجاً صارماً للبحث يعتمد على الوثائق ودراستها واكتشافها وترتيبها، والخروج منها بأبحاث تعتمد على رصد الأحداث رصداً يتوخى الدقة.

فالمدرسة التاريخية السودانية عند القدال من الناحية المنهجية الأكاديمية قد اكتمل بناؤها أو كاد⁽⁴⁾، بيد أنها عنده لا تعنى منهجية أكاديمية فحسب؛ وإنما تعنى الموقف الأيديولوجى أيضاً، وهو الذى حكم فى نهاية الأمر توجهاتها واستنتاجاتها مع التاريخ. وأضاف القدال قائلاً: عندما نتحدث عن هذه المدرسة فلا نعنى استنتاجات موحدة، أو نسخاً مكررة لأمر واحد بل نقصد موقفاً أيديولوجياً واحداً تفرعت منه عدة.

(1) أحمد إبراهيم أبوشوك، السودان: السلطة والوراثة، ج4، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2012، ص 222-226.

(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 18-19.

(3) المرجع السابق، ص 16.

(4) المرجع السابق، ص 21.

استنتاجات واجتهادات... فخلف كل موقف فكرى تقبع قاعدة أيديولوجية صلبة، ويكون ذلك الفكر انعكاساً لها ومدافعاً عنها، وقد ينفلت منها نسبياً، ولكنها تظل ممسكة بتلابيبه. فالمدرسة التاريخية السودانية جزء من حقل أيديولوجى كبير له تجلياته فى مجال الأدب والاقتصاد والسياسة⁽¹⁾.

الماضى وعلاقات القوى ونعت الحدث

علينا أن نفرق بين الماضى وبين معرفة الماضى. فمعرفة الماضى إضافة خارجية تفد عليه من مصادر متعددة. فالموقف من الماضى فى نهاية الأمر موقف أيديولوجى، والموقف الأيديولوجى فى الأساس موقف طبقى⁽²⁾.

محمد سعيد القدال

متى نسائل الماضى؟ وكيف نقف على الموقف الاجتماعى منه؟ يقول المؤرخ الفرنسى جان كلود شميث، وهو من الذين ساهموا فى وضع كتاب التاريخ الجديد، الذى صدر بمشاركة أكثر من عشر مؤرخين قدموا أوراقاً علمية. صدر الكتاب بتقديم المؤرخ جاك لوغوف. يقول جان كلود شميث فى ورقته وهى بعنوان: "تاريخ الهامشينين": "إن المؤرخ قبل كل شىء، بوعى أو بغير وعى، يسائل الماضى من خلال ما يطرحة عليه مجتمعه من تساؤلات"⁽³⁾. فالماضى حينما يأتى عليه المؤرخ يكون قد نُعت ووصف وأخذ وسمأ. يقول عبدالله العروى: "يأتى المؤرخ بعد الحدث، حاله غير المشاهد أو الصحافى. يتعامل مع وثائق مكتوبة، مع عهود، فيجد فيها أن الأحداث قد نعتت من قبل"⁽⁴⁾. يكون النعت متصلاً بالتطورات فى العقل والعقيدة والنفوذ. يقول شميث: "كان التاريخ قبل كل شىء عملاً تبريرياً للتطورات التى شهدتها العقيدة أو العقل، والتطورات التى عرفها النفوذ الملكى أو النفوذ

(1) المرجع السابق، ص 23-29.

(2) المرجع السابق، ص 23.

(3) جان كلود شميث، "تاريخ الهامشينين"، التاريخ الجديد، مرجع سابق، 441.

(4) عبدالله العروى، مفهوم التاريخ: المفاهيم والأصول، ج2، ط3، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1997، ص 244-245.

البرجوازي⁽¹⁾. ويرى القدال أن أى دراسة تاريخية ما هى إلا موقف اجتماعى، كما أنه يميز بين الانتماء الأيديولوجى لمنهج البحث وإخضاع علم التاريخ للصراع السياسى، يقول القدال: ولكن هناك فرقاً بين الانتماء الأيديولوجى لمنهج من مناهج البحث، وبين إخضاع علم التاريخ لمتطلبات الصراع السياسى بين هذه الفصيلة أو تلك من فصائل الحركة السياسية⁽²⁾. الشاهد أن إخضاع علم التاريخ للصراع السياسى يجعل منه تاريخاً للسلطة حيث تحكم علاقات القوى فى المجتمع. يقول المؤرخ وجيه كوثرانى: إن التاريخ للسلطة وليس للدولة، وبما هى علاقات قوة فى المجتمع، هو تاريخ لطبقات وفئات وأيديولوجيات وأفكار وأساليب تحكم وسيطرة وإخضاع واستتباع. وفى المقابل، هو أيضاً تاريخ لأشكال من الخضوع والتبعية والاستلاب، أو لأشكال من الرفض والممانعة والمقاومة. التاريخ السياسى يصبح وفقاً لهذا المنظور تاريخاً علائقياً للسلطة فى المجتمع وليس تاريخ مؤسسات وسياسات عليا للحكومات وللأحزاب فحسب⁽³⁾.

من المهم الإشارة إلى أن مكى الطيب شببكة (1980-1900) يعتبر رائد المدرسة التاريخية السودانية. وهو أول سودانى منح درجة الدكتوراة. ففى عام 1943 اختير شببكة محاضراً للتاريخ والتربية الوطنية بمدرسة الآداب العليا. وفى عام 1947 ابتعث إلى جامعة لندن، لنيل درجة الدكتوراة فى فلسفة التاريخ تحت إشراف ليلان بنسون أستاذة التاريخ الحديث ومديرة جامعة لندن آنذاك. فى عام 1949 فرغ شببكة من أطروحته، والتى كانت بعنوان: **السودان فى عهد الثورة المهدية 1881-1885**. وفى عام 1955 ترقى شببكة لدرجة الأستاذية، "البروفيسور" وهو أول سودانى يبلغ هذه الدرجة، وفى نفس العام صار عميداً لكلية الآداب ليصبح أول سودانى يتولى عمادة كلية فى جامعة الخرطوم، ثم أصبح أستاذ كرسى التاريخ بجامعة الخرطوم⁽⁴⁾. الشاهد أن الدراسات الأكاديمية، لا سيما التاريخية تطورت ولم تقتصر هذه الدراسات على السودانين وإنما شارك غير السودانين خاصة من البريطانيين الذين ساهموا بنشر الدراسات أو شاركوا فى التدريس بجامعة الخرطوم، أو أشرفوا على الدراسات

(1) جان كلود شميث، مرجع سابق، 437.

(2) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 20.

(3) وجيه كوثرانى، **تاريخ التاريخ: اتجاهات - مدارس - مناهج**، مرجع سابق، 398.

(4) يوسف فضل حسن، **دراسات فى تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب**، ج 2، مرجع سابق، ص 98-99.

الأكاديمية، من أمثال الأستاذة بيتر مالكوم هولت⁽¹⁾ وريتشارد هل⁽²⁾ وج. ن. ساندرسون⁽³⁾ وغيرهم⁽⁴⁾. ولابد من الإشارة لمجلة السودان في رسائل ومدونات Sudan Notes and Records والتي كانت تصدر باللغة الإنجليزية وتتفرد برعاية الحاكم العام لها، وتعنى بنشر أشتات من المعارف عن السودان، تجمع بين البحث العلمي والمذكرة والتعليق مما جمعه موظفو الخدمة المدنية من البريطانيين في البلاد⁽⁵⁾.

(1) بيتر مالكوم هولت Peter Malcolm Holt (1918-2006)، اسم ارتبط تاريخياً بدار الوثائق القومية في السودان. لقد شرعت إدارة الحكم الثنائي (1898-1956) في جمع الأوراق المالية والقضائية وأرشفتها، في نحو عام 1916، ثم تطورت هذه الخطوة في تأسيس مكتب محفوظات السودان عام 1948. ثم أوكلت إدارة مكتب المحفوظات إلى البريطاني هولت. وبعد سودة الوظائف رجع هولت إلى بريطانيا حيث عمل عضواً بهيئة تدريس مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، وفيها نال درجة الدكتوراة في تاريخ الشرق الأوسط الحديث. أعد هولت أبحاثاً في تاريخ السودان والشرق الأوسط، أشهرها: **الدولة المهدية في السودان**، الذي يعدّ واسطة عقد في الدراسات السودانية وأدبيات المهدية تحديداً. وأخيراً توجّ هولت حياته المعاشية بترجمة موثقة حواشيتها، لمخطوطات تاريخ الفونج وطرفاً من التركية السابقة. وبجانب اهتماماته البحثية ظل متابعاً لسيرة **دار الوثائق القومية** إلى أن وافته المنية. المصدر: أحمد أبو شوك، "دار الوثائق القومية السودانية" من الموقع الرسمي للبروفيسر محمد إبراهيم أبو سليم، استرجاع (Retrieved) 2013/1/9، الموقع على الإنترنت: <http://www.abusaleem.net>

(2) ولد ريتشارد هل في إنجلترا وترعرع في نيوزيلندا. التحق بالخدمة في السودان الإنجليزي/ المصري عام 1927 ليعمل في مصلحة سكك حديد السودان حتى عام 1945. دفعه ميله الفطري للدراسات التاريخية أن يهتم بتاريخ السودان، ف قضى جل حياته باحثاً ومنقّباً في تاريخ السودان الحديث عامة، وتاريخ العهد التركي المصري في السودان خاصة. أثرى هل مكتبة تاريخ السودان بعشرة مؤلفات لا غنى عنها لباحث في تاريخ السودان الحديث. كانت: **بيبلوغرافية السودان الإنجليزي/ المصري منذ أقدم العصور إلى عام 1937**، أولى إصدارات هل وقد نشرت في عام 1939، كما نشر في عام 1951 **معجم سير السودان الإنجليزي المصري**، وكان آخر ما نشره في عام 1995 بمعاونة بيتر هوق هو: **فيلق مختار من السود: كتبة المجندين السودانيين المصريين مع الجيش الفرنسي في المكسيك 1863-1867**، والناجون منها في تاريخ أفريقيا اللاحق. ولعل أهم مؤلفاته هو: **مصر في السودان**، الذي صدر عام 1959. في عام 1945 التحق هل بمدرسة الآداب بالمدارس العليا، والتي سبقت قيام كلية الخرطوم الجامعية، محاضراً في التاريخ. وفي عام 1949 انتقل إلى جامعة درم Durham بإنجلترا محاضراً أولاً في تاريخ الشرق الأوسط. وقام في عقد الخمسينيات بتأسيس إرشيف السودان بجامعة درم. وهو الآن مقصد الدارسين والباحثين في تاريخ السودان. المصدر: يوسف فضل حسن، "ريتشارد هل مؤرخ العهد التركي المصري في السودان"، حواش على متون: علماء ومؤرخون ومفكرون في تاريخ إفريقيا والسودان، مرجع سابق، ص 69-80.

(3) عمل محاضراً بجامعة الخرطوم. كان أول مدير لشعبة أبحاث السودان والتي تطورت إلى معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم. كان أستاذاً للتاريخ بجامعة لندن.

(4) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 16-17.

(5) يوسف فضل حسن، حواش على متون: علماء ومؤرخون ومفكرون في تاريخ أفريقيا والسودان، مرجع سابق، ص 70.

إلى أى مدى حافظت الأكاديمية السودانية لا سيما الدراسات التاريخية على التقاليد الأكاديمية الرصينة الموروثة من البريطانيين؟ وإلى أى مدى عملت الدراسات الأكاديمية على تقديم الوثيقة واستنطاقها؟ وإلى أى مدى حافظت على المنهج الصارم، الذى أخذت به فى بداياتها، فى تحقيق الوثائق؟ سأحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال قراءة بعض النماذج من الكتب المنشورة فى مجال تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السودان السياسى، لأقف على كيفية معالجتها لموضوع الأستاذ محمود ودوره فى الحركة الوطنية وفى تاريخ السودان السياسى، ونماذج من كتب أخرى تناولت مجالات علمية غير تاريخ الحركة الوطنية.

قراءة فى كتب تاريخ الحركة الوطنية وكتب أخرى

وما يحمله إلينا التاريخ هو علاقات القوة وليس علاقات المعنى، إنه يحمل إلينا صورة الحرب وليس صورة اللغة⁽¹⁾.

جورج لارين

أصدر هذه النماذج التى سأقف عليها فى هذا المحور مثقفون، منهم المؤرخون المتخصصون ومنهم غير المؤرخين، هذا فيما يتعلق بكتب تاريخ الحركة الوطنية. أما النوع الثانى من النماذج فهو فى مجالات مختلفة، منها ما هو فى مجال السياسة، والفكر... إلخ. وهى مجالات كان للأستاذ محمود فيها إسهامات باكرة ومنشورة. وقد أصدر هذا النوع من الكتب بعض المثقفين المتخصصين فى تلك المجالات، وكان غرضى من تناول هذا النوع هو محاولة الوقوف على كيفية معالجة المثقفين لإسهامات الأستاذ محمود فى المجال الذى يكتبون فيه. تجدر الإشارة إلى أن العناوين الجانبية أدناه هى عناوين الكتب التى تمثل نماذج دراسية، فكل عنوان جانبى هو عنوان كتاب.

كتاب: الحركة الوطنية فى السودان⁽²⁾

وضع هذا الكتاب الأستاذ إبراهيم المفتى (1908-1983)، وقدم له السيد إسماعيل

(1) جورج لارين، الإيديولوجيا والهوية الثقافية: الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة: فريال حسن خليفة، ط1، مكتبة مدبولي، 2002، ص 20.

(2) إبراهيم المفتى، الحركة الوطنية فى السودان، مكتبة البازار السودانى، الخرطوم، 1947.

الأزهري (1900-1969). فى الأصل كان الكتاب عبارة عن محاضرة قدمها السيد المفتى فى الإسكندرية، ثم تم إعداد المحاضرة لتكون كتاباً. وصف الأزهري الكتاب فى تقديمه بأنه: "بحث عن (الحركة الوطنية فى السودان) وضعه الأستاذ إبراهيم المفتى المحامى". وأشار الأزهري إلى أن الكتاب يغبى: "الباحث عن كثير من المشقة والتنقيب". طبع الكتاب فى بيروت عام 1947. يقع الكتاب فى (44) صفحة، وتناول موضوع الحركة الوطنية فى السودان من خلال سبعة فصول أو محاور بعد الإهداء والتقديم، وجاءت على النحو التالى: "نشأة الحركة الوطنية فى السودان"، و"ثورة 1919"، و"ثورة 1924"، و"معاهدة 1936 والحركة الوطنية الحديثة"، و"مؤتمر الخريجين العام"، و"تكوين الأحزاب"، وآخر الفصول هو "وفد السودان". على الرغم من أن الكتاب يعد مع كتاب أحمد خير المحامى: كفاح جيل، أول كتابين صدرا بعد نشأة الأحزاب السودانية بل صدرا فى عشية تكوين الأحزاب، إذ صدر الكتابان عام 1947 وكانت نشأة الأحزاب السودانية فى الأعوام 1944-1945.

تحدث إبراهيم المفتى فى كتابه عن نشأة الأحزاب تحت عنوان: "تكوين الأحزاب"، وأشار إلى حزب الأشقاء، وحزب الاتحاديين، وحزب الأحرار الاتحاديين، وحزب الأحرار، وحزب القوميين، وحزب وحدة وادى النيل، وحزب الأمة. بينما أغفل الكتاب الحزب الجمهورى تماماً، ولم ترد أى إشارة إليه. تحدث الكتاب عن الموقف من مصر، إذ كتب المفتى قائلاً: "ولما كانت جميع أحزاب السودان ما عدا حزب الأمة الأنف الذكر تطالب بقيام حكومة سودانية ديمقراطية فى اتحاد مع مصر..."⁽¹⁾. وأشار المفتى إلى الاتفاق الذى تم بمدينة القاهرة فى يوم الجمعة 17 مايو 1946 "بين وفد السودان والهيئات الشعبية المصرية على ميثاق وطنى يقطعونه على أنفسهم وهيئاتهم ويعاهدون عليه الله والوطن والملك لكى يعملوا جميعاً يداً واحدة فى كفاح مشترك حتى يأذن الله بتحقيقه"⁽²⁾. إن القول بأن جميع الأحزاب تطالب بقيام حكومة فى اتحاد مع مصر ما عدا حزب الأمة، لا يستقيم مع الوقائع التاريخية والشواهد الموثقة، فالحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود نشأ عام 1945 وكان أول حزب ينادى بالنظام الجمهورى مع الاستقلال التام من مصر وبريطانيا، بل كان الصوت الأقوى فى مناهضة الاتحاد مع مصر أو التاج البريطانى.

(1) المرجع السابق، ص 38.

(2) المرجع السابق، ص 42-43.

ولا يستقيم ما ورد في كتاب السيد إبراهيم المفتى مع ما أورده أحمد خير المحامى في كتابه: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان**⁽¹⁾، الذى صدر فى نفس العام وأفرد أحمد عنواناً جانبياً لا تخطئه العين، كما ورد آنفاً، وتحدث فيه عن الحزب الجمهورى ورئيسه وأعضائه وتناول موقف الحزب من مصر وبريطانيا.

الشاهد؛ يبدو أننا فى السودان نعيش أزمة باكرة فى مسألة التوثيق والتأريخ. لقد أغفل السيد إبراهيم المفتى الإشارة للحزب الجمهورى، وهو يتحدث عن تكوين الأحزاب السودانية، وقد كان الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى وقتئذ مسجوناً فى سجن المستعمر حينما طبع الكتاب. إن هذا الإغفال للحزب الجمهورى ولسجن رئيسه الأستاذ محمود والذى كان بسبب ثورة تستحق الإشارة وهى ثورة رفاعة التى قامت عام 1946، إن هذا الإغفال يعبر بقوة عن أزمة حقيقية فى مسألة التوثيق والتأريخ، وتحتاج منا للبحث والتتقيب، إذ لم تقف الأزمة عند طلائع المتعلمين، وإنما أصبحت معطى أساسياً فى الإرث السياسى والفكرى فى السودان.

كتاب: **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان (1900-1969)**⁽²⁾

أصدر هذا الكتاب محمد عمر بشير، ويعتبر من أهم الكتب الباكورة فى تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، وتكاد لا تخلو دراسة عن الحركة الوطنية أو عن تاريخ السودان السياسى من الإشارة إليه. يقع الكتاب فى (295) صفحة، ويتهيكل فى اثنى عشر باباً، تناول الباب الأول: "الجزور التاريخية للسودان الحديث"، والباب الثانى: "منذ مطلع القرن حتى الحرب العالمية الأولى 1900-1914"، والباب الثالث: "المقاومة الأولى". وتحدث الباب الرابع عن: "إرهاصات الثورة"، والباب الخامس عن: "ثورة 1924". ووقف الباب السادس على: "ما بعد ثورة 1924"، والباب السابع على: "الوطنية الجديدة"، والباب الثامن على: "المهدية الجديدة". ودرس الباب التاسع: "مؤتمر الخريجين"، والباب العاشر: "الحركة الوطنية والتطورات الدستورية 1942-1956"، والباب الحادى عشر: "الأحزاب والنقابات

(1) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان**، مصدر سابق، ص 95، 96.

(2) محمد عمر بشير، **تاريخ الحركة الوطنية فى السودان (1900-1969)**، مرجع سابق.

واتحاد الطلاب 1946-1956، وخلص الباب الثاني عشر إلى: "عود على بدء وخاتمة".

برغم ما اتسم به الكتاب من شمول فى تناول، إذ أنه غطى فترة طويلة هى سبعة عقود، وقف خلالها على أهم الأحداث فى تاريخ الحركة الوطنية السودانية، فإنه لا توجد أى إشارة لثورة رفاة والتي قامت عام 1946، وسجن بسببها قائدها الأستاذ محمود وسجن معه آخرون. أكثر من ذلك فإن الكتاب قد تحدث عن تكوين الأحزاب السودانية وتوجهاتها، وأشار إلى أصغر الأحزاب، ما عدا الحزب الجمهورى، فلم ترد أى إشارة إليه. فقد أشار الكتاب إلى "تكوين الحزبين السياسيين الأشقاء والأمة فى عامى 1944 و1945 على التوالي"⁽¹⁾، وتحدث عن حزب الإتحاديين، وحزب الأحرار الإتحاديين، وحزب وادى النيل، وتناول الخطوط العريضة لمبادئها وتوجهاتها. ثم وقف عند الأحزاب التى أيدت الاستقلال وتحدث عن حزب الوطن والحزب الجمهورى الاشتراكى. أشار محمد عمر بشير إلى أن سياسة الحزب الجمهورى الاشتراكى كانت: "قائمة على التعاون مع الإدارة البريطانية بالنسبة للتطورات الدستورية... وانتهى نشاطه فى عام 1953"⁽²⁾. وتناول اندماج أحزاب الأشقاء والإتحاديين والأحرار الإتحاديين ووحدة وادى النيل فى حزب واحد هو الحزب الوطنى الإتحادى بزعامة الرئيس إسماعيل الأزهرى. وتحدث عن تكوين حزب الاستقلال الجمهورى عام 1954. وتناول نشأة حزب الشعب الديمقراطى عام 1956 الذى قام على سند طائفة الختمية، برئاسة الشيخ على عبدالرحمن الأمين، ثم اندمج الحزب مع الحزب الوطنى الإتحادى فى عام 1965، وتم تكوين الحزب الإتحادى الديمقراطى، برئاسة إسماعيل الأزهرى، وأصبح الشيخ على عبدالرحمن الأمين نائباً للرئيس⁽³⁾.

كما تناول محمد عمر بشير حزب الأحرار الجنوبيين الذى نشأ عام 1953 وكان أكبر الأحزاب الجنوبية. وحزب الاتحاد السودانى الأفريقى برئاسة وليم دينق (1968-???)، وجبهة الجنوب، وحزب الوحدة السودانى. كما أشار إلى الأحزاب السياسية الأخرى فى الجنوب وقال عنها: "فلم تعد أن تكون تجمعات سياسية صغيرة دون سند شعبى"⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، ص 239.

(2) المرجع السابق، ص 240.

(3) المرجع السابق، ص 240.

(4) المرجع السابق، ص 214.

وأشار إلى حزب السلام، والحزب الديمقراطي الجنوبي، وحزب النيل. ثم تناول جماعة الإخوان المسلمين والحزب الشيوعي السوداني، وكتب قائلاً: "والمنظمتان الكبيرتان اللتانظهرتا على المسرح السياسى السودانى قبل 1946 وأصبحتا ذات نشاط فى مجرى السياسة السودانية هما جماعة الإخوان المسلمين والحزب الشيوعي السودانى"⁽¹⁾. وتناولهما بالحديث مفصلاً فى نشأتهما وأهدافهما وتطورهما. وأشار إلى دور الطلاب فى تأسيس جماعة الإخوان المسلمين فى السودان والتي كانت امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين بمصر، ثم تتبع تطور الجماعة فى السودان. كما أشار إلى أن "تأسيس الحزب الشيوعي السودانى لأول مرة بأمدرمان فى أغسطس 1945 من لفيف من المتعلمين السودانيين الذين قرروا تكوين الجبهة السودانية للتحرر الوطنى، وأشار إلى أنها كانت امتداداً لمنظمة مصرية ماثلة هى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى"⁽²⁾. كما أشار إلى حزب الجبهة المعادية للاستعمار الذى شكل عام 1953، والذي أضحى الممثل العام للحزب الشيوعي⁽³⁾.

الشاهد أنه على الرغم من أن محمد عمر بشير تناول تكوين الأحزاب السودانية وأشار إلى أصغر الأحزاب وإلى أقلها سنداً شعبياً، غير أنه لم يورد مجرد إشارة للحزب الجمهورى، دعك من حديث عن نضاله وأعضائه، والسجن الأول لرئيسه والثانى وبعض أعضائه بسبب الثورة التى قادها الأستاذ محمود بمدينة رفاعة عام 1946.

الامبريالية والقومية فى السودان: دراسة للتطور الدستورى والسياسى فى السودان (1899-1956)⁽⁴⁾

مؤلف هذا الكتاب هو مدثر عبد الرحيم. فى الأصل صدر الكتاب باللغة الإنجليزية عن دار جامعة أكسفورد للنشر عام 1969⁽⁵⁾، ثم نقله مؤلفه إلى اللغة العربية ونشرته دار النهار للنشر عام 1971. يقع الكتاب فى مائتين وسبع وسبعين صفحة من القطع المتوسط. تهيكـل

(1) المرجع السابق، ص 241.

(2) المرجع السابق، ص 242.

(3) المرجع السابق، ص 245.

(4) مدثر عبد الرحيم، الامبريالية والقومية فى السودان: دراسة للتطور الدستورى والسياسى فى السودان (1899-1956)، دار النهار للنشر، بيروت، 1971.

(5) Muddathir Abd Al- Rahim, *Imperialism and Nationalism in the Sudan*, Oxford University Press, 1969.

الكتاب فى قسمين وتضمنا ثمانية فصول إلى جانب مقدمة والهوامش والملاحق وقائمة بمراجعها. فبعد مقدمة جاءت بعنوان: "السودان والسودانيون"، وقف الكتاب فى القسم الأول: "المعاهدة البريطانية- المصرية والإدارة حتى 1936"، على: "الاطار السياسى لإتفاقية 1899 الأنكلو- مصرية، وبنود الإتفاقية، وتطور الإدارة حتى 1936. وجاء القسم الثانى تحت عنوان: "الطريق نحو الاستقلال"، وتناول يقظة القومية السودانية، فوقف عند المقاومة، وتأثير الحرب العالمية الأولى، وثورة 1924 وما ترتب على إخمادها من إجراءات وما خلفته من آثار. كما درس مؤتمر الخريجين: نشأته، وتطوره، وانفراطه، وتكوين المجلس الاستشارى ومهامه وموقف الأحزاب والقادة منه... إلخ، كما درس الجمعية التشريعية فتناول: مؤتمر السودان الإدارى، التخلّى عن السياسة الجنوبية، ووضع الدستور الجديد، ونحو الحكم الذاتى: صراع الأحزاب والسياسات، ونحو الحكم الذاتى: لجنة الدستور وإلغاء الاتفاق، ونظام الحكم الذاتى: مخططات تمهيدية، مناقشات دبلوماسية، ووضع الحكومة المحلية، وتحت انتقال لسلطة عالج اتفاقيتى 1952 و 1953.

من الملاحظات المهمة والتى يتفق فيها هذا الكتاب مع معظم كتب المؤرخين والدارسين لتطور السياسى وتطور الحركة الوطنية فى السودان، أنه لم ترد إشارة للحزب الجمهورى ونضاله برئاسة الأستاذ محمود محمد طه. فقد وردت الإشارة إلى حزب الأمة وحزب الأشقاء والاتحاديين والحزب الوطنى الاتحادى، وحزب الشعب الديمقراطى، والحزب الجمهورى الاشتراكى، وحزب الاستقلال الجمهورى، والحزب الشيوعى السودانى، والإخوان المسلمين. ولم ترد إشارة للحزب الجمهورى. وبرغم أن الكتاب درس تأسيس المجلس الاستشارى للسودان الشمالى فى عام 1943، والتشريع المؤيد له وأعضاءه ومناقشاته وقراراته والقضايا التى تداول حولها، وموقف الأحزاب والزعماء منه... إلخ، وبرغم أن أهم المسائل التى تدارسها المجلس كانت هى مسألة الخفاض الفرعونى. وقد أصد مجلس الاستشارى قانون الخفاض الفرعونى فى ديسمبر 1945، وكما خرج منه الإعلان عن تعديل القانون لسنة 1946، والذى جاء تحت عنوان: "الخفاض غير المشروع، قانون عقوبات السودان وقانون التحقيق الجنائى، قانون نمرة 3 سنة 1946"، وقد ورد ذلك مفصلاً فى الفصل الخامس من هذا الكتاب. وتنتج عن صدور هذا القانون وتعديله ثورة

رفاعة التي قادها الأستاذ محمود، كما وردت الإشارة كذلك في الفصل الخامس من هذا الكتاب. وبرغم أن الكتاب أشار إلى مناقشة المجلس الاستشاري لمسألة انخفاض الفرعوني، كتب مدثر عبد الرحيم قائلاً: "من المناقشات الاثنتين والعشرين التي دارت في اثناء الجلسات الثماني التي عقدها المجلس الاستشاري، كان ما أثار أعظم موجة من الاهتمام العام، المناقشتان اللتان كرستا لموضوع ختان الإناث"⁽¹⁾. وأضاف مدثر عبد الرحيم قائلاً: "ويظهر أن تلبية لرأى كان قد أبداه الحاكم العام مفاده أن الوقت قد حان للتخلي نهائياً عن هذه العادة، قرر المجلس الاستشاري، وهو بالذات هيئة أغليبتها من المحافظين، أن يتولى قيادة البلد في اتجاه ثورة اجتماعية جذرية"⁽²⁾. الشاهد أنه لم ترد إشارة لما أصدره الأستاذ محمود من بيانات، ولم ترد إشارة لسجته مرتين بسبب صدور هذا القانون وقيادته لثورة رفاعة.

الشاهد أن جل مؤرخي السودان، كما ورد آنفاً، لم ترد إشارة عندهم لثورة رفاعة، كما الحال عند مدثر عبد الرحيم، أشار إلى ما حدث في رفاعة ولكنه لم يتناوله تحت عنوان الثورة كما لم ترد إشارة للأستاذ محمود. وكما الحال عند جل المؤرخين، فقد استخدموا في تسميتهم لما حدث في رفاعة عنواناً ولافتة غير الثورة. فقد أخذ بعضهم، مثلما جاء عند أهل الصحافة آنئذ، بوجهة نظر المستعمر فسموا ما حدث في رفاعة بأحداث الشغب في رفاعة، واطلق بعض المؤرخين على ما حدث في رفاعة بالصدام بين المواطنين والشرطة أو أحداث رفاعة. أشار مدثر عبد الرحيم وهو يتحدث عن ردة الفعل لصدور قانون انخفاض الفرعوني، لما حدث في رفاعة قائلاً: "ووقع على الأقل في بلدة واحدة وهي رفاعة اصطدام خطير بين المتظاهرين والشرطة"⁽³⁾. الشاهد أنه لم ترد إشارة للأستاذ محمود. من المهم الإشارة إلى أن مدثر عبد الرحيم عبر في موقفه من محاربة عادة انخفاض الفرعوني عن رأى يتفق إلى حد كبير مع رأى الأستاذ محمود. فقد كتب مدثر عبد الرحيم قائلاً: "على أن محاولة القضاء على هذه العادة العميقة الجذور بإجراء تشريعي قد دلت - كما كان متظراً - على أنها غير مجدية، وانتجت أثراً عكسياً. لأنه كما ذكر ميرغني حمزة في المجلس صار الختان الفرعوني يمارس بصورة شاملة حتى على البنات في الثانية أو الثالثة من أعمارهن حالما عرف أن ذلك التشريع قيد الدرس،

(1) مدثر عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 134-135.

(2) المرجع السابق، ص 135.

(3) المرجع السابق، ص 135.

وبلغ الذروة بعد أن وافق المجلس على القرار⁽¹⁾. وأضاف قائلاً وهو يستعرض ما ذكره ميرغنى حمزة، قائلاً: ثم إن غيرة المجلس الاستشارى غير الرشيدة على إجراء اصلاح اجتماعى أصبحت سياسياً سلاحاً جديداً فى أيدى خصومة الذين استشهدوا بقول السيد على الميرغنى بأن الختان الفرعونى، كغيره من العادات، سيزول حتماً مع انتشار التعليم والوعى العام⁽²⁾.

كتاب: الإدارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان 1919-1939⁽³⁾

حدد مؤلف الكتاب جعفر محمد على بخيت (1930-1979) الإطار الزمنى لكتابه ليمتد ما بين عام 1919 و1939، وبهذا فهو خارج عن الفترة التى يشملها تناول فى هذا الفصل. بيد أن الكتاب فى خاتمه فى الباب العاشر تجاوز إطاره الزمنى، فقد كتب جعفر قائلاً: "ومنذ عام 1940 كانت هنالك دلائل أكثر فأكثر على أن الخريجين الوطنيين بتطلعاتهم الحديثة العلمية، قد ارتبطوا بالحركات الدينية السياسية التى كان يمثلها السيدان الكبيران مع ما لهما من سلطة تقليدية واسعة وتنظيم دينى قبلى"⁽⁴⁾. كما قدم إشارات عن الأحزاب وتكوين بعضها، فأشار إلى حزب الأمة، وحزب الأشقاء بقيادة إسماعيل الأزهرى، وحزب الاتحاديين، وحزب وادى النيل الذى ترأسه الدرديرى أحمد إسماعيل (1903-1980). وأشار إلى الخريجين "الأكثر اعتدالاً ومحافظه، الذين ظلوا على اعتقاد بحسن نوايا البريطانيين وفائدة التقدم التدريجى صوب الاستقلال تحت رعايتهم وإشرافهم"⁽⁵⁾. كما أشار قائلاً: "الاتحاديون راغبون أيضاً فى الاتحاد مع مصر، على أن يكون للسودان وضع قانونى خاص مماثل لما لأستراليا أو كندا بالنسبة لبريطانيا"⁽⁶⁾. ولم ترد إشارة للحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود محمود محمد طه أو رؤيته السياسية والتى كانت تختلف عن رؤية الاتحاديين والاستقلاليين.

(1) المرجع السابق، ص 135.

(2) مدثر عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 135.

(3) جعفر محمد على بخيت، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان 1919-1939، ترجمة هنرى رياض، ط 1، دار الثقافة، بيروت/ مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1972.

(4) المرجع السابق، ص 309.

(5) المرجع السابق، ص 311.

(6) المرجع السابق، ص 311.

كتاب : مؤتمر الخريجين وتطور الحركة الوطنية في السودان⁽¹⁾

وصف أحمد إبراهيم دياب مؤلف هذا الكتاب، طبيعة كتابه وتحدث عن دافعه لكتابته، فكتب في المقدمة قائلاً: "ليس هذا عرضاً تاريخياً للأحداث السياسية التي سادت الفترة بين 1938 و1953 في السودان، ولكنها دراسة تحليلية وثائقية للأحداث السياسية في هذه الفترة، تلك الأحداث التي أثرت في مصير السودان وكانت لها آثار بعيدة المدى في العلاقات المصرية السودانية وفي تاريخ القارة الإفريقية". وعن دافعه لتأليف الكتاب كتب دياب قائلاً: "ودفعني إلى البحث في موضوع مؤتمر الخريجين والحركة الوطنية في السودان من 1938 إلى 1953 عدة عوامل منها أن هذه الفترة التي شملها هذا البحث في نظري هي أدق فترات السودان المعاصرة في بنائه بل هي ثمرة تاريخه القديم والحديث ومنازة تاريخه المعاصر وأحداثه الجارية". ثم يلفت دياب انتباهنا لأمر هو في غاية الأهمية والخطورة بل مثل عندي أحد الدوافع لتأليف هذا الكتاب، حيث أشار دياب قائلاً: "وطمس الحقائق التي صاحبت هذه الفترة أثر على مسيرة واستقرار السودان"⁽²⁾. هنا يؤكد دياب صحة زعمي في هذا الكتاب، وهو أن طمس الحقائق طال تاريخ السودان ومجموعاته، وبالفعل أثر هذا الطمس على مسيرة واستقرار السودان، بل تحكم في مستقبله، الذي نعيشه اليوم. وفي تقديري أن طمس الحقائق بشأن نضال الأستاذ محمود ودوره في الحركة الوطنية كان من أقوى نماذج الطمس. فإلى أي مدى كان طمس الحقائق؟ وما هي أسباب ذلك الطمس؟ وكيف السبيل لتصحيح ذلك الطمس للحقائق؟ في تقديري أنه لا بد من إعمال الحس النقدي ليس لما هو بين أيدينا من كتب ودراسات فحسب؛ وإنما نقد النوعات والعناوين التي وسمت بها الأحداث والوقائع، ونقد المفاهيم التي سادت بشأن تلك العناوين، وفي هذا لا بد من نقد مصادر الدراسات السودانية.

يقع كتاب دياب في (379) صفحة من القطع الصغير. ويتكون الكتاب من تمهيد وعشرة فصول وخاتمة، إلى جانب مقدمة الناشر ومقدمة المؤلف وقائمة الملاحق ومصادر البحث. وقف تمهيد الكتاب على: "حالة السودان الاجتماعية والسياسية من 1925

(1) أحمد إبراهيم دياب، مؤتمر الخريجين وتطور الحركة الوطنية في السودان، الدار العربية، القاهرة، 2006.

(2) المرجع السابق، ص 7.

إلى 1936، كما تناول الفصل الأول: "نشأة مؤتمر الخريجين"، والفصل الثانى: "نشاط مؤتمر الخريجين فى الحقلين الاجتماعى والتعليمى"، والفصل الثالث: "دور مؤتمر الخريجين فى بعث الحركة الوطنية وتطورها". ودرس الفصل الرابع: "موقف مؤتمر الخريجين من المجلس الاستشارى ومؤتمر إدارة السودان"، والفصل الخامس: "مؤتمر الخريجين والجمعية التشريعية"، والفصل السادس: "نشأة الأحزاب الاتحادية". ووقف الفصل السابع على: "نشأة الأحزاب الاستقلالية: حزب الأمة، الحزب الجمهورى الاشتراكى، حزب القوميين، والجهة المعادية للاستعمار"، ووقف الفصل الثامن على: "الحركة الوطنية ومبدأ تقرير المصير"، وتناول الفصل التاسع: "موقف الأحزاب المصرية من المسألة السودانية 1946-1952"، والفصل العاشر: "ثورة 23 يوليو فى مصر ودورها فى استقلال السودان"، ثم جاءت الخاتمة.

تحدث دياب عن نشأة الأحزاب حديثاً موسعاً. فقد وقف عند تواريخ نشأتها ومبادئها وأهدافها، ودرس برامجها وناقش الظروف التى أحاطت بقيام كل حزب منها. تناول أولاً الأحزاب الاتحادية: حزب الأشقاء وحزب الاتحاديين وحزب الأحرار الاتحاديين وحزب وحدة وادى النيل وجماعة الإخوان المسلمين. ثم تناول الأحزاب الاستقلالية: حزب الأمة، وحزب القوميين، والحزب الجمهورى الاشتراكى، والجهة المعادية للاستعمار. ولم يكن من بين هذه الأحزاب الحزب الجمهورى. وفى قائمة الملاحق التى تضمنت خريطة بيانية توضح مكونات مؤتمر الخريجين والأحزاب السياسية التى خرجت منه، أشار دياب لخمسة عشر حزباً مع تواريخ نشأتها⁽¹⁾. ولم يكن كذلك من بينها الحزب الجمهورى. وقد تحدث دياب عن قضايا عديدة كان للحزب الجمهورى حضور قوى فيها: منها الجهة الاستقلالية الأولى عام 1946 والجهة الاستقلالية الثانية وغيرها. بل ذهب دياب فى حديثه عن الأحزاب أبعد من التناول للأحزاب الاتحادية والاستقلالية، وأشار لأحزاب ينذر أن نجد بعضها فى كتب مؤرخى الحركة الوطنية، فقد كتب دياب قائلاً: "وغير هذه الأحزاب الاتحادية والاستقلالية التى سيتناول البحث نشأتها، فقد ظهرت أحزاب عدة غيرها مثل: (حزب الوجيعة)؛ و(حزب السبعة) الذى كونه أبناء الخليفة عبدالله التعايشى؛ و(حزب

(1) المرجع السابق، ص 361.

الزنج) الذى كونه عثمان متولى و(حزب الوطن) الذى كونه الشريف عبدالرحمن الهنـدى بن الشريف يوسف الهنـدى⁽¹⁾. ولا شك أن هناك إشارات لحزب الوطن فى العديد من كتب الحركة الوطنية. كمثلـه من كتب تاريخ الحركة الوطنية، غنى عن القول أنه لم ترد إشارة لثورة رفاة 1946 ولم ترد إشارة لسجنى الأستاذ محمود قائد ثورة رفاة ورئيس الحزب الجمهورى.

أيضاً كان موضوع العلاقات بين السودانين والحكومات المصرية أحد محاور بحث دياب، فقد كتب قائلاً:

لما كان موضوع البحث يتضمن أحداث السودان فى الفترة من 1938 إلى 1953 فإن جل هذه الأحداث تدور على أربعة محاور: محور العلاقات بين السودانين فيما بينهم ومحور العلاقات بين السودانين والحكومات المصرية ومحور العلاقات بين السودانين ممثلين فى مؤتمر الخريجين وأحزابه والإدارة البريطانية فى السودان ومحور العلاقات بين الحكومة المصرية والإدارة البريطانية⁽²⁾.

كان موضوع العلاقات السودانية المصرية موضع اهتمام خاص عند الأستاذ محمود وظلت أدبيات ومنشورات الحزب الجمهورى منذ عام 1945 تتضمن تناولاً للعلاقة مع مصر، ونقداً لمصر الرسمية، فقد أرسل فى يوم 18 أغسطس عام 1952 خطاباً للرئيس محمد نجيب. تناول الخطاب علاقة مصر بالسودان بتوسع. كتب الأستاذ محمود فى خطابه للرئيس محمد نجيب قائلاً:

وشىء آخر، نحب أن نشير إليه، هو علاقة مصر بالسودان، فإنها قامت، ولا تزال تقوم، على فهم سىء... فإن أنت استقبلتها بعقل القوى فتستطيع أن تبرئها مما تسهم به الآن من المظلم المستخفى، والعطف المستعلن، فإن السودانين قوم يؤذيهم أن يطعم طامع فيما يحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، ص 201.

(2) المرجع السابق، ص 347.

(3) محمود محمد طه، "خطاب إلى اللواء محمد نجيب" الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، مصدر سابق، ص 10-12.

كما ورد آنفاً، أرسل الأستاذ محمود خطابين للرئيس جمال عبدالناصر. كان الخطاب الأول فى يوم 3 سبتمبر عام 1955 (أنظر ملحق رقم: "32")، والخطاب الثانى وهو خطاب مطول أرسله الأستاذ محمود فى يوم 18 أغسطس 1958. كما نقد الأستاذ محمود المؤسسات المصرية خاصة الأزهر. كان للأستاذ محمود رؤية خاصة لعلاقة السودان بمصر، وفى سبيل تبين تلك الرؤية فقد نشر عشرات البيانات والمناشير منذ منشور: "لماذا مصر ولماذا بريطانيا؟"، والعديد من المقالات عن العلاقة مع مصر، والمنشورة فى الصحف السودانية خاصة فترة الخمسينيات من القرن الماضى. ومن بينها مثلاً، ما تضمنه البيان الذى ألقاه الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى فى الاجتماع العام للحزب عام 1951، من حديث موسع عن مصر. تحدث الأستاذ محمود عن مواقف المثقفين والأحزاب السياسية من بريطانيا ومصر، قائلاً:

وحركتنا الوطنية الآن مقسومة على نفسها، ففريق يريد تحرير البلاد بالتعاون مع الاستعمار البريطانى وفريق يريد تحرير البلاد بالتعاون مع مصر.. وأما المتعاونون مع مصر فإننا نقرهم على عملهم فى شىء، ونخالفهم فى شىء.. نقرهم على الكفاح ضد الإنجليز، ونخالفهم فى الاتحاد مع مصر، حتى ولو كان الاتحاد فى التاج كرمز فقط.. نحن والمصريون طلاب حرية، وزملاء جهاد وعدونا واحد، هو الاستعمار البريطانى فينبغى أن نتفق على جهاده، وإجلاله، لنكون نحن أحراراً فى بلادنا، وليكونوا هم أحراراً فى بلادهم.. ويجب أن لا ينسينا اجترار العواطف أن للمصريين مطمعاً فى بلادنا⁽¹⁾.

أما بشأن تقرير المصير فإن الحزب الجمهورى قد أصدر العديد من البيانات، كما كتب الأستاذ العديد من المقالات، ومن ذلك بياناً كان بعنوان: "الحزب الجمهورى يوضح وجهة نظره بشأن تقرير المصير"⁽²⁾. كما نشر الحزب فى عام 1958 بياناً بعنوان: "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"، (أنظر ملحق رقم: "34")، تناول فيه العلاقة مع مصر، وجاء فيه:

(1) محمود محمد طه، "البيان الذى ألقاه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى فى الاجتماع العام للحزب"، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، "الحزب الجمهورى يوضح وجهة نظره بشأن تقرير المصير"، (بيان)، صحيفة الاستقلال، 1955/6/23.

لتحسين العلاقة مع مصر يجب تصفية المسائل المعلقة معها فوراً، مثل مياه النيل ومستعمرات الري المصرى فى الشجرة والجبل وملكال وذلك بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم ويجب ألا تترك هذه المسائل معلقة هكذا لأى فترة من الزمن بعد اليوم لأنها هى سبب سوء التفاهم المستمر فإذا ما تمت هذه التسوية فإن علاقتنا بمصر ستقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل⁽¹⁾.

وكذلك تناول الأستاذ محمود الأثر السلبى للتهافت إلى مصر من خلال بيان نشره فى صحيفة أنباء السودان وتناول فيه الموقف الداخلى عام 1958⁽²⁾. وغيرها.

تجدر الإشارة إلى أننى وفى أثناء إعدادى لهذا الكتاب، وقفت على عدد كبير من المناشير والبيانات والمقالات التى نشرها الأستاذ محمود فى الصحف السودانية التى تناول فيها العلاقة مع مصر، منذ النصف الثانى من الأربعينيات، وأدركت بأنها مساهمة ضخمة فى تشخيص طبيعة العلاقة مع مصر، الأمر الذى حدا بى إلى التفكير فى ترتيب تلك المادة بنية إصدار دراسة عنوانها المبدئى هو: قراءة فى تشخيص الأستاذ محمود لطبيعة العلاقات المصرية السودانية ومستقبلها. لقد قطعت شوطاً فى جمع المادة وترتيبها، وآمل أن أتمكن من إنجاز الدراسة بأسرع فرصة ممكنة.

كتاب : لمحات من الحركة الوطنية فى السودان⁽³⁾

أعدَّ هذا الكتاب عبد اللطيف عبدالرحمن، وهو يُعد كما ورد فى التقديم: "من جيل التربويين السودانيين الأوائل"، الذين خدموا "العلم والمعرفة من خلال معهد بخت الرضا وغيره من مؤسسات التعليم فى السودان". يقع الكتاب فى (58) صفحة من القطع الصغير، واستعرض الكتاب كما ورد فى التقديم: "تاريخ الحركة الوطنية خلال العهد الاستعماري الثانى ويبين مراحلها المختلفة، وذلك بمنهج علمى موضوعى اعتمد مؤلفه اعتماداً رئيسياً على الوثائق والمراجع الأساسية"⁽⁴⁾. تتبع تاريخ الحركة الوطنية وتناول بداية

(1) "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"، مصدر سابق.

(2) محمود محمد طه، "بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى"، مصدر سابق.

(3) عبداللطيف عبدالرحمن، لمحات من الحركة الوطنية فى السودان، دار جامعة أمدرمان الإسلامية للطباعة والنشر، شركة الطباعة والنشر للنشئين المحدودة، الخرطوم، 1987.

(4) عبداللطيف عبدالرحمن، مرجع سابق، ص (د).

التعليم الحديث وظهور الخريجين، وتحدث عن بداية نشأة التنظيمات السياسية، ووقف عند الاتحاد السوداني باعتباره أول تنظيم سياسى نشأ عام 1920. وتحدث عن جمعية اللواء الأبيض واستعرض أحداث ثورة 1924 ونتائجها، وتناول معاهدة 1936، وقيام مؤتمر الخريجين. كما وقف عند تكوين المجلس الاستشارى لشمال السودان، ثم الجمعية التشريعية والمجلس الوزارى التنفيذى فى عام 1948، ومؤتمر إدارة السودان ولجنة الدستور. كما تناول تكوين الأحزاب السياسية، وأشار إلى نشأة الأحزاب الاتحادية والأحزاب الاستقلالية. كما تحدث عن الجبهة الاستقلالية. كما تضمنت كتاباته إشارات لأسماء وصور لنحو خمسة عشر من رجال الحركة الوطنية من رؤساء الأحزاب والزعماء من طلائع المتعلمين. لم يرد فى الكتاب ذكر لاسم الأستاذ محمود ولم ترد إشارة للحزب الجمهورى أو حديث عن ثورة رفاعه وما نتج عنها من سجن للأستاذ محمود وبعض أعضاء الحزب الجمهورى. الشاهد أن هذا لم يكن استثناءً، فجل الكتب التى تناولت الحركة الوطنية لا تشير إلى الأستاذ محمود أو حزبه أو نضاله.

كتاب: الحركة الوطنية السودانية ما بين الحربين العالميتين ومؤتمر الخريجين⁽¹⁾

صدر هذا الكتاب ضمن الاحتفال بالعيد الوطنى لمؤتمر الخريجين 1938-1988، تحت عنوان: لجنة الاتصال بالأقاليم والمغتربين على شرف الاحتفالات بالعيد الذهبى لمؤتمر الخريجين تقدم الحركة الوطنية السودانية ما بين الحربين العالميتين ومؤتمر الخريجين، أعده حسن سلامة. يقع الكتاب فى (36) صفحة من القطع الصغير. تناول الكتاب عدة محاور منها: الظروف التى قادت إلى تكوين المؤتمر، والسياسة الاستعمارية ومخططاتها، ودور المؤتمر فى التعليم والحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية، وتناول تكوين الأحزاب السودانية، وأشار إلى حزب الأشقاء وحزب الأحرار "الاتحاديون"، وحزب "الاتحاديون"، وحزب الأمة وغيرها. كما تناول الكتاب جهود مؤتمر الخريجين فى شن الهجوم على سياسات الاستعمار، وتحدث عن حربه للطائفية... إلخ. الشاهد أنه لم تكن هناك إشارة

(1) حسن سلامة (إعداد)، لجنة الاتصال بالأقاليم والمغتربين على شرف الاحتفالات بالعيد الذهبى لمؤتمر الخريجين تقدم الحركة الوطنية السودانية ما بين الحربين العالميتين ومؤتمر الخريجين، لجنة الاحتفالات بالعيد الوطنى لمؤتمر الخريجين 1938-1988، دار الطابع العربى، الخرطوم.

للحزب الجمهورى، برغم أن الكتاب أشار إلى محاربة المؤتمر للخفاض الفرعونى قائلاً إن المؤتمر: "حارب الوسم والخفاض الفرعونى عن طريق التوعية الفكرية التى هدفت إلى توضيح وتميز ما هو مستمد من الشريعة الإسلامية وما هو نابع من عادات وتقاليد لم تعد مسيطرة لظروف المجتمع بل ضارة به"⁽¹⁾. لا أحسب أن هناك حرباً أقوى من تلك التى قادها الحزب الجمهورى برئاسة الحزب الجمهورى وكانت من نتائجها ثورة رفاعة 1946، بيد أننا لا نجد لها إشارة فى هذا الكتاب، وفى جل كتب تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السودان السياسى.

كتاب: الحركة الوطنية السودانية والحزب الاتحادى الديمقراطى⁽²⁾

هذا الكتاب هو فى الأصل - كما تحدث مؤلفه ربيع حسنين السيد فى المقدمة، قائلاً: "كانت هذه السطور التى يعاد نشرها اليوم فى هذا الكتيب بقرار من اللجنة المركزية للاتحادى الديمقراطى بالمملكة المتحدة وأوروبا الموحدة، والتى قدمت كورقة عمل وإحدى وثائق مؤتمر أثينا التاريخى فى أكتوبر 82"⁽³⁾. جاء فى وصف الكتاب ضمن كلمة خاتمة فيه كانت بعنوان: "الكاتب والكتاب"⁽⁴⁾، "إن ما أورده ربيع فى هذا الكتاب هو إفادة تاريخية حية لواقع معاش ملموس بالنسبة له... فالأستاذ ربيع حسنين أهله تجربته الاتحادية الثرية العريضة لأن يصدر هذه الشهادة فى هذا الكتاب. فهو الذى عايش شباب الأشقاء وتجربة الوطنى الاتحادى ومن بعدها تجربة الاتحادى الديمقراطى". من الطبيعى أن يتمحور الكتاب حول الحزب الاتحادى الديمقراطى باعتبار أن ذلك هو الموضوع الأساس. فتناول الكتاب تاريخ الحزب وتطوره. وإلى جانب ذلك تناول الكتاب عديد القضايا منها: ثورة 1924، ومؤتمر الخريجين، ونشأة الأحزاب السياسية، وأبرز مؤسسيها وقادتها. تناول الكتاب نشأة حزب الأمة عام 1945، وحزب الأشقاء (1953-43)، وحزب الاتحاديين، وحزب الأحرار

(1) المرجع السابق، ص 34.

(2) ربيع حسنين السيد، الحركة الوطنية والحزب الاتحادى الديمقراطى 1938-1991، ط 1، (بدون مكان نشر)، 1944.

(3) المرجع السابق، ص 6.

(4) بكرى نعيم، "الكاتب والكتاب"، الحركة الوطنية والحزب الاتحادى الديمقراطى 1938-1981، مرجع سابق، ص 77-79.

الاتحاديين، وحزب وحدة وادي النيل، وحزب القوميين، والحزب الوطني الاتحادي، وحزب الاستقلال الجمهوري، وحزب الشعب الديمقراطي، والحزب الاتحادي الديمقراطي،... إلخ. الشاهد أنه لم ترد إشارة للحزب الجمهوري برغم أن أحد مصادر الكتاب هو كتاب أحمد خير المحامي: كفاح جيل، وكما أوردت آنفاً فإن أحمد خير قد أفرد عنواناً جانبياً لا تخطئه العين للحديث عن الحزب الجمهوري. الشاهد أن جل الكتب التي تتناول تاريخ الحركة الوطنية تتناول تبلورها حول حركتي (الاتحادية والاستقلالية) ولا ترد إشارة عن أطروحة الجمهورية التي كان الحزب الجمهوري أول من طرحها، وهي الخيار الثالث الذي أهمله مؤرخو الحركة الوطنية وكذلك طلائع المتعلمين في كتاباتهم ومذكراتهم فأصبح الإهمال ملازماً حتى تاريخ اليوم للحزب الجمهوري ولل فكرة الجمهورية، كخيار ثالث طرحه الأستاذ محمود منذ عام 1945.

كتاب: الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادي النيل والاستقلال (1919-1956)⁽¹⁾

هذا الكتاب هو أحدث نماذجي من الكتب التي نظرت فيها من كتب تاريخ الحركة الوطنية السودانية. أُلّف الكتاب عبد الوهاب أحمد عبدالرحمن، وصدر في طبعته الأولى عام 2007، في جزئين (كتابين). يقع الجزء الأول في (424) صفحة من القطع المتوسط، ويتكوّن من مقدمة وخمسة فصول وقائمة مراجع جاءت تالية للمقدمة ومحتويات الكتاب. تناول الفصل الأول: "ظهور الحركة الوطنية السودانية"، ودرس الفصل الثاني: "جمود الحركة الوطنية وانتعاش الحركة الأدبية"، وعالج الفصل الثالث: "تجدد الحركة الوطنية السودانية"، ووقف الفصل الرابع عند: "نشأة الأحزاب السياسية وتبلور توجهات ومواقف الحركة الوطنية"، وتناول الفصل الخامس: "الأحزاب السياسية ومحاولة المشاركة والتأثير في سير المفاوضات المصرية- البريطانية بشأن المسألة السودانية". أما الجزء الثاني من الكتاب، فيقع في (486) صفحة من القطع المتوسط، ويتكوّن من خمسة فصول. تناول الفصل الأول: "بريطانيا وتطوير المؤسسات الدستورية السودانية، ومواقف الأحزاب

(1) عبد الوهاب أحمد عبدالرحمن، الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادي النيل والاستقلال (1919-1956)، دراسات في العلاقات السودانية المصرية، رؤية تاريخية، (جزءين)، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2007.

السياسية منها، ودرس الفصل الثانى: "تجذر مواقف الأحزاب السياسية تجاه وحدة وأدى النيل والاستقلال"، ووقف الفصل الثالث عند: "تنازل حكومة الثورة المصرية عن السيادة على السودان واعترافها بحق تقرير المصير"، وعالج الفصل الرابع: "الانتخابات البرلمانية وقيام الحكم الذاتى"، وتناول الفصل الخامس: "المناورات الطائفية والحزبية وإعلان الاستقلال".

كما هو الحال فى معظم كتب تاريخ الحركة الوطنية، فإن القارىء لا يجد إشارة للأستاذ محمود فى قوائم المصادر والمراجع، ولا يجد ذكراً لنضال الأستاذ محمود، والذي وردت الإشارة إليه، سواء فى ثورة رفاعة أو فترتى السجن. وغنى عن القول أن القارىء لا يجد استشهاداً بأراء الأستاذ محمود، أو تناولاً لرؤيته تجاه قضايا السودان، والتي خصص لها الأستاذ محمود بيانات ومقالات عديدة، وكذلك الحال بالنسبة للعلاقات المصرية السودانية، كما وردت الإشارة آنفاً. وقد وقفت على هذه البيانات والمقالات فى دار الوثائق القومية وجلها منشور فى دوريات أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن الماضى. لقد تحدث الكتاب عن نشأة الأحزاب وتناولوا الأحزاب الاتحادية والاستقلالية ولم ترد مجرد إشارة للحزب الجمهورى. برغم أن الكتاب اعتمد فى مراجعه على مصادر ومراجع تناولت الحزب الجمهورى وتحدثت عن نشأته ومبادئه وأهدافه... إلخ، برغم ذلك لم ترد إشارة عن الحزب الجمهورى فى هذا الكتاب. على الرغم من أن المؤلف اعتمد من بين ما اعتمد عليه من مصادر ومراجع، على كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى: كفاح جيل. وكما وردت الإشارة، فإن الأستاذ أحمد خير المحامى تناول فى الفصل الخامس من كتابه، نشأة الأحزاب، فأفرد عنواناً جانبياً⁽¹⁾ للحديث عن الحزب الجمهورى بنفس حجم العناوين الجانبية لأحزاب الأمة والاتحاديين والأشقاء والقوميين... إلخ.

أيضاً، كان من بين المراجع التى اعتمد عليها المؤلف وأشار إليه بتكرار هو كتاب فيصل عبدالرحمن على طه: الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1956). كان فيصل عبد الرحمن على طه قد خصص فصلاً فى كتابه، للحديث عن الحزب الجمهورى، هو الفصل الثامن. تناول فيصل فى ذلك الفصل تأسيس الحزب ومبادئه، وبيانه التأسيسى، ودرّس علاقة الحزب بمؤتمر الخريجين، وموقفه من مصر والأحزاب

(1) أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، مصدر سابق، 95-96.

الاتحادية، وتعاونه مع حزب الأمة والأحزاب الاستقلالية الأخرى، واشتراكه في الجبهة الاستقلالية⁽¹⁾. كتب فيصل قائلاً: "لقد تعاون الحزب الجمهورى مع حزب الأمة وأحزاب استقلالية أخرى في إطار الجبهة الاستقلالية عندما أوقف حزب الأمة التعاون مع حكومة السودان وأعلن الجهاد. وقد عبر الحزب الجمهورى عن ذلك بقوله: "كانت هناك حواجز بيننا وبين حزب الأمة، ولكن عندما أعلن الجهاد ورفض التعاون مع الإنجليز سقطت تلك الحواجز، واشتركنا في الجبهة الاستقلالية"⁽²⁾. كتب فيصل عن نداء الحزب الجمهورى للمصريين قائلاً: "قال الحزب الجمهورى في ندائه للمصريين "لم نفهمكم كما ينبغي أن تفهموا، ولم تفهمونا كما ينبغي أن نفهم. نحن لم نستقل، وأنتم لم تستقلوا والشرق جميعاً لم يستقل. لأننا كلنا آثرنا أن نفكر برغباتنا ومخاوفنا بدل عقولنا ونحن في معترك لعمالة الفكر فيه سلطان ودولة"⁽³⁾. بل استشهد فيصل عبدالرحمن على طه بأراء وأقوال الأستاذ محمود واستعرض مواقفه في العديد من القضايا ليس في هذا الفصل الثامن فحسب؛ وإنما في مواقع عديدة من الكتاب، ففي صفحة (541-542) أورد فيصل رأى الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى عن رأى الحزب فى الوفد الاستقلالى الذى سافر إلى القاهرة بغرض اطلاع الحكومة المصرية على وجهة نظر الحركة الاستقلالية بشأن مسألة السودان ومستقبل العلاقات المصرية - السودانية. سافر الوفد وعقد مفاوضات مع ممثلى الحكومة المصرية، رئيس الوزراء ووزير الخارجية واستمرت المفاوضات لأربع جلسات خلال الفترة ما بين 31 مايو و4 و7 و9 يونيو 1952. كتب فيصل قائلاً: بالرغم من أن الحزب الجمهورى لم يكن ممثلاً فى الوفد الاستقلالى، إلا أن رئيس الحزب الجمهورى محمود محمد طه قال عنه أنه: "أبرز شخصية السودان فى الدوائر المصرية الرسمية والشعبية، ونال إعجاباً أقوى مما ظفرت به حتى الآن أى هيئة، وأنه لفت نظر المصريين إلى ما لم يشاءوا أن يلتفتوا إليه من قبل وهو أن للسودان شخصية يجب أن تحترم"⁽⁴⁾. وغيرها من الاستشهادات والاستعراض لآراء الأستاذ محمود التى أوردها فيصل عبدالرحمن على طه فى كتابه الذى كان واحداً من

(1) فيصل عبدالرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1953)، مرجع سابق، ص 229-232.

(2) المرجع السابق، ص 231.

(3) المرجع السابق، ص 231.

(4) المرجع السابق، ص 241-243.

مراجع عبدالوهاب فى كتابه موضوع دراستى هذه: الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادى النيل والاستقلال (1956-1919).

أما عن العلاقات السودانية المصرية فقد أوردت آنفاً وفى الفصول السابقة، الكثير من إشارات ليانات ومقالات عديدة نشرها الأستاذ محمود، وأشارت للتشخيص الباكر الذى قدمه الأستاذ محمود لطبيعة العلاقة مع مصر وما ينبغى أن تكون عليه فى المستقبل. ولا أحسب أنه يمكن لأى أكاديمى متصل بالمصادر فى مظانها فى دار الوثائق القومية بالخرطوم، أن يتجاوز كتابات الأستاذ محمود. وكما هو الحال فى جل كتب الأكاديميين المتخصصين فى تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ السودان السياسى، فإن الباحث لا يجد ذكراً لثورة رفاة حتى فى الدراسات التى تتناول المجلس الاستشارى لشمال السودان وهو الجهة التى أصدرت قانون الخفاض الفرعونى والذى قامت على إثره ثورة رفاة عام 1946. لقد خصصت فصلاً سابقاً فى كتابى هذا للحديث عن ثورة رفاة - الخفاض الفرعونى، يمكن للقراء الرجوع إليه. لقد تحدث عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن فى كتابه عن المجلس الاستشارى لشمال السودان، وأشار إلى ما تداوله أعضاء المجلس وما وافقوا عليه من موضوعات لا سيما قانون الخفاض ولوائح تعاطى الخمر، وأورد عبدالوهاب ما ذكره أحمد خير قائلاً: "إذ أن هؤلاء الأعضاء قد وافقوا على قانون الخفاض، وهم يعمون علم اليقين أنهم أنفسهم سيخالفونه، لتعارضه مع تقاليد لم تفقد حتى الآن احترامها فى نفوس الكثرة الغالبة"⁽¹⁾. الشاهد أن عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن فى كتابه هذا: الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادى النيل والاستقلال (1956-1919)، لم يكن الوحيد، فإن جل الدارسين للحركة الوطنية يقفون عند قانون الخفاض، ولا يتناولون ثورة رفاة وهى من أهم نتائج قانون الخفاض الفرعونى الذى صدر عن المجلس الاستشارى لشمال السودان.

الشاهد أن الدارس حينما يقف على تغطية الصحف اليومية لثورة رفاة خلال الفترة ما بين 1946 منذ سجن الأستاذ محمود قائد الثورة، وحتى خروج الأستاذ محمود من السجن

(1) عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن، الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادى النيل والاستقلال (1956-1919)، دراسات فى العلاقات السودانية المصرية، رؤية تاريخية، جزء 1، مرجع سابق، ص 281-282.

عام 1948، فإن الباحث يندهش لهذا التغييب والتجاهل والاهمال، هل هذا الأمر يعود إلى رغبة في التغييب والتجاهل والبتير للمعلومات أم أن الأمر يعود إلى الكسل الذهني وضعف اتصالنا بمصادر المعلومات؟ الشاهد أن من بين أغراض كتابي هذا هو الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها كما ورد في المقدمة.

كتاب : السودان، المأزق التاريخي وآفاق المستقبل⁽¹⁾

وصف محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004) كتابه هذا في مقدمته قائلاً: "إنه دراسة تحليلية موثقة لخلفيات التركيب الحضاري والتكوين الجغرافي، السياسي والفكري بداية من القرن السابع قبل الميلاد وإلى ما بعد الإنقاذ انتهاء بعام 1996". كان حاج حمد قد نشر الطبعة الأولى من كتابه في دار الكلمة ببيروت، لبنان عام 1980 في مجلد واحد. غطى المجلد الفترة من 700 ق.م. وحتى العام 1980. ثم صدرت الطبعة الثانية من الكتاب عام 1996 في مجلدين مع بعض الإضافات يقول المؤلف: "ثم إنني قد أضفت إلى أصول مادة الكتاب الأساسية - حيثما تطلّب الأمر - تحذير بعض الموضوعات، ولكن دون أدنى حذف أو تعديل، إذ لم أر ما يوجب ذلك". نشر الكتاب عن المكتب العالمي للدراسات والأبحاث، بجزر الهند الغربية البريطانية. وقامت بتوزيعه دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. غطى المجلد الأول: (جدلية التركيب) الفترة من 700 ق.م. وحتى العام 1956. وغطى المجلد الثاني الفترة من 1956 وإلى 1996. يقع المجلد الأول في (605) صفحات، والمجلد الثاني في (770) صفحة، ليكون مجموع صفحات المجلدين هو 1375 صفحة.

يتكون الكتاب (المجلدان) من مقدمة وتصدير ومدخل واثنين وعشرين فصلاً، وخاتمة جاءت في المجلد الثاني ووسمها المؤلف بـ (تطلع لا خاتمة)، بالإضافة إلى قائمة ملاحق جاءت في المجلد الأول فقط. احتوى المجلد الأول على تسعة فصول، والمجلد الثاني على ثلاثة عشر فصلاً. ففي المجلد الأول، تناول الفصل الأول: "مقدمة التركيب"، والفصل

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المأزق التاريخي وآفاق المستقبل 1956-1996، مجلدان، ط2، مرجع سابق.

الثاني: "المحاكمة الصعبة"، والفصل الثالث: "مراجعات وتقييم"، ودرس الفصل الرابع: "بريطانيا والقوى الثلاث"، والفصل الخامس: "المثقف الراض والحوار المتشعب". ووقف الفصل السادس عند: "متغيرات ما بعد ثورة 1924"، وعالج الفصل السابع: "متغيرات ما بعد 1936، وتناول الفصل الثامن: "عودة الأخ دينج"، والفصل التاسع: "الوحدة وجدلية التركيب" أما المجلد الثاني فقد احتوى على الفصول من العاشر إلى ما بعده. تناول الفصل العاشر: "جيل الاستقلال ومهمات المرحلة"، والفصل الحادى عشر: "السودان بين الوسط التقليدى والقوى الديمقراطية"، ودرس الفصل الثانى عشر ما أسماه المؤلف بـ: "التركيب والمركية"، والفصل الثالث عشر: "مسألة حلايب والتقاء الوسط وانقلاب عبود"، والفصل الرابع عشر: "باتجاه أكتوبر 1964". وتناول الفصل الخامس عشر: "الأزمة التاريخية ومشكلات البديل"، والفصل السادس عشر: "الطريق إلى مايو"، والفصل السابع عشر: "الصفوة والمصالحة واللاهوت"، والفصل الثامن عشر: "إلى أين يتجه قرنق؟"، ووقف الفصل التاسع عشر على: "الديمقراطية الثالثة - 1986 - 1989 - تكرار الأخطاء"، وتناول الفصل العشرون: "البشير وإمارة الغلبة"، والفصل الحادى والعشرون: "المعارضة السودانية ومؤتمر أسمر - المتاهة الكبرى، وجاء الفصل الاثنان والعشرون بعنوان: "هل إلى خروج من سبيل؟"، وتبعته خاتمة بعنوان: "تطلّع على خاتمة".

الشاهد أن محمد أبو القاسم حاج حمد تجاهل الأستاذ محمود تماماً وأغفل الإشارة لدوره فى تطور الحركة الوطنية وفى النضال السياسى، ولم يشر إلى الحزب الجمهورى. فحينما أصدر حاج حمد كتابه هذا، فى طبعته الأولى عام 1980، فى مجلد واحد، أظهر فيه تجاهلاً متعمداً للأستاذ محمود، وأغفله إغفالاً تاماً. وحينما كتب المجلد الثانى وأصدر الطبعة الثانية من كتابه عام 1996، فى مجلدين، أظهر فوق التجاهل المتعمد والإغفال المغرض عداءً فارق معه العلمية فى تناول والحياد المتوقع من باحث يزعم أنه يتبع المنهج العلمى. تجاهل إسهام الأستاذ محمود ودوره النضالى الثابت فى كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى الذى يُعتبر العمدة فى تاريخ الوطنية السودانية. فقد تحدث محمد أبو القاسم فى كتابه عن نشأة الأحزاب السياسية، وكان من أهم مصادره عن نشأة الأحزاب، كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى: كفاح جيل.

كان الأستاذ أحمد خير المحامى قد تحدث عن نشأة الحزب الجمهورى من خلال عنوان جانبى لا تخطئه العين، جنباً إلى جنب مع بقية الأحزاب، كما ورد آنفاً. وعلى الرغم من ذلك فقد تحدث الأستاذ محمد أبو القاسم فى كتابه عن كل الأحزاب⁽¹⁾. التى وردت فى كتاب أحمد خير المحامى عدا الحزب الجمهورى، فلم ترد أى إشارة إلى نشأته أو إشارة إلى رئيسه الأستاذ محمود. وتحدث وأشار إلى نحو 22 حزباً معتمداً على كتاب الأستاذ أحمد خير وعلى مصادر ومراجع أخرى، ولم ترد أى إشارة للحزب الجمهورى أو الأستاذ محمود. وبعد أن تجاوز نشأة الأحزاب، وفى فصل لاحق، تحدث عن "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية"، حيث كتب قائلاً: "وُلد فى شهر نوفمبر 1965 "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" والذى ضم (32) تنظيمًا من بينهم حزب الشعب الديمقراطى والحزب الشيوعى السودانى ومنظمات الاشتراكيين العرب والحزب الجمهورى الذى يقوده محمود محمد طه"⁽²⁾. ثم عرّف الحزب الجمهورى فى هامش نفس الصفحة، قائلاً: "حزب دينى يعتمد على الاتجاهات التجديدية التأويلية الباطنية للأستاذ المهندس محمود محمد طه وهو حزب نخبة صغير معادية للإخوان المسلمين والطائفية. وقد حرص الإخوان المسلمون غيرى على إعدام الأستاذ محمود تاريخ 18 يناير 1985". وهذا تعريف لا يمكن قبوله من باحث يسعى لإظهار الحقيقة ونشرها. إن محمد أبو القاسم حاج حمد بلاشك قد قرأ ما كتبه الأستاذ أحمد خير المحامى عن الحزب الجمهورى وعن رئيسه الأستاذ محمود، ولكن أغفله عمدًا. ولقد أوردت آنفاً، ما قاله الأستاذ أحمد خير المحامى، كما أوردت الكثير من المصادر والمراجع التى تحدثت عن نشأة الحزب الجمهورى وعن رئيسه الأستاذ محمود، وعن دوره النضالى واسهامه فى الحركة الوطنية، ومن هؤلاء: يحيى محمد عبد القادر، والتجاني عامر (1908-1987)، ومحمد سعيد القدال، ومنصور خالد، وفرانيس ديتق، وفيصل عبدالرحمن على طه، وغيرهم ممن وردت الإشارة إليهم، إلى جانب الوثائق والشواهد التاريخية التى أوردتها فى مواقع متفرقة من هذا الكتاب.

من المعروف عن الأستاذ محمد أبو القاسم أنه قارئ نهم، كان يقول: "حينما كنت طالباً فى

(1) المرجع السابق، ص 414-422.

(2) المرجع السابق، ص 318-320.

المدرسة كانت معى مفاتيح المكتبة، فإن أرادوا المكتبة سألوا عنى". وتلمح ذلك أيضاً، فى طول قائمة المصادر والمراجع فى دراساته، وتجد الغريب النادر من المصادر والمراجع بينها. فهو قارئهم وموثق دقيق. ولهذا، فإنه بلا شك قرأ الكثير من المصادر والمراجع التى تحدثت عن نشأة الحزب الجمهورى. لم يتحدث عن الحزب الجمهورى أو رئيسه، بل أظهر عدم الحياد وجافى الموضوعية فى موقفه من الأستاذ محمود فى المجلد الثانى، وهو يتحدث عن تنفيذ الإعدام على الأستاذ محمود، حديثاً تلمح فيه الشماتة والتشفى الواضح. فقد تحدث حديثاً يتنافى مع العلمية وأسس البحث، ولا يتماسك أمام النقد بأدنى سبيل استخدام مقارنة القرائن، وبأقل حد من إمكانيات التنقيب البحثى، فضلاً عن مجافاة حديثه للحس الإنسانى السليم. وكان أثناء تناوله يحيل القارئ فى هامش الصفحة إلى تقارير سلطات الأمن بتاريخ كذا وكذا. ولكن لأى جهة قدمت هذه التقارير؟ ومن الذى أعدّها؟ وما الغرض من إعدادها؟ وأين هى مودعة؟ وكيف يمكن التحقق من صحة وجودها أصلاً سواء كانت صحيحة أو خطأ؟ أسئلة كثيرة، ليست لها إجابات الأمر الذى ينسف كل ما أورده الأستاذ محمد أبو القاسم فيما يتعلق بإعدام الأستاذ محمود. هذا إلى جانب أننى لا أحسب أن سلطات الأمن لديها تقارير تُنشر بشكل دورى حول الأحداث والوقائع، وإن كانت فلا أحسب أنه يمكن الاعتماد عليها كمصدر من مصادر الدراسات والبحوث، خاصة فى قضية مثل قضية الأستاذ محمود، ومن جهاز أمن مثل جهاز أمن الرئيس نمرى. كما يجب أن لا ننسى أننا نعيش فى العالم الثالث، فسلطات الأمن فى العالم الثالث آتخذ يصعب الأخذ بتقاريرها إلا لدى القائمين على نظام الحكم والمتفعين من ذلك النظام.

هنا عدة أسئلة تطرح نفسها، لماذا تجاهل محمد أبو القاسم حاج الأستاذ محمود وأغفل نضاله؟ هل كان محمد أبو القاسم متعمداً تجاهل الأستاذ محمود وكان يسعى لتغييبه؟ هل كان محمد أبو القاسم عدائياً فى إشاراته للأستاذ محمود فى الجزء الثانى من كتابه والذى طبع عام 1996؟ ولماذا العداء؟ للإجابة على هذه الأسئلة بشىء من التوسع والتفصيل أحيل القارئ الكريم والقارئة الكريمة، إلى الفصل السادس عشر من هذا الكتاب وهو بعنوان: "الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون: محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً". وهو فصل يعالج البعد الآخر الذى تقاطع فيه محمد أبو القاسم مع الأستاذ محمود. ولا نستطيع تفسير مواقف محمد أبو القاسم سواء فى تجاهله للأستاذ محمود فى كتابه هذا أو

فى الروح العدائية تجاه الأستاذ محمود؛ إلا بدراسة أطروحة محمد أبو القاسم فى الفكر الإسلامى، وإلى أى مدى تأثرت تلك الأطروحة بمشروع الأستاذ محمود؟ بل إلى أى مدى أخذت تلك الأطروحة من مشروع الأستاذ محمود؟.

كتاب: الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان⁽¹⁾

فى الأصل هذا الكتاب هو أطروحة جامعية قدمها خالد حسين عثمان الكد لنيل درجة الدكتوراة فى جامعة ريدنق University of Reading، ببريطانيا، عام 1987. كانت الأطروحة بعنوان: الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان *The Effendia and Concepts of Nationalism in Sudan*، وكانت بإشراف بيتر وودوارد⁽²⁾. يقع الكتاب فى (296) صفحة من القطع المتوسط. ناقش خالد الكد موضوع الأفندية ومفاهيم القومية منذ بداية القرن العشرين، وركز على فترة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات حتى الاستقلال. ومن حيث الهيكل فقد تكون الكتاب من مقدمة وتصدير وسبعة فصول وخاتمة. تناول الفصل الأول: "القومية؛ معانى ومفاهيم مختلفة"، والفصل الثانى: "من إعادة الغزو وحتى 1924"، والفصل الثالث: "ما بعد الأحداث"، ووقف الفصل الرابع عند: "الأبروفيون"،

(1) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق.

(2) بيتر وودوارد حاصل على الدكتوراة من جامعة ريدنق ببريطانيا عام 1975؛ عمل متطوعاً فى منظمة غير حكومية "متطوعون لما وراء البحار" فى مدينة كوستنى، السودان من 1966 إلى 1967؛ ومحاضراً فى العلوم السياسية فى جامعة الخرطوم ما بين 1968-1971. وعمل محاضراً أولاً، أستاذاً فى قسم السياسة والعلاقات الدولية، جامعة ريدنق؛ ومحاضراً زائراً فى جامعة ناتال، ديربان من 1991 حتى عام 1993؛ وفى الجامعة الأميركية بالقاهرة فى العام 1999. عمل مستشاراً لدى جهات دولية وحكومية عدة فى القضايا الأفريقية، منها وزارة التنمية الدولية فى المملكة المتحدة، وفى اللجنة الفرعية لشؤون أفريقيا فى مجلس النواب الأمريكى، ولدى وزارة الخارجية الأميركية. له عدة مؤلفات عن السودان والقرن الإفريقى منها: **السيادة المشتركة والقومية السودانية؛ السودان 1898-1989: الدولة اللامستقرة؛ القرن الإفريقى: سياسة وعلاقات دولية**، ونشر العديد من المقالات فى المجالات الأكاديمية: "السودان بعد النميرى" (بالاشتراك مع فورسيث)، "القرن الإفريقى: الفدرالية و بدائلها". **المصدر:** ورد التعريف ضمن كتاب (تحت الطبع) بعنوان: **العرب والقرن الإفريقى: جدلية الجوار والانتماء**، (أعمال مؤتمر 27-29 نوفمبر 2011)، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة. كان بيتر وودوارد قد شارك فى المؤتمر بورقة بعنوان: "المنافسة الدولية فى دول القرن الإفريقى". وقد تشرفت بالمشاركة مع آخرين ويتكليف من المركز العربى فى تحرير أعمال المؤتمر لنشرها فى كتاب، إلى جانب أننى شاركت فى المؤتمر بورقة كان عنوانها: "صورة شعوب القرن الإفريقى فى كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة".

والفصل الخامس: "جماعة الموردة، الهاشماب، الفجر"، ودرس الفصل السادس: "مؤتمر الخريجين وتأسيس الأحزاب السياسية"، وتناول الفصل السابع ما اسماء: "ما قبل الختام"، ثم جاءت الخاتمة وقائمة المراجع. وكما هو الحال في جل الدراسات خلت قائمة مراجع الكد من أى إشارة للأستاذ محمود أو كتبه أو بياناته أو مناقشة. كما خلت دراسته من أى إشارة لثورة رفاة أو سجنى الأستاذ محمود. وبرغم أن كتابه تضمن فصلاً عن تأسيس الأحزاب السودانية، وأشار إلى الحزب الاتحادى، وحزب القوميين، وحزب الأحرار، وحزب الأشقاء، وحزب الأمة، وحزب "الجمهوريتين"، وحزب وحدة وادى النيل، والحركة السودانية للتحرر الوطنى والتى تحولت فيما بعد للحزب الشيوعى⁽¹⁾، لم ترد أى إشارة للحزب الجمهورى. علماً بأن أحد مصادر الكد هو كتاب أحمد خير المحامى، كفاح جيل. وكما أوردت آنفاً، فإن أحمد خير المحامى خصص فى كتابه عنواناً جانبياً للحدث عن الحزب الجمهورى، وهو عنوان لا تخطئه العين.

بالإضافة لذلك تحدث الكد فى كتابه عن الأحزاب السودانية وجنوب السودان، واستعرض آراء الأفندية والأحزاب، ولم ترد أى إشارة للأستاذ محمود أو للحزب الجمهورى، برغم الكتابات والبيانات الباكورة التى تحدث فيها الأستاذ محمود عن مشكلة الجنوب، مثل: السفر الأول 1945، وقل هذه سبيلى 1952، أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، عام 1955، وغيرها مما ورد آنفاً. من المهم الإشارة إلى أن الكد أشار إلى الأستاذ محمود حينما تحدث فى الفصل السابع عن إشهار سلاح الشريعة الإسلامية عام 1983، وتوحد البرجوازية السودانية لفرضها، ورفض الأحزاب -بعد الانتفاضة الشعبية- إلغاء قوانين الشريعة، أحد أهم شعارات الانتفاضة، كما أصبح هو الشرط الأساس الذى وضعته الحركة -الجيش الشعبى لتحرير السودان - لإجراء المفاوضات. ففى إشارته للأستاذ محمود فى هذا الموضع، قال الكد: "قوانين الشريعة كانت قوانين غير إنسانية، وصفها محمود محمد طه كالأتى: (ثم أورد الكد جزءاً من كلمة الأستاذ محمود أمام محكمة المهلاوى فى يناير 1985. لقد أوردت آنفاً نص كلمة الأستاذ محمود فى الفصل الثالث من هذا الكتاب). كما قدم الكد فى الهامش تعريفاً

(1) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، ص 232-233.

بالأستاذ محمود، فكتب قائلاً: "محمود محمد طه مؤسس وقائد (الإخوان الجمهوريين) حتى إعدامه عام 1983 [هكذا في الأصل والصحيح 1985]. يعتبر لدى العديد عالمًا من علماء عصره. قام بتوزيع منشورات تهاجم قانون الشريعة [تهاجم قوانين سبتمبر وليس قوانين الشريعة إذ يعود الفضل للأستاذ محمود محمد طه في تسميتها بقوانين سبتمبر ليفصل بينها وبين الشريعة السمحاء - المؤلف]، تم اعتقاله وتقديمه للمحاكمة بتهمة الكفر، ردد في المحكمة اتهاماته وادانته لتطبيق القانون. حكم عليه بالإعدام" (1).

الشاهد أن أطروحة الدكتوراة هذه أعدها مثقف سوداني ينتمي لتيار تقدمي وقدمها في ردهات الأكاديمية البريطانية التي تربطها علاقة خاصة بالسودان. وأشرف عليها أحد كبار الأكاديميين البريطانيين، هو بيتر وودوارد، بجامعة ريدينغ. الذي لا لبس فيه أن الأكاديمية البريطانية، وكذلك كبار الأكاديميين البريطانيين، لاسيما بيتر وودوارد، يعرفون الأستاذ محمود والحزب الجمهوري معرفة عن ظهر قلب. ففوق تأليفه لعدة كتب منها: **السيادة المشتركة والقومية السودانية؛ وكتاب السودان 1898-1989: الدولة اللامستقرة**. ونشره للعديد من المقالات في المجلات الأكاديمية منها: **السودان بعد النيميري (بالاشتراك مع فورسيث)**، فإن بيتر وودوارد عمل وعاش بعض الوقت في مدينتي الخرطوم وكوستي. فقد عمل متطوعاً في منظمة "متطوعون لما وراء البحار" في كوستي خلال الفترة ما بين 1966-1967. كما عمل محاضراً في العلوم السياسية بجامعة الخرطوم خلال الفترة ما بين 1968-1971. ولهذا، فإن الذي لا شك فيه أن بيتر وودوارد يعرف الأستاذ محمود ويعرف **الحزب الجمهوري** معرفة معاصرة، ومعرفة أكاديمية، وهو قارئ ومؤلف كبير في الشؤون السودانية. بل بوجوده ما بين كوستي والخرطوم خلال الفترة ما بين عام 1966-1971، فهو شاهد عصر على محكمة الردة الأولى عام 1968، فهو الأستاذ للعلوم السياسية وتاريخها بجامعة الخرطوم آنئذ. وبيتر وودوارد يعد من الخبراء الغربيين في الشؤون السودانية، السياسية والفكرية... إلخ.

كتب حمد النيل عبدالله العركي قائلاً: كنت استمع لبرنامج: "السياسة بين السائل والمجيب"، في إذاعة البي بي سي BBC (هيئة الإذاعة البريطانية British Broadcasting Corporation). أثناء البرنامج جاء سؤال من أحد المستمعين عن الفكرة الجمهورية في

(1) المرجع السابق، ص 272-273.

السودان. وللإجابة على السؤال استضاف المذيع أحد الخبراء وكان اسمه بيتر وودوارد، فرد على السؤال وتحدث عن الفكرة الجمهورية. أثناء ذلك كنت قد قمت بتسجيل السؤال والإجابة على شريط (كاست)، أخذت الشريط وجئت به وأعطيته للأستاذ محمود.. والأستاذ محمود أعطاه للأخ أحمد دالي.. وقال للأخ دالي: "شوف تعملوا فيه شنو". وأضاف العركي قائلاً: أحمد دالي أخذ الشريط وتم تفريفه ومن ثم تم إعداد عدد خاص لجريدة الجامعة بعنوان: "الفكرة الجمهورية في الإذاعة البريطانية"⁽¹⁾. لقد تجلت معرفة بيتر وودوارد بالأستاذ محمود في كتبه. ففي كتابه: **السودان: الدولة المضطربة** 1989-1898⁽²⁾. أشار وودوارد إلى إشارات عديدة للأستاذ محمود، جاءت في الصفحات رقم: (180، 188، 209، 297، 300). كانت إشارات وودوارد كما هو الحال في المصادر البريطانية، إلى الأستاذ محمود على أساس أنه مهندس وزعيم ديني، قائد للإخوان الجمهوريين، ولا تتم الإشارة إليه كقائد سياسي ورئيس للحزب الجمهوري الذي ناضل ضد الاستعمار أو كمفكر نشر باكرأ الكتب والأفكار. فقد كتب وودوارد قائلاً: "...الإخوان الجمهوريين (تنظيم صغير كان ينافس الإخوان المسلمين وسط طبقة المتعلمين) بقيادة المهندس محمود محمد طه"⁽³⁾. وكتب كذلك: "وفي يناير 1985، أدى تنفيذ حكم الاعدام على المهندس محمود محمد طه، زعيم الإخوان الجمهوريين..."⁽⁴⁾. وكتب كذلك وهو يتحدث عن الإخوان الجمهوريين، كتب قائلاً: "وكانوا، تحت قيادة زعيمهم المهندس محمود محمد طه، يرون أنفسهم كاتجاه تنويري في مواجهة حركة الإخوان المسلمين التقليدية والسلفية"⁽⁵⁾. الشاهد أن الباحث لا يجد عند وودوارد إشارة للحزب الجمهوري عند الحديث عن نشأة الأحزاب السياسية في منتصف الأربعينات من القرن الماضي.

(1) حمد النيل عبدالله العركي، **جواهر المعاني في حضرة الأستاذ محمود محمد طه**، مصدر سابق، ص 16؛ مقابلة مع حمد النيل عبدالله العركي، المقابلة عبر الهاتف، المؤلف في الدوحة وحمد النيل في السودان، بتاريخ 6 مايو 2012، الساعة 20:00.

(2) بيتر وودوارد، **السودان: الدولة المضطربة** 1989-1898، ترجمة: محمد علي جادين، ط1، مركز محمد عمر بشير، جامعة أمدرمان الأهلية، 2002.

(3) المرجع السابق، ص 180.

(4) المرجع السابق، ص 188.

(5) المرجع السابق، ص 209.

الشاهد أن الأساتذة البريطانيين يعرفون الأستاذ محمود والحزب الجمهورى والفكرة الجمهورية، معرفة جيدة، ولكن مناقشة هذا الأمر تقودنى إلى آفاق أخرى فى التقصى والتمحيص والتنقيب، وهى آفاق تتصل بموقف الأكاديمية البريطانية والمصادر الأجنبية من الأستاذ محمود، ومن قادة الحركة الوطنية السودانية. وهو أمر تتقاطع فيه عوامل عديدة. كتب حسن أحمد إبراهيم وهو يتحدث عن تاريخ الحركة الوطنية، قائلاً:

إن تاريخ هذه الحركة ودور قادتها وزعمائها قد تعرض - كما هو الحال فى تاريخ السودان الحديث بأسره - لكثير من التشويه والتحريف فى بعض المصادر الأجنبية التى كتبت لتحقيق أهداف سياسية تمثلت فى تطويل أمد الاحتلال وتقليل شأن قادة الحركة الوطنية السودانية. ومن هنا كان لزاماً على الباحثين والتربويين السودانيين أن يدرسوا تاريخ بلادهم دراسة علمية تدحض هذه المزاعم وتفتنها⁽¹⁾.

إن موضوع موقف الإدارة الاستعمارية والأكاديمية البريطانية والمصادر الأجنبية من الأستاذ محمود، موضوع فى غاية الأهمية ويحتاج للبحث والتنقيب، وبرغم أهميته إلا أنه يقع ضمن اطار هذه الدراسة، ولكن ربما تسرت الفرصة للعودة إليه لدراسته دراسة منفصلة.

كتاب: **خريف الفرح: أسرار الفرح 1950-1970**⁽²⁾

وضع هذا الكتاب عبدالرحمن فرح (???-2004)، الذى يعتبر أحد أعمدة الصحافة السودانية، فقد أسس **صحيفة الصحافة** عام 1961، وهو صاحب سيرة صحفية طويلة. يجمع الكتاب ما بين السيرة الذاتية حيث الحكى عن الذكريات والمواقف والأحداث والوقائع، وما بين التأريخ للأخبار والصحافة والتناول للقضايا والتحليل لمراحل الحياة السياسية السودانية. يقع الكتاب فى (499) صفحة من القطع المتوسط. يتكون الكتاب من تسعة وعشرين فصلاً، تناولت واحداً وتسعين موضوعاً ومحوراً. تجاوز الكتاب اطاره

(1) حسن أحمد إبراهيم، "تقديم"، ضمن: عبد اللطيف عبدالرحمن، لمحات من الحركة الوطنية فى السودان، دار جامعة أمدرمان الإسلامية للطباعة والنشر، شركة الطباعة والنشر للناشرين المحدودة، الخرطوم، 1987، ص (ج).

(2) عبدالرحمن فرح، **خريف الفرح: أسرار الفرح 1950-1970**، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 1996.

الزمنى المشار إليه فى العنوان 1950-1970، فتحدث عن ثورة 1924، وتناول نشأة الأحزاب السودانية، وأشار إلى حزب الأمة، وحزب الأشقاء، وحزب وحدة وادى النيل، والجهة المعادية للاستعمار (الشيوعيين)، والقوميين، وحزب السودان، والحزب الجمهورى الاشتراكى، وحزب الأحرار الجنوبيين، وحزب الله، وحزب الجنوب، وحزب الأحرار الوحدويين،... إلخ. الشاهد أن الأستاذ محمود لم يكن من بين محاور الكتاب أو موضوعاته، ولم ترد إشارة للحزب الجمهورى. وبرغم أن محكمة الردة التى واجهها الأستاذ محمود عام 1968 تعد حدثاً جليلاً، إلى جانب أن الأستاذ محمود تقاطع مع أحداث كثيرة جداً تناولها السيد عبدالرحمن فرح فى كتابه الذى امتد إطراره الزمنى حتى العام 1970، برغم ذلك لم تكن محكمة الردة من بين محاور الكتاب التى تجاوزت التسعين محوراً. لعل الكتاب لم يكن استثناءً فى موقفه من الأحداث والوقائع التى تتصل بالأستاذ محمود، فهو كحال غيره من الكتب التى وردت الإشارة إليها وتلك التى سترد الإشارة إليها، إذ يقدم تأكيداً لحالة الاجماع فى تجاهل الأستاذ محمود بعدم الإشارة إليه أو تناول دوره فى الحياة السياسية والثقافية والفكرية السودانية. الشاهد أن الموقف من الأستاذ محمود ومشروعه ومن دوره فى الحياة السياسية والفكرية، يتطلب دراسة العقل الثقافى السائد وتفكيكه واستنطاقه، أكثر من دراسة أصحاب الأقلام بشكل فردى، وهذا ما سأشير إليه بشىء من التفصيل فى خاتمة كتابى هذا.

كتاب: الإسلام والسياسة: دراسة فى التجربة السودانية 1883-1989⁽¹⁾

يقع الكتاب فى (262) صفحة، ويتكون من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. واشتمل كل باب على عدد من الفصول، وكل فصل احتوى على عدد من المباحث. تناول الباب الأول: "الدراسة النظرية لأسلمة النظام السياسى"، من خلال ثلاثة فصول، وتحديث الفصل الأول عن: "الكل الإيمانى مصدر أسلمة النظام السياسى"، والفصل الثانى عن: "الموجهات الأساسية لأسلمة النظام السياسى"، ووقف الفصل عند

(1) عمر سر الختم المكي، الإسلام والسياسة: دراسة فى التجربة السودانية 1883-1989، ط1، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2005.

الشورى، والحرية، والحرية الاجتماعية، حرية العبادة، والحرية الشخصية، والحرية السياسية، والمساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والعدالة، ومفهوم العدالة فى الإسلام،... إلخ. وتحدث الفصل الثالث عن: "بنوية أسلمة النظام السياسى". أما الباب الثانى فقد وقف على: "دراسة فى التجارب السودانية لأسلمة النظام السياسى"، حيث عالج الفصل الأول: "الدولة المهدية"، والفصل الثانى: "إسهامات النظم الديمقراطية التعددية السابقة لنظام مايو"، وتناول الفصل الثالث: "نظام مايو"، ووقف الفصل الرابع على: "فترة الديمقراطية التعددية الثالثة". وجاء الباب الثالث بعنوان: "تأصيل النظام السياسى الإسلامى فى السودان"، وقسم الباب إلى فصول ومباحث.

الشاهد أن خلو دراسة أكاديمية موضوعها الإسلام والسياسة مع دراسة للتجربة السودانية حتى عام 1989، كما هو حال هذا النموذج، من الإشارة للأستاذ محمود ولآرائه ولكتبه وكتب تلاميذه، ولما واجهه من تنفيذ للإعدام فى ظل قوانين سبتمبر 1983، يمثل مدعاة للتساؤل عن هذا الإغفال، هل هو نتاج لموقف من الأستاذ محمود ومشروعه، ورغبة وقراراً فى مقاطعته أم يعود الأمر إلى ما آل إليه حال الأكاديمية السودانية من ضعف وانهايار يتجلى بوضوح فى البتر المستمر للمعارف. وفى كلا الحالتين فإن هناك حاجة ماسة لمراجعة الأمر وإعادة النظر فى أمر الأكاديمية السودانية، وفى ما تقدمه من خدمات إلى جانب دورها فى إظهار الحقيقة ونشرها.

كتاب: سنوات النيميرى: توثيق وتحليل لأحداث ووقائع سنوات حكم 25 مايو فى السودان⁽¹⁾

وليس أمر الجهل بالتاريخ القريب وأحداثه هو وحده مكمّن القلق، بل الأمر الجلل - عندى - هو أن مثل هذا التجاهل - أو التناسى - للتاريخ ووقائعه يوقع، فى تقديرى، فى مواقع الخطيئة والزلل⁽²⁾.

محمود محمد قلندر

(1) محمود محمد قلندر، سنوات النيميرى: توثيق وتحليل لأحداث ووقائع سنوات حكم 25 مايو فى السودان، مركز عبد الكريم ميرغنى، أمدرمان 2005.

(2) المرجع السابق، ص 9.

مؤلف هذا الكتاب هو محمود محمد قلندر، وهو أكاديمي درس في جامعة الخرطوم وجامعات أمريكا، كما عمل في الإعلام العسكري بالتوجيه المعنوي ووصل رتبة اللواء وترأس تحرير صحيفة القوات المسلحة خلال الفترة ما بين 1979-1989، وكان كما قال: "نحن معشر قيادات العمل الصحفي والاعلامي، كما كنا نسمى في الأدب المايوي"⁽¹⁾. يقع الكتاب في (477) صفحة من القطع المتوسط. تهيكّل الكتاب في تقديم واستهلال وأربعة فصول إلى جانب الخاتمة والمصادر وبيلوغرافيا، ومحور وسمه المؤلف بما بعد الكتاب.. رسالة من نميري إلى المؤلف. وقف الفصل الأول على: "سنوات ما قبل نميري"، وركز الفصل الثاني على: "مايو.. الميلاد والأعوام الحمر". وعالج الفصل الثالث: "مايو.. من الثورة للدولة"، وتناول الفصل الرابع (ورد في الفهرس خطأ باسم الفصل الخامس): "مايو.. وطريق النهاية". معلوم أن سنوات النميري، هي سنوات فترة حكم جعفر محمد نميري (1930-2009)، التي امتدت من يوم 25 مايو عام 1969 وحتى 6 أبريل 1985. فحينما جاء انقلاب نميري في 25 مايو 1969، كان الأستاذ محمود قد صدر في حقه حكم بالردة عن الإسلام في يوم 18 نوفمبر 1968. وحينما انتهى حكم نميري بانتفاضة أبريل الشعبية يوم 6 أبريل 1985، كان قد نفذ حكم الاعدام على الأستاذ محمود يوم 18 يناير 1985، بعد أن صادق رئيس الجمهورية جعفر محمد نميري على حكم الاعدام.

يحمد للمؤلف أنه أورد بعض الإشارات في كتابه للأستاذ محمود ولتلاميذه. وبرغم أن الإشارات كانت مختصرة وعابرة ولكنها تحمد له. فقد أشار المؤلف في صفحة (132) إلى الإخوان الجمهوريين وهو يتحدث عن التنادي إلى جامعة الخرطوم لعقد مؤتمر في نوفمبر عام 1965 لمواجهة قرار الجمعية التأسيسية بحل الحزب الشيوعي. في ذلك المؤتمر كان الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهوري قد حضر وبرفقته تلميذه مجذوب محمد مجذوب مناصراً في الحق الديمقراطي للحزب الشيوعي السوداني، وقد ضم المؤتمر (32) تنظيمًا وولد يومها ما عرف به: المؤتمر الوطني للدفاع عن الديمقراطية، كما وردت الإشارة آنفاً وسترده لاحقاً ضمن الفصل السادس عشر الذي يتناول: "الأستاذ محمود في مذكرات

(1) المرجع السابق، ص 431.

معاصرة". كما أورد المؤلف فى صفحة (432) قائلاً: "ثم جاءت فى خضم الطوارئ تلك المؤسسة الكبرى، مؤسسة إعدام الشيخ الطاعن فى السن محمود محمد طه، وهى مؤسسة ألجمت شعب السودان وعقدت لسانه عن الكلام". ثم أشار فى صفحة (455) قائلاً: "ثم كانت مؤسسة إعدام محمود محمد طه والتي تحول الذهول فيها إلى حسرة، وأصبحت فيها الحسرة - بعد ذلك - فعلاً سالباً".

بيد أن هناك إشارة أوردتها المؤلف وهو يتحدث عن حقبة الستينيات من القرن الماضى، وهى إشارة تتطلب التصويب والتصحيح. فقد كتب المؤلف فى صفحة (122) قائلاً:

وصارت الأحزاب الإسلامية - خاصة الحزب الجمهورى الإسلامى - تبحث عن معانى الاشتراكية فى الإسلام، لتقديمها كنموذج للشباب الذى فتن بالكلمة ومشتقاتها، حتى راج يومها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، (الناس شركاء فى ثلاثة) ليثبت به الإسلاميون أن الاشتراكية لها فى الإسلام مكان أيضاً.

هنا أمران، فإن كان المؤلف يقصد الحزب الجمهورى، فإن الحزب الجمهورى لم يضاف - فى يوم من الأيام منذ تأسيسه عام 1945 - كلمة الإسلامى إلى اسمه. أما الأمر الثانى وهو الأهم، فقد أشار المؤلف فى نصه أعلاه، إلى بحث الأحزاب الإسلامية عن معانى الاشتراكية فى الإسلام، خاصة الحزب الجمهورى الإسلامى، هنا إن كان المؤلف يقصد الحزب الجمهورى، فلا بد من التصحيح العلمى والتصويب لأمر لا جدال فيه فهو ثابت وموثق توثيقاً لا مجال فيه للشك أو الجدل. لقد نشر رئيس الحزب الجمهورى الأستاذ محمود عن الاشتراكية كتباً ومقالات باكراً بدأت منذ عام 1945، وقد وردت الإشارة للسفر الأول، الذى صدر عام 1945، وكتاب: قل هذه سبيلى، الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة، الذى أصدره الأستاذ محمود عام 1952، وكانت تتضمن حديثاً عن الاشتراكية. وقد كتب الأستاذ محمود مقالاً مطولاً بعنوان: "نحو عالم جديد: الاشتراكية" ونشره عام 1954⁽¹⁾، (أنظر ملحق رقم: "29" وملحق رقم "30"). وتحدث الأستاذ محمود عن الاشتراكية فى بيان أصدره عام 1952، حينما طلب الحزب الجمهورى الاشتراكى التعاون

(1) محمود محمد طه، "نحو عالم جديد: الاشتراكية"، صحيفة الجمهورية، العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جمادى آخر عام 1373 الموافق 5 فبراير 1954.

والتحالف مع الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود⁽¹⁾، (أنظر ملحق رقم: "25". وكما وردت الإشارة آنفاً فقد نشر الأستاذ محمود عام 1955 كتاباً بعنوان: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية. كذلك تحدث الأستاذ محمود عن الاشتراكية فى خطابه للرئيس جمال عبدالناصر يوم 18 أغسطس 1958. وقدم الأستاذ محمود محاضرة عن الاشتراكية فى الاسلام 1958، وكتب عن الاشتراكية ضمن كتابه: الإسلام، الذى صدر فى طبعته الأولى عام 1960. إلى جانب كتابات كثيرة جداً عن الاشتراكية وردت الإشارة إليها فى الفصول السابقة، هذا قبل حلول عام 1960 أما بعدها فهناك كتابات لا حصر لها عن الاشتراكية.

الشاهد أن هذه الإشارات وإن كانت مختصرة، إلا أنها تحمد للمؤلف. لست فى هذه العجالة بصدد نقد المؤلف فى موقفه من الأستاذ محمود فى كتابه هذا، بقدر ما أننى مشغول بتأكيد حقيقة الموقف الجماعى للأكاديمية السودانية من تناول الأستاذ محمود فى مواقع كان هو صانعاً للأحداث فيها بالمواقف وبالكتابات. خلت قائمة مصادر ومراجع الكتاب، كما هو حال جل دراسات الأكاديمية السودانية، من الأستاذ محمود ومن كتبه وكتب تلاميذه. بل أن الدارس لا يجد إشارة لقضايا كبرى، أحدثت تحولاً جذرياً فى تاريخ السودان، وهى تخص الأستاذ محمود، ولا تجد لها إشارة فى جل الدراسات الأكاديمية. لقد خلا هذا الكتاب من الإشارة لمحكمة الردة عن الإسلام عام 1968، وهى تقع ضمن نطاق الفصل الأول: "سنوات ما قبل نمى"، ونادراً كذلك ما تجد فى دراسات الأكاديمية السودانية، وهذا الكتاب لم يكن فى ذلك استثناءً، فنادرًا ما تجد تخصيص فصل أو محور لمعالجة القضايا الكبرى التى تتصل بالأستاذ محمود، مثل السجون التى تعرض لها ومحكمتى الردة الأولى 1968 والردة الثانية 1985، وتنفيذ حكم الإعدام، ومسألة المشنقة... إلخ، وكل هذه القضايا قضايا كبرى ومواقف أبدة. لا أعتقد أن دراسة أكاديمية تناول فى فصلها الأول "سنوات ما قبل نمى"، ثم تقدم توثيقاً وتحليلاً لأحداث ووقائع سنوات حكم 25 مايو، كما هو الحال فى هذا الكتاب: سنوات النمى، لا أعتقد أن من

(1) محمود محمد طه، "فشل المسعى لالتقاء الحزب الاشتراكي الجمهورى والحزب الجمهورى لاختلاف المبادئ والوسائل"، (بيان)، السودان الجديد، العدد: 1564، الأربعاء 19 مارس سنة 1952.

الممكن أن تخلو قائمة مصادرها ومراجعها من الإشارة للأستاذ محمود ولكتبه وكتب تلاميذه، بل في تقديرى أن مثل هذه الدراسة هي أنسب الدراسات التي ينبغي أن تخصص فصلاً، أو محوراً على أقل تقدير عن الأستاذ محمود، وهي تعالج سنوات حكم نمري.

كتاب: **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدردمان تاريخه وتطوره** (1965-1912)⁽¹⁾

صدر هذا الكتاب فى طبعته الأولى عام 2007. يقع الكتاب فى (372) صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة مصادر ومراجع. تناول الفصل الأول: "التعليم الدينى فى السودان"، والفصل الثانى: "نشأة المعهد العلمى وتطوره"، ودرس الفصل الثالث: "نظم المعهد العلمى ومقراته"، وعالج الفصل الرابع: "سياسة الحكم الثنائى تجاه المعهد العلمى"، وركز الفصل الخامس على: "المعهد العلمى والحركة الطلابية". برغم أن الدراسة اتسمت بالصرامة العلمية من حيث ترتيب المادة والمنهج التوثيقى والمنهج التاريخى، إلا أن ما يقدح فيها فى تقديرى أنها خلت من أعمال الحس النقدى، وفى هذا فإن الدراسة جاءت متسقة مع جل الدراسات السودانية التى فى أغلب الأحوال يغيب فيها بل تتحاشى ممارسة النقد. لا أحسب أن دراسة تدرس تاريخ المعهد العلمى بأمدردمان وتطوره، تغفل دور المعهد فى تضيق الخناق على الإبداع والرؤى التقدمية، ودوره فى محاربة المبادرات الخلاقة فى الفكر الإسلامى، ودوره فى تغيير مسار العديد من الخلائق والمبدعين. إن الأمثلة على ذلك كثيرة، أهمها على الإطلاق الأستاذ محمود. وقبله محمد عبد الوهاب القاضى، والشاعر التجانى يوسف بشير (1912-1938).

لقد واجه الأستاذ محمود حرباً شعواء من مشيخة المعهد منذ منتصف الخمسينيات من القرن الماضى. لقد بدأ شيوخ المعهد العداء للأستاذ محمود فى فترة تولى الشيخ محمد المبارك محمد عبدالله مشيخة المعهد خلال الأعوام (1956-1963). وقد أشرت ضمن فصل سابق عنوانه، "قراءة فى الدراسات السابقة: مرحلة الفقهاء"، عن كشف شيوخ المعهد العلمى بأمدردمان، منذ الوهلة الأولى، عن عدائهم الشديد ومعارضتهم القوية للأستاذ محمود ولشروعه، وقد تجلّى ذلك باكرأ منذ النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى

(1) المعتصم أحمد الحاج، **أزهر السودان: المعهد العلمى بأمدردمان تاريخه وتطوره** (1965-1912)، مرجع سابق.

فى المحاضرات والندوات التى كان يقيمها المعهد العلمى فى مناسبات مختلفة، وكان يحضرها الأستاذ محمود، وأحياناً يشارك فيها كمتحدث. وقد أوردت من قبل المقال الذى نشره الأستاذ محمود بعنوان: "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدردمان"⁽¹⁾، رداً على محاضرة قدمها أحد مبعوثى الأزهر الشريف، وصف الأستاذ محمود حديث مبعوث الأزهر بأنه: "هوس زحم به المصريون المعاصرون رؤوس العرب، وأوشكوا أن يوردوهم به موارد الهلاك"⁽²⁾. لقد كانت العلاقة بين الأستاذ محمود وشيوخ المعهد فى كل، تعبر عن مزيد من البعد والبعد بين الرؤيتين، وظل عداء مشائخ المعهد العلمى للأستاذ محمود مستمراً ومتوسعاً. ثم هناك مؤامرة فصل تلاميذ الأستاذ محمود من المعهد العلمى، وهى المؤامرة التى عرفت (بفصل الطلبة)، وكانت فيها مساجلات بين الأستاذ محمود ومشايخ المعهد، كما ورد آنفاً. وهناك أيضاً السجال الذى كان بين الأستاذ محمود وشيخ المعهد محمد المبارك، ومشايخ المعهد العلمى، وكانت ساحتها صحيفة السودان الجديد. وفى يوم 28 يناير 1960 نشرت إدارة المعهد العلمى بياناً بشأن فصل الطلبة جاء البيان بعنوان: "بيان من إدارة المعهد العلمى عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"⁽³⁾. وفى يوم 31 يناير 1960 نشر الأستاذ محمود مقالاً أبرزته صحيفة السودان الجديد، بعنوان: "محمود محمد طه يرد على بيان مشايخ المعهد"⁽⁴⁾. وتتابع الردود خلال شهر فبراير ما بين الأستاذ محمود ومشايخ المعهد وكذلك نشرت تعقيبات عديدة من مراقبين. كما نشر الطلاب المفصولون بياناً فى يوم 5 فبراير 1960 بعنوان: "بيان من الطلبة المفصولين من المعهد العلمى"⁽⁵⁾. هذا إلى جانب أن سابقة محكمة الردة عام 1968، والتى واجهها الأستاذ محمود جاءت من المعهد العلمى.

(1) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها" مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) إدارة المعهد العلمى، "بيان من إدارة المعهد العلمى عن فصل الطلاب الثلاثة من المعهد"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3909، بتاريخ 1960/1/28.

(4) محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشايخ المعهد"، مصدر سابق.

(5) الطلبة المفصولون، "بيان من الطلبة المفصولين من المعهد العلمى"، صحيفة السودان الجديد، العدد: 3916، بتاريخ 1960/2/5.

الشاهد أن أى دراسة عن تاريخ المعهد العلمى وتطوره لا تقف عند دور المعهد فى محاربته للعقول الكبيرة، لا سيما محمد عبدالوهاب القاضى والشاعر التجانى يوسف بشير، وتتجاوز الأستاذ محمود، فإنها بلا شك دراسة مبتورة ولا تملك الحقائق، وقاصرة عن النهوض بأمرها فى ما تخرج به من نتائج وتوصيات أو فى ما تقدمه من معلومات تاريخية. وبهذا فهى لا تعين فى فهم الماضى فهماً صحيحاً كما أنها تقف عاجزة عن المساهمة فى إظهار الحقيقة ونشرها.

كتاب: أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات⁽¹⁾

إن قضية المرأة ليست ضد الرجل، وإنما هى ضد الجهل، والتخلف، والظلم الموروث.. وهى، من ثم، قضية الرجل والمرأة معاً.. ولتعلموا: أن صراعنا دائماً إنما هو ضد النقص، ابتغاء الكمال.. والكمال إنما هو حظ الرجل، وحظ المرأة فى آن معاً.. فإن الفرد الكامل، إنما هو الابن الشرعى للمجتمع الكامل.. وهو، أكثر من هذا، الابن الشرعى للمرأة الكاملة⁽²⁾.

محمود محمد طه، ديسمبر 1971

صدر هذا الكتاب عام 2009، ويقع فى (286) صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من أربعة فصول بالإضافة لمقدمة وتمهيد وخاتمة وملاحق وقائمة مصادر ومراجع. وقف التمهيد عند: "الإلغاء المفاجئ للرق"، و"الخفاض الفرعونى والفرعونية الجديدة"، و"الخلفية التاريخية لتعليم المرأة فى السودان". وتناول الفصل الأول: "الحركة النسوية فى السودان"، ودرس الفصل الثانى: "تيارات الحركة النسوية"، وعالج الفصل الثالث: "قضايا الحركة النسوية السودانية"، وتناول الفصل الرابع: "مواجهة الحركة النسوية وبناء مسار جديد". من خلال هذه الفصول وقف الكتاب على محاور عديدة منها: اختراق الأحزاب السياسية والتيارات الفكرية للتنظيمات النسوية، وتناول "الشيوعيون والحركة النسوية"، و"الإسلاميون والمرأة"، والأحزاب التقليدية (الطائفية). وتحدث عن الترابى وتثوير المرأة،

(1) وليد الطيب عبدالقادر وأحمد محمد أحمد إسماعيل، أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات، ط 1، كتاب البيان (105)، سلسلة تصدر من مركز البحوث والدراسات، 2009.

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 92.

والصادق المهدي وقضايا المرأة، وتطوير الشريعة. وتناول النسويين ومفهوم عمل المرأة، والزى والحجاب، واستعرض حقوق المرأة ومطالب الحركة النسوية السودانية السياسية والقانونية، ووقف عند المرأة والسياسة والولاية، والمطالب النسوية في مجال الأسرة: عقد الزواج، وتعدد الزوجات، والخروج من بيت الزوجية، وسفر المرأة، والمساواة في الميراث... إلخ.

الشاهد أن هذا الكتاب خلا تماماً من الإشارة للأستاذ محمود أو لكتبه أو كتب تلاميذه في قائمة المصادر والمراجع، أو التناول لآرائه أو المناقشة لها حتى ولو مع التأكيد بالاختلاف معها. لقد خلا الكتاب (برغم أن موضوع المرأة كان من أكثر الموضوعات التي وجدت اهتماماً عند الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، بل مثلت المرأة مرتكزاً أساسياً في مشروع الأستاذ محمود. فقد طرح الأستاذ محمود باكراً أطروحات متقدمة عن حقوق المرأة والمساواة بين الرجال والنساء وتعدد الزوجات والحجاب والاختلاط... إلخ. ففي عام 1952 نشر كتاب: قل هذه سبيلي: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة، وفي عام 1967 نشر كتاب: الرسالة الثانية من الإسلام⁽¹⁾، الذي تناول: عدم المساواة بين الرجال والنساء ليس أصلاً في الإسلام، وتعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام، والطلاق ليس أصلاً في الإسلام، والحجاب ليس أصلاً في الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً في الإسلام⁽²⁾. كما نشر كتاباً بعنوان: محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية⁽³⁾، وكتاباً عن: خطوة نحو الزواج في الإسلام⁽⁴⁾، ونشر كتاباً عن: المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل هو عدوها معاً⁽⁵⁾!! ونشر كذلك تلاميذه وتلميذاته عدداً كبيراً من الكتب منها: المرأة في اصول القرآن⁽⁶⁾، وتعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام⁽⁷⁾،

(1) محمود محمد طه، نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، 2002.

(3) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق.

(4) محمود محمد طه، خطوة نحو الزواج في الإسلام، مصدر سابق.

(5) الإخوان الجمهوريون، المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل هو عدوها معاً!!، أمدردان، 1981.

(6) الإخوان الجمهوريون، المرأة في اصول القرآن، مصدر سابق.

(7) الإخوان الجمهوريون، تعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام، مصدر سابق.

والزى عنوان عقل المرأة وخلقها⁽¹⁾، أضواء على شريعة الأحوال الشخصية⁽²⁾، والاختلاط بين الشريعة والدين⁽³⁾، المرأة والتدين⁽⁴⁾، المرأة مكانها البيت؟؟⁽⁵⁾. ونشر تلاميذ الأستاذ محمود وتلميذاته كذلك: بيت الطاعة: المشكلة والحل⁽⁶⁾، والمنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمى⁽⁷⁾، واتحاد نساء السودان وقضية المرأة⁽⁸⁾، وغيرها مما وردت الإشارة إليه).....

يضاف إلى ذلك، فإن أى دراسة عن الحركة النسوية السودانية وتطورها، كما هو الحال فى كتاب: أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات، تغفل الإشارة للأخوات الجمهوريات وقد كن ملء السمع والبصر، يتحدثن فى المنابر فى الجامعات وفى الشوارع ويوزعن كتب الفكرة الجمهورية. أكثر من ذلك، فقد كان نشاط الأخوات الجمهوريات، ثورة فى عالم المرأة، وفى حقوقها وفى حياتها، وأكبر من ذلك، إن نشاط الأخوات الجمهوريات كان نشاطاً غير عادى، بل كان نشاطاً جديداً كلياً على المجتمع السودانى وربما العالم، من أى النواحي أتيت. وأبلغ من ذلك، أن نشاط الأخوات الجمهوريات قد بلغ خبره الناس موثقاً ومشاهداً فى المكاتب وفى الميادين والجامعات والشوارع. لهذا، فى تقديرى، أن أى دراسة فى مجال الحركة النسوية السودانية، تغفل الإشارة للأخوات الجمهوريات تعتبر دراسة مبتورة وقاصرة وعاجزة عن النهوض بموضوعها، وبالتالي ناقصة وضعيفة فى نتائجها وتوصياتها.

(1) الإخوان الجمهوريون، الزى عنوان عقل المرأة وخلقها، أمدرمان، 1975.

(2) الأخوات الجمهوريات، أضواء على شريعة الأحوال الشخصية، أمدرمان، 1973.

(3) الإخوان الجمهوريون، الاختلاط بين الشريعة والدين، مصدر سابق.

(4) الإخوان الجمهوريون، المرأة والتدين، أمدرمان، 1975.

(5) الإخوان الجمهوريون، المرأة مكانها البيت؟؟، ط 1، أمدرمان، 1975.

(6) الإخوان الجمهوريون، بيت الطاعة: المشكلة والحل، أمدرمان، 1975.

(7) الإخوان الجمهوريون، المنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمى، مصدر سابق.

(8) الإخوان الجمهوريون، اتحاد نساء السودان وقضية المرأة، أمدرمان، 1975.

كتاب: نظرية داروين في الميزان: دراسة تحليلية لنظرية داروين في النشوء والارتقاء وبيان تهافتها وإسقاطها على الفكر الاجتماعي الإنساني⁽¹⁾

إن التطور يزحم كل الوجود وهو قانون الوجود وما الحياة إلا مرحلة من مراحل هذا السير الأبدى السرمدي وهي مرحلة لا تختلف عما قبلها وما بعدها اختلاف نوع وإنما اختلاف مقدار وكذلك يا سيد فاروق اختلاف الإنسان عن الحيوان ذي الخلية الواحدة.. ليس هو اختلاف نوع وإنما اختلاف مقدار⁽²⁾.

محمود محمد طه، ضمن مقال عن نظرية داروين يوم 1959/4/1

ألف هذا الكتاب بروفيسور زكريا بشير إمام عن نظرية داروين، وتناول آراء داروين وشخصيته وتأثيره الفكري في العالم، ودرس كتابيه، الأول: أصل الأنواع On the Origin of Species، وقد ظهر عام 1859، والكتاب الثاني: أصل الأنواع ونظرية الانتخاب الطبيعي فيما يتعلق بالجنس *The Descent of Man and Selection in Relation to Sex*، الذي نشر عام 1871. يقع كتاب زكريا بشير إمام في (123) صفحة من القطع المتوسط. أفرد المؤلف إحدى الصفحات وعرض فيها أهم الموضوعات التي تناولها الكتاب، والموضوعات هي: نظرية داروين في أصل الأنواع، ونظرية داروين في أصل الإنسان وانحداره من القرد، ونظرية الإسلام في خلق الإنسان وإبداعه، ونظرية الإسلام في طبيعة النوع الإنساني وتكوينه من مادة وروح، والقرآن الكريم ومفهوم الإنسان، وإسقاطات نظرية داروين على الفكر الاجتماعي الإنساني، ونقد نظرية داروين وتفنيدها. ناقش المؤلف بروفيسور زكريا بشير إمام هذه الموضوعات من خلال ستة فصول ومقدمة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع. تعود قصة الكتاب، كما حكى المؤلف، إلى اهتمامه بالموضوع منذ أن كان طالباً في قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، ثم دعوته لأساتذة كلية

(1) زكريا بشير إمام، نظرية داروين في الميزان: دراسة تحليلية لنظرية داروين في النشوء والارتقاء وبيان تهافتها وإسقاطها على الفكر الاجتماعي الإنساني، ط2، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم، 2010.

(2) محمود محمد طه، "تعالوا إلى كلمة سواء: بين نظرية دارون والدين"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 203، بتاريخ 1959/4/1. فاروق المشار إليه هو اسم شخص وجه سؤالاً للأستاذ محمود عن نظرية داروين عبر صحيفة أنباء السودان في يوم 1959/3/11.

العلوم إلى مناظرة بعد أن عاد من أمريكا وقد نال درجة الدكتوراة. عقد المناظرة في شتاء عام 1982، بمدرج القرشى بكلية العلوم، وقد حضرها جمع غفير من الطلاب والأساتذة⁽¹⁾. ظلت الفكرة في حضان المؤلف زكريا بشير إمام حتى خرجت في هذا الكتاب. لقد استعرض المؤلف آراء عدد كبير من المفكرين والعلماء، كما أشار إلى المفكرين والعلماء الإسلاميين الذين كانت لديهم مقالات وكتابات عن نظرية داروين، كتب المؤلف قائلاً: "فقد كتب عدد كبير من المفكرين والعلماء الإسلاميين مقالات ناقدة لنظرية (داروين)"⁽²⁾. ثم عدد المؤلف "أشهر هذه المقالات المناهضة للدارونية"⁽³⁾، وأشار إلى مقالات: محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وكتاب عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن الكريم، وكذلك كتابات: إحسان حقى: "خلق لا تطور"، وباسمة كمبال، ومحمد غلاب، وسامى عابدين.

الشاهد أن مؤلف الكتاب استعرض وأشار إلى عدد كبير من المفكرين والعلماء المسلمين، الذين كتبوا عن نظرية داروين، ولم ترد مجرد إشارة إلى الأستاذ محمود سواء إلى آرائه أو بالإشارة إليه في قائمة المصادر والمراجع. لقد كان الأستاذ محمود سابقاً في الكتابة عن نظرية التطور لمعظم الذين كتبوا عنها. لقد كتب الأستاذ محمود باكراً عن نظرية داروين شارلس روبرت داروين Charles Robert Darwin (1809-1882)، بل كان من أوائل الذين كتبوا ونشروا عنها في السودان، إن لم يكن أولهم، فقد نشر الأستاذ محمود أول مقال كتبه عن نظرية داروين في يوم الأربعاء 1959/4/1. جاء مقال الأستاذ محمود الأول عن نظرية داروين استجابة لسؤال تقدم به أحد القراء واسمه فاروق من كلية الأقباط بالخرطوم، نشر فاروق سؤاله في يوم 11 مارس 1959 بصحيفة أنباء السودان على النحو التالي:

إلى الاستاذ محمود محمد طه: جرى بيننا وبين الطلبة خلاف حول نظرية التطور لداروين وموقف الدين منها ... ففى حين أن هذه النظرية التى تدرس

(1) زكريا بشير إمام، مرجع سابق، ص 13-14.

(2) المرجع السابق، ص 112-113.

(3) المرجع السابق، ص 112-113.

الآن تقول بأن بداية الكائنات الحية كانت (أميبيا) أى خلية واحدة... لا يقول الدين بذلك حسب الظاهر كما فهمنا. فهل يتكرم (المعلم الكبير) بشرح هذا الموضوع شرحاً يزيل اللبس؟⁽¹⁾.

جاء رد الأستاذ محمود فى مقال بعنوان: "بين نظرية داروين والدين"⁽²⁾، فى ما يقارب الصفحتين من صحيفة أنباء السودان. ثم كتب الأستاذ محمود كتابات عديدة لاحقاً. إلى جانب ذلك فمن المعلوم لكل أولئك الذين كانوا طلاباً بالجامعات السودانية، خاصة بجامعة الخرطوم، خلال فترة الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، أن تلاميذ الأستاذ محمود طرحوا رؤيته عن داروين، وبلغوها لطلاب وأساتذة جامعة الخرطوم عبر أركان النقاش وفى المساجلات اليومية وفى الندوات والمناظرات، هذا إلى جانب الكتابات المنشورة والمحاضرات التى ظل يقدمها الأستاذ محمود فى مختلف أحياء العاصمة الخرطوم ومختلف مدن وقرى السودان. لقد كان التداول بشأن نظرية داروين فى السوح السودانية جديداً آنئذ، وكان طرح الأستاذ محمود فيه أيضاً باكراً وجديداً. لا أحسب أن دراسة أكاديمية تلتزم بالأسس العلمية والمبادئ الأكاديمية، ويقدمها أحد المتخصصين فى الفلسفة، تستطيع أن تتجاوز الكتابات الباكورة والمنشورة للأستاذ محمود عن موضوع نظرية داروين. كما هو الحال فى هذا الكتاب، فمؤلفه زكريا أحد أساتذة الفلسفة والفكر الإسلامى بالجامعات السودانية. بالطبع ليس مطلوباً الاتفاق مع رأى الأستاذ محمود، وإنما إيراد الرأى ومناقشته، مع إبراز الاختلاف، أمر تتطلبه الأسس العلمية، خاصة وأن الرأى مستوف للشروط العلمية، فهو رأى مكتوب ومنشور ومن وقت باكر وفى داخل السودان. هذا نموذج أيضاً يؤكد ويبرر الاستفهامات الكبيرة بشأن مدى التزام الأكاديمية السودانية بمبدأ إظهار الحقيقة ونشرها.

(1) فاروق - كلية الأقباط بالخرطوم، "إلى الأستاذ محمود محمد طه"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 197، بتاريخ الأربعاء 1959/3/11.

(2) محمود محمد طه، "تعالوا إلى كلمة سواء: بين نظرية داروين والدين"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 203، بتاريخ 1959/4/1.

كتاب: الفدرالية كأداة لإدارة النزاع في المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات، حالة السودان⁽¹⁾

لقد طالب الأستاذ محمود بتطبيق الحكم الفدرالى قبل أن ينادى به حتى الجنوبيين، لأنه نظر ببصيرته الثاقبة فرأى أن التنوع الموجود فى السودان لا يمكن إدارته بمركزية قابضة⁽²⁾.

أتيم قرنقى

فى الأصل كان هذا الكتاب رسالة دكتوراة، نال بها المؤلف عمر عوض الله قسم السيد درجة الدكتوراة، وقد بين ذلك فى صفحة (العرفان) قائلاً: "رسالة الدكتوراة هذه تمت كتابتها، تحت الإشراف الأكاديمى للبروفيسور توماس فلاينر (مدير معهد الفدرالية، جامعة فرايبورغ، سويسرا)، خلال الفترة من يناير 2002، إلى ديسمبر 2004". يقع الكتاب فى (319) صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من مقدمة وأربعة أبواب، وكل باب عبر عن نفسه من خلال فصول، فاشتمل الكتاب على خمسة وعشرين فصلاً، وكل فصل تضمن محاور عديدة. هذا إلى جانب الخلاصة وقائمة المراجع. تناول الباب الأول: "فهم التنوع وأسباب النزاع فى السودان"، ودرس الباب الثانى: "السودان والحل الفدرالى"، ووقف الباب الثالث عند: "الشروط الجوهرية للحلول الفدرالية"، وركز الباب الرابع على: "تحويل الدولة: الآليات الفعالة لتطوير الهوية القومية فى السودان". الشاهد أنه إلى جانب موضوع الفدرالية محور الكتاب، والتى كان الأستاذ محمود أول من كتب عنها كتاباً فى السودان عام 1955، بعنوان: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، كما ورد آنفاً، فإن الكتاب تناول موضوعات عديدة، كان للأستاذ محمود فيها كتابات باكرة ومنشورة وبآراء جديدة وجريئة. فقد تناول الكتاب فى فصول مختلفة موضوعات كثيرة منها: الفدرالية ومسألة الشريعة، والبنى الدستورية، وقضية الدين، والأحكام الإسلامية تجاه جرائم وعقوبات الحدود،

(1) عمر عوض الله قسم السيد، الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان، ترجمة: عبد الحافظ عبدالعزيز ومراجعة محمد المصطفى حسن عبد الكريم، ط 1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرام، 2010.

(2) علاء الدين بشير "الاحتفال بذكرى الأستاذ محمود محمد طه بدار الحركة الشعبية"، (رصد)، مرجع سابق.

وهل من الممكن التمييز ضد الأقلية غير المسلمة لصالح الأغلبية المسلمة؟، وجريمة الردة، والتضارب بين حريات الأغلبية والدستور الفدرالى... إلخ. كما أشار المؤلف قائلاً: "وأثناء التوجه نحو الاستقلال اقترح الجنويون الفدرالية كنظام للحكم بينهم وبين الشمال، لكن هذ قد رفض"⁽¹⁾. الشاهد أن كل هذه الموضوعات التى تناولها هذا الكتاب، كانت موضع اهتمام عند الأستاذ محمود فقد كتب ونشر عنها باكراً. فقد كتب عن الدستور الاسلامى، الدستور الإسلامى.. نعم ولا⁽²⁾، وغيره كما قدم العديد من المحاضرات، وقد وردت الإشارة لهذه الكتابات ولا حاجة لتكرارها هنا. أما موضوع الفدرالية فقد كان الأستاذ محمود أول من نادى بضرورة قيام حكومة فدرالية، وأتبع النداء بتأليف كتاب، كتب منصور خالد قائلاً:

ففى السياسة الحكيمة كتب محمود فى عام 1955 عن الفيدرالية كأصلح المناهج لنظام الحكم فى السودان، فى الوقت الذى كان غيره يصفُ الفيدرالية بأنها ذريعة استعمارية لتفتيت وحدة السودان وكأننا بهؤلاء لم يكونوا يعرفون كيف وحدثُ الفيدراليةُ دولاَ مثل (الولايات المتحدة الأمريكية، والهند، وكندا، والبرازيل، وألمانيا). إن ما طرحه الأستاذ محمود فى كتابه: أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، الذى نُشر عام 1955، واستهجنه الناس آنذاك، قامت على جوهره اتفاقية أديس أبابا عام 1972، ولم تخرج اتفاقية السلام الشامل من روحه، وقد جاءت بعد نصف قرن من الزمان⁽³⁾.

لم ترد مجرد إشارة للأستاذ محمود وآرائه أو كتبه أو كتب تلاميذه فى قائمة مصادر ومراجع فى كتاب: الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان. لقد وردت إشارة للأستاذ محمود حينما كان المؤلف يتحدث عن جريمة

(1) عمر عوض الله قسم السيد، ص 209.

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الدستور الإسلامى؟ نعم .. ولا، أمدرمان 1968.

(3) منصور خالد، "محمود الذى عرفت"، مصدر سابق.

الردة، قال المؤلف: "أنا في السودان فالشخص الوحيد الذى وجد مذبذباً بموجب هذه الجريمة ونفذ عليه حكم الإعدام بالشنق، هو محمود محمد طه فى 1985، ومنذ ذلك الزمن لم تُوجه أى اتهامات بالردة"⁽¹⁾. ثم كتب المؤلف فى الهامش فى نفس الصفحة: "فى هذا الصدد، الأكاديمى السودانى عبدالله أحمد النعيم كشف عن الشكوك فى عدالة الإجراءات القضائية، والتى استخدمت فى هذه القضية وادعى أن محمود محمد طه قد أعدم لمعارضته السياسية لنظام نميرى فى ذلك الوقت". وعن الردة فى قانون العقوبات لسنة 1983 أشار المؤلف فى الهامش نفسه قائلاً: "لتبرير هذا الاتهام يشير هو (عبدالله أحمد النعيم) إلى حقيقة أن الردة لم ينص عليها فى قانون العقوبات لسنة 1983، الذى بموجبه قد تم إعدام محمود محمد طه تبعاً لذلك". ثم أشار المؤلف فى الهامش نفسه، إلى إعادة النظر فى قضية الأستاذ محمود بعد الإطاحة بنظام نميرى، كتب المؤلف قائلاً: "بناء على طلب من ابنة محمود محمد طه، أعادت المحكمة العليا، بعد الإطاحة بنظام نميرى، النظر فى القضية ووجدت أن محمود محمد طه غير مذبذب".

الشاهد أننى لست بصدد التناول لإشارة المؤلف بشأن موضوع بطلان محاكمة الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام، فهذا الأمر لم يعد موضعاً للأخذ والرد فقد وضح وثبت بطلانه بالقانون وينمو الحس العدلى عند الناس وبالوعى وبالقدرة على تفكيك الرموز التى احاطت وتداخلت بالموضوع. فالأمر فى يقينى ينتظر فقط الخطوة الشجاعة القادمة، وهى خطوة الاعتذار، وهى قادمة مع أجيال المستقبل، لا ريب فى ذلك. الشاهد أن الكتاب وهو أطروحة دكتوراة لم يكن استثناءً، فى تجاهل الأستاذ محمود، وإنما كان حاله حال جل الدراسات التى أُنجزت فى محيط الأكاديمية السودانية.

خاتمة: الطريق نحو ما بعد التاريخ المعلن

لقد ظلت الأكاديمية السودانية مقاطعة للأستاذ محمود ومشروعه، وعازلة له عن حركة البحث العلمى، وبهذا فهى لم تحافِ البحث عن الحقيقة وإظهارها ونشرها فحسب؛ وإنما

(1) عمر عوض الله قسم السيد، مرجع سابق، ص 272.

ساهمت فى تشويه تاريخ الأستاذ محمود وسيرته بتغييبه من الذاكرة الجمعية وتضليل غمار الناس فيه. إن أى نموذج من هذه النماذج التى درستها هو فى واقع الأمر، يمثل مثالا لدراسات وكتب عديدة صدرت فى نفس المجال، وقد تجاهلت الأستاذ محمود تجاهلاً تاماً، وأغفلت الإشارة لكتبه وآرائه ولكتب تلاميذه. هذا التجاهل يكشف انحراف الأكاديميا السودانية عن المسار الصحيح، وعن مفارقتها للإرث الذى ورثته من الأكاديميا البريطانية. كذلك، لقد تمّ هذا التجاهل فى مجالات كان للأستاذ محمود فيها مساهمات باكرة وأصيلة ومنشورة منذ أربعينيات القرن الماضى، وبرغم ذلك لا تجد إشارة للأستاذ محمود أو كتبه أو آرائه.

تكاد تخلو جل قوائم مصادر ومراجع دراسات الأكاديميا السودانية، من اسم الأستاذ محمود ومن كتبه وكتب تلاميذه. فالأمر هنا أبعد من أن يكون مرتبطاً بالحرية الأكاديمية، وإنما يتصل الأمر بالضمير والوعى والشجاعة العقلية والقدرة على مواجهة المؤسسة الدينية ومناطحة سلطتها الدينية من فقهاء وعلماء دين... إلخ. السؤال الذى يطرح نفسه هنا، هل يمكن القول بأن الأكاديميا السودانية قد تماهت مع الفقهاء؟ ومن ثم تماهت مع العقل الثقافى السائد، واستجابت لثقافة القطيع؟ وهل يمكن الحديث عن حالة خوف انتابت جُلَّ الأكاديميين السودانيين، ولم يكونوا قادرين على مواجهة سلطة المجتمع والسلطة الدينية؟ أيضاً من المهم الإشارة إلى أن الإغفال والتجاهل لم يكن كله متعمداً ومقصوداً، فبعضه يعود لضعف التدريب الأكاديمى، والغياب لإعمال الحس النقدى. وهو أمر موروث فى الأكاديميا السودانية، يعود إلى طبيعة الجرعة التعليمية فى نظام التعليم الذى أسسه المستعمر فى بواكير القرن العشرين. فهو تعليم كان يهدف، كما ورد آنفاً، إلى تخريج الكتبة والفنيين، وليس صناعة قادة المستقبل. نتج عن ضعف التدريب الأكاديمى الاستمرار فى حالة اللا إعمال للحس النقدى، وضعف الاتصال بالمصادر ومطائنها، وبالثائق واستنطاقها. أيضاً، يكشف تجاهل الأستاذ محمود، سواء كان بقصد أو بغير قصد، وعدم الإشارة إلى كتبه وكتب تلاميذه، إلى ما تعانیه دراسات الأكاديميا السودانية، من أزمات فى المنهج وطبيعة التناول لمعالجة الموضوعات والقضايا. إن المدهش والمستغرب حقاً، ليس الإغفال

والتجاهل للأستاذ محمود من كاتب ما أو كتاب ما، وإنما المدهش حقاً هو هذا الإجماع على التجاهل! وهذا التحالف غير المتفق عليه وغير المكتوب. إن جل دراسات الأكاديمية السودانية - بما اتضح لنا من خلال دراسة هذه النماذج في الرسائل الجامعية أو نماذج الكتب - أنها تواجه إشكاليات كبيرة، وتنتج عنها آثار سلبية عظيمة على الأرض وفي العقول، سواء من حيث ضعف منهج المعالجة وقصوره أو قيامها بدورها في بتر المعارف وتغييب بعض الوقائع والأحداث، ومن ثم الخلل في الأسس العلمية، والقصور في النتائج والخلاصات. وكل هذا سواء كان بقصد أو بغير قصد، وسواء كان بسبب ضعف في التدريب أو التكوين الأكاديمي أو غيره، وسواء كان بسبب تمهات مع السلطة الدينية أو غيره، وسواء كان بسبب ضعف الحس النقدي أو غيره، فإنه يعنى ببساطة عبثاً إضافياً على الأمم يتمثل في تعليق القضايا وترحيلها إلى المستقبل.

ففى تقديرى أن دراسات الأكاديمية السودانية إذا ما انفتحت على الأستاذ محمود واطلعت على آرائه لوقفت على آراء جديدة وحية ومواجهة للقضايا، وعندها يتحقق الإثراء والتطوير والتجديد فى سوح الأكاديمية السودانية، وينتفى التهميش والبتز للمعارف. إن بتر المعارف وممارسة التهميش بوعى وبغير وعى يعنى مجافاة الأكاديمية لمبدأ إظهار الحقيقة ونشرها، ومن ثم يقود إلى تشوه العقول والفهوم، الأمر الذى ساهم، وعبر تراكمه ضمن عوامل أخرى بالطبع، فى تجميد حركة التغيير فى السودان، وأدى إلى تراكم المظالم ومن ثم إلى تشظى السودان. هنا تأتى ضرورة اعمال الحس النقدي لما هو معلن من التاريخ لتمهيد الطريق للوقوف على «مابعد التاريخ المعلن»، إن المعلن من تاريخ السودان لا يسعف فى تحقيق السلام والتعايش وبناء الوحدة، وإنما يغذى طموحات التشظى. إن مقدمات التشظى على الأرض تبدأ فى العقول، عبر تغييبها وتشويهها وتضليلها فى معرفة الحقيقة وفى دراسة التاريخ.

مهما يكن من أمر فإن غياب الورع العلمى فى التعاطى مع الأستاذ محمود ومشروعه، وعزله من ميدان البحث العلمى فى السودان، والإجماع على تجاهله وإغفاله بعدم الإشارة إليه أو إلى كتبه وكتب تلاميذه، أمر لا يقف عند حد التساؤل والاستفهام؛ وإنما يصل الأمر إلى حد الطعن فى الأكاديمية السودانية وفى لجانها ومبادئها، الأمر الذى يجعلنا محقين فى

الدعوة إلى إجراء المراجعات الشاملة لإرث الأكاديمية السودانية ولنظمتها ولسارها الراهن وفى المستقبل. أيضاً، لا تكتمل الصورة فى تجاهل الأستاذ محمود إلا بالوقوف على المذكرات والسير الذاتية التى كتبها معاصرو الأستاذ محمود، باعتبارها من أهم مصادر الدراسات السودانية، الأمر الذى يؤكد أن جل دراسات الأكاديمية السودانية تفتقر لإعمال الحس النقدى، وهذا ما سأتناوله فى الفصل السادس عشر، وهو بعنوان: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه". ولا تكتمل الصورة كذلك إلا بالوقوف على موضوع الفصل القادم وهو بعنوان: "الأستاذ محمود فى كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية".

الفصل
الخامس عشر

15

.....
الأستاذ محمود في كتب التراجم والمعاجم
وموسوعات الأعلام السودانية
.....

أحسبت هاتيك المشائق تقوى على طمس الحقائق
أحسبت أن الحبل يجتاح الخليقة والخلائق
محمود يرفع للسماء وأنت فوق الأرض لاصق
محمود قد عشق الحبال وطالما عشق المشائق
محمود ليس يغيب بل يأتى ليحتل الشواهد
ويعيش فى التاريخ وهاجاً يلوح بكل شارق
أبغيب محمود ويحيا الجاهل المغرور هذا غير لائق

الشاعر منير صالح عبدالقادر (1919-1994) ⁽¹⁾

(1) كان شاعراً وناقداً وصحفيًا، له إسهامات فى الشعر وحوارات فى الأدب والثقافة، وكانت له ندوة "اجزخانة العاصمة". كان منير عضواً فى الحزب الجمهورى، وظل على علاقة مستمرة بالأستاذ محمود. كان بعض أفراد أسرته يمشون أوقاتاً فى منزل الأستاذ محمود، وكان يزور الأستاذ محمود حين يعود فى إجازاته السنوية، إذ كان يعمل مستشاراً ثقافياً بالجمعية الثقافية فى أبوظبى بدولة الإمارات العربية المتحدة لسنوات طويلة حتى وافته المنية. وحينما تم تنفيذ حكم الإعدام فى حق الأستاذ محمود، وثاه الشاعر منير، بقصيدة عنوانها: "النشيد الأول"، الأبيات أعلاه أبيات متفرقة.

محمود محمد طه... خير ما يقال عنه أنه أخلص القادة للقضية وللسودان..
بل وللعالم الواسع⁽²⁾.

يحيى محمد عبد القادر (1914-2011)

هل غاب الأستاذ محمود عن صفحات كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية؟ معلوم، أن بعض كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية وضعها أفراد وبعضها الآخر كان عبارة عن أوراق علمية لمجموعة من الباحثين، تناولت كل ورقة علمية شخصية بعينها، فهل جاء الأستاذ محمود فى أى ترجمة أعدها أى باحث من الباحثين أو الأكاديميين أو المهتمين السودانيين؟ وهل الإشارات التى وردت عن الأستاذ محمود فى بعض كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام السودانية، كانت إشارات صحيحة وكانت تسلط الضوء على دوره فى الحركة الوطنية وحجم عطائه الفكرى، أم أنها حملت الأخطاء والتشويه لسيرته وصورته؟ وإذا كان ذلك كذلك، هل يمكننا القول بأنها كانت متماهية مع المناخ العام ومع القطيع حيث موقف الفقهاء والتحالف الإسلامى ضد الأستاذ محمود وحيث محكمتى الردة 1968، و1985، ثم تنفيذ حكم الإعدام؟ أسعى للإجابة على هذه التساؤلات من خلال القراءة فى أكبر قدر من كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام التى أعدها المثقفون السودانيون. فى تناولى هذا، لا أفترض ضرورة ووجوب أن ترد الإشارة للأستاذ محمود فى كل كتاب من كتب التراجم والمعاجم، وإنما

(1) يحيى محمد عبد القادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، مصدر سابق، ص 146-147.

لفت انتباهي أن هناك ما يشبه الاجماع الصامت على تغييب الأستاذ محمود. إلى جانب أنه لفت انتباهي أن هناك معلومات خاطئة وردت في بعض كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام، ولم يقف الأمر عند الأخطاء في تلك الكتب بل استند على تلك الأخطاء باحثون وبنوا عليها محاجاتهم فاستخلصوا بناءً عليها نتائج لتدعيم حججهم وموقفهم المخاصم والعدائي من الأستاذ محمود.

عن كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام

أنا كإنسان سوداني قد هزنى الموقف الشجاع للرجل الذي اختار الموت بدلاً عن التنازل عن فكره هذه هي القيمة الحقيقية والدرس الكبير لنا جميعاً⁽¹⁾..
لقد حفر شهيد الفكر اسمه بحروف من نور في عقول السودانيين وسقط المعتدين في صناديق القمامة حيث مزابل التاريخ⁽²⁾.

يوسف عثمان محمد بلال الموصلي

المعاجم والتراجم وموسوعات الأعلام هي كتب تعرف بحياة عدد كبير من الأفراد اللامعين والبارزين في المجتمع من العلماء والمؤرخين والأدباء والمهنيين ورواد الفكر والمشاهير من الساسة والأعيان... إلخ، وترتب بطريقة محددة هجائية، تاريخ الوفاة أو الميلاد... إلخ. كان الاهتمام في البدء ينصب في الترجمة للأسماء، ثم شمل الترجمة للأحياء والمعاصرين. ومن التراجم ما هو عام مثل: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي (10 مجلدات). ومنها المتخصص الذي يترجم للأعلام حسب الحقبة التاريخية أو حسب الموضوعات أو الجغرافية - المكانية، أو حسب تخصص معين، ومن نماذج ذلك: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، وتاريخ قضاة الأندلس، للنبنهاني، ومعجم أدباء مصر، لمسعود

(1) يوسف عثمان محمد بلال الموصلي، ضمن خيط سارة منصور: "موسم البكاء على محمود محمد طه"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2004/1/22، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

(2) يوسف عثمان محمد بلال الموصلي، ضمن خيط ياسر الشريف: "لقاء صحفي مع قائد الطائرة التي حملت الأستاذ: توثيق"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2004/2/4، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

شومان، 2004. ومن نماذج الموسوعات العامة، موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، ومن نماذج موسوعات الاعلام الحديثة، موسوعة أعلام المغرب. ومن نماذج التراجم العالمية السلسلة الشهيرة *Who's who* وسلسلة *Who was who*. هذه فكرة مجملية ومختصرة حول كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الاعلام، تعطى صورة تقريبية، وتقدم تعريفاً مبسطاً لأنواعها ونماذجها دون خوض في التفاصيل.

صناعة التراجم والمعاجم وموسوعات الاعلام وتطورها في السودان

إن التاريخ لا بد أن يهتم بتلك اللحظات الحاسمة في تاريخ البشر... ولكن التاريخ أيضاً لابد أن يهتم بقدر أكبر بالذين صنعوا تلك الأحداث لا بالذين تصدوا لأمرها بعد أن نضجت (1).

محمد سعيد القدال

يُعد كتاب: الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، لمحمد بن ضيف الله (1728-1810)، أول معاجم الشخصيات في السودان. ويرى المؤرخ يوسف فضل حسن، وهو الذي عكف على تحقيق كتاب الطبقات: أن تقليد تأليف التراجم والطبقات امتد إلى السودان وادى النيل بعد أن غلبت عليه الثقافة العربية الإسلامية في عهد سلطنة الفونج (1504-1821). فالتجربة العربية الإسلامية ثرة ولها أثر خاص في إعداد التراجم البيوغرافية وكتب الطبقات من سير العلماء خاصة علماء الحديث النبوى الشريف. فكان كتاب الطبقات الذى ألفه محمد بن ضيف الله هو أول معاجم الشخصيات، بل لعله الوحيد الذى كُتب في ذلك العهد (2). وأشار البروفسير يوسف إلى أن بعض الكتب في السودان ترسّمت نمط ابن ضيف الله في الطبقات وركزت على شخصيات دينية، منها كتاب: إرشاد السارى لتراجم آل عيسى الأنصارى، الخرطوم، 1955، تأليف محمد عبد المجيد السراج. ثم امتد النشاط ليشمل شخصيات أخرى. كذلك كتاب: صحيح المخبر عن أعلام بربر: تاريخ وتراجم، لمؤلفه

(1) محمد سعيد القدال، "المدرسة التاريخية السودانية"، مرجع سابق، ص 16.

(2) يوسف فضل حسن، حواشٍ على متون: علماء ومؤرخين ومفكرين في تاريخ أفريقيا والسودان، مرجع سابق، ص 114، 117.

باشرى عبد الرحمن الذى ترجم فيه لأعيان بربر. وأشار البروفسير يوسف إلى أنه امتد النشاط ليشمل الترجمة للسياسيين خاصة رجال الحركة الوطنية، والأدباء والفنانين والعلماء والمهنيين. ومن ذلك: معجم سير (أشخاصيات) السودان لرتشارد هيل، الأولى عام 1951 والثانية عام 1967⁽¹⁾. وأشار البروفسير يوسف إلى أن هذا المعجم يهتم بالأعلام من السودانيين وغيرهم ممن عملوا فى السودان، كالأترك والمصريين والبريطانيين ورواد الفكر السودانى⁽²⁾.

توسع النشاط فى كتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام فى السودان فى الربع الأخير من القرن العشرين. فظهر على سبيل المثال فى عام 1987 كتاب الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011)، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، (ثلاثة أجزاء)⁽³⁾. وكانت هناك أيضاً مذكرات الأستاذ يحيى محمد عبد القادر بعنوان: **على هامش الأحداث فى السودان**، فقد تضمنت المذكرات فصلاً بعنوان: "شخصيات". تناول فيه يحيى نحو أربعين شخصية جُلُّهم من طلائع المتعلمين. وكان الأستاذ يحيى قد نشر مذكراته أول مرة فى صحيفته صحيفة "أنباء السودان" التى صدرت خلال الفترة من 1969 إلى 1983، ثم نشر تلك المذكرات لاحقاً فى كتابه الذى هو بعنوان: **على هامش الأحداث فى السودان**، وقد أشار لذلك فى مقدمته. أيضاً، ظهر فى نهاية ثمانينيات القرن الماضى **معجم الشخصيات السودانية المعاصرة** لأحمد محمد شاموق⁽⁴⁾. وقد بين واضع المعجم من ضمن المداخل والضوابط التى بنى عليها المعجم، أنه معجم شامل لكل رموز المجالات والنشاطات الممارسة فى السودان، ووضع على غرار معاجم الشخصيات العالمية المعروفة *Who is who*، كما أن المعجم يرصد الأحياء فقط. وقد بدأ العمل فى المعجم فى أواخر أبريل عام 1985، كما جاء فى مقدمته⁽⁵⁾. كذلك ظهر كتاب

(1) المرجع السابق، ص 114، 117.

(2) المرجع السابق، ص 114، 117.

(3) يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، مصدر سابق.

(4) أحمد محمد شاموق، **معجم الشخصيات السودانية المعاصرة**، ط 1، بيت الثقافة للترجمة والنشر والتوزيع، الخرطوم، 1988.

(5) المصدر السابق، ص 24-25.

محجوب عمر باشري: رواد الفكر السوداني⁽¹⁾، الذي ترجم لنحو مائة وسبع عشرة شخصية جُلُّهم من طلائع المتعلمين. أصدر صلاح الدين المليك كتاباً بعنوان: من نجوم الغد، وقد ترجم الكتاب لعشرة أشخاص جلهم من طلائع المتعلمين⁽²⁾، ومنهم من الأجيال اللاحقة لطلائع المتعلمين. وظهر كتاب بعنوان: رجال ومواقف في الحركة الوطنية⁽³⁾، لمصطفى محمد الحسن، وترجم الكتاب لستة من طلائع المتعلمين، من رجال الحركة الوطنية. ثم كان كتاب محمد إبراهيم أبو سليم (1927-2004): أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان⁽⁴⁾. وأصدرت الهيئة القومية للثقافة والفنون لما وسمته بـ "معجم أدباء السودان، الجزء الأول"، قام بإعداده ثمانية من الأساتذة السودانيين. ولم يذهب المعجم، كما جاء في المقدمة، أبعد من عصر الفونج، ثم العهد التركي وعصر الثورة المهدية، وقد بلغ مجموع شخصياته ثمانية وستين شخصية⁽⁵⁾، بدأت بإبراهيم علي بقادى في عهد الفونج، وختم شخوصه في فترة الثورة المهدية بالشيخ محمد شريف نورالدائم (1841-1908). في العقد الأخير من القرن الماضي ظهر كتاب: شخصيات عامة من الموردة، لميرغنى حسن علي. الذي ترجم فيه لنحو اثنتي عشرة شخصية من حى الموردة بأمدردمان، ونشر كتابه في منتصف العقد التاسع من القرن الماضي. ثم عاد ميرغنى في عام 2009، ونشر كتابه تحت عنوان: شخصيات وطنية من أمدردمان، بعد أن أضاف إليه، كما حدثنا المؤلف في مدخل كتابه، قائلاً: "ويضاف إليه اليوم جزء آخر يحتوى على ملامح من سيرة شخصيات أخرى، دون التقيد بترتيب زمني... وهذه الشخصيات عاشت جميعاً في أحياء متفرقة من أمدردمان"⁽⁶⁾. بلغ مجموع الشخصيات في كتاب ميرغنى بعنوانه الجديد، عشرين شخصية، جميعهم من قاطني أمدردمان، وكانت من بينهم سيده واحدة هي السيدة خالدة زاهر (1926-2006)،

(1) محجوب عمر باشري، رواد الفكر السوداني، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991.

(2) صلاح الدين المليك، من نجوم الغد (1)، (بدون تاريخ ومكان نشر).

(3) مصطفى محمد الحسن، رجال ومواقف في الحركة الوطنية، (بدون تاريخ ومكان نشر). ملاحظة: ربما هناك تاريخ ومكان نشر، لأن النسخة التي بحوزتي مطموسة فيها بعض معالم غلافها.

(4) محمد إبراهيم أبو سليم، أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان، مرجع سابق.

(5) عون الشريف قاسم (وآخرون)، معجم أدباء السودان، الجزء الأول، الهيئة القومية للثقافة والفنون، الخرطوم، 1994.

(6) ميرغنى حسن علي، شخصيات وطنية من أمدردمان، أفرو الطيب للطباعة، الخرطوم، 2009، ص 5.

أول طبعة سودانية.

فى عام 1996 ظهرت أضخم موسوعة للقبائل وأشهر الأعلام فى السودان لمؤلفها عون الشريف قاسم (1933-2006). جاءت الموسوعة بعنوان: **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن**⁽¹⁾. وهى موسوعة ضخمة تتكون من ستة أجزاء، تقع فى الفين وستمئة وثمانى وعشرين صفحة، من القطع المتوسط، وأشار المؤلف فى خاتمة الجزء السادس أنه لاحقاً سيصدر جزءاً سابعاً، وهو عبارة عن ملحق يشمل المراجعات والتصحيحات والاستدراكات والإضافات التى لم ترد فى أجزاء الموسوعة، مع مناشدة للقراء أن يوافوه بملاحظاتهم واستدراكاتهم لتضمينها فى ذلك الملحق. لم يقف على ذلك الملحق، ولربما لم يصدر الملحق إذ عاجلت المنية المؤلف فانتقل إلى جوار ربه قبل أن ينجزه. جاء كذلك كتاب: **أصوات فى الثقافة السودانية**، لمكى أبو قرعة، تضمن الكتاب ترجمة لأكثر من أربعين شخصاً، منهم الرجال ومنهم النساء. مثلوا حقبة متفاوتة، وكان من بينهم معاصرون. أراد المؤلف كما جاء فى مقدمته: "أردنا بها أن نقدم نماذج من الثقافة السودانية لأجيال منقطع بها.. حجبتها الظروف السياسية الماحقة عن رؤية ذاتها وتجاذبتها المهاجر والمنافى، ما أبقت لها ظهوراً. أردنا أن نشد من أزر تلك الأجيال ونقول أن لها تاريخاً مجيداً وحضارة حاذقة ثرية ووطناً جديراً بالانتماء إليه"⁽²⁾. ثم جاء كتاب يوسف فضل حسن أنف الذكر: **حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين فى تاريخ أفريقيا والسودان**.

وظهرت: **موسوعة الرموز والشخصيات السودانية** (1969-1900)⁽³⁾، التى أصدرها مركز الدراسات والبحوث السودانية، بجامعة الزعيم الأزهري. أشرف على الموسوعة أحمد إبراهيم دياب. وأفاد دياب فى تصديره للموسوعة بأنها تمثل المجلد الأول. وأطلق نداءً للمهتمين بأن يمدوا مركز الدراسات والبحوث السودانية، بجامعة الزعيم

(1) عون الشريف قاسم، **موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن**، مصدر سابق.

(2) مكى أبو قرعة، **أصوات فى الثقافة السودانية**، ط 1، مؤسسة الإمارات للإعلام، أبوظبى، 2005، 8.

(3) أحمد إبراهيم دياب (إشراف)، **موسوعة الرموز والشخصيات السودانية** (1969-1900)، سلسلة بحوث ودراسات، مركز الدراسات والبحوث السودانية، جامعة الزعيم الأزهري، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

الأزهري، الجهة التي أصدرت الموسوعة، بالدراسات سواء من أسر أو باحثين عن الرموز والشخصيات الوطنية والمحسنين والأطباء ومختلف مجالات العلوم. وتضمنت الموسوعة ترجمة لثمانى شخصيات من خلال دراسات أعدها باحثون وباحثات. فى عام 2009، وصل إلى المكتبات: معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، الذى وضعه المعتصم أحمد الحاج (1). عرّف المعجم بمائتين وثلاث وأربعين شخصية شاركت فى مؤتمر الخريجين، وتم انتخابهم أعضاء فى الهيئات الستينية واللجان التنفيذية خلال الدورات الانتخابية السنوية منذ تأسيس المؤتمر فى فبراير 1938 وحتى حله واندماجه فى الحزب الوطنى الاتحادى فى فبراير 1952⁽²⁾. عقد المؤتمر خلال هذه الفترة خمس عشرة دورة انتخابية، وكان هيكله التنظيمى يتكون من: الهيئة الستينية (60 عضواً) واللجنة التنفيذية (15 عضواً)⁽³⁾.

كان آخر معجم استقبلته المكتبات فى السودان، وقد وضعه مثقف سودانى هو: معجم المؤلفين، (1510-2010)، من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم⁽⁴⁾، الذى وضعه قاسم عثمان نور، ونشره عام 2011. صدر المعجم فى ثلاثة أجزاء، كان مجموع صفحاته ألفاً وخمسمائة وخمساً وأربعين صفحة، من القطع الكبير. غطى المعجم فى ترجمته للمؤلفين، كما هو واضح من عنوانه، خمسة قرون من عام 1510 وحتى العام 2010.

تجدر الإشارة إلى أننى لا أسعى إلى رصد كل كتب التراجم والمعاجم والموسوعات وتتبع تسلسل صدورهما فى السودان، بقدر ما أننى أسعى إلى تقديم إضاءات حول أكبر قدر من نماذجها، خاصة أهمها إلى جانب تلك التى صدرت منها فى الدوائر الأكاديمية السودانية، بما يسمح لى وفقاً للأسس العلمية الإجابة على التساؤلات التى وردت آنفاً.

(1) المعتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، ص 35.

(3) المرجع السابق، ص 35-36.

(4) قاسم عثمان نور، معجم المؤلفين، (1510-2010)، من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم، المجلس القومى لرعاية الثقافة والفنون، الخرطوم، 2011.

الأستاذ محمود فى التراجم والمعاجم وموسوعات الاعلام

فى بعثة دراسية التقى الأخ على لطفى بباحثة بريطانية (زوجة مدير الجامعة التى كان يدرس فيها) وقد رتب لها زيارة للأستاذ محمود.. عندما جلست للأستاذ محمود وسمعت منه قالت للأخ على أنها اجتمعت إلى عدد من عظماء القرن أمثال أيزنهاور، تشرشل، نهرو لكنها لم ترمثل الأستاذ محمود⁽¹⁾.

جلال الدين الهادى الطيب إدريس

لم يكن الأستاذ محمود من ضمن الشخصيات الوطنية الأمدرامية التى كتب عنها ميرغنى حسن على، فى كتابه: **شخصيات وطنية من أمدردمان**. وقد تناول ميرغنى بعض رصفاء الأستاذ محمود منهم الدردبرى محمد عثمان، وغيره. ومن المعروف أن الأستاذ محمود كان من سكان مدينة الثورة بأمدردمان، كما أن إسهامات الأستاذ محمود فى العمل الوطنى تجعله ضمن القاسم المشترك، الذى تحدث عنه المؤلف، فى إشاره منه إلى المشترك الذى جمع بين الشخصيات التى تناولها، كتب المؤلف قائلاً: "أما الشخصيات التى يضمها هذا الكتاب فقد أسهمت بدور بارز فى كل مجالات العمل الوطنى: السياسى، والاجتماعى والاقتصادى، وكان القاسم المشترك الذى يجمع بينها هو: حبها للوطن السودانى"⁽²⁾. بيد أن المؤلف احترز قائلاً: وبالطبع هناك من أمثالهم ما لا حصر لهم ولا عد،... وما يدعو للأسى أن غالب الصفوة السودانية

(1) جلال الدين الطيب الهادى إدريس، "رسالة إلى الأخت العزيزة أسماء محمود: شذرات من حياة وأقوال الأستاذ"، القاهرة، بتاريخ 29 مايو 2000. حصلت على نسخة من مسودة هذه الرسالة من أسماء محمود محمد طه. كتب جلال الدين الهادى الطيب إدريس فى صدر رسالته إلى أسماء قائلاً: الأخت العزيزة الأستاذة أسماء محمود، تحية طيبة.. لقد جاء اقتراحك لى وبعض الإخوان عبر حديثك بالتلفون لجمع ما سمعنا من الأستاذ، وعن الأستاذ، وبعض ما رأينا.. للتوثيق قبل أن يفلت من الذاكرة جاء فى الوقت المناسب.. فهو اقتراح قد حالفه التوفيق.. ولعل هذا القليل الذى أحفنتى به الذاكرة يكون حافزاً لبعض الإخوان والأخوات لتسجيل ما يعن لهم.. وعلى الله قصد السبيل". ثم أفرد عنواناً هو: "شذرات من حياة وأقوال الأستاذ"، وكتب تحته قائلاً: "هذه محاولة قاصرة لتسجيل بعض ما سمعت من الأستاذ، وما سمعت عنه وما رأيت.. فى مكتبه بعمارة ابنعوف بالسوق العربى بالخرطوم، وفى منزله بيت المال بأمدردمان، ثم بمنزله بالثورة، وفى صالون البيت، وفى حجرته الخاصة، وفى منزله بكوستى، وفى مرافقتى له بعمله بمشاريع النيل الأبيض.. ثم فى السجن لمرتين، المرة الأولى فى عام 1976-1977 والمرة الثانية فى عامى 1983-1984 بكوبر".

(1) ميرغنى حسن على، مرجع سابق، ص 5.

لم تعر إهتماماً كافياً بسيرة الشخصيات السودانية التي أعطت وبذلت وأنجزت على مختلف الأصعدة وهي بالحق منارات البناء الوطنى على مختلف مستوياته⁽¹⁾. ولم يكن الأستاذ محمود من ضمن النخبة التي ترجم لها صلاح الدين المليك فى كتابه: من لمجوم الغد (1)، ومنهم من رصفاء الأستاذ محمود مثل جمال محمد أحمد وغيره. كما لم يكن ضمن كتاب: رجال ومواقف فى الحركة الوطنية، لمصطفى محمد الحسن. فقد ترجم المؤلف لسته من رجال الحركة الوطنية، وهم: أحمد خير الماحى، ويحيى الفضلى، وحسن عوض الله، وحماة توفيق، ومحمد أحمد المرضى، وخضر حمد. ولم يكن الأستاذ محمود من ضمن الأعلام الذين تناولهم محمد إبراهيم أبو سليم فى كتابه: أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان. تناول أبو سليم تسعة من الأعلام، كان من بينهم نعيم شقير (1922 - 1963/1964)، ومكى الطيب شبيكة (1905-1980) ومحمد أحمد المحجوب وغيرهم. أشار أبو سليم فى مقدمته أنه عزم على اعداد بحوث ماثلة لبعض الشخصيات، وعدد بعض الاسماء، وظلت الفكرة فى باله لا تبارحه كما أشار. ولم يكن كذلك الأستاذ محمود ضمن من تناولهم يوسف فضل حسن فى كتابه: حواش على متون علماء ومؤرخين ومفكرين فى تاريخ إفريقيا والسودان. فقد تناول يوسف ستة من الأعلام، هم: محمد إبراهيم أبو سليم، وعون الشريف قاسم، والإمام الصادق المهدي، وريتشارد هل (1901-1995)، والشيخ عثمان بن فودى (1754-1817)، والفقيه أحمد بابا (1556-1627). وقد ذكر المؤرخ يوسف فى مقدمته قائلاً: "إنه ليس بصدد كتاب عن السير الذاتية أو الشخصية، رغم أهمية هذه الكتب من الناحية التاريخية، إنما هو بصدد قراءة ودراسة وتحليل بعض إنتاج هذه الشخصيات".

لم يكن الأستاذ محمود ضمن، موسوعة الرموز والشخصيات السودانية (1900-1969)، التى أصدرها مركز الدراسات والبحوث السودانية، بجامعة الزعيم الأزهرى، والتى أشرف عليها أحمد إبراهيم دياب، وأفاد فى تصديره للموسوعة بأنها تمثل المجلد الأول. وأطلق نداءً بأن تأتيم دراسات سواء من أسر أو باحثين عن الرموز

(1) المرجع السابق، ص 5.

والشخصيات الوطنية والمحسين والأطباء ومختلف مجالات العلوم. وتضمنت الموسوعة ترجمة لثمانى شخصيات من خلال دراسات أعدها باحثون وباحثات. وكانت الشخصيات هى: السيد على الميرغنى، والإمام عبدالرحمن المهدي، والسيد عبدالله الفاضل المهدي (1890-1966)، وعبدالله بك خليل (1892-1971)، وأحمد خير المحامى، وإسماعيل الأزهرى، والشيخ على عبدالرحمن الضرير (1906-1983). ولم يكن الأستاذ محمود كذلك ضمن، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، الذى عرف بمائتين وثلاث وأربعين شخصية شاركت فى مؤتمر الخريجين. وتم انتخابهم أعضاء فى الهيئات الستينية واللجان التنفيذية خلال الدورات الانتخابية السنوية منذ تأسيس المؤتمر فى فبراير 1938 وحتى حله واندماجه فى الحزب الوطنى الاتحادى فى فبراير 1952. أشرط المؤلف فى شخصيات معجمه أن تكون قد شاركت فى مؤتمر الخريجين وتم انتخابها أعضاء فى الهيئات الستينية واللجان التنفيذية. الشاهد أن الأستاذ محمود لم يكن عضواً فى أى هيئة من الهيئات الستينية أو أى لجنة من اللجان التنفيذية، التى تم انتخابها. وكان من الطبيعى أن لا يكون اسم الأستاذ محمود فى ذلك المعجم. فقط أود الإشارة لأمر لا صلة له بـ "معجم شخصيات مؤتمر الخريجين"، ولكن جدير بالذكر هنا فى هذا الموقف، وهو أن الأستاذ محمود قد شارك فى مؤتمر الخريجين بقوة من خلال فترة عمله بمدينة عطبرة (1936-1941). وقد وردت الإشارة آنفاً فى الفصل الأول، إلى دوره فى تغيير اسم النادى بالمدينة، من نادى السكة الحديد - نادى موظفى السكة الحديد السودانين، إلى نادى الخريجين. كما قام الأستاذ محمود بمعية ميرغنى حمزة وأمين صديق بانتزاع قيادة النادى، والتى كانت تتكون من رئيس الشرف وهو مدير مصلحة السكة الحديد، إلى جانب كبار الموظفين. استطاع الأستاذ محمود ورفاقه انتزاع ذلك الحق وتم اعتماد مبدأ الأخذ بالانتخابات فى قيادة النادى، وذلك مع قيام مؤتمر الخريجين، كما ورد آنفاً فى محور: "الأستاذ محمود ومؤتمر الخريجين".

هزيمة الأمم تبدأ بقبر أبطالها في صحائف مؤرخيها

نساق بشكل غير مفهوم ولا عادل وراء أحكام وأقوال يقتضى منا المنطق... وتقتضى الحقيقة مراجعتها بين الفينة والآخرى للوقوف على حقيقة ما نسلم به.. حتى لا نجمع فى قاعدة بياناتنا العقلية ما يجافى الصواب الذى نوجه عقولنا تجاهه فلو أخذنا شهيد الفكر الانسانى محمود محمد طه نموذجاً على اختلاط المعقول باللامعقول فى حياة هذا الرجل الانسان الذى أُعدم شنقاً لقاء فكر تبناه وعاشه.. إن ما ينقل أو يقال عبر وسائل التوثيق والتاريخ لا يرتقى لمستوى من الموضوعية تركن إليه بحيث تكون الواقعة ذاتها مطابقة للخبر المنقول عنها فالذى أشيع عن الأستاذ محمود وقرر فى عقول الكثيرين لدرجة اليقين.. هو أمر كبير أوصله إلى حد التصفية الجسدية -الإعدام- وهذا أمر مخيف يزلزل هاجس الفكر والثقافة على العموم⁽¹⁾... إن بعضاً منا ما يزال يسلم بسلامة الرواية الشيطانية للتاريخ⁽²⁾.

حمد مدنى

لقد انطوت الكتب التى جاءت فيها ترجمة عن الأستاذ محمود، على كثير من الأخطاء والتقليل من الشأن والوزن للأستاذ محمود والإهمال لدوره النضالى فى مواجهة المستعمر. كما أنها أغفلت ذكر أهم الأحداث التى صنعها الأستاذ محمود. إن الأحداث التى صنعها الأستاذ محمود كانت أحداثاً جسيمة، وكان جلُّها جديداً وغريباً فى حركة المجتمع السودانى، وخارجاً عن التشابه. وهى أحداث فى غاية الأهمية، تعنى وتهم الأجيال الجديدة، وتعين كثيراً فى دراسة حركة المجتمع السودانى. وعلى الرغم من أهميتها فقد لقيت تلك الأحداث الجسام، الإهمال من المؤرخين، الذين كانوا يهتمون بدراسة وتوثيق المنسجم مع السائد والمألوف ويهملون الخارج عن التشابه. وفى تقديري، أن الخارج عن التشابه، هو الأهم والأجدى والأثمن. كان من الكتب التى جاءت فيها ترجمة عن الأستاذ محمود، واشتملت على أخطاء فادحة، كتاب محجوب عمر باشرى، رواد الفكر

(1) حمد مدنى، "محمود محمد طه ومحنة الوطن"، صحيفة الراكونية الإلكترونية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 19 يناير 2013، الموقع على الإنترنت: <http://www.alrakoba.net>

(2) المرجع السابق.

السوداني، وموسوعة عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن. اعتمد عون الشريف قاسم في ترجمته عن الأستاذ محمود على كتاب محجوب عمر باشري، إلى جانب كتاب آخر أصدرته مجموعة بإشراف الشؤون الدينية والأوقاف بعنوان: الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية في الرد على الإخوان الجمهوريين. وهو كتاب، كما وردت الإشارة إليه آنفاً في الفصل الثاني، صدر من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في خصومة الأستاذ محمود وبعدها شديد له. وقد ورد الحديث عن ذلك.

الشاهد أن مؤلف موسوعتنا هذه كان آنئذ وزيراً للشؤون الدينية والأوقاف، وشارك في ذلك الكتاب بكتابة مذكرة كان عنوانها: "مذكرة حول جماعة محمود محمد طه" (5 صفحات). سأبدأ بالترجمة التي وردت في موسوعة عون الشريف قاسم لسببين، الأول أن الموسوعة أضخم موسوعة صدرت في السودان، وأنها صدرت في الدوائر الأكاديمية، ولهذا نتوقع فيها الالتزام بالشروط الأكاديمية، والمبادئ الأخلاقية. كما أن واضعها عون الشريف قاسم يعد من شيوخ المؤرخين السودانيين، وأكاديمي له مكانة مرموقة وصاحب سهوم معرفية تحسب من ضمن المصادر والمراجع الأساسية في الدراسات السودانية. وصف المؤرخ يوسف فضل حسن في كتابه: حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين في تاريخ إفريقيا والسودان، آنف الذكر، وصف صديقه وزميله في الدراسة والمهنة عون الشريق قاسم، وهو يقدم قراءة في موسوعته وعرج على فكره وفلسفته وقدم إضاءة مختصرة عن مؤلفاته التي "بلغت أكثر من سبعين كتاباً وبحثاً في الإسلام والتاريخ والحضارة والأدب العربي والدراسات السودانية واللغة العامية في السودان"⁽¹⁾، كتب يوسف فضل حسن عن صديقه عون الشريف قائلًا:

ينتمي البروفسير عون الشريف قاسم لجيل الأعمال الكبيرة، وهو الجيل الذي تلقى تدريباً أكاديمياً رفيعاً وفق المنهج العلمي الأوروبي، مع تملكه لأدوات المعرفة العربية والإسلامية. فعمل بمعاول هذا التدريب وأدوات تلك المعرفة في

(1) يوسف فضل حسن، حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين في تاريخ إفريقيا والسودان، مرجع سابق، ص 119.

حقل الدراسات السودانية البكر على تلك الأيام مستفيداً من غنى المادة وخصوبتها، وبراعة الأكاديمي وحرفيته، فحقق بذلك نجاحاً كبيراً، وأنجز دراسات ضخمة، أرست قواعد الدراسات السودانية⁽¹⁾.

كتب عون الشريف قاسم في موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الإعلام والاماكن، في ترجمته عن الأستاذ محمود، قائلاً:

محمود: واشتهر محمود محمد طه (1916-1984) من صادق رفاة ينتسب إلى الشيخ محمد الهميم (م) خاله الشيخ لطفى عبد الله تلقى الهندسة بكلية غردون وكان مهتماً بقضايا الفلسفة والمنطق وله تعقيبات على هوايت هد ويراتراند رسل. اشتغل مهندساً بعطبرة وقرأ القرآن وعلق على المفسرين ثم استقال من الحكومة وكون الحزب الجمهورى حزباً للخاصة إذ لم تعد عضويته العشرة اعضاء وكان يعارض كل أفكار الأحزاب الأخرى وأصدر المنشورات منذ عام 1945 وبدأ البوليس يلاحقه وسجن لعامين في كوير وخرج من السجن شخصاً آخر إذ تصوف وبرز اتجاهه الدينى وفي هذه الاثناء سجن لعامين آخرين لاقتحامه سجن مدنى وتخليصه المرأة التى سجنحت لحفاض ابنتها خفاضاً فرعونياً. اشتهر بمذهبه فى فهم الإسلام والقرآن؛ فهو يقسم القرآن إلى قرآن أصول فى الفترة المكية وقرآن فروع فى الفترة المدنية، وأن الاسلام رسالتان رسالة أولى هى الإسلام كما عرفه المسلمون ورسالة ثانية تقوم على قرآن الأصول يتجدد بها الإسلام وألف فى ذلك عشرات الكتب والرسائل وحكم عليه بالردة وشنق⁽²⁾.

نقل عون الشريف قاسم عن محجوب باشرى، وأشار إليه كمرجع، وقد أورد أن تاريخ ميلاد الأستاذ محمود هو 1916، ومصدر هذه المعلومة هو ملف خدمة الأستاذ محمود بسكك حديد السودان بمدينة عطبرة، لقد وقفت على ملف خدمة الأستاذ محمود، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً فى الفصل الأول. ومعلوم أن تاريخ تنفيذ

(1) المرجع السابق، ص 112.

(2) عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الإعلام والاماكن، مرجع سابق، ص 2244.

الاعدام هو 1985 وليس 1984 كما ورد، وهذا تاريخ لا يخطئ فيه إلا مهمل، أو منطوي على نية تجاهل أو ضعف في التدريب الأكاديمي، ومع ذلك نعطي مساحة لحسن النية. لكن تاريخ 18 يناير 1985 هو تاريخ الصمود على منصة المشنقة، وفي الصمود على منصة المشنقة بالنسبة لشعوب السودان نسب وعرق. أما الخطأ الذي ينطوي على تشويه هو الذي يؤثر سلباً على المناخ الأكاديمي، خاصة مثل مناخ الأكاديمية السودانية والتي تعاني من الكثير، لأسباب عديدة، من عوامل النقص والقصور وغياب النقد. ويجب تصحيحه بالأسس العلمية. كتب عون الشريف قاسم وهو يتحدث عن الأستاذ محمود قائلاً: "وأصدر المنشورات منذ عام 1945 وبدأ البوليس يلاحقه وسجن لعامين في كوب" (1).

هذا في تقديري، تضليل للقراء، وتسمية للأشياء بغير مسمياتها، وتقليل من الشأن والوزن للأستاذ محمود، وإهمال لدوره النضالي في مواجهة المستعمر، وخلل في المعايير. فالبوليس لم يلاحق الأستاذ محمود في شأن شخصي وإنما بسبب شأن عام، طارده حينما أصدر منشوراً. والمنشورات ضد المستعمر لا يُصدرها إلا المناضلون والأبطال المقاومون من أجل بلدانهم وشعوبهم. لماذا لا نسمى الأشياء بأسمائها ونقول هذا نضال من أجل الاستقلال؟ ولماذا البخل على أصحاب الحق بأن يمنحوا حقوقهم؟ الأستاذ محمود هنا وفي الموقف الذي أشار إليه عون الشريف هو قائد وطني، ومناضل جسور. إن وصف المناضل من أجل طرد المستعمر بأن يقال (كان يلاحقه البوليس)، في هذا تبني لوجهة نظر المستعمر، وما كان يجب أن يتبنى عون الشريف قاسم وجهة نظر الإدارة الاستعمارية ويسمى نضال الأستاذ محمود ومواجهته للمستعمر "ملاحقة بوليسية". فقد بدأ الأستاذ محمود الهجوم على الإدارة الاستعمارية منذ عمله مهندساً في السكة حديد، كتب مقالات عديدة منها مقالة بعنوان "خجل الحضارة" ونشرها في صحيفة *Sudan Star* هاجم فيها الحكومة الاستعمارية، ورفض الانصياع للأوامر بالتحقيق معه، فأوقف عن العمل (2). ثم كان الأستاذ محمود رئيساً للحزب الجمهوري،

(1) المرجع السابق، ص 2244.

(2) المنصور جعفر، "الاخوان الجمهوريون ... شكل ديني لما بعد الحداثة"، الرأي الآخر، مجلة الديمقراطية، مجلة التحالف الديمقراطي بالملكة المتحدة، استرجاع (Retrieved) 9 نوفمبر 2010، الموقع على الإنترنت:

<http://www.d-a.org.uk>.

وسجن مرتين بسبب نضاله ضد المستعمر، وشارك في أعمال وطنية عديدة عبر لجان كثيرة سبقت الإشارة إليها. هذا، بالإضافة لما نشره من منشورات وكتب. كما وردت الإشارة في الفصول السابقة. كان يجب أن يكون هذا الموضوع، موضع إشارة لدور للأستاذ محمود النضالي ضد المستعمر، ومساهماته في الحركة الوطنية وشراسته بالعطاء الوطني والمعرفى من أجل الاستقلال. للأسف لم يذكر عون الشريف قاسم هذا، وهو المؤرخ الكبير وصاحب إسهامات ضخمة في الدراسات السودانية. ما يزيد الأمر إزعاجاً وإمعاناً في التقليل من الوزن والشأن للأستاذ محمود بل المساهمة في تغييب تاريخه وتضليل القراء، أن عون الشريف قاسم، كان يشير في موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والاماكن عند الحديث عن أحد من طلائع المتعلمين، من رصفاء الأستاذ محمود، كان يشير إلى نضاله ضد الاستعمار، ويشير إلى دوره في الحركة الوطنية، وإلى نشاطه السياسى ويذكر بعض إسهاماته في مقاومة الاستعمار ونيل الاستقلال، ولم يسم كل ذلك كما سماها في حالة الأستاذ محمود ملاحقة ومطاردة بوليسية. إن ما قدمه عون الشريف قاسم قبر لبطولة، والبطولات لا تقبر وإنما تبرز لتتعلم عبرها الأجيال والأمم.

إن عبارة "كان البوليس يلاحقه"، جاءت عند عون الشريف قاسم ولم تكن ضمن مصدره محبوب باشرى، وعلى الرغم مما اشتمل عليه كتاب باشرى من أخطاء وتشويه، إلا أنه في موضوع النضال لم يقل باشرى بأن البوليس كان يلاحق الأستاذ محمود ويطارده، وإنما تحدث باشرى عن أن الحزب كان يوزع المنشورات المناهضة للاستعمار بتوقيع الأستاذ محمود. ولما ضاقت الإدارة الاستعمارية ذرعاً، وتم استدعاء الأستاذ محمود بعد توزيع المنشورات باسمه، وحوكم على عجل، وخير بين السجن لمدة عام، أو إمضاء تعهد بعدم ممارسة العمل السياسى، فاختر السجن. وتحدث باشرى عن الثورة التى أحدثها الأستاذ محمود فى السجن، برفضه الانصياع لإدارة السجن... إلخ⁽¹⁾. لماذا لم يرد كل هذا عند عون الشريف قاسم، وقد كان باشرى مصدره الأساس، فقد اختزل عون الشريف كل ذلك فى عبارة "كان يلاحقه البوليس". هنا لا بد من الربط بين ما ورد عن

(1) محبوب عمر باشرى، مرجع سابق، ص 362-363.

الأستاذ محمود فى الموسوعة التى وضعها عون الشرف قاسم ونشرها عام 1996، وبن موقف عون الشرف قاسم حنما كان وزيراً للشؤون الءىنة والأوقاف، وقد تحدثت عن ذلك فى الفصل الثانى. الشاهد أن الأكاءمىبن تخلوا عن ورعهم العلمى، ورسب جلهم فى أن يلتزموا أخلاقياً فى أكاءمىبتهم أثناء تعاطبهم مع الأستاذ محمود، وربما تماهى بعضهم مع الفقهاء وعبر عن وجهة نظر الفقهاء بشكل مختلف. أمر آخر وهو قد تناقله معظم المؤرخن وهو أن "إذ لم تعد عضوبته العشرة اعضاء وكان يعارض كل أفكار الأحزاب الاخرى"، وهذا غير صءىح فقد أوردت آنفاً فى الفصل الذى تناول الحزب الجمهورى، أسماء لأكثر من عشرين من الأعضاء المؤسسن للحزب الجمهورى، لهذا فإن القول بعضوبته لم تعد العشرة قول غير ءقنق وما كان له أن يصءر من مؤرخ ىجب أن يقدم ءءمته التنبوربة بعلمبة ومسؤولبة وإتقان وأءلاق. كما أن القول بأن الحزب يعارض أفكار كل الأحزاب قول أيضاً غير ءقنق ذلك لأن "كل الأحزاب" نفبء بالاءتماع، والاءتماع لا عبى صءة أفكارها، ولا ىءء ما عبب الحزب الجمهورى وهذا ما نءى إلبه المؤرخ وأوحاه للقاءىء، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً عئءما وقفت على تأسيس الحزب الجمهورى.

تسرب ما كئبه مءءوب باشرى فى كتابه، وما أورءه عون الشرف قاسم فى موسوعته عن ارتباط نسب الأستاذ محمود بالشىء محمد الهمبم، إلى ءءاسات والبءوئ والمقالات - على قلتها- عن الأستاذ محمود والفكرة الجمهوربة. وقد ورد كذلك فى كتاب: مشاهبر من السوءان⁽¹⁾، "بئبى الأستاذ محمود محمد طه إلى أسرة الشىء محمد الهمبم الصوفى المءروف". وقد تحدث الكتاب عن أن الحزب الجمهورى من أقءم الأحزاب، وأن الأستاذ محمود شارك فى إءباء الشءور الوطنى، وأشار لئورة رفاعة وسبءن الأستاذ محمود، ووصف صاءب الكتاب الأستاذ محمود بقاءة الشءصبة. إلا أنه أورد بعض الأءطاء فىالب جانب انماء النسب للشىء الهمبم أورد صاءب الكتاب بأن الأستاذ محمود كان: "برب أن ءبب الإسلامى مءطور"، وهذا غير صءىح البئة، فقد ورد آنفاً، وكما سبرء فى الفصول القاءمة، وكما جاء فى كتب الأستاذ محمود، أن الأستاذ

(1) محمد عبءالماءء ببب الله، مشاهبر من السوءان، ص 39-41.

محمود يقول: "الدين لا يتطور، يتطور الإنسان في فهمه له"⁽¹⁾. الشاهد أن نسب الأستاذ محمود لا يتصل بالشيخ الهميم، فما ورد غير صحيح. والصحيح هو أن الأستاذ محمود⁽²⁾ من قبيلة الركابية⁽³⁾، حيث يعود نسبه الى قبيلة الركابية من فرع الركابية البليلاب نسبة الى الشيخ المتصوف حسن ود بليل، وإلى ركاب بن غلام الله بن عايد، ولا صلة للأستاذ محمود في تسلسل نسبه بالشيخ الهميم، ولا وجود للشيخ الهميم في شجرة نسب الأستاذ محمود⁽⁴⁾.

الشاهد أن ما ورد عند باشرى والشريف تسرب إلى كتب الباحثين. ففي كتاب بكرى خليل الذى أصدره بعنوان: التأويل الصوفى للحدائث فى الإسلام: عرض ونقد فكر وفلسفة الجمهوريين فى السودان، أورد بكرى عن الأستاذ محمود قائلاً: "وهو سليل أسرة دينية، حيث يرجع نسبه إلى الشيخ محمد الهميم، الصوفى السودانى الشهير"⁽⁵⁾. لم يشر بكرى إلى المصدر أو المرجع الذى اعتمد عليه فى إرجاعه لنسب الأستاذ محمود إلى الشيخ الهميم، ولكنه أشار فى هامش الصفحة إلى مصدره فى التعريف بالشيخ محمد الهميم وهو: كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان⁽⁶⁾، ولم يشر إلى مصدره فى إرجاع نسب الأستاذ محمود إلى الشيخ الهميم. بينما احترز حيدر إبراهيم على، فى إرجاع نسب الأستاذ محمود إلى الشيخ الهميم، إذ كتب حيدر فى ورقته الموسومة بـ "الأستاذ محمود محمد طه: الإنسان والمواقف والأفكار"، وهو يتحدث عن نسب أسرة الأستاذ محمود كتب قائلاً: "ونشأ فى أسرة دينية يرجع البعض نسبها إلى الشيخ محمد الهميم أحد كبار رجال الصوفية فى تاريخ

(1) محمود محمد طه، "بين الدين والشريعة"، (حوار)، أجرى الحوار بشير محمد سعيد، صحيفة الأيام، العدد: 5497، بتاريخ 1968/11/18.

(2) أجريت مقابلات مع عدد من تلاميذ الأستاذ محمود: مقابلة مع أسماء محمود محمد طه، 7 ديسمبر 2009، الدوحة؛ مقابلة مع عصام البوشى، 17 ديسمبر، 2009، مدنى؛ مقابلة مع النور حمد، 22 نوفمبر 2009، الدوحة؛ مقابلة مع مجذوب محمد مجذوب، 12 يوليو 2011.

(3) محمود محمد طه، تعريف بمحمود محمد طه، (مخطوطة)، مصدر سابق، ص 1.

(4) أنظر بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، مصدر سابق، ص 21-24.

(5) بكرى خليل، مرجع سابق، ص 19.

(6) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان، مصدر سابق، ص 127.

السودان" (1). كذلك جاء فى مجلة الأزمنة العربية (2)، عدد يناير 1987 فى الحديث عن ميلاد ونشأة الأستاذ محمود:

نشأ الأستاذ محمود فى أسرة دينية، يرجع البعض نسبها إلى الشيخ محمد الهميم أحد كبار رجال الصوفية فى تاريخ السودان وقد اعتبر من طائفة الملامتية والتي تعرضت لكثير من النقد والإدانة لأنها تستوجب على أفرادها اظهار أنفسهم وكأنهم يرتكبون المعاصى لكى لا يعرف الناس حقيقة أمرهم لذلك يلومونهم على أساس مفارقتهم للدين - هذا ما يبدو للعيان - هذا وقد تميزت أسرته بانجذاب عدد من المتصوفة من بينهم الأخ الأكبر للأستاذ محمود وهو مختار محمد طه (3) والذى يقال أنه لم يلامس النقود بيده بعد أن أدرك وقرر عدم التمسك بالدنيا والماديات. المهم أن الجو العام لنشأة الأولى كان دينياً وصوفياً وكان لذلك تأثيره الواضح على الأستاذ محمود فيما بعد.

القول أعلاه، على الرغم من أنه جاء فى اطار الاحتفاء بالأستاذ محمود والتعظيم من شأن مواقفه، والمناصرة له فى حقوقه، إلا أنه ينطوى على الكثير من الهنات التى تعود إلى المصادر التى أخذ عنها كاتب المقال (لم يك واضحاً اسم كاتب المقال فى نسخة المجلة التى بحوزتى). هنا لابد من الإشارة إلى أن الأمر عندى لا يعود إلى رأى أو موقف من الشيخ محمد الهميم، وإنما يعود الأمر لحقائق التاريخ، أن الأستاذ محمود لا تتصل شجرة نسيه بالشيخ محمد الهميم، وهذا حتى لا يقفز البعض ويبنى على نتائج عرجاء كما رأينا آنفاً وسنرى لاحقاً. الشاهد أننا فى حاجة ماسة لتحرير نسب الأستاذ محمود، حتى نتنقل للاستنتاجات العلمية ونسهم فى ترفيع مستوى السجال إلى مراقى الأئس العلمية بعيداً عن الأساطير والأوهام التى تسعد البعض بلا معرفة أو علم أو أخلاق. لا أعنى فى هذا أولئك الذين يخطئون وإنما أقصد الذين يستنجون ويبنون على نتائجهم البكماء الخلاصات الخرصاء.

(1) حيدر إبراهيم على، "الأستاذ محمود محمد طه: الإنسان والمواقف والأفكار"، الأستاذ محمود: رائد التجديد الدينى فى السودان، مرجع سابق، ص 10.

(2) "محمود محمد طه: الإنسان والمواقف (الحرية لنا ولسوانا)، الأزمنة العربية، العدد: 156، 30 كانون الثانى - يناير 1987، ص 28-34.

(3) هكذا فى المصدر والصواب أن مختاراً هو الشقيق الأصغر للأستاذ محمود.

لقد أرجع محمد أحمد محمود في كتابه الموسوم بـ *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha* (1) نسبة إلى الشيخ محمد الهميم، كتب محمد أحمد محمود عن نسب الأستاذ محمود قائلاً: "His family belonged to the Rikabiyyun clan, and Muhammad al-Hamim was his great-grandfather?" (2)

يمكنني ترجمة هذه الجملة إلى اللغة العربية بتصرف ولغرض هذه الدراسة: (تنتمي أسرته - أي الأستاذ محمود - إلى قبيلة الركابية ومحمد الهميم هو جده). من المهم الإشارة إلى أن محمد أحمد محمود، التزم منهجاً علمياً صارماً في دراسته عن الأستاذ محمود، وهو بعيد كل البعد عن أولئك الذين وسمتهم بالمستتجين للنتائج البكماء والخلاصات العرجاء في مسألة صلة الأستاذ محمود بالشيخ الهميم، كما هو الحال لدى محمد وقيع الله في الإشارة القادمة لدراسته.

أيضاً، في دراسة لقيصر موسى الزين كان عنوانها: "حركة الإخوان الجمهوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات"، تحدث قيصر في دراسته عن نسب الأستاذ محمود، وهو الوحيد، من بين ما اطلعت من دراسات، الذي أشار إلى اتصال نسب الأستاذ محمود بالشيخ حسن ود بليل، مع إirاده لما هو شائع وهو اتصال نسب الأستاذ محمود بالشيخ محمد الهميم. يقول قيصر: "واتصاله في هذا النسب ببعض الشخصيات الصوفية - مثل محمد الهميم من شخصيات طبقات ود ضيف الله، كما هو شائع، أو حسن ود بليل كما يقول بعض المقربين له" (3).

(1) Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007, P 12

(2) Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007, P 12

(3) قيصر موسى الزين، 'حركة الإخوان الجمهوريين بالسودان: الاتجاهات والمآلات'، من مركز التنوير المعرفي، مقالات وأوراق بحثية، استرجاع (Retrieved) 18 ديسمبر 2010، الموقع على الإنترنت: www.tanweer.sd.

الاستنتاجات العرجاء والخلاصات البكماء تجلب الظلام

لكن الأستاذ محمود محمد طه، الذى طمست سيرته (النورانية) بفعل فاعلٍ لا ريب، ليس هو الأستاذ عمر الجزلى وحده الفاعل - حيث أن المؤامرة ضده كانت أكبر وأكثر خبثاً حال محاصرته فى حرته ومحاكمته ومعاقبته بالإدانة وتنفيذ حكمها فى أقل من ستة أشهر، إذ ضمت أنظمة عربية مجاورة وأحزاباً سياسية وأفراداً من المبرزين⁽¹⁾.

عادل حسون

أورد عون الشريف قاسم أن الأستاذ محمود ينتسب إلى الشيخ محمد الهميم وكذلك محبوب باشرى. لقد كان أخطر وأبشع ما فى ربط نسب الأستاذ محمود بالشيخ الهميم، ليس الإشارة لذلك النسب كما جاء عند بعض الأساتذة الذين لم يذهبوا أبعد من ذلك، بل بعضهم احترز قائلاً: "يرجع البعض..." النسب إلى الشيخ الهميم وهكذا، وإنما الخطورة فى ذهاب البعض، إلى إسقاط سيرة الشيخ الهميم على الأستاذ محمود، على أساس أن الأستاذ محمود هو الحفيد للشيخ الهميم. هنا ربط لا يخلو من الخبث والتضليل والتغيب. فسيرة الشيخ الهميم، معلومة كما وردت فى كتاب الطبقات، آنف الذكر، وكما أوردها محبوب باشرى قائلاً:

يرجع نسب محمود طه إلى الشيخ محمد الهميم الصوفى السودانى الشهير والعالم الفقيه الذى أبقى على حباله سبع نساء، وجمع على زواج الأختين.. إذ تزوج بنات أبى نزوة فى رفاعه، وجمع بين بنات الشيخ بان نقا الضرير كلثوم وخادم الله. فأنكر عليه ذلك قاضى الشرع المعروف بلقب ود دشين، وأراد فسخ زواجه، وكان الشيخ محمد الهميم واصلًا. فالأختان اللتان تزوجهما لهما قصة كشفها وجدانه فهن لسن شقيقات، والظاهر هو ما تحكم به الشريعة، والباطل ما يعرفه المتصوفة. والوجدان الغيبى قد يورث ولكن ليست هناك قواعد يستند عليها العلم.

(1) عادل حسن، "مهنة (الجزلى) ومركزية (أمدمان): فى نقد حكم (الإعلام) على الأستاذ محمود محمد طه بـ (الردة)"، من موقع سودانيل، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 2013/1/12، الموقع على الإنترنت:

أسقط البعض سيرة الشيخ الهميم على الأستاذ محمود على أساس أنه الحفيد، وكان دافعهم تأكيد زعمهم الباطل المفروض بشأن الأستاذ محمود، ومن أجل الانتصار في مواقفهم العدائية فاقدة الورع العلمى والشروط الأكاديمية. فخلصوا إلى نتائج بكماء وخلاصات عرجاء لا تمت للعلم أو الأخلاق بصلة، لا شك أن مثل هؤلاء يهبطون بمستوى السجالات ويغيبون العفة فى دوائر العلم والتنوير ومن ثم يعطلون تطور الفكر ويجمدون حركة التغيير.

كتب محمد وقيع الله، فى دراسة بعنوان: "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام"⁽¹⁾، قائلاً:

وأما الأستاذ محمود محمد طه فهو سليل أسرة متصوفة موهبة فى التصوف، وجده الأعلى هو الشيخ الهميم المعروف فى تاريخ التصوف فى السودان . يحدثنا عنه مؤرخ الحركة الصوفية السودانية " ود ضيف الله " فى كتاب " الطبقات " فيقول إنه ادعى الوصول، وسقوط التكليف عنه، ويحكى عنه أنه تزوج فى وقت واحد بسبع نساء، كان من ضمنهم شقيقتان هما ابنتا شيخ صوفى آخر يدعى "بان النقا الضرير " ، وقد أنكر عليه قاضى الشريعة الشيخ دشين ذلك، وأعلن فسخ هذه النكاحات، فرد عليه الشيخ الهميم داعياً : الله يفسخ جلدك... والغريب أن الشيخ " ود ضيف الله " يحدثنا أن جلد القاضى الشيخ دشين قد انفسخ فعلاً كما ينفخ جلد "الديب"، أى الثعبان !

وبعد أن أكد محمد وقيع الله أن الشيخ الهميم جد الأستاذ محمود، (وهذا غير صحيح البتة)، استدعى سيرة الشيخ الهميم على النحو الذى أورده أعلاه، ثم وصف الأستاذ محمود بالحفيد فكتب قائلاً: "واصل الحفيد محمود اطلاعه العلمى بعد تخرجه سنة 1941، وعمل بالهندسة فى رئاسة السكة الحديد فى مدينة عطبرة بشمال

(1) محمد وقيع الله، "دراسة عن فكر محمود محمد طه: مستقبل دعوى الرسالة الثانية من الإسلام"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2006/11/23، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

السودان، واغترف كثيراً من فلاسفة الغرب وعلماء التراث الإسلامى، ورجال التصوف الإشرافى". فى مثل هذه الدراسات لا نتوقع معالجات علمية جيدة فالدراسة تنطوى على أخطاء تاريخية فادحة، فإلى جانب مسألة الحفيد، لم يورد تاريخ تخرج الأستاذ محمود فى كلية غردون صحيحاً، والصحيح هو عام 1936. مثل هذه الأخطاء تذكرنا بالأخطاء التاريخية والعلمية، التى احتوت عليها أطروحة الدكتوراة التى تناولتها فى الفصل الثانى من هذا الكتاب وكان عنوانها: **فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها**. كتب محمد وقيع الله قائلاً فى إجابته على سؤال طرحه قائلاً: من هم الجمهوريون؟ فأجاب قائلاً: نشأت الفرقة الجمهورية كحزب سياسى فى أواخر أكتوبر 1945 وهو العام الذى شهد مولد معظم الأحزاب السودانية الحالية. كان اسمه "الحزب الجمهورى الاشتراكى" وقد تركزت دعوته كما يبدو من اسمه إلى المبادئ الجمهورية إلى الأفكار الاشتراكية...". هذا هو عين ما قاله شوقى بشير عبدالمجيد فى أطروحة الدكتوراة، وقد بينت آنفاً بأن الأستاذ محمود كان رئيساً للحزب الجمهورى الذى نشأ يوم 26 أكتوبر 1945 وليس الحزب الجمهورى الاشتراكى الذى نشأ عام 1951، وكان إبراهيم بدرى أمينه العام، ومكى عباس، أحد مفكره ومنظريه، إلى جانب آخرين. كما لفت انتباه القراء والباحثين إلى بعض المصادر والمراجع. فيما يتعلق بالأحزاب الجمهورية التى تجاوزت الأربعة أحزاب فى السودان، وكان أولها فى النشأة هو الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود. الشاهد أن دراسة محمد وقيع دراسة لا تقوم على الأسس العلمية، فهو يستخلص النتائج وفقاً للهوى والخيال والعاطفة. ويمكننا أن نقف على ذلك، كما يمكن أن نتعرف على لونية دراسة محمد وقيع الله بقراءة النص أدناه. كتب وقيع الله يقول فى نقده للأستاذ محمود:

كان محمود محمد طه، زعيم الجمهوريين، يسكن فى حى شعبي من أحياء مدينة أمدرمان، إحدى مدن العاصمة السودانية الثلاث. وقد اندهش كل من زار هذا البيت، حيث أخذ ببساطته الشديدة، وبساطة ساكنه، الذى لا يتكلف شيئاً فى الحياة، ولا يتعلق به من اللباس إلا ما يرتديه سائر فقراء السودانيين من النزى الشعبى. ولكن، فى حجرة الضيافة الملحقة بالمنزل، كان الداخلى طالع

أول ما يطالع، لافتات ثلاثاً، علقت على الجدار، كتب على الأولى منها، قول الله تعالى: "وعنت الوجوه للحى القيوم، وقد خاب من حمل ظلماً". وأما الثانية فقد كتبت عليها الآية: "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة". وعلى الثالثة كتبت الآية: "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً". وقد لاحظ البعض أن صاحب البيت، ربما كان يعنى بتعليق هذه الآيات فى بيته أنه هو نفسه ذلك الإله الذى يأتبه الناس فرادى، وتخشع له الأصوات، وتعنونه الوجوه!! ظلت هذه الملاحظات تحير الناس كثيراً. كيف يتبنى هذا الرجل منهج البساطة الكاملة فى المسكن والعيش، ثم يدعى العلو الكامل ويتشبه بالله - والعياذ بالله من ذلك - وقد استبعد الكثيرون فى الوقت ذاته أن يكون المقصود من تعليق الآيات فى البيت هو ما استنتجه الأولون من ادعاء للألوهية من جانب محمود.

تعوذ وقيع الله! قائلاً "والعياذ بالله من ذلك"، فيم التعوذ يا محمد وقيع الله؟ لقد تعوذ محمد من نتائج قام باستخلاصها بمزاجه ووفقاً لتصويراته ولا تسندها أسس علمية، إذ يستند فيها على مقولات مثل "وقد لاحظ البعض أن صاحب البيت، ربما كان يعنى بتعليق هذه الآيات فى بيته أنه هو نفسه ذلك الإله". هذه الملاحظات التى لم يحدثنا محمد وقيع الله عن مصدرها، من هم الذين لاحظوا؟ وكيف عبروا عن ملاحظاتهم؟ ومتى كانت ملاحظاتهم؟ وهل هى ملاحظات مكتوبة فى وثائق أو أوراق علمية أم أنها أحاديث مجالس شفوية؟ وهل تحدث الأستاذ محمود مع هؤلاء الناس عن غرضه من تعليق تلك الآيات؟ وكيف يمكن لشخص أن يستنتج من نوايا الآخر؟ هذا عبث! لا صلة له بالعلم والفكر ولا يقدم خدمة تنويرية مسؤولة تقوم على الأسس الأخلاقية. سبق وأن قال الأستاذ محمود فى كتابه: من دقائق حقائق الدين، "إننا بالتجربة الطويلة فى ممارسة حمل الدعوة، لم نجد خصومنا فى الرأى يعارضون محتوى ما نقول.. على النقيض من ذلك هم يعارضون آراء توهموا أننا قد قلناها، ولو أنهم قد استأنوا قليلاً لكان لهم موقف آخر، فإن علم الله واسع، وأن كلماته لا تنفذ.. وأن هذه الدعوة إنما هى من هذا العلم الواسع الناطق بهذه الكلمات"⁽¹⁾. ثم يقفز محمد وقيع الله، وهو يتحدث عن

(1) محمود محمد طه، من دقائق حقائق الدين، مصدر سابق، ص 2.

ملاحظات الناس قائلاً: "ظلت هذه الملاحظات تحير الناس كثيراً"، ولم يحدثنا عن الذين احتاروا؟ وكيف عبروا عن حيرتهم؟ ومتى كانت الحيرة؟ كيف لدراسة علمية تقوم على كلام من نوع ما أورده محمد وقيع الله. هذه دراسة تفتقر لجل الأركان العلمية، وينقصها الكثير الكثير حتى يمكن وصفها بالدراسة. هذا نوع من الدراسات وهى الدراسات التى واجهها الأستاذ محمود، وقد جاءت فى نقده، ما هى إلا دراسات تعوق تطور الشعوب وتجمد حركة التغيير وتجمد الفكر وتخفق الحياة، وتهبط بالسجال والحوار. فالدراسات والخدمات التنويرية يجب أن تقدم بإتقان وأخلاق ومسؤولية. والأخلاق بمعنى المسؤولية أمام النفس والناس والخالق، يقول الأستاذ محمود عن الأخلاق: "الأخلاق فى الإسلام ليست هى الصدق، والأمانة، ومعاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به، إلى آخر هذه الفضائل السلوكية المحمودة.. وإنما هذه نتائج الأخلاق، وثمرتها، ولكن الأخلاق هى حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة. وحسن التصرف هذا بإزاء الخالق أولاً، والخلق ثانياً، وفى نفس الأمر"⁽¹⁾.

فى حوار صحفى⁽²⁾ مع محمد وقيع الله وردت الإشارة لهذه الدراسة التى قدمها وقيع الله والتى أنا بصدددها، سأل صلاح شعيب ضمن الحوار قائلاً لمحمد وقيع الله: نشرت بحثاً قبل فترة عن الأستاذ محمود محمد طه ولكنه أثار جدلاً كبيراً؟ فأجاب محمد وقيع الله قائلاً:

أعتقد أن محموداً كان من كبار المتأملين الفكريين فى السودان، وكان يعيش أحلاماً كبيرة خطيرة، وهذه هى التى صنعت منه مفكراً كبيراً. أقول هذا رغم اننى أختلف معه فى كل شئ كتبه فيما عدا حروف الجر والتسكين والنصب. وهذا الكلام ينطبق بالذات على كتابه التأسيسى ذى الاطار النظرى المكين وهو الموسوم بـ **الرسالة الثانية من الاسلام**، ولا شك أن هناك مبدعين غيره أكثر إبداعاً منه مثل الدكتور عبد الله الطيب الذى هو من

(1) محمود محمد طه، "ما علاقة المسؤولية بالأخلاق فى الإسلام؟"، مصدر سابق.

(2) محمد وقيع الله، "الدكتور محمد وقيع الله فى حوار فكرى وسياسى مع (الصحافة)"، أجرى الحوار صلاح شعيب، صحيفة الصحافة، العدد (4802)، 19 أكتوبر 2006.

أعمق الناس وأكثرهم إنتاجاً وأشدّهم إخلاصاً لقضية الفكر والثقافة، ومن أكثر الأدباء والمفكرين مقبولة في الأوساط السودانية والعربية، وقد كتب بكثافة وأثر في أجيال من الطلاب وانتشر على مستوى العامة، ولكن أكثر الأوساط الفكرية لا تهتم به وتبذل اهتماماً أكبر بمحمود لأنه يساعد البعض في مهمة تجاوز الشريعة.

أعتقد أن هذا حديث يواجه صعاباً جمة أمام المعايير والأسس العلمية، فالتأمل والأحلام وحدهما مهما كان استمرارهما وكبر حجمهما لا تصنعان مفكراً، كما ذهب وقيع الله، كذلك يحمل النص في داخله تناقضاً كبيراً يمثل في وجه من الوجوه، التناقض الذي يعيشه قطاع كبير من السودانيين، فالعلامة عبد الله الطيب (1921-2003)، الذي وصفه وقيع الله كما ورد في النص أعلاه: بأنه من أعمق الناس وأكثرهم إنتاجاً وأشدّهم إخلاصاً لقضية الفكر والثقافة،... إلخ، لقد كان كذلك بل أكثر. ثم ذهب وقيع الله إلى أن العلامة عبد الله الطيب لا يجد اهتماماً من الأوساط الفكرية مثل ما يلقاه الأستاذ محمود. الشاهد أن العلامة عبد الله الطيب نفسه كان من أكثر الناس سكباً لذاته شعراً في رثاء الأستاذ محمود. لم يصمت العلامة عبد الله الطيب ولم يخن أمانة القلم والمثقف والعلم، ولم يتخل عن واجب الدين ولا يمكن أن يصنف في خانة المتأمرين المزيفين للإسلام. كذلك مثل العلامة عبد الله الطيب لا يسير مع القطيع ولا يمكن أن يسوقه العقل الثقافي السائد، ولا ينبغي للعلماء إلا أن يكونوا في مواضع الحق بشجاعة العقل وفراصة الروح. الشاهد أن العلامة عبد الله الطيب قدم شهادته شعراً في رثاء الأستاذ محمود. فقد شهد عبد الله الطيب بأن الأستاذ محمود الذي هو عنده شهيد، كان مفكراً صنديداً، وشجاعاً نجيداً، وأديباً مجوداً، وخطيباً مؤثراً ومفوهاً،... إلخ. جاء ذلك في قصيدته "مُصاب وحزن" والتي بكى العلامة عبد الله الطيب بها الأستاذ محمود وهي من أطول قصائد الرثاء التي كتبت في القرن العشرين في السودان (خمسة وثمانون بيتاً)، إن لم تكن أطولها. يقول العلامة عبد الله الطيب (أبيات متفرقة)⁽¹⁾:

(1) عبد الله الطيب، "مُصاب وحزن"، صحيفة الصحافة، العدد: 8096، الأربعاء 26/6/1985، ص 9.

قد شجاني مصابه محمود مارق قيل، وهو عندي شهيد
ولقد رام أن يحدد محمود فقد صار جرمه التجديد
زعموا أنه تزندق وارتد وقالوا هو العدو اللدود
وكأننا في عصر محكمة التفتيش هذا هو الضلال البعيد
قتلته الأفكار في بلد الجهل الذي سيطرت عليه القيود
واحتوتنا عماية من صراع دائم للقوى به تبديد
وكان صار مظهر الدين لا المخبر فينا فاعلم هو المقصود
فشت الآن برجوازية في الدين من قبل علقتها اليهود
وتفان على الحطام كأن الدين أركانه الشداد النقود
قد أباه المسيح عند الفريسيين إذ قلبهم بها جلمود
وختم العلامة عبدالله الطيب قصيدته قائلاً:

وعسى الله أن يشاء لنا النصر وللظالم العذاب الشديد
ولأحزابه اللثام فكبوا في مضيق طريقهم مسدود
تلقاهم جهنم يصلون بها ساء وردها المورد
لا تخيب دعاءنا ربّ وانصرنا وأنت المولى ونحن العبيد
وصلاة على النبي وتسليم به نبليخ المنى ونزید
وعلى الآل والصحابة ساداتي وتفشاك رحمة محمود

الشاهد أن العلامة عبدالله الطيب مفسر القرآن بالعامية السودانية وصاحب
الإسهامات الضخمة في السيرة النبوية وفي التاريخ الإسلامي والثقافة والأدب العربي،
وضع علماء المسلمين والفقهاء، خاصة السودانيين في المحك. فهو صاحب إسهامات
إسلامية ضخمة وورسينة، ولا يستطيع أحد أن ينكرها حتى المكابرين. لقد كان عبدالله
الطيب في موقفه من الأستاذ محمود متسقاً مع نفسه ومنسجماً مع مشروعه، إذ قدم
شهادته بشأن الأستاذ محمود، معلناً رفضه للظلم ونبد الجهل وسيطرة القديم وأبى ضيق
الأفق فتحمل المسؤولية ولم يخن أمانة العلم والثقافة بل لم يخن المستقبل، فكانت

شهادته بعثاً للأخلاق وإعلاناً للحق وانتماءً إلى أهل العلم والمستقبل. لقد ظلت شهادته وستظل عوناً لأهل المستقبل في الكشف عن الحق وأسباب الخير. فالشعر غايته أنه شاهد كما يقول الشاعر محمد المهدي المجذوب (1918-1982) ضمن أبيات ثلاث وسمها بـ "شاهد"، كتب المجذوب قائلاً⁽¹⁾:

وأكتبُ شعراً ليسَ للشعرِ غايةٌ سوى أنه قاضٍ عريقٌ وشاهدٌ

تغليب البطل وتغذية الخيال الجمعي بالإنكسار

إنه شهيد الفكر والفكرة الأستاذ محمود محمد طه ابن مدينة رفاعة العريقة، والذي قدم نموذجاً متفرداً في الفكر الإسلامي، مجيئاً على كثير من أسئلة الراهن الصعبة والتي عجز دعاة الكتب الصفراء وحاملو الفكر الانكفائي والمنهج الاقصائي والتكفيرى من الإجابة عليها، ولما لم يجدوا منطقاً أمام قوة منطقته وصلابة شكيته وبيان حجته لجأوا إلى سلاحهم المجرب وهو التكفير ومن ثم الاغتيال ظناً منهم أن بغياب جسده سيتوارى فكره ويندثر ولكن هيهات، قدم الأستاذ محمود فكراً ناصعاً كسيرته ونقياً نقاء تاريخه، ناسفاً الفكر الإسلامي المنغلق والمتكلس، ومعتمداً على أعمال العقل بدلاً عن النقل والتفكير والإبداع مقابل الجمود والتكلس⁽²⁾.

فاروق عثمان

لقد رسخ ما كتبه عون الشريف قاسم في الدوائر الأكاديمية، وظل يستند إليه الباحثون ويكتبون بكل اطمئنان وبلا نقد. ففي آخر المعاجم التي صدرت في السودان، عام 2011 وهو: معجم المؤلفين، (1510-2010)، من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم، الذي وضعه قاسم عثمان نور. جاء في تعريفه بالأستاذ محمود أن: "محمود محمد طه (1916-1984)، استقال من الحكومة وكون

(1) محمد المهدي المجذوب، الشرافة والهجرة، (ديوان شعر)، ط2، دار الجبل، بيروت، 1982، ص 220.

(2) فاروق عثمان، "ويبقى الفكر"، صحيفة الراكونة الإلكترونية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 19 يناير 2013،

الموقع على الإنترنت: <http://www.alrakoba.net>

الحزب الجمهورى حزباً للخاصة. كان يعارض كل أفكار الأحزاب الأخرى. أصدر المنشورات منذ عام 1945 وبدأ البوليس يلاحقه⁽¹⁾. فقاسم عثمان نور الذى أورد هذا التعريف يعد من أشهر الأكاديميين فى علوم المكتبات والمعلومات فى السودان وربما فى إفريقيا والمنطقة، وأكثرهم إنتاجاً. فما أورده هنا كان مصدره عون الشريف قاسم، وكان مصدر عون الشريف، كما ورد آنفاً، فى بعض المعلومات، هو محبوب باشرى. وفى واقع ما ورد يقع ضمن تنميط الصور، تنميط صورة الأستاذ محمود، وتنميط صورة الحزب الجمهورى. وكون الحزب حزباً للخاصة، أمر يخالف الوقائع والشواهد التاريخية كما ورد الحديث عن ذلك باستفاضة ضمن الفصل الذى تناول الحزب الجمهورى من هذا الكتاب. أما عبارة أن الحزب "كان يعارض كل أفكار الأحزاب الأخرى"، فهذا أيضاً، هو ما كتبه عون الشريف قاسم، "وكان يعارض كل أفكار الأحزاب الأخرى"⁽²⁾. وقد وردت الإشارة لذلك فى الفصلين الرابع والسادس من هذا الكتاب، عندما تناولت الحزب الجمهورى. كما أن الخطأ فى عام 1984 واضح وقد وردت الإشارة إليه، ولا يحتاج لتكرار، والحق أن يوم 18 يناير 1985 ينبغى ألا يكون موضعاً للخطأ واللبس عند الباحثين، كونه يمثل يوماً للشموخ والكبرياء والعزة للأمة، ولا شىء يعلو فوق الثبات فى سبيل حرية الفكر وكرامة الإنسان.

الشاهد أن تلك المعلومات الخاطئة، بما انطوت عليه من تقليل لشأن الأستاذ محمود وإهمال لدوره النضالى، وجحود فى تقديمه كقائد وطنى مناضل، تسربت من كتاب الأستاذ باشرى وموسوعة البروفسير عون، إلى الدراسات والبحوث والمقالات -على قلتها- حول الأستاذ محمود والفكرة الجمهورية. كما أن ضعف الترجمة عن الأستاذ محمود، وقلة الدراسات حوله يعكس خللاً فى معايير المؤرخين والأكاديميين وكتاب التراجم، كما أنها تعكس أيضاً، خللاً فى تقييمهم لأهمية الأحداث ومدى قيمتها وقيمة صناعاتها. وبلا شك أن هذا أمر لا ينفصل عن العقل الثقافى السائد المتحكم، ولا ينفك

(1) قاسم عثمان نور، معجم المؤلفين، (1510-2010)، من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم، مرجع سابق، ص 276.

(2) عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، مرجع سابق، ص 2244.

من نسق القيم السائد، إلى جانب صلته بنوع التعليم وسياساته، وطبيعة المؤسسات التعليمية والأكاديمية فى السودان. الشاهد أنه حتى يومنا هذا - حسب علمى - لم تبادر أى مؤسسة أكاديمية أو مركز للدراسات فى السودان إلى إقامة ملتقى أو مؤتمر أو ندوة حول الأستاذ محمود أو حول مشروعه أو من أجل الدراسة والتحليل لإنتاجه المعرفى، أو حول ما حدث له. وقد وردت الإشارة لذلك فى الفصلين الثالث عشر والرابع عشر من هذا الكتاب.

خاتمة: يقظة الأمم تبدأ بتحرير التاريخ من عبث المؤرخ إعادة توصيف صورة الأستاذ محمود فى المخيلة السودانية

كنا نسمع عنه ونراه فى طفولتنا بمدينة كوستى.. كان يتردد عليها حيث عمل لفترة من الزمن يخطط مشاريع القطن الواقعة جنوب المدينة.. التى صار يختلف إليها من وقت لآخر.. حيث اشترى داراً فى حى المربع كانت مهوى لطلاب الحاجات والمساكين والباحثين عن تجديد ذواتهم بالدين والفكر.. ولا يزال كثير من أهل المدينة يرددون قصصاً أغرب من الخيال عن كرمه وإنفاقه وإيثاره، الأمر الذى كان يعبر عن دخيلة تحررت من الذاتى وسمت عن لعاعات الدنيا وزخرفها⁽¹⁾.

مكى أبو قرجه

برغم أن الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011)، قد نشر معجمه: شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، (ثلاثة أجزاء)⁽²⁾، منذ عام 1987، إلا أن الدارس لا يجد إشارة فى الدراسات التى تناولت الأستاذ محمود، لهذا المعجم. لقد تضمن هذا المعجم ترجمة للأستاذ محمود، وكانت ترجمة منصفة وقدمت الأستاذ محمود على أساس أنه، مفكر وقائد ووطنى صلب كان أول من واجه واصطدم بالاستعمار البريطانى، كتب يحيى محمد عبد القادر، فى وصفه الأستاذ محمود قائلاً

(1) مكى أبو قرجه، أصوات فى الثقافة السودانية، ط 1، مؤسسة الإمارات للإعلام، أبوظبى، 2005، ص 175.

(2) محمد عبد القادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، مصدر سابق.

بأن الأستاذ محمود: "مفكر عميق التفكير كثير التأمل" وأنه "رجل حر الفكر واسع الأفق" و "يفهم الحياة فهماً جديداً" مناضل "أنشأ الحزب الجمهورى فى عام 1945" و"كان من أوائل الذين اصطدموا بالاستعمار البريطانى فى السودان فدخل السجن مرتين". وقائد وطنى هو من أخلص القادة للقضية وللشعب وللإنسانية. هذا حديث من معاصر للأستاذ محمود ومعايش له. كما أنهم، أى الأكاديميين لا يأخذون بما قدمه الأستاذ أحمد خير المحامى فى كتابه: كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، وقد وردت الإشارة لما جاء فيه. كان الأكاديميون خاصة كبار الأساتذة ينتقون المصادر والمراجع حينما يريدون الحديث عن الأستاذ محمود، وفى هذا أيضاً، غياب للورع العلمى، وخرق للأسس العلمية والشروط الأكاديمية. الشاهد أن الحال فى المستقبل القريب قطعاً لن تكون كما هى عليه الآن.

إننى على يقين تام بأن المستقبل فى صالح الأستاذ محمود وتلاميذه ومشروعه. وأن هناك مراجعات ضخمة ستم لكل المجلدات فى السودان، مجلد حقوق الإنسان والتاريخ... إلخ. وإننى على يقين تام بأن يقظة الأمم تبدأ بتحرير أبطالها من سجون صحائف المؤرخين، ذلك من خلال النقد والتنقيب وإعادة النظر فى الكثير من المسلمات والنقد القوى والشجاع للافتراضات. فمع إعمال الحس النقدي وتجلي الشجاعة العقلية وترفع مستوى السجال والحوار تبدأ مرحلة جديدة فى حياة أى أمة، ولعل السودان يعيش الآن فى هذه المرحلة. فقد بدأت الأجيال تتقدم برؤيتها وتكتب آراءها فى موضوع الأستاذ محمود. لقد نشر مكى أبو قرجة فى كتابه: أصوات فى الثقافة السودانية، ترجمة للأستاذ محمود. قدم مكى من خلالها معلومات قيمة. وعلى الرغم من أن الترجمة لم تكن دراسة أكاديمية، وإنما كانت عبارة عن مقال صحفى، كما الحال بالنسبة لكل مقالات كتابه، كتب أبو قرجة فى مقدمة كتابه قائلاً: "هذه كتابات نشرتها صحيفة الاتحاد بأبى ظبى على مدى خمس سنوات (2000-2004) كما أعادت نشرها صحف عربية وسودانية"⁽¹⁾. على الرغم من ذلك فإن أبو قرجة قدم معلومات قيمة

(1) مكى أبو قرجة، مرجع سابق، 8.

وشهادات صادقة وانطباعات أمينة عن ما عرفه وعن ما لمسه من تلاميذ الأستاذ محمود فهو كما قال لم يكن بعيداً عنهم، كتب أبو قرجة قائلاً: "ما كنت بعيداً عن الجمهوريين، فى أيام تألق الفكرة وعنقوانها وحتى الآن.. فقد كان فيهم أصدقائى الخالصاء وجزء عزيز من عائلتنا.. أبناء عم أثيرون لى". كنت أختلف معهم وأجد فى الحوار معهم سعادة ما عليها مزيد..⁽¹⁾ القيمة الأخلاقية هنا أن أبو قرجة لم يحبس ما عرفه، ولم يصمت عليه، وإنما كتب شهادته وقدمها للقراء، ليساهم بقوة فى دفع عملية تحرير الأبطال من سجون صحائف المؤرخين.

(1) المرجع السابق، 176-177 .

الباب الخامس

الأستاذ محمود ومعاصره والمفكرون الإسلاميون والروحانيون

The most original of Africa's Islamic thinker in the second half of twentieth century was the Sudanese theologian, Mohmoud Muhammad Taha. His concept of the Dual Message of Islam was more cross-temporal than cross-cultural. Taha engaged in an intellectual effort to reconcile the ethos of the twentieth century with the spirit of the ancient era of the prophet Muhammed. Mahmoud Taha argued cross-temporally and with a freshness that one message of the Prophet was intended only for his followers in his own day (the Arabs of the seventh century of the Christian era) and the second message of Islam was intended for all time. The secret of true piety, according to Taha, was not only to recognize this cross-temporal duality of the Islamic message but also to be able to distinguish between what was historically specific to the seventh century and what was truly eternal. Mahmoud Muhammad Taha paid the supreme price for his cross-temporal intellectual innovations. The regime of Gaffa Nimeiri in the Sudan executed him for apostasy and heresy in 1985⁽¹⁾.

Ali A. Mazrui and J. F. Ade AJAYI

إن أكثر المفكرين الإسلاميين أصالة في إفريقيا في النصف الثاني من القرن العشرين، كان هو اللاهوتي السوداني محمود محمد طه. ولقد كان مفهومه لرسالة الإسلام مفهوماً عابراً للزمان أكثر منه عابراً للثقافات. لقد استغرق طه في جهد كبير ليوثق بين مناخ القرن العشرين وروح عصر النبي محمد. وقد جادل طه بنحو عابر للزمان ومنعش أن أول رسالتى النبي قصد بها تابعيه في عصره (أعراب القرن السابع الميلادى)، والرسالة الثانية من الإسلام استهدفت كافة الأزمان. إن سر الورع الحقيقى، حسب ما يرى طه، لم يكن فقط فى إدراك ثنائية الإسلام العابرة للزمان وإنما فى القدرة على التمييز بين ما كان خاصاً تاريخياً بالقرن السابع الميلادى وبين ما هو خالد حقيقة. ولقد دفع محمود محمد طه الثمن الأغلى لتجديداته الفكرية العابرة للزمان. فقد أعدمه نظام جعفر نميري فى السودان بتهمة الردة والهرطقة فى عام 1985⁽¹⁾.

على مزروعى وچى أف أد أجوى

(1) Ali A. Mazrui and J. F. Ade AJAYI, "Trends in philosophy and science in Africa", *General History of Africa, Africa since 1935*, Volume VIII, (Main edition), Edited by A. A. Mazrui, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization UNESCO, Paris, Heinemann Educational, Oxford and University of California Press, California, 1993, pp 672-673.

الفصل السادس عشر

16

.....
محمود محمد طه

في مذكرات معاصريه
.....

مع إعادة الاعتبار للتاريخ السياسي، بوصفه تاريخاً للسلطة (وليس للدولة) أعيد الاعتبار أيضاً للمذكرات والسير، لكونها مرآة للتاريخ الذاتى للأفراد الفاعلين المؤثرين أو المتأثرين فى حراك المجتمع الذى هو موضوع دراسة. فسواء أكان صاحب المذكرات فاعلاً سياسياً أم فاعلاً ثقافياً فكرياً، فإن كلامه أو خطابه هو أيضاً، "وثيقة تاريخية"، وكما كان مارك بلوخ يُفضّل القول فى وصف كل وثيقة، بأنها تؤدى إلى "معطى" (Donnée)، وهى ليست نصاً مطابقاً للحقيقة. ينطبق مفهوم "المعطى" النسبى على المذكرات والسير بامتياز⁽¹⁾.

وجيه كوثرانى

الوثائق لا تنطق وإنما تستنطق⁽²⁾.

محمد سعيد القدال

(1) وجيه كوثرانى، تاريخ التاريخ: الجماهات - مدارس - مناهج، ط 1، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2012، 398-399.

(2) محمد سعيد القدال، الانتماء والاختراب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 24.

المذكرات وأمانة التبليغ وأداء الشهادة

إن من يدون مذكراته... شاهد على حوادث ويريد أن يؤدي شهادته، فيخاطب عبر الكتابة الأجيال المقبلة تماماً كما لو كان يخاطب جلساء له يقلدهم أمانة تبليغ أقواله⁽¹⁾.

عبدالله العروى

المذكرات مصدر تاريخي مهم؛ فهي تملأ فجوات في التاريخ لا تتوفر في المصادر الأخرى، وتقدم أحداثاً وجوانب من التجربة الخاصة، تُعين على فهم التاريخ وقراءته، وتكشف عن حوادثه. كما أن المذكرات تُجسّر تواصلنا مع أصحابها ومع تجاربهم، هذا إلى جانب المتعة في قراءتها. كتب أحمد أبو شوك في مقدمة تحقيقه لـ: مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان⁽²⁾، قائلاً: "إن صناعة المذكرات هي ضرب من ضروب السيرة الذاتية،..." وأضاف قائلاً: "إن قيمة المذكرات الشخصية تكمن في طبيعة الأحداث التي عاشها المؤلف، وتجرد في توثيقها...". وكتب محمد سعيد القدال قائلاً: "إن السيرة الذاتية لها دور أساسي في دراسة التاريخ، فهي تملأ فجوات لا تتوفر في المصادر الأخرى. فكتاب السيرة الذاتية قد يذكر جوانب خاصة من تجربته تكون فتحاً لفهم تاريخي تقف المصادر الأخرى دون جلانه. ولذلك نحن نبحت في السيرة الذاتية بجانب المتعة الفنية، عن تلك الأحداث الصغيرة التي تساعدنا في فهم الماضي". وعن صاحب السيرة الذاتية أضاف القدال قائلاً: "وتتطلب السيرة الذاتية أن يكون صاحبها متميزاً في ناحية من نواحي الحياة، وأن يكون ذا صلة دقيقة بأحداث كبرى، أو أن يكون ممن لهم مشاركة في بعض تلك الأحداث. وقليل من السير الذاتية ما فيه انعكاس لتجربة

(1) عبدالله العروى، مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب، ج 1، ط 3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص 36.
(2) أحمد أبو شوك، مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافي بأمدردمان، أمدردمان، 2004.

ذاتية ذات حدود واضحة بين ولادتها واكتمالها⁽¹⁾. فحينما تصلنا المذكرات أو السير الذاتية من أصحابها، نكون نحن أمام وثائق تاريخية، تتقاطع فيها الذاكرة والتاريخ، ويختلط فيها الذاتي بالموضوعي، يقول وجيه كوثراني:

إن المذكرات والسير، هي تعبير عن "ذاكرة" فردية وجماعية، وفي الذاكرة هذه، تختلط الأزمنة وتختلط الرغبات والأحلام والمشاعر مع الواقع وحركته وانعطافاته ومفاجآته، الأمر الذي يكون حقلًا ملتبسًا، ولكن غنيًا، من حقول التاريخ التي تتطلب الدراسة لفهم الملتبس بين الذاكرة والتاريخ، وبين الذاتي والموضوعي. من هنا يبرز التحدي المعرفي لدى "المؤرخ الجديد": التمييز بين الحيزين: الذاكرة والتاريخ، الذاتي والموضوعي⁽²⁾.

إن كل سيرة هي تبليغ، فهي تقدم شهادة وتمثل تجربة ذاتية، وعن تدوين التجربة الذاتية، وعن متى يكتب الكاتب سيرته الذاتية. يقول إحسان عباس (1920-2003): "إن كل سيرة هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، وأصبحت في نفس صاحبها نوعاً من القلق الفني، فانه لابد أن يكتبها"⁽³⁾. ولا شك أن السيرة الذاتية التي يكتبها صاحبها، هي غير السيرة التي نكتبها عن الآخرين، وقد سمها إحسان عباس بالسيرة العامة.

السيرة الذاتية والعامة

إن ما تنطوي عليه هذه السير من دوافع الاختيار ووجوه السلوك، ومن الآراء والمعتقدات، ومن الاتجاهات والاختبارات، ومن الفضائل والنقائص، إن هذا كله مرآة صادقة للأوضاع الحضارية التي عاش هؤلاء الأشخاص في كنفها.. ومن هنا كانت أهمية تدوين السير كفن من فنون التاريخ⁽⁴⁾.

أحمد صدقي الدجاني

هناك السيرة الذاتية والسيرة العامة، وحول الفرق بينهما يقول إحسان عباس: "تعتمد

(1) محمد سعيد القدال، الانتماء والاختراب: دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق.

(2) وجيه كوثراني، تاريخ التاريخ: الجاهات - مدارس - مناهج، مرجع سابق، 398-399.

(3) إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص 94.

(4) أحمد صدقي الدجاني، "لمحة تاريخية: حضارات إنسانية رئيسية وعلاقة مثقفين بمجتمعاتهم"، المثقف العربي: همومه وعطاؤه، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 19.

السيرة التي يكتبها الشخص لنفسه على العنصر الذاتي، بينما السيرة العامة، قائمة في المقام الأول، على الاتجاه الموضوعي. فلا بد أن يكون من يكتب سيرة غيره موضوعياً في النظرة إلى صاحبه، وإلى الأشياء والحقائق المتعلقة به، كما لا يمكن أن يكتب سيرة نفسه إلا إن كان يبصر الحقائق المتعلقة بذاته على نحو ذاتي⁽¹⁾. ويُبين القدّال قائلاً: "فالسيرة الذاتية يكتبها الشخص عن نفسه لهذا سميت ذاتية... وهنا لا بد أن يكون الكاتب لسيرته الذاتية موضوعياً في نظره لنفسه. بمعنى أنه يتجرد من التحيز لنفسه، وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث، ولا ينساق مع غرور النفس وتعلقها بذاتها، وحجها لإعلاء شأنها وتنقيصها من قدر الآخرين. وقل من يحسن هذا النوع من التجرد... أما ما نكتبه عن الآخرين فهو مجرد سيرة، مثل السيرة النبوية لابن هشام". ومن أمثلة السير التي كتبت في السودان عن الآخرين: مذكرات السيد عبدالرحمن المهدي (1885-1959)، جهاد في سبيل الاستقلال⁽²⁾، التي أشرف على إعدادها السيد الصادق المهدي. وكتاب فدوى عبدالرحمن على طه عن والدها: أستاذ الأجيال: عبدالرحمن على طه 1901-1969، بين التعليم والسياسة وأربعي⁽³⁾، وسيرة عبدالله ميرغني التي أعدتها ابنته درية، وجاءت بعنوان: عبدالله ميرغني: أحد رواد الحركة الوطنية في السودان⁽⁴⁾، وغيرها.

كتابة المذكرات والتبليغ والذاكرة الجماعية في السودان

إن مآثرة الأستاذ [محمود] الكبيرة هي إخضاعه حياته الشخصية للهدى الديني الذي اختاره. لقد رَوّض الجسد الأفعوانى بقامة الفكر. استل من الجسد الغرائز والشهوات والمضاربات وأعطى الأستاذ بذلك نموذجاً لم يقع لنا من بين خريجي المدارس الحديثة⁽⁵⁾.

عبدالله على إبراهيم

(1) إحسان عباس، مرجع سابق، ص 101.

(2) عبدالرحمن المهدي، جهاد في سبيل الاستقلال، مرجع سابق.

(3) فدوى عبدالرحمن على طه، أستاذ الأجيال: عبدالرحمن على طه 1901-1969، بين التعليم والسياسة وأربعي، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004.

(4) درية عبدالله ميرغني، عبدالله ميرغني: أحد رواد الحركة الوطنية في السودان، دار جامعة القرآن الكريم، الخرطوم، 1999.

(5) عبدالله على إبراهيم، "محمود محمد طه ... الموت ببوابة السماء"، صحيفة الأحداث، 2011/10/18.

بدأت صناعة فن المذكرات والسير حديثاً في السودان، يقول أحمد أبو شوك: "يعدُّ هذا الفن من الأدب التأريخي بأتماطه المختلفة حديث النشأة والتطور في السودان..."⁽¹⁾. وخلص مصطفى الصاوي في دراسته التي جاءت بعنوان: "بانوراما التراجم والسير والمذكرات (مقدمة تعريفية)"⁽²⁾، وتناول فيها التراجم والسير والمذكرات من لدن مذكرات يوسف ميخائيل إلى "من زمامي وتحناني" لبشير حمد،. خلص في حديثه عن المذكرات والسير، قائلاً: "إن كتابة المذكرات قد استوعبت مجالات مختلفة؛ إلا أن الطاغى عليها هو السياسي"⁽³⁾. لاحقاً أصدر مصطفى كتاباً بعنوان: السير والمذكرات في الأدب السوداني: دراسة من منظور النقد الأدبي، قد يكون الكتاب، كما أشار مؤلفه، "هذا الكتاب قد يكون أول دراسة أكاديمية عن أدب المذكرات والسير في السودان"⁽⁴⁾، إلى جانب أنني لاحظت أن الكتاب يمثل آخر ما وصل إلى المكتبات السودانية من الدراسات العلمية في هذا المجال. يكاد يجمع الباحثون بأن مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان، هي أول مذكرات تصل إلينا، ولكن ظهور مذكرات سليم أغا التلاوي (1826-1875)، والتي قام بترجمتها ياسر عبيدي برذويل⁽⁵⁾، يجعلنا أمام كشف

- (1) أحمد أبو شوك، مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان، مرجع سابق، ص (التقديم).
- (2) مصطفى الصاوي، "بانوراما التراجم والسير والمذكرات (مقدمة تعريفية)"، مجلة كرامة، العدد الأول، إتحاد الكتاب السودانيين، سبتمبر 2007، ص 189-199.
- (3) المرجع السابق، ص 189-199.
- (4) مصطفى محمد أحمد الصاوي، السير والمذكرات في الأدب السوداني: دراسة من منظور النقد الأدبي، ط1، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أمدرمان، 2012، ص 274.
- (5) لفت نظري الصديق الباحث ياسر عبيدي برذويل إلى مذكرات سليم أغا التلاوي (1826/1836-1875)، التي كتبت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عام 1946. وبهذا يكون قد غما إلى علمنا حتى الآن صدور مذكرات سابقة لمذكرات يوسف ميخائيل. صدرت مذكرات سليم أغا باللغة الإنجليزية. عكف ياسر على ترجمتها فأنجزها عام 2004، وتقع في (25) صفحة. قاده ترجمته لمذكرات سليم أغا للوصول إلى جيمس مكارثي الذي كان يعد في كتاب عن سليم أغا. نشر جيمس كتابه أواخر عام 2006 بعنوان: Selim Aga: A Slave's Odyssey. حيث دُشن بمعرض لندن الدولي للكتاب. يقع كتاب جيمس مكارثي في نحو مائتي صفحة، ملحق به مذكرات سليم أغا وهي بعنوان: Incidents Connected with the life of Selim Aga. عكف ياسر، على كتاب جيمس مكارثي الذي يقع في مائتي صفحة، فأنجز ترجمته في بداية عام 2007، ثم وسم ياسر كتابه المترجم بـ: ملحة سليم أغا التلاوي: قصة مستترق من قُرب السودان. أظلمنى ياسر عبيدي برذويل على النص المترجم، وما لاشك فيه أن نشر هذا النص المترجم في كتاب، =

معرفى ومعطى جديد، على إثره تتأخر مذكرات يوسف ميخائيل إلى المرتبة الثانية فى سلم صناعة المذكرات والسير فى السودان. ثم تأتى المذكرات التى كتبها سجناء المهديّة بعد سقوط الدولة المهديّة. جاءت مذكرات القسيس النمساوى الأب جوزيف أهرولد الموسومة بـ: **عشر سنوات أسرى فى معسكر المهدي (1882-1892)**. ثم مذكرات الضابط النمساوى رودلف سلاطين باشا (1857-1932): **السيف والنار فى السودان**⁽¹⁾. ومذكرات شارلس نيوفلد (1856-1913) بعنوان: **سجين الخليفة: اثنا عشر عاماً أسيراً بأملرمان**⁽²⁾. وبعدها بعامين صدرت مذكرات إبراهيم فوزى باشا، سكرتير غردون أولاً، وسجين المهديّة ثانياً، تحت عنوان: **السودان بين يدي غردون وكشنر، الجزء الأول والثانى**⁽³⁾. وكانت مذكرات يوسف ميخائيل التى كُتبت فى ظل الحكم الثنائى، وتحركت فى مساحة زمنية امتدت من عام 1872 وحتى عام 1943.

كان الجيل الرائد فى كتابة المذكرات من السودانيين، هو الجيل الذى وُلد فى حقبة الحكم التركى/ المصرى. كتب عبدالله حمدنا الله قائلاً:

ويعد الجيل الذى ولد فى التركية وعاصر المهديّة وشطراً من الحكم الثنائى جيلاً رائداً فى كتابة مذكراتهم على عظيم أثرها فى الدراسات التاريخية السودانية وتبرز أسماء يوسف ميخائيل وبابكر بدرى ومحمود القباني: **حال بئيس**، ومتولى العتبانى، من بين رواد هذا الجيل إضافة إلى محمد عبد الرحيم فى بعض ما كتبه فى مؤلفاته وخاصة

= ويسرى سعى لذلك، سيكون إضافة للمكتبة السودانية وفتحاً جديداً فى مجال كتابة المذكرات، إلى جانب ما تقدمه مذكرات سليم أغا من كشف للعديد من القضايا بما يخدم تعريفنا بما انطوت عليه تلك الحقبة التاريخية، والظروف التى عاشها سليم. ترجمة مذكرات سليم أغا تقع ضمن مشروع الاسترداد للإرث السودانى المهاجر أو المفقود، وهنا تتجلى لحظات وعى الأمم. لاحقاً، وفى يناير 2012 نشر بدر الدين حامد الهاشمى تلخيصاً وعرضاً مختصراً لكتاب *Selim Aga: A Slave's Odyssey*، الذى نشره جيمس ماكارتى عن تاريخ حياة السودانى "سليم أغا" الذى عاش بين عامى 1826-1875. المصدر: بدر الدين حامد الهاشمى، "سليم أغا: ملحمة عبد (مسترق): تلخيص وعرض مختصر لكتاب " *Selim Aga: A Slave's Odyssey* "، صحيفة الأحداث، 6 يناير 2012.

(1) سلاطين باشا، **السيف والنار فى السودان**، ط2، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، 1987.

(2) شارلس نيوفلد، **سجين الخليفة: اثنا عشر عاماً أسيراً بأملرمان**، ترجمة: محجوب التجانى محمود، 2006.

(3) إبراهيم فوزى باشا، **السودان بين يدي غردون وكشنر، الجزء الأول والثانى**، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2010.

كتابه: النداء فى دفع الافتراء⁽¹⁾.

بعد ظهور طلائع المتعلمين، الذين تلقوا التعليم الحديث مع بداية القرن العشرين، وتمددهم فى الشارع العام خلال النصف الأول من القرن العشرين، بنضالهم ضد المستعمر، وتوليهم لقيادة السودان بعد استقلاله. ظهرت العديد من المذكرات، ومن نماذج ذلك، دوغما ترتيب فى تواريخ الإصدار: مذكرات أحمد خير المحامى كفاح جيل، وسليمان كشة سوق الذكريات، وملاحم من المجتمع السوداني، لحسن نجيله، ومذكرات على عبدالرحمن الأمين (1906-1983)، الديمقراطية والاشتراكية فى السودان، ومذكرات محمد أحمد المحجوب: الديمقراطية فى الميزان، ومذكرات الدرديرى محمد عثمان، ومذكرات خضر حمد (1910-1970)، ومذكرات عبد اللطيف الخليفة، ومذكرات أمين التوم: ذكريات ومواقف، ومذكرات عبدالمجيد أبو حسبو (1919-1985). وغيرها.

درس القدال أحد عشر كتاباً من كتب السيرة الذاتية السودانية، فى بحث ضمنه كتابه آنف الذكر. وأشار إلى أن دراسته، استندت فى إطارها النظرى على طرح إحسان عباس فى كتابه: فن السيرة. وتحدث عن قيمة تلك الكتب التى درسها، كمصدر لدراسة التاريخ قائلاً: من النماذج التى قدمتها من تلك الكتب ومقارنتها مع ما ذكره إحسان عباس عن السيرة الذاتية يتضح لنا الآتى⁽²⁾:

■ أهملت الجوانب الشخصية التى هى قنوات اتصال بين الكاتب والقارئ.

■ ضخمت من دورها فى الأحداث.

■ جنحت للتبرير.

■ سيطر عليهم هاجس الصراعات السياسية.

ثم خلص القدال فى دراسته قائلاً: "إن قيمة غالبية هذه الكتب كمصدر للتاريخ ضعيف، وبعضها لا قيمة له). لم يستثن القدال من نماذج دراسته إلا مذكرات الشيخ بابكر

(1) عبدالله حمدنا الله، "هبة المذكرات.. المجنوب والذكريات نموذجاً (1-2)"، صحيفة الصحافة، بتاريخ 18 فبراير 2004،

(2) محمد سعيد القدال، الانتماء والاعترا ب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 133-152.

بدري (1864-1954): **تاريخ حياتي**، ثلاثة أجزاء. فقد وصف القدال مذكرات الشيخ بابكر بدري بأنها ذات قيمة فنية، وقيمة تاريخية، وعدّها نموذجاً للسيرة الذاتية. كما أضاف القدال قائلاً: "ولعل (سوق الذكريات، سليمان كشة)، و(ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة)، وبالطبع مذكرات بابكر بدري، تساعد على سد بعض الفجوات بما قدمت من بعض الجوانب في حياة أهل السودان، مما يكسب حقائق التاريخ مسحه إنسانية"⁽¹⁾. ويبدو أن العبء سيقع على عاتق الروايات الشفاهية لتكملة ذلك النقص، حتى يستطيع كتاب التاريخ أن يجعلوا الوثائق تقف على أقدام آدمية.

العظماء في سجلات أمهم

لم أرفى حياتي شخصاً بذكاء وسماحة وجمال محمود. ولو كان محمود يريد أن يكون وزيراً أو يصير رأسماً لفتحت الأبواب له على مصراعيها، لعلمه ومقدراته ونضجه. لكنه ذهب مذهباً وركب مركباً صعباً، وأتى للناس بفكر لم يقدروا على فهمه واستيعابه في زمان الغلو والتطرف واللامعقول⁽²⁾.

عثمان الحويرص، نقلاً عن عبد المنعم الحويرص

في بداية كتابه: فن السيرة، كتب إحسان عباس قائلاً: "القدرة على الإحساس بالتاريخ، كسائر المزايا الإنسانية، موطن للتفاوت بين الأفراد، ومجال تتباين فيه الجماعات والأمم". ثم أضاف مستشهداً بقول المؤرخ والفيلسوف الألماني اشبنجلر Oswald Spengler (1880-1936)، قائلاً: "فالأمّة التي تحرق جثث رجالها، ولا تُعنى بتسجيل أعمالهم، وإذا مضى على وفاة أحد عظمائها ستون سنة لم تستطع أن تتحقق إن كان ذلك العظيم شخصية تاريخية أو خرافة، لهي -فيما يراه اشبنجلر- ضعيفة الإحساس بالتاريخ". أما إذا حرقت الأمّة جثث رجالها، وسعى مثقفوها وقادتها إلى تغييب عظمائها عن الذاكرة

(1) محمد سعيد القدال، **الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث**، مرجع سابق، ص 133-152.

(2) عبد المنعم الحويرص، ضمن خيط عبدالله الشقلىنى: "محمود محمد طه في رؤى الأحلام"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

الجمعية، وتضليل الشعوب في إنجازاتهم، فهذا ضعف في الإحساس بالتاريخ، وفقدان لحاسة العدل، وضياح لمعانى الصدق والأمانة التاريخية. ختم الأستاذ أحمد خير المحامى كتابه: **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان**⁽¹⁾، بفصل هو السابع، ووسمه بـ: "نحو أفق بعيد"، قال في مستهله: "لشباب اليوم ورجال الغد المأمول أن يتساءلوا: هل اضطلع الجيل الحاضر في السودان بأعباء واجبه الوطنى على الوجه الصحيح، وهل أدى رسالته كما ينبغى؟". ثم أضاف قائلاً: "والإجابة على مثل هذا التساؤل تتعذر على الجيل المستوجب، لأنها تدخل في اختصاص التاريخ الذى لم تحن بعد الفرصة الملائمة لمراجعته". حينما كتب بعض جيل الأستاذ أحمد خير المحامى مذكراتهم، رسب كثير منهم فى امتحان الأمانة التاريخية (هذا الحكم القاسى سيأتى تفصيله وتبريره فيما بعد)، ذلك حينما أغفلوا ذكر الأستاذ محمود، وتجاهلوا نشأة حزبه، الحزب الجمهورى، ومشوار نضاله ضد المستعمر البريطانى، وسنى سجنه أيام الاستعمار. بل إن بعضهم قد بخل حتى بالإشارة إلى الأحداث الجسام التى صنعها، والرحلة الشجاعة فى المواجهة القوية المستمرة التى قادها مع مراكز السلطة فى المجتمع، والقوى التقليدية فيه، التى حجمت أحداث التغيير وجمدته. تحدث بعضهم فى مذكراته - وسياتى تفصيل ذلك لاحقاً - عن نشأة الأحزاب فى السودان، وأشاروا لأحزاب لم يتعد عمر بعضها ثلاثة الأعوام، ولم ترد مجرد إشارة للحزب الجمهورى، أو رئيسه الأستاذ محمود. ومنهم من خصص فصلاً فى مذكراته، وأسماه "وفاء وثناء". كان محور الفصل الثناء على الرجال الذين بذلوا الجهد، وضحووا من أجل استقلال السودان، وعدد نحو مائة وخمسين شخصاً، ولم يكن الأستاذ محمود من بينهم.

إن الذين كتبوا مذكراتهم، من طلائع المتعلمين، كانوا من قادة السودان، الذين شاركوا فى النضال من أجل خروج المستعمر، وقاد بعضهم السودان بعد استقلاله عام 1956. وكما أشرت سابقاً، بأن دراستى هذه تزعم بأن قضية الأستاذ محمود، بدأت مع معاصريه من طلائع المتعلمين، حينما وصلوا للتسوية مع الطائفية، بينما كانت الطائفية عند الأستاذ محمود تجميداً لحركة التغيير. كان الأستاذ محمود قد ترسم طريق المواجهة والمناطحة

(1) أحمد خير المحامى، **كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان**، مصدر سابق، ص 113.

والمصادمة للقوى الاستعمارية ولمراكز السلطة فى المجتمع، الدينية والتقليدية، من أجل تحقيق الاستقلال الحقيقى وإحداث التغيير، ودعا أنداده إلى ذلك، إلا أنهم أثروا طريق المهادنة والتسوية والتصالح والتحالف مع القوى التقليدية والاستعمارية. سار الأستاذ محمود فى طريقه بجسارة وشدة مراس، فبدأت حروب المكائد والدسائس ضده، ونما اتجاه الحسد نحوه. ولعل جهود تضليل الرأى العام فى الموقف من الأستاذ محمود، ومساعى تغييبه عن الذاكرة الجمعية، بدأت مع معاصريه من طلائع المتعلمين، ومن شواهد ذلك إغفال بعضهم لذكره فى مذكراتهم، ومن ثم أخذ التضليل والتغييب طريقه إلى صحائف المؤرخين، وإلى الأرشيف القومى السودانى، وإلى الأكاديمية السودانية.

قراءة فى نماذج المذكرات والشهادات التاريخية

كنت ضمن العديد من الناس الذين تحركت مشاعرهم وروعوا بالطريقة التى تمت بها محاكمة وإعدام القائد الإسلامى محمود محمد طه. وعلى الرغم من أننى لم ألق به... وأظن أنه كان معروفاً فقط لأبناء جيله وأتباعه... لم أقرأ فى كتبه شيئاً يثير السخط من وجهة نظر إسلامية ولم تكن توحى إلى إثارة الفتن أو التحريض ضد الحكومة، وأفكاره قد تبدو غريبة ومتضاربة مع توجهات الجماعات والطوائف الدينية الأخرى، لكن حسب رؤيتى للأمر لم يكن فى أفكاره ما يدعو لانتهامه بالردة والحكم عليه بالإعدام... وكرجل شارك فى مجلس الشعب وحكومات مايو أعتبر عملية المحاكمة والإعدام عملية يستحيل الدفاع عنها من وجهة نظر الشريعة أو حتى أى قانون علمانى، ولم يكن لهذا العمل أى مبررات تقرها الفطرة السليمة المألوفة. اعتبر كثير من السودانيين، داخل وخارج البلاد، هذه الحادثة نقطة سوداء فى تاريخ السودان⁽¹⁾.

مامون بحيرى (1925-2002)

سأدرس هنا نماذج من مذكرات معاصرى الأستاذ محمود. وأقصد بالمعاصرين - لغرض هذه الدراسة - أولئك الذين كانوا عاصروه، وكانوا شهوداً على عصرهم فى

(1) مامون بحيرى، لمحات من تجارب رجل خدمة عامة من جيل الرواد السودانيين، ط 1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2001، ص 133-134.

السودان من طلائع المتعلمين. لقد درست معظم مذكرات طلائع المتعلمين، ولكنى اخترت منها سبعة لتكون نماذج لدراسى فى هذا الفصل، مع الإشارة لمذكرات أخرى غير السبع. كان تاريخ ميلاد جميع أصحاب مذكرات نماذجى خلال الفترة ما بين 1905 والعام 1919. كان جميعهم من القادة والشخصيات الفاعلة والمؤثرة بقوة فى الحياة السودانية، وأكثر تأثيراً فى شقها السياسى. فجلهم استوزر أو كان عضواً فى مجلس السيادة، ومن لم يستوزر كان رائداً فى مجاله. نماذجى تنتمى لتيارات سياسية وفكرية مختلفة. من المهم الإشارة إلى أن بحثى، كما ورد آنفاً، فى موضوع الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه، لا يهدف إلى تجريم أو محاكمة أصحاب تلك المذكرات، بقدر ما يهدف إلى تبين كيف أن الإغفال المتعمد لذكر الأستاذ محمود قاد إلى تضليل المؤرخين الذين ظلوا يعتمدون على تلك المذكرات بوصفها مصدراً من مصادر تاريخ السودان وتاريخ الحركة السياسية السودانية وتطورها. فالركون إلى تلك المذكرات كمصدر تاريخى وهى بتلك الحالة من نقص الأمانة العلمية، أمر محفوف بالمخاطر. كما أن ذلك الإغفال والتجاهل يفسر لنا الكثير من قضايا السودان، ويعيننا على فهم أسباب الانحراف الباكر لمساره، ذلك المسار الذى حدّدته طلائع المتعلمين، وساروا بالسودان فى وجهة يتكشف لنا خطؤها وخطرها كل يوم.

جميع أصحاب النماذج التى سأدرسها، كانوا من الذين شاركوا فى تأسيس مؤتمر الخريجين عام 1938، وكانوا حضوراً فى مهرجان تكوين الأحزاب السودانية. كما هو معلوم، فقد تمحورت الأحزاب التى نشأت فى منتصف الأربعينيات من القرن الماضى، حول حركة الاستقلال و حركة الوحدة/ الاتحاد (مع مصر). كان بعض أصحاب النماذج التى سأدرسها، كما ذكرت، من قادة التيار الاتحادى (خضر حمد، والشيخ على عبدالرحمن الأمين، وعبدالمجيد أبو حسو الذى جاء للتيار الاتحادى من الحزب الشيوعى السودانى)، وبعضهم الآخر من قادة التيار الاستقلالى (محمد أحمد المحجوب، وأمين التوم)، وتنقل يحيى محمد عبدالقادر بين التيارين، بدأ انتماؤه السياسى بالمشاركة فى تأسيس الحزب الجمهورى الذى ترأّسه الأستاذ محمود عام 1945، ثم انتقل مشاركاً فى تأسيس الحزب الوطنى برعاية الخليفة الشريف عبدالرحمن الهندى (1964-???)، وتولى سكرتارية الحزب حتى اندماجه فى الحزب الوطنى الاتحادى عام 1953. أصبح جميع

هؤلاء من قادة السودان بعد استقلاله عام 1956. تولى جميعهم حقائب وزارية، عدا الأستاذ يحيى الذى التزم العمل بالصحافة، كان منهم رئيس الوزراء، ونائب رئيس الوزراء، ووزراء للعدل والخارجية والدفاع والاعلام. كتب جلهم المقالة، وأصدر بعضهم الكتب، وكتب المحجوب وخضر حمد الشعر العربى. لم ينشر خضر حمد شيئاً من شعره، ونشر المحجوب شعره فى أربعة دواوين.

لقد درست سبعة نماذج من المذكرات. قدمت تعريفاً بها وحول كتابها، ووقفت على فصولها، وتقصيت فى نصوصها الإشارات للأستاذ محمود. كان جميع كُتاب تلك النماذج من معاصرى الأستاذ محمود، وهم:

1- أحمد خير المحامى (1905-1995): كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، وقد صدرت مذكراته أول مره عام 1948، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2002.

2- السيد خضر حمد (1910/8 - 1970). وقد صدرت مذكراته بعنوان: مذكرات خضر حمد: الحركة الوطنية السودانية، الاستقلال وما بعده، مكتبة الشرق والغرب بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1980.

3- الشيخ على عبدالرحمن الأمين (1906-1983). صدرت مذكراته بعنوان: الديمقراطية والاشتراكية فى السودان، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1970.

4- السيد أمين التوم (1914-2004). صدرت مذكراته بعنوان: ذكريات ومواقف فى طريق الحركة الوطنية السودانية 1914-1969، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط2، 2004. (كانت الطبعة الأولى قد صدرت عن دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، ولم ترد إشارة لتاريخ نشرها فى الطبعة الثانية).

5- الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011). صدرت مذكراته بعنوان: على هامش الأحداث فى السودان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم (بدون تاريخ نشر).

6- السيد عبد الماجد أبو حسبو (1919-1985). صدرت مذكراته بعنوان: مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، الجزء الأول، دار صنب للنشر والتوزيع، الخرطوم، ط1، 1987.

7- السيد محمد أحمد المحجوب. صدرت مذكراته بعنوان: الديمقراطية في الميزان: تأملات في السياسات العربية والأفريقية، عام 1974م باللغة الإنجليزية. أما الترجمة العربية التي وقفت عليها فقد صدرت في طبعتها الثالثة عام 1989 من دار جامعة الخرطوم للنشر، وطبعتها مطابع الأهرام، القاهرة، مصر.

الأستاذ محمود وشهادة الأستاذ أحمد خير المحامي⁽¹⁾

كان الأستاذ محمود محمد طه رجلاً مختلفاً⁽²⁾

محمد فضل الله المكي

كان الأستاذ أحمد خير المحامي أول الذين كتبوا مذكراتهم من بين نماذجي التي أدرسها الآن. فقد نشر أحمد خير مذكراته: كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان، في طبعتها الأولى عام 1948. برغم أن أحمد خير قدم شهادة قوية وناصعة في حق الأستاذ محمود وفي حق الحزب الجمهوري ورجال الحزب، ولا بد من أن جل طلائع المتعلمين قد اطلعوا عليها، إن لم يكن كلهم، برغم قوة شهادة أحمد خير ونصاعتها لم يرد ذكر للأستاذ محمود ولا للحزب الجمهوري في مذكرات طلائع المتعلمين، خاصة نماذجي التي أدرسها في هذا الفصل. لقد أفرد أحمد خير عنواناً جانبياً لا تخطئه العين، باسم:

(1) ولد أحمد خير المحامي بقرية فداشي العامراب شمال ود مدني، وتخرج في قسم المترجمين بكلية غردون عام 1925، وبعد افتتاح مدرسة الحقوق التحق بها عام 1939 وتخرج فيها ثم أصبح محامياً منذ عام 1944، في مدينة مدني والخرطوم. وكان منذ الثلاثينيات مشغولاً بالسياسة والثقافة، وكان من مؤسسي جمعية ود مدني الأدبية. من منبر هذه الجمعية القى محاضراته الشهيرة: واجبا السياسي بعد معاهدة 1936، واقترح فيها تأسيس فكرة مؤتمر الخريجين أوائل عام 1938. وهو صاحب اقتراحات كثيرة كان المؤتمر قد تبناها وكانت ذات أثر كبير منها: اقتراح قيام مهرجان أدبي يعقد كل عام في عاصمة من عواصم المديرية، واقتراحه بقيام يوم التعليم، واقتراحه بقيام يوم القرية، تسافر فيه وفود المؤتمر للقرى لتوعية الأهالي. وبعد انشقاق المؤتمر كان من رواد الاتحاديين وقد أخرج كتابه كفاح جيل واشترك مع مبارك زروق في تأليف كتاب مآسي الإنجليز في السودان. ففي فترة الحكم العسكري الأول (1958-1964) تم اختياره مستشاراً قانونياً للمجلس العسكري الأعلى ثم عين وزيراً للخارجية حتى عام 1964. بعد ذلك رجع لمهنة المحاماة. المصدر: عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج1، مرجع سابق، ص 69؛ المعتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مرجع سابق، ص 69-71.

(2) محمد فضل الله المكي، 'لست جمهورياً.... ولكن'، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

"الحزب الجمهورى" حينما تحدث فى فصل عن نشأة الأحزاب. كتب الأستاذ أحمد خير - وهو يتحدث عن نشأة الحزب الجمهورى قائلاً:

ولما وضحت معالم الخلاف واشتد وطيسه بين الاتحاديين والانفصاليين، نشأ الحزب الجمهورى، وهو حزب ينادى باستقلال السودان من مصر وانجلترا على السواء، وقيام جمهورية سودانية. ولقد همس بالفكرة جماعة من أنصار الوضع الحاضر وكانت تبدو حلاً وسطاً وقنطرة يلتقى عندها دعاة الألفة والوئام من صفوف الفريقين لكنها لم تلق رواجاً لأن أساسها انفصالى. وبعد فترة من الزمن نادى بها رئيس وأعضاء الحزب الجمهورى القائم الآن⁽¹⁾.

ثم تناول أحمد خير بالحديث رجال الحزب الجمهورى ورئيس الحزب الأستاذ محمود، وتحدث عن سماته وصفاته، وأشار إلى اختلاف نهج رجال الحزب الجمهورى قائلاً:

لقد برهن رجال الحزب الجمهورى على صدق عزمهم وقوة إيمانهم لذلك يتمتعون باحترام الجميع، كما برهن رئيسهم (الأستاذ محمود) على إخلاص وصلابة وشدة مراس، ولعل هذه الأسباب نفسها مضافة إلى اختلاف أهدافهم هى التى جعلتهم يقفون فى عزلة وانفراد، غير أن شدة العداء بين الجمهوريين وحزب الأمة، قدم دليلاً جديداً لعله أقطع الأدلة على انطواء الأخيرين على فكرة الملكية، فالحزبان استقلاليان، ولما لم يكن بين الجمهورية والملكية توسط كان من البديهي أن تقوم الملكية فى الجانب الثانى بعد أن قامت الجمهورية فى الأول وإلا لما كان هناك مجال لعدم التعاون أو الاندماج⁽²⁾.

تحدث أحمد خير المحامى فى مذكراته من خلال سبعة فصول. وقد وصف محتويات كتابه قائلاً:

ليست محتويات هذا الكتيب إذن تاريخاً للسودان، وإنما هى عرض لثمرات مجهود الخريجين فى التطور الاجتماعى فى السودان، ومن ناحية أخرى هى ترجمة لجيل، جيل ظهر فى عالم الوجود فى منتصف العقد الثانى من القرن العشرين، وقام بتجربته الأولى فى

(1) أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، مصدر سابق، ص 95، 96.

(2) المصدر السابق، ص 95، 96.

منتصف العقد الثالث، وقضى قرابة عقدين آخرين فى فترة تنظيم جديد ثم ها هو ذا يخرج بتجربته الثانية فى منتصف العقد الخامس⁽¹⁾.

تحدث أحمد خير فى الفصل الأول عمّا أسماه: قيادتين وجيلين، وتناول الفصل الثانى ما أسماه بانتفاضات حركة 1924، وتحدث فى الفصل الثالث عن المدارس الفكرية ومناورات الاستعمار والتعليم والانقسام الأول ومعاودة 1936 والمهرجان الأدبى تحت عنوان: إعداد وتنظيم. وخصص الفصل الرابع لمؤتمر الحريجين، بينما وقف فى الفصل الخامس على نشأة الأحزاب، من خلال المحاور والعناوين الجانبية التالية: الاتحاديون، الأشقاء، الأحرار، وحدة وادى النيل، القوميون، تقرير المصير، حزب الأمة، الحزب الجمهورى، نظرة عامة على الأحزاب، الائتلاف، مقاطعة الانتخابات. وتناول الفصل السادس الجبهة الخارجية، والفصل السابع نحو أفق جديد ثم الملاحق.

التجاهل برغم شهادة أحمد خير الناصعة

الأستاذ محمود، مفكراً من تاريخنا، أم أفكاراً لمستقبلنا؟ ما سر الأصرار
العجيب على التجانس فى حياة ومات الأستاذ محمود محمد طه؟ ما أهمية أن
تكون أقوالك متجانسة وأفعالك؟⁽²⁾

Roads

إن التجاهل الذى ساقف عليه فى الصفحات القادمة، من قبل معاصرى الأستاذ محمود،
لذكره وذكر نضاله ودوره فى الحركة الوطنية فى مذكراتهم وفى سيرهم الذاتية، برغم شهادة
أحمد خير التى نشرت قبل إعدادهم لمذكراتهم، إن هذا التجاهل يدعم بقوة زعمى القائل بأن
تجاهل الأستاذ محمود وتجاهل الإشارة إلى الحزب الجمهورى فى نماذج المذكرات التى درستها
كان تجاهلاً متعمداً، لم يك التجاهل من واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة وإنما تجاهل جماعى، بما
يشبه التحالف والاتفاق غير المكتوب. وهذا ما ستقف عليه من خلال دراسة نماذجى المشار إليها.

(1) المصدر السابق، ص 10.

(2) Roads، "الأستاذ محمود محمد طه، مفكراً من تاريخنا، أم أفكاراً لمستقبلنا؟"، من موقع سودانيز أونلاين،
الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/30، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>.
لم استطع معرفة الاسم الكامل لكاتبه النص.

الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه

أنا مرة اعتقلت بواسطة البوليس السرى،.. ونحن (الشيوعيين) معروف عندنا، لما واحد يعتقل، ما فى زول بسأل عنو ولا يزورو، عشان ما ندى فرصة لآى أخذ معلومات.. يوم الشاويش قال لى عندك زيارة.. قلت يارب المغفل الزارنى دا منو، يمكن يكون واحد من أهلنا الشايقية، جا من البلد، وما عارف الحاصل.. لما مشيت مكتب القمندان، لقيتو دا الأستاذ محمود!! قال لى: أنا كنت فى المشاريع، وأول ما جيت كوستى، عرفت إنك معتقل، قلت أشوفك. قلت ليهو: يا أستاذ نحن ما دايرين زيارات، عشان البوليس السرى، ما يقوم يدخلكم فى مشكلة. ابتسم وقال: انت الخوف عندك دا، داير تنقلوا لى أنا؟! قلت ليهو: يا أستاذ قالو من خاف سلم. ضحك وقال: هى سلم نفسها معناها شنو، غير السلامة من الخوف؟⁽¹⁾.

يونس الدسوقي (2006-???)

تعريف بالسيد خضر حمد⁽²⁾

بدأ السيد خضر نشاطه السياسى متخذاً من المناضل عبيد حاج الأمين (1898-1933)، نموذجاً له. قال فى مذكراته (ص 20): "اتخذت من عبيد هذا مثلاً وصممت بينى وبين نفسى ألا أتزوج والبلاد تحت الاستعمار". لم يتزوج السيد خضر حتى وفاته وقد أشار إلى

- (1) عمر القراى، "فى ذكرى الأستاذ محمود: سلام على يونس الدسوقي فى العالمين!!"، من سودانايل، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/1، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudanile.com>
- (2) نشأ السيد خضر حمد عمر (1910-1970) فى مدينة الأبيض، وتلقى تعليمه الابتدائى فيها. ثم انتقل بعد نهاية المرحلة الابتدائية إلى الخرطوم، والتحق بكلية غردون، وتخرج فى قسم الكتبة عام 1929. بعد تخرجه عمل بمصلحة المالية. والتحق عام 1930 بـ **بلجنة المدرسة الأهلية** عضواً، ثم مساعداً للسكرتير، فسكرتيراً حتى عام 1945. ساهم فى قيام مؤتمر الخريجين، وكان من مؤسسى **ملجأ القرش**. فى عام 1946 انتقل إلى القاهرة للعمل فى جامعة الدول العربية، حيث عين بوظيفة محرر بقسم المحفوظات، وتدرج حتى وصل وكيلاً للإدارة المالية فيها. قدم استقالته من وظيفته وعاد للسودان عام 1950. انتخب للبرلمان 1953-1958، وعين عام 1954 وزيراً للدولة بلا أعباء، ثم وزيراً للرى والقوة الكهربائية. أصبح عضواً فى مجلس السيادة (1965-1969) بعد ثورة أكتوبر عام 1964.

ذلك إشارات متكررة في مذكراته. كان السيد خضر من جماعة أبى روف فى الثلاثينيات. وأصبح عضواً فى حزب الأشقاء، وعضواً فى الجبهة الاتحادية (الأشقاء، والاتحاديين والأحرار)، التى نادت بـ: "قيام حكومة سودانية ديمقراطية فى اتحاد مع مصر تحت تاج واحد". ثم أصبح سكرتيراً عاماً للحزب الوطنى الاتحادى عام 1953. كان من المتحمسين لفكرة القومية العربية وللوحدة العربية، وزار معظم البلدان العربية. قال فى مذكراته (ص 115): "إن فكرة القومية العربية وتعزيزها، والوحدة العربية والدعوة لها كانت تملك تفكيرى". نشر عدداً من المقالات والقصص والأشعار، كلها كانت بأسماء مستعارة. قال فى مذكراته (ص 45): "لم أكتب مطلقاً تحت اسمى السافر وكانت جميع كتاباتى وفى كل الجرائد والمجلات التى ساهمت فى تحريرها ألجأ فيها إلى الامضاءات المستعارة...". وفى مجلة "النهضة" كان يكتب بإمضاء (محترار)، وفى جريدة "السودان" بامضاء (طبجى) و(قارئ)، وفى مجلة الفجر بامضاء (مصور). وعن أثر هذه الامضاءات ذكر السيد خضر فى (ص 45) قائلاً: "وقد حرمتنى هذه الامضاءات المستعارة أن أعد فى جملة الأدباء أو الكتاب...".

مذكرات السيد خضر حمد

صدرت مذكرات السيد خضر حمد، فى طبعتها الأولى عام 1980، بعنوان: مذكرات خضر حمد: الحركة الوطنية السودانية: الاستقلال وما بعده، عن مكتبة الشرق والغرب بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة. بلغ عدد صفحاتها ثلاثمائة وست وستين صفحة من القطع المتوسط. تحدث السيد خضر فى مذكراته عن نشأته وعن الأحداث التى ساهم فيها أو علم بها من خلال عناوين. يعطى الحدث عنواناً ثم يتحدث عنه. بدأت المذكرات بتقديم كتبه الأستاذ الهادى أبوبكر اسحق، وهو من خريجي كلية غردون، عمل معلماً، ونائباً لمدير المعارف، ثم مقدمة كتبها السيد خضر، وتلى ذلك حديث عن النشأة تحت عنوان: "أثر البيئة". وانتهت المذكرات بالحديث عن انتقال السيد خضر من القصر الجمهورى إلى سجن كوبر فى فجر يوم 25 مايو 1969، ومرافقته للرئيس إسماعيل الأزهري الذى جئ به إلى كوبر صباح نفس اليوم. وترافقا فى سجن كوبر لأكثر من ثلاثة أشهر، حتى وفاة الرئيس

الأزهري، التي خصص لها السيد خضر آخر صفحتين من مذكراته تحت عنوان: "ذهب ولم يعد". تلتها الملاحق.

معايير مذكراته

كانت معايير السيد خضر في تدوين مذكراته تقوم، كما أشار، على تسجيل الأحداث التي ساهم فيها أو علم بها علم اليقين. كتب في مقدمة مذكراته قائلاً: "إن هذا الذي أكتبه ليس تسجيلاً لحياتي الخاصة، لأن حياتي الخاصة محيطها ضيق وليس فيها من المغامرات والأحداث ما يجعلها شيقة أو تستحق التسجيل، كما أنه ليس اعترافات أريد أن أكشفها للناس ليجدوا فيها شيئاً من العبرة أو العظة"، وإنما "تتبع نشاطي منذ أن عرفت الحياة العامة، ووجدت ودون أن أقصد أنني أسجل حقبة من التاريخ ولكنها حقبة صحيحة سليمة أمينة. لم يداخلها الحدس أو التخمين أو الاستنتاج أو استقراء الحوادث ولكن حرصت أن أسجل كل ما أعلمه علم اليقين وساهمت فيه فعلاً ولم أنقله من غيري أو أقرأه في مرجع أو استقيته من عليم".

الأستاذ محمود في مذكرات خضر حمد

لم يرد اسم الأستاذ محمود قط في مذكرات السيد خضر حمد. على الرغم من أن السيد خضر حمد تناول في مذكراته أحداثاً كان الأستاذ محمود في قلبها. تحدث السيد خضر في مذكراته عن الأحزاب وتاريخ نشأة بعضها، وأشار إلى الأشقاء والاتحاديين، وحزب الأمة، وجماعة الأحرار، والحزب الوطني الإتحادي، والحزب الجمهوري الاشتراكي، وحزب الاستقلال الجمهوري، وحزب الشعب الديمقراطي. ولم ترد حتى مجرد إشارة لنشأة الحزب الجمهوري. أهمل ذكر الجمهوريين، وأهمل ذكر رئيس حزبهم الأستاذ محمود. وتحدث السيد خضر عن الطائفية، تحت عنوان "الطائفية" وعن الموقف منها. وفي هذا كان للأستاذ محمود مواقف مشهودة وموثقة في صدامه مع الطائفية. تحدث السيد خضر عن دعاة الاستقلال، وأشار إلى حزب الأمة والجبهة الاستقلالية، ولم يرد ذكر لاسم الأستاذ محمود. لقد كان الأستاذ محمود، رئيس الحزب الجمهوري، من دعاة

الاستقلال، وكان من مؤسسى الجبهة الاستقلالية. جاء فى موقع حزب الأمة القومى على شبكة الإنترنت: "بادر حزب الأمة بتكوين الجبهة الاستقلالية للعمل على إنهاء الحكم الثنائى التى تشكلت فى 28 أكتوبر 1946 فى دار حزب الأمة من: حزب الأمة، حزب القوميين الأحرار، حزب الأحرار، الحزب الجمهورى، ونفر من المستقلين"⁽¹⁾.

سجن كوبر

فى رحلة نضاله ضد الاستعمار، تحدث السيد خضر عن دخوله لسجن كوبر عام 1948، ووصف شعوره فى السجن، وكيف أن السجن كان رهيباً، وأشار لبعض من كان معه. لقد سبق الأستاذ محمود السيد خضر إلى سجن كوبر مرتين، كما ورد آنفاً. ولا شك أن السيد خضر قد سمع بسجن الأستاذ محمود الأول، وسمع بثورة رفاة التى قادها الأستاذ محمود عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين، قضى جزءاً منها فى مدنى والجزء الآخر فى سجن كوبر. لقد غطت الصحف المحلية فى الخرطوم الخبرين، لاسيما صحيفة الرأى العام التى تابعت الخبرين ونشرت برقيات كثيرة، عبر الناس فيها عن مناصرتهم للأستاذ محمود، ودعمهم لمواقفه البطولية. هذا إذا لم يكن سجن الأستاذ محمود فى المرة الثانية متزامناً مع سجن السيد خضر. الشاهد أنه لم يرد ذكر لثورة رفاة أو سجن الأستاذ محمود فى مذكرات السيد خضر.

سنوات مجلس السيادة

تحت عنوان: "أحداث"، تناول السيد خضر الأحداث العديدة "كما وصفها" التى مرت خلال الفترة التى قضاها عضواً بمجلس السيادة (1965-1969). تحدث عن أحداث مختلفة منها: حل الحزب الشيوعى، وعن الهزيمة الإسرائيلية للعرب، ومؤتمر القمة العربية الذى عقد فى الخرطوم عام 1967... إلخ. وفى كل هذه الأحداث كان الأستاذ محمود حاضراً وبقوة، وزع المنشائر، ونشر الكتب، وأقام المحاضرات حول هزيمة إسرائيل للعرب، وحل

(1) عن حزب الأمة، التاريخ: المراحل السبعة، المرحلة الأولى: تكوين الحزب 1945 وحتى انقلاب 1958، مرجع سابق.

الحزب الشيوعي. كما شارك الأستاذ محمود فى تأسيس "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية"، الذى قام إثر إذاعة قرار الجمعية التأسيسية (البرلمان) بحل الحزب الشيوعى السودانى. كتب الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004) قائلاً: "وُلد فى شهر نوفمبر 1965 "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" والذى ضم (32) تنظيماً من بينهم حزب الشعب الديمقراطى والحزب الشيوعى السودانى ومنظمات الاشتراكيين العرب والحزب الجمهورى الذى يقوده محمود محمد طه..."⁽¹⁾.

محكمة الردة عام 1968

فوق كل ذلك لم يرد فى مذكرات السيد خضر، حتى ولو مجرد إشارة، حديث عن محكمة الردة التى عقدت عام 1968، وحكمت على الأستاذ محمود بالردة عن الإسلام. كانت محكمة الردة من أهم أحداث العهد الذى تحدث عنه. خاصة وأن السيد خضر تحدث فى مذكراته عن اهتمامه بالقضاء وصلته بمجلس السيادة، وعبر عن تعاطفه مع المحكوم عليهم. كما وصف تلك الفترة التى كان فيها عضواً بمجلس السيادة بأنها فترة الحرية المطلقة للجميع، قائلاً فى صفحة (323): "لو امتاز هذا العهد، أى منذ قيام ثورة أكتوبر وبعد الانتخابات الأولى وتسلم الحكومة شؤون البلاد، لو امتاز هذا العهد بشئ، فهو امتياز به منح الحرية المطلقة للجميع". لم تكن محكمة الردة، أمر يسهل نسيانه، بل لم تكن غائبة عن السيد خضر، فقد ذكره بها الأستاذ محمد خير البدوى، فى رسالة خاصة بعث بها إليه. قال الأستاذ البدوى فى مذكراته: "وقد أحزنتنى الفتوى التى صدرت فى عهد الحكم الديمقراطى بتكفير محمود محمد طه، ورأيت فيها شططاً كبيراً واعتداءً على حرية الفكر والعقيدة. وكتبت رسالة فى هذا الشأن إلى الحاج خضر حمد، عضو مجلس السيادة، فرد علىّ برسالة مطولة بتاريخ 1969/4/28، اقتطف منها ما يلى: "أما محمود محمد طه فقد... استفتينا علماء السودان ومصر ومشائخ الطرق وأصحاب السبح والدرأويش والعلماء فى الجامعة الإسلامية وجامعة الخرطوم وجامعة القاهرة وكلهم كفره وخطأه. هل يترك ليعير أم يُسلم لكوبير؟"⁽²⁾.

(1) أبو القاسم حاج حمد، السودان: المازق التاريخى وآفاق المستقبل 1956-1996، مرجع سابق، ص 318-320.

(2) محمد خير البدوى، مصدر سابق، ص 402، 403.

إن الأستاذ محمود لا يمكن أن يُنسى لدى معاصرة. فقد عاش حياة عاصفة، وصنع أحداثاً ساطعة، ووقف مواقف علنية مشهودة وموثقة. ولهذا، فإن عدم ذكر الأستاذ محمود في مذكرات السيد خضر يصعب فهمه بل ربما دلّ على نيةٍ لتغيبه عن الذاكرة الجمعية، وتغيب دوره في الحركة الوطنية السودانية. وهذا ما يحدث بالفعل عند المؤرخين وفي دراسات الطلاب الجامعية وفوق الجامعية. إذ لا تكاد تخلو قائمة المصادر والمراجع لكل الدراسات السودانية التي كتبت عن الحركة الوطنية والتطور السياسي في السودان، خلال ثلاثة العقود الماضية، سواء كانت كتاباً أو أطروحة دكتوراة أو ماجستيراً عن ذكر مذكرات السيد خضر حمد.

تعريف بالشيخ على عبدالرحمن الأمين

كان الشيخ على⁽¹⁾ عروبياً واشتراكياً، قال في مدخل كتابه: "أنا رجل عربى الاتجاه وقد سيطر هذا الاتجاه العربى المتحرر على كل تصرفاتى فى المجال السياسى منذ بزوغ شمس الحركة الوطنية فى نطاق مؤتمر الخريجين"، وأضاف الشيخ على قائلاً: "آمنت بالقومية العربية منذ أن بدأت الثورة العربية فى مصر بقيادة الزعيم العظيم جمال عبدالناصر". وأضاف قائلاً: "كما أننى رجل اشتراكى مؤمن بهذا السلوك الاشتراكى منذ سنى الدراسة. فقد اقتنعت منذ دراساتى الإسلامية وتفهمى لروح الإسلام وفلسفته أن الاشتراكية هى الحياة التى يدعو لها الإسلام ويطالب البشر بسلوكها". من الطرائف السياسية التى يمكن أن تُذكر، أن الأستاذ مبارك زروق (1914-1965)، وهو من قادة الحزب الوطنى الاتحادى، أطلق على الشيخ على عبدالرحمن اسم "الشيخ الأحمر" فى ندوة بجامعة الخرطوم. اتخذ

(1) وُلد الشيخ على فى الخرطوم. وتخرج فى قسم القضاء بكلية غردون. وعمل بالقضاء الشرعى حتى عام 1952. ثم استقال من عمله، ورشح نفسه للانتخابات الأولى عام 1954، وعُين وزيراً للعدل فى أول حكومة سودانية حققت الاستقلال. ظل وزيراً فى كل الحكومات الوطنية التى تعاقبت حتى قيام الحكم العسكرى عام 1958. وعاد للوزارة بعد ثورة أكتوبر عام 1964. كان وزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الوزراء عند قيام ثورة مايو عام 1969. يُعد الشيخ على من الأعضاء البارزين فى مؤتمر الخريجين، ومن مؤسسى حزب الأشقاء، ومن دعائم الحزب الوطنى الاتحادى. كان رئيساً لحزب الشعب الديمقراطى، الذى نشأ فى يونيو عام 1956، وظل رئيساً له حتى اندماجه مع الحزب الوطنى الاتحادى عام 1967، لتكوين الحزب الوطنى الديمقراطى، برئاسة إسماعيل الأزهري. وأصبح الشيخ على نائباً للرئيس.

الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004)، من اسم "الشيخ الأحمر على عبدالرحمن"، عنواناً للحديث عن الشيخ على، وأفرد له حيزاً في كتابه: السودان: المآزق التاريخي وآفاق المستقبل 1956-1996⁽¹⁾.

مذكرات الشيخ على

صدرت مذكرات الشيخ على في طبعتها الأولى عام 1970، بعنوان: الديمقراطية والاشتراكية في السودان، عن المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. بلغ عدد صفحاتها مائة وسبعاً وسبعين صفحة من القطع المتوسط. كانت مذكرات الشيخ على من ضمن النماذج التي درسها محمد سعيد القدال (1935-2008)، في بحثه: "ملاحظات حول بعض كتب السيرة الذاتية السودانية وقيمتها كمصدر لدراسة التاريخ"، والتي خلص فيها، كما وردت الإشارة، إلى: "إن قيمة غالبية هذه الكتب كمصدر للتاريخ ضعيف، وبعضها لا قيمة له"⁽²⁾. تهيكلت مذكرات الشيخ على بعد الإهداء والمدخل في قسمين: القسم الأول: تناول فيه الحركة الوطنية عبر التاريخ: قدم لمحة تاريخية عن السودان وتركيبته، وجذور القومية العربية، والثورة المهدية، والحكم الثنائي، ومسألة الجنوب، ومسألة اتفاق الأحزاب الشمالية لحل قضية الجنوب، والحكم الإقليمي، وجمعية اللواء الأبيض، ومشروع الجزيرة، والإدارة الأهلية، والمجلس الاستشاري. ثم تحدث عن تأسيس مؤتمر الخريجين، ونشأة الأحزاب السياسية. أما القسم الثاني: فتناول فيه عهد الاستقلال قبل ثورة أكتوبر، والدكتاتورية العسكرية، وتناول تركيبة الشعب السوداني وأوضاعه، والصلة بين الديمقراطية والاشتراكية، والديمقراطية الشعبية ونظام الحزب الواحد. ثم قدم ملاحظات حول ثورة مايو وتقييم لها كثورة اشتراكية. وختم حديثه متناولاً الموقف من الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية. بعد أن فرغ من مسودة كتابه وقبل تقديمه للمطبعة، كما ذكر، أعلن الراديو وفاة الرئيس جمال عبدالناصر،

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المآزق التاريخي وآفاق المستقبل 1956-1996، مرجع سابق، ص 344-326.

(2) محمد سعيد القدال، "ملاحظات حول بعض كتب السيرة الذاتية السودانية وقيمتها كمصدر لدراسة التاريخ"، الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 133-152.

فألحق بمسودة كتابه كلمة كتبها عن جمال عبدالناصر تحت عنوان: "بطل الاشتراكية وباعث القومية العربية جمال عبدالناصر". وتجد هذا العنوان في قائمة المحتويات ولا تجده في صدر نص الكلمة عن جمال عبدالناصر.

الأستاذ محمود فى مذكرات الشيخ على

قال الشيخ على فى بداية القسم الأول: الحركة الوطنية عبر التاريخ، "صفحة 19" "لاحظت أن الفترة التى بدأت سنة 1938م بقيام مؤتمر الخريجين إلى يومنا هذا (يوم فراغه من الكتابة فى عام 1970)، لم تحظ بشئ من الشرح والتوضيح وأهملها المؤرخون والمثقفون مع أن الكثيرين منهم عاشوا فى أحداثها وكانوا عنصراً هاماً فى تكوين تلك الأحداث. حتى وصل الأمر إلى أنك تناقش الكثيرين من المثقفين فتشعر أنهم يجهلون الكثير مما جرى أثناء هذه الفترة وحتى الذين مكنتهم ظروفهم بمتابعته أو سمعوا عنه بعض التفاصيل لا يدركون ما يشوبه من اختلاف وتحريف وتضليل". من الواضح أن الشيخ على كان حريصاً أن لا يشوب تلك الفترة التحريف أو التضليل. وأراد أن يملأ الأجيال حقائق الأحداث. على الرغم من هذا الحرص، وهو حرص محمود ومطلوب عند تسجيل الأحداث، وتدوين معالم التاريخ، إلا أن الشيخ على وقع فيما حذر منه.

نشأة الأحزاب واغفال الحزب الجمهورى

تحدث الشيخ على عن نشأة الأحزاب السياسية، وذكر الأشقاء والاتحاديين، وحزب الأمة. وتحدث عن اندماج الأحزاب الاتحادية فى الحزب الوطنى الاتحادى. وأشار إلى جبهة الجنوب، وحزب سانو، وحزب الأحرار، والحزب الشيوعى، والحزب الجمهورى الاشتراكى، وجماعة الإخوان المسلمين، وجبهة الميثاق فيما بعد، وبالطبع حزب الشعب الديمقراطى الذى كان رئيسه. ولم ترد حتى مجرد إشارة للحزب الجمهورى، أو إلى رئيسه الأستاذ محمود. الإشارة الوحيدة التى وردت عن الحزب الجمهورى كانت بالخطأ. فقد قال فى صفحتى (84، 85): "وقد تنبه البريطانيون بعد فوات الأوان للخطأ الذى

ارتكبه فى إنشاء حزب الأمة فى أحضان عائلة المهدي وعلى أكتاف أنصار المهديّة كما أنهم بلا شك كانوا أيضاً على وجل أن يتجه السيد عبدالرحمن المهدي فى أية لحظة نحو الطريق الوطنى الصحيح بدافع من وطنيته وطموحه فلا يجدون سنداً يتكئون عليه فأنشؤوا الحزب الجمهورى وأخطؤوا مرة أخرى فأقاموا ذلك الحزب على أكتاف زعماء العشائر ورؤساء القبائل فمات ذلك الحزب وهو لا يزال يجبو ولما يقف على رجليه". من الواضح أن الشيخ على كان يقصد الحزب الجمهورى الاشتراكى وليس الحزب الجمهورى الذى ترأسه الأستاذ محمود منذ إنشائه فى يوم الجمعة 26 أكتوبر 1945. تحدث الشيخ على عن الذين سجنوا فى نضالهم ضد الاستعمار، وأشار إلى عدد منهم. ولم يرد ذكر للأستاذ محمود أو ذكر لسجنه فى المرتين، اللتين سجن فيهما الأستاذ محمود خلال الفترة من عام 1946 حتى عام 1948.

مؤتمر الدفاع عن الديمقراطية

أيضاً، من الأحداث التى تقاطع فيها الأستاذ محمود مع الشيخ على، تأسيس "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية"، الذى جاء إثر النداء الذى وجهه اتحاد طلاب جامعة الخرطوم لعقد لقاء للمنظمات الديمقراطية، فور إذاعة قرار الجمعية التأسيسية (البرلمان) بحل الحزب الشيوعى السودانى. كتب الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد، وهو من قادة حزب الشعب الديمقراطى فى سنى شبابه الباكر، وكان فى شبابه ملازماً للشيخ على، وقد أشار لذلك فى كتاباته. ولمحمد أبو القاسم موقف سلبى من الأستاذ محمود ربما تبلور فى تلك المرحلة الباكرة من حياته، وسيأتى الحديث عن ذلك لاحقاً ضمن محور: الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون: محمد أبو القاسم حاج حمد (نموذجاً). كتب محمد أبو القاسم فى كتابه أنف الذكر قائلاً: "لم يكن الحزب الشيوعى وحده فى المعركة ضد حكومة "محمد أحمد المحجوب" القائمة على تحالف حزبي "الأمة" و"الوطنى الاتحادي" والمدةومة بالأخوان المسلمين... كما لم يكن عبدالحالوق محجوب وحده بقوة الحزب الشيوعى... استجاب حزب الشعب الديمقراطى على نحو فورى للنداء الذى وجهه اتحاد طلاب جامعة الخرطوم من أجل عقد مؤتمر بدار الاتحاد العام

لطلاب جامعة الخرطوم لكافة المنظمات الديمقراطية انعقد تحت شعار "الدفاع عن الديمقراطية". وهكذا وُلد فى شهر نوفمبر 1965 "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" والذى ضم (32) تنظيماً من بينهم حزب الشعب الديمقراطى والحزب الشيوعى السودانى ومنظمات الاشتراكيين العرب والحزب الجمهورى الذى يقوده محمود محمد طه....⁽¹⁾.

كان الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود حاضراً فى ذلك التجمع، مع حزب الشعب الديمقراطى برئاسة الشيخ على، والتنظيمات الأخرى. إن عدم ذكر الشيخ على للحزب الجمهورى ولرئيسه الأستاذ محمود، وهو يتحدث عن نشأة الأحزاب السودانية، أمر يناقض ما ذهب إليه فى مقدمته، من حرص على عدم التحريف والتضليل. إذ كتب كما أشرت آنفاً وهو يتحدث عن ما شاب الكثير مما جرى فى تاريخ الحركة الوطنية منذ قيام مؤتمر الخريجين سنة 1938، من تضليل وتحريف قائلاً: "وحتى الذين مكنتهم ظروفهم بمتابعته أو سمعوا عنه بعض التفاصيل لا يدركون ما يشوبه من اختلاف وتحريف وتضليل". هذا بشأن الذين تابعوا التفاصيل أو سمعوا، فما بالك بالأجيال التى أتت بعد عشرات السنين، والتى ستأتى بعدها. إنها ستجد أن تغييراً كبيراً قد تم للأستاذ محمود عن الذاكرة الجمعية، ومساعٍ كثيرة قد بذلت من أجل التضليل فى سيرته وحياته وقصة نضاله من أجل السودان والبشرية جمعاء. ولكن العزاء أن الأجيال الجديدة ستكون قادرة على التنقيب والفحص والتمحيص ومقارنة القرائن، أكثر من أى وقت مضى، وذلك بما فطرت عليه من تحرر فى العقول والقلوب، وبما تملكه من مقدرات، وبما لديها من إمكانيات وأدوات. ستعيد الأجيال الجديدة كتابة تاريخ السودان بوعى أكبر وبمناهج علمية أكثر صرامة. ولسوف يتكشف حينها أن ذلك التاريخ لم يكتب بالحياد الكافى، إن لم نقل بالأمانة الكافية.

من المهم الإشارة إلى أن الشيخ على -حال معظم طلائع المتعلمين- لم يك على وفاق مع الأستاذ محمود فى الرؤية السياسية. فعلى سبيل المثال، عندما سافر الشيخ

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المازق التاريخى وآفاق المستقبل 1956-1996، مرجع سابق، ص 318-320.

على السيد إسماعيل الأزهرى إلى مصر بعد جفوة بين الأزهرى والمصريين بسبب إنحياز الأول للاستقلال، وخلافات الختمية مع أزهرى، ائتلف الختمية مع الأمة فتكونت حكومة السيدين.. فاتجهت مصر لتجميع أزهرى والختمية لإحياء فكرة الاتحاد مع مصر، ونسب لشيخ على أنه قال لصحف القاهرة إن حربه الآن يقف فى المعارضة. الأمر الذى يدل على استجابته لرغبة المصريين. هذا فى الوقت الذى كان فيه شيخ على لا يزال وزيراً فى حكومة السيدين. حينها صرح الأستاذ محمود لصحيفة أنباء السودان قال فى جزء منه: "... ونسب لإسماعيل الأزهرى تصريح أمام جمال عبد الناصر يعترف فيه بهذه الاتفاقية، ويزعم أن هذه الاتفاقية لم تعقنا فى شئ.. وهذا فى نظرى، بمثابة الخيانة العظمى.. فإن لم يكن هناك قانون يحاكم على الخيانة العظمى، فإن رأى العام المستنير يجب ألا ينسى مثل هذا العمل الشاذ لأزهرى.. إن أزهرى بتصريحه السالف يريد أن يقول لجمال عبد الناصر: عاونى على إسقاط الحكومة الحاضرة وإقامة حكومة أكون على رأسها وأنا كفيل بإعطائك ما تصبو إليه فى المسائل المعلقة بيننا !! أما تصريحات على عبد الرحمن إن صحت، فإن أيسر ما يستحقه أن يفصل من الوزارة.."⁽¹⁾. وقبل ذلك كان الأستاذ محمود قد كتب وهو يحلل فى الوضع الداخلى مستصحباً التدخل المصرى والدور السلبي للشيخ على عبد الرحمن الأمين، وقد اقترح الأستاذ محمود تكوين حكومة قومية بدون الشيخ على عبد الرحمن الأمين قائلاً: "إن المخرج ليس بالحكومة القومية وإنما بحكومة إئتلافية منسجمة بين حزب الأمة وحزب الشعب بإستثناء السيد على عبد الرحمن أو بين حزب الأمة والوطنى الاتحادى وتقوم فى الطرف الآخر المعارضة الموضوعية غير المغرضة وغير الجاهلة"⁽²⁾.

(1) محمود محمد طه، تصريح صحفى، صحيفة أنباء السودان، العدد 154، 15/11/1981.

(2) محمود محمد طه، فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الداخلية والخارجية، المعارضه لاتجاه القطيع - أكثر محررى الصحف جهلاً، ماذا حمل وزير خارجية السودان؟، صحيفة أنباء السودان، العدد 154، 1958/8/16.

مذكرات السيد أمين التوم (1914-2004)⁽¹⁾

مذكرات السيد أمين ومعاييرها

صدرت مذكرات السيد أمين بعنوان: **ذكريات ومواقف في طريق الحركة الوطنية السودانية 1914-1969**، عن دار جامعة الخرطوم للنشر في طبعتها الأولى، وعن الدار السودانية للكتب بالخرطوم في الطبعة الثانية عام 2004. تقع المذكرات في طبعتها الثانية، وهي الطبعة التي اعتمدت عليها، في مائتين وست وتسعين صفحة من القطع المتوسط. بدأت بالإهداء والشكر، ثم تقديم، كتبه محمد سعيد القدال. تلى التقديم، مقدمة للسيد أمين، ثم عرض للحقائق والأحداث من خلال واحد وثلاثين عنواناً. وختم السيد أمين مذكراته بكلمة وسماها بـ "وفاء وثناء". كانت وفاء للذين ضحوا من أجل الاستقلال.

ذكر السيد أمين أن الذي دفعه لتسجيل مذكراته هو خشيته من ضياع الحقيقة. إلى جانب إلحاح أبنائه وبعض أصدقائه الذين خشوا أيضاً، من ضياع الحقيقة. قال في المقدمة: "وكنت في كل تحركي ذاك مدفوعاً بإلحاح متصل من أبنائي ونفر من الأصدقاء الذين خشوا - كما خشيت - أن تضيع الحقيقة بين ما يصدر بعض الكتاب من كتب، وما ينشره الإعلام السوداني بمناسبة وغير مناسبة عن الحركة الوطنية في السودان قبل الاستقلال وبعده مجافين الصدق ومبتعدين عن الحقيقة عن عمد أو جهل...". لذلك رأى السيد أمين تسجيل مذكراته أو ذكرياته قائلاً: "وقد جعلت الصدق شعاراً لي ولم أجد أمامي ما يبرر لي أو يدعوني إلى غير ذلك.. هدفى عرض الحقائق كما سايرتها وتأثرت بها وأثرت فيها...". ثم بين أنه اعتمد في تسجيل مذكراته وكتابتها على "الذاكرة أولاً ثم على أوراق وسجلات وتقارير مبعثرة في مكتبتى هنا وهناك استغرق منى جمعها وتصنيفها حيناً من الزمن".

(1) وُلد السيد أمين في مدينة أمدرمان عام 1914. تخرج في قسم المحاسبة بكلية فهدون عام 1934. وعمل م... حكومياً في مصلحة الجمارك حتى عام 1946. استقال من عمله، لينخرط في صفوف شباب حزب الأمة. يعد السيد أمين من ألع شخصيات الرعيل الأول في حزب الأمة. فقد انخرط في العمل السياسي منذ مؤتمر الخريجين. كان عضواً برلمانياً وتقلد الوزارة، أربع مرات، وعمل مراقباً عاماً للجمعية التأسيسية عام 1966. تم منحه الرئاسة الفخرية لحزب الأمة في العام 2001.

الأستاذ محمود فى مذكرات السيد أمين

خلت مذكرات السيد أمين عن أى إشارة للأستاذ محمود ونضاله أو للحزب الجمهورى، وهو أحد الأحزاب الاستقلالية التى نشأت باكراً، وترأسه الأستاذ محمود منذ إعلان قيامه عام 1945. وعلى الرغم من أن الأستاذ محمود قد تقاطع مع أحداث كثيرة وقف عندها السيد أمين فى مذكراته، إلا أنه لم ترد أى إشارة إليه أو إلى حزبه. فقد تحدث السيد أمين تحت عنوان "القافلة تسير 1940-1948"، عن نشأة الأحزاب السياسية. وتناول تحت عنوان: "مواقف سياسية" بروتوكول صدقى باشا مع مستر بيفن فى عام 1946، الذى قامت على إثره الجبهة الاستقلالية. وتحدث عن تأسيس الجبهة الاستقلالية ودورها. ثم كتب كلمة "وفاء وثناء" فى ختام مذكراته، وفاءً للذين بذلوا الجهد وقدموا التضحيات فى سبيل استقلال السودان وحرية شعبه. وعدد أكثر من مائة وخمسين شخصاً، لم يكن من بينهم اسم الأستاذ محمود.

نشأة الأحزاب وإغفال الحزب الجمهورى

تحدث السيد أمين عن نشأة الأحزاب السياسية، الاستقلالية منها والاتحادية. وذكر "الأشقاء" و"الاتحاديين" و"الأحرار" و"القوميين"، وحزب الأمة. وأشار فى مواقع متفرقة من مذكراته إلى حزب وحدة وادى النيل والحزب الوطنى الاتحادى، والجبهة المعادية للاستعمار، وحزب الوطن، والحزب الجمهورى الاشتراكى، وحزب الاستقلال الجمهورى، وحزب الشعب الديمقراطى و"الإخوان المسلمين". ولم ترد حتى مجرد إشارة للحزب الجمهورى، أو إلى رئيسه الأستاذ محمود. إن عدم ذكر السيد أمين للحزب الجمهورى ولرئيسه الأستاذ محمود، وهو يتحدث عن نشأة الأحزاب السودانية، أمر يناقض ما ذهب إليه فى مقدمته، من خشيته على ضياع الحقيقة، والابتعاد عنها بشأن الحركة الوطنية فى السودان قبل الاستقلال وبعده عن عمد أو جهل كما ذكر. فالحزب الجمهورى كان من أوائل الأحزاب الاستقلالية فى السودان. وقاد أعضاؤه نضالاً عظيماً ضد الاستعمار. سجن بعضهم بسبب النضال ضد المستعمر. وسجن رئيس الحزب الأستاذ محمود مرتين، الأولى فى يونيو عام

1946، والمرة الثانية حينما قاد ثورة رفاعاة عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين. كتب يحيى محمد عبدالقادر (1914-2011)، الذى كان عضواً فى الحزب الجمهورى، وتركه فيما بعد، كتب وهو يتحدث عن الأطوار التى مر بها الحزب الجمهورى، قائلاً: "والطور الثانى كان طور العنف والشدة والاضطراب. فقد خرج أفراد الحزب إلى المجتمعات والجوامع والمقاهى يخطبون ضد الاستعمار والحكم الثنائى... ويوزعون المنشورات السرية المتضمنة هذه المعانى.. وأسفر هذا الطور عن سجن رئيس الحزب وبعض أعضائه مدداً مختلفة فى كوبر⁽¹⁾. كما كتب التجانى عامر (1908-1987)، فى صحيفة الصحافة 1975/4/16، وهو يتحدث عن الحزب الجمهورى قائلاً:

قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السودانية بحساب الزمن... مؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه، الذى كان من أبرز الوجوه الوطنية، فى مستهل حركة النضال... وقد تعرض محمود للسجن الطويل، فى خصومات ايجابية مع الإنجليز، منها حادث " الطهارة الفرعونية" فى رفاعاة، وهو حدث اجتماعى، رفعه محمود إلى مستوى المساس بالدين والوطن⁽²⁾.

الشاهد، أنه لم يرد ذكر فى مذكرات السيد أمين للحزب الجمهورى أو لرئيسه الأستاذ محمود، الذى كان عضواً مؤسساً فى الجبهة الاستقلالية التى نشأت عام 1946.

الجبهة الاستقلالية

تحدث السيد أمين عن الجبهة الاستقلالية، التى نشأت فور الإعلان عن بروتوكول صدقى/ بيفن عام 1946. وقال فى صفحة (66): "وما كاد نص هذا الاتفاق (بروتوكول صدقى/ بيفن) يُنشر حتى اتسع الاحتجاج عليه فنشأت الجبهة الاستقلالية، ودخلها نفر كريم من المواطنين" ثم ذكر بعض الشخصيات التى دخلت الجبهة، ولم يكن من بينها اسم الأستاذ محمود. وأضاف قائلاً: "ثم انضمت إلى الجبهة فيما بعد أحزاب وهيئات أخرى".

(1) يحيى محمد عبدالقادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، مرجع سابق، ص 144-146.

(2) التجانى عامر، مصدر سابق.

الشاهد أن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى كان من مؤسسى الجبهة الاستقلالية. أفرد فيصل عبدالرحمن على طه فى كتابه: الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1953)، حيزاً كبيراً للحديث عن الحزب الجمهورى. تناول بيانه التأسيسى، ودرّس علاقة الحزب بمؤتمر الخريجين، وموقفه من مصر والأحزاب الاتحادية، وتعاونه مع حزب الأمة والأحزاب الاستقلالية الأخرى، واشترائه فى الجبهة الاستقلالية. كتب فيصل قائلاً:

لقد تعاون الحزب الجمهورى مع حزب الأمة وأحزاب استقلالية أخرى فى إطار الجبهة الاستقلالية عندما أوقف حزب الأمة التعاون مع حكومة السودان وأعلن الجهاد. وقد عبّر الحزب الجمهورى عن ذلك بقوله: "كانت هناك حواجز بيننا وبين حزب الأمة، ولكن عندما أعلن الجهاد ورفض التعاون مع الإنجليز سقطت تلك الحواجز، واشترطنا فى الجبهة الاستقلالية⁽¹⁾.

أيضاً، جاء فى موقع حزب الأمة القومى، كما أشرت آنفاً، على شبكة الإنترنت: "بادر حزب الأمة بتكوين الجبهة الاستقلالية للعمل على إنهاء الحكم الثنائى التى تشكلت فى 28 أكتوبر 1946 فى دار حزب الأمة من: حزب الأمة، حزب القوميين الأحرار، حزب الأحرار، الحزب الجمهورى، ونفر من المستقلين"⁽²⁾. وكتب يحيى محمد عبدالقادر، فى كتابه آف الذكر، وهو يتحدث عن أبرز أعمال الحزب الجمهورى فى الطور الثانى، قائلاً: "وكان من أبرز أعمال الحزب خلال هذه الفترة تعاونه مع الجبهة الاستقلالية لمحاربة مشروع اتفاقية صدقى - بيفن التى أقرّت وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل.. ثم انسحابه من الجبهة بعد انقشاع هذه المخاوف". الشاهد، أن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى كان جزءاً من الجبهة الاستقلالية، ومشاركاً فى نشاطاتها، وداعماً لمواقفها. كتب فيصل فى كتابه آف الذكر وهو يتحدث عن مفاوضات الوفد الاستقلالى مع الحكومة

(1) فيصل عبدالرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1953)، مرجع سابق، ص 231.

(2) عن حزب الأمة، التاريخ: المراحل السبعة، "المرحلة الأولى: تكوين الحزب 1945 وحتى انقلاب 1958"، مرجع سابق.

المصرية التي مثلها أحمد نجيب الهمالي رئيس الوزراء، وعبدالحق حسونة وزير الخارجية، جرت في نهاية مايو ويونيو 1952، قائلاً: "وحرى بالذكر أنه بالرغم من أن الحزب الجمهورى الذى كان يدعو أيضاً لاستقلال السودان التام لم يكن ممثلاً فى الوفد الاستقلالى، إلا أن رئيس الحزب محمود محمد طه قال إن الوفد "أبرز شخصية السودان فى الدوائر المصرية الرسمية والشعبية. ونال إعجاباً أقوى مما ظفرت به حتى الآن أى هيئة، وأنه لفت نظر المصريين إلى ما لم يشاءوا أن يلتفتوا إليه من قبل وهو أن للسودان شخصية يجب أن تحترم"⁽¹⁾.

الوفاء والثناء

ختم السيد أمين مذكراته بكلمة وسمها بـ "وفاء وثناء". وقال فى صدر الكلمة صفحة (286): "وفاءً لرجال بذلوا الجهد كله وقدموا كل ما كان فى طاقتهم وما فوق طاقتهم من توضيحات فى سبيل استقلال السودان وحرية شعبه"، ثم عدّد أكثر من مائة وخمسين شخصاً، بدءاً - كما أشاد - برجالات حزب الأمة، وبعض ممن وقف بجانب راعى الحركة الاستقلالية الإمام عبدالرحمن المهدي، وذكر بعض الزعماء من جنوب السودان، وبعض الكتاب والصحفيين، وبعض رؤساء الأحزاب السياسية. ولم يكن من بين هؤلاء الأستاذ محمود. من الحقائق التاريخية والثابتة حقاً، فى المصادر والوثائق والدوريات، برغم تهميش طلائع المتعلمين وإغفالهم لذكره فى مذكراتهم، وتسرب ذلك إلى صحائف المؤرخين وكتبهم، إن الأستاذ محمود قد ضحى تضحية كبيرة فى سبيل استقلال السودان، وربما فاقت تضحياته، تضحية الكثير من طلائع المتعلمين، إن لم يكن أكثرهم تضحية. أما عن دور الأستاذ محمود فى النضال ضد المستعمر من خلال الكتابة، ربما فاق دور الكثير من الكتاب الذين عدّدهم السيد أمين فى كلمته "وفاء وثناء"، بل ربما فاق أيضاً، دور الكثير من طلائع المتعلمين. فقد كتب الأستاذ محمود أثناء رحلة نضاله ضد المستعمر، الكثير من المقالات، ونشر ووزّع العديد من البيانات والمناشير. ونشر جُلّها فى صحف

(1) فيصل عبدالرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1953)، مرجع سابق، ص 543.

مختلفة منها: صحيفة النيل، والرأى العام، والسودان الجديد، والشعب، والأهرام. إلى جانب ذلك، فإن الأستاذ محمود كتب عدداً من الكتب. ففي عام 1945 كتب كتاب: (السفر الأول)، وناقش فيه موضوع الأحزاب الطائفية، ومسألة الجنوب، وقضية المرأة والتعليم والاقتصاد. وتناول فيه مؤتمر الخريجين، وآراء الحزب الجمهورى ومواقفه. قال فى السفر الأول: "ويؤمن الحزب الجمهورى إيماناً لا حد له بالسودان ويعتقد أنه سيصبح من الروافد التى تضيف إلى ذخر الإنسانية ألواناً شهية من غذاء الروح، وغذاء الفكر، إذا آمن به أبناءه فلم يضيعوا خصائصه الأصيلة، ومقوماته بالإهطاع نحو الغرب، ونحو المدنية الغربية، فى غير روية ولا تفكير". وفى عام 1952 كتب كتاب: "قل هذه سبيلى: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة". كما أصدر صحيفة "الجمهورية" فى يناير 1954، واستمرت فى الصدور لمدة ستة أشهر. وفى عام 1955 كتب الأستاذ محمود كتاباً لا يزال يكتسب أهميته ويضج بحيوية طرحه، وهو كتاب: "أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية". لقد سبق وأن أشرت إلى أن منصور خالد أشاد بالرؤية الثاقبة التى تضمنها هذا الكتاب، وذكّر الناس برأى الأستاذ محمود الذى أتضح صوابه بعد نصف قرن من الزمان⁽¹⁾.

الشاهد أنه على الرغم من النضال الوطنى للأستاذ محمود الواضح الساطع، والموثق شعراً وفى الدوريات والوثائق، تجاهله معظم معاصريه من طلائع المتعلمين عندما كتبوا مذكراتهم، وأغفلوا ذكره، وحجبوا نضاله، وهمشوا دوره وجهاده ضد المستعمر. لقد تجلّى ذلك الإغفال المتعمد والتجاهل والتهميش لدور الأستاذ محمود وحزبه بوضوح فى نماذج المذكرات التى درستها فى الفصول السابقة، وكذلك فى مذكرات السيد أمين التوم.

(1) منصور خالد، جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى، مرجع سابق، ص 330.

مذكرات الأستاذ يحيى محمد عبدالقادر⁽¹⁾

صدرت مذكرات الأستاذ يحيى بعنوان: **على هامش الأحداث في السودان، من الدار السودانية للكتب، الخرطوم (بدون تاريخ نشر)**. تقع المذكرات في ثلاثمائة وإحدى وخمسين صفحة من القطع المتوسط. تهيكلت بعد المقدمة في ستة محاور هي: شخصيات، وصحافة، وفي تركيا، وفي بيروت، وفي السعودية، واجتماعيات. تحدث الأستاذ يحيى عن تلك المحاور من خلال خمسة وتسعين عنواناً، تناول تحتها بعض الشخصيات وتحدث عن سماتها وأدوارها، وعرض الأحداث ومناخها. ذكر الأستاذ يحيى أنه سبق وأن نشر هذه المذكرات في سلسلة مقالات قبل جمعها في كتاب، وأشار إلى ذلك في مقدمته قائلاً: "الفصول التي جمعتها وأودعتها بين دفتي هذا الكتاب، كانت قد نُشرت مسلسلة على شكل ذكريات في صحيفتي "أنباء السودان". ورغم الطابع الشخصي الذي تتسم به، إلا أنها تشتمل على معالم من تاريخ السودان، منها ما يتصل بالشخصيات التي تولت مقاليد الأمور في البلاد، وتلونها، ومنها ما يتصل بمجرى الأحداث نفسها وتقييمها، ومنها ما يتصل بالمناخ الذي وقعت فيه الأحداث، وتفاعلاته". وعن الهدف من نشر مذكراته كتب الأستاذ يحيى قائلاً: "ولعلني بنشر هذا الكتاب قد أساهم في إيضاح بعض الحقائق، وإنارة بعض المنعطفات، بل قد أساهم في تقديم "خامات" تصلح "على وجه ما" -بعد صقلها- لكي يستعين بها مؤرخ الغد).

(1) وُلد الأستاذ يحيى في مدينة شندى عام 1914. وجاء إلى الخرطوم في عام 1935، فاشترك في تأسيس أول صحيفة يومية في السودان، هي **جريدة النيل**، لسان حال آل المهدي. يُعد الأستاذ يحيى من الرعيل الأول من الصحفيين، كتب في بداية الثلاثينيات في مجلة **روز اليوسف**، وعمل محرراً في **جريدة النيل**، ومراسلاً لصحيفة **الأهرام المصرية** ومديراً لمكاتبها في الخرطوم (1936-1952). أصدر عدداً من الصحف منها: صحيفة **المستقبل الأسبوعية** وصحيفة **السوداني اليومية** خلال الفترة من عام 1949 إلى عام 1952، وصحيفة **أنباء السودان اليومية** (1953-1969). كما نشر ثلاثة كتب هي: **الديمقراطية والديكتاتورية**، وكتاب: **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، (ثلاثة أجزاء)، إلى جانب **مذكراته**. كان الأستاذ يحيى من مؤسسي **الحزب الجمهوري**، الذي ترأسه الأستاذ محمود محمده، ثم تركه وشارك في تأسيس **الحزب الوطني** برعاية الخليفة الشريف عبدالرحمن الهندي (1964-???). تولى سكرتارية **الحزب الوطني** حتى اندماجه في **الحزب الوطني الاتحادي** الذي نشأ برئاسة السيد إسماعيل الأزهرى، بعد التوقيع على وثيقة الأحزاب المؤتلفة عام 1953 في القاهرة. وكان الأستاذ يحيى من ضمن الموقعين على الوثيقة.

الأستاذ محمود فى مذكرات الأستاذ يحيى

أفرد الأستاذ يحيى نحو أربعين عنواناً من عناوين مذكراته الخمسة والتسعين للحديث عن شخصيات ساهمت فى معالم تاريخ السودان، وأثرت فى الحياة السودانية ولونتها كما ذكر. تحدث عن كل شخصية من تلك الشخصيات من خلال معرفته بها، ومعاشيته لها، وتناول سماتها وأدوارها، وسجل بعض الأحداث التى صنعتها أو شاركت فيها. ولم يكن من بين تلك الشخصيات الأستاذ محمود. لقد استهل الأستاذ يحيى حديثه بالسيد على الميرغنى (1880/79/73 - 1968)، ثم السيد عبدالرحمن المهدي (1885-1959)، فالشريف يوسف الهندى (1865-1942). ثم تناول طلائع المتعلمين فبدأ بالسيد إسماعيل الأزهرى، ثم السيد محمد نورالدين (1894-1964)، والسيد ميرغنى حمزة (1895-1973)، والسيد عبدالله خليل (1892-1971)، والسيد محمد أحمد المحجوب، والأستاذ مبارك زروق (1914-1965)، والسيد يحيى الفضلى (1911-1974)، والسيد محمود الفضلى (1910-1992)، والشاعر التجانى يوسف بشير (1912-1937)، والأستاذ أحمد عثمان القاضى (1883-1961)، والسيد مكى عباس (1909-1961)، والأستاذ أحمد يوسف هاشم (1903-1958)، وهكذا حتى قارب العدد الأربعين شخصاً. انطلق الأستاذ يحيى فى حديثه عن تلك الشخصيات من معرفته الشخصية بها، وكان فى أغلب الحالات يستهل حديثه مبنياً كيف وأين ومتى تعرف على الشخص، قائلاً على سبيل المثال: "عرفت السيد على فى عام 1936م عندما..."، أو "قابلت الإمام عبدالرحمن لأول مرة ضمن..."، أو "عرفت المرحوم السيد محمد نورالدين الزعيم السياسى الكبير عام 1939..."، أو "عرفت حسن نجيلة فى عام 1938 عندما..."، أو "عرفت الأستاذ مكى عباس للمرة الأولى فى عام 1945 عندما..."، وهكذا.

الأستاذ محمود فى المذكرات: مجرد إشارات عابرة

لقد وردت فى مذكرات الأستاذ يحيى إشارات عن الأستاذ محمود، إلا أنها إشارات كانت ضمن حديث عن آخرين وفى سياق حوارات معهم، أو فى سياق تبرير أو توضيح لبعض المواقف التى تخص الأستاذ يحيى. ومن نماذج تلك الإشارات عن الأستاذ محمود

والحزب الجمهوري، ما ورد ضمن حديث كان عنوانه: "صورة من الحوار بين زميلين" في الصفحات (259-262). كان الحديث بمثابة رد من الأستاذ يحيى على هجوم شنه أحد زملائه الصحفيين عليه، حينما قام برحلة إلى تركيا في شهر يوليو 1958، وبعد عودته هاجمه زميله بمقال تحدث فيه عنه وعن رحلته إلى تركيا، ووجه نقداً لصحيفته "أنباء السودان"، وأشار في معرض نقده إلى مقال كتبه الأستاذ محمود في صحيفة "أنباء السودان" وإلى قضايا أخرى تخص الأستاذ يحيى. رد الأستاذ يحيى على تلك القضايا التي أثارها زميله، برد قاس، وعنيف، ولكن ما يهمني، في هذا المقام، ما يتعلق بإشارته للأستاذ محمود ضمن ذلك الرد. قال الأستاذ يحيى ضمن رده أن زميله -لم يسمه- رجل كاذب أشرف فهو يقول: "أن الأستاذ محمود محمد طه قال في حديثه الأسبوعي أن محرري الصحف السودانية جهلاء وفقراء النفوس والجيوب". بينما قال الأستاذ محمود "...إلا أن بعض" محرري الصحف السودانية، فقراء الجيوب والنفوس". ويمضى الأستاذ يحيى قائلاً: "وفرق كبير بين المعنيين و..... (يقصد زميله) هنا لم يكذب فحسب ولكنه دلس أيضاً بغرض الإثارة وبعث الفتنة والاستعداد... وتلقف..... للطاقيّة التي أرسلها الأستاذ محمود محمد طه وشعوره بأنها على مقاسه، وثوراته وتشنجه.. هو وحده (يقصد زميله) دلالة تضاف إلى عشرات الدلالات على الوعل الذي تردى فيه. ولأمر ما قال المثل السوداني "ال في قلبه حرقص براه بيرقص". ومن نماذج الإشارات أيضاً، ما جاء ضمن حوار تم بين الأستاذ يحيى والسيد عبدالرحمن المهدي، وسجله الأستاذ يحيى ضمن حديثه عن السيد عبدالرحمن. ذكر الأستاذ يحيى في صفحة (17) أنه كان عضواً بالحزب الجمهوري والتقى السيد عبدالرحمن المهدي، فاعتذر له صراحة عن انضمامه لحزب الأمة، متعللاً بعمله مراسلاً لصحيفة الأهرام المصرية، فقال له السيد عبدالرحمن المهدي: "ألا ترى أن عضويتك في الحزب الجمهوري الآن قد تعرضك أيضاً للمتاعب في الأهرام. إن مصر الآن تطالب بأن يكون ملك مصر ملكاً على السودان".

التجاهل رغم المعرفة اللصيقة

الشاهد، أنه على الرغم من إشارات الأستاذ يحيى إلى الأستاذ محمود في مذكراته، إلا أن اللونية الغالبة هي التجاهل، إذ لم يكن اسم الأستاذ محمود من بين الشخصيات التي

أفرد لها عنواناً للحديث عنها على الرغم من معرفته للصيقة به. مما يصعب معه فهم التجاهل للأستاذ محمود. لقد كانت معرفة الأستاذ يحيى بالأستاذ محمود معرفة سابقة بل أوثق وأطول من معرفته لكثير ممن تحدث عنهم، سواء بحساب السنين أو بحكم العمل المشترك. لقد شارك الأستاذ يحيى فى تأسيس الحزب الجمهورى عام 1945، الذى ترأسه الأستاذ محمود. وكانت المراسلات الواردة للحزب الجمهورى تأتى عن طريق عنوانه، وقد أشار إلى ذلك فى صفحة (17) من مذكراته قائلاً: "وكانت رسائل الحزب الجمهورى تأتى عن طريق عنوانى فى جريدة النيل". وأشار أيضاً، فى صفحة (162) قائلاً: "يهتمنى الكثيرون بأننى -صحفى متقلب- وهى عبارة مؤدبة لمعنى «صحفى معدوم الضمير»، وقد بدأ هذا الإتهام عندما كنت أعمل فى جريدة النيل لسان حال آل المهدي، وهى استقلالية، مع احتفاظى بمراسلة الأهرام، وهى صحيفة مصرية، يفترض فيها الدعوة للوحدة بين مصر والسودان، واشتراكى فى نفس الفترة فى تأسيس الحزب الجمهورى -محمود محمد طه- ... وأن أعلن فى جريدة النيل الناطقة بلسان آل المهدي أن الرسائل الواردة للحزب الجمهورى تُعنون باسمى، وهو حزب منظور إليه كخصم لدود الحزب الأمة". يضاف إلى ذلك أن الأستاذ محمود كان يكتب حديثاً أسبوعياً وينشره فى صحيفة "أنباء السودان"، وهى صحيفة يحيى. مما لاشك فيه أن مشاركة يحيى فى تأسيس الحزب الجمهورى، واشتراكه فى اجتماعات الحزب ونشاطاته، ووصول مراسلات الحزب عن طريقه، ونشر الأستاذ محمود لحديثه الأسبوعى فى صحيفة "أنباء السودان"، قد أكسبت الأستاذ يحيى معرفة لصيقة بالأستاذ محمود تسمح له بالحديث عنه فى مذكراته، كما فعل مع نحو أربعين شخصاً من طلائع المتعلمين، إلا أن ذلك لم يحدث.

التجاهل عند يحيى: هل هو سوء تقدير أم سوء نية؟

فى تقديرى، أن عدم حديث الأستاذ يحيى عن الأستاذ محمود من خلال عنوان كما فعل مع نحو أربعين شخصاً من طلائع المتعلمين، لم يكن موقفاً متعمداً، ولا يعود تجاهله للأستاذ محمود إلى سوء نية، بقدر ما هو سوء تقدير واختلاف فى المعايير. فالنائب أن الأستاذ يحيى لديه رأى جيد فى الأستاذ محمود، عبر عنه بوضوح واحترام، وهو رأى لا يصدر إلا بمعرفة لصيقة ووثيقة. وقد ضمن الأستاذ يحيى رأيه هذا، فى كتابه الذى نشره

لاحقاً بعنوان: **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**⁽¹⁾، (ثلاثة أجزاء). أصدر الأستاذ يحيى هذا الكتاب وهو كتاب يصنف ضمن كتب التراجم والمعاجم، وهى كتب تعرف حياة عدد كبير من الأفراد البارزين فى المجتمع من العلماء والأدباء والمهنيين ورواد الفكر والمشاهير من الساسة والأعيان... إلخ، وترتب بطريقة محددة (هجائية/ الميلاد/ الوفاة... إلخ). ومن نماذج كتب التراجم كتاب: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان (8 مجلدات)، و (كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان)، لمحمد بن ضيف الله (1728-1810)، الذى كان أول المعاجم فى السودان. ومن نماذجها أيضاً، كتاب: (معجم الشخصيات السودانية المعاصرة) لأحمد محمد شاموق الذى صدر عام 1988، وكتاب البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم (1927-2004) (أدباء وعلماء ومؤرخون فى السودان)، الذى صدر عام 1991. وغيرها. تناول الأستاذ يحيى فى كتابه التعريف بحياة مئات الشخصيات، كان من بينها الأستاذ محمود. وصف فيه الأستاذ محمود وصف العارف اللصيق به قائلاً: "محمود محمد طه مفكر عميق التفكير كثير التأمل، يؤمن بالإنسانية وحدة لا تتجزأ. يرى، أن الإسلام سبيل للنجاة لهذه الإنسانية الضاربة فى التيه بين تفریط المادية الغربية وإفراط الروحانية الشرقية". وقال أيضاً، وهو يتحدث عن الأستاذ محمود: "يحسبه الذين لا يعرفونه متعصباً دينياً ولكنه فى الواقع حر الفكر واسع الأفق يعتمد على المنطق ويفهم الحياة فهماً جيداً وهو يعتقد أن الإسلام يتطور مع الزمن... ولعل خير ما يقال عنه أنه أخلص القادة للقضية وللسودان.. بل وللعالم الواسع".

الشاهد أنه برغم المعرفة اللصيقة، فقد يبدو تجاهل الأستاذ يحيى للأستاذ محمود، مثل تجاهل معظم طلائع المتعلمين الذين كتبوا مذكراتهم. وكان فى تجاهلهم للأستاذ محمود كأنما هناك اتفاق جماعى بينهم غير مكتوب. كان هدف ذلك الاتفاق فى حده الأدنى تهميش الأستاذ محمود، وتغيبه عن الذاكرة الجمعية. وفى تقديرى، أن الأستاذ يحيى لم يكن جزءاً من هذا الاتفاق، ولم يكن من الساعين إلى تهميش الأستاذ محمود أو تغيبه من الذاكرة الجمعية. كما تبين إشارات له للأستاذ محمود فى كتاباته الأخرى.

(1) يحيى محمد عبد القادر، **شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال**، (ثلاثة أجزاء)، مرجع سابق، ص 144-146.

خلاصة القول، أنه على الرغم من تجاهل الأستاذ يحيى للأستاذ محمود فى مذكراته، والإشارة إليه إشارات عابرة، إلا أن ما أورده لاحقاً فى كتابه: شخصيات من السودان، آنف الذكر، يجعل احتمال سوء النية فى التجاهل ضعيفاً بل معدوماً. فقد شهد الأستاذ يحيى فى حق الأستاذ محمود بشهادات عظيمة وواضحة وقوية كما أوردت سابقاً.

فى الختام لابد من الإشارة إلى أن مذكرات يحيى، تميزت بميزات لا نجدها فى معظم المذكرات التى كتبها طلائع المتعلمين. فقد اتسمت مذكرات يحيى بالصراحة والاعتراف فى بعض جوانبها. وكتبت بلغة أدبية رفيعة، وكانت نصوصها سلسلة وممتعة. تضمنت آراءه الصريحة فى بعض زملائه، وفى الأحداث التى شهد وقوعها. كما ذكر الكثير من المواقف والطرائف الممتعة والمحزنة فى آن واحد. فقد تحدث بوضوح عن كيف كانت تحاك المؤامرات والدسائس بين طلائع المتعلمين، وأشار إلى أشخاص ومواقف بعينها. وتحدث من خلال مواقف بعينها أيضاً، عن كيف كان يلجأ بعض طلائع المتعلمين إلى أسلوب البلطجة والضرب من أجل حسم بعض الصراعات أو الانتصار على المنافسين أو تأديبهم. وأشار إلى حالات ووقائع محددة كانت تهدف إلى الانتقام وتدمير البعض. كما تميزت المذكرات كذلك بأن الأستاذ يحيى لم يجنح فيها إلى تضخيم دوره فى الأحداث، بل كان يعترف ويصف نفسه بأوصاف صريحة وهو يتحدث عن مواقفه وذكرياته مع بعض طلائع المتعلمين. فقد تحدث عن المواقف التى كان يبدى فيها بعض التفاق أو تتطلب منه بعض النسيمة. وأشار إلى بعض الحوادث التى كان فيها متخاذلاً وضعيفاً. وذكر أنه فى مواقفه مع بعض طلائع المتعلمين كان حينما يحتد النقاش معه أو حينما يتصاعد غضب الطرف الثانى كثيراً ما ينصرف سريعاً، خوفاً من تطور الموقف بما لا تحمد عقباه، خاصة وأنه - كما ذكر - كان يحب الشجاعة فى القول والعمل ولكنه لا يمارسها فى الواقع إلا نادراً. وفى تقديرى، أن هذه حكمة وحلم منه أكثر من كونها خوفاً أو جنباً.

مذكرات السيد عبد الماجد أبو حسبو⁽¹⁾

صدرت مذكرات السيد أبو حسبو في طبعتها الأولى بعنوان: مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان، الجزء الأول⁽²⁾، عام 1987. وتقع في مائتين وسبع وتسعين صفحة من القطع المتوسط. تصدر المذكرات تقديم كتبته أسرة أبو حسبو، تلتها مقدمة، ثم عرض للحقائق والأحداث في اثني عشر فصلاً متبوعة بالملاحق. ففى الفصول الثلاثة الأولى تحدث السيد أبو حسبو عن السودان ما قبل الحكم الثنائي وعن الثورة المهدية (1881-1898) وإعادة الفتح. وفى الفصل الرابع تناول الحركة الوطنية الحديثة وحركة الخريجين، وفى الفصل الخامس تناول قيام الأحزاب السودانية. وفى الفصول الأخرى تناول قضايا مختلفة منها: السياسة المصرية فى السودان، والحكم الذاتى والاستقلال، وثورة أكتوبر 1964، ومشكلة الجنوب والقضية العربية. ثم عرض فى الفصل الأخير تجاربه فى الحكم وفى الحزب، وتحدث عن الحزبية والتربية الحزبية فى السودان. كتب السيد أبو حسبو فى مقدمته أن هذا الجزء من مذكراته ينتهى عند شهر مايو 1969 مع وقوع ثورة مايو، وذكر قائلاً: "وقد تركت الحديث عن الفترة التى تلت ذلك إلى ظروف أخرى مواتية، أسأل الله أن تساعدنى الظروف للكتابة عنها، وهى فترة طويلة مليئة

(1) ولد السيد أبو حسبو فى مدينة الخرطوم عام 1919، وتوفى فيها عام 1985. تلقى تعليمه الأولى بمدارس الخرطوم ثم التحق بكلية فردون، فمالث أن ترك الدراسة بها وهرب إلى مصر عام 1936 حيث تخرج فى كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية. بعد تخرجه عمل فى المحاماة ثم تفرغ للعمل السياسى. انتمى فى مصر إلى الحركة الشيوعية، فكان عضواً فى حركة التحرر المصرى (ح. ت. م) والتى أصبحت فيما بعد الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو). ترقى فى صفوف الحزب حتى أصبح أول سودانى يدخل اللجنة المركزية للحزب فى مصر. قام بالتدريس فى خلايا الحزب الشيوعى، وكان من بين الذين درسهم الشهيد عبد الحالى محجوب (1927-1971). فى عام 1947 تخلى السيد أبو حسبو عن الحزب الشيوعى، وتحدث فى مذكراته عن قصة انضمامه وتخلية وأسباب اختلافه مع الشيوعيين. انضم إلى حزب الاتحاديين، وعند عودته للسودان عام 1949 أصبح عضواً فى لجنته التنفيذية. كما مثل الحزب مع اثنين من أعضائه عندما تم التوقيع على وثيقة الأحزاب المؤتلفة فى القاهرة عام 1953، التى نشأ بموجبها الحزب الوطنى الاتحادى برئاسة السيد إسماعيل الأزهرى. وقد اتحد الحزب الوطنى الاتحادى مع حزب الشعب الديمقراطى عام 1968 فكونا الحزب الاتحادى الديمقراطى. عمل السيد أبو حسبو وزيراً للأشغال والثروة المعدنية عام 1965 ثم وزيراً للعدل وزعيماً للجمعية التأسيسية، ثم وزيراً للإعلام والشؤون الاجتماعية والعدل. وبعد قيام ثورة مايو عام 1969، كان من قادة الجبهة الوطنية التى قامت لمحاربة النظام العسكرى.

(2) عبد الماجد أبو حسبو، مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، الجزء الأول، مصدر سابق.

بالأحداث امتدت منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا". هل كتب السيد أبو حسبو ذلك الجزء أم لا؟ لقد أشار الناشر في هامش المقدمة قائلاً: "لقد كُتب هذا الجزء بالفعل، وسيصدر كجزءٍ ثانٍ لهذه المذكرات".

الأستاذ محمود فى مذكرات السيد أبو حسبو

لم يرد اسم الأستاذ محمود أو الحزب الجمهورى الذى ترأسه قط فى مذكرات السيد عبد الماجد أبو حسبو. على الرغم من أن الأستاذ محمود والحزب الجمهورى، كانا جزءاً من الوقائع والأحداث والحقائق التى وقف عندها السيد أبو حسبو فى مذكراته. فقد تحدث السيد أبو حسبو فى الفصل الرابع عن الحركة الوطنية الحديثة وحركة الخريجين. وتناول فى الفصل الخامس قيام الأحزاب السودانية، وتحدث عن الأحزاب بما فى ذلك أحزاب لم تعيش سوى عامين أو ثلاثة أعوام، ولم يرد ذكر للحزب الجمهورى. تحدث السيد أبو حسبو باستفاضة عن الأحزاب بأنواعها المختلفة: الاتحادية والاستقلالية والعقائدية، وذكر فى صفحة (94) قائلاً: "قامت الأحزاب - أو بالأحرى أعلنت عن نفسها فى الفترة ما بين سنة 1944-1945، فلقد كانت هذه الأحزاب من ناحية الواقع قائمة فعلاً، وإن تضافت تسمية نفسها بالأحزاب، لأن معظم قياداتها كانت من الموظفين الذين يمنعهم القانون من العمل فى السياسة. ولقد أخذت الحزبية شكلين: 1. أحزاب اتحادية... 2. أحزاب استقلالية...". ثم أفرد السيد أبو حسبو عناوين جانبية للحديث عن تلك الأحزاب. بدأ بعنوان جانبى تناول تحته قيام حزب "الاتحاديين"، ثم عنوان آخر لحزب الأشقاء، فحزب الأمة، وحزب الأحرار بشقيه: الأحرار الاتحاديين والأحرار الانفصاليين، والحزب الجمهورى الاشتراكى، والحزب الشيوعى. كما توسع فى الحديث عن قيام الحزب الوطنى الاتحادى، وهو الحزب الذى انضم إليه قبل اندماجه مع الأحزاب الاتحادية. وقد ذكر فى صفحة (95) أن انضمامه إلى الاتحاديين يعود إلى قناعته بنزاهتهم ووطنيتهم إلى جانب تأثره بالمناقشات التى قادها مع السيد خضر حمد (1910/8 - 1970) أثناء زيارته لمصر. وتحدث السيد أبو حسبو كذلك فى مواقع متفرقة من مذكراته عن قيام حزب وحدة وادى النيل، وحزب "القوميين"، وحزب الاستقلال الجمهورى، وحزب الشعب الديمقراطى، وجهة الميثاق (الأخوان المسلمين). ولم ترد حتى مجرد إشارة إلى الحزب الجمهورى.

الثابت أنه على الرغم من إغفال السيد أبو حسبو لذكر الحزب الجمهورى، فإن الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود كان قيامه سابقاً لمعظم الأحزاب التى تناولها السيد أبو حسبو. فالحزب الجمهورى أعلن عن نفسه كحزب سياسى منذ البداية، لأن رئيسه الأستاذ محمود محمد طه كان قد استقال من الوظيفة الحكومية، ولم يعد من ثم ملزماً باللوائح الاستعمارية التى تمنع الموظفين الحكوميين من العمل السياسى. قاد أعضاء الحزب الجمهورى نضالاً عظيماً ضد الاستعمار، سجن بعضهم بسببه، كما سجن رئيس الحزب الأستاذ محمود مرتين، الأولى فى يونيو عام 1946، والمرة الثانية حينما قاد ثورة رفاعة عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين. كتب الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011)، الذى كان عضواً فى الحزب الجمهورى، وتركه فيما بعد، متحدثاً عن الأستاذ محمود: "أنشأ الحزب الجمهورى فى عام 1946 وكان من أوائل الذين اصطدموا بالاستعمار البريطانى فى السودان فدخل السجن مرتين...". وكتب الأستاذ يحيى أيضاً، وهو يتحدث عن الأطوار التى مر بها الحزب الجمهورى، قائلاً: "والطور الثانى كان طور العنف والشدة والاضطراب. فقد خرج أفراد الحزب إلى المجتمعات والجوامع والمقاهى يخطبون ضد الاستعمار والحكم الثانى... ويوزعون المنشورات السرية المتضمنة هذه المعانى.. وأسفر هذا الطور عن سجن رئيس الحزب وبعض أعضائه مدداً مختلفة فى كوبر"⁽¹⁾.

كتب الأستاذ التجانى عامر (1908-1987)، وهو مؤرخ وشاعر وكاتب صحفى سودانى معروف، لديه أكثر من ستة مؤلفات منشورة، جُلها فى مجال الدراسات التاريخية. كتب التجانى فى صحيفة الصحافة 16/4/1975، وهو يتحدث عن الحزب الجمهورى قائلاً: "قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السودانية بحساب الزمن... مؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه، الذى كان من أبرز الوجوه الوطنية، فى مستهل حركة النضال...". لقد ظل الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود قائماً منذ عام 1945، واستمر فى مناهضته للاستعمار حتى استقلال السودان، وظل يدعو لمبادئه حتى تم حل الأحزاب السياسية عند قيام ثورة مايو عام 1969. الشاهد، أنه يصعب فهم إغفال السيد

(1) يحيى محمد عبد القادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، مرجع سابق، ص 144-146.

أبو حسبو لذكر الحزب الجمهورى فى مذكراته، خاصة وأنه أشار لأحزاب صغيرة وكان عمرها قصير جداً، كما أشار لأحزاب قامت بعد الحزب الجمهورى. إنى لا أرى تفسيراً لعدم ذكر الحزب الجمهورى فى مذكرات أبو حسبو وهو يتحدث عن قيام الأحزاب السياسية، سوى الإهمال المتعمد والإغفال المقصود، وهذا أمر اتفق فيه معظم طلائع المتعلمين وقد ظهر جلياً فى دراستى لمذكراتهم عبر هذه السلسلة.

أيضاً، تناول السيد أبو حسبو فى مذكراته، الطائفية وحروبها، وتحدث عن تأثيرها السلبى على الفضاء السياسى السودانى. وفى هذا كان الأستاذ محمود من أوائل الذين لفتوا انتباه طلائع المتعلمين لأمر الطائفية، بل كان أكثرهم كتابة للمقالات والمناشير والكتب حول هذا الشأن. وتحدث السيد أبو حسبو فى الفصل الثانى عشر عن دستور السودان الدائم. وتناول بعض القضايا الدستورية، وتحدث عن اللجنة التى كوَّنت للنظر فى وضع الدستور الدائم، وأشار إلى أنها رغم الصعاب استطاعت أن تضع مشروعاً للدستور، وقُدِّم المشروع للجمعية التأسيسية التى أقرته فى القراءة الأولى والثانية وقبل القراءة الثالثة وقع انقلاب مايو عام 1969. وذكر أنه كان وقتئذ وزيراً للعدل، كتب عبد الماجد أبو حسبو فى مذكراته ضمن محور بعنوان: "حكومة محجوب الثانية فى مايو سنة 1967"، كتب أبو حسبو قائلاً: "تشكلت الحكومة برئاسة محمد أحمد المحجوب وأعطى الحزب الوطنى الاتحادى أربع وزارات وحزب الشعب مثلها وكذلك حزب الأمة. كما أعطيت وزارتان للجنوبيين. وفى هذه الوزارة أصبحت وزيراً للإعلام والشؤون الاجتماعية ووزيراً للعدل وزعيماً للمجلس، وكوزير للإعلام كنت الناطق الرسمى باسم الحكومة"⁽¹⁾. هنا نحن أمام وزير تولى وزارة العدل إلى جانب وزارة الاعلام والشؤون الاجتماعية، حتى انقلاب 25 مايو عام 1969. كتب عبدالمجيد قائلاً:

عندما وضعت اللجنة مشروع الدستور الدائم كنت وزيراً للعدل وكانت وزارة العدل بحكم وظيفتها مسئولة عن الصياغة وعن مشروعات القوانين. وقبل تقديم

(1) عبد الماجد أبو حسبو، مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية فى السودان، مصدر سابق، ص 201.

مشروع الدستور للجمعية التأسيسية رأيت أن نعرض ذلك المشروع على العالم الدستوري الأستاذ العلامة السنهورى فى مصر، وكونت وفداً يمثل مختلف وجهات النظر من الأساتذة المختصين، والسياسيين والقضاة، لحمل مشروع الدستور وعرضه على العلامة الأستاذ السنهورى الذى درس المشروع وأبدى عليه ملاحظات قيمة. عرض الدستور على الجمعية التأسيسية لدراسته ومناقشته وإقراره وتمت بالفعل القراءة الأولى والثانية وأجيزتا، وقبل القراءة الثالثة والأخيرة وقع انقلاب 25 مايو سنة 1969..⁽¹⁾

أليس معقولاً أن يتوقع الباحث والقارئ أن يجد حديثاً عن محكمة الردة فى مذكرات وزير العدل الذى شهد المحكمة وقامت فى عهده وشارك فى حوارات لا حد لها عنها بحكم مسؤوليته؟ أليس من حقنا أن نجد توثيقاً لهذا الأمر فى مذكرات وزير العدل؟ ما هو الأهم بالنسبة لوزير عدل أكثر من سابقة محكمة ردة، تحكم بردة مثقف عن الإسلام؟ أهذا أمر طبيعى أن ينسى وزير العدل أهم وأكبر قضية وأعظم حدث؟ الشاهد أن السيد أبو حسيب، وزير العدل، أهمل الحديث عن محكمة الردة برغم أهميتها، وقربه منها ومن أحداثها بحكم تخصصه فى القانون وتولية لوزارة العدل أكثر من مرة.

الشاهد أنه على الرغم من النضال الوطنى للأستاذ محمود، ورئاسته للحزب الجمهورى وهو من أوائل الأحزاب الاستقلالية، حيث نشأ فى عام 1945، تجاهله معظم معاصريه من طلائع المتعلمين عندما كتبوا مذكراتهم، وأغفلوا ذكره، وحجبوا سيرة حزبه، وهمشوا دوره وجهاده ضد المستعمر. لقد تجلّى ذلك الإغفال التعمد والتهميش المقصود لدور الأستاذ محمود وحزبه بوضوح فى نماذج المذكرات السابقة، وكذلك فى مذكرات السيد عبد الماجد أبو حسيب.

(1) المرجع السابق، ص 267-268.

مذكرات السيد محمد أحمد المحجوب⁽¹⁾

المحجوب والنشاط السياسى

كان المحجوب من أبرز أعضاء "جماعة الهاشماب" (أولاد الموردة)، وقد عرفت فيما بعد بمدرسة الفجر، إشارة إلى "مجلة الفجر" التى أصدرتها الجماعة فى عام 1934. هذه الجماعة هى واحدة من جماعات أنشأها المثقفون بعد أن ترسمت الإدارة الاستعمارية بعد ثورة 1924، سياسة تعسفية وإجراءات قاسية تجاه المتعلمين. فى ظل هذه السياسة التعسفية اتجه طلائع المتعلمين إلى إنشاء جماعات القراءة فى الأحياء والجمعيات الأدبية بأندية الخريجين والموظفين⁽²⁾. ومارسوا من خلالها نشاطاتهم الأدبية والاجتماعية. كتب البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم (1927-2004) عن ما انتهت إليه جماعة الهاشماب قائلاً: "كانت جماعة الهاشماب تنافس جماعة الأشقاء داخل مجموعة الخريجين...، ثم انتهت بالارتباط نهائياً بالسيد عبد الرحمن وبالحركة الاستقلالية بينما شق الأشقاء طريقاً آخر، هو الحركة الاتحادية والعمل فى ساحة الختمية"⁽³⁾. عندما تمحورت الحركة السياسية

(1) ولد السيد محمد أحمد المحجوب فى مدينة الدويم عام 1908. تخرج فى قسم الهندسة بكلية فردون عام 1929. عمل مهندساً بمصلحة الأشغال العامة ثم ترك الهندسة واتجه إلى دراسة القانون فالتحق بمدرسة الحقوق عام 1936. انتظم فى سلك القضاء بعد تخرجه مباشرة عام 1938، وعمل قاضياً حتى عام 1946 حيث استقال من عمله. بعد أن قُبِلَ استقالته، أعطى رخصة المحاماة. عمل بالمحاماة حتى وفاته إلا فى الفترات التى تقلد فيها مناصب وزارية. أصبح زعيماً للمعارضة بعد انتخابات 1953 وكان له شرف رفع علم السودان على سراى الحاكم العام بالاشتراك مع السيد إسماعيل الأزهرى الذى كان رئيساً للوزراء. كما رفع علم السودان على مبنى الأمم المتحدة فى يوم 19 ديسمبر عام 1956، وهو وزير للخارجية. كانت عضوية السودان فى الأمم المتحدة قد قبلت يوم 1956/11/12. فى عام 1958 ترشح المحجوب لرئاسة الجمعية العمومية للأمم المتحدة منافساً للدكتور شارل مالك (1906-1987)، وزير خارجية لبنان. وقد فاز الأخير برئاسة الأمم المتحدة. أشار المحجوب لهذا الترشيح فى مذكراته صفحة (105) قائلاً: "أما أنا فلم أكن توافاً بصورة خاصة لترشيح نفسى، ولكن بعد جدل طويل اتعنتى الدول العربية بقبول الترشيح". تقلد المحجوب وزارة الخارجية مرة ثانية بعد ثورة أكتوبر 1964. أُنْتُخِبَ رئيساً للوزراء فى يونيو عام 1965، ثم مرة أخرى فى مايو 1967 حتى قيام ثورة مايو عام 1969. قضى فترات فى المنفى الإجبارى بالجنوب إبان الحكم العسكرى الأول (انقلاب 1958)، والإقامة الجبرية بمنزله فى أوائل الحكم العسكرى الثانى (ثورة مايو 1969) ومن ثم المنفى الاختيارى بلندن. وتوفى عام 1976.

(2) قاسم عثمان نور، أعضاء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين 1925-1938، مرجع سابق، ص 31-43.

(3) محمد إبراهيم أبو سليم، أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان، مرجع سابق، ص 23.

حول حركتى الاستقلال والاتحاد (مع مصر)، اختار المحجوب الحركة الاستقلالية. وبعد استقالته من القضاء عام 1946 أصبح الأمين العام للجبهة الاستقلالية، التى نشأت فور إعلان بروتوكول صدقى/ بيفن فى أكتوبر عام 1946، (من أجل إنهاء الحكم الثنائى وقيام الحكومة السودانية التى تتصرف بمحض إرادتها فى سيادة السودان وعلاقته بمصر)⁽¹⁾. وهى غير الجبهة الاستقلالية التى كوَّنت عام 1955 بغرض التأييد لمسعى الاستقلال. بعد أن اكتسح الاتحاديون انتخابات عام 1953. كوَّنت المحجوب فى عام 1950 مع آخرين ما سُمى بـ "هيئة تحرير السودان". كتب الأستاذ يحيى محمد عبد القادر (1914-2011) عن تلك الهيئة قائلاً: استقال المحجوب من الجمعية التشريعية واستقال منها بعد ذلك صالح عبد القادر (1897-1968)، وأحمد يوسف هاشم (1903-1958). وقد أطلق عليهم يوم ذاك الفرسان الثلاثة، وقد كوَّنتوا مع آخرين فى أوائل عام 1950، ما سُمى بهيئة تحرير السودان، ومن بين أهدافها محاربة الطائفية⁽²⁾.

ترشح المحجوب فى انتخابات عام 1953، وأصبح زعيماً للمعارضة فى أول دورة لمجلس النواب. وحتى ذلك الوقت لم ينضم المحجوب لأى حزب من الأحزاب السياسية. قال فى صفحة (42، 52) من مذكراته: "انتخبت كمرشح مستقل عن دائرة الخريجين، لم انضم حتى ذلك الحين إلى أى حزب سياسى،... فقد شعرت بأن أى انقسام فى صفوف المفكرين، خلال الصراع فى سبيل التحرر القومى، يؤذى القضية العامة كثيراً. لذلك قررت ألا انضم إلى أى حزب أو جماعة...". وفى عام 1954 أصبح زعيماً للمعارضة، وكان السيد إسماعيل الأزهرى رئيساً للوزراء. انضم المحجوب لحزب الأمة عام 1956، كتب فى مذكراته صفحة (190) قائلاً: "وقد انضمت إلى حزب الأمة خلال مهرجان سياسى فى كانون الأول (شهر ديسمبر) 1956 وسببه الرئيسى هو أننى كنت قد تعاونت مع الحزب عندما كنت أميناً للجبهة الاستقلالية وكان حزب الأمة آنذاك الوحيد الذى تتوافق سياسته مع قناعاتى السياسية". لأسرة الهاشميات التى ينتمى إليها المحجوب صلة قديمة وقوية

(1) فيصل عبد الرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1953)، مرجع سابق، ص 275.

(2) يحيى محمد عبد القادر، على هامش الأحداث فى السودان، مصدر سابق، ص 44، 154.

بحزب الأمة، تعود جذورها إلى بداية الثورة المهدية. فقد عمل أجداد المحجوب في ديوان المهدية. وكان جده لأمه الأمير عبد الحليم مساعد أحد قادة جيوش الإمام محمد أحمد بن عبد الله المهدي (1844-1885). وهو القائد الذي تلقى الأوامر من المهدي يوم الهجوم على الخرطوم بالأقوال غردون، وبعد مقتل غردون تولى الأمير عبد الحليم التحقيق في عصيان هذه الأوامر، إلا أن التحقيق لم يسفر عن معرفة القاتل كما ذكر المحجوب في مذكراته. أيضاً، كانت والدته المحجوب وهي طفلة قد قطع جزء من أذنها في إحدى معارك المهدي. قال المحجوب في مذكراته صفحة (14، 15) "ولدت في عائلة لم تعرف مرارة الاستياء من الحكم الأجنبي فحسب بل حاربت الغزاة فعلاً... كثيراً ما قامت النساء بدور مع الرجال في حملات المهدي. أصابت أمي دمة جسدية من جراء هذه المشاركة دامت طوال حياتها. فقد حضرت جدتي لأمي إحدى المعارك مع جدي، وكان قائداً في جيش المهدي، وهي تحمل على ذراعها ابنة لها في الثانية من عمرها. نعست الطفلة (التي قدر أن تصبح أمي) نامت على كتف أمها وإذا برصاصة تكشط كتف الأم وتقطع نصف إذن الطفلة. ولو أن الرصاصة كانت أعلى نصف بوصة لما كنتم تقرأون هذا الكتاب اليوم".

الإنتاج الفكري للمحجوب

نشر المحجوب العديد من المقالات في مجلة النهضة السودانية (1931-1932)، وفي مجلة الفجر (1934-1937)، وقد ضمنها في كتابه: (نحو الغد) الذي نُشر نهاية الستينيات. ونشر كتاباً بعنوان: الحركة الفكرية في السودان، إلى أين يجب أن تتجه؟، عام 1941. وكتاب (الحكومة المحلية في السودان)، عام 1944. كما وضع كتاب (موت دنيا)، عام 1946 بالاشتراك مع ابن خاله وصديقه عبد الحليم محمد. أيضاً، كان المحجوب شاعراً وأصدر عدداً من الدواوين الشعرية كان أولها: (قصة قلب)، ونُشر عام 1961. وديوان (قلب وتجارب) عام 1964. و (الأندلس المفقود)، عام 1969. وكان ديوانه الأخير هو (مبشحتي ودني)، الذي نُشر عام 1977. هذا إلى جانب أشعار ومقالات ومحاضرات أخرى لم تجد طريقها للنشر. يرى البروفسير أبو سليم أن المجد السياسي للمحجوب بدأ عندما تولى زعامة المعارضة وشارك إسماعيل الأزهرى في رفع العلم ثم انتهى بمؤتمر

الرؤساء والملوك العرب بالخرطوم. أما ما بعد ذلك فكان وضعه السياسى مجرد تحصيل لصراع حزبى. وكان المحجوب شبه معطل عن العمل خصوصاً بعد أن أصيب بالنوبة القلبية. أما مجده الأدبى فكان فى الفترة السابقة لاستقالته من القضاء عام 1946. (محمد إبراهيم أبو سليم، مصدر سابق، ص 18). وعلى الرغم من الانتاج المعرفى الذى نشره المحجوب، والعطاء السياسى الذى قدمه، وعده لنفسه (المحجوب) من زمرة المفكرين، وقد أشار لذلك فى أكثر من موقع فى مذكراته، على الرغم من ذلك فإن لورد كارادون وصف المحجوب فى التقديم الذى كتبه لمذكراته قائلاً: "ليس مفكراً بناءً مثل نايريرى فى تنزانيا، ولم يستطع أن يحقق التسوية الوطنية فى السودان كما حققها غوان فى نيجيريا... ولكن فترة الانتقال الصعبة التى أبقاها حياً وروح الخدمة العامة المخلصة، يكونان مثلاً شخصياً رائعاً).

مذكرات السيد المحجوب

صدرت مذكرات المحجوب بعنوان: الديمقراطية فى الميزان: تأملات فى السياسات العربية والإفريقية، عام 1974 باللغة الإنجليزية. أما الترجمة العربية التى وقفت عليها فقد صدرت فى طبعتها الثالثة عام 1989 من دار جامعة الخرطوم للنشر، وطبعتها مطابع الأهرام، القاهرة، مصر. تقع المذكرات فى ثلاثمائة وتسع وأربعين صفحة من القطع الصغير. بدأت بتقديم كتبه الدبلوماسى البريطانى لورد كرادون، ثم قسمت المذكرات إلى سبعة أقسام، كل قسم يحتوى على عدد من العناوين تم تحتها تناول الموضوعات. وقد بلغ مجموع عناوين الأقسام مجتمعة ستة وثلاثين عنواناً. استهل القسم الأول بكلمة عنوانها: "وقت للتأمل" كانت بما يشبه التمهيد للمذكرات، وصف فيها ما يكتبه بأنه تأملات قائلاً: "ليس هذا عرضاً تاريخياً للحوادث التى سادت حياة أحد رجال السياسة، بل محاولة للتأمل فى بعض الحوادث التى أثرت فى مصير بلدى أو كان لها أثر بعيد المدى فى القارة الإفريقية والشرق الأوسط. إن ما جعلنى أقرر كتابة هذه التأملات فى الدرجة الأولى هو أننى فى الرابعة والستين، فى خريف العمر، منفى عن وطنى باختياري". ثم تناول الأحداث التاريخية والتطورات السياسية فى السودان حتى الاستقلال. وقف عند العهد التركى والمهدية وعهد الحكم الثنائى. وتناول مؤتمر الخريجين واتجاهات الحركة الوطنية بشقيها الاستقلالى والاتحادى (الاتحاد مع مصر)، وتحدث عن قيام الأحزاب السودانية.

وفى القسمين الثانى والثالث تناول جمال عبد الناصر (1918-1970)، وتأثيره والحوادث فى عهده إلى جانب أسباب فشل سياساته وانعكاساتها، ووقف عند حرب الأيام الستة ومؤتمر القمة العربى. وفى القسم الرابع تناول حرب اليمن. وفى القسم الخامس تناول فترة ما بعد الاستقلال، تعرض للحكم العسكرى الأول والثانى والفترة الديمقراطية بينهما، وتحدث عن ثورة أكتوبر وفشل الأحزاب، كما وقف عند مشكلة الجنوب. وفى القسم السادس تناول مشاركة السودان فى الحركات الإفريقية نحو التحرر، وتحدث عن الوحدة الإفريقية والبناء المشترك. وفى القسم السابع قدم خلاصة تأملاته تحت عنوان: "أخطاء الماضى وأمانى المستقبل"، ثم ختم مذكراته برسالة وسماها بـ "رسالة أمل للجيل الطالع".

الأستاذ محمود فى مذكرات السيد المحجوب

خلت مذكرات المحجوب تماماً عن أى إشارة للأستاذ محمود أو حديث عن قيام الحزب الجمهورى. على الرغم من أن المحجوب تحدث عن قيام الأحزاب الاستقلالية والاتحادية. فالمحجوب كان جزءاً من الحركة الاستقلالية، كما أن الحزب الجمهورى كان من أوائل الأحزاب الاستقلالية، وترأسه الأستاذ محمود منذ إعلان قيامه عام 1945. أيضاً، تناول المحجوب أحداثاً ووقائع وحقائق فى مذكراته كان للأستاذ محمود والحزب الجمهورى سهوٌّ فى صناعتها. وكذلك كان المحجوب يعلم بسجن الأستاذ محمود فى نهاية الأربعينيات، بل حينما سجن الأستاذ محمود بسجن كوبر وعصى أوامر السجن، جاء بعض رفقاء الأستاذ محمود إلى المحجوب، وكان وقتئذ قد انتقل للعمل فى مجال المحاماة، وطلبوا منه أن يذهب معهم لزيارة الأستاذ محمود فى سجن كوبر. يضاف إلى ذلك أن الأستاذ محمود اشترك مع السيد المحجوب فى أعمال كثيرة منها: العضوية فى الجبهة الاستقلالية الأولى التى تكوّنت عام 1946، وعضوية الجبهة الاستقلالية الثانية التى تكوّنت عام 1955، وعضوية لجنة الدستور. وقبل ذلك كان المحجوب قد نقل للعمل فى دائرة شندى القضائية التى كانت تشمل مدينة عطبرة عام 1941⁽¹⁾. لا بد من أن يكون قد سمع المحجوب بدور الأستاذ محمود فى نادى الخريجين بعطبرة وبنشطاته. فحينما انتقل

(1) محمد إبراهيم أبوسليم، أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان، مرجع سابق، ص 14.

المحجوب إلى هناك فى نفس العام الذى استقال فيه الأستاذ محمود عن عمله بعطبرة، قام المحجوب بنشاطات سياسية كبيرة وقدم المحاضرات فى شندى وفى نادى الخريجين بعطبرة، لابد أن يكون قد عرف بل كان ملماً بدور الأستاذ محمود سكرتير نادى الخريجين بمدينة عطبرة، فى الساحة هناك، ولابد للمحجوب أن يكون قد عرف دور الأستاذ محمود فى تغيير اسم النادى من نادى السكك الحديدية إلى نادى الخريجين، ودوره فى الإتيان بنظام الانتخابات فى النادى. ويمكن أن نقف على بعض هذه المحطات بشىء من التفصيل.

نشأة الأحزاب واغفال الحزب الجمهورى

تحدث السيد المحجوب فى القسم الأول من مذكراته عن مؤتمر الخريجين وعن اتجاهات الحركة الوطنية بشقيها الاستقلالى والاتحادى، وتناول قيام الأحزاب السودانية. تحدث عن قيام حزب "الأشقاء"، وحزب "الاتحاديين"، وحزب الأمة، والحزب الشيوعى (الحركة السودانية للتحرر القومى)، والحزب الوطنى الاتحادى. وأشار فى مواقع متفرقة إلى حزب الأحرار، وحزب سانو، والحزب الفدرالى، وحزب الوحدة السودانى، وحزب الاستقلال الجمهورى، والحزب الجمهورى الاشتراكى، وحزب الشعب الديمقراطى، وجبهة الميثاق (الإخوان المسلمين)، والحزب الاتحادى الديمقراطى. ولم ترد حتى مجرد إشارة للحزب الجمهورى، أو إلى رئيسه الأستاذ محمود. كتب المؤرخ محمد سعيد القدال وهو يتحدث عن قيام الأحزاب السودانية، قائلاً:

أول الأحزاب الداعية للاستقلال هو الحزب الجمهورى الذى أسسه الأستاذ محمود محمد طه عام 1945. ونشر الحزب برنامجاً انتقد فيه التيارين الكبيرين لارتباطهما ببريطانيا ومصر ولانعدام المذهبية فى عملهما، ودعا إلى استقلال السودان عن بريطانيا ومصر وقيام جمهورية سودانية... فقد أخرج الحزب دعوة الاستقلال من محيط المناورات وطموح السيد عبد الرحمن، إلى نقاء العمل السياسى الحقيقى من أجل الاستقلال فألبسها دثاراً ناصعاً جعل منها دعوة يمكن أن تلهم جيلاً بأكمله. كما أخرج العمل السياسى من دائرة المناورات والتكتيك، إلى رحاب العمل الفكرى القائم على البرنامج

الملزم المحدد الجنبات والآفاق⁽¹⁾.

أيضاً، لقد ذكرت سابقاً، بأن الأستاذ التجاني عامر (1908-1987)، وهو مؤرخ وشاعر وكاتب صحفي سوداني معروف، لديه أكثر من سنة مؤلفات منشورة، جُلّها في مجال الدراسات التاريخية، كتب في **صحيفة الصحافة** يوم 1975/4/16 وهو يتحدث عن **الحزب الجمهوري** قائلاً: "قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السودانية بحساب الزمن... مؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه، الذي كان من أبرز الوجوه الوطنية، في مستهل حركة النضال... وقد تعرض محمود للسجن الطويل...". الشاهد، أنه لم يرد ذكر في مذكرات السيد المحجوب **للحزب الجمهوري** أو لرئيسه الأستاذ محمود، الذي سجن في سجن كوبر بسبب نضاله ضد المستعمر.

سجن الأستاذ محمود والمحجوب المحامي

قاد أعضاء **الحزب الجمهوري** نضالاً عظيماً ضد الاستعمار. سجن بعضهم بسببه. وسجن رئيس الحزب الأستاذ محمود مرتين، الأولى في يونيو عام 1946، والمرة الثانية حينما قاد ثورة رفاة عام 1946، ودخل على إثرها السجن لمدة عامين. أوردت سابقاً العديد من المصادر والمراجع التي تحدثت عن سجن الأستاذ محمود. لقد غطت الصحف المحلية في الخرطوم خبر سجن الأستاذ محمود في المرتين، لاسيما صحيفة الرأي العام التي تابعت الخبرين ونشرت برقيات كثيرة، عبر الناس فيها عن مناصرتهم للأستاذ محمود، ودعمهم لمواقفه البطولية. جاءت البرقيات من مدينة الأبيض والقضارف وعطبرة وسنجة وكوستي وغيرها. لا بد من أن المحجوب قد قرأ أو سمع بهذه الأخبار وإن لم يكن قد قرأها فقد جاءه نبأ سجن الأستاذ محمود في مكانه. كتب محجوب عمر باشري وهو يتحدث عن سجن الأستاذ محمود بسجن كوبر، وعن ثورته داخل السجن وعصيانه لأوامر سجنائه، قائلاً:

وكتبت الصحف عنه، وذهب زملاؤه إلى السكرتير القضائي الذي أخبرهم أن يستعينوا بمحام فاستعانوا بالمرحوم محمد أحمد المحجوب، فلما ذهبوا مع المحامي إلى السجن

(1) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820-1955، مرجع سابق، ص 494، 495.

كانت سلطات السجن قد وضعت محموداً في حجرة خاصة بها سرير ومنضدة ومقعد وزهرية بها ورد، فأعلن محمود الحقيقة وأبان الخدعة⁽¹⁾.

على الرغم من أن رواية محبوب باشرى، هذه، موضع نظر لدى البعض، إلا أنها تعكس حقيقة أن سجن الأستاذ محمود كان معلوماً بين المثقفين. لقد كان المحجوب يعلم بسجن الأستاذ محمود ويعرف دوره في النضال ضد المستعمر، ومع ذلك لم ترد حتى مجرد إشارة إلى قيام الحزب الجمهورى أو نضال رئيسه الأستاذ محمود.

تكوين الجبهة الاستقلالية (الأولى)

تحدث السيد المحجوب عن الجبهة الاستقلالية، التى نشأت فور الإعلان عن بروتوكول صدقى/ بيفن عام 1946، قائلاً فى صفحة (45): "لكن الحقيقة أن صدقى رجع من لندن إلى القاهرة مبتهجاً وقال إنه رجع والسيادة على السودان فى جيبه. استقلت حالاً من القضاء... فى ذلك المساء ألقى خطاباً فى اجتماع عام فى أمدرمان. هناك ألفتنا الجبهة الاستقلالية التى أصبحت أمينها العام. كان هدفنا تنظيم جميع الذين أيدوا استقلال البلد التام، ومقاومة أى حركة للاتحاد بمصر أو لوضع السودان تحت التاج المصرى". كان الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى من ضمن المؤسسين للجبهة الاستقلالية. ذكرت سابقاً أنه جاء فى موقع حزب الأمة القومى على شبكة الإنترنت: "بادر حزب الأمة بتكوين الجبهة الاستقلالية للعمل على انهاء الحكم الثنائى والتى تشكلت فى 28 أكتوبر 1946 فى دار حزب الأمة من: حزب الأمة، حزب القوميين الأحرار، حزب الأحرار، الحزب الجمهورى، ونفر من المستقلين"⁽²⁾. كتب فيصل عبد الرحمن على طه قائلاً: "لقد تعاون الحزب الجمهورى مع حزب الأمة وأحزاب استقلالية أخرى فى إطار الجبهة الاستقلالية عندما أوقف حزب الأمة التعاون مع حكومة السودان وأعلن الجهاد. وقد عبّر الحزب الجمهورى عن ذلك بقوله: "كانت هناك حواجز بيننا وبين حزب الأمة، ولكن عندما أعلن الجهاد

(1) محبوب عمر باشرى، مرجع سابق، ص 362، 363.

(2) عن حزب الأمة، التاريخ: المراحل السبعة، "المرحلة الأولى: تكوين الحزب 1945 وحتى انقلاب 1958"، مرجع سابق.

ورفض التعاون مع الإنجليز سقطت تلك الحواجز، واشترطنا في الجبهة الاستقلالية⁽¹⁾. أيضاً، كتب الأستاذ يحيى محمد عبد القادر وهو يتحدث عن أبرز أعمال الحزب الجمهورى فى الطور الثانى، قائلاً: "وكان من أبرز أعمال الحزب خلال هذه الفترة تعاونه مع الجبهة الاستقلالية لمحاربة مشروع اتفاقية صدقى - بيفن التى أقرت وضع السودان فى محيط وحدة وادى النيل.. ثم انسحابه من الجبهة بعد انقشاع هذه المخاوف"⁽²⁾. الشاهد، أن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى كان جزءاً من الجبهة الاستقلالية، ومشاركاً فى نشاطاتها، وعلى الرغم من ذلك لم يذكر المحجوب شيئاً فى مذكراته عن الأستاذ محمود أو عن الحزب الجمهورى.

تكوين الجبهة الاستقلالية (الثانية)

تشكلت الجبهة الاستقلالية مرة ثانية فى يناير 1955، وكانت أوسع فى عضويتها من تلك التى تكونت عام 1946. وكان الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود عضواً فيها. كتب فيصل عبد الرحمن على طه قائلاً: "فى الليلة السياسية التى أُقيمت بدار الجبهة المعادية للاستعمار فى 23 يناير 1955 وشارك فيها خطباء من حزب الأمة وحزب الاستقلال الجمهورى، دعا محمد أحمد المحجوب زعيم المعارضة لتكوين جبهة وطنية للاستقلال واقترح تكوين لجنة تمهيدية لدراسة المشروع. استجابت لدعوة المحجوب أحزاب الأمة والجمهورى والجمهورى الاشتراكى والجبهة المعادية للاستعمار وشخصيات مستقلة وشخصيات عمالية"⁽³⁾. وقد تم بعد ذلك تكوين الجبهة الاستقلالية. يقول فيصل فى كتابه آنف الذكر، "وفى أول اجتماع أخذ المجتمعون بالأسس التى اقترحها اتحاد طلاب كلية الخرطوم الجامعية وهى: الاستقلال التام، وكفالة الحريات العامة، وعدم ربط البلاد بالأحلاف العسكرية ومعونات الدول الأجنبية التى تؤثر على سيادة البلاد. ومن ثم حددت الجبهة الواجبات العملية التى ينبغى القيام بها، وتطورت مطالبها. وفى اجتماع عقد فى

(1) فيصل عبد الرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1953)، مرجع سابق، ص 231.

(2) يحيى محمد عبد القادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، مرجع سابق، ص 144-146.

(3) فيصل عبد الرحمن على طه، السودان على مشارف الاستقلال الثانى (1954-1965)، مرجع سابق، ص 205.

5 مارس قررت الجبهة الاستقلالية تقديم اقتراح للبرلمان يدعو للجلاء الفوري للقوات المصرية والبريطانية عن السودان بموجب المادة 9 من اتفاقية عام 1953 بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان". الشاهد أن الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود كان عضواً فى الجبهة الاستقلالية حتى جاء انسحابه منها فى يونيو 1955، قائلاً إنه انسحب من الجبهة لأنه يرى أن الهدف الأساسى قد تحقق. قال فيصل: "أعلن الحزب الجمهورى فى منتصف يونيو 1955 انسحابه من الجبهة الاستقلالية لأن الفكرة الاستقلالية قد تركزت فى أذهان السودانيين جميعاً"⁽¹⁾.

لجنة الدستور القومية

أشترك السيد المحجوب والأستاذ محمود فى أعمال عديدة كما ذكرت، وكان من بين هذه الأعمال العضوية فى لجنة الدستور القومية. يقول إبراهيم محمد حاج موسى: "شكّلت اللجنة القومية للدستور فى سبتمبر سنة 1956 لوضع مشروع للدستور الدائم يعرض على الجمعية التأسيسية عند قيامها"⁽²⁾. وأشار إبراهيم إلى أن مشروع الدستور الذى أعدته اللجنة لم يعرض على الجمعية التأسيسية بسبب وقوع الانقلاب العسكرى 17 نوفمبر 1958. ويضيف فيصل عبد الرحمن على طه قائلاً: "... تم تكوين لجنة قومية من 46 عضواً لوضع الدستور الدائم للبلاد". ثم ذكر فيصل أسماء أعضاء اللجنة وكان من بينهم الأستاذ محمود والسيد المحجوب⁽³⁾. تقدم الأستاذ محمود إلى اللجنة باقتراح طلب فيه بأن تكون لجنة الدستور مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومة، تعين رئيسها وأعضاءها، وتتخذ ما تشاء، بعيدة عن الحكومة، فسقط الاقتراح. عندها أعلن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى انسحابه من اللجنة، وكتب خطاباً نُشر بجريدة الرأى العام بتاريخ 1957/1/26، جاء فيه:

"حضرة السيد رئيس لجنة الدستور القومية، والسادة أعضاء اللجنة المحترمين
تحية طيبة، وبعد: يؤسفنا أن نبلغكم إنسحابنا من اللجنة القومية للدستور، وذلك لانتهيار

(1) المرجع السابق، ص 214، 215.

(2) إبراهيم محمد حاج موسى، مرجع سابق، ص 71.

(3) فيصل عبد الرحمن على طه، السودان على مشارف الاستقلال الثانى، (1954-1956)، مرجع سابق، ص 351.

الأساس الذى قبلنا به الاشتراك فيها.. فقد جاءت فكرة تكوين هذه اللجنة عقب رغبة حقيقية أعلنها الرأى العام السودانى، كيما تساعد على إبراز الرأى المعبر عن مُثل الشعب الإنسانية، ليصاغ منها دستوره، وقامت الحكومة بتنفيذ فكرة تكوين اللجنة باعتبار أنها أصلح من يقوم بمثل هذا العمل.. وما كنا لنبخس الحكومة حقها فى شكرها على أدائها هذا العمل لو سارت فيه السير الصحيح.. ولكن مع الأسف كونت اللجنة بصورة يصدق عليها أن تعتبر لجنة حكومية، وليست قومية، فاستحلت الحكومة لنفسها أن تعين رئيسها، وتعين أعضاءها المستقلين، حسبما يرونها، وهذه من أخص حقوق اللجنة التى ما كان للحكومة أن تتغول عليها.. وكان أملنا أن تسترد اللجنة حقوقها المسلوبة، ولكن اللجنة نفسها، خذلتنا عندما أسقطت الإقتراح الذى تقدمنا به فى هذا الصدد فارتضت لنفسها بذلك وضعاً مهيئاً، لا نشعر بالكرامة فى قبوله، والاستمرار فيه.. وقد قال بعض أعضاء اللجنة، أن اللجنة عينتها الحكومة، وعينت لها اختصاصاتها، وليس من حق أعضائها أن يعيدوا النظر فيما حددته الحكومة، بل لايتورّع بعض الأعضاء من أن يعلن أن الدستور منحة تمنحها الحكومة للشعب الذى هى ولية أمره فيفصح بذلك عن كفرانه بالشعب أصل الدساتير، كل هذا يقال داخل اللجنة، واللجنة تقبله. وبذلك وضح أن الحكومة تريد أن تجعل هذه اللجنة مخلب قط فى بدها وتتخذ منها أداة لعمل تلبسه ثوب القومية.. وإزاء كل هذا لا يسعنا إلا أن نعلن إنفصالنا من هذه اللجنة.. وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام. الحزب الجمهورى⁽¹⁾.

الشاهد أن الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهورى ليس شخصاً يمكن لمعاصريه أن ينسوه، وهو بهذه السيرة النضالية الناصعة، والخصمور القوى والمشاركة الفعالة فى الأحداث وصناعتها، اللهم إلا لمن رغب فى التناسى وعمد للتجاهل، وهذا ما حدث عند المحجوب حينما كتب مذكراته. كان أبو سليم قد أعد دراسة عن المحجوب، وتناول فيها مذكراته: الديمقراطية فى الميزان. عاب أبو سليم ترجمة الكتاب لما فيها من أخطاء كثيرة، وأشار إلى أن النسخة المترجمة سقط فيها الإهداء وأسقطت منها الصور. وخلص أبو سليم فى دراسته للكتاب، أن الكتاب صدمه لكثرة ما فيه من الذاتية، وذكر أنه بلغ نهايته

(1) الإخوان الجمهوريون، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، الكتاب الثانى، ط1، 1976.

فى القراءة على كرهه. فالكتاب صورّ الأحداث كأنها مفاتيح السياسة السودانية كانت فى يد المحجوب، وأن المحجوب أعطى نفسه أكبر مما كان له حقيقة. كان المحجوب يصور الأمور كأنه المنفرد بها، والصانع لها، وكان يغفل من ساهموا معه، وصورّ الأمور كأنها ثمرة جهده الخاص⁽¹⁾. إن الإغفال للآخرين فى مذكرات المحجوب كان واضحاً، خاصة إغفال الأستاذ محمود وإغفال قيام الحزب الجمهورى. لقد ثبت أن المحجوب كان يعرف نضال الأستاذ محمود ويعلم بسجنه وقد زاره فيه. بل اشترك المحجوب مع الأستاذ محمود فى أعمال عديدة وبالطبع جمعت بينهما اجتماعات كثيرة فى نشاطات الجبهة الاستقلالية الأولى والثانية وفى لجنة الدستور القومية. وبرغم كل ذلك أغفل المحجوب ذكر الأستاذ محمود والحزب الجمهورى وهو يتحدث عن قيام الأحزاب، ولم ترد حتى مجرد إشارة للحزب الجمهورى وهو أول حزب استقلالى وكان المحجوب استقلالياً. إن أمر تجاهل الأستاذ محمود وإغفال ذكره وحجب نضاله وتهميش دوره، أمر اتفق فيه معظم معاصرى الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين عندما كتبوا مذكراتهم.

الخلاصة: ما هى قيمة تلك الكتب كمصدر للدراسة التاريخ؟

فى التحليل النهائى يكون ضمير الإنسان هو الجوهر الحقيقى للتاريخ⁽²⁾.

مارك بلوخ، نقلاً عن جراهام ف. توماس

من نماذج المذكرات التى درستها اتضح لى الآتى:

1- خلت جميع نماذج الدراسة من الإشارة إلى الأستاذ محمود أو إلى نضاله ضد المستعمر، عدا مذكرات أحمد خير المحامى ويحيى محمد عبدالقادر. كما كان هناك إغفال تام لذكره أو ذكر سجنه، على الرغم من أن بعض كُتاب هذه النماذج سُجن فى نفس فترة سجن الأستاذ محمود، ومنهم من زاره فى السجن، ومن المؤكد أن جميعهم قد بلغه خبر سجنه.

(1) محمد إبراهيم أبو سليم، أديب وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان، مرجع سابق، ص 39، 42.

(2) جراهام ف. توماس، السودان: الصراع من أجل البقاء (1984-1993)، ترجمة الطيب الزبير الطيب المنصور، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، القاهرة - دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995، ص 13.

2- التجاهل التام لنشأة الحزب الجمهورى، وخلو جميع نماذج الدراسة من الإشارة إليه، عدا يحيى محمد عبدالقادر، وقد تحدثت جميعها عن نشأة الأحزاب السياسية، وأشارت جميعها لأحزاب صغيرة لم يعش بعضها أكثر من ثلاثة أعوام. بل كان من بين كُتاب هذه النماذج رؤساء لأحزاب وقد سعوا للتحالف مع الحزب الجمهورى برئاسة الأستاذ محمود.

3- لم ترد أى إشارة لجهود الأستاذ محمود سواء عضويته فى الجبهة الاستقلالية الأولى (1946) والثانية (1955)، أو عضويته فى اللجنة القومية للدستور (سبتمبر سنة 1956)، برغم اشتراكه مع بعضهم فى عضوية هذه اللجان.

4- لم ترد أى إشارة فى جميع نماذج الدراسة لمحكمة الردة عام 1968، التى عقدت ضد الأستاذ محمود، على الرغم من أن كُتاب هذه المذكرات فى تلك الفترة، كان منهم وزراء للعدل، ورئيس للوزراء ومنهم من كان نائباً لرئيس الوزراء. لقد كانت محكمة الردة سابقة فى تاريخ السودان بعد استقلاله إلا أنهم جميعاً أهملوا الحديث عنها برغم أهميتها، وبرغم قربهم من أحداثها بحكم تخصصهم فى القانون وتوليهم للمناصب الدستورية، وتحديثهم فى مذكراتهم باستفاضة عن الحرية والديمقراطية.

5- هناك ما يشبه التحالف أو الاتفاق غير المكتوب فى موقف أصحاب المذكرات من الأستاذ محمود، فى عدم الإشارة إليه.

الإغفال ودلالاته

فى تقديرى، أن الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود فى نماذج المذكرات التى درستها كان إغفالاً وتجاهلاً متعمداً. قصد منه تغييب الأستاذ محمود عن الذاكرة الجمعية، وتهميش دوره ونضاله فى تاريخ الحركة الوطنية ومسار السودان السياسى. ويعود ذلك الإغفال لعوامل عديدة منها الحسد وقد تحدثت سابقاً باستفاضة عن حسد طلائع المتعلمين للأستاذ محمود لما كان يمتلكه من قدرات فكرية فذة ونظرات سياسية ثاقبة إلى جانب قوته فى المواجهة سواء للقوى الاستعمارية أو القوى التقليدية فى المجتمع. ومن بين العوامل أيضاً، أن جميع كُتاب هذه النماذج كانوا على صلة بالطائفية، وقد تحدثت سابقاً

عن مواجهة الأستاذ محمود للطائفية كقوى تقليدية لا جدوى منها سوى إعاقة حركة التطور في المجتمع، وتجميد حركة التغيير فيه. أيضاً، كان من بين العوامل نقد الأستاذ محمود لموقف طلائع المتعلمين من الاستعمار وسذاجة تعاطيهم مع الأحداث وضعف جهودهم وقلة حيلتهم وضحالة فكرهم وفشلهم في رسم صورة للمسار المستقبلي للسودان. وقد تحدثت عن كل هذه العوامل بإسهاب في الفصول السابقة، خاصة إشاراتي لرؤية الأستاذ محمود حول مشكلة الجنوب ومتطلبات وحدة السودان وأسس دستوره التي فصلها عام 1955 في كتاب عنوانه: **أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية**. أيضاً، من دلالات الإغفال للأستاذ محمود وللحزب الجمهوري، أن هناك خللاً في معايير طلائع المتعلمين، ولعل هذا يعود بشكل مباشر إلى المكونات الفكرية وإلى نوع التعليم الذي تلقوه.

ما هي قيمة تلك الكتب كمصدر لدراسة التاريخ؟

هذا السؤال طرحه المؤرخ محمد سعيد القدال حينما درس أحد عشر كتاباً من كتب السير الذاتية في بحث عنوانه: "ملاحظات حول بعض كتب السيرة الذاتية السودانية وقيمتها كمصدر لدراسة التاريخ"⁽¹⁾. كانت نماذجي التي قدمتها في هذا الفصل هي من ضمن النماذج التي درسها القدال، أجاب القدال عن السؤال أعلاه في خلاصة دراسته لكتب المذكرات والسير الذاتية قائلاً: "ويمكننا أن نخلص إلى القول بأن قيمة غالبية هذه الكتب كمصدر للتاريخ ضعيف، وبعضها لا قيمة له". لم يستثن القدال من نماذج المذكرات التي درسها إلا مذكرات الشيخ بابكر بدرى (1864-1954): تاريخ حياتي، ثلاثة أجزاء. وصف القدال مذكرات الشيخ بابكر بدرى بأنها ذات قيمة فنية، وقيمة تاريخية، وعدّها نموذجاً للسيرة الذاتية.

(1) محمد سعيد القدال، الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 133-152.

أثر تجاهل الأستاذ محمود

محمود محمد طه: قيمة الشفاء من الذل⁽¹⁾

عبدالله الشقليني

جاءت مذكرات معظم معاصري الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين بما يشبه الإجماع في تجاهل الأستاذ محمود وإغفال ذكره وحجب نضاله وتهميش دوره. وكان لهذا التجاهل أثر كبير على صعيد نشاط المؤرخين والأكاديميين وطلاب الجامعات والدراسات العليا، الأمر الذي انعكس سلباً على الفضاء المعرفي السوداني. فقد اعتمدت معظم الدراسات الأكاديمية على تلك المذكرات كمصادر تاريخية. ولما كان التجاهل والإغفال سمة تلك المذكرات فقد خلت معظم الأطروحات والرسائل الجامعية من ذكر للأستاذ محمود أو ذكر لدوره ونضاله ضد المستعمر كما خلت من الإشارة إلى الحزب الجمهوري. كذلك اعتمد المؤرخون وأساتذة العلوم السياسية على تلك المذكرات فخلت معظم كتبهم ودراسات طلابهم التي تناولت تطور الحركة الوطنية السودانية، الاستقلال، وكذلك المسار السياسي للسودان، من أي ذكر لجهود الأستاذ محمود أو إشارة لنضاله، كما خلت من أي حديث عن الحزب الجمهوري. سار معظم المؤرخين وأساتذة العلوم السياسية والكتاب على نهج معاصري الأستاذ محمود من طلائع المتعلمين فأغفلوا الحديث عن الأستاذ محمود وتجاهلوا دوره في جلاء الاستعمار. ولم ينفرد من بين هؤلاء إلا عدد قليل، منهم محمد سعيد القدال الذي تضمنت معظم كتبه الإشارة للأستاذ محمود وإلى نضاله والحديث عن حزبه. بل يرى القدال أن الحزب الجمهوري، كما وردت الإشارة آنفاً: "...أخرج دعوة الاستقلال من محيط المناورات وطموح السيد عبد الرحمن، إلى نقاء العمل السياسي الحقيقي من أجل الاستقلال فألبسها دثاراً ناصعاً جعل منها دعوة يمكن أن تلهم جيلاً بأكمله. كما أخرج العمل السياسي من دائرة المناورات والتكتيك، إلى رحاب العمل الفكري القائم على البرنامج الملزم المحدد الجنبات والآفاق"⁽²⁾.

(1) عبدالله الشقليني، "محمود محمد طه: قيمة الشفاء من الذل"، من موقع سودانيز أونلاين، الاسترجاع 2012/11/30 (Retrieved) الموقع على الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

(2) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث 1820-1955، مرجع سابق، ص 494، 495.

ومنهم كذلك التجاني عامر، ومنصور خالد، وفرانسيس ديتق، وفيصل عبدالرحمن على طه، وآخرون غيرهم.

يقينى، أن طلائع المتعلمين كانوا ضحايا للتعليم الذى تلقوه، وضحايا لمكوناتهم الفكرية والثقافية، ونوع التعليم الاستعماري بما انطوى عليه من غرس للصراع والمنافسة، وضحايا كذلك لنسق القيم والمفاهيم السائدة فى مجتمعاتهم. كانت سلطة الفقهاء فى القرن الماضى قوة، وكان التحالف الإسلامى، كما وردت الإشارة إليه سابقاً، ضد الأستاذ محمود نافذاً، ففى إغفال أكثرية طلائع المتعلمين لذكر الأستاذ محمود ونضاله ومواقفه، فى مذكراتهم، استجابة لثقافة القطيع، وخضوعٌ منهم للسائد والمألوف، وتخلٍ عن مسؤولياتهم التاريخية.

الفصل السابع عشر

17

.....
الأستاذ محمود والفكرون الإسلاميون؛
محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً
.....

In the years that followed his saintly death, his thought will be adopted by piecemeal by many Muslim intellectuals worldwide and the Sudanese intellectuals in particular without ever acknowledging this. The absurdity is that mostly those who spent their lives fighting his thought have practiced this piracy⁽¹⁾.

Muhammad Jalal Hashim

فى السنوات التى أعقبت ميته النبيلة، تمّ
تبني أفكاره من قبل المفكرين المسلمين
على امتداد العالم كما من قبل المفكرين
السودانيين بوجه خاص دونما أى اعتراف
منهم جميعاً بهذا. ويكمن السخف فى
هذا أن أغلب الذين سلخوا أعمارهم فى
محاربة أفكاره كانوا أيضاً ضمن من
مارسوا هذه القرصنة الفكرية.

محمد جلال هاشم

(1) M. Jalal Hashim, "The Death of Mahmud Muhammad Taha in January 18, 19 5, Khartoum: A Case of State Madness", *Khartoum Monitor Newspaper*, January 24, 2011, Khartoum.

نشرت المقالة باللغة الإنجليزية، وقد تمت ترجمة النص أعلاه إلى اللغة العربية بواسطة كاتبه محمد جلال هاشم.

يتميز الأستاذ محمود محمد طه عن غيره من الإسلاميين دعاة الإصلاح والتحديث - فى رأى - بشجاعته الفكرية غير العادية ووضوحه المفاهيمى فى مواجهة القضايا الحقيقية واقتراح الأجوبة الكافية والتي قد لا تخلو من جدة تجعلها مثار الجدل والاختلاف... كشخص عايشه عن قرب وبحميمية لسنوات طويلة أشهد بشجاعته الفائقة واتساقه النفسى والروحى، كذلك بإنسانيته وتواضعه وعاطفته الحانية (1).

عبدالله النعيم

إن موضوع هذا الفصل كبير ومركزى ومهم. وتكمن أهميته ومركزيته فى أنه يسعى للوقوف على دور الأستاذ محمود، المغيّب قصداً، وهو تغيب فى تقديرى إلى حين، فى تطوير الفكر الإسلامى والإنسانى. أما كبره فيعود إلى أن موضوع الفصل يتعلق بتأثير الأستاذ محمود فى السوح السودانية، وفى الفكر الإسلامى. ويتعلق كذلك بأزمة الفكر الإسلامى والمفكرين الإسلاميين ومواقف بعضهم من الأستاذ محمود، لاسيما محمد أبو القاسم حاج حمد. ويتصل موضوع الفصل كذلك، ليس بالتعاطى الخفى من قبل المفكرين الإسلاميين مع أفكار الأستاذ محمود والاستفادة منها دون الإشارة لصاحبها؛ وإنما الانتحال والنهب Plagiarization لأفكار الأستاذ محمود. ويرتبط كذلك بمراجعة بعض المفكرين والمثقفين لمواقفهم العدائية من الأستاذ محمود وتلاميذه، واعتذار بعضهم لاسيما

(1) عبدالله النعيم، "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد فى القانون الإسلامى"، ترجمة وتحرير حيدر إبراهيم على، الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان، مرجع سابق، ص 35، 46.

رئيس القضاء السوداني الأسبق. لهذا، فإن موضوع هذا الفصل، يتطلب إعداد كتب وليس كتاباً واحداً، بيد أنى ونسبة لأهمية لفت الانتباه للموضوع برغم ضيق المساحة وكبر حجم هذا الكتاب، فإننى سأقدم إشارات مختصرة ومداخل مجملية ومقاربات أولية من خلال محاور تمثل رؤوس موضوعات، فى الوقت الذى يصلح كل محور منها ليكون كتاباً قائماً بذاته.

خلق الأستاذ محمود منذ عام 1951، العام الذى طرح فيه مشروعه "الفهم الجديد للإسلام"، تحدياً فكرياً غير مسبوق، وطرح دعوة إسلامية جديدة وأصيلية تنادى بالتطوير والتحرير والتغيير. كما خلق الأستاذ محمود مناخاً علمياً فى التفكير الإسلامى كان جديداً كلية على السودان والإسلام والعالم. كتب يورجن روجالسكى قائلاً: "فقد قام المفكر الصوفى محمود كزعيم وملهم للحركة الجمهورية بمحاولة تخليص الإسلام جذرياً من تقاليده الفقهية والتشريعية الرسمية، وانطلق من ضرورة فك الربط الدوغمائي بين السنة والشريعة. وفى إطار مفهوم التطور الذى يعتمد على التاريخ الإنسانى والوحى معاً، وتأتى السنة فى تسلسل الأخلاقية الفردية للشريعة. هذه الأخلاق أو التخلق يأتى عند طه ضمن الفردية المميزة وتدشين عمليات العلمنة والتحديث⁽¹⁾. قدم الأستاذ محمود نموذجاً جديداً لداعية التطوير والتحرير والتغيير من داخل الدين الإسلامى، ليس باعتباره رجل دين، فلا ينبغى أن يكون هناك رجل دين أو امرأة دين؛ وإنما باعتباره صاحب فهم جديد للإسلام يقوم على العلمية والعملية والأخلاق، ولم يكن فقيهاً أو شيخاً منقطعاً للعبادة أو واعظاً على منابر المساجد أو خطيباً فى المناسبات الدينية. يقول حيدر إبراهيم على: "لم تكن غاية الدين عند الأستاذ محمود "أن تحفوا شواربكم" بل الحرية التى تجعل الإنسان يفكر كما يريد ويقول كما يفكر ويعمل كما يقول ثم لا تكون ممارسته لكل ذلك إلا خيراً وبركة وبرا بالناس... قارب الأستاذ محمود بين داخله وخارجه ولم يتناف فكره مع قوله ولا قوله مع فعله، عكس الظلاميين تماماً الذين يقولون مالا يفعلون"⁽²⁾. طرح الأستاذ محمود مشروعه مستخدماً أدوات المثقف وموظفاً الحدائث، وباعثاً بها من داخل الإسلام، مبيناً بأن لا تعارض

(1) يورجن روجالسكى، "الإخوان الجمهوريون فى السودان"، (جزء من رسالة ماجستير وردت الإشارة إليه فى الفصل الثالث)، ترجمة وتحرير حيدر إبراهيم على، الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان، مرجع سابق، ص 46، 87.

(2) حيدر إبراهيم على، "تقديم"، الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان، مرجع سابق، ص 6-7.

بين الإسلام والحدائنة، يقول إبراهيم محمد زين: "إن أهم ما قدمه محمود محمد طه هو أنه لا تعارض بين الحدائنة والإسلام، بل قدم محمود الحدائنة من داخل الإسلام برؤية عرفانية. إن أفكار الأستاذ محمود لا تجد نقداً في الغرب لأنها قدمت الحدائنة بقراءة عرفانية للإسلام، وربما لا تجد العرفانية اعترافاً في الغرب، لأن الحدائنة في الغرب موعلة في العقلانية⁽¹⁾."

بعض الملامح لتأثير الأستاذ محمود في المفكرين الإسلاميين

الكثير من الناس تأثر بالأستاذ محمود، فلتنظر إلى الأفكار الجديدة للصادق المهدي وللترايبى ولينظروا إلى أفكار الأستاذ محمود لنرى مدى التأثير⁽²⁾.

منصور خالد

إن الدارس لمشروع الأستاذ محمود بالمقارنة مع الواقع المعاصر، يدرك أن الكثير من أفكار الأستاذ محمود غدت مطلباً واقعياً. ويدرك كذلك بأنه كلما ابتعد الناس زمانياً عن يوم 18 يناير 1985، يوم تنفيذ الإعدام، فإن صورة الأستاذ محمود وسيرته في حالة بعث وإعادة توصيف، وأن التعاطي مع مشروعه أصبح يختلف كلية على ما كان عليه الأمر في النصف الثاني من القرن العشرين (1951-1985). الأمر الذي يجعل النسيان مستحيلاً بل يؤكد قوة التأثير واستمراره وتوسعه. طرح عبدالله النعيم سؤالاً مركزياً، وأجاب عنه بما يعتقد، كتب عبدالله قائلاً: هل من الممكن أن يُنسى عمل الأستاذ محمود تماماً خلال سنوات قليلة دون أن يكون له أثره الدائم؟ لا أعتقد ذلك، فمهما يقول المسلمون عن إجاباته، فهو بالتأكيد قد طرح أسئلة أساسية ودقيقة. وأرى أن مقارنته أو مدخله العقلاني والعلمي في جوهره سيعطى الباحثين والمفكرين الإسلاميين الآخرين نموذجاً جيداً. والأهم من ذلك مثاله الشخصي في الالتزام والشجاعة. فقد كرس حياته لأفكاره في إنكار ذات وتجرد وتصميم طوال أربعين عاماً، وكان سلوكه وغط حياته اليومية انجازاً غير عادى لإعطاء مثال لشخص يعيش حسب قناعاته ومن أجلها فقط، ناهيك عن أن يستشهد في

(1) إبراهيم محمد زين، "حوار تلفزيوني"، (برنامج مراجعات)، تقديم الطاهر حسن التوم، قناة النيل الأزرق، الخرطوم، 2011/6/6، الساعة 22:40.

(2) منصور خالد، "حوار تلفزيوني"، (برنامج مراجعات، حلقة مُعادة)، تقديم الطاهر حسن التوم، تلفزيون النيل الأزرق، الساعة 22:35، 2009/4/6.

سبيلها، هذا مثال ملهم للبشرية وليس فقط للمسلمين⁽¹⁾. لا ريب أنه ومع تفاقم أزمة الفهم القديم للإسلام وتمدده، فسيأتي اليوم الذى يلتفت العالم وليس المسلمون فحسب، إلى الأستاذ محمود، ذلك لأن الإسلام وفقاً لأطروحات اليوم، وبما تنطوى عليه من فهم متخلف، يعنى غير المسلمين فى المقام الأول، ذلك لحاجتهم للسلام والتعايش والتى تتطلب قراءة جديدة للإسلام. وهذا ما قدمه الأستاذ محمود. يقول سمير أمين: "إن المحاولة الوحيدة لقراءة الإسلام فى اتجاه التحرر كانت تلك الخاصة بالمفكر الإسلامى السودانى محمود طه. ولم تحاول أية حركة إسلامية، لا "راديكالية" ولا "معتدلة" أن تتبنى أفكار محمود طه الذى أعده نظام النميرى فى الخرطوم بعد اتهامه بالردة. كذلك لم يدافع عنه أى من المثقفين الذين ينادون "بالنهضة الإسلامية" أو الذين يعبرون عن الرغبة فى التحوار مع هذه الحركات"⁽²⁾.

لم تقف القراءة الجديدة للإسلام عند الأستاذ محمود فى حدود الطرح النظرى وأصالته؛ وإنما تعدته إلى مختلف المجالات، كتب عبدالله بولا: قائلاً: "إن مساهمة الأستاذ محمود محمد طه لم تقف بأصالتها عند حدود التجديد النظرى بل امتدت إلى كافة مجالات العمل الحركى السياسى والتربوى المنظم"⁽³⁾. وأضاف بولا قائلاً: "فقد كان تنظيم "الإخوان الجمهوريين" نموذجاً ممتازاً للجماعة الملتزمة المنضبطة النشطة. وكانت حلقات حوارهم التعليمية "ندوة الخميس" ومؤتمراتهم "أركان النقاش فى الشوارع والمؤسسات التعليمية (وهى تقليد ابتدعه ثم انتشر عنهم فى الحركة الفكرية والسياسية فى السودان) صوراً حية للممارسة الديمقراطية الراشدة. (تشرف كاتب هذه السطور [أى عبدالله بولا] بحضور الكثير منها)". ساهم الأستاذ محمود وتلاميذه مساهمة قوية فى دفع الحياة السودانية فى مختلف المجالات السياسية والفكرية والسياسية والاجتماعية... إلخ. يقول علم الدين عمر: الفكر الجمهورى الذى قام بصياغة مفاهيمه ومقولاته الإسلامية المفكر السودانى محمود محمد طه فى الأربعينات، قد لعب دوراً فى واقع الساحة السياسية

(1) عبدالله النعم، "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد فى القانون الإسلامى"، مرجع سابق، ص 45-46.

(2) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، ترجمة فهيمة شرف الدين وسناء أبو شقرا، دار الفارابى، بيروت، ط1، 2003، ص 253-254.

(3) عبدالله بولا، مرجع سابق.

والثقافية في السودان⁽¹⁾.

قابل التغيب لمشروع الأستاذ محمود في ردهات مؤسسات التنوير الأكاديمية وغير الأكاديمية وفي الشارع، حضور قوى للأستاذ محمود في الكثير من أطروحات المفكرين الإسلاميين ومساهماتهم. كانت أفكار الأستاذ محمود حاضرة عندهم دون إعلان عنها، وكان تأثيره واضحاً في أطروحاتهم، برغم سكوتهم عن ذكر اسمه وإغفال الإشارة إليه، كما جاء في قول منصور خالد وأشارتة إلى الصادق المهدي وحسن الترابي. وسيرد الحديث عن محمد أبو القاسم حاج حمد في المحور التالي باعتباره أحد أوضح نماذج هؤلاء المفكرين الذين استفادوا من الأستاذ محمود وسكتوا عن الإشارة إليه في المتن أو في ثبث المصادر والمراجع. الشاهد أن أثر الأستاذ محمود واضح في كتابات العديد من المفكرين، وقد تقفى البعض أثره سواء في قضايا التشريع الإسلامي أو المرأة أو الفنون... إلخ. خاصة وأن الأستاذ محمود طرح آراء جديدة وجريئة في كل مجال من هذه المجالات. وعن تطوير التشريع كما جاء به الأستاذ محمود كتب أحمد عثمان عمر في كتابه: أثر التشريعات الإسلامية في النظام القانوني السوداني (دراسة تحليلية)⁽²⁾، واصفاً تطوير التشريع الذي أتى به الأستاذ محمود بالفهم الانقلابي، كتب أحمد قائلاً: "ويجدر بنا أن ننوه إلى أن هذا الفهم الانقلابي غير مقبول بالنسبة للأغلبية الساحقة من المسلمين بالرغم من أنه الوسيلة الوحيدة التي تجعل من صياغة دستور أمراً حيويًا وتسمح بوجود ضمانات دستورية القوانين حتى يصح القول بوجود دولة تقوم على سيادة حكم القانون وبالتبعية وجود نظام قانوني.

أما في موضوع المرأة فقد أحدث الأستاذ محمود ثورة في تحرير المرأة غير مسبوقة، سواء من حيث مساواتها مع الرجل والحقوق وموقف التشريعات الإسلامية منها أو من حيث مبدأ خروجها وقيامها بدورها وهي شريكة مع الرجل في الخدمات التنويرية

(1) علم الدين عمر، "الفكر الجمهوري في السودان"، الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان، مرجع سابق، ص 47.

(2) أحمد عثمان عمر، أثر التشريعات الإسلامية في النظام القانوني السوداني (دراسة تحليلية)، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة، 2006، ص 50-51.

والواجبات التنموية والتغيير. كتبت بثينة تروس (بثينة عمر على أحمد)⁽¹⁾ قائلة:

أما نحن الأخوات الجمهوريات تلميذات الأستاذ محمود، فقد تزوجنا بجنيه سودانى واحد على كتاب الله وسنة رسوله، واستبدلنا مهرنا المادى بمقابل كرامتنا، اذ نحن شركاء لأزواجنا فى علاقة متكافئه، متساوين فى الحقوق والواجبات، قال تعالى: (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف.. وللرجال عليهن درجة).. ومن الشريعة الإسلامية السمحاء كانت العصمة لنا حقاً كما هى حق لأزواجنا.. ومن ثم نفوض فى أمر طلاقنا ولا يتم تطليقنا بواسطة البريد أو غاييباً أو نطلب فى بيوت الطاعة، كما يحدث فى الغالب بين المسلمين اليوم ومن دون سبب شرعى مقبول يحفظ للمرأة كرامتها وعزتها⁽²⁾.

من المهم الإشارة إلى مواقف المثقفين المصريين، بحكم خصوصية العلاقة بين السودان ومصر، وفى مقابل مواقف شيوخ الأزهر. لقد كان مواقف المثقفين المصريين من غير شيوخ الأزهر، تجاه الأستاذ محمود بصورة عامة متفاوتاً، فهناك من احتفى بالأستاذ محمود وبمشروعه كما الحال بالنسبة لسمير أمين، وفتحى رضوان، وحسين أحمد أمين ومحمد المسمارى ورفعت سيد أحمد وغيرهم، فقد وسم بعضهم مشروع الأستاذ محمود بالتميز والتفرد وكذلك مواقفه، وقد وردت الإشارة فى الفصول السابقة لبعض إسهاماتهم وأقوالهم فمنهم من دافع ومنهم من ألف الكتاب ومنهم من كتب المقال فى مناصرة ومؤازرة الأستاذ محمود. بينما كان هناك من المثقفين المصريين من هو على النقيض تماماً من هذه المواقف، ومن هؤلاء كان الكاتب صلاح منتصر. كتب صلاح منتصر بعد أسبوعين من تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود مقالاً بعنوان: "الطيب الذى شفقوه"⁽³⁾، وقد ثبت الشيخ محمد نجيب المطيعى مقال صلاح منتصر فى كتابه:

(1) كان مقال بثينة رداً على مقال جاء بعنوان: "شاهد على ردة محمود محمد طه"، ونشر بجريدة الإنتباهة بتاريخ الأحد 17 فبراير 2013.

(2) بثينة تروس، "المنافخ بشهادة (كل) الأحكام الجديدة!! يدلى بدلوه فى مرفوع الهامة، مستقبل الموت بالإنسانة: الأستاذ محمود محمد طه"، (مقال بتاريخ 20 فبراير 2013)، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 28 فبراير 2013.

(3) صلاح منتصر، "الطيب الذى شفقوه"، صحيفة الأهرام، 1985/2/2.

حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة، مستشهداً به⁽¹⁾. كتب صلاح منتصر قائلاً: "ولهذا كانت فرحتي الشديدة بإحدى الصحف العربية التي تصدر عن بلد يعتبر محايداً بالنسبة للسودان لكن مسؤولياته تجاه الإسلام كبيرة، وقد نشرت الصحيفة على امتداد أربعة أيام متتالية النص الكامل لحيثيات الحكم ضد محمود طه وجميع أقوال زملائه الأربعة الذين أعلنوا توبتهم". وأستشهد صلاح منتصر بفتوى مجمع البحوث الإسلامية في مصر، فكتب صلاح قائلاً: "والرجل لم ينكر أفكاره بل سجلها في كتب سبق لمجمع البحوث الإسلامية في مصر تكفيره عليها ومطالبة السودان بعدم السكوت على صاحبها، بل غير ذلك سبق أن صدر عليه حكم المحكمة الشرعية السودانية عام 68، قبل تولى نيمري رئاسة السودان، باعتباره مرتدًا". ثم أضاف قائلاً: "ومع ذلك يقولون أنه طيب، وأنه داعية (إسلامي) مخلص. ويتزاحمون في البكاء عليه".

بالإضافة إلى هذه النماذج من المثقفين المصريين، فقد كان النموذج الذي تجاهل الأستاذ محمود، وهناك غוזج المثقفين الذين اقتبسوا وأخذوا من الأستاذ محمود دون الإشارة إليه، كما هو الحال بالنسبة لبعض المثقفين والمفكرين الإسلاميين السودانيين. يقول أحمد مصطفى الحسين: والحق يقال أن المثقفين المصريين لم يتجاهلوا كلهم، بدرجة واحدة، الفكرة الجمهورية، وإنما اقتبس بعضهم منهجها وبعض أفكارها بشكل محرف وطوعها لإطاره الفكري، دون أن يوثق اقتباسه بالصورة العلمية التي ترضيها المنهجية العلمية، وبنى عليها شهرة عالمية ومحلية معتبرة. وقد ظهرت نتيجة لهذا الاقتباس مدرسة علمانية إسلامية جديدة يمكن أن نسميها في هذا المقال "مدرسة المعتزلة الجدد"، وذلك لأنهم استخدموا منطق الفكرة الجمهورية الديني ومنطقها العلمي لدعم آرائهم حول إعادة فهم النصوص القرآنية بصورة يحكم فيها العقل في فهم النص، كما فعل أسلافهم من المعتزلة. ومن أمثال هؤلاء الأستاذ خليل عبد الكريم، والدكتور نصر حامد أبو زيد، والأستاذ محمد سعيد العشماوي وغيرهم⁽²⁾.

(1) أورد الشيخ محمد نجيب المطيعي مقال صلاح منتصر كاملاً في كتابه: حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة

الكاذبة، مرجع سابق، ص 283-284.

(2) أحمد مصطفى الحسين، "المثقفون: الصديقية واللهية والأستاذ محمود محمد طه"، مرجع سابق.

التراجع والمراجعة للمواقف لدى بعض المفكرين والمثقفين

من المعلوم أن مواقف الأستاذ محمود ظلت ثابتة، لم يغيرها ولم يبدلها منذ محكمة الردة الأولى 18 نوفمبر عام 1968، وحتى لحظة تنفيذ حكم الإعدام يوم 18 يناير 1985، وقد ظلت تلك الآراء موثقة بالكلمة المكتوبة والمسموعة وبالمواقف وفى صدور تلاميذه وتلميذاته. فهل تغيرت صورة الأستاذ محمود عما كانت عليه أيام حكم الردة فى أعين المثقفين والشارع؟ هل تغير الواقع؟ هل تغيرت مواقف المثقفين تجاه الأستاذ محمود، خاصة أولئك الذين ساهموا أو اشتركوا فى اغتياله؟ هل هناك من اعترف أو اعتذر للأستاذ محمود أو لتلاميذه؟ هل هناك موجة اعتذارات واعترافات قادمة؟ الإجابة عن كل هذه الأسئلة فى تقديرى، نعم. فمع مرور كل يوم يتم إعادة صورة الأستاذ محمود فى المخيلة. لقد تغير الواقع، واتضح صحة آراء الأستاذ محمود ومواقفه ولا تزال فى مزيد من الوضوح، وقد وردت الإشارة لذلك آنفاً. كذلك لقد تغيرت مواقف البعض تجاه الأستاذ محمود، وبدأت الاعتذارات والاعترافات، وفى يقينى بأنه سيأتى اليوم الذى تتسع فيه دائرة هذه الاعتذارات والاعترافات، وسيأتى اليوم الذى تعتذر فيه الدولة السودانية للأستاذ محمود ولتلاميذه ولشعوب السودان والإسلام وللإنسانية جمعاء.

استيقاظ الضمير تمكين للمعانى الإنسانية على الأرض

تسجيل المواقف الإنسانية تطهير لوجه الحياة وضخ للقيم النبيلة

اعتذار رئيس القضاء الأسبق مولانا خلف الله الرشيد⁽¹⁾

كان أوضح اعتذار للأستاذ محمود وتلاميذه، برغم أنه لم يكن معلناً، حتى اليوم قد صدر من مولانا خلف الله الرشيد (1930-2012)، رئيس القضاء خلال الفترة من 1976 وحتى 1982. لقد خاض الإخوان الجمهوريون سجلاً طويلاً ومعارك عديدة مع رئيس

(1) ولد فى مقاشى ريفى مرقى. تخرج فى الحقوق من كلية الخرطوم الجامعية عام 1955، ونال ماجستير القانون من جامعة كامبردج عام 1966. عمل بالسلك القضائى إلى أن أصبح محامياً عاماً بديوان النائب العام عام 1973. وأصبح رئيساً للمحكمة العليا عام 1973، ثم رئيساً للقضاء منذ 1976، حتى تقاعده عام 1982. التحق بعد تقاعده أستاذاً غير متفرغ بجامعة الخرطوم. المصدر: عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، ج2، مرجع سابق، ص766.

القضاء مولانا خلف الله الرشيد. وكلها كانت معارك في سبيل انتزاع حقوقهم في حرية التعبير والفكر ورد المظالم من ما وقع عليهم من تضليل وتشويه لمشروع أستاذهم الأستاذ محمود وسيرته. ودون الدخول في تفاصيل تلك المواقف فهي مواقف كثيرة، وجلها موثق ونشره الإخوان الجمهوريون كمعادتهم في توثيق المواقف، في العديد من الكتب والمناشير، منها: خلف الله الرشيد وقامة رئيس القضاء⁽¹⁾، لا!! يا رئيس القضاء!!⁽²⁾، أبعدوا رئيس القضاء!!⁽³⁾.

وغيرها. ظل خلف الله الرشيد في موقف عدائي من الأستاذ محمود والإخوان الجمهوريين وهو رئيس للقضاء، حتى استيقظ ضميره وقرر الاعتذار للإخوان الجمهوريين قبيل انتقاله للدار الآخرة. حدثني الهادي نصر الدين فضل الجليل قائلاً: "أبلغني مولانا خلف الله الرشيد عن رغبته في الاعتذار لتلاميذ الأستاذ محمود، الإخوان الجمهوريين، وطلب مني أن أخبرهم بذلك". وأضاف الهادي قائلاً: أول من قابلت من الإخوان الجمهوريين، بعد حديث مولانا خلف الله الرشيد معي، كان هو عبدالله فضل الله. نقلت له ما قاله لي مولانا خلف الله الرشيد عن رغبته في الاعتذار للإخوان الجمهوريين. فرد على الأخ عبدالله فضل الله، قائلاً: "الإخوان الجمهوريون لا يحتاجون لاعتذاره، فالذي يحتاج لاعتذاره هو الشعب السوداني، فلو عمل هذا، واعتذر للشعب السوداني يكون أفضل"⁽⁴⁾. قال الهادي: بعد هذا الحديث لم تمض سوى فترة قصيرة وتوفي خلف الله الرشيد فقد كان مريضاً⁽⁵⁾.

كان مولانا خلف الله الرشيد قبل وفاته قد تحدث ضمن حوار صحفي معه عن محكمة الردة قائلاً: "محمود محمد طه حوكم وأُعدم (رجالة ساكت في هيصبة وجوطة) [هكذا في المصدر]، وهذا ما قالت به محكمة الاستئناف بعد الانتفاضة، إن محمود حوكم بمادة غير موجودة في القانون، وهي مادة الردة، وكما ذكرت لك أن حد الردة والبغى رُفُض

(1) الإخوان الجمهوريون، خلف الله الرشيد وقامة رئيس القضاء، أمدردمان، 1978.

(2) الإخوان الجمهوريون، لا!! يا رئيس القضاء!!، أمدردمان، 1978.

(3) الإخوان الجمهوريون، أبعدوا رئيس القضاء!!، أمدردمان، 1981.

(4) عبدالله فضل الله، مقابلة بالهاتف، عبدالله فضل الله في الخرطوم، والمؤلف في الدوحة، 12 مايو 2013، الساعة 11:30 صباحاً.

(5) الهادي نصر الدين فضل الجليل، مقابلة بمنزله بمدينة أمدردمان، بتاريخ 28 يوليو 2012، الساعة 12:10 - 15:20.

تضمنيهما فى قانون (1983) لعدم اتفاق الفقهاء حولهما، ثانياً خوفاً من استغلالهما سياسياً، لذلك محمود محمد طه عندما حوكم بالردة لم تكن مضمّنة فى القانون وأدخلت فى تعديلات سنة (1991) وحتى اليوم محمود لم توجّه له تهمة ردة، وهذا ما بنيت عليه نقدى للحكم وقتها⁽¹⁾. وأضاف خلف الله الرشيد فى نفس الحوار وهو يتحدث عن المحكمة قائلاً: "بنت حكمها على تهمة وُجّهت إلى محمود فى الستينيات بالردة، بسبب خلاف بينه وبين بعض العلماء، رفعوا ضده دعوى فى المحكمة الشرعية، ونظر القضية الشيخ توفيق أحمد صديق، وهو قاض شرعى ممتاز، وقال إن كلام محمود (ده كلام ردة)، واكتفى بإعلانه مرتداً دون عقوبة". ثم بين السبب قائلاً: "لأن المحكمة الشرعية ليست مختصة بالدخول فى أمور غير الأحوال الشخصية، لذلك ليست لها صلاحيات إصدار عقوبة، وأصبح حكمها تقريرياً، و(الحكاية انتهت على كده)، مجادلة علماء فى ما بينهم". ثم لفت الانتباه إلى كيف أن المحكمة فى يناير 1985 استدعت حكم الردة عام 1968، يقول خلف الله الرشيد: "وللأسف محكمة الاستئناف (مشت جابت) حكم شيخ توفيق هذا وعلى أساسه حكمت على محمود وجماعته بالردة لأنهم رفضوا الإجابة عن تهمة إثارة الكراهية، لذلك قاموا حوّلوا إلى ردة، وطبعاً كلها أحكام غير مبنية على أساس صحيح و(غلط)"⁽²⁾.

نمو الحس العدى وفتح الملفات الموصدة وأوانى الحصار بالعلم والأخلاق

نموذج: النيل أبوقرون

لا تحسبن الكيد لهذه الأمة مأمون العواقب، كلا!! فلتشهدن يوماً تحجب لبهته
سؤاله أسلات الألسن، يوماً يرجف كل قلب، ويرعد كل فريضة⁽³⁾.

محمود محمد طه

(1) خلف الله الرشيد، "مولانا خلف الله الرشيد فى مراجعة قانونية ودستورية مع الأهرام اليوم (2-2)"، (حوار)، أجرى الحوار الطبيب محمد خير، صحيفة الأهرام اليوم، الحلقة الثانية، الأحد 19 ديسمبر 2010. كانت الحلقة الأولى قد نُشرت فى يوم السبت 18 ديسمبر 2010، الخرطوم.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، "هذا نذير من النذر الأولى"، (منشور)، مصدر سابق. يمكن الاطلاع على نص المنشور كاملاً فى الفصل الرابع من هذا الكتاب.

أمام نمو الوعي وتطور الحس العدلي وقدرة الأجيال الجديدة على التعلم الذاتي وامتلاكهم لأدوات قراءة الأحداث والوقائع والكشف عن المواقف وإجراء المراجعات، أمام هذه المعطيات ليس في مقدور أولئك الذى كانوا طرفاً إلا أن يعترفوا ويعتذروا. فإن لم يفعلوا تفضحهم مواقفهم المتأرجحة وتعريضهم مفارقات أقوالهم والتناقضات بين ما كتبوه بأيديهم يوم الأمس وما يقولونه اليوم. ففى مفارقة لا يحتاج رصدها أو الوقوف عليها كبير عناء، يجيء مولانا النيل أبو قرون، وهو الذى كتب فى رسالته للرئيس نميرى فى يوم السبت الموافق 1984/12/29، كما ورد آنفاً، قائلاً: "المنشور المرفق وزعه الجمهوريون وقد قبض على ستة منهم وتم التحقيق معهم وسوف يقدمون للمحاكم وبهذا فقد أتاحوا لنا فرصة تاريخية لمحاكمتهم. وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. ولا شك أنها بداية لمسيرة ظافرة بإذن الله يتساقط دون هدفها كل مندس باسم الدين وكل خوان كتوم ولله الأمر من قبل ومن بعد". (أنظر ملحق رقم: "48" وملحق رقم: "49")، جاء مولانا النيل أبو قرون بعد هذه الرسالة وبعد المهادنات التى كشف عنها رجلا الأمن فى شهادتهما التى أوردتها فى الفصل الثانى عشر من هذا الكتاب، جاء فى عام 2010 ليقول: "بكل أمانة محاكمة الجمهوريين بدأت بمنشور معارض للشريعة، ونحن كنا نرى أن يوقف ذلك التيار المضاد حتى تستمر الشريعة، لكن المحاكم ذهبت فى اتجاه آخر وهو الردة وهو اتجاه مغاير كان ممكن محاكمة المنشور بوقف الهجمة المضادة للشريعة فقط... ولكن الحكم ذهب فى اتجاه الردة وجاءت المحكمة الدستورية متأخرة بعد التنفيذ ونقضته"⁽¹⁾. هذا حديث لأبى قرون إذا ما قرأ مقارنة بما كتبه فى رسالته تلك للرئيس نميرى، لا تكون عنده فرصة سوى أن يقف موقفاً شجاعاً ليعترف ويعتذر للتاريخ ومن أجل المساهمة فى إحياء القيم الإنسانية والفضائل النبيلة.

الشاهد أن نمو الحس العدلي فى توسع واستمرار كما أن الوعي كذلك فى تطور وتوسع واستمرار، وهذا يشير بأن هناك حصاراً قادماً للمواقف اللا أخلاقية، وهناك فتح للملفات قادم وبعث للسجلات القضائية والمواقف الإنسانية. وفى تقديرى أن فتح الملفات

(1) النيل أبو قرون، "الشيخ النيل أبو قرون يخرج عن صمته ويروى شهادته للتاريخ"، (حوار)، صحيفة الأهرام اليوم، الجزء الأول، العدد 287، الأربعاء 6 أكتوبر 2010، الخرطوم.

وإعادة قراءتها شرط من شروط الدخول في المستقبل وشرط من شروط بناء الأمم ونهوضها.

نمو الوعي والرأى العام الجديد وبعث المعيار الأخلاقى وسجلات القادة والمفكرين تلوين المواقف لا يغير الوقائع ولا يزين وجه الحقائق ولا يصنع مفكراً أهل السودان واليتم الفكرى

ولكن من هو المفكر؟⁽¹⁾ هو ذلك الشخص الذى يرى حيثما لا يرى الآخرون،
والذى لا تقع عينه على خلاف ما تقع عليه الأعين، غير أنه يرى فيها ما لا يراه
بقية الناظرين⁽²⁾.

معاوية محمد نور (1909-1941)

يشهد السودان، ومختلف بقاع الأرض، رأياً عاماً جديداً، قوامه نمو الوعي وإعادة قراءة
التاريخ والمواقف والأحداث. وتطورت القراءة للأحداث فليست القراءات فى التزامها
بالأسس العلمية منعزلة عن المعيار الأخلاقى والتناول العقلانى، فقد ولى زمن التناول
العاطفى والهيمنة على الشعوب عبر الوصاية على العقول. إن التغير اليوم يحتاج الأفكار
والحياة وواقع الناس اجتياًحاً سريعاً ومتوسعاً، فالعالم اليوم فى تطور مستمر وسريع، وكما
وردت الإشارة آنفاً فإن الأستاذ محمود لم يغير مواقفه، ولم يتراجع عن آرائه سواء فى أيام
محكمة الردة الأولى عام 1968، أو محكمة الردة الثانية 1985 والتي تبعها تنفيذ الإعدام،
فهل ظل القادة والمفكرون الإسلاميون السودانيون عند مواقفهم وآرائهم من حكم الردة
الذى صدر فى حق الأستاذ محمود؟ هل تلونت المواقف مع تبدلات معطيات العصر؟
للإجابة على هذه التساؤلات سأقدم هنا جرداً مختصراً للآراء ومتساهلاً وبسيطاً للغاية،
بيد أنه فصيح تماماً وبلغ جداً بحيث لا يحتاج منى لتدخل أو تحليل. تقوم الفكرة على

(1) معاوية محمد نور، الأعمال الأدبية لمعاوية محمد نور: دراسات فى الأدب والنقد وقصص وخواطر، مرجع
سابق، ص 289-300.

(2) طرح معاوية محمد نور هذا السؤال فى مقال نشره فى 2 نوفمبر عام 1929، كما ورد فى هامش كتاب
الأعمال الكاملة. كانت إجابة معاوية ضمن مقاله والذى كان عبارة عن قراءته فى كتاب: فن التفكير، للكاتب
الفرنسى، أرنست دمت.

استعراض آراء السيد الصادق المهدي والشيخ حسن الترابي ومقارنة موقفهما من حكم الردة على الأستاذ محمود، ما بين الأمس واليوم. كيف كانت الآراء في عام 1968 حيث محكمة الردة الأولى، وفي عام 1985 حيث الردة الثانية وتنفيذ حكم الإعدام، وما هي عليه اليوم ونحن في القرن الحادي والعشرين.

١- السيد الصادق المهدي

في نوفمبر من عام 1968، علّق السيد الصادق المهدي على آراء الأستاذ محمود ومحكمة الردة الأولى، المحكمة المهزلة الجائرة التي حكمت على الأستاذ محمود برده عن الإسلام، علّق السيد الصادق المهدي على أفكار الأستاذ محمود رئيس الحزب الجمهوري، قائلاً: "إن أفكار رئيس الحزب الجمهوري خارجة عن نطاق الدين والشرعية الإسلامية وإن التفكك والانحراف الذي تعيشه بلادنا هو الذي سهل من قبل للدعوى الكفر والإلحاد أن تنفثي وإذا أردنا حقاً القضاء على الردة والإلحاد فيجب أن نسعى جميعاً لإقامة دولة الإسلام الصحيحة"^(١). وأضاف السيد الصادق المهدي وهو يعلق على آراء الأستاذ محمود: "إن الوضع الحالي كله خارج الشريعة الإسلامية وهذا ما مهد قبلاً لإعلان مثل هذه الأفكار والدعوى الغريبة دون أن تجد من يردعها"^(٢).

هذا ما كان عليه السيد الصادق في نوفمبر 1968، لنرى رأيه الآن في العقد الأول من هذا القرن، القرن الحادي والعشرين. ففى حوار أجراه طارق الجزولي رئيس تحرير صحيفة سودانيل الإلكترونية ومحمد عبد الحميد، طُرح السؤال التالي^(٣) على السيد الصادق المهدي:

ما هو رأيك في مسألة إعدام الأستاذ محمود من حيث أن المحكمة في مرحلة الاستئناف قد أصدرت حكماً على تهمة غير موجودة في القانون الجنائي وقتها (قوانين سبتمبر) ثم أن المحكمة العليا قد أبطلت ذلك الحكم ولم نسمع لك

(١) الصادق المهدي، "الصادق المهدي يعلق على آراء محمود محمد طه"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 931، الأحد 24 نوفمبر 1968، الخرطوم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) يبدو أن بعض الأسئلة كانت إسهامات من القراء، ذلك لأنني وجدت تحت هذا السؤال إشارة إلى صاحب السؤال وهو د. أسامة عثمان.

برأى فى مسألة الردة عموماً وردة الاستاذ محمود المزعومة على وجه خاص وما هو موقفك النهائى حول هذا الأمر؟ وهل تعتقد أن القوانين فى السودان ينبغى أن تشتمل على عقوبة لحد الردة المختلف عليه؟

أجاب السيد الصادق المهدي إجابة مطولة، نورد جزءاً منها. فقبل أن يتحدث عن الردة والإعدام، تحدث السيد الصادق عن فترة السجن عام 1983، وقال: "كنا فى السجن معاً كل بذبنة فى نظر نظام غيرى" وأضاف السيد الصادق المهدي قائلاً:

"أرسل لى غيرى شخص فى السجن وطلب منه أن أسمع رأى فى تطبيقه للشرعية وكان يأمل أن أتحدث بكلام يحاكمنى به فى هذه المحكمة لأنه كان مشغول بى وليس مشغولاً بمحمود محمد طه وهذا كله موثق ومكتوب، وكان ردى لهذا الشخص بأننى لن أقول رأى وأنا مسجون وانزعج غيرى لفشل خطته الرامية للتخلص منى، وقام بخطة أخرى وهى إطلاق سراحنا حتى نتكلم ونبدى رأينا فى تطبيقه للشرعية وأنا فهمت الهدف الذى من أجله أطلق سراحنا ولذلك وجهت جماعتنا بالسكوت عن هذا الموضوع ولكننى حرصت قبل خروجى من السجن بالتحدث مع إخواننا الجمهوريين وأوضح لهم بأن إطلاق سراحنا هو شرك ولا بد من الحذر حتى لا نقع فيه ولكن الإخوة الجمهوريين قالوا لى بأن النظام أدرك أنه على خطأ فى تطبيقه للقوانين التى أسموها شرعية إسلامية ولذلك أطلق سراحنا وسيطلب منا مساعدته للخروج من هذه الورطة، وهكذا اختلف تقييمنا للموقف، فبعد خروج محمود محمد طه قال حديثاً عارض فيه هذه القوانين وهذا الحديث أسس عليه نظام مايو تجريمه لمحمود محمد طه، ولم يستمع محمود محمد طه لنصيححتى ووقع فى الشرك.

ثم خلاص السيد الصادق المهدي فى إجابته قائلاً: "على كل حال أقول إن إعدام محمود محمد طه خطأ، وقد قمنا بإدانته فى وقته، وأنا أقول لا توجد عقوبة دنيوية فى الردة وهذا الكلام مكتوب فى كتابى بعنوان العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعى الإسلامى وقلت فيه بوضوح لا إعدام فى الردة فربنا سبحانه وتعالى تكلم كثيراً عن الردة ولكنه لم يربط بينها وبين أى عقوبة دنيوية، فأنا ضد الإجراء". وأضاف السيد الصادق

قائلاً: "وجعفر غيرى نفسه كان ندمان فى آخر أيامه لأنه شعر بخطئه فى إعدام محمود محمد طه لأنه كان يقصدنى أنا بهذا الشرك. وكان غيرى فى آخر أيامه مصاب بجنون العظمة وللأسف تنابلة السلطان كانوا مهووسين وهياؤا له بأنه أصبح يطير وأن الملائكة أصبحت تحفه وتجلس بجانبه، ووصل به الأمر أن جمع قادة القوات المسلحة وقال لهم بأنه بعد تطبيق الشريعة أصبح إماماً طاعته من طاعة الله وعصيانه من عصيان الله وهذا حديث تحدث به علناً، وكان على استعداد لسحق أى شخص يعارضه⁽¹⁾.

2- الشيخ حسن عبدالله الترابى

لم يتردد مستشار جعفر غيرى الشيخ حسن الترابى فى الاعتراف لإحدى الفضائيات، وهو فى موقع السلطة، بدوره فى الاتهام والإعدام. لكن من يقرأ كتاب الترابى "السياسة والحكم"، ويستمع لأحاديثه وتصريحاته، بعد الانقلاب عليه وسجنه، يلاحظ تغير الشيخ وتراجعته، ولم يبق ذلك الإخوانى المتشدد، المتعطش للسلطة وهلاك الخصماء. وهو يعلم، قبل غيره، أن إعدام خصمه كان إجراءً سياسياً ألبس ثوب الدين، لا يتعدى ما كان بين الإخوان المسلمين برئاسته وما بين الإخوان الجمهوريين برئاسة القتيل. وبطبيعة الحال، لا يؤخذ بتغير الترابى وانفتاحه الجديد من دون دفع دية المسؤولية، مهما كان حجمها، ولا أراما تتعدى نطق مفردة (اعتذر)⁽²⁾.

رشيد الخيون

كلما تقدمنا بالمسير فى المستقبل مبتعدين زمانياً عن يوم 18 يناير 1985، نكون فى واقع الأمر أكثر قرباً وجداناً وفكرياً ونسباً روحياً من المشنقة ويومها. حينها يصبح بعض الناس أكثر حرجاً وأشد خجلاً ومكابرة وأوضح تأرجحاً فى المواقف من الأستاذ محمود. خاصة أولئك المفكرين الذين يسعون للتوفيق بين ما يسمى بالأصالة والمعاصرة، وما بين الإسلام

(1) الصادق المهدي، "الصادق المهدي فى الجزء الثانى من حوار مع سودانيل"، حوار: طارق الجزولى ومحمد عبد الحميد، من سودانيل Sudanile، الصفحة الرئيسية، تاريخ البحث 28 فبراير 2010، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudanile.com>

(2) رشيد الخيون، "محمود طه.. تعاقب الأزمنة والحملات واحدة"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد: 9913، الأربعاء 19 ذو الحجة 1426هـ 18 يناير 2006.

والحدائنة والغرب وحقوق الإنسان. هنا لا نجد موقفاً أفصح وأبلغ من مواقف الشيخ الترابي المتلونة المتأرجحة من الأستاذ محمود.

آراء ومواقف مفكرى السودان وقادة الرأى العام ومنتجى المعارف فيه، مواقف متقلبة ومتأرجحة، فهم من جهة قادة ومفكرون يتودهم الواقع ولا يتودون الواقع. ومن جهة أخرى فإن مواقفهم وآراءهم لا تصمد أمام معايير اليوم ذات السمة العلمية وشروط الأخلاق. ففى بحر عقد الستينيات من القرن الماضى، عقد الكبوات الكبرى، وفى أيام حل الحزب الشيوعى السودانى، وطرد نوابه كما ورد آنفاً، كتب الترابي كتاباً، بعنوان: **أضواء على المشكلة الدستورية**. يقول عمر القرأى: كان الترابي فى كتابه يؤيد حل الحزب الشيوعى، ويدعم ذلك برؤية قانونية، وقد نشطت دوائر حزبية كثيرة فى توزيعه، والترويج له. ولما كان الترابي دكتوراً فى القانون الدستورى، لم يجرؤ أحد على مواجهة ما كتب، حتى أخرج الاستاذ محمود محمد طه كتاباً أسماه: **"زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان: 1- الثقافة الغربية 2- الإسلام"**⁽¹⁾. كتب الأستاذ محمود فى مقدمة الكتاب قائلاً: "بين أيدينا، الآن، كتاب أخرجه الدكتور حسن الترابي، باسم: **أضواء على المشكلة الدستورية**، وهو كتاب من حيث هو، لا قيمة له ولا خطر، لأنه متهافت، ولأنه سطحي، ولأنه ينضح بالغرض، ويتسم بقلّة الذكاء الفطرى. ولكن خطره إنما يجىء من مؤلفه، فإنه دكتور فى القانون الدستورى، وهو قد كان عميداً من عمداء كلية الحقوق السابقين، وهو زعيم جبهة الميثاق الإسلامى، وهو عضو فى الجمعية التأسيسية، وهو من مؤلفى الأزمة الدستورية، وهو مع ذلك من مستشارى مجلس السيادة، الذين على هدى نصيحتهم، يرمى لهذه الأزمة الدستورية العجيبة أن تحل"⁽²⁾. الشاهد أن ما جاء فى حديث الأستاذ محمود هذا يؤكد أن رسوب بعض المثقفين والمفكرين المتخصصين فى القانون فى مواقفهم من محكمة الردة الأولى والثانية كان أمراً واضحاً. فتد وردت الإشارة لعدد الوزراء القانونيين فى مجلس وزراء الحكومة التى عقدت فى عهدها محكمة الردة الأولى، والآن نقف أمام نموذج لمفكر وقائد متخصص فى القانون، لنجرى مقارنة بسيطة ومختصرة لمواقفه من الردة وتنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود.

(1) عمر القرأى، "محكمة الردة (1-3)، فى ذكراها المشؤومة الأربعين"، من موقع **الفكرة الجمهورية**، مقالات، استرجاع (Retrieved) 18 فبراير 2010، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org/article

(2) محمود محمد طه، **زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان: 1- الثقافة الغربية 2- الإسلام**، مصدر سابق، ص 2.

ففى يوم 29 نوفمبر عام 1968 كتب الشيخ حسن الترابى مقالاً بعنوان: "السياسة الصحيحة نحو محمود محمد طه وأضرابه"⁽¹⁾، ونشره بصحيفة أنباء السودان، كتب الترابى فى مقاله قائلاً: "إن أول عهدى بمحمود محمد طه يوم كنت طالباً فى مدرسة رفاعة الوسطى وقد جندنا محمود فى حملته ضد الإدارة فى قضية الخفاض الفرعونى المشهورة واندفعنا فى ثورتنا الشاذة واقتحمنا مركز الحصاصيصا مع طائفة من أهالى رفاعة وخربنا المراكز تخريباً وعدنا بعد انتزاع الداية السجينة من السلطات ثم تعرضت رفاعة لإجراءات تأديبية بقوة من الجيش وراح محمود إلى السجن حيث استطاع فى حرية تامة من أى توجيه أو تقويم أن يطور تصورات الشاذة واتجاهاته الغربية لتصبح نظرية متكاملة ما أظن أنه باح للناس إلا ببعض أجزائها". وأضاف الترابى قائلاً: "إن الانحراف الفكرى لمحمود يوافق الاتجاه العام للحركات الشاذة فى تاريخ الفكر الإسلامى وحاضره فهى نزعة للانفاسخ من التزامات الدين وواجباته من الصلاة إلى الجهاد وهى جنوح لتحكيم الهوى وجعله فوق الرسالة بإنكار السنة والتصرف بالتفسيرات الذاتية فى آيات القرآن. وبها لا يعدو الدين أن يكون أداة لتسخير الأتباع لأهواء القائد وتقديسه بصورة عمياء كما نشاهد". وذهب الترابى بعيداً فى تحليلاته وهو يتحدث عن آراء الأستاذ محمود فى مقاله، إذ يقول:

وقد كانت مثل هذه الحركات فى اطار التقليد العام للمسلمين مثل الأفراد مختلى العقل فى المجتمع وكان مصيرها دائماً أن تنحصر الفتنة فى الأفراد الشاذ الذين يوافقون شذوذ المتزعم ثم تنقرض الفتنة ويبقى الفكر الإسلامى الصحيح. وقد كان موقفنا أن السياسة الصحيحة نحو محمود وأضرابه هى أن نضرب عنهم ولا نجعل منهم معركة انصرافية نشغل بها العاملين للإسلام عن أهدافهم الرئيسية فى تحكيم الإسلام لأن الانحرافات العقدية مثل الانحرافات السلوكية ما هى إلا مظاهر لعدم تحكيم الإسلام وما أدى إليه ذلك من جهل وضلال. ولأن التهاء المسلمين بأمثال محمود مما يعمل له أعداء الإسلام.

ثم تناول الترابى فى نفس المقال حكم المحكمة الشرعية الذى صدر يوم 18 نوفمبر 1968، بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وهى محكمة غير مختصة، وقد ورد آنفاً تفصيل ذلك فى

(1) حسن الترابى، "السياسة الصحيحة نحو محمود محمد طه"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 931، الجمعة 29 نوفمبر 1968.

الفصول الثامن والتاسع والعاشر، كتب الترابي في مقاله قائلاً: "أما حكم المحكمة الشرعية فقد اقتضاه اختصاص المحاكم بالأحوال الشخصية للمسلمين وضرورة الفصل في الصفة الدينية للمواطن لتبني على ذلك أوضاعه القانونية الشخصية وهو حكم قد صدر في إجراءات قضائية رسمية". وأضاف الترابي قائلاً: "ولعل ردة الفعل الهوجاء التي ظهرت من محمود خير دليل على أن الحكم قد كان له آثاره الفعالة في حصر المرض الذي يحاول محمود وأشياعه أن ينشروه. والذين تولوا مع محمود الحملة على القضاء الشرعي لا يقصدون أشخاص القضاة وإنما يهدف أغلبهم للنيل من الإسلام في كل مظهر من مظاهره بصورة منافقة ماكرة".

وفي عام 1988، بعد مضي ثلاثة أعوام من تنفيذ الإعدام على الأستاذ محمود، وبعد أقل من عامين من قرار المحكمة العليا - الدائرة الدستورية بإبطال الحكم، تحدث الترابي عن إعدام محمود قائلاً: "لا استشعر أى حسرة على مقتل محمود محمد طه. فلا أستطيع أن أنفك لحظة واحدة حتى أصدر حكماً بمعزل عن تدينى... وما دمت منفصلاً بدني فإني لا أستشعر أية حسرة على مقتل محمود... إن ردة أكبر من كل أنواع الردة التي عرفناها في الملل والنحل السابقة... ولم أتحسر أن ورطه الله سبحانه وتعالى في حفرة حفرها هو للناس... وعندما طبق نيمري الشريعة تصدى لمعارضته لأنه رأى عندئذ رجلاً دينياً يريد لأن يقوم بنبوة غير نبوته هو، وأكلته الغيرة فسفر بمعارضته... ولقي مصرعه غير مأسوف عليه البتة"⁽¹⁾.

وفي حوار مع آلان شوفاليرياس، والذي قامت نجاة محمد علي، باقتطاف الجزء المتعلق بالأستاذ محمود وترجمته⁽²⁾، وأشارت إلى أن الحوار نُشر في دورية فرنسية تصدرها

(1) حسن عبدالله الترابي، صحيفة الوطن، الخرطوم، 1988/4/30؛ محمد سعيد القدال، الإسلام والسياسة في السودان (1985-1965)، مرجع سابق، ص 228-229؛ ضمن سلسلة "بين زمتين"، (برنامج تلفزيوني بقناة أبو ظبي)، مرجع سابق.

(2) نجاة محمد علي، ضمن خيط: "ترجمة لتقديم سمير أمين للترجمة الفرنسية لكتاب "الرسالة الثانية"، من المنبر العام، موقع سودانيز أونلاين، تاريخ الاسترجاع (Retrieved) 26 أكتوبر 2004، الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.sudaneseonline.com>

المعلومات عن مصدر الحوار أوردها نجاة محمد علي باللغتين العربية والفرنسية: حسن الترابي، "حوار مع آلان شوفاليرياس"، الإسلام مستقبل العالم، دار جان كلود لاتيس للنشر، باريس، 1997.

Hassan Al- Tourabim, *Islam, Avenir du Monde*, Entretiens avec Alain Chevalérias, Ed. Jean Claude Lattès

مؤسسة "لوموند" الفرنسية، جاء في الحوار:

آلان شوفاليرياس: أمر النميري حينما كان في السلطة في بلادك بإعدام محمود محمد طه، وهو مواطن سوداني. ما هي المسؤوليات التي كنتم تضطلعون بها في ذلك الوقت؟
حسن الترابي: لم أكن أتقلد أى مسئوليات.

آلان شوفاليرياس: هل ساندتم قرار النميري، أم قمتم بحملة ضده؟
حسن الترابي: إن الخلاف الذى كان قائماً بين الرجلين يعود لأسباب سياسية.
آلان شوفاليرياس: الشىء المهم هو أن السلطة السودانية أمرت بشنقه بتهمة الزندقة. هل أعلنتم بنفسكم فى تلك الفترة، باسم حرية الفكر، اعتراضكم على إعدامه؟
حسن الترابي: لم يكن بمستطاع أحد تحت حكم النميري أن يعبر عن معارضته للسلطة. لقد عرفت محمود منذ زمن طويل. ولم أساند إعدامه، ولم أحضره. كل الناس فى السودان كانوا يعلمون إن القضية سياسية بحتة. فقد كان محمود محمد طه يسعى لتخريب النظام.

وحينما جاء عام 2009، كان الترابي فى شأن آخر من الردة وإعدام الأستاذ محمود، ينفذ الترابي يده بشدة من المشاركة فى محاكمة وإعدام الأستاذ محمود، كما أوردت **صحيفة الشرق الأوسط**، فقد قال: "أنا لم أقتل محمود ولا علاقة لى بإعدامه"⁽¹⁾. وعن الردة ذهب الترابي قائلاً، كما ورد فى موقع أهل القرآن، "الردة لا تعنى الكفر" ويصف الردة بأنها "العودة إلى الوراء فى أى شىء وليس خروجاً من الإسلام إلى الكفر"⁽²⁾.

الشاهد أن هذه النماذج، والتي جاء الحديث عنها مختصراً وكان الجرد لآرائها ومواقفها مجملاً ومتساهلاً، تعبر بجلاء عن محنة أهل السودان وأزمة الفكر الإسلامى. فهذا التبديل فى الآراء والتغيير فى المواقف يعبر فوق ضعف السقوف المعرفية، وحالة اليتيم

(1) "ندوة للترابى تحول إلى اشتباكات بالأيدى والكراسى.. وأخرى ترفض تكفير عثمان"، **صحيفة الشرق الأوسط**، العدد 11112، الجمعة 1 مايو 2009.

(2) حسن الترابي، "الفقه الإسلامى بين التقليد والتجديد"، (محاضرة)، الأسبوع الثقافى لكلية العلوم الرياضية، جامعة الخرطوم، يوم الثلاثاء 28 أبريل 2009، الخرطوم؛ "حسن الترابي: النبى عيسى مات فى اختفائه والردة لا تعنى الكفر"، من موقع **أهل القرآن**، استرجاع (Retrieved) 29 أبريل 2009، الموقع على الإنترنت: <http://www.ahl-alquran.com>

الفكرى التى تعيشها شعوب السودان والإسلام، عن التهرب من مواجهة المواقف تجاه الأستاذ محمود، والسعى لطمس الحقائق وتغييبها، بيد أن تطور الوعي ونمو الحس العدلى لدى الشعوب، صنع رأياً عاماً جديداً، أدنى مطالبه فتح الملفات الموصدة، وبعث المعايير الأخلاقية فى قراءة المواقف ودراسة الوقائع والأحداث، والمناداة بالحقوق التاريخية، ومحاصرة الأوصياء على العقول من قادة الشعوب ومفكرهم ومثقفهم.

الأستاذ محمود والمفكرون الإسلاميون

صاحب "العالمية الإسلامية الثانية" محمد أبو القاسم حاج حمد نموذجاً

إن أطروحة محمود محمد طه حاضرة فى نص العالمية الثانية، فقد أخذت منها كثيراً من المعالم، وتبنت بعض خلاصتها العلمية، ... لعل من خبر التراث الفكرى لمحمود محمد طه فى الرسالة الثانية، أو طريق محمد، أو نقد التفسير العصرى لمصطفى محمود، أو محاضراته عن الماركسية وغيرها من الرسائل يرى نقاط انصاف كثيرة، لكن ما عمله حاج حمد فى كتابه هو محاولة بيان نقاط الاختلاف الجوهرية بينه وبين محمود محمد طه، دون أن يعطيه ميزة الذكر بالاسم أو التنويه لمؤلفاته⁽¹⁾.

إبراهيم محمد زين

(1) إبراهيم محمد زين، "العالمية الثانية وإعادة قراءة التاريخ الدينى للإنسانية"، مجلة أفكار جديدة، هيئة الأعمال الفكرية، العدد الثامن عشر، مارس/ يونيو 2007، الخرطوم، الصفحات 55-79؛ كان إبراهيم محمد زين قد شارك بهذه الدراسة فى: الندوة العالمية حول فكر محمد أبو القاسم حاج حمد، التى نظمت وختمت أعمالها فى يوم الخميس 17 مايو من عام 2007، بفندق الهيلتون، الخرطوم، وشارك فيها نخبة من المفكرين العرب والأفارقة إلى جانب مفكرين ومختصين من السودان.

(2) وُلد الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد (1942-2004)، فى جزيرة "مقرات" فى أبو حمد. دَرَسَ الكُتَابَ والوسطى فى مدينة بورتسودان، وبعض الثانوية بمدينة عطبرة. طُرد مع آخرين من ثانوية عطبرة عام 1963 بسبب مظاهرة كانت ضد نظام الرئيس إبراهيم عبود (1900-1983)، وتأييداً لثورة الكنفو التى كان على رأسها لومبا. التحق حاج حمد بمدرسة "الأحفاد" بمدينة أمدرمان، وأكمل فيها سنة دراسية. ومنذ نهاية 1963 خرج عن الانتظام فى سلم التعليم النظامى وبدأ التثقيف الذاتى. انضم فى بواكير شبابه للثورة الإرتيرية عام 1963، والتحق بقيادة حزب الشعب الديمقراطى عام 1965، فتولى مسؤولية بعض الدوائر الانتخابية والحركة العمالية فى الحزب. كما انضم لمنظمات "الاشتراكيين العرب" عام 1966. تفرغ للثورة الإرتيرية. بعد استقلال إرتريا عام 1993 حظى بالجنسية الإرتيرية، وعُيِّن مستشاراً للشؤون الاستثمارية لدولة أرتريا. =

لم يكن محمد أبو القاسم حاج حمد⁽²⁾، صاحب **العالية الإسلامية الثانية**، الوحيد من بين المفكرين الإسلاميين في السودان أو خارجه، الذين نظروا في مشروع الأستاذ محمود واستفادوا من أفكاره، دون الاعتراف له بالفضل وثبتت الحق، لم يكن حاج حمد وحده في هذا، ولكنه كان أكثرهم اهتماماً عندى بشكل خاص، ويعود ذلك إلى أربعة أسباب هي:

أولاً: لقد أتاحت لي فرصة الاطلاع على معظم كتب الأستاذ محمد أبو القاسم، التي أصدرها قبل وفاته، وكذلك على عدد مقدر من دراساته ومقالاته، إلى جانب الكتب التي تم تحقيقها ونشرها بعد وفاته.

ثانياً: لقد التقيت بالأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد لأول مرة بفندق قصر الصداقة في الخرطوم في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي، بمعية صديقي الأستاذ أمير صديق، والمهندس عماد البليك. كنا وقتئذ طلاباً في الجامعات يشغلنا حوار متصل حول المثقف السوداني. عماد وشخصي طلاباً بجامعة الخرطوم، وكان أمير قد أنجز بكالوريوس اللغة الفرنسية بجامعة أمدرمان الإسلامية. تمحور الحديث في ذلك اللقاء بشأن حضور الأستاذ محمود في كتاب حاج حمد الموسوم بـ: **العالية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، ووضح الأستاذ محمود بين سطوره. تحدث الأستاذ محمد أبو القاسم حديثاً مطولاً عن ذلك، ولا أزال أحتفظ بشرط الكاسيت الذي سجلنا فيه ذلك اللقاء، وهو بحالة جيدة.

ثالثاً: بسبب ذلك الحوار مع حاج حمد ظللت متابعاً للندوات والدراسات النقدية حول مساهماته الفكرية، ومن ذلك كما سيرد لاحقاً، ندوة القاهرة مارس 1992، والتي واجه

= عمل خلال الفترة من 1975 وحتى 1986 بدولة الإمارات العربية المتحدة. عمل مديراً لتحرير صحيفة **الفجر** في أبو ظبي في الفترة من يوليو 1986 إلى إبريل 1987. ارتحل إلى قبرص في عام 1988 حيث أسس "دار الديونة" للنشر، ثم اختار مدينة بيروت مقراً لإقامته. عمل مستشاراً علمياً **للمعهد العالمي للفكر الإسلامي** بواشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة من 1990م إلى 1995. قاد في عام 1997 محاولات الوفاق بين السودان وإريتريا في إطار تطعله لكفندرالية القرن الإفريقي. كما سعى لإحداث وفاق سوداني-سوداني شامل، ودعا للوفاق الوطني. أسس الأستاذ محمد أبو القاسم في عام 1999 حزباً سياسياً في السودان واختار له اسم: **الحركة السودانية المركزية للبناء والوحدة (حسم)**، ضمن أحزاب التوالى، ثم ما لبث أن حل حزبه في عام 2001. جئت بهذا التعريف من مصدرين: الأول: من نص كتبه محمد أبو القاسم حاج حمد بنفسه كسيرة ذاتية، تضمن اسمه وتاريخ ميلاده ونشأته وتعليمه وتطور نشاطه السياسي وكتاباته. سلمني نسخة من هذا النص في منزلي في الدوحة، ولا أزال أحتفظ بتلك النسخة. أما المصدر الثاني: فهو الإشارات التي وردت عنه في كتبه.

فيها حاج حمد نقداً تركز في حضور الأستاذ محمود في "العالمية الثانية"، وندوة الخرطوم مايو 2007، إلى جانب بعض الدراسات والمقالات النقدية.

رابعاً: لم أكن الوحيد الذي وقف على حضور أفكار الأستاذ محمود في أطروحات محمد أبو القاسم حاج حمد، فهناك محمود شعراني، وهو من تلاميذ الأستاذ محمود، فهو من أوائل الذين قالوا بذلك وكتبوا عن ذلك وقد أشار حاج حمد إليه في كتاباته. وهناك مجموعة العلماء والمفكرين الذين شاركوا في ندوة القاهرة بمصر في مارس 1992 وقد أشار حاج حمد لما قالوه في الطبعة الأخيرة من كتابه، كما سترد الإشارة. وهناك كذلك إبراهيم محمد زين، والذي قدم أقوى الأدلة والبراهين على حضور الأستاذ محمود في أطروحات حاج حمد، كما لاحظ سكوت حاج حمد عن الإشارة للأستاذ محمود في ثبوت مصادره ومتن كتاباته، ونحت إبراهيم محمد زين في توصيف هذه الحالة ووسمها، بمصطلح "السكوت الاستراتيجي" عند حاج حامد عن الأستاذ محمود. إلى جانب أن هناك آخرين أشاروا لإعادة حاج حمد إنتاج الكثير من أفكار الأستاذ محمود.

إن موضوع الأستاذ محمود والأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد، موضوع كبير، ويحتاج بدوره ليس لكتاب قائم بذاته فحسب؛ وإنما لكتب. ذلك لأن التقاطع بين الأستاذ محمود والأستاذ محمد أبو القاسم كان على صعيدين، الصعيد الأول: هو الصعيد السياسي، ولهذا سأتناول الموقف السياسي للأستاذ أبو القاسم من الأستاذ محمود كما هو مثبت في كتاباته، وهو موقف شابه عداء شديد للأستاذ محمود. لا ينفصل الموقف السياسي لحاج حمد من الأستاذ محمود، عن موقفه منه على الصعيد الثاني وهو صعيد الفكر الإسلامي، بل إن الموقف السياسي يفسر الموقف الفكري. ولهذا، فإنني في هذا الفصل سأعالج الموضوع معالجة مجمله من خلال تقديم إضاءات ومداخل مختصرة ومقاربة أولية.

الإنتاج الفكري للأستاذ حاج حمد

تمحور الإنتاج الفكري للأستاذ حاج حمد في أربعة ميادين هي: السودان، الفكر الإسلامي، ودراسات عن إرتريا والقرن الإفريقي، والخليج العربي والعالم العربي.

ففى مجال الدراسات السودانية كان كتاب: **الوجود القومى**⁽¹⁾، من أوائل كتبه. كما نشر: **الثورة والثورة المضادة فى السودان**⁽²⁾. وصدر له كتاب: **نحو وفاق وطنى سودانى: رؤية استراتيجية**⁽³⁾، وغيرها. بينما كان كتابه العمدة فى الدراسات السودانية هو: **السودان: المازق التاريخى وآفاق المستقبل**، صدرت طبعته الأولى عام 1980 فى مجلد واحد وغطى الفترة من (700 ق.م. إلى عام 1980)⁽⁴⁾. ثم صدرت الطبعة الثانية فى مجلدين⁽⁵⁾، المجلد الأول: جدلية التركيب منذ 700 ق.م. وإلى 1980. والمجلد الثانى: من 1956 وإلى 1996، ويحتويان على 1375 صفحة. وغيرها. أما فى مجال الفكر الإسلامى فإن أهم ما كتبه هو كتاب: **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**⁽⁶⁾، الذى صدر فى طبعته الأولى عام 1979 فى مجلد واحد. ثم صدرت الطبعة الثانية عام 1996 فى مجلدين⁽⁷⁾ (1072 صفحة من القطع المتوسط)، ونشر كذلك دراسة بعنوان: "الأزمة الفكرية والحضارية للواقع العربى الراهن"⁽⁸⁾. وأصدر كتاب: **منهجية القرآن المعرفية: أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية**، وهو كتاب فرغ من تأليفه فى واشنطن عام 1991. وتبنى المعهد الإسلامى العالمى بواشنطن طباعته وتعميمه فى تداول محدود. كما صدر له كتاب: **أبستمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج**⁽⁹⁾، وغيرها. كما صدرت بعض الكتب بعد وفاته منها كتاب:

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، **الوجود القومى**، مطبعة الزمان، الخرطوم، 1964.

(2) محمد أبو القاسم حاج حمد، **الثورة والثورة المضادة فى السودان**، دار الطبيعة، بيروت، 1964.

(3) محمد أبو القاسم حاج حمد، **نحو وفاق وطنى سودانى: رؤية استراتيجية**، مركز الدراسات الاستراتيجية، بالخرطوم، 1998.

(4) محمد أبو القاسم حاج حمد، **السودان: المازق التاريخى وآفاق المستقبل**، دار الكلمة، بيروت، 1980.

(5) محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، جزر الهند الغربية البريطانية/ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

(6) ستكون الإشارة إليه لاحقاً بـ: **العالمية الثانية**.

(7) محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، مرجع سابق.

(8) محمد أبو القاسم حاج حمد، "الأزمة الفكرية والحضارية للواقع العربى الراهن"، (29 حلقة)، **صحيفة الخليج**، 11 فبراير 1987 - سبتمبر 1987.

(9) محمد أبو القاسم حاج حمد، **أبستمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج**، سلسلة فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهادى، بيروت، 2004.

الحاكمية⁽¹⁾، وجذور المازق الأصولي⁽²⁾، وغيرها. وفي مجال الدراسات عن إريتريا والقرن الإفريقي نشر حاج حمد عام 1968 دراسة بعنوان: "حتمية الثورة الشعبية المسلحة في أرتريا وطبيعتها"⁽³⁾، كما أصدر كتاباً بعنوان: الأبعاد الدولية لمعركة إرتريا⁽⁴⁾. ونشر دراسة عن "أزمة القرن الأفريقي وموقعه في استراتيجية العدو الصهيوني"⁽⁵⁾، كما نشر ورقة بعنوان: "إشكالية عدم الاستقرار في القرن الإفريقي"⁽⁶⁾، وغيرها. وفي مجال الدراسات عن الخليج العربي، نشر كتاب: السعودية: قدر المواجهة المصيرية وخصائص التكوين، لا حرب دون مصر، لا سلام دون سوريا، لا تطبيع دون السعودية⁽⁷⁾، وغيره.

حاج حمد ونهج السكوت الاستراتيجي⁽⁸⁾ عن الأستاذ محمود

برغم التغيب فإن فكر الأستاذ محمود، اتمسم بالأصالة والجددة، كما ورد آنفاً من الإشارات والشهادات لكثير من المثقفين والمفكرين السودانيين وغير السودانيين. إن التغيب لمشروع الأستاذ محمود، وهو تغيب إلى حين، عند عامة الناس ولدى الطلاب والباحثين في ردهات المؤسسات الأكاديمية والتنويرية، قابله حضور قوى لفكر الأستاذ

- (1) محمد أبو القاسم حاج حمد، الحاكمية، مراجعة وتحقيق محمد العاني، ط 1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، 2010.
- (2) محمد أبو القاسم حاج حمد، جذور المازق الأصولي، مراجعة وتحقيق محمد العاني، ط 1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، 2010.
- (3) محمد أبو القاسم حاج حمد، "حتمية الثورة الشعبية المسلحة في أرتريا وطبيعتها"، مجلة دراسات عربية، بيروت، سبتمبر 1968.
- (4) محمد أبو القاسم حاج حمد، الأبعاد الدولية لمعركة إرتريا، دار الطليعة، بيروت، 1974.
- (5) محمد أبو القاسم حاج حمد، "أزمة القرن الأفريقي وموقعه في استراتيجية العدو الصهيوني"، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، 25 مايو 1990.
- (6) محمد أبو القاسم حاج حمد، "إشكالية عدم الاستقرار في القرن الإفريقي"، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 27 أكتوبر 2004.
- (7) محمد أبو القاسم حاج حمد، السعودية: قدر المواجهة المصيرية وخصائص التكوين، لا حرب دون مصر، لا سلام دون سوريا، لا تطبيع دون السعودية، ط 1، المكتب العالمي للدراسات والأبحاث، بجزر الهند الغربية البريطانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت عام 1996.
- (8) تعبير "نهج السكوت الاستراتيجي" تعبير مستلف من إبراهيم محمد زين. فقد ورد التعبير ضمن دراسة أعدها إبراهيم عن محمد أبو القاسم حاج حمد كانت بعنوان: "العالية الثانية وإعادة قراءة التاريخ الديني للإنسانية"، سترد الإشارة إليها لاحقاً.

محمود فى الكثير من أطروحات المفكرين الإسلاميين ومساهماتهم. كانت أفكار الأستاذ محمود حاضرة عند المفكرين الإسلاميين وعند المشتغلين بالفكر الإسلامى دون الإعلان عن صاحب تلك الأفكار. الشاهد أن تأثير الأستاذ محمود كان واضحاً فى أطروحاتهم، برغم سكوتهم عن ذكره وإغفال الإشارة إليه، أما عند محمد أبو القاسم حاج حمد، فإن أثر الأستاذ محمود أشد وضوحاً. وعلى الرغم من ذلك الوضوح، فإن حاج حمد انتهج نهج السكوت الاستراتيجى عن ذكر الأستاذ محمود كما لاحظ ذلك إبراهيم محمد زين أيضاً. كان إبراهيم محمد زين قد أعد دراسة حول كتاب الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد: **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**. جاءت الدراسة بعنوان: "العالمية الثانية وإعادة قراءة التاريخ الدينى للإنسانية"⁽¹⁾. أشار إبراهيم فى دراسته إلى أن الأستاذ محمد أبو القاسم استفاد كثيراً من أفكار الأستاذ محمود، وتحدث عن الغرض الخفى لما أسماه بنهج السكوت الاستراتيجى كتب إبراهيم عن سكوت حاج حمد قائلاً: "ولعل فى ذلك غرض خفى تغاباه حاج حمد وتركه للقارئ الفطن ليفهم تلك السخرية والحدة فى التناول فى إطار ما أسميناه بالسكوت الاستراتيجى"⁽²⁾.

تحدث إبراهيم محمد الزين عن عدم رغبة حاج حمد فى الإشارة بالتعيين للأستاذ محمود محمد طه، كما أشار للتبرة العالية من السخرية لدى حاج حمد تجاه الأستاذ محمود. كتب إبراهيم محمد زين قائلاً: "وما من أحد يتابع المشهد السياسى والثقافى فى الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين إلا ويتعجب لذلك السكوت الاستراتيجى عن محاولات فكرية جريئة، وكان لها صدى واسعاً فى العالم العربى الإسلامى". وأشار إبراهيم محمد زين إلى المثال الأول للسكوت الاستراتيجى وهو سيد قطب، وكتب قائلاً: "أما المثال الثانى للسكوت الاستراتيجى، فهو يخص محمود محمد طه... على الرغم من أن الإشارات التى وردت فى حق محمود محمد طه تحتوى على نبرة عالية من السخرية وعدم الرغبة فى الإشارة بالتعيين"⁽³⁾. وخلص إبراهيم إلى أن حاج حمد: "قد استفاد كثيراً

(1) إبراهيم محمد زين، "العالمية الثانية وإعادة قراءة التاريخ الدينى للإنسانية"، مرجع سابق، ص 55-79.

(2) المرجع السابق، ص 70.

(3) المرجع السابق، ص 70.

من محمود محمد طه⁽¹⁾.

إن سكوت حاج حمد عن الأستاذ محمود ليس له سوى احتمالين، الاحتمال الأول أنه لم يطلع عليه، والاحتمال الثاني الغرض والتجاهل المتعمد. فالاحتمال الأول غير مقبول تماماً، وهذا تؤكد الشواهد، ويصبح الاحتمال الثاني هو الاحتمال الذي جعلنا نذهب به لحدود الطعن في عملية حاج حمد ومنهجه، هذا إذا ما تجاوزنا أمر الأخلاق، وليس هناك فرصة لباحث أن يتجاوز الأخلاق. وما يؤكد أن حاج حمد يعرف الأستاذ محمود عن ظهر قلب. الرد على الاتهامات التي قدمت له في ندوة القاهرة عام 1992⁽²⁾، والنقد الذي قدمه له محمود شعرائي، فقد كتب رداً على ما جاء في الندوة وعلى محمود شعرائي، وضمنه الطبعة الثانية من كتابه، كتاب **العالمية الثانية**، حينما صدر عام 1996. ففي رده هذا أستعرض بعض كتب الأستاذ محمود وأشار إليها وأورد نصوصاً كثيرة لتبرير موقفه والتدليل على أصالة آرائه.

في رده على الشبهات التي طرحتها ندوة القاهرة عام 1992، والشبهات التي طرحها باحثون آخرون قبل ندوة القاهرة وبعدها، ذهب بعضهم إلى القول بأن حاج حمد اقتبس حرفياً ونصياً من أفكار الأستاذ محمود. في دفعاته التي جاءت في الطبعة الثانية، كتب حاج حمد قائلاً: "ونفياً للالتباس ما بين: (العالمية الإسلامية الثانية)، و(الرسالة الثانية في الإسلام) [هكذا في المصدر والصحيح: **الرسالة الثانية من الإسلام**] فقد فصلت الأمر في صفحات هذا المدخل. وهو التباس توجب على إزالته بحكم تشابه العناوين من ناحية، ولكون محمود محمد طه وأنا من قطر واحد هو السودان مما يعمق الشبهة. وقد أثرت هذه الشبهة عدة مرات"⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، ص 79.

(2) عقدت الندوة في مارس 1992، في القاهرة، قدم للندوة طه جابر العلواني، وشارك فيها كل من: عبد الوهاب المسيري، وأحمد فؤاد الباشا، ومحمد بريش، وحامد الموصلي، وعلى جمعة، ومحمد بريمة، ومنى الفضل، وسيف عبدالفتاح، وأحمد صدقي الدجاني، وممدوح فهمي، ومحمد عمارة، وجمال عطية، وعمر عبدة حسن. المصدر: محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، مج 1، مرجع سابق، ص 29-30.

(3) محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، مج 1، مرجع سابق، ص 188.

كان محمود شعراني، ربما من أوائل الذين نقدوا حاج حمد وأشاروا إلى اقتباسه الحرفي من أفكار الأستاذ محمود. كتب شعراني عدداً من المقالات⁽¹⁾ ونشرها في مجلة الأزمنة العربية، تحت عنوان: "قراءة ثانية في العالمية الإسلامية الثانية"⁽²⁾. تحدث محمود شعراني عن أن حاج حمد أقتبس حرفياً ونصياً من أفكار الأستاذ محمود. أشار حاج حمد للنقد الذي وجهه له محمود شعراني في الطبعة الثانية من كتابه. كتب حاج حمد قائلاً: "أشار الأستاذ شعراني ليس فقط إلى تماثل الأفكار بين العالمية الثانية والرسالة الثانية ولكن إلى اقتباسي الحرفي والنصّي لأفكار محمود محمد طه"⁽³⁾. كتب حاج حمد في رده على نقده، محور ضمنه المجلد الأول من كتابه: العالمية الثانية، تحت عنوان: "شبهات التداخل ما بين العالمية الثانية والرسالة الثانية من الإسلام"⁽⁴⁾. وأشار حاج حمد قائلاً: "وأثيرت الشبهة مرة أخرى في الأردن،... وجرى نفس الأمر في حوار مع بعض أساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا- كوالا لامبور في خريف 1994"⁽⁵⁾. كتب حاج حمد قائلاً:

هناك دائماً متشابهات لا تضع الأمور في ميزانها المحكم، فكما فهم البعض مفهوم (الجمع بين القراءتين) فهما تراثياً ورده الى مصادر ظنية مثل "ما فرطنا في الكتاب من شيء" أو العلاقة بين الكون المسطور (القرآن) والكون المنثور (الوجود) غافلاً ارتباط الجمع بين القراءتين (بجدلية الغيب والانسان والطبيعة) وفق نهج تحليلي يأخذ بجدل الانسان وجدل الطبيعة بطريقة معرفية مستوعبة ومتجاوزة للمنطقية الوضعية الحديثة بكل آفاقها النسبية والاحتمالية من جهة واللاهوت من جهة اخرى. أتى بعضهم برد محكم العالمية الإسلامية الثانية وجدليتها الى متشابه (الرسالة الثانية في الإسلام [هكذا في المصدر والصحيح:

(1) مقابلة مع محمود شعراني، مقابلة بالهاتف محمود في الخرطوم والمؤلف في الدوحة، 5 أبريل 2013، الساعة 20:00.

(2) محمود شعراني، "قراءة ثانية في العالمية الإسلامية الثانية"، مجلة الأزمنة العربية، عدد 59، 1980/4/23، ص 33-35.

(3) محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، مج 1، مرجع سابق، ص 188.

(4) المرجع السابق، ص 114-127.

(5) المرجع السابق، ص 189.

الرسالة الثانية من الإسلام [لصاحبها (محمود محمد طه)].

ثم أورد حاج حمد دفعوعاته وأشار لعدد من كتب الأستاذ محمود، ونسبة لضيق المساحة يصعب إيراد ما أتى به حاج حمد، فمع إirاده فإنه يحتاج إلى ردود ومناقشة. لهذا يمكن للقارئ الاطلاع عليها في كتاب حاج حمد المشار إليها. الشاهد أنه بعد إثارة هذه الشبهات نلاحظ أن حاج حمد بعد ذلك بدأ يشير للأستاذ محمود في كتاباته، الأمر الذي لم يفعله من قبل. ففي عام 2004 كتب قائلاً: "وحتى إسلاميتي ومؤلفاتي منذ صدور: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة - العالمية الإسلامية الثانية، والتي فهمت خطأ - لمجرد تماثل العنوان: (كرسالة ثانية) بما أورده المرحوم الشهيد محمود محمد طه وهو الأمر الذي نفيت بالصفحات (114-127 من المجلد الثاني)". وأضاف حاج حمد قائلاً: "لا تماثل إسلامية قادة هذا الوسط، فإسلاميتي (أبستمولوجية معرفية قرآنية ومنهجية) تأخذ بالليبرالية ولكن انطلاقاً من العائلة وليس الفرد وتأخذ بالعلمانية الرافضة والثانية للسلطة الشيوعية الكهنوتية وولاية الفقهاء ومجالس شورى الأحزاب الدينية، مؤكداً على أن الإسلام (حاكمية كتاب) مفتوحة على العقل البشرى وليس (حاكمية إلهية) كما ذهب إلى ذلك المودودي وسيد قطب، وليس (حاكمية استخلاف) كما يذهب إلى ذلك فقهاء السنة والشيعة. ولكني أميز بين علمانية الدولة التي أدعو لها وبين (الفلسفة الوضعية العدمية) في المجتمع والتي أرفضها لأن مكونات الإنسان (كونية) وليس مجرد مادية"⁽¹⁾. الشاهد أن تصريحات حاج حمد وإعلانه عن اسم الأستاذ محمود في كتاباته أمر ما كان للباحث أن يجده بين صفحات دراساته قبل صدور الطبعة الثانية من كتابه: العالمية الثانية، عام 1996. فقد تغير موقفه بعد النقد الذي وجه له، وحينما رد عن النقد كشفت ردوده عن معرفة واسعة بمشروع الأستاذ محمود وكتاباته.

لم يكن سكوت حاج حمد عن الأستاذ محمود في ثبوت مصادره أمراً طبيعياً. ذلك لأنه ليس من السهل، بل يكاد يكون من المستحيل، على أى كاتب أو مفكر إسلامي من السودان، ومشتغل في مجال الفكر الإسلامي، يستطيع أن يتجاوز الأستاذ محمود، بحكم

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، "إشكالية مفهوم الوسط الكبير بين الأستاذين كمال الجزولي ومنصور خالد"، الحلقة الأولى، صحيفة الصحافة، الخميس 29 ربيع الثاني 1425هـ/ 17 يوليو (تموز) 2004، العدد 3970، الخرطوم.

الإنتاج الضخم الذى نشره فى النصف الثانى من القرن العشرين، وما صاحب ذلك من مواقف بلغ خبرها كل منشغل بأمر الكتابة وإنتاج الفكر. لماذا سكت حاج حمد عن الأستاذ محمود فى دراساته فى الفكر الإسلامى؟ وهل استدرك هذا السكوت لاحقاً؟ وماذا عن الأستاذ محمود فى دراسات حاج حمد فى الشأن السودانى، هل سكت عنه أيضاً وتجاهله؟ وإذا كان ذلك كذلك، وهو كذلك، فلماذا تجاهل حاج حمد وأغفل الأستاذ محمود فى دراساته عن مسار وتاريخ السودان السياسى؟ وهذا ما سأحاول الإجابة عليه من خلال موقف حاج حمد السياسى من الأستاذ محمود.

الأستاذ محمود وموقف حاج حمد السياسى

من واقع الدراسات المنشورة للأستاذ محمد أبو القاسم، ومن أهمها كتابه: السودان: المأزق التاريخى وآفاق المستقبل، نجد أن الموقف السياسى لحاج حمد من الأستاذ محمود لا ينفصل من موقف طلائع المتعلمين. فموقف طلائع المتعلمين من الأستاذ محمود، اتسم بالعداء والسعى لتغيبه عن الذاكرة الجمعية. أغفل محمد أبو القاسم الأستاذ محمود ودوره فى تطور الحركة الوطنية وفى النضال السياسى. لقد ترسم حاج حمد خطى طلائع المتعلمين. فحينما أصدر كتابه آنف الذكر فى طبعته الأولى عام 1980، فى مجلد واحد، أظهر فيه تجاهلاً متعمداً للأستاذ محمود، وأغفله إغفالاً ينم عن غرض وضغينة، كما نرى لاحقاً. وحينما كتب المجلد الثانى وأصدر الطبعة الثانية من كتابه عام 1996، فى مجلدين. أظهر فوق التجاهل المتعمد والإغفال المغرض، عداءً فارق معه العلمية فى التناول والحياد المتوقع من باحث فى قامته. فالأستاذ حاج حمد رجل (أعرض فى العلم وبلغ الغاية فى البحث والاستقصاء)⁽¹⁾ كما وصفه منصور خالد. ولكن مع ذلك، تجاهل إسهام الأستاذ محمود ودوره النضالى الثابت فى كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى الذى يُعتبر العمدة فى تاريخ الوطنية السودانية. وفى تقديرى أن محمد أبو القاسم تشرب العداء للأستاذ محمود منذ سنَى شبابه الباكر.

قبل الوقوف على طبيعة تجاهل الأستاذ حاج حمد للأستاذ محمود، وإظهار العداء له، أود أن أقف عند السؤال التالى: كيف ترسم الأستاذ محمد أبو القاسم خطى طلائع

(1) منصور خالد، جنوب السودان فى المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى، مرجع سابق، ص 330.

المتعلمين فى موقفهم من الأستاذ محمود؟ وُلد حاج حمد قبيل مهرجان تكوين الأحزاب السودانية، بنحو عام ونيف، حيث وُلد فى (نوفمبر) نهاية عام 1942، وكان مهرجان تكوين الأحزاب خلال عامى 1944 و1945. ولج حاج حمد العمل السياسى فى شبابه الباكر، حيث أصبح من قيادات حزب الشعب الديمقراطى وهو فى سن الثالثة والعشرين، مستظلاً بمظلة الشيخ على عبد الرحمن الأمين (1906-1983). وقد أشار لذلك فى كتابه، الذى خصص فيه فصلاً للحديث عن الشيخ على قائلاً: "ربما بدا للبعض وقتها أن اختيارى لحزب الشعب قد يرجع إلى اعتبارات طائفية وقبلية، غير أن تلك الاعتبارات لم يكن لها شأن بالاختيار ولكن كان لها كل الشأن فى المركز القيادى الذى شغلته فى سن مبكرة وفى ممارستى لدور أكبر من حجمى الحقيقى فى أوساط الحزب الإعلامية فى الخرطوم والعمالية فى عطبرة، ولعلنى قد استمتعت كثيراً بمظلة الشيخ القوية"⁽¹⁾. ففى تقديرى، أن ملازمة حاج حمد للشيخ على عبدالرحمن فى سنى شبابه الباكر، قد ساهمت فى تكوينه السياسى، وفى موقفه من الأستاذ محمود. خاصة وأن للشيخ على موقفاً من الأستاذ محمود عبر عنه فى مذكراته بالتجاهل المتعمد والإغفال المقصود، (لقد بينت ذلك فى الفصل السادس عشر من هذا الكتاب، وموضوعه: "الأستاذ محمود فى مذكرات معاصريه"، وكان الشيخ على عبدالرحمن أحد نماذج دراستى). ولعل هذا ما يقدم لنا بعض التفسير لمواقف الأستاذ حاج حمد من الأستاذ محمود، بل أذهب أبعد من ذلك وأقول إن حاج حمد قد تشرب العداء للأستاذ محمود منذ تلك المرحلة.

لم يكن الشيخ على -حال معظم طلائع المتعلمين- على وفاق مع الأستاذ محمود فى الرؤية السياسية، فعلى سبيل المثال، عندما سافر الشيخ على والسيد إسماعيل الأزهرى إلى مصر بعد جفوة بين أزهرى والمصريين بسبب انحياز الأول للاستقلال، وخلافات الختمية مع أزهرى، ائتلف الختمية مع الأمة فتكونت حكومة السيدين.. فاتجهت مصر لتجميع أزهرى والختمية لإحياء فكرة الاتحاد مع مصر، ونسب لشيخ على عبدالرحمن أنه قال لصحف القاهرة إن حزبته الآن يقف فى المعارضة. الأمر الذى يدل على استجابته لرغبة المصريين. هذا فى الود.

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المآزق التاريخى وآفاق المستقبل (من 1956 إلى 1996)، مج2، مرجع سابق، ص 298.

الذى كان فيه شيخ على لا يزال وزيراً فى حكومة السيدين. حينها صرح الأستاذ محمود قائلاً:
ونسب لإسماعيل الأزهرى تصريح أمام جمال عبد الناصر يعترف فيه بهذه
الاتفاقية، ويزعم أن هذه الاتفاقية لم تعقنا فى شىء.. وهذا فى نظرى، بمثابة
الخيانة العظمى.. فإن لم يكن هناك قانون يحاكم على الخيانة العظمى، فإن
الرأى العام المستنير يجب ألا ينسى مثل هذا العمل الشاذ لأزهرى.. إن أزهرى
بتصريحه السالف يريد أن يقول لجمال عبد الناصر: عاوتى على إسقاط
الحكومة الحاضرة وإقامة حكومة أكون على رأسها وأنا كفى بإعطائك ما تصبو
إليه فى المسائل المعلقة بيننا !! أما تصريحات على عبد الرحمن إن صحت، فإن
أيسر ما يستحقه أن يفصل من الوزارة⁽¹⁾.

فى تقديرى، أن حاج حمد قد تأثر بالشيخ على فى موقفه من الأستاذ محمود. ويمكن
ملاحظة ذلك فى كتابه آنف الذكر. فقد تحدث حاج حمد فى كتابه عن نشأة الأحزاب
السياسية، وكان من أهم مصادره عن نشأة الأحزاب، كتاب الأستاذ أحمد خير المحامى:
كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان. كان الأستاذ أحمد خير المحامى
قد تحدث عن نشأة الحزب الجمهورى من خلال عنوان جانبى لا تخطؤه العين، جنباً إلى
جنب مع بقية الأحزاب، كما ورد آنفاً. برغم ذلك تحدث حاج حمد فى كتابه بتوسع عن
كل الأحزاب التى وردت فى كتاب أحمد خير المحامى عدا الحزب الجمهورى، فلم ترد أى
إشارة إلى نشأته أو إشارة إلى رئيسه الأستاذ محمود. وتحدث وأشار إلى نحو 22 حزباً
معتمداً على كتاب الأستاذ أحمد خير وعلى مصادر ومراجع أخرى، ولم ترد أى إشارة
للحزب الجمهورى أو الأستاذ محمود. وبعد أن تجاوز نشأة الأحزاب، وفى فصل لاحق،
تحدث عن "المؤتمر الوطنى للدفاع عن الديمقراطية" الذى نشأ عام 1965، وضم (32)
تنظيماً، ذكر أن من بينهم كان الحزب الجمهورى الذى يقوده الأستاذ محمود محمد طه. ثم
عرّف الحزب الجمهورى فى هامش الصفحة. قائلاً: "حزب دينى يعتمد على الاتجاهات
التجديدية التأويلية الباطنية للأستاذ المهندس محمود محمد طه وهو حزب نخبة صغير
معادية للإخوان المسلمين والطائفية. وقد حرص الإخوان المسلمون غيرى على إعدام

(1) تصريح أدلى به الأستاذ محمود محمد طه لصحيفة أنباء السودان، بتاريخ 1958/11/15.

الأستاذ محمود تاريخ 18 يناير 1985⁽¹⁾. وهذا تعريف لا يمكن قبوله من أستاذ كبير وباحث دقيق فى قامة حاج حمد، فهو من جهة تعريف ظالم للحزب وتاريخه، وينطوى على غرض وعداء، وفيه تقليل متعمد للشأن السياسى والدور الوطنى، ومن جهة أخرى فهو تعريف مخالف لما جاء بشأنه من تعريف فى كتاب أحمد خير المحامى، أهم مصادر حاج حمد. وقد أوردت آنفاً ما قاله الأستاذ أحمد خير المحامى، عن نشأة الحزب الجمهورى وعن رئيسه الأستاذ محمود، وعن دوره النضالى وإسهامه فى الحركة الوطنية، وما قاله كذلك يحيى محمد عبد القادر، والتجاني عامر، ومحمد سعيد القدال، والدكتور منصور خالد، وفرانسيس دينق، وفصل عبدالرحمن على طه، وكل هذه المراجع ليست بغائبة عن حاج حمد وهناك إشارات لها فى ثبت المصادر والمراجع لكتبه ودراساته.

من المعروف عن حاج حمد أنه قارئ نهم، كما ورد آنفاً، تلمح ذلك فى طول قائمة المصادر والمراجع فى دراساته، وتجسد الغريب النادر من المصادر والمراجع بينها، فهو قارئ نهم وموثق دقيق. ولهذا، فإنه بلا شك قرأ الكثير من المصادر والمراجع التى تحدثت عن نشأة الحزب الجمهورى، ولكن العداء الذى تشربه منذ سنى شبابه الباكر تجاه الأستاذ محمود جعله صاحب غرض، وهو يرسم نهج طلائع المتعلمين. لم يرسب حاج حمد فى هذا فحسب؛ وإنما رسب حينما تحدث عن إعدام الأستاذ محمود. كان حديثه رسوباً فى امتحان الانحياز للحقيقة وكان رسوباً شنيعاً فى امتحان المعانى والحس الإنسانى. بل أظهر عداءً شديداً للأستاذ محمود فى المجلد الثانى، وهو يتحدث عن إعدامه، حديثاً تلمح فيه التشفى الواضح. فقد تحدث حديثاً يتنافى مع العلمية وأسس البحث، ولا يتماسك أمام النقد بأدنى سبيل استخدام مقارنة القرائن، وبأقل حد من إمكانيات التنقيب البحثى، فضلاً عن مجافاة حديثه للحس الإنسانى السليم. تحدث فى كتابه آف الذكر⁽²⁾، حديثاً مطولاً عن إعدام وجثمان ودفن الأستاذ محمود كتب حاج حمد قائلاً: "نفيد تقارير الأمن السودانى بأن نيمرى... وفى اليوم السادس والعشرين طلب من سلطات السجن التى صحبت جثة المرحوم محمود محمد طه، وقذفت بها فى ساحل البحر الأحمر أن تدله عن المكان الذى ألقى فيه الجثة"⁽³⁾. وأضاف

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المآزق التاريخى وآفاق المستقبل (1956-1996)، مرجع سابق، ص 320.

(2) المرجع السابق، ص 464-467.

(3) المرجع السابق، ص 464-467.

حاج حمد قائلًا: "قال الطيار الذى قاد طائرة جعفر غيرى، أن جعفر غيرى نزل وصلى صلاة الجنازة على جثة محمود محمد طه التى كانت منتفخة وقبّله فى رأسه، وقال لأحد أصحابه أنه سينقل جثمان محمود محمد طه ويدفنه فى مسجد النيلين"⁽¹⁾. وبما يشبه الأسطورة والخرافة، بل الخرافة بعينها، استمر حاج حمد فى غيه قائلًا: "وفى اليوم الثلاثين من يناير 1985 أعاد جعفر غيرى الكرة، وحفر قبراً لمحمود محمد طه وأشرف بنفسه على غسل جثته وتكفينه"⁽²⁾.

السؤال ما هى مصادر ومراجع حاج حمد فيما ذهب إليه. كان حاج حمد أثناء حديثه يحيل القارئ فى هامش الصفحة إلى تقارير سلطات الأمن بتاريخ كذا وكذا. ولكنه لم يبين إلى أى جهة قدمت تلك التقارير؟ ومتى قدمت؟ ومن الذى أعدّها؟ وما الغرض من إعدادها؟ وأين هى مودعة؟ وكيف يمكن التحقق من صحة وجودها أصلاً سواء كانت صحيحة أو خطأ؟ أسئلة كثيرة، ليست لها إجابات، لا فى ما أورده حاج حمد من أحاديث، ولا فى مصادر معلوماته. وهو الذى يعرف جيداً طريقة إيراد مصادر المعلومات، وهو كذلك من أكثر الباحثين معرفة للأسس العلمية للتوثيق. الأمر الذى ينسف كل ما أورده الأستاذ حاج حمد فيما يتعلق بإعدام الأستاذ محمود. هذا إلى جانب أننى لا أحسب أن سلطات الأمن لديها تقارير تُنشر بشكل دورى حول الأحداث والوقائع، وإن كانت فلا أحسب أنه يمكن الاعتماد عليها كمصدر من مصادر الدراسات والبحوث، خاصة فى قضية مثل قضية الأستاذ محمود، ومن جهاز أمن مثل جهاز أمن الرئيس غيرى. فهو مؤسسة وجهاز تتبع للسلطة السياسية التى هى خصم للأستاذ محمود. ثم متى كانت أجهزة الأمن فى العالم الثالث مصدر ثقة تُبنى عليها الدراسات والبحوث، فسلطات الأمن فى العالم الثالث فى عام 1985 وحتى تاريخ اليوم، لا يمكن الأخذ بتقاريرها والاعتماد عليها، اللهم إلا لدى القائمين على نظام الحكم والمتفعين من ذلك النظام.

هذا من جهة ما كتبه حاج حمد وأورده من معلومات بشأن مكان دفن الأستاذ محمود وجثته، وهو أمر تدحضه الشواهد والبراهين والأدلة بما تجعله غير صحيح البتة. أما من جهة مدى صمود مصادر حاج حمد ومراجعته أمام رواية العميد الطيار فيصل مدنى، الذى حمل الجثمان بطائرة هليكوبتر من سجن كوبر إلى غرب أمدرمان، وأمام رواية مدير سجن كوبر وقتئذ، واللذين أكدا

(1) المرجع السابق، ص 464-467.

(2) المرجع السابق، ص 464-467.

دفن الأستاذ محمود بغرب أمدرمان، وأضاف العميد طيار فيصل بأنه نزل من طائرته وأطمأن على دفن الأستاذ محمود. وقد أوردت شهادتهما ضمن الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب، "بعض الشهادات على مشاهد تجسيد المعارف والابتساماة على منصة المشنقة"، يمكن الاطلاع عليهما مع الشهادات الأخرى. إن ما جاء فى تلك الشهادات يضع حاج حمد وما كتبه فى موضع رسوب شنيع بالمعيار الأخلاقى، ولا أحسب أن مفكراً يرسب فى امتحان الأخلاق سيكون قادراً بمشروعه أو برؤيته على العبور بالأمم والبشرية إلى مصاف أنسنة الحياة ولا أحسب أن مشروعه قادر على إحداث التغيير والتحرير وتحقيق السلام. فانهزام المفكر أخلاقياً هو رسوب لمشروعه.. ورسوب المفكر فى المواقف الإنسانية هو انهزام لمشروعه. فالأخلاق والصمود والانتماء للمستقبل والانحياز للإنسانية.. شروط أساس فى مشروع ومواقف المفكر الأصيل. ولا سلام ولا تغيير ولا تحرير ولا أنسنة تحققها الأمم والبشرية فى المستقبل إلا بمشروع المفكر الأصيل.

حاج حمد والتراجع الضمنى فى موقفه من الأستاذ محمود

لم يتحدث حاج حمد فى كل كتاباته عن الأستاذ محمود محمد طه كشهيد، إلا فى عام 2004. ففى أول مرة يصف حاج حمد الأستاذ محمود بالشهيد، كان فى المقال الذى نشره يوم 17 يونيو 2004، كتب حاج حمد قائلاً:

فمنهجى علمانى ليبرالى ديمقراطى "بالكيفية التى طرحتها ووثقتها" وحتى ادرأ عن الديمقراطية تعالى الطائفية والحزبية طالبت بإعادة "مجلس الشيوخ" ليمارس "رقابة دستورية" على أغلبية الطوائف والأحزاب الميكانيكية، منادياً بإعادة تطبيق المادة "44" من دستور السودان المؤقت لعام 1956 وهذا مجالك القانونى - أخى الجزولى - "المأزق التاريخى" ص 747-750 ونشرت مقالى الأخير فى صحف الخليج "الوسط - البحرين" بعنوان: "علمانية العاصمة ضرورة إسلامية"، لإسقاط المفهوم الشيوقراطى للسلطة الدينية التى لا أساس لها فى الإسلام. والتى أعدمت من قبل الشهيد محمود محمد طهو تريد أن تعدم فى إيران المفكر الإصلاحى "أغا جارى" والتى تكيل اتهامات "الردة" لكل مفكر ومصلح (1).

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد، "إشكالية مفهوم الوسط الكبير بين الأستاذين كمال الجزولى ومنصور خالد"، الحلقة الأولى، صحيفة الصحافة، الخميس 29 ربيع الثانى 1425 هـ/ 17 يوليو (تموز) 2004، العدد 3970، الخرطوم.

الفصل

الثامن عشر

18

.....
الأستاذ محمود والروحانيون:

فكر المقاومة السلمية وبعث الروحانية
.....

الأستاذ محمود

والمهاقما غاندى: مقارنة أولية

قبل قليل قرر البانديت نهرو أن ينزل عن كرسى الرئاسة لحين ليتفرغ كما قال لعمل آخر خارج كرسى الرئاسة وخارج البرلمان ثم يعود للرئاسة مرة أخرى ولكن زعماء حزب المؤتمر أصروا على التمسك ببقائه وذهبوا إلى حد أن أخبروه أنهم لا يستطيعون أن يتصوروا خلو منصب الرئاسة من شخصه المحبوب⁽¹⁾... ما أرى إلا أن نهرو أراد باعتزاله الرئاسة إلى حين أن يتفرغ ليكون الأب الروحي للهند على نحو ما كان يفعل غاندى عله يوفق فى إثارة الروحانية الهندية بدرجة تعيد إلى بلاده المثالية التى يشكو من انكماشها ولكن هيهات!! إنه ليس هناك⁽²⁾.

محمود محمد طه، فى يوم 31 مارس 1958

(1) محمود محمد طه، "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 152، بتاريخ 1958/3/31.
(2) المصدر السابق.

إننى حزين لك يا طه
 فمن هو طه هذا.
 كان طه رجلاً
 لم يقم بإيذاء أحد
 فى حياته كلها
 سبماً وسبعين سنة عاش طه
 محباً للآخرين يمنحهم الخير، ويعلمهم الاستقامة
 وكان عطوفاً، ومسالماً، وداعيةً
 كان يدعو أن تكون حقوق الإنسان لجميع الناس
 ماذا كانت خطيئته!
 بضع وريقات، نشرها عن رأيه.
 وعلى ذلك شفقوه
 أمام الجميع فى سجن كوبر⁽¹⁾

غراهام ف. توماس

(1) غراهام ف. توماس، السودان: موت حلم، ترجمة عمران أبو حجلة، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 1994، ص 235-236. لفت نظري لهذه القصيدة الأخ محمد الصادق جعفر. ولد غراهام ف. توماس بكمافون جلامورفان عام 1921، ودرس التاريخ بكلية مساوث ويلز الجامعية. حصل على درجة الماجستير =

ثلاثة أسباب تبرر الدفع بهذه المقاربة بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى إلى هذا الكتاب. فالكتاب جعل من السودان، ومصر إلى حد ما، مع إشارات للعالم الإسلامى خاصة، وبعض المؤسسات الإسلامية العالمية فى المملكة العربية السعودية، ميداناً لإطاره الجغرافى، بينما نجىء المقاربة مع المهاتما غاندى تجاوزاً لذلك الإطار الجغرافى، وتبرير ذلك يعود إلى الأسباب التالية:

أولاً: إن موضوع الكتاب هو محمود محمد طه والمثقفون، مع التركيز على المثقفين السودانيين، ولما كان المهاتما غاندى حاضراً فى مخيلة المثقفين السودانيين، خاصة لدى طلائع المتعلمين، فى كتاباتهم وفى فكرهم السياسى، فقد أخذوا من الهند (المهاتما غاندى - البانديت نهرو) الفكر التنظيمى، وليس فكر المقاومة، فكان مؤتمر الخريجين عام 1938، على غرار المؤتمر الوطنى الهندى، بينما نأى الأستاذ محمود عن مؤتمر الخريجين وعاب منهجه فى التعاطى مع المستعمر، وفى نفس الوقت تقاطع مع المهاتما غاندى فى فكر المقاومة والمواجهة للمستعمر، لهذا كان لابد أن تكون هذه المقاربة حتى وإن جاءت أولية وموجزة.

ثانياً: أطلق الكثير من المثقفين والمؤسسات فى السودان وخارجه على الأستاذ محمود اسم غاندى السودان وغاندى إفريقيا، وأشار البعض الآخر إلى أن الأستاذ محمود تأثر بالمهاتما غاندى فى المقاومة السلمية، فهل تأثر الأستاذ محمود بالمهاتما غاندى؟ مثلت محاولة الإجابة عن هذا السؤال المبرر الثانى للدفع بالمقاربة فى هذا الكتاب.

= من جامعة ويلز عام 1950. نُقل إلى مكتب السكرتير الإدارى وعمل مع آخر سكرتير إدارى للسودان السير جيمس روبرتسون. عمل مع أول حكومة وطنية وأشرف على تدريب السودانيين فى مجال الإدارة والصناعة. دعى لزيارة السودان من مختلف الحكومات التى تعاقبت على البلاد بعد حصولها على الاستقلال. انضم لخدمة حكومة صاحبة الجلالة وعمل فى وزارة التعليم والعمل والأراضى بكينيا. عاد إلى المملكة المتحدة حيث عُيِّن عميداً لكلية هتركومب مينور لتعليم الكبار فى ساوث كينجهام شايا حيث أصدر سلسلة محاضرات هتركومب ذات المكانة العلمية المرموقة. المصلو: غراهام ف. توماس، السودان: الصراع من أجل البقاء (1984-1993)، ترجمة الطيب الزبير الطيب المنصور، دار الفرجانى ودار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة/ طرابلس/ لندن، 1995.

ثالثاً: لقد تناولت ضمن الفصل الأول، رغبة الأستاذ محمود وهدفه من دراسة القانون، على ضوء ما توفر لى من وثائق وقرائن. وتتبع تقديم طلبه ومراسلاته خلال العام 1938، **لمدرسة السودان للقانون** *the Sudan School of Law*. (أنظر الملاحق: "4-8"). كشفت تلك المراسلات عن رغبة شديدة فى دراسة القانون، وأبدى فيها الأستاذ محمود حرصاً قوياً على دراسة القانون. فهل تُعد الرغبة القوية لدى الأستاذ محمود وحرصه الشديد على دراسة القانون عنصراً إضافياً لتعزيز التشابه أو التأثير، كما يرى البعض، بالمهاثما غاندى⁽¹⁾ (1869-1948) الذى درس القانون وأصبح محامياً؟

(1) ولد موهانداس كرمشاند غاندى MohandasKaramchandGandhi فى 2 أكتوبر 1869 بمقاطعة بورباند، على الساحل الغربى للهند. لُقّب بالمهاثما وتعنى الروح العظيمة GreatSoul، كما شُرف فى الهند بلقب والد الأمة Father of the Nation. سافر إلى بريطانيا لدراسة القانون وعاد إلى الهند فى عام 1891 بعد حصوله على شهادة فى القانون أهلته للعمل كمحامى. لم تكن الأوضاع فى الهند مساعدة لترضى طموحاته فى العمل فى مجال المحاماة. ففى 1893 سافر مغترباً بعقد عمل مع أحد البيوت التجارية فى جنوب إفريقيا. أثناء فترة إقامته (1893-1915)، ناصر الحقوق المدنية وبدأ منهج التفانى فى "الحقيقة" وطور أساليب المقاومة، فسجن أكثر من مرة. فى عام 1914 اعترفت حكومة جنوب إفريقيا ببعض مطالب المهاثما غاندى. عندما عاد المهاثما غاندى إلى الهند عام 1915 جذب منهجه فى المقاومة وطريقته فى الحياة الكثير من الناس، وذاع صيته كسياسى وزعيم. فى عام 1921 تولى قيادة المؤتمر الوطنى الهندى أكبر الأحزاب الهندية، وكان برنامجه يقوم على المقاومة السلمية، وعدم التعاون مع البريطانيين. فى عام 1922 حكم على غاندى بالسجن لمدة ست سنوات ولكن أفرج عنه بعد عامين. فى 1930 قاد غاندى مسيرة شعبية رفضاً للضريبة على الملح واحتكار الشركات البريطانية لتجارته وتوزيعه. بدأت المسيرة من مكان إقامته فى سايرماتى أشرام بالقرب من مدينة أحمد آباد، واستمرت لثلاثة أسابيع قطعت فيها نحو 400 كيلو متر، لتصل إلى قرية داندى على ساحل المحيط الهندى، ودعا للعصيان الذى انتهى بتوقيع معاهدة غاندى-إيروين. فى عام 1931 حضر غاندى مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن كممثل وحيد عن المؤتمر الوطنى الهندى. وفى عام 1934 استقال عن الحزب احتجاجاً على استخدام العنف كوسيلة للتغيير السياسى، وحل مكانه جواهر لال نهرو JawaharlalNehru (1889-1964) الذى أصبح أول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال. فى عام 1945 بدأت المفاوضات لتقسيم الهند على أسس دينية، لتصبح دولتين: الهند وباكستان. عارض المهاثما غاندى التقسيم، ودعا للوحدة الوطنية، وطالب الهندوس باحترام حقوق المسلمين، وصام من أجل أن يسود الهدوء والسلام بين الطوائف الدينية. الأمر الذى أثار المتعصبين من الهندوس، وفى 30 يناير 1948 تم اغتياله على يد متطرف هندوسى. **المصدر:** المهاثما غاندى، **فى سبيل الحق أو قصة حياتى**، ترجمة محمد سامى عاشور، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969، صفحات متفرقة؛

Mohandas Gandhi (1869 - 1948), Retrieved October 29, 2012, from: BBC, Web site: http://www.bbc.co.uk/history/historic_figures/gandhi_mohandas.shtml

غاندى "السودان" وغاندى "إفريقيا"

إعدام محمود محمد طه غاندى إفريقيا بسبب أفكاره... إننا لا نعرف عنه شيئاً كثيراً. ولكن استشهاده قد مسنا عميقاً⁽¹⁾.

مجلة جون أفريك Jeune Afrique

كانت هناك أصوات عديدة التى وصفت الأستاذ محمود بغاندى السودان أو غاندى إفريقيا. لقد وسمت مجلة جون أفريك Jeune Afrique الناطقة بالفرنسية الأستاذ محمود باسم "غاندى أفريقيا"، كما ورد أعلاه. خصصت المجلة غلاف عددها بتاريخ 30 يناير 1985 لخبر إعدام الأستاذ محمود تحت عنوان: الجريمة: "إعدام محمود محمد طه غاندى إفريقيا بسبب أفكاره". وقالت المجلة: "إننا لا نعرف عنه شيئاً كثيراً. ولكن استشهاده قد مسنا عميقاً"⁽²⁾. كذلك جاء فى مجلة الأزمنة العربية، عدد يناير 1987، تحت عنوان جانبى هو: "غاندى السودان":

ولكن ما كان يجذب فى الأستاذ محمود بالإضافة للأفكار الجديدة والغريبة هو جانب السلوك فقد كان نموذج الأستاذ غير المتكرر ولقد استحق بجدارة لقب "غاندى السودان"، فقد كان ضد العنف فعلاً وقولاً، بمعنى عدم استعمال الألفاظ النابية والجارحة مثل التى يستعملها خصومه عند الحديث عنه، لقد كان يقول دائماً: "كل واحد يقدم ما عنده، نحن عندنا الفكر والإخوان عندهم العنف"⁽³⁾.

أيضاً، وصفت صحيفة العرب القطرية، الأستاذ محمود بغاندى إفريقيا، فقد جاء فى الصحيفة نقلاً عن مراسلها فى الخرطوم بتاريخ 25 ربيع الثانى 1405هـ تحت عنوان: "تعاطف الطبقات السياسية والمثقف فى السودان مع غاندى إفريقيا"⁽⁴⁾. كذلك كتب ميشيل هوبكنز قائلاً: "وقد عاش طه نفسه - الذى كان طاعناً فى السن

(1) "الجريمة: إعدام محمود محمد طه غاندى إفريقيا بسبب أفكاره"، ضمن: الإخوان الجمهوريون، ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود، يونيو 1985، ص 37.

(2) المصدر السابق، ص 37.

(3) "محمود محمد طه: الإنسان والمواقف (الحرية لنا ولسوانا)، الأزمنة العربية، العدد: 156، 30 كانون الثانى - يناير 1987، ص 28-34.

(4) الإخوان الجمهوريون، ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود؟، مصدر سابق، ص 37.

وقتها- حياة متقشفة تُشبه حياة الزعيم الهندي غاندى، حيث ارتدى الجلابية السودانية التقليدية مثل فقراء الريف السودانيين، ولم يمتلك سيارة، واعتاد السير لمسافات طويلة على قدميه⁽¹⁾.

الشاهد أنه إلى جانب هذه النماذج، فهناك الكثير من الكتاب أطلق على الأستاذ محمود اسم غاندى السودان وكذلك غاندى إفريقيا، الأمر الذى يسرر طرح الأسئلة. بيد أن أسئلة التشابه والتأثر فى واقع الأمر، تمثل مدخلاً لحوار واسع يتصل برموز الفكر والقيادات ودعاة التحرير والتغيير من العالم الثالث فى القرن الماضى، قرن الهيمنة الأوروبية باستعمار الأرض والعقول، والسيطرة على الشعوب، والاستحواذ على الخيرات. لقد شغلت أوروبا العقول الكبيرة فى العالم الثالث، بالنضال من أجل التحرير، وبالصراعات الداخلية، فبقيت معظم إسهامات شعوب العالم الثالث فى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، فى مجلد إرث البشرية، إسهامات تقدم عبر النضال وتقوم على المقاومة وفكرها، وكان المهاتما غاندى أشهر النماذج. غطى فكر المقاومة ومذاهب النضال ونماذجهما على الكثير من الإسهامات الفكرية ورؤى أنسنة الحياة ومشاريع التغيير الكوكبى، لاسيما مشروع الأستاذ محمود، إذ لم تجد حظها فى سماء العالم من الاحتفاء والتأمل والقراءة والحوار، غير أنى على يقين تام من أنها حتماً ستبعث من جديد. ولهذا، فإن أسئلة التشابه والتأثر تتصل أيضاً، بفكر المقاومة السلمية وتطوره فى سبيل مناصرة الحق والنضال من أجل التحرير والتغيير. وفوق ذلك فهى تتصل بالأسرار الكونية وما يتبعها من استفهامات كبرى فى حياة البشرية، تلك التى تتعلق بتناص الأرواح وتآلفها، وتعارف العقول الكبيرة والتقاءها عند المعلم الأوحى فى هذا الكون. الشاهد أن هناك نقطة التقاء كما يرى الأستاذ محمود، فهى نقطة تلتقى عندها الأديان جميعها، حيث تنتهى العقيدة ويبدأ العلم، يقول الأستاذ محمود: "وبحسبك أن تعلم أن ما أدعو إليه هو نقطة التقاء الأديان جميعها، حيث تنتهى العقيدة ويبدأ العلم، وتلك نقطة يدخل منها الإنسان عهد إنسانيته، ولأول مرة

(1) ميشيل هوبكنز، "محمود طه... غاندى السودان"، (تقرير)، ترجمة: محمد عبدالرؤوف، 2005/6/30. المصدر: موقع الفكرة الجمهورية، الاسترجاع (Retrieved) 2012/11/10، الموقع على الإنترنت: <http://www.alfikra.org>

فى تاريخه الطويل..⁽¹⁾ فأسئلة المقاربة بين الأستاذ محمود والمهاثما غاندى أسئلة كبيرة، غير أنى ولغرض تقديم إضاءة أولية لتدشين مدخل حوارات مستقبلية قادمة فى تقديرى، يكون محورها الأستاذ محمود ومشروعه، أقدم وباختصار شديد بعض الخطوط العريضة محاولاً الإجابة عن السؤالين السابقين كمدخل لمقاربة بين الأستاذ محمود والمهاثما غاندى، ولابد لى فى المستقبل من عودة ثانية لهذه المقاربة.

المهاثما غاندى والذاكرة الكوكبية

العالم أصبح له هيكل حضارى تنقصه الروح⁽²⁾
محمود محمد طه

يستدعى اسم المهاثما غاندى، من الذاكرة الكوكبية، ذاكرة شعوب الأرض، أول ما يستدعى، منهج المقاومة السلمية وفلسفة اللا عنف، ورمزية العصيان المدنى، ومسيرة تحدى قوانين الاستعمار البريطانى لاستخراج الملح، وسيرة المحامى الذى بدأ منهج التفانى فى الحقيقة devotion to truth فى جنوب أفريقيا (1893-1915) وسار عليه فى الهند. وكذلك يستدعى اسم غاندى حياة الزهد والتقشف والصيام، وقصة دخول "عزته" قصر باكنغهام الملكى بالمملكة المتحدة. إلى جانب أنه كان من عقول العالم الكبيرة فى القرن العشرين، إذ ابتكر الاستراتيجيات الجديدة لإدارة الصراع، التى تقوم على شراكة الشعوب وتفجير طاقاتها من أجل التحرير وطرده الاستعمار. هذا من الوجهة المادية، أما غاندى من الوجهة الروحانية، فهو بلا شك عند الروحانيين، كما هو حاله، هو المؤمن بأن التعليم بلا روحانية لا جدوى منه، وهو الموقن بأن تطهير النفس هو الشرط الأساس للمعرفة⁽³⁾، وهو الوائق بأن جهده فى تقصى الحق كما تجلى له⁽⁴⁾، مثل معين المدد الروحى الذى بعث فى نفسه

(1) محمود محمد طه، "بينى وبين الدكتور الفاضل مصطفى محمود"، ضمن أسئلة مجلة الاضواء السودانية، 1970؛ محمود محمد طه، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، مصدر سابق.

(2) الأستاذ محمود فى مؤتمر للحزب الجمهورى عام 1955. المصدر: مقابلة مع إبراهيم يوسف فضل الله، مصدر سابق.

(3) المهاثما غاندى، فى سبيل الحق أو قصة حياتى، ترجمة محمد سامى عاشور، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969، ص 261.

(4) المصدر السابق.

الاستقرار والسكينة وأوحى إلى عقله الهدوء والسلام⁽¹⁾، فهو بهذا بلا شك عند الروحانيين، بعض التجلى لخلاصة الإرث الروحي في آسيا، وهو ومضة من الومضات الروحانية في مسار البشرية وهي تستجد بالإنسان القادر على تفجير الطاقات الكامنة من أجل الخلاص. فهو بحق أحد الآباء الروحانيين في البشرية.

برغم إطلاق اسم غاندى إفريقيا وغاندى السودان على الأستاذ محمود إلا أنه لم تتم الدراسات والمقاربة بينهما وإن كان قد بدأت بعض الإشارات والاقتران بينهما من كبار الأكاديميين. كتب أسامة عثمان وهو يتحدث⁽²⁾ عن الاحتفال بمئوية الأستاذ محمود بجامعة أوهايو⁽³⁾، قائلاً: كان المتحدث الرئيسى فى اليوم الثانى هو المفكر والفيلسوف والمناضل كورنيل ويست، وهو بروفيسور كرسى الدراسات الأمريكية والأديان المقارنة فى جامعة بريستون فى ولاية نيو جيرسى، وكان قد تخرج فى جامعة هارفارد وعمل فيها أستاذاً وعمل فى جامعة يال العريقة وفى جامعات أخرى". وأضاف أسامة متحدثاً عن تقديم ستيف هوارد لويس، قائلاً: تحدث البروفيسور ستيف هوارد قائلاً: "إن الإسهام الكبير للأستاذ محمود بوصفه واحداً من أكبر المفكرين فى إفريقيا فى القرن فى قضايا الحرية وحقوق المرأة وحقوق الإنسان والعلاقات بين البشر ليس معروفاً فى دوائر الجمهور الكبير والدوائر السياسية ويأمل أن تسهم مشاركة المفكر كورنيل ويست فى التعريف بقيمة الأستاذ محمود فى هذه المجالات". أشار أسامة لمعرفة ويست قائلاً: "كان ويست قد ذكر

(1) المصدر السابق.

(2) أسامة عثمان، "الاحتفال بمئوية الأستاذ محمود بجامعة أوهايو"، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) 11 أكتوبر 2010، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

(3) كتب أسامة عثمان فى صدر مقاله: احتفلت جامعة أوهايو بالذكرى المئوية لميلاد الأستاذ محمود محمد طه (1909-2009) والذكرى الرابعة والعشرين لاستشهاده من أجل الفكرة التى كرس لها حياته فى 18 يناير 1985. ولم يكن اختيار جامعة أوهايو للاحتفال بهذه الذكرى حدثاً معزولاً جاء مصادفة لأن بعض تلاميذ الأستاذ محمود يعملون بتلك الجامعة أو أنهم قد درسوا فيها. فجامعة أوهايو التى أنشئت عام 1805 واحدة من عشر جامعات أميركية... لقد انعقد لواء الاحتفالات فى إطار مؤتمر "الإسلام التقدمى" فى الفترة 17-18 يناير 2009 ليتصادف مع الذكرى الرابعة والعشرين لاستشهاد الأستاذ محمود وكان محوره حياة وأفكار الأستاذ كنموذج معاصر لتفسير وفهم متقدم للإسلام يختلف عن الصورة السائدة المرسومة فى أذهان الناس عن الإسلام المرتبط بالإرهاب والعنف والتخلف ومعاداة المرأة. ولقد ركز المؤتمر على الإسهام الفكرى للأستاذ محمود وأنشطة الإخوان الجمهوريين فى مختلف الحقب".

الأستاذ محمود فى كتابه الصادر فى عام 2004 بعنوان: أهمية الديمقراطية، قائلاً: (إن كتابه محمود محمد طه عن الديمقراطية ثورية وعميقة). وعبر عن إعجابه بطرح الأستاذ للإسلام بوصفه (نظاماً شاملاً يدعو للسلام وحرية الإنسان وللتحرر من الخوف من أجل حياة تسودها المحبة والرشاد)، كانت كلمة البروفيسور ويست أثره ربط فيها بطريقته التركيبية الشاملة للأحداث بين الأستاذ محمود وتعاليم غاندى ومارتن لوثر كينغ وماندىلا. كما اعتبر تجربته الشخصية فى حياته وتعليمه لتلاميذه وموته الدرامى امتداداً لمدرسة سقراط فى التضحية من أجل المبدأ.

الصلات التاريخية بين السودان والهند

غنى عن القول أن هناك الكثير من المشترك بين السودان والهند، وعديدة هى محطات التفاعل بين البلدين. فالبلدان شريان ينطوى كل منهما على إرث الشرق الروحى والفكرى والثقافى والخبرات الحضارية التراكمية والتى تعود إلى آلاف السنين قبل الميلاد. فالصلات التاريخية بين السودان وشبه القارة الهندية تعود إلى عصور سحيقة. فالهجرات والرحلات من الهند جاءت إلى السودان فى فترات متفاوتة، فخلقت أجزاء ثقافية لا تزال حية، وتركت رواسب وسيراً لأساطير وحكاوى وقصصاً لا تزال ماثلة فى سجل السودان الثقافى، ومتفاعلة فى أعراقه الخلاسية⁽¹⁾. لقد تأثر السودان بهجرات بشرية متعددة ومتتالية، أقواماً ومجموعات وأفراداً، جاءت من أقاصى الدنيا لا سيما شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا والصين وغيرها. فالسودان ظل هو المعبر للمهاجرين، والمتاجرين، والمسافرين، والمكتشفين، والمغامرين، ومحط أنظار الغزاة الطامعين.

تركت تلك الهجرات رواسب ثقافية كما استقر أقوام ورحل بعضهم. خلفوا أشياء،

(1) تعبير "الأعراق الخلاسية"، قرأته عند الروائى إبراهيم إسحق، ضمن حوار معه بصحيفة الأحداث، العدد 544، 2011/2/23. جاء فى لسان العرب: الخلاسى: الولد بين أبيض وسوداء أو بين أسود وبياض. غلام خلاسى، والأنثى خلاسية؛ ومنه الحديث: سر حتى تأتى قتياب قُنعاً، ورجلاً طُلساً، ونساء خُلساً؛ الخُلس: السمر. والخلاسى من الديكة: بين الدجاج الهندية والفارسية. المصدر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، 2007، مادة (خلس).

وأخذوا أشياء، فورث السودان سجلاً ثقافياً حافلاً، تشكلت أجزاؤه من فضاءات ثقافية نائية لشعوب كثيرة ومتعددة لا سيما شعوب الهند. يقول جوزيف أومارا، أستاذ كرسى الاقتصاد السياسى فى جامعة تاسمانيا بأستراليا، وخديجة صفوت، المؤسس والمدير التنفيذي سابقاً لمركز أبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا بجامعة ولز، فى ورقة علمية مشتركة. كتب أومارا وخديجة عن الأجزاء الثقافية للسودان قائلين: "وقد جاءت أجزاء ثقافية من عمان منذ الإصحاح القديم ومملكة بلقيس. وثمة تقاليد وعادات تعود إلى جنوب شرق آسيا وإلى الصين والهند ومنغوليا القوقاز وكردستان والبوسنة والهرسك إلى شبه الجزيرة العربية وشبه جزيرة إيبيريا وتركيا وشمال أفريقيا ومصر"⁽¹⁾. وأضافا قائلين: "وقد يكون الجلباب والعمة والطاقيّة والثوب السودانى وطقوس الزفاف والحناء والبحور والفركة والسلم السباعى (هكذا فى المصدر) فى الموسيقى إلى الجاموس البقرى والساقية والشادوف - التى ادعى البطالمة أنهم أدخلوها إلى وادى النيل مع الأسرة الـ 31- قد جاء بعضها أو معظمها من الصين ومن منغوليا والقوقاز عبوراً بشبه القارة الهندية وبالجزيرة العربية واليمن إلى السودان"⁽²⁾. فالحضور الثقافى الهندى واضح فى ثقافات السودان.

وحديثاً، خضع القطران للاستعمار البريطانى، ونالا الاستقلال فى وقت متقارب، الهند عام 1948 والسودان عام 1956. تبع ذلك بقاء الآثار الاستعمارية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وظلت الذاكرة الاستعمارية متغلغلة فى ثنايا السيرة التاريخية للبلدين، ومع تفاعل ذواكر أخرى تعقدت أسئلة الهوية، وتأججت الصراعات، فغاب الاستقرار فى البلدين، خاصة فى السودان، وبلغ البلدان مرحلة التشظى. لقد انفصلت باكستان عن الهند عام 1947⁽³⁾، قبل عام واحد من الاستقلال، وانفصلت باكستان الشرقية

(1) جوزيف أومارا وخديجة صفوت، "سرديات رحلات العبور التاريخية وأسلمة سلطنة الفونج فى القرن السادس عشر، أثر بعض تنويعات الرحالة والتجار على التاريخ الإسلامى والتاريخ الشعبى"، ندوة السودان وأفريقيا فى مدونات رحالة الشرق والغرب، اكتشاف الذات والآخر، أبحاث ندوة الرحالة العرب والمسلمين، دورة ابن حوقل، المركز العربى للأدب الجغرافى - ارتباد الأفاق، أبو ظبى ووزارة الثقافة والرياضة والشباب، الخرطوم، فبراير 2006، ص 64، 67، 68.

(2) مرجع سابق، ص 64، 67، 68.

(3) Mohandas Gandhi (1869 - 1948), retrieved October 29, 2012, from: BBC, Web site: <http://www.bbc.co.uk>

عام 1971 فظهرت بنغلاديش. أما السودان فقد انتهت حربه التي اندلعت عام 1955 فى جنوبه، قبل عام واحد من استقلاله أيضاً، إلى انفصال جنوبه عن شماله عام 2011، ولا تزال الحروب مستعرة فى بعض جهاته. وفوق كل هذا، فإن البلدين يزخران بتنوع وتعدد ثقافى فريدين. فالتعدد الثقافى فى البلدين قديم وأصيل، بيد أن السودان استقبل الرحلات وظل المعبر العظيم فتركت "تلك الرحلات وموجات هجرة المسافرين المغامرين والغواريين والمكتشفين تركت أجزاء ثقافية منحت السودان تميزاً وتعدداً وغنىً بلا مثيل، سوى ربما عند الولايات المتحدة؛ إلا أن الأخيرة لا تملك ادعاء أصالة تاريخ يعود إلى 300 ألف عام قبل الميلاد"⁽¹⁾.

المهاثما غاندى فى مخيلة طلائع المتعلمين فى السودان

كحال كل الصوفية مثل المهاثما غاندى الذى كان يدعو الهندوس بجعل كل وكيل وزارة مسلم حتى لا تقسم الهند؛ ومارتن لوتر كنغ الذى كان يدعو إخوانه السود إلى الإحسان إلى البيض لأنهم أخوة لهم على الرغم من استعباد البيض لهم؛ والشهيد محمود الذى وقف مثل الطود داعياً إلى الخير ونبذ العنف، مطالباً النخبة الحاكمة فى الشمال بالإحسان إلى إخوتهم فى الجنوب؛ ولكن ساستنا لم يسمعو النصيح حتى وقعت الواقعة. ذهب الشهيد محمود محمد طه لكن لم تذهب القضايا التى أثارها، وحدث كل ما تنبأ به، وما يزال القوم فى غيهم سادرون. ولم يجد التقدير الذى يليق به من ساسة الشمال⁽²⁾.

عبد الفتاح عرمان

لقد كان المهاثما غاندى حاضراً وبقوة فى سماء السودان، وراسخاً فى ذاكرة طلائع المتعلمين السودانيين، فى كتاباتهم ومذكراتهم وفى فكرهم السياسى، وهم يواجهون أسئلة الواقع الاستعمارى مع بواكير القرن العشرين بعد نشأة مؤسسات التعليم الحديث فى العقد الأول منه. لقد تجلّى حضور المهاثما غاندى بكثافة فى كتاباتهم منذ النصف الثانى من

(1) جوزيف أومارا وخديجة صفوت، مرجع سابق، ص 67.

(2) عبد الفتاح عرمان، "وحدة السودان.. ونبوءة محمود محمد طه"، من موقع سودانيل، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 16 سبتمبر 2010، الموقع على الإنترنت: www.sudanile.com

ثلاثينيات القرن الماضي، والعقود التالية، في معظم الدوريات. بل تجدد الإشارة إليه في جل مذكراتهم. فقد ارتبط اسم المهاتما غاندى في السودان بلحظة اليقظة الوطنية بعد السبات العميق الذي تبع ثورة عام 1924، فقد استدعى طلائع المتعلمين فكر غاندى التنظيمي عندما "تجمع الوعي القومي مرة ثانية عند انعقاد مؤتمر الخريجين في فبراير 1938"⁽¹⁾. استوحى طلائع المتعلمين فكرة مؤتمر الخريجين من المؤتمر الوطنى الهندي. يقول مصطفى أبو شرف (1919-2008): "وكان أحمد خير يقول يجب أن نكون مؤتمراً مثل المؤتمر الهندي.. وكنا فعلاً مستطلعين لكى نعرف أى شئ عن المؤتمر الهندي"⁽²⁾. كان الأستاذ أحمد خير المحامى صاحب الفكرة ومبلورها وهو الذى طرح تعاريفها الأولى في محاضراته الشهيرة بمدينة مدنى وسط السودان، والتي كانت بعنوان⁽³⁾: "واجبنا السياسى، مؤتمر الخريجين"⁽⁴⁾، ونشرتها مجلة الفجر في شهر مايو من عام 1937. كان أحمد خير قد تحدث عن الفكرة ودوافعها وقدم تعريفات لمصطلحاته، وتناول الخريجين، وختم محاضراته مقترحاً عدة خيارات لمظلة ينتظم تحتها السوداني المستنير، ختم محاضراته قائلاً: "إذا ما انتظم السوداني المستنير فى رابطة أو مؤتمر أو نقابة مركزها لجنة النادى بأبدرمان وفروعها فى الأقاليم، إذا ما نشر برنامجة القومى، نكون قد عرفنا وحددنا واجبنا السياسى"⁽⁵⁾. يقول أحمد خير المحامى فى مذكراته: "ولا ريب أن كلمة (مؤتمر)، أى اسم الهيئة الشعبية المقترح تأسيسها مستوحاة من المؤتمر الهندي"⁽⁶⁾.

الشاهد أن فكرة المؤتمر كانت قد ظهرت قبل محاضرة أحمد خير. فقد ظهرت فى

(1) محمد المكى إبراهيم، الفكر السودانى: أصوله وتطوره، ط 1، إدارة النشر الثقافى، وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، 1976، ص 59-60.

(2) مصطفى أبو شرف، "الشاعر المعلم مصطفى أبو شرف فى ضيافة الصحافة"، (حوار)، أجرى الحوار الطاهر حسين الطاهر، صحيفة الصحافة، السبت 26 أغسطس 2000.

(3) أحمد خير المحامى، "واجبنا السياسى: مؤتمر الخريجين"، مصدر سابق، ص 181-184.

(4) المحاضرة فى الأصل كانت بعنوان: واجبنا السياسى بعد معاهدة"، أى معاهدة 1936، أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، مصدر سابق، ص 59. وقد عدل الأستاذ أحمد يوسف هاشم (1903-1958). الذى ترأس تحرير مجلة الفجر خلال الفترة من 1/3/1937 إلى 6/8/1939 عنوان المحاضرة ليكون على النحو الذى نشر وشاع.

(5) أحمد خير المحامى، "واجبنا السياسى: مؤتمر الخريجين"، مصدر سابق، ص 184.

(6) أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، مصدر سابق، ص 58.

يوم 14 يوليو عام 1935 كمفردة مجردة ضمن مقال نشره "طبجي" في جريدة السودان، و"طبجي" هو السيد خضر حمد (1908-1970)، الذي كان يكتب بأسماء مستعارة عديدة. كتب خضر حمد ضمن مقاله معلقاً على يوم الخريجين بكلية غردون قائلاً: "لم نفكر قط في أن نجعل من هذا اليوم مؤتمراً نبحث فيه أمورنا الهامة"⁽¹⁾. وقد كتب خضر حمد في مذكراته معلقاً على كلمة (مؤتمر) التي وردت في مقاله، كتب قائلاً: "وأشرت دون قصد مني إلى كلمة مؤتمر"⁽²⁾. ترتب على مقال "طبجي" أن نشرت جريدة السودان للأستاذ أحمد خير المحامى، "خطاب مفتوح إلى (طبجي)"، وكان ذلك بعد أسبوع من مقال "طبجي"، وفي يومى 1935/7/20 و 1935/7/24⁽³⁾. كشف هذا الخطاب المفتوح عن أن فكرة المؤتمر مرت بفترة حضانة وتأمل عند أحمد خير المحامى قبل الأخذ بها عام 1938، فقد كتب أحمد خير فى ختام خطابه المفتوح لطبجي قائلاً: "إلى مؤتمر... غرضه خدمة القضيتين - قضية الخريجين كطبقة وقضيتهم العامة باعتبارهم جزءاً من هذا الكيان... فإلى اللقاء فى مؤتمر الخريجين وإلى لجنة النادى أقدم الاقتراح فهل من مثنٍ وهل إلى تنفيذه من سبيل"⁽⁴⁾.

الشاهد أن الدعوة للمؤتمر تجددت ثانية من قبل أحمد خير المحامى فى عام 1938 فوجدت القبول وقام المؤتمر. وعلى قيامه اتكأت العديد من الكتابات فى الدوريات السودانية تتحدث عن غاندى والمؤتمر الوطنى الهندى. تبين معظم تلك الكتابات كما هو الحال فى مذكرات طلائع المتعلمين، أن مشقفى السودان أخذوا من المهاتما غاندى فكره التنظيمى، وهذا واضح فى الكتابات، وفى المواقف أكثر وضوحاً. يقول خضر حمد: "كنا نريد بالمؤتمر أن يكون كالمؤتمر الهندى أو الوفد المصرى يتولى قيادة الحركة الوطنية والسياسية"⁽⁵⁾. أورد خالد الكد فى كتابه: الأفندية ومفاهيم القومية فى السودان، رأى

(1) خضر حمد، مذكرات خضر: الحركة الوطنية السودانية، الاستقلال وما بعده، مصدر سابق، ص 83.

(2) المصدر السابق، ص 83.

(3) أحمد خير المحامى، كفاح جيل: تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان، مصدر سابق، ص 59؛ خضر حمد، مصدر سابق، ص 84.

(4) المصدر السابق، ص 59؛ خضر حمد، مصدر سابق، ص 84.

(5) خضر حمد، مصدر سابق، ص 85.

محمد إبراهيم النور الذى تحدث عن السبب فى اعجابهم بالتجربة الهندية، وكيف أنهم كطلّاع متعلمين اتخذوا من التجربة الهندية مثلاً فى قيادتهم لحركة التحرر، يقول محمد إبراهيم النور:

السودان والهند يشتركان فى الكثير. كلاهما دولة شرقية، غير متطورة ويوجد بهما عدد قليل من المتعلمين والذين عملوا أساساً فى الخدمة المدنية تحت سيطرة الإدارة الإنجليزية. هؤلاء الشبان المتعلمون كانوا مسؤولين عن تعليم الأغلبية والتي كانت جاهلة. وكان عليهم قيادة المقاومة ضد الإدارة البريطانية. وكان التنوع الإثنى والثقافى فى السودان، شبيهاً بما هو فى الهند. نجح المؤتمر فى حل الكثير من المشاكل. هذا هو السبب فى أننا كنا معجبين بالتجربة الهندية، واتخذناها مثلاً لقيادتنا لحركة التحرر⁽¹⁾.

ويقول محمد أحمد المحجوب: "كنا معجبين بمجزات الحركة السياسية الهندية، وبكتابات غاندى ونهرو وخطبهما وأعمالهما، فتحولنا إلى النموذج الهندى"⁽²⁾.

ذهب خالد حسين عثمان الكد استناداً على إفادات لأحياء من أعضاء مؤتمر الخريجين، وبناءً على مقابلة كان قد أجراها مع أحمد خير المحامى، ذهب إلى القول بأن فكرة المؤتمر تعود إلى أبعد مما كتبه أحمد خير المحامى وخضر حمد. ففى إفادة حماد توفيق (1906-1978) التى أوردها خالد الكد، أوضح بأن حماد توفيق كان قد قدم إفادته إلى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، كتب خالد الكد إفادة حماد توفيق عن فكرة المؤتمر قائلاً: "وفى اعتقادى أنها ليست فكرة شخص واحد، أو جماعة واحدة. صحيح أن الصوت العالى ارتفع فى ود مدنى، استجاب الناس بسرعة لهذا النداء... كنا نحن - الاتحاديين - أنشط الناس، فى كل الأنشطة التى سبقت المؤتمر كنا نعقد سمناراً كل خميس فى نادى الخريجين لندافع عن هذه الفكرة"⁽³⁾. وأرجع خالد الكد الفكرة إلى ما قبل الذى كتبه خضر حمد وأحمد خير المحامى، وأوضح أن الفكرة تعود إلى بداية الثلاثينيات حينما استلم أحمد خير خطاباً تضمن الفكرة من حسن أحمد عثمان، وكان ذلك الخطاب هو

(1) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، 196.

(2) محمد أحمد المحجوب: الديمقراطية فى الميزان، مصدر سابق، ص 39.

(3) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، 192.

الملمه لفكرة مؤتمر الخريجين، يقول خالد الكد: "في مقابلة مع أحمد خير في سجن كوبر المركزي عام 1976، قال بأنه استلم خطاباً من حسن أحمد عثمان، والذي كان في الباقوة أوائل الثلاثينيات"⁽¹⁾. ثم أورد خالد الكد، ما حدث به أحمد خير المحامي عن ذلك الخطاب، قائلاً: "كان هو الملمه لفكرة المؤتمر. كان يحمل تصوراً لقيام مؤتمر للخريجين، على نهج المؤتمر الهندي، والذي كنا معجبين به. ناقشت الفكرة اقتراح حسن مع دكتور حليم، والذي كان طبيباً عمومياً في مستشفى ود مدني هكذا تولدت الفكرة"⁽²⁾. ونقلاً عن مذكرات حسن أحمد عثمان، يقول خالد الكد: "حسن أحمد عثمان يذكر بتواضع، بأن أحمد خير لم يكن صاحب الفكرة، يكتب في مذكراته (فكرة المؤتمر نبعت من جمعيات القراءة. شهدت بداية الثلاثينيات قمة الحركة القومية الهندية. قرأنا كل ما كتب عنها. كانت كتابات نهرو وسيرته الذاتية إنجيلاً بالنسبة للمثقفين القوميين. صديقنا أحمد خير والذي كان دائماً متسرعاً نادى بفكرة المؤتمر)"⁽³⁾.

لم ترتبط صورة المهاتما غاندي في مخيلة المثقفين السودانيين، بمؤتمر الخريجين فحسب، وإنما ظل المهاتما غاندي موضع تأملهم ومحط إعجابهم، كما تفيد بذلك كتاباتهم وما جاء في مذكراتهم. ففي المذكرات الموسومة بـ "موت دنيا" والتي كتبها محمد أحمد المحجوب بالاشتراك مع عبدالحليم محمد، كتب أحدهم، ضمن تعليقه على صدور كتاب لأحد الكتاب الإنجليز، قائلاً: "وسرني ما وصف به غاندي من مقدرة في تحدث اللغة الإنجليزية، واتصاله بالفكر الغربي الأوروبي رغم نزعة الصوفية وتجرده من كل ما هو غريب عن الهند"⁽⁴⁾. كذلك ورد في مجلة الفجر، ضمن تعليق على خبر نزاع شب بين المسلمين والسيخ في لاهور قصبة البنجاب، تحت عنوان: "الشغب الملى في الهند"، ورد "وهكذا في كل يوم يثبت الهنود للعالم أنهم إن استطاعوا أن يقدموا للعالم القديم من ثمار فلسفتهم الشهية وأن يقدموا لهذا العصر مثل (غاندي) وأن يباهوا في كل وقت بالماس والجواهر والعسجد فهم يعجزون عن شيء واحد هو

(1) المرجع السابق، 193.

(2) المرجع السابق، 193.

(3) خالد حسن عثمان الكد، مرجع سابق، 193.

(4) محمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد، موت دنيا، مصدر سابق، ص 122.

(الاتحاد) مهما صام غاندى وحج أنصاره⁽¹⁾. يقول محمد سعيد القدال: "واشربأب المثقفون إلى نضال حزب المؤتمر فى الهند، وكم فتنوا بشخصية غاندى، حتى حفظوا قصيدة شوقى فيه عن ظهر قلب"⁽²⁾.

استلاف الفكر التنظيمى وليس فكر المقاومة

إذا أراد (الأفندية) فى السودان (مواجهة الإنجليز)، لا تبعوا سياسة غاندى، ولجعلوا من كتاباته (إنجىلاً) بدلاً من كتابات نهرو. ولكنهم كانوا يعتبرون الناس العاديين جهلاء، وكانوا يعتبرون أمثال غاندى ديماجوجيين، التفتوا إلى نهرو والذى وجدوه - مثلهم - (مثقفاً جداً)، وكانوا فى الكثير من الأحيان ينتقدون ديماجوجية غاندى وخطبه البلاغية⁽³⁾.

خالد حسين عثمان الكد

إن الذى كان حاضراً فى عقول وسوح المثقفين السودانيين، لا سيما، مؤتمر الخريجين، هو فكر نهرو التنظيمى، أما فكر المقاومة السلمية للاستعمار والعصيان المدنى كما هو عند المهاتما غاندى، فقد كان موضع إعجاب ولكنه لم يكن موضع تطبيق. كتب خالد الكد وهو يتحدث عن محاكاة الأفندية للمؤتمر الهندى واختيارهم لنهرو وليس غاندى، كتب خالد قائلاً: "لماذا اختاروا آراء نهرو بالذات وليس أفكار غاندى على الرغم من أنه من المعروف عالمياً بأن المؤتمر كان مرتبطاً بغاندى وليس نهرو". ثم أضاف الكد قائلاً: "كان نهرو بخلاف غاندى... على الرغم من أن نهرو قام فى العديد من الأحيان بنقد سياسة غاندى المضادة للعنف، إلا أن نقده كان يأخذ طابعاً فلسفياً. لم يكن معارضاً لسياسة عدم العنف فى حد ذاتها كشكل من أشكال النضال، لأنه أبداً لم يقترح العنف"⁽⁴⁾. وعن نهرو ومعارضته، كتب الكد قائلاً: "كان معارضاً لما كان يسميه (اللاعنف الدينى)، والذى أعترف بأنه كان له تأثير كبير على الجماهير. نهرو، والذى كان يشار إليه كمتطرف فى

(1) "العالم على ضوء الفجر: الشغب الملئ فى الهند"، الفجر، مج 1، العدد 23، 1 فبراير 1938، ص 1126.

(2) محمد سعيد القدال، الانتماء والاعترا، دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 119.

(3) خالد حسين عثمان الكد، مرجع سابق، ص 197-198.

(4) المرجع السابق، ص 199.

حزب المؤتمر الهندي، مثله مثل الأبروفيين في المؤتمر السوداني، كان يرفض بحسم إدخال الجماهير في المعارك⁽¹⁾.

الشاهد أن طلائع المتعلمين لم يأخذوا بمنهج المقاومة والمواجهة، ولهذا فإن استقلال السودان لم يكن أكثر تهذيباً مما كان، كما وصفه محمد أحمد المحجوب قائلاً: "لم يكن بالإمكان أن تكون نهاية مائة وأربعة وثلاثين عاماً من الحكم الأجنبي في السودان أكثر تهذيباً. سلم البريطانيون ثكنات الخرطوم للسودانيين في حفلة كوكتيل، وقبل أن يبدأ قرع الكؤوس سمعنا آخر إنزال للعلم البريطاني يرمز إلى انسحاب القوات البريطانية نهائياً"⁽²⁾. ومستعمر السودان هو مستعمر الهند، والهيئة التي استظل بها المثقفون مستوحاه من الهند، الشاهد أن المهاتما غاندي الذي تسرب إلى عقول مثقفي السودان وسوحهم الوطنية هو المهاتما غاندي التنظيم والمنهج الصوفي وليس المهاتما غاندي صاحب فكر المقاومة ومنهج العصيان المدني واللاعوان مع الاستعمار البريطاني. ولا نجد المقاومة والمواجهة للمستعمر منذ ثورة 1924، على النحو المستمر وبما فيها من سجون؛ إلا عند الأستاذ محمود، رئيس الحزب الجمهوري. لقد كان الأستاذ محمود هو أول سجين منذ ثورة 1924، سجن مرتين، كما وردت الإشارة، في المرة الأولى خمسين يوماً، وفي الثانية سنتين (24) شهراً.

فكر المقاومة وجبهات المواجهة عند الأستاذ محمود

إن نور وروح أمثال الأستاذ محمود وليس قوة وثروة المتلاعبين بالشعب والأحداث، هي التي لها- في نظري- الأثر الملموس والباقي في تقدم التجربة الإنسانية⁽³⁾.

عبدالله النعيم

إن فكر المقاومة من أجل التحرير والتغيير والتضال ضد المستعمر عند الأستاذ محمود كان له شأن آخر. ففكر المقاومة عند الأستاذ محمود فكر شامل، تنظير وعمل ومواجهة

(1) المرجع السابق، 199.

(2) محمد أحمد المحجوب: الديمقراطية في الميزان، مصدر سابق، ص 20.

(3) عبدالله النعيم، "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد في القانون الإسلامي"، مرجع سابق، ص 46.

لجهات عديدة، وفي هذا فإنه لا يشبه فكر المقاومة عند المهاتما غاندى. كان الأستاذ محمود قد اتخذ موقفاً من مؤتمر الخريجين منذ الوهلة الأولى، وأعلن أنه لا يعمل سياسياً تحت لواء المؤتمر (تناولت موقف الأستاذ محمود من مؤتمر الخريجين، ضمن فصل بعنوان: "دور الأستاذ محمود فى الحركة الوطنية"، ولم يكن الأستاذ محمود عضواً فى أى هيئة من هيئات المؤتمر أو لجانه. لقد أخذ الأستاذ محمود بمبدأ المواجهة، والمواجهة عنده "هى معرفة، وسلوك بمقتضى المعرفة..."، كما ورد آنفاً. قاد الأستاذ محمود المواجهة ضد المستعمر وسجن مرتين، وهنا وجه شبه مع المهاتما غاندى، بيد أن مواجهة الأستاذ محمود كانت مواجهة شاملة. فقد واجه الأستاذ محمود العقل الثقافى السائد بما خلفه من معارف مألوفة وبما يسير عليه من طرق مطروقة، فواجه السلطات المختلفة: سياسية كانت أو مجتمعية، أو دينية... إلخ، والتي كان يرى أنها معيقة أو مجمدة لحركة التغيير. فقاد المواجهة بقوة ضد المثقفين ودعاهم للأخذ بمبدأ المواجهة مع المستعمر بدلاً عن منهج التفاوض والتسويات وتبادل المذكرات. وواجه الطائفية وانتقد الأحزاب كلها. أما المهاتما غاندى فقد تولى زعامة المؤتمر الوطنى الهندى أكبر الأحزاب الهندية وأخذ بمبدأ المقاومة السلمية وعدم التعاون مع المستعمر. كذلك كان الأستاذ محمود رئيساً للحزب الجمهورى وكان المبدأ الأساس عنده هو مواجهة الاستعمار، وكان يرى أن الحرية حق البلاد الطبيعى ويجب ألا تكون موضع مساومة. غير أن الأستاذ محمود كان مشغولاً بالفكر أكثر من التنظيم والسند الشعبى، فقد وصف مشاركته فى الحركة الوطنية بأنها: "... كانت بتتخذ جانب الفكر أكثر من جانب التنظيم .. والأحزاب اللى كانت بتكون عندها فرصة فى المشاركة هى الأحزاب اللى كانت بتعنى بالتنظيم والسند الشعبى" ⁽¹⁾. هنا يتجلى الاختلاف الكبير بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى.

الشاهد أن الأستاذ محمود صاحب مشروع كوكبى وصاحب رؤية لتغيير حياة الإنسانية، الفكر عنده مقدم على التنظيم. كما أنه سعى من خلال مشروعه إلى تصحيح علاقة الإنسان مع نفسه ومع الأشياء والأحياء فى الكون. وقد نظّر لمشروعه وأعلن عنه عبر إنتاج فكرى ضخم، واستعد لمواجهة النتائج المترتبة على الإعلان لمشروعه، فكتب وصيته

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، مصدر سابق.

قبل إعلان المشروع فى عام 1951. ولهذا، فإن مشروعه لم ينحصر فى مقاومة الاستعمار وتحقيق الاستقلال الوطنى، ولم يكن التنظيم وما يتبعه من سند شعبى مقدماً على الفكر. بينما وجد التنظيم والسند الشعبى عند المهاتما غاندى اهتماماً، كما انحصر مشروعه فى تحرير الهند وتقديم النموذج من خلال نضاله ومنهج حياته، وقد ألهمت تعاليمه ونجاحاته فى استخدام المقاومة السلمية واللاعنف بعض دعاة الحقوق المدنية والحرية فى العالم. إلا أن المهاتما غاندى لم يعلن عن أطروحة ذات طبيعة كوكبية ولم يقدم تنظيراً يهدف لتغيير حياة الإنسانية، كما هو الحال عند الأستاذ محمود. كان الأستاذ محمود مجدداً دعا لبعث الإسلام من جديد، بينما لم يعلن المهاتما غاندى عن شى من هذا القبيل. كان الأستاذ محمود ينادى بتحرير الأرض والعقول باتباع مذهبية اجتماعية ليس على مستوى بلده وإنما على مستوى العالم. يقول الأستاذ محمود: "ولكى توائم الإنسانية بين مذاهبها الاجتماعية، وبيئتها الطبيعية هذه الموحدة، أصبح لزاماً أن تبرز، إلى حيز الوجود، مذهبية اجتماعية، عالمية، موحدة، أيضاً، عندها تلتقى الإنسانية جمعاء، التقاء أصالة، بدوافع الجبلية المركوزة فى كل نفس بشرية، من حيث إنها بشرية، بصرف النظر عن اختلاف اللون، واللسان، والموطن"⁽¹⁾. وطرح المذهبية المحلية لتمثل الرؤية المستقبلية وهى تستند على أسس دستورية وتقوم على مبادئ الديمقراطية والحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية وتهدف إلى بناء الأمة وتحقيق السلام لمرحلة ما بعد الاستقلال، فهو يقول: "فقد يخرج الإنجليز غداً، ثم لا نجد أنفسنا أحراراً ولا مستقلين، وإنما متخبطين فى فوضى مالها من قرار"⁽²⁾. لم يقدم غاندى تنظيراً فى تلك الوجهة، وجهة المذهبية والرؤية لما بعد الاستقلال.

كانت جبهات المواجهة عند الأستاذ محمود واسعة وعديدة. فقد واجه الأستاذ محمود المستعمر البريطانى والمصرى مواجهة مستمرة وقوية وسجنه المستعمر مرتين لنحو سنتين وشهرين، كما ورد آنفاً. وواجه الأستاذ محمود معاصريه من طلائع

(1) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها"، مصدر سابق.

(2) الإخوان الجمهوريون، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، خلال ثلاثين عاماً، (1945-1975) - الكتاب الأول، مصدر سابق، ص 3-4.

المتعلمين وعاب عليهم منهج رفع المذكرات والمساومة الذى اتبعوه فى نضالهم ضد المستعمر، وطالبهم بالأخذ بمنهج النضال والخروج لقيادة الشعب لمواجهة المستعمر والكف عن أساليب المساومة وتبادل المذكرات الفوقية مع دولتى الاستعمار بريطانيا ومصر. كذلك واجه الأستاذ قادة الطائفية فى السودان، وكان يرى أن الطائفية هى السبب فى تجميد حركة التغيير.

كما واجه الأستاذ محمود رجال الدين والفقهاء والقضاة الشرعيين ومؤسساتهم التقليدية فى السودان، وامتداداتهم فى العالم الإسلامى فى الأزهر بالقاهرة وغيره. دعا لتطوير التشريع الإسلامى ونادى بالتغيير والتحرير، فتوسعت المواجهة وأصبحت مواجهة لكل العالم الإسلامى بعلمائه ومؤسساته. أيضاً، أرسل الرسائل للعلماء والمفكرين فى العالم، وإلى العلماء المسلمين فى مصر وباكستان، كما ورد آنفاً. قاد مواجهة قوية لدعوة القومية العربية وواجه خطاب الرئيس جمال عبدالناصر، وأرسل خطاباً شديداً للهجة إلى اللواء محمد نجيب قائد ثورة 23 يوليو 1952، وأرسل كذلك خطابين للرئيس عبدالناصر، كما وردت الإشارة إليهما، ليس فى الخطابين سوى النقد الشديد والمواجهة التى لا تعرف كبيراً.

الشاهد أن كل هذه المواجهات كانت من خلال المواقف وكلها موثقة من عند الأستاذ محمود وتلاميذه كتباً منشورة ومعلومة. كانت المواجهة هى ديدن الأستاذ محمود، فقد واجه عقلاً ثقافياً سائداً فى السودان وله تمدداته الخارجية فى الفلك العربى والإسلامى، الأمر الذى يسر تشكيل التحالف وتنظيم المؤامرة ضده. وبرغم المؤامرة الواسعة ضده، فإنه لم يحد قط عن موقفه وأقواله ومواجهته لكل القديم والجهل حتى لحظة صموده وابتسامته فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985 على منصة المشتقة بساحة سجن كوبر بمدينة الخرطوم بخرى، الخرطوم عاصمة السودان.

الصيام: بين المهاتما غاندى والأستاذ محمود

وفى الواقع ليس عندنا نحن ما نشكوه مما حدث (1).. بل نحن راضون بكل ما جرى.. ونحن شديدى الثقة بأن تدبير الله فى هذا الأمر أولى من تدبيرنا وأفضل من تدبيرنا.. والأخ المعتدى أنا أعتقد إنو ضحية حتى الذين وراءهم أيضاً ضحايا لتضليل طويل وعريض وواسع ونحن نسأل الله أن يخرج شعبنا بجميع طبقاته وجميع أفرادوا من الظلمات إلى النور (2).

محمود محمد طه

كان الصيام من الأسلحة الدائمة عند المهاتما غاندى.. بينما لم يكن الصيام سلاحاً دائماً عند الأستاذ محمود، ولم يستخذه، وفقاً لما هو معلن، إلا فى المرتين اللتين سجن فيهما. وقد نجح سلاح الصيام فى المرتين، ولكن لم يكن الغرض من الصيام الاحتجاج. ففى المرة الأولى عام 1946 سجن الأستاذ محمود فى سجن كوبر بالخرطوم بحرى. كان يخالف تعليمات السجن ولا يتصاع لقوانينه وأوامره ويرفض القيام لمدير عام السجن عند مروره الروتينى، مما حدا بإدارة السجن أن تضع الأستاذ محمود فى الزنزانة (الحبس الإنفرادى)، قبل المرور الروتينى لمدير عام السجن. يقول الأستاذ محمود:

فى الزنزانة أنا بصوم ما يسمى بالصيام الصمدى عند الصوفية.. الحركة الوطنية بتاعتنا نحن الجمهوريين فى خارج السجن كانت بتشوشر شوشرة كبيرة وترفع المسألة دى وأنه محمود لسوء المعاملة فى السجن مضرب عن الطعام فحصلت قلاقل شديدة جداً ليهم.. قاموا فكروا فى أنو الموضوع دا ما ينتهى كده وما فى

- (1) ماحدث هو أن الأستاذ محمود فى أثناء تقديمه لإحدى محاضراته فى مدينة الأبيض فى مساء الثانى والعشرين من مايو 1969، اقترب أحد الحاضرين للمحاضرة، من المنصة وضرب الأستاذ محمود، ضربة قاسية على رأسه كما ورد سابقاً. هاج الحضور رافضين لهذا السلوك، وأرادوا أن يتالوا من الرجل الذى ضرب الأستاذ محمود، إلا أن الأستاذ محمود وقف حامياً للرجل، ورافضاً أن يمس أحد، ثم واصل حديثه فى المحاضرة، والدم ينزف من رأسه، حتى انتهت محاضרתه. وبعد انتهاء المحاضرة تمت مقابلة الطبيب الذى رأى إجراء عملية خياطة للفتحة التى أحدثتها الضربة فى الرأس، وتم إجراء العملية من دون بنج، إذ لم يكن البنج متوفراً.
- (2) محمود محمد طه، "مشكلة الشرق الأوسط"، (محاضرة)، نادى السكة الحديد بالأبيض، 22 مايو 1969، المحاضرة مسجلة بصوت الأستاذ محمود، من موقع الفكرة الجمهورية، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 5 فبراير 2013، الموقع على الإنترنت: www.alfikra.org

فايدة فيه وبرضو المديرين بتاعين السجن ذكروا مدير عام السجن أنو الحكاية البيعملها محمود دى راح تثير بعض المساجين للمعارضة لأنو هو متمرّد ونحن كل البنعملو ليهو بنوديهو الزنزانة ودا بزيد عطف الجماعة المساجين فى الدرجة الثانية عليه فأحسن يكون فى إفراج عنه .. بعد الخمسين يوم كان فى اقتراح للحاكم العام أن يفرج عنى كعمل رحمة .. وجاء فعلا الجواب بأن يفرج عنى بعد الخمسين يوم كتدخل من الحاكم العام رحمة منه ⁽¹⁾.

فى السجن الثانى عام 1946 الذى بدأ فى مدينة مدنى ثم انتهى فى سجن كوبر واستمر لمدة سنتين، استخدم الأستاذ محمود أسلوب الصيام للمرة الثانية. يقول الأستاذ محمود: "بديت بطبيعة الحال بنفس الاسلوب بتاعى اللى هو الصيام الصمدى فكان سبعة أيام ما فيها أكل ولا شراب لا بالليل ولا بالنهار" ⁽²⁾. الشاهد أن الأستاذ محمود لم يستخدم سلاح الصيام كأداة احتجاج، فى المرتين الوارد ذكرهما، وكما هو معلن. قد يكون استخدم الصيام فى مرات أكثر فى خاصة نفسه، من المعروف أن الأستاذ محمود عاش تجارب روحية كبيرة. فقد اعتكف لمدة ثلاث سنوات فى مدينة رفاعة. الشاهد أن الأستاذ محمود لم يستخدم الصيام فى مرتين كسلاح احتجاج، رغم ارتباط صيامه بذلك، بينما ظل سلاح الصيام سلاحاً دائماً للمهاثما غاندى حتى آخر أيام حياته. كان الأستاذ محمود يستخدم فى مقاومته ونضاله مختلف أدوات المثقف الحدائى كما وردت الإشارة: المنشور، البيان، المقال، الكتاب، المحاضرة، ... إلخ، ولم يلجأ للصيام كأداة من أدوات المقاومة والنضال، كما هو الحال عند المهاثما غاندى. ويضاف إلى ذلك أن الأستاذ محمود كان له تلاميذ وتلميذات أشرف على تكوينهم وتدريبهم وتجريبهم ثم سمح لهم بالتحدث باسمه ومن ثم ألفوا الكتب تحت إشرافه، الأمر الذى وفر لنا تراثاً إنسانياً ضخماً، يتسم بالحياة والجدة والأصالة والشمول. وعلى الرغم من أن هذا التراث ظل حياً ومقاطعاً من قبل أهل السودان وأهل الأرض كذلك، حتى تاريخ اليوم، إلا أن لحظة انفجاره آتية لا ريب فى ذلك.

(1) لقاء الأستاذ محمود بمندوبى معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

هل من تشابه أو مشترك أو تأثر؟

الخلائي موله بحب محمود، مقدرة غير العادية على إشعار كل إنسان بى قيمته الإنسانية.. بعاملك على أساس إنك حر، ويحترمك، مهما اختلفت معاه!! أنا ما كنت بفوت محاضرة، ولا ندوة، ولا حتى جلسة داخلية للجمهوريين.. وكان محمود يعرفنى، بقولو دا يونس الدسوقى صديقنا، وحتى مرة قالها فى محاضرة عامة.. مع دا كلو، ما حصل محمود قال لى أنت شيعى ليه.. ولا حصل قال لى ابقى معانا جمهورى!! مرة واحد مولانا اسمو شيخ عبد الله، كان قاعد معانا، وقال لمحمود: يونس صاحبك دا ما عندو دين.. قام محمود قال لى: انت دينك شنو يا يونس؟! قلت ليهو: انا دينى حب البروليتاريا!! مولانا قال: أعوذ بالله، أعوذ بالله.. فقام محمود قال: الله دينو محبة الأحياء والأشياء.. الله خلق الوجود بالمحبة. مولانا قال: لا يا أستاذ.. الله خلق الوجود بقوله كن فيكون!! محمود قال ليهو: معنى بالإرادة يا مولانا؟! شيخ عبد الله قال: آية. محمود قال ليهو: الشيخ العبيد ودبر قال الإرادة ريدة، معنى محبة!! فسكت مولانا⁽¹⁾.

يونس الدسوقى، نقلاً عن عمر القراى

فى ديسمبر من عام 1972 كانت إليزابيث هودجكنز، طالبة الدكتوراة بقسم التاريخ بجامعة الخرطوم، وقتئذ، قد أدارت حواراً مطولاً مع الأستاذ محمود، ونشر الحوار بصحيفة الصحافة آنئذ. وقفت إليزابيث فى حوارها مع الأستاذ محمود، من بين ما وقفت عليه، عند الذين تأثر بهم الأستاذ محمود وعند قراءته، وذلك من خلال سؤالين، تقول فى الأول: "نعود الآن إلى شخصك.. من هم المفكرون الذين تأثرت بهم فى تطوير أفكارك؟"⁽²⁾.

-
- (1) عمر القراى، "فى ذكرى الأستاذ محمود: سلام على يونس الدسوقى فى العالمين!!"، من سودانيل، الاسترجاع (Retrieved) 2012/12/1، الموقع على الإنترنت: <http://www.sudanile.com>
- (2) محبوب كراى، "محمود محمد طه فى حوار صوفى مع مسز هودجكنز"، (حوار)، صحيفة الصحافة، السبت 1972/12/16. قام بالترجمة، أثناء الحوار، عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، إذ ورد فى نص الحوار: (وتساءلت الأستاذة هودجكنز فى رقة: هل تكون المناقشة بالعربية أم بالانجليزية؟ ولكنها استدركت: أنا شخصياً أفضل ان تكون بالانجليزية لصعوبة المفردات التى ساضطر لاستعمالها. وأجابها الأستاذ محمود: لنكن بالاثنتين معاً.. تسألنى أنت بالانجليزية وأجوبك أنا بالعربى ويتولى الأستاذ عصام مهمة الترجمة بيننا.. وهكذا جرى الحوار).

والسؤال الثاني: "هل قرأت لفكرين إسلاميين؟" (1). فأجاب الأستاذ محمود قائلًا: "في الحقيقة لا يوجد مفكرون بالمعنى الذى كان لهم أثر على حياتى. ولكن هناك أصحاب مناهج هم الذين تأثرت بهم وهم النبى.. والغزالي.. فلقد اتبعت المنهاج وقرأت شيئاً قليلاً.. شذرات من هنا وهناك ولهذا لا أقول بتلمذتى على مفكر معين" (2). وعن قراءاته أجاب الأستاذ محمود قائلًا: "لم أقرأ لفكرين إسلاميين طبعاً ولكن قرأت قليلاً لماركس ولينين وبرتراند راسل وشو وهج وولز.. والموضوع الذى جئت به لم يأت به السابقون حتى ولا ابن عربى فهو جديد كل الجدة" (3). الشاهد أن مشروع الأستاذ محمود لم يقرأ حتى الآن، ولم تسلط عليه الأضواء، ولم يدرس بعد، ولم تكتشف جوانبه ولا يدرك الناس حجمه، ولهذا فإن أى مقارنة بينه وبين أى مفكر أو مصلح أو قائد آخر تكون قاصرة وناقصة. فالمشروع إذا ما فتح الحوار حوله سيجد الناس أنه مشروع يحمل فى داخله الأدلة القوية الساطعة والبراهين القاطعة على جدته وأصالته واتساقه. لقد سعى الأستاذ محمود ضمن مشروعه أن يجيب على المستعصى من الأسئلة الكبرى والمزمنة، مثل التسيير والتخير، وغيرها من القضايا الكبرى التى شغلت الفلاسفة، وقدم الأستاذ محمود إجاباته فى كم هائل من الكتب والمنشورات. وكان المهاتما غاندى مشغولاً بشكل واضح بقضية التسيير والتخير، يقول المهاتما غاندى: "وهل الإنسان مخير أم مسير فى أفعاله وما هو أثر إرادته الحرة، وأين يتدخل القدر، فهى كلها أمور ستظل لغزاً يستعصى على كل حل" (4). الشاهد أن الأستاذ محمود فى مثل هذه القضايا كتب ونشر كتابات واسعة ومتعمقة، ويصعب الآن جرد ما طرحه حول قضية التسيير والتخير فى هذه المساحة الضيقة.

هناك بعض المشتركات بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، وهناك ما يشبه المشترك. فمن المشتركات أن كليهما تلقى تعليمه فى مؤسسات التعليم الحديث للمستعمر، مع تحرر تام من المعرفة الاستعمارية. تجلّى التحرر فى المقاومة للمستعمر وفى الرجوع إلى المرجعية الثقافية والموروث الفكرى المحلى. عاد الأستاذ محمود إلى جذور التصوف الإسلامى،

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المهاتما غاندى، فى سبيل الحق أو قصة حياتى، مصدر سابق، ص 23-24.

وإلى العمق الحضارى الموروث للشخصية السودانية من كوش والممالك النوبية، فأتى بمشروع كوكبى قوامه بعث الإسلام من جديد، وغايته الإنسان وأهم مرتكزاته التطوير والاتساق ويحمل حلاً شاملاً لقضايا البشرية. وتجلى اعتداد الأستاذ محمود بإفريقيته حينما طالب بانسحاب السودان من جامعة الدول العربية، لكون أهل السودان أمة أفريقية كما ورد آنفاً (أنظر ملحق رقم: "34" و"35"). كان المهاتما غاندى قد عاد إلى جذور ثقافته الهندوسية الروحانية ليفجر منها كوامن القوة وطرق الخلاص ومناهجه، بينما حصر مشروعه فى الهند وتحريرها. فالمهاتما غاندى عند الأستاذ محمود هو الأب الروحى للهند، وهو الذى أثار الروحانية الهندية، كتب الأستاذ محمود فى يوم 31 مارس 1958 فى صحيفة أنباء السودان وهو يتحدث عن نهرو تحت عنوان: "نهرو والمثالية" ضمن مقال مطول عنوانه: "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، وقد وردت الإشارة إلى ما كتبه الأستاذ محمود فى صدر هذا الفصل⁽¹⁾. ومن أوجه التشابه بين غاندى والأستاذ محمود أن كليهما رفض تقسيم بلاده وسعى جاهداً لصون وحدتها.

أيضاً، كان من بين المشتركات بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، أن كليهما توفى والده وظل يتحدث عن مربيته باحترام. ورد آنفاً حديث الأستاذ محمود عن مربيته. أما المهاتما غاندى فقد تحدث عن مربيته من خلال حديثه عن عدم رغبته فى الذهاب للمعبد قائلاً: "غير أن ما فاتنى منه قد جنيته عن طريق مربيته (رامبها)، وهى خادم عجوز فى خدمة الأسرة لا زلت أذكر حبها لى وحنانها على"⁽²⁾. كلاهما كان نباتياً، واتخذاً من الزهد واللبس المحلى البسيط والتقشف والتواضع والتزام جانب الشعب مبدأ أساسياً لا حياد عنه. أخذ المهاتما غاندى بالمقاومة السلمية وباللاعنف وكذلك الأستاذ محمود بل قام بتربية تلاميذه الجمهوريين على عدم رد الاعتداء الأمر الذى تجسد فى سلوك الجمهوريين مع المعارضين فى الطرقات والأماكن العامة فى السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم. كلاهما اغتيل فى شهر يناير بمؤامرة من أهل ملته، المهاتما غاندى قتل عن 78 عاماً فى يوم 30 يناير بواسطة أحد المتطرفين من الهندوس. واغتيل الأستاذ محمود عن 76 عاماً

(1) محمود محمد طه، "فى الميدان السياسى: نظرات فى السياسة الخارجية والداخلية"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 152، بتاريخ 1958/3/31.

(2) المصدر السابق، ص 31.

بواسطة مؤسسة الدولة الرسمية عبر تحالف واسع بين الفقهاء والمؤسسات الإسلامية فى مصر والسعودية، وكان مناصروه من غير تلاميذه وتلميذاته آنذ قلة.

كان المهاتما غاندى قد وجد القبول من مثقفى الهند وبالتالي القبول من شعوبها فنصب زعيماً، وبعد مقتله منحه الدولة شرف "والد الأمة" وأقامت له النصب التذكارية، وظل يوم ميلاده الثانى من أكتوبر هو يوم عطلة وطنية فى الهند، تحتفى به الدولة باعتباره عيد ميلاد والد الأمة، ودولياً ظل الثانى من أكتوبر هو اليوم العالمى للآ عنف. وبفضل كل ذلك أقيمت نصب تذكارية للمهاتما غاندى فى بعض دول العالم مثل لندن ونيويورك وغيرها. بينما ظل الأستاذ محمود غير ذلك تماماً. وفى تقديرى أن الأستاذ محمود كان أقرب إلى المستقبل منه إلى الماضى أو الراهن، فكلما تقدمت البشرية يوماً فى حياتها اقتربت من الأستاذ محمود. ولهذا فإن رد الاعتبار للأستاذ محمود سيأتى قريباً، فإن تأخر رد الاعتبار فإنه يتأخر نتيجة لهيمنة العقل الثقافى السائد الذى اغتال الأستاذ محمود، وظل يأخذ بالقديم وهو مسكون بالجهل، ولا يزال يمسك بمفاصل الأمور، بيد أنه بدأ فى الانحسار والتكلس وفى طريقه لما يشبه التلاشى.

هل تمثل الرغبة فى دراسة القانون دليلاً على التأثير بغاندى؟

ما يشبه المشترك بينهما، دراسة المهاتما غاندى للقانون، ورغبة الأستاذ محمود فى دراسة القانون. هنا ما يوحى بالمشارك أو التأثير بيد أن الأمر غير ذلك. لقد ذهب المهاتما غاندى إلى دراسة القانون فى إنجلترا بنصيحة من صديق العائلة القديم، وهو رجل اتسم بالحكمة والمعرفة، وناصح أمين كما وصفه المهاتما غاندى⁽¹⁾. قال الصديق جوشى جى للصبى غاندى بمعية عائلته، وهو يريد له أن "يستأثر بمنصب مثل منصب أبيه"، ويذهب لدراسة القانون فى إنجلترا، قال: "أست تفضل أن تذهب إلى إنجلترا؟"⁽²⁾ فقال غاندى واصفاً وقع الحديث عليه: "ولم يكن شىء فى الواقع أحب إلى نفسى من ذلك، كنت عاجزاً عن ملاحقة دروسى فى الكلية (كلية سامالداس)، فلم أكد أسمع منه هذا العرض حتى تشبثت

(1) المهاتما غاندى، فى سبيل الحق أو قصة حياتى، مصدر سابق، ص 34.

(2) المصدر السابق، ص 35.

به وقلت (وخير البر عاجله)⁽¹⁾. بينما كانت الرغبة فى دراسة القانون عند الأستاذ محمود، بعد دراسته للهندسة، ترتبط بهدف واحد هو "البحث عن مصدر ممكن للاستنارة المتزايدة". وقد تجلّى هذا الهدف الوحيد بشكل ساطع فى الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، فقد برز الأستاذ محمود فى كل مواقف وفى كتاباته رجل قانون برغم دراسته للهندسة. بل جل الكتب التى كتبها الأستاذ محمود لا تخلو من حديث عن القانون، ليس حديث العارف المتخصص فى القانون فحسب؛ وإنما حديث المنظر وفيلسوف القانون والدارس للقانون بمداخل مختلفة تاريخية وثقافية واجتماعية وفكرية ودينية منذ نشأة المجتمع والعرف وقانون الغابة وقانون الإنسان، والعلاقة بين الفرد والمجتمع والكون⁽²⁾، وقد ورد ذلك بتوسع فى جل كتبه.

وعن أهمية المجتمع للفرد يقول الأستاذ محمود: "إن قيمة المجتمع للفرد لا تساويها قيمة.. هو أكبر الوسائل لإنجاب الفرد الحر، الكامل.. ولقد يكفى أن يقال هنا أنه الوسيط الذى فيه يتحرك الفرد، وفيه يمارس العبادة، ويمتحن الأخلاق، ويميز القيم.. وفيه يجد الأمن، ويستشعر الحب، ويباشر التعاون، والعمل، ويحصل العلم.. وبالعلم، والعمل وفق هذا العلم، يتوكد وجود الفرد، وتنضج شخصيته، وتقوى، وتحقق حريته، وتتسع حياته، وتخصب"⁽³⁾.

من الملاحظات الجديرة بالذكر والاهتمام أن دراسة القانون فى فترة من الفترات كانت قد جذبت طلائع المتعلمين السودانيين. فهناك عدد كبير منهم درس القانون بعد تخرجه فى كلية غردون. من هؤلاء (أمثلة فقط) أحمد خير المحامى الذى تخرج فى قسم الترجمة فى كلية غردون، ومدثر البوشى (1901-1985)، ومحمد أحمد المحجوب الذى تخرج فى قسم المهندسين. وإبراهيم المفتى (1908-1983) الذى تخرج فى قسم المحاسبين، ومبارك زروق (1914-1965) الذى تخرج فى قسم المحاسبين بكلية غردون.

(1) المصدر السابق، ص 35.

(2) محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 19-5. محمود محمود طه، "نشأة المجتمع والقانون ونشأة الإسلام"، الإسلام، مصدر سابق، 16-38. وكتب كثيرة أخرى غيرها.

(3) محمود محمد طه، تعلموا كيف تصلون، من سلسلة الثورة الثقافية، أربجى، 1972 - ربيع الآخر 1392هـ، ص 5-9.

التغيير: بين المهاتما غاندى والأستاذ محمود

أمضى الأستاذ محمود أربعين عاماً يعلم شعبه بكتبه: تعلّموا كيف تصلون،
تعلّموا كيف تصدقون، تعلّموا كيف تتعاملون، ثم كتب كتابه الأخير: تعلّموا
كيف تموتون⁽¹⁾.

أسامة الخواض

مع تقديمه للنموذج الإرشادى والتطبيق العملى لمبادئه بما فى ذلك فكر المقاومة السلمية، ظل الأستاذ محمود، صاحب مشروع كوكبى للتغيير، بينما قدم غاندى النموذج الإرشادى لفكر المقاومة السلمية بيد أنه كان صاحب أمانى محلية، داخل الهند، للتغيير. سعى كلاهما لإعادة التعاريف للعناوين والمصطلحات، وإعادة توصيف القيم والمفاهيم. غير أن تعاريف المهاتما غاندى للقيم التى يؤمن بها مقارنة مع تعاريف الأستاذ محمود، تكشف عن تباين كبير. بل لعل الدارس يدرك منذ الوهلة الأولى الفرق الشاسع بين التعريف الذى يعمل بالتفاعل والتداخل والترابط والتناسق والاتساق ضمن مشروع، كما هو الحال عند الأستاذ محمود، وبين التعريف الذى يسعى لتأدية دوره بشكل انغزالى فى إطار الفرد دون ارتباط ذلك بالفرد وعلاقته بالمجتمع والكون. جدير بالذكر أن الأستاذ محمود له رؤية فى المصطلحات والمفاهيم بل له قاموسه الخاص فى المصطلح والمفهوم والتعاريف⁽²⁾، كما أعاد توصيف بعض المصطلحات على ضوء أسنسة الحياة المرتكزة على الأخلاق. ودعا لإعادة النظر فيما تواضع عليه الناس من مفاهيم ومدلولات. يقول الأستاذ محمود: "وينفس القدر الذى أصبحنا به نعيش فى بيئة جديدة فقد وجب علينا أن نفكر تفكيراً جديداً يتسم بالإحاطة والشمول والدقة ووجب علينا أيضاً أن نعيد النظر فيما

(1) أسامة الخواض. كتب أسامة هذا النص فى إحدى مداخلاته فى المنبر العام على موقع سودايز أونلاين، وقد أشار إليه بعض الباحثين والمتداخلين فى أوقات وكتابات مختلفة، بعضها كان فى شهر نوفمبر عام 2006. رجعت إلى أسامة واستفسرت منه عن النص، فأكد لى صحته بينما لم تسعفه الذاكرة بوقت كتابته؛ إبراهيم يوسف فضل الله، ذكريات جمهورى، مصدر سابق، ص 144.

(2) أعد حالياً فى كتاب عنوانه المبدئى هو: معجم المصطلحات والمفاهيم عند محمود محمد طه. كان أستاذى عصام عبدالرحمن أحمد البوشى قد أهدانى فكرة هذا المعجم، وحدثنى عن أنه ظل مشغولاً به لدى عقود. كان ذلك فى منزله بمدينة ودمدنى فى يوم 2011/11/28. ومنذ ذلك اليوم عاهدت نفسى على إنجاز هذا المعجم، وفاءً لانشغاله به، وتقديراً لاختياره لى.

تواضع الناس عليه في العهود السوابق من مفاهيم ومدلولات⁽¹⁾.

يربط الأستاذ محمود تحرير الفرد بعلاقته بالمجتمع وبالكون. فتحرير الفرد من الخوف يتصل بجهله بعلاقته بالمجتمع من جهة وبالكون من جهة أخرى. يقول الأستاذ محمود: 'إن المشكلة التي أعجزت الفلاسفة الاجتماعيات، في الماضي، والحاضر، إنما هي مشكلة علاقة الفرد بالمجتمع، وعلاقة الفرد بالكون، وذلك بأن الفرد إذا لم يتحرر من الخوف الذي رسبه في صدره الجهل بهاتين العلاقتين، فلن يكون في سلام، لا مع نفسه، ولا مع الآخرين'⁽²⁾. بينما ينظر المهاتما غاندي إلى التخلص من الخوف في إطار الفرد دون إعطاء تفسير للخوف في إطار علاقة الفرد بالمجتمع والكون. ويمكن القياس على ذلك، فمثلاً عن التواضع يقول المهاتما غاندي: "على أن أنقص من قدر نفسي وأن أتضاءل حتى أكون صغيراً، فإنه لا سبيل إلى خلاص المرء إلا إذا اتخذ مكانه طائعاً مختاراً في نهاية الصف بين زملائه في البشرية. ذلك أن المحبة والتعفف عن العنف والكراهية هما أعلى مراتب التواضع"⁽³⁾. بينما يقول الأستاذ محمود: "التواضع هو أصل الخلق الرصين، الذي يسوق إليه العلم الصحيح"⁽⁴⁾. كذلك في تعريف الأخلاق عند الأستاذ محمود تعريف مختلف، يقول الأستاذ محمود: "الأخلاق في الإسلام ليست هي الصدق، والأمانة، ومعاملة الناس بما تحب أن يعاموك به، إلى آخر هذه الفضائل السلوكية المحمودة.. وإنما هذه نتائج الأخلاق، وثمرتها، ولكن الأخلاق هي حسن التصرف في الحرية الفردية المطلقة. وحسن التصرف هذا بإزاء الخالق أولاً، والخلق ثانياً، وفي نفس الأمر"⁽⁵⁾.

سعى المهاتما غاندي في فكر مقاومته السلمية وفي منهجه الحياتي وفي تطبيقه لمنهج ومبدأ اللاعنف إلى تقديم النموذج الإرشادي بالتطبيق العملي في خاصة نفسه وأتباعه،

(1) محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية في السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها"، مرجع سابق.

(2) محمود محمد طه، "إلى أبنائي المحبوبين سعيد، وجلال، وإخوانهما في القسمين..."، (رسالة)، 8 ديسمبر 1984، من سجن كوبر، الخرطوم بحري، الخرطوم.

(3) المهاتما غاندي، في سبيل الحق أو قصة حياتي، مصدر سابق، ص 262.

(4) حمد النيل عبدالله العركي، جواهر المعاني في حاضرة الأستاذ محمود محمد طه، مصدر سابق، ص 47.

(5) محمود محمد طه، "ما علاقة المسؤولية بالأخلاق في الإسلام؟"، أسئلة وأجوبة: الكتاب الأول، مصدر سابق.

بينما جمع الأستاذ محمود بين التطبيق العملي والتنظير لمشروعه وتعليم تلاميذه وتلميذاته أسس المنهج والعمل به. لقد نشر الأستاذ محمود، كما ورد آنفاً، ستة وثلاثين كتاباً، وكتب تلاميذه نحو ثلاثمائة كتاب، إلى جانب المئات من المحاضرات والجلسات والمقالات... إلخ، تمحورت كلها حول فكرته، الفكرة الجمهورية. كان مبدأ اللا عنف وتحمل الأذى، مبدأً أساسياً عند الأستاذ محمود، وفي دعوته وفي سلوك تلاميذه، إلا أن الممارسة تقوم على حكمة مؤداها أن العدو الخارجى هو سبيل الاستدلال للعدو الداخلى. يقول الأستاذ محمود وهو يتحدث عن مبدأ المواجهة فى الفكرة الجمهورية، ومستوياتها: "مواجهة فى القمة: وهى العمل بالفكرة بلسان الحال، ولسان المقال ونشرها بين الناس بلسان رطب صادق يتحمل فى ذلك الأذى، ولا يرد الأذى. ولا يحسبن أحد أن هذا السلوك يمكن للفرد أن يستوحيه فى لحظة المواجهة، فإنه لا يمكن أن يتيسر لك أن تعمل إلا وفق ما أنت عليه.. فالمواجهة سيرة، وتربية طويلة، فإن احتمال الأذى من الناس، وكف الأذى عنهم، لا يكون إلا بمعرفة الحكمة من ذلك.. فالمواجه لا يرى أعداءه فى الخارج، وإنما يستدل بما فى الخارج على أعدائه فى داخله"⁽¹⁾. وهناك أمور تلتقى فيها العقول الكبيرة، يقول المهاتما غاندى: "كرهت أن أفعل فى الخفاء ما لا أفعله فى العلن". بينما كانت إجابة الأستاذ محمود حينما سأله منصور خالد ذات مرة قائلاً: "كيف تنتقى ابناءك وبناتك من الجمهوريين، وما الذى تتوخاه فيهم؟"⁽²⁾ قال منصور: أجاب الأستاذ محمود قائلاً: "فى البدء إن كان ذا مهنة فلا بد له من أن يجود مهنته، فالرجل الذى لا يستجيد مهنته يفتقد القوام الرئيس لقيادة الناس، وقوام كل شئ هو عماده.

الأمر الثانى هو القدرة على التبليغ، أى نشر الفكرة بين الناس بالتى هى أحسن بحيث لا يستفزه، عند الحوار، مستفز أو يزعجه مزعج. ثالثاً - وذلك هو بيت القصيد - أن لا يفعل فى سره ما يستحى من فعله فى علانيته"⁽³⁾. ويتصل ذلك عند المهاتما غاندى بالطهر، فهو يقول: "ولكى يصل الإنسان إلى أكمل درجات الطهر يجب أن يتخلص فى تفكيره،

(1) الحزب الجمهورى، المواجهة طرف من الجهاد الأكبر، مصدر سابق.

(2) منصور خالد، "محمود الذى عرفته"، مصدر سابق.

(3) المصدر السابق.

وفى حديثه، وفى فعله، من كل أثر الشهوات، وأن يرقى بنفسه فوق مستويات التذبذب بين الحب والكراهية، بين الوصل والبعد⁽¹⁾. بينما عند الأستاذ محمود فإن تقريب المسافة بين الفكر، والقول، والعمل، تحقق غرض الفرد فى توحيد القوى المودعة فى بنيته، باتباع الأسلوب العلمى فى حياته وفى خدمة الناس. أما الشهوات فهى تتصل بالكبت وهو شأن آخر. ففى تقديمه لكتابه: **تعلموا كيف تصلون**، الذى يقع ضمن سلسلة: **تعلموا كيف**، وهى سلسلة سعى الأستاذ محمود إلى إصدارها "حتى نشيع فى الناس الأسلوب العلمى لإنجاز كل عمل يرمى إلى خدمة الناس، وإلى إخصاب حياتهم، وإلى تيسير طرق كسب عيشهم"⁽²⁾. يقول الأستاذ محمود: "وهذا الأسلوب العلمى نفسه سيعنى، فى المقام الأول، بخدمة غرض الفرد بإعائته على توحيد القوى المودعة فى بنيته، وذلك بتقريب المسافة بين فكره، وقوله، وعمله، حتى يصبح يفكر كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، ثم لا تكون نتيجة قوله، ولا عمله، إلا برأ، وخيراً، بالأحياء والأشياء"⁽³⁾. وهنا تأتى الحرية بمستوييها. عن الحرية يقول الأستاذ محمود: "والحرية هى روح الحياة.. فحياة بلا حرية إنما هى جسد بلا روح.. وكفى أن نقول إن الحرية هى الفيصل بين حياة الحيوان، وحياة الإنسان..⁽⁴⁾ وعن مستويات الحرية الفردية يقول الأستاذ محمود:

الحرية الفردية، عندنا، فى الإسلام، على مستويين: الحرية النسبية، وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، وأن يقول كما يفكر، وأن يعمل كما يقول، على شرط أن يتحمل مسئولية قوله، وعمله، أمام القانون الدستورى.. والحرية المطلقة، وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول على شرط أن يكون فكره، وقوله، وعمله، برأ، وخيراً، بالأشياء، والأحياء.. والقانون الدستورى، هو الذى حين يطبق، يحقق، فى آن معاً، حاجة الفرد، وحاجة الجماعة.. فلا هو يضحي بالفرد لمصلحة الجماعة، ولا هو يضحي بمصلحة الجماعة فى سبيل الفرد⁽⁵⁾.

(1) الهانغا غاندى، فى سبيل الحق أو قصة حياتى، مصدر سابق، ص 262.

(2) محمود محمد طه، **تعلموا كيف تصلون**، مصدر سابق، ص 2.

(3) المصدر السابق، ص 2.

(4) محمود محمد طه، **رسالة الصلاة**، ط 1، أمدردمان، 1966، ص 16-29.

(5) محمود محمد طه، **الدياجية**، مصدر سابق، ص 23.

وأمام القانون الدستوري يتحمل الفرد نتيجة خطئه، يقول الأستاذ محمود: "وفى واقع الأمر فإن السلوك جميعه، وممارسة الحرية برمتها، إنما هى سلسلة من التصرف الفردى فى الاختيار والتنفيذ... أو قل فى حرية الفكر، وحرية القول، وحرية العمل... على شرط واحد هو أن الانسان يتحمل نتيجة خطئه فى القول، وفى العمل، وفق قانون دستورى"⁽¹⁾. أما التخلص من أثر الشهوات عند المهاتما غاندى، فهو يقود إلى كمال درجات الطهر، يضيف المهاتما غاندى قائلاً: "وإن قهر الشهوات الكامنة فى النفس لهو أشق بكثير من قهر العالم أجمع بحد السيف"⁽²⁾. أما الكمال عند الأستاذ محمود فهو فى السلامة من الخوف. يقول الأستاذ محمود: "والخوف، من حيث هو، هو الأب الشرعى لكل آفات الأخلاق ومعايب السلوك، ولن تتم كمالات الرجولة للرجل وهو خائف، ولا تتم كمالات الأنوثة للأنثى وهى خائفة، فى أى مستوى من الخوف، وفى أى لون من ألوانه، فالكمال فى السلامة من الخوف"⁽³⁾. بل عند الأستاذ محمود لا بد من التحرر من الخوف من أجل كمال العقول وكمال الأجساد. كما أن الشهوة عند الأستاذ محمود لا تقرأ بمعزل عن الخوف والكبت، يقول الأستاذ محمود "بنشأة العرف الذى ينظم العلاقة الجنسية، والملكية الفردية نشأ الكبت الذى أوجب أن يكون للعقل سلطان على النفس... ومن ههنا برز الإنسان، فى مستوى من مستويات المسؤولية، ميزته عن الحيوان السائم... فالغريزة الجنسية، وحب الملكية الفردية، هما أول ما وقع عليه الكبت..."⁽⁴⁾. وعن معنى الكبت يقول الأستاذ محمود: "والكبت يعنى السيطرة على الشهوة، فلا تعبر عن نفسها فى انطلاق بلا قيد، كما يفعل الحيوان... وفى مضمار التحرر من الخوف يجىء فض الكبت"⁽⁵⁾، بيد أن الفض لا يجىء فجأة، يقول الأستاذ محمود: "لا يجىء فض الكبت فجأة، وبغير فكر يهدى التطور، كما يظن الماديون، حيث يتحدثون عن تحرير الغرائز، وهم لا يعلمون ما يقولون... لا بد للفرد

(1) محمود محمد طه، نحو مشروع مستقبلى للإسلام: ثلاثة من الأعمال الأساسية للمفكر الشهيد، 1. الرسالة

الثانية من الإسلام 2. رسالة الصلاة 3. تطوير شريعة الأحوال الشخصية، مصدر سابق، ص 180.

(2) المهاتما غاندى، فى سبيل الحق أو قصة حياتي، مصدر سابق، ص 262.

(3) محمود محمد طه، الرسالة الثانية من الإسلام، ط1، مصدر سابق، ص 28-33.

(4) محمود محمد طه، الدياجة، مصدر سابق، ص 9، 21-31.

(5) المصدر السابق.

اليوم، من أجل تطوره فى مضمار وحدة بنيته، من الكبت، المبود، الواعى، ليستطيع، بعد تجويد الكبت، أن يدخل مرحلة فض الكبت، بعلم، وبذكاء..⁽¹⁾. ولأجل كمال العقول والأجساد يقول الأستاذ محمود "لا بد من التحرر من الخوف من أجل كمال العقول وكمال الأجساد"⁽²⁾.

الموقف من الحضارة الغربية

كلاهما كان لديه موقفٌ من الحضارة الغربية. فقد كان المهاتما غاندى رافضاً للحضارة الغربية رفضاً كاملاً، بينما كان موقف الأستاذ محمود يقوم على نقد علمى اتبعه بتقديم رؤية حضارية بديلة ومتكاملة. لم يقف الناس حتى تاريخ اليوم على رؤيته، وقد تضمنتها كتبه التى نشرها وقد بلغت ستة وثلاثين كتاباً. يكاد لا يخلو كتاب من كتب الأستاذ محمود من الحديث عن الحضارة الغربية والموقف منها.

أورد عمر عوض الله قسم السيد فى كتابه: الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان⁽³⁾، حديثاً لنهرو ضمن كتابه: اكتشاف الهند، عن موقف غاندى من الحضارة الغربية، كتب نهرو قائلاً:

لقد كانت الصفوة الوطنية الهندية بكل المقاييس، تضع وزناً عالياً لقيم مجتمعهم الهندى، وحساسية تامة لأهمية ذلك لأمتهم الناهضة. بينما كان المهاتما غاندى، أبو الأمة، ملتزماً بطريقة عاطفية للقيم التقليدية للمجتمع الهندى، ومهتماً باستعادتها عن طريق الرفض الكامل للحضارة الغربية.

طرح الأستاذ محمود دعوته، وقال بأنها دعوة لمدينة جديدة، وتحدث عن الفلسفة الاجتماعية التى تقوم عليها تلك المدينة الجديدة، كما ورد آنفاً، وقال بأنها: "ديمقراطية اشتراكية تؤلف بين القيم الروحية وطبائع الوجود المادى تأليفاً متناسقاً مبرأ على السواء من تفريط المادية الغربية التى جعلت سعى الانسانية موكلاً بمطالب المعدة والجسد ومن

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) عمر عوض الله قسم السيد، مرجع سابق، ص 44.

إفراط الروحانية الشرقية التي أقامت فلسفتها على التحقير من كل مجهود يرمى الى تحسين الوجود المادى بين الأحياء⁽¹⁾. وقال الأستاذ محمود بأن سمة هذه المدنية الجديدة: "الإنسانية فانها ترى أن الأسرة البشرية وحدة وأن الطبيعة البشرية حيث وجدت فهي بشرية وأن الحرية والرفاهية حق مقدس طبيعى للأسود والأبيض والأحمر والأصفر⁽²⁾. وتحدث الأستاذ محمود عن "الحضارة الغربية واغتراب الإنسان"⁽³⁾، قائلاً: "إن دعوتنا هذه إنما هي لمدينة جديدة، تخلف المدنية الغربية الحالية، المنقسمة بين النظام الرأسمالى والشيوعى، والتي ظهر قصورها عملياً عن حل مشكلة الإنسان اليوم، فقد برعت وافنتت فى صنع الآلة، وأنجزت انجازاً كبيراً، فى المجال المادى، والتقنى. ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً، فى استيعاب طاقة الإنسان المعاصر، وتوجيهه"⁽⁴⁾. وتناول الأستاذ محمود اغتراب الإنسان عن حضارة اليوم، فكتب قائلاً: "الإنسان اليوم مغترب عن النظم السياسية، والاجتماعية، مغترب عن التقاليد، والأعراف والموروثات، والمسلمات، والقيم التقليدية، واغترابه إنما هو شعوره بالحيرة المطبقة، وبالقلق، والاضطراب، ثم هو فى قمة شعوره بفرديته المتميزة التى يرفض أن يذبيها عفوياً فى تيار التطور المادى"⁽⁵⁾. ثم ناقش الأستاذ محمود سبب هذا الاغتراب، وقال: "والسبب الأساسى فى اغتراب الإنسان هو انه ذو طبيعتين، طبيعة مادية، وطبيعة روحية، فهو مكون من جسد ومن روح. فإذا أشبعت حاجة المعدة والجسد- الحاجة المادية، برز جوع الروح، وجوعها إنما هو حنينها إلى وطنها، الذى صدرت منه، حنينها إلى الله"⁽⁶⁾. ونظر الأستاذ محمود فى مشكلة المجتمع، ووقف عند حالة العجز فى تحقيق السلام، وتحت عنوان: "الآزمات تحتاج العالم"، تحدث قائلاً:

فمع اقتدار الحضارة الغربية، فى ميدان تطويع القوى المادية، لإخصاب الحياة البشرية، واستخدام الآلة لعمون الإنسان، فقد عجزت عن تحقيق

(1) الحزب الجمهورى، "مذكرة تفسيرية"، دستور الحزب الجمهورى، دار الوثائق القومية، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) محمود محمد طه، قل هذه سبيلى، الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة، مصدر سابق، 2-8.

(4) المصدر السابق، 2-8.

(5) المصدر السابق، 2-8.

(6) المصدر السابق، 2-8.

السلام. والسلام هو حاجة البشرية اليوم وهو فى ذلك حاجة حياة أو موت ذلك بأن تقدم المواصلات الحديثة، قد جعل هذا الكوكب أضيق من أن تعيش فيه بشرية، متنافرة، متحاربة فيما بينها. بل إن اختراع وسائل الحرب والدمار الرهيبة، قد وضع الإنسانية أمام أحد طريقين، إما السلام وإما الدمار والفناء⁽¹⁾.

ثم تحدث الأستاذ محمود بتوسع، وفى العديد من كتبه عن فشل الحضارة الغربية ليس فى تحقيق السلام فحسب؛ وإنما فى الأزمة الاقتصادية، وفى أزمة الغذاء العالمى، وأزمة الانفجار السكانى وأزمة الطاقة والنزاعات العنصرية والإقليمية، يقول الأستاذ محمود:

والحضارة الحالية وبفلسفتها الاجتماعية مع فشلها فى تحقيق السلام، فإنها أيضاً تقف عاجزة أمام الأزمات المتلاحقة فى العالم، وعلى قمتها أزمة الاقتصاد العالمى، التى أبرزت تناقضات النظام الرأسمالى والشيوعى.. وظهرت فى الموجة الحادة من التضخم والغلاء، التى تجتاح العالم، والتى يعانى منها الناس جميعاً، اشد المعاناة، وفى أزمة النظام النقدى العالمى، الذى يعانى من عدم الاستقرار.. وفى أزمة الغذاء العالمى التى تهدد البشرية بالمجاعات والأمراض ونقصان الغذاء، ثم فى أزمة الانفجار السكانى وأزمة الطاقة زيادة على مشاكل الحروب، المتواصلة والنزاعات العنصرية، والإقليمية.. إن هذه الأزمات علمت الإنسان ضرورة التعاون الدولى، وأكدت له وحدة مصيره، وضرورة تكاتفه لمواجهة الأخطار التى تهدد وجوده⁽²⁾.

يوم الاغتيال

إنه خطئى أنا لأننى لم أعلمك الحب⁽³⁾.

المهاتما غاندى لقاتله

(1) المصدر السابق، 2-8.

(2) المصدر السابق، 2-8.

(3) سلمى مجدى، الساعات الأخيرة فى حياتهم، ماذا فعل وقال وأوصى مشاهير السياسة والفن والأدب فى يوم رحيلهم من الدنيا، ط1، دار الكتاب العربى، دمشق، القاهرة، 2009، ص 206.

ظل غاندى على نهجه الحياتى داعياً وأخذاً بمنهج اللا عنف والسلام والحب والمقاومة السلمية حتى يوم 30 يناير 1948. ففى ذلك اليوم أطلق أحد الهندوس المتعصبين ثلاث رصاصات قاتلة سقط على إثرها المهاتما غاندى صريعاً عن عمر يناهز 79 عاماً. كان غاندى يومها وفى حوالى الساعة الرابعة والنصف عصرًا، فى قصر (بيرلا) يتحدث مع السردار باتل نائب رئيس وزراء الهند. ولكن قطع حديثه ونظر إلى ساعته وقال لمحدثه: دعنى أذهب.. ثم أردف: إنها ساعة الصلاة. ثم قام ونهض معتمداً على كتفى حفيدتى أخته، الأنستين آفا ومانو، وسار إلى المنصة التى اختارها ليشرف منها على جموع المصلين الذين ألقوا أن يشاركوه الصلاة ثم صعد فى ببطء الدرجات الثلاثة المؤدية إلى المنصة، فتقدم إليه شاب قصير ممتلىء ثم ركع عند قدمى غاندى، ووجه إليه الخطاب قائلاً: لقد تأخرت اليوم عن موعد الصلاة⁽¹⁾.

فأجاب المهاتما غاندى: نعم تأخرت.

ولم يكن هذا الشاب سوى ناثورام فنياك جودس محرر جريدة (هندور اشترا) المتطرفة، التى لم تكف عن اتهام غاندى بخيانة قضية الهندوكيين بتسامحه مع المسلمين، ولم يكد يتم المهاتما غاندى هذه الحملة القصيرة حتى انطلقت ثلاث رصاصات، من مسدس برتا صغير، أصابت اثنتان منهما بطنه، والثالثة صدره، وهتف غاندى: "أى رام.. أى رام" ثم سكت ولم يتكلم ولم يكن رام هذا سوى بطل من أبطال القصص الدينية تقص سيرته كنموذج رفيع للتضحية وبذل النفس⁽²⁾. ولفظ غاندى بكلماته الأخيرة قائلاً لقائله: "إنه خطئى أنا لأننى لم أعلمك الحب".

الشاهد أن الأستاذ محمود فوق أنه قدم النموذج الإرشادى فى المقاومة السلمية، هو صاحب مشروع كوكبى للتغيير. أما بشأن المقاومة السلمية واللاعنف، فقد أخذ بمنهج المقاومة السلمية حتى آخر لحظة وهو على منصة المشتقة، التزم تلاميذ الأستاذ محمود بأسس تربيته وبفكره ومنهجه فى المقاومة السلمية واللاعنف واللاحق، ولم يصدر منهم

(1) سلمى مجدى، مرجع سابق، ص 206.

(2) المرجع السابق، ص 206.

بعد تنفيذ حكم الإعدام على أستاذهم عنفاً أو تأمراً على أحد، سواء أكان تجاه القضاة الذين حاكموا أستاذهم أو غيرهم من أطراف المؤامرة. وجهة الصحفية إحسان عبد الماجد، وهى تفتح ملفاً صحفياً عن تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، وجهة سؤالاً لأحد تلاميذ الأستاذ محمود وهو عصام عبدالرحمن البوشى، سألت الصحفية قائلة للبوشى: إذا قابلت المهلاوى وحاج نور والمكاشفى، ماذا تقول لهم؟⁽¹⁾ [توضيح من المؤلف بشأن الشخصيات الثلاثة المشار إليها فى السؤال: المهلاوى هو رئيس المحكمة الجنائية "محكمة أول درجة (محكمة الموضوع)، وهى المحكمة التى أصدرت حكمها فى 8 يناير 1985 على الأستاذ محمود وأربعة من تلاميذه بالإعدام شتقاً حتى الموت. أما حاج نور فهو عضو محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم والمكاشفى هو رئيس نفس المحكمة، وهى المحكمة التى أيدت حكم الإعدام فى يوم 15 يناير 1985]. أجاب البوشى قائلاً: تربية الأستاذ محمود لأبنائه الجمهوريين علمتهم مسألة غريبة يعنى ما تربوا على الحقد يعنى لو مازلت تذكير القضية التى كفر فيها الأستاذ محمود وحكم عليه فيها بالردة عام 1968 كان على رأسها الأمين داوود⁽²⁾ وأذكر أن الأمين داوود توفى والأستاذ محمود كان فى جلسة بها عدد من الجمهوريين وبلغه النبأ فطلب من الحاضرين كلهم أن يقرأوا الإخلاص إحدى عشرة مرة بإخلاص على روح الأمين داوود⁽³⁾. ثم أضاف البوشى قائلاً: "وأنا أعتقد أن أى شىء يحصل فى الوجود من فعل هو فعل إلهى فأحياناً يستعمل الإنسان استعمالات فى ظاهرها سيئة وأحياناً يستعمل استعمالات خيرة فحاج نور والمهلاوى والمكاشفى كلهم كانوا أدوات فى يد الله استعملها استعمالات محكمة فحكمة الله اقتضت أن يستعمل هؤلاء الجماعة استعمالات قد تسوؤهم فى وقت لاحق ما فى مستقبل

(1) إحسان عبدالمجيد، "الدستور تفتح ملف الجمهوريين (2)", مجلة الدستور، العدد: (27)، بتاريخ: 24-30 يونيو 2000، ص 16-17.

(2) الأمين داوود هو المدعى الأول فى المحكمة الشرعية بالخرطوم والتى أصدرت حكمها بردة الأستاذ محمود عن الإسلام. جاء فى صدر خطبة الادعاء المقدمة من الأمين داوود فى المحكمة الشرعية بالخرطوم بتاريخ 18 : "أنا الأمين داوود محمد أدعى محتسباً لله تعالى بأن محمود محمد طه هذا - وهو رجل مسلم- قد ارتد عن الإسلام بأعماله وأقواله". المصدر: المكاشفى طه الكباشى، الردة ومحاكمة محمود محمد طه فى السودان، مرجع سابق، ص 171.

(3) المصدر السابق، ص 16-17.

حياتهم". وعن ردة فعله إذا ما التقاهم، أجاب البوشى قائلاً: "فأنا إذا لاقيتهم لا أحقد عليهم بالعكس أفكر أنهم هم عارفين أنهم محل عفوى وأرجو الله أن يغفر لهم وأن يعينهم على تجاوز المشكلة وهم وضعوا فى حنة استعمال فى ارتكاب جريمة اتفق العالم على إدانتها وأتمنى أن يشملهم الله بغفرانه ورحمته"⁽¹⁾.

أيضاً صرح القاضى المهلاوى بأنه بعد تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، لم يتلق أى تهديدات من أى من أتباع محمود⁽²⁾. كذلك وجه الصحفى عادل سيد أحمد سؤالاً للقاضى المكاشفى طه الكباشى، قائلاً له: هل تعرضت لأى تهديدات إبان فترة الديمقراطية الثالثة؟ (وهى الفترة التى جاءت بعد القضاء على نظام حكومة جعفر نميرى بانتفاضة 6 أبريل الشعبية عام 1985 عقب تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود. أجاب المكاشفى طه الكباشى عما إذا كان قد تعرض لتهديدات، أجاب قائلاً: لا.. فقط كنا نصدى للحملات والندوات التى كانت تتحدث فى هذا الموضوع⁽³⁾.

أما بشأن مشروع الأستاذ محمود، وهو مشروع للتغيير الكوكبى، فقد أصدر الأستاذ محمود، كما وردت الإشارة آنفاً، ستة وثلاثين كتاباً، ونشر مئات المقالات فى الصحف السودانية ومئات البيانات والمناشير، وقدم مئات المحاضرات، كما أنه أشرف على إصدار نحو ثلاثمائة كتاب أصدرها تلاميذه (الإخوان الجمهوريون والأخوات الجمهوريات). هذا إلى جانب أن الأستاذ محمود ترك لنا عدداً كبيراً من التلاميذ والتلميذات من السودانيين، وهناك تلاميذ من غير السودانيين. إن تلاميذ وتلميذات الأستاذ محمود منتشرون الآن فى مختلف أنحاء العالم، وفى السودان، ويعملون فى مجالات مختلفة وفقاً لمبادئ أستاذهم، الأستاذ محمود، ويساهمون فى تنمية الوعي وأنسنة الحياة فى أوجه عديدة.

الشاهد أن العالم لم يقف حتى الآن على مشروع الأستاذ محمود، فقد أقام فقهاء السودان فى القرن الماضى ومعهم التحالف الإسلامى العريض، الذى وردت الإشارة إليه

(1) المصدر السابق، ص 16-17.

(2) "فصل مدنى عبر عن رفضه بدفن محمود محمد طه فى الخلاء"، مجلة الدستور، العدد: (27)، بتاريخ: 24-30 يونيو 2000، ص 6.

(3) عادل سيد أحمد، "الدستور تفتح ملف الجمهوريين (2)"، مجلة الدستور، العدد: (27)، بتاريخ: 24-30 يونيو 2000، ص 14-15.

أنفأ، جداراً عازلاً بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام والعالم. لم يدرس مشروع الأستاذ محمود ولم تدرس سيرة الأستاذ محمود مثلما درست سيرة المهاتما غاندى. وكما أشرت فى مدخل هذه المقاربة بأن معظم إسهامات شعوب العالم الثالث فى القرن الميلادى الماضى، فى مجلد إرث البشرية، كانت إسهامات تقدم عبر النضال وتقوم على المقاومة وفكرها، وكان المهاتما غاندى أشهر النماذج. فغطى فكر المقاومة ومذاهب النضال ونماذجهما على الكثير من الإسهامات الفكرية ورؤى أنسنة الحياة ومشاريع التغيير الكوكبى، لاسيما مشروع الأستاذ محمود. لم يجد مشروع الأستاذ محمود حظه فى سماء العالم من الاحتفاء والتأمل والقراءة والحوار، غير أنى على يقين تام بأن مشروع الأستاذ محمود سيبحث من جديد، وما كان تأجيله إلا إنتظاراً ليقظة العقول وصحوها وانتزاع تحررها من الأوصياء وهم رجال الدين.

ختاماً هذه مقاربة أولية بين الأستاذ محمود والمهاتما غاندى، جاءت مختصرة، وبجهد مجمل، قصدت منه تقديم إضاءة ومدخل لحوارات قادمة، بالطبع، أكثر من السعى لسبر أغوار محاور المقاربة.

الخاتمة

الثورات لا ترى بالعين⁽¹⁾

The Invisibility of Revolutions⁽²⁾

.....

(1) توماس س. كون، بُنية الثورات العلمية، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 241.

(2) Thomas S. Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions*, The University of Chicago Press, Chicago and London, Third Edition, 1996, p 136.

سأل سائل الأستاذ محمود فى محاضرة قائلاً: "والله يا أستاذ فكرتكم جيدة لكن بتأخذ زمن طويل.. كل الأحزاب حكمت ونزلت إلا أنتم متين [متى] بتجوا [تجيبون]؟". أجاب الأستاذ محمود: "إذا كان العمل بفكر بياخذ زمن طويل، فإن العمل بدون فكر بياخذ زمن أطول.. وأما أن غيرنا حكموا ونزلوا فلأننا نحن طالعين بوزننا وأولئك خفاف الوزن، يطلعوا بسرعة وينزلوا بسرعة، وأما عن تساؤلك متين [متى] بتجى [نجى] فاسأل نفسك أنت متين [متى] بتجى [نجى] لنا [إلينا].⁽¹⁾

مجنوب محمد مجنوب

كتب الأستاذ محمود محمد طه فى آخر منشور له، كان بعنوان: "هذا... أو الطوفان!!"، ووزع فى يوم 25 ديسمبر 1984، قبل تنفيذ حكم الإعدام عليه بثلاثة وعشرين يوماً، كتب قائلاً: "غايثان شريفتان وقفنا، نحن الجمهوريين، حياتنا، حرصاً عليهما، وصوناً لهما، وهما الإسلام والسودان.. فقدمنا الإسلام فى المستوى العلمى الذى يظفر بتحل مشكلات الحياة المعاصرة، وسعينا لترعى ما حفظ الله تعالى على هذا الشعب، من كرايم الأخلاق، وأصايل الطباع، ما يجعله وعاء صالحاً يحمل الإسلام إلى كافة البشرية المعاصرة، التى لا مفازة لها، ولا عزة، إلا فى هذا الدين العظيم". (للاطلاع على المنشور أنظر ملحق رقم: "47"). من أجل هاتين الغايتين ظل الأستاذ محمود يعمل ويعلم وينتج الفكر وينشره منذ أربعينيات القرن الماضى. كان شعاره ملخصاً لغايته فى الحياة، وهو

(1) مجنوب محمد مجنوب، بعض أوراق جمهورى، السودان: بلدٌ وشعبٌ وفكرة، مصدر سابق، ص 150.

"الحرية لنا ولسوانا". فى سبيل إحداث التطوير والتجديد والتحرير والتغيير فى فضاء الغايتين، تبنى الأستاذ محمود خط المواجهة والاستمرارية فى دعوته كما التزم تجسيد المعارف والأقوال، أشد وأقصى وأقصى أنواع الامتحانات التى يواجهها المفكر والمثقف. لم يجد الأستاذ محمود ولم يتراجع قط عن أى قول من أقواله أو فعل من أفعاله حتى لحظة تنفيذ الإعدام عليه صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985.

الشاهد أن الغايتين، اللتين أوقف الجمهوريون حياتهم لهما، الإسلام والسودان، اليوم أصبح فضاؤهما - وواقعهما فى ديار الإسلام وبلاد السودان - فى أمس الحاجة للتغيير عبر التطوير الذى دعا إليه الأستاذ محمود، لاسيما تطوير التشريع، ضمن مشروعه؛ الفهم الجديد للإسلام، منذ منتصف القرن الماضى. كان محدّدو المسار السياسى والفكرى والقائمون على تنمية الوعى وموجهو الرأى العام من أصحاب الإمتياز من المثقفين من رجال الدين والحكام والقادة فى ديار الإسلام وفى بلاد السودان، قد أبوا مشروع الأستاذ محمود حينما طرحه، بل نافحوه وناصبوه العداء وسعوا لتشويهه وعبأوا الرأى العام الإسلامى ضده. إن عادة أصحاب الامتياز فى السائد والراهن، كما يقول الأستاذ محمود "غير مستجيبين وغير مستعدين ليدركوا الحاجة للتغيير، أو على الأقل هم يبطئون فى إدراك هذه الحاجة". لم يوقف الأستاذ محمود والجمهوريون حياتهم من أجل الإسلام والسودان على المستوى النظرى فحسب؛ وإنما بالقول والعمل ومن ثم بتجسيد المعارف الذى شهده العالم أجمع يوم تنفيذ حكم الإعدام عليه فى صبيحة يوم الجمعة 18 يناير 1985.

لقد قاد الأستاذ محمود المواجهة للاستعمار البريطانى - المصرى منذ النصف الثانى من

ثلاثينيات القرن الماضي وهو موظف بمصلحة السكة الحديد بمدينة عطبرة، بعد أن تخرج مهندساً عام 1936 فى قسم المساحة بكلية غردون. وعندما استلف طلائع المتعلمين فى سبيل نضالهم الوطنى ضد المستعمر، الفكر التنظيمى من الهند، وأنشأوا فى عام 1938 مؤتمر الخريجين، أصبح الأستاذ محمود عضواً فيه. استطاع الأستاذ محمود مع بعض زملائه، وهو سكرتير للجنة نادى موظفى السكة الحديد السودانيين أن يجعل عضوية لجنة النادى عبر الانتخاب، كما تم تحويل الإشراف على النادى إلى لجنة النادى بدلاً عن مصلحة السكة الحديد. وعندما قام مؤتمر الخريجين استطاع أن يُغير اسم النادى من نادى موظفى السكة حديد إلى نادى الخريجين بعطبرة، وتم فتح النادى لكل المواطنين بعطبرة. انزعجت السلطات الاستعمارية من نشاط الأستاذ محمود فى عطبرة، ورصدت خلافاته مع الموظفين الإنجليز، وتراكت مخالفته لتنفيذ الأوامر، فقررت السلطات الاستعمارية نقله إلى محطات عمل بعيدة عن عطبرة، فنقلته إلى كسلا وإلى تسنى ثم نقل ليمد خطاً ما بين مدينتى حلفا و فرس. استمرت خلافات الأستاذ محمود مع الموظفين الإنجليز، فترتب على ذلك عدم الاستجابة لطلباته خاصة طلبه الالتحاق بمدرسة الحقوق لدراسة القانون، إلى جانب نقله المستمر إلى المناطق النائية، مما حدا بالأستاذ محمود أن يستقيل من العمل متحرراً من قيد الوظيفة الحكومية من أجل النضال الوطنى.

أنشأ فى منتصف أربعينيات القرن الماضي، مع بعض رفاقه، الحزب الجمهورى وأصبح رئيساً له. دعا الأستاذ محمود مؤتمر الخريجين وأنداده من طلائع المتعلمين إلى العمل على تحقيق الاستقلال والتحرير عن طريق المقاومة والمواجهة للمستعمر وبمعزل عن الطائفية والقوى التقليدية. كما شدد على أهمية إشراك الشعب والابتعاد عن العمل الفوقى، إلا أن طلائع المتعلمين آثروا طريق المهادنة والتسوية ونهج رفع المذكرات إلى الإدارة الاستعمارية، كما فضلوا التصالح والتحالف مع الطائفية والقوى التقليدية. نشر الأستاذ محمود بياناً، أعلن فيه رفضه لنهج مؤتمر الخريجين فى النضال ضد المستعمر، وعاب على المثقفين تحالفهم مع الطائفية والقوى التقليدية، وتغذيتهم للصراعات الثنائية فى وسط الحركة الوطنية. كما حذر من الخطر المستقبلى لانقسام الحركة الوطنية إلى استقلالية واتحادية. بهذا البيان اتسعت دائرة المواجهة أمام الأستاذ محمود. فقد ظل فى مواجهة مستمرة وقوية

للطائفية والقوى التقليدية من القيادات الدينية، كما ظل في مواجهة دائمة للمثقفين من طلائع المتعلمين ووسمهم بالخيانة، حيث أصدر كتاباً بعنوان: "خيانة المثقفين"، ونشر دراسة في تقديمهم ونقد مناهج نضالاتهم الوطنية القائمة على الولاء لمصر والتحالف مع بريطانيا. رفض نشاطهم الفوقى ونضالهم الصفوى، ومن ثم تحجيمهم لدور الشعب فى النضال وإشراكه فى مسار الحركة الوطنية. رفض طرح حركتى الاستقلال والاتحاد، ونادى بالجلاء التام واستقلال السودان عن مصر والمجلترا على السواء، ودعا لقيام جمهورية سودانية ديمقراطية، مع استمرار المقاومة والمواجهة للمستعمر.

التزم الأستاذ محمود خط المواجهة والمقاومة والمصادمة للمستعمر البريطانى والمصرى بجسارة وشدة مراس. عارض بقوة إنشاء الإدارة الاستعمارية للمجلس الاستشارى لشمال السودان، ورأى فى قيامه خطوة لتعميق انقسام الوطن وتشطيه. قاوم ورفض بشدة كل القوانين الصادرة عن المجلس، لا سيما قانون الخفاض الفرعونى الذى أصدره المجلس فى شهر ديسمبر عام 1945. عارض منهج الحكومة فى محاربة عادة الخفاض الفرعونى، وأصدر بياناً كشف فيه عن أسباب توقيت إصدار الحكومة لقانون الخفاض الفرعونى، بعد نحو خمسين عاماً من حكمها، وأسباب إثارة الموضوع فى البرلمان الإنجليزى فى ذلك التوقيت مقروناً بالمعطيات العالمية. كما كشف فى بيانه عن أسباب إصرار الحكومة على الصرامة فى تطبيق القانون دون اعتبار لمبدأ التوعية والتعليم. كما بين موقف الحزب الجمهورى، بأنه لا يدافع عن الخفاض الفرعونى، وإنما يرى أن لكل شعب عادات حسنة وعادات سيئة. فالعادات الحسنة تُنمى وتزيد بالتعليم، والعادات السيئة تُحارب بالتعليم والتوعية والتنوير، وليس بالقوانين والبوليس. قاد ثورة رفاعه عام 1946 ضد المستعمر. وسم المستعمر ثورة رفاعه فى خطابه الإعلامى بـ "أحداث الشعب فى رفاعه" بينما كانت ثورة كاملة الأركان والعناصر. بسبب مقاومته للمجلس الاستشارى لشمال السودان ومعارضته للقوانين الصادرة عنه، وبسبب ثورة رفاعه، سجن المستعمر الأستاذ محمود مرتين. مرة خمسين يوماً، والمرة الثانية ستين. وبسبب مخالفته لأوامر السجن أكمل أربعة وعشرين شهراً، بدلاً عن ثمانية عشر شهراً، وفقاً لقوانين السجن التى تنص على أن السنة تسعة أشهر.

عقب سجنه الذى انتهى فى يوم 20 سبتمبر 1948، اعتكف الأستاذ محمود بمدينة رفاعه

لمدة ثلاث سنوات. وفور خروجه من خلوته بمدينة رفاعة فى أكتوبر عام 1951، أعلن عن المسار الجديد للحزب الجمهورى، وانتقال الحزب من مرحلة ملء فراغ الحماس إلى مرحلة ملء فراغ الفكر. بدأ الأستاذ محمود منذ العام 1951 طرحه لمشروع الفهم الجديد للإسلام، صاحب ذلك بداية التلمذ على يديه. وما لبث أن أصبح أعداد تلاميذه وتلميذاته فى ازدياد منذ النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى.

دعا منذ النصف الأول من خمسينيات القرن الماضى إلى قيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية. ونشر - كمبادئه فى الحرص على التوثيق لكل دعواته ورؤاه السياسية والفكرية فى الكتب والبيانات والمقالات - رؤيته السياسية لإدارة السودان على أساس الحكم اللامركزى فى كتاب : أسس دستور السودان. وفى صبيحة الاستقلال عام 1956، وأثناء سعى قادة السودان لانضمام السودان وانتمائه إلى المنظمات الإقليمية والدولية، لا سيما جامعة الدول العربية، أصدر الأستاذ محمود بياناً فى عام 1958 طالب فيه بانسحاب السودان فوراً من جامعة الدول العربية، لكون أهل السودان أمة إفريقية. كما حذر باكراً من خطورة هضم حقوق شعوب السودان بسبب الهوية ومركزية الحكم. نادى وطالب بضرورة تبنى الحكم اللامركزى وإتاحة الفرصة لأهل السودان فى الشرق والغرب والجنوب على إدارة شؤونهم وتحمل المسؤولية والشراكة فى الحكم. فى عام 1958 نشر مقالاً يتحدث عن حقوق أهل الأطراف وتناول مؤتمر البجة، ودعا للاتحادات الفدرالية ولفت الانتباه للتهميش وحذر من نتائجه المستقبلية. تحدث باكراً عن التنوع الثقافى من خلال تناوله لاختلاف اللهجات والعنصريات والعادات، وأشار إلى أن هذا التنوع، من دواعى التفاؤل بمستقبل هذا البلد وليس من دواعى اليأس أو التخوف ذلك لأن خصائص كل عنصرية من هذه العنصريات إذا نمت وهذبت وتفتتت طاقاتها الأصلية فستزيد من حيوية الأمة السودانية فى مجموعها ويخصب ذلك شخصيتها ويزيد من وزنها وزناً ومن قيمتها قيمة. ونادى بضرورة تهيئة المناخ لهذا التنوع والاختلاف فى خصائص العنصريات، فظل يدعو منذ النصف الأول من خمسينيات القرن الماضى، وفى الستينيات، وعلى الدوام، بضرورة أن يكون الدستور هو صياغة لأمل الأمة، وأمل كل الشعب، دون اعتبار للأغلبية والأقلية، مع ضمان "فرص التساوى بين المواطنين من حيث هم مواطنون" وظل يحذر على الدوام من خطورة تبنى ما

يسمى بالدستور الإسلامى (يرى الأستاذ محمود أن ليس فى الشريعة الإسلامية التى بين أيدينا دستور لمصادرتها حقى الحياة والحرية، وإنما الدستور فى أصول القرآن).

دعا منذ منتصف القرن الماضى إلى الحاجة لتنمية الوعى بالذاتية السودانية. ونادى بضرورة إقامة المشاريع التنموية فى مختلف أجزاء القطر، لإزالة الفوارق بين المجموعات البشرية. وحثَّ الساسة على ضرورة العمل منذ ذلك الوقت على ربط أجزاء القطر بسبل النقل والمواصلات حتى تتحقق وحدة المنافع والإحساس. وتحدث عن أن حل مشكلة الجنوب فى حل مشكلة الشمال.. وأشار إلى أن الشمال والجنوب لا تحل مشكلتهما إلا بالمذهبية، التى توحد، مشاعر الشعب وتوحد أفكاره.

وعن مياه النيل، حذر الأستاذ محمود باكراً من هضم حقوق السودانين فى اتفاقيات مياه النيل، ودعا إلى الحزم مع مصر عند توقيع الاتفاقيات. ففى عام 1958، وقبل توقيع اتفاقية مياه النيل فى يوم 8 نوفمبر 1959، أقام الأستاذ محمود العديد من الندوات ووزع البيانات ونشر الكثير من المقالات فى الصحف المحلية عن قصة اتفاقيات مياه النيل وتاريخها وتبع جلساتها واجتماعاتها منذ أن كانت فكرة أولية عند البريطانيين ونمت فى إطار الأهداف الاستعمارية والعلاقات مع مصر. لفت الانتباه إلى ضرورة الربط بين اتفاقيات مياه النيل وقضية الحدود مع مصر. وحذر من خطورة تشكيل حكومة فى السودان بأغلبية موالية لمصر. وأشار إلى خطورة تشكيل الحكومة القومية بأغلبية موالية لمصر، على اتفاقية مياه النيل وعلى مصير الحدود مع مصر. وكانت بعض الأصوات قد نادى بتشكيل حكومة قومية فى النصف الثانى من خمسينيات القرن الماضى.

تزامن هذا العطاء الضخم للأستاذ محمود من أجل السودان، مع طرحه عام 1951 لمشروع الفهم الجديد للإسلام. أتبع طرحه لمشروعه وكل دعواته وأطروحاته ورؤاه بشأن الإسلام أو السودان بحركة توثيق نادرة المثيل. أحدث ثورة فى التأليف والنشر واسعة ومستمرة، وكانت أمراً جديداً وقتئذ فى السودان، وربما العالم الثالث. أصدر الكتب ونشر المقالات ووزع البيانات والمناشير وأقام المحاضرات وعقد الندوات. حينما طرح مشروع الفهم الجديد للإسلام، دعا لبعث الإسلام من جديد. لم تكن دعوته، كما بين، اجتهاداً فيما ليس فيه نص، ولم تكن كذلك اجتهاداً فيما فيه نص؛ وإنما هى فهم جديد للنصوص

القديمة المألوفة.. فالاجتهاد عنده نحت، بينما دعوته هي، كما بين، علم مفاض، بفضل الله ثم بفضل التوجه والتوسل بالوسيلة النبوية لمفاتيح القرآن. فالقرآن، كما يقول الأستاذ محمود هو مفتاح الخلود، وحياة النبي هي مفتاح القرآن.

كانت الحيوية والتطوير والتجدد والحرية والاستقلالية واللاعنف أهم مرتكزات الفهم الجديد للإسلام، الذي هو تقديم الإسلام في المستوى العلمى لحل مشكلات الحياة المعاصرة. رأى الأستاذ محمود أنه من الخطأ الشنيع أن يظن إنسان أن الشريعة الإسلامية في القرن السابع تصلح، بكل تفاصيلها، للتطبيق في القرن العشرين، ذلك بأن اختلاف مستوى مجتمع القرن السابع، عن مستوى مجتمع القرن العشرين، أمر لا يقبل المقارنة، ولا يحتاج العارف ليفصل فيه تفصيلاً، وإنما هو يتحدث عن نفسه. دعا إلى تطوير التشريع الإسلامى من مستوى آيات الفروع، التى انبنى عليها التشريع المرحلي، إلى مستوى آيات الأصول، التى سينبنى عليها التشريع للمجتمع المعاصر. فالأخذ بآيات الأصول، هو ارتفاع بالشريعة السلفية من نص كان عمدتها في القرن السابع، حين نزل القرآن، وشرع التشريع، إلى نص اعتبر يومئذ، مرجأ إلى وقته، لأنه كان أكبر من ذلك الوقت. فالآيات المكية هي آيات الأصول، والآيات المدنية هي آيات الفروع. وآيات الأصول، كما أوضح الأستاذ محمود قد تواترت أثناء العهد المكي.. فلم يستجب لها الجاهليون.. فظهر ظهوراً عملياً، أنها أكبر من مستواهم.. فنزل إلى مستواهم، بعد الهجرة إلى المدينة، وبعد افتتاح العهد المدني.. فنزلت آيات الفروع.. واعتبرت صاحبة الوقت، لمناسبتها لمستوى الناس.. ونسخت آيات الفروع، آيات الأصول. فآيات الأصول عند الأستاذ محمود هي قمة الدين.. وكانت تقوم على تقرير كرامة الإنسان، والإسماح، ومنعت الإكراه منعاً تاماً. كما كانت تقوم على الحرية.

الحرية عند الأستاذ محمود، هي حق يقابله واجب، وهى من الثوابت التى لا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بها. فقد تحدث عن الحرية الفردية، في الإسلام، فى مستويين: الحرية النسبية، وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، وأن يقول كما يفكر، وأن يعمل كما يقول، على شرط أن يتحمل مسئولية قوله، وعمله، أمام القانون الدستورى. "والحرية المطلقة" وهى أن يفكر الإنسان كما يريد، ويقول كما يفكر، ويعمل كما يقول، على شرط أن يكون فكره، وقوله، وعمله، برأ، وخيراً، بالأشياء، والأحياء.. والقانون الدستورى، هو الذى حين يطبق، يحقق، فى آن معاً،

حاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة، وحاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة.

لقد دعا الأستاذ محمود إلى التطوير والتحرير والثورة بلا عنف من أجل إحداث التغيير وبين الطريق والسبيل إلى ذلك بحجج وبراهين وأدلة قوية وساطعة وأطروحات واضحة. كانت أطروحاته أصيلة وجديدة في بابها، وجديدة كذلك على المؤسسات الدينية التقليدية، وعلى الفقهاء والقضاة الشرعيين. رفض الدعوات التي تنادى بالدستور الإسلامى، قال بأن الجهاد ليس أصلاً في الإسلام، وإنما هو فرع، كذلك الرق ليس أصلاً في الإسلام، والرأسمالية ليست أصلاً في الإسلام، وعدم المساواة بين الرجال والنساء ليست أصلاً في الإسلام، والمجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً في الإسلام، والطلاق ليس أصلاً في الإسلام، والحجاب ليس أصلاً في الإسلام. ونادى بالمساواة بين الرجال والنساء. وأوضح أن المساواة بين الرجل والنساء ليست مساواة الميزان، والمسطرة.. وإنما هي مساواة القيمة.. فالمرأة، في نفسها، كإنسان، وفي المجتمع، كمواطنة، ذات قيمة مساوية لقيمة الرجل، في نفسه، كإنسان، وفي المجتمع، كمواطن.

برغم كل هذا العطاء الضخم بشأن السودان والإسلام، وكله عطاء وثقه الأستاذ محمود ونشره في الكتب والمقالات والبيانات والمناشير والمحاضرات، وجاءت أخباره في الدوريات المحلية باللغتين العربية والإنجليزية. فإن الباحث والقارئ لا يجد إشارة للأستاذ محمود وعطاءه في مذكرات معاصريه، وفي صحائف المؤرخين أو في ردهات الأكاديمية السودانية أو في استشهادات وحوارات وسجلات المفكرين الإسلاميين برغم نههم لأفكاره دون الإشارة إليه.

الأكاديمية السودانية وبتر المعارف وقلة المروءة وتعميق التهميش

إن البحث في مشروع الأستاذ محمود وسيرته في ردهات الأكاديمية السودانية، يكشف عن قلة المروءة الأكاديمية وضعفها لدى مثقفي السودان. كما يكشف عن دور الأكاديمية السودانية في بتر المعارف وتعميق التهميش في السودان. لقد اتضح من واقع دراستي لنماذج الرسائل الجامعية ونماذج الكتب التي درستها، أن الأكاديمية السودانية ظلت مقاطعة للأستاذ محمود ولمشروعه، وعازلة له عن حركة البحث العلمى مع تجاهل وإغفال للإشارة لكتبه ولآرائه حتى في مسائل كان له فيها سبق مبكر وأصالة. إن أى نموذج من هذه

النماذج التى درستها، بما فيها كتابات جل المؤرخين، هو فى واقع الأمر، يمثل نموذجاً لدراسات وكتب عديدة صدرت فى نفس المجال، وقد تجاهلت الأستاذ محمود تجاهلاً تاماً، وأغفلت الإشارة لكتبه وآرائه ولكتب تلاميذه. الأمر الذى يكشف عن انحراف الأكاديميا السودانية عن المسار الصحيح وعن مفارقتها لإرث الرصانة الذى ورثته من الأكاديميا البريطانية. وبهذا فهى لم تجافِ البحث عن الحقيقة وإظهارها ونشرها فحسب؛ وإنما ساهمت فى تشويه تاريخ الأستاذ محمود وسيرته بتغييبه من الذاكرة الجمعية وتضليل غمار الناس فيه. أكثر من ذلك، فإنها ساهمت فى صناعة ثقافة التهميش وتعميقها. أبلغ من ذلك، فإنها ساهمت فى بتر المعارف فى العقول.

إن بتر المعارف فى العقول وممارسة التهميش بوعى وبغير وعى يعنى مجافاة الأكاديميا لمبدأ إظهار الحقيقة ونشرها، ومن ثم يقود إلى تشوه العقول والفهوم، الأمر الذى ساهم، وعبر تراكمه ضمن عوامل أخرى بالطبع، فى تجميد حركة التغيير فى السودان، وأدى إلى تراكم المظالم ومن ثم إلى تشطُّي السودان. إن مقدمات التشطُّي وبتر أراضى الوطن تبدأ فى العقول، عبر تغييبها وتشويهها وتضليلها فى معرفة الحقيقة وفى دراسة التاريخ. مهما يكن من أمر فإن غياب الورع العلمى فى التعاطى مع الأستاذ محمود ومشروعه، وعزله من ميدان البحث العلمى فى السودان، والإجماع على تجاهله وإغفاله بعدم الإشارة إليه أو إلى كتبه وكتب تلاميذه، أمر لا يقف عند حد التساؤل والاستفهام؛ وإنما يصل الأمر إلى حد الطعن فى الأكاديميا السودانية وفى لجانها ومبادئها، الأمر الذى يجعلنا محققين فى الدعوة إلى إجراء المراجعات الشاملة لإرث الأكاديميا السودانية ولنظمها ولمسارها الراهن وفى المستقبل.

ترتب على تجاهل الأستاذ محمود فى مصادر الدراسات السودانية، وإغفال الأكاديميا السودانية، وسعى المؤرخين السودانيين لتغييبه، إلى جانب الصمت العالمى، ودور التحالف الإسلامى (أمدرمان، القاهرة، ومكة) فى تضليل الشعوب وبناء الجدار العازل لحجب الأستاذ محمود عن شعوب السودان والإسلام والعالم، ترتب على هذا أن ظل مشروعه وسيرته بعيدة كلية عن التناول والإشارة. لم يُنظر إليه كعظيم وبطل وثائر ومفكر صاحب سيرة ناصعة ساطعة له مشروع أصيل وجديد وضخم، وصاحب سيرة ناصعة وساطعة، ما أجدرها أن تدرس كنموذج إرشادى يلهم ويعلم الأجيال والشعوب والقادة والمفكرين

والمصلحين. تجلّى هذا التجاهل بوضوح فى الكتب العربية. فقد خلت جل الكتب العربية التى درست سير العظماء والقادة والثوار والمفكرين فى مختلف أنحاء العالم فى القرن العشرين، من الإشارة إلى الأستاذ محمود.

فقد صدرت العشرات من الكتب والموسوعات والمعاجم والتراجم العربية وتضمنت المئات من القادة والزعماء والثوار والمصلحين والمفكرين والمشاهير فى الفن والسياسة وكانوا من مختلف أنحاء العالم ولم يكن من بينهم الأستاذ محمود. الأمر هنا لا يتصل عندى بتقصير كتاب هذه الكتب، أو بنقد هذه الكتب، بقدر ما أتنى أهدف إلى تسليط الضوء على هذا الإغفال كنتيجة من نتائج حالة التغيب للأستاذ محمود وحجم الحرب التى واجهها ومدى آثارها وظلالها، وكيف تم تغيبه فى مصادر الدراسات السودانية وكذلك العربية والإسلامية. قادة تاريخيون كبار فى ثورات القرن العشرين، ملوك وزعماء، وقادة عسكريون، وثوار ومصلحون، وفلاسفة ومفكرون، وعلماء ومخترعون، ومكتشفون وجغرافيون، وفنانون تشكيليون، وأدباء، وموسيقيون مبدعون. ولم يكن من بينهم الأستاذ محمود.

مصادر الدراسات السودانية

إن البحث فى مشروع الأستاذ محمود والدراسة لسيرته، يتيح الفرصة لنقد مصادر الدراسات السودانية، ويقود إلى الحديث بضرورة التعاطى معها بحذر، خاصة فى بلدان التعدد الثقافى كحال السودان. الشاهد أنه تكاد تخلو جل مذكرات طلائع المتعلمين من معاصرى الأستاذ محمود، وكتب التراجم والمعاجم وموسوعات الأعلام، وكذلك جل قوائم مصادر ومراجع دراسات الأكاديمية السودانية، ماجستير ودكتوراة، من اسم الأستاذ محمود ومن كتبه وكتب تلاميذه، برغم الإسهامات العلمية والعملية الباهرة والمعلومة والموثقة فى المناشير والمقالات فى الدوريات والبيانات المودعة فى دار الوثائق القومية. السؤال كيف فات على جل هؤلاء الباحثين وجود كل هذه المعلومات، الكثيرة المتنوعة، عن الأستاذ محمود وتلاميذه، فى المصادر والدوريات فى دار الوثائق القومية خاصة وأن جلها جاء فى صدر الدوريات وصفحاتها الأولى؟ هنا الأمر أبعد من أن يكون مرتبطاً بالحرية الأكاديمية، وإنما يتصل الأمر بالضمير والوعى والشجاعة العقلية والقدرة على

مواجهة المؤسسة الدينية ومناطحة سلطتها الدينية من فقهاء وعلماء دين... إلخ. السؤال الذى يطرح نفسه هنا، هل يمكن القول بأن الأكاديمية السودانية قد تماهت مع الفقهاء؟ ومن ثم تماهت مع العقل الثقافى السائد، واستجابت لثقافة القطيع؟ وهل يمكن الحديث عن حالة خوف انتابت جُلَّ الأكاديميين السودانيين، ولم يكونوا قادرين على مواجهة سلطة المجتمع والسلطة الدينية؟!

من المهم الإشارة إلى أن الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود لم يكن كله متعمداً ومقصوداً، فبعضه يعود لضعف التدريب الأكاديمي، وحالة الكسل العقلي، إلى جانب الغياب لإعمال الحس النقدي، وهو أمر موروث في الأكاديمية السودانية، ويعود إلى طبيعة الجرعة التعليمية في نظام التعليم الذى أسسه المستعمر فى بواكير القرن العشرين، فهو تعليم كان يهدف، كما ورد آنفاً، إلى تخريج الكتبة والفنيين، وليس صناعة قادة المستقبل. نتج عن ضعف التدريب الأكاديمي الاستمرار فى حالة اللا إعمال للحس النقدي، وضعف الاتصال بالمصادر ومطائنها، وبالوثائق واستنطاقها. أيضاً، يكشف تجاهل الأستاذ محمود، سواء كان بقصد أو بغير قصد، وعدم الإشارة إلى كتبه وكتب تلاميذه، إلى ما تعانيه دراسات الأكاديمية السودانية، من أزمات فى المنهج وطبيعة تناول لمعالجة الموضوعات والقضايا. إن المدهش والمستغرب حقاً، ليس الإغفال والتجاهل للأستاذ محمود من كاتب ما أو كتاب ما، وإنما المدهش حقاً هو هذا الإجماع على التجاهل، وهذا التحالف غير المتفق عليه وغير المكتوب. إن جل دراسات الأكاديمية السودانية بما انضج لنا من خلال دراسة هذه النماذج فى الرسائل الجامعية أو نماذج الكتب، فإنها تواجه إشكاليات كبيرة، وتنتج عنها آثار سلبية عظيمة على الأرض وفى العقول، سواء من حيث ضعف منهج المعالجة وقصوره أو قيامها بدورها فى بتر المعارف وتغييب بعض الوقائع والأحداث، ومن ثم الخلل فى الأسس العلمية، والقصور فى النتائج والخلاصات. وكل هذا سواء كان بقصد أو بغير قصد، وسواء كان بسبب ضعف فى التدريب أو التكوين الأكاديمي أو غيره، وسواء كان بسبب تماه مع السلطة الدينية أو غيره، وسواء كان بسبب ضعف الحس النقدي أو غيره، فإنه يعنى ببساطة عبئاً إضافياً على الأمم يتمثل فى تعليق القضايا وترحيلها إلى المستقبل.

التحالف الإسلامي العريض وبناء الجدار العازل

لم يقف الأمر عند المفكرين الإسلاميين والمستغلين بالفكر الإسلامي عند حد النهب للأفكار والإغفال والتجاهل لمشروع الأستاذ محمود وسيرته؛ بل تعداه إلى التشويه والتزوير المنظم بواسطة تحالف إسلامي عريض. استطاع التحالف الإسلامي أن يبنى جداراً عازلاً بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام وشعوب العالم أجمع. كان قوام التحالف الإسلامي الذي واجهه الأستاذ محمود، المؤسسات الإسلامية التقليدية في مصر والمملكة العربية السعودية والسودان، إلى جانب علماء المسلمين والفقهاء والقضاة الشرعيين والحركات السلفية. أفتت المؤسسات الإسلامية التقليدية في مصر والسعودية والسودان بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، وتبنت معارضته ورفضت مشروعه. ففي السودان، كانت هناك القيادات الحزبية الإسلامية التقليدية، وهيئة علماء السودان، والمعهد العلمي بأمدرمان (أزهر السودان). وفي مصر الأزهر وبعض مشايخه وخريجيه. وفي المملكة العربية السعودية حيث المؤسسات الإسلامية التقليدية العالمية: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وغيرها من أطراف الحلف. فمئذ أن تكالب التحالف الإسلامي على مشروع الأستاذ محمود، ونجح في عقد محكمة الردة الأولى عام 1968، انفتح الباب أمام علماء المسلمين، والدول الإسلامية وتجمعاتها وروابطها، للتآمر والحرب المنظمة على مشروع الأستاذ محمود، بحجبه وتغييبه، دون أن يجد المشروع الدراسة الكافية والتقييم العلمي الأمين، ومن ثم بلغ التآمر قمته يوم الشراكة في الاغتيال.

لقد واجه الأستاذ محمود في القرن الماضي فقهاء وعلماء مسلمين كان منهمجهم النقدي منهجاً عاطفياً خطابياً وعظيماً، بينما كان منهج الأستاذ محمود بعيداً عن الخطابة والوعظ، إذ أخذ بالمنهج العلمي فأعلى من شأن التوثيق وأدوات المثقف وسبل الحدائثة حيث كتابة المقال والكتب ونشر البيان والمنشور وتنظيم المحاضرة. إن التحالف الإسلامي الواسع وحالة الإجماع هذه، في الموقف من الأستاذ محمود ومشروعه في العالم الإسلامي، تجعل المدخل الأنسب هو دراسة العقل الثقافي السائد وتفكيكه واستنطاقه، لعل ذلك يكون أجدى من دراسة أصحاب أقلام بشكل فردي تنطلق من ذلك العقل الثقافي السائد. لقد نجح التحالف الإسلامي في بناء جدار عازل بين الأستاذ محمود وشعوب السودان والإسلام والعالم، غير

أن الذى لا ريب فيه أن هذا الجدار والذى بنى بلا حق فى طريقه للهدم وبالحق. وليس هناك معول أعتى وأصدق وأقدر على هدم هذا الجدار سوى الوعى. والوعى اليوم فى تمدد وتوسع سريع ويحمل فى داخله المفاجآت والمفارقات الناشدة للتغيير والمنفتحة بالطبع على المستقبل وأشواق الجماهير. لقد إنتهى عصر التسليم والوعظ والهتاف وبدأ عصر العلم والنقد والمنطق. كما إنتهى عصر الوصاية على العقول وبدأ عصر الفرد الحر.

الأستاذ محمود والمستقبل والجولة الثانية من الحوار ثورات الربيع العربى والتغيير الصاعد من القاعدة إلى القمة

أضع افتراضى الخاص بأن بلادنا ستكون فى المستقبل القريب وتحت ضغط مطالبها الخاصة منبعاً للفتاوى الجريئة والتخفيف عن الناس وتيسير اللقاء بالله عبر كل الدروب. أقول إن الدعوات الجديدة فى مجال الدين ستجد سندها الواقعى فى السودان فكراً وتطبيقاً وأن العالم الإسلامى سيطلع دائماً يتطلع إلى السودان كقيادة للتسامح والإحياء والتجديد فى مجال الديانات (1).

محمد المكى إبراهيم، فى عام 1963

تشهد بلدان العالم العربى ما عرف بثورات الربيع العربى. إن أهم ما يميز ثورات الربيع العربى هو أنها ثورات جاءت من القاعدة وهى صاعدة إلى القمة حيث أصحاب الامتياز والخطوة. فالتغيير المطلوب والصحيح هو الذى يجىء من القاعدة كما يقول الأستاذ محمود: "التغيير لا يمكن أن يجىء من القمة وينزل على القاعدة.. العكس هو الصحيح التغيير ينشأ من القاعدة ويصعد للقمة". كما أن التغيير، كما يقول الأستاذ محمود: "يكون محتاج لأمرين: أن يحتاجه الناس، أن يشعر الناس بالحاجة إلى التغيير، وأن يعرف الناس كيف يتم التغيير؟... ونحن نعتقد أن الذين يحتاجون التغيير أو يمكن أن يُشعروا بحاجتهم للتغيير هم عادة الناس الذين لا يجدون امتيازاً فى الحاضر". شعر الناس فى دول العالم العربى بالحاجة للتغيير فقامت الثورات. تفجرت الثورة فى مصر يوم 25 يناير 2011،

(1) محمد المكى إبراهيم، "المستقبل الحضارى فى السودان (4-4): الإنسان السودانى الجديد"، صحيفة الرأى العام، الخرطوم، 1963/12/15.

وقبلها في تونس، وليبيا واليمن وسوريا، وبعدها ستحدث قطعاً، في دول أخرى كثيرة في المنطقة، ودول العالم الثالث، هي في واقع الأمر ليست ثورة ضد السلطة السياسية، وتهدف إلى إسقاط النظام ورأسه فحسب؛ وإنما هي ثورة ضد العقل القديم بكل تمدداته السلطوية: السلطة السياسية، والدينية، والمجتمعية... إلخ. وبكل مكوناته الفكرية والمعرفية والدينية، وبكل أشكال تصورات للحياة والقيم الإنسانية. إنها ثورة عقل جديد تشكل في ظل معطيات جديدة، وتبلورت تصورات عبر معارف جديدة ومهارات متعددة تتعاطى مع العصر على المستوى الإنساني، وعابرة للأيدولوجيات المبذولة في السوح السياسية والفكرية. بعض تلك المعارف والمهارات أكتسبها عبر التعلم الذاتي، فأصبح مفتوحاً لحد الإطلاق على الآخر وعلى المستقبل. ويبحث بصدق عن معاني الحياة الحقيقية ويسعى بصدق لإقامة المعاني الإنسانية وتطبيق قيم العدل والحرية وتدفع القوانين في الطرقات.

إن نجاح هذه الثورات في تحقيق التغيير المنشود رهين بالاصلاح الديني الإسلامي ورهين بالتحرر من مختلف السلطات وليس السلطة السياسية فحسب. فالتحرر من السلطة السياسية ربما كان الحلقة الأسهل والأضعف، بينما الاصلاح الديني الإسلامي والتحرر من السلطة الدينية المتمثلة في المؤسسات الدينية التقليدية ورجالها حيث فرض الوصاية على العقول وتوجيه الرأي العام، هو التحدي الأكبر الذي يواجه هذه الثورات ويحد من فرص تحقيقها التغيير المنشود. فالحركات الإسلامية السلفية، وحركات الإسلام السياسي وأصحاب الفهم التقليدي للإسلام، ومناهضو الانفتاح ورافضو الجديد لا يزالون يمسكون بالمفاصل وزمام الأمور في المجتمعات الإسلامية. كما أنهم وبحكم خطابهم الديني لا يزالون موضع ثقة واحترام في المجتمعات، وهم الذين يوجهون الرأي العام الإسلامي. ولهذا تصطدم هذه الثورات مهما بلغت من نجاح بحركات ومشاريع الإسلام السياسي والفهم السلفي للإسلام، ولا مناص من مواجهة دينية فكرية واسعة وشاملة. بيد أن هذه المواجهة، وهي الضامن لتحقيق التغيير المنشود لا يمكن أن تكون إلا بفكرة دينية ثورية. ثورية تقود الحياة في سبيل الإنسانية كما يقول الأستاذ محمود: "إن الثورية يجب أن تقود للحياة في سبيل الإنسانية لا الموت في سبيل الإنسانية"⁽¹⁾. فكرة ثورية

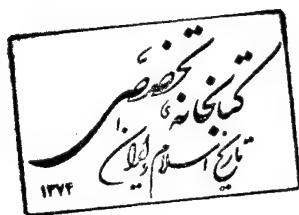
(1) محمود محمد طه، "الوجه الآخر لمحمود محمد طه"، (حوار)، أجرى الحوار معجوب محمد شريف، من موقع الفكرة الجمهورية، لقاءات، استرجاع (Retrieved) بتاريخ 23 فبراير 2010، الموقع على الإنترنت:

<http://www.alfikra.org>

تكون قادرة على دحض أطروحات الإسلام السياسى، ومجابهة الفهم السلفى للإسلام، وقادرة كذلك على الردع العلمى لحاملى القديم والتخلف، وقادرة أيضاً على إقناع الرأى العام الإسلامى، وليس هناك فى تقديرى، سوى مشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام". فقد كتب حسين أحمد أمين، كما ورد آنفاً، وهو يتحدث عن كتاب: الرسالة الثانية من الإسلام للأستاذ محمود، قائلاً: "أعده أهم محاولة ينهض بها مسلم معاصر لتطوير التشريع الإسلامى، والتوفيق بين التعاليم الإسلامية ومقتضيات المعاصرة، دون أن يحظى فى مصر (أو فى أى بلد إسلامى خارج السودان على حد علمى) بالاهتمام الذى هو أهل له، ودون أن نلمس له تأثيراً فى اتجاهات مفكرينا ومثقفينا وجمهور شعبنا، رغم احتوائه على فكرة أساسية ثورية لا شك عندى فى قدرتها متى ما صادفت القبول لدى الرأى العام الإسلامى، على أن توفر الحلول لمعظم المشكلات التى تكتنف موضوع تطبيق الشريعة، فى إطار إسلامى". فمشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام" يعد أهم إنجاز فكرى إسلامى فى اتجاه التطوير والتجديد والتغيير والتحرير. كتب سمير أمين، كما ورد آنفاً، قائلاً: "إن المحاولة الوحيدة لقراءة الإسلام فى اتجاه التحرر كانت تلك الخاصة بالفكر الإسلامى السودانى محمود طه. ولم تحاول أية حركة إسلامية، لا "راديكالية" ولا "معتدلة" أن تتبنى أفكار محمود طه".

الشاهد أنه لا مناص من مواجهة فكرية واسعة وشاملة، تسهم فى التعجيل بالإصلاح الدينى الإسلامى وتنمى الوعى الفكرى ليزترامن مع الوعى السياسى الذى تجلّى فى هذه الثورات. ولأجل هذه المواجهة فليس هناك فى تقديرى، مشروع سوى مشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام" يستطيع النهوض بهذه المواجهة لتفضى بدفع هذه الثورات إلى التغيير الجذرى المنشود. ولا مجال للحديث عن التغيير، خاصة فى دول العالم الإسلامى، دون أن يكون مشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام" جزءاً أساسياً من مستقبل شعوب هذه الدول. وهذا ما سيأتى عبر الجولة الثانية من الحوار عن الأستاذ محمود. إن الذى يفصل بين الأستاذ محمود والمستقبل هو مستوى السقف المعرفى للناس فى السودان، ومستوى الرأى العام الإسلامى. فكلما ارتفع السقف المعرفى أدرك الناس أن تصحيح المسار والدخول فى المستقبل، لن يتم إلا عبر مشروع الأستاذ محمود "الفهم الجديد للإسلام". وهذا فى يقينى ما ستكشف عنه الأحداث والتطورات فى مقبل الأيام.

قائمة الملاحق



الترتيب حسب التاريخ من القديم إلى الحديث

- ملحق رقم (1): محمود محمد طه، "فقد صديق"، مجلة كلية غردون، 8 مارس 1935.
- ملحق رقم (2): محمود محمد طه، "المهندسون في رحلتهم"، مجلة كلية غردون، 1935/12/21.
- ملحق رقم (3): تقرير أداء الموظف محمود محمد طه، ضمن ملف الخدمة، غمرة الوظيفة (11837)، موظف غمرة: 559، بتاريخ 1941/8/26، تقرير الموظفين Staff Report، سكك حديد السودان، عطبرة.
- ملحق رقم (4): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/3 يتضمن رغبته وأسباب دراسته للقانون.
- ملحق رقم (5): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/25، رداً على الرد الذي تلقاه بشأن طلبه لدراسة القانون.
- ملحق رقم (6): خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/5/20، يتساءل فيه عن مصير طلبه برغبته لدراسة القانون.
- ملحق رقم (7): خطاب إلى الأستاذ محمود بتاريخ 1939/6/14، يفيد بتحويل طلبه لدراسة القانون إلى مدير التعليم.

ملحق رقم (8) خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/10/25 يتابع سير طلب دراسته للقانون.

ملحق رقم (9): "بيان الحزب الجمهورى عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى" - 10 ديسمبر 1945.

ملحق رقم (10): خطاب استدعاء من ج. أ. س. برايس، ملاحظ مكتب التحريات الجنائية، الخرطوم، فى 24 مارس 1946 إلى الأستاذ محمود للتحقيق معه بشأن منشورات أصدرها الحزب الجمهورى.

ملحق رقم (11): خطاب و. س. ماكداول، قاضى جنايات، الخرطوم، فى 1946/5/29 إلى الأستاذ محمود للمثول أمام المحكمة بسبب منشور أصدره الحزب الجمهورى ضد الحكومة الاستعمارية.

ملحق رقم (12): مشول الأستاذ محمود أمام قاضى الجنايات ورفضه التوقيع على تعهد مفضلاً السجن، صحيفة رأى العام، يوم 1946/6/3.

ملحق رقم (13): "بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس الحزب الجمهورى"، الأربعاء 26 يونيو سنة 1946.

ملحق رقم (14): "بيان من الحزب الجمهورى عن معاملة الرئيس فى السجن"، صحيفة

الرأى العام، 4 يوليو 1946.

ملحق رقم (15): "الحزب الجمهورى ينظم موكباً"، صحيفة الرأى العام، يوم 25 سبتمبر سنة 1946.

ملحق رقم (16): "اعتقال ثلاثة من أعضاء الحزب الجمهورى"، 26 سبتمبر 1946.

ملحق رقم (17): "إضراب رئيس الحزب الجمهورى عن الطعام"، والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه، صحيفة الرأى العام، يوم الخميس 27 سبتمبر 1946.

ملحق رقم (18): "مرافعة دفاع الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدنى عام 1946". أكتوبر 1946.

ملحق رقم (19): "مجاهدون"، الجمهوريون والثبات على المبدأ، صحيفة الرأى العام، 28 أكتوبر سنة 1946.

ملحق رقم (20): "غداً يغادر محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى سجن كوبر بعد أن قضى عامين فيه"، صحيفة السودان الجديد، 20 سبتمبر 1948.

ملحق رقم (21): مقال سعيد الطيب الشايب الذى يؤرخ لبداية التتلمذ على يدى الأستاذ محمود 1951.

ملحق رقم (22): مقال الأستاذ محمود رداً على مقال سعيد الطيب الشايب عام 1951.

ملحق رقم (23): "وصية الأستاذ محمود مكتوبة بخط يده"، السبت 13 شعبان 1370هـ الموافق 19 مايو 1951.

ملحق رقم (24): "موقف الحزب الجمهورى من الائتلاف"، يناير 1952.

ملحق رقم (25): بيان الحزب الجمهورى بشأن طلب الحزب الجمهورى الاشتراكى التحالف والتعاون فى النضال. محمود محمد طه، "فشل المسعى لالتقاء الحزب الإشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى لاختلاف المبادئ والوسائل"، (بيان السودان الجديد، العدد: 1564، الأربعاء 19 مارس سنة 1952).

- ملحق رقم (26): بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، الأحد 8/6/1952.
- ملحق رقم (27): خطاب إلى اللواء محمد نجيب، قائد ثورة 23 يوليو 1952، 18/8/1952.
- ملحق رقم (28): صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، العدد الرابع، الصفحة الأولى، 5 فبراير 1954.
- ملحق رقم (29): صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، الصفحة رقم: 4، العدد الرابع، 5 فبراير 1954
- ملحق رقم (30): صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، صفحة رقم: (4)، العدد الرابع، 5 فبراير 1954.
- ملحق رقم (31): صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، العدد رقم: (16)، 12 يونيو 1954.
- ملحق رقم (32): خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، 3 سبتمبر عام 1955.
- ملحق رقم (33): خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، 18 أغسطس 1958.
- ملحق رقم (34): بيان "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"، والمطالبة بانسحاب السودان فوراً من الجامعة العربية، 23/8/1958.
- ملحق رقم (35): بيان عضويتنا فى الجامعة العربية 18 أكتوبر 1958.
- ملحق رقم (36): "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، 6/9/1958.
- ملحق رقم (37): "محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة"، السبت 25 أكتوبر 1958.
- ملحق رقم (38): "نموذج تقرير من التقارير عن العائدات المالية من بيع كتب".
- ملحق رقم (39): "بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين"، أمدردمان فى 19/11/1968، أول بيان أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة عام 1968.

ملحق رقم (40): (اللهم إن كان محمود مرتدًا فأنا ثانيا المرتدين)، الحملة ذات الهوية الأخلاقية، التي أطلقها المهندس حسن بابكر ضمن مقاله: "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين"، الأربعاء 1968/12/11.

ملحق رقم (41): نص قرار تجمع الكتاب والفنانين التقدميين "أبادماك"، 1969/1/10، الذى استنكر محكمة الردة، وأدان وقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود أمام القضاء الشرعى.

ملحق رقم (42): "تواتر الأخبار عما يقوم به المدعو محمود محمد طه من الفساد العظيم والإلحاد" ضمن خطاب من عبد العزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى، المملكة العربية السعودية، إلى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، 1401/5/4هـ.

ملحق رقم (43): فتوى الأزهر بالكفر الصراح، والفكر الملحد ضمن خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5.

ملحق رقم (44): قرار رابطة العالم الإسلامى بمكة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام، ضمن خطاب من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 5/ ربيع أول/ 1395هـ.

ملحق رقم (45): "الأحزاب السياسية، ذكريات: من مذكرات التجانى عامر"، 1975/4/16.

ملحق رقم (46): خطاب الأستاذ محمود إلى رئيس نادى الخريجين بمدينة مدنى عندما أغلق النادى، تاريخ الخطاب 1979/1/13.

ملحق رقم (47): منشور "هذا... أو الطوفان!!"، 25 ديسمبر 1984.

ملحق رقم (48): خطاب من النيل عبدالقادر أبو قرون إلى الرئيس القلائد (جعفر محمد نميرى) 1984/12/29.

ملحق رقم (49): وثيقة نشرت بصحيفة الأيام 1985/5/26: نيمرى وثالثوث القصر يحكمون على الجمهوريين قبل المحكمة.

ملحق رقم (50): بيان الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم بتاريخ 1985/1/10.

ملحق رقم (51): مذكرة نقابة المحامين إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 1985/1/12.

ملحق رقم (52): بيان من سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني.

ملحق رقم (53): بيان السودانيين المقيمين بالكويت بإدانة تنفيذ حكم الإعدام في الأستاذ محمود وأحكام الإعدام ضد أربعة آخرين.

ملحق رقم (54): مذكرة عبد الله على إبراهيم إلى الناضيين الخريجين في العاصمة القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة في القانون الجنائي، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفي طه الكباشي، قاضي محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب إيدائه مخالفته في الرأي.

ملحق رقم (55): خطاب من المؤلف إلى الأمين العام لدار الوثائق القومية السودانية بشأن جريدة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهوري، والتي صدرت في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي

ملحق رقم (56): رد دار الوثائق القومية على خطاب المؤلف بشأن جريدة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهوري، والتي صدرت في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي.

ملحق رقم (1) فقد صديق

المصدر: محمود محمد طه، "فقد صديق"، مجلة كلية غردون، العدد 3، مج 4، 8 مارس 1935.

لين في الجانب، ودمائة في الأخلاق، وقسط موفور من الوفاء، وحفظ الوداد إلى رباطة جأش، وصلابة عود وحسن مبدأ، كل هذه الصفات كانت تطالعي من صديقي أبي طالب. فكنت أجد فيها المتعة والهناء وكانت تدفع بنفسى دفعا إلى مصادقته وإيمائه وتملك على إعجابي به وتقديرى له حتى أشعر من أعماق نفسى أنى أنشد فيه المثل وأرى فيه بريق الرجولة الجبارة.

وكان هو بجسمه القوى، وروحه المرحه، الطاهرة طهارة الطفل يستخف بأعباء الحياة وعنت الليالي فيؤمل لا كامال من حولنا من الناس تلك التى لا تعدو خفض العيش وأناقة الملبس. وكان يحلم لا كما يحلم عامة الناس ولكن آماله وأحلامه كانت تجمع إلى وقار الشيخ وحنكته حرص الشباب ومسرته فكان طامحا من غير تكلف، غيوراً من غير تعمل كأنه كان يستيقن أنه لم يخلق ليعيش كعمامة الناس ولم تلبس به الحياة إلا ليعلو بها سماً فوق سمت، وأن يعتد بها عن حياة الذر والهوام كأنه كان يستيقن من كل هذا ولم يكن بحسبانه أن هذا الجسم القوى قد آن أن يمضى الى عالم الخفاء وأن يحول الى جثة هامدة لا حراك لها وأن هذه النفس القادرة على مناهضة الحوادث قد آن لها أن تنطلق من قفصها سابحة فى عالم الأرواح والأحلام.

ومن يدري لعله لم يكن بحسبانه أن هذا الجسم [المديد] سيحل به غائل المنون قبل أن يرسل له نذير الشيخوخة فيعمل فى هد أركانه وأبانه [جناته] إذا خار وارتعش أصبح للموت عليه سلطان وتصديق وأن هذه النفس الطامحة المتطلعة إلى أسمى الغايات سيتغلب عليها الموت الزؤوم فيقطع الأسباب بينها وبين عالمنا هذا قبل أن تمعن فى تخليد حسن الذكر وطيب الأحداث. ولعلك لا تجد فى هذا شيئاً من الغرابة، فإن من الشباب أمثال الفقيده معنى من السخرية والاستخفاف والاعتداد والشره لوفقدوها لعادوا شيوخاً

تنقصهم التجربة والحكمة ولإن يكن قد أودى فقد غادر نفوساً تشجى دموعاً وأسى وألسنة
تبلبل وأكباداً تنفطر وحشاشات تذوب من فرط الحزن وزفرات تتصاعد من الأسى وأناساً
هم أحوج ما يكونون إليه. نعم إن يكن قد أودى فقد ترك في نفوس أصدقائه ذكرى
تشوبها التجلة والاكبار والشفقة والحنان وليت شعري هل في مكنة أحد أن يقف أمام هذه
الكارثة غير موقفنا هذا من الحزن والأسى ألا رحم الله محمداً فقد كان قوى النفس طيبها
ماضى العزيمة نافذها، وألهم آلهم حسن العزاء ما يكفل لهم حسنة الدنيا والآخرة .

ملحق رقم (2)

المهندسون في رحلتهم

المصدر: محمود محمد طه، "المهندسون في رحلتهم"، مجلة كلية فردون، العدد الثاني، 21 ديسمبر 1935، الخرطوم.

أسبوع ولا كالأسابيع ذلك الذى أمضيته فى نجاد كررى فى معية أستاذنا الهمام إبراهيم أفندى أحمد⁽¹⁾ فكان فى حياتنا المدرسية هذه كالحلقة الذهبية فى السلسلة الفولاذية أم كان كذلك وأصفى أديماً وأشد بريقاً من ذلك.

أسبوع أمضيته بمعزل من ضوضاء المدن وتأنق المدنيين وتكلفهم ذينك اللذين يجعلان هذه الحى أشد تعقيداً وأكثر تحرجاً مما هى فى حقيقة أمرها كنا نلتقى إذا كان المساء فنقار نتائج عملنا فى النهار ثم يقدم كل من قضوا شطراً من زمنهم مع أحد المتقنين فى قياس الزوايا انتقاداً يكون قد أعده عن مواضع الضعف فى استعماله للآلة وكان الأستاذ يتلو علينا ذلك ثم يلفت أنظارنا الى الغلطات المشينة فى شىء من لين الجانب وحلو الدعابة ثم نغضى فى ذلك إلى آخره حتى إذا فرغنا من شغل يومنا تناولنا شغل غد بالتقسيم والترتيب فإذا ما فرغنا من ذلك أيضاً وفهم كلنا ما سيقدم على عمله إذا كان الصباح وأخذ له أهبة من تسيير وما إلى ذلك عدنا فآخذنا بأطراف الحديث فى شىء غير قليل من الغبطة والسرور وكان القمر يطلع علينا من فوق الأفق فيغبطنا على هذا الاجتماع الذى لم يكن

(1) ولد إبراهيم أحمد عام 1898 فى حلفا (دغيم) بشمال السودان. تخرج فى قسم المهندسين بكلية فردون عام 1920، وعين فور تخرجه أستاذاً بالكلية وفى عام 1925 صار كبير الأساتذة السوداين بمدرسة الهندسة. أوفد فى بعثة إلى المملكة المتحدة فى عام 1938، فعين مراقباً لشنون الطلبة بالكلية ثم نائب لمدير الكلية حتى تقاعده ثم اختير أول رئيس لمجلس جامعة الخرطوم. من مؤسسى مؤتمر الخريجين انتخب عضواً فى اللجنة التنفيذية لمؤتمر الخريجين فى دورات عديدة. انتخب رئيساً لمؤتمر الخريجين فى الدورتين الخامسة والسادسة، وفى عهد رئاسته للدورة الخامسة تقدم المؤتمر بمذكرته الشهيرة مطالباً بحق تقرير المصير بعد انتهاء الحرب مباشرة. قاطع عضوية المجلس الاستشارى لشمال السودان تنفيذاً لقرار المؤتمر بالمقاطعة. من مؤسسى حزب الأمة وصار ممثلاً للاستقلالين فى لجنة الحاكم العام فى أول فترة الحكم الذاتى. اختير وزيراً للمالية 1957-1958 وظل فى منصبه حتى نهاية العهد الدييمقراطى فى 17 نوفمبر 1958. من مؤسسى البنك التجارى عام 1960 وصار مديراً له حتى تأميمه عام 1970. المصدر: المصدر: المعتصم أحمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2009، ص 43-45.

له منه حظ ويرسل أشعته علينا فى شىء كثير من الإسراف كأنما علم أننا فى شغل عنه فأراد أن يلفت أنظارنا إليه وكما ننظر إليه فيستهوى ألبابنا ويملك علينا مشاعرنا وكان يشير فى نفوسنا لونا من البهجة مصدره على ما اعتقد هذا الانشراح وهذا السرور اللذان يدوان على وجهه الوضاء ثم نزل كذلك فى أخذ ورد وحوار وجدال حتى إذا ما نال منا السهاد ودب إلينا نذير الكرى ذهبنا إلى مضاجعنا لنفارقها إذا كان الصباح الباكر كل إلى حيث يؤدى ما أوكّل إليه أداؤه حتى إذا انتهى النهار إلا أقله عدنا ادراجنا إلى خيامنا نتحامل تحامل من أخذ منه التعب وأضناه الكدح ولكننا لم نلبث غير ساعة أو بعض ساعه بعد تناولنا طعام الغداء حتى يعاودنا نشاطنا ويلح علينا ميلنا المثمران فكنت لا ترى منا أحداً بعد حلول الساعة الثالثة والنصف إلا وهو يعد نفسه ليحمل آلة من آلات المساحة إلى حيث يتمرن بها على ما يرى أنه فى حاجه الى مراسلة حتى إذا غربت الشمس تسللنا إلى خيامنا من كل فج لنستحم فى النهر ونعد أنفسنا للقاء القادم ولم نزل كذلك حتى كان اليوم الأخير من غفلة الدهر فيممننا شطر جبال سرغام حيث تغيب أباًؤنا لنرى برميلاً بنته مصلحة المساحة على قمة الجبل ليضع عليه مساحوها التيودولايت اذا ما أرادوا أن يروا فى مسافات بعيدة ولكننا لم نكد نبليغ الجبل حتى خيل إلى أن صوتاً واضحاً جلياً ينبعث فى اذنى مردداً قول فيلسوف المعرفة

خفف الوطاء ما أظن أديم ■■ الأرض إلا من هذه الأجساد

سر إن استطعت فى الهواء رويداً ■■ لا اختيلاً على رفات العباد

وقبيح بنا وإن قدّم العهد ■■ د هوان الآباء والأجداد

فكنت ترى الجبل واقعاً وسط أرض مسطحة كان أباًؤنا قد آووا إليه فرفع صدره أمامهم واحتضنهم خلفه على نحو ما تفعل الدجاجة بأفراخها وكانوا هم راكدين خلفه كأسد الشرا ولكنهم كانوا قوماً لا يعرفون المواربة والرياء وكانوا يرون سبة عليهم انتظارهم الموت يسعى اليهم فى معاقلهم فتسللوا من خلف الجبل ركضاً على جيادهم يرومون بها الى مواضع العطب والبوار وكان الجبل قد هم بمنعهم قدر أطرافه فى كل جهة محاولاً صد ابنائه البررة الى حضنه حتى إذا أزفت الساعة وحانت الفرصة جاد بهم عن طيب خاطر

ولكن الرغبة الجامحة التي كانت قد سيطرت على أبنائه قد دفعت بهم دفعاً فمروا من قبضته مروق السهم ولكنهم ما كادوا يبلغون السهل الذي أمامه حتى طفقوا يتساقطون تساقط أوراق الشجر ولم يمض غير قليل حتى انكشف الأفق عن أشلاء متناثرة وجثث هامدة ودماء اتخذت طريقها إلى النهر اتخذاً وعن آمال قدم قد أمسّت بادية وكان بالجليل يحملق بعينيه على ذلك السهل في شيء من التأنيب على إغرائه بأبنائه وكأنه كان أيضاً ينظر رفات القوم المبعثرة نظرة يشوبها الحزن المحض والهلع المميت ولكنها لا تخلو من هذا التأنيب الذي يوجهه من بعض النصح الصائب من أن يكون عن النصح أصم ولكن ليته علم أن لكل أجل كتاباً إذن لكان له من ذلك مخرج من هذا الحزن الذي يحز قلبه حزاً ويفتت لبابه تفتيتاً.

محمود محمد طه

ملحق رقم (3)

تقرير الموظفين (Staff Report)، محمود محمد طه، بتاريخ 1941/8/26. المصدر: ملف الخدمة

SUDAN RAIL

2010

STRICTLY CONFIDENTIALSTAFF REPORT

Name Mohamed Eff. Mohd. Taha Appointment Asst. Supt. Y & Works
 Date of Birth 1.1.1916 Date of Appointment 2.2.36
 Station Athara ~~XXXX~~ Under Seal of Present Pay £111 Per Annum
~~on scale~~ J/M STATUS
 Date of last increase 2.2.41 Date of last ~~specific~~ promotion
 Nationality Sudanese
 1. Knowledge English Good
 2. Details of present duties Asst. Supt. Y & Works
 3. Date of last examination 2.2.41
 4. Certified efficient for 2 years
 5. Conduct Satisfactory
 6. Punctuality Good
 7. General ability Fairly good
 8. Capacity for control of staff Not known
 9. General remarks as to future promise
 This man is at present a poor draughtsman, and his future will apparently depend on his efficiency outside. He does not give the impression of being keen on his work, and his matter is not calculated to give a good impression.

Date 26.8.1941Signature [Signature]

REMARKS BY HEAD OF DEPARTMENT.

Independent in nature. I believe he is quite a good practical official. I think his character is good & his apparently only manner is due to a suppressed vivaciousness. I think he will prove a ~~valuable~~ asset to the Dept in time.

[Signature]
 CC 21/8/41

ملحق رقم (4)

خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/3، يتضمن رغبته وأسباب دراسته للقانون.

المصدر: ملف الخدمة

C O P Y

Kassala,
3.4.39.

The Chief Engineer, S.R.
Thro' District Engineer, Kassala.

Sir,

I have a yurgent desire to join the Sudan School
of Law for District Magistrates.

My sole aim is the search for a possible course
of increased enlightenment.

I should be grateful if you kindly pass this
application to the Legal Secretary and enable him to
put my name down among his candidates and have me
informed of the date when I will be needed to report
for the examination.

I beg to remain,
Sir,
Your most obedient servant,

(Sgd.) Mahmoud Mohamed Taha

M/S. W. & W.
Kassala.

ملحق رقم (5)

خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/4/25، رداً على الرد الذي تلقاه بشأن طلبه
لدراسة القانون.

C O P Y

Aroma,
25.4.39.

APPLICATION TO JOIN THE SUHAN SCHOOL OF LAW.

Chief Engineer, S.R., Atbara
Thro' District Engineer, Kassala.

(Sgd.) M. L. J. K. E.
3/5

Sir,

Ref. your reply to my application re the above subject.

I do not know for certain when the competitive entrance examination will be held.

There is a rumour that goes to say that the School will be run in 1942 or after.

If such is right, I shall not be too young by then.

I, however, want you to kindly pass my letter to the Legal Secretary for inclusion and if, at the ripe time for opening the School, I am condemned as underaged I shall at the very least stand foremost for the next chance.

Hoping you shall excuse my intrusion upon your precious time.

I beg to remain, Sir,
Yours obediently.

(Sgd.) Mahmoud Mohamed. Taha

A/S. W. & W.
Kassala.

ملحق رقم (6)

خطاب من الأستاذ محمود بتاريخ 1939/5/20، يتساءل فيه عن مصير طلبه برغبته
لدراسة القانون

SECRET

To Badi,
20.5.39.

Chief Engineer - Athens
Thro' District Engineer, Kassala. (Sgd.) M. L. J. M. E.
A/D.E.

Sir,

I have received your letter in reply to mine of the 26th April concerning my application for the School of IAW.

I very much regret to have to be so argumentative.

I said in my last letter to you that a rumor said the school will not be run before 1942. I am afraid, I cannot very well trust that and stay where I am unlikely to hear of any fresh news.

I want to hear from well informed authorities and that will be guaranteed by your passing my application.

I should be very grateful if you kindly pass my application, with further apologies for this unfortunate intrusion upon your precious time.

I beg to remain, Sir,
Yours obediently,

(Sgd.) Mahmud Mohamed Taha.

ملحق رقم (7)

خطاب إلى الأستاذ محمود بتاريخ 1939/6/14، يفيد بتحويل طلبه لدراسة القانون إلى
مدير التعليم

GENERAL MANAGER'S OFFICE,
(PERSONNEL)
ATBARA, 14th. June 9

GM/1042.35/3

Chief Engineer,
Atbara

MAHMOUD EFF. MOHAMMED TAHA

Your CE/Pers/559 of 31.5.1939.

The application of the above named official dated 3.4.1939 for admission into the Khartoum School of Law has been forwarded to the Legal Secretary, Khartoum who replied as follows :

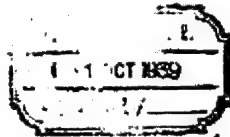
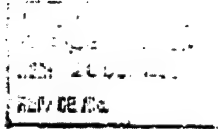
" the application of Mahmoud Eff. Mohamed Taha will be passed to the Director of Education for action."

C. Desobry
ESTABLISHMENT OFH CSE
16/6/39

ملحق رقم (8)

خطاب من محمود محمد طه بتاريخ 1939/10/25 يتابع فيه سير طلب دراسته للقانون.

المصدر: ملف الخدمة



Albara

25/10/39

School of Law

Chief Engineer.

First District Engineer Albara.

Sir,

- I refer to your CE/Pers/559 of 17th June 1939.
I have not yet received any definite reply
to my application to the Legal Secretary of
3rd April.

May your Office kindly inquire or remind?
I beg to remain,

Sir,

Yours most obediently,

Muhammad Muhammad Taha.

A/S. W. & W.

Albara.

E.O.

Passed in reference to your letter
5/10/42. 85/8 of 14.6.1939. Please ensure
to reply

27.10.39

[Signature]

ملحق رقم (9)

بيان الحزب الجمهورى عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى - 10 ديسمبر 1945

(النص)

بسم الله الرحمن الرحيم

"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"

مقدمة

أما بعد فهذا هو السفر الاول من سلسلة أشعار سيطالع بها الحزب الجمهورى السودانين عن سياسته وأساليبه ولقد كان الطبيعى أن يكون أول الأشعار عن تلك السياسة وتلك الأساليب لولا أن ذلك القانون العجيب قانون الخفاض قد فاجأنا ... فرأينا أن نبادر برأينا فيه فى هذا السفر الأول.

وطريقة الأشعار هذه نحن عليها مسبقون ذلك بأنها طريقة معروفة لدى كثير من الأحزاب فى الخارج وقد دفعنا الى اتخاذها فى الوقت الحاضر ما تلقى من رفض لنشر أخبارنا فى بعض الصحف المحلية كالصوت والرأى العام اللتين طاب لمحرريهما أن ينصبا نفسيهما قيمين على الشعب السودانى.

أ- أساليب عتيقه

لا نريد بكتابتنا هذا أن نقف موقف المدافع عن الخفاض الفرعونى ولا نريد أن نتعرض بالتحليل للظروف التى أوجت به لأهل السودان والضرورة التى أبقت بين ظهرانيهم الى يومنا هذا ولكننا نريد أن نتعرض لمعاملات خاصة وأساليب خاصة وسن خاصة سنتها حكومة السودان أو قل ابتدعتها ابتداءً وأرادتنا أن ننزل على حكم ابتداعها إرغاماً - والصلة بين الخفاض الفرعونى وبين هذه المعاملات الخاصة والأساليب الخاصة والسن المتبعة هى أوجه الشبه بين الظروف الحالية التى ارتأتها حكومة السودان مناسبه لإثارته

والظروف التى أوحى إليها فيما مضى بإبتداع هذه المعاملات والاستزادة من هذه الأساليب واستئان هذه السنن التى فككت أوصالنا وأضعفت مجتمعا وصورتنا فى أبشع الصور وقتلت فينا الشعور بكياننا جماعة وأفراداً والتى ما كان لنا أن نتظاهر بالرضى عنها لولا علالة من أمل فى الحكومة أبقاها حسن الظن فى نفوسنا وثمالة من رجاء قضت عليها ثقتنا بأنفسنا وتصورنا للعالم الخارجى بصورة ساكنى الكهوف فيما قبل التاريخ من الآيات الدالة على سوء القصد فى هذه الأساليب أثارة مسألة الخفاض الفرعونى فى هذا الظرف وأساليب الدعاية التى طرقتها والطرق التى ارتأتها مناسبة لإبطاله والقضاء عليه وقد جاءت هذه الآيات دليلاً واضحاً على التضليل المقرون بسبق الإصرار ولهذا رأينا من المناسب أن نناقش مثل هذه الأساليب بطريقة خالية من المداجاة والمراوغة وفى غير تعنت بتطلع المواطنين على مكامن الضعف فيها ومغافره عليهم يدركون فداحة الخطر المترتب على النظر للأشياء من وجه واحد واستساعة الدسم المزوج بالسموم فيسارعون إلى الحمية ويعتصمون بحبل الشجاعة الأدبية فى إبداء رأى الصريح.

ب- لماذا أثيرت مسألة الخفاض الفرعونى

للسائل أن يسأل لماذا أثارت الحكومة مسألة الخفاض الفرعونى؟ وله أن يسأل لماذا أثيرت فى هذا الوقت بالذات - وله أن يسأل أيضاً لماذا أثيرت فى البرلمان الإنجليزى - ولماذا تبودلت الرسائل فى شأنها مع ... - ولماذا لجأت الحكومة الى القانون لإبطالها ولماذا كانت هذه الصرامة فى القانون؟ نعم للسائل أن يسأل هذه الأسئلة وله أن يقتنع بأى رد يقال له إذا كان على جانب من البساطة والسذاجة وضيق الأفق ولكن الذين علمتهم التجارب أن يستشفوا الحقائق الكافية وراء كل حركة تقوم بها حكومة السودان لن يجدوا ما يبرر قبولهم للرد القائل بأن المسألة قد أثيرت إشفاقاً بالمرأة لانهم لا يجدون أثراً لمثل هذا الإشفاق فى مدى الخمسين عاماً التى مكثتها حكومة السودان وتقصيرها ظاهر ملموس فى ناحية المرأة التعليمية والاجتماعية والصحية.

ج- لم تثر المسألة إشفاقاً بالمرأة

أما من الناحية التعليمية فالحكومة قد تجاهلتها وأسقطتها من حسابها رداً من الزمان ولم تبسر في تعليمها إلا مؤخراً ولأنها لما بدأت تعليمها ضيعته لدرجة مخجلة مزرية وحصرته في التعليم الأولى وفي معهد واحد آخر يرتفع قليلاً في مستواه على مستوى المدارس الأولية اضطرت لإنشائه للحصول على حفنة من المعلنات ليؤمن بمهمة التدريس في تلك المدارس ولأنها حين وضعت البرنامج لهذا القدر من التعليم لم تراع فيه ما يجب مراعاته في تعليم بنت مسلمة في قطر إسلامي ولم تعدها لتدبير بيت منتظر وتعهده طفولة مرتقبة وسياسة زوج لا يمكن أن يربطه بوكر الزوجية سوى خلق قويم.

وأما من الناحية الصحية فلأنها لم توفر طبيباً سودانياً واحداً من أطبائها للتخصص في أمراض النساء وعلى كثرتها- ولم تلتفت أقل التفات وعدم اهتمام الحكومة بناحية التعليم والصحة والبقاء هو ما يدعو الحذر للجزم بأن المسألة لم تثر إشفاقاً بالمرأة.

د- هل لمسألة الخفاض الفرعوني علاقة بتقرير المصير؟

عندما أثبتت قضية الهند المزمته أثناء هذه الحرب كان من بين المهتمين بها صحفي إنجليزي يدعى بفرلي نكولز دفعت به إنسانيته وإشفاقه الزائد ليكتب تقريراً عنها ينور به أحرار الغرب (الذين استطاع الهندوس بالحاحهم في الإيحاء بأن يقنعوهم بأنهم هم الهند وأن كل محاولة لتقسيم الهند تكون محاولة خبيثة من الإنجليز قائمة على المبدأ المقرر " فرق تسد".

وقد أبت همة ذلك الصحفي إلا أن يتعرض في تقريره لكل صغيرة وكبيرة فلم يترك عادة مستهجنة ولم يفته التعرض لحالة البؤس والشقاء التي [يرنج] الهنود في أغلالها كما لم يفته التكلم عن (الديفاداس) هيكل ... اللائي يحترم تلك المهنة خوفاً من الله واحتساباً كما لم ينس التعرض للانقسامات الطائفية والأمراض وسوء النظام والخرافات الشعوذية والطعن في حزب المؤتمر ودكتاتورية زعيمه غاندي عدو المنبوذين؟ ولفت النظر للسيد جناح رئيس العصبة الإسلامية ولم يخف تأييده له والدعاية لإقامة إمبراطورية المسلمين المنفصلة (الباكستان) وتمجيد الدكتور امبدر زعيم المنبوذين - والإشادة بذكره وتوجعه لمعاملة الهندوس له كما لم يخف حسرته على " الأطفال الذين أعماهم أبأؤهم

ليكونوا فى المستقبل مصدر دخل فى سوق التسول وإستنكار للعادة المتبعة عند الجنود الهنود" هل تمنحنى إجازة شهر يا سيدى لأذهب واقتل ابن عمى".

نعم لم يغفل تقرير ذلك الصحفى كبيرة ولا صغيرة ولكنه أغفل شيئاً آخر وهو حصر مسئولية الفقر والمرض والبؤس وتحميل الاستعمار الإنجليزى نصيبه الوافر منها كما أنه لم يوضح لنا لماذا لم تتخذ حكومة الهند إزاء إستئذان الجنود لسادتهم وحمل عيون الأطفال ما اتخذته حكومة السودان من قانون بشأن الخفاض الفرعونى؟ ولماذا لم يبادر الصحفيون الإنجليز لرفع مثل هذا التقرير قبل إثارة المسألة الهندية؟ والجواب على هذه الأسئلة هو بالطبع ما قرره بفرلى فى تقريره وهو وجوب بقاء الإنجليز فى الهند لإزالة ما جاء فى ذلك التقرير ولو قدر لذلك الصحفى أن يزور السودان حين تشتد المطالبة بتقرير المصير أو الجلاء ليرفع تقريراً ينور به أحرار الغرب وقدر لنا أن نطل على ذلك التقرير لرأيناه يتعرض فى أولى صفحاته للخلافات العنصرية والدينية التى خلقتها هيئات التبشير أو أضمرت سعارها دعايات أعداء الإنسانية الذين يفككون أوصال الإنسانية ويبدرون بذور الشقاق بين أبناء الوطن الواحد باسم المسيحية والمسيحية بريئة مما يبدرون. ولرأيناه يرد فى إسهاب مفرط أنواع الشقاء والتعس والمرض والوحشية وسوء النظام ويحملنا تبعاتها دون أقل إشارة للأيدى الجائرة والعقول الماكرة التى أضافت إلى منجم السياسة كلمات السودان المسلم والسودان الزنجى والسودان الشمالى والسودان الجنوبى والتى شلت أيدينا عن انتشال مواطنينا الجنوبيين من بؤرة الشقاء والمرض والجهل والعرى ولرأيناه يطالب ببقاء الإنجليز للقضاء على الجزام والعماء والتسول التى ابتلانا بها النازحون تحت حماية الإنجليز ولرأيناه يشير إلى بقايا (أبى صليب) والخرطوم الغربى اللاتى يقمن بخدمة جيوش الإمبراطورية خوفاً من الله واحتساباً دون أن يشير أقل إشارة لما تكتبه جرائدنا المحلية أو إلى تشويه سمعتنا فى الشرق كما شوهتها فى الغرب.

هـ- قانون عجيب

لاشك أن مجرد التفكير فى الالتجاء إلى القانون للقضاء على عادة مستأصلة فى النفوس، استئصال الخفاض الفرعونى، دليل قاطع على أن حكومة السودان إما أن يكون

قد رسخ في ذهنها أننا شعب تستطيع القوة وحدها أن تثنيه عن كل مبدأ وعقيدة أو أن تكون قد أرادت أن تقول للعالم الخارجى أن السودانيين قوم متعنتون وأن تعنتهم الذى ألجأنا للقانون لاستئصال عادة الخفاض الهمجية هو التعنت الذى وقف فى سبيلنا وشل أيدينا عن استثمار الأراضي الواسعة الخصبة فى الجنوب والإستفاده من مياه الدندر والرهذ والأتبرا والتوسع فى التعليم.

هذا من ناحية الالتجاء إلى القانون وأما القانون فى ذاته فهو قانون أريد به إذلال النفوس وإهدار الكرامة والترويض على النقائص والمهانة- قل لنا بربك أى رجل يرضى بان يشتهر بالتجسس على عرض جاره وأى كريم يرضى أن يكون سبباً فى إرسال بنات جاره أو صديقه أو عشيره للطبيب للكشف عليهن؟ عجباً لكم يا واضعى القانون أمن العدل والقانون أن تستذلونا باسم القانون؟ أو من الرأفة بالفتاة أن تلقوا مكاسيها فى أعماق السجون.

و- عتاب

إخواننا أعضاء المجلس الإستشارى- عفا الله عنكم. لماذا لم ترسلوها صرخة داوية ضد سن القانون- إلا أنكم استهنتم بكرامة مواطنيكم كما استهان بها واضعو القانون؟ أم رضىتم لأمتكم التشهير والتحقير ولفتياتكم ركوب عربات البوليس ولأمهاتهن وعماتهن وخالاتهن دخول المحاكم والسجون؟ مع علمكم برسوخ العادة وسلامة الطبع وتقديس العرض وتنفير القانون؟؟

خ- عهد

أيها السودانيون لقد جاء بياننا شارحاً ما كان متنبئاً بما سيكون وسوف تقدم لنا بعد هذا مشاريع كثيرة باسم الإصلاح ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب - قد تجوز فيها الخدعة على الكثيرين ولكن الحزب الجمهورى قد قطع على نفسه عهداً بأن يكشف القناع عن متشابهها ويحذر من خطرها ويعمل بإزالتها ولن يخشى بعد اليوم أحداً وعلى الله توكلنا هو مولانا نعم المولى ونعم النصير.

ملحق رقم (10)

خطاب استدعاء إلى الأستاذ محمود من ج. إ. س. برايس، ملاحظ مكتب التحريات الجنائية، الخرطوم، في 24 مارس 1946 للتحقيق معه بشأن منشورات أصدرها الحزب الجمهوري⁽¹⁾.

CID/36.H

Criminal Investigation Department

P.O.Box 288 Khartoum,

24 March, 1946

Mahmoud Mohed Taha,

Merchant, Omdurman,

Dear sir,

You are hereby required to attend at the C.I.D office at 9 a.m on 25/3/46 to answer questions respecting some circulars purporting to have been issued by the Republicans. Please acknowledge receipt of the letter

Yours Faithfully,

(G.E.S Price)

Superintendent, C.I.D.

(ترجمة الخطاب كما جاءت في المصدر)

مكتب التحريات الجنائية

36هـ/م.ت.ج

ص.ب 288 الخرطوم

في 24 مارس 1946

محمود محمد طه

تاجر⁽²⁾

أمدردمان

(1) المصدر جاء الخطاب ضمن كتاب: الإخوان الجمهوريون، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، الكتاب الثاني، ط1، 1976.

(2) وردت ملاحظة في المصدر تقول: تاجر، وليس بوصفه رئيساً للحزب الجمهوري.

السيد المحترم

بموجب هذا مطلوب حضورك بمكتب التحريات الجنائية الساعة 9 صباحا يوم 25/3/64 للإجابة على أسئلة تتعلق بمنشورات يعتقد إنها صدرت عن الجمهوريين ... أرجو التكرم بالتوقيع باستلام هذا الخطاب.

المخلص

ج. إس. برايس

ملاحظ، مكتب التحريات الجنائية

ملحق رقم (11)

خطاب إلى الأستاذ محمود من و. س. ماكداول، قاضي جنائيات، الخرطوم،
في 1946/5/29 للمثول أمام المحكمة بسبب منشور أصدره الحزب الجمهوري ضد الحكومة
الاستعمارية⁽¹⁾

Summons on information of a probable Breach of the peace.

(see sections 81 and 84)

To Mahmud Mohed Taha,
Contractor, Omdurman.

Whereas it has been made to appear to me by credible information that you have issued a pamphlet which is deemed to be likely to excite feelings of disaffection to the government and to lead to a breach of the peace or to disturb the public tranquility:

You are hereby summoned to attend in person at the Police Magistrate's Court on the 2nd day of June, 1946 at 08:45 a.m to execute a bond for 's 50 and also to give security by bond of one surety in the sum of 's 50 that you will keep the peace and refrain from illegal acts likely to disturb the public tranquility for the period of two years or to show cause why you should not execute such bond and give such security.

Dated this 29th of May, 1946

W.C. McDowell

Police Magistrate,

Khartoum

(ترجمة الخطاب)

"ورقة تكليف بالحضور للإدلاء بمعلومات تتعلق باحتمال الإخلال بالسلام"

"انظر المادتين 81 و 84"

(1) المصدر جاء الخطاب ضمن كتاب: الإخوان الجمهوريون، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، الكتاب الثاني، ط 1، 1976.

إلى محمود محمد طه، مقال (1)، أمدرمان.

بما انه قد تبين لى بمعلومات موثوق بها انك قد أصدرت منشوراً يعتقد أنه من المحتمل أن يشير الشعور بالكراهية ضد الحكومة ويؤدى إلى الإخلال بالسلام، أو إلى إزعاج الطمأنينة العامة.

فأنت بموجب هذا، مطلوب حضورك شخصياً للمثول أمام محكمة الجنايات فى اليوم الثانى من يونيو 1946 الساعة 8:45 صباحاً لتوقع على كفالة مالية قيمتها خمسون جنيهاً، وأيضاً لتوقع على كفالة بواسطة ضامن واحد بمبلغ خمسين جنيهاً على أن تحفظ السلام وتمتنع لمدة سنتين عن القيام بالاعمال غير المشروعة والتي من المحتمل أن تخل بالطمأنينة العامة، أو تبين السبب الذى يمنعك عن التوقيع على هذه الكفالة وهذا الضمان..

بتاريخ اليوم التاسع والعشرين من مايو 1946

و.س.ماكديوال

قاضى جنايات، الخرطوم

(1) وردت ملاحظة فى المصدر تقول: مقال، وليس بوصفه رئيساً للحزب الجمهورى.

ملحق رقم (12)

مثول الأستاذ محمود أمام قاضى الجنايات ورفضه التوقيع على تعهد مفضلاً السجن
المصدر: صحيفة الراى العام، يوم 1946/6/3

(نص الخبر)

رئيس الحزب الجمهورى فى السجن

مثل الأستاذ محمود محمد طه المهندس أمس أمام قاضى الجنايات المستر مكدوال
متهماً من بوليس الخرطوم تحت قانون التحقيق الجنائى لتوزيعه منشورات سياسية من شأنها
الإخلال بالأمن العام.

وقد أمره القاضى على أن يوقع على صك بكفالة شخص بمبلغ خمسين جنيها لمدة عام
لا يشتغل خلالها بالسياسة ولا يوزع منشورات أو أن يودع السجن لمدة سنة إذا رفض
ذلك.

ولكن الأستاذ محمود رفض التوقيع مفضلاً السجن.

وقد اقتيد لتوه إلى سجن كوبر ولم تستغرق هذه الإجراءات كلها غير وقت يقل عن
الساعة .

ملحق رقم (13)

بيان رسمى من مكتب السكرتير الإدارى عن رئيس الحزب الجمهورى

المصدر: صحيفة الراى العام، فى يوم الاربعاء 26 يونيو سنة 1946

ظهرت بيانات فى الصحف المحلية حديثاً بخصوص محمود محمد طه الذى هو الآن تحت الحراسة بالخرطوم بحرى نتيجة لرفضه أن يمضى كفالة المحافظة على الأمن - وهذه البيانات قد احتوت على معلومات غير دقيقة والحقائق كالاتى: لمدة يومين رفض محمود محمد طه أن يشتغل وهذا يخالف قوانين السجن فلم يعمل له أى شئ فى اليوم الأول أما فى المرة الثانية فقد حكم عليه بالبقاء ثلاثة أيام (بالزناينة) (والأكل الناشف) - ولو أنه رفض أيضاً أن يقف عند الكلام مع ضابط السجن فإن العقوبة التى نالها الآن لم تعط له لهذه المخالفة لنظام السجن - وبهذه المناسبة يجب أن يعلم أن كل المساجين مهما كانت جنسياتهم أو طبقاتهم يجب أن يقفوا الى ضابط السجن إنجليزياً كان أو سودانياً . وبالطبع لم تتخذ أى وسيلة لمنع هذا المسجون أو أى مسجون آخر من أداء واجباته الدينية .

ملحق رقم (14)

بيان من الحزب الجمهورى عن معاملة الرئيس محمود محمد طه

المصدر: صحيفة الرأى العام، الخميس 4 يوليو سنة 1946

(نص البيان)

بيان من الحزب الجمهورى

عن معاملة الرئيس محمود محمد طه

هذا بيان نذيعه على المواطنين والرأى العالمى العام والحكومة السودان أن تكذبه على شرط أن تتألف لجنة من المواطنين تمثل فيها الصحافة للتحقق من صحة هذه الأخبار وإلا فالخبر قائم صحيح لا يرقى إليه الشك وسيترتب عليه قيام قضية طرفاها الحزب الجمهورى وحكومة السودان.

نقول بصدق كل الأخبار التى نشرتها الصحف المحلية ونزيد بأن محموداً قد هدد بالكلابش ووضع فى زنزانة وادخل غرفة بها مريضان بالسل وهما فى الطور الأخير من المرض ليس عليهما رقابة تحول بينهما وبين البصق أمام مدخل الزنزانة التى وضع بها الرئيس - وليت سلطات السجن وقفت فى معاملتها عند هذا الحد ولم تمنع محموداً الماء للوضوء مما اضطره لأخذ الماء من نفس الإناء الذى يستعمله أولئك المرضى - كل هذا يدل دلالة واضحة على أن إدارة السجن أو من يسير السياسة العليا للسجون لم يفتهم التفكير فى محاربة رجال الحركة الوطنية حرباً خفية سلاحها الجرائم الفتاكة.

أما عن البيان الرسمى فيظهر أن نائب السكرتير الإدارى للشئون السياسية لم يكن مطمئناً إلى معلوماته الرسمية اطمئناناً يمكنه من قبول اقتراح سكرتير الحزب الجمهورى القائل بمقابلة محمود محمد طه للتحقق من صحة تلك المعلومات الرسمية .

أمين محمد صديق

سكرتير الحزب الجمهورى

ملحق رقم (15)

الحزب الجمهورى ينظم موكباً

المصدر: صحيفة الراى العام، جريدة يومية سياسية، العدد 451 الخرطوم، 25 سبتمبر

سنة 1946

الحزب الجمهورى ينظم موكباً

اجتمع أعضاء الحزب الجمهورى مساء أمس وساروا فى موكب اخترق شارع الملك بالخرطوم وقد خطب منصور عبد الحميد فى إحدى المقاهى التى صادفتهم فى الطريق فاعتقله البوليس للتحقيق وقد سمح لخمسة من زملائه أن يحضروا معه التحقيق ومنع البوليس الباقين من الدخول .

واستمر التحقيق إلى ما بعد منتصف الليل حيث أطلق سراح المقبوض عليه بضمانة وكان الغرض من الموكب والخطبة الاحتجاج على اعتقال رئيسه والتنديد بقانون الخفاض .

ملحق رقم (16)

اعتقال ثلاثة من أعضاء الحزب الجمهورى

المصدر: صحيفة الراى العام، العدد: 452، بتاريخ 1946/9/26

إعتقال ثلاثة من أعضاء الحزب الجمهورى

اعتقل البوليس مساء أمس سعد صالح وعثمان عمر متولى العتبانى ومنير صالح عبد القادر عندما كانوا يخطبون منددين بسياسة الحكومة أمام دار سينما الخرطوم بحرى وبعض المقاهى.

وقد اعتقلهم بوليس الخرطوم بحرى وأرسلهم الى الخرطوم.
ومازال هؤلاء فى الحراسة حتى الآن.

ملحق رقم (17)

إضراب رئيس الحزب الجمهورى عن الطعام، والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه

المصدر: صحيفة الرأى العام، العدد: 453، الخميس 27 سبتمبر 1946

(النص)

إضراب رئيس الحزب الجمهورى عن الطعام

والاستمرار فى إلقاء القبض على أعضائه

اعتقل بوليس الخرطوم بحرى مساء أمس ذا النون جبارة وعبد المنعم عبد الماجد أعضاء الحزب الجمهورى عندما ألقيا خطابين أمام السينما الوطنية بالخرطوم بحرى ونددا فيهما بالمجلس الاستشارى وقانون الخفاض وكبت حرية الرأى والخطابة وباعتقال هذين بلغ عدد المعتقلين من الحزب الجمهورى خمسة مازالوا فى السجن وعلمنا أن رئيس الحزب الأستاذ محمود محمد طه المعتقل فى سجن ودمدنى قد أضرب عن الطعام احتجاجاً على اعتقاله بدون محاكمة.

ملحق رقم (18)

مرافعة قائد ثورة رفاعة يوم محاكمته فى أكتوبر 1946

مرافعة الأستاذ محمود محمد طه أمام المحكمة الكبرى بمدنى عام 1946

إعداد عضو الحزب السيد مكاوى المرضى (1)

الإهداء:

إلى "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل".

إلى عضو الحزب الجمهورى المجهول.

إلى السودانين الأحرار.. إلى كل مواطن غيور، إلى الذين يناصرون الحق.. إلى الذين تغلغل فى نفوسهم الإيمان وتمكن الإسلام من صدورهم.. إلى الذين قال فى حقهم الأستاذ محمود: "لتأمرن بالمعروف ولتنهعن عن المنكر.. ثم لتأخذن على يد الظالم لتأطرنه على الحق أطراً ولتقرنه على الحق قرناً".

إلى هؤلاء جميعاً نهدي هذا الدفاع المجيد فهو دفاع عن الأبرياء.. دفاع عن الدين.. دفاع عن الوطن.. دفاع عن الحق.. دفاع عن الفضيلة.. عليهم يطلعون على الباطل فيقضون عليه..

صورة الدفاع

[نص مرافعة الأستاذ محمود، قائد ثورة رفاعة، أمام المحكمة الكبرى بمدنى فى أكتوبر 1946]

1- أهالى رفاعة جميعاً أبرياء.. وزملائى الذين سجنوا أبرياء، وأنا برئ، والمسألة فى الحقيقة سلسلة أخطاء من الإدارة من أولها إلى آخرها.. كلما أخطأت الإدارة مرة، وتمسك

(1) إبراهيم يوسف فضل الله، ثورة رفاعة المجهولة، مصدر سابق، ص 31-39. سبقت الإشارة إلى أن إبراهيم يوسف أورد أن السيد مكاوى المرضى عضو الحزب الجمهورى هو الذى نقل لنا مرافعة الأستاذ محمود أمام المحكمة وأعدّها تحت عنوان: "مرافعة دفاع الأستاذ محمود أمام المحكمة الكبرى بمدنى عام 1946".

الناس بحقهم اعتبرته مساساً بهيبتها، فاستعلت وأخذتها العزة بالإثم فقفزت فى خطأ آخر هو فى زعمها يعيد لها هيبتها فى نفوس الناس.. وما علمت أن اجتماع الأخطاء لا ينتج منه ولا صواب.

2- الوضع الصحيح المجمل لهذه المسألة، هو أن الإدارة قد ضربت أهالى رفاعة فصاحوا من ألم الضرب بصوت خفيض، ثم ضربتهم فصاحوا، ثم ضربتهم فصاحوا، فاستاءت من أن يصبح المضروب المتألم، فقدمتنا للمحكمة فكانت هذه المحكمة.. ولو كنا نملك ما نملك لقدمناهنا نحن لهذه المحكمة، ولكننا لا نملك جيشاً ولا بوليساً ولا سجوناً وقيوداً، ولو ترك القطا ليلاً لنام.

3- قلت بالأمس إنى وبالمثل أى عضو من أعضاء الحزب الجمهورى لا أنكر تهمة الإثارة لمجرد أنها تهمة إثارة، إنما أنكر تهمة الإثارة بالنقد الذى لا يحترم الحقائق وبالتشويش المغرض.. ولقد كان من دواعى الشرف لى ولحزبى، لو صح أنى أنا الذى أثرت أهالى رفاعة حول هذه القضية، لأنها من القضايا التى نقدنا فيها الحكومة وسنقدها إلى أن تقلع عنها.. ولكن للأسف فإن الإدارة قد سبقتنى إلى هذا الشرف فاثارت أهالى رفاعة وأثارتنى معهم.. فلننظر.

4- قلنا إن قضية اليوم ستظهر جلياً مبلغ الصحة فى نقد الحزب الجمهورى لقانون الخفاض، من ناحية الهيئة المشرفة والهيئة المنفذة.. بأنها لغرابتها عنا فى الدين والعادات، لا تفهمنا، هذا بصرف النظر عن سوء النية.. فلننظر.

5- دعنا نعترف بقانون الخفاض لحظة واحدة بغرض أن ننزل مع الإدارة فى ميدانها.. قال أحد البيانات الرسمية: "إن السلطة المؤيدة نظرت فى قضية فتاة رفاعة، فحكمت ببراءتها لعدم توفر الأدلة ضدها" جميل.. هذا أول خطأ ارتكبته الإدارة.. وهو خطأ لا تتورط فيه إلا إدارة تجهل الناس فتستخف بعروضهم وبأخلاقهم.. ولا تتورط فيه إدارة حسنة النية.. وما كان لهذا الخطأ ليصحح لولا أن قمنا فيه بالوجه الذى ترى المحكمة الآن.

أنا أتهم الإدارة فى غلطتها هذه بسوء النية، والاستخفاف بدين الناس وبأخلاقهم.. فهل عندى برهان على ذلك؟ فلننظر.

6- نحن لا نزال فى لحظة الاعتراف بالقانون.. جعلت الحكومة حق تطبيق هذا القانون فى يد المدير وحده لتأمين العثار فى التنفيذ، ولتظهر للناس المعارضين من أمثالنا اهتمامها بالناس، ومجاملتها للعادات الموروثة.. ولكن فتاتنا حاكموها وحكم عليها المفتش وسجنها، ثم أرسل أوراقها للمدير للتأييد، فأطلقناها نحن بالصورة التى قصصت على المحكمة.. فكيف جاز هذا للمدير وللمفتش لو كانا يعرفان للناس حقاً ويضمران لهم نية حسنة؟؟.

7- قالت جريدة الرأى العام فى يوم 24 سبتمبر تحت عنوان رئيسى "القضاء ينظر فى قضية الخفاض برفاعة" بعد حديث لها: "وقد علمنا من مكتب الصحافة هذا الصباح أن قضية الخفاض التى سببت كل هذا الشغب هى الآن تحت نظر رئيس القضاء بالمصلحة القضائية، وإن التهم الموجهة إلى الذين اعتقلوا فى هذه الحوادث لا دخل لها بأرائهم فى موضوع الخفاض.. ولكنها تتعلق أولاً وأخيراً باستخدام القوة لتحقيق غاية، فى الوقت الذى كان فيه الاستئناف مفتوحاً أمام المتظاهرين".

8- هل باب الاستئناف مفتوح أمام المتظاهرين؟.. لننظر.

9- قالت الحكومة فى بيان رسمى فى الصحف... (لا أعرف تاريخه).. ما يأتى: "حصلت أخيراً فى رفاة حادثة أدينى فيها امرأة لخفضها ابنتها حفازاً غير مشروع وحكم عليها بأربعة أشهر سجنًا، وقد قدم استئناف لمدير المديرية فرفضه وحبست المرأة فى السجن".. ومع ذلك فالحكومة تقول إن باب الاستئناف مفتوح!!.. وهذا الاستئناف رفض، مع أن المرأة مسجونة بغير أدلة كافية للإدانة، وفيما أعلم لم يخبر المستأنفون ولا نحن مندوبى الهيئات الذين قابلنا المفتش برفض هذا الاستئناف، وإنما أعيدت المرأة للسجن والسلام.. فإن لم يكن هذا سوء النية والاستخفاف بالناس فماذا عساه أن يكون؟؟.

10- قال الخبر عن مكتب الصحافة الذى أشرت إليه آنفاً عن جريدة الرأى العام يوم 24/9/1946: "إن التهمة الموجهة إلى الذين اعتقلوا فى هذه الحوادث تتعلق أولاً وأخيراً باستخدام القوة لتحقيق غاية، فهل استخدمنا القوة لتحقيق الغاية؟؟ لننظر..

11- حوادث الحصاحيصا هى الحوادث التى اتهمنا فيها بأننا استخدمنا القوة، وحوادث

الحصاحيصا قد سبقتها حوادث جمّة، كلها تدعو إلى الثورة والغضب لو تتبعها الإنسان وهو يعرف أن الناس ناس.. ولكن لننظر في حوادث الحصاحيصا نفسها - شهادة الشيخ أبو اليسر وشهادة محمد مساعد- وهما شاهدا الاتهام تكاد تتفقان على أن الناس عندما دعوا إلى الهدوء وكانوا حوالي 600 أو 700 هدأوا وذهبوا وجلسوا ووقفوا تحت أو حول الشجر الذى يبعد عن المركز بنحو 60 أو 70 ياردة، بغرض أن ينتخب منهم عشرة مندوبين كما فعلوا فى رفاة، ثم يقفلوا راجعين بفئاتهم، أو يظلوا بالحصاحيصا أياماً وليالي.. والشاهدان يقولان إن الناس انصرفوا إلى المكتب هائجين، وتركونا بمجرد وصول بوليس ود مدنى، ولا يصرحان بشئ وراء ذلك.. وأنا أعرف أن نائب المدير أشار بأن يهددهم بقوة بوليس مسلح يلبس خوذة توهّم بأنهم من رجال قوة الدفاع.. فكان الهياج.. هذا فى أقوال شاهدى الإتهام.. إن الإدارة لا اتهم الناس بشئ إلا لأنها لا ترى لهم مطلق حق وإلا لأنها تنكر على المتألم أن يصيح ويتألم.. ثم أين القوة؟ أهى ضرب الشبايك الذى ابتدأ بعد ساعة ونصف على الأقل من بدء الهياج بسبب الاستفزاز بالتهديد بالقوة؟ والذى ما كان ليحصل لولا صلف نائب المدير واستخفافه بالناس!!

شهادة الشيخ محمد مساعد تقول: "الناس قد قلموا فروع الشجر ليضربوا بها الشبايك.. وهذا يدل على أن الناس لم تكن لديهم فكرة التخريب وإنما طرأت لهم.. لجأوا إليها بسبب الإدارة وتعاميتها وسوء تقديرها لظروفهم وتعبهم.. وإن الإدارة مخطئة أبشع الخطأ حتى لو اعترفنا لها بالقانون ونازلناه فى ميدانه.. فلننه هنا اللحظة التى اعتبرنا أنفسنا فيها معترفين بالقانون..

12- مفتش رفاة سجن امرأة مصونة شابة فى سجن عمومى مع خادمة عاهرة.. فحدثناه فى ذلك فاعترف بعدم صلاحية السجن للنساء فى رفاة فأطلقها بضمانة، وظل ما ظل فى رفاة لا يذكرها، فلماذا عندما ذهب إلى الحصاحيصا أمر باعادتها لنفس السجن؟؟ فهل تسمى هذا استخفافاً بدين الناس وأخلاقهم أم تسميه جهلاً بالناس؟ أم هما معاً؟؟ سمه ما شئت فهو برهان ثالث..

13- إن فى تصرف المفتش هذا ما يجعل ما قمت به أنا فى الجامع، ما قام به الناس

بالمركز، شيئاً مفروضاً علينا فى واجب الدين وواجب الأخلاق وواجب الحياة نفسها، بل إن الناس قد سلوكوا سلوكاً يستحق الثناء وقد شرحنا تفصيله للمحكمة.

14- أخذ العمدة عبدالله محمد أبو سن وكتبه المرأة من منزلها قريباً من نصف الليل إلى الحصاحيصا وأرسلت منها إلى سجن مدنى.. فأى حكومة تسمح لنفسها أن تتصرف مثل هذا التصرف، وأى شعب عربى مسلم يرضى مثل هذا؟.

15- وضعت المرأة بسجن مدنى وما أدراكم ما سجن مدنى؟!

بهذا السجن اليوم 23 امرأة منهن أربع مجنونات يفحشن بألفاظ يندى لها وجه الرجل، وسائرهن عهر، أحضرن من بيوت عامة وحوكمن فى جرائم خمرية.. بين عنبرهن وعنبر الرجال نحو 15 متراً يفصل بينهم وبينهن السلك الشائك، فهن يذهبن لأدبختنهن دفعة واحدة، وكل واحدة منهن تحمل كوزها فيجلسن فى انتظار دورهن، وهن جلوس بمسمع ومرأى ويشاغلن بعضهن بعضاً بنظرات وبألفاظ تطير الدم فى رأس الرجل الغيور!! وهن يسكن فى عنبر واحد ما عدا اثنتين من المجنونات.. وهن يغنين التمت فى أكثر الأمسيات بأصوات ونغمة عالية.. ويقضين حاجتهن خارج الأدبخانه على مرأى من الرجال، بشكل وبصورة لا يعملها حتى مجرمى المساجين، وما ذلك إلا لأن الأخلاق قد هانت عليهن، وما ذلك إلا لأن الرجال قد هانوا عندهن.. وما ذلك إلا لأن الوازع الدينى قد مات فى نفوسهن والحياء -حياء الأنثى الغريزى- لا وجود له.. مع هؤلاء فى هذا السجن يراد سجن امرأة شابة حرة مسلمة مصونة تشرف على تربية بنات وأولاد تركهم لها زوجها الذى توفى قبل شهر.. فإن قال أهلها لا وناصرهم إخوانهم فى الدين وفى الجنس وفى الوطن قالت الحكومة هذا شغب وهذه فتنة وهذا تهديد!!.

16- تتهمنى الإدارة بأنى أثرت أهالى رفاعه، وهى تتهمنى هذه التهمة، لأنها تجهل الناس جهلاً شنيعاً وتستخف بأحلامهم وأخلاقهم، وإلا فهل أحد يحتاج إلى من يثيرة مع كل هذا؟ وهل أستطيع أنا أو أستطيع أبلغ خطيب أن يثير الناس أكثر من إثارة الإدارة هذه إياهم؟ وأهالى رفاعه خارج رفاعه من الذى أثارهم؟ أسمع تلغراف أهالى رفاعه خارج رفاعه من مدنى وتندلتى (قصاصات من جريدة الرأى العام): هؤلاء الناس لو كانوا شهوداً

لتولوا أكبر الثورة.. هل أثارت هؤلاء وإخوانهم الإدارة أم أثارهم محمود فى جامع رفاعه؟!

17- رأت الإدارة أن سوء تصرفها، وهى تعرفه، قد أذهب هيبتها وتوهمت أن الناس قد تجرؤوا عليها فاستهانوا بها، فظنت أنه لابد من إعادة الرعب إلى صدور الرجال برفاعه بأى شكل.. فكانت مأساة رفاعه الأخيرة.. ولكن لابد من تبرير للرأى العام لهذه الأعمال الانتقامية.. نشرت الحكومة فى بيان رسمى فى الجرائد المحلية تاريخ 2/10/1946 تقول فيه بعد حديث: "عاد الجمهور أدراجه إلى رفاعه وكان يبدو عليه أنه عازم على إحداث اضطرابات أخرى هناك".

18- إن جمهوراً كان سلوكه فى كل هذه المصائب كالذى قصصت على المحكمة لا يمكن أن يتهمه بأحداث الاضطرابات إلا أحد رجلين أو هما معاً: رجل لا يفهم الناس أو رجل يبيت غرضاً وراء التهمة.. وقد كانت الإدارة كلا هذين الرجلين.. فلو أراد الجمهور إحداث الاضطرابات لأحدثها فى أصيل يومه ذلك.. فقد وصل الجمهور رفاعه الساعة أربعة مساءً ولو أراد إحداث الاضطرابات، لأحدثها فى صباح اليوم التالى الذى وصلت قوات الانتقام والتأديب بعد منتصف نهاره.. بل أن هذا الجمهور ما كان ليخرب، ويحدث اضطرابات بالحصاحيصا، لو لم يدفع إلى التخريب دعماً.. ولو كان الناس يبيتون نية التخريب والعنف، لاتخذوا لذلك العدة فهم يذهبون عزلاً لا يحملون حجراً ولا عصاً، ولابتدؤوا بالتخريب وإحداث الاضطرابات ولما سلخوا يوم الجمعة بمركز رفاعه وهم فوق الـ 800 نفس الطريقة التى ذكرها حتى شهود الاتهام، ولخربوا فى الوقت الذى لم يكن بالمركز من يمنعهم التخريب غير ضمايرهم.. لا.. إن الإدارة تبيت أمراً!!.

19- قالت الحكومة فى البيان الرسمى الذى أشرت إليه آنفاً بعد حديث: "وقد قبض على هؤلاء المساجين نفر قليل من المواطنين المسئولين برفاعه دون مساعدة جيش أو بوليس" فإن كانت الإدارة لا تبيت أمراً وتريد أن تسترهب الرجال، لماذا ضربت الجماهير؟ ولماذا نصبت المدافع الرشاشة فوق المركز؟ ولماذا أحضرت بلكاً من قوة دفاع السودان من الخرطوم لمدينة هادئة آمنة؟ فى الوقت الذى تعرف فيه أن بهذه المدينة مسئولين عقلاء

يقبضون على المساجين بدون مساعدة البوليس أو الجيش كما تقول هي..

نحن نعرف أن بعض المسؤولين كان مع المفتش بمكتبه قبل إطلاق الرصاص.. وقد أخذوا على عاتقهم تهدئة الناس الذين استفزتهم مطاردة الإدارة لهم وشهر السلاح في وجوههم وتفريقهم بدون اللجوء إلى إراقة الدماء.. ونحن نعرف أن (قمندان) البوليس لم يكن من رأيه إطلاق الرصاص، ولكن المفتش ضرب برأى هؤلاء المسؤولين وبرأى الكمندان عرض الحائط وأمر بإطلاق الرصاص..

المفتش كان يتوهم أن إقامته برفاعة سيكون فيها خطر عليه إذا لم يعد الرعب إلى قلوب الرجال بضربهم بالرصاص وكذلك فعل..

وناس رفاة أنفسهم هل أثيروا في الجامع؟

قلت إنى لما سمعت بالحادث حوالى يوم 1946/9/9 وكتبت الجواب للمفتش لم يدر بخلى أى أحد من الناس سيناصرنى حتى ولا الهيئات.. وإنما كنت اعتمد فيما أردت الإقدام عليه على الحزب الجمهورى بالخرطوم.

بعد أن أرسلت الجواب للمفتش اتصلت بى الهيئات وطلبت أن تمثل، واتصل بى الجمهور وطلب أن يكون ورائى، وكان بالمركز يومها أول ما وصلنا نحو الثلاثين، ورشما انتهينا فأطلقنا المرأة تكامل العدد إلى ما يقارب المائة.. وما كنت أعرف منهم آنذاك إلا القليل.. وكانوا متحمسين بشكل غريب حتى لقد أرسلوا نحواً من العشرين تلغرافاً للحزب الجمهورى بالخرطوم، لعل صورها تكون موجودة بمكتب بوسنة رفاة.

20- قالت الحكومة فى النشرة الرسمية التى أشرت إليها بتاريخ 10/2 ما يأتى: "قبض على هؤلاء المساجين نفر قليل من المواطنين المسؤولين دون مساعدة الجيش أو البوليس" فمن هم هؤلاء المسؤولين؟ كيف كان قبضهم على المسجونين؟

رأى أهالى رفاة بعد حوادث الضرب أن يكونوا لجنة ليحملوا عن الحكومة مسئولية القبض على من تطلبهم، خوفاً من أن تأتى بتصرف كسابقه فى العنف والبطش بالناس.. والحكومة إنما أرادت بهذا القول أن تظهر للناس أن المسؤولين من أبناء رفاة لا دخل لهم

بهذه القضية.. وهذه دسيسة خبيثة.. ولعل من الخير للحكومة أن تعرف جيداً أن هذه الحركة لم يقم بها نفر دون آخر من أبناء رفاة بل إن كل الأهالي كباراً وصغاراً.. المسئول منهم وغير المسئول، هبوا هبة الرجل الواحد.. يربطهم الشعور بالكرامة المعهودة وغيره على الأعراض الممتنة.. والحكومة تفهم جيداً ولكنها تستخف بالحقائق وتستخف بالناس فإن لم يكن ذلك كذلك، فهلا طلبت هذه الحكومة من هؤلاء المسئولين الذين تعتد بهم وتزعم أنهم في صفها.. هلا طلبت منهم القبض على من تريدهم قبل أن تحشد قواتها وتأتى بقوة لتحاصر المدينة الآمنة؟!..

ملحق رقم (19)

مجاهدون: الجمهوريون والثبات على المبدأ، الأحزاب السودانية والكسل الذهني

المصدر: صحيفة الرأي العام، "مجاهدون"، العدد: 479، الاثنين 28 أكتوبر سنة 1946

(النص)

خواتم

مجاهدون

فى كل بلد تقوم فى الأحزاب نرى لها نشاطاً عظيماً بمختلف الوسائل المشروعة لتدعيم آرائها ولبسط مبادئها مما يدل على أن تلك الأحزاب جادة كل الجدة عاملة أقصى ما فى وسعها لإبلاغ رسالتها أى كانت تلك الرسالة.

والملاحظ أن الأحزاب فى السودان على وجه العموم تتمتع بكسل ذهنى لا حد له وإنها تنتظر التأييد والمساندة دون أن تقوم بأقل مجهود لكسب التأييد ونيل الثقة ولولا هؤلاء الأتباع الدينون الذين هم رهن الإشارة لما حسبنا أن مجهود الأحزاب وحدها يكفى لأداء رسالتها على الوجه الأكمل.

إن العمل الحزبى يتطلب رجالاً متفرغين أو عندهم من الفراغ ما يكفى لمواجهة الأعباء الحزبية التى ترهق كاهل المثقلين بالأعباء الأخرى حين يزاولونها، ولذلك فإن الإنتاج الحزبى فى السودان على عظمه وضخامته ضئيل جداً بالنسبة لما ينتظر من الأحزاب وخاصة حين تتصف بالصفة الشعبية الواسعة ولعل من الإنصاف أن نقرر أن الحزب الجمهورى قد أثبت أنه مخلص كل الإخلاص لنظرياته عامل على تنفيذ ما يعتقد مستنفداً كل جهد ومحملاً كل تضحية.

ولئن بدر من الحزب الجمهورى ما قد لا يوافق عليه الكثيرون وخاصة إيمانه بالعنف فإننا نرجو أن لا تحجب معارضتنا وعدم موافقتنا لبعض رسائله إعجابنا بهذا المثل الحسن الذى يضربه الجمهوريون فى الثبات على المبدأ والدفاع وعدم تهريبهم من المسؤولية التى

اضطلعوا بها مختارين.

ثم أن الجمهوريين حين يقررون أمراً أو يقومون بدعوة يظهر من الجد والحزم والبلاء الحسن ما يشرفهم كل التشريف فهم في محاربتهم لقانون الخفاض قد فعلوا كل ما في وسعهم ولعل كثيرين غيرهم ممن لم يوافقوا على القانون قبل اقراره لو بذلوا عشر ما بذله الجمهوريون فربما تغير الموقف كل التغير - لقد أصدر الحزب الجمهورى النشرات وخطب أعضاؤه وحذروا وأندروا وأخيراً ذهبوا إلى السجون وفقد بعضهم وظائفه وامتيازاته فى سبيل ما اعتقدوا أنه حق، جدى أيتها الأحزاب كما يجد الجمهوريون وإن اختلفت معهم فى الوسائل فالذى نطلبه أن يكون صاحب الدعوة جاداً فيها لا أن يطنطن فى محيطه الضيق ويختار الراحة والنعمة وأمن الوظيفة ونعمة البعد عن مزعجات الليالى. لقد ضرب الجمهوريون المثل فى الإخلاص للعمل فهل نرى من أحزابنا بعض العناية بأهدافها فإننا لم نسمع على اتساع دار المؤتمر ودار حزب الأمة ودور أندية الخريجين وأعمدة الصحف بمجهود يذكر لقيادة هذه الأحزاب كأن الخطة التى اجمعوا عليها على اختلاف نزعاتهم هى إيقاف التنفيذ.

حيا الله الجمهوريين فقد جاهدوا ما وسعهم الجهد وما هداهم التفكير فإن وفقوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر.

ملحق رقم (20)

غداً الأستاذ محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى يغادر سجن كوبر بعد عامين

المصدر: صحيفة السودان الجديد، العدد: 594، الاثنين 1948/9/20

(نص الخبر)

محمود محمد طه

غداً يغادر سجن كوبر بعد ان أمضى عامين فيه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى الذى حوكم فى قضية حوادث رفاعة.

قضى محمود مدة سجنه صابراً متحملاً مقبلاً على الله. قضاها وهو مؤمن بالفكرة التى تعذب فى سبيلها وإن الإخلاص للفكرة والفناء فيها مهما اختلفت آراء الناس فى قيمتها فلن تختلف فى تقدير الإخلاص لذاته والتضحية فى أسمى وأنبلى معانيها. وإنا إذ نستقبل فيه الرجل الصادق الإيمان بتفكيره المخلص فى العمق لما يعتقد أنه صواب وإنا إذ نهنيء محموداً بخروجه من الظلام إلى النور. فنهنى الحزب الجمهورى برئاسة المجاهد.

ملحق رقم (21)

محمود محمد طه

الشعب يريد الحرية، إرادة الشعب فوق كل إرادة

المصدر: سعيد الطيب شايب، "محمود محمد طه"، صحيفة الشعب، العدد: 6، يوم السبت 1951/1/13.

ملاحظة: لقد أرخت بهذا المقال لبداية مرحلة التلمذ على يدى الأستاذ محمود. مؤلف هذا الكتاب.

ملاحظة: أبرزت الصحيفة التى نشرت المقال جملتى: الشعب يريد الحرية، إرادة الشعب فوق كل إرادة، فى قلب المقال بخط كبير جداً وفى مربعين كبيرين بلون أسود والحروف بلون أبيض. بقلم سعيد الطيب شايب

(النص)

محمود محمد طه

لفتت نظرى "قفشة"⁽¹⁾ وردت فى عددكم الثالث منسوبة الى المجاهد "محمود محمد طه" فإنها قد أعادت لنفسى أملاً كاد أن يفلت، لما اكتفنى من شكوك وأوهام؛ وعلى الأقل أعادت لنفسى بأن هناك صحافة حريصة على أعمال المجاهدين.

إن اسم "محمود" قد اختفى منذ حين، وكأنه لم يفعل شيئاً، بل كأنه لم يكن فى عالم

(1) لقد وقفت بدورى على هذه القفشة فقد جاءت فى صحيفة الشعب فى باب طرائف تحت عنوان: سليمان، كتبت الصحيفة: "من طرائف الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى القفشة الآتية: كان الحديث يدور حول الإنجليز واستعمارهم والأحزاب السودانية فقال الأستاذ محمود: إن الإنجليز قد أصبحوا كسيدنا سليمان مات متكباً على عصاه ولم يعرف ذلك حتى تأكلت العصا.. فهل يفهم الناس أن سليمان الذى يستعمر هذا البلد ميت مرتكز على عصا!!!!". المصدر: "سليمان"، صحيفة الشعب، العدد: 3، السبت 1950/12/23.

الوجود! ولكنى أخرج ذلك الصمت وأقول، أليس محمود ذلك الرجل الذى آمن بقضية شعبه وعمل لها ما وسعه العمل رغم العراقيل التى وضعت فى سبيله أليس هو ذلك الرجل الذى يقوم ولا يتردد ولا يتنازل مهما قابلته الصعاب من بطش ومعارضة حكومية وحزبية - كل ذلك لأنه يؤمن بأن الشعب الذى يريد الحرية ويسعى لها، يجب أن يكون فى كفاحه صلباً لا يتزحزح وقوياً لا يلين وثابتاً لا يتنازل. ثم إنه يريد أن يضرب لهذا الشعب - الذى لم يكتمل فهمه لقضيته - مثلاً صادقاً، بأن به فئة فدائية تضرب مثلاً عالياً فى التضحية بكل شىء فى سبيل المبدأ والعقيدة... وأليس هو الذى سجن مرات دون أن يحرك الزعماء ساكناً للدفاع عنه والوقوف بجانبه؟ وأليس هو الذى وقف وقفة الرجل المؤمن بحقه يوم حادث رفاعة - يوم مشكلة الخفاض - التى تمخضت عن سجنه عامين وهل هو غير ذلك الرجل الذى رفض المنصب والجاه فى سبيل حرية رأيه؟ وهل هو غير ذلك الرجل الذى أراد أن نكون فى هذا الظرف العصيب مكافحين قبل أن نكون ساسة وعاملين على أخذ حريتنا دفعة واحدة وحالا، ونكفر بتقسيط الحرية وسياسة التطور... وهذه الحركة العمالية التى تحركت اليوم تحركاً ملحوظاً - ألم تكن لمحمود يد فى غرسها؟ وألم تكن له يد فى تربيتها أيام كانت فكرة فى المهد؟ أجبونى يا أصحاب الشأن! وأخيراً أقول الحزب الجمهورى من أنشأه؟ وأحب أن أسأل "الزعماء" سؤالين أرجو أن أحظى منهم بإجابة عاجلة على صفحات الشعب:

أولاً: كيف يعيش اليوم محمود؟ وقد وردت فى ذلك الأقاويل

ثانياً: سمعنا إشاعة لم تؤكد بعد تقول إن "محمود" ينوى الخوض فى المعترك السياسى من جديد؟ وهل نأمل فى زيارة الصحفيين لمحمود برفاعه ليشعروه بأن أثره فى المجتمع وفى الحركة الوطنية باق.

ملحق رقم (22)

مقال الأستاذ محمود "سعيد يتساءل"، ردأ على مقال سعيد شايب

المصدر: محمود محمد طه، "سعيد يتساءل"، جريدة الشعب، السبت 1951/1/27.

(النص)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم، فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا: حسبنا الله، ونعم الوكيل). صدق الله العظيم

جريدة الشعب، السبت 1951/1/27

حضرة صاحب جريدة الشعب، ص ب 226 الخرطوم..

تحية، وبعد،،،

فقد اطلعت، بعددكم السادس، على كلمة من الأخ سعيد يتساءل فيها عنى، وقد أعلم أن كثيراً من الإخوان يتساءلون، كما تساءل، فلزمنى لهم حق الشكر، ولزمنى لهم حق الإيضاح..

عندما نشأ الحزب الجمهورى أخرج، فيما أخرج، منشورين: أحدهما بالعربية: قل هذه سبيلي، والآخر بالإنجليزية: ISLAM THE WAY OUT ضمنهما اتجاهه فى الدعوة إلى الجمهورية الإسلامية.. ثم أخذ يعارض الحكومة فى الطريقة التى شرعت عليها تحارب عادة الخفاض الفرعونى، لأنها طريقة تعرض حياء المرأة السودانية للابتذال، وعلى الحياء تقوم الأخلاق كلها، والأخلاق هى الدين..

ثم نظرت موضوع الدعوة إلى الإسلام، فإذا أنا لا أعرف عنها بعض ما أحب أن أعرف.. فإن قولك: (الإسلام) كلمة جامعة، قد أسىء فهم مدلولها الحقيقى، لأن الناس قد ألفوا، منذ زمن بعيد، أن تنصرف أذهانهم، عند سماعها، إلى ما عليه الأمم الإسلامية اليوم من تأخر منكر.. وما علموا أن المسلمين اليوم ليسوا على شىء..

فأنت، إذا أردت أن تدعو إلى الإسلام، فإن عليك لأن ترده إلى المعين المصطفى الذى منه استقى محمد، وأبو بكر، وعمر.. وإلا فإن الدعوة جعجعة لا طائل تحتها.. ولم تطب نفسى بأن أجمع..

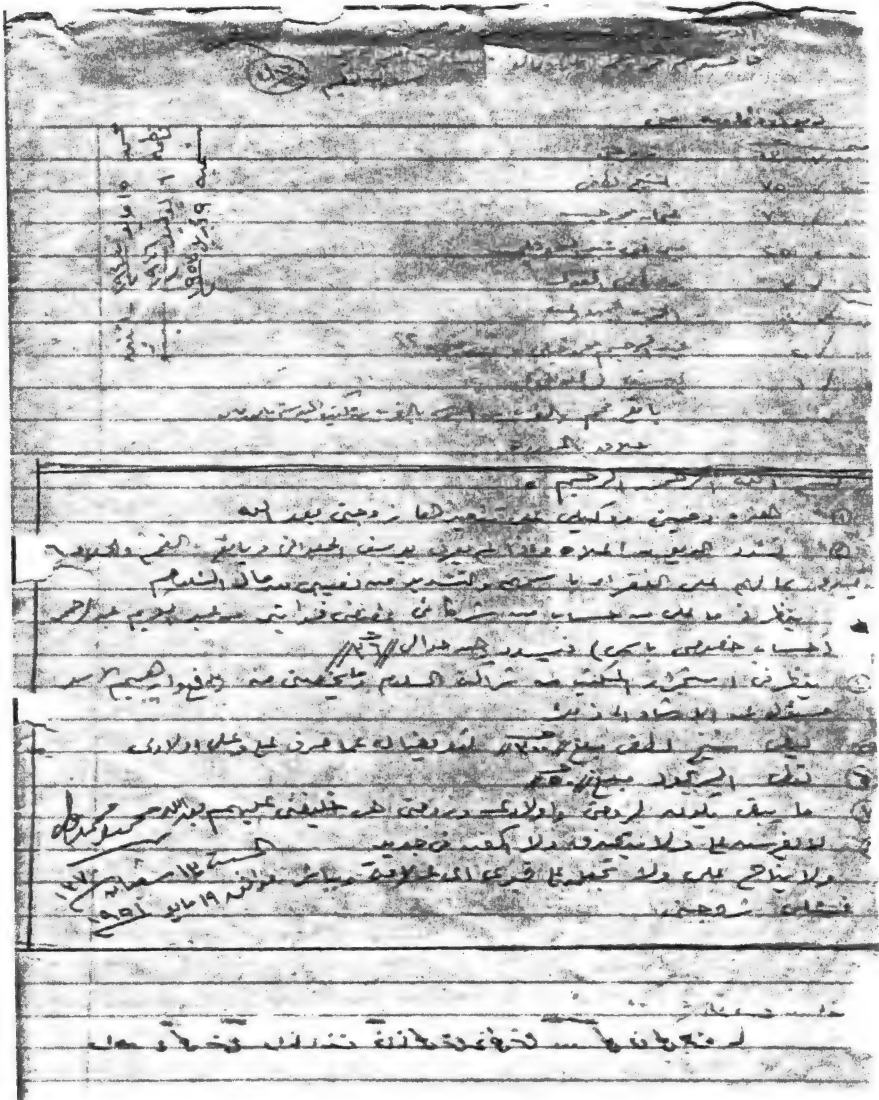
وبينما أنا فى حيرة من أمرى إذ قيض الله (مسألة فتاة رفاعة)، تلك المسألة التى سجنحت فيها عامين اثنين، ولقد شعرت، حين استقر بى المقام فى السجن، أنى قد جئت على قدر من ربى، فخلوت إليه.. حتى إذا ما انصرم العامان، وخرجت، شعرت بأنى أعلم بعض ما أريد.. ثم لم ألبث، وأنا فى طريقى إلى رفاعة، أن أحسست بأن على لأن أعتكف مدة أخرى، لاستيفاء ما قد بدأ.. وكذلك فعلت..

فهل حبسنى ابتغاء المعرفة؟؟

لا والله!! ولا كرامة.. وإنما حبسنى العمل لغاية هى أشرف من المعرفة.. غاية ما المعرفة إلا وسيلة إليها.. تلك الغاية هى نفسى التى فقدتها بين ركام الأوهام، والأباطيل.. فإن على لأن أبحث عنها على هدى القرآن - أريد أن أجدها.. وأريد أن أنشرها.. وأريد أن أكون فى سلام معها، قبل أن أدعو غيرى إلى الإسلام.. ذلك أمر لا معدى عنه.. فإن فاقد الشيء لا يعطيه.. فهل تريدون أن تعلموا أين أنا من ذلكم الآن؟؟ إذن فاعلموا: إنى أشرفت على تلك الغاية، ويوشك أن يستقيم لى أمرى على خير ما أحب..

ملحق رقم (23)

وصية الأستاذ محمود مكتوبة بخط يده، السبت 13 شعبان 1370هـ الموافق 19 مايو 1951
المصدر: حصلت على نص الوصية بخط يد الأستاذ محمود من ابنته أسماء محمود



ملحق رقم (24)

موقف الحزب الجمهورى من الائتلاف

محمود محمد طه، "موقف الحزب الجمهورى من الائتلاف"، جريدة الراى العام، العدد 2017، 1952/1/2.

منذ أيام وجهت دعوة كريمة من هيئة الائتلاف وبعث للحزب بمشروعها الذى أعدته لالتقاء الأحزاب والهيئات السودانية والذى نشرته جميع الصحف وأصبح معلوماً لدى الجميع .

وقبل الحزب الجمهورى الدعوة مبدئياً ليناقدش المشروع مع الهيئات والأحزاب التى قبلت الدعوة وأوفد مندوبين عنه لحضور الاجتماع الذى أعلن عن إنعقاده بدار نقابة موظفى حكومة السودان فى الساعة الخامسة من مساء يوم الإثنين 1951/12/24 ولقد انتظر مندوبو الحزب من الساعة المحددة إلى نصف ساعة أخرى فلم يحضر سوى أربعة وخرج المندوبون محتجون على عدم تقدير المواعيد والذى رأى أن يقدمه الحزب الجمهورى للمجتمعين هو هذا الذى نقدمه اليوم للرأى السودانى العام .

أنه لابد من التفاف الشعب حول فكرة واضحة مدروسة يعتنقها ويعتقدونها ويعمل فى كفاح مرير مستميتاً فى سبيلها ليحقق بها حكومته المرجوة التى تحقق له العدل السياسى والعدل الاجتماعى غداة جلاء الاستعمار لأن أى تكتل حول فكرة غير مدروسة يعتبر تكتلاً صناعياً نهايته الوشكة الفرقة من جديد .

إذا ما تكتلت جماعة من المواطنين لتقرير المصير وسط هذا الصراع الطائفى فلن تنجح إلا فكرة طائفة واحدة لن ترضى الأخرى بها ومن ثم انتشار الفوضى والفساد والظلم أو الحرب الأهلية وكل ذلك لن يقود إلا إلى إستعمار وطنى خيراً منه الاستعمار الأجنبى فبدل أن نحارب الاستعمار عارياً ونسلط عليه الأضواء من كل الجوانب لكشفه ونجند كل فرد لحربه نحكم حكماً وطنياً استعمارياً نحارب فيه باسم الحكومة الوطنية وعندئذ تنتهى كل فكرة نزاعة إلى الحرية الحققة ونكون بدا قد أطلنا أمد الجهاد.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر حكومات الشرق التي حولنا ونسوق المثال من مصر فحكوماتها الوطنية المتعاقبة التي سامت الشعب سوء العذاب لم يستطع الشعب الخلاص منها حتى هذه الساعة ولا يزال يناضل ويناضل.

إن تقرير المصير وسيلة في ذاته وليس غاية فلم لا يكون العمل منذ الآونة الأولى لتوعية الشعب للأخذ بالفكرة الصالحة الصحيحة التي تكفل السعادة للجميع . على أن المصير نفسه مقرر من الحكومة الجمهورية الديمقراطية التي تحكم الشعب لمصلحة الشعب بواسطة الشعب .

أما ضم الصفوف على غير الفكرة الموحدة لإجلاء الاستعمار فقول ينقصه الفهم الصحيح لأن الائتلاف لا يكون صحيحاً إلا إذا التف الناس حول فكرة واحدة وأحبوا شيئاً واحداً هو الحرية في ظل حكومة رشيدة تضمن المساواة في الفرص للجميع ولن تكون غير جمهورية ديمقراطية وعليه فإن الغاية أولى بالائتلاف لا الوسيلة.

نحن إذن ندعو الى ائتلاف جميع المثقفين والشعب من ورائهم قوة وسنداً لتحقيق الآتى :-

(1) إجلاء قوى الاستعمار الإنجليزية والمصرية.

(2) تكوين حكومة سودانية جمهورية تعمل على تحقيق الحرية الفردية المطلقة وتحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة.

هذا ما يدعو إليه الحزب الجمهورى فإن رأى المؤتلفون أنهم لا يريدون بتقرير المصير بديلاً - مع أن المصير مقرر إذا أخلصت الضمائر - فإن الحزب الجمهورى لا يحقد عليهم بل يدعو لهم بالتوفيق طالما يحاربون الاستعمار ولكنه لن يعمل لتقرير المصير لأنه مقرر وسيستمر يدعو إلى مبادئه بوسائله. ومن شاء فليكفر ولا إكراه والله المسؤول أن يهدى الجميع إلى صراط سوى .

ملحق رقم (25)

فشل المسعى لالتقاء الحزب الاشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى لاختلاف
المبادئ والوسائل

المصدر: محمود محمد طه، "فشل المسعى لالتقاء الحزب الاشتراكى الجمهورى
والحزب الجمهورى لاختلاف المبادئ والوسائل"، (بيان) السودان الجديد، العدد: 1564،
الأربعاء 19 مارس سنة 1952.

(النص)

الموقف الداخلى: أذاع نهار أمس الحزب الجمهورى البيان التالى:-

أبدى سكرتير الحزب الجمهورى الاشتراكى الرغبة فى الاجتماع بأعضاء الحزب
الجمهورى لمناقشة مبادئ الحزبين ووسائلهما ومحاولة التوفيق بينهما للعمل معاً للدعوة
الجمهورىة للسودان وبالرغم من أن الحزب الجمهورى يرى استحالة الالتقاء نظراً للفروق
الكبيرة بين الحزبين فقد رحب بالاجتماع وتم ذلك بمكتب الحزب الجمهورى بالخرطوم
يوم 3/3/1952 ونظراً للاعتراضات الكثيرة التى تقدم بها الجمهوريون على دستور الحزب
الجمهورى الاشتراكى ووسائله فى الكفاح تم الاتفاق على أن يبعث الحزب الجمهورى
باعتراضاته ووسائله كتابة إلى الحزب الجمهورى الاشتراكى وقد أرسل الحزب الجمهورى
كتاباً إلى الحزب الجمهورى الاشتراكى جاء فيه:-

(1) ترى هيئة الحزب الجمهورى أن الوسائل فى دستوركم غامضة وغير محددة .

(2) هل نيل الحكم الذاتى وتقرير المصير هما من وسائل الأحرار ؟

(3) ماهى الطرق الإيجابية والسلبية فى نظر الحزب الجمهورى الاشتراكى ؟

الاشتراكية لم توجد إلا لتنازع الطبقات فى المضمار الاقتصادى

(1) يطالب المحرومون من الخيرات بعدالة التوزيع فيليها عليهم المحظوظون فيكون النزاع ولكننا نرى القائمين على الحزب الجمهورى الاشتراكى هم المحظوظون فهل يمكن عقلاً أن يحقق هؤلاء الاشتراكية ؟

(2) إن بيان الحزب الذى أصدره فى التعريف بالاشتراكية يجيب على السؤال أعلاه ويجعل البيان مسخاً لمعانى الاشتراكية.

(3) الحزب الجمهورى لا يرى التعاون مع النظام القائم وقد ارتضى الحزب الجمهورى الاشتراكى هذا التعاون والتعاون مع النظام القائم لا يحقق الحرية من الاستعمار وهو لذلك لا يمكن أن يتحقق.

(4) ليست الاشتراكية التأميم وإنما الإشتراكية المساواة وما التأميم إلا محاولة لتحقيق المساواة عند قوم أضطروا لهذه الخطة لأن عليهم أن يتطوروا من وضع رأسمالى مستحكم الحلقات.

(5) الاشتراكية تنزع ملكية الأراضى وتجعلها ملكاً للأمة لا للحكومة، ولا توزع الأرض على الزراعيين على أساس ملكية فردية بل على أساس استئجار.

■ القول بأن الاشتراكية لانفقر الغنى ولكنها تسعى لأن تغنى الفقير قول مضل لأن الاشتراكية محاولة لتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً فهى تحد من الغنى الفاحش لتدرك الفقر المدقع.

■ يلاحظ تعريفكم للاشتراكية خلط بينها وبين الديمقراطية فالاشتراكية نظام اقتصادى والديمقراطية نوع من الحكم.

■ ذكرتكم أن من عاداتنا الاشتراكية (النفيير) وغير ذلك فهل من عاداتنا الاشتراكية تخصيص مياه النيل وأراضى الحكومة لمنفعة البعض وحرمان الآخرين.

لم يتعرض البيان فى تعريف الاشتراكية للتجارة والصناعات واقتصرت على الأرض فقط. وأخيراً ماهى الوسائل العملية لكفل الفرص للجميع.

الحزب الجمهورى

وقد تفضل حضرة سكرتير الحزب الاشتراكي فرد بالآتي :-

كتابكم بتاريخ 8 مارس قد قطع أماننا سبيل التفاهم وبالتالي الأمل فى التعاون إذ أورد فى الفقرة الخاصة "بالاشتراكية" أن الحزب الجمهورى يتعاون مع النظام القائم.

وبما أننا نرى أن النظام القائم يدعو إلى سلوك الطرق الدستورية لنيل أمانى البلاد وهذا يتفق مع خطتنا وأنتم يستحيل عليكم قبوله فإننا نقف منكم عند هذا الحد داعين الله أن يهدينا وإياكم إلى سواء السبيل.

الحزب الجمهورى الإشتراكي

ونحن إذ ننشر هذا البيان على رأى العام إنما نقصد إلى أن يفهم الشعب الفرق بين الحزب الجمهورى والحزب الجمهورى الاشتراكي فى المبادئ والوسائل لنيل الحرية (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين).

الحزب الجمهورى

ملحق رقم (26)

الجمهوريون يرسمون الطريق

بشير محمد سعيد، "الجمهوريون يرسمون الطريق"، السودان الجديد، العدد: 1630،

الأحد 1952/6/8

(النص)

أحاديث المجتمع، بشير محمد سعيد

أصدر الحزب الجمهورى الذى يتزعمه الأستاذ محمود محمد طه كتيباً يشتمل على أهداف الحزب وعلى مذكرة تفسيرية حول تلك الأهداف والكتيب فى مظهره متواضع من حيث طباعته وورقه، ولكنه من حيث معناه بلا شك فتح جديد فى دنيا سياستنا المحلية. وليس من أغراضى هنا أن أتناول ما اشتمل عليه الكتيب بالنقد والتعليق ولكنى أود فقط أن أتحدث عن أهمية مثل هذه البحوث فى مجتمعنا هذا.

إن فى السودان الآن نحواً من خمسة عشر حزباً كل منها ينادى بأعلى صوته أنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ هذا الشعب من براثن الإستعمار وهى تقوم فى معظم الأحوال لا على برامج سياسة واضحة المعالم ولكن على استغلال عواطف وعصبيات لا تمت إلى السياسة بصلة. ومن هنا كنت لا تجدد عند هذه الأحزاب برامج واضحة وكنت تجد أهدافها تتسق أحياناً حتى ليخيل إليك أنه ليس هناك ما يدعو إلى الانقسام فقط وهى تصطدم أحياناً حتى ليخيل إليك أنها تهدف لخدمة أقطار مختلفة متعددة لا لخدمة قطر واحد.

إن الحزب السياسى فيما نعلم هو مجموعة من الناس تجمع بينها مبادئ خاصة وأهداف واضحة لخدمة المجتمع وخيره. حتى إذا ما كان لهذا الحزب أن يرقى إلى مقاعد الحكم أخذ يطبق سياسته هذه التى تؤلف بين أعضائه وأهدافه التى رسمها وبلغ مرتبة الحكم عن طريقها.

مثل هذا بالطبع لا يمكن أن يقال عن أحزابنا السياسية إلا بحذر شديد ذلك لأن هذه

الأحزاب فى الغالب لا ينطبق عليها هذا التعريف الذى ذكرنا وليس من هذه الأحزاب الحزب الجمهورى. فهو قد أثبت بنشره هذا الكتيب كما أثبت بنشراته من قبل أنه يعمل لفكرة ويدعو إلى مجتمع خاص تتحقق فيه العدالة الاجتماعية لسائر أفراد الأمة.

إن الحزب الجمهورى بنشر (قل هذه سبيلى) إنما يرسم الطريق ويضرب الأمثال للأحزاب الأخرى التى تخلفت حتى الآن وعجزت عن نشر أهدافها ووسائلها وأغراضها على الناس. وإنى لانتهاز هذه الفرصة فأدعو جميع الأحزاب أن تحذو حذو الحزب الجمهورى فتخرج على الناس أهدافها ومراميها وتتعاون على تربية الشعب تربية سياسة لا بد منها إن أردنا للشعب أن يكون له صوت وكلمة فى حكومته.

ملحق رقم (27)

خطاب إلى اللواء محمد نجيب

المصدر: محمود محمد طه، "خطاب إلى اللواء محمد نجيب"، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، ط1، أمدردمان، أبريل 1973، ص 10-12.

الأخ الكريم اللواء محمد نجيب

تحية مباركة..

أما بعد فإن مسألة خلع الملك عن العرش، بالطريقة التي تمت بها، توفيق كبير.. ولكن ينبغي ألا تحمل أكثر مما تحمل من دلائل النجاح، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها مسألة لها ما بعدها.. وسيكون الحكم لها، أو عليها، على ضوء ما يحصل عليه العهد الجديد من نجاح، أو من إخفاق.. وإنه لحق أن العهد القديم قد بلغ من الفساد حداً يكاد يجعل أى عهد يأتى بعده، مهما كان حظه من الإصلاح ضئيلاً، عهداً مقبولاً.. ولكنه حق أيضاً أن الملك السابق، رغم فساد حكمه، قد كان عاملاً مستقراً ضد الفوضى.. وسيكون هذا الانقلاب شراً على مصر إن استجر بها إلى عدم الاستقرار.. والحزم يقضى ألا تستبعد هذا الاحتمال، بدافع من التفاؤل، وحسن الظن.. ذلك بأن هذا الانقلاب ثورة.. وفى كل ثورة قدر من التفريط، والإفراط، يتداعى بأمور الناس إلى الفوضى، فى يسر، وسرعة، وهم لا يشعرون.. ولا يدركون عن مصر سوء المنقلب إلا أمران: الحزم، والفهم.. أما الحزم فيقضى بأن تتولى كل أمور مصر بنفسك وأن تكون، فى غير موارد، ولا رياء، المسئول الأول والأخير، أمام الشعب المصرى، وأمام العالم أجمع، عن استقرار العهد الجديد فى البلاد.. وأن تستخدم، من الساسة من شئت، ومن الخبراء، والفنيين، المصريين والأجانب، من استطعت.. على أن يكونوا مستشارين، وأعواناً، ومنفذين، مسئولين أمامك أنت، وتحاسب أنت على سيئات أعمالهم، أكثر مما يحاسبون.. ولا تخافن اسم «الدكتاتور»، إن كنت تقدر على أن تكون «دكتاتورا» مصلحاً.. فإن عيب «الدكتاتورية» ليس فى ذاتها، وإنما هو فى أعمالها.. فإن أحسنت، فهى خير وسائل حكم عهود الانقلاب.. وهى خير وسائل الحكومات لدى الشعوب المتأخرة، على كل حال..

وأما الفهم فيقتضى بأن تكون لك رسالة تبلغها الشعب، وتأخذه بها، وتجعل كل مرافق الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، وسيلة إلى بلوغها.. واعلم أن الشعب لا ينصلح بمجرد توفير الرخاء المادى، ذلك بأن الإنسان لا يعيش بالرغيف وحده، كما يظن الشيوعيون.. وإنما يعيش بالرغيف وشيء وراءه، أهم منه، هو القيم الروحية التى تطهر القلب، وتصفى الذهن، وتسمو بالأخلاق.. وأنت رجل مسلم، من شعب مسلم، قد ضل الطريق إلى المناهل التى ارتوى منها أوائله، فعب من الكدر الآسن ما قعد به عن رحاب الحياة السعيدة.. فهل فكرت فى رد القطيع الضال إلى المهيع الأفيح من شريعة القرآن، وأخلاق القرآن؟؟ هل فكرت أن تقوم بانقلاب فى مناهج التعليم، ومرافق الصحة، ووسائل التغذية، وأساليب السكن، على هدى الدستور الأزلى، القرآن؟؟.. والفساد فى مصر ليس سببه الملك، وليس سببه الساسة، والأعوان، الذين تعاونوا مع الملك.. بل إن الملك، وأعوانه، هم، أنفسهم، ضحايا لا يملكون أن يمتنعوا عن الفساد، أو أن يدفعوه عنهم.. فإن أردت أن تلمس أسباب الفساد، فالتمسها فى هذه الحياة المصرية، فى جميع طبقاتها، وجميع أقاليمها، تلك الحياة التى أقامت أخلاقها، إما على قشور الإسلام، أو على قشور المدنية الغربية، أو على مزاج منهما.. وأنت لن تصلح مصر، أو تدفع عنها الفساد، إلا إذا رددتها إلى أصول الأخلاق، حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً..

من أنت؟؟ هل أنت صاحب رسالة فى الإصلاح فتسير بشعب مصر إلى منازل التشریف؟؟ أم هل أنت رجل حائق، جاء به ظرف عابر، ليقلب نظاما فاسدا، ثم يضرب ذات اليمين، وذات الشمال، حتى ينتهى به المطاف، إما إلى الخير، وإما إلى الشر؟؟

ذلك هو السؤال الذى يترقب التاريخ جوابه.. فانظر حيث تجعل نفسك.. فإنك رجل مجازى بالإحسان، مأخوذ بالاجترام..

وشىء آخر، نحب أن نشير إليه، هو علاقة مصر بالسودان، فإنها قامت، ولا تزال تقوم، على فهم سىء.. فإن أنت استقبلتها بعقل القوى فتستطيع أن تبرئها مما تتسم به الآن من المطمع المستخفى، والعطف المستعلن، فإن السودانيين قوم يؤذيهم أن يطمع طامع فيما يحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون..

ملحق رقم: (28)

صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهورى، الحرية لنا ولسوانا، رئيس التحرير

محمود محمد طه

العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5 فبراير 1954

(ثمن العدد قرشان)



ملحق رقم: (29)

صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهوري، الحرية لنا ولسوانا، رئيس التحرير

محمود محمد طه

صفحة 3، العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5

فبراير 1954 (ثمن العدد قرشان)



ملحق رقم: (30)

صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهوري، الحرية لنا ولسوانا، رئيس التحرير

محمود محمد طه

صفحة 4، العدد الرابع، السنة الأولى، يوم الجمعة أول جماد آخر عام 1373 الموافق 5

فبرایر 1954 (ثمن العدد قرشان)

[illegible]

ملحق رقم: (31)

صحيفة الجمهورية، لسان الحزب الجمهوري، الحرية لنا ولسوانا، رئيس التحرير محمود محمد طه

العدد رقم (16)، السنة الأولى، يوم السبت 11 شوال عام 1373 الموافق 12 يونيو 1954 (ثمان العدد 10 مليمات)

الجمهورية

لسان الحزب الجمهوري - الحرية لنا ولسوانا

المؤتمر الصحفي

الذي حاول تصوير الصحافة

بعد ذلك في اليوم التالي... (المقال ١٢٧٣)

المحاضرات

السلام الذي سئل

في اليوم التالي... (المقال ١٢٧٣)

التي كانت في الجمهورية

التي كانت في الجمهورية

في اليوم التالي... (المقال ١٢٧٣)

معرض مصالحة المساحة

المصاحبة التي يميز عملها الطريق امام

كل تقدم ولايعبر القصب هي شجرة... (المقال ١٢٧٣)

التي كانت في الجمهورية

التي كانت في الجمهورية

في اليوم التالي... (المقال ١٢٧٣)

التي كانت في الجمهورية

التي كانت في الجمهورية

في اليوم التالي... (المقال ١٢٧٣)

ملحق رقم (32)

من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر- 1955

المصدر: "من محمود محمد طه الى جمال عبد الناصر"، صحيفة الاستقلال، العدد:

81، بتاريخ 1955/9/3

ملاحظة: هذا الخطاب لم ترد الإشارة إليه من قبل فى أى مصدر أو مرجع، سوى الصحيفة التى نُشر فيها، فهو غير خطاب الأستاذ محمود الذى أرسله عام 1952 إلى اللواء محمد نجيب، قائد ثورة 23 يوليو 1952، وكذلك غير خطاب الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، الذى أرسله عام 1958⁽¹⁾.

(النص)

من محمود محمد طه إلى جمال عبد الناصر

سيادة الأخ الكريم جمال عبد الناصر

تحية طيبة مباركة

أما بعد فلم يسبق لى شرف الكتابة إليك وإنما سبق لى أن كتبت إلى الأخ الكريم محمد نجيب فى مستهل حركتكم هذه وكان الناس يومئذ فى نشوة وفرحة، وكانت الرسائل تردكم بكثرة من كل صوب، وكانت فى غالبيتها برقيات، وكانت تزف التهاني والبشرى وكان أصحابها يتلقون الردود ولكن رسالة الحزب الجمهورى كانت من نوع آخر.

- كانت رسالة مطولة بالبريد وكانت متجهة حذرة تتوجس فى نفسها خيفة وكانت ترجو النصيح وتقلل من قيمة طرد الملك فى حد ذاته وتقول إن العبرة بتغيير حياة المصريين وبالسير بهم من مطارح الهوان إلى منازل الشرف ولم يتلق الجمهوريون رداً على رسالتهم

(1) الخطابان، الأول الموجه للرئيس محمد نجيب والخطاب الثانى الموجه للرئيس عبد الناصر متوفران بموقع الفكرة الجمهورية على الإنترنت: www.alfikra.org

هذه كما تلقى الأفراد والهيئات فى سوداننا العزيز، عزا بعض إخواننا عدم ردمكم إلى ان رسالتنا قد أثقلت عليكم بالنصح وأنتم فى نشوة الظفر ولكننا لم نعر عدم ردمكم كبير الاهتمام وإنما انصرفنا نرغب قلب حركتكم فلم يدهشنا شىء مما اتفق لها.

والآن نعود لنكتب إليك أنت -وكسابق عهدنا- ناصحين ولسنا ندرى هل يثقل عليك نصحننا ولكننا ندرى أن واجبنا يحتم علينا أن ننصح فى هذا الظرف الدقيق وخاصة لأن إعفاء الأخ صلاح سالم من معالجة شؤون السودان يتيح فرصة حسنة لانتهاج أسلوب جديد لمباشرة العلاقات المصرية السودانية بأذهان متفتحة.

لسنا نحتاج أن نقول أن السودانيين على اختلاف ألوأنهم يعرفون لمصر عامة ولحركتكم الأخيرة خاصة اليد الطولى فى المعاونة على تحقيق حرية السودان كما لا نحتاج أن نقول أن السودانيين بطبعهم يحفظون الجميل ويأخذون أنفسهم بالوفاء ولكن سياسة الأخ صلاح فى الأيام القليلة الماضية حين أخذ رأى العام السودانى يتجه نحو الاستقلال ويجمع عليه كانت من السوء ومن قصر النظر بحيث شككت السودانيين فى حقيقة دوافع مصر إلى الخدمة التى أسدتها للسودان... هل كانت دوافع بريئة أم هل كانت مغرضة؟ هل كانت لوجه السودان أم كانت لمطامع مصر فى استعمار السودان؟ وكلما عارض صلاح بأساليبه الساذجة الحركة الاستقلالية التى توافت عندها الصفوف كلما قام فى أخلاذ الشعب، أن مصر تخفى مطمعا أزرق النياب خلف الكلمات الخلابه.. كلمات الأخوة واللغة والدين وإلا فلماذا سيئت باتجاه السودان الى الحرية والاستقلال؟ ولحسن الحظ لانزال هناك بقية من رجاء فى مصر وهو رجاء قائم بك انت الآن ذلك بأن الناس هنا يعتقدون أن صلاحاً كان يحجب عليك حقيقة الأمر فى السودان وأنت لو كنت تباشر شؤون السودان بنفسك لكان لك من ذكائك وبعد نظرك ما يجعلك توائم بين السياسة المصرية ومطامع الحركة السودانية الوطنية بحيث لا تظهر مصر فى مظهر المعادى لأعز آسأل شعب هو أقرب الشعوب إليها والآن وفى هذا الظرف الذى تنحى فيه الأخ صلاح وباشرت أنت بنفسك توجيه العلاقات المصرية السودانية. يتطلع السودانيون إلى تغيير أساس فى سير الأمور بل أنهم فى الحقيقة ليتطلعون إلى برهان دافع على أن مصر لم يكن يحدوها فى أسداء مما أسدت مطعم ولا مغنم ولا يكون هذا البرهان بأقل من أن تعلن حكومة مصر من جانبها

على الفور باستقلال السودان استقلالاً تاماً شاملاً ومن الحق أن نقول أن مصر بإعلانها استقلال السودان لا تزيد على أن تعترف بالأمر الواقع لا تزيد قيمة عملها هذا على أن توفر على السودانيين المال والوقت والجهد الذى يصرفونه فى إجراء استفتاء نتيجته معلومة سلفاً، وليس المال والوقت والجهد بالأمر اليسير.

إن العداء بين مصر والسودان أمر غير طبيعى ولا مستساغ ويكاد يجزم بأنه غير ممكن ولأن يكون كل منهما مستقلاً حراً قوياً أجدى على علاقاتهما فى المضمار العالمى من أن يتحدا اتحاد الضعاف فإن اتحاد الضعاف ضعف على ضعف.

نرجو مخلصين أن تكون عند حسن الظن بك

محمود محمد طه

رئيس الحزب الجمهورى

ملحق رقم: (33)

الحزب الجمهورى يرسل خطاباً لجمال عبدالناصر

الشرق الأوسط عظم النزاع.. الشيوعية الدولية والاستعمار الغربى.. دور الثورة المصرية فى تعجيل بلشفة العالم

المصدر: محمود محمد طه، "الحزب الجمهورى يرسل خطاباً لجمال عبدالناصر"، صحيفة أبناء السودان، 1958/8/18

سيادة الأخ جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر

تحية مباركة

وبعد فإن ثورتكم بالملك السابق قد شبت فى 23 يوليو من عام 1952 وقبل مضى شهر على شوبوها وعلى وجه الدقة فى 18 أغسطس من نفس العام شيع الحزب الجمهورى كتاباً موجهاً إليكم جميعاً فى شخص الأخ الكريم محمد نجيب وهو كتاب لم نتلق عليه رداً فى حين أن ردودكم كانت تتوالى على مرسلى برقيات التهنة ولعل مرد ذلك إلى أن ثورتكم قد كانت من التوفيق والنجاح بحيث لم تدع لكم مجالاً لسماع ما يقال من غير كلمات التهنة وكلمات الإطراء ولم نكن نحن من هؤلاء المهشين المطرين وإنما كنا ناصحين مشفقين ناظرين إلى غد الثورة لا إلى يومها ولقد جاء فى كتابنا ذلك قولنا "والفساد فى مصر ليس سببه الملك وليس سببه الساسة والأعوان الذين تعاونوا مع الملك بل إن الملك وأعوانه هم أنفسهم ضحايا لا يملكون أن يمتنعوا على الفساد وأن يدفعوه عنهم .. فإن أردت أن تلتمس أسباب الفساد فالتمسها فى هذه الحياة المصرية فى جميع طبقاتها وجميع أقاليمها تلك الحياة التى أقامت أخلاقها إما على قشور الإسلام أو على قشور المدنية الغربية أو على مزاج منهما وأنت لن تصلح مصر أو تدفع عنها الفساد إلا إذا رددتها إلى أصول الأخلاق حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً.

(من أنت؟؟ هل أنت صاحب رسالة فى الإصلاح فتسير بشعب مصر إلى منازل التشريف أم هل أنت رجل حائق جاء به ظرف عابر ليقلب نظاماً فاسداً ثم يضرب ذات

اليمين وذات الشمال حتى ينتهى به المطاف إما لخير وإما لشر.

ذلك هو السؤال الذى يترقب التاريخ جوابه فانظر حيث تجعل نفسك فإنك رجل مجازى بالإحسان مأخوذ بالاجترام.

هذا ما قلناه يومئذ وما نرى إلا أن ما توقعناه وخشيناه قد حدث فقد لبثنا نراقب الثورة فى كل ما تأتى وما تدع فنراها تنحرف شيئاً فشيئاً عن النهج القويم فبدل أن توظف العقول المصرية والضمائر المصرية بالتربية الرشيدة والفلسفة الإنسانية البانية والحرية الفردية التى تخلق الرجال والنساء أخذت تكبت المصريين كبتاً ألغى عقولهم وأفسد ضمائرهم وساقهم سوق السوام بلا إرادة ولا اختيار ثم ضربت عليهم من الرقابة ما أخرس ألسنتهم وأقامت عليهم من الجاسوسية ما أفسدت ذات بينهم وألبسهم لباس الخوف.

انحراف الثورة

ثم إن الثورة لما انحرفت عن رسالة البناء والحرية انحدرت فى سراديب مظلمة لا يحفزها فى شعابها إلا البغض والضغينة والحقد وقديماً قيل أن الشيطان يعطى عملاً للأيدى العاطلة وهو أيضاً يعطى فكراً للرؤوس الفارغة وكذلك نفث الشيطان فى روع الثورة فأغراها بعداوات كانت فى غنى عنها ولو أنها قد اعتدلت فى تلك العداوات وحملت منها ما تطيقه وأبقت منها بقية لغدها لما كان عليها فى ذلك من بأس فإنه ليس سبيل إلى الحرية بغير مناجزة القوى التى تعوقها ولكنها حملت من العداوات ما ليس لها به يدان فاضطرت أن تستعين على عدو بعدو هو أشد لعداؤها وأقوى مراساً وأسوأ من ذلك أن هذا العدو يظهر فى ثياب الصديق الشفيق.

تأميم قناة السويس

فقد كنا أول من عارض تأميم الثورة لقناة السويس وذلك غداة تأميمها ولم يكن اعتراضنا منصباً على التأميم فى حد ذاته بقدر ما كان منصباً على الطريقة التى جرى بها التأميم . ذلك بأننا كنا موقنين بأن الثورة قد تطرفت فى التحدى حتى تجاوزت القصد وأنها لن تأمن عواقب هذا التطرف مما قد يضطرها إلى التماس الحماية عند الشيوعية الدولية

فتقع بذلك فى الفخ الذى نصبوه لها عندما سلحوها فوق حاجتها مما أغراها بالتحدى وأضرها بالمناجزة ومناها بالغلبة وأعجلها عن اصطناع الأناة وبعد النظر ولقد يعلم أقل الناس ذكاء أن قناة السويس ذات أهمية بالغة للدول الغربية وأن لها فيها حقاً أيسر ما يقال عنه أنه حق مكتسب يصعب عليها جداً أن تقابل ضياعه من بين يديها بعدم اكتراث أو حتى بصبر وتحمل يضاف إلى هذا أن التأمين قد جرى بطريقة فيها من التحدى والتحقيق ما نال من هيبة هذه الدول أبلغ النيل مما حملها على ارتكاب ما ارتكبت من حماقة فى حق مصر ولم يكن المكسب وراء كل هذه الفصول للغرب ولا لمصر إنما كان للشيوعية الدولية وحدها ولقد يظن بعض قصار النظر أن مصر قد خرجت من هذه المعركة ظافرة بتمصير القناة ولو نظر هؤلاء إلى أبعد من أنوفهم لعلموا أن مصر قد وضعت بفعلتها تلك قناتها ونفسها والدول العربية بل والإنسانية جمعاء فى خطر عظيم من جراء سيطرة الشيوعية الدولية ويقول قصار النظر هؤلاء أن روسيا لا تتوجه بعداوتها إلا صوب الدول الغربية وأنها لا مطعم لها فينا نحن الدول الصغيرة ولا هى ترمى من وراء مساعدتنا إلا إلى هزيمة الدول الإستعمارية وتحرير الشعوب المستعمرة واستقرار السلام العالمى لخير الإنسانية أولاً وأخيراً وهم يستدلون على زعمهم هذا المأفون بأن روسيا لا تطلب منا أن نكون شيوعيين بل إن الشيوعيين المصريين ليطاردون دون هوادة وإنهم ليساقون إلى السجون من غير أن تحرك روسيا ساكناً لمساعدتهم أو للشفاعة لهم عند الحكومة المصرية .. ولست أدرى كيف يحق لمن يتورط فى مثل هذه الأفكار الضحلة أن يتولى أمور الناس أو حتى أن يدلى فيها برأى مكتوب أو رأى مذاق!!

حقاً إنا لنعيش اليوم فى عهد مفتون قد طففت فيه موازين القيم فارتفع خفاف الأحلام فى كل مكان يوجهون مصائر الشعوب وأصبح بذلك الطريق معداً أمام الشيوعية الدولية لتكيد كيدها وتنثف سموها.

وقد كنا نريد للثورة أن تسلك بالتأمين سبيلاً يستخلص لمصر حقوقها فى أرضها من غير أن يعطى الفرصة للشيوعية الدولية أن تظهر بمظهر المدافع عن المستضعفين المغلوبين مما خدع العرب عنها ومكن لها فى ديارهم تمكيناً . ولقد كان هذا السبيل ممكناً وميسوراً . وهو سبيل معروف لدى الثورة وليس غريباً عليها وقد سلكته مرة ودافعت عن سلوكه وقتلت

من عارضوها فى ذلك كل مقتل.. ولكن قد كان ذلك قبل أن يكيد الشيوعيون كيدهم ويغدقوا على الثورة من السلاح والعتاد والعطف ما أنساها نفسها وغرها عن حقيقتها وأعجلها عن اصطناع الأناة وأغراها بمواقف المسرحيات والبطولات شأن كل الدكتاتوريات. ولقد جاز تضليل الشيوعية الدولية على كثير من قادة الشرق وما مؤتمر باندونق الذى عقد بأندونيسيا وضم زعماء الدول الآسيوية والإفريقية وتبنى شعارات الشيوعية الدولية إلا مثل واضح لهذا التضليل . ثم تلاه تضليل آخر أمعن فى الغباء والغفلة من سابقه .. وذلك فى مؤتمر الشعوب الآسيوية والإفريقية الذى عقد بالقاهرة فى أواخر العام المنصرم واشتركت فيه روسيا الشيوعية وتبنى شعارات الشيوعية الدولية مثل "محاربة الأحلاف العسكرية" وما إليها ثم لم يتورع من التحدث عن الحياذ بين الكتلتين الشرقية والغربية أى بين روسيا وأمريكا .. ولكن هذا التضليل قد جاز على الثورة المصرية أضعاف ما جاز على غيرها حتى لقد أصبحت الشيوعية الدولية مختفية وراء مطامع الثورة ومطامعها اختفاء تاماً تستخدمها فى تضليل العرب وفى إضعاف الغرب وذلك يخدم أغراض الشيوعية الدولية من وجهين:

١- إضعاف الغرب

إن الشيوعية مذهب ذات مطمح عالمى ولا يحول بينها وبين بسط سلطانها على العالم غير مناهضة الدول الغربية لها وهى تسعى جاهدة لبسط سلطانها على هذا الكوكب الذى نعيش فيه بكل الأساليب ومع أن أسلوبها التقليدى والأساسى هو الثورة والعنف والحرب إلا أنها لا ترى فى الوقت الحاضر أن الحرب مأمونة العواقب مضمونة النتائج وذلك لتوازن القوى القائم بينها وبين الدول الغربية وهى لذلك تقسم برنامجها لغزو العالم وإخضاعه إلى مرحلتين ... فأما المرحلة الأولى ففرضها لإخلال توازن القوى وترجيح كفتها هى على كفة الدول الغربية وأما المرحلة الثانية ففرضها لإنهاء العمل بتنفيذ المؤامرة الكبرى المدبرة لاغتيال حرية البشرية وهى تبدأ حين يصبح ، بفضل نجاح المرحلة الأولى ، واضحاً جلياً أن المغامرة المسلحة ضد الدول الغربية ستنتهى بهزيمة الغرب من غير أن تخرج الشيوعية الدولية منها محطمة تخطيطاً يعجزها عن الإنشاء بنتائج النصر..

وما المرحلة الأولى لإخلال التوازن إلا (الحرب الباردة) وسلاحها الدجل والخداع

وتضليل الشعوب واستغلال عواطفها نحو السلام وخوفها من الحروب وإلا الإرجاف وتشويه الحقائق ورشوة الكتاب والعلماء أو إرهابهم وشراء الصحف والسيطرة على المطابع وتبني التكتلات الإقليمية وإطارة الشعارات البراقة المحبوبة المسبوكة التي تخدم السطحيين المتحذلقين أنصاف المثقفين فيظنون أنهم حين يرددون هذه العبارات في الكتابة وفي النقاش إنما يدخلون في زمرة المثقفين المفكرين الأحرار هكذا يستعصون عن التفكير السليم الحر الذي يعوزهم بالعبارات الجوفاء التي يأخذونها تلقينا ممن يظنونهم سادتهم وأساتذتهم ويظنون يرددونها في الصحف والأحاديث حتى تشيع بين طبقات الشعب وتعمل عملها في التضليل المنظم.

الأحلاف العسكرية

ومن هذه الشعارات الخادعة الجوفاء (محاربة الأحلاف العسكرية) ونحن نذكرها هنا على سبيل المثال لأنها وثيقة الصلة بما نحن بصده من انحراف الثورة المصرية.. فما هي الأحلاف العسكرية وما سبب اهتمام الشيوعية الدولية بمحاربتها؟؟

الأحلاف العسكرية أحلاف دفاعية أقامتها الدول الغربية في نطاق مضروب حول الشيوعية الدولية من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادى مثل حلف شمال الأطلسي وحلف بغداد وحلف جنوب شرقى آسيا . والغرض منها تطويق الشيوعية الدولية ومنعها من الزحف والتوسع وتذكيرها على الدوام بأنها ان أقدمت على صراع مسلح فإنها لا تضمن عواقبه واضطرارها إلى قصر نشاطها العدوانى ضد الإنسانية جميعها على الحرب الباردة.. وتشترك فى هذه الأحلاف مع الدول الغربية دول تقوم على خط النار وتهدها الشيوعية الدولية تهديداً مباشراً كالباكستان وإيران وتركيا والعراق مثلاً وغرضها من ذلك حماية نفسها من الشيوعية والحيلولة دون المؤامرة الكبرى التى تدبرها لاغتيال حرية الإنسانية جميعها.. وواضح من ثم اهتمام الشيوعية الدولية بتجنيد كل مكربها لمحاربة الأحلاف العسكرية لأنها تضايقها وتعوق زحفها ولأنها تقف بينها وبين بسط نفوذها على العالم ولأنها تهدها باستمرار ولأنها تمنعها من إخلال توازن القوى الذى تركز له اهتماماً بالغاً فى المرحلة الأولى من مراحل غزو العالم كما أسلفنا القول.. ولقد نجحت

الشيوعية الدولية فى استخدام مؤتمر باندونق ومؤتمر الشعوب الآسيوية الإفريقية فى التشهير بالأحلاف العسكرية وتشويهها وتبغيضها إلى الشعوب وفى دمج العاملين إليها من الساسة بالخيانة والمروق مما أخاف منها وأضعف الاتجاه إليها..

ولكن الشيوعية نالت نجاحاً أكبر باستخدام الثورة المصرية فى تحطيم حلف بغداد تحطيمًا يكاد يكون تاماً، وحلف بغداد أهم حلقة فى سلسلة الأحلاف التى تطوق الشيوعية وتوقف زحفها وتحتطيمه يتم توهين السلسلة كلها وتفتح ثغرة فى الدرع الواقى للشرق الأوسط من تسلل الشيوعية وإفسادها ولا تحتاج أهمية الشرق الأوسط الى توكيد..

ثم قل لنا بربك أليس من الغفلة وأفن الرأى أن نهاجم نحن فى مصر أو فى السودان بلداً كالباكستان مثلاً لدخولها فى حلف بغداد وهى تعيش بين عداوتين : الشيوعية من الشمال والهند من الجنوب ؟ أليس معنى خروجها من حلف بغداد خضوعها للضغط الشيوعى والضغط الهندى ؟؟ وما يقال عن الباكستان يقال عن رصيفاتها ايران والعراق وتركيا على تفاوت فى ذلك طفيف . ومن من الناس ينسى اعتداء روسيا عقب الحرب الأخيرة على المقاطعة الشمالية من إيران ثم لم تخرج منها إلا بعد تهديد الدول الغربية باستخدام القوة ضدها؟

إن هذه الدول وساستها الذين يصمدون أمام زحف الشيوعية الدولية ويضطرون فى سبيل ذلك إلى التعاون مع الغرب اضطراراً لا اختياراً على قاعدة تفضيل أخف الضررين والذين تصفهم أنت ورجالك وإذاعتك وصحافتك بالخيانة والمروق والتبعية للغرب وتحرض عليهم شعوبهم التى أخذت بنصيبك الوافر فى تضليلها . إن هؤلاء الساسة يا سيدى يعرفون عن حقائق الصراع العالمى أكثر مما تعرف ويملكون من الشجاعة ما لا تملك ولقد استشهد منهم من استشهد وستلقى الله وفى يدك من دمائهم أغلال وسينصفهم التاريخ ويخلد استقالتهم واستشهادهم فى سبيل الحق وفى مقاومة الفساد والدجل .. ولئن ذكر التاريخ ضغطهم على شعوبهم وكتبهم لها فسيذكر أنك كنت السبب بإثارتك لتلك الشعوب وتضليلك إياها وتحريضها على الثورة بحكامها والانتفاض عليهم.

وأنا زعيم بأن التاريخ لن ينسى موقفاً لفاضل الجمالى بمؤتمر باندونق حاول أن يذكر فيه

المؤتمرين حين ورد ذكر الاستعمار فى الأجندة بأن هناك استعمارين : استعماراً غربياً واستعماراً شيوعياً فانبرى له نهرو واتهمه بأنه لم يجئ للمؤتمر إلا لىخدم أغراض أسياده الإنجليز تلك الأغراض التى يرى نهرو كما ترى أنت أن حكومة نورى السعيد كانت توظف نفسها لخدمتها وكذلك ضاعت صيحة الحق فى خضم الباطل.

كما قلنا فقد استخدمت الشيوعية الدولية ولا تزال تستخدم الثورة المصرية لتبلغ بالمرحلة الأولى - مرحلة الحرب الباردة - غايتها وهى إخلال توازن القوى وقد أحرزت منذ تأميم قناة السويس والى اليوم نجاحاً كبيراً فى هذا المضمار وإذا اطردت الأمور على هذا النحو الذى نرى اليوم فان كفة الشيوعية الدولية سترجح بكفة الديمقراطية الغربية وسيجئ عند ذلك دور المرحلة الثانية من مراحل الغزو العالمى الذى تبيته الشيوعية الدولية وهذه المرحلة الثانية كما أسلفنا القول هى مرحلة "الحرب الساخنة" وستثير الشيوعية بها حرباً طاحنة تهزم فيها الدول الغربية وتصبح سيدة العالم - لا قصى الله ولا قدر - ويومها ستفقد مصر قناتها ونفسها كما قلنا آنفاً وستكون بعملها غير المسئول فى الوقت الحاضر شؤماً لا على العرب وحدهم وإنما على الإنسانية جمعاء ثم إن قادة الشيوعية يومئذ لن ينظروا فى وجه جمال عبد الناصر نفسه مرتين.

هذا ما كان من استخدام الشيوعية الدولية للثورة المصرية فى إضعاف الدول الغربية أما استخدامها إياها فى تضليل العرب فذلك أنكى وأمر وسنرى

2- تضليل العرب

أول ما تجب الإشارة إليه أن العرب لم يكونوا شيئاً مذكوراً قبل الإسلام وأنهم لم يدخلوا التاريخ إلا بعد أن أكرمهم الله عز وجل بالإسلام وعلمهم أن "العنصرية" هوس باطل وقال لهم ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) وأمر نبيهم أن يوضح لهم ذلك فقال ((ليس لعربى فضل على أعجمى إلا بالتقوى)) .. لقد كان كل هذا فى القرن السابع الميلادى ونحن اليوم فى القرن العشرين تقوم بيننا دعوة منكرة تشد تعاليمنا الإنسانية السامية وتضع فى رؤوسنا وقلوبنا نعمة جاهلية رجعية متخلفة تحرر من سيطرتها من هم دوننا منذ القرن

التاسع عشر ولم يعد لها مكان فى عالم اليوم إلا عند قصار الأحلام غلف القلوب .. ومن عجب أن بعض المفكرين يظنون أن دعوة القومية العربية ليست عنصرية وإنما هى رابطة لغة وحضارة وثقافة .. فهل علم هؤلاء أن الإسلام هو الذى أعطى العرب بعد أن كانوا قبائل ويطونا وحدة المصير ووحدة اللغة وأنه هو الذى أعطاهم الحضارة والثقافة؟ هل علم هؤلاء أن القومية العربية نتيجة من نتائج صقل الفلسفة الإسلامية للعنصرية العربية وأن هذه الفلسفة الإسلامية لا تزال قادرة على صقل العنصريات المختلفة فى النوع البشرى كما تصقل النار الحديد فتزيل صدأه وخبثه وتظهر أصالته وفضائله ومميزاته؟ هل علم هؤلاء أن الانصراف عن الفلسفة الإسلامية والدعوة إلى القومية العربية انصراف عن الجوهر إلى العرض وعن الأصل إلى الفرع واستبدال للذى هو أدنى بالذى هو خير!

وشئ آخر هام هو أن هذا الكوكب الذى نعيش فيه قد أخذ يتأهب ليصبح موطناً موحداً لبشرية واحدة على اختلاف عنصرياتها وألوان بشراتها وتباين لغاتها وأن هذا العصر عصر فلسفات اجتماعيات ومذاهب علمية فى السياسة والاقتصاد وليس عصر عنصريات أو قوميات أو إقليميات ولن تنتصر فى الغد إلا الفلسفات والمذاهبات ، لا العنصريات ولا القوميات ولا الإقليميات ولقد فطنت الشيوعية الدولية إلى ذلك الرأى وذهل عنه المسلمون وهم أهله فإذا لجح بالمسلمين هذه الدهول - لا قضى الله ولا قدر - فإن الجح سيخلو للشيوعية لتعيش فى الأرض الفساد ولترجع بالإنسانية إلى العهود المظلمة التى خلفتها وراءها منذ مئات القرون .. وهذه الثورة المصرية هداها الله وألزمها الصواب تعمل جاهدة لتسيير العرب فى الركب المهيب الخاسر - ركب القومية العربية - وهى تتأمر عن غير وعى منها مع الشيوعية الدولية فى انقلابات عسكريات تحقق مطامحها هى المؤقتة فى السيطرة على العرب وتحقق مطامع الشيوعية العتيدة فى اغتيال حريات البشرية بما فى ذلك المصريين أنفسهم.

الحياد الإيجابى:

هذا مثل واحد من أمثال التضليل (المفلس الذى) تقوم به الثورة المصرية لمصلحة الشيوعية الدولية .. وهناك مثل آخر وهو دعوة الحياد الإيجابى الذى تتمدح به الثورة المصرية

فى كل مناسبة داخلية أو خارجية مع أنها ليست محايدة وليست إيجابية .. هى ليست محايدة لأنها تسير فى ركب الشيوعية وتعتمد عليها فى الدفاع عن نفسها أمام العداوات الكثيرة التى صنعتها بيديها . وهى ليست إيجابية لأنها تضرب ذات اليمين وذات الشمال بغير فلسفة ولا مذهبية وقد رأينا ذلك فى جميع تصرفاتها . وليس هناك تلبس على العقول وتضليل للأفكار أبلغ من تزيف الحقائق وتسمية الأشياء بغير أسمائها.

وليس بصالح عندنا فى الدفاع عن سياسة الثورة المصرية اجترار العبارات التقليدية كمحاربة الاستعمار مثلاً، ذلك بأن الثورة لا تعرف الاستعمار إلا على أنه غربى مع إن أقل الناس ذكاء يدرك أن الغرب مستعمر وأن الشيوعية مستعمرة مع فارق فى ذلك كبير ، فالاستعمار الغربى أسلوب عتيق مكشوف قد خلفه الزمن وتفظنت لأغبيه الشعوب وهزمه سير التطور وأما الاستعمار الشيوعى فأسلوب محدث معمى لا تدركه إلا عقول المثقفين لأنه يقوم على مذهبية منظمة يجهلها جل الناس جهلاً تاماً وقد طوع الجهل به للشعوب أن تأوى إلى كنفه وتحتمى به من الاستعمار الغربى وهى لا تدري أنها إنما تستجير من الرمضاء بالنار.

أما بعد فهذا قليل من كثير يمكن أن نسوقه إليك أيها الأخ الفاضل وهو قول لم نرد به إلى إحراجك ولا إلى إعناتك وإنما أردنا به إلى خيرك وخيرنا وخير الإنسانية جميعها ثم أننا مازلنا نرى رأينا الأول فى كتابنا الذى شيعناه لكم فى أغسطس سنة 1952 وذلك حيث قلنا (وأنت لن تصلح مصر أو تدفع عنها الفساد إلا إذا رددتها إلى أصول الأخلاق حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً) ونحب أن نذكرك من التورط فى خطأ كبير تورط فيه كثير من المفكرين الاجتماعيين وهو اعتبار الرخاء المادى بالتوسع الزراعى والصناعى بديلاً عن الحرية الفردية .. ويطيب لنا أن نؤكد لك أنه ليس لك من سبيل إلا سبيل الإسلام ثم إننا نرجو أن نقترح عليك الآتى :-

1- أن تترك التدخل فى شئون البلاد العربية - التدخل بجميع صوره - الإذاعة والصحف والرشوة - وذلك لأنه ليس لديك ما تعطيه أياً من هذه الدول وما تزيدها بتدخلك فى شئونها غير تخسير.

2- أن تنفض يدك فوراً من الدعوة الباطلة -دعوة القومية العربية - وأن ترجع بشعبك

إلى الإسلام رجوعاً واعياً وأن نحاول بعث المعاني الإنسانية الرفيعة التي يذخر بها القرآن وأن تصلح بها قومك أولاً وهذا ما عنيناه برد قومك إلى أصول الأخلاق حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيباً.

3- أن تصحح رأيك في الحياء الإيجابي ... فإنك لن تستطيع الحياء إذا أسرفت في عداوة فريق من الفريقين ، فان الإسراف لا يورث الاعتدال . فأنت لا تجنى من الشوك العنب .. وإنك لن تستطيع أن تكون (إيجابياً) في حيادك إلا إذا كنت تمتلك الفلسفة الإيجابية وما نرى لك من فلسفة بازاء الرأسمالية والشيوعية غير الإسلام.

4- فإذا ما أرحت الدول العربية من تدخلك في شئونها ومن دجل دعوة القومية العربية فسيكون على كل دولة عربية داخل حدودها - ولا يعنى هذا عدم التعاون المتكافئ - إن تبعث الإسلام من جديد وأن تطبق مذهبته التي تحقق التوفيق بين الاشتراكية والديمقراطية أى بين العدالة الاجتماعية والحرية الفردية فإذا ما استطاعت أى من الدول العربية أن تخلق من نفسها نموذجاً صالحاً للدولة الإسلامية التي تحل مشاكل سكانها على هدى أهدي من الشيوعية ومن الديمقراطية الرأسمالية فإن الدول العربية ستحذو حذوها وسيتم اتحاد العرب تحت راية القرآن وسيكونون باتحادهم ومذهبيتهم الكتلة الثالثة التي تنهض بين الشيوعية والرأسمالية وسيقلد نموذجهم سائر دول العالم وهكذا ينفضون من حول الشيوعية والرأسمالية وتقوم الحكومة الفدرالية العالمية على مذهبية تتمم النقص في الشيوعية والرأسمالية وذلك بتحقيق التوفيق بين العدالة الاجتماعية والحرية الفردية وهكذا يحل في الأرض السلام والرخاء.

5- ريثما تبرز الكتلة الثالثة في الحيز العملى لأبد من فترة من السلام وليس في طوق الإنسانية في عهدها الحاضر تحقيق سلام غير هذا السلام المحموم غير الطبيعي الذي يقوم على توازن القوى ولذلك فلا بد من اجتناب أى عمل يخل هذا التوازن حتى ولو كان عائداً ببعض الكسب المحلي على الدولة التي تمارسه .

هذا ما اتسع الوقت لتوجيهه إليك وإنا لنترجو لنا ولك من الله التوفيق والهداية.

الحزب الجمهوري - الخرطوم

ملحق رقم (34)

"انسحاب السودان فوراً من الجامعة العربية"

ضمن بيان "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"

المصدر: "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى، صحيفة أنباء السودان، العدد

154. السبت 1958/8/23

(النص)

بيانات.....

الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى

نقدم هذه النقاط ليقوم عليها الميثاق القومى ونعتقد أن جميع أجهزة الدولة بما فى ذلك الصحافة يجب أن تلتزم بهذا الميثاق ونفضل أن تقوم بتنفيذه حكومة ائتلافية توجهها معارضة بانية (الصحف خارج البرلمان والمعارضة داخل البرلمان) ونرى أن هذا أقل قدر يمكن أن تقوم به حكومات العهد الحاضر لتكمل للبلاد استقلالها وسط هذه الزوابع النكراء ونعتقد أن السياسة الخارجية هذه إذا طبقت بدقة ستسير السياسة الداخلية نحو الاستقرار والثبات وسيتمكن القيام بالأعمال الإنسانية والدستورية بخطى ثابتة وموحدة ورشيدة.

(1) الحياد التام بين الدول الغربية الرأسمالية والدول الشرقية الشيوعية وتجنب أى عمل أو قول يرجح كفة الشيوعية على الغرب أو كفة الغرب على الشيوعية اللهم إلا أن يكون ذلك العمل أو القول حقاً واضحاً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض ولكن يجب أن يكون عملنا دائماً يستهدف الإبقاء على توازن القوى الحاضر بين دول الشرق ودول الغرب حتى تطول فترة السلام الحاضرة القائمة على هذا التوازن.

(2) الإنسحاب فوراً من الجامعة العربية وذلك لسببين أولهما أننا أمة أفريقية وثانيهما أن الجامعة العربية أصبحت تابعة لوزارة الخارجية المصرية ولم تعد تمثل دولاً مستقلة.

(3) الوقوف الواضح كدولة إفريقية ترعى حسن الجوار مع جميع الدول المجاورة وتتعاون مع جميع الدول العربية والبعيدة لحفظ السلام ولتدعيم هيئة الأمم وتشجيع الاحتكام إليها والرضا بقراراتها.

(4) لتحسين العلاقة مع مصر يجب تصفية المسائل المعلقة معها فوراً، مثل مياه النيل ومستعمرات الري المصرى فى الشجرة والجبل وملكال وذلك بوسائل المفاوضات أو وسائل التحكيم ويجب ألا نترك هذه المسائل معلقة هكذا لأى فترة من الزمن بعد اليوم لأنها هى سبب سوء التفاهم المستمر فإذا ما تمت هذه التسوية فأن علاقتنا بمصر ستقوم على العدل وحسن الجوار والاحترام المتبادل.

(5) معارضة تدخل أى دولة فى شؤون أى دولة أخرى سواء كانت هذه الشؤون خارجية أو داخلية وبأى وسيلة من وسائل التدخل بما فى ذلك الصحافة والإذاعة.

ملحق رقم (35)

عضويتنا فى جامعة الدول العربية

المصدر: محمود محمد طه، "عضويتنا فى جامعة الدول العربية"، صحيفة أنباء السودان، العدد 164، 1958/10/18.

(النص)

بيانات....

عضويتنا فى جامعة الدول العربية

رأى الحزب الجمهورى فيما يتعلق بعضوية السودان فى الجامعة العربية واضح ومعروف ويتلخص فى أنها مؤسسة إقليمية ضيقة لا تقوم على مذهبية فكرية تجعلها أداة خلاقة تخدم مصالح أعضائها وتسير فى الوقت ذاته فى اتجاه سليم يخدم قضية الإنسانية فى السلام العالمى. إنما هى عنصرية ضيقة، هذا وتسيطر عليها دولة واحدة تسيروها وفق أهوائها وتطوعها لخدمة أغراضها.

ونحن كشعب أفريقى فتى له مكانته فى القارة الأفريقية، ممكن نخدم أنفسنا ونخدم الشعوب المجاورة بل ويمكن أن نقدم خدمات أكبر لقضايا الأحرار وقضية السلام العالمى بأوسع وأيسر مما يمكن أن نفعل ونحن داخل إطار جامعة الدول العربية.

واليوم لن نقول رأياً جديداً بخصوص هذا الموضوع ولكننا سنسرد وقائع حدثت فى اجتماع مجلس الجامعة الأخير، وعلى ضوء هذه الوقائع يجب على حكومتنا أن تتصرف وترسم سياستها تجاه ما طرأ وما سيطرأ من اتجاهات داخل هذه المنظمة الإقليمية التى وإن كنا -كجمهوريين- لنا نظرنا الخاصة نحوها إلا أننا نأمل أن تسود الحكمة أعمالها ومناقشاتها لخير العرب أجمعين.

فبالأمس ألقى السيد الحبيب الشاطبى رئيس وفد تونس بياناً على أعضاء مجلس الجامعة قال فيه إن الجامعة العربية يسيطر عليها اتجاه واحد، وتأنمر بأوامر رجل واحد مما

دعا وفد الجمهورية العربية إلى الانسحاب من الجلسة محتجاً.

ولم يكتف السيد رئيس وفد تونس بالبيان السالف الذكر الذى ألقاه على الأعضاء أثناء انعقاد الجلسة بل توجه إلى سفارة دولته بالقاهرة وأصدر منها بياناً حكومياً قال فيه أن تونس لاتثق فى الجمهورية العربية المتحدة ولايمكن أن تتعاون مع دولة أظهرت شقاقاً علنياً معها.

ولقد وصفت دوائر القاهرة هذا الذى حدث أثناء انعقاد مجلس الجامعة بأنه حادث مؤسف، وأن الاستعمار هو الذى يوحى لتونس بتوجيه مثل هذه الاتهامات بغية بث روح الفرقة بين العرب، بل أن بعض هذه الدوائر اتهم صراحة الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس بأنه عميل للاستعمار الأمريكى، وبأنه يريد أن يحتل مقعد نوري السعيد بمجلس الجامعة، هذا المقعد الذى تحطم ولم يعد له وجود بعد ثورة شعب العراق.

تلك الوقائع التى أسلفنا ذكرها تشكل تطوراً واضحاً فى الجامعة العربية، هذه التطورات تستوجب من حكومتنا تفرغاً كاملاً قبل أن ترسم سياستها إزاء هذه الأحداث لذلك نرى أن أعباء السيد سفيرنا بالقاهرة ومسئوليته لايمكن أن تسمح له بالجمع بين السفارة وعضوية مجلس الجامعة العربية، وأن سفارتنا بالقاهرة يجب أن تتفرغ لحل مشاكلنا المعلقة.

ونرى أن يعاد فوراً إلى القاهرة أحد رجال وزارة الخارجية الكبار ليتفرغ لمنصب مندوب السودان الدائم لدى الجامعة العربية.

ملحق رقم (36)

ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟

المصدر: محمود محمد طه، "ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟"، صحيفة أنباء السودان، العدد: 157، السبت 1958/9/6

(النص)

ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟

أراء صريحة

بقلم الاستاذ الكبير محمود محمد طه

أبادر فأقرر هنا أن خطاب السيد وزير الداخلية الذى قرأه على الصحفيين فى مؤتمره الصحفى فيما يخص مشكلة مياه النيل مع مصر لم يكن خطاباً لبقاً ولا كان موفقاً وليس الكيس يأبى أن يقدم الوعيد والتهديد بين يدى الرجاء بالتعاون.. ثم أنه ما ينبغى أن يغيب عن بال رجل مسئول أن الشعب بجميع طبقاته بله الصحفيين غيور على حريته حريص على صيانتها.. وما جدوى الاستقلال إذا ما أمست الحريات سلبية؟

ولكن ليس من العدل أن نتساءل ماذا فعل الصحفيون بحريتهم؟ فإن صحفيينا أحرار فى أن ينتقدوا من شاءوا، من حكام ومواطنين وأن يشتموا من شاءوا أيضاً.. والأول حق كفلته الديمقراطية لجميع الصحفيين والثانى (حق) استباحه لأنفسهم بعض الصحفيين وهو يجىء من قبيل إساءه ممارسة الحق الأول.. وليس غريباً أن تكون ممارسة الحرية مصحوبة بإساءة استعمالها.. ولكن ما ينبغى أن نخدع عن حقيقة واضحة وهى أن إساءة استعمال الحرية يتم عن: قلة النضوج والمراهقة الفكرية.

وبعض صحفيينا تملك حرية أن ترثشى أو قل إن كنت ممن يؤثرون (التلطف) إنهم يملكون حرية أن يقبلوا الهدية من بعض الدول الخارجية فى شكل (معونات) مالية تساعد على أداء (رسالتهم) وهذه أيضاً (حرية) لا تكفلها الديمقراطية وإنما جاءت من

قبيل إساءة ممارسة الحق الديمقراطي في الحرية.

قلت آنفاً ليس من الغريب أن تكون ممارسة الحرية مصحوبة بإساءة استعمالها وما قلت قولي هذا إلا لأنى أعلم أن منطقة الحرية لا يفصلها عن منطقة الفوضى إلا خط قوى المعالم واضحتها وإنما هو خط أرق من الوهم وأدق من الرياء ولا يتفطن إليه إلا دقاق الحس أقوىاء الفكر أذكىاء الفؤاد .. وأما الجاهل فإنه يضرب في الفوضى ويظن أنه يمارس حقه في الحرية وهو لا يعلم أنه عدو الحرية ولنفسه فى آن معاً ولذلك فإننا نرى إلا أن الجهلاء من صحفيين محترفين وصحفيين هواة يستغلون حقهم المشروع فى الحرية ليحطموا الحرية نفسها.. ألسنت تراهم يدعون فى كثير من الصحف إلى النظام الروسى تحت ستار السلام العالمى ومحاربة الإستعمار والتجارة الحرة لمصلحة السودان أو يدعون الى النظام المصرى تحت ستار القومية العربية ومحاربة الاستعمار مع أنه ليس فى روسيا ذرة من الحرية لصحفيين ولا لغيرهم ولا فى مصر ذرة من الحرية لصحفيين ولا لغيرهم ولا يدعو لفريق من هذين الفريقين إلا عدو للحرية ولنفسه فى أن معاً؟

هل قرأتم ما جاء عن المؤتمر الصحفى الذى عقده وزير الداخلية عن مشكلة مياه النيل؟ لقد طلب الوزير من الصحفيين ألا ينشروا عن مشكلة مياه النيل من خبر الا ما يستقى من الحكومة ولا من تعليق إلا ما يتوخى فيه توفير الجو الودى الذى يجب أن يسبق المفاوضات ليزيد فرص نجاحها وعند ذلك توجه إليه أحد الصحفيين بسؤال فحواه (هل طلبت مصر من صحافتها مثل هذا الطلب؟) فلم يجد الوزير بداً من أن يجيب (سنتوجه إلى مصر برجاء أن تطلب من صحافتها مثله) والآن فإن لهذا السؤال دلالة كبيرة. فهو يدل على أن بعض صحفيينا لا يعرفون فرقاً بين صحافة مصر وصحافة السودان ولا يقدرّون مبلغ التفاوت فى الحرية بينهما مع أن كل من يعرف شيئاً ولو يسيراً عن الحياة فى مصر يعلم أن صحافة مصر لا تكتب شيئاً إلا ما تمليه حكومة مصر إملاء. فإن لم يكن إملاء فهو لا يخرج عن ما اختطته الحكومة فى روح سياستها من غير نقد أو تساؤل. وهو يدل أيضاً على أن صحفيينا (بعضهم) حين يدافع عن حرية الصحافة لا يعرف حقيقة ما يريد وهو ليس لديه مانع من أن يعيش فى حرية صحفية (كالحرية) التى تعيش تحتها الصحافة المصرية هل استعدى الحكومة على حرية بعض الصحف بقولى هذا ؟ كلا ؛؛ والحق لو إني كنت

مقتنعاً بأن حكومتنا رشيدة ذات فلسفة فى الحكم ومذهب فى التربية لطلبت إليها أن تجعل
للحرية ثمناً هو حسن التصرف فيها أو تحمل مسؤولية سوء التصرف. فالناس أحرار
ليفكروا كما يشاءون وأن يقولوا كما يفكرون وأن يعملوا كما يقولون على شريطة أن
يقولوا صواباً وألا يعملوا عملاً يخل بحريات الآخرين.

فكم من صحفنا تقول الصواب؟ أم كم من صحفنا تعرف الصواب؟ حقاً ماذا فعل
الصحفيون بحريتهم؟؟

ملحق رقم (37)

محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة

المصدر: صحيفة أنباء السودان، العدد: 165، السبت 25 أكتوبر 1958، الخرطوم

(النص)

محمود محمد طه يعتقل فى القاهرة

سافر إلى القاهرة السيد محمد طه الفكى الموظف بمشروع الجزيرة لقضاء إجازة قصيرة مقدارها أسبوعان. ولم يكد يصل إلى العاصمة المصرية حتى أُلقي عليه القبض وسيق إلى وزارة الداخلية وحقق معه على أنه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى والكاتب الحر الكبير.

وبعد مراجعة تاريخ حياة السيد محمد طه الفكى وهويته وتدخل السفارة السودانية أطلق سراحه. وقد عاد الآن ليروى هذا الخبر.

ملحق رقم (39)

بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين

أمدرمان فى 1968/11/19

أول بيان للأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة الأولى 1968

المصدر: محمود محمد طه، "بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين، دار الوثائق القومية، أحزاب 41/112، الخرطوم.

(نص البيان)

بيان نمرة (١)

مهزلة القضاة الشرعيين

أوردت صحيفة "السودان الجديد" الصادرة اليوم بالعنوان الكبير عبارات (المحكمة الشرعية تصدر أول حكم من نوعه فى السودان - ردة محمود محمد طه وأمره بالتوبة عن جميع أقواله).. أقرأوا مرة ثانية (وأمره بالتوبة عن جميع أقواله)!! هل سمع الناس هواناً كهذا الهوان؟ هل أهينت رجولة الرجال، وامتهنت حرية الأحرار، واضطهدت عقول ذوى الأفكار، فى القرن العشرين، وفى سوداننا الحبيب، بمثل هذا العبث الذى يتورط فيه القضاة الشرعيون؟

ولكن لا بأس، فإن من جهل العزيز لا يُعزّه!! ومتى عرف القضاة الشرعيون رجولة الرجال، وعزة الأحرار، وصمود أصحاب الأفكار؟؟

إن القضاة الشرعيين لا يعرفون حقيقة أنفسهم، وقد يكون من مصلحتهم، ومصلحة هذا البلد الذى نعزه، ومن مصلحة الدعوة الإسلامية التى نفديها أن نتطوع نحن فنوظف أعلامنا، ومنبرنا لكشف هذه الحقيقة، لشعبنا العزيز، على ما هى عليه..

والآن فإننى، بكل كرامة، أرفض هذه المهانة التى لا تليق بى، ولا يمكن أن توجه إلى ولا يمكن أن تعينى بحال.. فقد كنت أول، وأصلب، من قاوم الإرهاب الاستعماري فى

هذه البلاد.. وقد فعلت ذلك حين كان القضاة الشرعيون يلحقون جزم الإنجليز، وحين كانوا فى المناسبات التى يزور فيها الاستعماريون يشاركونهم زهوهم ويتزينون لهم بالجبب المقصبة، المزركشة، التى سماها لهم الاستعمار "كسوة الشرف" وتوهموها هم كذلك، فرفلوا فيها، واختالوا بها، وما علموا أنها كسوة عدم الشرف، ولكن هل ينتظر منهم أن يعلموا؟؟ سنحاول تعليمهم.. والأيام بيننا..

أما أمركم لى بالتوبة عن جميع أقوالى فإنكم أذل، وأخسأ، من أن تطمعوا فى.. وأما إعلانكم ردتى عن الإسلام فما أعلنتم به غير جهلكم الشنيع بالإسلام، وسيرى الشعب ذلك مفصلاً فى حينه..

هل تريدون الحق، أيها القضاة الشرعيون؟

إذن فاسمعوا!! إنكم آخر من يتحدث عن الإسلام فقد أنفتم شبابكم فى التمسح بأعتاب السلطة، من الحكام الإنجليز، والحكام العسكريين، فأريحوا الإسلام، وأريحوا الناس من هذه الغثاءة...

أمدردان فى 1968/11/19

محمود محمد طه

الحزب الجمهورى

ملاحظة: ورد فى نهاية الصفحة التى تضمنت البيان التنبيه التالى:

محاضرة اليوم الأربعاء 1968/11/20

بعنوان: (الإسلام برسائلته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين) يقدمها الأستاذ محمود محمد طه بمعهد شمبات الزراعى الساعة السادسة مساء

والدعوة عامة

ملحق رقم (40)

(اللهم إن كان محمود مرتدًا فأنا ثاني المرتدين)، الجملة ذات الهوية الأخلاقية والتي أطلقها المهندس حسن بابكر (1908-1975)، ضمن مقاله: "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين"

المصدر: حسن بابكر، "محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين في السنين"، صحيفة الأيام، العدد: 5517، الأربعاء 1968/12/11
بقلم حسن بابكر (1908-1975)

(النص)

محمود محمد طه ومحمد إقبال ورجال الدين عبر السنين

إن الدعاية غير المقصودة التي قامت بها المحكمة الشرعية لآراء الأستاذ محمود محمد طه بعد أن حكمت برده، جاءت على غير ما كانت تنتظر المحكمة الشرعية والذين رفعوا إليها الدعوى، والذين من خلفهم. وقد ذكرني هذا الحادث بحادث مماثل للزعيم الهندي وشاعر الاسلام محمد إقبال أيام الاستعمار الإنجليزي للهند. فقد كانت قصائده السياسية تلهب شعور الجماهير وتقض مضاجع الإنجليز. وكانت سبباً لدخوله السجن مرات عديدة ووصل التعذيب إلى أفراد عائلته وزوجا ابنته الصغير البالغ أحد عشر عاماً في السجن، فأرسل له والده قصيدة يقول فيها: يا بني إن الله لم يفضل الانسان على الحيوان بالعقل كما يعتقد بعض الناس لأن كثيراً من الحيوانات تفهم أكثر من كثير من الناس، ولكن فضله بأن خلقه مرفوع الرأس والحيوان منكس الرأس. ويوم تحنى رأسك أمام إنسان آخر من أجل منفعة دنيوية، تفقد نعمة الله عليك وتصبح من ضمن الحيوانات.

وللزعيم محمد إقبال قصيدة مشهورة عبارة عن شكوى إلى الله يقول فيها: يا إلهي، يامن قلت "ما ربك بظلام للعبيد" لقد كان عبادك الذين خلقتهم يعبدون الحجارة والتماسيح وحيوانات أخرى حتى جئنا نحن المسلمين ونشرنا كلمة التوحيد وبعدها عرفك من خلقتهم وعبدوك. وكان جزاؤك لنا الاستعمار الإنجليزي وتوابعه يسوموننا سوء العذاب. ومع ذلك

تقول "ما ربك بظلام للعبيد" فوجد الإنجليز في تلك القصيدة سلاحاً ضد الزعيم محمد إقبال، وجمعوا رجال الدين وأمرهم بإصدار حكم بردة إقبال، وهل في استطاعتهم أن يرفضوا ذلك الأمر؟ وملاً الخبر أرجاء الهند وانطلق الناس يبحثون عن القصيدة، ودارت مكنتات المطابع ليلاً ونهاراً في طبعها بكل لغات الهند والشعب يقول "هل من مزيد؟" ودخلت القصيدة إلى كل منزل وقرأها كل من يقرأ في الهند، أما إقبال فلم يقل كلمة واحدة عن حكم رجال الدين لأنهم أتفه من أن يحكموا برده.. وفي ذات صباح ظهرت جريدته وبها قصيدة بعنوان (الرد من الله) وفيها يقول: يا شاعري يا محمد إقبال، لقد وصلتني شكواك ولكنك غير محق في الشكوى. فالذين نشروا دعوة التوحيد لستم أنتم الذين رضيتم بحكم الإنجليز، بل جدودكم، وأنا لم أظلمهم فقد جعلتهم ملوكاً على الأرض من الهند إلى الأندلس وصدق قولي "وما ربك بظلام للعبيد..". وأنى أعدكم الآن عندما تحملون سيوفكم في غد وترددون من الأعماق (لا إله إلا الله والله أكبر) وتروون سيوفكم من دماء الإنجليز والفرنسيين وغيرهم، فإنني أجعلكم ملوكاً للأرض كما كان جدودكم وستعلمون قولي حقاً (ومارك بظلام للعبيد)... واندلعت الثورة الحمراء التي كلفت الإنجليز كثيراً من الأنفس والمال وزعزعة الأمن.

تذكرت كل هذا وأنا أقرأ حكم محمود الذي دخل السجن ولاقي فيه أصناف العذاب من أجل حرية هذا البلد، ورجال الدين يصدرون الفتاوى في تأييد الإنجليز، ويدعون لهم في بيوت الله، ويصلون صلاة الغائب على الملك جورج الخامس. وفي قصائد الشاعر الوطني محمود الفكي وصف لرجال المحاكم الشرعية فليطلعوا عليه مثل قوله: (قاضي سما بشرعة الحديث، وقاضيان واردان في الحديث)⁽¹⁾ وحكم رجال المحكمة الشرعية بردة الأستاذ الكبير والإنسان العظيم محمود أشبة بحكم أمثالهم في الهند بردة محمد إقبال، وقد تصدى له بالنقد رجال الفكر والقانون أمثال السادة بشير محمد سعيد ومحمد إبراهيم خليل، ولن يؤثر هذا الحكم على شخص محمود أو آرائه التي تدعوا إلى الحرية والرجوع إلى الإسلام وتنقيته من الشوائب التي لحقت به وأكثرها ممن يسمونهم رجال الدين.

"اللهم إن كان محمود مرتداً فأنا ثاني المرتدين، وإن كان المرتدون غيره فأنت أولى بهم".

(1) حديث الرسول (قاضي في الجنة وقاضيان في النار)، هذا الهامش كما جاء في المقال وأشار إليه كاتبه حسن بابكر المهندس في نهاية المقال.

ملحق رقم (41)

بيان أبادماك في يوم 10 يناير 1969

نص قرار تجمع الكتاب والفنانين التقدميين "أبادماك"، في أول اجتماع للأعضاء المؤسسين، استنكر القرار محكمة الردة، وأدان وقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود أمام القضاء الشرعي. صدر البيان بتوقيع واحد وسبعين كاتباً نشر بالصحف اليومية السودانية ومجلة بيروتية.

المصدر: حصلت على نسخة من البيان من عبدالله على إبراهيم⁽¹⁾، قائد "أبادماك"⁽²⁾، مع وثائق أخرى.

(النص)

يستنكر اجتماع الكتاب والفنانين التقدميين التضييق الذي تمارسه بعض الجهات على العقل باسم الدين. إن الحرج الذي تعرض له العقل والوجدان بوقوف فكر ومنهج الأستاذ محمود محمد طه أمام القضاء الشرعي لهو حرج في أفئدة كل الذين يريدون لبلادنا أن تستظل بالحوار وأن تسترشد بالحجة والبيان وأن يصابن العقل من الاستعلاء والاستعداد. وإننا لنؤكد بالقطع مسئولية الفكر في خلق سودان معاصر في التاريخ والزمان والمكان. لن ننشئ أمام محاكم الردة وما أشبه.. ففى عمق رؤانا يعيش شعبنا وتراثه وباسمه نستشرف آفاق المعاصرة والبهاء.

(1) كتب عبد الله على إبراهيم عن قصة تكوين تجمع الكتاب والفنانين التقدميين "أبادماك"، كتب قائلاً: "فقد خرج التنظيم بصورة مباشرة من بيثة صدام ثقافي وضع حرية التعبير على المحك. فقد تجمعت ساحابات تبرنا بتضييق الجماعات الدينية لتلك الحرية بعد اقتحام عصابة من الاتجاه الإسلامي لحفل جمعية الثقافة الوطنية في شتاء 1968 الذي اشتموا منه خروجاً من العرف بسبب رقصة العجكو الشعبية العرفية. ثم جاء حكم المحكمة الشرعية العليا بردة المرحوم محمود محمد طه وغزل السيد إسماعيل الأزهرى مع قضاة الشرع ليجعل يدهم العليا على القضاة المدنيين. وأملت علينا ملاسبات تلك الحرب على التقدم أن ننظم دفاعاً عن الثقافة وحرية التعبير". المصدر: عبدالله على إبراهيم، "أبادماك: تهمة لا ننكرها وشرف ندعيه"، صحيفة الصحافة، بتاريخ 2004/3/16.

(2) كتب الأستاذ صلاح يوسفوه من مؤسسى "أبادماك" وهو يتحدث عن القرارات في أول اجتماع للأعضاء المؤسسين في العاشر من يناير عام 1969، كتب صلاح قائلاً: "أجزنا قرارات: واحد يشجب الإخوان المسلمين على اعتدائهم على حفل جمعية الثقافة الوطنية بجامعة الخرطوم في شتاء 1968. أما القرار الآخر فقد شجبنا فيه حكم الردة الذى صدر بحق المرحوم محمود محمد طه، وهذا نصه..". (ثم أورد نص البيان). المصدر: صلاح يوسف، "بين أبادماك و بورتيل"، موقع سودانيزاون لاين، المنبر العام، استرجاع (Retrieved) يوم

ملحق رقم (42)

عن تواتر الأخبار عما يقوم به المدعو محمود محمد طه من الفساد العظيم والإلحاد خطاب من عبد العزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية، إلى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية.

المصدر: "مجموعة من الوثائق التي قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة"، النشرة اليومية (سونا)، وكالة السودان للأنباء، الخرطوم، في 29 ربيع الثاني 1405 هـ الموافق 20 يناير 1985⁽¹⁾.

(نص الخطاب)

المملكة العربية السعودية الرقم: 148/ أس

مكتب الرئيس التاريخ: 1401/5/4 هـ

سرى، وخاص

من عبدالعزيز عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ الكريم فخامة جعفر بن محمد النميري رئيس جمهورية السودان الديمقراطية وفقه الله لما فيه رضاه آمين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعده. حفظكم الله.

أود أن اعرض على فخامتكم أنه قد تواترت أخبار عما يقوم به المدعو محمود محمد طه سوداني الجنسية من الفساد العظيم والإلحاد والتشريعات عن الإسلام ما لم يأذن به الله ولا رسوله وأن له أتباعاً على باطله.

ولا شك أنه يترتب على تركه والأعراض عنه فساد كبير إضافة إلى السمعة السيئة لفخامتكم داخل المجتمع السوداني المسلم خاصة والشعوب الإسلامية عامة.

(1) التاريخ الميلادي لم يكن ضمن النشرة الإخبارية وإنما إضافه المؤلف.

وإن الواجب على فخامتكم إحالة أمره إلى لجنة القضاة لديكم المعروفين بالعلم والفضل وإحكام الشرع الإسلامى للنظر فى أمره والحكم فيه بما يقتضيه الشرع المطهر من قتل أو سجن أو غيرهما ثم تنفيذ الحكم تبرئة للذمة ونصحاء للأمة وحماية للمسلمين من خطره العظيم وصيانة للشرع الإسلامى من عبثه وأمثاله وأتباعه.

أعانكم الله على كل خير ومنحكم البطانة الصالحة وأعزكم بالإسلام وجعلنا جميعاً من أنصار دينه وحماة شريعته إنه ولى ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

الرئيس العام

لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

ورئيس المجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامى

ملحق رقم (43)

فتوى الأزهر بالكفر الصراح، والفكر المالح

خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة إلى وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5.

المصدر: "مجموعة من الوثائق التي قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة"، النشرة اليومية (سونا)، وكالة السودان للأنباء، الخرطوم، في 29 ربيع الثاني 1405 هـ. الموافق 20 يناير 1985 (1).

(نص الخطاب)

الأزهر

مجمع البحوث الإسلامية

مكتب الأمين العام

1972/6/5

السيد الأستاذ وكيل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد وقع تحت يدي لجنة الفتوى بالأزهر الشريف كتاب الرسالة الثانية من الإسلام تأليف محمود محمد طه طبع في أدمرمان الطبعة الرابعة عام 1971 ص. ب 1151.

وقد تضمن هذا الكتاب أن الرسول بعث برسالتين فرعية ورسالة أصلية. وقد بلغ الرسالة الفرعية. وأما الأصلية فيبلغها رسول يأتي بعد. لأنها لا تتفق والزمن الذي فيه الرسول وبما أن هذا كفر صراح ولا يصح السكوت عليه.

(1) التاريخ الميلادي لم يكن ضمن النشرة الإخبارية وإنما إضافه المؤلف.

فالرجاء التكرم باتخاذ ما ترونه من مصادرة لهذا الفكر الملحد والعمل على إيقاف هذا النشاط الهدام خاصة في بلدكم الإسلامى العريق.

وفقكم الله وسدد خطاكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

الأمين العام

لمجمع البحوث الإسلامية

دكتور محمد عبدالرحمن بيصار

ملحق رقم (44)

قراررابطة العالم الإسلامي بمكة بردة الأستاذ محمود عن الإسلام

خطاب من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية
المصدر: "مجموعة من الوثائق التي قدمت من المؤسسات الإسلامية والعلماء داخل
البلاد وخارجها ضد المرتد محمود محمد طه ودعوته الباطلة"، النشرة اليومية (سونا)،
وكالة السودان للأنباء، الخرطوم، في 29 ربيع الثاني 1405 هـ. الموافق⁽¹⁾ 20 يناير 1985

(نص الخطاب)

رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

مكة المكرمة

الرقم: 2631/17/5

التاريخ: 5 / ربيع أول / 1395 هـ

حضرة صاحب المعالي الأخ الدكتور عون الشريف قاسم

وزير الشؤون الدينية السودانية الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

أفيد معاليكم بأن من ضمن القضايا الإسلامية التي ناقشها المجلس التأسيسي لرابطة
العالم الإسلامي في دورته السادسة عشر قضية (محمود محمد طه) السوداني الذي ادعى
الرسالة وأنكر ختم الرسالة وإنه المسيح المنتظر كما أنكر الجزء الثاني من الشهادة إلى آخر
ما جاء في إدعاءاته الباطلة.

وبعد مناقشة الموضوع من جميع جوانبه أصدر المجلس حكمه بالاجماع بارتداد

(1) التاريخ الميلادي لم يكن ضمن النشرة الإخبارية وإنما إضافه المؤلف.

المذكور عن الإسلام تأييداً لما حكمت به المحكمة الشرعية العليا بالخرطوم وإنه يجب على المسلمين أن يعاملوه معاملة المرتدين كما يجب مصادرة كتبه أينما وجدت ومنع طبعها.

أرجو من معاليكم التكرم بنقل هذا القرار إلى حكومتكم الموقرة وبذل مساعيكم الحميدة لدى المسئولين فيها للمساهمة معنا في تنفيذه، خاصة وقد صدر عن مجلس يضم نخبة من العلماء والزعماء الممثلين عن معظم الشعوب الإسلامية في العالم. وانتهز هذه الفرصة للإعراب عن صادق شكرى وتقديرى لتعاونكم الدائم مع الرابطة فيما يرفع شأن الإسلام والمسلمين وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام.

الأمين العام

محمد صالح القزاز

ملحق رقم (45)

الأحزاب السياسية التي نشأت قبل تكوين المجلس الاستشاري والجمعية التشريعية

ذكريات: من مذكرات التجاني عامر

المصدر: التجاني عامر، "ذكريات: من مذكرات التجاني عامر"، صحيفة الصحافة،

العدد: 4772، بتاريخ 1972/4/16

(النص)

ذكريات: من مذكرات التجاني عامر

كان حديثاً بالأمر عن الأحزاب السياسية التي نشأت قبل تكوين المجلس الاستشاري والجمعية التشريعية حديثاً موجزاً للتعريف بكل منها واتجاهاته مع ذكر لأسماء بعض الشخصيات القيادية من كل حزب .. ولما كنت أعرف سلفاً مدى اهتمام السودانيين بأسماء الأشخاص أكثر من اهتمامهم بالأحداث والحقائق فإنني لم أستغرب أسئلة بعض الناس بالمواجهة أو بالهاتف عن تجاهل بعض الأسماء في بعض الأحزاب والرد على ذلك أن الأمر ليس نتجاً عن إهمالاً لمواقف كثيرة يستحق صانعوها الذكر الحسن أو السيء ولكن الأمر كان إيجازاً يهتم بكبريات المشاكل وتسلسل الأحداث بالقدر الذي يسمح به حيز النشر لهذه الذكريات وإذا قيس الله لها أن تنشر في كتاب فإن النطاق سيتسع لتفاصيل لا بد أن تستوعب كثيراً من الأسماء المتصلة بها. وآخرون يتساءلون عن تجاهل ذكر الحزب الشيوعي السوداني وهذا أيضاً غير صحيح لأنني ذكرت الشيوعيين تحت لواء (الجبهة المعادية للاستعمار) أبان الحكم الثنائي ثم ذكرتهم كجماعة نكل بها في مصر إبراهيم عبد الهادي باشا وطاردها الإنجليز هنا كهيئة تخريبية غير شرعية كما طاردها الأحزاب والحكم العسكري برئاسة الفريق عبود.

ولم يجد الشيوعيون فرصة للعمل الشرعي والتنظيم الظاهر والتمثيل البرلماني والصحف الناطقة باسمهم إلا في ثورة أكتوبر 1964 وزوال الحكم العسكري وهذه مرحلة

زمنية لم تصلها مسيرة (الذكريات) هذه وقبل أن أنتقل إلى التعريف ببعض الأحزاب الأخرى التى لم يتسع لها المجال أمس - أود أن التمس من الإخوان والأبناء الذين يتساءلون عن الأشخاص أن يعتنوا بتصحيح الأحداث وتوقيتها إن عثروا على خطأ فيما ننشر ذلك أنفع للناس وأبقى للتاريخ ولا بأس بذكر الأشخاص الذين لهم علاقة بمشكلة أو حدث يؤرخ له .. أما بقية الأحزاب التسع التى ذكرنا بعضها فهى:

6- حزب القوميين

هو حزب استقلالى النزعة ومتحالف مع حزب الأمة نشأ مع معارك مؤتمر الخريجين فى منتصف الأربعينات ولكنه لم يعمل لمكاسب جماهيرية تغريها مبادؤه وأهدافه ولعله لم يخطط لمبادئ معينة ولم يصدر دستوراً خاصاً به وهو حزب - فيما يبدو - خلقته ضرورة الحاجة للمناورات السياسية من القطاع الاستقلالى بدليل أنه مع رقة حاله - استطاع أن يجد مقعداً فى (مؤتمر الإدارة) الذى نشرنا أسماء أعضائه قبل أيام والذى وضع كيان الجمعية التشريعية وقوانينها وقادة هذا الحزب هما المرحوم أحمد يوسف هاشم والسيد محمد حمد النيل ولست واثقاً إضافة اسم محمد أحمد محجوب إليها كعضو أو راع للحزب ولكنه كان وطيد الصلة به.

7- حزب وحدة وادى النيل

يحمل اسمه كما يرى القراء جديد مبدئه من غير ضرورة لذكره وهو يضم الجماعة التى تعمل جاهدة لجعل السودان ومصر دولة واحدة وأمة واحدة لا فاصل بينهما .. وقد أخذوا على الأشقاء عدم وضوح النزعة الوحدوية الظاهرة فى سلوكهم السياسى .. ومع أن الحزب يؤيده (من منازلهم) عدد كبير من الناس إلا أنه لم ينتظم فى عمل سياسى مرتب بدعوة أو إعلام ولجان لأن الذين أسسوه نوع من الزاهدين فى تجمعات الناس.

وكان الحزب برئاسة الأستاذ الدرديرى أحمد إسماعيل وعضوية جماعة من أنصار مصر منهم الأستاذ الشاعر محمد سعيد العباسى رحمه الله والمهندس محبى الدين جمال أبو سيف والأستاذ أحمد سنجر الشاعر والمهندس محمد مضوى بابكر وغيرهم .

8- الحزب الجمهورى

قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السياسية بحساب الزمن وهو أول حزب صغير يعمل خارج النفوذ الطائفى بإصرار بل بمناجزة وصدام .. واسمه يدل على المبدأ الذى انتهجه لمصير السودان .. ومؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه الذى كان من أبرز الوجوه الوطنية فى مستهل حركات النضال حينما كان مهندساً بالسكة الحديد بعطبرة ولعل سلوك محمود الصارم فى القضايا العامة وشجاعته العنيفة التى دفعته الى التخلّى عن الوظيفة هو نفس السياسى الذى جعل الحزب الجمهورى فى فتره من فترات الاحتلال عبارة عن جمعية إرهابية تضرب وتحرق ولكن فى سبيل المصلحة العامة بنوايا نقية وذمة طاهرة وشيئاً فشيئاً (تملص) عن محمود الأعضاء الذين يؤمنون (بالتقية) وجماعة (حب السلامة) وتركوه يناضل الإدارة البريطانية مع جماعة من الشباب المغامرين أمثال أمين صديق وغيره وقد تعرض محمود للسجن الطويل فى خصومات إيجابية مع الإنجليز منها حادث (الطهارة الفرعونية) فى رفاة وهو حدث اجتماعى رفعه محمود إلى مستوى المساس بالدين والوطن.

ولأن محمود زاهد فى المكاسب وراغب عنها فإن حزبه لم يدخل معارك السياسة فى غير النضال القومى العام وبالتالى لم يكن فيه من إغراءات الطموح السياسى ما يدفع الناس إلى عضويته الجافة من ماديّات الحياة والتى لا يقبلها الإنسان إلا إذا كان سيفه بيمينه وبطانيته على كتفه ليدخل السجن.

ملحق رقم (46)

خطاب الأستاذ محمود إلى رئيس نادى الخريجين بمدينة مدنى عندما أغلق النادى

(النص)

أمدردمان فى 1979/1/13

حضرة الاخ الكريم عبد الرحيم محمود أبو عيسى

رئيس نادى الخريجين بمدنى

وحضرات الإخوان الكرام أعضاء لجنة النادى الموقرة

وحضرات الإخوان الكرام أعضاء هذا النادى العزيز

تحية طيبة

إن ما حصل لناديكم لا يدعو إلى الاسف، ولا الحزن، كما قد يتبادر إلى الازهان، لدى
الوهلة الاولى، وإنما يدعو الى الاستبشار، والفرح، عند التأمل المستبصر.

لقد خرجت من ناديكم، فى الثلاثينات، الشعلة الاولى التى كانت نواة الحركة الوطنية
العظيمة التى انتهت الى إخراج الاستعمار الحسى - حكم الانجليز - من البلاد، فأحرزت
بذلك تحريرها.. وستخرج بهذا الصنيع البشع، من هذا القبيل الضائع، من ناديكم الشعلة
الثانية التى ستنهى الى إخراج الاستعمار المعنوى - الجهل بالدين - وتسلط هذا الجهل على
عقول أفراد شعبنا - من العقول بإذن الله، فيتم بذلك ما بدئ، فى مضمار التحرير، من
إحراز الاستقلال الصحيح.. لقد أراد الله بهذا النادى خيراً للمرة الثانية، وأراد ان يصل
ماضيه بحاضره فى خدمة رسالة الحرية فى هذه البلاد..

لقد ظللنا نحن الجمهوريين، ننبه دائماً إلى الخطر الذى يتهدد هذه البلاد من مؤامرة
الطائفية التى استغلت، وتستغل، الدين فى تضليل هذا الشعب لتسوقه، معصوب العينين،
باسم الله، وباسم الإسلام ليكون فى خدمة أغراضها الدنيئة.. ولقد ركزنا على تنظيم الإخوان
المسلمين كذليل للطائفية، كأسوأ تنظيم استغل الدين لأغراض الدنيا.. وما هذا المعرض الذى

أقمناه وتكرم ناديكم بفتح أبوابه له، وهو له أهل، إلا محاولة عملية جادة فى سبيل هذا التنوير الذى نضطلع به لشعبنا العزيز، وفى سبيل هذا التنبيه الملح، إلى خطر هذا القبيل المارق..

لقد طالما تحدثنا عن أن مساجد الله قد أصبحت ملوثة بجهالات رجال عقولهم خربة، ونفوسهم مريضة.. وهؤلاء الرجال هم اليوم أئمة الناس ومعلموهم الدين.. ولكن حديثنا كان يفتقر الشاهد المحسوس الملموس، على صدق النذير الذى يسوقه، فوجدناه اليوم بحريق هذا النادى العتيق، العزيز، وجدناه بصورة ستظل نموذجاً حياً فى أذهان الناس، كنذير بما ينتظر هذه الأمة، إذا ما قدر لها أن تُحكم باسم الإسلام، كما يفهمه هؤلاء الرجال الجهلة، ومريضو نفوس. إن هذا النموذج البشع الشائه، يجرى فى الوقت المناسب لينبهن العقلاء لدرء خطر الجهلاء قبل فوات الأوان.. هذا النموذج البشع لن يترك الناس لينسوه، وذلك ليكون لهم نبراساً، على ضوءه يدرجون إلى تقويض معاقل الجهل الذى يدبر الخيانة باسم الإسلام. الطائفية..

ونحن الذين وقفنا حياتنا، وقتنا ومالنا لاستنهاض الهمم لمقاومة هذا الجهل النشط الذى يستغل الدين فى تضليل الشعب، نطمع فى أن يجند أعضاء ناديكم أنفسهم لمواجهة هذا الخطر الداهم، ونطلب مثل هذا الطلب، الى جميع المثقفين فى جميع بقاع هذا البلد، الذى نعره ونفديه..

فأرجو أن يكون هذا الحادث البشع نقطة انطلاق لناديكم ولأندية الخريجين فى كل مكان، لتواصل المشوار الذى بدأته فى الثلاثينات فى محاربة الاستعمار الحسى، حتى تقضى على هذا الاستعمار الجاهل الذى يشل العقول باسم الله وباسم الإسلام..

وأخيراً هذا دور ناديكم، وهو دور يجب أن ينتظر له، وأن يتوقع، وهو دور مشرف، كل التشريف!! ألا ترضون أن يكون ناديكم قد فدى البلاد، والأمة، فساق لها هذا النذير العريان، الذى يعصمها من أن تسير معصوبة العينين إلى حظيرة هذا الجهل الاسود؟؟

أخيراً لكم جميعاً تحيتى وودى

المخلص

محمود محمد طه

ملحق رقم (47)

منشور "هذا...أو الطوفان"⁽¹⁾!!

(واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة .. واعلموا أن الله شديد العقاب)،
صدق الله العظيم

الإخوان الجمهوريون، أمدرمان، 25 ديسمبر 1984، الموافق 2 ربيع الثاني 1405 هـ

(نص المنشور)

غابتان شريقتان وقفنا، نحن الجمهوريين، حياتنا، حرصا عليهما، وصونا لهما، وهما الإسلام والسودان .. فقدمنا الإسلام في المستوى العلمى الذى يظفر بحل مشكلات الحياة المعاصرة، وسعينا لنرعى ما حفظ الله تعالى على هذا الشعب، من كرايم الأخلاق، وأصايل الطباع، ما يجعله وعاء صالحاً يحمل الإسلام إلى كافة البشرية المعاصرة، التى لا مفازة لها، ولا عزة، إلا فى هذا الدين العظيم ..

وجاءت قوانين سبتمبر 1983، فشوهت الإسلام فى نظر الأذكىاء من شعبنا، وفى نظر العالم، وأسأت إلى سمعة البلاد.. فهذه القوانين مخالفة للشرعية، ومخالفة للدين، ومن ذلك أنها أباحت قطع يد السارق من المال العام، مع أنه فى الشرعية، يعزر ولا يحد لقيام شبهة مشاركته فى هذا المال.. بل إن هذه القوانين الجائرة أضافت إلى الحد عقوبة السجن، وعقوبة الغرامة، مما يخالف حكمة هذه الشرعية ونصوصها .. هذه القوانين قد أذلت هذا الشعب، وأهانته، فلم يجد على يديها سوى السيف، والسوط، وهو شعب حقيق بكل صور الإكرام، والإعزاز .. ثم إن تشاريح الحدود والقصاص لا تقوم إلا على أرضية من التربية الفردية ومن العدالة الاجتماعية، وهى أرضية غير محققة اليوم ..

إن هذه القوانين قد هددت وحدة البلاد، وقسمت هذا الشعب فى الشمال والجنوب وذلك بما أثارته من حساسية دينية كانت من العوامل الأساسية التى أدت إلى تفاقم مشكلة

(1) هذا هو المنشور الذى بموجبه تمت اعتقالات الإخوان الجمهوريين والأخوات الجمهوريات، وبموجبه تمت المحاكمة بالإعدام شتقاً حتى الموت على الأستاذ محمود وأربعة من تلاميذه.

الجنوب.. إن من خطئ الرأي أن يزعم أحد أن المسيحي لا يضار بتطبيق الشريعة.. ذلك بأن المسلم فى هذه الشريعة وصى على غير المسلم، بموجب آية السيف، وآية الجزية .. فحقوقهما غير متساوية .. أما المواطن ، اليوم ، فلا يكفى أن تكون له حرية العبادة وحدها، وإنما من حقه أن يتمتع بسائر حقوق المواطنة، وعلى قدم المساواة، مع كافة المواطنين الآخرين.. إن للمواطنين فى الجنوب حقاً فى بلادهم لا تكفله لهم الشريعة، وإنما يكفله لهم الإسلام فى مستوى أصول القرآن (السنة) .. لذلك فنحن نطالب بالآتى:

1- نطالب بإلغاء قوانين سبتمبر 1983، لتشويهها الإسلام، ولإذلالها الشعب، ولتهديدها الوحدة الوطنية..

2- نطالب بحقن الدماء فى الجنوب، واللجوء إلى الحل السياسى والسلمى، بدل الحل العسكرى. ذلك واجب وطنى يتوجب على السلطة، كما يتوجب على الجنوبيين من حاملى السلاح. فلا بد من الاعتراف الشجاع بأن للجنوب مشكلة، ثم لا بد من السعى الجاد لحلها..

3- نطالب بإتاحة كل فرص التوعية، والتربية، لهذا الشعب، حتى ينبعث فيه الإسلام فى مستوى السنة (أصول القرآن) فإن الوقت هو وقت السنة، لا الشريعة (فروع القرآن) .. قال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غربياً ، وسيعود غربياً ، كما بدأ ، فطوبى للغرباء - قالوا: من الغرباء يا رسول الله؟؟ قال: الذين يحيون سنتى بعد اندثارها). بهذا المستوى من البعث الإسلامى تتحقق لهذا الشعب عزته ، وكرامته ، ثم إن فى هذا البعث يكمن الحل الحضارى لمشكلة الجنوب، ومشكلة الشمال، معاً ... أما الهوس الدينى ، والتفكير الدينى المتخلف ، فهما لا يورثان هذا الشعب إلا الفتنة الدينية ، والحرب الأهلية.. هذه نصيحتنا خالصة ، مبرأة، نسديها، فى عيد الميلاد، وعيد الاستقلال، ونرجو أن يوطئ لها الله تعالى أكتاف القبول ، وأن يجنب البلاد الفتنة، ويحفظ استقلالها ووحدتها وأمنها.. وعلى الله قصد السبيل.

أمدرمان، 25 ديسمبر 1984، 2 ربيع الثانى 1405هـ

الإخوان الجمهوريون

ملحق رقم (48)

نص وثيقة

نص خطاب من النيل عبدالقادر أبوقرون إلى الرئيس القائد (جعفر محمد نميري)

1984/12/29.

جاء في كتاب أصدره مركز الدراسات السودانية بعنوان: محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان: "أن صحيفة الأيام نشرت بتاريخ 1985/5/22 الوثيقة الإجرامية التالية وهي على ورقة رسمية لرئاسة الجمهورية ونصها"⁽¹⁾:

(نص الوثيقة)⁽²⁾

الأخ الرئيس القائد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المنشور المرفق وزعه الجمهوريون وقد قبض على ستة منهم وتم التحقيق معهم وسوف يقدمون للمحاكم وبهذا فقد أتاحوا لنا فرصة تاريخية لمحاكمتهم. وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. ولا شك أنها بداية لمسيرة ظافرة بإذن الله يتساقط دون هدفها كل مندرس باسم الدين وكل خوان كتوم ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفقكم الله لقيادة المسيرة الظافرة وإتمام نهج الله على آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن سار لسيرهم ونهجهم إنه سميع مجيب.

النيل عبدالقادر أبوقرون

6 ربيع الثانى 1305هـ

يوم السبت الموافق 1984/12/29

(1) حيدر إبراهيم على (تحرير وإشراف)، محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السوداني (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992، ص 140.

(2) كان الإخوان الجمهوريون قد اصدروا كتاباً جمعوا فيه هذه الوثائق، ووسموا كتابهم بـ: الوثائق تفضح التآمر.

تعليق نمیری علی الخطاب:

الحمد والشكر لله ولصفيه ورسوله محمد رسول الله والله أكبر على المنافقين.

نمیری

(تاریخ نفس الیوم)

ملحق رقم (49)

نص وثيقة

نميرى وثالث القصر ودجاليه وكهنته يحكمون على الجمهوريين قبل المحكمة

جاء فى كتاب أصدره مركز الدراسات السودانية بعنوان: محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان: "وثيقة تأمر جنائى نشرتها جريدة الأيام بتاريخ 1985/5/26 ونصها"⁽¹⁾:

(نص الوثيقة)

الأخ عوض الجيد والنيل والأخت بدرية

سلام الله عليكم

آخر هوس الإخوان الجمهوريين هذا المكتوب "الردة بعينها" أرجو الاطلاع ومعمكم الأخ بابكر. سأجتمع بكم للتشاور فى الأمر إنشاء الله بعد أن نكونوا على استعداد.

أخوكم جعفر محمد نميرى

8 جمادى الأولى 1304

وردت الإشارة أدناه فى كتاب: محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان، الذى نشره مركز الدراسات السودانية.

تعليق للجمهوريين:

(هكذا يخطئ إمام الدجالين فى كتابة إن شاء الله، وفى التاريخ الهجرى وهو 1404 هـ مما يدل على جهل إمامهم المطبق).

(1) حيدر إبراهيم على (تحرير وإشراف)، محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992، ص 141.

ملحق رقم (50)

بيان الهيئة النقابية لأساتذة جامعة الخرطوم بتاريخ 1985/1/1

(نص البيان)

نخاطبكم و البلاد تمر بفترة من أخرج فترات تاريخها الحديث و أحلكها، نخاطبكم فى وقت ديست فيه حرية الفكر، و أذلت فيه أعناق الرجال و ارتخصت فيه حياة المفكرين .

فى أسس الأول 1985/1/8 الموافق 1405/4/16 هـ أصدر قاضى محكمة جنابات أمدرمان رقم ٤ حكماً بالإعدام شتقاً حتى الموت على الأستاذ محمود محمد طه و أربعة من الجمهوريين، وقد جاء فى حثيات الحكم التى تناقلتها أجهزة الإعلام المختلفة أن حكم الإعدام هذا سيكون عظة لغيرهم ممن أسماهم القاضى بمشبرى "الفتنة" و هذا فى رأينا هو المقصود بأمر المحكمة إبتداءً، لأن السلطة السياسية التى يأتز قضاة المحاكم الجنائية بأمرها ظلت تسعى إلى تكميم أفواه المفكرين و إسكات أصوات المعارضين بشتى الوسائل من حل لنقابات العاملين و تشريد و طرد من الخدمة و زج فى السجون، ثم بمحاكمات صورية لا تتوفر فيها أبسط مقومات العدالة. نونحن هنا بصدد إذلال الفكر و مصادرة حرية التعبير و ما ينتظر كل مفكر لا يرى رأى السلطة و قضائتها الذين يعملون وفق قانون الهيئة القضائية الأخير و ها هو النظام بعد أن تنكر للدستور يستل آخر ما فى جعبته من وسائل القهر و الإرهاب حكم الإعدام - فى مواجهة من يعارضونه سياسياً و يخالفونه الفكر ويرفضون الانصياع لرأيه فى أمور الدين و الدنيا.. و قد وقع نبأ حكم الإعدام على الجمهوريين الخمسة وقوع الصاعقة على كل من يحترم حرية الفكر و شجاعة الرأى. ولسنا بصدد تأييد أو معارضة رأى الأستاذ محمود محمد طه، فأدب الجمهوريين السياسى عمره أربعون عاماً و هناك من يرى رأيهم و هناك من يخالفهم، و لكننا بصدد الدفاع عن مبدأ ثابت تنهض عليه و تنمو شتى ضروب المعرفة الإنسانية، ألا وهو مبدأ حرية الفكر و الجهر به . فجريمة الأستاذ محمود و جماعته، أنهم أدلوا برأيهم فى أمور تهم أبناء هذا الوطن: مدى مطابقة قوانين سبتمبر 1983 للشريعة الإسلامية و مدى مخالفتها للدستور

البلاد. وهم بهذا إنما يمارسون حقاً يكفله دستور البلاد وتحترمه المواثيق الدولية والأعراف السياسية المتحضرة فأى جرم هنا يستحق الإعدام شنقاً؟ إننا نقف بجانب حق الأستاذ محمود محمد طه وحق كل مواطن فى الإدلاء برأيه والجهار بفكره خاصة فيما يتصل بقضايا الوطن وحقوق المواطنين الدستورية ، فلا باب الاجتهاد فى أمر الدين و أمر السياسة قفل، ولا رأى النظام فى الأمرين نهائى ومقدس " أهـ .

ملحق رقم (51)

مذكرة نقابة المحامين إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 1985/1/12

" وقد تلقينا مع أبناء شعبنا أجمعين صدمة الحكم الذى أصدرته محكمة الجنايات بأمرمان بإعدام المتهمين فى القضية المعروفة (حكومة السودان ضد محمود محمد طه وآخرين). و ما كنا صادقين فى كتابنا هذا عن تجاوز لإجراءات التقاضى و درجاتها الاستثنائية غير أن المتهمين فى هذا البلاغ قد أفصحوا منذ البداية عن رفضهم التعاون مع هذه الهياكل التى استحدثت ضمن تشريعات سبتمبر 1983 ، الشئ الذى نعتبره رداً مشروعاً من أشكال رد المحكمة ، و لا نملك إلا أن نحترمه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الأمر برمته يخرج عن مجرد كونه علاقة إجرائية بين متهمين و قضائهم ، ليشكل فى الأفق العريض الذى ظللنا نخاطبكم بشأنه ألا وهو (قضايا الحريات العامة والحقوق الأساسية للمواطنين و ما يرتبط بها من قضايا سيادة حكم القانون و استقلال القضاء ؟!) -"

و تسمى المذكرة موضحة " و قد جاءت المحاكمة الأخيرة للمتهمين المذكورين لتؤمّن على صحة المحاذير و الإنتقادات التى وجهناها لذلك القانون فى حينها .. و لعلها لم تكن المحاكمة الوحيدة فى ذلك الصدد ، غير أنها كانت الوحيدة التى عبر فيها المتهمون صراحةً عما ظل يلاك همساً وظللنا نحذر منه .. فقد رفضوا بادئ ذى بدء التعامل مع هذه المحاكم ، مؤسسين رفضهم هذا على انتقادات عنيفة لقضائهم فنياً و أخلاقياً ، الشئ الذى لم يشهد تاريخ القضاء فى بلادنا مثلاً له .

وما كان ذلك ليكون لولا أن قانون الهيئة المستحدث وما ترتب عليه من ممارسات لم يستطع أن يقنع أحداً ، بأن ثمة قدراً - ولو ضئيل - من العدالة و الحيدة و النزاهة يمكن أن يتحقق فى ظلّه ."

واختتمت نقابة المحامين مذكرتها بقولها " فإن هذا الخطاب لا يندرج ضمن أى شكل من أشكال الاستئناف أو الاسترحام لكون إرادة المتهمين قد انصبت على رفض هذا ، بل

صرخة ضمير حى، و نداء أحرار من الموقع المستقل الذى لا تتعلق به شائبة هوى أو غرض، نرفعه لسيادتكم ونحن ندق ناقوس الخطر الذى يتهدد مصير الأمة، وعقائد المواطنين، ومستقبل الوحدة الوطنية مطالبين أكثر من أى وقت مضى بإلغاء قانون أمن الدولة وكافة القوانين المقيدة للحريات، وكذلك تصفية المعتقلات وإطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين وفتح أبواب الحوار الوطنى على مصارعها دون قيد أو شرط، تأكيداً لمبدأ الشورى حتى نستطيع أن نتكاتف أجمعين لأجل تجنب بلادنا مهاوى الفتنة..".

ملحق رقم (52)

بيان من سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني

المصدر: الإخوان الجمهوريون، ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود، أمدردان، 1985،

ص 5-6.

اجتاحت البلاد موجة مشروعة من الغضب والاستهجان على حكم الإعدام بحق الأستاذ محمود محمد طه و زملائه من قادة الجمهوريين... واستنكر أهل السودان على اختلاف مشاربهم، استهتار نيمرى و أعوانه بأبسط قيم العدالة فى المحاكم الميدانية والإيجازية التى أسموها محاكم عدالة إسلامية ناجزة! فالجمهوريون لم يفعلوا أكثر من استعمال حقهم كمواطنين، و عرضوا وجهة نظرهم من منطلقات إسلامية، و من موقع التعاطف مع السلطة، وتقدموا بنصيحة للسلطة لإلغاء تشريعات سبتمبر 1983، وحل مشكلة الجنوب حلاً سياسياً حسب ما جاء فى منشورهم فأى عدالة سماوية أو وضعية تبيح تقديمهم للمحاكمة تحت حشد من مواد القانون الوضعى الرجعى فى آن واحد، ثم يصدر الحكم ضدهم شرعياً حدياً بالتكفير والإعدام؟

إن حكم الإعدام على الفكر السياسى، هو الثمرة المرة للتجارة بالدين واستخدام الإسلام واجهة لتسلط حكم الفرد، وبعث لأكثر تاريخ صفحات الدولة الإسلامية سواداً حيث يكفر الحاكم معارضيه السياسيين ويستبيح دماءهم. ويتسابق علماء السوء و قضاة الضلالة فى تديب الفتاوى والأحكام لتبرير استبداد الحاكم. هذا ما يمارسه فى السودان اليوم جعفر نيمرى والإخوان المسلمون و بطانة الشعوذة و الدجل من أمثال أبو قرون والمهلاوى، و بتشجيع من حكام السعودية وخدامهم من المتفعين بمذهب الوهابية. لكنهم تناسوا فى غمرة تعطشهم لدر معارضيتهم أن الرأى العام السودانى المستنير قبر محكمة الردة التى عقدوها عام 68 لتكفير الأستاذ محمود محمد طه .. اهـ

ملحق رقم (53)

بيان السودانيين المقيمين بالكويت

إدانة تنفيذ حكم الإعدام فى الأستاذ محمود محمد طه وأحكام الإعدام ضد أربعة آخرين

(نص البيان)

نحن السودانيين المقيمين بالكويت، انطلاقاً من مبدأ الدفاع عن حرية الفكر وحق المواطن المشروع فى التعبير عن آرائه السياسية ودفاعاً عن مبدأ استقلال القضاء، وحق المواطن فى محاكمة عادلة، ندين ونستنكر حكم الإعدام الذى نفذ فى المفكر الإسلامى الأستاذ محمود محمد طه رئيس حزب الجمهوريين بالسودان، والبالغ من العمر 76 عاماً "علماً بأن المادة 247 (أ) من قانون الإجراءات الجنائية السودانى لعام 83 تنص على عدم جواز تنفيذ حكم الإعدام على من تجاوز السبعين عاماً من عمره".

ونحن نناشد الحكومة الكويتية الموقرة وجمعيات النفع العام الكويتية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ومنظمة الوحدة الأفريقية والنقابات والاتحادات العربية ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية العربية منها والدولية، التدخل الحاسم والسريع من أجل وقف تنفيذ حكم الإعدام الصادر بحق المواطنين السودانين المسلمين، عبد اللطيف عمر، محمد سالم بعشر، تاج الدين عبد الرازق، وخالد بابكر حمزة والذى سينفذ بتاريخ 1985/1/20.

ومن منطلق المسئولية الوطنية والقومية والإنسانية نبدى قلقنا الشديد من أن الغرض الأساسى من هذه المحاكمات الصورية هو الإرهاب السياسى والفكرى، وهو بذلك يستهدف أمن وسلامة كل معارض ومفكر، وينذر بالفتنة وعدم الاستقرار ويتنافى مع مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء".

ملحق رقم: (54)

مذكرة عبد الله على إبراهيم إلى الناحيين الخريجين في العاصمة القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة في القانون الجنائي، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفى طه الكباشى، قاضى محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب إيدائه لمخالفه فى الرأى.

(نص المذكرة)

■ دفاعا عن حرية الفكر

■ وضد مادة الردة فى القانون الجنائى وكل القانون

هذه المذكرة اقترح مقدّم من الدكتور عبدالله على إبراهيم المحاضر بجامعة الخرطوم الى الناحيين الخريجين فى العاصمة القومية بصدد مقاومة مشروع القانون الجنائى المعروض على الجمعية التأسيسية.

وتركز المذكرة بوجه خاص على مادة الردة من القانون (المادة 129) بوصفها المادة الأكثر اعتداء على ممارسة الفكر وحريةته والأكثر استفزازاً لخريجين يعولون على تلك الممارسة والحرية لخدمة وطنهم وأهلهم. والمذكرة مذبلة ببطاقة معنونة يوقع عليها الخريج متى ما اقتنع اجمالاً بسداد وجهة المذكرة. وستسلّم المذكرة مع التوقيعات الى السادة نواب الخريجين عن العاصمة القومية لكى يستنبروا بها فى المناقشات الدائرة حول المشروع ويعملوا بمقتضاها خلال التصويت. والله نسأل السداد، ونصرة الحق، وكسر شوكة الوصاة والظلمة.

السيدة/ سعاد الفاتح والسيدان/ محمد يوسف محمد وإبراهيم أحمد عمر نواب الخريجين عن دوائر العاصمة القومية:

نتابع باهتمام مشوب بالخذر والإشفاق مناقشات مشروع القانون الجنائى الجديد فى مجلس الوزراء والترتيبات الجارية لعرضه على الجمعية التأسيسية. ويزعجنا حقاً أن

جماعة من المسلمين فى الجبهة القومية الإسلامية، وفى ملابس خيبة وتفكك سياسيين مؤسفين، تسعى للمرة الثانية فى أقل من عقد من الزمان لفرض مفهومها الخاص للإسلام كقانون عام. وهو مفهوم لم يخرج عن وصف العالم المسلم فضل الرحمن لمفاهيم مماثلة له بـ "إسلام الأدب". ولم يحل بين هذه الجماعة وغرضها أنها ما تزال تتعثر فى بيان دورها فى إنشاء وتنفيذ تشريعات 1983 النيمرية. ولقد ساءنا بالفعل ان التزام حكومة الوفاق القائمة بإجازة القوانين البديلة لقوانين 1983 قبل الخريف قد كاد ينتهى بوضع مشروع القانون الجنائى الى نوع سرية فى الأداء التشريعى مفروغ أن لا مكان له فى بلد ديمقراطى.

لقد أسفنا كخريجين، لنا فى المساهمة بالرأى مزيج من الكبرياء والحس بالواجب، أن يخيل لواضعى المشروع أن بوسعهم ان يباغتنا بإجازة قانون أساسى كالقانون الجنائى فى سباقهم لتنفيذ خريف الوفاق السياسى الحاكم. وظلت حكومة الوفاق تصمى آذانها عن تذكير أفراد وجماعات جليلة الرأى بفساد خطتها فى تطبيق قانون جنائى مسنود باجتهد حزبى ضيق وما سيجره ذلك من كساد فى قوام وروح الوطن كساداً يؤذن بذهاب ريعه.

ونعد - كخريجين - تضمين المادة 129 عن الردة فى مشروع القانون الجنائى استفزازاً كبيراً. لقد كرمنا الوطن بصوت انتخابى زائد على صوت المواطنة الأصيل تفويضاً منه لنحرس الفكر وحرية الرأى. ونعد قول القائلين فى باب الطمأنينة أن الردة فى مشروع القانون قد عرفت بأوسع تعريفات الفقه الإسلامى وأنها محايدة فى الصراع السياسى إساءة غير متحفظة لعقلنا وخبرتنا ووجداننا، فلم يكن لتهمة الردة هذا الحياد فى واقع الخلاف بين المسلمين. فقد تعرض رجال اختلفت ممارساتهم للإسلام من أمثال الإمام ابن حنبل، والصوفى الشهيد الحلاج، وشيخ أهل السنة ابن تيمية لإحن ومساءلات فى نفاء إسلامهم فقط حين تآزرت عليهم ملابس سلطوية متعينة فى التاريخ، وعلاوة على ذلك لم يتفق للإسلام بعد آلية مجمع عليها حول محتوى واجراءات الردة والتكفير. فلا تزال بعض مدارس الحنفية تنكر قول من اتهم الحلاج بالردة وتبرأ من مقتله.

ولم تكن تهمة الردة محايدة سياسياً فى واقعنا فى السودان منذ استحدثت بشكل غوغائى فى عام 1968. ما كانت الردة تهمة فى القانون القائم عام 1968، ولكن جماعة

دينية، بعضهم من أسلاف واضعى مشروع القانون الجنائى، أخذت القانون فى يدها وحاكمت الأستاذ محمود محمد طه بالردة لتصفية خلاف فكرى وسياسى نشأ بينهما وبينه وهو خلاف ذو أصول فى الظاهرة الإسلامية بشكل عام. ولم يمنع كون الردة لم تكن مادة مضمنة فى قوانين سبتمبر 1983 أيضاً من أن يحاكم بجريرتها نفس الشيخ، وتديق عنقه، ويزرى بحواريه ويرغمون على التكرار لمعلمهم وعلى لحس عقائدهم المؤتلة امام الملأ. وهذا باب فى التعصب والملاحقة والترصد فى الدرجة السفلى من السياسة ذاتها. ولذا نرى فى تخصيص مادة للردة فى مشروع القانون الجنائى تدبيراً سياسياً ينذر بأوخم العواقب على نطاق الآراء والاجتهادات فى بلدنا، وغاية ذلك التدبير تعطيل التسامح الفكرى ومنع تخصيب الآراء بعضها البعض فى لقاح نير.

لقد حسبنا بحسن نية أن بشاعة تنفيذ حكم الردة فى الأستاذ محمود مما يعلمنا جميعاً بعدم جدوى البطش بالرأى، وأملنا أن يراعى بعض الدعاة الاسلاميين حساسيتنا لهذه المسألة كأهل رأى يعتدون بقيمة الفكر ومنزلته فى نهضة الوطن، وأن لا يفجعونا باستعلائهم الفكرى مرة بعد مرة وبخاصة وأكثرنا ما تزال تؤرقه غفلته حين لم ترتب بالقدر الكافى فى قوانين سبتمبر حتى خرجت علينا بشار المشائق المر وأنوف الاستتابة الراجمة. ووددنا أن لا نضطر إلى القول أن الذى يريد طمأننتنا الى قلة خطر المادة 129 عن الردة فى المشروع الجديد قد يتحوّل بالزمن إلى معتاد إجرام فكرى.

إننا لنربأ بأنفسنا أن يتوسّل متوسّل بالردة ليكون وصياً على توقنا للحقيقة ومناهج بحثنا عنها ونتائج ذلك البحث. لقد تأهلنا، وعلى نفقة الدولة السودانية غالباً، فى شتى ضروب المعرفة تأهيلاً يلزمنا بإسقاط كل معرفة قبلية قبل بدء فحصنا وتحليلنا وتشريحنا للظواهر والعمليات الطبيعية والاجتماعية لإكتشافها وبلوغ حقائقها وقوانينها. وليس هذا الإسقاط تحللاً، فمناهج العلم والنظر الإبدعى جيدة التأسيس على أقباس من خلق النبوة فى الفطانة والأمانة والتبليغ.

وعليه فقد أصبح الشك العلمى بعض عدة شغلنا. وهو شك لن نسمح لأحد أن يفسره برقة الدين أو بالاستخذاء أمام الفرجة ليعرضنا للمساءلة حول صحة العقيدة. إننا

ثمرة تورط عريض بالعالم. وهو تورط لا منجاة منه ولا غنى عنه إلا بدفن الرؤوس الصغيرة فى الرمال العميقة. لقد اشتبكنا بالعالم لأن ما فى ذلك مناص. ولقد حملنا بالطبع الى خضم هذا الاشتباك هويتنا الاسلامية لتتجمر فى ابتلاءاته ووعائته فتصفو وتذكو. وهذه هى الشجاعة الوحيدة الممكنة الآن. أن حاجة بعضهم الى استئان مادة الردة هى خلود إلى طمأنينة مزيفة، وتخفيض للإسلام لصبح ملة قوم من الخائفين لبنى الركب، وفرار من احتمالات اللقاء بالعالم. وهذا هو الجبن الوحيد الممكن الآن أيضا.

وعليه فعرض طرائقنا فى التحرر، وبلوغ النتائج، وتعميمها على مفتشى العقيدة هى سبة سنعمل أن لا تفشو فى بلدنا الذى لم يبدأ بعد اكتشافاته المثيرة لهوياته وإمكاناته المادية والروحية فى عالم طموح عجيب.

نتوجه بهذه المذكرة الى حضراتكم للوقوف بقوة ضد مشروع القانون الجنائى البديل وضد المادة 129 المتعلقة بالردة منه على وجه جدى. وربما اضطرركم هذا الموقف الى مفارقة التزام خاص أو رأى شخصى ولكن مزية الديمقراطية هى هذا التسامى من أجل سداد التمثيل الانتخابى. وستكون استجابتكم لمطلبنا ممارسة مميزة للديمقراطية تجدد حسن الظن بكم والذى حملكم الى مقاعد الجمعية التأسيسية. والأهم من ذلك أن هذه الممارسة ربما أعادت لدوائر الخريجين ألقها وقدوتها السياسيين اللذين بدأت بهما فى باكر تجربتنا البرلمانية قبل أن تندرج ضمن التراكبات الحزبية العادية. إننا لنأمل أن تقفوا معنا ضد المادة 129 لنأمن فى شغلنا الفكرى والعلمى والوطن من شرور التطرف والتسلط وغلو الوصاة.

إلى السيدة/ سعاد الفاتح والسيدان/ محمد يوسف محمد وإبراهيم أحمد عمر

لقد أطلعت على المذكرة المرفوعة إليكم بشأن المادة 129 عن الردة فى مشروع القانون الجنائى المعروف أمامكم فى الجمعية التأسيسية. وإننى لأتفق اجمالا مع المذكرة وأدعوكم للتصويت ضد القانون بشكل عام وضد مادة الردة منه بالتحديد ولكم تقديرى.

الاسم: المهنة:

المؤسسة التعليمية والدرجة العلمية وسنة التخرج:

التوقيع:

بعد ملء الإستمارة الرجاء إرسالها إلى العنوان التالى:-

د. عبدالله على ابراهيم

معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية / جامعة الخرطوم

ص.ب: 321 الخرطوم.

رسالة موجهة إلى اساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين الدكتور المكاشفى طه الكباشى قاضى محكمة الردة 1985 بإحدى الجامعات السعودية

نداء لتنحية الدكتور المكاشفى طه الكباشى عن التدريس والبحث بالجامعات بسبب
إيذائه لمخالفه فى رأى

حكمت محكمة الإستئناف الجنائية فى 1985 على الأستاذ محمود محمد طه (76 سنة) وأربعة من أتباعه⁽¹⁾ وقضت بتوبيتهم والإقلاع عن اجتهادهم الإسلامى أو مواجهة الموت. وقد ترأس الدكتور المكاشفى طه الكباشى المحكمة التى قضت بذلك الحكم. والمعروف أن الأستاذ محمود مفكر إسلامى جليل ذو دعوة عصرية للإسلام انتظم فيها الفقه الإسلامى، وإشرافات الصوفية، وأقباس مستجدة فى العدالة الاجتماعية. وهى دعوة ناصبها الأخوان المسلمون، وهم عصابة الدكتور الكباشى، العداء الجدى.. وعلى كل فقد انتهج الأستاذ محمود فى دعوته وسائل التبليغ والحوار عبر حركة نشطة وحلقات نقاش حية يديرها دعاة حاذقون.

رفض الأستاذ محمود أن يقلع عن آرائه نزولاً على حكم المحاكمة. ولذا دقت عنقه فى 18 يناير 1985. واختار تلامذته التوبة على الموت. وقد لعب الدكتور الكباشى دوراً مميزاً فى استنابة هذا النفر فحاصرهم حتى أقلعوا عن أفكارهم وضيق عليهم حتى أدانوا أستاذهم القتل. وقد عرضت جلسات الاستنابة هذه على الملأ فى التلفزيون. وكانت من البشاعة بحيث وصفها مشاهد مروّع بأنها وكأنها بعض فيلم من إخراج المخرج الإيطالى فلىنى. لقد كانت تلك الجلسات المذاعة بحق إهانة لمفهوم السودانين عن حرمة الإنسان والأفكار.

(1) حكمت عليهم بالردة عن الإسلام.

لقد التحق الدكتور الكباشى بعد ذلك بهيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض كأستاذ مساعد فى كلية القانون والشرية. وإننا نعتقد أن سجل الدكتور الكباشى فى التخلص من خصومة الفكرين وإرهابهم حتى يلفظوا عقائدهم لا يؤهله لعضوية أى هيئة تدريس فمن الصعب أن نتوقع من الدكتور الكباشى، الذى لا يحتمل خصومة الرأى، أن يقبل من طلابه اعتناق آراء غير التى يعتقدها هو ناهيك عن مكافأتهم على مثل هذه الجسارة الفكرية. وبناء عليه فالدكتور الكباشى قاصر عن كل مطلوب فى المعلم والباحث. وعليه فإننا نناشدكم الكتابة لمدير جامعة الملك سعود معترضين على تعيين الدكتور المكاشفى بالجامعة وأن تسألوه إبعاده من كل وظائف التدريس والبحث. وسنكون ممنونين جداً إذا مررتم هذه المناشدة إلى كل المنظمات العلمية التى تشغلها قضايا حرية الفكر وتنفض للجرائم الموجهة ضدها.

A CALL TO REMOVE DR. AL-KABBASHI

REASONS OFFENSES TO HUMANITY

In 1985 Mahmud Mohammad Taha (76 years) the Islamic reformer, and four of his disciples were indicted for apostasy and sentenced to repent and recant their views on Islam or face death. Dr. Al- Makashfī Taha Al-Kabbashi presided over the Criminal Court of appeal that passed the sentence. Mr. Taha was a highly respected Islamic thinker who advocated a modern interpretation of Islam in which he blended Islamic law, Sufism and contemporary notions of social justice. His views were antithetical to the views of the Muslim Brothers to whom Dr. Al-Kabbashi either belongs or sympathizes. Mr. Taha's ideas were spread through non-violent means in vigorous pamphleteering activity and lively discussing circles conducted by his devoted followers.

Mr. Taha refused to recant his ideas and was executed on the 18th of January 1985. His disciples chose repentance rather than death. Dr. Al-Kabbashi was again active in encouraging the disciples to repent and in bullying them into denouncing Mr. Taha. The recantations were videotaped and broadcast on

national T.V. To a dismayed viewer the recantation came straight from a Fillini film. They were an affront to Sudanese notion of person and the worth of belief.

Dr. Al-Kabbashi has since joined the staff of King Saud University in Riyadh as an associate professor in the Law school. We believe that Dr. Al-Kabbashi's record in eliminating intellectual rivals and pressuring them into disgorging their ideas disqualifies as a staff member. Because he does not stand a controversy, Dr. Al-kabbashi is unlikely to encourage or reward his students for holding a competing perspective with his own. Dr. Al-Kabbashi falls short of the professional and ethical requirement of a teacher and a researcher.

We ask you, hence, to write to the Vice-Chancellor of king Saud University expressing your objection to Dr .Al- Kabbashi?s appointment and to request the Vice-Chancellor to remove him from all teaching and research functions. We would be very much obliged if you would kindly pass this note to all relevant associations of concerned scholars.

Letters objecting to Al-Kabbashi's appointment may be sent to
Vice-Chancellor
King Saud University
Riyadh
Saudi Arabia

ملحق رقم: (55)

خطاب من المؤلف إلى الأمين العام لدار الوثائق القومية السودانية بشأن جريدة الجمهورية، لسان حال الحزب الجمهورى، والتي صدرت فى منتصف الخمسينات

السيد/ الأمين العام الموقر

دار الوثائق القومية - الخرطوم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،،

الموضوع: جريدة الجمهورية الصادرة فى منتصف الخمسينات من القرن الماضى

أود إفادتكم بأننى سبق وأن طلبت فى قاعة الباحثين بدار الوثائق الاطلاع على جريدة الجمهورية المشار إلى فترة صدورها أعلاه، وجاءنى الرد شفهاً بأنها غير موجودة. وفيما بعد لاحظت أن هناك إشارة لها فى كتابى البروفيسور قاسم نور، الأول: مصادر الدراسات السودانية، (4 أجزاء)، والكتاب الثانى: معجم المؤلفين السودانيين، (3 أجزاء)، الذى صدر عام 2012، فاتصلت بالبروفيسور قاسم مستفسراً عن المصدر الذى اعتمد عليه فى إشارته لجريدة الجمهورية، فأكد لى بأنه قد اطلع عليها فى دار الوثائق القومية. الأمر الذى جعلنى أرجح أن تكون الجريدة موجودة بدار الوثائق، ولكن وبسبب صغر حجم مجلداتها نسبة لقصر فترة صدورها، قد تكون غابت عن الأعين فى مستودع الدوريات.

عليه، أرجو شاكرًا التكرم بالتأكيد ما إذا كانت الجريدة موجودة فى دار الوثائق أم لا، حتى أتمكن من الاطلاع عليها أو البحث عنها فى أماكن أخرى.

وتفضلوا بفائق الشكر والتقدير والاحترام

التاريخ: 2012/8/23

مقدم الطلب

عبدالله الفكى البشير



باحث فى شؤون الفكر والثقافات السودانية

البريد الإلكتروني: abdallaelbashir@gmail.com

ملحق رقم (56)

رد دار الوثائق القومية على خطاب المؤلف بشأن جريدة الجمهورية لسان حال
الحزب الجمهورى، والتي صدرت فى منتصف الخمسينات من القرن الماضى
جاء الرد من مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإجابة متضمناً تعليق الأمين العام لدار
الوثائق القومية السودانية

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ: 2012/8/26م

السيد / الأمين العام لدار الوثائق القومية

المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع / جريدة الجمهورية الصادرة فى الخمسينات

بالإشارة للموضوع أعلاه ، أرجو أن أوضح أن الباحث عبد الله الفكى البشير
طلب الصحيفة المذكورة ورجعنا للصحف المسجلة لدينا حتى السبعينات ولم نجدها
ووجهناه لأرشيف الصحف بمكتبة السودان جامعة الخرطوم. وهو مانرجح أن
البروفيسور/ قاسم عثمان نور أطلع عليها هناك ومن ثم أخبره بأنه أطلع عليها بدار
الوثائق . أما الجمهورية الصادرة فى نهاية التسعينات فهي موجودة لدينا . وعطية
نأسف لعدم تمكننا من تلبية طلب الباحث هذا ماأزّم توضيحه .

وشكراً،،،

البشير لتجلى عثمان

مدير إدارة الحفظ وخدمات الوثائق بالإحلية

أطلع الباحث بمدرسة الدكتور البشير
أ- هذا ما أتمنى أن أبحث فيه
ب- سألته عن البحث فى
قوة القاهرة الأثرى فطلع فى
عندما لا يجد فى السودان
لدى
14/8/2012

قائمة المصادر والمراجع

■ قائمة مؤلفات الأستاذ محمود محمد طه

1- الكتب

2- بعض البيانات والخطابات والمخطوطات والمحاضرات والندوات

■ الكتب العربية

■ الكتب الأجنبية

■ الدوريات العربية

■ الدوريات الأجنبية

■ المحاضرات والندوات والجلسات وحلقات النقاش

■ الرسائل الجامعية

■ المراسلات والخطابات الخاصة

■ المقابلات Interviews

■ المواقع على شبكة الإنترنت Websites

(1) المصادر والمراجع كلها مرتبة ترتيباً هجائياً عدا مؤلفات الأستاذ محمود. فقد خصصت قائمة بمؤلفات الأستاذ محمود، باعتبارها أهم مصادر دراستي. وقد رتبته حسب تاريخ نشرها سواء الكتب أو ما استعنت واستفدت منه من البيانات والخطابات والمحاضرات والندوات. برغم أنني لم أستعن بكل كتب الأستاذ محمود وإنما استعنت ببعضها، إلا أنني وكما أشرت في متن هذا الكتاب أنني سأورد كل كتب الأستاذ محمود ضمن قائمة المصادر والمراجع لأهميتها وللفت الانتباه إليها، وما استعنت به من كتب الإخوان الجمهوريين، وهي كتب أعدت تحت إشرافه، فأوردت ما استعنت به من كتب الإخوان الجمهوريين ضمن قائمة المصادر والمراجع.

قائمة مؤلفات الأستاذ محمود محمد طه⁽¹⁾

1- الكتب (مرتبة حسب تاريخ صدور الطبعة الأولى)

محمود محمد طه، السفر الأول، ط1، أمدرمان، أكتوبر 1945.

محمود محمد طه، قل هذه سبيلي: الاقتصاد، الاجتماع، التعليم، المرأة، ط1، دار الطباعة السودانية، الخرطوم، 1952.

Mahmoud Mohamed Tah, *Islam The way out, Khartoum*, 1952.

محمود محمد طه، أسس دستور السودان لقيام حكومة جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية، ط1، أمدرمان، ديسمبر 1955.

محمود محمد طه، محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الإسلام، ط1، أمدرمان، مارس 1960.

محمود محمد طه، رسالة الصلاة، ط1، أمدرمان، يناير 1966.

محمود محمد طه، طريق محمد، ط1، أمدرمان، مارس 1966.

(1) وردت الإشارة آنفاً بأبنى بصدد إعداد وإصدار بحث بعنوان: محمود محمد طه: دراسة بليومترية وثائقية تحليلية. وهويبحث يسعى لدراسة الإنتاج الفكرى للأستاذ محمود من حيث الكم والنوع، بغرض الرصد والحصروالوصف لخصائص ذلك الإنتاج وتحليله ودراسة طبيعته. لهذا سأكتفى هنا بإيراد الكتب وبعض البيانات والخطابات التى نشرها الأستاذ محمود، مما وردت الإشارة إليه فى نص هذا الكتاب.

محمود محمد طه، الرسالة الثانية من الإسلام، ط1، أمدرمان، يناير 1967.

محمود محمد طه، التحدى الذى يواجه العرب، ط1، أمدرمان، سبتمبر 1967.

محمود محمد طه، مُشكلة الشرق الأوسط، تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى، ط1، أمدرمان، أكتوبر 1967.

محمود محمد طه، محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى يقدم الدستور الإسلامى؟ نعم .. ولا، ط1، أمدرمان، يناير 1968.

محمود محمد طه، زعيم جبهة الميثاق الإسلامى فى ميزان: 1. الثقافة الغربية 2. الإسلام، ط1، أمدرمان، 1968.

محمود محمد طه، الإسلام برسائله الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين⁽¹⁾، ط1، أمدرمان، يناير 1969.

(1) فى الأصل هو محاضرة أقيمت فى ثمانية أماكن. وهى المحاضرة التى أثارت "كثيراً من اللغط ثم تصاعدت إلى مهزلة محكمة الردة". "أقيمت [المحاضرة] فى الجامعة [غير مبين اسم الجامعة، وربما كانت جامعة الخرطوم]، لأول مرة، وذلك فى يوم 1968/9/7، ثم بعد ذلك بشهرين، أقيمت فى معهد المعلمين العالى.. وذلك فى يوم 1968/11/11، ثم فى دار الحزب الجمهورى، بالمودة يوم 1968/11/14 ثم أقيمت بمعهد شبكات الزراعى، ثم بالكلية المهنية، ثم بالمعهد الفنى (الداخليات)، ثم... أقيمت بدار الحزب الجمهورى، وأقيمت بتادى موظفى الأبحاث الزراعية بمدنى.. اعتمد الكتاب على نص "المحاضرة التى قيلت بدار الحزب الجمهورى، بأمدرمان، فى يوم الخميس 1968/11/14". ويُعد هذا الكتاب، كما جاء فى تعريفه، هو "أول كتاب للحزب الجمهورى يخرج بلغة (الكلام)، باللغة العامية، وهو كتاب يعالج أصلاً أصيلاً من أصول الدين". المصدر: مقدمة الكتاب، ص 3-4، وصفحة الغلاف (هذا الكتاب).

- محمود محمد طه، بيننا وبين محكمة الردة، السفر الأول من سلسلة بيننا وبين محكمة الردة، ط1، شركة الطابع السوداني، الخرطوم، ديسمبر 1968.
- محمود محمد طه، أسس حماية الحقوق الأساسية، ط1، أمدرمان، مارس 1969.
- محمود محمد طه، لا إله إلا الله، ط1، أمدرمان، مايو 1969.
- محمود محمد طه، أسئلة وأجوبة: الكتاب الأول، ط1، أمدرمان، يناير 1970.
- محمود محمد طه، القرآن ومصطفى محمود والفهم العصري، ط1، أمدرمان، يناير 1971.
- محمود محمد طه، محمود محمد طه يدعو إلى تطوير شريعة الأحوال الشخصية، ط1، أمدرمان، يناير 1971.
- محمود محمد طه، خطوة نحو الزواج في الإسلام، ط1، أمدرمان، يناير 1971.
- محمود محمد طه، أسئلة وأجوبة: الكتاب الثاني، ط1، أمدرمان، نوفمبر 1971.
- محمود محمد طه، الثورة الثقافية، ط1، أمدرمان، مايو 1972.
- محمود محمد طه، تعلموا كيف تصلون، من سلسلة الثورة الثقافية، ط1، أربجي، مايو 1972.
- محمود محمد طه، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، ط1، أمدرمان، أبريل 1973.
- محمود محمد طه، الكتاب الثاني من سلسلة رسائل ومقالات، ط1، أمدرمان، مايو 1973.
- محمود محمد طه، الله نور السموات والأرض، ط1، أمدرمان، مايو 1973.
- محمود محمد طه، الإسلام وإنسانية القرن العشرين، ط1، أمدرمان، يوليو 1973.
- محمود محمد طه، الماركسية في الميزان، ط1، أمدرمان، أكتوبر 1973.
- محمود محمد طه، الإسلام والفنون، ط1، أمدرمان، مارس 1974.
- محمود محمد طه، الدعوة الإسلامية الجديدة، ط1، أمدرمان، سبتمبر 1974.
- محمود محمد طه، الدين والتنمية الاجتماعية، ط1، أمدرمان، ديسمبر 1974.
- محمود محمد طه، من دقائق حقائق الدين، ط2، أمدرمان، فبراير 1976.

محمود محمد طه، خيانة المثقفين⁽¹⁾، (كتاب مفقود).

محمود محمد طه، الديباجة، 30 أكتوبر 1984 (آخر نص كتبه الأستاذ محمود محمد طه في داخل المعتقل).

كتب الأستاذ محمود التي أعيدت طباعتها وصدرت بمقدمات كتبها بعض تلاميذه:

محمود محمد طه، الثورة الثقافية، ط 2، بدون تاريخ. (صدرت الطبعة بمقدمة كتبها عصام عبدالرحمن البوشى).

محمود محمد طه، التحدى الذى يواجه العرب، ط 2، أمدرمان، 1982. (صدرت الطبعة بمقدمة كتبها سعد عبدالله أبو نورة).

محمود محمد طه، 1. التحدى الذى يواجه العرب 2. مشكلة الشرق الأوسط: تحليل سياسى، استقراء تاريخى، حل علمى، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة، 2009. (صدرت هذه الطبعة متضمنة كتابين من كتب الأستاذ محمود بتقديم كتبه كل من: أسماء محمود محمد طه والنور محمد حمد)

محمود محمد طه، نحو مشروع مستقبلى للإسلام، ثلاثة من الأعمال الأساسية 1. الرسالة الثانية من الإسلام 2. رسالة الصلاة 3. تطوير شريعة الأحوال الشخصية، المركز الثقافى العربى/ دار قرطاس، بيروت/ الكويت، 2002. (صدرت هذه الطبعة متضمنة ثلاثة كتب من كتب الأستاذ محمود، وبتقديم كتبه كل من: أسماء محمود محمد طه والنور محمد حمد. وصدرت طبعة ثانية من المركز الثقافى العربى عام 2007، وطبعة أخرى من دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، عام 2012).

(1) وجدت أن الأستاذ محمود أشار إليه فى بيان أصدره ونشره بـ صحيفة أنباء السودان، الخرطوم، العدد 166، تاريخ 1958/11/1.

2- مؤلفات الأستاذ محمود:

بعض البيانات والمقالات والخطابات والمخطوطات والمحاضرات والتي استفدت منها في هذا الكتاب (مرتبة حسب تاريخ نشرها)

محمود محمد طه، "فقد صديق"، (مقال)، 8 مارس 1935.

محمود محمد طه، "المهندسون في رحلتهم"، (مقال)، 1935/12/21.

محمود محمد طه، بيان بدستور الحزب الجمهورى، ومذكرة تفسيرية للدستور، 26 أكتوبر من عام 1945.

محمود محمد طه، بيان عن مشروع قانون الخفاض الفرعونى، 10 ديسمبر 1945.

محمود محمد طه، "هذا نذير من النذر الأولى"، (منشور)، بتاريخ 1946/2/18.

محمود محمد طه، "البيان الذى ألقاه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهورى فى الاجتماع العام للحزب"، 1951/10/30، الخرطوم.

محمود محمد طه، بيان "فشل المسعى لالتقاء الحزب الاشتراكى الجمهورى والحزب الجمهورى لاختلاف المبادئ والوسائل"، 19 مارس 1952.

محمود محمد طه، خطاب من الأستاذ محمود إلى اللواء محمد نجيب، قائد ثورة 23 يوليو 1952، 1952/8/18.

محمود محمد طه، "الحركة الوطنية كما أريدها"، 1952/12/18.

محمود محمد طه، "خطاب إلى المحامى العام فى الباكستان بشأن دستور الباكستان والقرآن"، 1953.

محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: خطاب إلى الدكتور توريز بوديت، مدير عام منظمة اليونسكو"، جريدة صوت السودان، 1953؛ محمود محمد طه، "إعداد الإنسان الحر: الدكتور توريز بوديت مدير عام منظمة اليونسكو"، صحيفة الجمهورية، العدد الأول، الاثنين 1954/1/15؛ محمود محمد طه، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، أمدردمان، 1973.

محمود محمد طه، "تعقيب على تعليق الدكتور محمد النويهى"، 1953؛ محمود محمد طه، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، ط1، أمدردمان، أبريل 1973.

محمود محمد طه، خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس مصر، 3 سبتمبر عام 1955.

محمود محمد طه، خطاب من الأستاذ محمود إلى الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس مصر 18 أغسطس 1958.

محمود محمد طه، "الحزب الجمهورى يقدم دعائم الميثاق القومى"، والمطالبة بانسحاب السودان فوراً من الجامعة العربية (بيان)، 1958/8/23.

محمود محمد طه، عضويتنا فى الجامعة العربية، (بيان)، 18 أكتوبر 1958.

محمود محمد طه، "مستقبل الثقافة العربية فى السودان، المدلول الحديث للثقافة والوسائل إليها، مهداة إلى طلبة وأساتذة المعهد العلمى بأمدردمان"، بتاريخ 1958/10/18.

محمود محمد طه، بيانات.... الحزب الجمهورى على الموقف الداخلى، تاريخ 1958/11/1.

محمود محمد طه، "التعليم: خطاب إلى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محبوب"، 1958/12/24، الخرطوم.

محمود محمد طه، "محمود محمد طه يرد على بيان مشيخة المعهد العلمى"، (بيان)، 1960/1/31.

Mahmoud Mohammed Taha, "Questions from Mr. John Voll and Answers from Ustadh Mahmoud Mohammed Taha", Khartoum, 17 July 1963.

محمود محمد طه، "مشكلة الجنوب"، (بيان، ديسمبر 1964)، دار الوثائق القومية، الأحزاب السودانية، 27/1/2، الخرطوم.

محمود محمد طه، ومشكلة الشمال، 1964/12/2، دار الوثائق القومية، 28/1/2، الخرطوم.

محمود محمد طه، "بين الدين والشرعية"، (حوار)، أجراه بشير محمد سعيد، صحيفة الأيام، العدد: 5497، بتاريخ 1968/11/18.

محمود محمد طه، "بيان نمرة (1)، مهزلة القضاة الشرعيين"، أمدردمان فى 1968/11/19، أول بيان أصدره الأستاذ محمود بعد صدور حكم محكمة الردة عام 1968.

محمود محمد طه، "الحزب الجمهورى البيان رقم (10)، تصفية المحاكم الشرعية (3)" (بيان)، أمدردمان، 1968/12/1.

محمود محمد طه، الصلاة، (محاضرة) نادى العباسية، أمدردمان - 3 ديسمبر 1968.

محمود محمد طه، الاستقلال وقضايا الشعب، (محاضرة)، دار الحزب الجمهورى، أمدردمان، 13 ديسمبر 1968.

محمود محمد طه، مشكلة الشرق الأوسط، (محاضرة)، نادى السكة الحديد بالأبيض، 22 مايو 1969.

محمود محمد طه، بيننا وبين محكمة الردة، (محاضرة)، مُسجلة بصوته، مدينة عطبرة، عام 1969.

محمود محمد طه، رسالة من الأستاذ محمود إلى تلميذه عصام عبدالرحمن البوشى، الذى كان يدرس وقتئذ فى جامعة لندن ببريطانيا، بتاريخ 1970/1/18، أمدردمان.

محمود محمد طه، "بنى وبين الدكتور الفاضل مصطفى محمود"، أسئلة مجلة الأعضاء السودانية، 1970؛ محمود محمد طه، الكتاب الأول من سلسلة رسائل ومقالات، أمدردمان ط 1، 1973.

محمود محمد طه، تعريف بمحمود محمد طه، (مخطوطة)، ثمانى صفحات، كتبت بخط يده بمدينة أمدردمان بتاريخ 1972/2/26.

محمود محمد طه، تعلموا كيف تتعلمون، (مخطوط)، 11-18 مايو 1972.

محمود محمد طه، تعلموا كيف تسلكون، (ندوة)، الثلاثاء 9 مايو 1972 المهدية.

محمود محمد طه، تعلموا كيف تصدقون، (ندوة) الأربعاء 10 مايو 1972 - المهدية، الخميس 11 مايو 1972 - المهدية.

محمود محمد طه، لقاء إذاعى مع الأستاذ محمود محمد طه، حول: (1) الأصول

والفروع، (2) الخير والشر، (3)، التحرّر من الخوف، (4) الحكمة وراء العذاب، ط1، أمدرمان، 1975.

محمود محمد طه، ندوة المثقفين، (ندوة مسجلة بصوت الأستاذ محمود)، أمدرمان، الأحد 30 مايو 1976.

محمود محمد طه، "خطاب إلى عبد الرحيم محمود أبو عيسى، رئيس نادى الخريجين بمدنى"، 1979/1/13.

محمود محمد طه، تعلموا كيف تتعاملون، (مخطوطة). اطلعت على المخطوطة فى منزل عصام عبدالرحمن البوشى بمدينة ود مدنى، السودان.

محمود محمد طه، تعلموا كيف تجهزون موتاكم (1)، (ندوة تسجيل صوتى)، الجلسة الأولى من جلسات مأتم إبراهيم الزبير، الخميس 18 يونيو 1981.

محمود محمد طه، "إلى أبنائى المحبوبين سعيد، وجلال، وإخوانهما فى القسمين..."، رسالة من الأستاذ محمود وهو فى المعتقل، 8 ديسمبر 1984.

محمود محمد طه، "هذا... أو الطوفان!!"، (منشور)، 25 ديسمبر 1984، أمدرمان.

محمود محمد طه، بمناسبة زيارة السادات للسودان: السلام هو الطريق لحل مشكلة الشرق الأوسط، أمدرمان، 1981.

محمود محمد طه، ملف الخدمة، نمرة الوظيفة (11837)، نمرة الموظف (559)، سكك حديد السودان، عطبرة.

الكتب العربية

- إبراهيم المفتى، الحركة الوطنية في السودان، ط1، مكتبة البازار السوداني، الخرطوم، 1947.
- إبراهيم بدران، حول التاريخ والتقدم في الوطن العربي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1991.
- إبراهيم فوزى باشا، السودان بين يدى غردون وكنتشتر، الجزء الأول والثانى، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2010.
- إبراهيم محمد حاج موسى، التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم فى السودان، جامعة القاهرة، 1970.
- إبراهيم يوسف فضل الله، ثورة رفاعة المجهولة: لوحة مشرفة من النضال الوطنى وأول ثورة أرغمت الاستعمار، الخرطوم، 2004، (بدون ناشر).
- إبراهيم يوسف فضل الله، ذكريات جمهورى، الخرطوم، 2011 (بدون ناشر).
- ابن المقفّع، عبدالله، الأدب الصغير والأدب الكبير، تحقيق إنعام فوال، دار الكتاب العربى، بيروت، 2008.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن حبة الأنصارى الإفريقى، معجم لسان العرب فى اللغة، دار صادر، بيروت، 1968.
- إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
- أحمد إبراهيم أبو شوك، السلطة والتراث، ط2، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2007.
- أحمد إبراهيم أبو شوك، السودان: السلطة والتراث، ج3، ط1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2010.
- أحمد إبراهيم أبو شوك، مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثانى فى

- السودان، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2004.
- أحمد إبراهيم أبوشوك، السودان: السلطة والتراث، ج4، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2012.
- أحمد إبراهيم دياب (إشراف)، موسوعة الرموز والشخصيات السودانية (1900-1969)، سلسلة بحوث ودراسات، مركز الدراسات والبحوث السودانية، جامعة الزعيم الأزهري، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
- أحمد إبراهيم دياب، مؤتمر الخريجين وتطور الحركة الوطنية فى السودان، الدار العربية، القاهرة، 2006.
- أحمد خير المحامى، تاريخ حركة الخريجين وتطورها فى السودان: كفاح جيل، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2002.
- أحمد صدقى الدجاني، "لمحة تاريخية: حضارات إنسانية رئيسية وعلاقة مثقفين بمجتمعاتهم"، المثقف العربى: همومه وعطاؤه، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.
- أحمد عثمان عمر، أثر التشريعات الإسلامية فى النظام القانونى السودانى (دراسة تحليلية)، الشركة العالمية للطباعة والنشر، القاهرة، 2006.
- أحمد محمد شاموق، معجم الشخصيات السودانية المعاصرة، ط1، بيت الثقافة للترجمة والنشر والتوزيع، الخرطوم، 1988.
- أحمد مصطفى الحسين، الإنسان قادم إلى المدينة، (ديوان شعر)، 2004، بدون مكان نشر.
- الأخوات الجمهوريات، أضواء على شريعة الأحوال الشخصية، أمدرمان، 1973.
- الأخوات الجمهوريات، تعلموا كيف تجهزون موتاكم، عام 1978.
- الإخوان الجمهوريون، اسمهم الوهاية وليس اسمهم أنصار السنة، أمدرمان، 1976.
- الإخوان الجمهوريون، أبعدا رئيس القضاء!!، أمدرمان، 1981.
- الإخوان الجمهوريون، اتحاد نساء السودان وقضية المرأة، أمدرمان، 1975.

- الإخوان الجمهوريون، اصطلحوا مع إسرائيل، أمدرمان، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، الاختلاط بين الشريعة والدين، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، الإخوان المسلمون يلعبون على الحبلين، أمدرمان، 1979.
- الإخوان الجمهوريون، التعليم، المنشور الثاني بمناسبة عام الطفل العالمي، ط 1، أمدرمان، 1976.
- الإخوان الجمهوريون، التهافت، أمدرمان، 1976.
- الإخوان الجمهوريون، الدين ورجال الدين عبر السنين، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، الزى عنوان عقل المرأة وخلقها، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، الصادق المهدي!! والقيادة الملهمة!! والحق المقدس!!، ط 1، أمدرمان، 1977.
- الإخوان الجمهوريون، الغرابة في الدعوة الإسلامية الجديدة، ط 1، أمدرمان، سبتمبر 1975.
- الإخوان الجمهوريون، القضاة الشرعيون أكبر عقبة أمام عودة الدين، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، المرأة في اصول القرآن، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، المرأة ليست عدوة الرجل!! الجهل هو عدوها معاً!!، أمدرمان، 1981.
- الإخوان الجمهوريون، المرأة مكانها البيت؟؟، ط 1، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، المرأة و التدين، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، المنشور الأول بمناسبة عام المرأة العالمي، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، الهوس الديني يثير الفتنة ليصل الى السلطة، أمدرمان، 1983.
- الإخوان الجمهوريون، بنك فيصل الإسلامي!؟، 1983.
- الإخوان الجمهوريون، بيت الطاعة: المشكلة والحل، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، بيتنا وبين الشؤون الدينية وأساتذتها من أزهريين وسعوديين، أمدرمان، 1975.

- الإخوان الجمهوريون، تعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام، ط1، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، جنوب السودان المشكلة !! والحل !!، ط1، أمدرمان، 1982.
- الإخوان الجمهوريون، الوثائق تكشف التآمر الجنائي، أمدرمان، 1985.
- الإخوان الجمهوريون، حيثيات المحكمة العليا في قضية الأستاذ محمود محمد طه: انتصار للحق، ودحض للحكم المهزلة، أمدرمان، نوفمبر 1986.
- الإخوان الجمهوريون، خلف الله الرشيد وقامة رئيس القضاء، أمدرمان، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، ساووا السودانيين في الفقر إلى أن يتساووا في الغنى، أمدرمان، 1979.
- الإخوان الجمهوريون، الواجبات قبل الحقوق، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، قانون وقضاة الأحوال الشخصية قصور عن الشريعة وتخلف عن العصر، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، لا !! يا رئيس القضاء !!، أمدرمان، 1979.
- الإخوان الجمهوريون، لماذا نؤيد ثورة مايو، ط1، أمدرمان، 1979.
- الإخوان الجمهوريون، ليسوا علماء السودان وإنما علماء آخر الزمان، أمدرمان، 1976.
- الإخوان الجمهوريون، ما هو البديل عن مايو؟، ط1، أمدرمان، 1980.
- الإخوان الجمهوريون، ماذا بعد التهافت؟، أمدرمان، 1976.
- الإخوان الجمهوريون، ماذا قال العالم عن الأستاذ محمود، يونيو 1985.
- الإخوان الجمهوريون، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، الكتاب الثاني، ط1، أمدرمان 1976.
- الإخوان الجمهوريون، معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية، خلال ثلاثين عاماً، (1945-1975) - الكتاب الأول، أمدرمان، 1976.
- الإخوان الجمهوريون، مقترحات الأزهر للدستور الإسلامي جهالة لا تمثل الدين، ط1، أمدرمان، 1979.

- الإخوان الجمهوريون، مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية، الخلفية التاريخية لمواقف أ. السياسيين التقليديين ب. رجال الدين والقضاة الشرعيين، ط2، أمدرمان، 1975.
- الإخوان الجمهوريون، هذا هو الشيخ الأمين داؤد وهو أتم نموذج "لعلماء السودان": اقرأوا واحكموا، ط1، أمدرمان، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، هذا هو الشيخ محمد متولى الشعراوى، ط1، أمدرمان، 1981.
- الإخوان الجمهوريون، هؤلاء هم الإخوان المسلمون، ج1، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، هؤلاء هم الإخوان المسلمون، ج2، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، هؤلاء هم الإخوان المسلمون، ج3، 1979.
- الإخوان الجمهوريون، وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد، الكتاب الأول، أمدرمان، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد، الكتاب الثانى، أمدرمان، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد، الكتاب الثالث، أمدرمان، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد، الكتاب الرابع، أمدرمان، 1978.
- الإخوان الجمهوريون، وقائع محاكمة الأمين داؤد محمد، الكتاب الخامس، أمدرمان، 1978.
- الإخوان الجمهوريين، جنوب السودان: المشكلة والحل، أمدرمان، 1982.
- الإخوان الجمهوريون، علماء بزعمهم - الكتاب الأول، أمدرمان، 1976.
- الإخوان الجمهوريون، علماء بزعمهم - الكتاب الثانى، أمدرمان، 1976.
- الإدريسي، أبى عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموى الحسنى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مج1، المكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، (بدون تاريخ نشر).
- إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عنانى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
- إدوارد سعيد، الإمبريالية والثقافة، ترجمة كمال أبو ديب، ط3، دار الآداب، بيروت، 2004.
- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة محمد عنانى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة صبحى حديدى، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996.

إدوارد سعيد، تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء فى رؤيتنا لسائر بلدان العالم، ترجمة محمد عنانى، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

ألكس دوفال وعبد السلام حسن (تحرير) المشروع المدنى فى السودان: قضايا الانتقال إلى الديمقراطية والسلام، (مؤتمر 8-12 فبراير 1999)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1999.

إلياس فتح الرحمن، لا أحد يسعِفُ الخَيْلَ، (ديوان شعر)، ط1، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2003.

الأمين داؤد محمد، دجال السودان، 1978.

الأمين داؤد، الاختلاط فى مذاهب مسيلمة الثانى الكذاب، 1977.

الأمين داؤد، نقض مفتريات محمود محمد طه وبيان موقف القضاء منه، ط2، المطبعة الحكومية، الخرطوم، 1974.

الأمين داؤد وحسين محمد زكى، دعوة حسبة لله تعالى، مقدمة إلى السيد صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان ضد محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهورى بالسودان، الثلاثاء 15 شعبان 1388هـ الموافق 9 نوفمبر 1968.

آنيا لومبا، فى نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغنى غنوم، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007.

ب. م. هولت، الأولياء والصالحون والإسلام فى السودان، ترجمة هنرى رياض والجنيد على أحمد، ط2، مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1971.

بازل دافدنسن، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال محمد أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

الباقر العفيف، وجوه خلف الحرب: الهوية والنزاعات الأهلية فى السودان، مركز الخاتم عدلان للاستشارة والتنمية البشرية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم 2007.

- بتول مختار محمد طه، محمود الإنسان: قراءة الأيام، القاهرة، الشركة العالمية للطباعة والنشر، 2012.
- بتول مختار وآخرون، الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشؤون الدينية، أمدرمان، 1974.
- بدر الدين يوسف دفع الله السيتم، شذا زهرة الحياة العليا، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.
- بدر الدين يوسف دفع الله السيتم، علامات في طريق غير مطروق، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.
- بدر الدين يوسف دفع الله السيتم، ما وراء الكلمات... على شواطئ الأبدية، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.
- بدر الدين يوسف دفع الله السيتم، وذكرهم بأيام الله، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2009.
- برهان غليون، "تعميش المثقفين ومسألة بناء النخبة القيادية"، المثقف العربي: همومه وعطاؤه، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.
- بكرى خليل، التأويل الصوفي للحدائث في الإسلام: عرض ونقد فكر وفلسفة الجمهوريين في السودان، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004.
- بكرى نعيم، "الكاتب والكتاب"، الحركة الوطنية والحزب الاتحادي الديمقراطي 1938-1981، ط1، (بدون مكان نشر)، 1994.
- بيتر بروكر (إعداد وتقديم)، الحدائث وما بعد الحدائث، ترجمة: عبدالوهاب علوب، ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1995.
- بيتر وودوارد، السودان: الدولة المضطربة 1898-1989، ترجمة: محمد علي جادين، ط1، مركز محمد عمر بشير، جامعة أمدرمان الأهلية، 2002.
- تركي الحمد، ويبقى التاريخ مفتوحاً: أبرز عشرين شخصية سياسية في القرن العشرين، دار مدارك للنشر، دبي، 2012.

توماس س. كون، **بَيَّةُ الثورات العلمية**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

التيجاني يوسف بشير، **إشراقا**، (ديوان شعر)، ط1، الدار السودانية للكتب، 2010.

جاك لوغوف (مشرف)، **التاريخ الجديد**، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.

جان كلود شميث، **"تاريخ الهامشيين"**، **التاريخ الجديد**، ترجمة وتقديم محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.

جراهام ف. توماس، **السودان: الصراع من أجل البقاء (1984-1993)**، ترجمة الطيب الزبير الطيب المنصور، دار الفرجاني للنشر والتوزيع / دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995.

جعفر محمد على بخيت، **الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان 1919-1939**، ترجمة هنري رياض، ط1، دار الثقافة، بيروت / مكتبة خليفة عطية، الخرطوم، 1972.

جلال الدين الهادي الطيب إدريس، **مقالات تحكى تاريخ الحزب الجمهورى**، (مخطوطة)، بدون تاريخ.

جلال الدين الهادي الطيب إدريس، **منشورات: تاريخ الفكرة الجمهورية**، (مخطوطة)، بدون تاريخ.

جورج لارين، **الإيديولوجيا والهوية الثقافية: الحداثة وحضور العالم الثالث**، ترجمة: فريال حسن خليفة، ط1، مكتبة مدبولي، 2002.

جوزيف أومارا وخديجة صفوت، **"سرديات رحلات العبور التاريخية وأسلمة سلطنة الفونج في القرن السادس عشر**، أثر بعض تنويعات الرحالة والتجار على التاريخ الإسلامى والتاريخ الشعبى"، **أبحاث ندوة الرحالة العرب والمسلمين**، دورة ابن حوقل، المركز العربى للأدب الجغرافى - ارتياد الآفاق، أبو ظبى / وزارة الثقافة والرياضة والشباب، الخرطوم، فبراير 2006.

جى. أم. بلاوت، **نموذج المستعمر للعالم: الانتشار الجغرافى وتاريخ المركزية الأوروبية**،

ترجمة هبة الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

حزب الاستقلال الجمهوري، دستور ولوائح، الخرطوم، يناير 1955.

حسن الترابي، "حوار مع آلان شوفاليرياس"، الإسلام مستقبل العالم، دار جان كلود لاتيس للنشر، باريس، 1997.

حسن مكى، الحركة الإسلامية في السودان (1969-1985): تاريخها وخطابها السياسي، الدار السودانية للكتب، 1999.

حسين العودات، المثقف العربى والحاكم، ط1، دار الساقى، بيروت، 2012.

حسين محمد زكى، القول الفصل فى الرد على: محمود محمد طه، (بدون تاريخ ومكان نشر).

حمد النيل عبدالله العركى، جواهر المعانى فى حضرة الأستاذ محمود محمد طه، (مخطوطة)، 9 أبريل 2009.

حمدى عبدالعليم البدوى، إهداءات الكتب، سلسلة دنيا الكتب والمكتبات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

الحميرى، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

حيدر إبراهيم على، العلمانية: المفهوم والقضايا، سلسلة الثقافة السياسية (5)، وحدة السودان أولاً، ط1، مركز الدراسات السودانية، الخرطوم، 2005.

حيدر براهيم على (تقديم)، الإسلام وأصول الحكم: بحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2011.

حيدر إبراهيم على (تحرير وإشراف)، محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

حيدر إبراهيم على (محرر)، المرأة السودانية فى الحياة العامة، وقائع ندوة مهرجان المرأة الأول، الخرطوم 8-11 مارس 2003، مركز الدراسات السودانية. الخرطوم.

حيدر إبراهيم على، الدين والثورة: لاهوت التحرير في العالم الثالث، ط2، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1999.

خالد الحاج عبدالمحمود، الإسلام ديمقراطي اشتراكي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2011.

خالد الحاج عبدالمحمود، العصر الذهبي للإسلام أمامنا، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008.

خالد الحاج عبدالمحمود، المعرفة وطبيعة الوجود، دار النهضة العربية، القاهرة، 2009.

خالد الحاج، الإسلام والسلام عند الأستاذ محمود محمد طه، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007.

خالد حسين عثمان الكد، الأفندية ومفاهيم القومية في السودان، ترجمة محمد عثمان مكي العجيل، ط1، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، 2011.

خضر حمد، مذكرات خضر حمد: الحركة الوطنية السودانية: الاستقلال وما بعده، ط1، مكتبة الشرق والغرب بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1980.

دربة عبدالله ميرغني، عبدالله ميرغني: أحد رواد الحركة الوطنية في السودان، دار جامعة القرآن الكريم، الخرطوم، 1999.

ربيع حسنين السيد، الحركة الوطنية والحزب الاتحادي الديمقراطي 1938-1981، ط1، (بدون مكان نشر)، 1994.

رفعت سيد أحمد، لماذا أعدمى نيمري؟ قراءة في أوراق الشيخ محمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين بالسودان مع حيثيات الحكم بإعدامه وردود الفعل عليه، دار ألف للنشر، القاهرة، 1985.

روبرت أو. كولنز، تاريخ السودان الحديث، ترجمة: مصطفى مجدى الجمال، دار العين للنشر والمركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.

زكريا بشير إمام، نظرية داروين في الميزان: دراسة تحليلية لنظرية داروين في النشوء والارتقاء وبيان تهاونها وإسقاطها على الفكر الاجتماعي الإنساني، ط2، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم، 2010.

سعيد الطيب شايب، قضايا كوستي: هدية لشعبنا لكيلا يُخدع عن حقيقة من يتصدون

لتعليمه دينه، ط1، أمدرمان، 1978.

سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، ط2، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، 1978.

سلمى مجدى، الساعات الأخيرة في حياتهم، ماذا فعل وقال وأوصى مشاهير السياسة والفن والأدب في يوم رحيلهم عن الدنيا، ط1، دار الكتاب العربى، دمشق، القاهرة، 2009.

سليمان كشة، سوق الذكريات، ج1، مطابع شركة الطبع والنشر، الخرطوم، 1963.

سمية سيد، المصالحة الوطنية: صراع الحكم في السودان، بدون مكان وتاريخ نشر.

سمير أمين، "نحو لاهوت تحرير إسلامي؟"، تقديم باللغة الفرنسية، تعريب نجاة محمد على، الرسالة الثانية من الإسلام للأستاذ محمود محمد طه، ترجم الكتاب إلى الفرنسية: محمد البارودى وكارولين باى، دار لارماتان للنشر، باريس، 2002.

سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، ترجمة فهيمة شرف الدين وسناء أبو شقرا، ط1، دار الفارابى، بيروت، 2003.

شارلس نيوفلد، سجين الخليفة: اثنا عشر عاماً أسيراً بأمدرمان، ترجمة: محجوب التجانى محمود، 2006.

شرف الدين الأمين عبدالسلام، كرامات الأولياء: دراسة في سياقها الاجتماعى والثقافى، ترجمة يوسف حسن مدنى ومحمد المهدي بشرى، تحرير: الأمين أبو منقة محمد، دراسات في التراث الشعبى السودانى (40)، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 2007.

الشريف حسين الهندي، لوطنى وللتاريخ: مذكرات الشهيد الشريف حسين الهندي (1924-1982)، إعداد: محمد الأمين الشريف عمر الهندي (أبو الحيران)، تحرير ومراجعة: إبراهيم قرشى، ط1، شركة الجزيرة للطباعة والنشر المحدودة، ومدنى، 2006.

شمس الدين الأمين ضوالبيت (محرر)، المصالحة الوطنية وإبراء الجراح، ط1، مؤسسة فردريش ايرت-السودان، 2008.

شوقى بشير عبدالمجيد، منهج الجمهوريين في تحريف القرآن، دار الفكر، الخرطوم، 1989.

شوقي بشير عبدالمجيد، موقف الجمهوريين من السنة النبوية، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، 1987.

شيلي واليا، صدام ما بعد الحداثة: إدوارد سعيد وتدوين التاريخ، ترجمة عفاف عبدالمعطي، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

الصادق المهدي، "مستقبل الإسلام في السودان"، مؤتمر جماعة الفكر والثقافة الإسلامية، أمدرمان، محرم 1403هـ - أكتوبر 1982.

صلاح الدين المليك، من نجوم الغد (1)، (بدون تاريخ ومكان نشر).

طه حسين، في الشعر الجاهلي، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1998.

الطيب صالح، وطني السودان "7"، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، 2005.

عالم عباس محمد نور، "السطور الأخيرة في دفتر الحلاج الثاني"، (قصيدة إلى روح الشهيد محمود محمد طه، فبراير 1985)، من شمس المعشوق إلى قمر العاشق، (ديوان شعر)، ط1، منشورات مدارك، الخرطوم/ القاهرة، 2007.

عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق 1995.

عبد القيوم عبد الحليم، "مقدمه منهجية"، الإسلام في إفريقيا: بيلوغرافيا مختارة، المؤتمر الدولي: الإسلام في إفريقيا، 26-27 نوفمبر 2006، أوراق المؤتمر: الكتاب الثالث عشر، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم.

عبد الماجد بوب كتابه: جنوب السودان جدلية الوحدة والانفصال، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 2009.

عبد المجيد عابدين، التيجاني شاعر الجمال، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2010.

عبدالباسط صالح سبدرات، حكومات السودان: خمسون عاماً من التحمل والقلق الوزاري، رحلة التغييرات في الجهاز التنفيذي (1954-2004)، دراسة تاريخية - تحليلية - مقارنة، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2004.

- عبدالباقى يوسف نعمة، رسالة فى الرد على: محمود محمد طه، (بحث مطبوع)، مكتبة جامعة أمدرمان الإسلامية، المكتبة المركزية، تحت رقم التسجيل (92844)، أمدرمان.
- عبدالجبار المبارك موسى، الكتاب الأول من: الفكرة الجمهورية فى الميزان، مطبعة دار الطابع العربى، الخرطوم، (بدون تاريخ نشر).
- عبدالرحمن المهدي، جهاد فى سبيل الاستقلال، أشرف على اعداده الصادق المهدي، الخرطوم، 1986.
- عبدالرحمن عبدالله، السودان: الوحدة أم التمزق، ترجمة الفاتح التجانى، ط، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2002.
- عبدالرحمن فرح، خريف الفرح: أسرار الفرح 1950-1970، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 1996.
- عبدالسلام نور الدين، الحقيقة والشرعية فى الفكر الصوفى، ط1، دار سومر للنشر والتوزيع، قبرص، 1992.
- عبدالقادر المرضى، "موقف الحزب الجمهورى من المؤتمر ومن وثيقة الأحزاب المؤتلفة"، (مخطوطة بيان بتاريخ 1945/11/9)، مقالات تحكى تاريخ الحزب الجمهورى، (مخطوطة)، بدون تاريخ.
- عبداللطيف عبدالرحمن، لمحات من الحركة الوطنية فى السودان، دار جامعة أمدرمان الإسلامية للطباعة والنشر، شركة الطباعة والنشر للناشئين المحدودة، الخرطوم، 1987.
- عبدالله أحمد النعيم، نحو تطوير التشريع الإسلامى - الحريات المدنية وحقوق الإنسان والقانون الدولى، ترجمة: حسين أحمد أمين، دار سينما، القاهرة، 1994.
- عبدالله العروى، مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب، ج1، ط3، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1997.
- عبدالله العروى، مفهوم التاريخ: المفاهيم والأصول، ج2، ط3، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1997.
- عبدالله الفكى البشير، "الإخفاق فى إدارة التنوع"، انفصال جنوب السودان: المخاطر

والفرص، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2012.

عبدالله النعيم، "الأستاذ محمود محمد طه وإشكالية التجديد في القانون الإسلامي"، ترجمة وتحرير حيدر إبراهيم على، الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السوداني (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992. عبدالله حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، ط2، هيئة الأعمال الفكرية، الخرطوم، 2006.

عبدالله على إبراهيم، الثقافة والديمقراطية في السودان، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

عبدالله على إبراهيم، الشريعة والحداثة: جدل الأصل والعصر، مركز البحوث العربية والإفريقية، القاهرة، 2006.

عبدالله على إبراهيم، بخت الرضا: التعليم والاستعمار، سلسلة كاتب الشونة، ط1، دار المصورات للنشر، 2010.

عبدالله على إبراهيم، ربيع ثورة أكتوبر 1964، الأعمال الكاملة (3)، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، الخرطوم، 2013.

عبدالمجيد أبو حسبو، مذكرات عبد الماجد أبو حسبو: جانب من تاريخ الحركة الوطنية في السودان، الجزء الأول، دار صنب للنشر والتوزيع، الخرطوم، عام 1987.

عبدالمجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان: منذ نشأتها إلى العصر الحديث، الدين، الاجتماع، الأدب، ط2، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1967.

عبد الوهاب أحمد عبدالرحمن، الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادي النيل والاستقلال (1919-1956)، دراسات في العلاقات السودانية المصرية، رؤية تاريخية، (جزئين)، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2007.

عبد بدوي، الشعر في السودان، عالم المعرفة (41)، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مايو 1981، الكويت.

عزالدين الأمين، نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، دار جامعة

الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1999.

عصام عبدالرحمن البوشى، **الصقر يعلو وحده**، (ديوان شعر)، ط1، الخرطوم، 1987.
عطا الحسن البطحاني، **أزمة الحكم فى السودان: أزمة هيمنة أم هيمنة أزمة**، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2011.

علم الدين عمر، **"الفكر الجمهورى فى السودان"**، الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

على أبوسن، **المجذوب والذكريات: أحاديث الأدب والسياسة بين الخرطوم، ولندن، والقاهرة، وباريس**، ج2، بدون تاريخ ومكان نشر.

على صالح كرار، **"الخدمة الأرشفية بين النظام اليدوى والآلى فى السودان بإشارة خاصة لدار الوثائق القومية"**، (المؤتمر العام الأول) المكتبات السودانية وتحديات القرن الحادى والعشرين، قاعة الشهيد، الخرطوم 17-18 أكتوبر 1998.

على عبدالرحمن الأمين، **الديمقراطية والاشتراكية فى السودان**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1970.

على عثمان محمد صالح والبشير سهل جمعة سهل (إعداد)، **فى سيرة جمال كاتب "سرة شرق"**، ط1، اللجنة القومية لتخليد ذكرى الكاتب جمال محمد أحمد، سلسلة دراسات فى الثقافة والدبلوماسية وأدب الأطفال، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1988.

عمر القرأى، **"الحركة الجمهورية السودانية: المؤسس والمواقف"**، **الإسلاميون فى السودان: من التأسيس إلى الانفصال**، كتاب المسبار الثامن والأربعون، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ديسمبر 2010.

عمر القرأى، **الجهاد أم حرية الاعتقاد؟**، القاهرة، 1995.

عمر القرأى، **الدين والتطور**، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2013.

عمر القرأى، **الصادق المهدي الانكفائية ودعاوى التجديد**، ط1، دار عزة للنشر، الخرطوم 2007.

- عمر القرائ، الفكر الاسلامى وقضية المرأة، ط2، دار عزة للنشر بالخرطوم فى 2007.
- عمر سر الختم المكى، الإسلام والسياسة: دراسة فى التجربة السودانية 1883-1989، ط1، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، 2005.
- عمر عوض الله قسم السيد، الفدرالية كأداة لإدارة النزاع فى المجتمعات متعددة الأعراق والثقافات: حالة السودان، ترجمة: عبد الحافظ عبدالعزيز ومراجعة محمد المصطفى حسن عبد الكريم، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2010.
- عوض لطفى عبدالله، زمان الوصل: محطات وسندات، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2011.
- عون الشريف قاسم (وآخرون)، معجم أدباء السودان، الجزء الأول، الهيئة القومية للثقافة والفنون، الخرطوم، 1994.
- عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية فى السودان، ط3، الدار السودانية للكتب، 2002.
- عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والأنساب فى السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الثالث، ط1، شركة أفروقراف للطباعة والتغليف، 1996.
- غراهام ف. توماس، السودان: الصراع من أجل البقاء (1984-1993)، ترجمة الطيب الزبير الطيب المنصور، دار الفرغانى ودار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة/ طرابلس/ لندن، 1995.
- غراهام ف. توماس، السودان: موت حلم، ترجمة عمران أبو حجلة، ط1، دار الفرغانى، طرابلس، 1994.
- غى تولىيه وجان تولا، مهنة المؤرخ، تعريب عادل العوّ، ط1، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2001.
- فاطمة القاسم شداد، محمد محمد على شاعراً: دراسة تحليلية نقدية، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2009.
- فتحى الضو محمد، السودان: سقوط الأقنعة: سنوات الخيبة والأمل، شركة سوتير

(طابعون)، دار آفاق جديدة ومركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2006.

فتحى رضوان، "تقديم"، ضمن كتاب: رفعت سيد أحمد، لماذا أعدمتنى نيمى؟ قراءة فى أوراق الشيخ محمود طه زعيم الإخوان الجمهوريين بالسودان مع حشيات الحكم باعدامه وردود الفعل عليه، دار ألف للنشر، القاهرة، 1985.

فدوى عبد الرحمن على طه، كيف نال السودان استقلاله: دراسة تاريخية لانفاقية 12 فبراير 1953 حول الحكم الذاتى وتقرير المصير، ط1، شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1997.

فدوى عبدالرحمن على طه، أستاذ الأجيال: عبدالرحمن على طه 1901-1969، بين التعليم والسياسة وأريجى، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004.

فرانسو دوس، التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009.

فرانسيس دينق، صراع الرؤى: نزاع الهويات فى السودان، ترجمة عوض حسن، ط2، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 2001.

فيصل عبدالرحمن على طه، الحركة السياسية السودانية والصراع المصرى السودانى بشأن السودان (1936-1953)، ط2، مركز عبدالكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2004.

فيصل عبدالرحمن على طه، السودان على مشارف الاستقلال الثانى (1954-1956)، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، ط1، 2010.

فيلوثاوس فرج، أقباط السودان، ج1، مطبعة الحياة الجديدة، 2008.

قاسم عثمان نور (جمع واعداد وتصنيف)، مصادر الدراسات السودانية بالمجلات والدوريات السودانية (1931-1967)، قسم التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1970.

قاسم عثمان نور، أضواء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين 1925/1938، وزارة الثقافة ومركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، 2004.

قاسم عثمان نور، دليل الدوريات السودانية: الصحف (1903-1988) - للجلات (1931-1998)، المجلس القومى للصحافة والمطبوعات بالتعاون مع مركز قاسم للمعلومات، الخرطوم، 1999.

قاسم عثمان نور، معجم المؤلفين، (1510-2010)، من عصر الفونج إلى العصر الحديث رصد لمؤلفاتهم ونبذة عن شخصياتهم، المجلس القومى لرعاية الثقافة والفنون، الخرطوم، 2011.

قسطنطين زريق، "نحن والتاريخ: مطالب وتساؤلات فى صناعة التأريخ وصنع التاريخ"، الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق، المجلد الأول، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.

كريم مروة، قادة تاريخيون كبار فى ثورات القرن العشرين، جزءان، الدار العربية ناشرون، بيروت، 2012.

كمال الجزولى، إنجليجيسيا نبات الظل، باب فى نقد الذات الجمعى، مدارك للطباعة والنشر، الخرطوم، 2008.

مارك بلوخ، دفاعاً عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ترجمة أحمد الشيخ، ط1، المركز العربى الإسلامى للدراسات الغربية، القاهرة، 2012.

مامون بحيرى، لمحات من تجارب رجل خدمة عامة من جيل الرواد السودانيين، ط1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2001.

مجدى كامل، شخصيات التاريخ الكبرى، عظماء صنعوا مجداً وسطروا تاريخاً، دار الكتاب العربى، دمشق، 2012.

مجنوب محمد مجذوب، بعض أوراق جمهورى، السودان: بلد وشعب وفكرة، بعض أوراق جمهورى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، (تحت الطبع).

محجوب عمر باشرى، رواد الفكر السودانى، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991.

محمد إبراهيم أبو سليم، أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991.

- محمد إبراهيم أبو سليم، بحوث في تاريخ السودان: الأراضى - العلماء - الخلافة - بربر - على الميرغنى، دار الجليل، بيروت، 1992.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، "أزمة القرن الأفريقى وموقعه فى استراتيجية العدو الصهيونى"، مركز دراسات العالم الإسلامى، مالطا، 1990.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، "إشكالية عدم الاستقرار فى القرن الإفريقى"، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2004.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، "حتمية الثورة الشعبية المسلحة فى أرتريا وطبيعتها"، مجلة دراسات عربية، بيروت، سبتمبر 1968.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، أبستمولوجية المعرفة الكونية، إسلامية المعرفة والمنهج، سلسلة فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهادى، بيروت، 2004.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، الأبعاد الدولية لمعركة إرتريا، دار الطليعة، بيروت، 1974.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، الثورة والثورة المضادة فى السودان، دار الطليعة، بيروت، 1964.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، الحاكمية، مراجعة وتحقيق محمد العانى، ط1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، 2010.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، السعودية: قدر المواجهة المصيرية وخصائص التكوين، لا حرب دون مصر، لا سلام دون سوريا، لا تطبيع دون السعودية، ط1، المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، بجزر الهند الغربية البريطانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المازق التاريخى وآفاق المستقبل (جدلية التركيب)، مج1، ط2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المازق التاريخى وآفاق المستقبل، (من 1956 وإلى 1996)، مج2، ط2، المكتب العالمى للدراسات والأبحاث، بجزر الهند الغربية البريطانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان: المآزق التاريخي وآفاق المستقبل، دار الكلمة، بيروت، 1980.

محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، (مجلدان)، المكتب العالمي للدراسات والأبحاث، جزر الهند الغربية البريطانية/ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، .

محمد أبو القاسم حاج حمد، الوجود القومي، مطبعة الزمان، الخرطوم، 1964.

محمد أبو القاسم حاج حمد، جذور المآزق الأصولي، مراجعة وتحقيق محمد العاني، ط1، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، 2010.

محمد أبو القاسم حاج حمد، نحو وفاق وطني سوداني: رؤية استراتيجية، مركز الدراسات الاستراتيجية، بالخرطوم، 1998.

محمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد، موت دنيا، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1946.

محمد أحمد المحجوب: الديمقراطية في الميزان، مطبعة العملة، الخرطوم، 2004.

محمد أحمد محمود، "في ذكرى الأستاذ محمود محمد طه، حرية الفكر: بين السياق الإسلامي والسياق المعاصر"، محمود محمد طه: رائد التجديد الديني في السودان، سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السوداني (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

محمد المكي إبراهيم، الفكر السوداني: أصوله وتطوره، ط1، إدارة النشر الثقافي، مصلحة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، 1976.

محمد المهدي المجذوب، الشرافة والهجرة، (ديوان شعر)، ط2، دار الجليل، بيروت/ شركة المكتبة الأهلية، الخرطوم، 1982.

محمد المهدي المجذوب، نار المجاذيب، (ديوان شعر)، وزارة الإعلام والشؤون الاجتماعية، الخرطوم، 1969.

محمد المهدي بشري، "المنقف والسلطة: مصائر فاجعة"، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أمدرمان، 2007.

محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان، تحقيق د. يوسف فضل حسن، ط ٣، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، 1985.

محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان، تحقيق وتقديم يوسف فضل حسن، ط 4، مطابع دار ومكتبة الهلال، 1992.

محمد الواصل، الشعر السودانى فى القرن العشرين، آراء وقصائد مختارة، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2009.

محمد الواصل، محمد أحمد المحجوب وشعراء جيله، معهد عبدالله الطيب للغة العربية، جامعة الخرطوم، 2002 (كتاب غير منشور).

محمد بن عبد المنعم الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

محمد حسان كسبة، الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين، سلسلة الفكر الباطنى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمتصورة، المتصورة، 1986.

محمد حسان كسبة، موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين، سلسلة الفكر الباطنى، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمتصورة، المتصورة، 1986.

محمد خير البدوى، قطار العمر فى أدب المؤانسة والمجالسة، دار النهار للإنتاج الإعلامى، الخرطوم، 2008.

محمد سعيد القدال، الإسلام والسياسة فى السودان (1951-1985)، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1992.

محمد سعيد القدال، الإمام المهدي محمد أحمد بن عبدالله (1844-1885) لوحة لثائر سودانى، الدار السودانية للمكتب، الخرطوم، 2003.

محمد سعيد القدال، الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات فى تاريخ السودان الحديث، دار الجيل، بيروت، 1992.

محمد سعيد القدّال، تاريخ السودان الحديث 1820-1955، ط2، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أمدرمان، 2002.

محمد سعيد القدّال، معالم في تاريخ الحزب الشيوعي السوداني، دار الفارابي، بيروت، ط1، دار كوش للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 1999.

محمد عابد الجابري، "المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية: حفريات استكشافية"، المثقف العربي: همومه وعطاؤه، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.

محمد عامر بشير (فوراوي)، الجلاء والاستقلال، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1975.

محمد عبدالعزيز وهاشم عثمان أبو رنات، أسرار جهاز الأسرار: جهاز الأمن السوداني، الفترة من 1969-1985، ط2، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2008.

محمد علي يوسف، مع نبي آخر الزمان، ط1، (بدون تاريخ ومكان نشر).

محمد عمر بشير، التعليم في السودان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (1820-1956)، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005.

محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969)، ترجمة هنري رياض وآخرين، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (بدون تاريخ نشر).

محمد عمر بشير، مشروع الدولة السودانية الديمقراطية: قضايا وإشكاليات البناء الوطني، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدرمان الأهلية، أمدرمان، 2005.

محمد مجذوب محمد صالح، أصول الاجتماع السياسي في القرآن الكريم دراسة حول (مفهوم الأمة)، إشراف أم سلمة محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، 2000.

محمد محمد علي، ألحان وأشجان، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1960.

محمد محمد علي، الشعر السوداني في المعارك السياسية (1821-1924)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1969.

- محمد محمد على، ظلال شاردة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1971.
- محمد محمد على، محاولات فى النقد، المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون، مطبعة الثقافة والاعلام، الخرطوم، 1958.
- محمد محمد على، من جيل إلى جيل، شركة الأيام، الخرطوم، 1945.
- محمد محمود جلال، "مقدمة"، إشراقة، (ديوان شعر للتيجاني يوسف بشير)، ط1، الدار السودانية للكتب، 2010.
- محمد نجيب المطيعى، حقيقة محمود محمد طه، أو الرسالة الكاذبة، 1986، (بدون مكان نشر/ ناشر).
- محمد نجيب، مذكرات محمد نجيب: كنت رئيساً لمصر، ط8، المكتب المصرى الحديث، 2003م.
- محمود شعرانى، الأزمة الأخلاقية العالمية، ط1، المركز السودانى لدراسات حقوق الإنسان المقارنة، الخرطوم، 2009.
- محمود شعرانى، هذه كلمتى فى السياسة والحقوق، المركز السودانى لدراسات حقوق الإنسان المقارنة، أمدرمان، 2002.
- محمود محمد قلندر، سنوات النيمى: توثيق وتحليل لأحداث ووقائع سنوات حكم 25 مايو فى السودان، مركز عبد الكريم ميرغنى، أمدرمان، 2005.
- مختار عجوبة، قادة السودان... وآفة النسيان: (إليك يا بلدى السلام)، مجموعة مقالات نُشرت بالصحافة السودانية (1977-1988)، 1988، (بدون مكان نشر).
- مدثر عبدالرحيم، الإمبرالية والقومية فى السودان دراسة للتطور الدستورى والسياسى 1899-1956، دار النهار للنشر، بيروت، 1971.
- مروان حامد الرشيد، منذكورو: برق وهلال، (رواية)، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2001.
- مصطفى محمد أحمد الصاوى، السير والمذكرات فى الأدب السودانى: دراسة من منظور النقد الأدبى، ط1، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى، أمدرمان، 2012، ص 274.

- مصطفى محمد الحسن، رجال ومواقف في الحركة الوطنية، (بدون تاريخ ومكان نشر).
- مصطفى محمود، القرآن: محاولة لفهم عصرى للقرآن، دار الشروق، بيروت، 1970.
- معاوية محمد نور، الأعمال الأدبية لمعاوية محمد نور: دراسات في الأدب والنقد وقصص وخواطر، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الخرطوم، 1994.
- المعتصم أحمد الحاج، أزهر السودان: المعهد العلمي بأمدردمان تاريخه وتطوره (1912-1995)، ط1، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدردمان الأهلية، أمدردمان، 2007.
- المعتصم أحمد الحاج، الخلاوى في السودان نظمها ورسومها (حتى نهاية القرن التاسع عشر)، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أمدردمان الأهلية، 2005.
- المكاشفى طه الكباشى، الردة ومحكمة محمود محمد طه في السودان، دار الفكر، الخرطوم، 1987.
- المكاشفى طه الكباشى، تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان بين الحقيقة والاثارة، ط2، الزهراء للاعلام العربى، القاهرة، 1986.
- مكى أبو قرجة، أصوات في الثقافة السودانية، إدارة الطباعة والتوزيع / مؤسسة الإمارات للإعلام، أبوظبى، 2005.
- منصور خالد، السودان: أهوال الحرب وطموحات السلام، قصة بلدين، دار تراث، لندن، 2003.
- منصور خالد، الفجر الكاذب: غميرى وتحريف الشريعة، دار الهلال، بيروت، 1986.
- منصور خالد، جنوب السودان في المخيلة العربية: الصورة الزائفة والقمع التاريخى، دار تراث للنشر، لندن، 2000.
- المهاثما غاندى، في سبيل الحق أو قصة حياتى، ترجمة محمد سامى عاشور، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1969.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الرياض، 1989.

- ميرغنى أبشر، كتاب: السَّرَّانِيَّة: مقال فى عقيدة الباطن، كاف نون للنشر، القاهرة، 2007.
- ميرغنى حسن على، شخصيات وطنية من أمدرمان، آفرو الطيب للطباعة، الخرطوم، 2009.
- ناهد محمد الحسن، "المرأة فى الخطاب الفكرى الإسلامى"، المرأة السودانية فى الحياة العامة، وقائع ندوة مهرجان المرأة الأول، مركز الدراسات السودانية. الخرطوم 8-11 مارس 2003.
- نصر الدين سليمان على فضل الله (تحرير)، دراسات فكرية فى التصوف بالسودان: أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف فى السودان، ط1، دار عزة للنشر والتوزيع، 2007.
- نصر حامد أبو زيد فى كتابه: الخطاب والتأويل، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، 2000.
- النور محمد أحمد، الفكر الجمهورى تحت المجهر، (بدون تاريخ ومكان نشر).
- هادى العلوى، الفكر العربى - الإسلامى وضرورة التجديد المنهجى، دار بدايات، دمشق، سوريا، 2008.
- هدى رزق، صناعة النخب السياسية فى لبنان، 1992-2009، (ظروف، قوانين ونتائج)، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، 2011.
- الوائق كمير (تحرير)، جون قرنق: رؤيته للسودان الجديد وإعادة بناء الدولة السودانية، ط3، ماستر للطباعة، الخرطوم، 2005.
- وجيه كوثرانى، تاريخ التاريخ: اتجاهات - مدارس - مناهج، ط1، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، 2012.
- وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الإسلام: رسالة خاتمة لا رسالتان: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين: دراسة مبدئية فى الرد على الإخوان الجمهوريين، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، جمهورية السودان الديمقراطية، الخرطوم، 1977.
- وفد السودان، مأسى الإنجليز فى السودان، دار الشرق للنشر والطبع، 1946.

وليد الطيب عبدالقادر وأحمد محمد أحمد إسماعيل، أضواء على الحركة النسوية السودانية: النشأة والتيارات والتحالفات، ط1، كتاب البيان (105)، سلسلة تصدر من مركز البحوث والدراسات، 2009.

يحيى محمد عبد القادر، شخصيات من السودان: أسرار وراء الرجال، ج3، ط2، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، الخرطوم، 1987.

يحيى محمد عبد القادر، على هامش الأحداث في السودان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، (بدون تاريخ نشر).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، ج1، دار العراق للطباعة والنشر، بيروت، 1955.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، السلسلة الجغرافية (6)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988.

يوسف فضل حسن وآخرون، وثيقة إعادة كتابة التاريخ، المؤتمر القومي للتخطيط الثقافى الشامل، لجنة الاعلام والتوجيه، الاتحاد الاشتراكى السودانى، الخرطوم، (بدون تاريخ نشر).

يوسف فضل حسن، حواش على متون: علماء ومؤرخون ومفكرون في تاريخ إفريقيا والسودان، دار سوداتك، الخرطوم، 2007.

يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب، ج3، سوداتك المحدودة، الخرطوم، 2008.

يوسف ميخائيل، مذكرات يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية والحكم الثنائى فى السودان، تحقيق أحمد أبو شوك، نشرها مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافى بأمدرمان، عام 2004.

الكتب الأجنبية

Abdullahi Ahmed An-Na'im, *Toward an Islamic Reformation: Civil Liberties, Human Rights, and International Law*, Syracuse University Press, Syracuse, 1996

Abdullahi Ali Ibrahim, *Manichaean Delirium: Decolonizing the Judiciary and Islamic Renewal in Sudan, 1898-1985*, Printed in the Netherlands, LEIDEN ? BOSTON, 2008.

Ali A. Mazrui (Editor), *General History of Africa, Africa since 1935*, Volume VIII, (Main edition), United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization UNESCO, Paris, Heinemann Educational, Oxford and University of California Press, California, 1993.

Asma M. Abdel Halim, *Sudanese Women in the United States: The Double Problem of Gender and Culture*, the Edwin Mellen Press, New York/Queenstown, 2006.

Edward Thomas, *Islam's Perfect Stranger: The life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim Reformer of Sudan*, I. B. Tauris & Co. Ltd, New York, 2010.

Hassan Al- Tourabim, *Islam, Avenir du Monde*, Entretiens avec Alain Chevalérias, Ed. Jean Claude Lattès.

Haydar Badawi Sadig and Hala Asmina Guta, "Peace Communication in Sudan: Toward Infusing a New Islamic Perspective", *the Handbook of Global Communication and Media Ethics*, edited by Robert S. Fortner and P. Mark Fackler, Blackwell Publishing Ltd, 2011.

Heather J. Sharkey, *Living with Colonialism: Nationalism and Culture in the Anglo-Egyptian Sudan*, University of California Press, Berkeley, 2003.

Howard, W.S., "Mahmoud Mohammed Taha," in Lobban, et. al. eds., *Historical Dictionary of the Sudan*. Scarecrow Press, 2002.

Janice Boddy, *Civilizing Women: British Crusades in Colonial Sudan*, Princeton

University Press, Princeton and Oxford, 2007.

Judith Miller, *God Has Ninety-Nine Names: Reporting From A Militant Middle East*, Simon & Schuster, New York, 1996.

Lichtenthäler, G., Muslih, mystic and martyr, The vision of Mahmud Muhammad Taha and the Republican Brothers in the Sudan: towards an Islamic reformation? *Islam et Societes au Sud du Sahara*, 9, 1995.

Mahmoud Mohamed Taha, *Un Islam à vocation libératrice*, Traduit par Mohamed El Baroudi & Caroline Pailhe, L'Harmathan, Paris ,2002

Mahmoud Mohamed Taha. *The Second Message of Islam*, Translated by Abdullahi Ahmed An-na'im (into English with Introduction). Syracuse NY: Syracuse University Press, 1987.

Mahmoud Mohamed Taha. *The Second Message of Islam*, Translated by Abdullahi Ahmed An-na'im(into English with Introduction). Syracuse NY: Syracuse University Press, 1987.

Mohamed A. Mahmoud, *Quest for Divinity: A Critical Examination of the Thought of Mahmud Muhammad Taha*, Syracuse University Press, Syracuse, New York, 2007.

Mohamed S. M. Eltayeb, *A Human Rights Approach to Combating Religious Persecution: Cases from Pakistan, Saudi Arabia and Sudan*, Antwerp/ Groningen/ Oxford: International- Hart Publishers, 2001.

Republican Brothers, *An Introduction to the Second Message of Islam*, 1972.

Somun, Hajrudin, *Mahathir: The Secret of the Malaysian Success*, Translated from the Bosnian into English by Lejla Somun-Krupalija, Pelanduk Publications, Malaysia, 2003.

الدوريات العربية

(63 دورية، وقفت على أكثر من 300 عدد من أعدادها، أعداد متفرقة ما بين 1935-2013) تبين للدراسات الفكرية والثقافية، جريدة الشرق الأوسط، جريدة المصرى اليوم، جريدة صوت السودان، الحوار المتمدن الإلكترونية، دراسات دعوية، الرائد، صحيفة أجراس الحرية، صحيفة الأحداث، صحيفة الاستقلال، صحيفة الأضواء، صحيفة الأمة، صحيفة الأهرام اليوم، صحيفة الأهرام، صحيفة الأيام، صحيفة البيان الإماراتية، صحيفة التلغراف، صحيفة الجمهورية، صحيفة الحرية، صحيفة الخليج، صحيفة الدار، صحيفة الراكوبة الإلكترونية، صحيفة الرأي العام، صحيفة الزمان، صحيفة السودان الجديد، صحيفة السودانى، صحيفة الشعب، صحيفة الصحافة، صحيفة الصراحة، صحيفة الفجر، صحيفة القبس، صحيفة المحرر، صحيفة الميدان، صحيفة النيل، صحيفة ألوان، صحيفة الوطن، صحيفة الوفاق، صحيفة اليوم التالى، صحيفة أنباء السودان، صحيفة حريات الإلكترونية، صحيفة سودانايل الإلكترونية، صحيفة كل الناس، عالم المعرفة، القاهرة، كتابات سودانية، مجلة احترام الإلكترونية، مجلة أفكار جديدة، مجلة الأزمنة العربية، مجلة الجزيرة الثقافية، مجلة الجمهورية، مجلة الدراسات السودانية، مجلة الدستور، مجلة الدوحة، مجلة الديمقراطية، مجلة الفجر، مجلة المنهل، مجلة رواق عربى، مجلة كرامة، مجلة كلية غردون، مجلة معهد أمدرمان، مجلة نقدى، المستقبل العربى، الميدان، النشرة اليومية لو كالة السودان للأنباء (سونا).

الدوريات الأجنبية

Abdullahi Ali Ibrahim, "Keep These Women Quiet:" Colonial Modernity, Nationalism, and the Female Barbarous Custom, *Journal of Women of the Middle East and the Islamic World* 9, 2011.

Haydar Badawi Sadig, "Ustadh Mahmoud Mohamed Taha and Islamic Reform: Embodying and Communicating Absolute Individual Freedom," in M. Fackler and R. Fortner (eds.) *Ethics and Evil in the Public Sphere: Media, Universal Values and Global Development*. Cresskill, NJ: Hampton Press, 2010.

Howard, Steve, "Mahmoud Mohamed Taha: a remarkable teacher in Sudan" *Northeast African Studies*, 1989, v. 10 #1.

Howard, W. Stephen, Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Sisters: A Movement for Women in Muslim Sudan, *Ahfad Journal*, Vol. 23, No. 2, December 2006, Omdurman.

Howard, W.S., "Transforming Islamic Society: Mahmoud Mohammed Taha and the Republican Brotherhood," Fall 2003, *Journal for Islamic Studies*.

Lichtenthäler, G, National issues, political styles and Islamic responses in the Sudan 1956-1985: the case of Mahmud Muhammad Taha and the Republican Brothers. *Seeking an open society: inter-faith relations and dialogue in Sudan today* (ed. by S. Brown), Paulines Publications Africa, Nairobi, 1997.

M. Jalal Hashim, "The Death of Mahmud Muhammad Taha in January 18, 1985, Khartoum: A Case of State Madness", *Khartoum Monitor Newspaper*, January 24, 2011, Khartoum.

Mohamed Ahmed Mahmoud, "Mahmud Muhammad Taha and the rise and demise of the Jumhuri movement", *New Political Science* 23 (1), 2001.

Rogaia Mustafa Abusharaf, "We Have Supped So Deep in Horrors": Understanding Colonialist Emotionality and British Responses to Female Circumcision in Northern Sudan, *History and Anthropology*, Vol. 17, No. 3, September 2006.

المحاضرات والندوات والمؤتمرات والبيانات والجلسات وحلقات النقاش

أسماء محمود محمد طه (تقديم)، جلسة إنشاد عرفاني، إنشاد بصوت مجموعة من الأخوات الجمهوريات: أسماء محمود، رشيدة محمد فضل، إخلاص همت ومحاسن محمد خير، منزل الأستاذ محمود محمد طه، الثورة، الحارة الأولى، أمدرمان، تسجيل جمعة حسن، الثلاثاء 1980/9/2 الموافق 23 شوال 1400 هـ الساعة 7:00 صباحاً.

إعلان بغداد- عمان للحريات الأكاديمية في الجامعات العراقية، عمان، 2006.

بيان تجمع الكتاب والفنانين التقدميين "أبادماك". صدر البيان بتوقيع واحد وسبعين كاتباً نشر بالصحف اليومية السودانية ومجلة بيروتية. أنظر ملحق رقم (36): نص قرار تجمع الكتاب والفنانين التقدميين "أبادماك".

جلال الدين الهادي الطيب إدريس (تقديم)، جلسة حلقة إنشاد عرفاني، إنشاد بصوت عبدالله فضل الله، منزل الأستاذ محمود محمد طه، مدينة المهديّة، أمدرمان، الاثنين 30 رجب 1399 هـ الموافق 25 يونيو 1979، الساعة 6:30 صباحاً.

الحزب الجمهوري، البيان نمرة (19): أوقفوا المخطط المصري لغزو السودان"، 1969/3/18.

الحزب الجمهوري، البيان نمرة (22): التدخل المصري في السودان"، 1969/3/26.

حسن الترابي، "الفقه الإسلامي بين التقليد والتجديد"، (محاضرة)، الأسبوع الثقافي لكلية العلوم الرياضية، جامعة الخرطوم، يوم الثلاثاء 28 أبريل 2009، الخرطوم.

عبدالله الفكي البشير، "المعرفة الاستعمارية وإرث السودان السياسي قراءة في إسهامات البروفيسور عثمان البيلي النقدية"، جهود أ. د. عثمان البيلي العلمية وعطاءاته الإنسانية (ندوة علمية)، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، المدينة التعليمية، الدوحة، قطر، الاثنين 26 مارس 2012، الدوحة، قطر.

عبدالله الفكي البشير، "النسب الحضاري: قراءة في عوامل الإنبتات والتكيف وتغذية الخيال الجمعي"، (ورقة علمية)، المؤتمر العام السادس لاتحاد الكتاب السودانيين بعنوان: نسبنا الحضاري، قاعة ودعة، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم،

(24-25 مارس 2013).

عبدالله الفكى البشير، "صورة شعوب القرن الإفريقى فى كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين وتأثيراتها الممتدة"، مؤتمر: العرب والقرن الإفريقى: جدلية الانتماء والجوار، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات (معهد الدوحة)، الدوحة، دولة قطر، (27-29 نوفمبر 2011).

عوض إبراهيم عوض، "حوار مع عوض إبراهيم عوض"، برنامج نجم وجمهور، تقديم سرالختم بشير، إذاعة ساهرون، السبت 17/7/2009 الساعة 18:25.

فاروق محمد إبراهيم، "مناقشة كتاب: السعى وراء الألوهة: نظرة نقدية لفكر محمود محمد طه"، مركز الخاتم عدلان للإستشارة والتنمية البشرية، بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على مولد المفكر الاسلامى الشهيد محمود محمد طه 1909-2009، الخرطوم، السبت 10 يناير 2009.

فيصل مدنى مختار، "شهادة فيصل مدنى مختار، (تسجيل بصوته وبالفديو)، أدلى فيصل بشهادته بطلب من أسماء محمود محمد طه، تم التسجيل بواسطة مركز الأستاذ محمود محمد طه الثقافى، أمدرمان، حصلت على نسخه من تسجيل الشهادة بالفديو من أسماء محمود محمد طه مديرة المركز.

القضية نمرة م ع/ق د/1406هـ، أسماء محمود محمد طه وعبد اللطيف عمر حسب الله ضد حكومة جمهورية السودان، الموسوعة السودانية للأحكام والسوابق القانونية، العدد 1986، السلطة القضائية.

قناة أبو ظبى التلفزيونية.

قناة النيل الأزرق التلفزيونية.

محمد المكى إبراهيم، "كلمة بمناسبة احياء الذكرى السنوية لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه"، احتفال إحياء الذكرى الثالثة والعشرين لاستشهاد الأستاذ محمود محمد طه، مدينة مونترى، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية، بتاريخ يومى 19-20 يناير 2007.

محمد عثمان الحسن (تقديم)، جلسة إنشاد عرفانى، الإنشاد بصوت عبدالكريم على

موسى، منزل الأستاذ محمود محمد طه، المهديّة، الحارة الأولى، أمدرمان، تسجيل جمعة حسن، 18 نوفمبر 1979 الموافق 28 ذو الحجة 1399هـ الساعة 6:30 صباحاً.

منصور خالد، "محمود الذى عرفت"، (محاضرة)، بمناسبة مئوية الأستاذ محمود محمد طه، (1909-2009)، فى الذكرى الرابعة والعشرين لاستشهاده عام 1985، مركز الخاتم عدلان للاستشارة والتنمية البشرية، الخرطوم، 22 يناير 2009.

مؤتمر الإخوان الجمهوريين بمناسبة عيد الاستقلال، يوم الجمعة يوم 1985/1/4.

المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف فى السودان، جامعة دنقلا، السودان، (نشرت توصياته عام 2007).

مؤتمر الحزب الجمهورى، مدنى عيد الفطر عام 1388هـ الموافق 20 ديسمبر 1968.

المؤتمر الدولى: الإسلام فى إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم 2006.

المؤتمر العالمى الأول لرؤساء الجامعات، جامعة كولومبيا، 2005.

المؤتمر العام الأول: المكتبات السودانية ومجديات القرن الحادى والعشرين، الخرطوم، 1998.

المؤتمر العام السادس، نسبنا الحضارى، اتحاد الكتاب السودانيين، الخرطوم، مارس 2013.

مؤتمر جماعة الفكر والثقافة الإسلامية، أمدرمان، محرم 1403هـ - أكتوبر 1982م.

مؤتمر: العرب والقرن الإفريقى: جدلية الانتماء والجوار، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات (معهد الدوحة)، الدوحة، دولة قطر، (27-29 نوفمبر 2011).

ندوة "المستقبل العربى: المثقف والسلطة ومهامه الراهنة"، المستقبل العربى، السنة 6، العدد 51 (آيار/ مايو 1983).

ندوة الحرية الأكاديمية والمسئولية الاجتماعية للمفكرين، بمدينة كمبالا، 1990.

ندوة ثورة يوليو وإفريقيا مع إشارة خاصة للعلاقات المصرية السودانية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2001.

ندوة جهود أ. د. عثمان البيللى العلمية وعطاءاته الإنسانية (ندوة علمية)، مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، المدينة التعليمية، الدوحة، قطر، الاثنين 26 مارس 2012،

الدوحة، قطر.

ندوة مهرجان المرأة الأول، المرأة السودانية فى الحياة العامة مركز الدراسات السودانية، الخرطوم مارس 2003.

ندوة: "المستقبل العربى: المثقف والسلطة فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربى، القاهرة، 24-25 سبتمبر 1984.

ندوة: "فى ذكرى رحيله السابعة: محمد أبو القاسم حاج حمد.. بين الفكر والتاريخ"، مركز التنوير المعرفى بالتعاون مع صحيفة الأحداث، الخرطوم، الاثنين 9 يناير 2012.

يوسف فضل حسن وآخرون، وثيقة إعادة كتابة التاريخ، المؤتمر القومى للتخطيط الثقافى الشامل، لجنة الإعلام والتوجيه، الاتحاد الاشتراكى السودانى، لجنة الاحتفالات بالعيد الوطنى لمؤتمر الخريجين 1938-1988، الاحتفالات بالعيد الذهبى لمؤتمر الخريجين تقدم الحركة الوطنية السودانية ما بين الحربين العالميتين ومؤتمر الخريجين"، الخرطوم، بدون تاريخ.

الرسائل الجامعية (مرتبة الشرف/ درجة البكالوريوس، الماجستير والدكتوراة) باللغة العربية

أمل عبدالعزيز حسن، أثر بعض الفروق بين الرجل والمرأة على الذاكرة وأداء الشهادة في المحاكم، (رسالة ماجستير)، إشراف شمس الدين زين العابدين، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996.

أمل يحيى الشريف، تأثير الدين في خطاب عبدالناصر القومي، (رسالة ماجستير)، إشراف حسن حاج على، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

آمنة عبدالقادر محمد بشير، الإسلام والغرب المعاصر: دراسة في إشكالية العلاقات السياسية، (رسالة ماجستير)، إشراف الشفيق محمد المكي، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2011.

أميرة بكرى محمد الماحي، تاريخ السودان السياسي 1930-1956، (رسالة ماجستير)، إشراف عبدالوهاب عبد الرحيم المبارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2000.

الباقر عمر السيد، نقض نظرية الإنسان الكامل عند الجمهوريين، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير (1414-1415هـ / 1993-1994م)، إشراف الدكتور شوقي بشير عبد المجيد، قسم الدراسات العليا، كلية أصول الدين، جامعة أمدرمان الإسلامية، أمدرمان السودان.

حرم أحمد محمد، التبرج وأثره في المجتمع الإسلامي، (رسالة ماجستير)، إشراف التجاني مصطفى محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1996.

حسن حامد حسين مشيكة، التجربة الفيدرالية في السودان: بالتركيز على دراسة ولايتي الخرطوم وغرب كردفان، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحي فانوس، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2001.

حسين محمد الحسن على، مقاصد الشريعة الإسلامية وأثرها على الحماية الفكرية للمسلم

المعاصر: دراسة مقارنة، (رسالة دكتوراة)، إشراف عوض عبدالله بابكر، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

محمد عمر حاوي، الصحة الإسلامية وتحديات العصر، (رسالة ماجستير)، إشراف التجاني عبدالقادر حامد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1995.

سمية محمود محمد طه، دور النساء الميعلات للأسر في تقليل حدة الفقر، دراسة حالة دار السلام شمال بأمدرمان، بحث لنيل درجة ماجستير الآداب في الدراسات السودانية (اجتماع)، إشراف: إلهام عبد الرحمن عثمان، كلية الدراسات العليا، جامعة الزعيم الأزهرى، الخرطوم بحرى، السودان مارس 2012.

شوقى بشير عبدالمجيد، فرقة الجمهوريين بالسودان وموقف الإسلام منها، (أطروحة دكتوراة)، إشراف: عبدالعزيز عبيد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1404هـ [1983م].

شيرين إبراهيم النور صديق، تاريخ الحركة السياسية السودانية 1952-1958، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010.

صالح أحمد التوم ضيف الله، الجرائم المعاقب عليها بالقتل فى الشريعة الإسلامية والقانون الجنائى السودانى لسنة 1991، (رسالة دكتوراة)، إشراف حافظ الشيخ الزاكي، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

صالح عبدالقادر صالح الشيخ، التنظيم السياسى الواحد وأثره على الوحدة الوطنية فى السودان، (أطروحة دكتوراة)، إشراف: محمد نوري الأمين، مشرف مساعد: عدلان أحمد الحردلو، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1997.

الطيب أبشر الطيب، مكتب السكرتير الإدارى 1899-1956، (أطروحة دكتوراة)، إشراف عد الهاب عبد الرحيم المبارك بوب، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا،

جامعة الخرطوم، 1996.

الطيب حسن محمد الطيب، وحدة الوجود في الفكرة الجمهورية، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس مرتبة الشرف، إشراف د. كمال حامد شداد، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، الخرطوم، 1983.

عبد العظيم محمد حمد أبو الحسن، قضية إسلامية الدستور والقوانين في السودان (1955-1985) وتأثيرها على الاستقرار السياسي، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبد الرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010.

عبد السلام أحمد على ضو، إشكالية الدولة وتجربة الحزب الواحد في إفريقيا: الاتحاد الاشتراكي السوداني، دراسة حالة، (أطروحة دكتوراة)، إشراف حسن مكى محمد أحمد، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2003.

عفاف مساعد بشير مساعد، مفهوم "التفكير" في الإسلام، (رسالة ماجستير)، إشراف عبد المتعال زين العابدين، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

عمر الخير إبراهيم أحمد، الإسلام والدولة القطرية: دراسة للمشروع السياسي الإسلامي في السودان (1989-2005)، المشرف محمد عثمان أبو ساق، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2008.

عواطف أحمد الإمام، الاجتهاد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، (رسالة ماجستير)، إشراف حافظ الشيخ الزاكي، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1994.

غانية محمود أحمد محمد خير، حق المرأة في الميزات بين الشريعة والميراث، (رسالة ماجستير)، إشراف حسين محمد الحسن على، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2002.

فتح الرحمن الصديق إبراهيم، مفهوم السلام فى الإسلام، (رسالة ماجستير)، إشراف عبد المتعال زين العابدين، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

مازن مصباح محمود صباح، الاجتهاد وحاجة العصر إليه، (رسالة دكتوراة)، إشراف عوض عبدالله بابكر، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998.

محرم عوض السيد حسن، التطورات الدستورية لنظام مايو 1969-1985، (رسالة ماجستير)، إشراف محمد نوري الأمين، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998.

محمد حمدنا الله عبدالحافظ، التعليم والتنمية فى السودان 1970-1990، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، شعبة العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998، (بحث غير منشور).

محمد مجذوب محمد صالح، أصول الاجتماع السياسى فى القرآن الكريم دراسة حول (مفهوم الأمة)، إشراف أم سلمة محمد صالح، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، 2000.

مصباح محمد القذافى، سياسة إسرائيل المائتة وأثرها على الأمن القومى العربى 1973/1989، (رسالة ماجستير)، إشراف عطا حسن البطحانى، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1997.

مظفر الصديق حسن الصافى، أزمة الشرعية السياسية لنظام مايو 1969-1985، (رسالة ماجستير)، إشراف صفوت صبحى فانوس، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2001.

معاوية عوض الله مصطفى، العلاقات الدولية المعاصرة والسلام العالمى: رؤية إسلامية، (رسالة لنيل درجة الماجستير فى العلاقات الدولية)، إشراف محمد حسن أحمد، قسم

العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2010.

نجلاء عبد الله محمد يوسف، إسهامات الأعضاء الجنوبيين في البرلمانات واللجان والمجالس السودانية (1948-1969)، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2004.

ندى محمد حسين على الشامى، الفيدرالية والتنمية فى السودان: تجربة ولاية النيل الأبيض 1991-2001، (رسالة ماجستير)، إشراف عطا الحسن البطحاني، قسم العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2002.

هاجر محمد عثمان موسى، حقوق المرأة فى السنة النبوية، (رسالة ماجستير)، إشراف عبدالله محمد أحمد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1999.

هدى النور دينج، انتخابات وبرلمانات السودان مايو 1965 - مايو 1969، (رسالة ماجستير)، إشراف فدوى عبدالرحمن على طه، قسم التاريخ، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 2011.

هويدا صلاح الدين العتبانى، حقوق الإنسان بين الإسلام والمواثيق الدولية مع دراسة خاصة لحقوق الإنسان فى السودان، (رسالة ماجستير)، إشراف حافظ الشيخ الزاكي، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، 1998.

يورجن روجالسكى، "الإخوان الجمهوريون فى السودان"، (جزء من رسالة ماجستير)، ترجمة وتحرير حيدر إبراهيم على، الأستاذ محمود محمد طه: رائد التجديد الدينى فى السودان. سلسلة أعلام التنوير والتاريخ السودانى (الكراسة الأولى)، الدار البيضاء، 1992.

الرسائل الجامعية (مرتبة الشرف/ درجة البكالوريوس، الماجستير والدكتوراة) باللغة الإنجليزية

Eltayeb H. M. Eltayeb, *The Second Message of Islam*, An unpublished PhD thesis, Middle Eastern Studies, University of Manchester, Manchester, UK, 1995.

Haidar El Safi Mohamed Ali Shapo, Dedication for M.Sc 1990 in Resource Management: Edinburgh University.

Haidar El Safi Mohamed Ali Shapo, *Modification of Microclimate in an Alley Cropping System in Northern Sudan*, 2002

Khalid Abdalla Hussein , *Parameter-parsimonious Models for Crown and Stem Profiles*, Georg-August University of Gottingen (Göttingen, right spelling) Germany, June 2001.

Sadig, Haydar Badawi, *Aspects of Female Participation in Religious Organizations in Sudan: The Case of the Republican Sisters*, 1985, An unpublished Honour's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

Sadig, Haydar Badawi, *The Republican Brothers: A Religio-political Movement in Sudan*, 1988, An unpublished Master's thesis, Faculty of Economics & Social Sciences, University of Khartoum, Sudan.

المراسلات والخطابات الخاصة

بشرى الفاضل، "رسالة خاصة"، إلى المؤلف عبدالله الفكى البشير، بتاريخ 5 مارس 2012.
جلال الدين الهادى الطيب إدريس، "رسالة إلى الأخت العزيزة أسماء محمود: شذرات
من حياة وأقوال الأستاذ"، القاهرة، بتاريخ 29 مايو 2000. والمرة الثانية فى عامى
1983-1984 بكوير".

خطاب من الأمين العام لدار الوثائق القومية إلى المؤلف عبدالله الفكى البشير، الخرطوم،
بتاريخ 2012/8/23.

خطاب من الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر الشريف، القاهرة إلى وكيل
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، التاريخ 1972/6/5.

خطاب من الأمين العام، رابطة العالم الإسلامى، الأمانة العامة، مكة المكرمة إلى وزير
الشؤون الدينية والأوقاف بالسودان، الرقم 2631/17/5 التاريخ: 5 ربيع أول 1395هـ.

خطاب من عبد العزيز عبدالله بن باز، الرئيس العام، لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد، ورئيس المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى، مكتب الرئيس،
المملكة العربية السعودية، إلى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، التاريخ:
1395/5/4هـ.

سر الختم الحسن عمر، "خطاب موجه إلى السيد رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية
والأوقاف"، يكشف الخطاب عن طلب المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف/ وزارة
الشؤون الدينية والأوقاف لاستكتاب الأساتذة ضد الأستاذ محمود محمد طه، ضمن:
عبد الباقي يوسف نعمة، رسالة فى الرد على: محمود محمد طه، (بحث مطبوع)، مكتبة
جامعة أمدرمان الإسلامية، المكتبة المركزية، تحت رقم التسجيل (92844)، أمدرمان.

عبدالله الفكى البشير خطاب إلى السيد الأمين العام لدار الوثائق القومية"، بتاريخ
2012/8/23.

عبدالله على إبراهيم، مذكرة عبد الله على إبراهيم إلى النخبين الخريجين فى العاصمة

القومية، ودعوته لمقاومة مادة الردة في القانون الجنائي، والنداء إلى أساتذة الجامعات بالعالم للاحتجاج على تعيين المكاشفى طه الكباشى، قاضى محكمة الردة عام 1985، بإحدى الجامعات بالملكة العربية السعودية، والمطالبة بتنحيته عن التدريس بالجامعات بسبب إيدائه لمخالفه فى الرأى.

عصام عبدالرحمن أحمد البوشى، "رسالة خاصة"، إلى مؤلف الكتاب فى يوم 31 ديسمبر 2010.

المقابلات Interviews (الاسم، المكان، الوقت وفقاً لتوقيت مدينة الدوحة، دولة قطر)؛

إبراهيم يوسف فضل الله، مدينة الدوحة، دولة قطر، فى يوم 2011/8/31، الساعة 22:00.
إحسان الزبير إبراهيم إدريس، تمت المقابلة عبر الإسكايب، إحسان بمدينة مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف بمدينة الدوحة، السبت 27 أبريل 2013، الساعة 16:30.

أحمد العجب، الخرطوم يوم 2011/7/14، الساعة 18:00.

أحمد محمد الحسن، الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 15:30.

أحمد مصطفى دالى، تمت المقابلات فى الدوحة، مقابلة فى يوم 13 فبراير 2011، الساعة 18:30؛ مقابلة فى يوم 25/6/2011، الساعة 19:00؛ مقابلة فى يوم 2013/1/24، الساعة 21:00.

أسامة الخواض، تمت المقابلة عبر البريد الإلكتروني، 22-24 أبريل 2013.

أسماء محمود محمد طه، مقابلات عديدة فى الخرطوم وفى الدوحة، وبعضها عبر الهاتف. مقابلة فى الدوحة، 7 ديسمبر 2009، الساعة 19:30؛ مقابلة فى الخرطوم 2011/7/9، الساعة 18:00؛ وبتاريخ 2011/7/14، الساعة 10:20؛ ومقابلات خلال الفترة ما بين 2006-2013.

إسماعيل علم المهدي، مقابلات عديدة خلال الأعوام 2010-2013، تمت عبر الهاتف والبريد الإلكتروني، كان آخرها فى يوم 23 فبراير 2012، الساعة 23:10.

الباقر العفيف، الخرطوم، 28 يوليو 2012، الساعة 11:30.

بتول مختار محمد طه، الخرطوم، يوم 2011/7/30، الساعة 19:30.

بدر الدين يوسف دفع الله السيتم، تمت مقابلات عبر الهاتف والبريد الإلكتروني، بدر الدين بمملكة البحرين، والمؤلف فى الدوحة، كان آخرها يوم 2012/12/8، الساعة 20:30.

بشير بكار (1952-2012)، الخرطوم، 2012/1/6، الساعة 15:00.

حسن محى الدين التهامي، الخرطوم يوم 2012/1/6، الساعة 17:00.

حمد النيل عبدالله العركي، تمت مقابلات عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة وحمد النيل فى السودان، بتاريخ 6 مايو 2012، الساعة 20:00.

حيدر إبراهيم على، الدوحة، قطر، 2012/5/28، الساعة 7:30.

حيدر بدوى صادق، تمت مقابلات عديدة، منها مقابلة فى الدوحة، قطر، بتاريخ 18 يونيو 2012، الساعة 18:30؛ مقابلة عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة، وحيدر فى المملكة العربية السعودية، 18 يناير 2013، الساعة 12:35.

خالد الحاج عبد المحمود، تمت مقابلتان بمدينة رفاعه، ومقابلات عديدة بالهاتف، خالد بمدينة رفاعه فى السودان، والمؤلف بمدينة الدوحة بدولة قطر، كان آخرها بتاريخ 2013/1/5، الساعة: 14:00.

خالد حسن عبدالله، مقابلة عبر حوار بالبريد الإلكتروني، بتاريخ 29 مايو 2012.

خالد محمد الحسن، تمت المقابلات فى الدوحة، 2011/6/25، الساعة 20:30.

الريح أبو إدريس، الخرطوم يوم 2011/7/17، الساعة 16:00.

سامية حجاز، أمدرمان، بتاريخ 28 يوليو 2012، الساعة 11:00.

سعد عبدالله أبو نورة، تمت المقابلات عبر الهاتف، سعد بمدينة مسقط، سلطنة عمان، والمؤلف فى الدوحة، 13 مايو 2013، الساعة 20:30؛ 14 مايو 2013، الساعة 19:30.

سلمى مجذوب محمد مجذوب، تمت مقابلات فى مدينة ود مدنى، 17 ديسمبر، 2009، الساعة 19:30: ومقابلة بتاريخ 13 يوليو 2010، الساعة 16:00؛ ومقابلة فى الخرطوم، بتاريخ 14 يوليو 2010، الساعة 11:30.

سمية أمين صديق، تمت مقابلات عبر المراسلات بالبريد الإلكتروني، خلال الفترة 4-8 مايو 2012؛ وخلال الفترة 4-8 نوفمبر 2013.

الشفيع خضر سعيد، الدوحة، قطر، 2011/9/28، الساعة 20:00.

الطيب حسن، تمت المقابلة عبر الهاتف والبريد الإلكتروني، الطيب فى الإمارات والمؤلف فى الدوحة، 2012/9/28، الساعة 20:30؛ 2013/3/20، عبر البريد الإلكتروني.

عادل الطيب، الخرطوم، يوم 2011/7/30، الساعة 20:30.

عبد الرحيم هلاوى، تمت المقابلة فى الدوحة، فى يوم 2011/10/15، الساعة 20:10.

عبدالله فضل الله، تمت المقابلة عبر الهاتف، عبدالله فضل الله فى الخرطوم، والمؤلف فى الدوحة، 12 مايو 2013، الساعة 11:30 صباحاً.

عبدالسلام نور الدين، الدوحة، قطر، 23 سبتمبر 2013، الساعة 7:30.

عبد اللطيف عمر حسب الله، مقابلة فى أمدرمان، يوم 2011/7/30، الساعة 11:00؛ ومقابلات عبر الهاتف فى أوقات متفاوتة، عبد اللطيف فى أمدرمان، والمؤلف فى الدوحة.

عبدالله عثمان، تمت مقابلات عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة، وعبدالله فى مسقط، سلطنة عمان، 4 أكتوبر 2012، الساعة 20:30؛ ومقابلة بتاريخ 2012/10/28، الساعة 12:10.

عبدالله على إبراهيم، تمت مقابلات عديدة عبر الهاتف، وفى الخرطوم وفى الدوحة، خلال الفترة ما بين 2011- مارس 2013.

عثمان جعفر النصيرى، تمت عبر الهاتف والبريد الإلكتروني، المؤلف فى الدوحة والنصيرى فى لندن، كانت المقابلات بالهاتف فى يومى 25 أبريل و 29 مايو 2012، الساعة 21:00؛ المراسلات فى أيام: 25 أبريل، و 29 مايو، و 12 أغسطس، و 25 أغسطس و 5 سبتمبر.

عثمان سيد أحمد إسماعيل البيلى، تمت مقابلات عديدة فى الدوحة خلال الفترة ما بين 2009-2011، منها: 13 مايو 2010، الساعة 20:00؛ 26 مارس 2011، الساعة 19:30؛ 28 أبريل 2011، الساعة 20:30.

عصام عبدالرحمن البوشى، تمت مقابلات فى مدينة ود مدنى، 17 ديسمبر، 2009، الساعة 19:30؛ ومقابلة بتاريخ 13 يوليو 2010، الساعة 16:00؛ ومقابلة فى الخرطوم، بتاريخ 14 يوليو 2010، الساعة 11:30؛ ومقابلة عبر الهاتف، البوشى فى مدينة مدنى فى السودان والمؤلف فى مدينة الدوحة، قطر، الأربعاء 24 أكتوبر 2012، الساعة 6:50؛ 24 مايو 2013، الساعة 14:30.

على أحمد إبراهيم رحمة، كانت المقابلة فى رحلة بسيارة ما بين الخرطوم ومدنى، يوم 2012/1/7، بدأت الرحلة الساعة 11:00 صباحاً وانتهت عند الساعة 15:30.

على لطفى، أمدرمان، يوم الاثنين 2011/7/25، الساعة 15:30.

على محمد أبو كليوة، تمت المقابلات عبر الهاتف، على فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، مقابلة فى يوم 14 سبتمبر 2010، الساعة 19:00؛ مقابلة فى يوم 27 نوفمبر 2010، الساعة 11:30؛ مقابلة فى يوم 14 يناير 2011، الساعة 13:00.

عماد عبداللطيف محمد عبدالهادى، مقابلات عديدة عبر الهاتف، عماد فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، منها: بتاريخ 19 سبتمبر 2010، الساعة 19:00، بتاريخ 18 ديسمبر 2010، الساعة 21:00؛ بتاريخ 26 مارس 2011، الساعة 19:30.

عماد عبداللطيف محمد، مقابلات عبر الهاتف، المؤلف فى الدوحة وعماد فى الخرطوم، 19 سبتمبر 2010، الساعة 20:00؛ بتاريخ 29 أكتوبر 2010، الساعة 16:40؛ وبتاريخ 18 ديسمبر 2010، الساعة 20:30.

عمر القراى، تمت المقابلة فى الخرطوم، فى يوم 28/7/2011، الساعة 20:00؛ ومقابلات عبر البريد الإلكتروني، كان آخرها بتاريخ 27 يناير 2013.

عمر هواى، مقابلات عديدة خلال الأعوام 2010-2013، تمت عبر الهاتف والبريد الإلكتروني، كان آخرها فى يوم 6 مايو 2013، الساعة 15:30.

عواطف عبدالقادر، تمت المقابلة فى الخرطوم، فى يوم 28/7/2011، الساعة 20:00.

عوض الكريم موسى، مقابلات عديدة، منها مقابلتان فى الخرطوم، فى يوم 23 يوليو 2012، الساعة 19:30، وفى يوم 24 يوليو الساعة 20:00؛ ومقابلات بالهاتف، عوض الكريم بمدينة الخرطوم فى السودان، والمؤلف بمدينة الدوحة بدولة قطر، كان آخرها بتاريخ 203/1/5، الساعة 11:10.

عوض لطفى عبدالله، تمت المقابلة بالهاتف، عوض فى مدينة أمدرمان، والمؤلف بمدينة الدوحة، قطر، بتاريخ 4/10/2011، الساعة 11:30.

عوض محمد مصطفى فقيده، تمت المقابلات عبر الهاتف وفى الخرطوم والجميعابى وفى الدوحة، فى أوقات مختلفة أكثرها خلال الأعوام: 2006، 2007، و2008.

عيسى إبراهيم، تمت المقابلة عبر الهاتف، عيسى فى الخرطوم والمؤلف فى الدوحة، يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 10:30، ومقابلة فى يوم 4 مايو 2013، عبر الإسكايب،

الساعة 21:16.

فاطمة عباس سليمان (1937-2011)، الجنيد البيارة، ولاية الجزيرة، يوم 21 يوليو 2011،
الساعة: 16:00.

كمال الجزولي، تمت المقابلة في الخرطوم، في يوم 4 يونيو 2013، الساعة 16:30.
متوكل مصطفى الحسين (1958-2012)، تمت مقابلات عبر الهاتف متوكل في واشنطن،
والمؤلف في الدوحة، في يوم السبت 17 ديسمبر 2011، الساعة 22:30؛ الأحد 8 يناير
2012، الساعة 23:30.

مجنوب محمد مجنوب، الجنيد البيارة، ولاية الجزيرة، يوم 21 يوليو 2011، الساعة: 16:00.
محرم عوض السيد حسن، مقابلة بالهاتف، المؤلف في الدوحة، قطر، ومحرم عوض السيد
حسن في مدينة بورتسودان، السودان، بتاريخ 17 يناير 2013، الساعة 16:25؛ 17 يناير
2013، الساعة 21:45.

محمد صادق جعفر، مقابلات عديدة عبر الهاتف والبريد الإلكتروني خلال الفترة ما بين
2012/11/14 - 14 مارس 2013.

محمود شعراني، تمت المقابلة عبر الهاتف، محمود في الخرطوم والمؤلف في الدوحة، 5
أبريل 2013، الساعة 20:00.

مصطفى محمد صالح، تمت المقابلة عبر الهاتف، مصطفى بمدينة عطبرة في السودان
والمؤلف في القاهرة، 26 يوليو 2013، الساعة 21:30.

النور حمد، تمت مقابلات في الدوحة، 22 نوفمبر 2009، الساعة 20:00؛ ومقابلة بتاريخ
2009/10/26، الساعة 20:30؛ ومقابلة بتاريخ 10 أغسطس 2010، الساعة 20:30؛
ومقابلة تمت في الخرطوم، يوم 14/7/2011، الساعة 10:20.

الهادي نصر الدين فضل الجليل، أمدرمان، بتاريخ 28 يوليو 2012، الساعة 13:40.

هدى عثمان سليمان القباني، الخرطوم يوم 6/1/2012، الساعة 12:30.

ياسر الشريف المليح، تمت مقابلات عبر الهاتف ياسر في ألمانيا، والمؤلف في الدوحة، في
يوم الاثنين 22 أكتوبر 2012، الساعة 20:30؛ وبتاريخ 23 مايو 2013، الساعة 19:30.

المواقع على شبكة الإنترنت Websites

[http:// www.alustadhcenter.org](http://www.alustadhcenter.org)
[http://www. mediaschool.ohio.edu](http://www.mediaschool.ohio.edu)
<http://www.abusaleem.net>
<http://www.african.ohio.edu>
<http://www.ahewar.org>
<http://www.ahl-alquran.com>
<http://www.alfikra.org>
<http://www.al-jazirah.com.sa>
<http://www.almuharrir.com.sd>
<http://www.alrakoba.net>
<http://www.alrased.net>
<http://www.ancientsudan.org>
<http://www.bbc.co.uk>
<http://www.d-a.org.uk>
<http://www.dohainstitute.org>
<http://www.goutaliezzedine.maktoobblog.com>
<http://www.hurriyatsudan.com>
<http://www.islamweb.net>
<http://www.law.emory.edu/aannaim>
<http://www.malaf.info>
<http://www.meshkat.net>
<http://www.mohe.gov.sd>
<http://www.naqdy.org>
<http://www.naqdy.org>

<http://www.parliament.gov.sd>

<http://www.sacdo.com>

<http://www.sacdo.com>

<http://www.sjsudan.org>

<http://www.sudaneseonline.com>

<http://www.sudan-forall.org>

<http://www.sudanile.com>

<http://www.tanweer.sd>

<http://www.umma.org>

<http://www.uqu.edu.sa>

<http://www.wamy.org>

فهرس الأعلام



(لقد ورد اسم محمود محمد طه / الأستاذ محمود فى معظم فقرات
وصفحات هذا الكتاب، لهذا لم أصنفه ضمن فهرس الأعلام)

(أ)

إبراهيم محمد حاج موسى 393- 479- 659

1198- 970

إبراهيم محمد زين 981- 998- 1000- 1003

إبراهيم ناجى 579

إبراهيم يوسف فضل الله 39- 68- 316- 319

330- 332- 407- 523- 525- 593- 595- 596

597- 598- 700- 1198- 1240

أبكر آدم إسماعيل 458

ابن أبى زيد القيروانى 779

ابن الفارض 560- 583

ابن حجر العسقلانى 886

ابن خلدون 30- 47- 1198

أبو القاسم أحمد هاشم 573- 575

أبو القاسم محمد إبراهيم 672

أبو القاسم هاشم 667

إبراهيم أبو النور 573

إبراهيم أحمد 135- 390- 1078

إبراهيم أحمد عمر 1180- 1183

إبراهيم الزبير 171- 1197

إبراهيم الصلحى 664

إبراهيم الطيب 646

إبراهيم المغربى 368

إبراهيم المفتى 655- 836- 837- 838- 1040- 1198

إبراهيم بدرى 246- 313- 495- 906

إبراهيم زين العابدين 268

إبراهيم عبود 167- 401- 466

إبراهيم عثمان 268

إبراهيم فوزى باشا 923- 1198

إبراهيم قاسم 390